مكتبة الجاحظ
أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ
١٥٠ - ٢٥٥

بتحقيق وشرح
عبد السلام محمد هارون

الكتاب الثانى

البيان والتبيين

الناشر مكتبة الخانجى بالقاهرة

إهداء

حفظك الله وأبقاك وأمتع بك، وجعل ما بيني وبينك من ودٍّ موصولًا أبد الدهر، فقد عرفتك صديقًا لا يشوب صداقته زيف من شوائب الدنيا، وعرفتك على تقادم العهد وتطاول الزمان، أخًا ثابت الإخاء وثيق النفس، ليس كمن يدور بخلته بين الناس ملتمسًا بها الغنم، وباغيًا بها النفع، فكان ذلك، أيدك الله، مما أكبرك في عيني، وأعظمك في نفسي، وبسطني أن أقدم إليك هذا الكتاب الخالد لتري فيه، ولتعلم أيها السمي الكريم، أني أحفظ لك في نفسي مثل ما تحفظ لي من وفاء، وأطوي لك صدري على مثل ما تطوي من ولاء.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ــ عرض الكتاب

وهذا الكتاب هو الحلقة الثانية من سلسلة مكتبة الجاحظ التى أخذتُ نفسى بإخراجها وجِلائها على الناس ، وهو ، لا جرم ، أسيَر كتب أبى عثمان وأكثرها تداولا ، وأعظمها نفعاً وعائدة ؛ فبِه تخرّج كثير من الأدباء ، واستقامت ألسُنهم على الطريقة المثلَى . فهو أستاذ أرهاط متعاقبة من المتأدبين ، وهو شيخ جماعات متتابعة ممن صقلوا ذوقهم بصِقال الجاحظ ، ورفعوا فنّهم بالتأمل فى فنه وعبقريته .

٢ ــ بعض أقوال القدماء

فيه يقول أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكرى [١] فى الصناعتين ، عند الكلام على كتب البلاغة : « وكان أكبرها وأشهرها كتاب البيان والتبيين ، لأبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ . وهو لعمرى كثير الفوائد ، جم المنافع ، لما اشتمل عليه من الفصول الشريفة ، والفقر اللطيفة ، والخطب الرائعة ، والأخبار البارعة ، وما حواه من أسماء الخطباء والبلغاء ، وما نبه عليه من مقاديرهم فى البلاغة والخطابة وغير ذلك من فنونه المختارة ، ونعوته المستحسنة . إلا أن الإبانة عن حدود البلاغة وأقسام البيان والفصاحة ، مبثوثة فى تضاعيفه ، ومنتثرة فى أثنائه ، فهى ضالَّة بين الأمثلة ، لا توجد إلا بالتأمل الطويل ، والتصفح الكثير » .

وهو كلام رجل قد خبر الكتاب ورازَه ، ولكنه لم يشأ أن يرسم لنا صورة مفصلة واضحة .

---

(١) توفى نحو سنة ٣٩٥ .

وابن رشيق القيرواني (٣٩٠ ــ ٤٦٣) في العمدة [١] يقول : « وقد استفرغ أبو عثمان الجاحظ ــ وهو علّامة وقته ــ الجهد ، وصنع كتابا لا يُبلَغ جودة وفضلا ، ثم ما ادّعى إحاطته بهذا الفن ؛ لكثرته ، وأنّ كلام الناس لا يُحيط به إلا الله عز وجل » .

أما ابن خلدون المغربي (٧٣٢ ــ ٨٠٨) فيسجل لنا رأى قدماء العلماء فى هذا الكتاب ؛ إذ يقول عند الكلام على علم الأدب [٢] : « وسمعنا من شيوخنا فى مجالس التعليم أن أصول هذا الفن وأركانه أربعة دواوين : وهى أدب الكتاب لابن قتيبة ، وكتاب الكامل للمبرد ، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ ، وكتاب النوادر لأبى على القالى . وما سوى هذه الأربعة فتبعٌ لها ، وفروع عنها » .

٣ ــ تفصيل الكتاب

إنّ دأب الجاحظ فى تأليفه أن يرسل نفسه على سجيّتها ، فهو لا يتقيد بنظامٍ محكم يترسَّمه ، ولا يلتزم نَهجًا مستقيما يحذوه ، ولذلك تراه يبدأ الكلام فى قضية من القضايا ، ثم يدعها فى أثناء ذلك ليدخل فى قضية أخرى ، ثم يعود إلى ما أسلف من قبل . وقد كانت هذه سبيلَ كثير من علماء دهره ، كما أن علوّ سنه وجِدّةَ التأليف فى تلك الأبحاث التى طَرَقها ، كل أولئك كان شفيعاً له فى هذا الاسترسال والانطلاق .

وكان أبو عثمان يشعر بذلك ويعتذر عنه أحياناً ، فهو يقول عند الكلام على البيان [٣] : « وكان فى الحق أن يكون هذا الباب فى أول هذا الكتاب ، ولكنا أخّرناه لبعض التدبير » .

---

(١) العمدة (١ : ١٧١) فى باب البيان .

(٢) مقدمة ابن خلدون ٨٠٥ .

(٣) الجزء الأول ص ٧٦ .

وهو يَعِدُ فى أواخر هذا الجزء [١] أن يتكلم فى الجزء الثانى على طعن الشعوبية على العرب فى اتخاذ المِخصرة ، ثم يحاول الوفاء بما وعد ، فى الجزء الثانى ، ولكنه يرى أن الفرصة لم تسنح له بعد ، فيعتذر بقوله : ولكنا أحببنا أن نصدِّر هذا الجزء بكلام من كلام رسول رب العالمين ، والسلف المتقدمين ، والجِلَّة من التابعين ». ويمضى الجزء الثانى بأكمله ، ولا يستطيع صاحبنا الوفاء بما وعد به إلا فى صدر الجزء الثالث من الكتاب .

ونحن نستطيع أن نردَّ مباحث الكتاب وقضاياه إلى الضروب التالية :

(١) البيان والبلاغة (٢) القواعد البلاغية (٣) القول فى مذهب الوسط (٤) الخطابة (٥) الشعر (٦) الأسجاع (٧) نماذج من الوصايا والرسائل (٨) طائفة من كلام النساك والقصاص وأخبارهم (٩) عَرْضٌ لبعض كلام النوكى والحمقى ونوادِرِهم (١٠) ضروب من الاختيارات البلاغية .

البيان والبلاغة :

تحدث الجاحظ فى تعريف البيان ، وساق فى تفصيلِ أنواعَ الدلالات البيانية من اللفظ ، والإشارة ، والعَقْد ، والنِّصبة [٢] . وعقد أبواباً لمدح اللسان والبيان [٣] ، وصنع موازنة بين لغة العامة والحضريين والبدويين [٤] ، ونوه تنويها بصحة لغة الأعراب فى عصره [٥] ، وروى مقطَّعات من نوادر الأعراب وأشعارهم [٦] وتحدث فى لُكْنة النبط والروم [٧] ، وعَرَض نماذج من كلام الموالى [٨] ، وعقد فى الجزء الثانى باباً للَّحن وأخبار اللحانين ، بعد أن تكلَّم

(١) الجزء الأول ص ٣٨٣ .
(٢) انظر ١ : ٧٥ .
(٣) ١ : ١٦٦ ، ١٧٢ ، ١٩٢ .
(٤) ١ : ١٢٠ .
(٥) ١ : ١٥٧ .
(٦) الجزء الثالث .
(٧) ١ : ٧٠ .
(٨) ١ : ١٦١ — ١٦٥ .

فى الجزء الأول [1] على اللحن ومتى يُستملَح ومتى يُستهجَن . وفى الجزء الثانى عرض صوراً من صور العى والحَصَر ، وبسط مذهباً له فى وجوب أداء القصص والنوادر كما هى ، إن معربةً فمعربةٌ ، أو ملحونة فملحونة ، زاعماً أن الإعراب يفسد نوادر المولدين .

ولم ينس أن يسوق فى صدر كتابه طائفة من الآيات التى تنوِّهُ بشأن البيان والبلاغة ، ثم يعيد الكرة فى الحث على البيان والتبيين [2] ، إذ يقول : « وأنا أوصيك ألا تدع التماس البيان والتبيين إن ظننت أن لك فيهما طبيعة ... » .

وهو لا يُغْفِل أن يتكلم فى مخارج الحروف ، ويبيِّنَ أثر سعة الشدق وأثر اكتمال الأسنان أو نقصها فى البيان [3] ، وكذلك أثر لحم اللِّثة [4] ، وكذا أثر سقوط الأسنان ، وينقل قول محمد الرومى [5] : « قد صحت التجربة وقامت العبرة على أن سقوط جميع الأسنان أصلح فى الإبانة عن الحروف منه إذا سقط أكثرها » .

ويعقد باباً للحروف التى تدخلها اللثغة ، ويبيِّن : أىُّ لثغة أشنع وأيها أظرف [6] . ولعل الذى دفعه إلى ذلك ما كان معروفاً من لثغة واصل بن عطاء المعتزلى ، الذى حاول أن يعتذر له ، وأن يجعل من هذا النقص الذى كان يتغلب عليه ، كمالاً وعبقرية يسوق فيها الدليل إثر الدليل [7] .

وهو كذلك يروى طائفة صالحة من أخبار البلغاء والخطباء والأبيناء والفقهاء والأمراء [8] ، ومن جمع بين الخطابة والشعر [9] ، ويعرض نماذج من كلام الرسول فى صدر الجزء الثانى [10] ، كما عقد باباً للغز فى الجواب فى ذاك الجزء .

فإذا ما حاول الكلام فى البلاغة ، وهى المرتبة التى فوق البيان ، ذهب

---

(١) ١ : ١٤٦ . (٢) ١ : ١٤٥ . (٣) ١ : ٢٠٠ . (٤) ١ : ٥٨ .

(٥) ١ : ٦١ . (٦) ١ : ٦١ . (٧) ١ : ٦٤ .

(٨) ١ : ١٤ . (٩) ١ : ٩٨ . (١٠) ١ : ٥١ .

يسرُدُ تعريفها عند الفرس والروم والهند ، والأعراب ، وأعلام البلغاء ، كالعتابى وسهل بن هارون ، وعَمرو بن عبيد ، وابن المقفع [١] . ثم لايرضيه ذلك حتى يظفر بترجمة لصحيفة هندية ترسم حدود البلاغة وتبين أصولها [٢] .

ولم يتعرض لمسائل البلاغة التى عرفت فيما بعد ، إلا ما قَدَّمَ من كلام فى تنافر الحروف وائتلافها [٣] ، وكذلك وجوب مراعاة مقتضى الحال [٤] . وهو يتكلم فى الإيجاز والإطناب ويعيِّن المواضع الصالحة لكل منهما [٥] ، ويروى لنا الشعر الذى يمدح فيه الشعراء الإيجاز [٦] . ويتكلم فى المشاكلة البديعية ، ويعرض فيها أمثلة من القرآن والشعر [٧] .

القول فى مذهب الوسط :

يستطيع المتصفح لهذا الكتاب أن يلمح للجاحظ مجهوداً طريفاً ، فهو قد عقد باباً للصَّمت والحث عليه [٨] ، ويحكى أقوال المعارضين لأصحاب الخطابة والبلاغة الذين يفضلون هذا الصمت [٩] ، ويخصص باباً آخر يقذف فيه بطائفة من كلام المُغْرِبين وأصحاب التقعير [١٠] ، وأبوابا أخرى فى مديح اللسان وشدة العارضة [١١] ولكنه لا يرضيه هؤلاء ولا أولئك ، بل يرى أن كلا منهما قد جنح إلى غير الصواب ، وأن الصواب والخير كله فى إصابة القَدْر فى الكلام [١٢] ، وأن تكون الألفاظ والمعانى أوساطاً بينَ بينَ [١٣] .

---

(١) ١ : ٨٨ .
(٢) ١ : ٩٢ .
(٣) ١ : ٦٩ .
(٤) ١ : ١٤٩ .
(٥) ١ : ١٤٩ .
(٦) ١ : ٢٧٦ .
(٧) ١ : ١٥٢ .
(٨) ١ : ١٩٤ .
(٩) ١ : ٢٦٩ .
(١٠) ١ : ٣٧٧ .
(١١) ١ : ١٦٦، ٢١٢، ٢٣١ .
(١٢) ١ : ٢٧٧ .
(١٣) ١ : ٢٥٥ .

الخطابة :

وقد عنى الجاحظ بهذا الفن عناية خاصة . ولا غرو ، فالخطابة دِعامة من دعائم الدعوة . وكان المعتزلة يلجئون إلى الخطابة والجدال فى تأييد أمرهم ، وبيان مذاهبهم ومقالاتهم (١) . فهو يرسم للخطابة أدبا يستحسن فيه أن يقتبس القرآن والشعر (٢) ، ويبين ما ينبغى اتباعه فى ضروب من الخطب ، كخطبة النكاح (٣) ، وما تتطلبه الخطابة من الجهر بالقول وترفيع الصوت ، ذاكراً فى ذلك الخبر والمثل (٤) ومن عُرف بجهارة الصوت (٥) ، وهو يسترسل فيذكر أن الروم أهل جَهارة ، وينقل خبراً غريباً : « لولا ضجة أهل رومية وأصواتهم لسمِع الناس جميعا صوتَ وجوبِ القرص فى المغرب (٦) » . ويتكلم فى الدمامة ومدَى أثرها فى قدر الخطيب والشاعر (٧) ،ويتعرض للخلاف فى تأثير حركة الخطيب وإشارته ، أو سكونه وهدوء جوارحه ، فى سامعيه (٨) . ويتكلم فى استعمال المخاصر والعصىِّ فى الخطبة (٩) وطَعْن الشعوبية على العرب فى ذلك (١٠) ، ويذكر أسماء الخطباء وقبائلهم وأنسابهم (١١) وأخبار خطباء الخوارج خاصة (١٢) ، كما عقد باباً لأسماء الكهان والحكام والخطباء والعلماء من قحطان (١٣) ، وكما نوه بخَصلة إياد وتميم فى الخطب (١٤) . وهو فى أثناء ذلك يسرد مختارات قوية من خطب الرسول والخلفاء الراشدين ومن بعدهم ، وكذا خطب رجالات الخوارج وأهل الدعوة .

---

(١) ١ : ١٤ .
(٢) ١ : ١١٨ .
(٣) ١ : ١١٦ .
(٤) ١ : ١٢٠ .
(٥) ١ : ١٢٣ .
(٦) ١ : ١٣٣ .
(٧) ١ : ٢٣٧ .
(٨) ١ : ٩١ .
(٩) ١ : ٣٧٠ .
(١٠) ١ : ٢٨٣ ثم أول الثانى ، ثم أول الثالث .
(١١) ١ : ٣٠٧ .
(١٢) الجزء الثالث .
(١٣) ١ : ٣٥٨ .
(١٤) ١ : ٥٢ .

الشعر

والشعر وسيلة من وسائل البيان ، ومعرض من معارض البلاغة ، وله مِيسَم يبقَى على الدهر فى المدح والهجاء [١] ، وله أوزان لابد منها ولابد من القصد إليها ؛ فمن جاء كلامه على وزن الشعر ولم يتعمد هو هذا الوزن فليس كلامه بشعر ، فقد ورد القرآن وفى الحديث كلام موزون على أعاريض الشِّعر ولكنه لا يسمى شعرا [٢] . ومن يجمع بين الشعر والخطابة قليل [٣] . وليس ينبغى للقصيدة أن تكون كلها أمثالا وحكما ، فإنها إذا كانت كذلك لم تسِرْ ولم تجرِ مجرى النوادر [٤] وفى المولدين شعراء مطبوعون [٥] ، وللشعراء رسوم خاصة [٦] ، وقد كان بعض أبيات الشعر سبباً من أسباب تسمية الشاعر [٧] . والشعر خير الوسائل لتخليد الإنتاج الفنى ، « فما تكلمت به العرب من جيد المنثور ، أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون ، فلم يحفظ من المنثور عشره ، ولاضاع من الموزون عُشرُه [٨] » .

السجع :

وهذا الفن من البيان يثير خلافا بين العلماء والأدباء والدِّيانيين ؛ فهناك حديث : « أسجع كسجع الجاهلية ؟! » .فهو فى ظاهره حجة لمن يرفض استعمال هذا الفن ويستهجنه ، وهو عند التأويل محمول على السجع الذى يراد به إبطال الحق [٩] . على أن من الأدباء من يرى أن السجع إنما كان منهيًّا عنه فى نأناة الإسلام ، لقرب عهدهم بالجاهلية ، حيث كان السجع يجرى فى

---

(١) ١ : ١٥٦ .

(٢) ١ : ٢٨٧ ـــ ٢٨٩ .

(٣) ١ : ٤٥ .

(٤) ١ : ٢٠٦ .

(٥) ١ : ٥٠ .

(٦) ١ : ٩٣ .

(٧) ١ : ٣٧٤ .

(٨) ١ : ٢٨٧ .

(٩) ١ : ٢٨٧ .

الكهانة والترجيم بالغيب ، فلما زالت العلة زال التحريم [١] . ولهذا شبيهٌ فى النهى عن مرثية ابن أبى الصلت لقتلى أهل بدر فى أول الأمر ، فلما زالت العلة زال النهى [٢] . ويسوق الجاحظ من بعد ذلك مأثورا من متخير السجع وبديعه [٣] .

الرسائل والوصايا :

ولقد كانت الرسائل والوصايا مظهرا من مظاهر البيان العربى ، فهو ينثر فى تضاعيف كتابه قدراً صالحا مختارا منها [٤] ، لتكون إماما يحتذى ، وقالبا يُصاغ عليه القول .

النساك والقصاص :

وللنساك حظ وافر من عناية الجاحظ فى الكتاب . فهؤلاء النساك الروحيون قد نبغ منهم نوابغ فى البيان ، فهم قوم قد لانت ألسنتهم ودق إحساسهم ، بما حفظوا كلام الله وحديث الرسول ، وهم قد تصدوا لوعظ العامة والتأثير فيهم ببليغ القول وحُسن المحاضرة ، وكانت لهم جَوْلات فى مساجد البصرة والكوفة ، حيث كانت تُؤْثر عنهم الحكمة وتروى العظة ، ويُتناقل البيان الرفيع .

وأما القُصَّاص فقد كانت صناعتهم تقتضيهم العناية بقوة البيان وحسن الأداء ، وكانوا ذوى فصاحة وبلاغة ، فمنهم:موسى بن سيار الأسوارى «كان من أعاجيب الدنيا ، كانت فصاحته بالفارسية فى وزن فصاحته بالعربية ، وكان يجلس فى مجلسه المشهور بِه ، فتقعد العرب عن يمينه والفرس عن يساره ، فيقرأ

(١) ١ : ٢٩٠ .

(٢) ١ : ٢٩١ .

(٣) ١ : ٢٧٤ ، ٢٩٧.

(٤) انظر الجزء الثانى .

الآية من كتاب الله ويفسرها للعرب بالعربية ، ثم يحول وجهه إلى الفرس فيفسرها بالفارسية ، فلا يُدرى بأىّ لسان هو أبين [(١)]»

لذلك وهذا عقد الجاحظ بابا لذكر النساك والزهاد من أهل البيان [(٢)] ، وآخر لذكر القصاص [(٣)] كما روى طائفة من كلام النساك [(٤)] ومقطعات من كلام القصاص [(٥)] ، كما خصص فى الجزء الثالث من الكتاب بابًا كبيراً فى الزهد ساق فيه مواعظ عيسى وداودَ عليهما السلام ، ومواعظَ الحسن وعمر وآخرين من النساك ، ومن زهاد البصرة والكوفة . وأتبع ذلك بمختارات من دعاء السلف الصالح ، والأعراب والنساك .

النوكى والحمقى :

والجاحظ ذلك المرِح الضاحك ، لا يفتأ يعجّب الناس من هذا الخَلْق الطريف ، أولئك الذين شاء الله أن يكونوا مصدر عبرة وموعظة ، كما شاء أن يكونوا مصدر عزاء وتسرية عن النفس . هؤلاء النوكى والحمقى قد يتفق لبعضهم من البيان السّاخر ، ومن التبيين العجيب ، مايكون فى الصدر المقدم من حسن التعبير وجميل التعليل ، كما يتفق لبعضهم أن يريد البيان فيخطئ خطأً ظاهراً أو خفيا ، فيكون كلامه عُواراً جديراً بأن ينبه الجاحظُ على التحذير منه ، وبأن يكشف عما به من خطل ومجانبة للصواب ، كما صنع فى باب العى . وهو يروى فى الجزء الثانى وفى الجزء الثالث طائفةً من أخبارهم وأقوالهم ؛ ليكون فى ذلك ترويح عن نفس المتصفّح ، ونفع له فى بيانه وعبارته ، وهدًى له أن يضل السبيل . ويستطرد الجاحظ فيما يستطرد فيلحق بهؤلاء النوكى والحمقى طائفةً خاصّة من المعلمين [(٦)] ، لا يلبث أن يستثنىَ منهم

---

(١) ١ : ٣٦٨ .

(٢) ١ : ٣٦٢ .

(٣) ١ : ٣٦٧ .

(٤) ١ : ٢١٠ .

(٥) فى الجزء الثانى .

(٦) ١ : ٢٤٨ ، ٢٥٠ .

جماعة من جِلّة المعلمين والمؤدبين .

الاختيارات :

والجاحظ بين الفينة والأخرى يوشّع كتابه بالجيّد المتخيّر من النثر والشعر ، ولا سيمّا فى الجزأين الثانى والثالث ، حيث تطالعك الأبيات الحسانُ والفقر المستملَحة . فمنها مايكون شاهداً لما يَبْغي أن يدعمه ويؤيّده من قضايا البيان ، ومنها مايرويه ليكون للحفظ والمذاكرة . وقد روى طائفة من مختارات المراثى ، ومن الخمريات ومن هجاء البرامكة ومديحهم ، ومما قيل فى الشيب ، ومما حوى الحكمة والزهد ، وروى كذلك كثيراً من أقوال الأعراب ونوادرهم ، وطائفة من أدب بنى العباس ومجموعة من قصار الخطب وطوالها ، ومتنخّل الرسائل والوصايا، كما سبق القول .

هذه صورة لست أراها كاملة التكوين مستوفية الوضوح ، ولكنها تقرِّب الكتاب إلى قارئه تقريباً ، وتخط الخطوط الرئيسة التى يستطيع بها أن يتتبع ما يحوى الكتاب من فن .

٤ ــ أثر الكتاب

لعل من نافلة الكلام أن أردد القول فى عظيم أثر هذا الكتاب . ويمكننى أن أقول فى ثقة : إنه ليس يوجد أديب نابهٌ فى العربية لم يسمع بهذا الكتاب أو لم يُفِد منه . وقلَّما تجد أديباً من المحدَثين لم يتمرَّسْ بما فيه من أدب . كما كان من هذا الكتاب مادة غزيرة استمدّها كبار المؤلفين القدماء فى مؤلفاتهم كابن قتيبة [١] فى عيون الأخبار ، والمبرد [٢] فى الكامل ، وابن عبد ربه [٣] فى العقد ، والعسكرى [٤] فى الصناعتين ، والحُصْرى [٥] فى زهر الآداب وجَمْع الجواهر،

(١) سنة ٢١٣ ــ ٢٧٦ .

(٢) سنة ٢١٠ ــ ٢٨٦ .

(٣) ٢٤٦ ــ ٣٢٨ .

(٤) توفى بعد ٣٩٥ .

(٥) توفى سنة ٤٥٣ .

وابن رشيق [١] فى العمدة ، وعبد القاهر الجرجانى [٢] فى دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة ، وأسامة بن منقذ [٣] فى لباب الآداب .

٥ ـــ تاريخ تأليفه

ذكرت طَرَفاً من ذلك فى مقدمة الحيوان [٤] ، وسقت الدليل على أن الجاحظ ألّفه فى أخريات حياته ، حين علت به السنُّ وقَعَد به المرض ، وذكرت أيضاً أنه ألّفه بعد كتاب الحيوان ؛ إذ أننى عثرت على نَصٍّ قاطع فى البيان والتبيين يدل على ذلك ، وهو قوله : « كانت العادة فى كتب الحيوان أن أجعل فى كل مصحف من مصاحفها عشرَ ورقات من مقطعات الأعراب ونوادر الأشعار لِمَا ذكرتَ من عجبك بذلك ، فأحببت أن يكون حظُّ هذا الكتاب فى ذلك أوفر إن شاء الله ».

ومن المعروف أن الجاحظ أهدى كتاب البيان والتبيين إلى القاضى أحمد بن أبى دواد [٥]، كما أهدى من قبله كتاب الحيوان إلى الوزير محمد بن عبد الملك بن الزيات المتوفى سنة ٢٣٣ ، وكتاب الزرع والنخل إلى الكاتب إبراهيم بن العباس الصولى المتوفى سنة ٢٤٣ ، وأن كلا منهم أعطاهُ خمسة آلاف دينار[٦].

والذى يعنينا من هؤلاء هو القاضى أحمد بن أبى دواد . كان أحمد من بلغاء الناس وفصحائهم وشعرائهم ، وكان قد برع فى الفقه والكلام حتى بلغ ما بلغ وكان من أصحاب واصل بن عطاء المعتزلى ، فصار بذلك إلى الاعتزال ، وكان ذا حُظْوةٍ عند المأمون ، وقد أوصى به أخاه المعتصم ، فلما صارت الخلافة إليه جعله قاضىَ القضاة بعد أن عزل يحيى بن أكثم . ولما مات المعتصم وتولى ولده

(١) ٣٩٠ ـــ ٤٦٣ .

(٢) توفى سنة ٤٧١ .

(٣) ٤٨٨ ـــ ٥٨٤ .

(٤) مقدمة الحيوان ص ٢٦ .

(٥) ١٦٠ ـــ ٢٤٠ .

(٦) إرشاد الأريب (١٦ : ١٠٦)

الواثق حسنت حال أبى دواد فى أول خلافته ، فقلد المتوكل ولدَه محمد بن أحمد القضاء مكانه ، ثم عُزل وقلد يحيى بن أكثم ثانية ، وتوفى أحمد سنة ٢٤٠ ، وكان بين محمد بن عبد الملك وبين أحمد بن أبى دواد منافسة شديدة ، وكان الجاحظ ملازماً لمحمد بن عبد الملك خاصًّا به ، وكان منحرفاً عن أحمد بن أبى دواد للعداوة كانت بين أحمد ومحمد ، ولما قبض على محمد هرب الجاحظ فقيل له : لم هربت ؟ فقال : « خفت أن أكون ثانى اثنين إذ هما فى التنور ! » . يريد ما صنع بمحمد وإدخاله تنور حديد فيه مسامير ، كان هو صَنَعه ليعذب الناس فيه ، فعذِّب هو فيه حتى مات

ويروى ياقوت (١) ، أنه بعد قتل ابن الزيات جیءَ بالجاحظ مقيداً إلى مجلس ابن أبى دواد ، فجرت بينه بين القاضى محاورة انتصر فيها الجاحظ ، وكان من عاقبتها أن رضىَ عنه ابن أبى دواد وأجازه وقربه إلى نفسه .

وهذا الخبر يعين لنا أن كتاب البيان والتبيين لم يظهر إلا بعد سنة ٢٣٣ ، وهى السنة التى قتل فيها ابن الزيات .

٦ — نسخ الكتاب

النسخة الأولى والنسخة الثانية :

يذكر ياقوت (٢) أن كتاب البيان والتبيين نسختان : « أولى وثانية ، والثانية أصح وأجود » . فيشتد سؤال الأدباء : أين أولاهما وأين الأخرى ؟ وكان من صُنْع الله حينما اتجهت إلى معارضة أصول الكتاب بعضِها ببعض ، أنْ تبيَّن لى فى أثناء ذلك أن نسخة مكتبة كوبريلى ، هى أصحّ نسخةٍ من أصول الكتاب ، ولحظت أيضاً أنها كثيراً ما تنفرد ببعض النصوص والعبارات ، التى لا توجد فى

(١) إرشاد الأريب (١٦ : ٧٩) .
(٢) إرشاد الأريب (١٦ : ١٠٦) .

سائر النسخ ، أو توجد ولكن بعبارةٍ أخرى مخالفة . كما أن سائر النسخ كثيراً ما تتفق فى ذكر نصوص وعبارات لا نجدها فى نسخة كوبريلى ، أو نجدها ولكن بصورة أخرى . ومهما يكن من شىء فلا ريب عندى أن نسخة كوبريلى هى أصح النسخ وأوثقها وأوفرها نصاً ، ونستطيع أن نترجم هذا بأن القائم لدينا من أصول الكتاب نسختان : إحداهما نسخة كوپريلى ، والأخرى ما عداها من النسخ التوائم التى قلما تشذ واحدة منها عن الأخرى [1] .

وصف المخطوطات :

جعل الجاحظ كتابه هذا فى ثلاثة أجزاء ، كما نص على ذلك فى أول الجزأين الثانى والثالث . وقد توافر لى من نسخ الكتاب أربع مخطوطات :

(الأولى) : نسخة مكتبة كوبريلى [2] المحفوظة بدار الكتب المصرية برقم (٤٣٧٠ أدب) ، المرموز لها بالرمز (ل) . وهذه النسخة المصورة فى أربع مجلدات أصلها المخطوط جزءان اثنان ، ولكنها مع ذلك تنبِّه فى آخر كل جزء من تقسيم الجاحظ على أنه قد انتهى وابتدأ الذى يليه . والجزء الأول فى ٣٥٦ صفحة والثانى فى ٣٥٥ ، وفى كل صفحة ١٧ سطراً ، وبكل سطر نحو عشرين كلمة . وهذه النسخة القديمة مكتوبة بخط جميل وضبط دقيق . وفى نهايتها : « كمل السفر الثانى ، وبتمامه تم الكتاب بأسره بفضل الله وعونه . والصلاة على سيدنا محمد وآله فى الجمعة سابع المحرم بن سنة أربع وثمانين وستمائة . علقه الفقير إلى الله أحمد بن سلامة بن سالم المعرى » .

---

(١) تجد أيضا أن افتتاح نسخة كوبريلى وحدها « الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى » ، أما سائر النسخ فتتفق فى أن افتتاحها « بسم الله الرحمن الرحيم . وصلى الله على محمد النبى الكريم وسلم ، عونك اللهم وتيسيرك » .

(٢) نص خاتم وقف هذه المكتبة «هذا مما وقفه الوزير أبو العباس أحمد بن الوزير أبى عبد الله محمد ، عرف بكوبريلى ، أقال الله عثاره ١٠٨٨ » .

(الثانية) : نسخة دار الكتب المصرية المحفوظة برقم (٤٧١ أدب) وهى المرموز لها بالرمز (ب) وهى فى مجلد واحد يقع فى ٧٠٠ صفحة بكل صفحة واحد وعشرون سطراً ، وبكل سطر نحو ١٣ كلمة ، وهى مكتوبة بالخط الفارسى الجميل وليس بها ضبط ، وعنوانها عجيب « كتاب البيان والتبيين لأبى عثمان عمرو بن يحيى (كذا) الجاحظ وهو كتاب جيد النظم والنثر الموضوع على منوال كامل المبرد (كذا) بل يفوق عليه حسناً وبلاغة » . وكتب فى صدرها أيضاً « فيما صار نسخه بالمدينة المنورة على ذمة الكتبخانة الخديوية . ومضاف فيماه مايو سنة ١٨٨٢ » . وكلمة « فيماه » مكونة من « فى » العربية ، و « ماه » الفارسية التى بمعنى شهر ، فتاريخ هذه النسخة يرجع إلى سنة ١٢٩٩ الهجرية .

(الثالثة) : نسخة دار الكتب المصرية المحفوظة برقم (١٨٧٢ أدب) وهى المرموز إليها بالرمز (جـ) وهى فى مجلد يقع فى ٥٧١ صفحة بكل صفحة واحد وعشرون سطراً ، وبكل سطر نحو ١١ كلمة . وهى مكتوبة بالخط المعتاد وليس بها ضبط ، ولكن بها أثر قراءة وتصحيح ، وبعض كتابات ذاهبة فى الندرة بخط المغفور له العلامة محمد محمود بن التلاميذ التركزى الشنقيطى ، وقد ألصق بآخرها ورقة بها تعليقات فهرسية لمواضع متفرقة من الكتاب بخطه أيضاً . وفى خاتمة هذه النسخة : « وكان الفراغ من كتابه هذا الكتاب يوم الخميس المبارك الموافق ١١ محرم الحرام سنة ١٣٠٩ ثلثمائة وتسعة بعد الألف ، على يد كاتبها الفقير راجى عفو الكريم ، محمد سليم » .

(الرابعة) : نسخة المكتبة التيمورية المحفوظة برقم (٤٩٨ أدب) ، وهى فى مجلد واحد به ٥٨٨ صفحة مكتوبة بالخط الفارسى المعتاد ، وبكل صفحة ١٩ سطراً وبكل سطر نحو ١٧ كلمة ، وبهوامش هذه النسخة تعليقات كثيرة

بخط الناسخ وكتب فى صدرها : « من كتب الفقير عبد السلام المويلحى فى ٢ رجب سنة ١٢٨٥ » ، وهذه النسخة مجهولة التاريخ ، وبها عدة أسقاط قَيَّد موضعَها فى أول الكتاب العلاَّمة المغفور له أحمد تيمور باشا . وتبلغ هذه الأسقاط نحو ٢٠ صفحة من مواضع متفرقة .

الطبعات السابقة :

(١) النشرة الأولى فى مجلدين فى ٢٢٢ صفحة و ١٩٠ صفحة ، وذلك بالمطبعة العلمية من سنة ١٣١١ ــ ١٣١٣ ، عنى بها حسن أفندى الفاكهانى إلى نهاية الكراسة السابعة من الجزء الأول ، وباقى الكتاب بعناية الشيخ محمد الزهرى الغمراوى ، وهذه النشرة مجردة من الضبط ، وبها تعليقات يسيرة فى الجزء الأول فقط .

(٢) النشرة الثانية فى ثلاث مجلدات فى ٢١٨ صفحة ، ١٩٦ صفحة ، ٢٣٦ صفحة . وذلك فى مطبعة الفتوح ومطبعة الجمالية سنة ١٣٣٢ . أشرف عليها الأستاذ الكبير السيد محب الدين الخطيب ، ونجد فى نهاية الجزء الثالث : « وكتب بعض حواشى هذا الجزء إبراهيم بن محمد الدلجمونى الأزهرى [١] ، عُفى عنه » . وهذه الطبعة بها قليل من الضبط وقليل من التعليق ، وتمتاز عن سابقتها بالإشارة إلى بعض روايات النسخ المخطوطة ، ومما يجدر ذكره أن تلك النسخ المخطوطة غير معينة .

(٣ ، ٤) النشرة الثالثة والرابعة ، صنع الأستاذ الجليل حسن السندوبى ١٣٤٥ ، ١٣٥١ وكل منهما فى ثلاث مجلدات ، وتمتاز الرابعة بكثرة التعليقات والتراجم ، وألحق بهما بعض الفهارس .

هذا وقد طبع كتاب عنوانه « منتخبات من البيان والتبيين » يقع فى

(١) كان غفر الله له من أعلام أدباء الأزهر ، وقد تلمذت له عاما فى الأزهر سنة ١٣٤٠ . ومن آثاره شرح ديوان الحماسة المنسوب للرافعى ؛ ونشرة من كامل المبرد .

ثمانين صفحة ، وذلك بمطبعة الجوائب ١٣٠١ ثم بمطبعة الرغائب ١٣٢٨ . وكتاب آخر عنوانه « مختار البيان والتبيين » باعتناء الأديبين : خليل بيدس ، وشريف النشاشيبى ، وهو فى ٢٤٨ صفحة طبع بمطبعة بيت المقدس سنة ١٩٣٣ الميلادية .

٧ ــ تحقيق الكتاب

عندما فرغت من تحقيق تلك المَعْلمة الكبيرة ، أعنى كتاب الحيوان ، رأيت أن ألتمس شيئاً من الهدوء والرَّوح ، إثر ذلك المجهود العاتى ، ولكن تلك الرغبة الملحة فى بعث مكتبة الجاحظ، وهى رغبة توشك أن تكون جهاداً، حملتنى أن أدخل فى الميدان كرة أخرى ، استجابة لدعوة النفس ، وتلبية لإرادة صديق كريم أثيرٍ لدىَّ، هو الأستاذ « **عبد السلام محمد الناظر** » ، الذى سعدتُ بأخوته وزمالته زهاء ربع قرن قضينا منها ثمانى سنين جنباً إلى جنب زمانَ الطلب بدار العلوم ، فقد أرادنى على أن أعجل بوفاء ما وعدت به من قبل ، فكان بتلك الرغبة الكريمة وبما أخذ على عاتقه من المشاركة فى نفقات الطبع، صاحب فضل عظيم فى ظهور هذه النشرة الحديثة من البيان التى جعلت إهداءها إليه .

وكان الأدباء من قبلُ يجدون كثيراً من العسر ، ويلمسون كثيراً من الاستغلاق ، الناجم عن تحريف النصوص وتصحيفها ، وقلة التعرض لبيان ما بها من إشارة ، وحل مافيها من رموز ، فلما شرعت فى تحرير هذا الكتاب هالنى ما رأيت فى الطبعات السابقة من تحريف وتشويه ، مع أن الذين تولوا هذه النشرات علماء فضلاء ، ذلك أنهم لم يعنوا بدراسة الأُصول المخطوطة دراسة متصلة ، ولم يراعوها مراعاة تامة ، فلم يسعفهم فضلهم الواسع بإخراج النسخة القريبة من السلامة ، أما نسختنا هذه فقد عورضت على المخطوطات التى أسلفت وصفها فى الفصل السابق وصنعت ــ فيما نرى ــ على ما تقتضيه أساليب النشر الحديث ، وأُعدَّت لها الفهارس الكاشفة عن خباياها وما بها من خير كثير .

وقد اتَّخذتُ نسخة كوپريلى أصلاً لهذه النشرة ، منبهاً على ما بينها وبين سائر النسخ من خلاف . وما كان من زيادة فى سائر النسخة على سائر النسخ لم أنبه عليه . وهو كثير ، وما كان من زيادة فى سائر النسخ أضفته بين معقفين : [ ]ونبهت عليه . على أننى فيما بعد صفحة ٢٩٤ من هذا الجزء قد أضربت عن هذا التنبيه ؛ تجنُّباً للإسهاب ، وجعلت وضع الكلمة بين المعقفين دليلاً على أنها من سائر النسخ ، وقد أثبت أرقام نسخة الأصل على جوانب الصفحات مكتفياً بذكر الصفحات عن ذكر رقم الجزء ؛ فإن الجزء الثانى من الأصل إنما يبدأ فى نحو منتصف الجزء الثانى من نشرتنا هذه ، وسأنبّه على ذلك فى حينه .

وعُنيت بضبط الكتاب محققاً مابه من الألفاظ الغريبة والكلمات الفارسية والبصرية ونحوها ، كما عنيت خاصة بتحقيق الأعلام وترجمتها على ما فى ذلك من عسر شديد وجهد جهيد ، فقد أرْبَت الأعلام المترجمة فى هذا الجزء فقط على الأربعمائة والأربعين ، وبذلت العناية فى تحقيق النصوص وتخريجها ، ونسبة الشعر إلى قائله ، منبهاً على المراجع من الدواوين وغيرها من كتب اللغة والأدب والتاريخ والسِّيَر والحديث والتفسير والقراءات .

وأما تقسيم الكتاب فقد أبقيته كما صنع الجاحظ ، ثلاث مجلدات ، لم أحدث فيه تغييراً ، ولم أُضف إليه شيئاً من العناوين .

وقد شك بعضهم فى التفسيرات اللغوية التى وردت فى صلب الكتاب ،فظن أنها من زيادات القراء والناسخين،وقد فاته أن الجاحظ قد عمد إلى تفسير كثير من لغات كتابيه : الحيوان ، والبيان . ويجد القارىء فى ثنايا الحيوان كثيراً من التفسيرات والنصوص اللغوية التى تناقلها اللغويون ورووها عن الجاحظ . ولقد استطعت أن أستخرج فهرساً كبيراً للمواد اللغوية الجاحظية فى كتاب

الحيوان ، وقع فى نحو ٢٧ صفحة [1]، لذلك حافظت على هذه النصوص وأبقيتها فى مكانها من صلب الكتاب .

٨ ــ الفهارس

وستضاف إلى الكتاب فهارس تقتضيها طبيعته ، وهى :

١ ــ فهرس البيان والبلاغة

٢ ــ « الخطب .

٣ ــ « الرسائل والوصايا .

٤ ــ « الأشعار والأرجاز .

٥ ــ « الأمثال .

٦ ــ « اللغات .

٧ ــ « الأعلام .

٨ ــ « القبائل والأرهاط والطوائف .

٩ ــ « البلدان .

١٠ ــ « أيام العرب .

١١ ــ « معالم الحضارة .

١٢ ــ « الكتب

ويلحق بها من بعدُ جريدةُ تعيين المراجع والمصادر ، وطائفة من الاستدراكات العامة للكتاب .

اللهم منك نستمدّ التوفيق ، وبك نستعين ، وعليك نعتمد . والحمد لله رب العالمين .

منشية الصدر فى صبيحة الاثنين ١١ شوال سنة ١٣٦٧ هـ
١٦ أغسطس سنة ١٩٤٨ م

عبد السلام محمد هارون

(١) انظر الحيوان (٧ : ٥٨٨ ــ ٦١٥) .

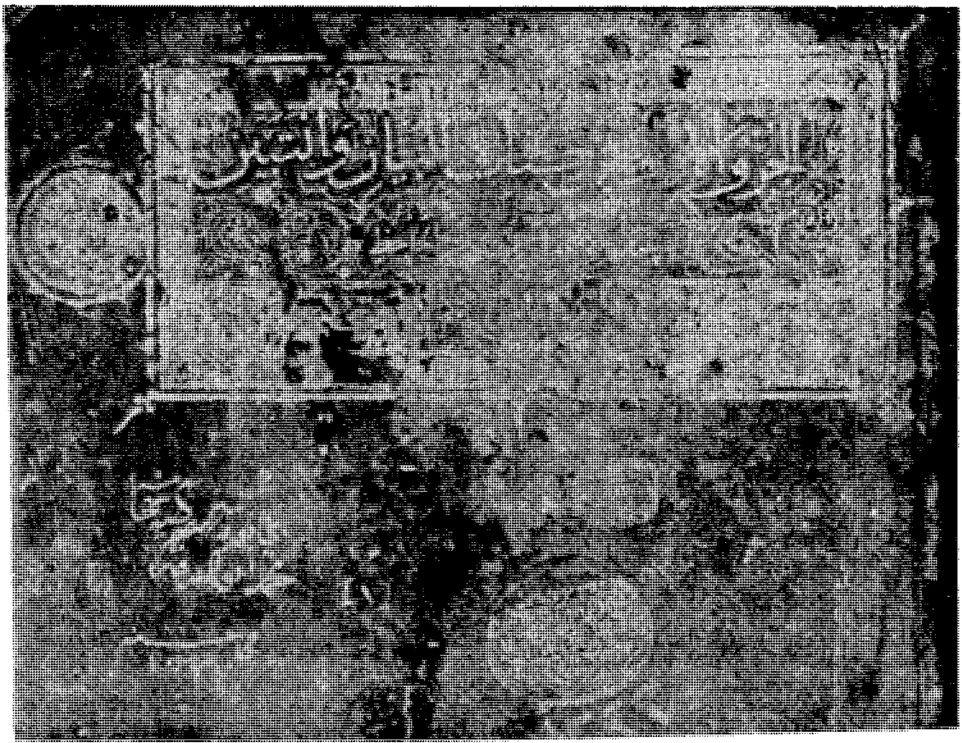
مقدمة الطبعة الثانية

كنت قد أشرت فى أواخر الجزء الرابع من الطبعة الأولى أننى عثرت على نسخة خامسة من أصول الكتاب ، جلبها معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية من مكتبة (فيض الله) بالآستانة . ورقم هذه النسخة فى المكتبة هو ١٥٨٠ ورقمها فى المعهد ٨٨٧ وهى مخطوطة بخط أندلسى كتبها بخطه لنفسه محمد بن يوسف بن محمد بن يوسف بن حجاج بن زهير اللخمى ، وهو نقلها من نسخة أبى ذر بن محمد بن مسعود الخشنى ، وعليها بخط أبى ذر ما يفيد أنّ نسخة أبى ذر منسوخة من نسخة أبى جعفر البغدادى . ونسخة أبى جعفر هذه كتبت فى غرة ربيع الآخر من سنة ٣٤٧ . وقد رمزت لهذه النسخة بالرمز (هـ) .

فكان من حظ هذه النشرة الثانية أن تظفر بمقابلة كاملة على نسخة مكتبة (فيض الله) . وبذلك امتازت هذه الطبعة بكثير من التصحيحات ، وتعديل فى الشروح والتعليقات ، وببعض الإضافات الحديثة .

وقد وجدت اشتراك نسختى (ل) و (هـ) فى كثير من الإضافات التى كنت قد وضعتها فى النشرة الأولى بين علامتى الزيادة [ ] مقتبسة من نسخة (ل) فقط ، فلما وجدت هذا الاشتراك ساريا فى الجمهور من هذه المواضع أغفلت وضع علامتى الزيادة فى كل ماشتركا فيه ؛ لما وضح لى أنهما أصلان عظيمان من أصول الكتاب .

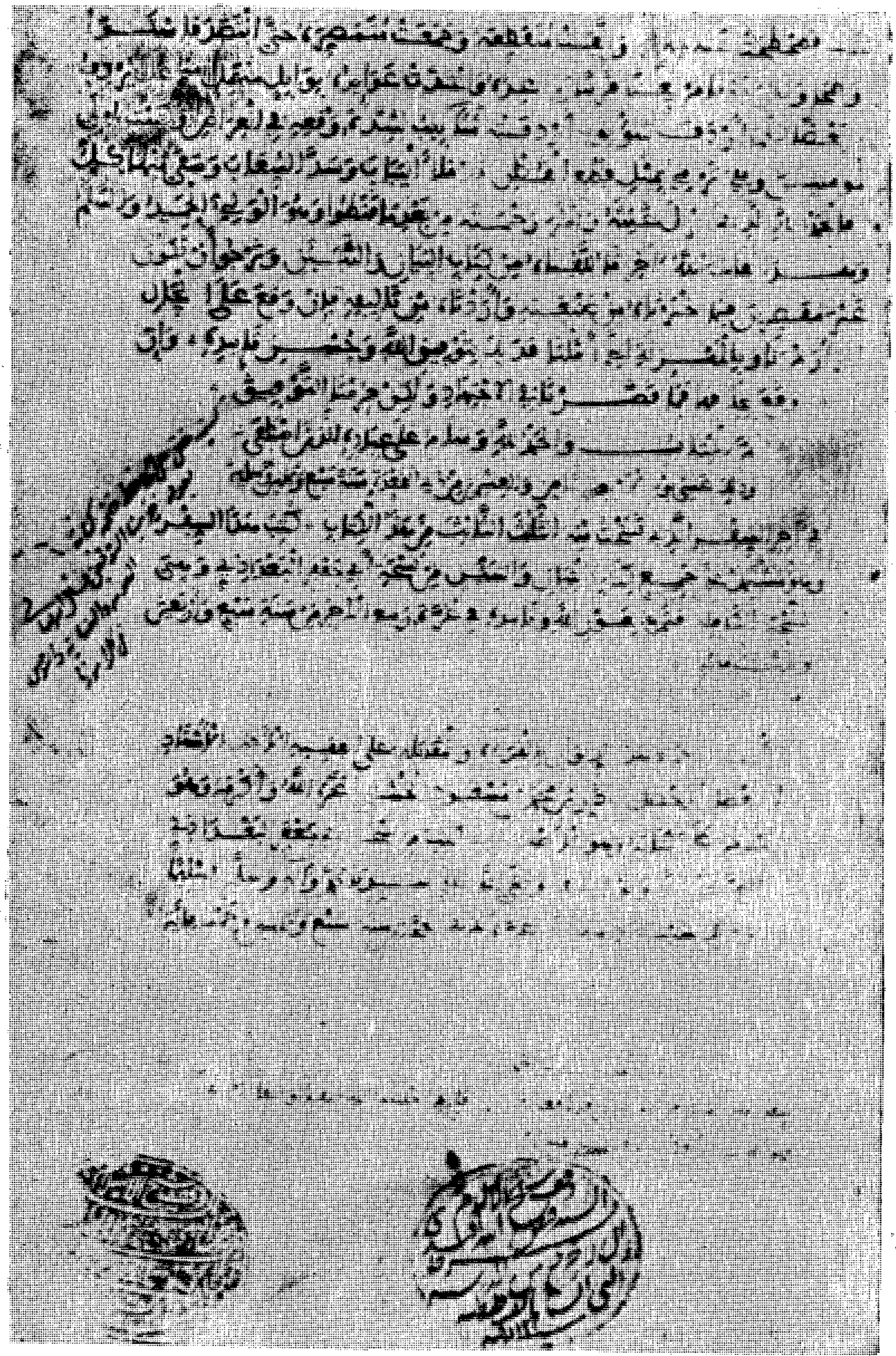
وقد أدخلت فى أصول الكتاب وحواشيه ما كان قد عنّ لى من تصحيحات ، وماظهر لى من صواب أخطاء الطبع ، فجاءت هذه النشرة أصح من سابقتها وأدنى إلى الكمال الذى نبغى . والحمد لله وحده .



صورة الصفحة الأولى من نسخة كوبريلي



صورة الصفحة الأولى من نسخة مكتبة فيض الله



صورة الصفحة الأخيرة من نسخة مكتبة فيض الله

البيان والتبيين

تأليف

أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

الجزء الأول

بتحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

بسم الله الرحمن الرحيم

قال أبو عثمان عمرو بن بَحْر ، رحِمه الله :

اللهم إنّا نَعوذ بك من فِتنة القول كما نعوذ بك من فتنة العمل ، ونعوذ بك من التكلُّف لما لا نُحسن كما نعوذ بك من العُجْب بما نحسن ، ونعوذ بك من السلاَّطة والهَذَر [1] ، كما نعوذ بك من العِيّ والحَصَر . وقديماً ماتَعَوَّذُوا بالله من شرّهما ، وتضرَّعوا [2] إلى اللهِ فى السلامة منهما .

وقد قال النَّمر بن تولب [3]:

أعِذْنِى ربِّ مِن حصَرٍ وعِيٍّ ومن نَفْسٍ أعالجُهَا عِلاجَا

وقال الهُذَلىّ [4] :

ولا حَصِرٌ بخُطبَتِهِ إذا ما عَزَّتِ الخُطَبُ [5]

وقال مكّىُّ بنُ سَوادة [6] :

---

(١) السلاطة : حدة اللسان ، والصخب . والهذر : كثرة الكلام فى خطأ .

(٢) كتب إزاءها فى ل : « ورغبوا » إشارة إلى أنها كذلك فى نسخة .

(٣) النمر بن تولب : شاعر مخضرم ، أدرك الإسلام فأسلم وحسن إسلامه ، ووفد إلى النبى ﷺ وكتب له كتاباً ، وروى عنه حديثاً . وكان أحد أجواد العرب المذكورين وفرسانهم . الإصابة ٧٨٠٣ والشعر والشعراء لابن قتيبة . والخزانة (١ : ٢٩١) . ويقال « النمر » بكسر الميم . وصحح ابن دريد فى الاشتقاق ١١٣ أنه بفتح النون وسكون الميم .

(٤) هو أبو العيال الهذلى ، أحد الشعراء المخضرمين ، عمر وعاش إلى خلافة معاوية ، وكان هو وبدر بن عامر يسكنان مصر ، خرجا إليها فى خلافة عمر بن الخطاب ، الأغانى (٢٠ : ١٦٧) والإصابة ٨٥٣ من باب الكنى .

(٥) البيت من أبيات فى الأغانى . والقصيدة فى شرح أشعار الهذليين للسكرى ١٣٧ ، ومخطوطة الشنقيطى من الهذليين ٩٥ . وفى شرح السكرى : « عزت : غلبت وقلت ، عند ملك أو فى جمع » .

(٦) مكى بن سوادة البرجمى البصرى ، ذكره المرزبانى فى معجمة ٤٧١ .

حَصِرٌ مُسْهَبٌ جرِیءٌ جَبانٌ   خیرُ عِیٍّ الرجال عِیّ السُّکوتِ

وقال الآخر :

مَلِیٌّ بِبُهْرٍ والتفَاتٍ وسَعْلةٍ   ومسحةِ عُثْنونٍ وفتل أَصابع (١)

ومما ذمُّوا به العِیَّ قولُه (٢):

وما بیَ مِن عِیٍّ ولا أنطقُ الخَنَا   إذا جمع الأقوامَ فی الخطب مَحْفِلُ

وقال الراجز وهو یمتَحُ بدلوه :

علقتُ یا حارثُ عند الوِردِ   بجابیءٍ لا رَفِلِ التَّردِّی (٣)
* ولا عَیِیٍّ بابْتِناءِ المجدِ (٤) *

وهذا کقول بشّارٍ الأعمی :

وعِیُّ الفَعَالِ کعِیِّ المقال   وفی الصّمت عِیٌّ کعِیِّ الکلِمْ

وهذا المذهب شبیهٌ بما ذهَبَ إلیه شُتَیْم بن خُویلد (٥) فی قوله :

ولا یَشعبون الصَّدْعَ بعد تفاقُمٍ   وفی رِفقِ أیدیکم لِذی الصَّدْعِ شاعبُ (٦)

ومثل هذا قول زَبَّان بن سیّار (٧) :

ولسنا کأقوامٍ أجدُّوا رِیَاسة   یُرَی مالُها ولا یُحَسُّ فَعَالُها
یُرِیغون فی الخِصْبِ الأمورَ ونفعهمْ   قلیلٌ إذا الأموالُ طال هُزالُها (٨)

---

(١) هذه روایة ل . وفی سائر النسخ والکامل ٢٠ لیبسك : «الأصابع» .
(٢) هو یحیی بن سعید ، کما فی العقفة والبررة لأبی عبیدة . نوادر المخطوطات (٢ : ٣٥٤) .
(٣) الجابیء : الذی یطلع فجأة . والرفل : الذی یجر ذیل ثوبه . والتردی : لبس الرداء ٢٠ ل :« فجاءنی » صوابه فی سائر النسخ . والرجز فی الحیوان (٣ : ٤١٩) .
(٤) ل : « ولا عیباً » وفی هامشها : « الروایة : بجابیء . ولا عَیِّی » .
(٥) شتیم بن خویلد : شاعر جاهلی ، کما فی الخزانة (٤ : ١٦٤) . وشتیم بهیئة التصغیر .
(٦) ل : « لدی الصدع » .
(٧) هـ : « وهذا کقول » . وزبان بن سیار بن عمرو الفزاری . شاعر جاهلی کان بینه وبین الحادرة الذبیانی مهاجاة . الأغانی (٣ : ٧٩ ــ ٨٠) والاشتقاق ١٧٢ .
(٨) یریغون : یطلبون ویدبرون . الأموال : الإبل .

وقُلْنا بلا عِيّ وسُسْنا بطاقةٍ   إذا النارُ نارُ الحربِ طال اشتعالُها

لأنَّهم يجعلون العجزَ والعِىّ من الخُرْق ، كانا فى الجوارح أم فى الألسنة .

وقال ابن أحمر الباهلىّ :

لو كنتُ ذا علمٍ علمتُ وكيف لى   بالعلم بعد تَدَبُّرِ الأمرِ (١)

وقالوا فى الصمت كقولهم فى المنطق . قال أُحَيْحَة بن الجُلاح :

والصمت أجْمَل بالفتى   مالم يكن عِىٌّ يَشينُهْ (٢)
والقول ذو خَطَلٍ إذا   مَالم يكن لُبٌّ يُعِينُهْ

وقال مُحرِزُ بن علقمة :

لقد وارَى المقابرُ من شَرِيكٍ   كثِيرَ تحلُّمٍ وقليلَ عابِ (٣)
صموتاً فى المجالس غير عَىٍّ   جديراً حين ينطق بالصّوابِ

وقال مكّىُّ بنُ سوادةَ :

تسَلَّمَ بالسُّكوت من العيوب   فكان السَّكْتُ أجلَبَ للعيوبِ
ويرتجلُ الكلامَ وليس فيه   سوى الهَذَيانِ من حَشْدِ الخطيبِ

وقال آخر (٤)

جَمَعْتَ صنوفَ العِىِّ من كلِّ وِجهَةٍ   وكنتَ جديراً بالبلاغةِ من كَثَبْ (٥)

---

(١) فى هامش ل : « تدبر ها هنا من الإدبار » . وفى اللسان : « وعرف الأمر تدبراً ، أى بأخَرَة . قال جرير :

ولا تتقون الشر حتى يصيبكم   ولا تعرفون الأمر إلا تدبرا ».

(٢) فيما عدا ل : « أحسن بالفتى » . وسيعاد البيتان فى (٢ : ٣٧) .

(٣) ل : « كبير تحلم » ، والوجه ما فى سائر النسخ .

(٤) فى الكامل ٢٠ ليبسك : « وقال رجل يصف رجلا من إياد بالعى ، وكان أبوه خطيباً وخاله » .

(٥) فيما عدا ل : « وكنت حرياً » . وفى الكامل : « وكنت مليئاً » .

أبوكَ مُعِمٌّ فى الكلام ومُخْوَلٌ وخالك وثّابُ الجراثيمِ فى الخُطَبْ

وقال حُمَيدُ بن ثورٍ الهلالىّ (١):

أتانا ولم يعدِلْهُ سحبانُ وائلٍ بياناً وعلماً بالذى هو قائلُ
فما زال عنه اللَّقْمُ حتَّى كأنه من العِىِّ لما أنْ تكلّمَ باقلُ

سحْبانُ مثَلٌ فى البيان ، وباقِلٌ مثل فى العِىّ ، ولهما أخبارٌ .

وقال الآخر :

ماذا رُزِينــا منكِ أمَّ الأسْودِ من رَحَبِ الصدَّرِ وعقلٍ مُتْلَدِ (٢)
* وهى صنَاعٌ باللسانِ واليدِ *

وقال آخر (٣) :

لو صَخِبَتْ شَهْرينِ دأْباً لم تَمَلّْ وجَعلَتْ تُكثر من قولٍ وَبَلْ (٤)
حبُّكَ للباطل قِدْماً قد شَغَل كسْبَكَ عن عِيالنا ، قلتُ : أجَلْ
* تضجُّراً مِنّى وعِيًّا بالحِيَلْ *

---

(١) كذا . والصواب أن صاحب الشعر هو حميد الأرقط ، كما فى اللسان (بقل ٦٥) . وحميد الأرقط شاعر إسلامى من شعراء الدولة الأموية ، كان معاصراً للحجاج ، كما فى الخزانة (٢ : ٤٥٤) نقلا عن الأنساب . وقد ذكر الحجاج فى قوله من أبيات هذه القصيدة :

يقول وقد ألقى المراسى للقرى أبن لى ما الحجاج بالناس فاعل

وأما حميد بن ثور الهلالى فصحابى عاش إلى خلافة عثمان . الإصابة ١٨٢٠ .

(٢) يقال رحِب رحباً ، كحسن حسناً ، ورحب رحَباً كتعب تعبا . والمتلد : القديم . وفى اللسان (تلد) :

ماذا رزينا منك أم معبــد من سعة الحلم وخلق متلد

(٣) هو أبو الخطاب عمر بن عيسى البهْدلى ، شاعر كان فى عصر هارون الرشيد ، كما فى أمالى ثعلب ١٩٤ .

(٤) تقرأ أيضاً « وبل » كفرح ، كما أشير ذلك فى هامش ل . وفى أمالى ثعلب : « من قول العلل » .

قال : وقيل لبُزُرْجِمِهْرَ بن البختكان الفارسىّ (١) : أىُّ شىْءٍ أستَر للعَىِّ ؟ قال : عقلٌ يجمِّله . قالوا : فإن لم يكن له عقلٌ . قال : فمالٌ يستره . قالوا : فإن لم يكن له مال . قال : فإخوانٌ يعبِّرون عنه . قالوا : فإن لم يكن له أخوانٌ يعبِّرون عنه . قال : فيكون عيِيًّا صامتا . قالوا : فإن لم يكنْ ذا صَمْت . قال : فموت وحىٌّ خيرٌ له من أن يكونَ فى دار الحياة .

وسأل الله عزّ وجلّ موسى بنُ عمران ، عليه السلام ، حين بعثه إلى فرعونَ بإبلاغ رسالته ، والإبانةِ عن حجّته ، والإفصاح عن أدِلّته ، فقال حين ذكر العُقْدة التى كانت فى لسانه ، والحُبْسةَ التى كانت فى بيانه : ﴿ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِى يَفْقَهُوا قَوْلِى ﴾ .

وأنبأنا اللهُ تبارك وتعالى عن تعلُّق فرعونَ بكلِّ سببٍ ، واستراحتِه إلى كل شَغَب ، ونبَّهنا بذلك على مذهبِ كلِّ جاحدٍ معاند ، وكلِّ مُحْتالٍ مكايِد ، حينَ خبَّرنا بقوله : ﴿ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ الَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يكادُ يُبِينُ ﴾ .

وقال موسى ﷺ : ﴿ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِى ﴾ . وقال : ﴿ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِى ﴾ ، رغبةً منه فى غاية الإفصاح بالحجّة ، والمبالغةِ فى وضوح الدَّلالة ؛ لتكون الأعناقُ إليه أَمْيَلَ ، والعقولُ عنه أفهمَ ، والنفوسُ إليه أسرعَ ، وإن كان قد يأتى من وَراءِ الحاجة ، ويَبْلغ أفهامَهم على بعض المشقّة .

ولِلهِ عزّ وجلّ أن يمتحِنَ عبادَه بما شاء من التخفيف والتّثقيل ، ويبلُوَ أخبارَهم كيف أَحَبَّ من المحبوب والمكروه . ولكلِّ زمانٍ ضرب من المصلحة ونوعٌ من المِحْنة ، وشكلٌ من العبادة .

---

(١) بزرجمهر بن البختكان ، حكيم فارسى ، وهو الذى قص تاريخ انتساخ كتاب كليلة ودمنة وترجمته من كتب الهند . وتجد كثيراً من أقواله وحكمه منثورة فى عيون الأخبار لابن قتيبة . و « بن البختكان » من هـ .

ومن الدَّليل على أنّ الله تعالى حَلّ تلك العقدة ، وأطلق ذلك التعقيد والحُبْسة ، قولُه : ﴿ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي . وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي . وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِن لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي . وَاجْعَل لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي هَارُونَ أخى . اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي . وَأَشْرِكْهُ فى أَمْرِي ﴾ إلى قوله : ﴿ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى ﴾ . فلم تقع الاستجابة (١) على شيءٍ من دُعائه دون شيء ، لعُموم الخبر .

وسنقُول فى شأنِ موسى عليه السلام ومسألتِه ، فى موضعه من هذا الكتاب إن شاء الله .

وذكر اللهُ تبارك وتعالى جميلَ بلائه فى تعليم البيان ، وعظيمَ نِعمته فى تقويم اللسان ، فقال : ﴿ الرَّحْمنُ . عَلَّمَ القُرْآنَ . خَلَقَ الانْسَانَ عَلَّمَهُ البَيَانَ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ هذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ ﴾ ، ومدح القرآنَ بالبيان والإفصاح ، وبِحسن التّفصيل والإيضاح ، وبجودة الإفهام وحكمة الإبلاغ ، وسماه فرقاناً كما سمّاه قرآنا . وقال : ﴿عَرَبِيٌّ مُبِين (٢)﴾ ، وقال : ﴿ وَكَذلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً ﴾ ، وقال : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ تِبْيَاناً لكُلِّ شَيْءٍ ﴾ ، وقال : ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً﴾ .

وذكر اللهُ عزّ وجلّ لنبيّه عليه السلام حالَ قريش فى بلاغةِ المنطق ، ورجاحة الأحلامِ ، وصحّة العقول ، وذكر العربَ وما فيها (٣) من الدَّهاء والنَّكْراء والمَكْر ، ومن بلاغة الألسنة ، واللّدَدِ عند الخُصومة ، فقال تعالى : ﴿ فَإِذَا ذَهَبَ الخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ ﴾ . وقال : ﴿ وتُنْذِرَ بِهِ قَوْماً لُدًّا ﴾ . وقال : ﴿ وَيُشْهِدُ اللهَ عَلَى مَا فِى قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴾ ، وقال :

---

(١) ل : « الإجابة » .

(٢) فى النحل ١٠٣ : « وهذا لسان عربى مبين » . وفى الشعراء ١٩٥ : « بلسان عربى مبين » .

(٣) ل : « وما فيهم » .

﴿ ءَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَاضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ . ثم ذكَر خلابةَ ألسنتهم ، واستمالتَهم الأسماعَ بحُسنِ منطقهم ، فقال : ﴿ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ﴾ . ثمَّ قال: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ مع قوله : ﴿ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ﴾ .

وقال الشاعر فى قوم يُحسنون فى القول ويسيئون فى العمل ، قال أبو حفص [١] : أنشدنى الأصمعىّ للمكَعْبَر الضَّبّىّ [٢] :

كُسالى إذا لاقيتَهم غيرَ منطقٍ   يُلَهَّى بهِ المحروبُ وهو عناءُ

وقيل لزُهمان [٣]: ما تقول فى خُزاعة ؟ قال : جوعٌ وأحاديث !

وفى شبيه بهذا المعنى قال أُفنون بن صُرَيم التغلبىّ :

لو أنّنى كنتُ مِن عادٍ ومن إرَمٍ   غذِىَّ قَيـلٍ ولقمـانٍ وذى جَدَنِ [٤]
لَمَـا وقَـوْا بأخيهم من مهُوِّلَـــةٍ   أخا السَّكونِ ولا حادُوا عن السَّنَنِ [٥]
أنَّى جَزَوْا عامراً سُوءَى بفعلِهِــمُ   أم كيفَ يَجزُوننى السُّوءَى من الحَسَنِ [٦]

---

(١) أبو حفص ، كنية عمر بن أبى عثمان الشمرى .

(٢) المكعبر الضبى اسمه حريث بن عفوظ ، كما فى حواشى الكامل ٤٨ ليبسك . والبيت التالى من أبيات منسوبة إليه فى الكامل . ولكنها فى الحماسة (٢ : ١٩١ – ١٩٣) منسوبة إلى ولده محرز بن المكعبر . وهو يهجو بالشعر بنى عدى بن جندب ، وكان استنجد بهم ليستردوا له إبله التى اغتصبتها بنو عمرو بن كلاب ، فلم يصنعوا شيئاً . و « المكعبر » بكسر الباء . وفى اللسان : « ويقال كعبره بالسيف ، ومنه سمى المكعبر الضبى ، لأنه ضرب قوماً بالسيف » . وضبط فى الحماسة بالفتح ، وأجاز التبريزى الكسر أيضاً ، تبعاً لابن جنى فى المبهج ٣٦ .

(٣) ما عدا ل ، هـ : « لذو همان » .

(٤) ما عدا ل ، هـ : « ربيت فيهم ومن لقمان أرجدن » . والأبيات مشروحة مفصلة فى المفضليات ٢ : ٦٢ وخزانة الأدب (٤ : ٤٥٦) . وانظر أمالى الزجاجى ٥١ والقالى (٢ : ٥١) .

(٥) ل : « لما فلوا » وأشير فى هامشها إلى رواية « وقوا » . ل ، هـ : « ولا جاروا » .

(٦) ل ، هـ : « سوءا » وأشير فى هامشهما إلى رواية : « سوءى » .

أَمْ كيفَ ينفعُ ماتُعطِى العَلُوقُ به ... رئمَانُ أنفٍ إذا ما ضُنَّ باللَّبنِ

رئمان ، أصله الرّقة والرّحمة . والرَّءُوم أرقُّ من الرءوف . فقال : « رئمان أنف » ، كأنها تَبَرُّ ولدَها بأنفها وتمنعُه اللبن .

ولأنّ العربَ تجعلُ الحديثَ والبَسط ، والتأنيس والتلَقِّيَ بالبشر ، من حقوق القِرَى ومن تمام الإكرام به . وقالوا : « مِن تمام الضِّيافةِ الطَّلاقةُ عند أوّلِ وَهْلة ، وإطالةُ الحديث عند المواكلة » . وقال شاعرهُم — وهو حاتم الطائىّ(١) — :

سَلِي الجائعَ الغَرثانَ يا أمّ مُنْذِرٍ ... إذا ما أتانى بين نارى ومَجْزَرِى
هَلَ ٱبسُطُ وجهى أنّه أوّلُ القِرَى ... وأبذلُ معروفى له دون مُنكَرِى

وقال الآخر (٢) :

إنّكَ يا ابنَ جعفرٍ خيرُ فتَى ... وخيرهُمْ لطارقٍ إذا أتى
ورُبَّ نِضوٍ طَرَقَ الحىَّ سُرَى ... صادفَ زاداً وحديثاً ما اشتهى

* إنّ الحديثَ جانبٌ من القِرَى *

وقال الآخر (٣):

لحافى لحافُ الضَّيفِ والبيتُ بيتُه ... ولم يُلهِني عنه غزالٌ مقنَّعُ
أُحَدِّثُه إنّ الحديثَ من القِرى ... وتعلمُ نفسى أنّه سوف يهجعُ

ولذلك قال عمرو بن الأهتم (٤) :

---

(١) لعل هذه العبارة من زيادة بعض القراء . وإلا فإن الشعر ليس حاتم ، بل هو لعروة بن الورد فى ديوانه ٩٩ والحماسة (٢ : ٢٥٨) .

(٢) هو الشماخ ، وليس فى ديوانه . وانظر معجم الشواهد ٢ : ٥٦٤ .

(٣) هو عروة بن الورد العبسى ، ديوانه ١٠٠ . ونسب البيتان فى الحماسة (٢ : ٣٣٥) ٢٠ إلى عتبة بن بجير ، أو مسكين الدارمى . ونسبا مع غيرهما فى الأغانى (١١ : ١٤٩) إلى العجير السلولى ، وذكر أن من الناس من ينسبهما لعروة .

(٤) هو عمرو بن سنان — وهو الأهتم — بن سمى بن سنان بن خالد ، كان سيداً من سادات قومه ، خطيباً بليغاً شاعراً شريفاً جميلا ، وكان يقال لشعره : « الحلل المنشرة » . وفد إلى رسول الله ﷺ فى وفد بنى تميم ، وسأله عن الزبرقان بن بدر فمدحه ثم هجاه ، ولم يكذب فى الحالين ، فقال=

فقلت له أهلاً وسهلاً ومرحباً فهذا مَبيتٌ صالحٌ وصديقُ (١)

وقال آخر (٢):

أُضاحِكُ ضيفى قبلَ إنزال رَحْلِه ويُخصب عندى والمحلُّ جَديبُ
وما الخِصْبُ للأضياف أن يكثُر القِرَى ولكنّما وجهُ الكريـم خصيبُ

ثم قال الله تبارك وتعالى فى باب آخر من صفة قريش والعرب : ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهٰذَا﴾ وقال : ﴿ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِى الْأَبْصَارِ ﴾ وقال : ﴿ انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ ﴾ . وقال : ﴿ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾ .

وعلى هذا المذهب قال : ﴿ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ ﴾ . وقد قال الشاعر فى نظر الأعداء بعضِهم إلى بعض :

يتقارضون إذا التَقَوْا فى موقِفٍ نَظَراً يُزِيلُ مَواطِئَ الأقدامِ (٣)

وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ
٨ لَهُمْ ﴾ ؛ لأنَّ مدار الأمرِ على البيان والتبيُّن (٤) ، وعلى الإفهام والتَفهُّم (٥). وكلّما كان اللِّسانُ أبيَنَ كان أحمدَ ، كما أنّه كلما كان القلبُ أشدّ استبانةً كان أحمد . والمفهِمُ لك والمتفهِّم عنك شريكان فى الفضل ، إلّا أنّ المفهِم أفضل من المتفهِّم

= رسول الله : « إن من الشعر حكماً وإن من البيان سحراً » .

(١) البيت من قصيدة طويلة لعمرو بن الأهتم فى المفضليات (١ : ١٢٣ — ١٢٥) برواية : « فهذا صبوح راهن وصديق» .

(٢) هو الخريمى ، كما فى عيون الأخبار (٣ : ٢٣٩) . والخريمى هو إسحاق بن حسان بن قوهى ، كما فى الحيوان (١ : ٢٢٤)

(٣) وكذا ورد إنشاده فى اللسان (قرض) . وقد أشير فى هامش ل إلى رواية : « يزل مواقع الأقدام » فى نسخة . وفيما عدا ل : « يزيل مواقع » .

(٤) ما عدا ل ، هـ : « التبيين » .

(٥) ما عدا ل ، هـ : « والتفهيم » .

وكذلك المعلّم والمتعلّم . هكذا ظاهرُ هذه القضية ، وجمهور هذه الحكومة ، إلا فى الخاصّ الذى لا يُذكَر ، والقليلِ الذى لا يُشهرَ .

وضرب الله عزّ وجل مثلاً لعيِّ اللسان ورداءة البيان ، حين (١) شبّه أهلَه بالنساء والولدان : فقال تعالى : ﴿ أَوَ مَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾ . ولذلك قال النَّمر بن تولَب :

وكلُّ خليلٍ عليه الرِّعا ... ثُ والحُبُلاتُ ، ضعيفٌ مَلِقْ (٢)

الرِّعاث : القِرَطَة . والحُبُلات : كلُّ ما تزيَّنت به المرأةُ من حَسَن الحلْى ، والواحدةُ حُبْلَة .

وليس ، حَفِظك الله ، مضرَّةُ سلاطة اللسان عند المنازعة ، وسَقَطات الخطل يوم إطالة الخُطبة ، بأعظمَ مما يحدُث عن العيّ من اختلال الحجّة ، وعن الحَصَر مِنْ فوت دَرَك الحاجة . والناس لا يعيِّرون الخُرْس ، ولا يلومون مَن استولى على بيانه العجز . وهم يذمون الحَصِرَ ، ويؤنِّبون العييّ ، فإن تكلّفا مع ذلك مقاماتِ الخطباء ، وتعاطَيا مناظرة البلغاء (٣) ، تضاعف عليهما الذمّ وترادَفَ عليهما التأنيب . ومماتنةُ العَيِّ الحصِرِ للبليغ المِصقَع ، فى سبيل مماتَنَة المنقطع المفحَم للشاعر المفلق (٤) ؛ وأحدُهما ألْومُ من صاحبه ، والألسنةُ إليه أسرع .

وليس اللَّجلاج والتّمتام ، والألثغ والفأفاء ، وذو الحُبسَة والحُكلة والرُّتّةِ (٥) وذو اللَّفَفِ والعجلة(٦) ،فى سبيل الحَصِر فى خطبته ،والعييّ فى مناضلة خصومه ،

---

(١) ل : « حتى » .

(٢) البيت فى اللسان (رعث) . والتفسير بعده ساقط من هـ .

(٣) ل : « مناضلة البلغاء » .

(٤) ماتن فلان فلاناً ، إذا عارضه فى جدل أو خصومة .

(٥) الحكلة : شبه العجمة ، لايبين صاحبها الكلام . والرتة : عجلة فى الكلام وقلة أناة .

(٦) رجل ألف ، أى عيى بطئ الكلام ، إذا تكلم ملأ لسانه فمه .

كما أن سبيلَ المُفْحَم عند الشعراء ، والبكىء عند الخطباء ، خلافُ سبيل المسْهَب الثَّرثار ، والخَطِل المِكْثار .

ثم اعلم — أبقاك الله — أنّ صاحب التشديق والتقعير والتقعيب (١) من الخطباء والبلغاء ، مع سماحة التكلّف ، وشُنعةِ التزيُّد ، أعذَرُ من عييّ يتكلف الخطابة ، ومن حَصِرٍ يتعرض لأهل الاعتياد والدُّرْبَة . ومَدارُ اللائمة ومستقَرُّ المذَمّة حيث رأيتَ بلاغةً يخالطها التكلف ، وبياناً يمازجه التزيّد . إلاّ أنّ تعاطِيَ الحَصِرِ المنقوصِ مَقامَ الدرِبِ التامّ ، أقبَحُ من تعاطى البليغ الخطيب ، ومن تشادُقِ الأعرابيِّ القُحّ . وانتحالُ المعروفِ ببعض الغَزارة فى المعانى والألفاظ ، وفى التحبير والارتجال ، أنّه البحرُ الذى لا يُنزَح ، والغَمْر الذى لا يُسبرَ ، أيسرُ من انتحال الحَصِرِ المنخُوب أنّه فى مِسلاخِ التام (٢) الموفّر ، والجامع المحكّك (٣) . وإن كان النبى ﷺ قد قال : « إياى والتشادُق » ، وقال : « أبغضكُم إلىَّ الثّرثارون المتفيهقون (٤) » ، وقال : « مَن بدا جَفا » . وعاب الفَدَّادِينَ (٥) والمتزيِّدين ، فى جَهارة الصوت وانتحال سعة الأشداق ، ورُحْبِ الغلاصم وهَدَل الشِّفاه ، وأَعْلَمنا أنّ ذلك فى أهل الوبر أكثر ، وفى أهل المدَر أقلّ — فإذا عابَ المدَرىَّ بأكثَر مما عاب به الوبرىّ (٦) ، فما ظنُّك بالمُولَّد القَروىّ والمتكلِّف البلدىّ . فالحَصِرُ المتكلّف والعيىُّ المتزيّد ، ألوَمُ من البليغ المتكلّف

---

(١) التقعير : أن يتكلم بأقصى قعر فمه . والتقعيب فى الكلام كالتقعير فيه .

(٢) المنخوب : الجبان الضعيف القلب . والمسلاخ ، الجلد ، أراد أنه فى هيئته ومنزلته .

(٣) المحكك : المنجذ ، الذى جرب الأمور وعرفها .

(٤) المتفيهقون : الذين يتوسعون فى الكلام ويفتحون به أفواههم ، مأخوذ من الفهق ، وهو الامتلاء والاتساع .

(٥) فى الحيوان (٥ : ٥٠٧ — ٥٠٨) : « الفداد : الجافى الصوت والكلام » . وقد ساق فى ذلك خبراً وحديثا .

(٦) المدرى : الحضرى ، ومبانى أهل الحضَر بالمدر ، وهو قطع الطين اليابس . والوبرى : ساكن البادية ، والبداة يتخذون بيوتهم من الوبر .

لأكثَرَ مما عنده . وهو أعذر ؛ لأنّ الشُّبهة الداخلةَ عليه أقوى . فَمَنْ أسوأ حالاً — أبقاك الله — ممّن يكون ألْوَمَ من المتشدِّقين ، ومن الثرثارين المتفيهقين ، وممن ذكره النبى ﷺ نصاً ، وجعل النَّهى عن مذهبه مفسَّراً ، وذكر مقْته له وبغضَه إياه .

ولَّما علم واصلُ بنُ عطاء (١) أنّه ألثغُ فاحش اللَّثَغ ، وأنّ مَخرج ذلك منه شنيع ، وأنه إذ كان داعيةَ مقالةٍ ، ورئيسَ نحلة ، وأنّه يريد الاحتجاج على أرباب النحل وزعماء الملل ، وأنّه لا بُدَّ له من مقارعَة الأبطال ، ومن الخطب الطِّوال ، وأنّ البيان يحتاج إلى تمييزٍ وسياسة ، وإلى ترتيب ورياضة ، وإلى تمام الآلة وإحكام الصنعة ، وإلى سهولة المخرج وجَهارة المنطق ، وتكميل الحروف وإقامة الوزن ، وأنّ حاجة المنطق إلى الحلاوة ، كحاجته إلى الجزالة والفخامة (٢) ،وأن ذلك من أكثر ماتُستمال به القلوب ، وتُثْنَى به الأعناق (٣)، وتزيَّن به المعانى ؛ وعلِمَ واصلٌ أنّه ليس معه ما ينوب عن البيان التامّ ، واللسان المتمكِّن والقوة المتصرِّفة ، كنحو ما أعطى الله تبارك وتعالى نبيَّه موسى عليه السلام من التوفيق والتَّسديد ، مع لباس التّقوى وطابَعِ النبوة،ومع المِحْنة(٤) والاتّساع فى المعرفة ، ومع هَدْيِ النبيِّين وسَمْت المرسَلين، وما يُغَشِّيهم الله به من القَبول

(١) هو أبو حذيفة واصل بن عطاء المعتزل ، وكان يجلس إلى الحسن البصرى ، فلما ظهر الاختلاف وقالت الخوارج بتكفير مرتكب الكبائر ، وقالت : الجماعة بأنهم مؤمنون وإن فسقوا بالكبائر — خرج واصل عن الفريقين ، وقال : إن الفاسق من هذه الأمة لا مؤمن ولا كافر ، بل هو بمنزلة بين المنزلتين ، فطرده الحسن عن مجلسه فاعتزل عنه ، وجلس إليه عمرو بن عبيد ، فقيل لهما ولأتباعهما معتزلون . ولد سنة ٨٠ وتوفى سنة ١٨١ . وابن خلكان ، ولسان الميزان (٦ : ٢١٤) .

(٢) فيما عدا ل : « إلى الجلالة والفخامة » .

(٣) فيما عدا ل : هـ : « وتنثنى إليه الأعناق » .

(٤) المحنة : الامتحان والاختبار . فيما عدا ل : « المحبة » .

والمهابة . ولذلك قال بعضُ شعراء النبى ﷺ (١) :

لو لم تكن فيه آياتٌ مُبيِّنةٌ   كانت بداهتُه تُنْبيك بالخَبرِ

ومع ما أعطى اللهُ تبارك وتعالى موسى ، عليه السلام ، من الحجَّة البالغة ، ومن العلامات الظاهرة ، والبرهانات الواضحة ، إلى أن حلّ الله تلك العقدة وأطْلَقَ تلك الحُبْسة (٢) ، وأسقط تلك المحنة ؛ ومن أجْل الحاجة إلى حُسن البيان ، وإعطاء الحروف حقوقَها من الفصاحة ـــ رامَ أبو حذيفةَ إسقاطَ الراء من كلامه ، وإخراجَها من حروفِ منطِقِه ؛ فلم يزل يكابِد ذلك ويغالبُه ، ويناضله ويساجله ، ويتأتَّى لسَتره والراحةِ من هُجْنته ، حتَّى انتظم له ما حاول ، واتَّسق له ما أمَّل .

ولولا استفاضةُ هذا الخبرِ وظهورُ هذه الحال حتّى صار لغرابته مثلاً ، ولطَرافته مَعْلماً ، لما استجزْنا الإقرارَ به ، والتأكيدَ له . ولستُ أعْنِى خُطَبه المحفوظة ورسائله المخلَّدة ، لأنَّ ذلك يحتمل الصَّنعة ، وإنما عَنيْتُ محاجَّة الخصوم ومناقلَة الأكْفاء ، ومفاوضةَ الإخوان .

واللُّثغة فى الراء تكون بالغين والذال والياء ، والغينُ أقلُّها قبحاً ، وأوجَدُها فى كبار الناس وبلغائهم وأشرافهم وعلمائهم .

وكانت لُثْغة محمد بن شبيب المتكلم ، بالغين ، فإذا حمل على نفسه وقوَّم لسانه أخرج الراء . وقد ذكره فى ذلك أبو الطُّرُوق الضبِّىّ (٣) فقال :

عليمٌ بإبدال الحروف وقامعٌ   لكلِّ خطيبٍ يغلبُ الحقَّ باطلُه

---

(١) هو عبد الله بن رواحة الأنصارى . انظر الإصابة ٤٦٦٧ . وبعض أبيات القصيدة فى السيرة ٧٩٢ جوتنجن والمؤتلف ١٢٧ .

(٢) فيما عدا ل : « ورفع تلك الحبسة » .

(٣) أبو الطروق ، لم أجد له ترجمة إلا ما قال ابن خلكان ، أنه كان شاعراً من شعراء المعتزلة ، وأنه مدح واصل بن عطاء بإطالة الخطب ، واجتنابه الراء على كثرة ترددها فى الكلام . انظر الوفيات فى ترجمة واصل بن عطاء . وقد ذكره المرزبانى فى معجمه ٥١٣ فى باب ذكر من غلبت كنيته على اسمه . وانظر الحيوان (٦ : ٩٢) .

وكان واصلُ بن عطاءٍ قبيحَ اللُّثغة شنيعَها ، وكان طويلَ العنق جِداً ؛ ولذلك قال بَشَّارٌ الأعمى :

مالِى أشايِعُ غزَّالاً له عنـقٌ   كنِقْنِقِ الدَّوِّ إن ولّى وإن مَثَلا(١)
عُنْقَ الزَّرافةِ ما بالى وبالُكُمُ   أتُكفِرون رجالاً أكفَروا رجُلا

فلما هجا واصلا وصوَّبَ رأىَ إبليسَ فى تقديم النَّار على الطِّين ، وقال :

الأرض مظْلمةٌ والنارُ مُشرِقةٌ   والنار معبودةٌ مذْ كانت النارُ

وجعل واصل بنَ عطاءٍ غَزَّالا ، وزعَم أنَّ جميعَ المسلمين كفَروا بعد وفاة الرسول ﷺ ، فقيل له : وعلىٌّ أيضاً ؟ فأنشد :

ومـا شَرُّ الثلاثـةِ أمَّ عمـــرٍو   بصاحبك الذى لا تَصْبَحينا (٢)

قال واصلُ بن عطاءٍ عند ذلك : « أمَا لهذا الأعمى الملحِد المُشنَّف المكَنَّى بأبى معاذٍ مَن يقتله (٣) . أما والله لولا أن الغِيلَة سجِيّةٌ من سجايا الغالية ، لبعثْتُ إليه من يبعَج بطنه على مضجعه ، ويقتُله فى جوف منزِله وفى يوم حَفْله ،ثم كان لا يتولَى ذلك منه إلا عُقَيلىٌّ أو سَدُوسىٌّ (٤) » .

قال إسماعيل بن محمّدٍ الأنصارىُّ ، وعبدُ الكريم بن رَوح الغِفَارىّ : قال أبو حفص عُمر بن أبى عثمان الشَّمَّرِىُّ : ألا تَريان كيف تجنب الراء فى كلامه هذا وأنتما لِلَّذى تريان من سلامته وقلة ظهور التكلُّف فيه لا تظُنّان به التكلّف ، مع امتناعه من حَرْفٍ كثير الدَّوران فى الكلام . ألا تريانِ أنّه حين لم يستطعْ

---

(١) النقنق ، بكسر النونين : ذَكر النعام . والدو ، والدوِّيّة ، والداويَّة ، والدَّاوِيَةُ : الفلاة .

(٢) البيت لعمرو بن كلثوم فى معلقته . ل : « وما دون الثلاثة » وهى رواية غريبة . صبح القوم :سقاهم الصبوح : والمراد به الخمر . ما عدا هـ : « لا تصحبينا » .

(٣) المشنف : الذى لبس الشنف ، وهو بالفتح : القرط فى أعلى الأذن . وفيما عدا ل : « المكتنى » بدل « المكنى » . وانظر الكامل ٥٤٨ ليبسك .

(٤) بشار بن برد من أصل فارسى ، وكان أبوه برد مولى لأم الظباء العقيلية السدوسية ، فادعى بشار أنه مولى بنى عقيل لنزوله فيهم . الأغانى (٣ : ٢٠) .

أن يقول بشّار ، وابن بُرد ، والمرعَّث ، جعل المشنَف بدلا من المرعَّث ، والملحِد بدلاً من الكافر ؛ وقال : لولا أنّ الغِيلة سجيّةٌ من سجايا الغالية ، ولم يذكر المنصوريّة ولا المُغيريَّة (١) ؛ لمكان الراء ؛ وقال : لبعثت من يبعج بطنه ، ولم يقل : لأرسلتُ إليه ؛ وقال : عَلَى مضجعه ، ولم يقل : على فراشه .

وكان إذا أراد أن يَذْكُر البُرّ قال : القمح أو الحنطة . والحنطةُ لغةٌ كوفيَّة والقمح لغة شاميّة . هذا وهو يعلم أنّ لغةَ من قال بُرّ ، أفصحُ من لغةِ مَن قال قمح أو حنطة . وقال أبو ذؤيب الهذليّ (٢) :

لا دَرَّ دَرِّىَ إن أطعمتُ نازلهم ... قِرف الحَتِيِّ وعندى البُرّ مكنوزُ (٣)

وقال أميّة بن أبى الصلت فى مديح عبد الله بن جُدْعان (٤) :

له داعٍ بمكة مشمعِلٌّ ... وآخرُ فوقَ دارَتِه يُنادِى

---

(١) المنصورية : إحدى فرق الغالية من الشيعة ، وهم أصحاب منصور العجلى ، وكان يزعم أن علياً هو الكسف الساقط من السماء ، وأن أول ماخلق الله عيسى عليه السلام ، ثم على بن أبى طالب . انظر الملل (٢ : ١٤) ومفاتيح العلوم ٢٢ والمواقف ٩٢٥ والفرق بين الفرق ٢٣٤ . والمغيرية : فرقة من غلاة الشيعة أيضاً ، وهم أصحاب المغيرة بن سعيد العجلى . وكان مولى لخالد بن عبد الله القسرى ، ادعى النبوة لنفسه ، وغلا فى حق على غلواً ظاهراً . انظر الملل (٢ : ١٣) ومفاتيح العلوم ٢٠ والمواقف ٦٢٤ والفرق بين الفرق ٢٢٩ والحيوان (٢ : ٢٦٧) .

(٢) وكذا نسبه الجاحظ فى الحيوان (٥ : ٢٨٥) . وفيما عدا ل : « المتنخل الهذلى » . وهذه النسبة الأخيرة فى القسم الثانى من مجموعة أشعار الهذليين ص ٨٧ وجمهرة ابن دريد (١ : ٢٧) . وانظر اللسان (٥ : ٣٦٥/ ١٨ : ١٧٩) وجمهرة الأمثال للعسكرى ١٧٩ .

(٣) القرف ، بالكسر : القشر . والحتى : سويق المقل ، وقيل رديئه ، وقيل يابسه .

(٤) عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم ، أحد أجواد العرب فى الجاهلية ، وكان ممدحاً لأمية بن أبى الصلت ، مدحه بقوله :

أأذكر حاجتى أم قد كفانى ... حياؤك إن شيمتك الحيـاء

ثم بقوله :

عطاؤك زين لامرئ إن حبوته ... ببذل وما كل العطاء يزين

وكان له أمتان تسميان : الجرادتين ، فوهبه إياهما . الأغانى (٨ : ٢ — ٤).

إلى رُدُح من الشِّيزَى عليها لُباب البُرِّ يُلبكُ بالشِّهادِ (١)

وقال بعض القرشيِّين يذكر قيسَ بن مَعْد يكَرِبَ ومَقدَمَهُ مكة فى كلمةٍ له :

قيسٌ أبو الأشعثِ بِطْريقُ اليمنْ لا يسأل السائلُ عنه ابنُ مَنْ (٢)
* أشبَعَ آلَ اللهِ من بُرٍّ عَدَنْ *

وقال عمر بن الخطاب رحمه الله : « أتَرَوْنَ إنِّى لا أعرف رقيق العيش ؟ لُبابُ البُرِّ بصغار المِعْزَى (٣) .

وسمع الحسنُ رجلاً يعيب الفالوذَق ، فقال : « لُبابُ البُرِّ ، بُلعاب النَّحل ، بخالص السَّمن ، ما عاب هذا مسلمٌ ! » .

وقالت عائشة : « ما شَبع رسولُ الله ﷺ من هذه البُرَّة السَّمراء حتّى فارقَ الدُّنيا » .

وأهلُ الأمصار إنّما يتكلمون على لُغة النازلة فيهم من العرب ، ولذلك تَجد الاختلافَ فى ألفاظٍ من ألفاظِ أهل الكوفة والبَصرة والشام ومصر .

حدّثنى أبو سعيدٍ عبدُ الكريم بن رَوح قال : قال أهل مكّةَ لمحمد بن المُناذِر الشاعر (٤) : ليست لكم معاشرَ أهل البصرة لغةٌ فصيحة ، إنّما الفصاحة

---

(١) الردح : جمع رداح ، كسحاب ، وهى الجفنة العظيمة . والشيزى : خشب أسود تتخذ منه القصاع . واللباب : الخالص . والشهاد ، بالكسر : جمع شهد ، وهو العسل . وقد نسب البيت فى اللسان (شيز) إلى ابن الزبعرى ، وفى (روح ، شهد) إلى أمية .

(٢) ل : « يا ابن من » . والسائل تقرأ بالرفع بمعنى أنه لا يحتاج إلى التعريف بأبيه ، وبالنصب بمعنى أنه يعطى من يعرف ومن لا يعرف .

(٣) انظر الحيوان (٥ : ٤٨١) .

(٤) هو محمد بن مناذر ، مولى بنى صبير بن يربوع ، كان إماما فى علم اللغة وكلام العرب ، وكان فى أول أمره ناسكًا ملازما للمسجد كثير النوافل جميل الأمر ، إلى أن فتن بعبد المجيد بن عبد الوهاب الثقفى ، فتهتك بعد ستره ، وفتك بعد نسكه . وكان معاصرا للأصمعى ، وخلف الأحمر ، وأبى العتاهية ، وأبى نواس . ومناذر ، بضم الميم . ولمحمد أخبار حسان فى الأغانى (١٧ : ٩ - ٣٠) .

لنا أهلَ مكّة . فقال ابن المُناذِر : أمّا ألفاظُنا فأحْكَى الألفاظِ للقرآن ، وأكثرُها له موافقةً ، فضَعُوا القرآنَ بعد هذا حيثُ شِئتم . أنتم تُسمُّون القِدر بُرْمَة وتجمعون البُرمة على بِرَامٍ ، ونحن نقول قِدر ونجمعها على قُدور ، وقال الله عز وجل : ﴿ وجِفَانٍ كالجَوَابِي وقُدورٍ رَاسِياتٍ (١) ﴾ . وأنتم تسمُّون البيت إذا كان فوق البيت عُلِّيَّةً (٢) ، وتجمعون هذا الاسم على عَلالِيّ ، ونحن
نسمِّيه غرفة ونجمعها على غُرفاتٍ وغرفٍ . وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ غُرَفٌ ١٢
مِنْ فَوْقِها غُرَفٌ مَبْنِيةٌ ﴾ وقال : ﴿ وَهُمْ فِي الغُرُفَاتِ آمِنُونَ ﴾ . وأنتم تسمُّون الطّلعَ الكافورَ والإغْرِيضَ، ونحن نُسمِّيه : الطَّلْع . وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَنَخْلٍ طَلْعُها هَضِيمٌ ﴾ . فعَدّ عشر كلماتٍ لم أحفظ أنا منها إلا هذا . ألا ترى أنّ أهلَ المدينة لما نزلَ فيهم ناسٌ من الفُرْس فى قديم الدّهر عَلِقُوا بألفاظٍ من ألفاظهم ، ولذلك يسمُّون البِطّيخ : الخِرْبِز ، ويسمُّون السميط : الرَّزْدَق (٣) ، ويسمُّون المَصُوص : المَزُور (٤) ، ويسمون الشِّطرنج : الأشْتَرَنْج ، فى غير ذلك من الأسماء . وكذلك أهلُ الكوفة ؛ فإنّهم يسمُّون المِسحاة : بَالْ ، وبَالْ بالفارسيّة .

ولو عَلِق ذلك لغةَ أهل البصرة إذْ نزلوا بأدنى بلاد فارس وأقصى بلاد العرب كان ذلك أشبَهَ ، إذ كان أهلُ الكوفة قد نزلُوا بأدنى بلاد النَّبط وأقصى بلاد العرب .

---

(١) كالجوابى ، هذا ما فى ل ، هـ : وهى قراءة ورش وأبى عمرو فى الوصل ، وابن كثير ويعقوب فى الوصل والوقف . وقراءة سائر القراء : كالجواب . وهى ما فى سائر النسخ . وانظر الحيوان (٤ : ٦/٩١ : ١٦٣) .

(٢) العلية ، بكسر العين وضمها مع تشديد اللام المكسورة ، لغتان .

(٣) السميط ، كشريف وبهيئة التصغير أيضاً : الآجُرّ القائم بعضه فوق بعض . والرزدق ، فارسى معرب ، وأصله بالفارسية « رَسته » ومعناه السطر والصف من النخل وغيره . وفى الأصول : « الروذق » محرف .

(٤) المصوص : لحم ينقع فى الخل ويطبخ .

ويسمى أهلُ الكوفة الحَوْك : الباذَرُوج (١) ، والباذروج بالفارسية ، والحَوْك كلمة عربيّة . وأهلُ البصرة إذ التقت أربعُ طرق يسمُّونَها : مُربَّعة ، ويُسمّيها أهلُ الكوفة : الجِهار سوك . والجهار سُوك بالفارسيّة . ويسمّون السُّوق والسُّوَيقة : « وازار » ، والوازار بالفارسيّة . ويسمُّون القِثّاء : خِيَاراً ، والخيار بالفارسيّة . ويسمُّون المجذوم : وَيذِى ، بالفارسية .

وقد يستخفُّ النّاسُ ألفاظاً ويستعملونها وغيرُها أحقُّ بذلك منها . ألا ترى أن الله تبارك وتعالى لم يذكُر فى القرآن الجوعَ إلاّ فى موضع العقاب أو فى موضع الفقر المُدْقِع والعجز الظاهر . والناس لا يذكرون السّغَب ويذكرون الجوع فى حال القدرة والسلامة . وكذلك ذِكر المطر ؛ لأنّك لا تجد القرآنَ يلفظِ به إلاّ فى موضع الانتقام . والعامّة وأكثرُ الخاصّة لا يَفصِلون بين ذِكر المطر وبين ذكر الغَيث . ولفظُ القرآن الذى عليه نزَلَ أنّه إذا ذكر الأبصار لم يقُل الأسماع ، وإذا ذكر سبع سموات لم يقل الأَرَضين . ألا تراه لايجمع الأرض أرَضين ، ولا السمعَ أسماعا . والجارى على أفواه العامةِ غيرُ ذلك ، لا يتفقّدون من الألفاظ ما هو أحقُّ بالذكر وأولى بالاستعمال . وقد زعم بعضُ القرّاء أنّه لم يجد ذكر لفظ النكاح فى القرآن إلاّ فى موضع التزويج .

والعامّة ربمّا استخفت أقلَّ اللغتين وأضعفَهما ، وتستعمل ماهو أقلُّ فى أصل اللغة استعمالاً وتدَعُ ماهو أظهر وأكثر ، ولذلك صِرنا نجد البيت من الشعر قد سار ولم يسر ماهو أجودُ منه ، وكذلك المَثل السّائر .

وقد يبلغ الفارسُ والجوادُ الغايةَ فى الشهرة ولا يُرزَق ذلك الذكرَ والتنويهَ بعضُ من هو أولى بذلك منه . ألا ترى أنّ العامّةَ ابنُ القِرِّيَةِ (٢) عندها أشهر فى

---

(١) الباذروج ، ذكر فى المعتمد ١٠ أنه ريحانة معروفة .

(٢) ابن القرية ، هو أبو سليمان أيوب بن زيد ، كان أعرابياً أمياً . وهو معدود فى الخطباء المشهورين ، قتله الحجاج بن يوسف سنة ٨٤ . والقرية ، بكسر القاف وتشديد =

الخطابة مِن سحبان وائل . وعُبَيدُ الله بن الحُرّ (١) أذكَرُ عندهم فى الفروسيّة من زُهير بن ذؤيب . وكذلك مذهبُهم فى عنترةَ بن شدّاد ، وعُتَيبة بنِ الحارث ابن شهاب (٢) . وهم يضربون المثل بعمرو بن مَعْدِيكَرِب ، ولا يعرفون بِسطام ابنَ قيس (٣) .

وفى القرآن معان لا تكاد تفترق ، مثل الصلاةِ والزّكاة ، والجوع والخوف ، والجنة والنار ، والرّغبة والرهبة ، والمهاجرين والأنصار ، والجنّ والإنس .

قال قطرب : أنشدنى ضِرار بن عمرو (٤) قولَ الشاعر فى واصل بن عطاء :

ويجعل البُرَّ قمحاً فى تصرُّفه　　　وجانَبَ الراءَ حتّى احتال للشّعَرِ (٥)

= الراء المكسورة : اسم لإحدى جداته . وذكر الأصبهانى فى الأغانى أن ثلاثة أشخاص شاعت أخبارهم واشتهرت أخبارهم ولا حقيقة لهم ولا وجود فى الدنيا ، وهم : مجنون ليلى ، وابن القرية ، وابن أبى العقب . انظر وفيات الأعيان والمعارف ٢٥٨ والأغانى (١ : ١٦٣) .

(١) عبيد الله بن الحر الجعفى : قائد من الشجعان الأبطال ، وكان بينه وبين مصعب بن الزبير منافسة ، صمد عبيد الله لرجال مصعب صموداً ، ولكن أصحابه تفرقوا عنه فخاف أن يُؤسر فألقى بنفسه فى الفرات فمات غرقاً . وكان عبيد الله شاعراً فحلا . انظر ابن الأثير فى حوادث سنة ٦٨ والحيوان (١ : ١٠٣ - ١٠٤) .

(٢) كان فارس تميم ، وفيه يقولى عمرو بن معديكرب : « ماأبالى أى ظعينة لقيت على ماء من أمواه معد ، ما لم يلقنى دونها عبداها أو حراها » . يعنى بالحرين : عامر بن الطفيل ، وعتيبة بن الحارث ، وبالعبدين : عنترة ، والسليك بن السلكة . الأغانى (١٤ : ٢٧) .

(٣) بسطام بن قيس بن مسعود الشيبانى ، سيد شيبان ، ومن أشهَر فرسان العرب فى الجاهلية ، أدرك الإسلام ولم يسلم ، وقتله عاصم بن خليفة الضبى يوم الشقيقة .

(٤) ضرار بن عمرو ، صاحب مذهب الضرارية من فرق الجبرية ، وكان فى بدء أمره تلميذا لواصل بن عطاء المعتزلى ، ثم خالفه فى خلق الأعمال وإنكار عذاب القبر . الاعتقادات للرازى ٦٩ والفرق بين الفرق ٢٠١ . ويحكى عن ضرار أنه كان ينكر حرف عبد الله بن مسعود ، وحرف أبى بن كعب ، ويقطع بأن الله لم ينزله . الملل والنحل (١ : ١١٥) . قال أحمد بن حنبل : شهدت على ضرار عند سعيد بن عبد الرحمن الجمحى القاضى ، فأمر بضرب عنقه فهرب ، وقيل إن يحيى بن خالد البرمكى أخفاه . لسان الميزان (٣ : ٢٠٣) .

(٥) من أسماء الشعر مما ليس فيه الراء « السبَد » بالتحريك ، و« الهلب » بالضم ، و « المسيحة » ، وجمعها مسائح . و« الجمة » : ماطال من الشعر ، و « اللمة » : مازاد على الجمة . و « الخصلة » ، بالضم : ما اجتمع من الشعر ، كذلك . انظر المخصص (١ : ٦٢ - ٦٩) .

ولم يُطِقْ مطَراً والقول يُعجِلُه   فعاذَ بالغيث إشفاقاً من المطَرِ

قال وسألت عُثمانَ البُرّى (١) : كيف كان واصلٌ يصنع فى العدد ؛ وكيف كان يصنع بعشرةٍ وعشرين وأربعين ؛ وكيف كان يصنع بالقَمر والبدر ويوم الأربعاء وشهر رمضان ، وكيف كان يصنع بالمحرم وصفر وربيع الأول وربيع الآخِر وجمادى الآخِرة ورجب ؟ فقال : مالى فيه قولٌ إلا ماقال صفوان :

ملقّن ملهَـمٌ فيمـا يحاولـه   جَمٌّ خواطرُه جوّابُ آفـاقِ

وأنشدنى ديسمٌ (٢) قال : أنشدنى أبو محمد اليزيدىّ :

وخَلّةُ اللفظ فى الياءات إن ذكِرَت   كخَلَّةِ اللفظ فى اللاماتِ والألِف (٣)
وخَصْلَـة الـرّاء فيها غيـرُ خافيـةٍ   فاعرِفْ مواقعَها فى القَول والصّحُفِ (٤)

يزعم أنّ هذه الحروفَ أكثر تَرداداً من غيرها ، والحاجة إليها أشدّ . واعتبِرْ ذلك بأن تأخذ عِدّةَ رسائلَ وعدة خطـبٍ . من جملةِ خطب الناس ورسائلهم ؛ فإنّك متى حَصَّلتَ جميع حروفها ، وعددْت كلَّ شكل عَلى حِدَة ، علمت أنّ هذه الحروفَ الحاجةُ إليها أشدّ .

---

(١) هو أبو سلمة عثمان بن مقسم البرى الكِندى البصرى . قال السمعانى فى الأنساب ٧٧ : هذه النسبة إلى البر وهو الحنطة ، وهذة النسبة إلى بيعه ، والمشهور بهذا الانتساب أبو سلمة عثمان بن مِقْسم البرى الكِنْدى مولى لهم من أهل الكوفة يروى عن قتادة ، وابن أبى إسحاق ، وحماد بن أبى سليمان ، وجابر ، وعاصم بن أبى النجود » . وكان قدريا معروفا بالكذب ووضع الحديث . لسان الميزان (٤ : ١٥٥) .

(٢) هو ديسم العنزى أحد من هجاهم بشّار . الحيوان (١ : ١٨٣) . وكان بشار كثير الولوع بديسم العنزى ، وكان صديقاً له ، وهو مع ذلك يكثر هجاءَه . الأغانى (٣ : ٢٧) .

(٣) الخلة ، بالفتح : الخصلة . فيما عدا ل : « إن فقدت » ؛ والمعنى يتجه بكل منهما .

(٤) أشير فى هامش هـ إلى رواية : « وحصة » فى نسخة .

ذكر ما جاء فى تلقيب واصل بالغزال ومن نفى ذلك عنه

قال أبو عثمان : فمن ذلك ما خبّرنا به الأصمعىّ قال : أنشدنى المعتمر بن سليمان ، لإسحاق بن سُويد العدوىّ :

برِئت من الخوارج لستُ منهم　　　منَ الغَزّال منهم وابنِ بابِ (١)
ومِن قومٍ إذا ذَكَروا عليًّا　　　يَردُّون السَّلامَ على السَّحابِ
ولكنّى أحبّ بكلِّ قلبى　　　وأعلمُ أنّ ذاكَ من الصَّوابِ
رسولَ اللهِ والصِّدّيقَ حُبًّا　　　به أرجُو غداً حُسْنَ الثوابِ (٢)

وفى مِثل ذلك قال بشار :

مالى أُشايعُ غَزَّالاً له عنق　　　كنِقْنِقِ الدّوّ إن ولَّى وإن مثَلا (٣)

ومن ذلك قول مَعْدَانَ الشُّمَيطىّ (٤) :

يوم تشفى النّفوسُ من يَعْصُرِ اللؤ　　　مِ ويُثنَى بِسَامَةَ الرَّحّالِ (٥)
وعَـدىٍّ وتَيمِهـا وثَقيـــفٍ　　　وأُمَـىٍّ وتغـلِـبٍ وهـــلالِ
لا حَرُورا ولا النواصِبُ تَنْجُو　　　لا ولا صَحْبُ واصِلِ الغزَّالِ (٦)

---

(١) يعنى بالغزال واصل بن عطاء . وابن باب ، هو عمرو بن عبيد ، من شيوخ المعتزلة ، وأحد الزهاد المشهورين . توفى بمران سنة ١٤٤ ورثاه المنصور . قالوا : ولم يسمع بخليفة رثَى من دونه سواه . تاريخ بغداد ٦٦٥٢ والمعارف ٢١٢ . وانظر لتعليل تسمية المعتزلة بالخوارج الفرق بين الفرق ٩٩ حيث أنشد البيتين . وفى اللسان (عزل ٤٦٧) : « من العزال » بالعين المهملة . وانظر الكامل ٥٤٦ .

(٢) فيما عدا ل : « حسن المآب » .

(٣) سبق البيت فى ص ١٦ .

(٤) هو أبو السرى معدان الأعمى الشميطى المديبرى . ونسبته إلى الشميطية ، وهى فرقة من الشيعة الإمامية الرافضة ، تنتمى إلى أحمر بن شميط صاحب المختار . وقد قتلهما معاً مصعب بن الزبير . ما عدا هـ : « السميطى » تصحيف . انظر الفرق بين الفرق ٣٦ ، ٣٩ ومفاتيح العلوم ٢٢ ، وكامل المبرد ٦٤٣ والملل والنحل (٢ : ٣) .

(٥) يعصر : أبو قبيلة ، وهو يعصر – ويقال أعصر أيضا – بن سعد بن قيس بن غطفان . انظر الاشتقاق ١٦٤ ، والمعارف ٣٦ والقاموس (عصر) . وسامة ، هو سامة بن لؤى ، ولقبه بالرحال لأن أخاه عامر بن لؤى توعده حين فقأ عينه ، فرحل إلى عمان هارباً حيث لقى حتفه فى الطريق . انظر سيرة ابن هشام ٦٣ جوتنجن .

(٦) النواصب ، والناصبية ، وأهل النصب : المتدينون ببغضه على ؛ لأنهم نصبوا له ، =

وكان بشّارٌ كثيرَ المديح لواصِل بن عطاء قبل أن يدين بَشّارٌ بالرَّجْعة ، ويكفِّرَ جميع الأمَّة.وكان قد قال فى تفضيله على خالِدِ بن صفوانَ (١) وشبيبِ ١٦ ابن شَيبة (٢) ، والفضل بن عيسَى (٣) ، ويومَ خطَبوا عند عبد الله بن عمر بن عبد العزيز والى العراق :

أبا حُذيفَة قد أوتِيتَ مُعْجِبَةً   فى خُطبةٍ بَدَهَتْ من غير تقديرِ
وإنَّ قولاً يروق الخالِدَين معاً   لمُسْكِتٌ مُخرِسٌ عن كلِّ تحبيرِ (٤)

لأنه كان مع ارتجاله الخطبةَ التى نزع منها الراء (٥) ، كانت مع ذلك أطولَ من خطبهم . وقال بشّار :

تكلَّفُوا القولَ والأقوامُ قد حَفَلوا   وحَبّروا خطباً ناهِيكَ من خُطبِ
فقام مرتجِلاً تغلى بداهُته   كمِرْجَل القيْنِ لما حُفَّ باللّهبِ
وجانَبَ الراءَ لم يشعُرْ بها أحد   قبل التصفُّح والإغْراق فى الطّلبِ (٦)

وقال فى كلمة له يعنى تلك الخطبة :

فهذا بديهٌ لا كتحْبيرِ قائِل   إذا ما أراد القول زَوَّره شهرا (٧)

= أى عادوه . فيما عدا ل ، هـ : « النوائب » تحريف ، صواب هذه « النوابت » كما فى هـ . وقد أشير إلى هذه الرواية الأخيرة فى هامش ل .

(١) هو خالد بن صفوان بن عبد الله بن الأهتم ، كان قريعاً لشبيب ، وعلما من أعلام الخطابة ، وقد وفد إلى هشام ، وكان من سمار أبى العباس ، وكان مطلاقاً ، روى أنه قال : « ما من ليلة أحب إلى من ليلة قد طلقت فيها نسائى ، فأرجع والستور قد قلعت ، ومتاع البيت قد نقل ، فتبعث إلىَّ بنتى بسليلة فيها طعامى ، وتبعث إلىَّ الأخرى بفراش أنام عليه » . المعارف ١٧٧ .

(٢) شبيب بن شيبة ، كان من رهط خالد بن صفوان ، وكان بينهما منافسة شديدة ، وهو شبيب بن شيبة بن عبد الله بن عبد الله بن الأهتم . وسيرد ذكره فيما بعد .

(٣) فى هاشم هـ : « يعنى بالخالدين خالد بن صفوان وشبيب بن شيبة » .

(٤) هو الفضل بن عيسى بن أبان الرقاشى ، وسيترجم له فى باب أسماء الخطباء والبلغاء .

(٥) خطبة واصل بن عطاء التى جانب فيها الراء ، محفوظة فى مكتبة مدرسة النبى شيث بالموصل . انظر مخطوطات الموصل ص ٢٠٨ . وقد عثرت على نسخة من الخطبة ملحقة بنهاية نسخة فيض الله من البيان ونشرتها محققة فى نوادر المخطوطات ١ : ١١٧ – ١٣٦ .

(٦) فيما عدا ل : « لم يشعر به أحد » ، وهى رواية الأغانى (٣ : ٥٩) .

(٧) زور الكلام : أصلحه وهيأه .

فلما انقلب عليهم بشّارٌ ومَقاتِله لهم بادية ، هجوه ونفَوه ، فما زال غائبا حتى مات عمرو بن عُبيد . وقال صفوان الأنصارى :

متى كان غَزّال له ياابن حَوْشَبٍ ... غلامٌ كعمرٍو أو كعيسى بن حاضِرِ[(١)]
أمَا كان عُثمانُ الطَّويلُ ابنُ خالدٍ ... أو القَرْمُ حَفْصٌ نُهيةً للمُخاطِرِ[(٢)]
له خلفَ شَعْب الصِّين فى كل ثُغْرة ... إلى سُوسها الأقصى وخَلْف البرابِرِ[(٣)]
رجالٌ دُعاة لا يفُلُّ عزيمَهُم ... تهكُّم جَبّارٍ ولا كيدُ ماكرِ[(٤)]
إذا قال مُرُّوا فى الشتاء تطوَّعُوا ... وإن كان صيفٌ لم يُخَفْ شهرُ ناجرِ[(٥)]
بهجرةِ أوطانٍ وبَذْلٍ وكُلْفةٍ ... وشدَّة أخطار وكَدِّ المسافرِ
فأنجحَ مَسعاهم وأثْقَب زَنْدَهم ... وأوْرَى بفَلْجٍ للمُخاصِمِ قاهِرِ[(٦)]
١٧ وأوتادُ أرضِ الله فى كلِّ بلدةٍ ... وموضعُ فُتياها وعلمِ التشاجُرِ[(٧)]
وما كان سحبانٌ يشقُّ غُبارَهم ... ولا الشُّدْقُ من حَيَّىْ هلالِ بن عامرِ[(٨)]
ولا النّاطق النَّخّار والشيخ دَغفل ... إذا وصَلُوا أيمانهم بالمخاصِرِ[(٩)]

---

(١) عيسى بن حاضر ، أحد رجال المعتزلة ، وكان صاحب عمرو بن عبيد ، انظر الحيوان (١ : ٣٣٧ - ٣٣٨) .

(٢) حفص ، هو حفص الفرد ، ذكره ابن النديم فى الفهرست ٢٥٥ مصر ١٨٠ ليبسك ، وذكر أنه من المجبرة ، وكان من أهل مصر ، قدم البصرة فسمع بأبى الهذيل واجتمع معه وناظره ، فقطعه أبو الهذيل . والنهية ، بالضم : غاية كل شىء ، كالنهاية . والمخاطر : الذى يخاطر غيره ، أى يراهنه .

(٣) السوس الأقصى : كورة بالمغرب مدينتها طنجة . والسوس الأدنى : بلدة بالأهواز .

(٤) العزيم والعزيمة والعزم والمعزم ، بمعنى . والتهكم : التكبُّر ، ويقال تهكم عليه ، إذا اشتد غضبه .

(٥) تطاوع للأمر وتطوع به وتطوعه : تكلف استطاعته . فيما عدا ل : « تطاوعوا » و : « وإن كان صيفاً » .

(٦) أثقب الزند : قدحه فأخرج منه النار . وأورى الزند إيراء : أثقبه .

(٧) التشاجر : التنازع والاختلاف فى الخصومات ، أراد النزاع الكلامى .

(٨) الشدق : جمع أشدق ، وهو المتفوِّه ذو البيان .

(٩) النخار ، هو النخار بن أوس العذرى ، قال فيه صاحب القاموس « أنسب العرب » . وكان معاصراً لجميل الشاعر ، وقد هجاه بشعر فى الأغانى (٧ : ٩٥) . وسيأتى قول الجاحظ فى علة تسميته بالنخار ، أنه ربما حمى فى الكلام فنخر . ودغفل ، هو دغفل بن حنظلة =

ولا القالةُ الأعلَوْن رهطُ مكَحَّلٍ ... إذا نَطقُوا فى الصُّلح بين العشائرِ [١] ١٨
بجمعٍ من الجُفَّينِ راضٍ وساخطٍ ... وقد زحفَتْ بُدّاؤهم للمَحَاضِرِ [٢]

الجُفَّانِ : بكر وتميم . والرَّوْقان : بكر وتغلب . والغاران : الأزْد وتميم . ويقال ذلك لكل عِمارةٍ من الناس [٣] ، وهى الجمع ، وهم العمائر أيضاً : غارٌ . والجُفُّ أيضاً : قِشْر الطَّلْعة —

تَلَقَّبَ بالغَزَّال واحدُ عصرِهِ ... فَمنْ لليتامى والقَبِيل المكاثِرِ
ومَن لِحَرُورِيّ وآخرَ رافضٍ ... وآخرَ مُرْجِيّ وآخـرَ جائـرِ [٤]
وأمرٍ بمعروفٍ وإنكار منكَر ... وتحصين دين الله من كل كافِرِ
يُصِيبون فَصْلَ القول فى كلِّ موطنٍ ... كما طَبَّقتْ فى العظم مُدْيةُ جازرِ
تراهُمْ كأنّ الطيرَ فوقَ رءوسهم ... على عِمّةٍ معروفةٍ فى المعاشرِ
وسيماهُمُ معروفةٌ فى وجوههمْ ... وفى المشيِ حُجَّاجاً وفوق الأباعرِ
وفى رَكعة تأتى على الليل كلِّهِ ... وظاهرِ قولٍ فى مِثال الضمائرِ
وفى قَصِّ هُدّابٍ وإحفاء شاربٍ ... وكَوْرٍ على شَيبٍ يُضِىءُ لناظرِ [٥]
وعَنْفَقـةٍ مصلومـة ، ولنعلِـهِ ... قِبالانِ ، فى رُدْنٍ رحيب الخواصرِ [٦]
فتلك علاماتٌ تحيط بوصفهم ... وليس جَهُول القوم فى علم خابرِ [٧]

= السدوسى ، أدرك النبى ولم يسمع منه شيئاً ، ووفد على معاوية . وقتلته الأزارقة . انظر أمثال الميدانى فى : « أنسب من دغفل » والإصابة ٢٣٩٥ .

(١) مكحل ، هو عمرو بن الأهتم المنقرى ، كما سيأتى فى ص ٣٥٥ .

(٢) البداء : جمع باد ، وهو ساكن البادية . والمحاضر : المناهل يجتمعون عليها .

(٣) الجف ، والروق ، والغار : الجمع الكثير من الناس .

(٤) هـ ، ب « حائر » .

(٥) الكَور : لوث العمامة ، أى إدارتها على الرأس .

(٦) العنفقة : مابين الشفة السفلى والذقن . قبال النعل : زمامها .

(٧) هـ ، ب : « فى جرم خابر » .

وفى واصلٍ يقول صفوان :

١٨ فما مَسَّ ديناراً ولا صرَّ درهما ولا عرفَ الثوبَ الذى هو قاطعُه

وفيه يقول أسْباط بن واصل الشيبانىّ :

وأشهد أنَّ الله سمَّاكَ واصلا وأنَّك محمود النقيبة والشِّيَمْ

ولما قام بشّار بِعُذر (١) إبليس فى أنّ النّار خيرٌ من الأرض ، وذكر واصلا بما ذكره به ، قال صفوان :

زَعمتَ بأنّ النارَ أكرمُ عنصراً وفى الأرض تَحْيا بالحجارة والزَّنْدِ (٢)
وتُخْلَق فى أرحامها وأُرومها أعاجيبُ لا تُحصَى بخَطٍّ ولا عَقْدِ(٣)
وفى القَعر من لُجِّ البحار منافعٌ من اللؤلؤ المكنون والعنبر الوَرْدِ
كذلك سِرُّ الأرض فى البحر كلِّه وفى الغَيضة الغَنَّاءِ والجبل الصَّلْدِ
ولا بدَّ من أرض لكل مُطَيَّرٍ وكلِّ سَبُوحٍ فى الغمائر من جُدِّ (٤)
كذاك وما ينساحُ فى الأرض ماشيا على بطنه مَشْىَ المُجانِب للقَصْدِ (٥)
ويَسْرى على جلد يقيم حُزوزَه تَّعمُّجَ ماء السَّيل فى صَبَبٍ حَرِدِ(٦)
وفى قُلَلِ الأجبال خلَف مُقطَّم زَبرجَدُ أملاك الوَرَى ساعةَ الحشدِ(٧)

---

(١) فيما عدا ل : ، هـ : « يعذر » .

(٢) يعنى أن النار كامنة فى الحجارة والزند .

(٣) الأروم : جمع أرومة ، وهى الأصل . والعقد : ضرب من الحساب .

(٤) ما عدا هـ : « لكل مطهر » ولا يستقيم به المعنى ، وصوابه من هـ والفرق بين الفرق حيث أنشد القصيدة . والغمائر : جمع غمير ، وهو الماء الكثير . والجد ، بالضم والفتح : شاطئ النهر . أى لابد لكل سابح من شاطئ .

(٥) ينساح : يمشى على بطنه . ل : « كذلك ماينساح » .

(٦) التعمج : التلوى . والصبب : الموضع المنحدر . والحرد : المتنحى المعتزل .

(٧) المقطم : جبل يمتد من أسوان على شاطئ النيل الشرقى حتى يكون منقطعه طرف القاهرة . قال ياقوت : « وذكر قوم أنه جبل الزبرجد » . والأملاك : الملوك .

وفى الحَرَّةِ الرَّجلاءِ تُلْفَى معادنٌ   لهنَّ مغارات تَبَجَّسُ بالنَّقْدِ [١]
مِن الذّهبِ الإبريز والفضة التى   تروقُ وتُصْبِى ذا القَناعة والزُّهد
وكلّ فِلِزّ من نُحاس وآنُكٍ   ومن زِئبَقٍ حَىّ ونُوشَاذُرٍ يُسْدِى [٢]
وفيها زَرانيخ ومَكْــرٌ ومَــرْتَكٌ   ومن مَرْقَشِيثا غيرِ كابٍ ولا مُكْدِى [٣]
وفيها ضُروب القارِ والشَّبِّ والمَهَا   وأصنافُ كِبريتٍ مُطاوِلةُ الوقدِ [٤] ١٩
ترى العِرْق منها فى المقاطع لائحاً   كما قَدَّتِ الحسناءُ حاشية البُرْدِ
ومن إثْمِدٍ جَونٍ وكِلْسٍ وفِضَّةٍ   ومن تُوتِياء فى معادنه هِنْدِى
وفى كلِّ أغوارِ البلاد معادنٌ   وفى ظاهر البيداء من مَسْتوٍ نَجدِ [٥]
وكلُّ يواقيتِ الأنامِ وحَلْيِها   من الأرض والأحجارِ فاخرةِ المَجْدِ
وفيها مَقامُ الخِلِّ والركنُ والصَّفا   ومُستَلَمُ الحُجَّاجِ من جَنّة الخُلْدِ

---

(١) الحرة : أرض حجارتها سُود . والرجلاء : التى لا يستطيع المشى فيها حتى يترجل فيها ؛ لخشونتها وصعوبتها . تبجس بالنقد ، أى تنفجر بالذهب والفضة .

(٢) الفلز : جواهر الأرض كلها . والآنك : الأُسربّ ، وهو الرصاص القلعى . وقال كراع : هو القزدير . وجعل الزئبق حيا لسرعة حركته . والنوشاذر ، بالذال المضمومة ، ويقال بالمهملة أيضاً : حجر صاف كالبلور . انظر حواشى الحيوان (٥ : ٣٤٩) . فيما عدا ل ، هـ : « ونوشادر » . وفى الفرق بين الفرق ٤٠ : « ونوشادر سندى » نسبة إلى السند . قال داود : « يكون بالبلاد الحارة » .

(٣) الزرنيخ : معدن له ألوان كثيرة ، منها الأصفر والأحمر والأغبر ، وأجودها الصفائحى الذى يستعمله النقاشون الذى له لون كلون الذهب ، وكانت صفائحه تنقشر وكأنها مركبة بعضها فوق بعض . المعتمد لابن رسولا ١٤٠ . وفى اللسان أنه لفظ أعجمى ، وضبط فيه وفى المعرب ١٧٤ بكسر الزاى . والمكر ، بالفتح : المغرة ، وهى طين أحمر يصبغ به . والمرتك : مبيض المرداسنج . والمرادسنج : رصاص عبيط وأسرنج أو رصاص محروق ، يسبك حتى يمتزج ، وتبييضه أن يلف فى صوف ويطبخ بفول ، وكلما نضج غير الصوف والفُول حتى يبيض . تذكرة داود . وهو فارسى معرب . والمرقشيثا : صنف من الحجارة يستخرج منه النحاس . المعتمد .

(٤) المها : جمع مهاة ، وهى البلورة التى تَبِصُّ لشدة بياضها . فيما عدا ل ، هـ : « النهى » ، وهو بالفتح : ضرب من الخرز .

(٥) النجد : ماغلظ من الأرض وارتفع واستوى .

وفى صخرة الخِضر التى عند حُوتِها ... وفى الحجر المُمْهِى لمُوسى على عَمْدِ [١]
وفى الصَّخرة الصماء تُصْدَعُ آيةٌ ... لأمّ فصيلٍ ذى رُغاءٍ وذى وَخْدِ [٢]
مفاخرُ للطِّين الذى كان أصلَنا ... ونحن بَنُوه غيرَ شكٍّ ولا جَحْدِ
فذلك تدبيرٌ ونفعٌ وحكمـة ... وأوضحُ برهانٍ على الواحد الفرد
أتجعلُ عَمْراً والنِّطاسىَّ واصلاً ... كأتباعِ دَيْصَانٍ وهم قُمُشُ المَدِّ [٣]
وتفخـر بالميـلاء والعِلْـجِ عاصمٍ ... وتضحكُ من جِيد الرَّئيس أبى الجَعْدِ [٤]
وتحكِى لدى الأقوام شُنْعَةَ رأيِهِ ... لتصرفَ أهواءَ النُّفوس إلى الرَّدِّ
وسمَّيته الغَزَّالَ فى الشِّعر مطنِباً ... ومولاك عند الظُّلم قِصَّتُه [٥] مُرْدِى

ـــ يقول : إن مولاك ملّاح ؛ لأن الملّاحين إذا تظلَّموا رفعوا المَرادى ـــ

فيا ابنَ حليفِ الطِّين واللُّومِ والعَمَى ... وأبعدَ خلقِ الله من طُرُق الرُّشْدِ [٦]
أتهجُو أبا بكرٍ وتخلع بعْدَه ... علياً وتعْزو كلَّ ذاك إلى بُرْدِ
كأنّك غَضبانٌ على الدِّين كلِّه ... وطالبُ ذَحْلٍ لا يَبِيت على حِقْدِ
رجَعتَ إلى الأمصارِ من بعد واصل ... وكنتَ شريداً فى التَّهائِم والنُّجْدِ [٧]

---

(١) صخرة الخضر : التى نسى عندها الحوت وفى سورة الكهف : (قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإنى نسيت الحوت) . والخضر ، بكسر الخاء ، ويقال فيه أيضاً خضر ككتف . أمهى الحجر : ظهر ماؤه ، إشارة إلى ضرب موسى بعصاه الحجر .

(٢) إشارة إلى الصخرة التى ظهرت منها ناقة صالح عشراء ، ونتجت سقبا . والوخد ، ضرب من سير الإبل . ب ، جـ . « وجد » بالجيم ، وأثبتّ ما فى ل ، هـ ، والتيمورية .

(٣) ديصان : صاحب الديصانية من المجوس الثنوية . والقمش ، جمع قماش ، وهو الرذال من كل شئ .

(٤) الميلاء ، هى حاضنة أبى منصور العجلى صاحب المنصورية . انظر الحيوان (٢ : ٢٦٦ ، ٢٦٨) . وأبو الجعد ، كنية لواصل بن عطاء ، وكنيته المعروفة « أبو حذيفة » .

(٥) فى هامش هـ : « القصة : القطعة ترفع فيها الظلامة » .

(٦) فى هامش ل : «إنما قال ابن حليف الطين ؛ لأن أباه كان فخاراً يصنع الجرار » .

(٧) التهائم : الأرض المتصوِّبة إلى البحر . ومنه تهامة . والنجد بضمتين ، وسكن الجيم الشعر : جمع نجد ، وهو ما غلظ من الأرض وأشرف واستوى .

أَتجعل ليلَى النَّاعِظية نِحلة   وكلَّ عريقٍ فى التناسُخ والرّدّ (١)
عليك بدَعْدٍ والصَّدوف وفَرْتَنى   وحاضِنَتَىْ كِسْفٍ وزاملتَىْ هِنْدِ (٢)
تُوَاثِب أقماراً وأنت مُشوَّهٌ   وأقربُ خلقِ الله من شَبَه القِرْدِ

ولذلك قال فيه حمادُ عَجْرَدٍ (٣) بعد ذلك :

ويا أقبحَ مِن قردٍ   إذا ما عَمِىَ القِردُ

ويقال إنه لم يجزعْ بشار من شىء قطُّ جزعَه من هذا البيت (٤).

وذكره الشاعرُ وذكر أخويه لأُمّه فقال :

لقد ولدتْ أمُّ الأكيمِهِ أعرَجًا   وآخرَ مقطوعَ القفا ناقص العَضُدْ (٥)

وكانوا ثلاثةً مختلفى الآباء والأمُّ واحدةٌ ، وكلُّهم وُلِد زَمِناً . ولذلك قال بعضُ من يهجوه :

إذا دَعاهُ الخالُ أقعى ونكَصْ   وهُجْنَةُ الإقراف فيه بالحِصَصْ (٦)

وقال الشاعر :

لا تشهدَنّ بخارجيّ مُطْرِفٍ   حتَّى ترى مِن نَجله أفراسا (٧)

---

(١) ليلى الناعظية : إحدى نساء الغالية ، منسوبة إلى بنى ناعظ ، بالظاء المعجمة ، وهم بطن من العرب . انظر القاموس واللسان والجمهرة (٣ : ١٢١) . نحلة : أى صاحبة نِحلة ومذهب .

(٢) دعد ، وأختاها من الأسماء الشائعة فى غزل العرب . والكسف ، هو أبو منصور العجلى . انظر الحيوان (٢ : ٢٦٦ / ٦ : ٣٨٩) . والزامل : من يزمل غيره ، أى يتبعه .

(٣) حماد عجرد ، بالإضافة ، هو حماد بن عمر بن يونس ، شاعر من مخضرمى الدولتين ، ولم يشتهر إلا فى العباسية ، وكان بينه وبين بشار مهاجاة فاحشة . توفى سنة ١٦١ وقيل ١٦٨ .

(٤) انظر الحيوان (٤ : ٦٦ / ٦ : ٢٢٨) .

(٥) الأكيمِه : مصغر الأكمه ، وهو الذى ولد أعمى .

(٦) الإقراف : الهجنة من قبل الأب ، عنى أنه لئيم الأم والأب .

(٧) أى لا تشهد به المحافل والحروب . والخارجى من الخيل : الذى يخرج بنفسه من غير أن يكون له عرق فى الجودة . والمطرف ، كالطارف : المستحدث .

وقال صفوانُ الأنصاريّ فى بشّارٍ وأُخَوَيْهِ ، وكان يخاطب أمهم :

ولَدْتِ خُلْداً وذِيخاً فى تشتُّمه　　وبعده خُزَزاً يشتدّ فى الصُّعُدِ (١)
ثلاثَةٌ من ثلاثٍ فُرِّقوا فِرَقاً　　فاعرف بذلك عِرقَ الخالِ فى الولدِ

الخُلْد : ضربٌ من الجُرذان يولَد أعمى . والذِّيخ : ذكرَ الضِّباع ، وهو أعرج . والخُزَز : ذكر الأرانب ، وهو قصير اليدين لا يلحقه الكلب فى الصُّعُد (٢) .

وقال بعد ذلك سُليمان الأعمى ، أخو مسلمِ بن الوليد الأنصارى الشّاعر (٣) ، فى اعتذار بشّارٍ لإبليسَ وهو يخبر عن كَرَم خصال الأرض :

لابدَّ للأرض إن طابتْ وإنْ خَبُثَت　　من أن تُحِيل إليها كلَّ مغروسِ
وتُربةُ الأرضِ إن جِيدت وإن قُحِطَتْ　　فحَمْلُها أبداً فى إثر منفُوسِ (٤)
وبطنها بفِلزّ الأرض ذو خَبَرٍ　　بكل ذى جوهر فى الأرض مرموسِ (٥)

ــ الفِلزّ : جوهر الأرض من الذهب والفِضّة والنحاس والآنُك وغير ذلك ــ

وكلٍّ آنيةٍ عَمّتْ مرافقُها　　وكلّ مُنتَقَدٍ فيها وملبوسِ
وكلٌّ ماعُونها كالمِلح مِرْفقةٌ　　وكلُّها مُضْحِكٌ مِن قول إبليسِ (٦)

وقال بعض خُلَعاء بغداد (٧) :

(١) التشتم ، أراد به الشتامة : وهى القبح . والصعد : جمع الصعود ، بالفتح ، وهى العقبة الشاقة .

(٢) انظر الحيوان (٥ : ٦/٤٤٧ : ٣٥٦ : ٧/٣٧٥ : ١٣٢) .

(٣) وكذلك فى الحيوان (٤ : ١٩٥) لكن ياقوتاً فى معجم البلدان (١١ : ٢٥٥) والصفدى فى نكت الهميان ١٦٠ قد جعلاه ابناً لمسلم بن الوليد . قال ياقوت : «وهو ابن مسلم بن الوليد ، المعروف بصريع الغوانى ، الشاعر المعروف ، كان كأبيه شاعراً مجيداً » .

(٤) جيدت : مطرت بالجود ، وهو المطر الغريز . والمنفوس : المولود .

(٥) ل ، هـ : « بكل جوهرة » . والمرموس : المدفون .

(٦) الماعون : كل ما انتفع به .

(٧) الخلعاء : جمع خليع ، وهو المستهتر بالشرب واللهو ، والذى أعطى نفسه هواها.فيما عدا ل ، هـ : « خلفاء بغداد » وهو تحريف . وسيعاد البيتان فى (٣ : ١٥٢) الأصل . وقبلهما : « وقال بعض الطياب » . والطياب ، بالكسر : جمع طيب ، وهو الفكه المزّاح . انظر سيبويه (٢ : ٢١١) والحيوان (٣ : ٢٧) .

عجبتُ من إبليس فى كِبْرِهِ ... وقُبْحِ ما أظهَرَ من نّيته [١]
تاه على آدَمَ فى سجدةٍ ... وصار قَوّاداً لذُرّيّتِه [٢]

وذكره بهذا المعنى سليمانُ الأعمى ، أخو مسلم الأنصارىّ [٣] ، فقال :

يأبَى السّجودَ له من فَرْط نَخْوتِه ... وقد تحوّل فى مِسلاخ قَوّادِ

وقال صفوانُ فى شأن واصلٍ وبشّارٍ ، وفى شأن النّار والطّين ، فى كلمةٍ له :

وفى جوفها للعَبد أستَرُ منزلٍ ... وفى ظهرها يَقضِى فرائضَه العبدُ
تمجُّ لُفَاظَ المِلح مَجّا وتصطفى ... سبَائِكَ لا تَصْدَا وإن قدُم العهدُ
وليس بِمُحصٍ كُنْهَ مافى بُطونِها ... حسابٌ ولا خطٌّ وإن بُلِغَ الجَهْدُ
فسائِلْ بعبد الله فى يوم حَفْلِهِ ... وذاك مَقامٌ لا يشاهده وَغْدُ [٤]
أقام شبيبٌ وابنُ صَفوانَ قبلَه ... بقولِ خطيبٍ لا يجانبه القَصْدُ [٥]
وقام ابنُ عيسى ثُمَّ قفّاه واصلٌ ... فأبدَعَ قولاً ماله فى الورى نِدُّ
فما نقَصَتْهُ الرّاءُ إذْ كان قادراً ... على تَرْكِها واللفْظُ مطّردٌ سَرْدُ
فَفَضّل عبدُ اللهِ خُطبَةَ واصلٍ ... وضُوعف فى قَسْمِ الصِّلات له الشُّكْدُ [٦]
فأقنَع كُلَّ القومِ شُكرُ حِبائِهم ... وقَلّل ذاك الضِّعْفَ فى عينه الزُّهدُ

* * *

قد كتبنا احتجاجَ مَن زعم أنّ واصلَ بنَ عطاءٍ كان غزّالا ، واحتجاجَ مَن

---

(١) هـ ، ب : « وخبث ما ابداه » .
(٢) ل : « فى سجدته » .
(٣) انظر ما سبق فى ٣١ س ٦ .
(٤) يشير إلى ماكان من اجتماع شبيب وخالد بن صفوان والفضل بن عيسى وواصل ، عند عبد الله بن عمر بن عبد العزيز . انظر ما سبق فى ص ٢٤ .
(٥) القصد : المعتدل الذى لا يميل إلى أحد طرفى الإفراط والتفريط . ل ، هـ : « أقام شبيباً » .
(٦) الشكد ، بالضم : الجزاء والعطاء .

دفَع ذلك عنه ، ويزعم هؤلاء أنّ قَولَ الناس : واصلٌ الغزّال ، كما يقولون : خالد الحَذَّاء (١)، وكما يقولون : هِشامٌ الدَّستَوائىّ (٢) . وإنما قيل ذلك لأنّ الإباضيّة (٣) كانت تبعثُ إليه من صَدَقاتها ثياباً دَسْتَوائية ، فكان يكسوها الأعرابَ الذين يكونون بالجَناب (٤) ، فأجابوه إلى قول الإباضيَّة ، وكانوا قبلَ ذلك لا يزوِّجون الهُجنَاء ، فأجابوه إلى التَّسوية وزَوَّجوا هجيناً ، فقال الهجين فى ذلك :

إنا وجَدْنا الدَّسْتَوائيِّينا ... الصائمين المتعبِّدينـا
أفضلَ منكمْ حَسَباً ودِينا ... أخزى الإلهُ المتكبِّرينا
* أفيكُمُ مَن يُنكِح الهَجِينا (٥) *

وقال : إنما قيل ذلك لواصل لأنّه كان يكثر الجلوسَ (٦) فى سوق الغزّالين ، إلى أبى عبد الله ، مولى قَطَن الهِلالىّ . وكذلك كانت حالُ خالدِ الحَذّاءِ الفقيه . وكما قالوا : أبو مسعودٍ البدرى (٧) ، لأنه كان نازلا على ذلك الماء . وكما قالوا : أبو مالك

---

(١) هو خالد بن مهران ، ويكنى أبا المبارك ، مولى لقريش لآل عبد الله بن عامر بن كريز . قيل إنما سمى حذاء لأنه كان يتكلم فيقول : احذ على هذا الحديث . المعارف ٢١٩ . وقيل إنه تزوج امرأة فنزل عليها فى الحذائين فنسب إليها . السمعانى ١٦٠ .

(٢) هو أبو بكر هشام بن بن أبى عبد الله سنبر ــ كجعفر ــ الدستوائى البصرى البكرى ، وكان يرمى بالقدر ، روى عن قتادة ، وروى عنه يحيى القطان . ودستوا ، بفتح الدال والتاء ، من بلاد فارس . مات سنة ١٥٢ أو ١٥٤ وله ثمان وسبعون سنة . معجم البلدان ، والمعارف ٢٢٣ ، وتهذيب التهذيب ، وتذكرة الحفاظ (١ : ١٥٥) .

(٣) الإباضية : فرقة من فرق الخوارج ، نسبة إلى عبد الله بن إباض ، الخارج فى أيام مروان بن محمد . انظر آراءهم فى الملل (١ : ١٨٠) والفرق بين الفرق ٨٢ والمواقف ٦٣٠ .

(٤) الجناب ، بالفتح : موضع فى أرض كلب فى السماوة ، بين العراق والشام . ل : « بالحباب » تحريف .

(٥) الهجين : عربى وُلد من أمَة ، أو من أبوه خير من أمّه .

(٦) فيما عدا ل « لكثرة جلوسه » .

(٧) هو أبو مسعود عقبة بن عمرو بن ثعلبة الأنصارى البدرى ، وشهرته بكنيته . صحابى شهد العقبة وبدرا ، توفى سنة ٤٠ . الإصابة ٥٥٩٩ والسمعانى ٦٨ .

السُّدِّىّ [١] ؛ لأنه كان يبيع الخُمُر فى سُدَّة المسجد [٢] .

وهذا الباب مستقصًى فى كتاب « الأسماء والكنى » ، وقد ذكرنا جملة منه فى كتاب « أبناء السَّرارى والمَهِيرات » .

ذكر الحروف التى تدخلها اللثغة وما يحضرنى منها

قال أبو عثمان : وهى أربعة أحرف : القاف ، والسين ، واللام ، والراء . فأما التى هى على الشين المعجمة فذلك شىء لا يصوِّره الخَطّ ؛ لأنه ليس من الحروف المعروفة ، وإنما هو مَخْرَجٌ من المخارج ، والمخارجُ لا تُحصَى ولا يُوقف عليها . وكذلك القولُ فى حروف كثيرة من حروف لغات العجم ؛ وليس ذلك فى شىءٍ أكثَرَ مِنه فى لغة الخوز . وفى سواحل البحر من أسياف فارسَ ناسٌ كثير ، كلامهُم يشبه الصَّفير [٣] . فمَنْ يستطيع أن يصوِّر كثيراً من حروف الزَّمزمة ، والحروفِ التى تظهر من فم المجوسىّ إذا تَرك الإفصاحَ عن معانيه ، وأخَذَ فى باب الكناية وهو على الطعام ؟!

فاللُّثغة التى تعرِض للسِّين تكون ثاء ، كقولهم لأبى يَكسوم [١] : أبى يَكثوم ؛ وكما يقولون : بُثْرَةٌ ، وبِثْم اللهِ ، إذا أرادوا بُسْرة ، وبسم الله .

والثانية اللثْغة التى تعرِض للقاف ؛ فإن صاحبها يجعل القاف طاءً ، فإذا أراد أن يقول : قلت له ، قال : طُلْت له ؛ وإذا أراد أن يقول : قال لى ، قال : طال لى .

---

(١) فى القاموس (سدد) : « وإسماعيل السدى لبيعه المقانع فى سدة مسجد الكوفة » . ومثله فى اللسان . وفى تهذيب التهذيب : إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبى كريمة السدى ، أبو محمد الكوفى . مات سنة سبع وعشرين ومائة . وذكر السمعانى ٢٩٤ أنه مولى زينب بنت قيس بن مخرمة ، حجازى الأصل ، سكن الكوفة .

(٢) السدة : بالضم : الباب ، أو ما حول المسجد من الرواق .

(٣) فيما عدا ل : « شبيه بالصفير » .

(٤) أبو يكسوم : كنية أبرهة الملك الحبشى ، صاحب الفيل الذى وجه لهدم الكعبة ، وكان له ابن يسمى « يكسوم » ، وبه كان يكنى . انظر السيرة ٤١ جوتنجن .

وأما اللثغة التى تقع فى اللام فإن مِن أهلها مَن يجعل اللام ياء فيقول بدل قوله : اعتَلَلْتُ : اعتييْت ، وبدل جَمَل : جَمَىْ . وآخرون يجعلون اللامَ كافاً ، كالذى عرض لعُمَر أخى هلال ، فإنه كان إذا أراد أن يقول : ما العلة فى هذا ، قال : مَكْعِكّة فى هذا .

وأمّا اللُّثغة التى تقع فى الراء فإنّ عددَها يُضعِف على عدد لثغة اللام ؛ لأنّ الذى يعرِض لها أربعةُ أحرف : فمنهم مَن إذا أراد أن يقول عمرو ، قال : عَمْى ، فيجعل الراء ياءً . ومنهم من إذا أراد أن يقول عمرو ، قال : عَمْغ ، فيجعل الراء غينا . ومنهم من إذا أراد أن يقول عمرو ، قال : عَمْذ ، فيجعل الراء ذالا . وإذا أنشد قول الشاعر [(١)] :

واستبدَّت مَرَّةً واحدة إنما العاجزُ مَن لايستبدّ

قال :

واستبدَّت مَذَّة واحدة إنما العاجز من لا يستبدّ

فمن هؤلاء علىّ بن الجُنيد بن فُرَيدى .

ومنهم من يجعل الراء ظاءً معجمة ، فإذا أراد أن يقول :

واستبدت مرة واحدة إنما العاجز من لا يستبدّ

يقول :

واستبدَّت مَظَّة واحدة إنما العاجز من لا يستبدّ

ومنهم من يجعل الرّاء غيناً معجمة ، فإذا أراد أن ينشد هذا البيت قال :

واستبدت مغَّةً واحدة إنما العاجز من لا يستبدّ

كما أن الذى لُثْغته بالياء ، إذا أراد أن يقول : « واستبدّت مرة واحدة » يقول « واستبدت مَيَّةً واحدة » .

---

(١) هو عمر بن أبى ربيعة ، من قصيدة فى ديوانه ٧٦ مطلعها :

ليت هندا أنجزتنا ما تعد وشفت أنفسنا مما تجد

وأما اللثغة الخامسة التى كانت تعرض لواصل بن عطاء ، ولسليمان بن يزيدَ العدوىّ (١) الشاعر ، فليس إلى تصويرها سبيل . وكذلك اللثغة التى تعرض فى السين (٢) كنحو ماكان يعرِض لمحمَّد بن الحجاج ، كاتب داود بن محمد ، كاتب أم جعفر ؛ فإنّ تلك أيضاً ليست لها صورةٌ فى الخط تُرى بالعين ، وإنما يصوِّرها اللِّسان وتتأدَّى إلى السمع . وربَّما اجتمعت فى الواحد لُثْغتان فى حرفين ، كنحو لثغة شَوْشَى ، صاحب عبد الله خالد الأموى ؛ فإنه كان يجعل اللامَ ياءً والراء ياء . قال مرّةً : مَوياىَ ويِىُّ اىِّىّ . يريد: مولاى ولىّ الرَّىّ . واللُّثغة التى فى الراء إذا كانت بالياء فهى أحقرهنَّ وأوضَعُهنَّ لذى المروءة ، ثم التى على الظاء ، ثم التى على الذال . فأمَّا التى على الغين فهى أيسرهنَّ ، ويقال إنّ صاحبَها لو جَهَد نفسَه جَهْدَه ، وأحَدّ لسانَه (٣) ، وتكلّف مَخرج الراء على حقِّها والإفصاح بها ، لم يكُ بعيداً من أن تُجيبه الطَّبيعة ، ويؤثِّر فيها ذلك التعهُّد أثراً حسناً .

وقد كانت لثغة محمَّد بن شبيبٍ المتكلّم ، بِالغَين ، وكان إذا شاء أن يقول عَمْرو ، ولعمرى ، وما أشبه ذلك على الصحَّة قاله ، ولكنه كان يستثقل التكلُّف والتهيُّؤَ لذلك ، فقلت له : إذا لم يكن المانعُ إلا هذا العذرَ فلستُ أشكُّ أنك لو احتملتَ هذا التكلُّفَ والتتبُّعَ شهراً واحداً أنّ لسانك كان يستقيم .

فأمَّا من تعتريه اللُّثغة فى الضاد وربَّما اعتراه أيضاً فى الصَّاد والراء ، حتَّى إذا أراد أن يقول مُضَر قال مُضَى ، فهذا وأشباهُه لاحقون بشَوشَى .

وقدْ زعم ناسٌ من العوامّ أن موسى عليه السلام كان ألثَغ ، ولم يقِفوا من الحروف التى كانت تعرِض له على شئ بعينه . فمنهم مَن جعل ذلك خلِقة ، ومنهم من زعَم أنّه إنما اعتراه حين قالت آسيةُ بنتُ مُزاحِمٍ امرأة فرعون لفرعون :

---

(١) ذكره الجاحظ فى الحيوان (٦ : ١٩١) وروى له القالى شعراً فى (٣ : ٢٨) .

(٢) فيما عدا ل : « الشين » .

(٣) هـ : « وأخذ لسانه » .

« لا تَقْتُلْ طفلاً لا يعرف التَّمر من الجمر (١) » . فلمَّا دعا له فرعونُ بهما جميعاً تناول جَمرةً فأهوى بها إلى فِيه ، فاعتراه من ذلك ما اعتراه .

وأما اللُّثغة فى الراء فتكون بالياء والظّاء والذال والغين ، وهى أقلُّها قبحاً وأوجدُها فى ذَوِى الشرف وكبار الناس وبُلغائهم وعلمائهم .

وكانت لثغة محمد بن شبيبٍ المتكلّمُ ، بالغين ، فإذا حَمَل على نفسه وقوَّم لسانَه أخرج الرَّاء على الصّحة فتأتّى له ذلك . وكان يَدَعُ ذلك استثقالاً . أنا سمعت ذلك منه .

قال : وكان الواقدىُّ (٢) يروى عن بعض رجالِه ، أنّ لسان موسَى كانت عليه شأْمة (٣) فيها شَعَرات . وليس يدلُّ القرآنُ على شئٍ من هذا (٤) ؛ لأنّه ليس فى قوله : ﴿ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ﴾ دليلٌ على شئٍ دونَ شئ .

وقال الأصمعىّ : إذا تتعتع اللسانُ فى التاء فهو تمتام ، وإذا تتعتع فى الفاء فهو فأفاء . وأنشد لرؤبة بن العجّاج :

يا حَمْدَ ذَاتَ المنطقِ التّمتامِ (٥) كأنّ وَسْواسَكِ فى اللِّمامِ (٦)
* حديثُ شيطانِ بنى هِنّامِ (٧) *

---

(١) فيما عدا ل : « لا يفرق » بدل « لا يعرف » .

(٢) الواقدى ، هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد الواقدى ، مولى الأسلميين . كان من أهل المدينة ، وانتقل إلى بغداد ، وولى القضاء بها للمأمون . وكان عالماً بالمغازى والسير والفتوح والأخبار . ولد سنة ١٣٠ وتوفى سنة ٢٠٧ . الفهرست لابن النديم ١٤٤ والمعارف ٢٢٦ وتاريخ بغداد (٣: ٣ — ٢١) وابن خلكان (١ : ٥٠٦) والسمعانى ٥٧٧ .

(٣) الشأمة ، بالهمز وبدونه : الخال فى الجسد . فيما عدا ل : « شامة » .

(٤) فيما عدا ل : « مما قالوا » .

(٥) فى الديوان ١٤٤ : « يا هال » مرخم هالة . والبيت مطلع أرجوزة له يمدح بها مسلمة بن عبد الملك .

(٦) يقال : ما يزورنا إلا لماما : أى إلا أحياناً على غير مواظبة .

(٧) فى اللسان : « بنو هنام : حى من الجن ، وقد جاء فى الشعر الفصيح » . وفى الأصول : « بنى همام » صوابه من الديوان .

وبعضهم ينشد :

* ياحَمْد ذاتَ المنطق النَّمْنَامِ *

وليس ذلك بشيء ، وإنما هو كما قال أبو الزَّحْف [١]:

لست بفأفاءٍ ولا تَمتامِ ولا كثيرِ الهُجْرِ فى الكلام

وأنشد أيضاً للخَوْلانىِّ فى كلمةٍ له :

إنّ السِّياط تَركن لاستِك منطِقاً كمقالة التمتامِ ليس بِمُعْرِبِ

فجعل الخَولانىُّ التمتامَ غيرَ مُعْرِبٍ عن معناه ، ولا مفصحٍ بحاجته .

وقال أبو عبيدة : إذا أدخَلَ الرَّجلُ بعضَ كلامه فى بعضٍ فهو أَلَفُّ ، وقيل بلسانه لَفَفٌ . وأنشدنى لأبى الزَّحْف الراجز :

كأنّ فيه لَفَفاً إذا نطَقْ من طُولِ تحبيسٍ وهَمٍّ وأرَقْ

كأنّه لما جلس وحْدَه ولم يكن له مَن يكلِّمه،وطال عليه ذلك،أصابه لففٌ فى لسانه .

وكان يزيدُ بن جابرٍ ، قاضى الأزارقة [٢] بعد المُقَعْطِل ، يقال له الصَّموت ؛ لأنّه لما طال صمتُه ثقُل عليه الكلام ، فكان لسانُه يلتوى ، ولا يكاد يبين .

وأخبرنى محمدُ بنُ الجهم [٣] أنّ مثل ذلك اعتراه أيامَ محاربة الزُّطّ [٤] ، من طول التفكُّر [٥] ولزوم الصَّمت .

---

(١) هو أبو الزحف بن عطاء بن الخطفى — ابن عم جرير بن الخطفى — وعمر أبو الزحف حتى بلغ زمان محمد بن سليمان بن عبد الله بن عباس . انظر الشعراء لابن قتيبة .

(٢) الأزارقة : فرقة من فرق الخوارج السبع : نسبة إلى نافع بن الأزرق . انظر آراءهم فى الملل (١ : ١٦٠) ومفاتيح العلوم ١٩ والمواقف ٦٢٩ والفرق بين الفرق ٨٢ .

(٣) هو محمد بن الجهم البرمكى ، ولاه المأمون عدة ولايات . وقد ذكر أبو الفرج فى الأغانى (١٣ : ١٥) أسئلة طريفة فى الأدب والشعر ، وجهها إليه المأمون فأعجبه جوابها ، وكان هذا الاختيار مؤهلا لحصوله على هذه الولايات .

(٤) الزط : جيل من الهند . انظر تحقيق اسمهم فى حواشى الحيوان (٥ : ٤٠٧) . وقد كان هؤلاء ممن حاربهم المأمون . انظر حوادث سنة ٢٠٥ ، ٢٠٦ من كتب التاريخ .

(٥) هـ : « التفكير » .

قال : وأنشدَنى الأصمعىّ :

حديث بنى قُرْطٍ إذا ما لقيتَهم كنَزْو الدَّبا فى العرفج المتقارِبِ (١)

قال ذلك حين كان فى كلامهم تَعَجَلة . وقال سلمة بن عَيَّاش (٢) :

كَأَنَّ بنى رألَان إذْ جاء جمعُهم فرارِيجُ يُلقَى بينهنّ سَوِيق(٣)

فقال ذلك لِدقّة أصواتهم (٤) وعَجَلة كلامهم . وقال اللَّهَبىُّ (٥) فى اللجلاج :

ليس خَطيبُ القوم باللجلاجِ ولا الذى يَزْحَلُ كالهِلباجِ (٦)
ورُبَّ بيداءَ وليلٍ داجِ هتكتُه بالنَّصِّ والإدلاجِ

وقال محمد بن سَلَّام الجُمَحى : كان عمرُ بن الخطاب ، رحمه الله ، إذارأى رجلا يتلجلج فى كلامه، قال: «خالقُ هذاوخالقُ عمرِو بن العاصى واحد(٧)» .

ويقال: فى لسانه حُبْسة ، إذا كان الكلام يثقُل عليه ولم يبلُغْ حدَّ الفأفاء والتمتام . ويقال فى لسانه عُقْلةٌ ، إذا تَعقَّل عليه الكلام (٨) . ويقال فى لسانه

---

(١) بنو قرط : بطن من بنى بكر بن كلاب . انظر المعارف ٤٠ والقاموس (قرط) . فيما عدا ل ، هـ « بنى زط » تحريف ، اجتلبه ما سبق من الكلام . والدبا : الجراد قبل أن يطير .

(٢) سلمة بن عياش : شاعر بصرى من مخضرمى الدولتين ، وكان منقطعاً إلى جعفر ومحمد ، ابنى سليمان بن على بن عبد الله بن عباس ، يمدحهما . انظر الأغانى (٢١ : ٨٤ – ٨٦) .

(٣) بنو رألان : قبيلة من مازن بن مالك بن عمرو بن تميم .

(٤) فيما عدا ل ، هـ : « لرقة أصواتهم » تحريف .

(٥) اللهبى ، هو الفضل بن العباس بن عتبة بن أبى لهب ، أحد شعراء بنى هاشم ، وكان ممن وفد على عبد الملك بن مروان . انظر الأغانى (١٥ : ٢ – ١٠) ، والمؤتلف ٣٥ والمرزبانى ٣٠٩ .

(٦) يزحل : يزل عن مقامه . قال لبيد :

لو يقوم الفيل أو فيَّاله زل عن مثل مقامى وزحل

والهلباج : الأحمق الشديد الحمق .

(٧) فيما عدا ل ، هـ : « إذا رأى الرجل » و « عمرو بن العاص » . وفى تاج العروس (١٠ : ٢٤٥) : « قال النحاس : سمعت الأخفش يقول : هو العاصى بالياء ، لا يجوز حذفها . وقد لهجت العامة بحذفها . قال النحاس : هذا مخالف لجميع النحاة يعنى أنه من الأسماء المنقوصة ، فيجوز فيه إثبات الياء وحذفها » وانظر شرح الرضى للشافية (٢ : ٣٠٣) . والخبر فى الحيوان (٥ : ٥٨٧) وعيون الأخبار (٢ : ١٧١) .

(٨) الكلام بعد « التمتام » إلى هنا من ل ، هـ .

لكنَةٌ ، إذا أدخل بعضَ حروف العجَم فى حروف العرب ، وجَذبت لسانَه العادةُ الأولى إلى المخرج الأوَّل . فإذا قالوا فى لسانه حُكْلة فإنما يذهبون إلى نُقصان آلة المنطق ، وعَجْز أداة اللفظ ، حتى لا تُعْرَفَ معانيه إلا بالاستدلال .

وقال رؤبة بن العجاج :

لو أنّنى أوتيتُ عِلْمَ الحُكَلِ   عِلمَ سليمانَ كلامَ النملِ (١)

وقال محمد بن ذُؤيب (٢) ، فى مديح عبد الملك بن صالح :

ويفهمُ قولَ الحُكْلِ لو أنّ ذَرَّةً   تساوِدُ أُخرى لم يَفُتْه سِوَادُها (٣)

وقال التَّيمى (٤) فى هجائه لبنى تَغلب :

ولكنَّ حُكْلاً لا تُبِينُ ودِينُها   عبادةُ أعلاجٍ عليها البرانسُ (٥)

قال : وأنشدَنى سُحيمُ بن حفص (٦) ، فى الخطيب الذى تَعرِض له النَّحنحة والسُّعلة ، وذلك إذا انتفخَ سَحْرُه ، وكَبا زَنده ، ونَبا حدُّه ؛ فقال :

نَعوذُ باللهِ مِنَ الإهمالِ   ومِن كَلالِ الغَرْبِ فى المَقالِ

* ومن خطيب دائمِ السُّعالِ *

---

(١) وكذا جاءت النسبة فى الصحاح وثمار القلوب ٣٤٩ ، ٥١٥ وأمثال الميدانى (١ : ٨٥ / ٢ : ٤٥٤) والحيوان (٤ : ٨ ، ٢٣) . لكن قال ابن برى : « الرجز للعجاج » . انظر اللسان (حكل) . والحكل : ما لا يسمع له صوت من الحيوان .

(٢) هو أبو العباس محمد بن ذؤيب الفقيمى العمانى الراجز ، وقيل له العمانى وهو بصرى ولم يكن من أهل عمان ؛ لأن دكيناً الراجز نظر إليه فقال : من هذا العمانى ؟ وذلك أنه كان أصفر مطحولا . وهو شاعر راجز من شعراء الدولة العباسية ، كان مقرباً من الرشيد . الأغانى (١٧ : ٧٨ – ٨٣) والشعراء لابن قتيبة .

(٣) السواد ، بالكسر : السرار . وانظر الحيوان (٤ : ٢٣) .

(٤) فى الحيوان (٤ : ٢٤) : « وقال التيمى الشاعر المتكلم » .

(٥) أنشده فى الحيوان برواية : « عجم وحكل لا تبين » .

(٦) ويقال أيضاً فى اسمه « عامر بن حفص » ولقبه « سحيم » . ويلقبه هذا يذكره الجاحظ فى مواضع كثيرة . والمدائنى فى كتبه يذكره بثمانية ألقاب وأسماء . انظر الفهرست لابن النديم ٩٤ ليبسك ١٣٨ . مصر . قال ابن النديم : كان عالماً بالأخبار والأنساب ، ثقة فيما يرويه . وتوفى سنة ١٩٠ .

وأنشدنى ابنُ الأعرابىّ :

إنَّ زياداً ليس بالبكىِّ ولا بَهيَّابٍ كثيرِ العِىِّ

وأنشدنى بعض أصحابنا :

ناديتُ هَيْذَانَ والأبوابُ مغلقةٌ ومثلُ هَيْذانَ سَنَّى فتحةَ البابِ(١)

كالهُنِدُوانىِّ لم تُفْلَلْ مَضارِبهُ وجهٌ جميلٌ وقلبٌ غيرُ وَجّابِ(٢)

وقال آخر :

* إذا اللهُ سَنَّى عَقْدَ شىءٍ تيسرا (٣) *

وقال بشر بن المُعتَمِر (٤) ، فى مثل ذلك :

ومِن الكبائرِ مِقْوَلٌ متتعتعٌ جمُّ التنحنح مُتعَبٌ مبهورُ (٥)

وذلك أنّه شهد رَيْسان ، أبا بُجَير بن رَيْسانَ ، يخطُب . وقد شهدتُ أنا هذه الخطبةَ ولم أر جباناً قط أجرأَ منه ، ولا جريئا قطُّ أجبنَ منه .

وقال الأشلُّ الأزرقىّ – من بعض أخوالِ عمرانَ بنِ حِطّان الصُّفرىِّ القَعَدىِّ (٦) .

---

(١) سَنَّى : فتح وسهل . والبيتان محرفان فى العقد (٣ : ٣٩٠) .

(٢) الهندوانى ، بضم الدال مع ضم الهاء وكسرها : السيف المطبوع من حديد الهند . تفلل : تثلم . والوجّاب : الخفاق المضطرب من الخوف .

(٣) يروى صدره : * وأعلم علماً ليس بالظن أنه *

و : * فلا تيأسا واستغفرا الله إنه *

انظر اللسان (غور ، سنا) وأمالى القالى ١ : ٢٣٥ .

(٤) بشر بن المعتمر ، صاحب البشرية ، انتهت إليه رآسة المعتزلة ببغداد ، وانفرد عن أصحابه المعتزلة فى بعض مسائل أوردتها فى كتابى « معجم الفرق الإسلامية » . وكان بشر نخاسا فى الرقيق . توفى سنة ٢١٠ . انظر لسان الميزان (٢ : ٣٣) والملل والنحل (١ : ٨١) والمواقف ٦٢٢ ومفاتيح العلوم ١٩ والفرق ١٤١ واعتقادات الرازى ٤٢ واللسان (ربح) . فيما عدا ل ، هـ : « بشر بن معمر » تحريف . ولبشر قصيدتان فى الحيوان (٦ : ٢٨٤ – ٢٩٧) .

(٥) المقول : الكثير القول .

(٦) هو أبو سماك عمران بن حطان بن ظبيان السدوسى ، رأس القعدة من الصفرية ، وخطيبهم وشاعرهم ، أدرك جماعة من الصحابة وروى عنهم ، ثم لحق بالشراة فطلبه الحجاج فهرب إلى الشام ، فطلبه عبد الملك ففر إلى عمان . ولما طال عمره قعد عن الحرب ، فاكتفى بالتحريض والدعوة بشعره . توفى سنة ٨٤ . الإصابة ٦٨٦٩ .

– فى زيد بن جندبِ الإيادىّ (١) خطيبِ الأزارقة ، وقد اجتمعا فى بعض المحافل ، فقال بعد ذلك الأشَلُّ البكرىّ (٢) : ٨

نَحنَحَ زيدٌ وسَعَلْ لمّا رأى وَقْعَ الأسَلْ
ويلُ آمِّهِ إذا ارتَجَلْ ثمَّ أطالَ واحتَفَلْ

وقد ذكر الشَّاعر زيدَ بنَ جندبٍ الإيادىّ ، الخطيبَ الأزرقىَّ ، فى مرثيتِهِ لأبى دُوَادِ بنِ حَرِيز الإيادى (٣) ، حيثُ ذكره بالخطَابة وضرب المثَلَ بخطباء إياد ، فقال :

كقُسٍّ إياد أو لَقيطِ بن مَعْبِدٍ وعُذْرَةَ والمِنطيقِ زَيدِ بن جُندبِ

وزيدُ بن جندبٌ هو الذى قال فى الاختلاف الذى وقع بين الأزارقة :

قل للمحِلِّين قد قرَّتْ عيونكمُ بفُرقة القومِ والبغضاءِ والهَرَبِ (٤)
كنّا أُناساً على دينٍ ففرَّقَنا طولُ الجِدال وخَلْط الجِدِّ باللعبِ (٥)
ما كان أغنى رجلاً ضلَّ سعيهُم عن الجِدال وأغناهُمْ عن الخُطَبِ
إنِّى لَأَهوَنُكُمْ فى الأرضِ مُضطرَباً مالى سِوى فَرَسى والرُّمحِ مِن نَشَبِ

وأمَّا عُذْرة المذكور فى البيت الأوَّل فهو عُذْرة بن حُجَيرة (٦) الخطيبُ الإيادىّ . ويدل على قَدره فيهم ، وعلى قَدْره فى اللَّسَن وفى الخُطَب ، قولُ شاعرهم :

وأىُّ فَتَى صَبْرٍ على الأينِ والظَّما إذ اعتَصَرُوا لِلُّوح ماءَ فِظاظِها (٧)
إذا ضَرَّجُوها ساعةً بدمائها وحُلَّ عن الكَوْماء عَقْدُ شِظاظِها (٨)

---

(١) له شعر فى الحيوان (٦ : ٢١٩) .

(٢) هـ : « النكرى » .

(٣) فيما عدا ل ، هـ : « بن جرير » تحريف . انظر اللآلى ٧١٨ .

(٤) فيما عدا ل : « قد قرت عيونكم » .

(٥) فيما عدا ل : « قرع الكلام » .

(٦) فيما عدا ل ، هـ « عذرة بن حجرة » .

(٧) اللوح ، بالفتح والضم : العطش . والفظاظ : جمع فظ ، وهو ماء الكرش . وكانوا يعتصرون ماء الكرش إذ عز عليهم الماء فى المفاوز .

(٨) الكوماء : الناقة العظيمة السنام . والشظاظ : العود الذى يدخل فى عروة الجوالق .

فإنّك ضَحّاكٌ إلى كلِّ صاحبٍ وأنْطَقُ من قُسٍّ غَداةَ عُكاظِها

إذا شَغَبَ المَوْلَى مُشاغِبُ مَعْشَرٍ فعُـذْرَةُ فيها آخِـذٌ بكِظَاظِهـا (١)

فلم يضرِب هذا الشّاعرُ الإيادىُّ المثلَ لهذا الخطيبِ الإيادىِّ ، إلاّ
٢٩ برجُلٍ من خُطباء إياد ، وهو قُسُّ بنُ ساعدة . ولم يضرِبْ صاحبُ مرثية أبى دُوَادِ بن حَرِيزٍ الإيادىِّ (٢) المثلَ إلاّ بخطباءِ إيادٍ فقط ، ولم يفتقر إلى غيرهم ، حيث قال فى عُذرة بن حُجَيرة (٣) :

كقُسِّ إيادٍ أو لَقيطِ بن مَعْبَدٍ وعُذْرَةَ والمِنَطيقِ زيدِ بن جُندبِ

وأول هذه المرثيَة قوله :

نعى ابنَ حَرِيز جاهلٌ بمُصابِه فعَمَّ نزاراً بالبُكا والتَّحَوُّبِ (٤)

نعاهُ لنا كاللَّيثِ يحمي عرينَه وكالبَـدْرِ يُعْشِى ضوؤُه كلَّ كوكبِ

وأصْبَرُ من عَوْدٍ وأهْدَى إذا سَرَى من النَّجمِ فى داجٍ من اللّيل غَيْـهَبِ (٥)

وأذْرَبُ من حَدِّ السِّنـانِ لسانُـه وأمْضَى من السَّيفِ الحسام المشطّبِ (٦)

زعيمُ نزارٍ كلِّها وخَطِيبُها إذا قام طاطا رأسَه كلُّ مِشْغَبِ

سليلُ قُرومٍ سادة ثُمَّ قالةٍ يبذّون يومَ الجمع أهل المُحصَّبِ (٧)

كقُسِّ إيادٍ أو لقيطِ بن معبدٍ وعُذْرَةَ والمنطيق زيدِ بن جُندبِ

---

(١) الكظاظ : ممارسة الشدة وملازمتها .

(٢) انظر ما سبق ص ٤٢ . وفيما عدا ل ، هـ : « بن جرير » .

(٣) انظر ما سبق ص ٤٢ . وفيما عدا ل ، هـ : « ابن حجرة » .

(٤) التحوب : البكاء فى جزع وصياح . والبيت فى سمط اللآلئ ٧١٨ .

(٥) العود ، بالفتح : الجمل المسن وفيه بقية . وفى أمثالهم : « زاحم بعود أودع » ، أى استعن على حربك بأهل السن والمعرفة ، فإنّ رأىَ الشيخ خير من مشهد الغلام .

(٦) الذرب : الحدة . والحسام : القاطع . والمشطب : الذى فيه طرائق فى متنه .

(٧) أشير فى هامش ل إلى رواية « ثم قادة » فى نسخة . والمحصب : موضع رمى الجمار بمنى .

فى كلمةٍ له طويلة .. وإيَّاهُم عَنَى الشّاعرُ بقوله :

يرْمُون بالخُطَب الطِّوالِ وتارةً وَحْىَ المَلَاحِظ خيفةَ الرُّقَباءِ[١]

قال : أخبرنى محمَّد بن عبَّاد [٢] بن كاسِب ، كاتبُ زهيرٍ ومولى بَجِيلة من سَبْيِ دابق [٣] ، وكان شاعراً راوية ، وطَلَّابة للعلم عَلَّامة ، قال : سمعت أبا داود بن حَرِيز [٤] يقول وقد جَرى شىءٌ من ذكر الخُطَبِ وتحبيرِ الكلام واقتضابِه ، وصعوبةِ ذلك المَقام وأهوالِهِ ، فقال : « تلخِيص المعانى رِفْقٌ [٥] ، والاستعانة بالغريب عَجْز ، والتَّشادقُ مِن غير أهل البادية بُغْض ، والنَّظَر فى عيون النَّاس عِيّ ، ومَسُّ اللِّحية هُلْك ، والخروجُ مِمَّا بُنِى عليه أوَّلُ الكلام إسهاب » .

قال : وسمعتُه يقول : « رأس الخَطابة الطبْع ، وعَمُودُها الدُّربة ، وجناحاها رواية الكلام ، وحَلْيُها الإعراب ، وبهاؤُها تَخيُّر الألفاظ [٦] . والمحبَّة مقرونةٌ بقلّة الاستكراه » . وأنشدنى بيتاً له فى صفةِ خطباءِ إياد :

يَرمُون بالخُطب الطِّوالِ وتارةً وَحْىَ المَلاَحِظِ خِيفةَ الرُّقَباءِ

فذكر المبسوطَ فى موضعه ، والمحذوفَ فى موضعه ، والموجز ، والكنايةَ والوحْىَ باللَّحظِ ودَلالة الإشارة . وأنشدنى له الثِّقة فى كلمةٍ له معروفة :

الجودُ أخْشَنُ مسًّا يابنى مَطَرٍ مِنْ أن تَبُزَّكُموه كَفُّ مستلِبِ[٧]
ما أعْلَمَ النَّاسَ أنّ الجودَ مَدْفَعةٌ للذّمّ لكنَّه يأتِى على النَّشَبِ

---

(١) عنى بالملاحظ العيون ، لحظه لحظا : نظره بمؤخر عينه . والبيت منسوب إلى أبى دواد بن حريز . وهو بهذه النسبة فى زهر الآداب (١ : ٩٦) .

(٢) هـ : « عتاب » .

(٣) دابق ، بكسر الباء ، وروى بفتحها : قرية قرب حلب .

(٤) فيما عدا ل : « جرير » . وانظر ما مضى ص ٤٢ .

(٥) التلخيص : التبيين والشرح والتقريب .

(٦) فيما عدا ل : « اللفظ » .

(٧) بنو مطر : رهط معن بن زائدة الشيبانى ، الجواد المعروف . وابن أخيه يزيد الشيبانى الممدوح بالكرم والشجاعة . انظر أخبارهما فى وفيات الأعيان وغيرها . بَزَّه الشئَ : استلبه منه .

قال : ثمَّ لم يحفِل بها ، فادَّعاها مسلمُ بن الوليد الأنصاريّ ، أو ادُّعِيَت له . وكان أحدَ مَن يجيد قريضَ الشِّعر وتحبيرَ الخطب [١] .

وفى الخطباء مَن يكون شاعراً ويكونُ إذا تحدَّث أو وصَف أو احتجَّ بليغاً مفوَّهاً بيِّنا ، وربما كان خطيباً فقطْ ، وبيِّن اللسان فقط .

فمن الخطباء الشعراء ، الأبيناءِ الحكماء : قُسُّ بن ساعِدة الإياديّ . والخطباءُ كثيرٌ ، والشعراء أكثَرُ منهم ، ومن يجمع الشِّعرَ والخطابةَ قليل .

ومنهم : عمرو بن الأهتم المِنْقَرى ، وهو المُكَحَّل ، قالوا : كأنَّ شِعره فى مجالس الملوك حُلَلٌ منشورة [٢] . قيل لعمر بن الخطاب رحمه الله : « قيل للأوسيّةِ : أىُّ منظرٍ أحسن ؟ فقالت : قصورٌ بيضٌ فى حدائقَ خُضْر » ، فأنَشد عند ذلك عمرُ بن الخطاب ، بيتَ عدىّ بن زيدٍ العِبَادِىّ :

كَدُمَى العاج فى المحاريب أو كالـ ... ـبَيض فى الرَّوض زَهْرُهُ مُسْتَنِيرُ

قال : فقال قَسامة بن زُهير [٣] : « كلام عَمرِو بنِ الأهتم آنَقُ ، وشعره أحسن » . هذا ، وقَسامة أحدُ أبيناء العرب .

ومن الخطباء الشعراء : البَعِيث المُجاشِعىّ ، واسمه خِداش بن بِشْر بن بَيْبَة [٤] .

ومن الخطباء الشعراء : الكُمَيْتُ بن زيدٍ الأسدى [٥] ، وكنيته أبو المستَهلّ .

---

(١) فيما عدا ل ، هـ : « الكلام » .

(٢) هـ : « منشرة » .

(٣) قسامة بن زهير المازنى ، له إدراك ، وكان ممن افتتح الأبلة مع عتبة بن غزوان ، وكان رأسا فى تلك الحروب . مات بعد الثمانين . الإصابة ٧٢٨٠ .

(٤) فى المؤتلف ٥٦ ، أنه خداش بن بشر بن خالد بن بيبة بن قرط بن سفيان بن مجاشع . دخل بين جرير وغسان السليطى ، وأعان غسان ، فلج الهجاء بينه وبين جرير والفرزدق ، وسقط البعيث . فيما عدا ل : « لبيد » بدل « بيبة » تحريف .

(٥) من يقال له الكميت من الشعراء ثلاثة ، كلهم أسدى ، من بنى أسد بن خزيمة . وأعرفهم وأشهرهم الكميت بن زيد ، وكان مكثرا جداً ، يتعمل لإدخال الغريب فى شعره ، وله فى أهل البيت الأشعار المشهورة ، وهى أجود شعره . وهذا الكميت هو الكميت الأصغر =

ومن الخطباء الشعراء : الطِّرِمَّاح بن حَكِيم الطائىّ (١) ، وكنيته أبو نَفْرٍ قال القاسم بن مَعْن : قال محمَّد بن سهلٍ راويةُ الكميت : أنشدتُ الكميت قولَ الطرِمّاح :

إذا قُبِضت نَفْسُ الطِّرِمّاحِ أُخلَقَتْ عُرَى المَجْد واسترْخَى عِنانُ القَصائِدِ

قال : فقال الكميت : إى واللهِ ، وعِنان الخَطابة والرِّواية .

وقال أبو عثمان الجاحظ : ولم يَرَ الناسُ أعجبَ حالاً من الكُميتِ والطرِمّاح . وكان الكميتُ عدنانيًّا عصبيًّا ، وكان الطرِمّاح قحطانيا عَصَبيًّا . وكان الكميت شِيعيًّا من الغالية ، وكان الطرِمَّاح خارجيًّا من الصُّفْرِيّة . وكان الكميت يتعصَّب لأهل الكوفة ، وكان الطرِمَّاح يتعصب لأهل الشام . وبينهما مع ذلك من الخاصَّة والمخالَطة مالم يكن بين نَفْسَينِ قطّ ، ثم لم يَجْر بينهما صُرمٌ ولا جَفْوةٌ ولا إعراض ، ولا شىء مما تدعو هذه الخصالُ إليه . ولم يَرَ الناسُ مثلَهما إلا ماذكروا من حالِ عبد الله بن يزيد الإباضى (٢) ،وهِشام بن الحكَم الرافضى (٣) ؛ فإنّهما صارا إلى المشارَكة بعد الخِلْطة والمصاحبة (٤).

= وأما الأكبر فهو الكميت بن ثعلبة ، أحد الشعراء المخضرمين ، وهو جد الكميت الأوسط : الكميت بن معروف بن الكميت بن ثعلبة ، شاعر مخضرم أيضاً . انظر المؤتلف ١٨٠ والمرزبانى ٣٤٧ .

(١) الطرماح بن حكيم : شاعر إسلامى من شعراء الدولة الأموية ، مولده ومنشؤه بالشام ، ثم انتقل إلى الكوفة مع من وردها من جيوش أهل الشام فاعتقد مذهب الشراة والأزارقة ، وكان فصيحا يكثر فى شعره الغريب . قال محمد بن حبيب : سألت ابن الأعرابى عن ثمانى عشرة مسألة كلها من غريب شعر الطرماح فلم يعرف واحدة منها . انظر الشعراء لابن قتيبة والأغانى (١٠ : ١٤٨) والخزانة (٣ : ٤١٨) .

(٢) فيما عدا ل : « بن زيد الإباضى » .

(٣) هشام بن الحكم : صاحب مذهب الهشامية ، وهم فرقة من الغالية عند الشهرستانى ، ومن المشبهة عند الخوارزمى فى مفاتيح العلوم ٢٠ ، ومن الإمامية الرافضة عند صاحب الفرق . وكان يقول بالتجسيم والتشبيه . وآراؤه مفصلة فى الفرق ٤٧ ــ ٥٣ والملل والنحل (٢ : ٢١ ــ ٢٣) . وانظر الحيوان (٣ : ١١) .

(٤) الخلطة ، بالكسر : العشرة ؛ وبالضم : الشركة .

وقد كانت الحال بين خالِد بن صَفْوانَ وشبيبِ بن شيبةَ ، الحالَ التى تدعو إلى المفارَقة بعد المنافسة والمحاسَدة ؛ للذى اجتمع فيهما من اتِّفاق الصِّناعة والقَرابة والمجاورة ، فكان يُقال : لولا أنهما أحكمُ تميمٍ لتبايَنَا تبايُنَ الأُسْدِ والنُّمْر . وكذلك كانت حالُ هشامِ بن الحكم الرَّافضىّ ، وعبد الله بن يزيد الإباضىّ [١] ، إلا أنهما أفْضَلا [٢] على سائر المتضادِّين ، بما صارا إليه من الشِّرْكةِ فى جميع تجارَتِهما . وذكر خالدُ بنُ صفوانَ شبيبَ بنَ شيبة فقال : « ليس له صديقٌ فى السِّرّ ، ولا عدوٌّ فى العلانِيَة [٣] » ، فلم يعارِضْه شبيب . وتدلُّ كلمةُ خالدٍ هذه على أنه يُحسِن أن يسُبَّ سَبَّ الأشراف .

٣٢ ومن الشعراء الخطباء : عِمْرانُ بن حِطَّانَ ؛ وكنيته أبو شهاب ، أحدُ بنى عمرو بن شيبانَ إخوةِ سَدُوس .

فمن بنى عمرِو بن شيبانَ مع قِلّتهم من الخطباء والعلماء والشعراء: عِمرانُ بن حِطّانَ رئيسُ القَعَدِ من الصُّفْرِيَّة ، وصاحبُ فُتْياهم ، ومَفْزَعُهم عند اختلافهم .

ومنهم : دَغْفَل بن حنظلةَ النَّسَّابةُ ، الخطيب العلّامة . ومنهم القَعقاع بن شَوْر [٤] . وسنذكُر شأنَهم إذا انتهَينا إلى موضع ذكرِهم إن شاء الله .

ومن الخطباء الشعراء: نصر بن سَيّار [٥]،أحد بنى لَيث بن بكر، صاحب

---

(١) فيما عدا ل ، هـ : « بن زيد » . وانظر ما سبق ص ٤٦ .

(٢) فيما عدا ل ، هـ : « فضلا » وهما سيان ، يقال فضل كنصر وعلم ، وأفضل عليه وعنه ، أى زاد .

(٣) الخبر فى الحيوان (٥ : ٥٩٢) وعيون الأخبار (٣ : ٧٣) والعقد (٢ : ٢٧١) وسيأتى فى ٣٤٠ .

(٤) شور ، بفتح الشين المعجمة . وفى القاموس أن القعقاع بن شور تابعى . وترجم له فى لسان الميزان (٤ : ٤٧٤) ، وقال : من كبار الأمراء فى دولة بنى أمية . وفيه يقول الشاعر :

وكنت جليس قعقاع بن شور ولا يشقَى بقعقاع جليس

(٥) نصر بن سيار : أمير من الدهاة الشجعان ، كان أمير خراسان سنة ١٢٠،ولاه هشام بن عبد الملك . ثم غزا ماوراء النهر ففتح حصوناً وغنم كثيراً ، وأقام بمرو . وقد انتبه إلى استفحال الدعاوة العباسية ، فكتب إلى بنى مروان بالشام فلم يأبهوا بالخطر ، وظل يكافح حتى عجز وتغلب أبو مسلم على خراسان ، فخرج نصر من مرو إلى قومس ، واستمر فى كفاحه إلى أن لحقه المرض فى مفازة بين الرى وهمذان . ومات بساوة سنة ١٣١ .

خراسان . وهو يُعَدُّ فى أصحاب الوِلايات والحروب ، فى التدبير ، وفى العَقل وشِدَّة الرأى

ومن الخطباء الشعراء العلماء : زيد بن جُندب الإيادىّ ، وقد ذكرنا شأنه (١) .

ومن الخطباء الشعراء : عَجلانُ بن سَحْبانَ الباهلىّ ؛ وسحبانُ هذا هو سحبانُ وائلٍ ، وهو خطيب العرب .

ومن الخطباء الشعراء العلماء ، وممن قد تنافر إليه الأشراف : أعشى هَمْدَان .

ومن الشعراء الخطباء : عِمران بنُ عِصام العَنَزىّ (٢) ، وهو الذى أشار على عبد المَلِك بخلْع عبد العزيز أخيه ، والبيعةِ للوليد بن عبد الملك ، فى خطبته المشهورة وقصيدته المذكورة . وهو الذى لمّا بلغ عبدَ الملك بن مروان قَتْلُ الحجَّاج له قال : ولِمَ قَتَله ، ويْله ؟ ألاَ رَعَى له قولَه فيه :

وبَعثْتَ من وَلَد الأغرِّ مُعَتِّبٍ ... صَقراً يلوذُ حمامُه بالعَرْفجِ (٣)

فإذا طبخْتَ بنارِهِ أنْضَجْتَها ... وإذا طَبَخْتَ بغيرها لم تَنْضَجِ

وهو الهِزَبْـرُ إذا أرادَ فَرِيسةً ... لم يُنْجِها منه صِياحُ مُهَجْهِجِ (٤)

---

(١) انظر ما سبق ص ٤٢ .

(٢) عمران بن عصام العنزى : شاعر خطيب ذو لسان وذو جلد وشجاعة ، عرفه الحجاج فبعثه إلى عبد الملك بن مروان لينزع الولاية من أخيه عبد العزيز بن مروان ، ويجعلها لابنه الوليد بن عبد الملك ، فقام بذلك ، ولم يلبث عبد العزيز إلا ستة أشهر حتى مات . فلما كان زمان ابن الأشعث خرج عمران بن عصام معه على الحجاج ، فأتى به حين قتل ابن الأشعث فقتله . الأغانى (١٦ : ٥٨ ــ ٥٩) . والعنزى : نسبة إلى عنزة ، بالتحريك ، إحدى قبائل بنى أسد . فيما عدا ل ، هـ : «العرنى» تحريف . وهو معدود فى رجال عنزة . انظر الاشتقاق ١٦٩ ، والطبرى (٧ : ٢٥) .

(٣) معتب ، بكسر التاء المشددة : جد من أجداد الحجاج بن يوسف بن الحكم بن عقيل بن مسعود بن عامر بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن قسى ، وهو ثقيف .

(٤) هجهج بالسبع : صاح به وزجره . ما عدا هـ : « المجهج » ، تحريف .

ومن خطباء الأمصار وشعرائهم والمولَّدين منهم : بَشّارٌ الأعمى ، وهو بشارُ بن بُرْد ، وكنيته أبو مُعاذ ، وكان من أحد موالى بنى عُقَيل . فإن كان مولى أُمِّ الظِّباء على ما يقول بَنُو سَدوس ، وعلى ما ذكره حَمَّادُ عَجْرَدٍ ، فهو من موالى بنى سَدوس . ويقال إنه من أهلِ خراسانَ نازلاً فى بنى عُقيل . وله مديحٌ كثيرٌ فى فُرسانِ أهلِ خُراسانَ ورِجالاتهم . وهو الذى يقول : ٣٢

من خُراسانَ وبيتى فى الذُّرَى ... ولَدَى المَسعَاة فَرْعِى قد بَسَقْ

وقال :

وإنِّى لمِنْ قَوْمٍ خُراسانُ دارُهم ... كرامٍ وفَرْعِى فيهمُ ناضِرٌ بَسَقْ

وكان شاعراً راجزاً ، وسجَّاعاً خطيباً ، وصاحب منثورٍ ومزدَوِج . وله رسائلُ معروفة .

وأنشد عُقْبةُ بنُ رؤبة ، عقبةَ بن سَلْم (١) ، رجزاً يمتدحه به ، وبشارٌ حاضر ، فأظهرَ بشارٌ استحسانَ الأُرجوزة ، فقال له عقبةُ بن رؤبة : هذا طراز يا أبا مُعاذٍ لاتُحسِنُه . فقال بشّار : أَلِمِثْلِى يُقال هذا الكلام ؟ أنا واللهِ أرجَزُ منك ومِن أبيكَ ومن جَدِّك . ثم غدا عَلَى عُقبةَ بنِ سَلْمٍ بأرجوزته التى أوّلها :

يا طَلَلَ الحىِّ بذاتِ الصَّمْدِ ... باللهِ خبِّر كيف كُنتَ بَعْدِى

وفيها يقول :

اسْلَمْ وحُيِّيتَ أبا المِلَدِّ ... للهِ أيامُك فى مَعَدِّ

وفيها يقول :

---

(١) عقبة بن سلم ، قال ابن دريد فى الاشتقاق ٢٩٢ : « ومن بنى هناءة فى الإسلام : عقبة بن سلم ، صاحب دار عقبة بالبصرة ، ابن نافع بن هلال بن أهبان بن هراب بن عائذ بن خنزير بن أسلم بن هُناءة » . والخبر مفصل فى الأغانى (٣ : ٣٦ — ٣٧) وزهر الآداب (٢ : ١٢١) .

الحُرُّ يُلحَى والعصا للعَبْد وليس للمُلْحِفِ مِثْلُ الرَّدِّ

وفيها يقول :

وصاحبٍ كالدُّمَّلِ المُمِدِّ حَمَلتُه فى رُقْعةٍ من جِلْدِى

* وما دَرى ما رَغبتِي من زُهْدى *

أى لم أُرِهِ زُهداً فيه ولا رغبةً (١) . ذهب إلى قول الأغَرّ الشاعر (٢) :

لقد كنتَ فى قومٍ عليكَ أشِحَّةٍ بنفسك ، لولا أنّ مَن طاح طائحُ

يَوَدُّون لو خاطُوا عليكَ جُلودَهُمْ وهَلْ يدفَع الموتَ النّفُوسُ الشحائحُ (٣)

* * *

والمطبوعون على الشعر من المولَّدين بشارٌ العُقيليّ ، والسَّيِّد الحِمْيرىّ ، وأبو العتاهية ، وابن أبى عُيَيْنة (٤) . وقد ذكر الناسُ فى هذا الباب يَحيى بن نوفلٍ ، وسَلْماً الخاسرَ ، وخَلَفَ بن خليفة (٥) . وأبانُ بنُ عبد الحميدِ اللاحقىُّ أَوْلى بالطّبع من هؤلاء ، وبشّارٌ أطبَعُهم كلِّهم .

---

(١) قال أبو الفرج : وذكر لى أبو دلف هاشم بن محمد الخزاعى هذا الخبر عن الجاحظ ، وزاد فيه الجاحظ قال : فانظر إلى سوء أدب عقبة بن رؤبة وقد أجمل بشار محضره وعشرته ، فقابله بهذه المقابلة القبيحة » .

(٢) كلمة « الأغر » من ل فقط . وفى المؤتلف ص ٤٠ شاعران من بنى يشكر بن وائل ، يقال لكل منهما « الأغر » .

(٣) انفردت ل بهذه الرواية وكتب فيها فوق « هل » : « لا » إشارة إلى أنهما روايتان . وفيما عدا ل وكذا زهر الآداب (٢ : ١٢١) : « ولا » .

(٤) هو أبو عيينة بن محمد بن أبى عيينة بن المهلب بن أبى صفرة ، من شعراء الدولة العباسية وساكنى البصرة ، أنفد أكثر أشعاره فى هجاء ابن عمه خالد . انظر الأغانى (١٨ : ٨ — ٢٩) .

(٥) من شعراء الحماسة ، وكان يقال له « الأقطع » لأنه قطعت يده فى سرقة ، فاستعاض عنها بأصابع من جلود ، وكان من معاصرى جرير والفرزدق ، دخل يوماً على يزيد بن عمر بن هبيرة ، فى يوم مهرجان ، وقد أهديت له هدايا وهو يفرقها فى الناس ، وكان إذ ذاك أميراً على العراق ، فوقف ثم قال :

كأنا شماميس فى بيعة تقسَّس فى بعض عيداتها

وقد حضرت رسل المهرجان وصفُّوا كريم هَدَايــاتها

=

ومن الخطباء الشعراء ومَن يؤلِّف الكلامَ الجيِّدَ ، ويصْنَع المناقلاتِ الحسانَ ويؤلِّف الشعر والقصائدَ الشريفة ، مع بيانٍ عجيبٍ ورواية كثيرة ، وحُسْن دَلٍّ وإشارة : عيسى بن يزيد بن دأْب ، أحد بنى ليث بن بكر ، وكنيته أبو الوليد .

ومن الخطباء الشعراء ممن كان يجمع الخَطابةَ والشِّعرَ الجيّدَ والرسائلَ الفاخرة مع البيان الحسن : كلثوم بن عمرو العَتَّابىّ ، وكنيته أبو عمرو ، وعلى ألفاظِه وحَذْوه ومثاله فى البديعِ يقولُ جميعُ من يتكلَّف مِثلَ ذلك من شعراء المولَّدين ، كنحو مَنْصُورٍ النَّمَرى ،ومسلم بن الوليد الأنصارىّ وأشباهِهما .

وكان العتابىٌّ يحتذِى حَذْوَ بشَّار فى البديع . ولم يكن فى المولَّدين أصوبُ بديعاً من بشَّارٍ ، وابن هَرْمة .

والعتابىُّ من ولد عمرو بن كلثوم ، ولذلك قال :

إنِّى امرؤٌ هدَمَ الإقتارُ مأثرَتِى ... واجتاحَ مابَنَتِ الأيامُ من خَطرِى
أيَّامَ عمرِو بنَ كلثوم يسوِّدُه ... حَيًّا ربيعةَ والأفناءُ من مُضَرِ (١)
أُرومةٌ عطَّلتْنِى مِن مكارِمِها ... كالقَوس عَطَّلها الرَّامى مِن الوتَرِ

ودَلَّ فى هذه القصيدة على أنَّه كان قصيراً بقوله (٢) :

نَهَى ظِرَافَ الغَوانِى عن مُواصَلتى ... ما يفجأُ العينَ من شَيبى ومن قِصَرى

* * *

= علوت برأسى فوق الرءوس ... وأشخصته فوق هاماتها
لأكسب صاحبتى صحفة ... تغيظ بها بعض جاراتها

وكان بين يديه جامات من ذهب وفضة ، فأمر له منها بعشرين جاما ، وأقبل يقسم الباقىَ ويقول :

لا تبخلنَّ بدنيا وهى مقبلة ... فليس ينقصها التبذير والسرف
وإن تولت فأحرى أن تجود بها ... فليس تبقى وباق شكرها خلف

انظر الشعراء لابن قتيبة .

(١) الأفناء : الأخلاط من القبائل ، واحدها فنو ، بالكسر ، وفنا ، كعصا .

(٢) هـ : « قولُه » .

ومن الخطباء الشعراء الذين قد جَمعُوا الشِّعر والخطبَ ، والرسائلَ الطِّوالَ والقِصارَ ، والكتبَ الكبارَ المخلدة (١) ، والسِّيَر الحِسانَ المدوَّنة ، والأخبارَ المولَّدة : سَهلُ بن هارون بن راهَيونى (٢) الكاتب ، صاحب كتاب ثُعلة وعُفرة ، فى معارضة كتاب كليلة ودمنة ، وكتاب الإخوان (٣) وكتاب المسائل ، وكتاب المخزوميّ والهذلية ، وغير ذلك من الكتب .

ومن الخطباء الشعراء : علىّ بن إبراهيم بن جَبلَة بن مَخْرَمة ، ويُكنى أبا الحسن (٤) . وسنذكر كلام قُسّ بن ساعدة وشأن لَقيط بن معبد ، وهند بنت الخُسّ ، وجُمعة بنت حابس ، وخطباء إياد ، إذا صِرْنا إلى ذكر خطباء القبائل إن شاء الله .

ولإيادٍ وتميمٍ فى الخُطب خَصلةٌ ليست لأحدٍ من العرب ؛ لأنّ رسولَ الله ﷺ هو الذى رَوَى كلامَ قُسٍّ بن ساعدةَ وموقفَه على جمله بعُكاظ وموعظتَه ، وهو الذى روَّاهُ لقريشٍ والعرب ، وهو الذى عَجَّبَ من حُسْنه وأظْهَر من تصويبه . وهذا إسنادٌ تعجز عنه الأمانى ، وتنقطع دونه الآمال . وإنما وفَّق الله ذلك الكلامَ لقُسٍّ بن ساعدةَ لاحتجاجه للتوحيد ، ولإظهاره معنى الإخلاص وإيمانه بالبَعْث . ولذلك كان خطيبَ العرب قاطبةً .

---

(١) فيما عدا ل ، هـ : « المجلدة » .

(٢) فيما عدا ل ، هـ : « راهيبونى » وقد ضبطت الهاء فى هـ بالفتح والكسر معا . وفى الفهرست ١٠ ليبسك « راهيون » . وسهل بن هارون ، نسبته إلى دستميسان ، كورة بين واسط البصرة والأهواز . كان سهل متحققا بالمأمون ، وصاحب بيت الحكمة ، وهو فارسى الأصل ، شعوبى المذهب ، شديد العصبية على العرب ، وله فى ذلك كتب كثيرة . عمل للحسن بن سهل رسالة يمدح فيها البخل ويرغبه فيه ويستميحه فى خلال ذلك ، فأجابه الحسن بكلام جاء فيه : « قد مدحت ما ذمه الله وحسنت ما قبحه الله ، وما يقوم بفساد معناك صلاح لفظك ، وقد جعلنا ثواب مدحك فيه قبول قولك فما نعطيك شيئا » . انظر الفهرست ١٢٠ ليبسك و ١٧ مصر وسرح العيون بهامش لامية العجم (١ : ٢٦١ — ٢٧٢) .

(٣) عند ابن النديم « كتاب اسباسيوس فى اتخاذ الإخوان » .

(٤) فيما عدا ل : « ولا أعلمه يكنى إلا أبا الحسن » .

وكذلك ليس لأحدٍ فى ذلك مثلُ الذى لبنى تميم ؛ لأنّ النبىَّ عليه السلام لما سأل عمرَو بنَ الأهتمِ عن الزِّبرقان بن بدر (١) قال : « مانعٌ لحَوْزتِه ، مطاعٌ فى أَدْنَيه (٢) » . فقال الزّبرقان : « أما إنّه قد علِمَ أكثر ممَّا قال ، ولكنّه حسَدنى شرفى » . فقال عمرو : « أمَا لئنْ قال ما قال فوالله ما علمتُه إلاّ ضَيِّق الصدر (٣)، زَمِرَ المروءة (٤) لئيمَ الخال ، حديث الغِنَى » ، فلما رأى أنه خالف قولُه الآخرُ ، قولَه الأوّل ، ورأى الإنكار فى عَيْنَىْ رسول الله قال : « يارسول الله ، رضيتُ فقلتُ أحسنَ ما علمتُ ، وغضِبتُ فقلتُ أقبَحَ ماعلِمتُ ؛ وما كذَبْتُ فى الأولى ولقد صدَقْتُ فى الآخِرة » . فقال رسول الله ﷺ عند ذلك : « إنّ من البيان لسِحْرا » .

فهاتان الخَصلتان خُصَّت بهما إيادٌ وتميم ، دون جميع القبائل (٥) .

ودخل الأحنفُ بنُ قيسٍ على معاويةَ بنِ سفيان ، فأشار له إلى الوِساد فقال له : اجلِسْ . فجلس على الأرض ، فقال له معاوية : ومامنعك يا أحنَفُ مِن الجلوس على الوِساد ؟ فقال : يا أميرَ المؤمنين ، إنّ فيما أوصى به قيسُ بنُ عاصمٍ

---

(١) عمرو بن الأهتم ، هو عمرو بن سنان بن سمى التميمى ، والأهتم لقب أبيه سنان . وفد عمرو إلى رسول الله فى وفد تميم ، وكان سيداً خطيباً شاعراً . انظر الإصابة ٥٧٦٥ ومعجم المرزبانى ٢١٢ . والزبرقان بن بدر ، هو الحصين بن بدر ، ولقب الزبرقان لحسن وجهه . وهو وعمرو بن الأهتم ممن نادوا الرسول الكريم من وراء الحجرات حين وفدوا فى بنى تميم ، وله شعر فى كتاب الحيوان (٣ : ١٠٣ / ٦ : ٩٨) والسيرة ٩٣٥ جوتنجن . وانظر الإصابة ٢٧٧٦ والمعارف ٣٦ ، ١٣١ والمؤتلف ١٢٨ وزهر الآداب (١ : ٦ — ٧) .

(٢) فيما عدا ل ، هـ : « أذنيه » تحريف . ويروى : « مطاع فى عشيرته » . وانظر القصة فى زهر الآداب (١ : ٥) ولباب الآداب ٣٥٤ — ٣٥٥ وأول أمثال الميدانى .

(٣) فى زهر الآداب والأمثال : « ضيق العطن » . والعطن : مناخ الإبل حول الماء ، وهو كناية عن البخل .

(٤) زمر المروءة : قليلها ، يقال هو زمر بين الزمارة والزمورة . وفى زهر الآداب : « زمن » محرف .

(٥) فيما عدا ل ، هـ : « دون سائر القبائل » .

المِنقرىُّ وَلَدَه أنْ قال : « لا تَغْشَ السُّلطانَ حتَّى يَمَلَّك ، ولا تقطعه حتَّى ينساك ، ولا تجلس له على فِراشٍ ولا وِساد ، واجعلْ بينك وبينه مجلِسَ رجلٍ أو رجُلين ؛ فإنَّه عسى أن يأتِيَ مَن هو أولى بذلك المجلس منك فتُقامَ له ، فيكونَ قيامُك زيادةً له ، ونُقصاناً عليك (١) » . حَسْبِى بهذا المجلس يا أمير المؤمنين ، لعلَه أن يأتىَ مَن هو أولى بذلك المجلس منِّى ؛ فقال معاوية : « لقد ٦
أُوتِيَتْ تميمٌ الحِكمَة ، مع رِقَّة حواشى الكلِمِ (٢) » . وأنشأ يقول :

يأيُّها السائلُ عَمَّا مضى … وعِلْمِ هذا الزَّمنِ العائِبِ (٣)
إن كنتَ تبغِى العلمَ أو أهلَه … أو شاهداً يُخْبِرُ عن غائِبِ
فاعتبرِ الأَرضَ بسُكَّانها … واعتبر الصَّاحبَ بالصَّاحبِ

* * *

وذهبَ الشاعرُ فى مرثِيَة أبى دُؤادٍ فى قوله :

وأصبَرَ من عَوْدٍ وأهدَى إذا سَرَى … من النَّجمِ فى داجٍ من الليل غَيهَبِ (٤)

إلى شبيهٍ بقول جبَّارِ بن سُلْمَى (٥) بن مالك بن جعفر بن كِلَاب ، حين وقَفَ على قبر عامرِ بن الطُّفيل فقال : « كان واللهِ لا يضلُّ حتَّى يضلَّ النَّجم ، ولا يعطَش حتَّى يعطَشَ البعير ، ولا يَهابُ حتَّى يهابَ السَّيل ، وكان واللهِ خيرَ ما يكونُ حين لا تَظُنُّ نفسٌ بنفسٍ خيراً (٦) » .

---

(١) فيما عدا ل : « ونقصا عليك » .

(٢) فيما عدا ل : « الكلام » .

(٣) ل ، هـ : « العاتب » .

(٤) انظر ما سبق ص ٤٣ س ١١ .

(٥) سلمى ، بضم السين ، وقيل بفتحها ، كما نص ابن حجر فى الإصابة ١٠٥١ . ب : « سليمان » تحريف . وجبار ، أحد الصحابة الفرسان ، أسلم بعد وقعة بئر معونة ، لسبب طريف ، بعد ما كان شديد العداوة للمسلمين . انظر السيرة ٦٥٠ ، ٩٣٩ جوتنجن .

(٦) انظر الحيوان (٣ : ٤٨١) وشروح سقط الزند ٥٠٠ . هـ : « ما كان يكون » .

وكان ريدُ بن جندبٍ أشْغَى أفلح [١] ، ولولا ذلك لكان أخطبَ العربِ قاطبةً . وقال عَبِيدة بن هلال اليشكُرىّ [٢] فى هجائه له :

أشْغَى عَقَنْباةٌ ونابٌ ذو عَصَل [٣] وقَلَحٌ بادٍ وسِنٌّ قد نَصَلْ [٤]

وقال عَبِيدة أيضاً فيه :

ولَفُوك أشْنَعُ حين تنطِقُ فاغراً مِن فِي قريحٍ قد أصاب بَرِيرَا [٥]

وقد قال الكميت :

تُشبَّه فى الهام آثارُهـا مَشافرَ قَرْحَى أكَلْنَ البريرا [٦]

وقال النَّمرُ بنُ تولَبٍ فى شُنْعة أشداق الجمَل :

كم ضَرْبةٍ لك تَحْكِى فا قُرَاسِيَةٍ من المَصَاعب فى أشداقه شَنَعُ [٧]

القُراسِيَةُ : بعيرٌ أضجَم [٨] . والضَّجَم : اعوجاجٌ فى الفم ، والفَقَم مثلُه . والرَّوَق : ركوبُ السنِّ الشّفَة .

وفى الخطباء مَن كان أشغَى ، ومن كانَ أشدَق ، ومن كان أرْوَق ، ومن كان أضْجَم ، ومن كان أفقم . وفى كلٍّ ذلك قد روينا الشاهد والمثل .

---

(١) الشغا : اختلاف نِبتة الأسنان بالطول والقصر ، والدخول والخروج . والفلَح : شق فى الشفة العليا ، فإذا كان فى العليا فهو عَلَم . ل : « أفلج » بالجيم ، تحريف .

(٢) ذكره الآمدى فى المؤتلف ١٥٤ . وفى الاشتقاق ٢٠٧ : « ومنهم عبيدة بن هلال ، كان مع قطرى بن الفجاءة ثم ولى بعده أمر الخوارج . وهو الذى يقول فى حصارهم لما حاصرهم سفيان بن الأبرد الكلبى :

إلى الله أشكو ما نرى من جيادنا تساوك هزلى مخهن قليل »

(٣) العقنباة : العقاب الحديدة المخالب . والعصل : الالتواء .

(٤) ل : « وفلج » تحريف . نصل : خرج وظهر .

(٥) القريح : المصاب بالقرحة ، فيهدل لذلك مشفره . والبرير : الأول من ثمر الأراك .

(٦) عجز البيت فى الحيوان (٣ : ٣١٠/ ٦ : ٤١٢) .

(٧) المصاعب : جمع مصعب ، وهو الفحل . وانظر الحيوان (٣ : ٣١٠) . والتفسير التالى ساقط من هـ .

(٨) الذى فى المعاجم أنه البعير الضخم الشديد .

وروى الهيثمُ بن عدى (١) عن أبى يعقوبَ الثّقفىّ ، عن عبد الملك بن عُمير (٢)، قال : قدِم علينا الأحنفُ بنُ قيسٍ الكوفةَ ، مع المُصعَب بن الزبير ، فما رأيتُ خَصلةً تُذَمّ فى رجلٍ إلّا وقد رأيتُها فيه : كان صَعْل الرأس أحجَنَ الأنف ، أغضَفَ الأذن (٣) ، متراكِب الأسنان ، أشدَق (٤) ، مائل الذَّقن ، ناتىء الوَجْنة ، باخق العين (٥) ، خفيف العارضَين ، أحنفَ الرِّجلين ، ولكنّه كان إذا تكلَّم جلّى عن نفسه .

ولو استطاع الهيثمُ أن يمنَعه البيانَ أيضاً لمنَعه . ولولا أنّه لم يجد بداً من أن يجعل له شيئاً على حالٍ لَمَا أقرّ بأنه إذا تكلَّم جلّى عن نفْسه (٦) .

وقوله (٧) فى كلمتِه هذه كقول هند بنت عُتبة ، حين أتاها نَعِىُّ يزيدَ بن أبى سفيان ، فقال لها بعض المعَزِّين : إنّا لنرجو أنْ يكونَ فى معاويةَ خلفٌ من يزيد ، فقالت هند : « ومثلُ معاويةَ لا يكونُ خلَفاً من أحد ، فوالله أنْ لو جُمِعت العربُ من أقطارها ثم رُمِى به فيها ، لخَرَج من أىٍّ أعراضِها شاء » . ولكنّا نقول : ألمثل الأحنف يقال : « إلا أنّه كان إذا تكلَّمَ جلَّى عنْ نَفْسه » ؟

* * *

(١) هو أبو عبد الرحمن الهيثم بن عدى الأخبارى ، كان ممن جالس المنصور والمهدى والهادى ، وفيه يقول أبو نواس :

إذا نسبت عديا فى بنى ثعل ... فقدم الدال قبل العين فى النسب

وله تصانيف كثيرة . ولد قبل ١٣٠ وتوفى سنة سبع ومائتين . ابن خلكان .

(٢) هو عبد الملك بن عمير بن سويد بن حارثة القرشى ــ ويقال الفَرَسىّ ــ أبو عمرو الكوفى ، المعروف بالقبطى ، روى عن الأشعث بن قيس ، وجابر بن سمرة ، والمغيرة ، والنعمان بن بشير ، وعنه: ابنه موسى ، وشهر بن حوشب ، والأعمش ، توفى سنة ١٣٦ . انظر تهذيب التهذيب .

(٣) صعل الرأس : دقيقه . أحجن : مقبل الروثة نحو الفم . أغضف ، مسترخ .

(٤) الأشدق : الواسع الشدق المائله .

(٥) البخق : أن تخسف العين بعد العور .

(٦) هذه الفقرة ليست فى ل . والكلام فى الخبر لعبد الملك بن عمير ، لا الهيثم بن عدى .

(٧) فى النسخ : « وقولنا » .

ثم رجَع بنا القول إلى الكلام الأوَّلِ فيما يعترى اللِّسانَ من ضُروب الآفات . قال ابنُ الأعرابىّ : طلّق أبو رَمادة (١) امرأتَه حين وجدَها لثغاء ، وخاف أن تجيئه بولدٍ ألثغ ، فقال :

لثَغاء تأتى بِحِيَفْسٍ ألثغ   تَميسُ فى المَوْشِىّ والمصبَّغِ

الحِيَفْس : الولد القصير الصغير (٢) .

وأنشدنى ابنُ الأعرابىّ كلمةً جامعةً لكثير من هذه المعانى،وهى قول الشاعر:

اسكُتْ ولا تَنطِقْ فأنتَ حَبْحابْ (٣)   كلُّك ذو عيبٍ وأنت عَيَّـابْ
إنْ صدَق القـومُ فأنت كذّاب   أو نطَقَ القومُ فأنتَ هيَّـابْ
أو سكَتَ القومُ فأنت قَبْقَابْ (٤)   أو أقدموا يوما فأنت وجَّاب (٥)

وأنشدنى فى هذا المعنى أيضاً :

ولست بِدُمَّيْجَـةٍ فى الفِـرا   ش وجّابةٍ يحتمِى أن يُجيبا (٦)
ولا ذِى قَلَازِمَ عند الحيـاضِ   إذا ماالشَّريبُ أرابَ الشَّريبا (٧)

الدُّمَّيْجة : الثقيل عن الحركة (٨) . والقَلازم : كثْرة الصيّاح . وأنشدنى :

---

(١) ل : « أبو زمعة » . وفى عيون الأخبار (٤ : ٨) . « طلق زياد » .

(٢) الحيفس : كهزبر وصيقل . وقيل فى تفسيره : الدميم الخلقة . والتفسير ساقط من هـ .

(٣) الحبحاب : الصغير الجسم المتداخل العظام . ل : « خبخاب » تحريف . وأنشده فى أمالى ثعلب ٢٦٢ من المخطوطة واللسان (خيب) ، وهو القداح الذى لا يورى . والقداح والقداحة : حجر القدح . وانظر عيون الأخبار (٢ : ١٥) .

(٤) قبقاب : كثير الكلام مخلطه .

(٥) الوجاب : الجبان الفرِق . وأنشده فى اللسان (قدم) : « أو قدموا » شاهداً على أن قدم ، بالتشديد ، بمعنى تقدم .

(٦) الدميجة ، بالدال المهملة . وفى الأصول : « بزميجة » تحريف صوابه فى اللسان (دمج ، وجب) ونوادر أبى زيد ٢٤٢ وما سيأتى فى ص ٦٨ و ٣ : ٣٣٩ ، حيث أنشد البيت . والوجابة : الفزع الفرق . ورواية النوادر : « هيابة » .

(٧) البيت فى اللسان (وجب ، قلزم) .

(٨) فسر فى اللسان (دمج) بأنه المتداخل ، وفى (وجب) بأنه الذى يندمج فى الفراش . وفى النوادر : « ابن الأعرابى : رجل دميجة ، إذا كان ملازما لفراشه » .

رُبَّ غريب ناصحِ الجيبِ وابن أَبٍ مُتَّهَم الغَيبِ (١)
ورُبَّ عيَّاب له منظرٌ مُشتمِلُ الثَّوبِ على العَيبِ (٢)

وأنشدنى أيضاً :

وأجرأُ من رأيتُ بظهْرِ غيب على عَيب الرِّجال ذوُو العيوبِ (٣)

* * *

وقال سهلُ بن هارون : « لو عَرفَ الزّنجى فَرط حاجته إلى ثناياه فى إقامة الحروف ، وتكميل آلة البيان (٤) ، لما نزع ثناياه » .

وقال عمر بن الخطاب رحمه الله فى سُهَيل بن عمرو الخطيب (٥): « يارسولَ الله ،انزَع ثَنِيَّتَيْهِ السُّفْلَيَيْنِ حَتَّى يَدْلَعَ لسانُه، فلا يقومَ عليك خطيباً أبداً(٦) » .

وإنَّما قال ذلك لأنَّ سهيلاً كان أعلمَ مِن شفته السُّفْلَى (٧) .

وقال خَلَّاد بن يزيدَ الأرقط (٨) : خطب الجمحىُّ خطبةَ نكاحٍ أصابَ فيها معانىَ الكلام ، وكان فى كلامه صفيرٌ يخرج من موضع ثناياه المنزوعة ، فأجابه زيدُ بنُ علىّ بنِ الحسين بكلام فى جودة كلامه ، إلا أنَّه فَضَلَه بحُسن المخرج

---

(١) رجل ناصح الجيب : نقى الصدر ، ناصح القلب ، لا غش فيه .

(٢) البيتان فى عيون الأخبار (٢ : ١٤) برواية : « وكل عياب » .

(٣) كأنه مأخوذ من قول المستورد حين قال له رجل : أريد أن أرى رجلا عيابا . قال « التمسه بفضل معايب فيه » . الكامل ٥٧٩ ليبسك . وانظر عيون الأخبار (٢ : ١٤) .

(٤) هـ ، حـ : « وتكميل جميل البيان » .

(٥) هو أبو زيد سهيل بن عمرو بن عبد شمس ، خطيب قريش ، وهو الذى تولى أمر الصلح بالحديبية ، وكان من المؤلفة قلوبهم ، أعطاه الرسول الكريم مائة من الإبل . مات بالطاعون سنة ثمان عشرة . الإصابة ٣٥٦٦ وصفة الصفوة (١ : ٣٠٧) والسيرة ٤٧٦ جوتنجن .

(٦) فى الإصابة : « قال عمر للنبى ﷺ : دعنى أنزع ثنيتى سهيل فلا يقوم علينا خطيبا . فقال : دعها فلعلها أن تسرك يوما . فلما مات النبى ﷺ قام سهيل بن عمرو فقال لهم : من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله فالله حى لا يموت » .

(٧) كذا . وإنما الأعلم مشقوق الشفة العليا . ومشقوق الشفة السفلى يقال له الأفلح .

(٨) خلاد بن يزيد الأرقط ، أحد الرواة للقبائل ، والعارفين بالقبائل والأشعار. توفى سنة ٢٢٠ . ابن النديم ١٧ ليبسك ١٥٦ مصر وتهذيب التهذيب (٣ : ١٧٦) .

والسَّلامةِ من الصفير ، فذكر عبدُ الله بن معاويةَ بن عبد الله بن جعفر ، سلامةَ لفظ زيدٍ لسلامة أسنانه ، فقال فى كلمةٍ له :

قَلّت قوادحُها وتمَّ عديدُها فله بذاك مَزِيَّةٌ لا تنكرُ [١]

ويروى : « صحَّت مخارجُها وتمَّ حروفها » . المزيَّة : الفضيلة .

وزعم يَحيى بن نُجَيم بن معاوية بن زَمَعة ، أحدُ رواةِ أهلِ البصرة [٢] ، قال : قال يونس بن حبيبٍ ، فى تأويل قول الأحنف بن قيس :

أنا ابنُ الزَّافرِيَّة أرضعَتْنى بثديٍ لا أجَدَّ ولا وخيمِ [٣]
أتمَّتْنى فلم تنقص عظامى ولا صَوتى إذا جَدَّ الخصومُ [٤]

قال : إنما عنى بقوله عظامى أسنانَه التى فى فمِه ، وهى التى إذا تَمَّت تمت الحروفُ ، وإذا نقصت نقصت الحروف .

وقال يونس : وكيف يقول مثله : « أتَمّتْنى فلم تنقصْ عِظامى » وهو يريد بالعظام عظامَ اليدين والرجليْنِ ، وهو أحنفُ من رجليه جميعاً ، مع قول الحُتات ٣
له [٥] : « والله إنكَ لضئيلٌ ، وإن أمَّك لَوَرْهَاءُ [٦]» . وكان أعرَف بمواقع العيوب وأبصرَ بدقيقها وجليلِها . وكيف يقول ذلك وهو نُصْب عيونِ الأعداء والشُّعراءِ

---

(١) القادح : أُكال يقع فى الأسنان .

(٢) ذكره ابن النديم فى الفهرست ١٧٠ ليبسك ٢٤٢ مصر ، مع أصحاب القصائد التى قيلت فى الغريب .

(٣) الزافرية ، لم أجد فى قبائلهم ما يحتمل هذه النسبة . وأم الأحنف ، هى حبة بنت عمرو بن قرط بن ثعلبة الباهلية ، كما فى الإصابة ٤٢٦ . والأجدُّ : اليابس الذى ذهب لبنه .

(٤) فيما عدا ل : « اصطك الخصوم » . وفى البيت إقواء .

(٥) الحتات ، كغراب ، هو الحتات بن يزيد بن علقمة التميمى الدارمى المجاشعى ، وكان الرسول قد آخى بينه وبين معاوية ، فمات فى خلافته ، فورثه بالأخوة . الإصابة ١٦٠٧ . وهو أحد من وفَد من بنى تميم على رسول الله . السيرة ٩٣٣ ــ ٩٣٤ .

(٦) الورهاء : الحمقاء التى لا تتمالك حمقا .

والأكْفاء ، وهو أنفُ مُضَرَ الذى تَعطِس عنه ، وأبْيَنُ العربِ والعجم قاطبة .

قالوا : ولم يتكلمْ معاويةُ على مِنبر جماعةٍ منذُ سقطَتْ ثناياه فى الطّست .

قال أبو الحسن وغيرُه : لما شَقَّ على معاويةَ سقوطُ مَقادمِ فيه قال له يزيدُ ابن معنٍ السُّلمىّ : « واللهِ ما بلغ أحدٌ سِنَّكُ إلا أبغض بعضُه بعضاً ، ففُوك أهْوَنُ علينا من سمعك وبصرك » . فطابت نفسُه .

وقال أبو الحسن المدائنىّ : لما شَدَّ عبدُ الملك أسنانَه بالذهب قال : « لولا المنابر والنِّساء ، ما باليتُ متى سقطَتْ » .

قال : وسألتُ مباركا الزّنجىّ الفاشكَار (١) ، ولا أعلم زِنْجِيًّا بلغ فى الفَشكرةِ مبلغَه ، فقلت له : لِمَ تنزع الزنجُ ثناياها ؟ ولِمَ يحدِّدُ ناسٌ منهم أسنانَهم ؟ فقال : أمّا أصحاب التحديد فللقِتال والنَّهش ، ولأنّهم يأكلون لحومَ الناس ، ومتى حاربَ ملكٌ ملكاً فأخذه أسيراً أو قتيلا أكله ، وكذلك إذا قاتَل بعضَهم بعضاً أكل الغالبُ منهم المغلوب . وأما أصحاب القَلْع فإنّهم قالوا : نَظَرْنا إلى مَقادم أفواهِ الغَنَم فكرهْنا أن تشبه مقادمُ أفواهنا مقادمَ أفواهِ الغَنَم ، فكم تظنُّهم ـــ أكرمَكَ الله ـــ فقدُوا من المنافع العِظام بفَقْد تلك الثنايا .

وفى هذا كلامٌ يقع فى كتاب الحيوان .

وقال أبو الهندىّ فى اللّثَغ :

سَقَيتُ أبا المصرَّح إذْ أتانى ... وذُو الرَّعَثَاتِ منتصبٌ يَصيحُ (٢)
شراباً تَهْرُبُ الذِّبَّانُ منه ... ويَلْثَغُ حين يشربهُ الفَصيحُ (٣)

---

(١) الفاشكار : لفظة فارسية معربة ، مأخوذة من « بشكارى » الفارسية ، بمعنى الزراعة والفلاحة : (Agriculture, tillage) . انظر استينجاس ١٨٩ . وفى هامش هـ : « الفاشكار هو الفلاح . والفشكرة : الفلاحة » .

(٢) فيما عدا ل ، هـ : « إذا تأتى » تحريف . والرعثة ، بالضم ، والتحريك : عثنون الديك .

(٣) الذبان تسقط على النبيذ الحلو ولا تسقط على الحازر . انظر الحيوان (٣ : ٣٦٠ ، ٣٨٠) . هـ : « الذبان عنه » .

وقال محمد بن عمرٍو الرُّوميّ ، مولى أمير المؤمنين : قد صحَّت التجربة وقامت العِبرة على أنَّ سقوطَ جميع الأسنان أصْلَحُ فى الإبانة عن الحروف ، منه إذا سقط أكثرُها ، وخالف أحدُ شَطريها الشَّطر الآخر .

وقد رأينا تصديقَ ذلك فى أفواه قومٍ شاهَدَهم النَّاسُ بعد أن سقطت جميعُ أسنانِهم ، وبعد أن بقىَ منها الثُّلث أو الرُّبع .

فممن سقطت جميع أسنانِه وكان معنَى كلامِه مفهوماً : الوليدُ بن هشامٍ القَحْذَمى (١) صاحبُ الأخبار . ومنهم : أبو سفيان بن العلاءِ بن لبيدٍ التَّغلبى (٢) ، وكان ذا بيانٍ ولَسن .

وكان عبيد الله بن أبى غَسَّان ظريفاً يصرِّف لسانه كيف شاء (٣) ، وكان الإلحاح على القَيسىّ (٤) قد بَرَد أسنانَه ، حتّى لا يَرى أحدٌ مِنها شيئاً إلاّ إن تطلَّعَ فى لحم اللِّثة ، أو فى أُصول منابتِ الأسنان .

وكان سفيانُ بن الأبرد الكلبىّ (٥) كثيراً ما يجمع بين الحارّ والقارّ ، فتساقطت أسنانه جُمَعُ ، وكان فى ذلك كلِّه خطيباً بيِّنًا .

وقال أهل التجربة : إذا كان فى اللحم الذى فيه مَغاوزُ الأسنان تشميرٌ وقِصَر سَمْك (٦)،ذهبت الحروفُ وفسَد البيان . وإذا وَجَدَ اللسانُ من جميع

---

(١) الوليد بن هشام بن قحذم ، أبو عبد الرحمن القحذمى ، من أهل البصرة ، يروى عن جرير بن عثمان ، وروى عنه أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحى . توفى سنة ٢٢٢ . لسان الميزان وأنساب السمعانى ٤٤٣ .

(٢) ذكره الجاحظ فى (١ : ١٩١) من الأصل ، فيمن كنيته اسمه ، قال : « وأبو سفيان بن العلاء بن لبيد التغلبى ، خليفة عيسى بن شبيب المازنى على شرط البصرة » .

(٣) فيما عدا ل : كيف أحب » .

(٤) القيسى : المشمش باللغة التركية ، كما فسره استينجاس فى معجمه ٩٩٨ . وفيه : « Apricot : قيسى T » . ل ، هـ : « القيئ » ، تحريف لا يستقيم .

(٥) سفيان بن الأبرد الكلبى : أحد قواد بنى أمية ، كان ذا ضلع كبيرة فى حرب الخوارج ، وهو آخر من أرسل إلى قطرى بن الفجاءة وقتله سنة ٧٨ ، وكان المباشر لقتله سودة بن أبجر ، انظر ما سيأتى فى (٣ : ٢٦٤) ، وابن خلكان فى ترجمة قطرى .

(٦) التشمير : التقليص . والسمك ، بالفتح : الارتفاع .

جهاته شيئاً يقرعُه ويصكُّه ، ولم يمرَّ فى هواءٍ واسع المجَال ، وكان لسانُه يملأ جَوْبَةَ فمِه ، لم يضرَّه سقوطُ أسنانه إلا بالمقدار المغتفَر ، والجزء المحتمل . ويؤكِّد ذلك قولُ صاحب المنطق [١] ، فإنَّه زعم فى كتاب الحيوان أنَّ الطائرَ والسبُع والبهيمةَ كلَّما كان لسانُ الواحد منها أعرضَ كان أفصحَ وأبْينَ ، وأحكى لما يُلَقَّن ولما يَسَمع ، كنحو الببغاء والغُداف وغراب البَيْن [٢] ، ومأأشبه ذلك ؛ وكالذى يتهيَّأ من أفواه السنانير إذا تجاوبَتْ ، من الحروف المقطَّعة المشارِكة لمخارج حروفِ الناس . وأمَّا الغنمُ فليس يمكنها أن تقول إلا « ما » . والميم والباء أوَّل مايتهيّأ فى أفواه الأطفال ، كقولهم : ماما ، وبابا ؛ لأنهما خارجان من عمل اللسان ، وإنَّما يظهران بالتقاء الشفتين . وليس شىءٌ من الحروف أدخلَ فى باب النقص والعجز من فم الأهتم ، من الفاء والسين إذا كانا فى وسط الكلمة . فأما الضَّاد فليست تخرجُ إلّا من الشِّدق الأيمن ، إلّا أن يكون المتكلّم أعْسَرَ يَسَراً [٣] ، مثل عمر بن الخطاب رحمه الله ؛ فإنه كان يُخرج الضَّادَ من أىِّ شِدقيه شاء . فأمَّا الأيْمَن والأعْسَر والأضْبَط [٤] ، فليس يمكنُهم ذلك إلا بالاستكراه الشديد .

وكذلك الأنفاسُ مقسومة على المنخرين ، فحالاً يكون فى الاسترواح [٥] ودَفْع البُخار من الجوف من الشِّق الأيمن ، وحالاً يكون من الشّق الأيسر ،

---

(١) صاحب المنطق ، هو أرسطوطاليس ، لأنه « أول من خلص صناعة البرهان من سائر الصناعات المنطقية ، وصورها بالأشكال الثلاثة ، وجعلها آلة للعلوم النظرية حتى لقب بصاحب المنطق » . القفطى ٢٢ . وانظر ابن النديم ٣٤٧ — ٣٤٩ .

(٢) انظر الحيوان (٥ : ٢٨٨) . وجاء فى الحيوان (٢ : ٣١٥) . « وغراب البين نوعان : أحدهما غربان صغار معروفة بالضعف واللؤم ، والآخر كل غراب يتشاءم به » .

(٣) رجل أعسر يسر : يعمل بيديه جميعاً .

(٤) الأعسر : الذى يعمل بيده اليسرى خاصة . والأضبط ، تفسره المعاجم بأنه الأعسر اليسر الذى يعمل بكلتا يديه . وتأمل .

(٥) الاسترواح : التشمم .

ولا يجتمعان على ذلك فى وقتٍ إلا أن يستكرهَ ذلك مستكرِهٌ ، أو يتكلفه متكلِّف . فأمّا إذا ترك أنفاسَه على سجِيّتها لم تكن إلا كما قالوا (١) .

وقالوا : الدَّليل على أنَّ من سقط جميعُ أسنانه أنَّ عِظَم اللِّسان نافعٌ له ، قول كَعب بن جُعَيل ليزيدَ بن معاوية ، حين أمره بهجاء الأنصار ، فقال له : « أرادِّى أنت إلى الكفر بعد الإيمان (٢) ، لا أهجوُ قوماً نصروا رسولَ الله ﷺ وآوَوْه ، ولكنِّى سأدلُّك على غلامٍ فى الحىِّ كافرٍ ، كأنَّ لسانَه لسانُ ثور » . يعنى الأخطل .

وجاء فى الحديث : « إنّ الله تبارك وتعالى يُبغض الرجلَ الذى يتخلَّل بلسانه كما تتخلَّل الباقرةُ الخَلَا بِلسانها (٣) » .

قالوا : ويدلُّ على ذلك قولُ حسَّانٍ بن ثابت ، حين قال له عليه السلام : « ما بَقِى من لسانك ؟ » . فأخرج لسانَه حتَّى قرَع بطرَفه طرَف أرْنَبته ، ثم قال : « والله أنْ لو وضعتُهُ على شعرٍ لحلَقه ، أو على صخرٍ لفلقه (٤) وما يسرُّنى به مِقْوَلٌ من مَعَدّ » .

وأبو السِّمط مَروانُ (٥) بن أبى الجَنوب بن مروانَ بن أبى حفصة (٦) ، وأبوه

---

(١) كذا وردت العبارة فى جميع النسخ بدون ذكر فاء الجواب ، لغير ضرورة ، وحقها الإثبات كما فى قول عمر :

رأت رجلا أما إذا الشمس عارضت　　فيضحى وأما بالعشى فيخصر

(٢) ل : « الإسلام » .

(٣) يقال بقر وبقير وبيقور وباقر . انظر المعاجم والحيوان (٤ : ٤٦٩) . ومنه قراءة (إن الباقر تشابه علينا) . وأما « الباقرة » فلم أرها إلا هنا ، ومخرجها على أنها واحد الباقر . وفى الجامع الصغير السيوطى ١٨٤٩ : « إن الله تعالى يبغض البليغ من الرجال ، الذى يتخلل بلسانه تخلل الباقرة بلسانها » ، وخرج الحديث من مسند أحمد ، وسنن أبى داود والترمذى ، وذكر أنه حديث حسن .

(٤) فيما عدا ل : « على صخر لفلقه ، أو على شعر لحلقه » .

(٥) كان يقال له مروان الأصغر ، ولجده : مروان الأكبر . وكان شاعراً ساقط الشعر بارده ، عاصر الواثق والمتوكل . وله فى المتوكل وأحمد بن أبى دواد قصائد عدة . تاريخ بغداد والأغانى (١١ : ٢) .

(٦) مروان بن أبى حفصة ، هو مروان بن سليمان بن يحيى بن أبى حفصة ، شاعر =

وابنه ، فى نسقٍ واحد ، يقرعون بأطراف ألسنتهم أطرافَ آنفهم .

وتقول الهند : لولا أنّ الفيلَ مقلوبُ اللِّسان لكان أنطقَ من كلِّ طائرٍ يتهيأ فى لسانه كثيرٌ من الحروف المقطَّعة المعروفة (١).

وقد ضرب الذين زعموا أنّ ذهابَ جميع الأسنان أصلحُ فى الإبانة عن الحروف مِن ذَهاب الشَّطر أو الثُّلثين ، فى ذلك مثلا ، فقالوا : الحمام المقصوص جناحاه جميعاً أجدرُ أن يطير مِن الذى يكون جناحاه أحدهما وافراً والآخر مقصوصاً .قالوا : وعلّة ذلك التعديلُ والاستواء ، وإذا لم يكن ذلك كذلك ارتفع أحدُ شِقَّيه وانخفضَ الآخرَ ، فلم يَجْدِف ولم يَطِرْ (٢).

والقطا من الطير قد يتهيَّأُ من أفواهها أن تقول : قَطَاقطا . وبذلك سمِّيت (٣) ويتهيّأ من أفواه الكلاب العَيْنَاتُ والفاءات والواوات ، كنحو قولها : وَوْ وَوْ ، وكنحو قولها : عَفْ عَفْ .

قال الهيثم بنُ عدِىّ : قيل لصبىّ : من أبوك ؟ فقال : وَوْ وَوْ ؛ لأنّ أباه كان يسمَّى كلبا (٤) .

قال : ولكلِّ لغةٍ حروفٌ تدور فى أكثر كلامها كنحو استعمال الرُّوم للسين . واستعمال الجرامقة للعين (٥) .

= مجوِّد من أهل اليمامة ، قدم بغداد ومدح المهدى والرشيد ، وكان يتقرب إلى الرشيد بهجاء العلوية فى شعره ، وله فى معن بن زائدة مدائح ومراث عجيبة . ولد سنة ١٠٥ وتوفى سنة ١٨٢ . وفيات الأعيان وتاريخ بغداد ٧١٢٧ ومعجم المرزبانى ٣٩٦ وابن خلكان (٢ : ٨٩) .

(١) انظر الحيوان (١ : ٣١٠ / ٧ : ٣ : ١ ، ١٩٢) .

(٢) جذف الطائر : طار وهو مقصوص ، كأنه يرد جناحيه إلى خلفه . ومجذافاه جناحاه . يقال بالدال والذال جميعاً . انظر الحيوان (١ : ٣/٢٦٢ : ٢٣٠) .

(٣) ل : « ولذلك سميت » .

(٤) الخبر فى الحيوان (٢ : ٦٨ / ٥ : ٢٨٨).

(٥) الجرامقة : طائفة من الكلدانيين ، أى السريانيين . قال المسعودى فى التنبيه والإشراف ٦٨ : «وكانوا شعوبا وقبائل ، منهم النونويون ، والأثوريون ، والأرمان ، والأردوان ، والجرامقة ، ونبط العراق ، وأهل السواد» .

وقال الأصمعىّ : ليس للروم ضادٌ ، ولا للفُرس ثاء ، ولا للسُّريانىِّ ذال .

قال : ومن ألفاظ العرب ألفاظٌ تتنافر ، وإن كان مجموعةً فى بيت شعرٍ لم يستطع المنشدُ إنشادَها إلاّ ببعض الاستكراه . فمن ذلك قول الشاعر :

وقبرُ حربٍ بمكانٍ قَفرٍ ولیس قربَ قبْرِ حربٍ قبرُ (١)

ولما رأى مَن لا علم له أن أحداً لا يستطيع أن يُنشد هذا البيت (٢) ثلاثَ مرَّاتٍ فى نسَقٍ واحدٍ فَلا يتتعتعُ ولا يتلجْلج ، وقيل لهم إنّ ذلك إنما اعتراه ، إذْ كان من أشعار الجِنّ ، صدَّقوا بذلك .

ومن ذلك قول ابن يَسير (٣) فى أحمدَ بنِ يوسفَ (٤) حين استبطأه :

هَلْ مُعينٌ على البُكا والعويلِ أم مُعزٍّ على المُصاب الجليلِ
ميِّتٌ مات وَهو فى وَرَق العَيش مقيمٌ به وظلٍّ ظليلِ (٥)
فى عِدَادِ الموتى وفى عامِرى الدُّنْـ ـيا أبو جعفرٍ أخى وخليلى (٦)

---

(١) البيت مجهول القائل ، ولتنافر لفظه نسبوه إلى بعض الجن ، وصنعوا فى ذلك قصة . انظر الحيوان (٦ : ٢٠٧) ومعاهد التنصيص (١ : ١٢) وقد روى بلفظ : « وما بقرب قبر حرب قبر » .

(٢) البيت السابق من السريع . فيما عدا ل : « هذين البيتين » تحريف .

(٣) هو محمد بن يسير الرياشى ، يقال إنه كان مولى لبنى رياش الذين منهم العباس بن الفرج الرياشى الأخبارى الأديب ، وكان شاعراً ظريفاً من شعراء المحدثين ، متقلّلا ، لم يفارق البصرة ولا وفد إلى خليفة ولا شريف منتجعاً ، ولا جاوز بلده ، وكان ماجناً هجاء خبيثاً من بخلاء الناس . انظر أخباره فى الأغانى (١٢ : ١٢٤ ـــ ١٣٦) . وله أخبار وأشعار شتى فى كتاب الحيوان . وفى الأصول : « ابن بشير » تحريف . وفى القاموس (يسر) . « وأبو جعفر وهو محمد بن يسير ، شاعر » . وجاء فى ترجمته من الأغانى (١٢ : ١٣٢) أن الخليفة المعتصم تفاءل باسمه وقال : « أمر محمود ، وسير سريع » .

(٤) هو أبو جعفر أحمد بن يوسف بن صبيح الكاتب ، كان كاتب ديوان الرسائل زمانَ المأمون ، وكان فصيح اللسان يقول الشعر فى الغزل والمديح والهجاء ، وله أخبار مع إبراهيم بن المهدى ، وأبى العتاهية ، ومحمد بن يسير وغيرهم . توفى سنة ٢١٣ . تاريخ بغداد ٢٦٩٢ والأغانى (٢٠ : ٥٦ ـــ ٥٨) . والأبيات فى العقد (٦ : ١٩٢) .

(٥) ورق العيش : نضرته وحَداثته .

(٦) ما عدا هـ : « عامر » .

لم يمُتْ مِيتة الوفاةِ ولكنْ مات عن كلِّ صالحٍ وجميلِ
لا أُذيل الآمالَ بعدك إنِّى بَعْدَها بالآمالِ حقُّ بَخيلِ
كم لها وَقفةً ببابِ كريمٍ رجعَتْ من نَدَاه بالتعطيل (١)

ثم قال :

لم يَضِرْها ، والحمدُ لله ، شيءٌ وانثنَتْ نحو عَزْفِ نفسٍ ذَهُولِ (٢)

فتفقّدِ النصفَ الأخيرَ من هذا البيت ؛ فإنك ستجد بعضَ ألفاظه يتبرأُ من بعض .

وأنشدنى أبو العاصى قال : أنشدنى خلفٌ الأحمر فى هذا المعنى :

وبعضُ قَريضِ القوم أولادُ عَلَّةٍ يَكُدُّ لسانَ الناطقِ المتحفِّظِ (٣)

وقال أبو العاصى : وأنشدنى فى ذلك أبو البَيداء الرِّياحىّ (٤) :

وشِعرٍ كبعر الكَبْش فرَّق بينَه لسان دعِىٍّ فى القريض دخيلِ (٥)

وأما قولُ خلف :

* وبعض قريضِ القومِ أولاد عَلّة *

فإنَّه يقول : إذا كان الشعرُ مستكرَهاً ، وكانت ألفاظُ البيت من الشِّعر لا يقع بعضُها مماثلاً لبعض ، كان بينها من التَّنافُر مابين أولاد العَلَّات . وإذا

---

(١) التعطيل : الإخلاء وترك الشيء ضياعاً . فيما عدا ل : « موقفاً بباب كريم » .

(٢) فى اللسان : « عزفت نفسى عن الشيء تعزف وتعزف عزفاً وعزوفاً : تركته بعد إعجابها وزهدت فيه » . والذهول ، من الذهل ، بالفتح ، وهو تركك الشيء تناساه على عمد ، أو يشغلك عنه شغل . فيما عدا ل ، هـ : « نحو عرف » تحريف .

(٣) أولاد علة : بنو رجل واحد من أمهات شتى . والبيت فى العمدة (١ : ١٧٢) .

(٤) ذكره ابن النديم فى الفهرست ٦٦ وقال إنه زوج أم أبى مالك عمرو بن كركرة . وكان أبو مالك راوية أبى البيداء . واسم أبى البيداء أسعد بن أبى عصمة ، وهو أعرابى نزل البصرة ، وكان يعلم الصبيان بأجرة .

(٥) انظر العمدة (١ : ١٧٢) .

كانت الكلمةُ ليس موقعُها إلى جنْب أُختها مَرْضِيًّا موافقا ، كان على اللِّسان عند إنشاد ذلك الشعر مَؤُونة .

قال : وأجودُ الشِّعر ما رأيتَه متلاحم الأجزاء ، سهلَ المخارج ، فتعلمُ (١) بذلك أنه قد أُفرغ إفراغا واحداً ، وسُبِك سبكاً واحداً ، فهو يجرى على اللسان كما يجرى الدِّهان .

وأما قوله : « كبعر الكبش » ، فإنما ذهب إلى أنَّ بعرَ الكبشِ يقع متفرقاً غيرَ مؤتلِفٍ ولا متجاور . وكذلك حروفُ الكلام وأجزاءُ البيتِ من الشِّعر ، تراها متَّفقة مُلْساً ، وليِّنة المعاطف سهلة ؛ وتراها مختلفةً متباينة ، ومتنافرة مستكرهة ، تشقُّ على اللسان وتكُدُّه . والأخرى تراها سهلةً ليِّنة ، ورَطْبة مُتَواتية ، سلِسةَ النِّظام ، خفيفةً على اللِّسان ؛ حتى كأنّ البيتَ بأَسْرِه كلمةٌ واحدة ، وحتّى كأن الكلمةَ بأسرها حرفٌ واحد .

وقال سُحَيم بن حفص (٢) : قالت بنتُ الحطيئة للحطيئة : « تركتَ قوماً كراما ونزلتَ فى بنى كُليبٍ بعرِ الكبش » . فعابتْهم بتفرُّق بيوتهم .

فقيل لهم : فأنشِدُونا بعضَ ما لا تتباينُ ألفاظهُ ، ولا تتنافر أجزاؤُه . فقالوا : قال الثّقفى (٣):

من كانَ ذا عضُدٍ يدرِكْ ظُلامتَه　　إنّ الذَّليلَ الذى ليست له عضدُ
تَنْبُو يداه إذا ماقلَّ ناصرُه　　ويأنَفُ الضّيمَ إنْ أثْرَى له عددُ

وأنشدوا (٤) :

---

(١) فيما عدا ل : « فيعلم » وتقرأ بالبناء للمفعول .
(٢) سبقت ترجمته فى ص ٤٠ .
(٣) هو الأجرد الثقفى ، كما فى الشعراء ٧١٢ . وانظر عيون الأخبار (٣ : ٢) ، والحيوان (٣ : ٤٥) . وفى ل : « فأنشدوا » فقط .
(٤) الأبيات التالية لأبى حية النميرى ، كما فى الكامل ١٩ ليبسك والحماسة (٢ : ١١٠) . وانظر الحيوان (٣ : ٤٩) .

رَمَتْنِى وسِتْرُ اللهِ بينى وبينَها   عشيَّةَ آرامِ الكِناسِ رميمُ (١)
رميمُ التى قالتْ لجاراتِ بيتِها   ضمِنْتُ لكم ألّا يزالَ يهيمُ (٢)
ألا رُبَّ يومٍ لو رمَتْنى رميتُها   ولكنَّ عهدى بالنِّضالِ قديمُ (٣)

وأنشدوا : ٤٤

ولستُ بِدُمَّيجَةٍ فى الفرا   شِ وجَّابةٍ يحتمى أن يُجيبا (٤)
ولا ذى قَلازِمَ عند الحِياض   إذا ما الشَّرِيب أرابَ الشّرِيبا

وقال أبو نوفل بن سالم (٥) لرؤبَةَ بن العجاج : يا أبا الجَحَّاف ،مُتْ إذا شئت (٦) . قال : وكيف ذاك ؟ قال : رأيت عُقبة بنَ رُؤبة ينشد رجزاً أعجبنى . قال : إنَّه يقولُ ، لو كان لقولِه قِران (٧) ! وقال الشاعر :

مَهاذِبةٌ مَناجِبةٌ قِرانٌ   مَنَادِبةٌ كأنهمُ الأُسُودُ

وأنشد ابنُ الأعرابى :

وبات يدرُس شِعراً لا قِرانَ له   قد كان نَقَّحه حولاً فما زادا

وقال الآخر ، بشّار :

فهذا بديهٌ لا كتحبير قائلٍ   إذا ما أراد القولَ زوّرهُ شَهرا (٨)

* * *

---

(١) رمتنى ، أى بطرفها . ستر الله : الإسلام أو الشيب . وآرام الكناس ، روى فيها : « بأحجار الكناس » ، وهو اسم موضع . ورميم : اسم خليلته .

(٢) يصح فى « أن » أن تكون ناصبة ، أو مخففة من الثقيلة يرفع بعدها الفعل .

(٣) قال المبرد فى تفسيره : « لو كنت شابا لرميتُ كما رُمِيت ، وفَتَنت كما فُتِنت ، ولكن قد تطاول عهدى بالشباب » .

(٤) سبق البيتان والكلام عليهما فى ٥٧ . وفى الأصول : « ولست بزميجة » ، تحريف .

(٥) فيما عدا ل ، هـ : « قال نوفل بن سالم » .

(٦) فيما عدا ل : « متى شئت » . وكتب فوقها فى هـ : « إذا » .

(٧) فى هامش هـ : « القران : التشابه والموافقة » .

(٨) سبق البيت فى ٢٤ .

فهذا فى اقتران الألفاظ . فأمّا فى اقتران الحروف [١] فإنّ الجيمَ لا تقارِن الظاء ولا القاف ولا الطاء ولا الغين ، بتقديم ولا بتأخير . والزّاى لا تقارنُ الظّاءَ ولا السِّين ولا الضاد ولا الذال ، بتقديم ولا بتأخير . وهذا بابٌ كبير . وقد يُكتفَى بذكر القليل حتَّى يُستَدَلَّ به على الغاية التى إليها يُجرَى .

وقد يتكلَّم المِغْلاق [٢] الذى نشأ فى سَواد الكوفة بالعربيَّة المعروفة ، ويكون لفظُه متخيّراً فاخرا ، ومعناه شريفاً كريما ، ويَعلمُ مع ذلك السامعُ لكلامه ومَخارِج حروفِهِ أنّه نَبطىّ . وكذلك إذا تكلم الخُرَاسانىُّ على هذه الصِّفة ، فإنَّك تعلم مع إعرابه وتخيُّر ألفاظِه فى مَخرج كلامه ، أنّه خُراسانىٌّ . وكذلك إن كان من كتَّاب الأهواز .

ومع هذا إنّا نجِدُ الحاكية من الناس [٣] يَحكى ألفاظَ سُكان اليَمَن مع مَخارج كلامهم ، لا يُغادر من ذلك شيئاً . وكذلك تكون حكايتُه للخُرَاسانىّ والأهوازىّ والزِّنجى والسِّندىّ والأجناسِ وغيرِ ذلك [٤] . نعم حتّى تجدُه كأنه أطْبَعُ منهم ، فإذا ما حَكى كلامَ الفأفاء فكأنما قد جُمِعَتْ كلُّ طُرْفَةٍ فى كل فأفاءٍ فى الأرض فى لسانٍ واحد . وتجدُه يحكى الأعمى بصُوَرٍ ينشئها لوجهه وعينيه وأعضائه ، لا تكاد تجد مِن ألِفِ أعْمَى واحداً يجمع ذلك كلَّه ، فكأنّه قد جَمَع جميعَ طُرَف [٥] حركاتِ العُميان فى أعمىً واحد .

ولقد كان أبو دَبُّوبة الزِّنجى ، مولى آل زيادٍ ، يقف بباب الكَرْخ ،

---

(١) فيما عدا ل : « افتراق » فى هذا الموضع وسابقه .

(٢) المغلاق : الذى يستعصى عليه الكلام .

(٣) الحاكية ، أراد به الذى يحكى كلام الناس ويفعل مثلهم فى الحديث . وهذا اللفظ لم يرد فى المعاجم المتداولة .

(٤) ما عدا هـ : « والأجناس وغير » تحريف .

(٥) فيما عدا ل ، هـ : « طرق » بالقاف .

بحضرةِ المُكَارِين (١) ، فينهُق ، فلا يبقى حمارٌ مريض ولا هَرِم حسيرٌ ، ولا مُتعَبٌ بهيرٌ إلا نَهَق . وقبل ذلك تسمع نَهيق الحِمار على الحقيقة ، فلا تنبعث لذلك ، ولا يتحرَّك منها متحرِّك حتَّى كانَ أبو دبُّوبة يحرّكه . وقد كان جَمَعَ جميعَ الصورِ التى تجمع نهيقَ الحمار فجعَلَها فى نهيقٍ واحد . وكذلك كان فى نُباح الكلاب . ولذلك زعمت الأوائلُ أنّ الإنسانَ إنما قيل له العالَمُ الصغيرُ سليلُ العالَم الكبير ، لأنّه يصوِّر بيديه كلَّ صورة ، ويحكى بفمه كل حكاية (٢) ولأنّه يأكُل النَّباتَ كما تأكل البهائم ، ويأكل الحيوانَ كما تأكل السِّباع وأنّ فيه من أخلاق جميع أجناسِ الحيوان أشكالاً .

وإنما تهيَّأ وأمكنَ الحاكيةَ لجميع مخارِج الأمم ، لِمَا أعطى اللهُ الإنسانَ من الاستطاعة والتمكين ، وحين فضَّله على جميع الحيوان بالمنطق والعقل والاستطاعة . فبِطُول استعمال التكلُّف ذلَّتْ جوارحُه لذلك . ومتى ترَك شمائلَه على حالها ، ولسانَه على سجيته ، كان مقصوراً بعادة المَنْشإ على الشكل الذى لم يزل فيه . وهذه القضيَّةُ مقصورةٌ على هذه الجملة مِن مخارج الألفاظ ، وصُوَر الحركات والسُّكون . فأمَّا حروفُ الكلامِ فإنّ حُكْمَها إذا تمكّنَتْ فى الألسنة خلافُ هذا الحكم . ألا ترى أنّ السِّنْدى إذا جُلِبَ كبيراً فإنه لا يستطيع إلّا أنْ يَجعلَ الجيم زاياً ولو أقامَ فى عُلياَ تميم ، وفى سُفْلَى قيس ، وبين عَجُز هوازنَ ، خمسين عاماً . وكذلك النبطىُّ القُحُّ ، خلافُ المِغلاق الذى نشَأَ فى بلاد النَّبَط ؛ لأنَّ النَّبَطىَّ القُحَّ (٣) يجعل الزّاىَ سيناً ، فإذا أراد أن يقول زَورَق قال : سَورَق ، ويجعل العين همزة ؛ فإذا أراد أن يقول مُشْمَعِلّ ، قال : مُشْمَئِلّ .

---

(١) المكارين : جمع مكار ، وهو من يكريك دابته تنتفع بها بالكراء ، وهو الأجر .

(٢) هذه الجملة ساقطة من ل . وانظر الحيوان (١ : ٢١٣).

(٣) ما بعد « القح » الأولى إلى هنا ليس فى ل .

والنّخاس يمتحن لسانَ الجارية إذا ظنّ أنها رومية وأهلُها يزعمون أنها مولدة بأن تقول : ناعمة ، وتقول : شمس ، ثلاث مرّاتٍ متواليات .

والذى يعترِى اللِّسان ممَّا يمنع من البيان أمور : منها اللُّثغة التى تعترى الصِّبْيان إلى أن ينشئُوا ، وهو خلافُ ما يعترى الشَّيخ الهرِمَ الماجّ (١) ، المسترخِىَ الحَنَك ، المرتفعَ اللِّثة ؛ وخِلافُ ما يعترى أصحاب اللُّكَن من العَجَم ، ومن يُنَشَّأ (٢) من العرب مع العجَمْ . فمن اللُّكْن ممَّن كان خطيباً ، أو شاعراً ، أو كاتباً داهيا (٣)زيادُ بن سَلْمَى أو أُمامة ، وهو زِيادٌ الأعجم . قال أبو عُبيدة : كان يُنشِد قوله :

فتًى زادَهُ السُّلطان فى الوُدِّ رِفعةً ۞ إذا غيَّر السلطانُ كلَّ خليلِ (٥)

قال : فكان يجعل السِّين شيناً والطاء تاءً ، فيقول : « فتًى زَادَه الشُّلْتَان » .

ومنهم سُحَيْم عبدُ بنى الحَسحاس (٦) ، قال له عمرُ بن الخطاب ، رحمه الله ، وأنشد قصيدته التى يقول أوّلَها :

عُمَيرَةَ وَدِّعْ إنْ تَجهّزتَ غادياً ۞ كفى الشَّيبُ والإسلامُ للمرء ناهيا

---

(١) الماج : الهرم الذى يمج ريقه ولا يستطيع حبسه .

(٢) ل : « خطيباً وشاعراً وكاتبًا داهياً » .

(٣) هـ : « نشأ » .

(٤) زياد الأعجم : من شعراء الدولة الأموية ، وقد شهد فتح إصطخر مع أبى موسى الأشعرى ، وطال عمره ووفد على هشام بن عبد الملك . وفى الاشتقاق ٢٠١ عند الكلام على عبد القيس : « ومنهم زياد بن سلمى الذى يقال له زياد الأعجم الشاعر » . ويقال له أيضاً زياد بن سليمان . انظر الخزانة (٤ : ١٩٣) ومعجم المرزبانى ١٣٣ والمؤتلف ١٣١ والشعراء لابن قتيبة ٣٩٥ ، والأغانى (١٤ : ٩٨ — ١٠٥) ومعجم الأدباء (١١ : ١٦٨) .

(٥) فى الحيوان (٧ : ١٥١) أن يزيد بن المهلب كان يعد هذا الشعر أحسن ما مدح به . وفى الكامل ٣١٦ أنه يمدح بالشعر المهلب بن أبى صفرة . ونسب فى الحماسة ١٧٩١ إلى حبيب بن عوف .

(٦) سحيم من المخضرمين ، قد أدرك الجاهلية والإسلام ، وكان أسود شديد السواد يرتضخ لكنه حبشية . وكان عبد الله بن أبى ربيعة قد اشتراه وكتب إلى عثمان بن عفان : إنى قد ابتعت لك غلاماً شاعراً حبشياً . فكتب إليه عثمان : لا حاجة إليه فاردده ؛ فإنما قصارى أهل العبد الشاعر إن شبع أن يشبِّب بنسائهم ، وإن جاع أن يهجُوَهم . فرده عبد الله . قتل سحيم فى خلافة عثمان . انظر الأغانى (٢٠ : ٢) والخزانة (١ : ٢٧٢ – ٢٧٤) .

فقال له عُمر [١] : لو قدَّمْتَ الإسلامَ على الشَّيب لأجزتكُ . فقال له : ما سَعَرْت . يريد ماشَعَرت ، جعَلَ الشين المعجمة سيناً غير معجمة .

ومنهم:عُبيد الله بن زِيادٍ [٢] ، والِى العراق ، قال لهانئ بن قَبِيصة : أَهَرُورِىٌّ سائرَ اليوم ! يريد : أحَرُورىّ .

ومنهم: صُهَيب بن سِنان النَّمَرىّ [٣] صاحبُ رسول الله ﷺ كان يقول : إنّك لهائنٌ ، يريد إنك لَحَائن [٤] . وصُهَيب بن سنان يرتضخ لُكْنة روميّة ، وعبيد الله بن زياد يرتضخ لُكنةً فارسية ، وقد اجتمعا على جعل الحاء هاءً .

وأزدانْقاذارُ لكنته لكنةٌ نبَطيَّة ، وكان مثلَهما فى جعل الحاء هاء . وبعضُهم يَروِى أنّه أَملى على كاتبٍ له فقال:اكتب:« الهاصل ألفُ كُرٍّ [٥] » فكتبها الكاتب بالهاء كاللَّفظ بها [٦] فأعاد عليه الكلامَ ، فأعاد الكاتب . فلما فَطِن لاجتماعهما على الجهل [٧] قال:أنت لاتُهسن أن تكتب ، وأنا لا أُهسِن أن أُملِى ، فاكتُبْ : « الجاصل ألف كُرٍّ » : فكتبها بالجيم معجمة .

---

(١) بدل هذه العبارة فيما عدا ل : « لو كان شعرك كله مثل هذا لأجزتك . هكذا وقع فى جميع نسخ الكتاب . والحكاية مروية عن عمر رضى الله تعالى عنه فى غير هذا الموضع كما وقعت داخل الكتاب » . وهو كلام مقحم من زيادة قارئ أو ناسخ . والقصة فى الكامل ٣٦٦ .

(٢) فى الكامل ٣٣٦ : « وكان عبيد الله بن زياد يرتضخ لكنة فارسية ، وإنما أتته من قبل زوج أمه : شيرويه الأسوارى » . وسيأتى فى كلام الجاحظ نحو هذا .

(٣) صهيب بن سنان بن مالك النمرى الرومى ، قيل له ذلك لأن الروم سبوه صغيراً ، فنشأ فيهم فصار ألكن . وكان ممن عذب فى بدء الإسلام . توفى سنة ٣٨ .

(٤) حائن : أى هالك . ما عدا هـ : « لخائن » والسياق يأباه .

(٥) الكر ، بالضم ، مكيال لأهل العراق ستون قفيزاً ، قال ابن سيده : يكون بالمصرى أربعين إردباً .

(٦) فيما عدا ل : « كما لفظ بها » .

(٧) ل : « باجتماعهما على الخطأ » .

ومنهم أبو مسلم صاحبُ الدَّعوة (١) ، وكان حسَنَ الألفاظ جيِّدَ المعانى ، وكان إذا أراد أن يقول : قلت لك ، قال : كُلْت لك . فشارك فى تحويل القاف كافاً عبيدَ الله بنَ زياد . كذلك خبَّرنا أبو عبيدة .

قال : وإنَّما أُتِىَ عُبيد الله بن زيادٍ فى ذلك أنَّه نشأ فى الأساورة (٢) عند شيرَويه الأسوارىّ ، زوجِ أمِّه مَرجانة .

وقد كان فى آل زيادٍ غيرُ واحد يسمى شِيروَيه . قال : وفى دار شِيرويه عاد علىٌّ بنُ أبى طالبٍ زياداً من عِلةٍ كانت به .

فهذا ما حضَرَنا من لُكْنة البلغاء والخطباء والشعراء والرؤساء . فأمَّا لُكنة العامَّة ومَن لم يكن له حظٌّ فى المنطق فمثلُ فيلٍ مولى زياد (٣) فإنه قال مَرَّةً لزياد : «أَهْدَوا لنا هِمَارَ وَهْشٍ» . يريد حمارَ وحش . فقال زياد : ما تقولُ ويْلكَ ! قال : « أهدَوا إلينا أيراً » . يريد عيراً . فقال زياد : الأوَّلُ أهْوَنُ! وفهِمَ ما أراد(٤)

وقالت أمُّ ولدٍ لجرير بن الخَطَفَى ، لبَعضِ ولَدِها : « وقع الجُرْدَان فى عِجان أمِّكم (٥) » ، فأبدلت الذّال من الجُرذْان (٦) دالاً وضمَّت الجيم ، وجعلت العَجِين عجانا . وقال بعض الشّعراءِ فى أمِّ ولدٍ له ، يذكر لُكْنتها :

أوَّلُ ما أسمَعُ منها فى السَّحَر (٧) تذكيرُها الأنثى وتأنيثُ الذّكَرْ
* والسَّوءَةُ السَّوآءُ فى ذكر القَمَر *

---

(١) هو أبو مسلم الخراسانى ، الذى قام بالدعوة إلى الدولة العباسية . واسمه عبد الرحمن بن مسلم ، قتله أبو جعفر المنصور سنة ١٣٧ .

(٢) الأساورة : قوم من العجم بالبصرة نزلوها قديماً ، كالأحامرة بالكوفة . انظر الحيوان (٥ : ٣٤٠) .

(٣) كان مولى زياد وحاجبه . انظر الحيوان (٧ : ٨٢ ـــ ٨٤ ، ١٨٩ ، ٢٣٣) .

(٤) هذه الجملة فى ل فقط .

(٥) الجردان ، بالضم : قضيب ذوات الحوافر ، أو هو عام . والعجان : ما بين السوءتين .

(٦) الجرذان ، بكسر الجيم وضمها : جمع جرذ ، وهو ضرب من الفأر .

(٧) فيما عدا ل : « أكثر ما أسمع » . وسيعيده الجاحظ فيما بعد برواية : « أول » .

لأنّها كانت إذا أرادَت أن تقول القمر ، قالت : الكَمَر .

وقال ابنُ عبّاد (١) : ركبَتْ عجوزٌ سِنديّةٌ جملاً ، فلما مضى تحتها متخلِّعاً اعتراها كهيئة حركة الجِماع ، فقالت : هذا الذَّمَل يذَكِّرنا بالسَّرّ . تريد أنه يذكّرها بالوطء ، فقلبت الشين سيناً والجيم ذالا . وهذا كثير .

وباب آخرُ من اللكنة . قيل لنَبَطىٍّ : لِمَ ابتعتَ هذه الأتان ؟ قال : « أركَبها وتَلَدُ لى » فجاء بالمعنى بعينه ولم يبدل الحروف بغيرها ، ولا زاد فيها ولا نقص ، ولكنّه فتح المكسور حين قال:وتلَدُ لى ، ولم يقل:تَلِد لى .

قال : والصَّقْلَبىُّ (٢) يجعل الذال المعجمة دالاً فى الحروف .

★ ★ ★

(١) هو محمد بن عباد بن كاسب ، كما فى الحيوان (٣ : ٢٩٢) ، حيث ساق القصة بعبارة أخرى .

(٢) الصقلبى : نسبة إلى صقلب ، وهى بلاد بين بلغاريا وقسطنطينية كما ذكر ياقوت . فيما عدا ل : « الصقلى » تحريف ، فإن الذين يعنيهم الجاحظ عند ذكر الأمم هم الصقالبة . انظر الحيوان (١ : ١١٣ ، ١١٨ — ٣/١٢٠ : ١٤٦ ، ٤/٢٤٥ : ٧١ ، ٥/١٠٩ : ٧/٣٦ : ٢٣٦) .

بـاب البيان [١]

قال بعضُ جهابذة الألفاظِ ونُقَّادِ المعانى : المعانى القائمة فى صدور النّاس [٢]المتصوَّرَة فى أذهانهم ، والمتخلِّجة فى نفوسهم ، والمتَّصِلة بخواطرهم ، والحادثة عن فِكَرهم ، مستورةٌ خفيّة ، وبعيدةٌ وحشية ، ومحجوبةٌ مكنونة ، ٤٨ وموجودةٌ فى معنًى معدومةٍ ، لا يعرف الإنسانُ ضميرَ صاحِبه ، ولا حاجة أخيه وخليطِه ، ولا معنَى شريكِهِ والمعاونِ له على أموره ، وعلى مالا يبلغه من حاجات نفسه إلاّ بغيره . وإنما يُحيى تلك المعانىَ ذكرُهم لها [٣] ، وإخبارُهم عنها ، واستعمالُهم إيّاها . وهذه الخصالُ هى التى تقرّبها من الفهم ، وتُجَلّيها للعقْل ، وتجعل الخفىَّ منها ظاهراً ، والغائبَ شاهداً ، والبعيدَ قريباً . وهى التى تلخِّص الملتبِس [٤] ، وتحلُّ المنعقد ، وتجعل المهمَل مقيَّداً ، والمقيَّد مطلقاً ، والمجهولَ معروفاً ، والوحشىَّ مألوفاً ، والغُفْل موسوماً ، والموسومَ معلوما . وعلى قَدْر وُضوح الدَّلالة وصوابِ الإشارة ، وحسن الاختصار ، ودِقّةِ المَدْخَل ، يكون إظهارُ المعنى . وكلّما كانت الدَّلالة أوضَحَ وأفْصَح ، وكانت الإشارةُ أبيَنَ وأنْورَ ، كان أنفَعَ وأنْجَع . والدِّلالة الظاهرةُ على المعنى الخفىِّ هو البيانُ الذى سمِعْتَ الله عزّ وجلّ يمدحُه ، ويدعو إليه ويحثُّ عليه . بذلك نَطَقَ القُرآنُ ، وبذلك تفاخَرَت العَرب ، وتفاضَلَتْ أصنافُ العَجَم [٥] .

---

(١) كلمة « البيان » ليست فى ل ، هـ ؛ وهى فى سائر النسخ .

(٢) فيما عدا ل : « العباد » .

(٣) فيما عدا ل ، هـ : « وإنما تحيى تلك المعانى فى ذكرهم لها » .

(٤) التلخيص : التبيين والتفسير . وفى حديث على « أنه قعد لتلخيص ما التبس على غيره » .

(٥) فيما عدا ل ، هـ : « الأعجام » .

والبيان اسمٌ جامعٌ لكلِّ شيءٍ كشَفَ لك قِناعَ المعنى ، وهتَكَ الحِجَاب دونَ الضمير ، حتّى يُفْضِيَ السّامعُ إلى حقيقته ، ويَهجُم على محصولِهِ كائناً ما كان ذلك البيانُ ، ومِن أىِّ جنسٍ كان الدّليل ؛ لأنّ مَدَارَ الأمرِ والغايةَ التى إليها يجرِى القائل والسّامع ، إنّما هو الفَهْمُ والإفهام ؛ فبأىِّ شيءٍ بلغْتَ الإفهامَ وأوضَحْتَ عن المعنى ، فذلك هو البيانُ فى ذلك الموضع .

ثم اعلم — حفِظَكَ الله — أنّ حُكْمَ المعانى خلافُ حُكمِ الألفاظ ؛ لأنّ المعانِىَ مبسوطةٌ إلى غير غاية ، وممتدّةٌ إلى غير نهاية ، وأسماءَ المعانى مقصورةٌ معدودة ، ومحصَّلةٌ محدودة .

وجميعُ أصنافِ الدِّلالات على المعانى من لفظ وغير لفظ ، خمسة أشياءَ لا تنقُص ولا تَزيد : أولها اللفظ ، ثم الإشارة ، ثم العَقْد (١) ، ثمّ الخَطّ ، ثمّ الحالُ التى تسمّى نِصبْةً (٢) . والنِّصبة هى الحال الدالّة ، التى تقوم مقامَ تلك الأصنافِ ، ولا تقصِّرُ عن تلك الدِّلالات ، ولكلِّ واحدٍ من هذه الخمسة صورة بائِنةٌ من صورةِ صاحبتها ، وحليةٌ مخالفةٌ لحِلْية أُختها ؛ وهى التى تكشِف لك عن أعيان المعانى فى الجملة ، ثمَّ عن حقائقها فى التَّفسير ، وعن أجناسها وأقدارها ، وعن خاصِّها وعامِّها ، وعن طبقاتها فى السارّ والضارّ ، ٤٩ وعمّا يكون منها لَغْواً بَهْرَجاً (٣) ، وساقطا مُطَّرَحاً .

قال أبو عُثمان : وكان فى الحقّ أن يكون هذا البابُ فى أوّل هذا الكتاب ، ولكنّا أَخَّرْناه لِبعض التَّدبير .

---

(١) العقد : ضرب من الحساب يكون بأصابع اليدين ، يقال له حساب اليد . وقد ورد فى الحديث أنه « عقد عقد تسعين » . وقد ألفت فيه كتب وأراجيز . انظر الخزانة (٣ : ١٤٧) والحيوان (١ : ٣٣) .

(٢) كذا ضبطت فى هـ بكسر النون ، ضبط اسم الهيئة .

(٣) لغواً : أى لا يعتمد به ولا يحصل منه على فائدة ، ل : « لهواً » تحريف . والبهرج : الباطل .

وقالوا : البيان بَصَرٌ والعِيُّ عمىً ، كما أنّ العلم بصرٌ والجهلَ عمى . والبيانُ من نِتاج العِلم ، والعِيُّ من نِتاج الجهل .

وقال سهلُ بن هارون (١) : العقل رائد الرُّوح ، والعلمُ رائدُ العقل ، والبيان تَرجمان العلم (٢) .

وقال صاحبُ المنطق : حَدُّ الإنسانِ : الحىُّ النَّاطق المُبِين .

وقالوا : حياةُ المروءة الصِّدق ، وحياة الرُّوح العفاف ، وحياة الحِلم العلم ، وحياة العِلم البيان .

وقال يونسُ بنُ حبيب : ليس لعييّ مروءة ، ولا لمنقوص البيان بهاء ، ولو حَكَّ بيافوخِهِ أَعْنَانَ السَّماء (٣) .

وقالوا : شِعرُ الرَّجل قِطعةٌ من كلامه ، وظَنُّهُ قطعةٌ من علمِه ، واختيارُه قطعةٌ من عقلِه .

وقال ابنُ التَّوْأم (٤) : الرُّوح عِماد البدَن ، والعِلْم عِماد الرُّوح ، والبيان عماد العلم .

قد قلنا فى الدِّلالة باللفظ . فأمّا الإشارة فباليد ، وبالرأس ، وبالعين والحاجب والمَنْكِب ، إذا تباعَدَ الشخصان ، وبالثَّوب وبالسَّيف . وقد يتهدَّد رافعُ السَّيف والسَّوط ، فيكون ذلك زاجراً ، ومانعاً رادعاً ، ويكون وعيداً وتحذيراً .

---

(١) سبقت ترجمته فى ٢٥ .

(٢) الترجمان ، كزعفران وعنفوان ، وبفتح التاء وضم الجيم : المفسر للسان .

(٣) أعنان السماء : نواحيها ، واحدها عَنَنٌ وعَنّ . فيما عدا ل : « عنان » . وقد روى صاحب اللسان قول يونس هذا ثم قال : « والعامة تقول عنان السماء » . لكنهم قالوا : عنان السماء : ما عن لك منها وقد ضبط فى اللسان ضبط قلم بالفتح ، وفى القاموس ضبط تعيين بالكسر .

(٤) أورد له الجاحظ فى البيان ، وكذا ابن قتيبة فى عيون الأخبار ، أخباراً تنبىء عن حكمته وصواب رأيه . ولعله « صبار بن التوأم اليشكرى » ، الذى ذكره الجاحظ فى الحيوان (٦ : ٤٢١) .

والإشارة واللّفظ شريكان ، ونِعْمَ العونُ هى له ، ونعم الترجمانُ هى عنه . وما أكثَرَ ما تنوب عن اللّفظِ ، وما تُغْنِي عن الخطِّ . وبعدُ فهل تَعدو الإشارةُ أن تكون ذاتَ صورةٍ معروفةٍ ، وحِلْية موصوفة ، على اختلافها فى طبقاتها ودلالاتها . وفى الإشارة بالطَّرف والحاجب وغير ذلك من الجوارح ، مرفقٌ كبير [١] ومَعُونة حاضرة ، فى أمورٍ يستُرها بعضُ النَّاسِ من بعض ، ويخفونها من الجليسِ وغيرِ الجليس . ولولا الإشارةُ لم يَتفاهم النّاسُ معنَى خاصّ الخاصّ ، ولَجَهِلوا هذا الباب البتّة . ولولا أن تفسيرَ هذه الكلمة يَدخل فى باب صناعة الكلام لفسَّرتها لكم . وقد قال الشاعر فى دِلالات الإشارة :

أشارتْ بطَرْفِ العين خِيفةَ أهلِها إشارةَ مذْعورٍ ولم تتكلَّمِ
فأيقنْتُ أنَّ الطَّرْفَ قد قال مرحباً وأهلاً وسهلاً بالحبيب المتيَّمِ [٢]

وقال الآخر :

وللقلب على القلب دليلٌ حينَ يلقاهُ
وفى النَّاس من الناس مقاييسُ وأشباهُ
وفى العينِ غنىً للمر ءِ أنْ تنطقَ أفواهُ

وقال الآخر فى هذا المعنى :

ومَعشرٍ صِيدٍ ذَوِى تَجلَّهْ ترى عليهم للنّدى أدلّه

وقال الآخر :

ترى عينُها عَيْنِى فتعرف وَحْيَها وتعْرف عينى ما به الوَحْىُ يرجعُ

وقال آخر :

---

(١) المرفق ، بفتح الميم والفاء : وكمنبر ومجلس : ما استعين به .

(٢) ل : « المسلم » . وما أثبت من سائر النسخ يوافق ما فى العمدة (١ : ٢١٢) .

(٣) هو أبو العتاهية .انظر عيون الأخبار (٢ : ١٨٢) .

وعينُ الفتى تُبدِى الذى فى ضميره وتعْرِف بالنجوَى الحديثَ المعَمَّسا [١]

وقال الآخر :

العينُ تُبدِى الذى فى نفسِ صاحبِها من المحبّة أو بُغضٍ إذا كانا
والعينُ تنطق والأفواهُ صامتةٌ حتّى ترى من ضمير القلب تِبْيانا

هذا ومبلغُ الإشارة أبعَدُ من مبلغ الصَّوت . فهذا أيضاً باب تتقدَّم فيه الإشارةُ الصوتَ .

والصوتُ هو آلةُ اللّفظِ ، والجوهرُ الذى يقوم به التقطيع ، وبه يُوجَد التأليف [٢] . ولن تكون حركات اللسان لفظاً ولا كلاماً موزوناً ولا منثوراً إلاّ بظهور الصوت ، ولا تكون الحروف كلاماً إلا بالتقطيع والتأليف . وحُسنُ الإشارة باليدِ والرأسِ ، مِن تمام حسن البيانِ باللسان ، مع الذى يكون مع الإشارة من الدَّلِّ والشِّكل [٣] والتقَتُّل والتثَنِّى [٤] ، واستدعاء الشّهوة ، وغير ذلك من الأمور .

قد قُلْنا فى الدّلالة بالإشارة . فأمّا الخطُّ ، فمما ذكرَ اللهُ عزّ وجلّ فى كتابه من فضيلة الخَطِّ والإنعامِ بمنافع الكتاب ، قولُه لنبِّيه عليه السلام : ﴿ إقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ . الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الإنْسانَ مَا لَمْ يَعْلَم ﴾ . وأقسم به فى كتابه المُنْزَل ، على نبيّه المُرسَل ، حيث قال : ﴿ نٓ . وَالْقَلَمِ وَمَا يَسطُرُونَ ﴾ ، ولذلك قالوا : القَلَم أحَدُ اللّسانين . كما قالوا : قِلّة العِيال أَحَدُ اليَسارَين . وقالوا : القلمُ أبقى أثراً ، واللسان أكثَرُ هَذَراً .

---

(١) المعمس ، بالعين المهملة وكسر الميم المشددة وفتحها : الغامض المظلم .

(٢) الكلام من هنا إلى كلمة « التأليف » التالية ساقط من ل .

(٣) الشكل ، بالكسر وبالفتح : دل المرأة وغنجها وغزلها .

(٤) التقتل ، بالقاف : الاختيال والتثنى والتكسر فى المشى . ما عدا هـ : « التفتل » ، تحريف .

وقال عبدُ الرحمن بن كيسان (١) : استعمال القلم أجدَرُ أن يحضَّ الذِّهن على تصحيح الكتاب ، من استعمال اللِّسان على تصحيح الكلام . ٥١

وقالوا : اللسان مقصورٌ على القريب الحاضر ، والقلمُ مطلقٌ فى الشاهد والغائب ، وهو للغابرِ الحائن (٢) ، مثلُه للقائم الرّاهن .

والكتاب يُقرَأ بكلِّ مكان ، ويُدرَس فى كلِّ زمان ؛ واللسان لا يَعْدُو سامِعَه ، ولا يتجاوزُه إلى غيره .

وأمّا القَول فى العَقْد ، وهو الحسابُ دونَ اللّفظ والخطّ ، فالدَّليلُ على فضيلته ، وعِظَم قَدْر الانتفاع به ، قولُ الله عزَّ وجل : ﴿ فَالِقُ الإِصْبَاحِ وجَاعِلُ اللَّيلِ (٣) سَكَناً والشَّمْسَ والقَمَرَ حُسباناً ذَلِكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيمِ ﴾ . وقال جلَّ وتقدَّس : ﴿ الرَّحْمَنُ . عَلّمَ القُرْآنَ . خَلَقَ الإِنْسانَ . عَلّمَهُ البَيَانَ . الشمْسُ وَالْقَمَرُ بحُسْبَانٍ ﴾ . وقال جلّ وعزَّ : ﴿ هُوَ الّذِى جَعَلَ الشَّمْسَ ضِياءً وَالْقَمَرَ نُوراً وقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللهُ ذَلِكَ إلاّ بِالْحقِّ ﴾ . وقال : ﴿ وَجَعَلْنا اللَّيْلَ وَالنَّهارَ آيَتَيْنِ فَمحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنا آيَةَ النَّهارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلمُوا عَدَدَ السنِينَ وَالْحِسَابَ ﴾

والحسابُ يشتمل على معانٍ كثيرةٍ ومنافعَ جليلة ، ولولا معرفةُ العِبَاد بمعنى الحِساب فى الدنيا لَمَا فهِمُوا عن الله عز وجل معنَى الحسابِ فى الآخرة . وفى عدم اللّفْظِ ، وفَساد الخطّ ، والجهلِ بالعقد فَسادُ جُلِّ النِّعَم ، وفِقْدانُ جُمهور المنافع ، واختلالُ كلِّ ما جعله الله عزّ وجلَّ لنا قِواماً ، ومَصْلحةً ونِظاماً

---

(١) ذكره الجاحظ فى الحيوان (٤ : ٢٠٥) وروى عنه .

(٢) الحائن : الهالك . وفى الأصول : « الكائن » .

(٣) قرأ الكوفيون : (وجعل) ، وباقى السبعة : (وجاعل) . انظر تفسير أبى حيان (٤ : ١٨٦) .

وأما النِّصبة (١) فهى الحالُ النَّاطقة بغير اللّفظ ، والمشِيرة بغير اليد . وذلك ظاهرٌ فى خَلْق السموات والأرض ، وفى كلِّ صامتٍ وناطق ، وجامدٍ ونامٍ ، ومُقيم وظاعن ، وزائد وناقص . فالدِّلالة التى فى الموَات الجامد ، كالدّلالة التى فى الحيوان الناطق . فالصَّامتُ ناطق من جهة الدّلالة ، والعَجْماء مُعْرِبةٌ من جهة البُرهان . ولذلك قال الأوَّل (٢) .

« سَل الأرضَ فقُلْ : مَنْ شَقَّ أنهارَكِ ، وغَرَس أشجارَك ، وجَنَى ثِمارَكَ ؟ فإن لم تجبْكَ حِواراً ، أجابتك اعتباراً » .

وقال بعضُ الخطباء : « أشهَدُ أنّ السمٰواتِ والأرضَ آياتٌ دالاّت (٣) وشواهدُ قائمات ، كلٌّ يؤدِّى عنك الحجة ويَشْهَدُ لك بالرُّبوبية (٤) ، موسومةٌ ٥٢
بآثار قُدْرَتِك ، ومَعَالِم تدبيرِك ، التى تَجَلَّيْتَ بها لخلْقك ، فأوصَلت إلى القلوب مِن معرفتك ما أنّسَها مِن وَحشة الفكر ، ورَجْم الظّنون . فهى على اعترافها لك ، وافتقارها إليك (٥) شاهدةٌ بأنك لاتُحيط بك الصِّفات ، ولا تحدُّك الأوهام ، وأنّ حَظَّ الفِكْر فيك ، الاعترافُ لك » .

وقال خطيبٌ من الخطباء ، حين قام على سَرير الإسكندر وهو ميّت (٦) :
« الإسكندر كان أمْسِ أنطَقَ منه اليومَ ، وهو اليوَم أوْعَظُ مِنْه أمس » .

ومتى دلَّ الشيءُ على معنًى فقد أخبر عنه وإن كان صامتاً ، وأشار إليه وإن

---

(١) انظر ما سبق فى حواشى ص ٧٦ .

(٢) هو الفضل بن عيسى بن أبان ، كما فى الحيوان (١ : ٣٥) . وانظر عيون الأخبار (٢ : ١٨٢) وما سيأتى فى ص ٣٠٨ .

(٣) ل : « ودلالات » .

(٤) فيما عدا ل : « ويعرب عنك بالربوبية » .

(٥) فيما عدا ل . « وذلها إليك » .

(٦) القول التالى ينسب أيضاً إلى الموبذ حين قام يرثى قباذ الملك . الكامل ٣٢٠ ليبسك والعقد (٢ : ١٥٦) ومروج الذهب (٢ : ٣١٨) والمستطرف (٢ : ٢٩٤) والحيوان (٦ – ٥٠٥) والصناعتين ١٤ – ١٥ .

كان ساكتاً . وهذا القولُ شائعٌ فى جميع اللغات ، ومتَّفَق عليه مع إفراط الاختلافات .

وقال عنترةُ بنُ شدّادٍ العَبْسىّ وجعَلَ نعيبَ الغُراب خبراً للزَّاجِر :

حَرِقُ الجناح كأنَّ لَحْيَىْ رأسِهِ   جَلَمَان بالأخبار هَشٌّ مُولَعُ [(١)]

الحَرِق : الأسوَد . شبّه لَحْيِيه بالجَلَمين ، لأنّ الغراب يخبِّر بالفرقة والغُربة ويَقطع كما يقطع الْجَلَمانِ [(٢)] . وأنشدنى أبو الرُّدَينىّ العُكْلىّ [(٣)] ، فى تنسُّمِ الذّئب الرِّيحَ واستنشائِهِ [(٤)] واستِرواحِه :

يَستخبِرُ الرِّيحَ إذا لم يَسمَعِ [(٥)]   بِمِثلِ مِقراعِ الصَّفَا المُوقَّعِ

المِقراع : الفأس التى يُكسَر بها الصَّخر . والموقَّع : المحدَّد . يقال وقَّعت الحديدة إذا حدَّدْتَها . وقال آخرُ ، وهو الرَّاعى :

إنّ السَّماءَ وإنّ الرِّيحَ شاهدةٌ   والأرضُ تشهَدُ والأيّامُ والبَلَدُ
لقد جَزَيتَ بنى بدرٍ ببَغْيِهِم   يومَ الهَباءَةِ يوماً مالَه قَوَدُ [(٦)]

وقال نُصيبٌ فى هذا المعنى ، يمدح سليمانَ بنَ عبد الملك :

---

(١) انظر الحيوان (١ : ٣٤ / ٢ : ٣١٦) .

(٢) الإنشاد التالى والتعليق عليه ، هو فيما عدا ل سابق لذاك الإنشاد المتقدم .

(٣) أبو الردينى العكلى هو الدلهم بن شهاب ، أحد بنى عوف بن كنانة ، من عكل ، ويروى الجاحظ فيما سيأتى أنه هجا بنى نمير فتوعدوه بالقتل فقال :

أتوعدنى لتقتلنى نمير   متى قتلت نمير من هجاها

فشهد عليهم منهم رجل فقتله . وكان يهاجى عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير ، أحد شعراء الدولة العباسية.انظر الأغانى (٢٠ : ١٨٣) والحيوان (٥ : ١٥٩ / ٦ : ٤٦٣) والخزانة (٣ : ١٠٥) .

(٤) الاستنشاء : الشم . فيما عدا ل : « واستنشاقه » ، وهما بمعنى .

(٥) انظر الحيوان (١ : ٣٤/ ٤ : ١٣٣/٧ : ١٤٠) . وفى اللسان (فخر ، قرع) : « يستمخر » .

(٦) يوم الهباءة ، كان لعبس على ذبيان ، وفيه قتل حذيفة بن بدر ، وأخوه حمل . انظر معجم البلدان والكامل لابن الأثير (١ ، ٣٥٢) والعقد (٣ : ٣١٦) والعمدة (٢ : ١٦١) وأمثال الميدانى (٢ : ٣٦٢) والخزانة (١ : ٣٠٣/٣ : ٥٣٨ /٤ : ٥٨٥) .

أقولُ لرَكبٍ صادِرِينَ لقيتُهم ... قَفَا ذَاتِ أوشالٍ ومولاكَ قاربُ [١]
قِفُوا خَبِّرونا عن سليمانَ إنَّنى ... لمعروفه مِنْ أهْلِ وَدَّانَ طالبُ [٢]
فعاجُوا فأَثنَوْا بالذى أنتَ أهْلُه ... ولو سكتُوا أثنَتْ عليك الحقائِبُ

وهذا كثيرٌ جداً .

* * *

وقال علىٌّ رحمه الله [٣] : « قيمة كلِّ امرئٍ ما يُحسِن [٤] » . فلو لم نَقِف من هذا الكتابِ إلاّ على هذه الكلمة لوجدْناها شافيةً كافية ، ومجزئة مغْنِية ؛ بل لوَجدناها فاضلةً عن الكفاية ، وغيرَ مقصِّرة عن الغاية . وأحسنُ الكلام ما كان قليلهُ يُغْنِيك عن كثيرِه ، ومعناه فى ظاهرِ لفظِه ، وكان اللهُ عزّ وجلّ قد ألبسَه من الجَلالة ، وغَشّاه من نُور الحكمة على حَسَب نيّة صاحبه وتقوَى قائِله . فإذا كان المعنى شريفاً واللفظُ بليغاً ، وكان صحيح الطبع بعيداً من الاستكراه ، ومنزَّها عن الاختلالِ مصوناً عن التكلُّف ، صنَعَ فى القُلوب صنيعَ الغَيث فى التُّربة الكريمة . ومتى فَصَلت الكلمةُ على هذه الشّرِيطة ، ونفذَتْ من قائلها على هذه الصِّفة ، أصحَبَها اللهُ من التوفيق ومَنَحها من التأييد ، مالا يمتنع معه من تعظيمها صدورُ الجبابرة ، ولا يذهَل عن فهمها معه عقولُ الجَهَلة .

وقد قال عامر بن عبد قيس [٥] : « الكلمة إذا خرجت من القلب وقعتْ فى

---

(١) القارب : طالب الماء . وأراد بالمولى نفسه . هـ ، ب : «لاغب» وكتب فى هامش ل : «خ : لاغب » . وانظر الكامل ١٠٤ ليبسك وزهر الآداب (٢ : ٤١ ، ٤٢) والعمدة (١ : ٤٤) .

(٢) ودان : موضع بين مكة والمدينة قريب من الجحفة . قال ياقوت : « وقد أكثر نصيب من ذكرها فى شعره » . وأنشد هذه الأبيات . هـ ، جـ : « آل ودان » وكذا ياقوت .

(٣) فيما عدا ل : « بسم الله الرحمن الرحيم وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه » .

(٤) فيما عدا ل : « قيمة كل إنسان » . وفى زهر الآداب (١ : ٤١) : « كل امرئ » .

(٥) هو عامر بن عبد قيس بن ثابت التميمى ، ويقال له أيضاً عامر بن عبد الله . تابعى ثقة من كبار التابعين وعبادهم . وكان غاية فى الزهد ، روى عنه فى ذلك روايات تدخل فى حدود المبالغة . انظر الإصابة ٦٢٨٠ وصفة الصفوة (٣ : ١٢٦ ــ ١٣٥) . وكان من الأبيناء الفصحاء ، كما سترى فى مواضع كثيرة . توفى فى خلافة معاوية .

القلب ، وإذا خرجت من اللِّسانِ لم تجاوِز الآذان [١] » .

وقال الحسنُ رحمه الله ، وسمِع رجلاً [٢] يَعِظ ، فلم تقع موعظتُه بموضعٍ مِن قلبه ، ولم يرِقَّ عندها ، فقال له : « يا هذا، إنّ بقلبك لَشرّاً أو بقلبى » .

وقال علىُّ بنُ الحسَين بنِ على رحمه الله [٣] : لو كان النّاسُ يعرِفون جُملةَ الحال فى فضل الاستبانة ، وجملةَ الحال فى صواب التّبيين ، لأَعرَبُوا عن كلِّ ما تخَلَّجَ فى صدُورِهم ، ولوَجَدوا من بَرْدِ اليقين ما يُغْنيهم عن المنازَعة إلى كلِّ حالٍ سوى حالهم . وعلى أنّ دَرَكَ ذلك كان لا يُعْدِمهُم فى الأيّام القليلة العِدّة [٤] ، والفِكْرة القصيرة المُدّة ، ولكنَّهم من بينِ مغمورٍ بالجَهْل ، ومفْتُون بالعُجْب ، ومعدولٍ بالهوى عن باب التثبُّت ، ومصروفٍ بسوء العادة عن فَضْلِ التَّعلُّم .

وقد جَمَع محمَّدُ بنُ علىّ بن الحسين صلاحَ شأن الدُّنيا بحذافيرِها فى كلمتين ، فقال : « صلاحُ شأن جميع التّعايُشِ والتعاشرِ ، مِلءُ مكيالٍ ثلثاه فِطنة ، وثلثُه تغافُل » . فلم يجعَلْ لغير الفِطنة نصيباً من الخير ، ولا حَظًّا فى الصلاح ؛لأنّ الإنسان لا يتغافل إلا عن شيءٍ قد فَطِن له وعَرَفه .

وذكر هذه الثلاثة الأخبارَ إبراهيمُ بنُ داحَة ، عن محمَّد بن عمير . وذكرها صالح بن عليّ الأفقم ، عن محمد بن عُميْر . وهؤلاء جميعاً من مشايخ الشّيع ، وكان ابنُ عمير أغْلاهم .

وأخبرنى إبراهيمُ بن السِّندىّ ، عن علىّ بن صالحٍ الحاجب ، عن العباس ابن محمد قال : قيل لعبد الله بن عبّاس : أنّى لك هذا العِلمُ ؟ قال : « قلبٌ عَقولٌ ،

---

(١) انظر الحيوان (٤ : ٢١٠) .

(٢) فيما عدا ل : « وسمع متكلماً »

(٣) كلام على هذا فى زهر الآداب (١ : ٥٩) .

(٤) يقال : أعدمه الشئ ، إذا لم يجده .

(٥) فى الكامل ٤٦ : « فى ملء مكيال » ، وفى زهر الآداب (١ : ٧١) : «وهو ملء مكيال » .

ولسانٌ سَؤُول » . وقد رووْا هذا الكلامَ عن دَغفَلِ بن حنظلةَ العلّامة (١) وعبدُ الله أَوْلَى به منه . والدّليل على ذلك قولُ الحسن : إنّ أوّلَ مَن عرَّف بالبَصرة ابنُ عباسٍ ، صعِد المنبر فقرأ سورةَ البقرة ، ففسَّرَها حرفاً حرفاً ، وكان مِثَجًّا يسيل غَرْبا (٢) .

المِثَجُّ : السائل الكثير ، وهو من الثَّجّاج . والغَرْب ، ها هنا : الدَّوَام .

هشام بن حسّانَ وغيرُه ، قال : قيل للحسن : يا أبا سعيد ، إنّ قوماً زعمُوا أنّك تذمُّ ابنَ عباسٍ . قالوا : فبكى حتّى اخضلَّت لحيتُه ، ثم قال : إنّ ابنَ عباسٍ كان من الإسلام بمكان ، إنّ ابن عبّاس كان من القرآنِ بمكان (٣) ، وكان والله له لسانٌ سَؤُولٌ ، وقلب عَقُول ،وكان الله مِثَجًّا يسيل غَرْباً .

قالوا : وقال عليُّ بن عبد الله بن عباس : من لم يجد مَسَّ الجهل فى عقله ، وذُلَّ المعصية فى قلْبه ، ولم يَستبِنْ موضِع الخَلَّةِ فى لسانه ، عند كلال حَدِّه عن حَدِّ خَصمِه ، فليس ممّن يَنزِع (٤) عن رِيبة ، ولا يَرغبُ عن حال مَعْجَزةٍ ، ولا يكترث لفَصْلِ ما بين حُجة وشُبهةٍ .

قالوا : وذكَر محمَّدُ بن عليّ بن عبد الله بن عباس ، بلاغَةَ بعضِ أهلِه فقال : إنِّى لأَكْرَهُ أن يكون مقدارُ لسانه فاضلاً على مقدار عِلمه ، كما أكره أن يكون مقدارُ علمه فاضلاً على مقدار عقله .

وهذا كلامٌ شريفٌ نافع ، فاحفظوا لفْظَه وتدبَّروا معناه ، ثمّ اعلموا أنّ المعنى الحقيرَ الفاسدَ ، والدنىَّ الساقط ، يعشِّش فى القلب ثم يَبيض ثم يفرِّخ ،

---

(١) انظر الحيوان (٣ : ٤٨٩) وعيون الأخبار (٢ : ١١٨) . ودغفل بن حنظلة ممن أدرك النبى ولم يسمع منه شيئاً ، ووفد على معاوية فسأله عن مسائل فأجابه وكان منها هذا السؤال . انظر الميدانى(٢ : ٢٧٣) .

(٢) الخبر فى اللسان (ثجج ، غرب) . وفى حواشى هـ : « معنى عرف بالبصرة : فعل فعل الحاج بعرفة فى جمع الناس للذكر والدعاء » .

(٣) فيما عدا ل : « كان من العلم بمكان » .

(٤) فيما عدا ل ، هـ : « يفزع » .

فإذا ضَرَب بجرانِهِ ومَكَّن لعُروقه ، استفحل الفساد وبَزَل ، وتمكّن الجهل وقَرَحَ (١) ، فعند ذلك يقوى داؤه ، ويمتنع دواؤُه ؛ لأنّ اللفظَ الهجينَ الردىّ ، والمستكْرَهَ الغبىّ ، أعلَقُ باللِّسان ، وآلف للسمع ، وأشدُّ التحاماً بالقلب (٢) من اللفظ النَّبيه الشّريف ، والمعنى الرَّفيع الكريم . ولو جالَسْتَ الجُهّالَ والنَّوْكى ، والسُّخفاءَ والحَمقَى ، شهراً فقط ، لم تَنْقَ من أوضارِ كلامِهم ، وخَبَال معانيهم ، بمجالَسة أهل البيان والعقل دهراً ؛ لأنّ الفسادَ أسرعُ إلى النَّاس ، وأشَدُّ التحاماً بالطبائع . والإنسانُ بالتّعلُّم والتكلُّف ، وبطُول الاختلاف إلى العلماء ، ومدارَسَةِ كُتُبِ الحكماء ، يَجُودُ لفظُه ويحسُن أدبُه ، وهو لا يحتاج فى الجهل إلى أكثَرَ من ترك التعلُّم ، وفى فساد البيان إلى أكثَرَ من ترك التخيُّر .

ومما يؤكّد قولَ محمّد بن علىّ بن عبد الله بن عبّاس ، قولُ بعضِ الحكماء حين قيل له : متى يكون الأدبُ شراً مِن عدمه ؟ قال : إذا كثُر الأدب ، ونَقَصَت القريحة .

وقد قال بعضُ الأوَّلين : « مَن لم يكن عقْلُه أغلبَ خصال الخَير عليه ، كان حتْفُه فى أغلَب خصال الخير عليه » . وهذا كلّه قريبٌ بعضُه من بعض .

وذكر المغيرةُ بن شُعْبة عُمَر بنَ الخطّاب رحمه الله فقال « كان والله أفضَلَ من أن يَخْدَع ، وأعْقَلَ من أن يُخْدَع » .

وقال محمّد بن علىّ بن عبد الله بن عباس : « كفَاكَ مِن عِلْمِ الدِّين أن تعرِف مالا يسَعُ جَهلُه ، وكفاك مِن علم الأدب أن تروِى الشّاهدَ والمثَل » .

وكان عبدُ الرحمنِ بنُ إسحاقَ القاضى يروى عن جده إبراهيم بن سلمة ،

---

(١) بزل : بلغ سن البزول ، وهو التاسعة . وقرح : بلغ سن القروح ، والقارح من ذى الحافر بمنزلة البازل من الإبل . كنى بها عن القوة .

(٢) من « وأشد » ساقط من ل .

قال : سمعتُ أبا مسلمٍ [١] يقول : سمِعت الإمام إبراهيمَ بنَ محمّدٍ [٢] يقول : يكفِي من حَظِّ البلاغة أن لا يُؤتَى السَّامعُ من سوء إفهام النَّاطق ، ولا يُؤتَى النَّاطقُ من سوء فهم السَّامع .

قال أبو عثمان : أما أنا فأستحسنُ هذا القَوْلَ جدًّا .

* * *

---

(١) هو أبو مسلم الخراسانى الداعى للدولة العباسية .

(٢) هو إبراهيم بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، أخو أبى العباس السفاح رأس الدولة العباسية ، حبسه مروان بن محمد ، وقتل فى محبسه سنة ١٣٢ حيث ظهر بعده أبو العباس السفاح ، عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد الله ، ولا [حول ولا (١)] قُوَّة إلا بالله ، وصلّى الله على محمّدٍ خاصَّة ، وعلى أنبيائِه عامة .

خبَّرنى أبو الزُّبير كاتبُ محمَّدِ بن حَسَّان (٢) ، وحدّثنى محمد بن أبان — ولا أدرى كاتب مَن كان — قالا :

قيل للفارسىّ : ما البلاغة ؟ قال : معرفة الفَصْل من الوصل .

وقيل لليونانىّ : ما البلاغة ؟ قال : تصحيح الأقسام ، واختيار الكَلام .

وقيل للرومىّ : ما البلاغة ؟ قال : حسن الاقتضاب عند البداهة ، والغَزارة يَوْمَ الإطالة .

وقيل للهندىّ : ما البلاغة ؟ قال : وضُوح الدّلالة ، وانتهاز الفرصة ، وحسن الإشارة .

وقال بعضُ أهل الهند : جِمَاع البلاغة البَصر بالحُجّة ، والمعرفةُ بمواضع الفرصة .

ثم قال : ومن البصر بالحُجة ، والمعرفِة بمواضع الفُرصة ، أن تَدَعَ الإفصاح بها إلى الكناية عنها ، إذا كان الإفصاحُ أوعَرَ طريقةً . وربما كان الإضرابُ عنها صفحاً أبلَغَ فى الدَّرَك ، وأحقَّ بالظَّفَر . ٥٦

قال : وقال مَرَّةً : جِمَاع البلاغة التماس حُسن الموقع ، والمعرفةُ بساعات القول ، وقلة الخَرَقِ بما التبَسَ من المعانى أو غَمُضَ (٣) ، وبما شَرَد عليك من اللّفْظ أو تعذّر .

---

(١) هذه مما عدا ل .

(٢) هو محمد بن حسان بن سعد التميمى ، كان على خراج الكوفة . انظر الأغانى (٢ : ١٤٨) .

(٣) الخرق ، بالتحريك : الدهشة والحيرة. فيما عدا ل ، هـ: « الحرف » تحريف .

ثم قال : وزَينُ ذلك كلِّه ، وبهاؤُه وحلاوتهُ وسناؤُه ، أن تكون الشّمائلُ موزونةً ، والألفاظُ معدَّلةً ، واللّهجة نقيَّة [١] . فإنْ جامَعَ [٢] ذلك السنُّ والسمتُ والجمال وطولُ الصَّمت ، فقد تَمَّ كلَّ التمام ، وكمل كلَّ الكمال .

وخالَفَ عليه سهلُ بن هارونَ فى ذلك ، وكان سهلٌ فى نفسه عتيقَ الوجه ، حسنَ الشّارةِ ، بعيداً من الفَدامة ، معتدل القامة ، مقبول الصُّورة ، يُقضَى له بالحكمة قبل الخبرة ، وبرِقّةِ الذِّهن قبل المخاطبة ، وبدقّة المذهب قبل الامتحان، وبالنُّبْل قبل التكشُّف . فلم يمنَعْه ذلك أن يقول ما هو الحقُّ عِنده وإن أدخَلَ ذلك على حالِه النَّقْص .

قال سهلُ بن هارون : لو أنَّ رجلَينِ خطبَا أو تحدّثا ، أو احتجَّا أو وصَفَا وكان أحدُهما جميلاً جليلاً بهياًّ ، ولَبَّاساً نبيلا [٣] ، وذا حَسَبٍ شريفاً ، وكان الآخَر قليلاً قميئاً ، وباذَّ الهيئة دَميماً ، وخامِلَ الذِّكر مجهولًا ، ثم كان كلامُهما فى مقدارٍ واحدٍ من البلاغة ، وفى وزنٍ واحدٍ من الصواب ، لَتصدَّع عنهما الجَمْع وعامّتُهم تَقضى للقليل الدَّميم على النَّبيل الجسيم ، وللباذّ الهيئة على ذى الهيئة ، ولشَغَلهم التعجب منه عن مساواةِ صاحبه به ، ولصار التعجُّب منه سبباً للعَجَب به ، ولصار الإكثارُ فى شأنِه عِلّةً للإكثار فى مدحه ، لأنّ النفوسَ كانت له أحقَر ، ومِن بيانِه أيأس ، ومن حَسَدِه أبعَد . فإذا هَجَمُوا منه على ما لم يكونُوا يَحتَسِبُونه ، وظهَرَ منه خلافُ ما قدَّرُوه ، تضاعَفَ حُسْنُ كلامه فى صدورهم ، وكبُر فى عيونهم ؛ لأنَّ الشّىءَ من غير معدنه أغرب ، وكلّما كان أغرَبَ كان أبْعدَ فى الوهْم ، وكلّما كان أبعَدَ فى الوهم كان أطْرَف ، وكلّما كان أطْرَفَ كان أعجب ،

---

(١) ل : « والألفاظ معتدلة ، والبهجة نقية » ، وفيها تحريف .

(٢) فيما عدا حـ : « جاء مع » .

(٣) ل فقط : « ولبيسا » والمعروف فى المعاجم المتداولة « لباساً » كما فى سائر النسخ .

وكلما كان أعجبَ كان أبدع . وإنَّما ذلك كنوادِرِ كلام الصِّبيان ومُلَح المجانين ؛ فإنّ ضحِك السامعين من ذلك أشدُّ ، وتعجُّبَهم به أكثر . والنّاسُ مُوَكَّلُون بتعظيم الغريب ، واستِطراف البعيد [١] ، وليس لهم فى الموجود ٥٧ الرَّاهن ، وفيما تحتَ قُدرتهم من الرَّأى والهوى ، مِثْلُ الذى لهم فى الغريب القليل ، وفى النادر الشاذّ ، وكلِّ ما كان فى مِلْك غيرِهم . وعلى ذلك زَهِدَ الجِيرانُ فى عالِمِهم ،والأصحابُ فى الفائدة من صاحبِهم . وعلى هذا السَّبيلِ يستَطْرِفون القادمَ عليهم ، ويرحَلُون إلى النَّازح عنهم ، ويتركون مَن هو أعمُّ نفعاً وأكثرُ فى وجوه العِلم تصرُّفا ، وأخفُّ مَؤُونةً وأكثرُ فائدة . ولذلك قدّم بعضُ الناس الخارجيَّ على العريق [٢] ، والطّارفَ على التَّليد .

وكان يقول [٣] : إذا كان الخليفةُ بليغاً والسيِّد خطيباً ، فإنَّك تجِدُ جمهورَ الناس وأكثر الخاصَّة فيهما على أمرْين : إمّا رجلاً يُعطِى كلامَهما من التعظيم والتّفضيل ، والإكبار والتبجيل ، على قدر حالِهما فى نفسه ، ومَوقِعهما من قلبه ؛ وإما رجُلاً تعرِضُ له التُّهمة لنفسه فيهما ، والخوفُ من أن يكون تعظيمُه لهما يُوهمه من صَوابِ قولهما ، وبلاغة كلامهما ، ما ليس عندهما ، حتَّى يُفرط فى الإشفاق ، ويُسْرِف فى التُّهمة . فالأوّلُ يزيد فى حقِّه للذى له فى نفسه ، والآخر ينقُصه من حقّه لتُهمتِه لنفسه ، ولإشفاقه من أن يكون مخدوعا فى أمره . فإذا كان الحُبُّ يُعمِى عن المساوى فالبُغْض أيضاً يُعمِى عن المحاسن . وليس يَعْرِف حقائقَ مقاديرِ المعانى ؛ ومحصولَ حدود لطائف الأمور ، إلّا عالمٌ حكيم ، ومعتدلُ الأخلاط عَليم ، وإلا القوىُّ المُنَّة ، الوَثيق العُقْدة ، والذى لا يمَيل مع مايستميل الجمهورَ الأعظمَ ، والسوادَ الأكبر [٤] .

---

(١) فيما عدا ل ، هـ : « واستظراف البديع » .

(٢) الخارجى : الذى يخرج ويشرف بنفسه من غير أن يكون له قديم .

(٣) أى سهل بن هارون . انظر ص ٨٩ س ٩ . وفيما عدا ل : « وكانوا يقولون » .

(٤) هـ : « الأكثر » .

وكان سهلُ بن هارونَ شديدَ الإطناب فى وصف المأمون بالبلاغة والجَهارة ، وبالحلاوة والفخامة ، وجَودة اللّهجة والطّلاوة .

وإذا صِرْنا إلى ذِكْر ما يحضُرنا مِن تسميةِ خطباء بنى هاشم ، وبُلَغاء رجال القبائل ، قلْنا فى وصفهما على حسَب حالهما ، والفَرْقِ الذى بينهما ؛ ولأنّنا عسى أن نذكر جملةً من خطباء الجاهليّين والإسلاميِّين ، والبدويِّين والحضَريِّين ، وبعضَ ما يحضُرنا من صفاتهم وأقدارهم ومقاماتهم ، وبالله التوفيق .

ثم رجع القولُ بنا إلى ذكر الإشارة .

وروى أبو شَمِر [(١)] عن مُعَمَّرٍ أبى الأشعث [(٢)]، خلافَ القول الأوّل فى الإشارة والحركة عند الخطبة ، وعند منازَعة الرجال ومناقَلَة الأكْفاء .

وكان أبوشَمِرٍ إذا نازع لم يحرِّكْ يديه ولا مَنْكِبيه ، ولم يقلِّبْ عينيه ، ولم يُحرِّكْ رأسَه ، حتَّى كأنَّ كلامَه إنما يخرج من صَدْع صخرة . وكان يَقضِى على صاحب الإشارة بالافتقار إلى ذلك ، وبالعجز عن بُلوغ إرادته . وكان يقول : ليس من حقِّ المنطق أن تستعين عليه بغيره ، حتّى كلّمه إبراهيمُ بن سيَّار النّظَّامُ عند أيوبَ بن جعفر [(٣)] ، فاضطرَّه بالحجَّة ، وبالزيادة فى المسألة ، حتّى حرَّكَ يديه وحَلَّ حُبْوَتَه ، وحَبَا إليه حتى أخذ بيديه . وفى ذلك اليومِ انتقل أيُّوبُ من قول أبى شَمِر إلى قول إبراهيم . وكان الذى غَرَّ أبا شَمِرٍ ومَوَّهَ له هذا الرأى، أنَّ أصحابه كانوا يستمعون منه ، ويسلِّمون له ويميلون إليه ، ويَقْبَلون كلّ ما يُورِدِه

---

(١) أبو شمر هذا أحد أئمة القدرية المرجئة . انظر السمعانى . وتجد آراءه فى الفرق ١٩٠ – ١٩٤ .

(٢) هو معمر بن عباد السلمى ، صاحب فرقة المعمرية من المعتزلة ، وكان من تلاميذه أبو الحسن المدائنى ، وحفص الفرد ، وأبو شمر ، وأبو بكر الأصم ، وأبو عامر عبد الكريم بن روح . انظر ابن النديم ١٤٧ ، والمواقف ٦٢٣ طبع بولاق . ومعمر بتشديد الميم ، كما فى لسان الميزان (٦ : ٧١) . توفى سنة ٢١٥ .

(٣) أيوب بن جعفر بن سليمان العباسى ، كان من أعلم الناس بقريش ، وبالدولة وبرجال الدعوة كما سيأتى . وذكر الجاحظ فى الحيوان (٦ : ٧٨) أنه كان لا يحب أكل الضباب .

عليهم ، ويُثبِّته عندهم . فلما طالَ عليهِ توقيرُهم له ، وتَرْكُ مجاذبتهم إيّاه ، وخفّت مؤونة الكلامِ عليه – نَسِيَ حالَ منازعة الأكْفاء ومجاذبةِ الخصوم . وكان شيخاً وقوراً ، وزِمِّيتاً رَكينا (١) ، وكان ذا تصرُّف فى العلم ، ومذكوراً بالفهم والحلم .

قال معمَّر ، أبو الأشعث : قلت لبَهلْة الهندىّ أيّامَ اجتلب يحيى بنُ خالدٍ أطبّاءَ الهند ، مثل مَنكْة وبازَيْكر (٢) وقِلبرَقْل (٣) وسِنْدباذ وفُلان وفُلان : ما البلاغةُ عندَ الهند ؟ قال بَهْلة : عندنا فى ذلك صحيفةٌ مكتوبة ، ولكنْ لا أُحسن ترجمتها لك (٤) ، ولم أعالج هذه الصناعة فأثِقَ من نفسى بالقيام بخصائصها ، وتلخيصِ لطائِف معانيها .

قال أبو الأشعث : فلقِيتُ بتلك الصحيفة التّراجمةَ فإذا فيها (٥) :

أوّل البلاغة اجتماع آلة البلاغة . وذلك أن يكون الخطيبُ رابطَ الجأْش ، ساكنَ الجوارح ، قليلَ اللّحْظ ، متخيِّر اللّفْظ ، لا يكلِّم سَيِّدَ الأُمَة بكلام الأمَة ولا الملوكَ بكلام السُّوقة . ويكونَ فى قُواه فضْلُ التصرُّف فى كلِّ طبقة ، ولا يدقِّق المعانىَ كلَّ التدقيق ، ولا يُنقِّحَ الألفاظ كل التنقيح ، ولا يُصَفِّيهَا كلَّ التّصفية ، ولا يهذّبَها غاية التهذيب ، ولا يفعلَ ذلك حتى يصادِفَ حكيماً ، أو فيلسوفاً عليماً ، ومَن قد تعوَّد حذف فُضول الكلام ، وإسقاطَ مشتركاتِ الألفاظ ، وقد نَظَر فى صناعة المنطق على جهة الصِّناعة والمبالغة ، لا على جهة الاعتراض والتصفُّح ، وعلى وجه الاستطراف والتظَرُّف . قال : ومِن عِلْم حَقِّ

---

(١) الزميت : الحليم الساكن القليل الكلام ، كالصميت . والركين : الرزين .

(٢) كذا ضبطت هذه الأسماء الهندية فى ل ، هـ . لكن ضبطت « سندباد » فى هـ بضم السين. وفى الحيوان (٧ : ٢١٣) أن « منكة » كان صحيح الإسلام .

(٣) ل : « وقل بن قل » وأثبت ما فى سائر النسخ .

(٤) فيما عدا ل ، هـ : « مكتوبة لا أحسن ترجمتها لك » . وكلمة « لك » ساقطة من هـ .

(٥) ذكر العسكرى فى الصناعتين ١٩ هذه الصحيفة ، وفسرها . كذلك ذكرها ابن قتيبة فى عيون الأخبار(٢ : ١٧٣) .

المعنى (١) أن يكون الاسمُ له طِبْقاً ، وتلك الحالُ له وَفْقاً ، ويكون الاسم له لا فاضلا [ولا مفضولا (٢)] ،ولا مقصِّراً ، ولا مشتركاً ، ولا مضمّناً ، ويكونَ مع ذلك ذاكراً لما عَقَدَ عليه أوَّل كلامه ، ويكونَ تصفُّحه لمَصادِرِه ، فى وزن تصفُّحه لموارده ، ويكونَ لفْظُه مُونِقاً ، ولهَوْل تلك المقامات معاوِداً (٣) . ومدارُ الأمر على إفهام كلِّ قومٍ بمقدارِ طاقتهم ، والحملِ عليهم على أقدار منازلهم ، وأن تُواتِيهَ آلاتُه ، وتتصرّفَ معه أداتُهُ ، ويكونَ فى التُّهمَة لنفسه معتدلاً ، وفى حسن الظنِّ بها مقتصداً ؛ فإنه إنْ تجاوَزَ مِقدارَ الحقِّ فى التُّهمة لنفسه ظَلَمها ، فأودَعها ذِلّة المظلومين ، وإن تجاوَزَ الحقَّ فى مقدار حُسْن الظنِّ بها ، آمنها فأودَعَها تهاوُنَ الآمنين . ولكل ذلك مقدارٌ من الشُّغْل ، ولكل شغْلٍ مقدارٌ من الوهَن ، ولكل وهَنٍ مقدارٌ من الجهل .

وقال إبراهيم بن هانئ (٤) ، وكان ماجناً خليعاً ، وكثير العبَثِ متمرِّدا . ولولا أنّ كلامه هذا الذى أراد به الهزْل يدخُلُ فى باب الجِدّ ، لَمَا جعلْته صِلَة الكلام الماضى . وليس فى الأرض لفظٌ يسقط البتّة ، ولا معنًى يبور حتّى لا يصلحَ لمكانٍ من الأماكن .

قال إبراهيم بن هانئ : من تمام آلة القَصَص أن يكون القاصُّ أعمَى ، ويكونَ شيخاً بَعيدَ مدَى الصوت . ومن تمام آلة الزَّمْر أن تكون الزَّامرةُ

---

(١) فيما عدا ل : « وقال من علم حق المعنى» وفى الصناعتين : « قال واعلم أن حق المعنى » .

(٢) هذه مما عدا ل .

(٣) بدله فى الصناعتين : « ومعناه نيراً واضحاً » . وهو يدل أن الترجمة التى حصل عليها العسكرى غير التى حصل عليها الجاحظ .

(٤) إبراهيم بن هانئ : أحد معاصرى الجاحظ ، روى عنه أخباراً فى الحيوان ، وخبراً فى البخلاء ١٠٦ .

سوداءَ . ومن تمام آلة المُغَنِّى أن يكون فارِهَ البِرْذَوْن ، برّاقَ الثِّياب (١) ، عظيمَ الكِبْر ، سيِّئ الخُلُق . ومن تمام آلة الخَمَّار أن يكون ذِمِّياً ، ويكون اسمه أذِين أو شَلُومَا ، أو مازِيار ، أو أزدانِقاذار ، أو مِيشاَ ، ويكونَ أرقطَ الثِّياب ، مختوم العُنق . ومن تمام آلة الشِّعر أن يكون الشّاعرُ أعرابيًّا ، ويكونُ الداعى إلى الله صوفيًّا . ومن تمام آلة السُّؤْدُدِ أن يكون السيِّد ثقيلَ السَّمع ، عظيمَ الرّأس . ولذلك قال ابن سنان الجُدَيدىّ (٢) ، لراشد بن سَلَمَة الهُذَلىّ : « ما أنتَ بعظيم الرأس [ولا ثقيلِ السمع] (٣) فتكون سيِّدا ، ولا بأرسَحَ فتكون فارساً » .

وقال شَبِيبُ بن شَيْبَةَ الخطيب ، لبعضِ فتيان بني مِنْقَرٍ : « والله ما مُطِلْتَ مَطْل الفُرسان ، ولا فُتِقْتَ فَتْقَ السّادة » .

وقال الشاعر :

فقبّلْتُ رأساً لم يكن رأسَ سَيِّدٍ ... وكفاًّ ككَفِّ الضَّبِّ أو هى أحقَرُ (٤)

فعاب صِغَر رأسه وصِغر كفّه ، كما عاب الشّاعر (٥) كفَّ عبدِ الله ابن مطيع العَدَوىّ ، حين وجدَها غليظة جافية ، فقال :

دَعا ابنُ مُطيعٍ للبِيَاعِ فجئتُه ... إلى بَيْعةٍ قلبِى لها غَيْرُ آلِفِ

فناوَلَنِى خَشْناءَ لمَّا لمسْتُها ... بكَفِّىَ ليست من أكُفِّ الخلائِفِ

وهذا الباب يقَعُ (فى كتابِ الجوارح) مع ذكر البُرْصِ والعُرج والعُسْر

---

(١) فيما عدا ل ، هـ : « الثنايا » . ولكل وجه . وفى حواشى هـ : « خ : الثنايا » .

(٢) كذا ضبط فى ل . وهو إما نسبة إلى « جديد » ، وهى خطة لبنى جديد بالبصرة ، أو إلى « الجديدة » وهى قلعة فى كورة بين النهرين بين نصيبين والموصل .

(٣) هذه مما عدا ل .

(٤) فيما عدا ل ، هـ : « تقلب رأساً » .

(٥) هو فضالة بن شريك . وكان عبد الله بن الزبير قد ولى عبد الله بن مطيع بن الأسود الكوفة ، فطرده عنها المختار بن أبى عبيد الثقفى ، فقال فضالة هذا الشعر فى هجائه . انظر الأغانى (١٠ : ١٦٤) . وسيعيد الجاحظ إنشاده فيما بعد .

والأُدْر والصُّلع (١) [والحدْب والقَرْع (٢)] ، وغير ذلك من عِلَل الجوارح . وهو واردٌ عليكم إن شاء الله بعد هذا الكتاب .

وقال إبراهيم بن هانئ : من تمام آلة الشّيعىّ أن يكون وافرَ الجُمّة ، صاحب بازَيْكَنْد (٣) . ومن تمام آلة صاحب الحَرَسِ أن يكون زِمِّيتاً قَطُوباً أبيضَ اللِّحية ، أقنى أجنى (٤) ، ويتكلّمَ بالفارسيّة (٥) .

وأخبرنى إبراهيم بن السِّنْدىّ قال : دخل العُمانىّ الراجز على الرشيد ، ليُنْشده شعراً ، وعليه قَلَنْسُوةٌ طويلة ، وخُفٌّ ساذَج ، فقال : إياك أن تُنشدَنى إلّا وعليك عمامةٌ عظيمة الكَوْر ، وخُفّان دُمَالِقان (٦).

قال إبراهيم : قال أبو نصر : فبكَرَ عليه من الغدِ وقد تَزَيَّا بزِىِّ الأعراب ، فأنشده ثم دَنا فقبّل يده ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ، قد والله أنشدتُ مَرْوانَ ورأيتُ وجهه وقبّلتُ يده وأخذتُ جائزتَه ، وأنشدتُ يزيد بن الوليد وإبراهيم ابن الوليد ورأيتُ وجوهَهما وقبّلت أيديهما وأخذْتُ جوائزَهما ، وأنشدتُ السفّاح ورأيتُ وجهَه وقبّلت يدَه وأخذتُ جائزته ، وأنشدْتُ المنصورَ ورأيتُ وجهَه وقبّلت يده وأخذتُ جائزتَه ، وأنشَدْت المهدىَّ ورأيتُ وجْهَه وقَبّلْت يدَه وأخذْتُ جائزته ، وأنشدْتُ الهادِىَ ورأيتُ وجهَه وقبّلت يدَه وأخذت جائزته . هذا إلى كثيرٍ من أشباه الخُلَفاء وكبار الأُمَراء ، والسّادة الرؤساء ، ولا والله

(١) فيما عدا ل ، هـ : « والفلج » .

(٢) هذه مما عدا ل .

(٣) فى هامش ل : « بازيكند : نوع من الثياب ، فارسية » . وقد ضبطت الكلمة فى المتن والتعليق ، بفتح الزاى وضم الياء وفتح الكاف .

(٤) الأقنى : المرتفع أعلى الأنف المحدودب وسطه . والأجنى : تسهيل الأجنأ ، وهو الأحدب الظهر .

(٥) فيما عدا ل ، هـ : « صاحب تكلم بالفرسية » .

(٦) الدمالق : المستدير الأملس . ل : « ذلقمان » صوابه فى سائر النسخ . وانظر الشعر والشعراء ٣٧١ وعيون الأخبار (١ : ٩٣ — ٩٤) .

إن رأيتُ فيهم أبهى منظراً ، ولا أحسنَ وجهاً ، ولا أنعَمَ كَفاً ، ولا أندى راحة منك يا أمير المؤمنين . ووالله لو أُلقى فى رُوعى أنّى أتحدّث عنك ما قلتُ لك ما قلت . قال : فأعظَمَ له الجائزةَ على شِعره ، وأَضعَف له على كلامِه ، وأقبل عليه فبَسطَه ، حتّى تمنّى والله جميعُ مَن حضر أنهم قامُوا ذلك المَقام .

* * *

ثم رجع بنا القولُ إلى الكلام الأوّل . قال ابنُ الأعرابىّ : قال معاوية بن أبى سفيان لصُحارِ بن عَيّاشٍ العبدىّ (١) : ما هذه البلاغةُ التى فيكم ؟ قال : شىءٌ تَجيش به صدورُنا فتَقذِفُه على ألسنتنا . فقال له رجل مِن عُرْض القَوم (٢) : يا أمير المؤمنين ، هؤلاء بالبُسْر والرُّطَب ، أبصرُ منهم بالخُطَب . فقال له صُحار : أجَلْ واللهِ ، إنّا لنَعلم إنّ الرِّيح لَتُلْقِحُه (٣) ، وإن البَرد ليَعقِدُه ، وإن القمرَ ليَصْبِغُهُ ، وإن الحَرّ ليُنْضِجهُ .

وقال له معاوية : ما تعدُّون البلاغةَ فيكم ؟ قال : الإيجاز . قال له معاويةُ : وما الإيجاز ؟ قال صُحار : أن تُجيب فلا تبطىء ، وتقولَ فلا تخطئ . فقال له معاوية : أو كذلك تقول ياصُحَار ؟ قال صُحار : أَقِلْنى يا أمير المؤمنين ، ألّا تُبْطِئَ ولا تُخْطِئَ (٤) .

وشأن عبد القَيس عجَبٌ ، وذلك أنهم بعد مُحارَبة إيادٍ تفرَّقوا فِرقتَين ، ففرقةٌ وقعَتْ بعُمَانَ وشِقِّ عُمان ، وهم خطباء العرب ؛ وفرقةٌ وقعت إلى البَحْرَيْن

---

(١) هو صحار بن عياش – ويقال ابن عباس – بن شراحيل بن منقذ العبدى ، من بنى عبد القيس ، خطيب مفوه ، كان من شيعة عثمان ، له صحبة وأخبار حسنة ، وكان علّامة نسابة . توفى نحو سنة ٤٠ . انظر الإصابة ٤٠٣٦ والاشتقاق ٢٠١ .

(٢) من عرض القوم ، بضم العين ، أى عامتهم .

(٣) فى الأصول : « لتنفخه » صوابه فى عيون الأخبار (٢ : ١٧٢) .

(٤) فيما عدا ل : « لاتبطئ ولا تخطئ » . وفى الحيوان (١ : ٩١) : « لا تخطئ ولا تبطئ » . وفى الصناعتين ٣٢ : « هو ألا تخطئ ولا تبطئ » .

[وشِقّ البحرَين [1]] ، وهم من أشعر قَبيلٍ فى العرب ، ولم يكونوا كذلك حين كانوا فى سُرَّة البادية [2] وفى مَعدِن الفَصاحة . وهذا عَجَب .

ومن خُطَبائهم المشهورين : صَعصعة بن صُوحان ، وزَيد بن صُوحان ، وسَيْحان بن صوحان [3] . ومنهم صُحار بن عَيَّاش . وصحارٌ من شيعة عثمان ، وبنو صوحانَ من شيعة علىّ .

ومنهم مَصْقَلَة بن رَقَبة ، ورقَبة بن مَصْقَلة ، وكَرِب بن رَقَبة .

وإذا صِرْنا إلى ذكر الخُطَباء والنّسّابين ، ذكَرْنا من كلامِ كلٍّ واحدٍ منهم بقَدْر ما يحضُرنا ، وبالله التوفيق .

قال لى ابنُ الأعرابىّ : قال لى المفضَّل بن محمد الضبىُّ : قلت لأعرابىّ منّا : ما البلاغة ؟ قال لى : الإيجازُ فى غير عَجزْ ، والإطناب فى غير خَطَلٍ . قال ابنُ الأعرابىّ : فقلتُ للمفضَّل : ما الإيجاز عندك ؟ قال : حَذْف الفضول [4] ، وتقريب البعيد .

قال ابنُ الأعرابىّ ، قيل لعبد الله بن عُمَر : لو دعَوْتَ الله بدَعَواتٍ . فقال : اللهمَّ ارحَمْنا وعافِنا وارزُقْنا ! فقال له رجلٌ : لو زِدْتَنا يا أبا عبد الرحمن . فقال : نعوذ بالله من الإسهاب .

* * *

(١) هذه مما عدا ل .

(٢) ل : « فى هذه البادية » .

(٣) ذكرهم ابن دريد فى الاشتقاق ١٩٩ وقال : « بنو صوحان بن حجر بن الحارث بن الهجرس . وسيحان فعلان من السيح ، ساح الماء يسيح سيحاً » . فيما عدا ل : « شيخان » تحريف .

(٤) ل : « ما الإيجاز عندكم ؟ قال : ترك الفضول » .

بـاب

ذكر ناس من البلغاء والخطباء والأبيناء والفقهاء والأمراء ممن كان لايكاد يسكت مع قلة الخطأ والزَّلل

منهم : زيد بن صُوحَان . ومنهم : أبو واثلة إياس بن معاوية المُزَنىّ (١) القاضى القائف ، وصاحب الزَّكَن ، والمعروف بجَودة الفِراسة . ولِكَثْرة كلامه قال له عبد الله بن شُبْرُمَة (٢) : « أنا وأنت لانتّفق . أنت لاتشتهى أن تسكتَ وأنا لا أشتهى أن أسْمَع » .

وأتَى حَلْقةً من حَلَقِ قُريشٍ فى مسجد دمشق ، فاستولَى على المجلس ، ورأَوه أحمرَ دميماً باذَّ الهيئة ، قَشِفاً ، فاستهانُوا به فلما عرَفوه اعتذروا إليه وقالوا له : الذّنْب مقسومٌ بيننا وبينك ؛ أتيتَنا فى زِىٍّ مسكينٍ ، تكلِّمُنا بكلام الملوك.

ورأيتُ ناساً يستحسنون جوابَ إياسٍ بن معاوية حين قيل له : ما فيك عيبٌ غير أنّك مُعْجَبٌ بقولك . قال : أفأعْجَبَكم قولى ؟ قالوا : نعم . قال : فأنا أحقُّ بأن أُعجَبَ بما أقول ، وبما يكون مِنِّى مِنكم (٣) .

والناسُ ، حفِظَك الله ، لم يَضَعُوا ذِكْر العُجْب فى هذا الموضع . والمعيبُ عند النّاسِ ليس هو الذى لا يَعرِف ما يكون منه من الحُسْن . والمعرفةُ لا تَدْخُل فى باب التَّسمية بالعُجبِ ، والعُجْبُ مذموم . وقد جاء فى الحديث . « إنّ المؤمنَ

---

(١) هو إياس بن معاوية بن قرة المزنى ، من مزينة مضر ، ولاه عمر بن عبد العزيز قضاء البصرة . وكان صادق الظن لطيفاً فى الأمور ، وكان لأم ولد : ومنزله عند السى ، ومات بها سنة ١٢٢ . انظر المعارف ٢٠٥ وتهذيب التهذيب (١ : ٣٩) وأنساب السمعانى .

(٢) هو عبد الله بن شبرمة بن حسان الضبى ، أبو شبرمة الكوفى القاضى . ولاّه أبو جعفر المنصور قضاء الكوفة . ولد سنة ٧٢ وتوفى سنة ١٤٤ . تهذيب التهذيب

(٣) ل : « منى » فقط .

مَن ساءته سيِّئتُه وسرَّته حسنته » . وقيل لعمر : فلانٌ لا يَعرف الشَّرّ . قال : « ذاك أجْدَرُ أن يقعَ فيه » . وإنما العُجْب إسرافُ الرّجُلِ فى السُّرور بما يكون منه والإفراطُ فى استحسانه ، حتّى يظهر ذلك فى لفظه وفى شمائله . وهو الذى وَصَف به صعَصعةُ بن صُوحان (١) ، المنذرَ بنَ الجارود (٢) ، عند علىّ بن أبى طالب رحمه الله ، فقال : « أمَا إنّه مع ذلك لَنظّارٌ فى عِطفَيه ، تَفَّالٌ فى شِراكيه ، تُعْجِبُهُ حُمرة بُرْدَيه (٣) » .

قال أبو الحسن : قيل لإياسٍ : ما فيك عيبٌ إلّا كثرةُ الكلام . قال : فتسمعون صواباً أم خطأً ؟ قالوا : لا ، بل صواباً . قال : « فالزِّيادة من الخير خير » . وليس كما قال ؛ للكلام غايةٌ ، ولنشاط السَّامعين نِهاية ، ومافَضَل عن قدْر الاحتمال ودعا إلى الاستثقال والمَلَال ، فذلك الفاضل هو الهَذَر ، وهو الخَطَل ، وهو الإسهاب الذى سمِعتَ الحكماءَ يَعيبُونه (٣).

وذكر الأصمعىُّ أنّ عمر بن هُبَيْرة لما أرادَهُ على القضاء قال : إنِّى لا أصلحُ له . قال : وكيف ذلك ؟ قال : لأنّنى عَيِىٌّ ، ولأنّى دَميمٌ ، ولأنِّى حديد . قال ابنُ هبيرة : أمَّا الحِدّة فإنّ السّوطَ يقوِّمك ، وأما الدَّمامة فإنِّى لا أريد أن أُحاسِنَ بك أحداً ، وأمَّا العِىّ فقد عبّرتَ عمّا تُريد .

فإن كان إياسٌ عند نفسه عيِيًّا فذاك أجدَرُ بأن يَهجُر الإكثار .

وبعدُ فما نعْلَمُ أحداً رمَى إياساً بالعِىّ ، وإنّما عابُوه بالإكثار .

وذكر صالح بن سليمان ، عن عُتبة بن عمر بن عبد الرحمن بن الحارث ، قال

---

(١) هو صعصعة بن صوحان العبدى ، كان مسلماً فى عهد الرسول ولم يره . روى عن عثمان وعلى ، وشهد صفين مع على ، وكان خطيباً فصيحاً . مات بالكوفة فى خلافة معاوية . الإصابة ٤١٢٥ . وصوحان ، بضم الصاد . الاشتقاق ١٩٩ والخبر فى الحيوان (٥ : ٥٨٨) .

(٢) المنذر بن الجارود العبدى ، ولد فى عهد النبى ، ولأبيه صحبة ، وشهد الجمل مع على وولاه عبيد الله بن زياد الهند فى إمرة يزيد بن معاوية فمات هناك سنة ٦١ . انظر الإصابة ٨٣٢٨ .

(٣) انظر الحيوان (٥ : ٥٨٨) والبيان (٣ : ١١٢) .

ما رأيتُ عقولَ النّاسِ إلّا قريباً بعضُها من بعضٍ ، إلا ما كان مِن الحجّاج بن يُوسُف ، وإياسِ بن معاوية ؛ فإنَّ عقولَهما كانت ترجِحُ على عقول الناس كثيراً .

وقال قائلٌ لإياس : لِمَ تَعْجَلُ بالقضاء ؟ فقال إياس : كم لكفِّك من إصبَع ؟ قال : خمس . قال : عجِلْتَ . قال : لَمْ يَعجل مَن قال بَعد ما قَتل الشيءَ علْما ويقيناً . قال إياس : فهذا هو جوابى لك [١] .

وكان كثيراً ما يُنشِد قولَ النابغة الجَعْدِىّ :

أَبَى لى البلاءُ وأَنّى امرُؤٌ ... إذا ما تَبَيَّنْتُ لم أَرْتَبِ [٢]

قال : ومدح سلمة بن عَيَّاش [٣] ، سَوّارَ بن عبد الله [٤] ، بِمثِل ما وصف به إياسٌ نفسَه حين قال :

وأَوقَفُ عند الأمرِ ما لم يَضِحْ له ... وأمضى إذا ما شكَّ مَن كان ماضيا [٥]

وكتب عمرُ بنُ عبد العزيز رحمه الله ، إلى عدىّ بن أرْطاةٍ : إنّ قِبَلَك رجلين من مُزَينة ، فوَلِّ أحدَهما قضاءَ البَصرة . يعنى بكرَ بن عبد الله المُزَنى [٦] وإياس ابن معاوية . فقال بَكر : والله ما أُحْسِن القضاءَ ، فإن كنتُ صادقاً فما ٦٤

(١) ل : « فهذا جوابى » .

(٢) أنشده فى الحيوان (٣ : ٤٩٥) وقال : « ليس يريد أنه فى حالة تبينه غير مرتاب ، وإنما يعنى أن بصيرته لا تتغير » . لم أرتب ، بفتح التاء من الريبة ، وبضمها أيضاً من الرتوب ، وهو التوقف .

(٣) سلمة بن عياش : شاعر بصرى من مخضرمى الدولتين ، كان منقطعاً إلى جعفر ومحمد ولدى سليمان بن على بن عبد الله بن عباس يمدحهما . وترجم له أبو الفرج فى (٢١ : ٨٤ — ٨٦) .

(٤) أبو عبد الله سوار بن عبد الله بن سوار بن عبد الله بن قدامة العنبرى البصرى ، نزل بغداد وولى بها قضاء الرصافة . وكان فقيهاً فصيحاً ، أديباً شاعراً . وقد وثقه كثيرون منهم أحمد بن حنبل . توفى سنة ٢٤٥ . انظر تاريخ بغداد ٤٧٨٨ .

(٥) بكر بن عبد الله المزنى ، نسبة إلى مزينة ، أبو عبد الله البصرى ، ثقة جليل ، توفى سنة ١٠٦ . تهذيب التهذيب .

يَحِلّ لك أن تولِّينى ، وإنْ كنت كاذباً إنّها لأحراهما (١) .

وكانوا إذا ذَكروا البصرة قالوا : شيخُها الحسَن ، وفتاها بكر .

وقال إياس بن معاوية : لستُ بِخَبّ والخَبّ لا يخدعنى . وقال : الخِبُّ (٢) لا يخدعُ ابنَ سيرين ، وهو يَخْدع أبى ويخدع الحَسَن .

ودخل الشّامَ وهو غلامٌ ، فتقدَّمَ خصماً له ، وكان الخَصم شيخاً كبيراً ، إلى بعضِ قُضاةِ عبد الملك بن مَرْوان ، فقال له القاضى : أتقْدُم شيخاً كبيراً ؟ قال: الحقُّ أكبر منه . قال : اسكتْ . قال : فمن ينطِقُ بحُجَّتى . قال : لا أظنُّك تقولُ حقاً حتَّى تقوم . قال : لا إله إلّا الله ، [أحقاً هذا أم باطلا (٣) ؟] . فقام القاضى فدخل على عبد الملك مِن ساعته ، فخبَّرَه بالخبَر ، فقال عبد الملك : اقْضِ حاجتَه السّاعةَ وأخرِجْه من الشامِ ، لا يُفْسِدْ علىَّ الناس .

فإذا كان إياسٌ وهو غلامٌ يُخاف على جماعة أهلِ الشّام ، فما ظنُّك به وقد كَبِرَت سنُّه ، وعضَّ على ناجذِه .

وجملةُ القول فى إياسٍ أنّه كان من مفاخر مُضر ، ومن مُقَدَّمى القضاة ، وكان فقيه البَدنِ (٤) ، دقيقَ المسلك فى الفِطَن ،وكان صادقَ الحَدْسِ نِقاباً (٥) ، وكان عجيب الفِراسة مُلْهَما ، وكان عفيفَ الطِّعَمِ (٦) ، كريم المَدَاخِلِ والشِّيَم ، وجيهاً عند الخلفاء ، مقدَّما عند الأكْفاء . وفى مُزَينة خيرٌ كثير .

---

(١) أى هذه الحالة أجدر الحالتين بإقصائى عن الولاية . ل : « فإن كنت كاذباً فما يحل لك أن تولينى ، وإن كنت كاذباً فما يحل لك أن تولينى » .

(٢) الخب ، بالفتح ويكسر : الخداع . وهذه الكلمة والتى قبلها فى ل فقط ، وليستا فى الحيوان (٢ : ٢٧٩) .

(٣) التكلمة من هـ .

(٤) فى هامش هـ : « أى كأن بدنه مطبوع على الفقه لذكائه ولنفوذه فيما أشكل منه أو غمض » . وانظر تهذيب التهذيب فى ترجمة بشر بن المفضل .

(٥) الحدس ، بالفتح: الظن والتخمين . والنقاب . ككتاب : الرجل العلامة الفطن. قال أوس بن حجر :

نجيح جواد أخو مأقط نقاب يحدث بالغائب

(٦) فى حواشى هـ : أى إنه لا يأكل إلا من حلال » . ماعدا هـ : « المطعم » .

ثم رجَعنا إلى القول الأوّل .

ومنهم ربيعةُ الرَّأيِ (١) ، وكان لا يكاد يسكت . قالوا : وتكلمَ يوماً فأكثَرَ وأعجِبَ بالذى كان منه ، فالتفت إلى أعرابىٍّ كان عنده فقال : يا أعرابىّ : ما تعدُّون العىَّ فيكم ؟ قال : ما كنْتَ فيه منذُ اليوم .

وكان يقول : السَّاكت بين النائم والأخْرس .

ومنهم عُبيد الله بن محمد بن حفصٍ التَّيْمى (٢) . ومحمدُ بن حفصٍ هو ابن عائشة ؛ ثم قيل لعبيد الله ابنه : ابن عائشة . وكان كثيرَ العِلم والسَّماع ، متصرِّفا فى الخبر والأثَر .وكان من أجْوَاد قريش (٣) ، وكان لا يكاد يسكُت ، وهو فى ذلك كثيرُ الفوائد . وكان أبوه محمَّد بنُ حفصٍ عظيمَ الشأن ، كثير العِلم ، بعث إليه يَنْخَاب (٤) خليفته فى بعضِ الأمر ، فأتاه فى حَلْقته فى ٦٥ المسجِد ، فقال له فى بعض كلامه : أبو مَنْ أصلحَكَ الله ، فقال له : هَلاَّ عرَفْتَ هذا قبل مجيئك ! وإنْ كان لابدَّ لك منه فاعترِضْ مَن شئت فَسَلْه . فقال له : إنِّى أريد أن تُخلِيَنى . قال : أفى حاجةٍ لك أم فى حاجة لى ؟ قال : بل فى حاجةٍ لى . قال : فالقَنِى فى المنزل.قال : فإنّ الحاجة لك . قال : ما دونَ إخوانى سِتر .

ومنهمْ محمد بن مِسْعَرٍ العُقَيْلىُّ ، وكان كريماً كريم المجالَسة ، يذهب مَذهبَ

---

(١) ويقال له ربيعة صاحب الرأى . انظر الكلام على أصحاب الرأى فى المعارف لابن قتيبة ٢١٦ — ٢١٩ وهو أبو عثمان ربيعة بن فروخ مولى آل المنذر التيميين ، وكان أبو العباس السفاح قد قدمه للقضاء فلم يفعل . ومات بالأنبار سنة ١٣٦ . انظر المعارف ٢١٧ وتهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٢ : ٨٣ — ٨٦) .

(٢) هو عبيد الله بن محمد بن حفص بن عمر بن موسى بن عبيد الله بن معمر التيمى ، يقال له ابن عائشة.والعائشى ، والعيشى : نسبة إلى عائشة بنت طلحة ؛ لأنه من ذريتها . توفى بالبصرة سنة ٢٨٨. انظر المعارف لابن قتيبة ٢٢٨ ، وتهذيب التهذيب ، والأنساب ٣٧٩ والحيوان (٢ : ١٢) .

(٣) الأجواد : جمع جواد . فيما عدا ل ، هـ : « من أجود قريش » .

(٤) ل : بعث إليه زياد ينخاب » وكلمة « زياد » مقحمة . هـ : « نيخاب » . بدل « ينخاب » .وضبط «ينخاب» » هو مافى ل . وفى سائر النسخ : « ميخاب » .

النسَّاك ، وكان جواداً . مرَ صديقٌ له من بنى هاشم بقصرٍ له وبُستانٍ نفيس ، فبلغه أنّه استحسنَه ، فوَهَبه له .

ومنهم أحمد بن المُعَذَّل بن غَيلانَ [١] ، كان يذهب مذهب مالك رحمه الله ، وكان ذا بيانٍ وتبحُّرٍ فى المعانى ، وتصرُّفٍ فى الألفاظ .

وممن كان يُكْثِر الكلام جداً:الفضْل بن سهل،ثم الحسن بن سَهْل [٢] فى أيّامه .

وحدَّثنى محمد بن الجهم ودُوَاد بن أبى دُوَاد قالا : جلس الحسن بن سهل فى مصلّى الجماعة ، لنُعَيم بن خازم [٣] ، فأقبل نُعيمٌ حافياً حاسراً وهو يقول : ذَنْبى أعظم من السماء ، ذنْبى أعظم من الهواء ، ذنْبى أعظم من الماء ! قالا : فقال له الحسن بن سهل : على رِسْلِك ، تقدّمَتْ منك طاعةٌ ، وكان آخرُ أَمْرِك إلى تَوبة ، وليس للذّنب بينهما مكان ، وليس ذنبُك فى الذُّنوب بأعظَمَ مِن عَفو أمير المؤمنين فى العفو .

ومن هؤلاء علىُّ بن هشام ، وكان لا يسكت ،ولا أدرى كيف كان كلامه .

قال : وحدَّثنى مَهدىُّ بن ميمون ، قال : حدَّثنا غَيلان بن جرير ، قال : كان مطرِّف بن عبد الله [٤] يقول : « لا تُطعِم طعامَك مَن لا يشتهيه » . يقول :

---

(١) هو أخو الشاعر المشهور عبد الصمد بن المعذل بن غيلان ، كلاهما من شعراء الدولة العباسية . قال أبو الفرج فى أثناء ترجمة عبد الصمد : « وكان أخوه أحمد أيضا شاعراً إلا أنه كان عفيفاً ذا مروءة و دين وتقدم فى المعتزلة » . الأغانى (١٢ : ٥٤) والفوات (١ : ٣٥٣) .

(٢) استوزر المأمون الفضل بن سهل ، ثم أخاه الحسن بن سهل . قتل الفضل سنة ٢٠٢،أما الحسن فقد توفى سنة ٢٣٦ . وهو والد بوران زوج المأمون ، التى فيها يقول الباهلى :

بارك الله للحسن ولبوران فى الختن
يا ابن هارون قد ظفر ت ولكن ببنت من

(٣) فيما عدا ل ، هـ : « ابن حازم » بالحاء المهملة .

(٤) هو أبو عبد الله مطرف بن عبد الله بن الشخير ؛ أحد التابعين ، وكان من عباد أهل البصرة وزهادهم ، وكان لأبيه صحبة . وكان يقص فى مكان أبيه بمسجد البصرة . توفى سنة ٩٥ . الإصابة ٨٣١٨ والمعارف ١٩٣ وصفة الصفوة (٣ : ١٤٤) وتهذيب التهذيب .

لا تُقبِلْ بحديثك على مَن لا يقبلُ عليه بوجهه .

وقال عبدُ الله بنُ مسعود : « حَدِّث النّاسَ ما حَدَجُوك بأبصارهم ، وأَذِنُوا لك بأسماعِهم ، [ولحظوك بأبصارهم (١)] ، وإذا رأيت منهم فترةً فأمْسِكْ » .

قال : وجعل ابن السَّمَّاك (٢) يوماً يتكلَّم ، وجاريةٌ له حيثُ تسمع كلامَه ، فلما انصرَفَ إليها قال لها : كيف سمِعتِ كلامى ؟ قالت : ما أحسنَه ، لولا أنَّك تكْثِر تَرداده . قال : أردِّده حتّى يَفْهَمَه مَن لم يَفهمْه . قالت : إلى أن يَفْهَمَه مَن لا يفْهَمُه قد مَلّه من فهِمَه (٣) .

عَبّاد بن العَوَّام ، عن شعبة عن قتادة قال : مكتوب فى التوراة : « لا يعادُ الحديث مرَّتين (٤) » .

سفيان بن عُيَيْنَة (٥) ، عن الزُّهرى قال : « إعادةُ الحديث أشدُّ مِن نَقْل الصّخر (٦) » .

---

(١) هذه مما عدا ل .

(٢) هو أبو العباس محمد بن صبيح مولى بنى عجل ، المعروف بابن السماك ، سمع هشام بن عروة ، والعوام بن حوشب ، وسفيان الثورى ، وروى عنه الحسين الجعفى ، وأحمد بن حنبل . وهو كوفى قدم بغداد زمن هارون الرشيد ، وكان يبكى هارون من قوة موعظته . ومكث ببغداد مدة ثم رجع إلى الكوفة فمات بها سنة ١٨٣ . تاريخ بغداد ٢٨٩٥ وصفة الصفوة (٣ : ١٠٥) ولسان الميزان (٥ : ٢٠٤) .

(٣) ل : « يفهمه » . وانظر الخبر فى عيون الأخبار (٢ : ١٧٨) .

(٤) ل فقط : « لا يعد » ، وأثبت ما فى سائر النسخ وعيون الأخبار (٢ : ١٧٩) .

(٥) سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالى ، الكوفى ثم المكى ، ثقة حافظ . سمع الزهرى وعبد الله ابن دينار وغيرهما ، وحدث عنه الأعمش وابن جريج وشعبة والشافعى وأحمد بن حنبل وغيرهم . وفيه يقول الشافعى : « لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز » . وكان يحدث فى موسم الحج ، وقد حج سبعين سنة. ولد سنة ١٠٧ وتوفى سنة ١٩٨ . تذكرة الحفاظ (١ : ٢٤٢) وتهذيب التهذيب .

(٦) فى عيون الأخبار (٢ : ١٧٩) : « من وقع الصخر » صواب هذه : « من رفع الصخر » .

وقال بعضُ الحكماء : « مَن لم يَنْشط لحديثك فارفَعْ عنه مَؤونَة الاستماع منك » .

وجملة القول فى الترداد ، أنّه ليس فيه حدٌّ ينتهَى إليه ، ولا يُؤتَى على وَصْفه (١) . وإنّما ذلك على قدر المستمعين ، ومَن يحضُره من العوامّ والخواصّ . وقد رأينا الله عزّ وجلّ ردَّدَ ذِكْر قِصّة موسى وهودٍ ، وهارونَ وشعيبٍ ، وإبراهيمَ ولوطٍ ،وعادٍ وثمودَ . وكذلك ذِكرَ الجنَّةِ والنّارِ وأمورٍ كثيرة ؛ لأنّه خاطَبَ جميعَ الأمم من العرَب وأصناف العَجَم ، وأكثَرُهم غَبِىٌّ غافِل (٢) ، أو مُعانِدٌ مشغولُ الفِكْرِ ساهى القلب .

وأمّا أحاديث القَصَص والرِّقّة فإنّى لم أرَ أحداً يعيب ذلك .

وما سمِعْنا بأحدٍ من الخطباء كان يرى إعادةَ بعضِ الألفاظ وتَردَادَ المعانى عِيًّا ، إلا ما كان من النَّخّار بن أوسٍ العُذْرى ؛ فإنّه كان إذا تكلّم فى الحمالات (٣) وفى الصَّفح والاحتمال وصَلاح ذاتِ البَين ، وتخويفِ الفريقَين من التّفانِى والبَوَار – كان رُبّما ردَّد الكلامَ على طريق التّهويل والتّخويف ، وربّما حَمِىَ فنَخَر .

وقال ثُمامة بنُ أشرس (٤) : كان جعفرُ بنُ يحيى (٥) أنطَقَ الناس ، قد جَمَع

---

(١) فيما عدا ل ، هـ : « يؤتى إلى وصفه » تحريف .

(٢) ل : « عى غافل » .

(٣) الحمالة ، كسحابة : الديه يحملها قوم عن قوم . ل : « الجهالات » تحريف .

(٤) ثمامة بن أشرس النميرى مولى بنى نمير ، كان زعيم القدرية فى زمان المأمون والمعتصم والواثق . وهو الذى دعا المأمون إلى الاعتزال . انظر الفرق بين الفرق ١٥٧ . وتروى عنه قصص تشير إلى استخفافه بالدين ، من ذلك أنه رأى الناس يوم جمعة يتعادون إلى المسجد الجامع لخوفهم من فوت الصلاة ، فقال لرفيق له : انظر إلى هؤلاء الحمير والبقر ! ثم قال : ما صنع ذاك العربى بالناس . تأويل مختلف الحديث ٦٠ . قتل ثمامة فى زمان الواثق الذى تولى الخلافة من ٢٢٧ – ٢٣٢ . وقيل مات فى ٢١٣ انظر الفرق ١٥٩ ولسان الميزان (٢ : ٨٤) وتاريخ بغداد (٧ : ١٤٥ – ١٤٨) ، وكذا معجم الفرق الإسلامية (رسم الثمامية) .

(٥) جعفر بن يحيى بن خالد البرمكى ، من كبار البرامكة الذين قتلهم الرشيد .

الهُدوءَ والتمُّهل ،والجزالةَ والحلاوة ، وإفهاماً يُغْنيه عن الإعادة . ولو كان فى الأرض ناطقٌ يَستغنِى بمنطقه عن الإشارة ، لاستغنى جعفرٌ عن الإشارة ، كما استغنى عن الإعادة .

وقال مَرَّةً : ما رأيتُ أحداً كان لا يتحبَّس ولا يتوقَّف ، ولا يَتلجلج ولا يتنحنح ، ولا يَرتقب لفظاً قد استدعاه من بُعْد ، ولا يلتمس التخلص إلى معنىً قد تَعصَّى عليه طلبُه ، أشدَّ اقتداراً ، ولا أقلَّ تكلُّفا ، من جعفرِ بن يحيى .

وقال ثُمامة : قلت لجعفر بن يحيى : ما البيان ؟ قال : أن يكون الاسمُ يحيط بمعناك ، ويجلِّى عن مَغزاك ، وتُخْرِجَه عن الشِّركة ، ولا تستعين عليه بالفِكرة . والذى لابُدّ له منه ، أن يكون سليماً من التكلُّف ، بعيداً من الصّنعة ، بريئاً من التعقُّد ، غنِيًّا عن التأويل (١) .

وهذا هو تأويلُ قولِ الأصمعىَ : « البليغُ مَن طَبَّقَ المَفْصِل (٢) ، ٧
وأغنَاك عن المُفسَّر » .

وخَبَّرنى جعفرُ بن سَعيدٍ (٣) ، رضيع أيوبَ بن جعفرٍ وحاجبُه (٤) ، قال : ذُكِرَتْ لعَمرو بن مَسْعَدة (٥) ، توقيعاتُ جعفرِ بن يحيى ، فقال : قد قرأت

(١) كلام جعفر هذا فى عيون الأخبار (٢ : ١٧٣) .

(٢) طبق المفصل : أصابه إصابة محكمة فأبان العضو من العضو ؛ ثم جعِل لحسن الإصابة بالقول . وانظر عيون الأخبار (٢ : ٢٧٤) .

(٣) جعفر بن سعيد هذا ، أحد البخلاء الذين ذكرهم الجاحظ فى كتابه ٨٨ ، ١٠٩. وانظر الحيوان (٣ : ٤٦٩) .

(٤) هو أيوب بن جعفر بن سليمان العباسى ، كان من أعلم الناس بقريش وبالدولة وبرجال الدعوة ، وكان أول أمره على مذهب أبى شمر ، ثم انتقل من قوله إلى قول إبراهيم بن سيار النظام ، كما سيأتى .

(٥) هو عمرو بن مسعدة بن سعيد بن صول ، أحد الكتاب فى زمان المأمون ، ذكر الخطيب فى تاريخ بغداد (١٢ : ٢٠٣) أنه ابن عم إبراهيم بن العباس الصولى الشاعر . وكان إبراهيم قد ضاقت به حاله فبعث إليه عمرو مالا ، فكتب إليه إبراهيم :

سأشكر عمراً ماتراخت منيتى ... أيادى لم تمنن وإن هى جلت =

لأم جعفرٍ توقيعاتٍ فى حواشى الكتب وأسافلها فوجدتها أجودَ اختصاراً ، وأجمَعَ للمعانى .

قال : ووصف أعرابى أعرابياً بالإيجاز والإصابة فقال : « كان والله يَضَع الهِناءَ مواضِعَ النُّقب [(١)] » . يظنُّون أنه نَقل قولَ دريدِ بن الصِّمَّة [(٢)] ، فى الخنساء بنتِ عمرِو بن الشَّريد ، إلى ذلك الموضع ، وكان دريدٌ قال فيها [(٣)] :

ما إنْ رأيت ولا سمِعتُ به ... فى النّاسِ طالىَ أيْنُقٍ جُرْبِ
متبذِّلاً تبدو محاسِنُه ... يضع الهِناءَ مَواضِعَ النُّقْبِ

ويقولون فى إصابة عين المعنى بالكلام الموجَز : « فلان يُفلُّ المحَزَّ ، ويصيب المَفصِل » . وأخَذُوا ذلك من صِفَة الجزّار الحاذق ، فجعلوه مثلاً للمصيب الموجِز .

وأنشدنى أبو قَطَن الغَنَوى ، وهو الذى يقال له شهيد الكَرَم [(٤)] ، وكان أبْيَنَ مَن رأيتُه من أهل البَدْو والحَضر :

= فتى غير محجوب الغنى عن صديقه ... ولا مظهر الشكوى إذا النعل زلت
رأى خلتى من حيث يخفى مكانها ... فكانت قذى عينيه حتى تجلت

ومسعدة ، بفتح الميم والعين ، كما ضبطه ابن خلكان . توفى سنة ٢١٧ . وبعض الناس يعده فى الوزراء . انظر التنبيه والإشراف ٣٠٤ .

(١) الهناء ، بالكسر : ضرب من القطران تطلى به الإبل : والنقب ، بسكون القاف وضمها : جمع نقبة ، بالضم ، وهى أول مايبدو من الجرب .

(٢) دريد بن الصمة كان سيد بنى جشم وفارسهم وقائدهم ، غزا مائة غزاة ما أخفق فى واحدة منها . وأدرك الإسلام فلم يسلم ، وخرج يوم حنين مظاهراً للمشركين ، وقتل على شركه . الأغانى (٩ : ٢) .

(٣) كان دريد بن الصمة قد خطبها فردته ، وكان رآها تهنأ بعيراً فقال :

حيوا تماضر واربعوا صحبى ... وقفوا فإن وقوفكم حسبى
أخناس قد هام الفؤاد بكم ... وأصابه تبل من الحب

وبعدها البيتان التاليان انظر الأغانى (١٣ : ١٣٠) .

(٤) روى الجاحظ عنه أيضاً فى الحيوان (٣ : ٩٤) . والشعر التالى من روايته وليس له ، بل هو لشقران مولى بنى سلامان بن سعد بن هذيم ، كما فى الحماسة (٢ : ٢٧٤) .

فلو كنتُ مولى قيسِ عَيلانَ لم تَجدْ عَلَىَّ لمخلوقٍ مِن النَّاس دِرهَما

ولكنَّنى مولى قُضاعةَ كلِّها فلستُ أُبالِى أن أَدين وتَغْرَما

أولئك قومٌ بارَكَ اللهُ فيهمُ على كلِّ حالٍ ماأعفَّ وأكرما

جُفاةُ المَحزِّ لا يُصيبون مَفْصِلاً ولا يأكلون اللّحمَ إلا تخذُّما (١)

يقول : هم ملوكٌ وأشباهُ الملوك ، ولهم كُفَاةٌ فهمْ لا يحسِنون إصابة المْفصِل .

وأنشدنى أبو عبيدةَ فى مثلِ ذلك :

وصُلْع الرّءوسِ عِظَام البُطون جفاة المَحزِّ غِلاظَ القَصَرْ (٢)

ولذلك قال الراجز (٣) :

ليس براعِى إبلٍ ولا غَنَمْ ولا بجزّارٍ على ظَهْرِ وَضَمْ

وقال الآخر ، وهو ابنُ الزِّبَعْرَى (٤) :

وفتيانِ صِدْقٍ حسانِ الوُجو هِ لا يجدُون لشىءٍ أَلَمْ

مِنَ آلِ المُغيرةِ لا يَشْهدُو نَ عند المَجازر لَحْمَ الوضَمْ

وقال الرَّاعِى فى المعنَى الأوّل :

فطَبَّقْنَ عُرْضَ القُفِّ ثمَّ جَزَعْنَهُ كما طبّقَتْ فى العظم مُدْيةُ جازِرِ (٥)

---

(١) قال التبريزى فى شرح الحماسة : « أى لا يتأنقون فى فصل اللحم كعمل الجزار ؛ لأنهم ليسوا بجزارين ، ولا ذلك من عادتهم . والخذم : سرعة القطع ، وفى التخذم زيادة تكلف . يقول : إذا أكلوا اللحم على موائدهم لم يتناولوه إلا قطعاً بالسكاكين لانهشاً بالأسنان » .

(٢) القصر : جمع قصرة ، بالتحريك ، وهى أصل العنق ، وقرىء : (ترمى بشرر كالقصر) .

(٣) هو رشيد بن رميض العنزى . انظر اللسان (حطم) . ورشيد هذا ممن أدرك الإسلام . انظر الإصابة ٢٧٣٣ .

(٤) هو عبد الله بن الزبعرى ، كان من أشعر قريش ، وكان شديداً على المسلمين ، ثم أسلم فى الفتح سنة ثمان ، واعتذر عن إيذاء المسلمين والرسول . الإصابة ٤٧٠٦ والمؤتلف ١٣٢ .

(٥) عرض القف ، بضم العين : وسطه ومعظمه. جزعنه : قطعنه . فيما عدا ل : « حتى لقينه » ، لكن فى هـ : « حين لقينه » .

وأنشد الأصمعى :

وكفّ فتىً لم يعرف السَّلْخَ قَبْلَها تَجُور يداه فى الأديم وتجرَحُ

وأنشد الأصمعى :

لا يُمسِكُ العُرْفَ إلاّ ريث يُرسلُه ولا يُلاطِم عند اللّحمِ فى السُّوق [(١)]

وقد فسَّر ذلك لَبيدُ بن ربيعة ، وبيَّنه وضرب به المثل ، حيث قال فى الحُكْم بين عامر بن الطُّفيل ، وعَلقمةَ بن عُلَاثة [(٢)] :

يا هَرِمَ بنَ الأكرمِين مَنْصِبَا [(٣)] إنّك قد أُوتيت حُكْماً مُعْجِبا

* فطَبِّق المَفْصِلَ واغنَمْ طيِّبا *

يقول : احكُمْ بين عامرِ بن الطُّفَيل وعَلقمةَ بن عُلاثة بكلمةِ فَصْلٍ ، وبأمرٍ قاطع ، فتفصِلَ بها بين الحقِّ والباطل ، كما يَفْصل الجَزّارُ الحاذق مَفْصِلَ العظمَين .

وقد قال الشاعر فى هَرِمٍ :

قَضَى هرِمٌ يوم المُرَيْرَة بينهم قضاءَ امرئٍ بالأَوَّليَّة عالِمِ [(٤)]

قَضَى ثم وَلَّى الحكم مَنْ كان أهلَه وليس ذُنَابَى الرِّيش مِثلَ القوادِمِ [(٥)]

ويقال فى الفحل إذا لم يُحْسِنِ الضِّراب : جمل عَيَاياء ، وجمل طَبَاقاء .

وقالتْ امرأةٌ فى الجاهلية تشكو زَوجها « زوجى عَيَاياءُ طَبَاقَاء ، وكل داءٍ له داءٌ [(٦)] » .

---

(١) ل : « إلا ريث يبعثه » .

(٢) انظر لمنافرة عامر وعلقمة ، الأغانى (١٥ : ٥٠ – ٥٥) .

(٣) هرم هذا ، هو هرم بن قطبة بن سنان بن عمرو الفزارى ، أحد حكام العرب . وهو غير هرم ابن سنان بن أبى حارثة المرى ، ممدوح زهير . انظر الأغانى والاشتقاق ١٧٢ .

(٤) الأولية : مفاخر الآباء . قال ذو الرمة :

وما فخر من ليست له أولية تعد إذا عد القديم ولا ذكر

(٥) ذنابى الريش : ريشات أربع فى جناحه بعد الخوافى . والخوافى : ريشات أربع بعد القوادم .

(٦) ما عدا هـ : « له دواء » تحريف . انظر اللسان (طبق ، عيى ، دوا) . أى كل عيب يكون فى الرجال فهو فيه . وهذا الكلام من حديث أم زرع . انظر بلاغات النساء لابن طيفور ٧٩ – ٨٧ والمزهر (٢ : ٥٣٢ – ٥٣٥) .

حتَّى جعلوا ذلك مثلاً للعَيِىِّ الفَدْم ،والذى لا يتّجه للحجة . وقال الشّاعر [١]:

طَبَاقاء لم يشهَدْ خُصوماً ولم يَقُدْ   رِكاباً إلى أكوارها حين تُعْكَفُ [٢]

وذكر زهير بن أبى سُلمى الخَطَل فعابه فقال : ٦٩

وذى خَطَلٍ فى القول يحسِبُ أنّه   مُصيبٌ فما يلمِمْ به فهو قائلُه [٣]

عبَأْتَ له حلماً وأكرَمْتَ غيرَه   وأعرضْتَ عنه وهو بادٍ مقاتلُه

وقال غيره [٤] :

شُمُسٌ إذا خَطِلَ الحديثُ أوانسٌ   يرقُبْنَ كلَّ مجذَّرٍ تِنبالِ

الشُّمُسُ ، مأخوذٌ من الخيل ، وهى الخيل المرِحَة الضاربة بأذنابها من النّشاط . والمُجذَّر :القصير . والتِّنْبَال : القصير الدَّنىء .

وقال أبو الأسود الدُّؤلىّ ، وكان من المقدَّمين فى العلم ، واسم أبى الأسود ظالم بن عمرو :

وشاعرِ سَوْءٍ يَهضِبُ القَولَ ظالماً   كما اقْتَمَّ أعشى مُظْلِمُ الليل حاطبُ

يَهضِب : يُكثِرُ . والأهاضيب : المطر الكثير . اقتمّ : افتعَلَ من القُمامة . وأنشد :

أعوذُ بالله الأعزِّ الأكـرم   مِنْ قَوْلِىَ الشىءَ الذى لم أعلَمِ [٥]

* تخَبُّطَ الأعمَى الضَّرِير الأيهَمِ [٦] *

---

(١) هو جميل بن معمر ، كما فى اللسان ومقاييس اللغة (طبق) .

(٢) الكور ، بالضم : الرحل بأداته . تعكَف : تحبس .

(٣) ما يلمم به ، أى ما يحضره . وهذه الرواية تطابق رواية الديوان ١٣٩ . وكتب فى ل فوق « يلمم » : « يهمم » ، ولعله إشارة إلى رواية ، ولم أجدها عند ثعلب والشنتمرى .

(٤) نسب فى ص ٢٧٩ إلى الأخطل .

(٥) « قولى » كتب فوقها فى ل : « قوف » إشارة إلى رواية أخرى . والقوف : التتبع .

(٦) الأيهم : الأعمى ، والرجل الذى لا عقل له ولا فهم . وفى هامش هـ : « فى العين : الأيهم من الرجال : الأصم » .

وقال إبراهيم بن هَرْمَة (١) ، فى تطبيق المفصِل – وتُلحَق هذه المعانى بأخواتها قَبْلُ (٢) :

وعَمِيمَةٍ قد سُقْتُ فيها عائراً غُفْلا ومنها عائرٌ مَوْسُومُ (٣)
طَبَّقتُ مَفْصِلَها بغير حديدةٍ فرأى العدُوُّ غَناىَ حيث أقوم (٤)

* * *

وهذه الصِّفات التى ذكرها ثُمامة بن أشْرسَ ، فوصف بها جعفرَ بن يحيى (٥) ، كانَ ثمامةُ بنُ أشْرَسَ قد انتظَمَها لنفسه ، واستولى عليها دون جميع أهلِ عصره.وما علمتُ أنّه كان فى زمانه قَروىٌّ ولا بَلَدىٌّ، كان بَلَغَ من حُسْن الإفهام مع قلّة عدد الحروف ، ولا من سُهولةِ المَخرَج مع السلامة من التكلُّف ، ما كان بلغَه . وكان لَفْظُه فى وزن إشارته ، ومعناه فى طَبَقة لَفْظِه ، ولم يكن لفظُه إلى سمعك بأسرَعَ مِن معناه إلى قلبك .

قال بعضُ الكتّاب : معانى ثُمامةَ الظّاهرةُ فى ألفاظه ، الواضحةُ فى مخارج كلامه ، كما وصف الخُرَيمىُّ شِعرَ نفسه فى مديح أبى دُلَف ، حيث يقول :

له كَلِمٌ فيك معقولةٌ إزاءَ القُلوب كركب وُقوفِ (٦)

---

(١) هو إبراهيم بن على بن سلمة بن هرمة الفهرى ، كان من الشعراء المعاصرين لجرير،وكان الأصمعى يقول: « ختم الشعر بابن هرمة ، وحكم الخضرى ، وابن ميادة ، وطفيل الكنانى ، ودكين العذرى » . وفى الأغانى (٤ : ١١٣) : « ولد ابن هرمة سنة تسعين ، وأنشد أبا جعفر المنصور فى سنة أربعين ومائة قصيدته التى يقول فيها:

إن الغوانى قد أعرضن مقلية لما رمى هدف الخمسين ميلادى

ثم عمر بعدها مدة طويلة » . وقد ذكر ابن جنى فى المبهج ٥٥ اشتقاق اسمه من الهرم ، بالفتح ، وهو ضرب من النبت .

(٢) انظر ما سبق فى ص ١٠٧ ـــ ١٠٩ هـ : « وتلحق هذه بمعانى أخواتها قبل » .

(٣) عميمة ، أراد بها الخطبة الطويلة . والسهم العائر : الذى لا يدرى من رماه .

(٤) أراد أنه أصاب مفاصل المعانى بكلامه الصائب، فبهر بذلك الأعداء .

(٥) يشير إلى ما سبق فى ص ١٠٥ ـــ ١٠٦ .

(٦) روى البيت فى زهر الآداب (٤ : ٤٩) محرفا .

وأوّلُ هذه القصيدة قولَه :

أبا دُلَفٍ دَلَفتْ حاجتى إليك وما خِلتُها بالدَّلوفِ [١]

ويظنُّون أن الخُرَيْمىَّ إنّما احتذى فى هذا البيت على كلام أيُّوب بن القِرِّيّة [٢] حينَ قال له بعضُ السلاطين [٣] : ما أعددْتَ لهذا الموقف ؟ قال : « ثلاثة حروفٍ [٤] كأنَّهنَّ ركْبٌ وقوف : دنيا ، وآخرةٌ ، ومعروف [٥] » .

وحدّثَنى صالح بن خاقان ، قال : قال شَبيب بن شيبة [٦] : « النَّاس موكَّلُون بتفضيل جودة الابتداء ، وبمدح صاحبِه ، وأنا مُوَكَّل بتفضيل جودة القَطْع ، وبمدح صاحبِه . وحَظُّ جودةِ القافية وإن كانت كلمةً واحدة ، أرفَعُ من حظِّ سائر البيت » . ثم قال شبيب : « فإن ابتُلِيتَ بمَقَامٍ لابُدَّ لك فيه من الإطالة ، فقدِّمْ إحكامَ البلوغ فى طلب السّلامة من الخطَل ، قَبل التقدُّمِ فى إحكام البلوغ فى شَرَف التَّجويد . وإيَّاك أن تَعْدِلَ بالسَّلامة شيئاً ؛ فإنَّ قليلاً كافياً خيرٌ من كثيرٍ غيرِ شاف » .

ويقال إنّهم لم يَرَوْا خطيباً قَطّ بلديًّا إلاّ وهو فى أوّل تكلّفه لتلك المقامات كان مُستَثْقَلاً مستصلَفاً أيّامَ رياضته كلِّها ، إلى أن يتوقَّح وتستجيبَ له المعانى ،

---

(١) بدل هذا البيت فى ل :

ألا من دعانى ومَن دلنى على رائدى ورسولى خروفى

(٢) سبقت ترجمته فى ص ٢٠ — ٢١ .

(٣) هو الحجاج بن يوسف ، وكان قد أسره فيمن أسر من أصحاب عبد الرحمن بن الأشعث . انظر زهر الآداب (٤ : ٤٩) وابن خلكان (١ : ٨٣) .

(٤) ل : « صروف » . وفى هامش ل : « الصرف : الحيلة » . والمراد بالحروف هنا الكلمات .

(٥) زاد فى زهر الآداب : « فقال له الحجاج : بئسما منيت به نفسك يا ابن القرية . أترانى ممن تخدعه بكلامك وخطبك ، والله لأنت أقرب إلى الآخرة من موضع نعلى هذا . قال : أقلنى عثرتى ، وأسغنى ريقى ؛ فإنه لابد للجواد من كبوة ، والسيف من نبوة ، والحليم من صبوة . قال : أنت إلى القبر أقرب منك إلى العفو » .

(٦) سبقت ترجمته فى ص ٢٤ .

ويتمكّنَ من الألفاظ ، إلاّ شبيب بن شيبة ؛ فإنه كان قد ابتدأ بحلاوةٍ ورشاقة ، وسهولة وعُذوبة ؛ فلم يزل يزدادُ منها حتى صار فى كلٍّ موقِفٍ يبلغُ بقليل الكلام مالا يبلُغه الخطباءُ المصاقع بكثيرِه .

قالوا : ولمّا مات شَبيب بن شَيبة أتاهم صالح المُرّىّ (١) ، فى بعض مَنْ أتاهم للتّعزية ، فقال : « رحمةُ الله على أديب الملوك ،وجليس الفقراء ، وأخى المساكين » .

وقال الرّاجز (٢) :

إذا غَدَتْ سعدٌ على شَبيبِها ... على فتاها وعلى خَطيبِها
مِن مَطْلَع الشمس إلى مَغيبِها ... عجِبْتَ مَن كثرتِها وطيبِها

حدثنى صديق لى قال : قلت للعَتَّابىّ : ما البلاغة ؟ قال : كلٌّ مَنْ أفهمك حاجته من غير إعادةٍ ولا حُبْسَة ولا استعانةٍ فهو بليغ ، فإن أردتَ اللِّسانَ الذى يُروق الألسنة (٣) ، ويفوق كلَّ خطيب ، فإظهارُ ما غَمُض من الحقِّ ، وتصويرُ الباطل فى صورة الحقّ . قال : فقلت له : قد عرفتُ الإعادة والحُبْسَة ، فما الاستعانة ؟ قال : أمَا تَراه إذا تحدّثَ قال عِند مقاطع كلامه : ياهَنَاهُ ، ويا هذا ، وياهيَه ، واسمَعْ منى واستمعْ إلىَّ ، وافهمْ عنّى ، أوَلست تفهمُ ، أوَلست تعقِل . فهذا كلُّه وما أشبهه عىٌّ وفساد .

---

(١) هو صالح بن بشير بن وادع المرىّ ، أبو بشر البصرى ، القاضى الزاهد ، أحد رواة الحديث العباد البلغاء ، كان مملوكا لامرأة من بنى مرة بن الحارث فأعتقته . توفى سنة ١٧٢ أو ١٧٦ . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ٢٦٥) .

(٢) هو أبو نخيلة الراجز ، كما فى الحيوان (٥ : ٥٩٢) والأغانى (١٨ : ١٣٩) . ويروى أبو الفرج من سبب الرجز أن أبا نخيلة رأى على شبيب حلة فأعجبته ، فسأله إياها فوعده فمطله ، فقال فيه :

يا قوم لا تسودوا شبيبا ... الخائن ابن الخائن الكذوبا
هل تلد الذيبة إلا الذيبا

قال : فبلغه ذلك فبعث إليه بها ، فمدحه بهذا الرجز .

(٣) راق عليه : زاد عليه فضلا . وقد عداه هنا بغير الحرف . وأنشد فى اللسان :

راقت على البيض الحسا ... ن بحسنها وبهائهـــــا

قال عبد الكريم بن رَوْح الغِفَارىّ ، حدثنى عُمَر الشَّمَّرىُّ ، قال : قيل لعمرو بن عُبيد [١] : ما البلاغة ؟ قال : مابَلَغ بك الجنّة ، وعدَل بك عن النّار ، وما بصَّرك مواقعَ رُشْدِك وعواقبَ غَيِّك . قال السائل : ليس هذا أريد . قال : مَن لم يُحسِنْ أن يسكُتَ لم يُحسن أن يَستمِع ، ومَن لم يحسن الاستماع لم يحسن القول . قال : ليس هذا أريد . قال : قال النبىّ ﷺ : « إنّا مَعْشَرَ الأنبياء بِكَاءٌ » أى قليلو الكلام . ومنه قيل رجل بَكِىءٌ . وكانوا يكرَهون أن يزيد منطِقُ الرجُل على عقْله . قال : قال السائل : ليس هذا أُريد . قال : كانوا يخافون مِن فِتنة القول ، ومن سَقَطات الكلام ، ما لا يخافون من فِتنة السكوت ومن سَقَطات الصمت . قال السائل : ليس هذا أريد . قال عمرو : فكأنَّك إنّما تريد تخيُّر اللّفظ [٢] ، فى حسن الإفهام ، قال : نعم . قال : إنك إنْ أُوتيتَ تَقريرَ حُجّة الله فى عقول المكَلَّفِين [٣] ، وتخفيفَ المَؤُونة على المستمعين ،وتزيينَ تلك المعانى فى قلوب المريدينَ ، بالألفاظِ المستحسَنة فى الآذان ، المقبولة عند الأذهان ، رغبةً فى سُرعة استجابتهم ، ونَفْيِ الشّواغلِ عن قلوبهم بالموعظة الحسنة ، على الكِتاب والسّنّة ، كنْتَ قد أُوتِيتَ فَصلَ الخِطاب،واستوجبتَ [٤] على الله جزيلَ الثّواب . قلت لعبد الكريم:مَن هذا الذى صَبَر له عَمروٌ هذا الصّبر ؟ قال : قد سألت عن ذلك أبا حفص فقال : ومن كَان يجترىء عليه هذه الجُرأة إلاّ حفص بن سالم .

قال عُمَر الشَّمَّرِى : كان عمرو بن عُبيدٍ لا يكاد يتكلّم ، فإذا تكلّم لم يكَدْ ٧٢

---

(١) سبقت ترجمته فى ص ٢٣ . وانظر كلام عمرو بن عبيد هذا فى عيون الأخبار (٢ : ١٧٠) .

(٢) فيما عدا ل ، هـ : « تحبير اللفظ » .

(٣) فى الأصول : « المتكلمين » ، صوابه من عيون الأخبار (٢ : ١٧١) .

(٤) وكذا فى عيون الأخبار : « واستوجبت » . وفى ل : « واستحققت » .

يُطيل . وكان يقول : لا خير فى المتكلِّم إذا كان كلامه لَمنْ شهِدَه دونَ نفسه.وإذا طال الكلامُ عرضَت للمتكلِّم أسبابُ التَّكلف ، ولا خيرَ فى شيءٍ يأتيك به التكلُّف .

وقال بعضهم – وهو مِن أحسَن ما اجتبَيْناه ودَوَّنّاه – لا يكون الكلامُ يستحق اسمَ البلاغة حتَّى يسابقَ معناه لفظَه ،ولفظُهُ معناه ، فلا يكونَ لفظُه إلى سمعك أسبَقَ من معناه إلى قلبك .

وكان مُوَيْسُ بن عمران (١) يقول : لم أَرَ أنطَقَ من أيّوبَ بنِ جعفر ، ويحيى بنِ خالد .

وكان ثُمامة يقول : لم أر أنطَقَ من جعفرِ بنِ يحيى بن خالد .

وكان سهلُ بن هارونَ يقول : لم أر أنطَقَ من المأمونِ أميرِ المؤمنين .

وقال ثُمامة : سمعت جعفر بن يحيى يقول لكُتّابه : « إن استطعتم أن يكون كلامُكم كله مِثلَ التّوقيع فافعلوا » .

وسمعت أبا العتاهِيَة يقول : « لو شئتُ أن يكون حديثى كلُّه شعراً موزوناً لكان » .

وقال إسحاق بن حسان بن قُوهىّ (٢) : لم يفسِّر البلاغَة تفسيرَ ابنِ المقفَّع أحدٌ قطُّ . سُئِل ما البلاغة ؟ قال : البلاغة اسمٌ جامعٌ لمعانٍ تجرِى فى وجوهٍ كثيرة.

---

(١) مويس بن عمران : معاصر للجاحظ ، كان من بخلاء الناس ، ومن أصحاب النظام.سئل عنه أبو شعيب القلال فزعم أنه لم ير قط أشح منه على الطعام . قيل : وكيف ؟ قال : يدلك على ذلك أنه يصنعه صنعة ، ويهيئه تهيئة من لا يريد أن يمس . انظر البخلاء ٥٨ . وفى القاموس « ومويس ، كأويس ، ابن عمران : متكلم » . وانظر الحيوان (٥ : ٤٦٨) .

(٢) هو أبو يعقوب إسحاق بن حسان بن قوهى الخريمى ، قال الخطيب فى تاريخ بغداد ٣٣٦٩ : وأصله من خراسان من بلاد السغد ، وكان متصلا بخريم بن عامر المرى وآله ، فنسب إليه . وقيل : كان اتصاله بعثمان بن خريم .. وأبوه خريم الموصوف بالناعم » . ثم قال : وله مدائح فى محمد بن منصور بن زياد ويحيى بن خالد وغيرهما » . وما سيرويه الجاحظ من كلام ابن المقفع ، أورده العسكرى فى الصناعتين ١٤ وفسره تفسيرا .

فمنها ما يكون فى السُّكوت ، ومنها ما يكون فى الاستماع ، ومنها ما يكون فى الإشارة ، ومنها ما يكون فى الاحتجاج ، ومنها ما يكون جواباً ، ومنها ما يكون ابتداءً ، ومنها ما يكون شعراً ، ومنها ما يكون سَجعْا وخُطبا ، ومنها ما يكون رسائل . فعامّةُ ما يكون من هذه الأبوابِ الوحىُ فيها ، والإشارةُ إلى المعنى (١) ، والإيجازُ ، هو البلاغة . فأمّا الخُطَب بين السِّماطَين ، وفى إصلاح ذاتِ البَين ، فالإكثارُ فى غير خَطَل ، والإطالةُ فى غير إملال . وليكن فى صدر كلامك دليلٌ على حاجتك ، كما أنَّ خيرَ أبياتِ الشعر البيتُ الذى إذا سمِعْتَ صدْرَه عرفْتَ قافيتَه كأنّه يقول : فرِّقْ بينَ صدر خطبة النكاح وبين صَدْر خُطْبة العيد ، وخُطبة الصُّلْح وخُطبة التّواهُب (٢) ، حتَّى يكونَ لكلّ فنٍّ من ذلك صدرٌ يدلُّ على عَجُزِه ؛ فإنّه لا خيرَ فى كلامٍ لا يدلُّ على معناك ، ولا يشير إلى مَغْزَاك ، وإلى العَمود الذى إليه قصدتَ ، والغرضِ الذى إليه نزَعت . قال : فقيل له : فإنْ مَلَّ السامعُ الإطالةَ التى ذكَرْتَ أنّها حقُّ ذلك الموقِف ؟ قال : إذا أعطَيْتَ كلَّ مَقامٍ حَقَّه ، وقمتَ بالذى يجبُ ٣
من سياسة ذلك المقام ، وأرضيْتَ من يعرف حقوقَ الكلام ، فلا تهتمَّ لما فاتَكَ من رضا الحاسد والعدُوّ ؛ فإنّه لا يرضيهما شىءٌ . وأمّا الجاهلُ فلستَ منه وليس منك . ورِضاَ جميع النّاسِ شىءٌ لا تنالُه .وقد كان يُقال : « رضا النّاسِ شىءٌ لا يُنال » .

قال : والسُّنّة فى خطبة النكاح أن يطيل الخاطبُ ويقصِّر المُجيب . ألا تَرَى أنّ قيسَ بنَ خارجةَ بنِ سِنانٍ (٣) ، لما ضرب بصفيحة سيفه مؤخِّرةَ راحلَتَي الحامِلَيْن فى شأن حَمَالة داحسٍ والغبْراء (٤) ، وقال : مالى فيها أيُّها

---

(١) فى الصناعتين : « والإشارة إلى المعنى أبلغ » .

(٢) فيما عدا ل : « المواهب » .

(٣) ضرب الجاحظ فى الحيوان (٦ : ١٦١) بخطبة سنان المثل فى الطول .

(٤) الحمالة ، كسحابة : الدية يحملها قوم عن قوم . وانظر لحرب داحس والغبراء =

العَشَمتان [١] ؟ قالا له : بل ما عندك ؟ قال : عندِى قِرى كلِّ نازل ، ورِضا كلِّ ساخط ،وخطبةٌ من لدُن تطلُع الشّمس إلى أن تغرُب ، آمُرُ فيها بالتّواصُل وأنهَى فيها عن التّقاطُع . قالوا : فخطب يوماً إلى اللّيل فما أعادَ فيها كلمةً ولا معنىً،فقيل لأبى يعقوب [٢] : هلاّ اكتَفَى بالأمر بالتّواصُل عن النّهى عن التّقاطع ؟ أوَ ليس الأمْرُ بالصّلَة هو النّهىَ عن القطيعة ؟ قال : أو ما علِمْتَ أنّ الكنايةَ والتعريضَ لا يعملانِ فى العقول عملَ الإفصاح والكَشْف [٣] .

قال : وسُئِل ابنُ المقفَّع عن قول عمر رحمه الله : « ما يتصَعَّدُنى كلامٌ كما تتصعَّدَنى خطبةُ النّكاح [٤] » . قال : ما أعرفه إلا أن يكون أراد قُربَ الوجوه من الوجوه ، ونَظَر الحِداق من قُربٍ فى أجواف الحِداق . ولأنّه إذا كان جالساً معهم كانوا كأنّهم نُظَراءُ وأَكْفاءٌ ، فإذا عَلَا المِنبرَ صارُوا سُوقةً ورَعِيّةً .

وقد ذهب ذاهبونَ إلى أنّ تأويلَ قولِ عمرَ يرجع إلى أنّ الخطيب لا يجد بُداً من تزكية الخاطب ، فلعله كرِه أن يمدَحه بما ليس فيه ، فيكونَ قد قال زُوراً وغَرَّ القومَ من صاحبِهِ . ولعمرى إنّ هذا التأويل لَيجوز إذا كان الخطيب موقوفاً على الخَطابة . فأمّا عمرُ بنُ الخطّاب ، رحمه الله ، وأشباهُه من الأئمة الراشدين ، فلم يكونوا ليتكلّفوا ذلك إلا فيمن يستحقّ المدح .

= الأغانى (٧ : ١٤٣) والعقد (٣ : ٣١٣) ، وكامل ابن الأثير (١ : ٣٤٣) ، وأمثال الميدانى (١ : ٣٥٩ / ٢ : ٥١) .

(١) العشمة ، بالتحريك : الشيخ الهرم الذى تقارب خطوه وانحنى ظهره .

(٢) هو إسحاق بن حسان بن قوهى ، الذى سبقت ترجمته فى ص ١١٥ .

(٣) فيما عدا ل : « والتكشف » .

(٤) تصعده الأمر تصعداً : شق عليه ، كتصاعد به . وانظر ص ١٣٤ .

وروى أبو مِخْنَف (١) ، عن الحارث الأعور (٢) ، قال : « واللهِ لقد رأيتُ عليًّا وإنّه ليخطبُ قاعداً كقائم ، ومحارِبا كمُسالم » . يريد بقوله : قاعداً ، خطبة النكاح .

وقال الهيثمُ بن عدِىّ : لم تكن الخطباءُ تخطب قُعوداً إلاّ فى خُطْبة النكاح .

* * *

وكانوا يستحسنون أن يكون فى الخُطَبِ يومَ الحَفْل ، وفى الكلام يوم الجَمْع آىٌ من القرآن ؛ فإن ذلك مما يورث الكلام البهاءَ والوَقار ، والرِّقة ، وسَلَس الموقِع (٣) .

قال الهيثم بن عدىّ : قال عِمران بن حِطّان : إنّ أوّلَ خطبةٍ خطبتُها ، عند زياد – أو عند ابن زياد (٤) – فأُعجِبَ بها النّاس ، وشهدها عَمِّى وأبى . ثم إنِّى مررتُ ببعض المجالس ، فسمعتُ رجلاً يقولُ لبعضهم : هذا الفتى أخطَبُ العربِ لو كان فى خطبته شىءٌ من القرآن .

وأكثرُ الخُطباء لا يتمثَّلون فى خطبهم الطِّوالِ بشىءٍ من الشِّعر ولا يكرهونه فى الرسائل ، إلاّ أن تكون إلى الخلفاء .

وسمعتُ مُؤمَّل بنَ خاقانَ ، وذكر فى خطبته تميمَ بن مُرّ ، فقال : « إنّ

---

(١) هو أبو مخنف لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن سليم الأزدى الغامدى . شيخ من أصحاب الأخبار بالكوفة . روى عن الصعق بن زهير ، وجابر الجعفى ، ومجالد . روى عنه المدائنى ، وعبد الرحمن ابن مغراء . ومات قبل السبعين ومائة . منتهى المقال ٢٤٨ ولسان الميزان وابن النديم ١٣٦ – ١٣٧ .

(٢) كان الحارث الأعور من رجال على فى حرب صفين ، وكان جهير الصوت . انظر وقعة صفين ١٣٥ ، ١٣٦ .

(٣) فيما عدا ل : « وحسن الموقع » .

(٤) فيما عدا ل : « أو قال عند ابن زياد » .

تميماً لها الشّرفُ العَودُ (١) ، والعزُّ الأقعَس ، والعدد الهَيْضَل (٢) . وهى فى الجاهليّة القُدَّامُ ، والذِّروةُ والسَّنام . وقد قال الشاعر :

فقلتُ له وأنْكَرَ بعضَ شأنِى ... ألم تعرِفْ رقابَ بنى تميم

وكان المؤمَّل وأهلُه يخالفون جُمهور بنى سعدٍ فى المقالة ، فلِشدّة تَحَدُّبه على سَعْدٍ وشفقته عليهم ، كان يناضِل عند السُّلطان كلَّ مَن سعى على أهل مقالتهم ، وإن كان قولُه خلافَ قولهم ؛ حدَباً عليهم .

وكان صالح المُرِّىّ ، القاصُّ العابد ، البليغ ، كثيراً ما ينشد فى قَصَصه وفى مواعظه ، هذا البيت :

فباتَ يُرَوِّى أُصولَ الفسيلِ ... فعاشَ الفسيلُ وماتَ الرَّجُلْ (٣)

وأنشد الحسنُ فى مجلِسه ، وفى قَصَصه وفى مواعظه :

ليس مَن ماتَ فاستراحَ بميْتٍ ... إنما الميت ميت الأحياء (٤)

وأنشد عبدُ الصمد بن الفَضْل بن عيسى بن أبَانٍ الرَّقَاشىُّ ، الخطيب القَاصُّ السَّجَّاع ، إمّا فى قَصَصه ، وإمّا فى خُطْبة من خُطَبه ، رحمه الله :

أرضٌ تخيَّرَها لِطيب مَقِيلِها ... كعبُ بن مامةَ وابنُ أمِّ دُوَادِ (٥)

جَرَتِ الرِّياحُ عَلَى مَحلِّ دِيارِهم ... فكأنَّهُـمْ كانـوا على مِيعـادِ

فأرَى النعيمَ وكُلَّ ما يُلهَى به ... يوماً يَصِيرُ إلى بِلًى ونَفادِ (٦)

---

(١) فى هامش هـ : « ح : العد » . والشرف العود ، بفتح العين : القديم . قال الطرماح :

هل المجد إلا السودد العود والندى ... ورأب الثأى والصبر عند المواطن

(٢) العز الأقعس : الثابت المنيع . والعدد الهيضل : الكثير .

(٣) انظر الحيوان (٦ : ٥٠٨) .

(٤) البيت لعدى بن الرعلاء الغسانى ، كما فى الخزانة (٤ : ١٨٧) وحماسة ابن الشجرى . ٥١ وانظر الحيوان (٦ : ٥٠٨) .

(٥) الأبيات للأسود بن يعفر من قصيدة فى المفضليات (٢ : ١٦ — ٢٠) . والثانى والأخير منها ليس فى ل .

(٦) الرواية المعروفة كما فى المفضليات : « فإذا النعيم » .

وقال أبو الحسن : خطب عبيد الله بن الحسن [١] على منبر البصرة فى ٧٥
العيد وأنشد فى خطبته :

أين الملوكُ التى عن حَظِّها غَفلَتْ   حتَّى سقاها بكأسِ الموتِ ساقيها
تلك المدائنُ بالآفاقِ خاليةً   أمست خلاءً وذاق الموتَ بانِيها

قال : وكان مالكُ بن دينارٍ [٢] يقولُ فى قَصَصه : « ما أشَدَّ فِطام الكبير ». وهو كما قال القائل :

وتَرُوضُ عِرسَكَ بعدما هَرِمَتْ   ومن العَنَاءِ رياضة الهَرِمِ [٣]

ومثله أيضاً قول صالح بن عبد القُدُّوس :

والشيخُ لا يترُكُ أخلاقَه   حتَّى يُوارَى فى ثرَى رَمْسِهِ [٤]
إذا ارعَوَى عادَ إلى جَهْله   كذى الضَّنَى عاد إلى نُكْسِهِ

وقال كلثومُ بن عمرٍو العَتّابىّ :

وكنتَ امرأً لو شئْتَ أن تَبلُغ المدى   بَلَغْتَ بأدنَى نعمةٍ تستديمُها
ولكن فِطامُ النَّفسِ أثْقَلُ مَحْمَلاً   من الصَّخرةِ الصَّمّاء حين تَرومُها

* * *

وكانوا يَمْدحون الجهيرَ الصّوتِ ، ويذُمُّون الضّئيلَ الصّوت ؛ ولذلك تشادقوا

---

(١) هو عبيد الله بن الحسن بن الحصين بن أبى الحر العنبرى البصرى ، كان من قضاة البصرة وفقهائها العالمين بالحديث . توفى بالبصرة سنة ١٦٨ . وتهذيب التهذيب والسمعانى ٤٠٠ . وسيأتى فى قول الجاحظ ص ٢٩٤ : « وولى منبر البصرة أربعة من القضاة فكانوا قضاة أمراء : بلال بن أبى بردة ، وسوار ، وعبيد الله ، وأحمد بن أبى رياح » . فيما عدا ل ، هـ : « عبد الله بن الحسن » تحريف

(٢) هو أبو يحيى مالك بن دينار ، كان مولى لامرأة من بنى سامة بن لؤى ، وكان من كبار الزهاد الوعاظ ، وكان يكتب المصاحف . روى عن أنس بن مالك وعن جماعة من كبار التابعين كالحسن وابن سيرين . وتوفى نحو سنة ١٣٠ . انظر تهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة (٣ : ١٩٧ ـــ ٢٠٩) حيث روى ابن الجوزى كثيراً من أقواله .

(٣) انظر الحيوان (١ : ٤١ / ٣ ١٠٢) .

(٤) انظر الحيوان (٣ : ١٠٢) .

فى الكلام ، ومدَحُوا سَعة الفم ، وذمُّوا صِغَر الفم .

قال : وحدّثنى محمد بن يَسيرٍ الشّاعر قال : قيل لأعرابىّ : ما الجمال ؟ قال : طُولُ القامة وضِخَم الهامة ، ورُحب الشّدق ، وبُعْد الصوْت .

وسأل جعفرُ بن سليمانَ أبا المِخشّ عن ابنه المِخَشّ ، وكان جَزِع عليه جزعاً شديداً ، فقال : صِفْ لى المِخشَّ . فقال : كان أشدق خُرطُمانيّا (١) ، سائِلاً لعابُه ، كأنّما ينظر من قَلْتَيْن (٢) ، وكأنَّ تَرقُوَتَهُ بُوانٌ أو خالِفَةٌ (٣) ، وكأن مَنْكِبَه كِرْكِرةُ جملٍ ثَفَالٍ (٤) . فقأ اللهُ عينىَّ إن كنتُ رأيتُ قبلَه أو بعدَه مِثْلهُ (٥) .

قال : وقلتُ لأعرابىٍّ : ما الجمال ؟ قال : « غُؤُور العَينَين ، وإشراف الحاجبين ، ورُحْب الشّدقين » .

وقال دَغْفَل بن حنظلة النسّابة ، والخطيب العلاّمة ، حين سَأَله معاوية عن قبائل قريش ، فلما انتهى إلى بنى مخزوم قال : « مِعْزَى مَطيرةٌ (٦) ، علَتْها قُشَعْريرة ، إلا بنى المُغيرة ، فإن فيهم تشادُقَ الكلام ، ومصاهرةَ الكرام (٧) » .

وقال الشاعر فى عمرو بن سعيد الأشدق :

تشادَقَ حتى مال بالقول شِدقهُ   وكلُّ خطيبٍ لا أبَالَكَ أشْدَقُ

وأنشد أبو عبيدة :

---

(١) الخرطمانى ، بضم الخاء والطاء : الكبير الأنف .

(٢) القلت ، بالفتح : النقرة فى الجبل تمسك الماء .

(٣) الترقوة : مقدم الحلق فى أعلى الصدر . والبوان بالضم والكسر : عمود فى الخباء فى مقدمه . والخالفة : عمود من أعمدة البيت فى مؤخره .

(٤) الكركرة : صدر كل ذى خف . والثفال ، كسحاب : البطىء .

(٥) الخبر فى الكامل ١٣٦ ليبسك وأمالى ثعلب ٦١٦ . وسيعيده الجاحظ فى (٢ : ٢٧١) .

(٦) المعزى تؤنث وتذكر ، ففيها التنوين وعدمه . مطيرة : قد أصابها المطر .

(٧) الخبر فى الحيوان (٦ : ٤٦٠) .

وضُلع الرُّؤوس عِظام البُطون   رِحاب الشِّداق غلاظ القَصَرْ (١)

قال : وتكلَّم يوماً عند معاويةَ الخطباءُ فأحسنوا ، فقال : والله لأرمينهمْ بالخطيب الأشدَق ! قم يا يزيدُ فتكلّمْ .

وهذا القولُ وغيرُه من الأخبار والأشعار ، حُجّةٌ لمن زَعم أنّ عمرو بن سعيدٍ لم يُسمَّ الأشدقَ للفَقَم ولا للفَوَه .

وقال يحيى بن نوفل ، فى خالد بن عبد الله القسرىّ (٢) :

بَلّ السّراويلَ مِن خوفٍ ومن وَهَلٍ   واستَطْعَمَ الماءَ لما جَدَّ فى الهَرَبِ
وألحَنُ النّاسِ كلِّ النّاسِ قاطبةً   وكان يُولَع بالتشديق فى الخُطَبِ

ويدلُّك على تفضيلهم سَعَةَ الأشداقِ ، وهجائهم ضيقَ الأفواه، قول الشاعر :

لحى اللهُ أفْواهَ الدَّبَى مِن قَبيلَةٍ   إذا ذُكرت فى النّائبات أمورُها

وقال آخر :

وأفواهُ الدبى حامَوْا قليلاً   وليس أخو الحِمايةِ كالضَّجُورِ

وإنّما شبّهَ أفواهَهم بأفواه الدَّبَى ، لصِغَر أفواههم وضيقها .

وعلى ذلك المعنى هجا عَبْدة بن الطبيب (٣) حُيَيَّ بن هَزَّالٍ وابنَيه ، فقال:

تدعو بُنَيّيْكَ عَبّاداً وحِذيمَـةً   فا فأرةٍ شجَّها فى الجُحْرِ مِحفَارُ (٤)

---

(١) القصر ، بالتحريك : أصول الأعناق ، واحدتها قصرة . هـ : « طوال القصر » .

(٢) كان خالد القسرى قد خرج عليه المغيرة بن سعيد العجلى صاحب المغيرية ، ففزع لذلك . ويروى الجاحظ فى الحيوان (٢ : ٢٦٧ / ٦ : ٢٩٠) أنه اضطرب وقال : « أطعمونى ماء » لشدة ذهوله . وانظر ما سيأتى فى (٢ : ٢١٦) .

(٣) عبدة ، بسكون الباء ، وهو عبدة بن الطبيب – واسم الطبيب يزيد – بن عمرو بن وعلة بن أنس بن عبد الله بن عبد نهم بن جشم بن عبد شمس . شاعر مخضرم أدرك الإسلام فأسلم ، وشهد مع المثنى ابن حارثة قتال هرمز سنة ١٣ . وكان فى جيش النعمان بن مقرن الذى حارب الفرس بالمدائن .

(٤) انظر هذا البيت فى أبيات رواها فى الحيوان (٥ : ٢٦٣ – ٢٦٤) : شجها ، أى شج الفأرة : كسر رأسها . والمحفار والمحفر والمِحْفرة : المسحاة ونحوها مما يحتفر به .

وقد كان العباس بن عبد المطلب [جهيراً (١)] جهيرَ الصوت . وقد مُدح بذلك ؛ وقد نفَع الله المسلمينَ بجهارة صوته يوم حُنين ، حين ذهَب الناس عن رسول الله ﷺ ، فنادى العباسُ : يا أصحابَ سُورةِ البقَرة (٢) ، هذا رسول الله . فتراجَعَ القومُ . وأنزل الله عزّ وجلَّ النَّصرَ (٣) وأتى بالفتح .

ابنُ الكلبيِّ عن أبيه عن أبي صالح ، عن ابن عباس قال : كان قَيْسُ بنُ مَخْرَمَةَ بنِ المطَّلب بن عبد مناف ، يمكُو حَولَ البيت ، فيُسمَع ذلك من حِرَاء . قال الله عزّ وجلّ :﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَاءً وَتَصدِيَةً ﴾ ، فالتصدية : التصفيق .والمُكاء : الصَّفيرُ أو شبيهٌ بالصَّفير . ولذلك قال عنترة :

وحَليلِ غانيةٍ تركت مُجدّلاً ... تمكُو فريصتُه كشِدْقِ الأعْلَمِ

وقال العُجَيْرُ السَّلُوليُّ (٥) فى شِدّة الصوت :

ومِنْهنَّ قَرعِى كلَّ بابٍ كأنّما ... به القومُ يَرجُونَ الأَذِينَ نُسُورُ (٦)

فجئتُ وخَصْمِى يَصْبُِونَ نُيوبهم ... كما قُصِّبَت بين الشّفَار جَزُور (٧)

لدى كلِّ موثوق به عندَ مِثْلها ... له قدمٌ فى النّاطقين خطيرُ

جهيرٌ وممتدُّ العِنانِ مُناقلٌ ... بصيرٌ بعَوْرات الكلامِ خبيرُ (٨)

---

(١) الجهير : ذو المنظر والهيئة الحسنة : وهذه التكملة مما عدا ل .

(٢) كذا . والمعروف « يا أصحاب السمرة » . والسمرة هى الشجرة التى تمت عندها بيعة الرضوان . انظر (غزوة حنين) فى كتب التاريخ والسيرة .

(٣) فيما عدا ل ، هـ : « النصرة » .

(٤) قيس بن مخرمة : أحد الصحابة . وكان من المؤلفة قلوبهم . ولد عام الفيل عام ولد الرسول الكريم . الإصابة ٧٢٢٩ .

(٥) العجير ، ويقال أيضاً « العجير » بفتح العين : شاعر من شعراء الدولة الأموية مقل . وقد عده ابن سلام فى الطبقة الخامسة من شعراء الإسلام . انظر الخزانة (٢ : ٢٩٨) والأغانى (١١ : ١٤٦ ـــ ١٥٤) .

(٦) الأذين والآذن : الحاجب صاحب الإذن . وانظر الأبيات فى الحيوان (٤ : ٢٩١) ، وأمالى ثعلب والأغانى (١١ : ١٤٦ - ١٥٤) .

(٧) الخصم يقال للواحد والجمع . صرف نابه : حرفه فسَمِع له صوتا . قصبت : قطعت .

(٨) المناقلة : تبادل الحديث .

فظَلَّ رِداءُ العَصْب مُلقًى كأنّه ... سَلَى فرسٍ تحتَ الرِّجال عقير (١)
لوَ آنَّ الصُّخورَ الصُّمَّ يَسمَعن صَلْقَنا ... لرُحْنَ وفى أعراضِهن فُطور (٢)

الصَّلْقُ : شدة الصوت . وفُطُور : شقوق .

وقال مُهلْهِل :

ولولا الرِّيح أُسْمِعَ أهلُ حَجْرٍ ... صَليلَ البِيض تُقرَعُ بالذكُورِ (٣)

والصَّريف : صوت احتكاك الأنياب ، والصَّليل: صوت الحديد هاهنا. وفى شِدَّة الصَّوت قال الأعشى (٤) فى وصف الخطيب بذلك :

فيهم الخِصْبُ والسَّماحة والنجـ ... ـدَةُ جَمْعاً والخَاطبُ الصَّلّاقُ (٥)

وقال بشّار بن برد فى ذلك يهجو بعضَ الخطباء : ٧٨

ومِن عجَب الأيام أنْ قمتَ ناطقاً ... وأنتَ ضئيلُ الصّوت منتفخ السَّحْرِ

ووقع بين فتًى من النَّصارى وبين ابن فِهْريز المِطران كلامٌ ، فقال له الفتى : ما ينبغى أن يكون فى الأرض رجلٌ واحدٌ أجهلَ منك ! وكان ابنُ فِهْريز (٦) فى نفسه أكثرَ النّاسِ علماً وأدباً ، وكان حريصاً على الجَثْلقةِ . فقال للفتى : وكيف

---

(١) العصب ، بالفتح : ضرب من البرود . والسلى : الجلدة التى يكون فيها الولد. وفى البيت إقواء .

(٢) الأعراض : الجوانب والنواحى .

(٣) حجر ، بالفتح : قصبة اليمامة . والبيض بالكسر : السيوف ، جمع أبيض. وبالفتح جمع بيضة الحديد التى تقى الرأس . وانظر نقد الشعر لقدامة ٨٤ والموشح ٧٤ ومعجم المرزبانى ٣٣١ والحيوان (٦ : ٤١٨) والعمدة (٢ : ٥٠) والأغانى (٤ : ١٤٦). فيما عدا ، هـ : « أهل نجد » وقد أشير إلى هذه الرواية فى هامش ل .

(٤) فيما عدا ل : « يقول الأعشى » .

(٥) الصلاق : الشديد الصوت . ويروى : « المصلاق » و « السلاق » و « المسلاق ». انظر اللسان (سلق ، صلق) وديوان الأعشى ١٤٤ .

(٦) ابن فهريز ، أو ابن بهريز ، اسمه عبد يشوع ، كان مَطران حران ثم صار مطران الموصل ، وله رسائل وكتب ذهب فيها إلى إبطال وحدة القنوم التى يقول بها اليعقوبية والملكية ، وكانت له حكمة قريبة من حكمة الإسلام . وقد نقل من كتب المنطق والفلسفة شيئاً كثيراً . انظر ابن النديم ٢٤ ، ٢٤٨ ، ٣٢٩ ليبسك والحيوان (١ : ٧٦) مع الاستدراكات الملحقة بالجزء السابع منه .

حَلَلْتُ عندَك هذا المحلَّ ؟ قال : لأنّك تَعلم أنّا لا نتّخذ الجاثَلِيقَ (١) إلاّ مَدِيدِ القامة ، وأنت قصيرُ القامة ؛ ولا نتّخذه إلاّ جهيرَ الصوت جيِّد الحَلق ، وأنت دقيق الصَّوت ردىء الحلْق (٢) ؛ ولا نتَّخذه إلاّ وهو وافرُ اللِّحية عظيمُها وأنت خفيفُ اللِّحية صغيرها ؛ وأنت تعلم أنّا لا نختار للجَثْلَقة إلاّ رجلاً زاهداً فى الرِّياسة ، وأنت أشدُّ النَّاس عليها كَلَباً ، وأظهرهُم لها طلباً . فكيف لا تكونُ أجهَلَ النّاسِ وخصالُك هذه كلُّها تمنع من الجثْلقة ، وأنتَ قد شَغلْتَ فى طلبها بالَكَ ، وأسهرت فيها لَيْلَك .

وقال أبو الحَجْناء (٣) فى شِدَّة الصوت :

إنى إذا مازبّبَ الأشداقُ (٤) والتجَّ حولِى النّقع واللَّقْلاقُ (٥)

* ثَبْتُ الجَنَانِ مِرْجَمٌ وَدَّاقُ *

المِرْجم : الحاذق بالمراجمة (٦) بالحجارة . والوَدَّاق : الذى يُسيل الحجارةَ كالوَدْق من المطَر .

وجاء فى الحديث : « مَن وُقِىَ شرّ لَقلقِه وقَبْقَبه وذَبذَبه وُقِىَ الشرّ » . يعنى لسانَه وبطنَه وفرْجه .

وقال عمر بن الخطاب فى بَواكى خالدِ بن الوليد [بن المغيرة (٧)] : « وما عليهنَّ

(١) فى هامش هـ : « الجاثليق عندهم : القسيس الأكبر الذى لا يقطع الأمر دونه والمطران دون ذلك » .

(٢) فى النسخ : « الخلق » بالخاء المعجمة فى الموضعين ، تصحيف . وفى الحيوان (٣ : ٤٣٥) : « وفى السند حلوق جياد » . وفى رسائل الجاحظ ١١٨ : « ومن مفاخر الزنج حسن الحلق وجودة الصوت » .

(٣) أبو الحجناء ، هو نصيب الأصغر ، مولى المهدى ، وكانت له بنت تسمى « حجناء » . وهو القائل فى الفضل بن يحيى :

ما لقينا من جود فضل بن يحيى ترك الناس كلهم شعراء

الأغانى (٢٠ : ٢٥ — ٣٤) .

(٤) زبب الأشداق : ظهر عليها الزبد . والرجز فى اللسان (زبب ، لقق) .

(٥) اللقلاق واللقلقة : الصوت والجلبة .

(٦) ل : « بالمواجهة » صوابه فى سائر النسخ .

(٧) هذا مما عدا ل .

أن يُرقِن مِن دموعهنّ على أبى سُليمان ما لم يكن نَقْع أو لَقلَقةٌ (١) » .

وجاء فى الأثر : « ليس منا مَن حَلَق أو صَلَق ، أو سَلَق ، أو شَقَّ (٢) » .

ومما مَدَح به العُمانىُّ هارونَ الرّشيدَ ، بالقصيد دون الرجز ، قولُه :

جَهير العُطَاس شَديد النِّياطِ جَهِير الرُّوَاء جَهيرُ النّغَمْ

ويَخطو على الأَيْنِ خَطْوَ الظّليمِ وَيعلُو الرِّجالَ بجسمٍ عَمَمْ

النِّياط : معاليق القلب . والأَينُ : الإعياءُ . والظّليم : ذكر النعام . ٧٩

ويقال إنه لعَمَم الجسم ، وإن جسمَه لعَمَمٌ ، إذا كان تامًّا . ومنه قيل نبتٌ عمم . واعتمَّ النّبت ، إذا تَمّ .

وكان الرّشيد إذا طاف بالبيت جعَلَ لإزاره ذنبَيْنِ عن يمينٍ وشمالٍ ، ثمّ طاف بأوسَعَ مِن خطو الظّليم ، وأسرعَ من رَجْعِ يدِ الذّئب .

وقد أخبرنى إبراهيم بن السِّندىّ بمحصول ذَرْع ذلك الخَطْو ، إلا أنى أحسِبه فراسخَ فيما رأيته يذهب إليه .

وقال إبراهيم : ونظر إليه أعرابىٌّ فى تلك الحال [والهيئة (٣)] فقال :

* خَطوَ الظّليمِ ريع مُمْسًى فانشمَرْ *

ريع : فُزِّع . مُمسًّى : حين المَساء . انشمر : جَدّ فى الهرب .

وحدَّثنى إبراهيم بن السِّندىّ قال : لما أُتى عبدَ الملك بن صالحٍ وفدُ الرّوم وهو فى بلادهم (٤) ، أقام على رأسه رجالاً فى السِّماطين لهم قَصَرٌ وهامٌ ، ومناكبُ وأجسام ، وشواربُ وشعور ، فبيناهم قيامٌ يكلِّمونه ومنهم رجلٌ وجهُه فى قفا

---

(١) فسر « النقع » فى اللسان (١٠ : ٢٤١) بأنه رفع الصوت ، أو أصوات الخدود إذا ضربت ؛ أو وضعهن النقعَ ، وهو الغبار ، على رءوسهن ؛ أو شق الجيوب . وفى حواشى هـ : « ليس فى الحديث أو سلق بالسين ، وإنما جاء به ليعلم أنهما لغتان بمعنى »

(٢) الصلق : الصياح والولولة . والسلق مثله ، أو خمش الوجوه عند المصيبة .

(٣) هذه مما عدا ل .

(٤) فيما عدا ل : « فى البلاد » .

البِطْريق إذْ عَطَس عَطسةً ضئيلة ، فلحظه عبدُ الملك ، فلم يدر أىَّ شىء أنكَرَ منه ، فلما مضى الوفدُ قال له : ويلَكَ ، هَلا إذْ كنتَ ضيِّق المنخر كزَّ الخَيْشوم ، أتبَعْتَها بصيحةٍ تخلع بها قلب العِلْج ؟!

وفى تفضيل الجَهارة فى الخُطب يقول شَبَّةُ بن عِقَالٍ (١) بِعَقِبِ خطبته عند سليمانَ بنِ علىّ بن عبد الله بن عباس :

ألا ليتَ أمَّ الجهم والله سامعٌ ترى ، حيثُ كانت بالعراق ، مَقامى
عشيّةَ بَذَّ الناسَ جهرى ومَنْطِقِى وبَذَّ كلامَ النَّاطقين كلامى

وقال طحلاءُ يمدح معاويةَ بالجهارة وبجودة الخطبة :

رَكُوبُ المنابر وثَّابُها مِعَنٌّ بخُطبَته مِجْهرُ
تَرِيعُ إليه هَوادى الكلامِ إذا ضَلّ خُطبتَه المِهْذَرُ

مِعَنٌّ : تَعِنّ له الخطبة فيخطبُها مقتضِباً لها . تَرِيع : ترجع إليه . هوادى الكلام : أوائله . فأراد أنَّ معاويَةَ يخطب فى الوقت الذى يذهب كلامُ المِهْذَر فيه . والمِهْذَرُ : المِكْثارُ . ٨

وزعموا أنّ أبا عطيّةَ عُفَيفاً النَّصرىّ ، فى الحرب التى كانت بين ثقيف وبين بنى نَصر ، لمّا رأى الخيل بعَقْوته يومئذ دَوائِسَ (٢) نادى : ياصَباحاه ! أُتيتم يابنى نَصر . فألقت الحَبالَى أولادَها مِن شدّة صوته . قالوا : فقال ربيعةُ ابن مسعودٍ (٣) يصف تلك الحربَ وصوتَ عُفَيف (٤) :

---

(١) هو شبة بن عقال المجاشعى ، من مجاشع رهط الفرزدق ، وهو زوج جعثن أخت الفرزدق ، كما فى النقائض ٨٥٥ . وروى ابن سلام ١٥٩ أنه بعث بدراهم وحملان وكسوة وخمر إلى الأخطل ، وذلك ليفضل الفرزدق على جرير ويسبه .

(٢) العقوة : ما بين الدار والمحلة . دوائس : جمع دائس . فيما عدا ل ، هـ : « وأيس » .

(٣) فى نهاية الجزء الأول من كامل ابن الأثير : « ربيعة بن سفيان » .

(٤) بضم العين وفتح الفاء ، كما ضبطه ابن الأثير . وضبط فى هـ بفتح العين .

عُقاماً ضَرُوساً بين عوفٍ ومالك　　شديداً لَظَاها تترك الطِّفلَ أشْيَبا
وكانت جُعَيلٌ يوم عَمْرٍو أراكةٍ　　أُسودَ الغَضَى غَادَرْنَ لحماً مُتَرَّبا (١)
ويومٍ بِمَكْرُوثاءَ شَدَّتْ مُعَتِّبٌ　　بغاراتها قد كان يوماً عَصَبْصَبَا (٢)
فأسقطَ أحبالَ النِّساء بصوته　　عُفَيفٌ وقد نادى بنصرٍ فطَرّبا (٣)

وكان أبو عروة ، الذى يقال له أبو عُروةِ السِّباعِ (٤) ، يصيح بالسَّبع وقد احتمَل الشَّاة ، فيخلِّيها ويذهبُ هاربا على وجهِه (٥) . فضرب به الشّاعرُ المثَلَ — وهو النابغةُ الجعدىّ — فقال :

وأَزْجُر الكاشحَ العدُوَّ إذا اغْـ　　ـتابَكَ عندى زَجْراً على أضَمِ (٦)
زَجْرَ أبى عُروةَ السِّباعَ إذا　　أشفَقَ أن يلتَبِسْنَ بالغَنَمِ

وأنشد أبو عمرٍو الشّيبانىُّ لرجلٍ من الخوارج يصف صيحةَ شبيبِ بن يزيد بن نُعَيم (٧) . قال أبو عبيدة وأبو الحَسَن (٨) : كان شبيبٌ يصيح فى جَنَبات

---

(١) عمرو وأراكة : موضعان .

(٢) مكروثاء ، بفتح أوله : موضع . والعصبصب : الشديد .

(٣) الأحبال : جمع حبل ، بالتحريك ، وهو حمل المرأة : هـ : « لدن نادى » .

(٤) كذا ولم أجد من ذكر هذا غيره . وفى التيمورية فقط : « السباح » .

(٥) فى اللسان : « وأبو عروة رجل زعموا كان يصيح بالسبع فيموت ، ويزجر الذئب فيموت مكانه ، فيشق بطنه فيوجد قلبه قد زال عن موضعه وخرج من غشائه ! » .

(٦) الأضم : الغضب . وفى اللسان (١٩ : ٢٨٠) : « على وضم » تحريف .

(٧) شبيب بن يزيد بن نعيم الخارجى ، خرج بالموصل وبعث إليه الحجاج خمسة قواد فقتلهم واحداً بعد واحد . وفى إحدى حروبه نفر به فرسه على نهر دجيل — دجيل الأهواز لادجيل بغداد — فغرق فيه . وكانت تشترك معه زوجته غزالة وكذا أمه جهيزة فى مقاومة الحجاج . ولما دخل هو وزوجته غزالة على الحجاج فى الكوفة تحصن الحجاج منها وأغلق عليه قصره ، فكتب إليه عمران بن حطان — وكان الحجاج قد لج فى طلبه — :

أسد علىّ وفى الحُروبِ نعامة　　ربداء تجفل من صفير الصافر
هلا برزت إلى غزالة فى الوغى　　بل كان قلبك فى جناحَى طائر

ولد شبيب سنة ٢٦ وتوفى سنة ٧٧ . المعارف ١٨٠ والأغانى (١٦ : ١٤٩ / ٢١ : ٨) ووفيات الأعيان .

(٨) هو أبو الحسن على بن محمد المدائنى الأخبارى .

الجيشِ إذا أتاه ، فلا يَلوِى أحدٌ على أحد . وقال الشاعر فيه :

إنْ صاح يوماً حسِبتَ الصَّخرَ منحدِراً   والرِّيحَ عاصفةً والموجَ يلتطمُ

قال أبو العاصى : أنشدنى أبو مُحرِز خلفُ بنُ حيَّانَ ،وهو خلفٌ الأحمر (١) مولى الأشعريِّين ، فى عيب التشادق :

له حَنْجرٌ رَحْبٌ وقول منقّحٌ   وفَصْلُ خطابٍ ليس فيه تشادقُ (٢)

إذا كان صوتُ المرءِ خَلْفَ لَهاتِهِ   وأنْحى بأشداقٍ لهنَّ شَقاشِقُ

وقبقَبَ يَحكِى مُقْرَماً فى هِبابِهِ   فليس بمسبوقٍ ولا هو سابقُ (٣)

وقال الفرزدق :

* شقاشِقُ بين أشداقٍ وهامِ (٤)*

وأنشد خلفٌ :

وما فى يديه غيرُ شِدقٍ يُميله   وشِقْشِقةٍ خرساءَ ليس لها نَعْبُ

متى رامَ قولاً خالفته سجيّةٌ   وضِرس كقَعْب القَينِ ثَلّمه الشّعْبُ

وأنشد أبو عمرٍو وابنُ الأعرابىّ :

وجاءت قريشٌ قريشُ البطَاح   هى العُصَبُ الأُوَلُ الدَّاخِلَهْ

---

(١) هو أبو محرز خلف بن حيان ، المعروف بالأحمر البصرى ، مولى أبى بردة بلال بن أبى موسى الأشعرى ، وهو معلم الأصمعى وأهل البصرة ، وأستاذ أبى نواس . توفى فى حدود ١٨٠ . إنباه الرواة وإرشاد الأريب (١١ : ٦٦) .

(٢) الحنجر : جمع حنجرة ، وهى رأس الغلصمة .

(٣) المقرم : الفحل المكرم . والهباب ، بالكسر : النشاط .

(٤) عجز بيت له من أبيات فى ديوانه ٨٤٨ يمدح بها مالك بن المنذر بن الجارود ، وهى :

تمتك قروم أولاد المعلى   وأبناء المسامعة الكرام

تخمط فى ربيعة بين بكر   وعبد القيس فى الحسب اللهام

اذا سمت القروم لهم علتهم   شقاشق بين أشداق وهام

يقودُهُم الفِيلُ والزَّنْدَبيلُ وذو الضِّرس والشَّفةِ المائلهْ (١)

ذو الضرس وذو الشفة ، هو خالد بن سَلَمة المخزوميّ الخطيب . الفيلُ والزَّندبيل : أبان والحكم ابنا عبدِ الملك بن بشر بن مروان . يَعنى دُخُولَهم على ابن هبيرة . والزَّندبيل : الأنثى من الفِيَلة ، فيما ذكر أبو اليقظان سُحيم بن حفص . وقال غيره : هو الذّكر . فلم يقِفُوا من ذلك على شئ .

وقال الشاعر فى خالد بن سَلَمة المخزوميّ :

فما كان قائلَهم دَغْفَلٌ ولا الحيقُطَان ولا ذو الشَّفَهْ

قوله « دَغفل » يريد دَغفل بن يزيد بن حنظلة الخطيب النَّاسب . والحَيْقُطَان : عبدٌ أسودُ ، وكان خطيباً لا يُجارَى .

وأنشد بعضُ أصحابِنا (٢) :

وقافيـــةٍ لجْلجتُهـــــا فرددتها لِذى الضرس لو أرسلتُها قَطرتْ دَما

وقال الفرزدق : أنا عند الناس أشعرُ العرب ، ولرُبَّما كان نزْعُ ضِرسٍ أيسرَ علىَّ من أن أقول بيت شعر .

قال : وأنشدنا منيع :

فجئتُ ووَهبٌ كالخَلاة يضمُّها إلى الشِّدق أنيابٌ لهنّ صريفُ (٣)
فقَعقعتُ لَحيَىْ خالدٍ واهتضمتُه بحُجَّة خَصمٍ بالخصوم عنيِفِ

أبو يعقوب الثَّقفى عن عبد الملك بن عميْر ، قال : سئل [الحارث] بن أبى ربيعة (٤)

---

(١) البيتان لخلف بن خليفة الأقطع ، يذكر الأشراف الذين يدخلون على ابن هبيرة . انظر الحيوان (٧ : ٨١) .

(٢) هـ : « وأنشد أصحابنا » .

(٣) الخلاة : واحدة الخلى ، وهو الرطب من النبات . والصريف : الصوت .

(٤) كلمة « الحارث » مما عدا ل . وهو الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة المخزومى ، وكان يلقب بالقباع ، وهو أخو عمر بن عبد الله بن أبى ربيعة ، كان رجلا صالحاً ديناً من سروات قريش ، وكان حاول أن يصد أخاه عن قول الشعر فلم يفلح . انظر الأغانى (١ : ٤٧) .

عن علىّ بن أبى طالبٍ رضى الله عنه فقال : كم كان له ماشئتَ من ضرسٍ قاطعٍ فى العلم بكتاب الله ، والفقهِ فى السنّة ، والهجرة إلى الله ورسوله ، والبَسطة فى العَشيرة ، والنَّجدة فى الحرب ، والبذلِ للماعون .

وقال الآخر :

ولم تُلفِنى فَهًّا ولم تُلْفِ حُجّتى   ملجلَجةً أبغِى لها مَن يُقيمُها (١)
ولا بتُّ أُزْجيها قَضِيباً وتَلتوِى   أراوِغُها طوراً وطوراً أُضِيمُها (٢)

وأنشدنى أبو الرُّدينىّ العُكْلى :

فتىً كان يعلو مَفْرِقَ الحقِّ قولُه   إذا الخطباءُ الصِّيد عَضَّل قِيلُها (٣)

وقال الخُريمىُّ فى تشادق علىّ بن الهيثم :

يا علىَّ بنَ هيثمٍ يا سُماقا   قد ملأْتَ الدُّنْيا علينا نِفاقا (٤)
خلِّ لَحيَيْك يسكُنانِ ولا تضْـ   ـرب على تغلِبٍ بلَحْيَيْك طاقا (٥)
لا تَشادَقْ إذا تكلّمتَ واعلمْ   أنَّ للنّاسِ كلِّهم أشداقا

وكان علىُّ بن الهيثمِ جواداً ، بليغَ اللسان والقلم .

وقال لى أبو يعقوب الخُرَيمىّ (٦) : ما رأيت كثلاثةِ رجالٍ يأكلون الناس أكلاً حتّى إذا رأوا ثلاثةَ رجالٍ ذابوا كما يذوب الملح فى الماء ، والرّصاص فى النّار : كان هشام بن محمدٍ (٧) علّامةً نسّابة ، وراويةً للمثالب عيّابة ، فإذا رأى

---

(١) الفه : العى الذى لا يبين . والملجلجة : المضطربة المختلطة . وانظر اللسان (قرن) .
(٢) أزجيها : أسوقها . والقضيب : المقتضبة ليس لها حسن . أضيمها : أنتقصها .
(٣) الصيد : جمع أصيد ، وهو الذى يرفع رأسه كبراً . عضل ، هو من قولهم : عضلت الحامل ، إذا صعب خروج ولدها . وكتب فوقها فى هـ : « عضه » ، رواية أخرى .
(٤) سماق : لقب على بن الهيثم ، كما فى حواشى هـ . فيما عدا ل ، هـ : « علينا بقاقا » .
(٥) الطاق : ما عطف من الأبنية .
(٦) الخبر فى الأغانى (٢١ : ١٥٧) منقولا عن الجاحظ .
(٧) فيما عدا ل ، وكذا فى الأغانى : « هشام بن الكلبى » .

الهيثم بنَ عدىّ ذاب كما يذوب الرَّصاص فى النّار . وكان علىّ بن الهيثم (١) مِفْقَعانِيًّا (٢) صاحب تفقيع وتقعير ، ويستولى على كلام أهل المجلس ، لا يحفِل بشاعرٍ ولا بخطيبٍ ، فإذا رأى مُوسَى الضبّىَّ ذابَ كما يذوب الرَّصاص عند النّار . وكان عَلّويه المغنِّى (٣) واحِدَ النّاسِ فى الرِّواية وفى الحكاية ، وفى صنعة الغِناء وجَوْدة الضَّرب ، وفى الإطراب وحسن الحَلْق ، فإذا رأى مُخارقاً (٤) ذاب كما يذوب الرَّصاص عند النار .

* * *

ثم رجع بنا القول إلى ذكر التشديق وبُعْد الصوت .

قال أبو عبيدة : كان عُروة بن عتبة بن جعفر بن كلابٍ ، رَديفاً للملوك (٥) ، ورحّالاً إليهم ، وكان يقال له عُروةُ الرَّحّال ، فكان يومَ أقبَلَ مع ابن الجَوْن ، يريد بنى عامر ، فلمَّا انتهى إلى وارداتٍ مع الصُّبح (٦) ، قال له عُروة : إنّك

---

(١) فى الأصول : « الهيثم بن عدى » صوابه من الأغانى . ولأجل « على بن الهيثم » ساق الجاحظ الخبر .

(٢) كذا وردت مضبوطة فى ل . وضبطت فى هـ بفتح الميم ، ولعلها من لغة أهل البصرة، مأخوذة من التفقيع ، وهو التشديق . وزاد قبل هذه الكلمة فى الأغانى : « حريفا » .

(٣) هو يوسف بن عبد الله بن يوسف ، وكان جده من السغد الذين سباهم عثمان بن الوليد زمن عثمان بن عفان ، واشتهر بعلويه ، وكنيته أبو الحسن . كان مغنياً حاذقاً ، ومؤدياً محسناً ، وضارباً متقدماً ، وكان إبراهيم علمه وخرجه وعنى به جداً فبرع ، وغنى للأمين وعاش إلى أيام المتوكل ، ومات بعد إسحاق الموصلى بمديدة يسيرة ، الأغانى (١٠ : ١١٥ – ١٢٥) .

(٤) هو مخارق بن يحيى بن ناوس الجزار ، مولى الرشيد ، وكان قبله لعاتكة بنت شهدة ، وهى من المغنيات المحسنات المتقدمات فى الضرب ، ونشأ فى المدينة ، وقيل بل كان منشؤه بالكوفة . وكان أبوه جزاراً مملوكاً ، وكان مخارق وهو صبى ينادى على ما يبيعه أبوه من اللحم ، فلما بان طيب صوته علمته مولاته طرفاً من الغناء ثم أرادت بيعه فاشتراه إبراهيم الموصلى منها ، وأهداه إلى الفضل بن يحيى فأخذه الرشيد منه ثم أعتقه . الأغانى (٢١ : ١٤٣) .

(٥) المعروف فى هذا « الردف » بالكسر ، واحد الأرداف ، وهم الذين يخلفون الملوك فى القيام بأمر المملكة ، بمنزلة الوزراء فى الإسلام . وأما الرديف فهو الراكب خلف صاحبه . وعروة الرحّال قتله البراض بن قيس . الحيوان (١ : ١٦٦) .

(٦) واردات ، قال ياقوت : موضع عن يسار طريق مكة وأنت قاصدها .

قد عَرَفتَ طولَ صحبتى لك ، ونَصيحتى إيّاك ، فائْذَن لى فأهتِفَ بقومى هَتفةً . قال : نَعم ، وثلاثاً . فقام فنادى : يا صَبَاحَاه ! ثلاثَ مرّات . قال : فسمِعْنا شيوخَنا يزعمون أنّه أسمَعَ أهلَ الشِّعب ، فتلبَّبوا للحرب ، وبَعثُوا الرَّبَايَا (١) ، ينظرون من أين يأتِى القوم .

قال : وتقول الرُّوم : لولا ضَجّة أهل رُومِيَّة وأصواتُهم ، لسَمِع النّاس جميعاً صوتَ وُجوب القُرْص فى المغْرِب (٢) .

وأعْيَبُ عندهم مِن دقّة الصوت وضِيق مخرَجِه وضعف قُوّته ، أن يعترِىَ الخطيبَ البُهْرُ والارتعاش ، والرِّعدة والعَرَق .

قال أبو الحسن : قال سفيان بن عُيَيْنة : تكلَّم صَعصعةُ عند معاوية فعرِق ، فقال معاوية : بَهَرك القول ! فقال صعصعة : « إنّ الجياد نَضّاحَةٌ بالماء » .

والفرس إذا كان سريعَ العرق ، وكان هَشًّا ، كان ذلك عَيْبا . وكذلك هو فى الكثْرة ، فإذا أبطأَ ذلك وكان قليلاً قيل : قد كبا ؛ وهو فرسٌ كاب . وذلك عيبٌ أيضاً .

وأنشدنى ابنُ الأعرابىّ ، لأبى مِسمارٍ العكلىّ ، فى شبيهٍ بذلك قولَه :

لِلّهِ دَرُّ عامرٍ إذا نطَقْ ... فى حَفْل إمْلاك وفى تلك الحِلَقْ (٣)
ليس كقومٍ يُعْرَفون بالسَّرَقْ (٤) ... من خُطَب النّاس ومِمّا فى الوَرَقْ
يلفِّقُون القولَ تلفِيق الخَلَقْ (٥) ... مِن كلِّ نَضّاح الذِّفَارَى بالعَرَقْ
* إذا رمَتْه الخطباءُ بالحَدَقْ *

---

(١) الربايا : جمع ربيئة ، وهو العين والطليعة. وهذا ما فى ل . وفى هـ : « وعبوا » . وفى سائر النسخ : « وعسبوا » . وهذه محرفة .

(٢) وجب قرص الشمس : وقع واختفى فى مكان الغروب. وانظر اللسان (سفر ٣٦) .

(٣) الإملاك : التزويج وعقد النكاح. وحلقة القوم ، تقال بالفتح ، وبالتحريك ، وبالكسر ؛ وجمعها حلق ، بالتحريك ، وبكسر ففتح .

(٤) السرق ، بالتحريك ، وبفتح فكسر ، هو السرقة. فيما عدا ل ، هـ : « بالشدق » تحريف .

(٥) ل : « الخرق » .

[والذّفارَى هنا : يعنى بدن الخطيب . والذِّفريانِ للبعير ، وهما اللَّحمتان فى قفاه (١)] .

وإنّما ذكر خطب الإملاك لأنّهم يذكرون أنّه يَعْرِض للخطيب فيها مِن ٤٠
الحَصَر أكثرُ ممّا يَعرِض لصاحب المِنبر. ولذلك قال عمرُ بن الخطّاب رحمه الله : « ما يتصَعَّدُنى كلامٌ كما تتصعَّدُنى خُطبة النكاح (٢) » .

وقال العُمَانىّ :

لا ذَفِرٌ هَشٌّ ولا بِكابِى ولا بلجلاجٍ ولا هَيَّابِ

الهشُّ : الذى يَجُود بعرقه سريعاً ؛ وذلك عَيب . والذَّفِرُ : الكثير العرق. والكابِى : الذى لا يكاد يَعرق ، كالزَّنْد الكابى الذى لا يكاد يُورِى . فجعل له العُمانى حالاً بين حالينِ إذا خَطَب ، وخبّر أنّه رابطُ الجأْش ، معاودٌ لتلك المقامات .

وقال الكميت بن زيد – وكان خطيباً – : « إنّ للخطبة صَعْداءَ (٣) ، وهى على ذى اللُّب أرْمَى » .

وقولهم : أرمَى وأرْبَى سواءٌ ، يقال : فلان قد أرمَى على المائة وأربَى .

ولم أر الكميتَ أفصَحَ عن هذا المعنى ولا تَخَلّص إلى خاصّته . وإنّما يجترىء على الخطبة الغِرّ (٤) الجاهل الماضى ، الذى لا يَثنيه شىءٌ ، أو المطبوع الحاذق ، الواثقُ بغَزَارته واقتداره ، فالثِّقة تنفِى عن قلبه كلَّ خاطرٍ يُورِث اللَّجلجة والنحنحة ، والانقطاعَ والبُهْر والعَرَق .

وقال عُبيد الله بنُ زياد ، وكان خطيباً ، على لُكْنة كانت فيه :« نِعم الشىء

(١) هذه التكلمة مما عدا ل .

(٢) تصعده الأمر وتصاعد به : شق عليه . وانظر ما سبق فى ص ١١٧ .

(٣) الصعداء ، بالفتح : المشقة . وأما الصعداء بفتح فضم ، فالتنفس الممدود .

(٤) فيما عدا ل : « الغمر » .

الإمارَةُ ، لولا قَعقعة البُرد (١) ، والتشرُّن للخُطَبِ (٢) » .

وقيل لعبد الملك بن مَرْوَان : عَجِلَ عليك الشيبُ يا أمير المؤمنين ! قال : « وكيف لا يَعجَل عليَّ وأنا أَعرِضُ عَقْلِي على النَّاس فى كلِّ جُمُعةٍ مَرَّةً أو مرتين » . يعنى خطبةَ الجمعة وبعض ما يعرِض من الأمور .

وقال بعض الكلبيين (٣) :

فإذَا خطَبتَ على الرِّجال فلا تكن خَطِلَ الكلام تقوله مُختالا (٤)

واعلَمْ بأنّ من السُّكوت إبانةً ومن التكلُّم ما يكون خَبَالا (٥)

كلام بشر بن المعتمر

مرَّ بِشر بنُ المعتمر (٦) بإبراهيم (٧) بن جبلة بن مَخْرَمة السَّكونىّ الخطيبِ ، وهو يعلِّم فتيانهم الخَطابة ، فوقف بِشرٌ فظنّ إبراهيمُ أنّه إنّما وقَفَ ليستفيد أو ليكونَ رجلاً من النَّظّارة ، فقال بِشر : اضربُوا عمّا قالَ صَفْحا واطوُوا عنه كَشْحا . ثمّ دَفَع إليهم صحيفةً من تحبيره وتنميقه ، وكان أوّل ذلك الكلام :

خُذْ من نفِسك ساعةَ نشاطِك وفراغِ بالك وإجابتِها إياك ، فإنّ قليل تلك الساعةِ أكرَمُ جوهراً ، وأشرَفُ حسَباً ، وأحسن فى الأسماع ، وأحلَى فى الصدور ، وأسلَمُ من فاحش الخَطَاءِ ، وأجْلَبُ لكلِّ عين وغُرّةٍ ، مِن لفظٍ

---

(١) البرد : جمع بريد ، وأصل البريد : الدابة ، ثم جعل للرجل . وفى هامش ل : « خ : البريد » إشارة إلى ما فى نسخة أخرى . وفى هامش التيمورية ، هـ : « وإنما قال هذا لأن الوالى لا يدرى بما يأتيه من خير أو شر ، فهو يجزع لرؤيته ويخاف » .

(٢) التشرن : التأهب والتهيؤ والاستعداد . والخبر فى نهاية (شرن) فى اللسان .

(٣) ب والتيمورية : « الكليبين » حـ : « الكلابيين » .

(٤) ل : « الرحال » بالحاء المهملة .

(٥) ل ، هـ : « التكلف » وكتب إزاءها : « خ : التكلم » . وهى رواية سائر النسخ .

(٦) سبقت ترجمته فى ص ٤١ . وبعدها فى ب والتيمورية : « حين مر » .

(٧) حـ : « لابراهيم » .

شريف ومعنىً بديع . وأعلَمْ أنّ ذلك أجدى عليك ممَّا يُعطيك يومُك الأطولُ ، بالكدِّ والمطاولة (١) والمجاهدة ، وبالتكلُّف والمعاودة . ومهما أخطأك لم يُخطئك أن يكون مقبولاً قَصْداً ، وخفيفاً على اللِّسان سهلاً ؛ وكما خرج من يَنبوعِهِ ونَجَم من مَعْدِنِه . وإياك والتوعُّرَ ، فإنّ التوعُّر يُسلمِكُ إلى التعقيد ، والتعقيد هو الذى يستهلِكُ معانيَكَ ، ويَشين ألفاظك . ومن أَرَاغَ معنىً كريماً فليلتمِسْ له لفظاً كريماً ؛ فإنّ حقّ المعنى الشريفِ اللفظُ الشّريف ، ومن حقِّهما أن تصونهما عما يفسدُهما ويهجِّنُهمَا ، وعماّ تعودُ مِن أجله أن تكونَ أسوأَ حالاً مِنك قبل أن تلتمس إظهارَهُما ، وترتِهن نفسَك بملابستِهما وقضاءِ حقِّهما . فكُن فى ثلاثِ منازل ؛ فإن أُولَى الثلاث أن يكون لفظُك رشيقاً عذْبا ، وفخْماً سهلا ، ويكونَ معناك ظاهراً مكشوفاً ، وقريباً معروفاً ، إمَّا عند الخاصَّة إنْ كنتَ للخاصَّة قصَدت ، وإمَّا عند العامَّة إنْ كنتَ للعامَّة أردت . والمعنى ليس يشرفُ بأن يكونَ من معانى الخاصَّة ، وكذلك ليس يتَّضع بأن يكونَ من معانى العامَّة . وإنّما مَدارُ الشّرَف على الصواب وإحرازِ المنفعة ، مع موافَقَة الحال ، وما يجب لكلّ مَقامٍ من المقال . وكذلك اللفظ العامّىّ والخاصّىّ . فإنْ أمكنَكَ أن تبلغ من بيان لسانِك ، وبلاغةِ قلمك ، ولُطف مَداخلك ، واقتدارِك على نفسك ، إلى أن تُفْهِم العامَّة معانىَ الخاصَّة ، وتكسُوَها الألفاظَ الواسطة (٢) التى لا تَلطُف عن الدَّهْماء ، ولا تَجفُو عن الأَكْفاء ، فأنت البليغ التامّ (٣).

قال بشر : فلما قُرِئت على إبراهيمَ قال لى : أنا أحوَجُ إلى هذا من هؤلاء الفتيان .

---

(١) ل : « والمكابرة » .

(٢) ل : « المبسوطة » .

(٣) وقع فى سائر النسخ اضطراب فى صحيفة بشر . ففيما عدا ل ، ه قد وردت الصحيفة متتابعة لا يفصل بين فقرها شىء مما يلى . ولا إخال ذلك إلا من عمل قارئ أو ناسخ .

قال أبو عثمان : أما أنا فلم أر قطُّ أمْثَل طريقةً فى البلاغة من الكتّاب ؛ فإنهم قد التمَسُوا من الألفاظ ما لم يكن متوعراً وحْشيًّا ، ولا ساقطا سُوقيّا . ٨
وإذا سمعتمونى أذكُر العَوامَّ فإنِّى لستُ أعنِى الفلّاحين والحُشْوَة [١] والصُّنَّاعَ والباعة ، ولستُ أعنى أيضاً الأكرادَ فى الجبال ، وسُكّانَ الجزائر فى البحار ، ولست أعنى من الأمم مثلَ الببر [٢] والطّيلسان [٣] ، ومثل مُوقَان وجِيلان [٤] ومثل الزِّنج وأشباه الزّنج . وإنّما الأمم المذكورون مِن جميع الناس أربع : العرب ، وفارسُ ، والهند ، والرّوم . والباقون همجٌ وأشباه الهَمج . وأما العوامّ مِن أهل مِلّتنا ودعوتنا ، ولغتنا وأدبنا وأخلاقنا ، فالطّبقة التى عقولُها وأخلاقُها فوقَ تلك الأمم ولم يبلُغوا منزلَة الخاصة منا . على أنّ الخاصةَ تتفاضل فى طبقاتٍ أيضاً [٥] .

ثم رجع بنا القولُ إلى بقيّة كلامِ بشرِ بن المعتمر ، وإلى ما ذَكَر من الأقسام [٦]

قال بشرٌ : فإن كانت المنزلةُ الأولى لا تواتيك ولا تعتريك ولا تسمَح [٧]

---

(١) الحشوة بالضم والكسر : رذال الناس وأسقاطهم

(٢) ل : « اليبر » مع عدم نقط الحرف الثانى . وجاء فى تاريخ الطبرى (٥ : ٤٥) : « فأغار على أهل موقان والببر والطيلسان » . وضبطت فى هـ بفتح أولها وكسره معا .

(٣) الطيلسان : إقليم واسع كثير البلدان والسكان من نواحى الديلم والخزر ، افتتحه الوليد بن عقبة فى سنة ٣٤ . معجم البلدان .

(٤) قال ابن الكلبى : موقان وجيلان ، وهما أهل طبرستان ، ابنا كاشج بن يافث بن نوح . قال ياقوت فى موقان : « ولاية فيها قرى ومروج كثيرة تحتلها التركمان للرعى ، فأكثر أهلها منهم » . وقال فى جيلان : « اسم لبلاد كثيرة من وراء طبرستان .. وليس فى جيلان مدينة كبيرة ، إنما هى قرى فى مروج بين جبال » .

(٥) الكلام من « قال بشر : فلما قرئت » إلى هنا ، موضعه فيما عدا ل ، هـ قبل : « وقال : وينبغى للمتكلم أن يعرف » . وبذلك يختلط كلام بشر بكلام الجاحظ . وما أثبت من النسختين هو الصحيح .

(٦) هذه العبارة من ل ، هـ فقط .

(٧) فيما عدا ل : « تسنح » .

لك عند أوّل نظَرك وفى أول تكلُّفك ، وتجد اللّفْظة لم تقع موقعها ولم تَصِر إلى قرارها وإلى حقِّها من أماكنها المقسومة لها ، والقافيةَ لم تحُلّ فى مركزها وفى نِصابها ، ولم تتَّصل بشكلها ، وكانت قلقةً فى مكانها ، نافرةً مِن موضعها ، فلا تُكْرِهْها على اغتصاب الأماكن ، والنزولِ فى غير أوطانها ؛ فإنّك إذا لم تَتعاطَ قرضَ الشّعر الموزون ، ولم تتكلَّف اختيارَ الكلام المنثور ، لم يَعِبْك بترك ذلك أحد . فإنْ أنتَ تكلّفتهما [(١)] ولم تكن حاذقاً مطبوعاً ولا مُحكِماً لشأنِك [(٢)] ، بصيراً بما عليك ومالَكَ ، عابَكَ مَن أنت أقلُّ عيباً منه ، ورأى مَن هو دونَك أنّه فوقَك . فإن ابتُليت بأنْ تتكلفَ القولَ ، وتتعاطى الصنعةَ ، ولم تسْمَح لك الطِّباعُ فى أوّل وَهلة [(٣)] ، وتعاصَى عليك بعْدَ إجالة الفكرة ، فلا تعجَلْ ولا تضْجَر ، ودَعْهُ بياضَ يومِك وسوادَ ليلتِك ، وعاوِدْه عند نشاطِك وفراغ بالك ؛ فإنَّك لا تَعدم الإجابةَ والمواتاة ، إن كانت هناك طبيعةٌ ، أو جرَيْتَ من الصِّناعة على عِرْق . فإن تمنَّعَ عليك بعدَ ذلك من غير حادثِ شغلٍ عرَضَ ، ومن غير طولِ إهمال ، فالمنزلةُ الثّالثةُ أن تتحوّلَ من هذه الصناعةِ إلى أشْهَى الصناعاتِ إليك ، وأخفِّها عليك ؛ فإنَّك لم تشتهِهِ ولم تنازِعْ إليه إلاّ وبينَكما نسب ، والشّئُ لا يحِنُّ إلاّ إلى ما يشاكلُه ، وإن كانت المشاكلة قد تكون فى طبقات ؛ لأن النفوسَ لا تجود بمكنونها معَ الرّغْبة ، ولا تُسْمِح بمخزونها مع الرّهْبةِ ، كما تجود به مع الشّهوة والمحبّة . فهذا هذا .

وقال : ينبغى للمتكلِّم أن يعرِفَ أقدارَ المعانى ، ويوازنَ بينها وبين أقدار المستمعينَ وبين أقدارِ الحالات ، فيجعلَ لكلِّ طبقةٍ من ذلك كلاماً ، ولكلِّ

---

(١) فيما عدا ل : « وإن أنت تكلفتها » .

(٢) ما عدا هـ : « لسانك » .

(٣) الطباع ، يكون مفرداً كالطبيعة ، ويكون جمع طبع أيضاً ، وهو فى القول بإفراده يذكر ويؤنث . وفى اللسان : « والطباع كالطبيعة مؤنثة . وقال أبو القاسم الزجاجى : الطباع واحد مذكر ، كالنحاس – بكسر النون فيهما – قال الأزهرى : ويجمع طبع الإنسان طباعاً » .

حالةٍ من ذلك مَقاما ، حتّى يقسمَ أقدارَ الكلام على أقدار المعانى ، ويقسم أقدارَ المعانى على أقدار المقامات ، وأقدارَ المستمعين على أقدار تلك الحالات .

فإن كان الخطيبُ متكلِّماً تجنَّبَ ألفاظ المتكلِّمين ، كما أنهّ إنْ عبّر عن شئ من صناعةِ الكلام واصفاً أو مجيباً أو سائلًا ، كان أولى الألفاظ به ألفاظَ المتكلمين ؛ إذْ كانوا لتلك العبارات أفهَمَ ، وإلى تلك الألفاظ أميل ، وإليها أحنَّ وبها أشغَف ؛ ولأنَّ كبارَ المتكلمين ورؤساءَ النظّارين كانوا فوقَ أكثرِ الخُطَباء ، وأبلَغَ من كثيرٍ من البلغاء . وهم تَخيَّروا تلك الألفاظَ لتلك المعانى ، وهم اشتقُّوا لها مِن كلام العرب تلكَ الأسماءَ ، وهم اصطلحوا على تسميةِ ما لم يكن له فى لغة العرب اسمٌ ، فصاروا فى ذلك سلفاً لكلِّ خلف ، وقُدوةً لكلّ تابع . ولذلك قالوا العَرَض والجوهر ، وأيْس وليس ، وفرَقوا بين البُطلان والتّلاشى ، وذكروا الهٰذيّة والهُوِيةّ [1] وأشباهَ ذلك . وكما وضع الخليل بنُ أحمدَ لِأوزان القصيد وقِصار الأرجاز ألقاباً لم تكن العربُ تتعارف تلك الأعاريضَ بتلك الألقابِ ، وتلك الأوزانَ بتلك الأسماءِ ، كما ذكرَ الطَّويلَ ، والبسيطَ والمديد ، والوافر ، والكامل ، وأشباه ذلك ، وكما ذكر الأوتادَ والأسباب ، والخَرْم والزِّحاف . وقد ذكرت العرب فى أشعارها السِّناد والإقواء والإكفاء ، ولم أسمع بالإيطاء . وقالوا فى القصيد والرّجَز والسّجع والخُطَب ، وذكَرُوا حروفَ الرّوىّ والقوافى ، وقالوا:هذا بيتٌ وهذا مصراع . وقد قال جَندَلٌ الطهوىُّ [2] حين مدح شعره :

* لم أُقْوِ فِيهن ولم أسانِدِ *

وقال ذو الرمّة :

٨٨ وشعرٍ قد أرِقْتُ له غريبٍ أجنِّبه المُسانَدَ والمُحَالا [3]

---

(١) نسبة إلى هذا ، وهو ، وما هو .

(٢) هو جندل بن المثنى الطهوى .

(٣) ديوان ذى الرمة ٤٤٠ . فيما عدا ل : « أجانبه » .

وقال أبو حِزامٍ العُكْلىّ [١] :

بيوتـاً نصبْنـا لتقويمِهـا جُذولَ الرَّبيئِينَ فى المَرْبَأه
بيوتاً عَلَى الهَا لَهَا سجحةٌ بغير السِّناد ولا المكْفَأه

وكما سمَّى النحويون ، فذكروا الحالَ والظّروفَ وما أشبهَ ذلك ؛ لأنَّهم لو لم يضَعُوا هذه العلاماتِ لم يستطيعوا تعريف القَرويِّين وأبناء البلَديِّين علمَ العروض والنَّحو . وكذلك أصحابُ الحساب قد اجتلبوا أسماءً جعلوها علاماتٍ للتفاهُم .

قالوا : وقبيحٌ بالخطيب أن يقوم بخُطْبة العِيد أو يومَ السِّماطين ، أو على منبر جماعة ، أو فى سُدّة دار الخلافة ، أو فى يومِ جَمْعٍ وحفل ، إمَّا فى إصلاح بين العشائر ، واحتمالِ دماء القبائل ، واستلالِ تلك الضّغائنِ والسّخائم ، فيقولَ [٢] كما قال بعضُ مَن خطَب على مِنبرٍ ضخمِ الشَّأنِ ، رفيع المكان : « ثم إنَّ الله عز وجل بعد أن أنشأ الخَلق وسوَّاهم ومكّن لهم ، لاشَاهم فتلاشَوْا [٣] » . ولولا أنَّ المتكلِّم افتقَرَ إلى أنِ يلفِظ بالتَّلاشى لكان ينبغى أن يُؤخَذَ فوق يده .

وخطَب آخَرُ فى وسط دار الخلافة ، فقال فى خطبته : « وأخرجَهُ الله من باب الليسيَّة ، فأدخله فى باب الأيسيَّة [٤] » .

وقال مَرَّة أخرى فى خُطبةٍ له : « هذا فَرْقُ ما بين السَّارّ والضّارّ ، والدّفّاع والنَّفّاع » .

وقال مَرَّة أخرى : فَدَلَّ ساتره على غامره ، ودلَّ غامره على منحلّه » .

---

(١) أبو حزام العكلى ، اسمه غالب بن الحارث ، كان أعرابياً فصيحاً يفد على أبى عبيد الله وزير المهدى . قال الخوارزمى : « وشعره عويص ؛ لأنه أكثر فيه من الغريب فلا يقف عليه إلا العلماء ، وكان يؤخذ عنه اللغة ، أدركه الكسائى واستشهد ببعض شعره . انظر شروح سقط الزند ١٤٦٥ — ١٤٦٧ .

(٢) بدلها فى ل : « أن يكون » .

(٣) يراد بالملاشاة الإفناء ، كأنه جعلهم كلا شئ .

(٤) نسبة إلى ليس وأيس . وفى اللسان : « أيس وليس ، أى من حيث هو وليس هو » .

فكاد إبراهيمُ بن السِّندىّ (١) يطير شِقَقاً(٢)، وينْقَدُّ غَيْظا (٣). هذا وإبراهيمُ من المتكلِّمين ، والخطيبُ لم يكن من المتكلِّمين .

وإنَّما جازت هذه الألفاظُ فى صناعة الكلام حين عَجَزت الأسماءُ عن اتِّساع المعانى . وقد تَحسُنُ أيضاً ألفاظُ المتكلِّمين فى مثل شعرِ أبى نُواسٍ وفى كلِّ ما قالوه على وَجْه التَّظرُّف والتملح ، كقول أبى نُوَاس :

٨٩ وذات خدٍّ مُورَّد ... قُوهيّة المُتَجَرَّدْ (٤)

تأمَّلُ العَيْـنُ منها ... محاسناً ليس تنفَدْ

فبعضُها قد تَناهَى ... وبعضُهـــا يتولَّـــدْ

والحسنُ فى كلِّ عضوٍ ... منها مُعـادٌ مُرَدَّدْ

وكقوله (٥) :

يا عاقِدَ القلبِ مِنِّى ... هَلاَّ تذكرت حَلاَّ

تركت مِنِّى قليلاً ... من القليـل أَقَـلاَّ

يكـاد لا يتجـزَّا ... أقلَّ فى اللَّفظ مِن لا

وقد يتملَّحُ الأعرابىُّ بأن يُدْخِل فى شعره شيئاً من كلام الفارسيَّة ، كقول العُمّانىّ للرَّشيد ، فى قصيدته التى مدحَه فيها :

---

(١) هو إبراهيم بن السندى بن شاهك ، يروى الجاحظ عنه كثيراً . وأبوه السندى بن شاهك ، كان يلى الجسرين ببغداد للرشيد . انظر الجهشيارى ٢٢٦ – ٢٣٧ وقد نعت الجاحظ إبراهيم بأنه « مولى أمير المؤمنين » الرسائل ٤٧ ساسى .

(٢) هذه عبارة عن المبالغة فى الغضب . وفى حديث عائشة : « فطارت شقة منها فى السماء وشقة فى الأرض » . هو مبالغة فى الغضب والغيظ ، كما فى اللسان . ب ، حـ : « شغفاً » ل : « شغفاً » صوابهما ما أثبت فى التيمورية .

(٣) ينقد : ينشق . ل : « ويتقد غيظاً » بمعنى يشتعل .

(٤) الأبيات يقولها فى نعت « جِنَان » جارية آل عبد الوهاب الثقفى . انظر ديوانه ٣٧١ وأخبار أبى نواس لابن منظور ١٣ . قوهية ، أراد بيضاء ، والقوهى : ضرب من الثياب بيض ، منسوبة إلى قوهستان . وفى الديوان : « فتانة المتجرد » .

(٥) أخبار أبى نواس ١٣ . وانظر فيه أشعاراً أخرى فيها دليل معرفته بألفاظ المتكلمين .

مَن يَلْقَهُ مِن بطلٍ مُسْرَنْدِ (١) فى زَغْفَةٍ مُحْكَمةٍ بالسَّرْدِ (٢)

* تجول بين رأسهِ و « الكَرْدِ (٣) » *

يعنى العُنُق . وفيها يقول أيضاً (٤) .

لما هَوَى بينَ غِياض الأُسْدِ وصار فى كفِّ الهِزَبْر الوَرْدِ

* آلَى يَذُوق الدَّهرَ آبِ سَرْدِ (٥) *

وكقول الآخر :

ودَلّهنى وقْعُ الأسِنّةِ والقَنا وكافِركُوباتٍ لها عُجَرٌ قُفْدُ (٦)

بأيدى رجالٍ ما كلامى كلامُهم يَسُومُوننى مَرْداً وما أنا والمَرْدُ (٧)

ومثل هذا موجود فى شعر [أبى] العُذَافِر الكندىّ (٨) وغيرِه ، ويكون أيضاً أن يكون الشعر مثل شعر بَحرٍ وشاذَ (٩) ، وأسود بن أبى كريمةَ . وكما قال يزيد

---

(١) المسرندى : الذى يغلب ويعلو .

(٢) الزغفة : الدرع اللينة الواسعة المحكمة . والسرد : سَمْر الزرد .

(٣) أصله فى الفارسية « گردن » كما فى المعرب ٢٧٩ ومعجم استينجاس ١٠٨٠ . وأقدم من قول العمانى هذا قول الفرزدق :

وكنا إذا القيسى نب عتوده ضربناه دون الأنثيين على الكرد

(٤) فيما عدا ل : « ويقول فيه أيضا » .

(٥) آب سرد : ماء بارد . آب : ماء ، ويكسر آخر الموصوف المتقدم على صفته فى الفارسية . وسرد : بارد .

(٦) المدله : الساهى القلب الذاهب العقل . فيما عدا ل ، هـ : « وولهنى » . والوله : الحزن ، وذهاب العقل حزنا . وفى هامش ل : « كافر كوب هى المقرعة » . والعجر : جمع عجرة ، وهى العقدة فى الخشبة ونحوها . والقفد : جمع أقفد ، وهو فى أصله الغليظ العنق .

(٧) سامه الشئ : كلفه إياه وجشمه وأراده عليه . ومرد ، بالفتح : رجل ، بالفارسية . ومن معانيه فى الفارسية البطل ، والشجاع . استينجاس ١٢١١ . وفى هامش ل : المرد الرجل ، بالفارسية .

(٨) ذكره المرزبانى فى معجمه فى ذكر من غلبت كنيته على اسمه من الشعراء المجهولين والأعراب المغمورين . وفى الأصول : « العذافر الكندى » .

(٩) هذا ما فى هـ . وفى ل : « بحر وشار » وسائر النسخ : « الحر وشاذ » .

ابن ربيعة بن مُفَرِّغ (١) :

آبَ اسْتْ نَبيذَ اسْت　　عُصَاراتِ زَبيبَ اسْتْ ٩
* سُمَيَّهْ رُوسَبِيد اسْتْ (٢) *

وقال أسود بن أبى كَرِيمَة :

لَزِمِ الغُـــرَّام ثوبى　　بُكرةً فى يَوم سبت (٣)
فتمايَـــــلْتُ عليهم　　مَيْل زَنكيّ بمَسْتِى (٤)
قد حَسا الدَّاذِىّ صِرْفاً　　أو عُقَاراً بايِخَسْتِ (٥)

---

(١) هو يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميرى : شاعر إسلامى من شعراء الدولة الأموية ، وكان مولعا بهجاء بنى زياد ، وتعدى ذلك إلى أبى سفيان فقذفه بالزنا ، وأمر يزيد بن معاوية بطلبه فظل ينتقل من بلد إلى بلد ويستجير حتى وقع فى يد عبيد الله بن زياد فأمر به فسقى نبيذاً حلوا قد خلط معه الشبرم ، فأسهل بطنه وطيف به وهو فى تلك الحال ، وقرن بهرة وخنزيرة فجعل يسلح والصبيان يتبعونه ويصيحون « اين جيست » لما يسيل منه . أى هذا ماذا ؟ وهو يجيبهم بالأبيات التالية . انظر الأغانى (١٧ : ٥١ – ٧٣) والخزانة (٢ – ٢١٠ – ٢١٦) والاشتقاق ٣٠٩ – ٣١٠ والشعراء لابن قتيبة ، وتاريخ الطبرى (٦ : ١٧٧) .

(٢) آب : ماء . واست : فعل من أفعال الكينونة فى الفارسية . أراد أن النبيذ ما هو إلا ماء ، هو عصارات الزبيب . سمية هى أم زياد بن أبيه ، أو ابن أبى سفيان . انظر الإصابة ٦١١ من قسم النساء . وروسبيد ، أى مشهورة ، . رو ، هو الوجه بالفارسية ؛ ويقال له أيضاً : « روى » . وسبيد ، بفتح السين ، أى أبيض . فى حواشى هـ : « روسبيد : زانية » .

(٣) الغرام : جمع غريم ، وهو المطالب بالدين ، وهو جمع عزيز ، لأن فعيلا لا يجمع على فعّال . وأجاز ابن سيدة أن يكون جمع غارم على النسب ، أى ذو إغرام أو تغريم . انظر اللسان (١٥ : ٣٣٢) .

(٤) ل . « عليه مثل زنكى » تحريف . والزنكى : الزنجى ، بالفارسية . مستى ، بالفارسية ، أى السكر وإدمان الشراب .

(٥) الداذى ; نبت له عنقود مستطيل وحبه على شكل حب الشعير ، يوضع منه مقدار رطل فى الفرق فتعبق رائحته ويجود إسكاره . هذا ما فى اللسان . وفى القاموس : « الداذى شراب للفساق » . والعقار بالضم : الخمر . بايخست ، كتب إزاءها فى هامش هـ ، حـ : « بايِخَسْت الشراب على الريق بالفارسية » . وكتب المحقق الفاضل الدكتور إبراهيم أمين فى مجلة كلية الآداب بالجامعة المصرية (ديسمبر سنة ١٩٣٦) : بايخست أو باى خست ، بمعنى موطوءة بالأقدام » .

ثم كُفْتَم دُور باد ويحكم آنْ خَرِ كُفْتِ (١)
إنَّ جِلْدِى دبغته أهلُ صَنْعاءَ بجَفْتِ (٢)
وأبو عمرة عندى آنْ كُوربُدْ نَمسْتِ (٣)
جالس أندر مكناد ايا عمد ببهشت (٤)

* * *

وكما لا ينبغى أن يكون اللفظُ عاميًّا ، وساقطاً سُوقيًا ، فكذلك لا ينبغى أن يكون غريباً وحشيًا ؛ إلّا أنْ يكون المتكلّم بدويًّا أعرابيًّا ؛ فإن الوحشىَّ من الكلام يفهمه الوحشىُّ من الناس ، كما يفهَمُ السُّوقىّ رِطَانَة السُّوقىّ . وكلامُ النّاس فى طبقاتٍ كما أنّ الناسَ أنفسَهم فى طبقات . فمن الكلام الجَزلُ والسَّخيف ، والمليحُ والحسن ، والقبيح والسَّمجُ ، والخفيفُ والثقيل ؛ وكلُّه عربىّ ، وبكُلٍّ قد تكلّموا ، وبكلٍّ قد تَمادَحوا وتعايبوا . فإنْ زعم زاعمٌ أنه لم يكن فى كلامهم تفاضُل ، ولا بينهم فى ذلك تفاوُت ، فلِمَ ذكروا العيىَّ والبكىءَ ، والحَصِر والمُفحَمَ ، والخَطِل والمُسهِبَ (٥) ، والمتشدِّق ، والمتفيْهق ، والمِهمارَ ، والثّرثار (٦) ، والمكثار والهمَّار (٧) ، ولِمَ ذكروا الهُجرْ والهَذَر ، والهَذَيانَ ، والتّخليط

---

(١) كفتم ، أى قلت . دور باد أى معاذ الله ، وفى ل : « ذوزباد » .. آن : اسم إشارة معناه ذلك . وخَرْ ، معناه الحمار ، أو البليد ، أو الأحمق . وكفت ، بمعنى قال .

(٢) معجم استينجاس ٣٦٥ : « جفت بلوط ، أى ثمرة البلوط » .

(٣) أبو عمرة : كنية الجوع . گور ، أى أعمى أو أعور . بد أو بود بمعنى كان.نمست ، أى ليس ثملا ، فمعناه كان أعمى وليس ثملا .

(٤) هذا البيت لم يرد فى ل . فى هـ : « حابس آذر مكناد آبا عمد » . وقال الدكتور إبراهيم أمين : « هذا البيت مضطرب ، وبه تحريف . الكلمات الفارسية التى به هى اندر بمعنى فى،ومكناد بمعنى لا تجعل . ببهشت ، أى فى الجنة » .

(٥) الخطل : ذو الخطل ؛ وهو الكلام الفاسد الكثير . والمسهب ، بضم الميم وكسر الهاء وفتحها : الكثير الكلام .

(٦) رجل مهمار : كثير الكلام ، كما فى اللسان (همر) . وفيما عدا هـ : « المهماز » تحريف . يقال رجل همار ومهمار ومهمر ، أى مكثار للكلام .

(٧) فيما عدا هـ : « الهماز ».وانظر التنبيه السابق .

وقالوا : رَجُلٌ تِلِقَّاعَة (١) ، وفلان يتلَهْيَع فى خطبته (٢) . وقالوا : فلانٌ يُخطِىء فى جوابه ، ويُحيل فى كلامه ، ويناقِضُ فى خَبَره.ولولا أنّ هذه الأمور قد كانت تكون فى بعضهم دونَ بعض لَمَا سَمَّى ذلك البعضُ البعضَ الآخَرَ بهذه الأسماء .

وأنا أقول : إنّه ليس فى الأرض كلامٌ هو أمتَعُ ولا آنَق ، ولا ألَذُّ فى
٩٢ الأسماع ، ولا أشدُّ اتصالاً بالعقول السليمة ، ولا أفتَقُ للّسان ، ولا أجودُ تقويماً
للبيان ، مِن طول استماع حديثِ الأعراب العقلاء الفصحاء ، والعلماءِ البلغاء . وقد أصابَ القومُ فى عَامَّةِ ما وَصَفوا ، إلّا أنّى أزعمُ أنّ سخيفَ الألفاظ مشاكلٌ لسخيف المعانى . وقد يُحتاج إلى السَّخيف فى بعض المواضع ، ورُبّما أمتَعَ بأكثَرَ من إمتاع الجزْلِ الفخم من الألفاظ ، والشريِف الكريم من المعانى . كما أنّ النادرةَ الباردة جِداً قد تكون أطيَبَ من النادرة الحارَّة جدّا . وإنّما الكَرْبُ الذى يَخْتِم على القلوب (٣) ، ويأخذُ بالأنفاس ، النادرةُ الفاترة التى لا هى حارّةٌ ولا باردة ، وكذلك الشِّعر الوسَط ، والغِناء الوسط ؛ وإنّما الشّأن فى الحارّ جداً والباردِ جدّا .

وكان محمّد بن عبّاد بن كاسب يقول : واللهِ لَفلانٌ أثقل من مُغنٍّ وسط ، وأبغضُ من ظريِف وسَط .

ومتى سمعتَ – حفِظك الله – بنادرةٍ من كلام الأعراب ، فإيّاك أن تحكيها إلا مع إعرابها ومخارِجِ ألفاظها ؛ فإنّك إنْ غيَّرتَها بأن تلحَنَ فى إعرابها وأخرجْتَها مخارجَ كلام المولّدين والبلديِّين ، خرجْتَ من تلك الحكايةِ وعليك

---

(١) التلقاعة والتلقاع ، بكسر التاء واللام وتشديد القاف : الكثير الكلام .

(٢) تلهيع فى كلامه : أفرط فيه .

(٣) الختم على القلب : أن لا يفهم شيئاً ولا يخرج منه شىء ، كأنه قد طبع . فيما عدا ل ، هـ : « يحتم » تحريف .

فضلٌ كبير . وكذلك إذا سمِعتَ بنادرةٍ من نوادر العوامّ ، ومُلْحة من مُلَح الحُشوَة والطَّغام ، فإيَّاك وأن تستعمِلَ فيها الإعراب ، أو تتخيَّرَ لها لفظاً حسناً ، أو تجعل لها مِن فيك مخرجا سَرِيًّا ؛ فإنّ ذلك يفسد الإمتاع بها ، ويُخرجها من صورتها ، ومِن الذى أُريدَت له ، ويُذهب استطابَتهم إياها واستملاحَهم لها [(١)] .

ثمَّ اعلمْ أنّ أقبَحَ اللَّحن لحنُ أصحاب التّقعير والتقعيب ، والتَّشديق والتمطيط والجَهْورةِ والتفخيم [(٢)] . وأقبَحُ مِن ذلك لحنُ الأعاريب النّازلين على طُرُق السَّابلة ، وبقُرب مَجامع الأسواق .

ولأهل المدينة ألسنٌ ذَلِقة ، وألفاظٌ حسنة ، وعبارةٌ جيّدة . واللَّحن فى عوامِّهم فاشٍ ، وعلى مَن لم يَنظُر فى النَّحو منهم غالب .

واللَّحن مِن الجوارى الظِّراف ، ومن الكواعبِ النّواهد ، ومن الشَّوابِّ المِلاح ، ومن ذوات الخُدورِ الغرائر ، أيْسَر . وربّما استَملح الرّجل ذلك منهنّ ما لم تكن الجاريةُ صاحبةَ تكلُّف ، ولكن إذا كان اللحنُ على سجِيّة سُكّان البلد . وكما يستملحون اللَّثغاء إذا كانت حديثةَ السن ، ومَقدودةً مجدولة ، فإذا ٢
أسنَّتْ واكتهلَتْ تغيَّرَ ذلك الاستملاح .

وربّما كان اسمُ الجارية غُلَيِّم أو صُبَيَّةَ أو ما أشبه ذلك ، فإذا صارت كهلةً جَزْلة ، وعجوزاً شَهلةً ، وحَملت اللّحمَ وتراكَمَ عليها الشحم ، وصار بَنُوها رجالاً وبناتُها نساء ، فما أقبح حينئذ أن يقال لها : يا غُلَيِّمُ كيف أصبحتِ ؟ ويا صُبَيَّة كيف أمسيتِ .

ولأمرٍ ما كنَّتِ العربُ البناتِ فقالوا : فعلت أمُّ الفضل ، وقالت أمُّ عمرو

---

(١) انظر هذا الرأى أيضاً فى الحيوان (١ : ٢٨٢) .

(٢) الجهورة : مصدر جهور : رفع الصوت وأعلنه . ل : « والجهورية » .

وذهبت أمُّ حكيم . نعم حَتّى دعاهُم ذلك إلى التقدُّم فى تلك الكنىَ . وقد فسَّرنا ذلك كلّه فى كتاب الأسماء والكُنى ، والألقاب والأنباز .

وقد قال مالِك بن أسماءَ (١) فى استملاح اللَّحن من بعض نِسائه (٢):

أَمُغَطًّى مِنّى على بصرى للْـ   ـحُبِّ أم أنتِ أكمَلُ النّاسِ حُسنا
وحديثٍ ألذّه هو مِمّا   ينعَتُ الناعِتونَ يُوزَنُ وَزْنا (٣)
منطقٌ صائبٌ وتلحن أحيا   ناً وأحْلَى الحديثِ ما كان لَحْنا

وهم يمدحون الحِذقَ والرِّفق ، والتخلُّصَ إلى حَبَّاتِ القلوب ، وإلى إصابة عيون المعانى . ويقولون : أصاب الهَدَف ، إذا أصابَ الحقَّ فى الجُملة . ويقولون : قَرطَسَ فلان ، وأصاب القِرطاسَ ، إذا كان أجودَ إصابةً من الأوّل . فإن قالوا : رمى فأصاب الغُرّة ، وأصاب عينَ القِرطاس ، فهو الذى ليس فوقَه أحد .

ومن ذلك قولُهم : فلان يَفُلُّ الحزَّ ، ويصيب المَفْصِل ، ويضع الهِناء مواضع النُّقَب (٤) .

وقال زُرَارةُ بن جَزءٍ (٥) ، حين أتَى عُمَرَ بنَ الخطاب رحمه الله فتكلّم عِنده ، ورَفَع حاجتَه إليه :

أتيتُ أبا حفصٍ ولا يستطيعُه   من الناس إلا كالسِّنان طريرُ (٦)

---

(١) مالك بن أسماء الفزارى : شاعر إسلامى غزل ، وأخته هند بنت أسماء زوج الحجاج.وهو ممن عرف بالجمال فى العرب . الأغانى (١٦ : ٤٠ — ٤٦) .

(٢) كذا فهم الجاحظ فى شعر مالك أنه أراد باللحن الخطأ فى الكلام . وقد رجع عن هذا الرأى بعد أن سار كتاب البيان والتبيين فى الآفاق ، وفسر اللحن بأنه التعريض والتورية . انظر تاريخ بغداد (١٢ : ٢١٤) ومعجم الأدباء (٦ : ٦٥) مرجليوث .

(٣) فى هامش ل : « خ : تشتهيه النفوس » .

(٤) انظر ما سبق فى ١٠٨ .

(٥) زرارة بن جزء بن عمرو بن عوف بن كعب الكلابى : صحابى جليل عاش إلى خلافة مروان ابن الحكم . انظر الإصابة ٢٧٨٨ حيث نقل ابن حجر نص الجاحظ هذا .

(٦) الطرير ، هو فى الأسنة : المحدد ، وفى الناس : ذو الرواء والمنظر .

فوفّقَنِى الرّحمنُ لَمّا لقيتُه وللِبابِ مِن دُونِ الخصوم صَرير
قُرومٌ غَيارَى عند بابٍ مُمنّع تُنازِع مَلْكاً يهتِدِى ويَجور (١)
٣ فقلت له قولاً أصاب فؤادَه وبعضُ كلام النّاطقين غُرورُ

وفى شبيهٍ بذلك يقول عبدُ الرحمن بنُ حسّان حيث يقول :

رجالٌ أصحّاءُ الجلودِ من الخَنا وألسنةٌ معروفة أين تذهب (٢)

وفى إصابة فَصّ الشّئ وعينِه ، يقول ذو الرُّمّة فى مديح بلال بن أبى بردة الأشعرىّ :

تُناخِى عند خيرِ فتىً يَمانٍ إذا النّكْباءُ عارضَت الشَّمالا (٣)
وخيرِهِمُ مآثِرَ أهلِ بيتٍ وأكرَمِهمْ وإن كَرُموا فَعَالا
وأبعدِهِمْ مسافَةَ غَوْرِ عقلٍ إذا ما الأمرُ فى الشُّبُهات عالا (٤)
ولُبّس بينَ أقوامٍ فكُلٌّ أعَدَّ له الشّغازِب والمِحَالا (٥)
وكلهمُ ألَدُّ له كِظَاظٌ أعَدّ لكلِّ حالِ القوم حالا (٦)
فَصَلْتَ بحكمةٍ فأصبْتَ منها فُصوصَ الحق فانفصَلَ انفصالا

وكان أبو سعيدِ الرّأيِ ، وهو شِرشِيرٌ المدنىّ (٧) يعيب أبا حنيفة ، فقال الشاعر :

---

(١) الغيارى ، بفتح الغين وضمها جمع غيور . يجور ، فى هامش ل : « خ : أى هو من البشر يجوز أن يجور على الغلط » . فيما عدا ل : « وتجور » أى القروم . وهذا البيت لم يروه ابن حجر .

(٢) أى قد صحت وبرئت من الخنا .

(٣) انظر ديوان ذى الرمة ٤٤٢ – ٤٤٣ ثم ٤٤٥ والنكباء : كل ريح تهب بين ريحين .

(٤) عال : عظم وتفاقم . ل : « غالى » ، وفيما عدا ل : « غالا » صوابهما من الديوان

(٥) الشغازب : جمع شغزبية وشغزبى ، وهو ضرب من الحيلة فى الصراع . والمحال ، بالكسر : الحيلة .

(٦) الألد : الشديد العداوة . والكظاظ : تجاوز الحد فى العداوة .

(٧) كذا ورد اسمه مضبوطاً فى الأصل . ولم أعثر له على ترجمة .

عِندى مسائلُ لا شِبْرِشِيرُ يُحسِنُها   عندَ السُّؤالِ ولا أصحابُ شِبْرِشِيرِ
ولا يُصِيب فصوصَ الحقِّ نَعلَمُه   إلا حَنيفيّةٌ كوفيَّةُ الدُّورِ [(١)]

ومما قالوا فى الإيجاز ، وبلوغ المعانى بالألفاظ اليسيرة ، قولُ ثابِت قُطْنَةَ [(٢)]:

ما زِلتُ بَعْدَكَ فى هَمٍّ يَجِيش به   صَدرى وفى نَصَبٍ قد كاد يُبْلِينى [(٣)]
لا أُكثِرُ القولَ فيما يَهضِبُون به   مِن الكلامِ ، قليلٌ منه يكفِينى [(٤)]
إنّى تذكّرتُ قَتلَى لو شهِدْتُهُمُ   فى غَمرةِ الموت لم يَصْلَوْا بها دُونى

وقال رجلٌ من طيّ ومدحَ كلامَ رجلٍ [فقال [(٥)]] : « هذا كلامٌ يُكتَفَى بأُولاه ، ويُشتَفَى بأُخراه » .

وقال أبو وَجْزَةَ السعدىّ [(٦)] ، من سعدِ بن بكر ، يصف كلامَ رجل :

يَكفِى قليلُ كلامِهِ وكثيرُه   ثَبْتٌ إذا طالَ النِّضَالُ مُصِيبُ

ومن كلامهم الموجَز فى أشعارهم قولُ العُكْلىّ ، فى صفة قوس :

---

(١) نعلمه ، جملة حالية ، أو نعلمه أى أحد نعلمه ، حذف الموصوف كما فى قوله :

* يرمى بكفى كان من أرمى البشر *

فيما عدا ل : « تعلمه » . حنيفية ، أى جماعة منسوبة إلى أبى حنيفة . وفى همع الهوامع (٢ : ١٩٥) : « وقاس الكمال أبو البركات عبد الرحمن بن الأنبارى ، الحنيفى ، فى النسبة إلى مذهب أبى حنيفة ، فرقا بينه وبين المنسوب إلى قبيلة بنى حنيفة حيث يقال فيه حنفى » .

(٢) هو أبو العلاء ثابت بن كعب ، شاعر فارس شجاع ، من شعراء الدولة الأموية وكان فى صحابة يزيد بن المهلب ، ولقب « قطنة » لأن سهماً أصابه فى عينه فى بعض حروب الترك ، فكان يجعل عليها قطنة. انظر الأغانى (١٣ : ٤٧ ــ ٥٤) والخزانة (٤ : ١٨٥) والشعراء ٦١٢ والطبرى (٨ : ١٨٥)

(٣) الأبيات فى الأغانى (١٣ : ٥١ – ٥٢) ، وهى فى رثاء المفضل بن المهلب .

(٤) يهضبون فى الحديث : يخوضون فيه دفعة دفعة مع ارتفاع صوت .

(٥) هذه مما عدا ل .

(٦) أبو وجزة هو يزيد بن عبيد ، من بنى سعد بن بكر بن هوازن ، أظآر النبى ﷺ . وكان أبو وجزة من التابعين ، روى عن جماعة من الصحابة ، وهو أحد من شبب بعجوز. انظر الأغانى (١١ : ٧٥ ــ ٨١) وتهذيب التهذيب ، والشعراء لابن قتيبة .

فى كَفِّهِ مُعطِيَةٌ مَنُوعُ مُوثَقَةٌ صابرَةٌ جَزُوعُ (١)

وقال الآخَر ، ووصف سَهمَ رامٍ أصابَ حماراً ، فقال :

* حتَّى نَجَا من جَوفه وما نَجا (٢) *

« وقال الآخرَ [وهو (٣)] يصفُ ذئباً :

أطلس يخفى شخصَه غُبارُه (٤) فى شِدقِه شَفرتُه ونارُه (٥)

هو الخَبيثُ عينُه فرارُه (٦) بَهْمُ بنى مُحاربٍ مُزْدارُهْ (٧)

ووصف الآخر ناقة فقال :

* خَرقاءُ إلا أنها صَنَاعٍ (٨) *

يَصف سُرعَةَ نقل يديها ورجلَيها ، أنَّها تشبه المرأةَ الخرقاء ، وهى الخرقاء فى أمرها الطَّيَّاشَةُ (٩) . وقال الآخَر ووصف سَهماً صارِدا (١٠) ، فقال :

أَلْقَى على مفطوحها مَفطُوحا (١١) غادَرَ داءً ونَجَا صحيحا

---

(١) يقول : إنها تسهل على باريها مرة وتصعب أخرى . ويعنى بجزعها رنينها وصوتها عند الإنباض . انظر الحيوان (٣ : ٧٢) .

(٢) وكذا فى الحيوان (٣ : ٧٥) : « من جوفه » ، أى نجا السهم من جوف الحمار ولم ينج الحمار من الهلاك . وفى ل : « من شخصه » .

(٣) هذه مما عدا ل . وانظر الرجز فى الكامل ٢٠٨ وجمهرة العسكرى ١٩ وديوان المعانى (٢ : ١٣٤) ومحاسن البيهقى (٢ : ١٣٤) والحيوان (٦ : ٤٣٨) .

(٤) الأُطلس : مالونه الطلسة ، وهى غبرة إلى سواد . وأراد أنه يسرع العدو فيثير من الغبار ما يخفى شخصه .

(٥) الشفرة : السكين العريضة العظيمة . عنى أنه قد استغنى بأنيابه عن معالجة مطعمه بالشفرة ثم بالنار .

(٦) هذا البيت وتاليه ليس فى ل . والفرار ، مثلثة الفاء : أن يفر عن أسنان الدابة ليعلم سنه . أى تعرف خبثه فى عينه إذا أبصرته . يضرب مثلا لمن يدل ظاهره على باطنه .

(٧) مزداره : موضع زيارته وسطوه .

(٨) الحيوان (٣ : ٧٢) والعمدة (١ : ١٦٨) .

(٩) هذا التفسير ساقط مما عدا ل .

(١٠) الصارد : النافذ المصيب ، وهو المخطئ أيضاً . والمراد الأول .

(١١) انظر العمدة (١ : ١٦٨) واللسان (فطح) . وفيه : « على فطحائها » . قال : « وعنى بالفطحاء الموضع المنبسط منها ، كالفريصة » .

[المفطوح الأوّل للقوس ، وهو العريض ، وهو هاهنا موضع مقبض القوس . والمفطوح الثانى : السهم العريض . يعنى أنه ألقى على مقبض القوس سهما عريضاً (١)] .

وقال الآخر :

إنّك يا ابنَ جعفرٍ لا تُفلحُ　　　الليلُ أخفَى والنّهارُ أفضَحُ (٢)

وقالوا فى المَثل : « الليلُ أخْفَى لِلوَيل » . وقال رؤبة يصف حمارا (٣) :

حَشْرَجَ فى الجوف سَحيلاً وَشَهقْ　　　حتَّى يُقـالُ ناهـقٌ ومـا نهَـقْ

الحشرجة : صوت الصَّدر . والسَّحِيل : صوت الحمار إذا مدَّه . والشَّهيق : أن يقطِّع الصَّوت .

وقال بعضُ ولدِ العبّاس بن مِرْداسٍ السُّلَمى ، فى فرس أبى الأعور السُّلَمىّ (٤) :

٩٥ جاءَ كلمْعِ البَرقِ جاشَ ناظره (٥)　　　يَسبح أُولاه ويَطفـو آخِـرُه

* فما يَمَسُّ الأرضَ منه حافرُه *

قوله : جاش ناظره ، أى جاش بمائه . وناظر البرق : سحابُه . يسبح ، يعنى يمد ضَبْعَيْه ، فإذا مدَّهما علا كَفَلُه . وقال الآخر :

* إن سرَّكَ الأهوَنُ فابدَأْ بالأشدّ *

وقال العجّاج :

يمكّنُ السَّيفَ إذا السَّيفُ انأطَرْ (٦)　　　مِن هامَة اللّيثِ إذا ما الليثُ هَرّ (٧)

---

(١) هذه مما عدا ل .

(٢) أنشد الجاحظ البيت الأول فى الحيوان (١ : ٢٨٥) والثانى فى (٣ : ٧٢) .

(٣) ديوان رؤبة ١٠٦ .

(٤) أبو الأعور السلمى مشهور بكنيته . واسمه عمرو بن سفيان بن عبد شمس . وهو صحابى قائد ، غزا قبرص سنة ٢٦ وكانت له مواقف بصفين مع معاوية . الإصابة ٥٨٤٦ .

(٥) كتب فى ل « ماطره » فوق « ناظره » .

(٦) انأطر : انعطف وانثنى . وانظر ديوان العجاج ١٨ .

(٧) هر : زأر . فيما عدا ل ، هـ : « إذا الليث هتر » تحريف .

كجَمَل البحر إذا خاضَ جسر غَوارب اليَمّ إذا اليمُّ هَدَرْ (١)

* حتّى يُقالُ حاسرٌ وما حَسَرْ (٢) *

قالوا : جمل البحر سمكةٌ طولها ثلاثون ذراعاً . يقول : هذا الرجل يبعد كما تبعد هذه السمكة بجسَارة ، لا يردُّها شئ ، حتّى يقال كاشف وما انكشف البحر . يقال : البحر حاسرٌ وجازِرٌ . يقول : حتّى يحسب النّاسُ من ضِخَم ما يبدو من هذا الجمل ، أنّ الماءَ قد نضَب عنه ، وأنَّ البحر حاسرٌ. وقال آخر:

يا دارُ قد غَيَّرها بلاهَا كأنَّما بقَلَمٍ مَحاها (٣)

أخْرَبهَا عُمران مَن بَناها وكَرُّ مُمساها على مَغناها (٤)

وطفِقَتْ سحابةٌ تَغشاها تَبكى على عِراصِها عيناها

قوله : أخْرَبها عُمران مَن بناها ، يقول : عمَّرها بالخراب . وأصل العُمران مأخوذ من العَمْر ، وهو البقاء ، فإذا بقى الرّجُل فى داره فقد عَمَرها . فيقول : إنّ مُدّة بقائه فيها أبلَتْ منها ؛ لأنّ الأيّام مؤثِّرة فى الأشياء بالنّقص والبِلَى ، فلما بقىَ الخرابُ فيها وقام مَقام العُمران فى غيرها ، سُمِّى بالعُمران . وقال الشاعر (٥) :

يا عَجَّلَ الرّحمنُ بالعذابِ لِعامرات البيتِ بالخرابِ

يعنى الفار . يقول : هذا عُمرانها ، كما يقول الرّجل : « مانَرَى من خيرك ٩٦

(١) غوارب اليم : أعالى موجه .

(٢) فيما عدا ل : « جاسر وما جسر » . ورويا فى هـ بالحاء والجيم معا .

(٣) هذا التفسير كتب فى هامش التيمورية ، وأشير إلى أنه فى نسخة . فى صلب سائر النسخ بدل هذا التفسير تفسير آخر ، وهو « اليم : معظم الماء . وغوارب اليم : معظمه . جسر : قطع ، ومنه قيل للجسر جسر لأن الناس يقطعون عليه . وقوله حتى يقال جاسر وما جسر ، أى قطع الأمر وهو بعد فيه ، لما يرون من مضائه فيه وقدرته عليه » .

(٤) ل فقط : « مغداها » ، وهو الوجه الذى نرتضيه فى رواية البيت ، لكن التفسير الذى سيرد فيما بعد يؤيد ما أثبت من سائر النسخ .

(٥) هو أعرابى دخل البصرة فاشترى خبزاً فأكله الفأر. انظر ديوان المعانى (٢ : ١٠) الحيوان (٤ : ٢٧٤ / ٥ : ٣٤ ، ٢٥٨) .

ورِفْدكَ ، إلّا ما يبلغنا مِن حَطْبك عَلينا (١) ، وفتّك فى أعضادنا » .

وقال الله عزّ وجل : ﴿ هٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّين ﴾ . والعذابُ لا يكون نُزُلًا ، ولكنْ لمَّا قامَ العذابُ لهم في موضع النّعيم لغيرهم ، سُمِّى باسمه .

وقال الآخرَ :

فقلتُ أطعِمْنى عُمَيْرُ تَمرا فكان تَمرى كَهْرَةً وزَبْرا(٢)

والتّمر لا يكون كَهْرة ولا زَبْراً ، ولكنّه على ذا . وقال الله عزّ وجل : ﴿ ولَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيها بُكْرَةً وَعَشِياً ﴾ ، وليس فى الجنَّة بُكرةٌ ولا عشىّ ، ولكن على مقدارِ البُكَرِ والعشيَّاتِ . وعلى هذا قول الله عزّ وجلّ : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَة جَهَنَّمَ ﴾ . والخزَنَة : الحَفَظة . وجهنّمُ لا يضيع منها شيءٌ فيحفظ ولا يَختار دُخولَها إنسانٌ فيُمنع منها ، ولكنْ لمّا قامت الملائكةُ مَقامَ الحافظ الخازن سُمِّيت به .

قوله : مُمْساهاَ ، يعنى مَساءها . ومغناها : موضعها الذى أُقيم فيه . والمغَانى : المنازل التى كان بها أهلُوها . وطَفِقَت ، يعنى ظَلَّت . تبكى على عراصها عَيناها ، عيناها هاهنا للسَّحاب . وجَعل المطرَ بكاءً من السَّحاب على طريق الاستعارة ، وتسميةِ الشَّئِ باسم غيرِهِ إذا قام مَقامه . ويقال لكلِّ جَوْبةٍ مُنْفَتِقةٍ ليس فيها بناءٌ : عَرْصة .

وقال أبو عَمرِو بنُ العَلاء : اجتمع ثلاثة من الرُّواة فقال لهم قائل : أىُّ نِصفِ بيت شعْرٍ أحكَمُ وأوجَز ؟ فقال أحدهم : قول حُميد بن ثَور الهِلالىّ :

---

(١) ما يبلغنا ، أى ما يصل إلينا . وفى اللسان : وحطب فلان بفلان : سعى به » . ل : « خطتك فينا » . فيما عدا ل : « من خطبك علينا » والصواب ما أثبت من هـ .

(٢) الكهرة : الانتهار . والزبر : الزجر والمنع . وانظر للخلاف فى رواية الرجز الحيوان (٤ : ٢٧٤ / ٥ : ٣٣) والمخصص (٢ : ١٣٤) .

* وحَسْبُكَ داءً أن تَصحَّ وتَسْلما (١) *

ولعلّ حُميداً أن يكون أخذه عَن النَّمر بن تولب ، فإنّ النمر قال (٢) :

يُحبّ الفتَى طُولَ السَّلامةِ والغِنى   فكيفَ تَرَى طُولَ السَلامةِ يَفعلُ (٣)

وقال أبو العتاهية :

* أسْرَعَ فى نقصِ امرىءٍ تَمامُه (٤) *

ذهب إلى كلام الأوّل : « كُلُّ ما أقام شَخَص ، وكلُّ ما ازداد نقَص ، ولو كان النّاسُ يمُيتهم الدّاء ، إذاً لأعاشَهم الدَّواء (٥) » .

وقال الثانى من الرُّواة الثلاثة : [بل (٦)] قولُ أبى خِراشٍ الهُذَلىّ (٧) : ٩٧

* نُوكَّلُ بالأدنَى وإنْ جَلّ ما يَمضى (٨) *

وقال الثالث من الرُّواة : بل قولُ أبى ذُؤيبٍ الهُذَلىِّ :

* وإذا تُردُّ إلى قليلٍ تقنَعُ (٩) *

---

(١) صدره كما فى ديوان حميد ٧ والحيوان (٦ : ٥٠٣) :

* أرى بصرى قد رابنى بعد صحة *

(٢) بدل هذه العبارة فيما عدا ل : « قال النمر » فقط .

(٣) انظر الحيوان (٦ : ٥٠٣) والأغانى (١٩ : ١٥٩) والمعمرين ٦٣ .

(٤) ما عدا هـ : « نقض » ، بالضاد المعجمة ، وكذا ورد فى الحيوان (٦ : ٥٠٢) لكن فى الحيوان (٣ : ٤٧٩) وعيون الأخبار (٢ : ٣٢٢) : « نقص » ، وهو الأمثل .

(٥) انظر الحيوان (٦ : ٥٠٢) .

(٦) هذه مما عدا ل .

(٧) أبو خراش الهذلى : هو خويلد بن مرة ، مخضرم أدرك زمان عمر بن الخطاب وهاجر إليه ، وغزا مع المسلمين ، ومات فى زمان عمر . الإصابة ٢٤١ والأغانى (٢١ : ٣٨ - ٤٨) والخزانة (١ : ١١٢) والشعراء لابن قتيبة .

(٨) عجز بيت من مَرْثِيَةٍ له رواها أبو تمام فى الحماسة (١ : ٣٢٦) يرثى بها أخاه عروة بن مرة الشاعر الهذلى ، أحد إخوته الشعراء العشرة . وصدره :

* على أنها تعفو الكلام وإنما *

والقصيدة بتمامها فى نسخة الشنقيطى من ديوان الهذليين .

(٩) من مرثيته المشهورة ، فى أول ديوانه والمفضليات (٢ : ٢٢١ - ٢٢٩) .وصدره :

* والنفس راغبة إذا رغبتها *

فقال قائل : هذا من مفاخر هُذيل : أن يكون ثلاثةٌ من الرُّواة لم يصيبوا فى جميع أشعار العرب إلاّ ثلاثةَ أنصافٍ ، اثنان منها لهذيلٍ وحدها . فقيل لهذا القائل : إنما كان الشرط أن يأتوا بثلاثةِ أنصافٍ مستغنياتٍ بأنفسها ، والنِّصف الذى لأبى ذؤيبٍ لا يَستغنى بنفسه ، ولا يَفْهم السامعُ معنى هذا النّصِفِ حتَّى يكون موصولاً بالنِّصف الأول ؛ [لأنّك إذا أنشدتَ رجلاً لم يسمَع بالنِّصف الأوّل (١)] وسمِع :

* وإذا تُرَدُّ إلى قليلٍ تَقْنَعُ *

قال : مَن هذه التى تُرَدُّ إلى قليلٍ فتقنع . وليس المُضمَّن (٢) كالمطلق وليس هذا النِّصف مما رواه هذا العالم ، وإنما الرِّواية قولُه :

* والدَّهر ليس بمُعْتِبٍ مَن يجزعُ (٣) *

* * *

وممَّا مَدحوا به الإيجازَ والكلامَ الذى هو كالوحى والإشارة ، قولُ أبى دؤاد بن حَرِيز الإيادِىّ (٤) :

يرمُونَ بالخُطَب الطِّوالِ وتارةً وَحْىَ المَلاحظ خِيفَةَ الرُّقَباءِ

فمَدَح كما ترى الإطالةَ فى موضعها ، والحذفَ فى موضعه .

ومما يدل على شَغَفهم وكَلَفهم ، وشِدّة حبِّهم للفَهْم والإفهام ، قولُ الأسدىّ فى صفةِ كلامِ رجلٍ نَعَت له موضعاً من تلك السباسِب التى لا أَمارة فيها ، بأقلِّ اللّفظ وأوجزه ، فوَصَف إيجازَ الناعت ، وسرعةَ فهمِ المنعوت له ، فقال :

---

(١) هذه مما عدا ل .

(٢) ل : « المضمر » .

(٣) هو عجز مطلع مرثيته . وصدره :

* أمن المنون وريبها تتوجع *

(٤) فى الأصول : « بن جرير الإيادى » . وانظر ما سبق فى ٤٢ ، ٤٤ .

بضَربة نَعْتٍ لم تُعَدْ غير أنّنى عَقُولٌ لأوصاف الرِّجال ذَكورُها (١)

وهذا كقولهم لابن عبّاس : أنّى لك هذا العلم ؟ قال : « قلبٌ عَقُولٌ ، ولسانٌ سؤول (٢) » .

وقال الرّاجز (٣) .

ومَهْمَهَين قَذَفَين مَرْتَيْن (٤) جُبْتُهما بالنَّعْتِ لا بالنَّعتيْنْ (٥) ٨
ظَهراهما مِثلُ ظُهور التُّرْسَيْنْ (٦) قطعته بالأَمِّ لا بالسَّمتَيْنْ (٧)

* * *

وقالوا فى التحذير من مِيسم الشِّعر ، ومن شدّة وقْع اللسان ، ومن بقاء أثره على الممدوح والمهجوّ ، قال امرؤ القيس بن حُجر :

ولو عن نَثا غَيرِهِ جاءنى وجُرْحُ اللِّسان كجرح اليدِ (٨)

وقال طرَفة بن العَبْد :

بحُسَام سَيْفِكَ أو لسانِكَ والكَـ ـلِمُ الأصيل كأرغب الكَلْمِ (٩)

---

(١) ل فقط : « بغت » تحريف . على أنه قد كتب فى هامشها « خ : نعت » .
(٢) انظر ما سبق من الكلام على الخلاف فى نسبة هذا القول ص ٨٤ – ٨٥ .
(٣) هو خطام المجاشعى ، أو هميان بن قحافة . انظر الخزانة (٣ : ٣٧٤ – ٣٧٦) ، وكتاب سيبويه (١ : ٢٤١/ ٢ : ٢٠٢) .
(٤) المهمه : القفر المخوف . والقذف ، بالتحريك : البعيد . فيما عدا ل : « فدفدين » . وقد نبه العينى على هذه الرواية . والمرت ، بالفتح : التى لا ماء فيها ولا نبات .
(٥) وصف نفسه بالحذق والمهارة . والعرب يفخرون بمعرفة الطرق .
(٦) يستشهد به النحويون على الجمع بين لغتى التثنية والجمع فى المضاف إلى المثنى إذا كان بعض ما أضيف إليه . وهذا البيت وما بعده فى ل فقط .
(٧) الرواية المعروفة : « بالسمت لا بالسمتين » .
(٨) النثا ، بتقديم النون : ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سيىء . وبعده فى الديوان ١٨٦ :

لقلت من القول ما لا يزا ل يؤثر عنى يد المسند

(٩) حسام السيف : طرفه الذى يضرب به . والكلم ، بفتح فكسر : جمع كلمة . أرغب : أوسع . والكلْم : الجرح . ل « والكلم الرغيب » صوابه فى سائر النسخ وديوان طرفة ٦١ .

قال : وأنشدنى محمّد بن زياد (١) :

لَحَيْتُ شَمّاساً كما تُلحَى العِصِى   سَبًّا لو أنّ السبَّ يُدمِى لَدَمِى
مِن نَفَرٍ كلُّهُـمُ نِكسٌ دَنِـى   مَحامِدِ الرَّذْل مشاتيم السَّرِى (٢)
مَخَابِطِ العِكْم مَواديع المَطِى (٣)   مَتارِكِ الرَّفيق بالخَرْق النَّطِى (٤)

وأنشد محمّد بن زياد :

تمنّى أبو العَفّاق عِندىَ هَجْمةً   تُسهِّلُ مأوَى لَيلِها بالكَلا كِلِ (٥)
ولا عَقْلَ عندى غيرُ طعن نوافذٍ   وضَربٍ كأشداق الفِصَال الهَوادِلِ
وسبٍّ يوَدُّ المرءُ لو ماتَ قبلَه   كصَدع الصَّفا فلَّقتَه بالمَعاوِلِ (٦)

الهَجْمةُ : القِطعة من النُّوق فيها فَحْل . والكلكل : الصَّدر . والفِصال : جمع فَصيل ، وهو ولد النَّاقة إذا فُصِلَ عَنها . والهوادل : العظام المَشافِر . والعقل ها هنا الدِّيَةُ . والعاقلة : أهل القاتل الأدنَوْن والأبعدُون . والصَّفا : جمع صفاةٍ وهى الصخرة . وقال طَرَفَة :

---

(١) هو أبو عبد الله محمد بن زياد ، المعروف بابن الأعرابى ، الكوفى ، كان راوية لأشعار القبائل ناسبا ، وأحد العالمين باللغة المشهورين بمعرفتها ، أخذ عن المفضل والكسائى ، وأخذ عنه ثعلب وابن السكيت . ولد ليلة وفاة أبى حنيفة سنة ١٥٠ وتوفى سنة ٢٣١ . وفيات الأعيان وبغية الوعاة . انظر مثيل البيت الأول فى اللسان (قيض ٩٢) .

(٢) القياس فى مفرد محامد ، محمد بالكسر ، وفى مفرد مشاتيم مشتام . ولم أجدهما فى معجم .

(٣) العكم ، بالكسر : العدل مادام فيه المتاع . والمخابط ، من الخبط وهو طلب المعروف . هـ : « مخايط » : يخيطون عكومهم . مواديع المطى ، أى مطيهم مودوعة لا يجهدونها .

(٤) الخرق ، بالفتح : القفر ، والأرض الواسعة تتخرق فيها الرياح . والنطى : البعيد . وهذا البيت لم يرد فى ل .

(٥) أبو العفاق ، لعله أراد به الذئب ؛ لأنه يعفق ؛ أى يسرع فى العدو . وفى الحيوان (٦ : ٤١٣) وحواشى هـ عن نسخة : « أبو اليقظان » ، وهى كنية للذئب أيضاً ؛ لأنه :

ينام بإحدى مقلتيه ويتقى   بأخرى المنايا فهو يقظان نائم

ولم أجد هاتين الكنيتين فيما لدى من المراجع . وفى القاموس أن أبا اليقظان اسم للديك .

(٦) فى الحيوان : « كوقع الهضاب صدعت بالمعاول » .

رأيتُ القوافِى يَتْلَجن مَوَالجاً ... تضايَقُ عنها أن تَوَلَّجها الإبَرْ (١)

وقال الأخطل :

حتَّى أقَرُّوا وهم مِنِّى على مَضَضٍ ... والقولُ ينفُذ ما لا تَنفُذُ الإبَرُ (٢) ٩٩

وقال العُمَانىّ :

إذْ هُنَّ فى الرَّيطِ وفى المَوَادِعِ ... تُرْمَى إليهنَّ كبَذْرِ الزارِعِ (٣)

الرَّيْط : الثياب ، واحدها رَيْطَة ؛ والرَّيطة : كلُّ ملاءةٍ لم تكن لِفْقين . والحلّة لا تكون إلاّ ثوبين . والمَوَادع : الثّياب التى تَصون غيرَها ، واحِدها مِيدعَةٌ .

وقالوا : « الحرب أوَّلُها شكوَى ، وأوسَطُها نَجْوَى ، وآخرُها بَلوَى » .

وكتب نصر بن سَيَّارٍ ، إلى ابن هبيرة (٤) أيّامَ تحرّكَ أمرُ السّواد بخُراسان (٥) :

أرَى خَلَلَ الرَّمادِ وميضَ جَمْرٍ ... فيوشكُ أن يكون له اضطرام (٦)

فإنَّ النارَ بالعُودين تُذْكَى ... وإنّ الحربَ أوّلُها الكلام (٧)

فقلتُ من التعجُّب:ليتَ شِعرِى ... أأيقاظٌ أُمَيَّةُ أم نِيامُ (٨)

---

(١) القواف : القصائد . يتلجن ؛ يدخلن ، أصله يوتلجن من الولوج . والبيت فى ديوان طرفة ٤ .

(٢) فى ديوان الأخطل ١٠٥ : « حتى استكانوا وهم منى على مضض » .

(٣) هـ : « مرمى » .

(٤) كان نصر بن سيار عامل مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية على خراسان ، وكان ابن هبيرة – وهو يزيد بن عمر بن هبيرة – عامله على العراق. وفى تاريخ الطبرى (٩ : ٩٢) أنه كتب بالشعر إلى مروان بن محمد . وانظر كتاب البغال ٢٧١ والعقد (٤ : ٢١ ، ٤٧٧) .

(٥) السواد : شعار العباسيين ، وأول من أظهر السواد أبو مسلم الخراسانى ، داعى الدولة العباسية فى خراسان .

(٦) الطبرى : « بين الرماد » . ل : « لها ضرام » . وفى الطبرى : « فأحج بأن يكون له ضرام » أحج : أجدر . وانظر العقد (١ : ٩٤ و ٤ : ٢١٠ ، ٤٧٨) وعيون الأخبار (١ : ١٢٨) .

(٧) فيما عدا ل : « أولها كلام » . الطبرى : « مبدؤها الكلام » .

(٨) ل : « أقول » .

فإن كانُوا لِحِينِهِمُ نياماً فقُلْ قوموا فقد طال المنام (١)

وقال بعض المولَّدين :

إذا نلتُ العطيّةَ بَعْد مَطلٍ فلا كانت ، وإن كانت جَزيلهْ
فسَقياً للعطيَّة ثمّ سَقياً إذا سَهُلت ، وإن كانت قليلهْ
وللشُّعراءِ ألسنةٌ حِدادٌ على العَوْرات مُوفيةٌ دليلهْ
ومِنْ عَقْل الكريم إذا اتّقاهُمْ ودارَاهُمْ مُداراةً جَميلهْ (٢)
إذا وضَعُوا مَكاوِيَهم عليهِ ، وإنْ كذَبوا ، فليس لهنَّ حيلهْ (٣)

وقالوا : « مذاكَرة الرِّجال تلقيحٌ لألبابها » .

ومما قالوا فى صفة اللّسان قولُ الأسدىّ (٤) ، أنشدنيها ابنُ الأعرابىّ :

وأصبحتُ أعددتُ للنّائبا تِ عِرضًا بريئاً وعَضْبا صقيلا (٥)
ووقعَ لِسانٍ كحدِّ السّنا نِ ورُمحاً طويلَ القناةِ عَسُولا (٦)

وقال الأعشى :

وأدفَــع عن أعراضكـــم وأُعِيركم لساناً كمِقراض الخَفاجىِّ مِلْحَبا (٧)

[المِلحَب : القاطع (٨)] .

---

(١) فيما عدا ل : « حان القيام » . وهذا البيت لم يروه الطبرى . وزاد الطبرى فى الخبر : « فكتب إليه : الشاهد يرى ما لا يرى الغائب ، فاحسم الثؤلول قبلك . فقال نصر : أما صاحبكم فقد أعلمَكم ألا نصر عنده » .

(٢) هذا البيت ساقط من ل .

(٣) المكاوى : جمع مكواة . أراد لواذع الهجاء . أى ليس لتلك المكاوى من حيلة وإن كانت كذبا .

(٤) هو عبد قيس بن خفاف البرجمى . والبراجم من أسد بن ربيعة . انظر المفضليات (٢ : ١٨٦) حيث القصيدة ، والاشتقاق ١٩٧ .

(٥) العضب : السيف القاطع .

(٦) العسول : المضطرب للينه .

(٧) وكذا فى الديوان ٩٠ . لكن فيما عدا ل : « أدافع » . وروى فى هـ : « كمفراض » و « كمقراض » . وفى حواشيها : « المفراض : حديدة يقطع بها الحديد والفضة » .

(٨) هذا الشرح ليس فى ل .

الخفاجِىّ : رجُلٌ إسكاف منسوب إلى خفاجة (١).

وقال ابنُ هَرْمَة :

قل للذى ظَلَّ ذا لونَيْنِ يأكلنى لقد خَلوتَ بلحمٍ عادِمِ البَشَمِ (٢)
إيّاك لا أُلْزِمَنْ لَحْيَيك من لُجُمى نِكْلا يُنَكِّل قَرّاصاً من اللُّجُمِ (٣)
إنى امرؤٌ لاأصوغُ الحَلْى تَعْمَلُهُ كَفّاىَ ، لكنْ لسانى صائغُ الكَلِمِ

وقال الآخر :

إنِّى بغَيت الشِّعرَ وابتغانى حتَّى وجدتُ الشِّعر فى مكانى
* فى عَيْبةٍ مِفتاحُها لِسَانِى *

وأنشد :

إنِّى وإنْ كان رِدائى خَلَقا (٤) وبَرْنَكانِى سَمِلاً قد أَخْلَقَا (٥)
* قد جَعل اللهُ لسانى مُطْلَقا *

---

(١) هذا الشرح ساقط مما عدا ل . وفى شرح الديوان : « نسبة إلى خفاجة بن معاوية بن عقيل » .

(٢) ذكر أبو الفرج فى الأغانى (٤ : ٦) من سبب هذا الشعر أن المسور بن عبد الملك المخزومى كان يعيب شعر ابن هرمة ، وكان المسور هذا عالماً بالشعر والنسب ، فقال ابن هرمة فيه ما قال . عادم البشم ، أى لا يبشم من أكله ، وذلك لعجزه عن مضغه . هـ : « عارم » . والعارم : الشديد لا يطاق . أى يبشم من طعمه ولا يطيق هضمه .

(٣) النكل ، بالكسر : اللجام أو حديدته . قراصاً : قطاعاً ؛ القرص : القطع .

(٤) فيما عدا ل : « إزارى » . والأبيات فى اللسان (برنك) .

(٥) البرنكان ، كزعفران : قال ابن منظور : كساء من صوف له علمان . وفى القاموس : « ويقال للكساء الأسود البركان والبركانى – بتشديد الراء فيهما – والبرنكان كزعفران والبرنكانى » . وفى المعرب ٦٩ : « والبرنكان يقال كساء برنكانى ، وليس هو بعربى ، والجمع برانك ، وقد تكلمت به العرب » . لكن فيه ٥٦ : « ابن دريد : والبرنكان بالفارسية وهو الكساء » . على أن نص ابن دريد فى الجمهرة (٣ : ٣٠٨) : « والبرنكان أيضاً ، كساء برنكانى . ليس بعربى » . فالنص الأخير من المعرب غريب .

بسم الله الرحمن الرحيم [١]

قال أبو عثمان : والعتّابىّ حين زعم أنّ كلَّ مَن أفهمك حاجتَه فهو بليغٌ [٢] لم يَعْنِ أنّ كلَّ مَن أفهمَنا مِنْ معاشر المُوَلَّدين والبلديِّين قَصْدَه ومعناه ، بالكلام الملحون ، والمعدول عن جهته ، والمصروف عن حقّه ، أنّه محكوم له بالبلاغة كيف كان،بعد أن قد فهِمْنا [٣] معنى كلامِ النَّبَطىّ الذى قيل له : لِمَ اشتريتَ هذه الأتان ؟ قال : « أركبُها وتَلَد لى [٤] » . وقد علِمْنا أنّ معناه كان صحيحاً .

وقد فهمنا قول الشيخ الفارسى حين قال لأهل مجلسه:« ما من شرّ من دَيْن » وأنّه قال حين قيل له : ولِمَ ذاك يا أبا فلان ؟ قال : « مِن جرَّى يتعلَّقون [٥] » . وما نشكُّ أنه قد ذَهب مذهباً ، وأنّه كما قال .

وقد فهمنا [٦] معنى قول أبى الجَهير الخراسانى النخاس ، حين قال له الحجاّج:أتبيع الدوابّ المَعِيبَةَ من جُنْد السلطان ؟ قال : « شريكاننا [٧] فى هوازها ، وشريكاننا [٧] فى مداينها . وكما تجىء نكون [٨]» . قال الحجاّج : ما تقول ،

---

(١) هذه مما عدا ل .

(٢) انظر ما سبق فى ص ١١٣ س ٩ - ١٠ .

(٣) جملة « ونحن قد فهمنا » ، ساقطة مما عدا ل .

(٤) انظر ما سبق فى ص ٧٤ س ٥ - ٧ . ل فقط : « وتولد لى » .

(٥) من جراهُ ، أى من أجله . وفى اللسان (جرر) : « وربما قالوا من جراك غير مشدد ، ومن جرائك بالمد من المعتل » . وكتب إزاءها فى التيمورية : « أى من أجل » أراد من جرى الدائنين الذين يتعلقون بمدينهم » .

(٦) هاتان من ل ، هـ فقط .

(٧) جمع لفظ « شريك » على الطريقة الفارسية بزيادة الألف والنون ، كما يقولون فى جمع مَرد ، بمعنى رجل : مَردان . فيما عدا ل : « شريكاتنا » .

(٨) فيما عدا ل : « تكون » ، بالتاء .

ويلك ! فقال بعضُ من قد كان اعتاد سماعَ الخَطَاءِ وكلامِ العُلوج بالعربيّةِ حتَّى صار يفهمُ مثلَ ذلك : يقول : شركاؤنا بالأهواز وبالمدائن ، يبعثون إلينا بهذه الدّوابّ ، فنحن نبيعُها على وُجوهها .

وقلت لخادمٍ لى : فى أىِّ صناعةٍ أسلموا هذا الغلام ؟ قال : « فى أصحابِ سِنْدِ نِعال » يريد : فى أصحاب النِّعال السِّندية . وكذلك قولُ الكاتبِ المغلاق للكاتب الذى دُونَه : « اكتب لى قُل خَطَّين [١] وريحنى منه » .

فمن زعم أنَّ البلاغةَ أن يكون السامعُ يفهمُ معنى القائلِ ، جعل الفصاحةَ واللُّكنة ، والخطأَ والصّوابَ ، والإغلاق والإبانة ، والملحونَ والمُعْرب ، كله سواءً ، وكلَّه بياناً . وكيف يكون ذلك كلُّه بياناً ، ولولا طولُ مخالطة السامع للعجَم وسماعِهِ للفاسد من الكلام ، لما عَرفَه . ونحن لم نَفهم عنه إلا للنَّقص الذى فينا . وأهلُ هذه اللُّغةِ وأربابُ هذا البيانِ لا يستدلُّون على معانى هؤلاء بكلامهم كما لا يعرفون رَطانة الرُّومىّ والصَّقلبى ، وإن كان هذا الاسم إنّما يستحقُّونه بأنَّا نَفهم عنهم كثيراً من حوائجهم . فنحن قد نَفهم بحَمْحَمة الفَرَس كثيراً من حاجاته ، ونفهم بضُغاء السِّنَّور كثيراً من إراداته [٢] . وكذلك الكلبُ ، والحمار ، والصبىُّ الرَّضيع .

وإنّما عنى العتّابى إفهامَكَ العربَ حاجتَك على مَجارى كلام العربِ الفُصَحاء . وأصحابُ هذه اللغة لا يفقهون قول القائل مِنّا : « مُكرَهٌ أخاكَ لا بطل » . و : « إذا عزَّ أخاكَ فُهنْ [٣] » . ومَن لم يفهم هذا لم يفهم قولَهم : ذهبتُ إلى أبو زيد ، ورأيت أبى عمرو [٤] . ومتى وجد النحويُّون أعرابيا يفهم هذا وأشباهَه بَهْرَجُوه ولم

---

(١) فيما عدا ل ، هـ : « حطين » .

(٢) ب ، هـ : « ارادته » . وانظر الحيوان (١ : ٣٣) .

(٣) جاء هذا المثل وسابقه على لغة من يعرب الأب والأخ إعراب المقصور مطلقا .

(٤) هذا على الحكاية . انظر همع الهوامع (٣ : ١٥٤) .

يسمعوا منه (١) ؛ لأنّ ذلك يدلُّ على طول إقامته فى الدّار التى تُفسد اللُّغة وتنقُص البيان . لأنّ تلك اللُّغَةَ إنّما انقادت واستوت ، واطّردت وتكاملت ، بالخصال التى اجتمعت لها فى تلك الجزيرة [وفى تلك الجيرة (٢)] ، ولفقد الخطاءِ من جميع الأمم .

ولقد كان بين زَيد بن كَثْوَةَ (٣) يومَ قدِم علينا البصرة ، وبينَه يوم مات بَونٌ بعيد . على أنّه قد كان وضع منزلَه فى آخر موضعِ الفصاحة وأوّلِ موضع العُجمة ، وكان لا ينفكُّ من رواةٍ ومُذَاكِرين .

وزعم أصحابنا البَصريُّون عن أبى عمرو بن العلاء أنه قال : لم أر قَرويَّيْنِ أفصحَ من الحسن والحجّاج ، وكان – زعموا – لا يبرِّئهما من اللّحن .

وزعم أبو العاصى أنّه لم يَرَ قروياً قط لايلحن فى حديثه ، وفيما يجرى بينه وبين الناس ، إلاّ ما تفقّده من أبى زيدٍ النحوىّ ، ومن أبى سعيد المُعلّم . وقد رَوَى أصحابُنا أنّ رجلاً من البلديِّين قال لأعرابىّ : « كيفَ أهْلِكْ » قالها بكسر اللام . قال الأعرابىُّ : صَلْباً . لأنّه أجابه على فَهمه ، ولم يعلم أنه أراد المسألَةَ عن أهله وعيالِه .

وسمعت ابن بَشيرٍ (٤) وقال له أبو المفضّل العنْبرىّ (٥) : إنى عَثَرت البارحةَ بكتابٍ ، وقد التقطته ، وهو عندى ، وقد ذكروا أنّ فيه شعراً ، فإنْ أردتَه

---

(١) ل : « ولم يسمعوا كلامه » .

(٢) هذه مما عدا ل .

(٣) فيما عدا ل : « يزيد بن كثوة » تحريف ، جاء على الصواب ، فى مواضع متعددة من الحيوان . وفى اللسان (٢٠ : ٧٩) : « الجوهرى : وكثوة ، بالفتح : اسم أم شاعر وهو زيد بن كثوة ، وهو القائل :

ألا إن قومى لا تلط قدورهم ولكنما يوقدن بالعذرات »

(٤) هو على بن بشير ، كما سيأتى فى (٢ : ٢٢١) .

(٥) أبو المفضل العنبرى ، يبدو أنه أحد الأعراب الذين كانوا يردون إلى البصرة ويروى عنهم العلماء . ل : « أبو الفضل » .

وهبته لك . قال ابن بَشير (١) : أريده إن كان مقيَّداً . قال : والله ما أدرى أمقيَّدٌ هو أم مغْلول (٢) . ولو عرف التَّقييد لم يلتفت إلى روايته .

وحكى الكسائىّ أنّه قال لغلامٍ بالبادية : من خَلَقْك ؟ وجزم القاف ، فلم يدْرِ ما قال ، ولم يجِبْه ، فردَّ عليه السؤالَ فقال الغلام : لعلك تريد مَن خلقَك .

وكان بعضُ الأعراب إذا سمع رجلاً يقول نعم فى الجواب ، قال : « نَعَمٌ وشاءٌ ؟ » ؛ لأنّ لغته نَعِمْ (٣) . وقيل لعُمر بن لجأ (٤) : قُل « إنّا من المجرمين منتقمِين » . قال : ﴿ إنّا مِنَ المجرِمين منتقِمُون ﴾ .

وأنشد الكسائى كلاماً دار بينه وبين بعض فتيان البادية فقال :

عَجَبٌ مَا عَجَبٌ أعجبنى ... من غُلامٍ حَكَمِيّ أُصُلا (٥)
قلت هل أحسست رَكبا نَزَلُوا ... حَضَناً ما دونَه قال هَلا (٦)
قلت بَيِّن ما هَلَا هل نزلوا ... قال حَوباً ثم ولّى عَجلا (٧)
لستُ أدرى عندها ما قال لى ... أنعم ما قال لى أم قال لا
تلك منه لغةٌ تعجبنى ... زادت القلب خبالا خَبَلا

* * *

(١) ل : « ابن يسير » .
(٢) فيما عدا ل : « أكان مقيدا أو مغلولا » .
(٣) نعم ، بكسر العين : لغة فى نعم . وبهما قرئ .
(٤) هو عمر بن لجأ بن حدير ، شاعر راجز فصيح إسلامى ، وقعت المهاجاة بينه وبين جرير ، وكان جرير أسن منه ، وكان عارفا بمثالب القبائل . انظر الأغانى (١٩ : ٢٢) والنقائض ٤٨٧ – ٤٩١ ، ٩٠٧ والجمحى ١٥٠ – ١٥٣ والمرزبانى ٤٧٨ والموشح ١٢٧ – ١٢٩ والشعراء .
(٥) حكمى : نسبة إلى الحكم بن سعد العشيرة . أصلا ، أى وقت الأصيل ، وهو جمع الأصيل بمعنى العشى . وتقرأ أيضا : « أصلا » ككرم . أصل : صار ذا أصل .
(٦) حضن ، بالتحريك : جبل بنجد .
(٧) فى حواشى هـ : « هلا هنا بمعنى نعم ، كما أن أجل تكون بمعنى نعم ، فلم يفهم الكسائى معناها » . وفى هامش ل : « هلا معناه تحرك لتدركهم » . وحوب بالفتح : زجر للبعير ليمضى .

قال أبو الحسن : قال مولى زيادٍ : أهدَوا لنا هِمارَ وَهْش . قال : أىَّ شىءٍ تقولُ ويْلَك ؟ قال : « أهدَوْا لنا أيراً » ، يريد : أهدَوْا لنا عَيرا . قال زياد : ويلَك ، الأوَّلُ خير [١] .

وقال الشّاعر يذكر جاريةً له لَكناء :

١٠٣ أكثَرُ ما أسمَعُ منها بالسّحَرْ [٢] تذكيرُها الأُنثى وتأنيثُ الذكرْ
* والسَّوأة السَّوآءُ فى ذِكر القَمَر *

فزيادٌ قد فهم عن مولاه ، والشاعر قدفهِم عن جاريته [٣] ولكنهما لم يفهما عنهُما من جهة إفهامهما لهما ، ولكنَّهما لمّا طال مُقامهما فى الموضع الذى يكثُرُ فيه سماعُهما لهذا الضَّرب ، صارا يفهمان هذا الضَّربَ من الكلام .

* * *

---

(١) سبق الخبر فى ص ٧٣ .
(٢) فيما عدا ل « فى السحر » . والرجز مضى فى ص ٧٣ .
(٣) فيما عدا ل ، هـ : « وصاحب الجارية قد فهم عن جاريته » .

ذكر ما قالوا فى مديح اللسان

بالشعر الموزون واللفظ المنثور ، وما جاء فى الأثر وصحّ به الخبر

قال الشاعر :

أرى النَّاس فى الأخلاق أهلَ تخلُّقٍ وأخبارُهم شَتَّى فعُرْفٌ ومُنكَرُ (١)
قريباً تدانِيهمْ إذا ما رأيتَهم ومختلفاً ما بينهم حين تَخْبُرُ
فلا تحمَدنّ الدّهرَ ظاهِرَ صفحةٍ مِن المرء ما لم تَبْلُ ما ليس يَظهرُ
فما المرءُ إلا الأصغَرانِ : لسانه ومَعْقُولُه ، والجسم خَلْقٌ مُصَوَّرُ
وما الزَّين فى ثوب تراه وإنّما يَزِينُ الفتى مَخْبُورُهُ حين يُخبَرُ
فإنْ طُرَّةٌ راقَتْك مِنه فرُبّما أَمرَّ مَذَاقُ العُود والعودُ أخضرُ (٢)

وقال سُويد بنُ أبى كاهِل (٣) فى ذلك :

وَدَعَتْــــى بِرُقاهـــا إنها تُنزِلُ الأعصَمَ من رأسِ اليَفَعْ (٤)
تُسْمِعُ الحُدَّاثَ قولاً حسناً لو أرادُوا مِثلَه لم يُسْتَطَعْ (٥)

---

(١) التخلق : أن يظهر من خلقه خلاف ما ينطوى عليه . قال سالم بن وابصة :

عليك بالقصد فيما أنت فاعله إن التخلق يأتى دونه الخلق

(٢) فيما عدا ل : « راقتك منهم » . أمر : صار مُرا .

(٣) سويد بن أبى كاهل اليشكرى ، نسبة إلى يشكر بن بكر بن وائل ، شاعر مخضرم عاش فى الجاهلية دهراً ، وعمر فى الإسلام عمراً طويلا : عاش إلى ما بعد سنة ٦٠ من الهجرة . الإصابة ٣٧١٦ والأغانى (١١ : ١٦٥ – ١٦٧) . وقصيدته هذه العينية مفضلية . انظر المفضليات (١ : ١٨٨) . وكانت العرب تسميها اليتيمة لما اشتملت عليه من الأمثال ، كما فى الإصابة .

(٤) جعل حديثها كالرقية فى قوة أثرها . والأعصم : الوعل الذى فى يديه بياض . واليفع واليفاع : المرتفع من الأرض .

(٥) فى المفضليات : « لو أرادوا غيره لم يستمع » .

ولساناً صَيْرَفِيا صارما   كذُباب السَّيف ما مَسّ قَطَعْ (١)

وقال جرير :

وليس لِسَيفى فى العظام بقِيّةٌ   ولَلسَّيْفُ أشْوَى وقعةً من لِسانيا (٢)

وقال آخر :

وجُرحُ السَّيف تَدْمُلُه فيَبْرَا   ويبقى الدَّهرَ ما جَرَح اللِّسانُ (٣)

وقال آخر :

أبا ضُبيعةَ لا تَعْجلَ بسيِّئةٍ   إلى ابن عمك واذكُرْه بإحسانِ
إمّا تَرَانِى وأثوابى مُقارِبَـــةٌ   ليست بِخَزٍّ ولا من حُرِّ كَتَّانِ (٤)
فإنّ فى المجد هِمَّاتى وفى لُغَتى   عُلوِيَّةٌ ولسانى غيرُ لَحَّانِ

وفيما مدحوا به الأعرابىَّ إذا كان أديباً ، أنشدنى ابنُ أبى كريمة ، أو ابنُ كَريمة ، واسمه أسود (٥) :

ألا زعمَتْ عَفراءُ بالشّام أنّنى   غُلامُ جَوارٍ لا غلامُ حُرُوب
وإنّى لأَهْذِى بالأوانِسِ كالدُّمَى   وإنّى بأطراف القَنَا لَلعوبُ (٦)

---

(١) لا رابطة بين هذا البيت وسابقيه ، فإن الأولين فى التشبيب ، وفى الفخر ، وبينهما فى القصيدة أكثر من ثمانين بيتاً . وقبل هذا البيت :

ورأى منى مقاما صادقا   ثابت الموطن كتام الوجع

ذباب السيف : حده . وفى المفضليات وسائر النسخ : « كحسام السيف » ، وهو حده .

(٢) أى سيفى مع قوته ، هو أشوى وقعة من لسانى ، أى لسانى أشد منه فتكا . وأشوى من الشوى ، وهو إخطاء المقتل . فيما عدا ل : « ولا السيف » صوابه ما أثبت من ل والديوان ٦٠٦ .

(٣) البيت فى اللسان (دمل) . وفى هـ : « وجرح » موضع « ويبقى » .

(٤) المقارب ، بكسر الراء : الرخيص ؛ أو الوسط بين الجيد والردىء .

(٥) انظر ما سبق فى ص ١٤٣ .

(٦) هذى به : ذكره فى هذائه ، وهو الهذيان . فيما عدا ل ، هـ : « لأهدى » .

وإنى على ما كان من عُنْجهُيَّتى … ولُوثة أعرابيَّتى لأديبُ [١]

وقال ابن هَرْمة [٢] .

لله دَرُّكَ مِن فتًى فَجَعَت به … يومَ البَقيعِ حوادثُ الأيّامِ

هَشٍّ إذا نَزَلَ الوفودُ ببابِهِ … سهلِ الحجاب مؤدَّبِ الخُدّامِ

فإذا رأيتَ شقيقَه وصديقَه … لم تدرِ أيُّهما أخُو الأرحامِ

وقال كعبُ بن سعدٍ الغَنَوىّ [٣] :

حبيبٌ إلى الزُّوّارِ غِشيان بَيْتِهِ … جميلُ المُحَيَّا شَبَّ وهو أديبُ

إذا ما تراءاه الرِّجال تحفَّظُوا … فلم تُنْطقِ العوراءُ وهو قريبُ [٤]

وقال الحارثىّ :

وتَعلَم أنّى ماجدٌ وتَرُوعُها … بَقيّةُ أعرابيّةٍ فى مُهاجِرِ

وقال الآخر :

وإنّ امرأً فى النّاس يُعطى ظُلَامةً … ويمنَعُ نِصفَ الحقِّ منه لراضِعُ [٥]

أألموتَ يَخْشَى أثكَلَ اللهُ أمَّه … أم العيشَ يرجو نَفْعَه وهو ضائعُ

ويَطْعَمُ ما لم يندفِعْ فى مَرِيئِهِ … ويمسح أعْلَى بطنِهِ وهو جائعُ

وإنّ العقولَ فاعلَمَنَّ أسنَّةٌ … حِدَادُ النَّواحِى أرهفَتْها المواقِعُ [٦]

ويقولون : « كأنَّ لسانَه لسانُ ثَور » .

---

(١) اللوثة ، بالفتح والضم : الحمقة . والأديب : ذو الأدب ، وهو الظرف .

(٢) الأبيات التالية نسبت فى الحماسة (١ : ٣٣٤) إلى محمد بن يسير الخارجى .

(٣) كعب بن سعد الغنوى شاعر إسلامى ، الظاهر أنه تابعى . انظر المرزبانى ٣٤١ والخزانة (٣ : ٦٢١) وسمط اللآلى ٧٧١ والتيجان ٢٦٠ .

(٤) البيتان من قصيدة فى الأصمعيات ٩٤ طبع المعارف . والعوراء : الكلمة القبيحة .

(٥) ل : « وإن امرأ يعطى عليه » . والنصف ، بالكسر : الإنصاف . وأنشد للفرزدق :

ولكن نصفا لو سببت وسبنى … بنو عبد شمس من مناف وهاشم

والراضع : اللئيم ؛ رضع : لؤم ، وزنا ومعنى .

(٦) المواقع : جمع ميقعة : وهى المسن الطويل .

وحدثَّنى مَن سمِع أعرابياً يمدح رجلاً برِقّة اللسان فقال : « كانَ واللهِ لسانُه أرقَّ من وَرَقةٍ ، وألينَ من سَرَقَة (١) » .

وقال النبىّ ﷺ لحسّانَ بنِ ثابت : ما بَقِىَ من لسانك ؟ فأخرجَ لسانَه حتَّى ضربَ بطرَفه أرنَبَته . ثمّ قال : « واللهِ ما يَسُرُّنى به مِقولٌ من معَدٍّ ، واللهِ أن لو وضعتُه على حَجَرٍ (٢) لفلقَه ، أو على شَعرٍ لَحَلَقه » .

قال : وسمعتُ أعرابيًّا يصف لسانَ رجلٍ ، فقال : « كان يَشُولُ بلسانه شَوَلَانَ البَرُوق ، ويتخلّل به تخلّل الحيّة » . وأظنّ هذا الأعرابىَّ أبا الوجيه العُكلىّ .

[يشول : يرفع . البروق : الناقة إذا طلبت الفَحل فإنّها حينئذ ترفع ذنبها .

وإنّما سُمِّى شوّال شوّالاً لأنّ النُّوق شالت بأذنابها فيه . فإن قال قائل : قد يتفق أن يكون شوّالٌ فى وقتٍ لا تشول الناقة بذَنبها فيه ، فلم بقىَ هذا الاسم عليه ، وقد ينتقل ماله لزم عنه ؟ قيل له : إنما جعل هذا الاسم له سمة حيث اتفّق أنّ شالت النُّوق بأذنابها فيه ، فبقى عليه كالسِّمة ، وكذلك رمضان إنما سمِّى لرَمَض الماء فيه وهو فى شدّة الحرّ ، فبقى عليه فى البرد . وكذلك ربيعٌ ، إنّما سمّى لرعيهم الرَّبيع فيه ، وإن كان قد يتّفق هذا الاسم فى وقت البرد والحرّ (٣)] .

قال : ووصَف أعرابىٌّ رجلاً فقال : أتيناه فأخرَجَ لسانَه كأنّه مِخراقُ لاعب (٤) .

---

(١) السرق ، بالتحريك : شقائق من جيد الحرير أو أبيضه ؛ معرب من الفارسية « سره » . انظر اللسان والمعرب ١٨٢ ، ومعجم استينجاس ٦٨٠ .

(٢) فيما عدا ل : « على صخر » .

(٣) هذه العبارة جميعها ليست فى ل .

(٤) المخراق : منديل أو نحوه يلوى فيضرب به ، أو يلف فيفزع به .

. قال وقال العبّاس بن عبد المطلب للنبى ﷺ : يا رسول اللهِ ، فيم الجَمَالُ ؟ قال : فى اللِّسان .

قال : وكان مجاشع بن دارم (١) خطيباً سَلِيطاً ، وكان نهشلٌ (٢) بكيئاً مَنْزُوراً (٣) ، فلمّا خرَجَا مِن عند بعض الملوك عذَله مجاشعٌ فى تركِهِ الكلامَ ، فقال له نهشل : إنِّى واللهِ لا أحسِنُ تَكذابَك ولا تَأثامك ، تشولُ بلسانك شَوَلانَ البَرُوق ، وتَخَلَّل تخلُّلَ الباقرة .

وقالوا : أعلى جميع الخَلْق مرتبةً الملائكة ، ثم الإنس ، ثم الجنّ . وإنما صار لهؤلاءِ المزِيّةُ على جميع الخلق بالعقل ، وبالاستطاعة على التصرُّف ، وبالمنطق .

قال : وقال خالد بنُ صفوان : ما الإنسانُ لولا اللِّسانُ إلاّ صورةٌ ممثّلةٌ ، أو بهيمةٌ مهمَلةٌ .

قال : وقال رجلٌ لخالد بن صفوان : مالى إذا رأيتُكم تتذاكرون الأخبار وتتدارسون الآثار ، وتتناشدون الأشعار ، وقع علىَّ النَّوم ؟ قال : لأنَّك حمار فى مسلاخ إنسان (٤)

وقال صاحب المنطق : حدُّ الإنسانِ الحىُّ الناطق المُبِين (٥) .

وقال الأعور الشَّنِّىُّ (٦) :

---

(١) هو مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مر . المعارف ٣٥ وكان غالب بن صعصعة والد الفرزدق سيد بنى مجاشع . الاشتقاق ١٤٧ .

(٢) نهشل : أخو مجاشع . المعارف ٣٧ والاشتقاق ١٩٣ .

(٣) المنزور : القليل الكلام ، لا يتكلم حتى ينزر ، أى يلح عليه .

(٤) المسلاخ : الجلد .

(٥) انظر ما سبق فى ص ٧٧ ص ٥ .

(٦) الأعور الشنى ، هو بشر بن منقذ ، أحد بنى شن بن أفصى بن عبد القيس بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد . قال صاحب المؤتلف ٣٨ : « شاعر خبيث ، وكان مع على رضى الله عنه يوم الجمل » . والبيتان التاليان ليسا له ، بل هما لزهير فى معلقته .

وكائنْ ترى مِن صامتٍ لكَ مُعجِبٍ زيادتُـه أو نقصُه فى التَّكَلُّـم
لسانُ الفتى نصفٌ ونصفٌ فؤادُه فلم يَبق إلّا صورةُ اللّحمِ والدمِ

* * *

ولما دخل ضَمْرة بن ضَمْرة (١) ، على النُّعمان بن المنذر ، زَرَى عليه ، للذى رأى مِن دَمامته وقِصَرِه وقِلّته . فقال النُّعمان (٢) : « تَسْمَعُ بالمُعَيْدىِّ لا أنْ تراه (٣) » . فقال : أبيتَ اللّعنَ ! إنّ الرّجالَ لا تُكال بالقُفْزان (٤) ، ولا تُوزَن بالميزان ، وليست بمُسوكٍ يُستَقَى بها ، وإنّما المرء بأصغريه : بقلبه ولسانه ، إن صالَ صال بِجَنَانٍ ، وإن قال قال بِبَيان » .

واليمانِيَة تجعل هذا للصُّقْعب النهدىّ (٥) . فإنّ كان ذلك كذلك فقد أقرُّوا بأنّ نهداً من مَعَدٍّ .

وكان يقال : « عقلُ الرّجُل مدفون تحتَ لسانه » .

---

(١) قال ابن دريد فى الاشتقاق ١٤٩ فى ذكر رجال مجاشع : « ومن رجالهم ضمرة بن ضمرة ، وكان من رجال بنى تميم فى الجاهلية لسانا وبيانا ، وكان اسمه شق بن ضمرة فسماه بعض ملوك الحيرة ضمرة » . وفى أمثال الميدانى (١ : ١١٨) أن اسمه كان « شقة » ، وهو الصواب إذ ورد فيه من الشعر :

صرمت إخاءَ شقة يوم غول وإخوته فلا حلت حلالى

وانظر الفاخر ٦٥ وأمالى الزجاجى ٢٠٠ واللسان (معد ٤١٤) .

(٢) فى أمثال الميدانى أن صاحب الخبر ، هو المنذر بن ماء السماء ، لا النعمان .

(٣) المعيدى تصغير رجل منسوب إلى معد . وكان الكسائى يرى التشديد فى الدال . انظر اللسان (معد).ويروى : « لأن تسمع بالمعيدى خير » و : « أن تسمع » .

(٤) القفزان : جمع قفيز ، وهو مكيال قدره ثمانية مكاكيك عند أهل العراق

(٥) من بنى نهد . قال ابن دريد فى الاشتقاق ٣٢٠ : « ومن رجالهم الصقعب ، الوافد إلى النعمان . واسم الصقعب خيثم بن عمرو ، وكان سيد بنى نهد قد أخذ مرباعهم دهرا ، وله حديث فى دخوله إلى النعمان . وقال قوم : بل اسمه البراء بن عمرو » .

وباب آخر فى ذكر اللسان

أبو الحسن : قال : قال الحسن : « لِسان العاقل مِن وراء قلبِه ، فإذا أراد الكلامَ تفكَّر ، فإن كان له قالَ ، وإن كان عليه سكَت . وقَلْبُ الجاهل من وراء لسانِه ، فإنْ همَّ بالكلام تكلَّم به له أو عليه » .

قال أبو عبيدة : قال أبو الوَجيه : حدَّثنى الفرزدق قال : كُنَّا فى ضيافة معاويةَ بن أبى سفيان ، ومعنا كعب بن جُعَيْل التَّغلبىُّ ، فقال له يزيد : إنّ [ابن حَسّان – يريد [(١)]] عبد الرحمن بن حسّان – قد فَضَحَنا ! فاهجُ الأنصارَ . قال:أرادِّى أنت إلى الإشراك بعد الإيمان [(٢)] ، لا أهجُوَ قوماً نَصَرُوا رسول الله ﷺ ، ولكننِّى أدلُّك على غلامٍ مِنّا نَصرانيّ كأنّ لسانَه لسانُ ثور . يعنى الأخطل .

وقال سَعْدُ بنُ أبى وقّاصٍ ، لعُمَر ابنِه [(٣)] حين نَطَقَ مع القوم فبذَّهُم ، وقد كانوا كلَّموه فى الرِّضا عنه . قال : هذا الذى أغضَبَنى عليه ، أنّى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يكون قومٌ يأكلون الدُّنيا بألسِنَتِهم ، كما تَلْحَس الأرضَ البقرةُ بلسانها » .

قال : وقال معاويةُ لعمرِو بن العاصِى : « يا عمر ، إنّ أهل العراق قد أكرَهُوا علياً على أبى موسى ، وأنا وأهلُ الشّام رَاضُونَ بك ، وقد ضُمَّ إليكَ رجلٌ طويلُ اللِّسان ، قصير الرَّأى ، فأجِد الحزَّ ، وطبِّق المَفْصِل ، ولا تَلْقَه ٧
برأيِكَ كُلِّه » .

---

(١) هذه مما عدا ل .

(٢) فيما عدا ل : « الإسلام » .

(٣) عمر بن سعد بن أبى وقاص ، تابعى ثقة ، وهو الذى قتل الحسين ، ولد فى عصر النبى ﷺ وقتل سنة ٦٧ . انظر تهذيب التهذيب .

والعجَب من قول ابن الزُّبير للأعراب : « سلاحُكم رَثٌّ ، وحديثكم غَثٌّ . وكيف يكون هذا وقد ذَكَرُوا أنّه كان مِن أحسَن النّاس حديثاً ، وأن أبا نَضرَة [١] وعُبيد الله بن أبى بَكرَةَ [٢] إنّما كانا يحكيانه . فلا أدرِى إلاّ أن يكون حُسْن حديثه هو الذى ألقى الحسدَ بينه وبين كلِّ حَسَنِ الحديث .

وقد ذَكَرُوا أنّ خالدَ بن صفوانَ تكلَّم فى بعض الأمر ، فأجابه رجلٌ من أهل المدينة بكلامٍ لم يظنَّ خالدٌ أنَّ ذلك الكلامَ كان عنده ، فلما طال بهما المجلسُ كأنَّ خالداً [٣] عرَّض له ببعضِ الأمر ، فقال المدنىّ : « يا أبا صفوان ، مالي مِن ذنبٍ إلا اتِّفاق الصناعتين » . ذكر ذلك الأصمعىّ .

قال فَضّالٌ الأزرق : قال رجلٌ من بنى مِنْقرٍ : تكلَّم خالد بن صفوان فى صُلحٍ بكلامٍ لم يسمع النّاس قبلَه مِثلَه ، فإذا أعرابىٌّ فى بَتٍّ [٤] ، ما فى رجليه حذاء ، فأجابه بكلامٍ وددتُ والله أنّى كنت مُتُّ وأنَّ ذلك لم يكُنْ ، فلمّا رأى خالدٌ ما نَزَلَ بى قال : يا أخا مِنقر ، كيف نُجاريهِمْ وإنَّما نحكيهم ، وكيف نُسابقُهم وإنما نَجرِى على ماسبَقَ إلينا من أعراقِهم ؛ فليُفْرخ روعُكَ فإنّه من مُقاعِسٍ ، ومُقَاعِسٌ لك . فقلت : يا أبا صفوان ، والله ما أَلُومُك على الأولى ، ولا أدعُ حَمْدَك على الأُخرى .

---

(١) أبو نضرة ، هو المنذر بن مالك بن قطعة العبدى . تابعى روى عن على وأبى موسى الأشعرى وأبى هريرة وابن عباس وغيرهم ، وروى عنه قتادة وسعيد بن أبى عَروبة ، وكان من فصحاء الناس . توفى سنة ١٠٩ . تهذيب التهذيب . وقطعة بضم ففتح كما فى التقريب .

(٢) أبو بكرة ، اسمه نفيع بن الحارث بن كلدة ، أسلم ومات فى خلافة عمر ، وكان تدلى إلى النبى ﷺ من حصن الطائف ببكرة ، فاشتهر بأبى بكرة . الإصابة ٨٨٩٤ . وقد توفى عن أربعين ولدا من بين ذكر وأنثى ، أعقب فيهم سبعة : عبد الله ، وعبيد الله ، وعبد الرحمن ، وعبد العزيز ، ومسلم ، ورواد ، وعتبة . فكان عبيد الله من أجمل الناس وأشجعهم . ولاه الحجاج سجستان سنة ٨٧ فغزا بلاد العدو فهلك هناك فى مجاعة. المعارف ١٢٥ – ١٢٦ . ب : « بن أبى بكر » تحريف .

(٣) كذا وردت العبارة مضبوطة فى ل ، هـ : وفى سائر النسخ : « كان خالد عرض » .

(٤) البتّ ، بالفتح : كساء غليظ مربع .

قال أبو اليقظان : قال عمر بن عبدِ العزيز : « ما كلّمنى رجلٌ من بنى أسدٍ إلا تمنَّيت أن يُمدّ له فى حُجَّتِهِ حتَّى يكثُرَ كلامه فأسمعَه » .

وقال يونُسُ بنُ حبيبٍ (١) : ليس فى بنى أسدٍ إلاّ خطيبٌ ، أو شاعر ، أو قائف ، أو زاجر ، أو كاهن ، أو فارس . قال : وليس فى هذيلٍ إلاّ شاعرٌ أو رامٍ ، أو شديدُ العَدْو .

التَّرجُمان بن هُرَيْم بن عدىّ بن أبى طَحْمَةَ (٢) قال : دُعى رَقَبة بنُ مَصْقَلة ، أو كَرِب بن رقبة (٣) إلى مجلسٍ ليتكلّم فيه ، فرأى مكانَ أعرابىّ فى شَمْلَةٍ (٤) ، فأنكر موضعَه ، فسأل الذى عن يمينه عنه فخبّره أنّه الذى أعدُّوه لجوابِه ، فنهض مسرعاً لا يَلْوِى على شىءٍ ؛ كراهةَ أن يُجمعَ بين الدِّيباجتين فيتَّضع عند الجميع .

وقال خَلّاد بن يَزِيد : لم يكن أحدٌ بعد أبى نَضرة أحسَنَ حديثاً من سَلْم بن قُتَيبة (٥) . قال : وكان يزيد بن عمر بن هُبيرة يقول : احذِفوا الحديث كما يحذِفُه سَلْم بن قتيبة .

---

(١) هو أبو عبد الرحمن يونس بن حبيب الضبى ، إمام نحاة البصرة فى عصره . أخذ عن أبى عمرو بن العلاء ، وأخذ عنه سيبويه وروى عنه فى كتابه . وعنه أخذ الكسائى والفراء وأبو عبيدة وأبو زيد . ولد سنة ٨٠ ومات سنة ١٨٢ . معجم الأدباء وابن خلكان .

(٢) الترجمان بن هريم ، قال ابن قتيبة فى المعارف ١٨٤ : إنه كان على الأهواز ، وعلى بنى حنظلة فى فتنة ابن سهل . وأبوه هريم بن أبى طحمة كان شجاعا كيسا ، وكان مع المهلب فى قتال الأزارقة ، ومع عدى بن أرطاة فى قتال يزيد بن المهلب ، وكبر هريم فحول اسمه فى أعوان الديوان ليرفع عنه الغزو ، فقيل له : إنك لا تحسن أن تكتب ! فقال : إلا أكتب فإنى أمحو الصحف ! وفى القاموس : « وأبو طحمة عدى بن حارثة من الشرفاء » .

(٣) ل : « كوز بن رقبة » . وفى المعارف ١٧٧ من يسمى « كرب بن مصقلة بن رقبة » ، وأنه كان خطيباً ، وله خطبة يقال لها العجوز .

(٤) الشملة ، بالفتح : كساء دون القطيفة يشتمل به .

(٥) سلم بن قتيبة بن مسلم بن عمرو بن حصين الباهلى ، كان أبوه والى خراسان أيام الحجاج . وأما سلم فوليها أيام هشام بن عبد الملك ، وولاه المنصور البصرة ، روى عنه الأصمعى ، وخلاد بن يزيد الأرقط ، وأبو عاصم النبيل وغيرهم . مات سنة ١٥٩ وصلى عليه المهدى . تهذيب التهذيب وجمهرة ابن حزم ٢٤٦ . ماعدا ل ، هـ : « مسلم بن قتيبة » تحريف .

١٧٥

ويزعمون أنّهم لم يَرَوْا محدِّثا قطُّ صاحبَ آثارٍ كان أجودَ حَذْفاً وأحسَن اختصاراً للحديث من سفيانَ بن عُيينة (١) . سألوه مَرَّةً عن قول طاوُسٍ (٢) فى ذكاة الجراد ، فقال : ابنُه عنه (٣) : « ذكاتُه صَيْدُه (٤) » .

★ ★ ★

---

(١) هو أبو محمد سفيان بن عيينة بن أبى عمران الهلالى الكوفى ، وكان محدثا كثير الرواية ثقة . توفى سنة ١٩٧ . تهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة (٢ : ١٣٠) .

(٢) هو طاوس بن كيسان اليمانى الجندى ، وقيل اسمه ذكوان ، وطاوس لقب له ، مولى من أبناء الفرس . روى عن العبادلة الأربعة ، وأبى هريرة وعائشة ، وروى عنه ابنه عبد الملك وعمرو بن دينار وغيرهم . وكان من عباد أهل اليمن وسادات التابعين توفى سنة ١٠٦ . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٢ : ١٦٠) .

(٣) يريد « حدثنى ابن طاوس عن طاوس » وابنه الذى يعنيه هو عبد الله بن طاوس ، روى عن أبيه وعطاء ووهب بن منبه وغيرهم ، وروى عنه ابناه : طاوس ومحمد ، وعمرو بن دينار ، والسفيانان . توفى سنة ١٣٢ . تهذيب التهذيب .

(٤) فيما عدا ل : « أخاه » . والمراد بالذكاة : الذبح ، ومثلها الذكاء والتذكية. فيما عدا ل ، هـ : « زكاة » و « زكاته » بالزاى ، تحريف . والخبر فى عيون الأخبار (٢ : ٢١٠) .

وباب آخر

وكانوا يَمدحون شِدّةَ العَارضة ، وقوةَ المُنَّة ، وظهورَ الحُجَّة ، وثَباتَ الجَنَانِ ، وكثرةَ الرِّيق ، والعلُوَّ على الخَصْم ؛ ويَهْجُون بخلافِ ذلك . قال الشّاعر :

طَباقاء لم يشهد خُصوماً ولم يَعِش   حميداً ولم يشهد حِلَالاً ولا عِطْرَا (١)

وقال أبو زُبَيدٍ الطائىّ :

وخطيب إذا تمعَّرَت الأو   جُهُ يوماً فى مَأقِطٍ مَشهودِ (٢)

طَباقاء ، يقال للبعير إذا لم يُحْسِن الضِّراب : جَملٌ عَياياء ، وجمل طَبَاقاء وهو هاهنا للرَّجُل الذى لا يتَّجِه للحجّة . الحِلَال : الجماعات ؛ ويقال حىٌّ حِلَالٌ اذا كانوا متجاوِرِين مقيمين (٣) . والعِطرُ هُنا : العُرْسُ (٤) . المأقِط : الموضع الضيّق ، والمأقِط : الموضع الذى يُقتَتَل فيه . وقال نافعُ بن خليفةَ الغَنَوىّ :

وخَصْمٍ لَدَى بابِ الأمير كأنهمْ   قُرومٌ فَشَا فِيها الزَّوائرُ والهَدْرُ
دَلَفْتُ لهم دُونَ المُنَى بملمّةٍ   من الدُّر فى أعقاب جَوْهَرِها شَذرُ (٥)
إذا القومُ قالوا أَدْنِ منها وجدتُها   مُطَبَّقَةً يهماءَ ليس لها خَصْرُ

القُرُوم : الجِمَالُ المصاعب .الزوائر : الذين يزئرون (٦) . والهَدْرُ : صوته عند هَيْجه ، ويقال له الهَدِيرُ . دلفت ، أى نهضتُ نهوضاً رُوَيدا. والدَّليف :

---

(١) أنشده فى اللسان (طبق ٨٣) . وقد سبق نظيره فى ١١٠ س ٢ .

(٢) البيت من قصيدة طويلة فى جمهرة أشعار العرب ١٣٨ – ١٤١ . تمعرت بالعين المهملة . تغيرت وعلتها صفرة .

(٣) حلال : جمع حلة ؛ بالكسر ، وهم القوم النزول وفيهم كثرة .

(٤) فيما عدا ل ، هـ : « الحرس » تحريف .

(٥) عنى بالملمة : القصيدة أو الخطبة .

(٦) فيما عدا ل ، هـ : « يزأرون » وكلاهما صواب ، يقال زأر يزأر ويزئر .

المشىُ الرُّوَيْد (١) . قوله أدْنِ منها ، أى قلِّلْها واختصِرْها . وجدتُها مُطَبِّقة ، أى قد طَبَّقتهم بالحُجَّة . واليَهماء : الأرض التى لا يُهتدَى فيها لطِريق . ويهماء هاهنا ، يعنى التى لا يُهتدَى إليها ويضل الخصومُ عِندَها ؛ [والأيهمُ من الرجال : الحائر الذى لا يهتدى لشيء . وأرضٌ يهماء ، إذا لم يكنْ فيها علامة (٢)] .

وقال الأسْلَعُ بن قِصافٍ الطُّهَوِىّ (٣) :

فِداءٌ لقومى كُلُّ معشرٍ جارمٍ   طريدٍ ومَخْذولٍ بما جَرَّ مُسْلَمِ (٤)

همُ أفحَمُوا الخَصْمَ الذى يستقيدُني   وهمْ فَصَموا حِجلى وهم حقَنُوا دمى (٥)

بأيدٍ يُفَرِّجْن المَضِيقَ وألْسُنٍ   سِلاطٍ وجمعٍ ذِى زُهاءٍ عَرَمْرَمِ

إذا شِئْتَ لم تَعْدَمْ لدى الباب منهم   جميلَ المُحَيَّا واضحاً غيرَ تَوأمِ

الزُّهاء : الكَثرة ، هاهنا . والعرمْرَم من العَرامة ، وهى الشَّراسة والشدّة (٦). التَّوْأمان : الأخَوانِ المولودانِ فى بطن .

وقال التميمىُّ فى ذلك :

أما رأيت الألْسُنَ السِّلاطَا   إن النَّدَى حيث ترى الضِّغاطَا (٧)

* والجاهَ والإقدامَ والنَّشاطاَ *

---

(١) بدل هذه العبارة فيما عدا ل : « دلفت : دنوت » .

(٢) هذه مما عدا ل .

(٣) فى الأصل : « الأسلع بن قطاف » . صوابه من المؤتلف ٤٤ ونوادر أبى زيد ١٩٩ . وقصاف ، ككتاب ، من أسمائهم .

(٤) جر ، أى جنى جناية . والمسلَم : الذى أسلمه قومه .

(٥) يستقيده : يطلب القود منه . فصموا : كسروا . فيما عدا ل : « قصموا » بالقاف . وحجلا القيد : حلقتاه .

(٦) فى اللسان : « وجيش عرمرم : كثير ، وقيل هو الكثير من كل شيء . والعرمرم : الشديد » .

(٧) الندى : الكرم . الضغاط ، بالكسر : الزحام ، وهو من القلب ، اراد : إن الزحام حيث ترى الكرم . والبيت رواه الجاحظ فى البخلاء ٢٠٣ والحيوان (٥ : ٤٤٥) .

ذهب فى البيت الأخير إلى قولِ الشاعر (١):

يسقط الطير حيث ينتثر الحـ　　ـبُّ وتُغْشَى مَنازِلُ الكرماءِ

وإلى قول الآخَر :

يرفَضُّ عن بيت الفقير ضُيوفُه　　وترى الغِنَى يَهدِى لك الزُّوَّارَا

وأنشدُوا فى المعنى الأول :

وخطيبِ قومٍ قَدَّمُوه أمامَهمْ　　ثقةً به مُتَخَمِّطٍ تَيّاحِ

جاوبْتُ خُطبتَه فظَلَّ كأنَّه　　لَمَّا خَطبتُ مملَّحٌ بِملَاحِ (٢)

المتخمِّط : المتكبِّر مع غَضَب. والتَّيّاح : المِتْيَحُ الذى يَعرِض فى كلِّ شىءٍ ويدخُل فيما لا يعنيه. وقوله مملَّحٌ بِملاح ، أى متقبِّض كأنه مُلِّح من الملح. وأنشد أيضاً :

أرقتُ لِضَوءِ بَرق فى نَشَاصٍ　　تلألأَ فى مُمَلَّأَة غِصاصِ (٣)

النشاص : السَّحاب الأبيضُ المرتفع بعضه فوقَ بعض ، وليس بمنبسط تلألأ ، التلألؤ : البَرق (٤) فى سُرعةٍ . مملّأة بالماء. غِصَاص : قد غُصَّت بالماء

لواقِحَ دُلَّحٍ بالماءِ سُحْمٍ　　تمجُّ الغَيثَ من خَلَلِ الخَصَاصِ

اللواقح : التى قد لقحتْ من الرِّيح . والدُّلَّح : الدانية الظاهرةُ المثقلة بالماء. سُحم : سود . والخَصاص ، هاهنا : خَلَل السحاب (٥) .

---

(١) هو بشار بن برد . والبيت فى الحيوان (٥ : ٤٤٥) ، وهو من قصيدة يمدح فيها عقبة بن سَلم. وقبل البيت ، كما فى الأغانى (٣ : ٤٣) :

إنما لذة الجواد ابن سلم　　فى عطاء ومركب للقاء

ليس يعطيك للرجاء ولا الخو　　فِ ولكن يلذ طعمَ العطاء

(٢) الملاح ، بالكسر : جمع ملح .

(٣) البيت مع تاليه فى اللسان (نشص) .

(٤) ل : « الظهور للبرق » .

(٥) ورد هذا التفسير فى ل بعد نهاية هذه الأبيات .

سَلِ الخطباءَ هل سَبَحُوا كسَبْحِي　　بحُورَ القَولِ أو غَاصُوا مَغاصِي
لسانى بالنَّثير وبالقوافِـــى　　وبالأسجاع أمهَرُ فى الغِواصِ (١)

[النَّثير : الكلام المنثور . القوافى : خواتم أبيات الشِّعر . الأسجاع : الكلام المزدوج على غير وزن (٢)] .

مِن الحُوت الذى فى لُجِّ بحرٍ　　مُجِيدِ الغَوْص فى لُجَج المَغَاص
لعمرُكَ إنَّنى لأُعِفُّ نفسى　　وأستُر بالتكرُّم من خَصاصى (٣)

وأنشد لرجلٍ من بنى ناشب بن سلامة بن سعد بن مالك بن ثعلبة :

لنا قَمَرُ السَّماءِ وكلُّ نجمٍ　　يُضِيءُ لنا إذا القَمرانِ غارا (٤)
ومَن يَفْخَر بغير ابنَىْ نِزارٍ　　فليس بأوَّل الخطباءِ جارا (٥)

وأنشد للأقرع (٦) :

إنِّى امرؤٌ لا أُقِيلُ الخصْمَ عَثْرَتَهُ　　عندَ الأمير إذا ما خَصمُه ظلعا
يُنِير وَجْهِى إذا جَدَّ الخِصامُ بنا　　ووَجْهُ خَصمِى تراه الدّهرَ مُلْتَمَعا (٧)

وأنشد :

تراه بنصرى فى الحفيظة واثقاً　　وإنْ صَدَّ عنى العينُ منه وحاجبُه (٨)
وإن خَطَرتْ أيدى الكُماة وجدتَنِى　　نَصُوراً إذا ما استيبَسَ الرِّيقَ عاصبُه

(١) لم أجد هذا المصدر ، وفيه شذوذ تصريفى . وقد ذكر فى القاموس : « الغياص » .

(٢) هذا التفسير مما عدا ل .

(٣) الخصاص هنا بمعنى الفقر وسوء الحالة والحاجة .

(٤) القمران : الشمس والقمر ، على التغليب .

(٥) ابنا نزار : ربيعة ومضر . فيما عدا ل : « أبى نزار » . جار : ظلم

(٦) الأقرع القشيرى ، وهو الأشيم بن معاذ بن سنان ، وقيل هو معاذ بن كليب بن حزن . كان يناقض جعفر بن علبة الحارثى اللص ، وكان فى أيام هشام بن عبد الملك . المرزبانى ٣٨ .

(٧) التمع لونه ، بالبناء للمفعول : ذهب وتغير . وفى هامش ل : « خ : منتقعا » يقال انتقع لونه بالبناء للمفعول : تغير .

(٨) البيتان لأشرس بن بشامة الحنظلى . انظر نوادر أبى زيد ٢٠ واللسان (عصب ٩٨) .

عاصبه : يابسه ، يعتصم به (١) حتَّى يُتِمّ كلامَه . الكماةُ : جمع كميّ ؛ والكميّ الرجل المتكمِّي بالسلاح ، يعني المتكفِّر به المتستِّر . ويقال كَمَى الرّجلُ ١١ شهادتَه يكْمِيها ، إذا كتَمَها وسترها . وقال ابنُ أحْمَرَ وذَكر الريقَ والاعتصامَ به :

هذا الثَّناءُ وأجدِرْ أن أُصاحِبه ... وقد يُدَوِّم ريقَ الطّامع الأملُ (٢)

وقال الزُّبير بن العوّام ، وهو يُرقِّص عروةَ ابنَه :

أبيضُ مِن آل أبى عَتِيقِ ... مباركٌ من وَلَدِ الصِّدّيقِ

* أَلَذُّه كما أَلَذُّ ريقى *

وقالت امرأة من بنى أسد (٣) :

أَلَا بَكَر النَّاعِى بخَيْرِ بنى أَسَدْ ... بعمرو بنِ مسعودٍ وبالسَّيِّدِ الصَّمَد (٤)

فمن كانَ يَعْيَا بالجوابِ فإنّه ... أبو معقِلٍ لا حَجْرَ عنه ولا صدَدْ

أثـارُوا بصَحـراء الثَّويّـة قَبــرَه ... وما كنتُ أخْشَى أن تَناءَى به البلَدْ

[تَناءَى : تبعُد (٥)] . والثَّويّةُ : موضعٌ بناحية الكوفة (٦) . ومن قال الثُّوَيَّة فهى تصغير الثَّوِيَّة .

وقال أوسُ بن حَجَرٍ فى فَضَالَة بن كَلَدَة :

أبـا دُلَيجَـة مَنْ يُوصَى بأرمَلَـــةٍ ... أم مَنْ لأَشعثَ ذِى طِمرَيْنِ طِمْلالِ (٧)

أمْ مَن يكون خَطيبَ القومِ إن حَفَلوا ... لَدَى المُلوك أُولى كَيدٍ وأقوالِ (٨)

---

(١) ل : « طالبه ليعتصب به » تحريف .

(٢) انظر الحيوان (١ : ٣٢١ / ٣ : ٤٧) .

(٣) هى هند بنت معبد بن نضلة ، ترثى عمرو بن مسعود وخالد بن نضلة . معجم البكرى ٩٩٦ .

(٤) رواه فى المخصص (١٧ : ١٥٢) : « بخيرى بنى أسد » . وفى (١٢ : ٣٠١) ذكر أن هذه الرواية الأخيرة هى رواية أبى عمرو . وهى رواية اللسان (صمد) . وانظر شروح سقط الزند ١٧١٦ .

(٥) هذه مما عدا ل .

(٦) فيما عدا ل : « موضع يقال له صحراء الثوية » .

(٧) ديوان أوس بن حجر ٢٣ . وفى ل : « من توصى » . وفيما عدا ل : « ذى هدمين » .

(٨) هذا البيت لم يرو فى الديوان .

و « هدمين [١] » ، وهما ثوبان خَلَقان [٢] . يقال ثوبٌ أهدامٌ ، إذا كان خَلَقاً . والطِّمْلَالُ : الفقير . وقال أيضاً فيه [٣] :

أَلْهفى عَلَى حُسْنِ آلائِهِ ... على الجابِرِ الحيِّ والحاربِ [٤]
ورِقْبَتِهِ حَتَماتِ الملو ... كِ بينَ السُّرادِقِ والحاجبِ [٥]
ويَكفِي المقالَةَ أهْلَ الدِّحا ... لِ غيرَ مَعيبٍ ولا عائبِ [٦]

رِقبته ، أى انتظاره إذنَ الملوك . وجعَله بين السُّرادِق والحاجب لِيدُلَّ على مكانته من الملوك [٧] . وأنشد أيضاً :

وخَصم غضَابٍ يُنْغِضُون رءوسَهمْ ... أولِى قَدَمٍ فى الشَّغْبِ صُهبٍ سِبالُها [٨]
١١ ضَرَبْتُ لهم إبْطَ الشِّمال فأصْبَحت ... يُرُدُّ غواةَ آخَرِين نَكالها

إبط الشمال ، يعنى الفؤاد ؛ لأنّه لا يكون إلا فى تلك الناحية [٩] . وقال شُتَيم بن خُوَيلِدٍ [١٠] :

وقلتُ لسَيِّدِنا يا حليـ ... ـمُ إنّك لم تَأْسُ أَسْواً رفيقا [١١]

---

(١) أى ويروى : « ذى هدمين » .
(٢) فيما عدا ل : « هدمين : ثوبين خلقين » .
(٣) فيما عدا ل : « وقال أيضا فى فضالة بن كلدة » .
(٤) وهذه الأبيات الثلاثة لم ترو فى ديوان أوس . الحارب : المحارب ، أو الذى يحرب للغير ماله ، يسلبه .
(٥) الحتمات ، لم أجدها إلا هنا ، فإن صحت كانت جمع حتمة ، مرة من الحتم بمعنى القضاء وإيجابه . ثم وجدت فى حواشى هـ : « حتمات الملوك : أقضيتهم التى لا ترد . والحاتم : القاضى » .
(٦) الدحال : المراوغة والمخادعة . فيما عدا ل : « أهل الرحال » .
(٧) هـ : « من الملك » .
(٨) يقال نغض رأسه ينغضه ، وأنغضه ينغضه : حركه . والصهب السبال ، كناية عن الأعداء . وصهبة السبال من خواص الروم . والصهبة : الشقرة والحمرة .
(٩) فيما عدا ل : « لأنه يكون فى تلك الناحية » .
(١٠) هو شتيم بن خويلد ، أحد بنى غراب بن فزارة ، شاعر جاهلى ، وهو بهيئة التصغير ، كما فى الخزانة (٤ : ١٦٤) .
(١١) الأبيات فى الحيوان (٣ : ٨٢ / ٥ : ٥١٧) ومعجم المرزبانى ٣٩٢ . والأول منها فى الأضداد لابن الأنبارى ٢٢٥ والأخير فى المخصص (٢ : ٨٩) والميدانى (١ : ٥٧) والإنصاف ١٨٧ ، والخزانة (٢ : ٣٥٨) واللسان (١١ : ٣٨٢) .

أعنتَ عدِياً على شأوِها   تُعادِى فريقاً وتُبقى فَرِيقا
زحَرْتَ بها ليلةً كُلَّها   فجئتَ بها مُؤْيِداً خَنْفقيقا

تأسُو : تُدَاوِى ، أَسْواً وأَسًى ، مصدران . والآسِى : الطّبيب . ومُؤيِد : داهية . خَنْفَقِيق : داهيةٌ أيضاً . الشّأو : الغَلْوَة لركض الفرَس .

وأنشد لآدَمَ مَولَى بَلْعَنبر ، يقولها لابنه (١) :

يا بأبى أنتَ ويافوقَ البِـئَبْ (٢)   يا بأبى خُصيَيْكَ من خُصْىٍ وزُبّ (٣)
أنت الحبيب وكذا قول المحبّ (٤)   جَنَّبَكَ اللهُ مَعاريضَ الوصَبْ
حتى تُفِيدَ وتُداوِى ذَا الجرَبْ (٥)   وذا الجُنونِ من سُعالٍ وكَلَبْ
والحُدْبَ حتَّى يستقيم ذو الحَدَبْ   وتحمِلَ الشّاعِرَ فى اليوم العَصِبْ
عَلَى مَباهِيرَ كثيراتِ التّعَبْ (٦)   وإن أراد جَدِلٌ صَعْبٌ أَرِبْ
خُصُومةً تثقب أوساطَ الرُّكَبْ (٧)   أَضْلَعْتَهُ من رَتَبٍ إلى رَتَبْ
حتّى تَرَى الأبصارَ أمثالَ الشُّهُبْ   يُرْمَى بها أَشْوسُ ملحاحٌ كَلِبْ
* مجرَّبُ الشّدّاتِ ميمونٌ مِذَبّ (٨) *

الوَصَبُ : المرض . والعَصِب : الشّديد . يقال يَوْمٌ عَصِبٌ وعصيبٌ وعَصَبْصَبٌ ، إذا كان شديداً . مَباهير : مَتاعيب قد علاهم البُهْر . أَرِبٌ ، يقال رَجلٌ أريب

(١) الرجز التالى أنشده ابن منظور فى اللسان (١٨ : ١٠ – ١١) وذكر روايته عن الجاحظ فى البيان والتبيين .

(٢) أى فوق قولك : « بأبى أنت » . ويروى : البيب » بالتسهيل .

(٣) فيما عدا ل ، هـ : « خصييك » . وفى اللسان : « خصياك » .

(٤) فى اللسان : «فعل المحب» .

(٥) فى حواشى هـ : « تفيد مالا » عن نسخة .

(٦) كذا جاءت الرواية ، وتفسيرها فيما بعد يقيدها . لكن فى اللسان : « على نهابير » والنهابير : الأمور الشداد الصعبة ، واحدتها نهبورة .

(٧) فيما عدا ل ، هـ : « خصومة تنقب » . والبيت لم يرو فى اللسان .

(٨) فى اللسان : « مجرب الشكات » .

١١١ وأرِبٌ ، وله إرْبٌ ، إذا كان عاقلاً أديباً حازما . أظلعتهُ [1] يقال ظَلَع الرّجلُ ، إذا خَمَع فى مَشْيِه . الرَّتَبَة : واحدة الرَّتَب والرَّتَبات ، وهى الدَّرَج . أى تُخْرجه مِن شيءٍ إلى شئ . والأشوس : الذى ينظر بمؤخِرِ عينه . مِلحاح : مُلِحٌّ ، من الإلحاح على الشّئ . كَلِبٌ ، أى الذى قد كَلِبَ . مِذَبٌّ : أى يذبُّ عن حريمه وعن نفسه .

وقالت ابنةُ وَثيمةَ ، ترثِى أباها وَثيمةَ بن عثمان :

الـواهـب المالَ التِّــلَا … دَ ندًى ويكفينا العَظيمَهْ [2]
ويكـون مِدْرَهَنــا إذا … نَزَلَتْ مجلِّحَةٌ عَظيمـهْ
واحْمَـرَّ آفـاق السمّـا … ء ولم تقَعْ فى الأرض دِيمه
وتَعـــذَّر الآكالُ حـ … ـتَّى كانَ أَحْمَدَها الهَشِيمَهْ
لا ثَلّـةٌ تَرْعَـى ولا … إبلٌ ولا بقَرٌ مُسِيمَهْ
ألفيتَـــــه مَأوى الأرا … مِل والمدَفّعـةِ اليتيمـهْ
والدافِـعَ الـــخَصْمَ الألـ … ـدَّ إذا تُفُوضِحَ فى الخُصُومهْ
بلسانِ لُقمانَ بن عا … دَ وفصل خُطْبته الحكيمهْ
ألجمتَهُـمْ بعـد التـدا … فُع والتجاذُب فى الحُكومَهْ

التِّلادُ [3] : القديم من المال . والطارف : المستفاد . والمِدْرَه : لسان القوم المتكلِّم عنهم . مجلِّحةٌ ، أى داهية مصمِّمة . احمرَّ آفاقُ السّماء ، أى اشتدّ البرد وقَلّ المطرُ وكثُر القَحْط . ودِيمةٌ : واحدةُ الدِّيَم ، وهى الأمطار الدائمة مع سكون.تعذّر : تمنَّع . الآكال : جمع أُكْل ، وهو مايؤكل . والهَشِيمَةُ : ما تَهشّم

---

(١) كذا جاءت بالظاء المعجمة فى التفسير والشعر قبله . ورواية اللسان : « أطلعته » .

(٢) فيما عدا ل : « لنا ويكفينا » .

(٣) وقع التفسير التالى فيما عدا ل ، هـ متخللا للأبيات .

من الشَّجَر ، أى وقع وتكسَّر (١) . الثلّة : الضأن الكثيرة ، ولا يقال للمِعزى ثَلّة ، ولكن حَيْلةٌ (٢) ، فإذا اجتمعت الضأْن والمِعزى قيل لهما:ثَلّة . مُسِيمةٌ ، أى صارت فى السَّوْمِ ودخلت فيه ، والسَّوْمُ : الرعى . وسامَت تسوم ، أى رعت تَرْعَى . ومنه قول الله:﴿ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ (٣) ﴾ .

وكانت العربُ تُعظِّم شأْنَ لُقمانَ بنِ عادٍ الأكبرِ والأصغرِ لُقَيم بنِ لُقمان (٤) فى النَّباهة والقَدْر ، وفى العلم والحُكْم ، وفى اللّسان والحِلْم . ١١٤ وهذان غيرُ لقمانَ الحكيمِ المذكور فى القرآن (٤) على ما يقوله المفسِّرون . ولارتفاع قَدْره وعِظَم شأنِه ، قال النَّمر بنُ تَولَب :

لُقَيمُ بنُ لُقْمانَ من أُخته ... فكان ابنَ أختٍ له وابنَما (٥)
ليالِىَ حمِّقَ فاستَحصنَتْ ... عليه فغُرَّ بها مُظلِما (٦)
فَغُرَّ بها رَجُلٌ مُحْكِمٌ ... فجاءت به رجُلاً مُحْكِما (٧)

وذلك أنّ أُختَ لقمان قالت لامرأةِ لقمان : إنّى امرأةٌ مُحْمِقَةٌ ، ولقمانُ رجُلٌ مُحْكِمٌ مُنْجِبٌ ، وأنا فى ليلة طُهْرى ، فَهَبى لى ليلتَك . ففعلَتْ فباتت

---

(١) فيما عدا ل : « ما يهشَم من الشجر ، أى يكسر » .

(٢) الحيلة ، بفتح الحاء وسكون الياء المثناة التحتية .

(٣) بدل هذه العبارة الطويلة فيما عدا ل : « الثلة : ما بين الست إلى العشر من الغنم . مسيمة : راعية » .

(٤) فى الأصول : « ولقيم بن لقمان » وقد محيت الواو فى ب فقط . ولقمان بن عاد ، هذا هو المعمر صاحب حديث النسور . انظر أخبار عبيد بن شرية ٣٥٦ – ٣٦٧ . ٢٠ والتيجان ٧٥ – ٧٨ والمعمرين ٣ – ٤ وثمار القلوب ٣٧٦ – ٣٧٧ والميدانى (١ : ٣٩٣ – ٣٩٤) .

(٥) لقمان الحكيم المذكور فى القرآن ، قيل كان عبداً حبشياً لرجل من بنى إسرائيل فأعتقه وأعطاه مالا ، وكان فى زمن داود . وقيل كان حرا وكان اسمه لقمان بن باعورا ، وقيل هو ابن أخت أيوب أو ابن خالته . انظر المعارف ٢٥ وتفسير أبى حيان (٨ : ١٨٦) .

(٦) وكذا فى الحيوان . وفى الأمثال : « ليالى حمق فما استحقبت » .

(٧) الحيوان وحواشى هـ : « فأحبلها رجل محكم » وفى الأمثال : « فأحبلها رجل نابه » .

فى بيت امرأةِ لقمان ، فوقع عليها فأحبلَها بلُقَيمٍ ، فلذلك قال النّمر بن تولب ما قال .

والمرأة إذا ولدت الحَمْقَى فهى مُحْمِقَةٌ ، ولا يعلم ذلك حتى يَرَى ولَدُ زَوجِها من غيرها أكياساً .

وقالت امرأةٌ ذاتُ بنات :

وما أبالِى أنْ أكونَ مُحمِقَه ‏ ‏ ‏ إذا رأيتُ خُصْيَةً مُعلَّقَه (١)

وقال آخر :

أزْرَى بسَعْيك أنْ كنتَ امرأً حَمِقاً ‏ ‏ ‏ مِن نسل ضاوِيَةِ الأَعراق مِحماقِ

ضاوية الأعراق ، أى ضعيفة الأعراق نحيفتُها . يقال رجلٌ ضاوٍ ، وفيه ضاويّةٌ ، إذا كان نحيفاً قليلَ الجسم . وجاء فى الحديث : « اغتربُوا لا تُضْوُوا » . أى لا يتزوَّجِ الرَّجلِ القرابَة القريبة ، فيجيءَ ولدُه ضاويا . والفعل منه ضَوِىَ يَضْوَى ضَوًى . والأعراقُ : الأصول . والمحماقُ : التى عادتها أن تلد الحَمْقَى .

ولبُغْضِهم البناتِ قالت إحدى القوابل :

أيا سَحَابُ طَرِّقى بخيْرِ (٢) ‏ ‏ ‏ وطَرِّقِى بخُصْيـةٍ وأيْـرِ

* ولا تُرِيناَ طَرَفَ البُظَيْرِ *

وقال الآخر (٣) فى إنجاب الأمهَّات ، وهو يخاطب بنى إخوته : ١١

عفاريتاً عَلَىّ وأخْذَ مالى ‏ ‏ ‏ وعَجزاً عَن أُناسٍ آخرينا (٤)

---

(١) الرجز فى المخصص (١٦ : ١٢٩) .

(٢) طرقت المرأة : نشب ولدها ولم يسهل خروجه ، يقال طرقت ثم خلصت . والرجز وقصته فى الحيوان (٥ : ٥٨١) . وانظر شرح المرزوقى للحماسة ١٨٥١ .

(٣) هو رافع بن هريم . شاعر قديم أدرك الإسلام وأسلم . انظر الخزانة (١ : ٢٧٧) . والأبيات الأربعة الأولى منسوبة فى اللسان (كيس) إليه . وأما البيت الأخير فقد نسب فى نوادر أبى زيد ١١١ ، ١٩١ واللسان (أخا) إلى عقيل بن علفة .

(٤) فيما عدا ل : « وحلما عن أناس » . وفى اللسان : « وجبنا عن رجال » .

فهلّا غيْرَ عَمِّكُم ظَلَمتُمْ   إذا ماكنتمُ متظلّمِينـــا
فلو كُنْتُمْ لكَيِّسةٍ أكاسَتْ   وكَيْس الأُمِّ أكْيَسُ للبَنِينا (١)
ولكن أُمُّكم حَمُقَتْ فجئتم   غِثاثاً ما نَرَى فيكمْ سَمِينا (٢)
وكان لنا فَزَارةُ عَمَّ سَوءٍ   وكنتُ له كشَرِّ بنى الأَخِينا (٣)

ولبُغْضِ البناتِ هجَرَ أبو حمزةَ الضبىُّ خَيْمةَ امرأتِه ، وكان يَقِيلُ ويَبيتُ عند جيرانٍ له ، حينَ ولدت امرأتُه بنتاً ، فمرّ يوماً بخبائها وإذا هى ترقّصُها وتقول :

ما لأبى حمزةَ لا يأتِينا   يظلُّ فى البيت الذى يَلِينا
غَضْبانَ ألّا نلد البَنينا   تاللهِ ما ذلك فى أيدينا
وإنّما نأخُذُ ما أُعطِينا   ونحن كالأرض لزراعينـا
* نُنبتُ ما قد زرَعُوه فينا (٤) *

قال : فغدَا الشّيخُ حتّى ولَجَ البيتَ فقبَّلَ رأسَ امرأتِه وابنتها .

وهذا الباب يقع فى كتاب الإنسان (٥) ، وفى فصْل ما بين الذَّكَر والأنثى ، تامًّا ، وليس هذا البابُ مما يدخل فى باب البيان والتَّبْيين (٦) ، ولكن قد يَجرِى السَّببُ فيُجرَى معه بقَدْرِ ما يكونُ تنشيطاً لقارىء الكتاب ، لأنّ خروجَه من الباب إذا طال لبعض العلم (٧) كان ذلك (٨) أرْوَحَ على قلبه ، وأزيَدَ فى نشاطِه إن شاء الله .

---

(١) فى الخزانة : « كيس للبنينا » . وفى اللسان : « يعرف فى البنينا » .

(٢) هذا البيت ساقط مما عدا ل . وقد روى فى الخزانة عن البغدادى .

(٣) يستشهد به على أن « أخا » يجمع على « أخين » جمع مذكر سالما . ورواية اللسان :

وكان بنو فزارة شر قوم   وكنت لهم كشر بنى الأخينا

(٤) البيت الرابع والسابع ليس فى ل ، هـ .

(٥) فيما عدا ل : « فى كتاب الإنسان من كتاب الحيوان » .

(٦) ل ، هـ : « التبين » مع ضبطه بتشديد الياء المضمومة .

(٧) فى ل : « لبعض الكلام العلم » .

(٨) كان ذلك ، ساقط من ل .

وقد قال الأول [١] فى تعظيم شأن لُقَيم بن لقمان :

قومى اصبَحينى فما صِيغَ الفتى حجراً   لكنْ رَهينَةَ أحجارٍ وأرمَاسِ
قومى اصبَحِينى فإنّ الدهرَ ذو غِيَرٍ   أفنى لُقَيماً وأفنى آل هِرماسِ [٢]
اليومَ خَمرٌ ويَبدُو فى غدٍ خَبرٌ   والدّهرُ مِن بين إنعامٍ وإبْآسِ
١١٢ فاشرَبْ على حَدَثان الدّهرِ مرتفِعاً   لا يصحَبُ الهَمُّ قَرعَ السِّنّ بالكاسِ

وقال أبو الطَّمَحان [٣] القينىّ فى ذكر لُقمان :

إنّ الزمانَ ولا تفنى عجائبُه   فيه تَقَطُّع أُلاَفٍ وأَقرانِ
أمْسَتْ بنو القَين أفراقاً موزَّعةً   كأنّهمْ من بقايا حيٍّ لقمانِ [٤]

وقد ذكرت العربُ هذه الأممَ البائدة ، والقرونَ السالفة . ولبعضهم بقايا قليلةٌ ، وهم أشلاءٌ فى العرب متفرّقون مغمورون ، مثل جُرهُم ، وجاسم ، ووَبار وعِملاق ، وأُميم ، وطَسْم وجَديس ، ولُقمان والهِرماس ، وبنى الناصور ، وقيل بن عترٍ [٥] ، وذى جَدَن . وقد يقال فى بنى الناصور إن أصلهم من الرُّوم ، فأمّا ثَمُود فقد خبَّر الله عزّ وجلّ عنهم فقال : ﴿ وثَموداً فَمَا أَبْقَى [٦] ﴾ ، وقال : ﴿ فَهَلْ

---

(١) فى حواشى هـ عن الخشنى : « ذكر الحاتمى أنه لبشار » .

(٢) الهرماس ، بالكسر : نهر نصيبين ، مخرجه من عين بينها وبين نصيبين ستة فراسخ ، مسدودة بالحجارة والرصاص ، بنتها الروم لئلا تغرق هذه المدينة . وبعد هذا البيت فيما عدا ل هذا التفسير : « اصبحينى ، الصبوح : شرب الغداة . والغبوق : شرب العشى . الرمس : القبر ؛ ويقال رمست الميت وأرمسته ، إذا دفنته » .

(٣) أبو الطمحان ، بفتح الطاء والميم : هو حنظلة بن الشرق ، أحد المعمرين ، كان فى الجاهلية نديما للزبير بن عبد المطلب ، وأدرك الإسلام وأسلم . الإصابة ٢٠٠٧ والخزانة (٣ : ٤٢٦) والمعمرين ٥٧ والمؤتلف ١٤٩ .

(٤) بنو القين بن جسر ، قبيل أبى الطمحان . والأفراق : جمع فرق ، بالكسر ، وهو القسم من الأقسام . وفى الكتاب : (فكان كل فرق كالطرد العظيم) .

(٥) فيما عدا ل ، هـ : « وعتر » .

(٦) فيما عدا ل ، هـ : « ثمودَ » بدون تنوين فى هذا الموضع والموضعين بعده ، وهى قراءة عاصم وحمزة ويعقوب . وقرأ باق القراء : « وثمودا » بالتنوين ، كما أثبت من ل ، هـ . انظر إتحاف فضلاء البشر ٤٠٤ وتفسير أبى حيان (٨ : ١٦٩) . فمن صرفه ذهب به إلى الحىّ ، ومن لم يصرفه ذهب به إلى القبيلة . اللسان .

تَرَى لَهُمْ من باقِيَة ﴾ . فأنا أعجَب مِن مسلمٍ يصدِّق بالقرآن ، يزعمُ أنّ قبائل العرب مِن بقايا ثمود .

وكان أبو عبيدة يتأوّل قولَه : ﴿ وثموداً فَمَا أبقَى ﴾ ، أنّ ذلك إنّما وقع على الأكثر ، وعلى الجمهور الأكبر . وهذا التأويل أخرجَهُ من أبى عبيدةَ سوءُ الرأيِ فى القوم ، وليس له أن يجيء إلى خبرٍ عامٍّ مرسَلٍ غير مقيّد ، وخبرٍ مطلَق غير مستثنىً منه ، فيجعَلَه خاصاً كالمستثنى منه . وأىُّ شيءٍ بقى لطاعنٍ أو متأوِّل بعد قوله : ﴿ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ باقِيَة ﴾ . فكيف يقولُ ذلك إذا كنّا نحنُ قد نرى منهم فى كل حيٍّ باقية ، مَعاذَ اللهِ من ذلك .

وروَوْا أنّ الحجّاجَ قال على المنبر يوماً : تزعُمون أنّا من بقايا ثمود ، وقد قال الله عزّ وجلّ : ﴿ وثَمُوداً فماَ أَبْقَى ﴾ .

فأما الأممُ البائدة من العجم ، مثل كَنعان ويُونانَ وأشباهِ ذلك ، فكثير ، ولكن العجمَ ليس لها عنايةٌ بحفظ [شأن [1]] الأموات ولا الأحياء .

وقال المسيَّب بن عَلَس [2] ، فى ذكر لقمان :

وإليكَ أَعْمَلْتُ المطيَّة مِنْ   سَهلِ العِراق وأنتَ بالفقر [3]
أنتَ الرَّئيسُ إذا هُمُ نزلُوا   وتواجَهُوا كالأُسْدُ والنُّمْرِ ١٧
لو كنتَ من شيءٍ سوى بَشَرٍ   كنتَ المنوِّر ليلةَ البدرِ

---

(١) هذه مما عدا ل .

(٢) المسيب ، بفتح الياء المشددة . وعلس ، بالتحريك . والمسيب لقب لقب به ببيت قاله :

فإن سركم ألا تؤوب لقاحكم   غزاراً فقولوا للمسيب يا الحق

واسمه زهير بن علس . وهو خال أعشى قيس ، وكان الأعشى راويته ، وكان يطرى شعره ويأخذ منه ، وهو جاهلى لم يدرك الإسلام . انظر الخزانة (١ : ٥٤٥ – ٥٤٦) والاشتقاق ١٩٢ والموشح ٥١ .

(٣) الأبيات تنسب إلى الأعشى ، وإلى المسيب بن علس . ديوان الأعشى ٣٥١ . والثالث والخامس ينسبان إلى زهير . ديوانه ٨٩ ، ٩٥ . وانظر تعليقات الميمنى على الخزانة (٣ : ٢١٦) السلفية . وفى حواشي هـ : « كذا وقع فى النسخ . وفى الجمهرة : القفر : اسم موضع . وأنشد هذا : ◦ سفل العراق وأنت بالقفر ◦ » .

ولأنتَ أجْوَدُ بالعطاء من الـ ـريَّانِ لما جادَ بالقَطْرِ (١)
ولأنت أشجَعُ من أسامةَ إذْ نَقَعَ الصُّرَاخُ ولُجَّ فى الذُّعْرِ (٢)
ولأنت أبيَنُ حِين تنطق من لقمـان لما عُىَّ بالأمـرِ

وقال لبيدُ بن ربيعةَ الجعفرىّ :

وأخْلَفَ قُسًّا ليتَنِى ولو أنَّنِى وأعْيَا على لُقمانَ حُكْم التدبُّرِ (٣)
فإن تسألينا كيفَ نَحْنُ فإنَّنا عَصافِيرُ من هذا الأنام المسحَّرِ (٤)

السَّحْر : الرِّئة (٥) . والمسحَّرُ : المعلّل بالطعام والشّراب . [والمسحَّر : المخدوع (٦)] ، كما قال امرؤ القيس :

أرانا مُوضِعِينَ لأمْرِ غَيبٍ ونُسحَرُ بالطَّعامِ وبـالشّرَاب (٧)

[أى نُعلَّل . فكأنَّا نخدع ونسحر بالطعام والشّراب (٨)] .

وقال الفرزدق :

---

(١) الريان ، عنى به السحاب الممتلئ . حـ فقط : « الرباب » .

(٢) نقع الصراخ : ارتفع . قال لبيد :

فمتى ينقع صراخ صادق يحلبوها ذات جرس وزجل

(٣) البيتان فى ديوان لبيد طبع ١٨٨٠ . قس ، هو ابن ساعدة الإيادى . أى أخلف قسا ما تمناه بقوله ليتنى ، ولو أننى . لم يظفر بما تمنى . وأما لقمان فلم تغن عنه حكمته وتدبره شيئا . ويروى : « وأخلفن قسا » بعود الضمير على « بنات الدهر » فى بيت سابق . وهو :

وأفنى بنات الدهر أربابَ ناعط بمستمع دون السماء ومنظر

(٤) عصافير ، أى صغار ضعاف مثلها . انظر الحيوان (٥ : ٢٢٩ / ٧ : ٦٣) . وقد نسب هذا البيت فى أمالى المرتضى (٣ : ٣٧) إلى أمية بن أبى الصلت .

(٥) فى الحيوان عند إنشاد البيت : « وقال قوم : المسحر يعنى كل ذى سحر ، يذهب إلى الرئة » .

(٦) هذه مما عدا ل .

(٧) البيت فى ديوان امرئ القيس ١٣٢ واللسان (٦ : ١٢) . الإيضاع : ضرب من السير السريع . وفى الديوان : « لحتم غيب » .

(٨) هذه مما عدا ل . وقد فسر السحر فى البيت بأنه الغذاء ، كما فى اللسان وشرح الديوان .

لئنْ حَوْمَتِى هابَتْ معدٌّ حِياضها　　　لقد كان لقمان بنُ عادٍ يهابُها (١)

وقال الآخَر (٢) :

إذا ما مات مَيتٌ من تميمٍ　　　فسرَّك أن يَعيش فجِئ بزادِ
بخبز أو بلحمٍ أو بتمرٍ　　　أو الشَّىء الملفَّف فى البِجادِ (٣)
تراه يطوِّف الآفاقَ حرصاً　　　ليأكلَ رأس لقمانَ بنِ عادِ (٤)

وقال أُفنون التَّغلبى :

لو أننى كنتُ من عادٍ ومن إرَمٍ　　　رَبيتُ فيهِمْ ولُقْمانٍ وذِى جدَنِ (٥)

وقال الآخر (٦) :

ما لذّة العيش والفَتَى للـ　　　ـدَّهرِ والدهرُ ذو فنونِ
أهلَكَ طسْما وقَبل طسمٍ　　　أهلك عاداً وذا جُدُونِ ١٨
وأهل جاسٍ ومأربٍ بعـ　　　ـد حَىِّ لُقْمانَ والتُّقُونِ (٧)

---

(١) وكذا جاءت الرواية فى الديوان ٦٩ . وفيما عدا ل : « صانت معد » .

(٢) وهو يزيد بن الصعق الكلابى كما فى معجم المرزبانى ٤٩٤ وكنايات الجرجانى ٧٣ والاقتضاب ٣٨٨ . أو أبو مهوش الفقعسى ، كما فى حواشى الكامل ٩٨ ليبسك.وللأبيات خبر فيما عدا الأول ، وكذا فى العقد (٢ : ٤٦٢ تأليف) وأخبار الظراف ٢٤ .

(٣) الشئ الملفف فى البجاد ، هو وطب اللبن ، يلف فيه ليحمَى ويدرك . والبجاد ، بالكسر : الكساء . انظر اللسان والمقاييس (بجد) والحيوان (٣ : ٦٧) .

(٤) فى ثمار القلوب للثعالى ٢٥٧ : « العرب كما تصف لقمان بن عاد بالقوة وطول العمر ، كذلك تصف رأسه بالعظم وتضرب به المثل » . وأنشد البيت . ومثل هذا الكلام لابن السيد فى الاقتضاب ٤٩ . وزاد : « كما يقال لمن يزهى بما فعل ، ويفخر بما أدركه:كأنه قد جاء برأس خاقان » .

(٥) سبق البيت فى أبيات ص ٩ .

(٦) هو سليمان بن ربيعة بن دباب بن عامر بن ثعلبة ، كما فى اللسان (تقن) . وفى الحماسة (٢ : ١٢) ومعجم ما استعجم (١ : ٣٥٨) أنه « سلمى بن ربيعة » . مختلف فى اسمه يقال « سلمان » و « سلمى » بفتح السين والميم ، و « سلمى » بضم السين وسكون اللام ، كالمنسوب .

(٧) جاس ، وردت بالسين المهملة فى ل ، هـ والتيمورية.وهو موضع ذكره ياقوت،لكن فى معجم ما استعجم : « جاش » ، قال : « باليمن تلقاء مأرب » . وأنشد البيت =

واليُسر للعُسرِ ، والتغنِّى للفقْرِ ، والحىُّ للمنونِ (١)

* * *

قال : وهم وإن كانوا يحبُّون البيان والطَّلاقة ، والتَّحبير والبلاغة ، والتخلُّص والرَّشاقة ، فإنّهم كانوا يكرهون السَّلاطة والهذَر ، والتكلُّف ، والإسهاب والإكثار ؛ لما فى ذلك من التزيُّد والمباهاة ، واتباع الهوى ، والمنافسة فى الغلوّ (٢) . وكانوا يكرهون الفُضولَ فى البلاغة ، لأنّ ذلك يدعُو إلى السَّلاطة ، والسَّلاطة تدعو إلى البَذاء (٣) . وكلُّ مِرَاءٍ فى الأرض فإنّما هو من نِتاج الفُضول .

ومَن حَصَّل كلامه وميَّزه ، وحاسب نفسَه ، وخاف الإثم والذمّ ، أشفق من الضراوة وسوء العادة ، وخاف ثمرةَ العُجْبِ وهُجنْة النفج (٤) ، وما فى حبِّ السُّمعة من الفِتنة ، وما فى الرِّياء من مجانبة الإخلاص .

ولقد دعا عُبادةُ بنُ الصَّامتِ (٥) بالطعام ، بكلامٍ تَرَك فيه المحاسنة (٦) ، فقال شدَّاد بن أوس (٧) : إنّه قد ترك فيه المحاسنة (٨)، فاسترجعَ ثم قال : « ما تكلّمتُ

= وأهل جاش وأهل مأرب وحى لقمان والتقون

وكذا أنشده أبو تمام « جاش » بدون همز . وروى فى اللسان (جأش) قول السليك :

أمعتقلى ريب المنون ولم أرع عصافير واد بين جأش ومأرب

وفى سائر النسخ : « جاسم » . وأما التقون ، بضم التاء ، فهم بنو تقن بن عاد ، بكسر التاء ، منهم عمرو بن تقن ، وكعب بن تقن . وبه يضرب المثل : « أرمى من ابن تقن » .هـ : « ومأرب وحى لقمان » .

(١) التغنى : الغنى ، كالتغانى والاغتناء . الحماسة واللسان : « والغنى كالعدم » .

(٢) فيما عدا ل : « فى العلو والقدر ».

(٣) ل : « البلاء » .

(٤) النفج : أن يفخر بما ليس عنده . فيما عدا ل ، هـ : « القبح » تحريف .

(٥) أبو الوليد عبادة بن الصامت بن قيس الأنصارى الخزرجى ، شهد بدرا ، وكان أحد النقباء بالعقبة ، كان قوياً فى دين الله ، قائما بالأمر بالمعروف . توفى بالرملة سنة ٣٤ . الإصابة ٤٤٨٨ وتهذيب التهذيب .

(٦) فيما عدا ل : « ظن أن ترك فيه المحاسبة » وفيه إقحام وتحريف .

(٧) فى الأصول : « أوس بن شداد » تحريف ، وفى حواشى هـ للخشنى : « صوابه شداد بن أوس » . وهو شداد بن أوس بن ثابت الخزرجى ، ابن أخى حسان . وفيه يقول عبادة بن الصامت : « شداد بن أوس من الذين أوتوا العلم والحلم ». الإصابة ٢٨٤٢. وقد روى الجاحظ خطبة له فى الجزء الثالث من البيان .

(٨) فيما عدا ل : « المحاسبة » تحريف .

بكلمةٍ منذُ بايعتُ رسولَ الله ﷺ إلا مزمومةً مَخْطوطةً » .

قال : ورَوى [١] حمادُ بن سَلَمة ، عن أبى حمزة [٢] ، عن إبراهيم [٣] قال : « إنما يَهْلِك النّاسُ فى فُضول الكلام ، وفضول المال » .

وقال [٤] : « دع المعاذِر ، فإن أكثرها مَفاجر » . وإنما صارت المعاذر كذلك لأنّها داعيةٌ إلى التخلُّص بكلِّ شىء .

وقال سلّام بن أبى مطيع [٥] : قال لى أيّوب [٦] : « أيّاك وحِفظَ الحديث » .خوفاً عليه من العُجْب .

وقال إبراهيم النّخَعى : « دع الاعتذار ؛ فإنه يخالط الكذِب [٧] » .

قالوا : ونظر شابٌّ وهو فى دارِ ابن سيرينَ إلى فَرْشٍ [٨] فى داره ، فقال : ما بالُ تلك الآجُرّةِ أرفعَ من الآجُرّة الأخرى ؟ فقال ابن سيرين : « يا ابن أخى إنّ فُضُولَ النَّظرِ تَدْعُو إلى فضول القول » .

---

(١) فيما عدا ل : « ورووا عن » .

(٢) أبو حمزة هذا ، هو ميمون الأعور القصاب الكوفى ، روى عن سعيد بن المسيب والشعبى وإبراهيم النخعى ، وعنه:منصور بن المعتمر والثورى . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ٤٨) فى ترجمة إبراهيم النخعى .

(٣) هو أبو عمران إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعى الكوفى الفقيه ، روى عن مسروق وعلقمة وشريح ، وروى عنه الأعمش ومنصور وحماد بن سليمان ، ولد سنة ٥٠ وتوفى سنة ٩٦ . التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ٤٧) . وفى عيون الأخبار (١ : ٢٣٠) : « وحمل الناس عن إبراهيم النخعى وهو ابن ثمانى عشرة سنة » ونحوه فى المعارف ٢٠٤ .

(٤) ل : « وقالوا » .

(٥) فيما عدا ل : « سلام بن مطيع » .

(٦) هو أبو بكر أيوب بن أبى تميمة كيسان السختيانى البصرى ، روى عن نافع وعطاء وعكرمة والأعرج وغيرهم ، وروى عنه الأعمش وقتادة وخلق كثير ، وكان حجة أهل البصرة ،وله أقوال كريمة فى صفة الصفوة (٣ : ٢١٢ – ٢١٧) . وانظر تهذيب التهذيب .

(٧) فى عيون الأخبار (٣ : ١٠١) : « اعتذر رجل إلى إبراهيم فقال له : قد عذرتك غير معتذر من المعاذير يشوبها الكذب » .

(٨) المراد بالفرش هنا أن قد بلطت الأرض وفرشت . وفى اللسان : « فرش فلان داره ، إذا بلطها . قال أبو منصور : كذلك إذا بسط فيها الآجر والصفيح فقد فرشها . وتفريش الدار : تبليطها » .

وزعم إبراهيمُ بن السِّنديّ قال: أخبَرَنى مَن سمِعَ عيسى بن علىّ (١) يقول: « فُضولُ النَّظر من فضول الخواطر ، وفضول النّظر تدعو إلى فُضول القول ، وفضول القول تدعو إلى فضول العمَل ؛ ومَن تعوَّدَ فضولَ الكلام ثمّ تدارك استصلاح لسانِه ، خرَجَ إلى استكراه القول ، وإنْ أبطأ أخرجَهُ إبطاؤُه إلى أقبَحَ من الفضول » .

قال أبو عمرو بنُ العلاءِ : أنكَحَ ضِرارُ بن عمرٍو الضبّىّ ابنتَه معبدَ بن زُرارة ، فلمَّا أخرجها إليه قال لها : « يا بُنَيّة أمسِكى عليك الفَضْلَين » . قالت : وما الفَضلانِ ؟ قال : فَضْل الغُلمة ، وفَضل الكلام .

وضِرارُ بن عَمرٍو ، هو الذى قال : « مَنْ سَرّه بنوه ساءته نَفْسه (٢) » . وهو الذى لما قال له المنذر : « كيف تخلَّصت يومَ كذا وكذا ، وما الذى نجَّاك ؟ قال : « تأخيرُ الأجل ، وإكراهى نفْسى على المُقِّ الطوال » .

المقَّاء : المرأة الطويلة . والمُقُّ : جماعة النساء الطوال . والمُقّ أيضاً : الخيل الطِّوال .

وكان إخوته قد استشَالُوه حتّى ركِب فرسَه ورفع عقِيرتَه بعُكاظ ، فقال : « أَلَا إنّ خيرَ حائلٍ أُمٌّ (٣) فزوِّجوا الأمَّهات » . وذلك أنه صُرِع بين القَنا ، فَأَشْبَلَ عليه إخوتُه لأمِّه حتّى أنقذوه (٤) .

---

(١) هو عيسى بن على بن عبد الله بن العباس ، عم السفاح والمنصور ، وكان ابن المقفع يكتب له ، وقد أمره بعمل نسخة الأمان لأخيه عبد الله الخارج على المنصور ، وهو الذى أرسل ابن المقفع إلى سفيان بن معاوية فغدر هذا به ، وقطعه عضوا عضوا وألقاه فى التنور . وكان المنصور يجل عيسى ويعظمه فى مجلسه . انظر الجهشيارى ١٠٣ – ١٠٧ . ومات فى خلافة المهدى . المعارف ١٦٣ .

(٢) انظر الحيوان (٦ : ٥٠٦) . وفى عيون الأخبار (٢ : ٣٢٠) : « رأى ضرار بن عمرو الضبى له ثلاثة عشر ذكراً قد بلغوا ، فقال ... » .

(٣) الحائل : التى لم تحمل .

(٤) أشبل عليه : عطف عليه وأعانه . حـ : « فانشل » تحريف . وبعد هذه الكلمة فى ل: « أى عطف» . ب : « إخوته وأمه » : ل : « فأنقذوه » .

باب فى الصمت

قال : وكان أعرابىٌّ يجالس الشَّعبىَّ (١) فيطيل الصَّمت ، فسئل عن طول صمته فقال : « أسمع فأعلم ، وأسكت فأَسلم » .

وقالوا : « لو كان الكلام من فِضّة لكان السُّكوت مِن ذَهَب » .

وقالوا : مَقتل الرَّجُل بين لَحْييْه وفَكَّيْه » .

وأخذ أبو بكر الصّدِّيق ، رحمه الله ، بطرَف لسانِه وقال : « هذا الذى أوردَنى المَوَارد » .

وقالوا : ليس شىءٌ أحقَّ بطول سَجْنٍ من لِسان .

وقالوا : اللِّسان سَبع عَقُور .

وقال النبىُّ عليه السلام : « وهل يكُبُّ الناسَ على مناخرهم فى نار جَهنَّم إلا حصائد ألسنتهم » .

وقال ابن الأعرابىّ ، عن بعض أشياخه : تكلم رجلٌ عند النبى عليه السلام فخطِلَ فى كلامه ، فقال النبى ﷺ : « ماأُعْطِىَ العبدُ شراً من طلاقة اللسان » .

وقال العائشى (٢) ، وخالد بن خِدَاش (٣) : حدثنا مَهدىُّ بن ميمون (٤) ، عن

---

(١) الشعبى ، هو عامر بن عبد الله بن شراحيل الشعبى الحميرى ، ونسبته إلى « شعب » بالفتح : بطن بن همدان . كان من كبار الحفاظ ، واستقضاه عمر بن عبد العزيز . ولد بالكوفة سنة ١٩ وتوفى سنة ١٠٣ تذكرة الحفاظ (١ : ٧٤ – ٨٢) وتهذيب التهذيب (٥ : ٦٥) وصفة الصفوة (٣ : ٤٠) .

(٢) هو عبيد الله بن محمد بن حفص ، المعروف بابن عائشة . والعائشى ، تقدمت ترجمته فى ص ١٠٢ .

(٣) هو خالد بن خداش بن عجلان الأزدى المهلبى البصرى ، كان ثقة صدوقا . توفى سنة ٢٢٤ . تاريخ بغداد ٤٤٠٥ وتهذيب التهذيب .

(٤) هو مهدى بن ميمون الأزدى المعولى أبو يحيى البصرى ، أحد الرواة الثقات . توفى سنة ١٧١ . تهذيب التهذيب .

غيلان بن جرير (١) ، عن مطرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير، عن أبيه قال : قدِمنا على رسول الله ﷺ فى وفدٍ فقلنا : يا رسولَ الله ، أنت سيِّدنا ، وأنت أطْوَلُنا علينا طَوْلاً (٢) ، وأنت الجفنة الغَرَّاء (٣) . فقال رسول الله ﷺ : « أيُّها النّاس ، قُولُوا بقَولكم ولا يستَفِزّنّكُم الشّيطانُ ، فإنّما أنا عبدُ الله ورسولُه » . ١٢

قال : وقال خالد بن عبد الله القَسرىّ ، لعمرَ بنِ عبدِ العزيز : من كانت الخلافة زانته فقد زيّنتَها ، ومن [كانت (٤)] شرّفَتْه فقد شرَّفْتَها . فأنت كما قال الشاعر :

وتَزِيدِينَ أَطْيَبَ الطِّيب طِيباً أن تَمَسِّيهِ أينَ مثلُك أينا
وإذا الدُّرُّ زانَ حُسْنَ وجُوهٍ كان للدُّرِّ حُسْنُ وجهكِ زَيْنا

فقال عمر : إنَّ صاحبَكم أُعطى مَقُولا ، ولم يُعْطَ معقولا .

وقال الشاعر :

لسانُكَ معسولٌ ونَفْسُك شَحّةٌ ودُون الثُّريا مِن صديقِك مالُكا (٥)

وأخبرنا (٦) بإسنادٍ له ، أنّ ناساً قالوا لابن عُمَر : ادعُ الله لنا بدَعوات . فقال :

---

(١) هو غيلان بن جرير المعوَلى البصرى ، نسبة إلى « مَعْوَلة » بطن من الأزد . روى عن أنس ومطرف والشعبى ، وروى عنه مهدى بن ميمون وشعبة . توفى سنة ١٢٩ . تهذيب التهذيب وأنساب السمعانى ٥٣٨ .

(٢) الطول ، بالفتح : الفضل .

(٣) فى اللسان (جفن) : « كانت العرب تدعو السيد المطعام جَفنة ؛ لأنه يضعها ويطعم الناس فيها ، فسمى باسمها . والغراء : البيضاء ، أى إنها مملوءة بالشحم والدهن » .

(٤) التكملة من عيون الأخبار (١ : ٩٣) حيث الخبر .

(٥) الشحة ، بفتح الشين : الشحيحة . والبيت فى الحيوان (٥ : ٤٣٠) . وأنشده فى اللسان (شحح) مع قرين بعده ، وهو :

وأنت امرؤ خلط إذا هى أرسلت يمينك شيئا أمسكته شمالكا

(٦) يعنى ابن الأعرابى ، كما فى حواشى هـ .

« اللهمَّ ارحْمنا وعافِنا وارزقنا » . فقالوا : لو زدتنا يا أبا عبد الرحمن . قال : نعوذ بالله من الإسهاب .

وقال أبو الأسود الدؤليّ ، فى ذكر الإسهاب ، يقولها فى الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة بن المغيرة (١) ، والحارث هو القُبَاع ، وكان خطيباً من وُجوه قريش ورجالهم . وإنَّما سمى القُباعَ لأنه أُتِىَ بمِكْتَل (٢) لأهل المدينة ، فقال: إن هذا المِكْتَلَ لَقُبَاعٌ ! فسمِّى به . والقُبَاع : الواسع الرأس القصير . وقال الفرزدق فيه لجرير (٣) :

وقَبْلَكَ ما أعيَيْتُ كاسِرَ عيْنِهِ ... زياداً فلم تقدِرْ علىّ حبائلُهْ
فأقسمتُ لا آتيهِ تِسعينَ حِجَّةً ... ولو كُسِرَتْ عُنْقُ القُبَاعِ وكاهلُه (٤)

وقال أبو الأسود :

أميرَ المؤمنينَ جُزِيتَ خيراً ... أرِحْنا مِن قُباع بنى المُغيرهْ
بَلوناهُ ولُمْناهُ فأعْيَا ... علينا مايُمِرّ لنا مَريرهْ (٥)
على أنّ الفتى نِكَحٌ أَكُولٌ ... ومِسهابٌ مذاهبُه كثيرهْ

وقال الشاّعر (٦) :

---

(١) ويقال فيه أيضا الحارث بن عياش بن أبى ربيعة ، وأبو ربيعة عمرو بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم . وكان الحارث أحد ولاة البصرة ، استعمله عليها ابن الزبير ، روى عن عمر وعائشة وحفصة وأم سلمة ، وروى عنه سعيد بن جبير والشعبى والزهرى . تهذيب التهذيب ، والإصابة ٢٠٣٩ . وانظر ما سبق فى حواشى ١٣٠ .

(٢) المكتل : زنبيل كبير يسع خمسة عشر صاعا .

(٣) هذا الإنشاد هو فيما عدا ل ، هـ متأخر عن قول أبى الأسود التالى .

(٤) فى الديوان ٧٣٩ : « سبعين حجة » .

(٥) المريرة : الحبل الطويل الدقيق ، وإمرار الحبل : إحكام فتله . عنى أنه لا يمضى أمرا .

(٦) هو الفضل بن عبد الرحمن القرشى ، يقوله لابنه القاسم بن الفضل . الخزانة (١ : ٤٦٥) .

إياكَ إيّاك المراءَ فإنه   إلى الشر دعّاءٌ وللصَّرمِ جالبُ (١)

وقال أبو العتاهية :

والصمت أجْمَلُ بالفتى   مِن منطقٍ فى غير حِينه (٢)
كلُّ امرئٍ فى نفسِهِ   أعلى وأشرفُ مِن قَرِينه

وكان سهلُ بنُ هارونَ يقول : « سياسة البلاغة أشدُّ من البلاغة ، كما أنّ التَّوقّىَ على الدَّوَاء أشدُّ من الدَّواء » .

وكانوا يأمرون بالتبيُّن والتثبُّت ،وبالتحرز من زَلَل الكلام ، ومن زَلَل الرّأى ، ومن الرأى الدَّبَرىّ . والرأىُ الدَّبرِىُّ هو الذى يَعرِض من الصَّواب بعد مُضىِّ الرأىِ الأوَّل وفَوتِ استدراكِه .

وكانوا يأمُرون بالتحلُّم والتعلُّم ، وبالتقدُّم فى ذلك أشدَّ التقدُّم .

وقال الأحنف : قال عمر بن الخطاب : « تفقَّهُوا قَبل أن تسُودوا » . وكان يقول رحمه الله : « السؤدد مع السَّواد (٣) » .

وأنشَدُوا لكثيِّر عَزّةَ :

وفِى الحِلْمِ والإسلامِ للمرء وازعٌ   وفى تركِ طاعات الفُؤادِ المتيَّمِ
بصائرُ رُشْدٍ للفتى مستبينةٌ   وأخلاقُ صِدْقٍ عِلْمُها بالتعلُّمِ

الوازع : الناهى ؛ والوزَعة : جمع وازع ، وهم الناهون والكافُّونَ .

وقال الأَفْوَهُ الأَوْدىّ :

أضحَتْ قُرينَةُ قد تَغيَّرَ بِشْرُها   وتجهَّمَتْ بِتحيَّةِ القومِ العِدَا

---

(١) يستشهد به النحويون على حذف الواو قبل « المراء » . انظر الخزانة وسيبويه (١ : ١٤١) . ويروى : « فإياك » و « للشر جالب » . المراء : المجادلة . الصرم : القطيعة .

(٢) ل : « زين للفتى » . والوجه ما أثبت من سائر النسخ .

(٣) فى حواشى هـ : « يريد مع الشباب إذا كان الشعر أسود ، لأنه يمكنه فى ذلك الوقت أن يدرك ما يسود به فى طلب علم أو فروسة ، فإذا جاز حد الشباب لم يمكنه » .

أَلْوَتْ بإِصبَعِها وقالت إنّما ... يَكفِيكَ مِمّا لا تَرَى ما قد تَرَى (١)

وأنشد :

ابدَأْ بنَفسِكَ فانْهَهَا عن غَيِّها ... فإذا انتهتْ عنهُ فأنتَ حكيمُ (٢)

فهناك تُعذَرُ إن وَعَظْتَ ويُقتَدَى ... بالقول منك ويُقبَلُ التعليمُ

قالوا : وكان الأحنفُ بنُ قيسٍ أشدَّ الناس سلطاناً على نفسه .

وقالوا : وكان الحسن أترَكَ النّاسِ لما نُهِيَ عنه . وقال الآخر :

لا تعذراني في الإساءة إنّه ... شِرَارُ الرِّجال مَن يُسيءُ فيُعذَرُ (٣)

وقال الكُميت بن زيدٍ الأسديّ : ٢٢

ولم يُقَلْ بَعْدَ زَلَّةٍ لَهُمُ ... عُدُّوا المعاذيرَ إنّما حَسِبوا (٤)

وأنشدني مُحمّد بن يَسيرٍ ، للأحوص بن محمد (٥) :

قامت تخاصرني بِقُنَّتِها ... خودٌ تَأَطَّرُ غادةٌ بِكرُ

كلٌّ يَرَى أنّ الشَّبابَ له ... في كلِّ مُبْلِغِ لَذَّةٍ عُذْرُ

تخاصرني : آخذ بيدها وتأخذ بيدي . والقُنَّةُ : الموضع الغليظ من الأرض في صلابة . والخود : الحسنة الخَلْق . تأطَّرُ : تتثَنّى . والغادة : الناعمة اللّيِّنة .

وقال جريرٌ في فَوت الرّأْي :

ولا يتّقُون الشَّرَّ حتَّى يُصيبَهُمْ ... ولا يعرِفون الأمْرَ إلا تدبُّرا (٦)

---

(١) البيتان لم يرويا في ديوانه المخطوط .

(٢) البيتان من قصيدة لأبي الأسود الدؤلي في شرح شواهد المغني ١٩٤ . ومنها :

يأيها الرجل المعلم غيره ... هلا لغيرك كان ذا التعليم

ويروى بعضها للمتوكل الليثي . انظر حماسة البحتري ١٧٣ .

(٣) البيت في الحيوان (٣ : ١١١ ، ٤٨٢ / ٧ : ٢٦٠) .

(٤) أي عقولهم الصحيحة لا تدعهم يخطئون ويزلون ، لأنهم يفطنون للأمر قبل وقوعه ، ويصدق في ذلك ظنهم . انظر الهاشميات ٦٣ والحيوان (٣ : ٤٨٢) .

(٥) فيما عدا ل : « وأنشد الأحوص بن محمد » تحريف .

(٦) في الديوان ٢٤٦ :

=

قال : ومدح النّابغةُ ناساً بخلاف هذه الصفة ، فقال :

ولا يحسِبُون الخيرَ لا شرَّ بعده ... ولا يحسبون الشرَّ ضَرْبَةَ لازبِ

لازب ولازم ، واحد ، واللازب فى مكان آخر : اليابس . قال الله عزّ وجلّ : ﴿ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ ﴾ . واللّزبات : السِّنُونَ الجَدْبةُ .

وأنشد :

هفا هفوةً كانت من المرءِ بِدعةً ... وما مثلُه مِن مثلها بسليمِ

فإنْ يكُ أخطا فى أخيكمْ فرُبَّما ... أصاب التى فيها صَلاحُ تميمِ

قال : وقال قائلٌ عند يزيدَ بنِ عُمرَ بن هُبيرة (١) : والله ما أَتَى (٢) الحارثُ ابن شُريح بيوم خيرٍ قَطّ . قال : فقال التّرجُمان بن هُرَيم : « إلاَّ يَكُنْ أَتَى بيومٍ خيرٍ فقد أَتَى بيومِ شَرٍّ » . ذهب الترجمان بن هُرَيم إلى مثل معنى قول الشاعر:

وما خُلِقَتْ بنو زِمّانَ إلّا ... أخيراً بَعْدَ خَلْقِ النّاسِ طُرًّا (٣)

وما فَعلت بنو زِمّانَ خيرًا ... ولا فَعلَتْ بنو زِمّان شرّا

* * *

ومن هذا الجنس من الأحاديث ، وهو يدخُل فى باب المُلَح ، قال الأصمعى : « وصَلْتُ بالعِلْم ، ونِلتُ بالمُلَح (٤) » .

= لقد كنت يا ابن القين ذا خبرة بكم ... وعوف أبو قيس بكم كان أخبرا

فلا تتقون الشر حتى يصيبكم ... ولا تعرفون الأمر إلا تدبرا

(١) يزيد بن عمر بن هبيرة : قائد من قواد الأمويين ، ولى قنسرين للوليد بن يزيد ، ثم جمعت له ولاية العراقين فى أيام مروان بن محمد ، ثم لما ظهر أمر العباسيين أرسل السفاح أخاه المنصور لحربه ، فأعياه أمره ،ثم بعث إليه السفاح من قتله بقصر واسط سنة ١٣٢ ابن خلكان . وكان جواداً نبيلاً جميل المرآة عظيم الخطر. المعارف ١٧٩ .

(٢) فيما عدا ل ، هـ : « أتانى » تحريف . والخبر فى الحيوان (٢ : ٨٧) .

(٣) زمان ، بكسر أوله وتشديد الميم ، اسم لعدة قبائل من العرب : زمان بن مالك بن صعب بن بكر وائل ، وزمان بن مالك بن جديلة ، وزمان بن تيم الله ، والأولى أعرفهن . انظر المعارف ٤٧ – ٤٨ ومختلف القبائل ومؤتلفها ٣٦ – ٣٧ .

(٤) فى حواشى هـ : « يريد وصلت به إلى المراتب عند الملوك » .

وقال رجلٌ مَرَّةً (١) : « أبِي الذى قاد الجُيوشَ ، وفَتَحَ الفتُوحَ ، وخَرَجَ على ٣ الملوكِ ، واغتصب المنابر » . فقال له رجُلٌ من القَوم . لا جَرَم ، لقد أُسِرَ وقُتِلَ وصُلِبَ ! قال : فقال له المفتخرُ بأبيه : دعْنِى من أسْرِ أبى وقتله وصَلْبه ، أبوك أنتَ حدَّث نفسَه بشىءٍ من هذا قطّ ؟

* * *

قد سمِعْنا روايةَ القومِ واحتجاجَهم ، وأنا أُوصِيكَ ألّا تدَعَ التماسَ البيان والتبيين (٢) إن ظننتَ أن لك فيهما طبيعةً ، وأنّهما يناسبانك بعضَ المناسبة ، ويشاكِلانِك فى بعض المشاكَلة ؛ ولا تُهمِلْ طبيعتَك فيستولِىَ الإهمالُ على قُوّة القريحة ، ويستبدَّ بها سوءُ العادة . وإنْ كنتَ ذا بيانٍ وأحسستَ مِن نفسك بالنُّفوذ فى الخَطابة والبلاغة ، وبقُوّة المُنّة يوم الحَفْل ، فلا تُقصِّرْ فى التماس أعلاها سُورة (٣) ، وأرفِعها فى البيان منزلةً . ولا يقطعَنَّك تَهيِيبُ الجُهلاء ، وتخويف الجُبَناء ؛ ولا تصرفنَّك الرِّواياتُ المعدولةُ عن وجوهها ، المتأوَّلةُ على أقبح مخارجها .

وكيف تُطِيعهم بهذه الرِّوايات المعدولة ، والأخبارِ المدخولة ، وبهذا الرأى الذى ابتدَعُوه من قِبَل أنفُسهم ، وقد سمِعتَ اللهَ تبارك وتعالى ، ذكَرَ داودَ النبىّ صلوات اللهِ عليه ، فقال : ﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ (٤) ﴾ إلى قوله : ﴿ وَفَصْلَ الخِطَاب ﴾ . فجمَع له بالحكمةِ البراعةَ فى العقل ، والرَّجاحةَ فى الحِلم ، والاتّساعَ فى العلم ، والصَّوابَ فى الحُكْم ، وجَمَع له بفصل

---

(١) الخبر فى عيون الأخبار (١ : ٢٣٣) .

(٢) ل ، هـ : « والتبين » .

(٣) السورة ، بالضم : المنزلة الرفيعة ، جمعها سور ، بالضم .

(٤) تمام تلاوة الآية وما بعدها : (اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب . إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والإشراق . والطير محشورة كل له أواب . وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب) . الآيات ١٧ — ٢٠ من سورة صٓ .

الخطابِ تفصيلَ المجمَل ، وتلخيص الملتَبِس ، والبَصَرَ بالحزِّ فى موضع الحزّ ، والحسْمَ فى موضع الحَسم .

وذكر رسولُ الله ﷺ شُعيباً النبىَّ عليه السلام ، فقال : «كان شعيبٌ خطيبَ الأنبياء» . وذلك عندَ بعضِ ما حكاه الله فى كتابه ، وجَلّاه لأسماع عباده .

فكيف تَهاَب منزلةَ الخطباءِ وداوُد عليه السلام سَلفُك ، وشعيبٌ إمامُك،مع ما تلوناه عليك فى صدر هذا الكتابِ من القرآن الحكيم ، والآيِ الكريم . وهذه خطبُ رسول الله ﷺ مدوّنة محفوظة ، ومخَلّدة [١] مشهورة ، وهذه خطبُ أبى بكرٍ وعمر وعثمانَ وعلىٍّ ، رضى الله عنهم .

وقد كان لرسول الله شعراءُ ينافِحُون عنه وعن أصحابِه بأمره ، وكان ثابت بن قيس بن الشَّمَّاس الأنصارىّ [٢] خطيبَ رسولِ الله ﷺ ، لا يدفع ذلك أحدٌ .

فأمَّا ما ذكرتم من الإسهاب والتكلُّف ، والخَطَل والتزيُّد ، فإنما يخرجُ إلى الإسهاب المتكلِّفُ ، وإلى الخطَلِ المتزيِّد .

فأما أربابُ الكلامِ ، ورؤساءُ أهلِ البيان ، والمطبوعون المعاوِدون ، وأصحابُ التّحصيل والمحاسَبة ، والتوقِّى والشَفقة ، والذين يتكلّمون فى صَلَاح ذاتِ البَين ، وفى إطفاء نائرة ، أو فى حَمَالة [٣] ، أو على مِنبر جَمَاعة ، أو فى عَقد إمْلاكٍ بين مسلم ومسلمة — فكيف يكون كلامُ هؤلاء يدعو إلى السَّلاطه والمِراء ،

---

(١) ل ، ب : « مجلدة » بالجيم ، وأثبت ما فى هـ ، جـ والتيمورية .

(٢) ثابت بن قيس بن شماس بن زهير الأنصارى الخزرجى ، أحد الصحابة المبشرين بالجنة ، وقد نفذ أبو بكر وصية له بعد موته أوصى بها رجلا رآه فى نومه . الإصابة ٩٠٠ وتهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة (١ : ٢٥٧) .

(٣) النائرة ، بالنون : العداوة والشحناء والفتنة . ل : « نائرة » تحريف . والحمالة كسحابة : الدية يحملها قوم عن قوم .

وإلى الهَذَر والبَذَاء ، وإلى التَّفْجِ والرِّياء . ولو كان هذا كما يقولون لكان عليُّ بنُ أبى طالبٍ ، وعبدُ الله بنُ عبَّاسٍ أكثَرَ النّاس فيما ذكرتم . فلِمَ خطبَ صعصعةُ ابن صُوحان عند علىّ بن أبى طالبٍ ، وقد كان ينبغى للحسَن البَصرىِّ أن يكون أحقَّ التابعين بما ذكرتم ؟

قال الأصمعى : قيل لسعيد بن المسيَّب (١) : هاهنا قومٌ نُسَّاكٌ يَعِيبون إنشادَ الشعر . قال : « نَسَكُوا نُسْكاً أعجميّا » .

وقد زَعمتم أنّ رسول الله ﷺ قال : « شُعبتانِ من شُعَب النِّفاق : البَذَاء والبَيان . وشُعبتان من شُعب الإيمان : الحياء ، والعِىّ » . ونحن نعوذُ بالله أن يكون القرآن يحثُّ على البيان ورسولُ الله ﷺ يُحثُّ على العِىّ ، ونعوذُ بالله أن يجمعَ رسولُ الله ﷺ بين البَذاء والبيان . وإنما وقَع النَّهْىُ على كلِّ شىءٍ جاوَزَ المقدار ، ووقع اسم العِىِّ على كلّ شىءٍ قصَّر عن المقدار . فالعِىُّ مذمومٌ والخطَل مذموم ، ودينُ الله تبارك وتعالى بين المقصِّر والغالى .

وهاهنا روايات كثيرةٌ مدخولة ، [وأحاديث معلولة (٢)] . رَوَوْا أنّ رجلاً مدحَ الحياءَ عند الأحنف ، [وأنّ الأحنف] قال ثَمَّ (٣) : يعودُ ذلك ضَعْفاً . والخير لا يكون سبباً للشرّ . ولكنا نقول : إنّ الحياء اسمٌ لمقدارٍ من المقادير[ما زاد على ذلك المقدار فسمِّه ما أحببت. وكذلك الجود اسم لمقدارٍ من المقادير (٤)] ، فالسَّرف اسم لما فَضَل عن ذلك المقدار . وللحزم مقدارٌ ، فالجُبْن اسمٌ لما فضَل عن ذلك المقدار.وللاقتصاد مقدار ، فالبُخل اسمٌ لما خرج (٥) عن ذلك المقدار .

---

(١) سعيد بن المسيب بن حزن القرشى المخزومى ، وكان من أفقه التابعين ، وكان يسمى راوية عمر ، وكان أحفظ الناس لأحكامه وأقضيته ، كما كان من أعبر الناس للرؤيا . ولد لسنتين مضتا من خلافة عمر ، وتوفى سنة ٩٤ . تهذيب التهذيب ، وصفه الصفوة (٢ : ٣٤) ، والمعارف ١٩٣ . والمسيب ، بكسر الياء وفتحها ، كما فى القاموس .

(٢) هذه مما عدا ل .   (٣) فيما عدا ل : « ثم » .

(٤) هذه مما عدا ل .   (٥) ل فقط : « لما فضل » .

وللشّجاعة مقدار ، فالتهوُّر والخَذَب اسمٌ لما جاوزَ ذلك المِقدار .

وهذه أحاديثُ ليست لعامّتها أسانيدُ متّصلة ، فإن وجَدْتَها متصلةً لم تجدها محمودة ، وأكثرُها جاءت مطلقةً ليس لها حاملٌ محمودٌ ولا مذموم . فإذا كانت الكلمة حسنةً استمتعنا بها على قدر ما فيها من الحُسْن . فإن أردت أن تتكلف هذه الصناعة ، وتُنسَب إلى هذا الأدب ، فقرضتَ قصيدةً ، أو حبَّرت خطبة ، أو ألّفْتَ رسالة ، فإيّاك أن تدعوَك ثقتُك بنفسك ، أو يدعُوَك عُجبْك بثمرة عقلك إلى أن تنتحلَه وتدَّعِيَه ؛ ولكن اعرِضْه على العلماء فى عُرْض رسائلَ أو أشعارٍ أو خطب ؛ فإنْ رأيتَ الأسماعَ تُصْغِى له ، والعيونَ تَحْدِج إليه ، ورأيتَ مَن يطلبُه ويستحسنه ، فانتحله . فإن كان ذلك فى ابتداء أمرك ، وفى أوّل تكلُّفِك فلم تر له طالباً ولا مستحسِناً ، فلعلّه أن يكون ما دام ريِّضا قضيباً (١) ، أن يحلَّ عندَهم محلَّ المتروك . فإذا عاودْتَ أمثالَ ذلك مراراً ، فوجَدْتَ الأسماع عنهُ منصرفة ، والقلوبَ لاهية ، فخُذْ فى غير هذه الصناعة ، واجعَلْ رائدك الذى لا يَكْذِبُك حِرصهم عليه ، أو زُهدَهم فيه .

وقال الشّاعر (٢) :

إنّ الحديثَ تغُرُّ القومَ خَلْوَتُه حَتّى يَلِجّ بهم عِىٌّ وإكثارُ (٣)

وفى المثل المضروب : « كلُّ مُجْرٍ فى الخلاءِ مُسَرٌّ (٤) » ، ولم يقولوا مسرور. وكلٌّ صواب .

---

(١) الريض : الذى ابتدئ فى رياضته . والقضيب : الذى لم يمهر فى الرياضة . وأصل هذين الوصفين للحيوان الذى يراض ، كالناقة والفرس . وبعد هذه الكلمة فى ب ، حـ : « تعنيسا » وفى التيمورية: « تغيسا » !

(٢) هو ابن هرمة كما فى الحيوان (٢ : ٢٠٧) ورسائل الجاحظ ١٧١ ساسى . وانظر الحيوان (١ : ٨٨) ، وأدب الكتاب للصولى ١٥٧ وأمثال الميدانى (٢ : ٧٣) .

(٣) ب والتيمورية : « حتى يلح » بالحاء .

(٤) فى الحيوان (١ : ٨٨ / ٤ : ٢٠٧) والميدانى (٢ : ٧٣) والقالى (٢ : ٨٩) : « يسر ». وأصله أن الرجل يجرى فرسه فى المكان الخالى لا مسابق له فيه ، فهو مسرور =

فلا تثقْ فى كلامك برأى نفسك ؛ فإنّى ربّما رأيتُ الرّجلَ متماسِكاً وفوقَ المتماسك ، حتّى إذا صار إلى رأيه فى شِعره ، وفى كلامِه ، وفى ابنه ، رأيتَه مُتَهافِتاً وفَوقَ المتهافت .

وكان زهيرُ بنُ أبى سُلْمَى ، وهو أحد الثّلاثة المتقدمين ، يسمِّى كبارَ قصائده : « الحَوليّات » .

وقال نوح بن جرير : قال الحطيئة : « خيرُ الشِّعر الحولىّ المنقَّح » .

قال : وقال البعيث الشاعر [١] ، وكان أخطَبَ النّاس : « إنّى والله ما أُرسِلُ الكلامَ قضيباً خشيباً [٢] ، وما أريد أنْ أخطُبَ يوم الحَفْل إلا بالبائِت المحكَّك » . وكنت أظنّ أن قولَهم « محكّك » كلمةٌ مولَّدة ، حتّى سمعت قولَ الصَّعب بن علىٍّ الكِنانى : ٢٦

أبلِغْ فزارةَ أنّ الذِّئبَ آكِلُها وجائعٌ سَغِبٌ شَرٌّ من الذِّيبِ
أزلُّ أطْلَسُ ذو نَفْسٍ محكَّكةٍ قد كان طار زماناً فى اليعاسيب [٣]

وتكلّم يزيدُ بن أبانٍ الرَّقاشى [٤] ، ثم تكلم الحسَن ، وأعرابيّانِ حاضران

= بما يرى من فرسه . يضرب مثلا للرجل تكون فيه الخلة يحمدها من نفسه ، ولا يشعر بما فى الناس من الفضائل . و « مسر » اسم مفعول من « أسره » أى أفرحه ، وهو فعل لم تنطق به العرب ، وإنما توهمه القائل ، كما أنشد للآخر فى عكسه :

وبلد يغضى على النعوت يغضى كإغضاء الروى المثبوت

أراد « المثبت » . فتوهم « ثبته » . انظر اللسان (سرر) .

(١) البعيث لقب له . واسمه خداش بن بشر ، من بنى مجاشع ، وأمه أصبهانية يقال لها « مردة » . وسمى البعيثَ بقوله :

تبعث منى ما تبعث بعد ما اسـ ـتمر فؤادى واستمر عزيمى

وكان أخطب تميم ، وكان يهاجى جريرا . الشعراء لابن قتيبة والمؤتلف ٥٦ .

(٢) الخشيب : الذى لم يحكم ولم يجود ، من السيف الخشيب الذى لم يصقل .

(٣) الأزل : السريع ، والخفيف الوركين . والأطلس : ما لونه الطلسة ، وهى غبرة إلى سواد . واليعسوب : أمير النحل . يقول : هو فى سرعته مثله .

(٤) هو أبو عمرو : يزيد بن أبان الرقاشى البصرى القاص الزاهد الواعظ البكاء ، روى =

فقال أحدهُما لصاحبه : كيف رأيتَ الرّجُلين ؟ فقال : أمّا الأوّل فقاصٌّ مُجيدٌ ، وأما الآخر فعربىٌّ مُحَكّكٌ .

قال : ونظر أعرابىٌّ إلى الحسن ، فقال له رجل : كيف تراه ؟ قال : أرى خَيشُومَ حُرٍّ .

قالوا : وأرادوا عبدَ الله بنَ وهبٍ الراسبىَّ (١) على الكلام يومَ عَقدتْ له الخوارجُ الرِّياسة فقال : « وما أنا والرأىَ الفطير (٢) ، والكلامَ القضيب » ! ولمّا فرَغُوا من البَيعة له قال : « دعُوا الرَّأى يَغِبُّ ؛ فإن غُبُوبَه يكشِفُ لكم عن مَحْضِهِ » .

وقيل لابن التَّوأم الرَّقاشىّ (٣) : تكلّمْ . فقال : « ما أشتهى الخُبزَ إلا بائتاً » .

قال : وقال عُبَيد الله بن سالم (٤) لرُؤبة : مُتْ يا أبا الجحاف إذا شئت . قال : وكيف ذاك ؟ قال رأيتُ اليوم عُقبةَ بن رؤبة ينشد شعراً له أعجبنى . قال : فقال رؤبة : نعم [إنّه ليقول (٥)] ولكن ليس لشعره قِرَانٌ . وقال الشاعر :

مِهاذبةٌ مَناجِبةٌ قِرَانٌ   مَنادبةٌ كأنّهم الأسودُ

= عن أبيه وأنس بن مالك والحسن البصري ، وروى عنه ابن أخيه الفضل بن عيسى بن أبان وقتادة والأعمش . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ٢١٠ : ٢٥٠) وعيون الأخبار (٣ : ٢٩٥ ، ٢٩٧ ، ٢٩٩) .

(١) عبد الله بن وهب الراسبى : نسبة إلى راسب بن ميدعان بن مالك بن نصر بن الأزد ، وكان قد خرج على علىّ فى أربعة آلاف . بايعه الخوارج لعشر خلون من شوال سنة ٣٧ وقتل يوم النهروان سنة ٣٨ . انظر الطبرى (٦ : ٤٢) والتنبيه والإشراف ٢٥٦ وجمهرة ابن حزم ٣٨٦ .

(٢) الفطير : كل ما أعجل عن إدراكه وإنضاجه . ل : « القصير » تحريف .

(٣) ابن التوأم الرقاشى أحد البخلاء ، وقد أثبت له الجاحظ فى البخلاء رسالة طويلة.انظر ١٤١ – ١٦٣ . وروى ابن قتيبة له أخباراً فى عيون الأخبار (١ : ٢٩٩ ، ٣١٣ / ٣ : ١٧٠) .

(٤) سبقت كنيته فى ص ٦٨ : « أبو نوفل » . فيما عدا ل ، هـ : « عبد الله بن سالم » .

(٥) هذه مما عدا ل . وقد سبق الخبر فى ص ٦٨ .

يريد بقوله « قِرانٌ » التّشابُهَ والموافقَة .

وقال عُمَر بن لجأٍ لبعض الشُّعراء : أنا أشعر منك ! قال : وبم ذاك (١) ؟ قال : لأنّى أقولُ البيتَ وأخاه ، وأنت تقولُ البيتَ وابنَ عمّه .

قال : وذَكر بعضُهم شِعر النّابغة الجعدىّ ، فقال : « مُطْرَفٌ بآلاف ، وخِمارٌ بواف (٢) » . وكان الأصمعىُّ يفضّله من أجل ذلك . وكان يقول : «الحطيئة عبدٌ لِشعرِه » . عابَ شِعره حين وجدَه كلّه متخيَّراً منتخَباً مستوياً ، لمكان الصَّنْعة والتكلُّف ، والقيام عليه .

وقالوا : لو أنّ شِعرَ صالح بنِ عبد القُدُّوس (٣) ، وسابقٍ البربرىّ (٤) كان مفرّقاً فى أشعار كثيرة ، لصارت تلك الأشعارُ أرفَعَ ممّا هى عليه بطبقاتٍ ولصار شعرهُما نوادِرَ سائرةً فى الآفاق . ولكنَّ القصيدة إذا كانت كلُّها أمثالاً لم تَسِرْ ، ولم تَجرِ مَجرى النَّوادر . ومتى لم يخرج السَّامعُ من شىءٍ إلى شىءٍ لم يكن لذلك عنده موقع .

قال : وقال بعضُ الشُّعراء لرجُلٍ (٥) : أنا أقولُ فى كلّ ساعةٍ قصيدةً ، ٢٧

---

(١) ل : « ولم ذلك » .

(٢) المطرف بضم الميم وكسرها : واحد المطارف ، وهى أردية من خز مربعة لها أعلام . والوافى : الدرهم الذى يزن مثقالا .

(٣) هو صالح بن عبد القدوس بن عبد الله بن عبد القدوس ، كان شاعراً حكيما من المتكلمين ، ومن الوعاظ بالبصرة ، اتهم عند المهدى بالزندقة فقتله ببغداد ، ضربه بيده بالسيف فجعله نصفين . وكان أضرَّ آخر عمره . نكت الهميان ١٧١ وفوات الوفيات (١ : ٢٤٥) وتاريخ بغداد ٤٨٤٤ ولسان الميزان .

(٤) هو أبو سعيد سابق بن عبد الله البربرى : له أشعار حسنة فى الزهد ، وهو من موالى بنى أمية ، سكن الرقة ووفد على عمر بن عبد العزيز . والبربرى نسبة إلى بلاد فى المغرب ، قيل إنما هو لقب له . خزانة الأدب (٤ : ١٦٤) ل : « اليزيدى » ، وفيما عدا ل : « البربرى » صوابهما ما أثبت .

(٥) ل : « لبعض » .

وأنت تَقرِضُها فى كلِّ شهرٍ . [فلم ذلك [1]] ؟ قال : لأنّى لا أقبل من شيطانى مثلَ الذى تقبَلُ من شيطانِك .

قال : وأنشد عُقبةُ بن رؤبة [أباه رؤبة [1]] بنَ العجاج شعراً وقال له : كيف تراه ؟ قال : يا بُنَىّ إنّ أباك لَيعرِضُ له مثلُ هذا يميناً وشِمالاً فما يلتفت إليه .

وقد رَوَوْا مثلَ ذلك فى زهيرٍ وابنه كعب .

قال : وقيل لعَقِيل بن عُلَّفة : لِمَ لا تُطِيل الهجاء ؟ قال : « يكفيك مِن القلادة ما أحاطَ بالعُنق [2] » .

وقيل لأبى المهوِّش [3] : لم لا تُطِيل الهجاء ؟ قال : لم أجد المثَلَ النادرَ إلاّ بيتاً واحداً ، ولم أجد الشِّعر السَّائر إلاّ بيتاً واحداً .

قال : وقال مَسلمةُ بنُ عبد الملك لنُصيبٍ الشّاعر : ويْحَكَ يا أبا الحَجْناء ، أما تُحْسِن الهجاء ؟ قال : أمَا ترانى أُحْسِنُ مكان عافاك الله : لا عافاك الله !

ولاموا الكميتَ بن زيدٍ على الإطالة ، فقال : « أنَا على القِصار أقدر » .

وقيل للعجَّاج : مالك لا تُحسِن الهجاء ؟ قال : هل فى الأرض صانعٌ إلاّ وهو على الإفساد أقدر .

وقال رُؤبة : « الهَدْم أسرَعُ من البِناء » .

وهذه الحججُ التى ذكروها عن نُصيبٍ والكميت والعجّاج ورُؤبة ، إنّما ذكروها على وجه الاحتجاج لهم . وهذا منهم جهلٌ إن كانت هذه الأخبارُ

---

(١) هذه مما عدا ل .

(٢) انظر الحيوان (٣ : ٩٩) وأمثال الميدانى (١ : ١٧٩) ونهاية الأرب (٣ : ٢٧)

(٣) أبو المهوش الأسدى : هو حوط بن رئاب ، أو ربيعة بن وثاب ، من المخضرمين الذين أدركوا النبى ولم يروه . انظر الإصابة ٢٠١٥ والشعراء ٢٢ والخزانة (٣ : ٨٦ ، ١٤٢) والبخلاء للجاحظ. ل : « لأبى الهوس » ، صوابه بالشين .

صادقة . وقد يكونُ الرّجُل له طبيعةٌ فى الحساب وليس له طبيعة فى الكلام ؛ وتكون له طبيعة فى التّجارة (١) وليست له طبيعةٌ فى الفلاحة ؛ وتكون له طبيعةٌ فى الحُداء أو فى التغْبير (٢) ، أو فى القراءة بالألحان ، وليست له طبيعةٌ فى الغناء وإن كانت هذه الأنواعُ كلُّها ترجع إلى تأليف اللحون . وتكون له طبيعةٌ فى النّاى وليس له طبيعة فى السُّرْناى (٣) ؛ وتكون له طبيعةٌ فى قصبة الرّاعى ولا تكون له طبيعة فى القصبتين المضمومتين ؛ ويكون له طبع فى صناعة اللحون ولا يكون له طبعٌ فى غيرهما ؛ ويكون له طبعٌ فى تأليف الرسائل والخطب والأسجاع ولا يكون له طبع فى قرض بيت شعرٍ . ومثل هذا كثيرٌ جداً .

وكان عبدُ الحميد الأكبر (٤) ، وابنُ المقفّع ، مع بلاغة أقلامهما وألسنتهما،لا يستطيعان من الشّعر إلا ما لا يُذكَر مثلُه .

وقيل لابن المقفّع فى ذلك ، فقال : « الذى أرضاه لا يجيئنى ، والذى يجيئنى لا أرضاه (٥) » .

وهذا الفرزدق وكان مستهتَرًا بالنِّساء (٦) ، وكان زِيرَ غَوانٍ ، وهو فى ذلك ٢٨

---

(١) فى نسخة : « النجارة » بالنون ، كما فى حواشى هـ .

(٢) قال الأزهرى : « وقد سموا ما يطربون فيه من الشعر فى ذكر الله تغبيراً ، كأنهم إذا تناشدوها بالألحان طربوا فرقصوا وأرهجوا ، فسموا مغبرة » . ل : « التغيير » ، وفيما عدا ل : « التعبير » ، صوابهما ما أثبت .

(٣) السرناى ، بضم السين : كلمة فارسية ، معناها البوق الذى ينفخ فيه ويزمَر . استينجاس ٦٧٨ .

(٤) هو أبو غالب عبد الحميد بن يحيى بن سعد ، الذى قيل فيه : « فتحت الرسائل بعبد الحميد ، وختمت بابن العميد » ، وهو من أهل الشام ، وكان فى أول أمره معلم صبية يتنقل فى البلدان ، وكان كاتب مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية ، وقتل معه فى مدينة بوصير المصرية سنة ١٣٢ . وفيات الأعيان ، وسرح العيون (١ : ٢٥٦) .

(٥) فيما عدا ل ، هـ : « يجيبنى » فى الموضعين .

(٦) ما عدا هـ : « مشتهرا » ، وكلاهما متجه .

ليس له بيتٌ واحدٌ فى النَّسيب مذكور . مَعَ حسده لجريرٍ . وجريرٌ عفيفٌ لم يَعْشَق امرأةً قطّ ، وهو مع ذلك أغزَلُ النّاسِ شِعراً .

وفى الشُّعراء مَن لا يستطيع مجاوزةَ القصيد إلى الرَّجز ، ومنهم من لا يستطيع مجاوزةَ الرّجز إلى القصيد ، ومنهم من يجمعهما كجرير وعُمَر بن لجأ ، وأبى النَّجم ، وحُميد الأرقط ، والعُمَانىّ . وليس الفرزدق فى طِوالِهِ بأشعَرَ منه فى قصاره .

وفى الشعراء مَن يخطب وفيهم من لا يستطيع الخطابة ، وكذلك حال الخطباء فى قريض الشعر . والشّاعرُ نفسه قد تختلف حالاتُه .

وقال الفرزدق : أنا عند الناس أشعَرُ النّاس ورُبّما مرَّتْ علَىَّ ساعةٌ ونزْعُ ضرسٍ أهوَنُ عَلَىَّ من أن أقول بيتاً واحداً .

وقال العجّاج : لقد قلتُ أرجوزتى التى أوّلها :

بكيتَ والمُحتَزِنُ البَكىُّ وإنّما يأتِى الصِّبَا الصَّبِىُّ
أطَرَبًا وأنتَ قِنَّسْرِىٌّ [1] والدّهْرُ بالإنسان دَوّارِىٌّ [2]

وأنا بالرَّمل ، فى ليلةٍ واحدة [3] ، فانثالَتْ عَلَىَّ قوافيها انثيالاً ، وإنى لأُرِيد اليومَ دونَها فى الأيّامِ الكثيرة ، فما أقدِر عليه .

وقال لى أبو يعقوبَ الخُرَيْمىّ : خرجتُ مِن منزِلى أريد الشَّمَّاسِيّة [4] ، فابتدأت القول فى مرثيةٍ لأبى التَّخْتاخ ، فرجَعت والله وما أمكننى بيتٌ واحد .

وقال الشاعر :

وقد يَقرِض الشعرَ البكىُّ لسانُه وتُعيِى القوافى المرءَ وهو خطيبُ

---

(١) القنسرى : الكبير المسن . وقيل : لم يسمع هذا إلا فى بيت العجاج . وفى حواشى هـ عن ابن دريد : « تقنسر الإنسان : شاخ وتقبض . وأنشده . وأنشد أيضا :

* وقنسرته أمور فاقسأن لها *

(٢) دوارى : يدور بالناس أحوالا . انظر ديوان العجاج ٦٦ .

(٣) هـ : « وأنا بالرمل » فقط .

(٤) الشماسية : موضع فى أعلى بغداد مجاور لدار الروم .

باب

من القول فى المعانى الظاهرة باللفظ الموجز (١) ،

من ملتقطات كلام الناس (٢)

قال بعض النّاس : « من التوقّى ترك الإفراط فى التوقّى » .

وقال بعضهم : « إذا لم يكن ما تريد فأرِدْ ما يكون (٣) » .

وقال الشاعر :

قَدَرُ اللهِ واردٌ حِين يُقضَى ورودُه
فأرِدْ مايكون إنْ لم يكن ماتريدُهُ (٤)

وقيل لأعرابىٍّ فى شَكَاتِه : كيف تَجِدُكَ ؟ قال : « أجِدُنى أجِدُ مالا أشتهى وأشتهى ما لا أجد ، وأنا فى زمانٍ من جاد لم يَجِد ، ومن وَجَدَ لم يَجُدْ (٥) » .

وقيل لابن المقفّع :ألا تقول الشعر ؟ قال : الذى يجيئنى لا أرضاه ، ١٢٩
والذى أرضاه لا يجيئنى (٦) .

وقال بعض النُّسَّاك : « أنا لما لا أرجُو أرجَى مِنِّى لما أرْجو » .

وقال بعضُهم : « أعجَبُ من العجَب ، تركُ التعجُّب من العَجَب » .

---

(١) فيما عدا ل : « فى القوافى الظاهرة واللفظ الموجز » تحريف .

(٢) ما عدا ل ، هـ : « كلام النساك » تحريف .

(٣) هذه الكلمة لأيوب بن أبى تميمة السختيانى الذى سبقت ترجمته فى ص ١٩٢ . انظر صفة الصفوة (٣ : ٢١٤) والحيوان (٦ : ٨) .

(٤) هذان البيتان لم يرويا فى ل .

(٥) الخبر فى الحيوان (٣ : ١٣٢ / ٦ : ٥٠٣) . وقد نسب فى عيون الأخبار (٣ : ٤٩) إلى أبى الدقيش . وما بعد كلمة « ما لا أجد » هو مما عدا ل .

(٦) هذا الخبر من ل ، هـ فقط . ورواية هـ : « الذى أرضاه » . وقد سبق قريبا فى ص ٢٠٨ .

قال عمرُ بنُ عبد العزيز لعَبدٍ بنى مَخزوم : « إنى أخافُ الله فيما تقلّدتُ » . قال : لستُ أخاف عليك أن تخاف ، وإنّما أخاف عليك ألاّ تخاف .

وقال الأحنف لمعاوية : أخافك إن صدَقْتُك ، وأخاف اللهَ إن كذَبْتُك .

وقال رجلٌ من النُسّاك لصاحبٍ له وهو يَكِيدُ بنَفْسِه (١) : أمّا ذنوبى فإنى أرجو لها مغفرةَ الله ، ولكنّى أخافُ على بناتى الضَّيعة . فقال له صاحبه : فالذى ترجوه لمِغفرةِ ذنوبِك فارجُه لحفظ بناتك (٢) .

وقال رجلٌ من النُسَّاك لصاحبٍ له : ما لى أراك حزيناً ؟ قال : كان عندى يَتيمٌ أربّيه لأُوجَر فيه ، فمات وانقطع عنا أجْرُه ، إذْ بطَل قيامُنا بمئونته . فقال له صاحبُه : فاجتلِبْ يتيمًا آخر يَقوم لك مَقام الأوّل . قال : أخاف ألّا أصيبَ يتيمًا فى سوء خُلُقه ! قال له صاحبه : أمّا أنا فلو كنت فى موضعك منه لما ذكرت سوءَ خُلُقه .

وقال آخر ، وسمعه أبو هريرة النحوىّ وهو يقول : ما يمنعُنى مِن تعلُّم القرآن إلاّ أنى أخاف أنْ أُضيّعه . قال : أمّا أنت فقد عجّلت له التَّضييع ، ولعلّك إذا تعلّمْته لم تضيِّعه .

وقال عمر بنُ عبد العزيز لرجلٍ : مَن سيِّدُ قومك ؟ قال : أنا . قال : لو كنت كذلك لم تَقُلْه (٣) !

* * *

(١) يكيد بنفسه : يجود بها عند النزع فى حال الموت .

(٢) ب : « تحفظ بناتك » ، حـ : « يحفظ » . وأثبت ما فى ل ، هـ و التيمورية .

(٣) فيما عدا ل : « لم تقل » .

باب آخر

وقالوا فى حُسن البيان ، وفى التخلُّص من الخَصْم بالحقِّ والباطل ، وفى تخليص الحقِّ من الباطل ، وفى الإقرار بالحقِّ ، وفى ترك الفخْر بالباطل .

قال أعرابىٌّ وذكر حِمَاس بن ثَاملٍ فقال (١) :

برئتُ إلى الرحمن من كلِّ صاحبٍ ... أصاحِبُه إلاّ حِمَاسَ بنَ ثاملِ
وظَنِّى به بين السِّماطَين أنّه ... سَيَنجُو بحقٍّ أو سينجو بباطلِ

وقال العُجَير السَّلُولىّ (٢) :

وإنّ ابنَ زيدٍ لابنُ عمِّى وإنّه ... لبَلَّالُ أيدى جِلّةِ الشَّوْلِ بالدَّمِ (٣)
طَلُوع الثّنايا بالمطايا وإنّه ... غداةَ المُرَادِى لَلْخطيبُ المقدّمُ (٤) ٣٠
يسرُّك مظلوماً ويرضيك ظالماً ... ويَكفيكَ ما حُمِّلتَه حين تَغرَمُ

الشَّول : جمع شائلة ، وهى النّاقة التى قد جفّ لبنُها . وإذا شالت بذنبها بعد اللِّقاح فهى شائلٌ ، وجمعها شُوَّل . المُرادِى : المُصادم والمُقارع ؛ يقال ردَيْتُ الحجرَ بصخرةٍ [أو بمِعْوَلٍ (٥)] ، إذا ضربتَه [بها (٥)] لتكسِيرَه . والمِرْداة : الصخرة التى يكسَّر بها الحجارة . وقال ابن رِبْعٍ الهُذَلى (٦) :

---

(١) هذه الكلمة ساقطة مما عدا ل . وحماس بن ثامل ، أحد شعراء الحماسة ، أنشد له أبو تمام :

ومستنبح فى لج ليل دعوته ... بمشبوبة فى رأس صمد مقابل
وقلت له : أقبل فإنك راشد ... وإن على النار الندى وابنَ ثامل

(٢) سبقت ترجمته فى ١٢٣ .

(٣) يبل أيديها بالدم ، أى ينحرها أو يعرقبها . والجلة : المسان من الإبل ، جمع جليل كصبى وصبية .

(٤) الثنايا : جمع ثنية ، وهى العقبة فى الجبل .

(٥) هذه مما عدا ل . والتفسير فى هـ متخلل لهذه الأبيات الثلاثة .

(٦) هو عبد مناف بن ربع الهذلى الجربى . وربع ، بكسر الراء . والجربى نسبة إلى =

أعَيْنِ ألاَ فابكى رُقَيبة إنّــهُ وَصُولٌ لأرحامٍ ومِعْطاءُ سائِلِ (١)
فأُقسِمِ لو أدركتُه لحَمَيْتُه وإنْ كان لم يَترُك مقالاً لقائِلِ

وقال بعضُ اليهود ، وهو الرّبيع بن أبى الحُقَيق (٢) من بنى النَّضير (٣) :

سائِـلْ بنـا خابــرَ أكمائنـــا والعلمُ قد يُلقَى لَدَى السّائِلِ (٤)
إنّا إذا مالَتْ دواعِى الهوَى وأنصَتَ السّامعُ للقائِـــلِ
واعتَلَجَ النّاسُ بألبابهم نَقْضِى بحُكمٍ عادِلٍ فاصِلِ (٥)
لا نَجعلُ الباطِلَ حقًّا ولا نَلُطُّ دونَ الحقّ بالباطل (٦)
نَكرَهُ أن تَسْفَهَ أحلامُنا فنَخمُلَ الدّهرَ مع الخامِلِ

وقال آخر وذكر حِماساً أيضاً :

= جريب كقريش ، وهو بطن من هذيل . وعبد مناف شاعر جاهلى . انظر الخزانة (٣ : ١٧٤) وأما قصيدته التى منها البيتان فهى فى بقية أشعار الهذليين ٧ ونسخة الشنقيطى من الهذليين ٥٢ . وهو يرثى بالقصيدة « دبية السلمى » . ودبية بضم الدال وفتح الباء وتشديد الياء .

(١) ل : « أعين » . وفى ديوان الهذليين : « فعينى ألا فأبكى دبية » .

(٢) ذكر أبو الفرج فى الأغانى (٢١ : ٦١) أنه كان أحد الرؤساء فى يوم بعاث وكان يوم بعاث آخر الحروب المشهورة بين الأوس والخزرج قبل الإسلام .

(٣) وكذا ذكر ابن سلام فى طبقاته ١١٠ . وزعم أبو الفرج أنه من بنى قريظة . وجاء فيما عدا ل زيادة : « وبعثه رسول الله ﷺ إلى خيبر فقتلوه » . وفى هذه العبارة خطأ وتحريف ؛ فإن الذى فى كتب السير أن الذى قتل بخيبر هو سلام بن أبى الحقيق ، وذلك أن الأوس بعد قتلهم لكعب بن الأشرف ، استأذنوا الرسول فى قتل سلام بن أبى الحقيق ، فأذن لهم فخرجوا ، وأميرهم عبد الله بن عتيك ، إلى خيبر فقتلوا سلاماً . وفى ذلك يقول حسان :

لله در عصابة لاقيتهم يا ابن الحقيق وأنت يا ابن الأشرف

انظر السيرة ٧١٣ – ٧١٦ جوتنجن ، وديوان حسان ٢٧٢ – ٢٧٣ .

(٤) الخابر : الذى يخبر ويختبر . والأكماء : جمع كمى ، وهو الشجاع الجرى . قال :

تركت ابنتيك للمغيرة ، والقنا شوارع والأكماء تشرق بالدم

وفى الأصول : « أكفائنا » صوابه من ابن سلام ١١٠ حيث أنشد الأبيات . و « يلقى » بالقاف ، كما فى ل وابن سلام . وفى سائر النسخ « يلفى » ، سيان .

(٥) فيما عدا ل : « واصطرع » . وفى الطبقات : « نرضى بحكم العادل الفاصل » .

(٦) لط به وألط : لزمه .

أتانى جِماسٌ بابنِ ماهٍ يسوقُه   ليَبْغِيَه خيراً وليس بفاعِلِ (١)
ليُعْطِيَ عبساً مالَنا ، وصدورُنا   من الغَيظ تَغلِى مثلَ غَلْىِ المَراجِلِ
وقافيةٍ قِيلَتْ لكمْ لم أَجِدْ لها   جواباً إذا لم تُضْرَبوا بالمَناصلِ
فأنطِقَ فى حقٍّ بحقٍّ ولم يكنْ   ليَرْحَضَ عنكم قالةَ الحقِّ باطِلى (٢)

ليرحض ، أى ليغسل . والراحض : الغاسل . والمرحاض : الموضع الذى يُغسَل فيه . وقال عمرُو بن مَعْد يكَرِب :

فلو أنّ قومِى أنطقَتْنى رماحُهُمْ   نَطقتُ ولكنَّ الرِّماح أجرَّتِ (٣)

الجرار (٤) : عُودٌ يُعرَضُ فى فم الفَصيل ، أو يُشَقّ به لسانُه ، لئلاّ يرضع . فيقول : قومى لم يَطْعَنُوا بالرِّماح فأُثْنِيَ عليهم ، ولكنّهم فَرُّوا فأَسْكَتُّ (٥) كالمُجَرّ الذى فى فمه الجِرار (٦) .

وقال أبو عُبيدة : صاح رُؤبةُ فى بعض الحروبِ التى كانت بين تميم والأَزْد : يامعشر بنى تميم ، أطلقوا من لِسانى (٧)

قال : وأبصر رجلاً منهم قد طعن فارساً طعنةً ، فصاح : « لا عِيًّا

---

(١) ابن ماه ، هذا ما أثبت فى هامش ل ، ولهذا العلم اشتقاق فى اللغة من قولهم : رجل ماهِى القلب ، أى جبان كأن قلبه فى ماء . وفى هو صلب ل : « بابن ماهى » . وفيما عدا ل : « بابن ماها » .

(٢) فيما عدا ل : « قالة الخزى » .

(٣) البيت من قصيدة له فى الأصمعيات ١٧ – ١٨ . وأبيات منها فى الحماسة (١ : ٤٣) . وانظر اللسان .

(٤) لم أجد هذا اللفظ فى المعاجم المتداولة . والمعروف « الخلال » انظر المعاجم فى مادة (خلل) والمخصص (٧ : ٣٢) . كما أن المعروف فى المصدر « الجر » و « والإجرار » .

(٥) أسكت الرجل إسكاتاً : انقطع كلامه فلم يتكلم . هـ : « فأمسكت » .

(٦) ما عدا ل ، هـ : « جرار » .

(٧) نظير قول عبد يغوث بن وقاص الحارثى فى المفضليات (١ : ١٥٥) :

أقول وقد شدوا لسانى بنسعة   أمعشر تيم أطلقوا من لسانيا

ولا شلَلاً [١] ! » . والعرب تقول : « عِيٌّ أبْأسُ من شلَل [٢] » . كأنّ العيّ فوقَ كلِّ زمانةٍ .

وقالت الجُهَنِيَّة [٣] :

ألا هَلَكَ الحُلوُ الحَلالُ الحُلاحِلُ ومَن عِندَه حِلمٌ وعلم ونائِل [٤]
وذو خُطَبٍ يوماً إذا القوم أُفْحِمُوا تُصيب مَرادى قولِه ما يحاوِل
بَصيرٌ بعَوراتِ الكلام إذا التَقَى شَرِيجان بين القوم : حقٌّ وباطل
أتِيٌّ لما يأتى الكريمُ بسيفِه وإن أسلَمَتْهُ جندُه والقبائلُ [٥]
ولَيْس بمِعطاءِ الظلامةِ عن يدٍ ولا دونَ أعلى سَوْرة المجد قابلُ [٦]

الحُلاحِلُ : السيِّد . شريجان : جنسان مختلفان من كلِّ شيء [٧] .

وأنشد أبو عبيدةَ فى الخطيب يَطُولُ كلامه ، ويكونُ ذَكُوراً لأوّلِ خُطبته وللذى بَنَى عليه أمرَه ، وإنْ شَغَبَ شاغبٌ فقطع عليه كلامَه ، أو حَدَث عند ذلك حدَثٌ يُحتاج فيه إلى تدبيرٍ آخر ، وصَلَ الثّانىَ من كلامه بالأوَّل ، حتّى لا يكون أحدُ كلامَيهِ أجْوَدَ من الآخَر ، فأنشد :

وإنْ أحدَثوا شغْباً يُقطِّعُ نظمَها فإنَّك وَصَّالٌ لما قَطَع الشَّغْبُ
ولو كُنتَ نَسَّاجاً سَدَدْت خَصَاصَها بقولٍ كطعم الشُّهد مازجَه العذبُ [٨]

---

(١) فى اللسان : « ويقال لمن أجاد الرمى أو الطعن : لا شللا ولا عمى » .

(٢) ل : « أيئس من شلل » .

(٣) ب فقط : « الجهضمية » .

(٤) الحلال : الذى لا ريبة فيه . والحلاحل : السيد الشجاع الركين فى مجلسه .

(٥) هـ عن نسخة : « والقنابل » ، وهى الطوائف من الناس .

(٦) عن يد : عن قهر وذل واستسلام . وفى هامش ل : « نازل » رواية فى « قابل » .

(٧) فيما عدا ل : « شريجان : جنسان . يقال : الناس شرجان وشريجان ، أى فرقتان . ومنه حديث النبى ﷺ ، أنه لما بلغ الكديد أمر الناس بالفطر فأصبح الناس شرجين ، أى بعضهم صائماً وبعضهم مفطراً .

(٨) الخصاص بالفتح : خلل الشيء . ل : « نساء » تحريف . وفيما عدا ل ، هـ : « سدوت » تحريف أيضاً ؛ إنما يقال سدى الثوب يسديه ، يائى . فيما عدا ل : « بالبارد العذب » وفيه الإقواء . وفى حواشى هـ : « وفى رواية البارد العذب . خ : شيب به العذب » .

٣٢ وقال نُصَيْبٌ :

وما ابتذَلْتُ ابتذالَ الثّوبِ وَدَّكُمُ ... وعائِدٌ خَلَقاً ما كان يُبتَذلُ
وعِلمُكَ الشّىء تهوَى أن تَبيَّنَهُ ... أشفَى لقلبك مِن أخبار من تَسَلُ (١)

وقال آخر :

لعمْرُك ما وُدُّ اللِّسان بنافعٍ ... إذا لم يَكن أصلُ المودّة فى الصَّدرِ

وقال آخر (٢) :

تعلّمْ فليس المرءُ يُولد عالماً ... وليس أخو عِلمٍ كمَنْ هو جاهلُ
وأن كبيرَ القوم لا عِلَم عنده ... صغيرٌ إذا التفَّتْ عليه المحافلُ (٣)

وقال آخر :

فتًى مثلُ صَفْو الماء ليس بباخلٍ ... عليك ولا مُهْدٍ مَلاماً لبَاخِلِ
ولا قائلٍ عَوْراءَ تؤذِى جليسَه ... ولا رافع رأساً بعوراء قائلِ (٤)
ولا مُسْلِمٍ مولًى لأمرٍ يُصيبُه ... ولا خالطٍ حقًّا مصيباً بباطلِ
ولا رافعٍ أحدوثَة السَّوءِ مُعْجباً ... بها بين أيدِى المجلسِ المتقابِلِ
يُرَى أهلُه فى نَعْمةٍ وهو شاحبٌ ... طَوِى البَطْنِ مِخماصُ الضُّحى والأصائِلِ (٥)

وقالت أخت يزيد بن الطَّثْريَّة (٦):

---

(١) يقال : سألت أسأل ، وسلت أسل ، كما فى اللسان . ل : « يسل » .

(٢) هو رجل من قيس ، كما فى لباب الآداب لأسامة بن منقذ ٢٢٨ .

(٣) بعده :

ولا ترض من عيش بدون ولا يكن ... نصيبك إرث قدمته الأوائل

(٤) العوراء : الكلمة القبيحة . فيما عدا ل : « تؤذى رفيقه » .

(٥) طوى البطن ، على وزن فعل ، أى ضامره . والمخماص : الجائع .

(٦) هو يزيد بن سلمة بن سمرة بن سلمة الخير بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر . والطثرية أمه ، وهى من الطثر ، بالفتح ، حى من اليمن ، قال ابن خلكان : « الطثرية بفتح الطاء المهملة وسكون الثاء المثلثة » وضبطها صاحب القاموس بالتحريك . وكان يزيد جميلا وسيما شريفاً متلافاً. توفى سنة ١٢٦. انظر تحقيق ذلك فى حواشى الحيوان (٦ : ١٣٧) . واسم أخت يزيد زينب ، كما فى اللسان (١٣ : ٤٣) وحماسة أبى تمام (١ : ٤١٧) والبحترى ٤٣٣ .

أرَى الأَثْلَ مِن بطنِ العَقيقِ مُجاوِرِى ‏ ‏ قريباً وقد غالت يَزِيدَ غوائلُه
فَتَى قُدَّ قَدَّ السَّيفِ لا متضائِلٌ ‏ ‏ ولا رَهِلٌ لَبَّاتُه وبآدِلُه (١)
فتًى لا يُرَى خَرْقُ القميص بخَصْرِهِ ‏ ‏ ولكنَّما تُوهِى القميصَ كواهلُه (٢)
إذا نَزَلَ الأضيافُ كان عذَوّرًا ‏ ‏ على الحىِّ حتَّى تُستَقَلَّ مَرَاجلُه (٣)
مَضَى وورِثْناه دَرِيسَ مُفاَضَةٍ ‏ ‏ وأبيضَ هنديًّا طويلاً حمائلُه (٤)
يَسُرُّكَ مظلوماً ويُرضيك ظالماً ‏ ‏ وكلُّ الذى حمَّلْتَهُ فهو حاملَه
١٣٢ أخو الجِدِّ إنْ جَدَّ الرِّجال وشَمَّروا ‏ ‏ وذو باطِلٍ إن شئتَ ألهاك باطُله (٥)

يصير هذا الشِّعر وماأشبهَ ممَّا وقع فى هذا الباب ، إلى الشِّعر الذى فى أول الفَصْل .

* * *

---

(١) اللبة واللبب : المنحر . والبأدلة : اللحم بين الإبط والثندؤه . وفى حماسة أبى تمام : « وأباجله » .

(٢) لا يخرق قميصه بخصره لضمره ، ويخرق قميصه بكاهله لكثرة حمله نجاد السيف .

(٣) العذور : السيئ الخلق . تستقل : تحمل وترفع . يقول : إنه يسوء خلقه على أهله عند نزول الضيف ؛ حتى يطمئن إلى إمكان قراره . وعند البحترى : « حتى تستقر » .

(٤) المفاضة : الدرع الواسعة . والدرع الدريس : الخلق . أضاف الصفة إلى الموصوف .

(٥) انظر ما سيأتى فى ٤ : ٧٥ .

باب شعر وغير ذلك من الكلام مما يدخل فى باب الخطب

قال الشاعر :

عجِبتُ لأقوام يَعِيبونَ خُطبَتى   وما منهمُ فى موقِف بخطيبِ

وقال آخر [(١)] :

إنَّ الكلامَ مِنَ الفؤادِ وإنّما   جُعِلَ اللّسانُ على الفؤاد دليلا [(٢)]
لا يُعجِبنّك من خطيب قولُهُ   حتّى يكونَ مع البيان أصيلا [(٣)]

وأنشد آخر :

أبَرَّ فما يزدادُ إلاّ حَماقةً   ونُوكاً وإن كانت كثيراً مخارجُه [(٤)]

وقد يكون ردىءُ العقل جيِّدَ اللسان .

وقال أبو العباس الأعمى [(٥)] :

إذا وصَفَ الإسلامَ أحسَنَ وَصْفَهُ   بفِيه ، ويأبى قَلبُه ويهاجرُه [(٦)]
وإن قامَ قال الحقَّ ما دامَ قائماً   تقىُّ اللسان كافرٌ بَعْدُ سائرُه [(٧)]

وقال قيس بن عاصم المِنقَرىّ [(٨)] يذكُر ما فى بنى مِنقر من الخَطابة :

---

(١) هو الأخطل كما نص ابن هشام فى شرح شذور الذهب ٢٧ .

(٢) الرواية المعروفة : « لفي الفؤاد » . والبيتان ليسا فى الديوان .

(٣) عند ابن هشام : « خطيب خطبة » . وفيما عدا ل : « مع اللسان » .

(٤) أبر : غلب . والنوك ، بالضم والفتح : الحمق .

(٥) أبو العباس الأعمى ، هو السائب بن فروخ ، مولى جذيمة بن على بن الديل بنِ بكر بن عبد مناة ، وكان من شعراء بنى أمية المعدودين المقدمين فى مدحهم والتشيع لهم ، روى الحديث عن صدر من الصحابة ، وروى عنه عطاء وعمرو بن دينار . توفى بعد ١٢٦ . الأغانى (١٥ : ٥٧ — ٦١) ونكت الهميان ١٥٣ — ١٥٥ وتهذيب التهذيب .

(٦) جاء بعد هذا البيت فيما عدا ل : « يقول أنه يتيه عن قوله ويأباه ويهجره ويقول بحق على منبره بلسانه وسائره كافر » .

(٧) هامش ل : « خ : وإن قال قال الحق مادام قائلا » .

(٨) هو أبو على قيس بن عاصم بن سنان بن خالد بن منقر بن عبيد بن مقاعس =

إنّى امرؤٌ لا يعترى خُلُقى دَنَسٌ يُفَنِّدُهُ ولا أَفْنُ (١)
من مِنْقَرٍ فى بيت مَكْرُمةٍ والأصلُ ينبتُ حولَه الغُصْنُ (٢)
خطباءُ حينَ يقومُ قائلُهمْ بيضُ الوُجوهِ مَصاقعٌ لُسْنُ (٣)
لا يَفْطُنون لعَيب جارِهِم وهُمُ لحفظ جِوَارهم فُطْنُ (٤)

ومن هذا الباب وليس منه فى الجملة ، قول الآخر :

أشارتْ بطَرْفِ العَينِ خيفةَ أهلها إشارَةَ مَذعورٍ ولم تَتكلّمِ
فأَيْقَنْتُ أَنَّ الطّرفَ قد قال مرحباً وأهلاً وسهلاً بالحبيب المسلِّمِ (٥)

وقال نُصَيبٌ ، مولى عبد العزيز بن مروان (٦) :

يقول فيُحسِنُ القولَ ابنُ لَيلَى ويفعل فوقَ أحْسَنِ ما يقولُ (٧)

= واسم مقاعس الحارث — بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم . شاعر فارس شجاع ، وكان سيداً فى الجاهلية والإسلام ، صحب النبى فى حياته وعاش بعده زمانا ، وهو أحد من وأد بناته فى الجاهلية ، بل يزعمون أنه أول من وأد . وفيه يقول الأحنف : ما تعلمت الحلم إلا من قيس بن عاصم . الإصابة ٧١٨٨ والأغانى (١٢ : ١٤٣ — ١٥١) . وروى ابن قتيبة فى عيون الأخبار (١ : ٢٨٦) أنه أنشد الشعر التالى ، حينما علم بأن أخيه قد قتل ابنه .

(١) فنده : لامه وضعف رأيه . والأفن : ضعف الرأى والعقل . وفى أمالى القالى (١ : ٢٣٩) : « لا يعترى حسبى » .

(٢) فى الحماسة (٢ : ٢٦٣) وعيون الأخبار : « والغصن ينبت حوله » . وفى الأمالى : « والفرع » .

(٣) فى الأمالى وعيون الأخبار : « حين يقول » .

(٤) هـ : « لحسن جواره » . وفى الحماسة والأمالى وعيون الأخبار : « لحفظ جواره » ، وفطن : جمع فَطِن .

(٥) سبق البيتان فى ص ٧٨ . وروى هناك كما ورد فى هـ : « بالحبيب المتيم » .

(٦) نصيب هذا هو نصيب الأكبر ، وقد سبقت ترجمة الأصغر فى ١٢٥ . وهذا هو نصيب بن رباح ، وكان ابن نوبيين ، اشتراه عبد العزيز بن مروان ، وكان شاعرا فحلا فصيحاً ، وله شعر كثير فى الاحتجاج للسواد . انظر الأغانى : (١٢٥ — ١٤٥) . وكنيته أبو محجن ، وجاء فى (١ : ١٣٥) أنه كان يكنى أبا الحجناء ، وهى كنية مشتركة بينه وبين نصيب الأصغر . انظر ما سبق فى ص ٢٠٧ .

(٧) البيت من أبيات فى الأغانى (١ : ١٣٥) . وبعده :

فتى لا يرزأ الخلان إلا مودتهم ويرزؤه الخليل
فبشر أهل مصر فقد أتاهم مع النيل الذى فى مصر نيل

وقال آخر :

ألا رُبَّ خَصمٍ ذى فُنونٍ عَلَوْتُه   وإن كان أَلْوَى يُشبِه الحقَّ باطله [١]

فهذا هو معنى قولِ العتَّابىّ : « البلاغة إظهار ما غَمض من الحقّ ، وتصوير الباطل فى صورة الحقّ [٢] » . وقال الشّاعر [٣] ، وهو كما قال :

عجِبتُ لإدلال العَيِىِّ بنفسِه   وصَمْتِ الذى قد كان بالقول أَعْلَما [٤]

وفى الصَّمت سَتْرٌ للعَيِىّ وإنما   صحيفةُ لُبِّ المرءِ أَنْ يتكلما

وموضع « الصحيفة » من هذا البيت ، موضع ذكر « العنوان » فى شعره [٥] الذى رثى عثمانَ بن عفّان ، رحمه الله ، بِهِ حيث يقول :

ضَحَّوْا بأشمَطَ عُنوانُ السُّجودِ به   يقطِّع اللّيلَ تسبيحاً وقُرآنا [٥]

وأنشد أيضاً :

تَرَى الفتيانَ كالنّخْلِ   وما يُدرِيكَ ما الدّخْلُ [٦]

وكُلٌّ فى الهوى لَيْثٌ   وفيما نابَــهُ فَسْلُ

وليس الشّأنُ فى الوصلِ   ولكن أن يُرَى الفَصْلُ [٧]

---

(١) الألوى : الشديد الخصومة الجدل السليط .

(٢) انظر ما سبق فى ص ١١٣ س ١١ — ١٢ .

(٣) هو الخطفى جد جرير ، واسمه عوف ، انظر اللسان (خطف) حيث أنشد البيتين ، وكذا عيون الأخبار (٢ : ٢٧٥) . والبيتان بدون نسبة فى تاريخ بغداد (١٤ : ٢٤٨) .

(٤) فى اللسان وتاريخ بغداد : « لإزراء العيى » .وفى عيون الأخبار : « قد كان بالحق » .

(٥) أى فى شعر الشاعر ،ولم يقصد به معينا . والبيت التالى لحسان بن ثابت فى ديوانه ٤١٠ واللسان (عنن ١٦٨) . وسيأتى فى (٣ : ٢٦٢) .

(٦) الشعر لابنة الخس ، كما فى اللسان (١٨ : ١٧٩ — ١٨٠) . وقبله

قالت قالة أختى   وحجواها لها عقل

وقد ضمنت ابنة الخس هذا المثل فى شعرها ، وأما المثل « ترى الفتيان » الخ : فقائله هو عثمة بنت مطرود البجلية . انظر أمثال الميدانى (١ : ٢٢٣) .

(٧) فيما عدا ل : « الفضل » بالضاد المعجمة .

وقال كِسرى أنوشِروان ، لبُزُرْجِمِهْر (١) . أىُّ الأشياء خير للمرء العَىّ (٢) ؟ قال : عقل يعيش به . قال : فإن لم يكن له عقلٌ ؟ قال : فإخوانٌ يسترون عليه . قال : فإن لم يكن له إخوانٌ ؟ قال : فمالٌ يتحبَّبُ به إلى الناس . قال : فإن لم يكن له مال ؟ قال : فعِىٌّ صامتٌ . قال : فإن لم يكن له (٣) ؟ قال : فموتٌ مُريح .

وقال موسى بن يحيى بن خالد : قال أبو علىّ (٤) : « رسائل المرءِ فى كتُبه أدَلُّ على مِقدار عقله ، وأصْدَقُ شاهداً على غيبه لك (٥) ، ومعناه فيك ،
١٢ مِن أضعاف ذلك على المشافهة والمواجهة ».

* * *

---

(١) سبقت ترجمته فى ص ٧ ، حيث ورد الخبر التالى ببعض خلاف .

(٢) هذا ما فى ب ، وهو يطابق ما سبق . وفيما عداها : « العيى » .

(٣) فيما عدا ل : « ذلك » بدل « له » .

(٤) هذه إحدى كنيتى العتابى ، وكنيته المشهورة أبو عمرو . وجاء فى عيون الأخبار (١ : ٣٩٠) « قال يحيى بن خالد للعتابى فى لباسه ، وكان لا يبالى ما لبس – يا أبا على ، أخزى الله أمرأ رضى أن يرفعه هيئتاه من جماله وماله » والعتابى هو كلثوم بن عمرو بن أيوب ، وجده السابع هو عمرو بن كلثوم صاحب المعلقة . والعتابى شاعر مترسل بليغ مطبوع ، من شعراء الدولة العباسية ، وكان منقطعا إلى البرامكة فوصفوه للرشيد ووصلوه به ، فبلغ عنده كل مبلغ . انظر الأغانى (١٢ : ٢ : ٩) وتاريخ بغداد ١٩٦١ ومعجم الأدباء (١٧ : ٢٦) .

(٥) فيما عدا ل : « وأصدق شاهد على غيبه لك » .

وباب منه آخــر

ووصفوا كلامهم فى أشعارهم فجعلوها كبُرودِ العَصْب ، وكالحُلَل والمعاطف ، والدِّيباج والوشْى ، وأشباهِ ذلك .

وأنشدنى أبو الجَماهِر جُندب بن مدرِك الهلالىُّ :

لا يُشتَرى الحمدُ أُمْنيَةً　　ولا يُشتَرَى الحمد بالمَقْصِرِ [١]
ولكنّما يُشترَى غالياً　　فمن يُعْطِ قيمتَه يَشْتَرِ
ومَن يعتِطفْه على مِئزرٍ　　فنِعم الرِّداءُ على المِئزرِ

وأنشدنى لابن ميَّادَةَ [٢] :

نَعَمْ إنّنى مُهدٍ ثَناءً ومِدْحَةً　　كبُرْد اليمانِى يُرْبِحُ البيعَ تاجره

وأنشد :

فإنْ أهْلِكْ فقد أبقَيتُ بعدى　　قوافِيَ تُعجب المُتَمثِّلينا [٣]
لذيذاتِ المقاطع مُحْكَماتٍ　　لوَ انّ الشِّعرَ يُلبس لارْتُدِينا

وقال أبو قُرْدُودة ، يرثى ابن عمارٍ [٤] قتيلَ النُّعمان ونديمَه [٥] ، ووصف كلامه ، و [قد [٦]] كان نهاه عن منادمته :

---

(١) المقصر ، بفتح الصاد وكسرها : الشيء الدون اليسير اللسان (٦ : ٤٠٩ ، ٤١٥) .

(٢) ابن ميادة ، هو الرماح بن أبرد . وميادة أمه ، وهو شاعر مخضرم من شعراء الدولتين ، وكان ممن مدح المنصور ، ومات فى صدر خلافته . الأغانى (٢ : ٨٥ - ١١٦) .

(٣) البيتان لابن ميادة ، كما فى حماسة ابن الشجرى ٢٣٧ - ٢٣٨ . وانظر ديوان المعانى (١ : ٨) ودلائل الإعجاز ٣٦٨ .

(٤) هو عمرو بن عمار الطائى ، كان شاعرا خطيبا ، فبلغ النعمان حديثه فحمله على منادمته . وكان النعمان أحمر العينين والجلد والشعر ، وكان شديد العربدة قتالا للندماء ، فنهاه أبو قردودة عن منادمته ، فلما قتله النعمان رثاه بالشعر التالى . انظر الحيوان (٤ : ٢٤٣ / ٥ : ٣٣٢) . ومعجم المرزبانى ٢٣٦ ومحاضرات الراغب (١ : ٩٢) .

(٥) هذه الكلمة فى ل فقط .

(٦) هذه مما عدا ل .

إنِّى نَهَيْتُ ابنَ عمّارٍ وقلتُ له   لا تأمنَنْ أحْمَرَ العينين والشعَرَه
إنَّ الملوكَ متى تنْزِلْ بساحتِهِم   تَطِرْ بنارك مِن نيرانهم شَرَرَه
يا جَفنةً كإزاء الحَوض قد هَدَمُوا   ومنطقاً مثلَ وَشْيِ اليَمْنة الحِبَرَه (١)

وقال الشّاعرُ (٢) فى مديح أحمدَ بنِ أبى دُؤاد :

وعويصٍ من الأُمور بهيمٍ   غامِضِ الشَّخصِ مظلِمٍ مستورِ (٣)
قد تسهَّلتَ ما توعَّر منهُ   بلسانٍ يَزِينُهُ التَّحبيرُ (٤)
مثلُ وَشْيِ البُرود هَلْهَلَه النَّسْـ   ـحُ وعِنـد الحِجـاج دُرٌّ نثيـرُ
حَسَنُ الصَّمت والمَقاطِع إمّا   نَطـق القـومُ والحديثُ يدورُ (٥)
ثُمَّ من بَعْدُ لحظةٌ تُورِثُ اليُـ   ـسْرَ وعِـرضٌ مهـذَّبٌ موفـورُ ١٢

ومما يُضَمّ إلى هذا المعنى وليس منه ، قولُ جميل بن مَعْمَر :

نَمَتْ فى الرَّوابى من مَعَدٍّ وأُفْلِجَتْ   على الخَفِـرات الغُـرِّ وهـى وَليـدُ
أناة على نِيرينِ أضْحَى لِدَاتُها   بَلِينَ بَلَاءَ الرَّيْط وهى جديدُ (٦)

نمت : شبَّت . الرَّوابى من مَعدٍّ : البيوت الشريفة . وأصل الرابية والرُّباوة : ما ارتفع من الأرض . أُفلجت : أُظهرت (٧) . والخَفِرَات : الحيِيَّات . الأناة: المرأة التى فيها فُتورٌ عند القيام . وقوله على نِيرَين ، وصفها بالقوة ، كالثَّوْبُ الذى

---

(١) إزاء الحوض : مصب الدلو فيه .

(٢) هو الجاحظ ، كما ورد فى ترجمة ياقوت له فى معجم الأدباء (١٦ : ٨٠ – ٨١) .

(٣) فى البيت إقواء . لكن روى فى هـ برفع « عويص » وما بعده .

(٤) فى معجم الأدباء : « قد تسنمت » . وهى رواية إحدى النسخ كما فى حواشى هـ . وفى حواشيها أيضا : « يقال تسنم الرجل الحائط ، إذا علاه من عرض » .

(٥) فيما عدا ل : « أنصت القوم » . وفى معجم الأدباء : « نصت » ، وهى صحيحة يقال : نصت وأنصت ، والأخيرة أعلى .

(٦) فى المخصص (٣ : ١٥٦) :

ضناك على نيرين أضحى لداتها   بلين بلى الريطات وهى جديد

(٧) فيما عدا ل : « أفلجت : ظهرت وقهرت » . وتقرأ بالبناء للفاعل .

يَنسَج على نِيرَين ، وهو الثّوب الذى له سَدَيان ، كالدِّيباج وما أشبهه . أضحى لداتُها ، اللِّدَة : القرينة فى المولد والمنشأ . فيقول : إنَّ أقرانَها قد بَلينَ ، وهى جديدٌ لحُسن غِذائها ودوام نَعْمتها .

ومِن هذا الشكل وليس منه بعينه قولُ الشاعر :

على كلِّ ذى نيرين زِيد مَحالُهُ   مَحالاً وفى أضلاعه زِيد أضْلُعَا

المحَال : مَحال الظّهر ، وهى فَقارُه ، واحدُها مَحالة .

وقال أبو يعقوب الخُرَيمىُّ الأعور : أوّلُ شعرٍ قلتُه هذان البيتان :

بقلبى سَقَامٌ لستُ أُحْسِنُ وصفَه   على أنّه ماكان فهـو شديـدُ

تمرُّ به الأيّامُ تسحَبُ ذيلَها   فتَبْلَى به الأيّامُ وهو جديدُ

وقال الآخر [١] :

أبَى القلبُ إلّا أمَّ عمرٍو وحبَّها   عجوزاً ومَن يُحبِبْ عجوزاً يُفَنَّدِ

كبُرْد اليمانى قد تقادَمَ عهده   ورُقْعَتُه ما شئْت فى العَينِ واليَدِ

وقال ابن هَرْمة :

إنَّ الأديمَ الذى أصبحتَ تعرُكَه   جهلا لَذو نَغَلٍ بادٍ وذو حَلَمِ [٢]

ولن يَئِطَّ بأيدى الخَالِقِين ولا   أيدى الخوالق إلا جيِّدُ الأَدَمِ [٣]

وفى غير هذا الباب وهو قريب منه قول ذو الرُّمّة : ٣٧

وفى قصر حَجْرٍ من ذُؤابة عامر   إمامُ هدًى مستبصِرُ الحكم عادِلُه [٤]

---

(١) فيما عدا ل ، هـ : « وقال آخر ، هو أبو الأسود الدئلى » . والبيتان فى الحماسة (٢ : ١٢٨) منسوبان إلى أبى الأسود . وفى حواشى هـ : « هو أبو الأسود الدؤلى » .

(٢) النغل : فساد الأديم . والحلم ، بالتحريك : فساده ووقوع الدود فيه .

(٣) يئط : يصوت . والخالق : الذى يخلق الأديم ، يقدره ويقيسه قبل أن يقطعه . والأدم بالتحريك : اسم جمع للأديم ، وهو الجلد المدبوغ . ويقرأ أيضا « الأدم » بضمتين جمع أديم .

(٤) البيتان فى ديوان ذى الرمة ٤٧٤ : وفى شرح الديوان : « الحجر سوق اليمامة وقصبتها » . ب : « فعر حجر » : « قصر فقر » محرفتان . وفى هـ : « مستنصر الحكم » .

كأنّ على أعطافه ماءَ مُذهَبٍ　　إذا سَمَلُ السِّربالِ طارت رَعابلُه

الرَّعابل : القِطَع . وشواءٌ مُرعْبَلٌ : مقطّع . ورَعْبَلْتُ الشيء أى قَطَّعته . ويقال ثوب سَمَلٌ وأسمالٌ . ويقال سَمَل الثوب وأسمل ، إذا خَلُقَ (١).

وهو الذى يقول :

حوراءُ فى دَعَجٍ صفراء فى نَعَجٍ　　كأنها فضّة قد مَسَّها ذهبُ

الحوَر : شدّة بياض العين . والدَّعجُ : شدة سواد الحدقة . والنَّعَجُ : اللِّين . قالوا: لأنَّ المرأة الرقيقةَ اللون يكون بياضُها بالغداة يضرب إلى الحمرة ، وبالعشىِّ يضرب إلى الصفرة . ولذلك قال الأعشى :

بيضاءُ ضَحْوتَهـا وصفـ　　ـراء العَشيَّةِ كالعَـراره (٢)

وقال آخر :

قد علمتْ بيضاءُ صَفْراءُ الأُصُلْ (٣)　　لأُغْنينَّ اليوم ما أغنى رجُلْ

وقال بشّار بن بُرْد :

وخِذِى مَلابسَ زينةٍ　　ومُصَبَّغاتٍ فَهْىَ أفخَرْ
وإذا دخلتُ تقنَّعِى　　بالحُمر إنَّ الحسْنَ أحمرْ (٤)

وهذان أعميانِ (٥) قد اهتدَيَا من حقائق هذا الأمر إلى مالا يبلُغه تمييز البَصِير (٦). ولبشّارٍ خاصّةً فى هذا الباب ما ليس لأحد ، ولولا أنّه فى كتاب الرَّجُل والمرأة وفى باب القول فى الإنسان من كتاب الحيوان ، أَلْيَقُ وأزكى (٧) لذكرناه فى هذا الموضع.

---

(١) هـ : « أخلق » .
(٢) ديوان الأعشى ١١١ واللسان (عرر) .
(٣) الأصل : جمع أصيل ، وهو آخر النهار
(٤) فى حواشى هـ : « أبو على : يقال فى مثل للعرب : الحسن أحمر ، أى من أراد الحسن صبر على أشياء يكرهها » . وفى اللسان : « يلقى منه المشقة والشدة كما يلقى من القتال » .
(٥) فى حواشى هـ : « خشنى : كان الأعشى قد عمى ، فلذلك قال : أعميان » .
(٦) ل : « البصر » .
(٧) أزكى : أصلح . فيما عدا ل ، هـ : « أذكى » تحريف .

ومما ذكروا فيه الوزْنَ قوله :

زِنِى القَوْمَ حتَّى تعرفى عند وزنهم　　إذا رفع الميزانُ كيف أميلُ (١)

وقال ابن الزَّبير الأسدىّ ، واسمه عبدُ الله (٢) :

أعاذِلَ غُضِّى بعضَ لَوْمِكِ إنّنى　　أرى الموتَ لا يرضى بدَينٍ ولا رَهْنِ ٨

وإنى أرى دهراً تَغَيَّرَ صَرْفُه　　ودُنْيا أراها لا تقومُ على وزْنِ

* * *

---

(١) ل : « حتى تعرفى عند وزنه » . وكلمة « واسمه عبد الله » ساقطة من هـ .

(٢) الزبير ، هذا ، بفتح الزاى . وهو عبد الله بن الزبير بن الأشيم بن الأعشى بن بجرة ينتهى نسبه إلى أسد بن خزيمة ، وهو شاعر كوفى المنشأ والمنزل ، من شعراء الدولة الأموية ومن شيعتهم والمتعصبين لهم ، فلما غلب مصعب بن الزبير على الكوفة أتى به أسيرا ، فمن عليه ووصله ، فمدحه وأكثر من مدحه وانقطع إليه ، فلم يزل معه حتى قتل وعمى بعد ذلك ، ومات فى خلافة عبد الملك بن مروان . وكان أحد الهجائين يخاف الناس شره . الأغانى (١٣ : ٣١ – ٤٧) والخزانة (١ : ٣٤٥) ومعاهد التنصيص (١ : ٢٠) . ولم يذكره الصفدى فى نكت الهميان .

وباب آخر

ويذكرون الكلام الموزونَ ويمدحُون به ، ويفضِّلون إصابة المقادير ، ويذمُّون الخروجَ من التعديل [١].

قال جعفر بنُ سليمان : ليس طِيبُ الطّعام بكثرة الإنفاق وجودة التَّوابل ، وإنّما الشّأنُ فى إصابة القَدْر . وقال طارقُ بن أُثالٍ الطائىّ [٢] :

ما إنْ يزالُ ببغدادٍ يزاحمنا　　على البَراذينِ أشباهُ البراذينِ
أعطاهُم اللهُ أموالاً ومنزلةً　　من الملوك بلا عقلٍ ولا دينِ
ما شئتَ مِن بغلةٍ سَفواءَ ناجيةٍ　　ومِن أثاثٍ وقول غير موزونِ [٣]

وأنشدنى بعض الشعراء [٤] .

رأَتْ رجلاً أودى السِّفارُ بجسمه　　فلم يبق إلّا مَنطِقٌ وجَناجِنُ [٥]

[الجناجن : عظام الصّدر [٦]] .

إذا حُسِرَتْ عنهُ العمامةُ راعَها　　جَمِيلُ الحفوفِ أغفلَتْهُ الدّواهنُ [٧]
فإن أكُ مَعرُوقَ العظامِ فإنّنى　　إذا ما وَزَنْتَ القومَ بالقومِ وازنُ [٨]

وقال مالك بن أسماءَ فى بعض نسائه ، وكانت تصيب الكلام كثيراً ، وربما لحنَتْ :

---

(١) فيما عدا ل : « التبويل » محرف . وكلمة : « من التعديل » ليست فى هـ .

(٢) فيما عدا ل : « وقال الشاعر وهو طارق بن أثال الطائى » .

(٣) سفواء : خفيفة سريعة . فيما عدا ل : « سفواء : ناجية سريعة » .

(٤) الشعر التالى لكثير عزة ، كما فى الأغانى (١٤ : ٥٧) .

(٥) السفارة : مصدر سافر ، كالمسافرة .

(٦) هذه مما عدا ل . والمفرد جنجن ، بكسر الجيمين وفتحهما .

(٧) الحفوف : الشعث وبعد العهد بالدهن . فيما عدا ل : « الحقوق » تحريف .

(٨) معروق العظام : قليل اللحم .

أمغطًّى مِنّى على بَصرِى للـــحُبِّ أمْ أنتِ أكملُ النّاس حُسْنا (١)
وحديثٍ ألَذُّه هو ممّا ينعتُ النّاعِتونَ يُوزَن وزْنا
مَنطِقٌ صَائبٌ وتلحن أحيا ناً وخَيْرُ الحديثِ ما كان لحنا

وقال طَرَفة فى المقدار وإصابته : ١٣٩

فسقَى ديارَكَ غيرَ مُفْسِدِها صَوبُ الرّبيع ودِيمَةٌ تَهمِى (٢)

طلب الغيثَ على قدْر الحاجة ، لأن الفاضل ضارّ . وقال النبىُّ ﷺ فى دعائه (٣) : « اللهمَّ اسقِنا سقياً نافعاً ». لأنّ المطر ربّما جاءَ فى غير إبَّان الزّراعات ، وربما جاء والتّمر فى الجُرْنِ ، والطّعام فى البَيادر ، وربّما كان فى الكثرة مجاوزاً لمقدار الحاجة . وقال النبى ﷺ : « اللهمّ حوالَيْنا ولا علينا (٤) » .

وقال بعض الشُّعراء لصاحبه : أنا أشعرُ منك . قال : ولِم ؟ قال : لأنّى أقول البيتَ وأخاه ، وأنت تقولُ البيتَ وابن عمِّه .

وعاب رؤبةُ شعر ابنه فقال : « ليس لشعره قِرَان (٥) » . وجعل البيت أخا البيت إذا أشبهه وكان حقه أن يُوضَع إلى جنْبه . وعلى ذلك التأويل قال الأعشى :

أبا مِسْمَعٍ أقصِرْ فإنَّ قصيدةً متى تأتكم تُلحَقْ بها أخواتُها

وقال الله عز وجل : ﴿ وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ﴾ .

وقال عمرو بن معدى كرب :

وكل أخٍ مفارِقُهُ أخـــوه لعَمْر أبيك إلّا الفرقدانِ (٦)

---

(١) سبقت الأبيات والكلام عليها فى ص ١٤٧ . وانظر كذلك أمالى ثعلب ٥٩٩ والقالى (١ : ٥) والمرتضى (١ : ١٠) .

(٢) ديوان طرفة ٦٢ ومعاهد التنصيص (١ : ١٢٢) من قصيدة يمدح بها قتادة بن مسلمة الحنفى .

(٣) الكلام من هنا إلى نهاية قوله : « ﷺ » من ب ، هـ فقط .

(٤) الكلمة الأولى من الحديث ساقطة من ل ، هـ .

(٥) انظر ما سبق فى ص ٦٨ .

(٦) انظر الخزانة (٢ : ٥٢) والكامل ٧٦٠ وسيبويه (١ : ٣٧١) . والبيت ينسب أيضا إلى حضرمى بن عامر . المؤتلف ٨٥ .

وقالوا فيما هو أبعد مَعنىً وأقلُّ لفظاً . قال الهُذَلىّ (١) :

أعامرُ لا آلوك إلاّ مهُنَّداً وجِلد أبى عجلٍ وثيقَ القبائلِ (٢)

ويعنى بأبى عجلٍ الثّور .

وقالوا فيما هو أبعد من هذا . قال ابن عَسَلة الشيبانى ، واسمه عبدُ المسيح (٣):

وسَماَعِ مُدْجِنَةٍ تعلِّلُنا حتى نَنامَ تناوُمَ العُجْمِ (٤)

فصحوت والنَّمَرِىُّ يحسبها عمَّ السِّماك وخالَةَ النّجمِ (٥)

النجم واحدٌ وجمع (٦) . والنَّجم : الثريّا فى كلام العرب . مدجنة ، أى سحابة دائمة .

وقال أبو النَّجْم فيما هو أبعد من هذا ، ووصف العَيرَ والمَعْيُوراء ، وهو الموضع الذى يكون فيه الأعيار (٧) :

---

(١) أبو خراش الهذلى . انظر نسخة الشنقيطى من الهذليين ٧١ .

(٢) فى ديوان الهذليين : « أواقد » . وفى المخصص (١٣ : ١٧٤) :

أَوَاقدُ لا آلوك إلا مهندا وجلد أبى العجل الشديد القبائل

قال : « يعنى ترسا عمل من جلد ثور مسن شديد قبائل الرأس » .

(٣) هو عبد المسيح بن حكيم بن عفير . وعسلة أمه نسب إليها ، وهى عسلة بنت عامر بن شراكة الغسانى . انظر المؤتلف ١٥٧ – ١٥٨ والمرزبانى ٣٨٥ وكتاب من نسب إلى أمه من الشعراء . وقد نشرته محققاً بمجلة المقتطف مايو سنة ١٩٤٥ ونوادر المخطوطات ١ : ٨١ – ٩٦) وقصيدة البيتين فى المفضليات (٢ : ٧٩) .

(٤) المدجنة : القينة تغنى فى يوم الدجن ، بفتح الدال ، وهو تكاثف الغيم . تعللنا : تلهينا بصوتها . قال الأصمعى : « كانت الأعاجم إذا نامت لم يجترأ عليها أن تنبه . ولكن يعزف حولها ويضرب حتى تنتبه » . والآمدى يرويه : « تناؤم العجم » . قال « تناؤم من النئيم ، أى تتكلم بما لا يفهم » .

(٥) النمرى ، هو كعب ، أحد بنى النمر بن قاسط . أى يحسب القينة فى عظيم قدرها عما للسماك ، وخالة للثريا . وفى جميع النسخ : « فصحوت » . وكذا فى الحيوان (١ : ٢١٢ ، ٢٨٦) . وصواب روايته : « لصحوت » . لأن البيت جواب لبيت سابق ، وهو:

يا كعب إنك لو قصرت على حسن الندام وقلة الجرم

(٦) هذا الكلام مما عدا ل . وقد ورد أيضا فى الحيوان (١ : ٢٨٦) .

(٧) ل : « الذى يكون فيه » . على أن المعروف أن « المعيوراء » جمع من جموع العير .

* وظَلَّ يُوفى الأُكَمَ ابنُ خَالِهاَ *

فهذا مما يدلُّ على توسُّعهم فى الكلام ، وحَمْلِ بعضه على بعض ، واشتقاق بعضِه من بعض (١)

وقال النبى ﷺ : « نِعْمَتِ العمّةُ لكُم النَّخْلة » ، حين كانَ بينها وبين الناس تشابهٌ وتشاكل ونسبٌ من وجوهٍ . وقد ذكرنا ذلك فى كتاب الزَّرع والنَّخْل .

وفى مثل ذلك قال بعض الفصحاء :

شَهِدْتُ بأن التمرَ بالزبد طَيِّبٌ   وأنّ الحُبارَى خالة الكَروانِ (٢)

لأنَّ الحُبارَى ، وإن كانت أعظمَ بدناً من الكَرَوانِ ، فإنَّ اللَّونَ وعَمُودَ الصُّورة واحد ، فلذلك جعلها خالتَه ، ورأى أنّ ذلك قَرابةٌ تستحقّ بها هذا القول .

* * *

---

(١) هذه الجملة مما عدا ل .

(٢) فى الحيوان (٦ : ٣٧٢) ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٩٩) : « ألم تر أن الزبد » .

باب آخر من الشعر مما قالوا فى الخطب واللَّسَن والامتداح به والمديح عليه

قال كعبٌ الأشقَرِىّ (١) :

إلاّ أَكُنْ فى الأرض أخطبُ قائما   فإنِّى على ظَهر الكُميت خطيبُ

وقال ثابت قُطنَة :

فإلاّ أكنْ فيهم خطيباً فإننى   بسُمْر القنا والسَّيف جِدُّ خطيبِ (٢)

وقالت ليلى الأخيليَّة :

حتّى إذا رُفِع اللِّواء رأيته   تحت اللِّواء على الخميس زعيما (٣)

وقال آخر :

عجبتُ لأقوامٍ يعَيبُون خُطبتى   وما منهمُ فى مَأقِطٍ بخطيبِ (٤)

وهؤلاء يفخرون بخُطَبِهم التى عليها يعتمدون ، بالسُّيوفِ والرِّماح (٥) ، وإن كانوا خطباء . وقال دُريد بن الصِّمّة (٦) :

أبلِغْ نُعَيماً وأوفَى إن لقيتَهُما   إن لم يكن كان فى سمعيهما صممُ
فلا يزالُ شهـابٌ يُستضاء به   يَهدِى المَقانِبَ مالم تَهلِكِ الصِّمَمُ (٧)

---

(١) هو كعب بن معدان الأشقرى ، شاعر فارس خطيب ، من أصحاب المهلب ، مذكور فى حروب الأزارقة . الأغانى (١٣ : ٥٤ – ٦١) ومعجم المرزبانى ٣٤٦ .

(٢) فيما عدا ل : « أكن فيكم » و « جد لعوب » .

(٣) من مقطوعة لها رواها أبو تمام فى الحماسة (٢ : ٢٧٦ – ٢٧٧) . وقبله :

ومخرق عنه القميص تخاله   وسط البيوت من الحياء سقيما

(٤) ل : « فى موقف » . وكتب فى هامشها « خ : مأقط » . وانظر ص ٢١٨ .

(٥) ل : « بأنّ خطبهم التى عليها يعتمدون السيوف والرماح » تحريف .

(٦) الأبيات التالية يرثى بها أخاه عبد يغوث بن الصمة . الأغانى (٩ : ٨) .

(٧) فى الأغانى : « فلا يزال شهابا » . وبين هذا وسابقه فى الأغانى :

فما أخى بأخى سوء فينقصه   إذا تقارب بابن الصادر القسم

والصمم : جمع صمة ، بكسر الصاد وتشديد الميم : وهو الشجاع : فى الأغانى : « الأمم » .

عارِى الأشاجع معصوبٌ بلمَّته   أمرُ الزَّعامة فى عِرنينه شَمَمُ

المقانب : جمع مِقنبٍ ؛ والمقنب : الجماعة من الخيل ليست بالكثيرة . والأشاجع : عروقُ ظاهرِ الكفّ ، وهى مغرِز الأصابع . واللِّمّة : الشّعرة التى ألمَّت بالمنكب . وزَعيم القوم : رأسُهم وسيِّدهم الذى يتكلّم عنهم . والزَّعامة : مصدر الزّعيم الذى يسود قومَه . وقوله « معصوبٌ بلمّته » أى يُعصَب برأسه كلُّ أمر . عِرنينه : أنفه .

وقال أبو العباس الأعمى [1] ، مولى بنى بكر بن عبد مناةَ فى بنى عبد شمس :

ليت شعرى أفاح رائحة المسـ   ـك وما إن أخال بالخَيْف إنسِى [2]

حين غابت بنو أميّةَ عنه   والبهاَليلُ من بنى عَبد شمسِ

خطباءٌ على المنابر فُرسا   نٌ عليها وقالةٌ غير خُرْسِ

لا يُعابُون صامتِينَ وإنْ قا   لُوا أصابوا ولم يقولوا بلَبْسِ

بحلومٍ إذا الحلوم استُخِفّتْ   ووجوهٍ مثلِ الدنانير مُلْسِ [3]

وقال العجّاج :

وحاصِنٍ من حاصِناتٍ مُلْسِ   من الأذَى ومن قِرافِ الوَقْسِ [4]

المحصَنة : ذوات الزوج . والحاصن : العفيف . والوقس : العيب [5].

وقال امرؤ القيس :

ويارُبَّ يومٍ قد أروح مرُجَّلاً   حبيباً إلى البيض الكواعب أملسا [6]

---

(١) سبقت ترجمته فى ص ٢١٨. والأبيات التالية فى مروج الذهب (٣ : ٢٩٥) والأغانى (١٥ : ٥٧) ونكت الهميان للصفدى ١٥٤ . وقد ذكر فيها قصة الشعر .

(٢) الخيف : موضع فى الحجار . وفى حواشى هـ : « أراد أنسيا فخفف ياء النسب ضرورة فى الشعر » .

(٣) فى الأغانى : « إذا الحلوم تقضت » . قال : « ويروى مكان تقضت : اضمحلت » .

(٤) وكذا جاءت نسبتهما فى اللسان (وقس) . وجاءا فى (حصن) بدون نسبة . وليسا فى ديوان العجاج ولا ملحقاته .

(٥) فيما عدا ل : « العفيفة » . والحاصن يقال للمذكر والمؤنث .

(٦) فيما عدا ل : « الجرب » .

(٧) ديوان امرئ القيس ١٤١ .

وقال أبو العباس الأعمى :

ولم أرَ حَيًّا مثلَ حيٍّ تحمّلوا   إلى الشام مظلومِينَ منذُ بُرِيتُ
أعزَّ وأمضى حين تَشتجِرُ القنا   وأعلمَ بالمسكين حيث يبيتُ
وأرفَقَ بالدُّنيا بأَوْلَى سياسةٍ   إذا كاد أمرُ المسلمين يفوتُ
إذا مات منهم سيّدٌ قام سيّدٌ   بصيرٌ بعَورات الكلام زَمِيتُ

وقال آخر :

لا يُغْسَل العِرْضُ مِن تدنسِهِ   والثّوب إن مَسَّ مدنَساً غُسِلا
وزَلّةُ الرِّجل تُستقالُ ولا   يكاد رأىٌ يُقيلك الزّللا

وقال آخر فى الزّلل :

ألهفى إذْ عَصَيْتُ أبا يزيدٍ   ولهفى إذْ أطعت أبا العَلاءِ
وكانت هَفوةً من غير ريحٍ   وكانت زَلّةً من غير ماءِ

وقال آخر (١) :

فإنّكَ لم ينذِرْك أمراً تخافُه   إذا كنت فيه جاهلاً مثلُ خابرِ

وقال ابن وابصة [اسمُه سالم (٢)] ، فى مقامٍ قامَ فيه مع ناسٍ من الخُطباء :

يأيها المتحلّى غيرَ شيمتِه   ومَن سجيّته الإكثارُ والمَلَقُ
اعمِدْ إلى القَصْد فيما أنت راكبُه   إنّ التخلُّق يأتى دونَه الخُلُقُ
صَدّت هُنيدةُ لما جئتُ زائرها   عنّى بمطروفةٍ إنسانُها غَرِقُ
وراعَها الشَّيبُ فى رأسى فقلتُ لها   كذاكِ يصفَرُّ بعد الخُضْرة الورَقُ

---

(١) فى حواشى هـ : « هو جران العود » .

(٢) هذه مما عدا ل . ونسبة الشعر إلى سالم بن وابصة هى كذلك فى الحماسة (١ : ٢٩٥) ونوادر أبى زيد ١٩١ والمؤتلف ١٩٧ . ونسب فى الحيوان (٣ : ١٢٧) والعقد (٢ : ٢٤) وزهر الآداب (١ : ٧٧) والشعراء ١٢٨ إلى العرجى ، وفى حماسة البحترى ٣٥٨ إلى ذى الإصبع ، وورد بدون نسبة فى أمالى ثعلب ٣٠٠ . وسالم بن وابصة ، شاعر فارس من شعراء عبد الملك بن مروان . انظر المؤتلف وشرح شواهد المغنى للسيوطى ١٤٣ .

بلْ موقِفٍ مثلِ حدِّ السيف قمتُ به   أحمِى الذِّمار وترمينى به الحدَقُ (١)
فما زلَلْتُ ولا أُلفِيتُ ذا خَطَلٍ   إذا الرِّجال على أمثالها زَلِقُوا

قال : وأنشدنى لأعرابيّ من باهِلَة :

سأُعْمِل نَصَّ العِيس حتى يكُفَّنى   غِنَى المال يوماً أو غنى الحدَثَانِ (٢)
فلَلْموتُ خيرٌ من حياةٍ يُرَى لها   على الحُرِّ بالإقلال وَسْمُ هوانِ
متى يتكلَّمْ يُلْغَ حسنُ حديثِه   وإن لم يَقُلْ قالوا:عديمُ بيانِ (٣)
كأنَّ الغِنَى عَنْ أهله ، بُورِكَ الغِنى،   بغيرِ لسانٍ ناطــقٌ بلسانِ (٤)

وفى مثلها فى بعض الوجوه قال عروة بن الورد (٥) : ٣

ذرِينى للغِنَى أسعَى فإنِّى   رأيتُ النّاس شرُّهم الفقيرُ
وأهْوَنُهم وأحقَرُهم لديهمْ   وإن أمسى له كَرَمٌ وخِيرُ (٦)
ويُقصَى فى الندىِّ وتزدريه   حليلتُه ويَنْهَرُه الصَّغيرُ (٧)
وتلقَى ذا الغِنى وله جلالٌ   يكاد فؤادُ صاحبِه يطيرُ (٨)
قليلٌ ذنْبُه والذّنبُ جَمٌّ   ولكنَّ الغِنَى ربٌّ غفورُ (٩)

---

(١) بل ، هنا ، بمعنى رب ، تعمل عملها ، كما فى قوله :

* بل جوز تيهاء كظهر الحجفت *

(٢) الأبيات فى عيون الأخبار (١ : ٢٣٩) . العيس : الإبل البيض يخالط بياضها شقرة ، جمع أعيس وعيساء . ونصها : تحريكها حتى تستخرج أقصى ما عندها من الجرى . والحدثان : الحوادث .

(٣) هـ : « حكم كلامه » . وأشير فى حاشيتها إلى رواية : « مقاله » .

(٤) أى ناطق بلسان أهله . فيما عدا ل : « فى أهله » . وما أثبت من ل أجود ، وهو المطابق لما فى عيون الأخبار .

(٥) الأبيات مما لم يرو فى ديوان عروة . وقد رويت له فى عيون الأخبار (١ : ٢٤٢) .

(٦) الخير ، بالكسر : الشرف والأصل . فيما عدا ل : « نسب وخير » .

(٧) الندى : مجلس القوم ، كالنادى والمنتدى . التيمورية : « ويغضى فى الندى » .

(٨) فيما عدا ل : « ويلقى ذو الغنى » .

(٩) كذا فى ل ، هـ والتيمورية . وفى ب ، جـ : « ولكن للغنى » . وأنشده المرتضى فى أماليه (١ : ٣٨) : « ولكن الغنى » ، وقال : « أراد غنى رب غفور » .

وقال ابن عبَّاس رحمه الله : « الهَوَى إله معبود » . وتلا قولَ الله عزَّ وجل : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ ﴾ .

وقال أبو الأعور سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيل (١) :

تلك عِرساىَ تنطقان على عَمْـــدٍ لِىَ اليومَ قولَ زُور وهِتْرِ (٢)
سالَتَانى الطَّلاقَ أَنْ رأتَا ما ... لِي قليلاً قد جئتمانى بنُكْرِ (٣)
فلعلِّى أن يكثُرَ المالُ عِندى ... ويعرَّى من المَغارم ظهرِى
وتُـرى أعبـدٌ لنـا وأواقٍ ... ومناصيفُ من خوادمَ عَشْرِ (٤)
ونجُرُّ الأذيال فى نعمةٍ زَوْ ... لٍ تقولان: ضَعْ عصاك لدَهْرِ (٥)
وَىْ كأنْ مَن يكن له نشَبٌ يُحْـــبَبْ ومن يفتقِرْ يَعِشْ عَيْشَ ضُرِّ (٦)
ويُجَنَّبْ سِرّ النَّجِىّ ولكـ ... ـنّ أخا المال مُحْضَرٌ كُلَّ سِرِّ

المناصيف : الخَدَم واحِدهم مَنْصَفٌ وناصِفٌ، وقد نَصَفَ القوم يَنْصِفُهُم نِصَافَةً ،

---

(١) أبو الأعور سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، أحد العشرة المبشرين ، وهو أحد الصحابة الذين أسلموا قديما . وفى بيته أسلم عمر بن الخطاب ، لأنه كان زوج أخته فاطمة . توفى سنة ٥٠ . الإصابة ٣٢٥٤ وتهذيب التهذيب . وأبوه زيد بن عمرو أحد الصحابة الذين آمنوا بالرسول قبل أن يبعث . الإصابة ٢٩١٧ والخزانة (٣ : ٩٩) . والأبيات التالية تروى حينا لسعيد ، وحينا لوالده . وتروى كذلك لنبيه بن الحجاج ، كما فى الخزانة وشرح أبيات الكتاب للشنتمرى (٢ : ١٧٠) . ونسبت لزيد فى عيون الأخبار (١ : ٢٤٢) .

(٢) الهتر ، بالكسر : الكذب والخطأ فى الكلام .

(٣) استشهد به سيبويه على إبدال الألف فى « سالتانى » من الهمزة . وفى سيبويه (١ : ٢٩٠ / ٢ : ٣٩٠) : « أن رأتانى قل مالى » . وأشير إلى هذه الرواية فى حواشى هـ .

(٤) أواق ، فسره البغدادى بأنه جمع أوقية من الذهب أو الفضة . وقال : ويروى بدله : وجياد .

(٥) ب فقط : « دع عصاك » تحريف . ضع عصاك ، كناية عن الإقامة ؛ لأن المقيم يضعها عن يده ، والمسافر يحملها . لدهر ، أى إلى انقضاء دهر . وفى هامش ل : « خ : مثل قول الشاعر . فألقت عصاها واستقر بها النوى » .

(٦) النشب ، بالتحريك : المال الأصيل من الناطق والصامت . وانظر مجالس ثعلب ٣٨٩ .

إذا خدَمَهم . نعمةٌ زَولٌ : حسنة . [والزَّول : الخفيف الظريف ، وجمعه أَزْوال (١)] .

وقال عَبيد بن الأبرص فى نحو هذا وليس كمثله :

تلك عِرسى غضبَى تريد زِيالى … أَلبينٍ تريدُ أم لدَلَالِ (٢) ٤٤
إن يكن طِبُّكِ الفراقَ فلا أَحْـ … ـفِلُ أن تَعطِفِى صُدورَ الجِمال (٣)
أو يكن طِبُّكِ الدَّلالَ فلو فى … سالف الدَّهرِ واللّيالى الخوالى
كنتِ بيَضاءَ كالمَهاةِ وإذْ آ … تيكِ نَشْوانَ مُرخياً أذْيالى
فاتركى مَطَّ حاجِبَيكِ وعيشى … مَعَنا بالرَّجـاءِ والتَّأمـالِ
زعمَتْ أنَّنى كبِرتُ وأنّى … قَلَّ مالى وضَنَّ عنى المَوالى
وصحا باطِلِى وأصبحتُ شيخاً … لا يُواتِى أمثالَها أمثالى
إنْ ترَيْنى تغيَّرَ الرأسُ مِنّى … وعلا الشَّيبُ مَفْرِقى وقَذالى
فبِما أدخلُ الخِباء عَلَى مَهْـ … ـضومةِ الكشحِ طَفْلَةٍ كالغَزالِ
فتعاطيتُ جِيدَها ثمَّ مالتْ … مَيلانَ الكثيب بين الرِّمالِ
ثم قالت : فِدًى لنفسِك نفسى … وفداءٌ لمال أهلِكَ مالِى

الكشح : الخَصْر . وقوله : « مهضومة » ، أراد لطيفة . والطَّفلة : الرَّخصة النَّاعمة (٤) .

* * *

قال : وخرج عثمانُ بن عفانَ — رحمه الله — من داره يوماً ، وقد جاء عامر ابن عبد قيس (٥) ، فقعد فى دهليزه ، فلما خرج رأى شيخاً دميماً أشْغَى ثَطًّا ، فى عباءة ، فأنكره وأنكر مكانَه ، فقال : يا أعرابى ، أين رَبُّكَ ؟ فقال : بالمِرْصَاد ! [والشَّغَى : تراكب الأسنان واختلافها . ثَطّ : صغير اللحية (٦)] .

(١) هذه مما عدا ل .
(٢) الأبيات من قصيدة له فى مختارات ابن الشجرى ١٠٢ . والزيال : المفارقة .
(٣) هذا البيت فى ل ، هـ و التيمورية فقط . (٤) هذا التفسير من هـ .
(٥) سبقت ترجمته فى ص ٨٣ . (٦) هذا مما عدا ل .

ويقال إن عثمان بن عفان لم يُفحِمْه أحدٌ قط غير عامرِ بن عبد قيس .

ونظر معاويةُ إلى النَّخّار بن أوسٍ العُذْرىّ (١) ، الخطيب الناسب ، فى عباءةٍ فى ناحيةٍ من مجلسه ، فأنكره وأنكر مكانَه زِرايةً منه عليه ، فقال : من هذا ؟ فقال النَّخّار : يا أمير المؤمنين ، إنّ العباءة لا تكلِّمك ، وإنما يكلِّمك مَن فيها !

قال : ونظر عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى هَرِم بن قُطْبة (٢) ،
١٤ ملتفًّا فى بَتٍّ فى ناحيةِ المسجد ، ورأى دمامته وقِلّته ، وعَرَف تقديمَ العرب له فى الحُكم والعِلم ، فأحبَّ أن يكشِفَه ويَسبُر ما عنده ، فقال : أرأيت لو تنافرا إليك اليومَ أيَّهما كنت تنفِّر ؟ يعنى عَلقمة بن عُلاثَةَ ، وعامرَ بن الطُّفَيل . فقال : يا أمير المؤمنين : لو قلتُ فيهما كلمةً لأعدتُها جَذَعةً . فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : لهذا العقل تحاكمت العربُ إليك .

ونظر عمر إلى الأحنف وعنده الوفْدُ (٣) والأحنف ملتفٌّ فى بَتٍّ له (٤) ، فترك جميع القومِ واستنطقَه ، فلما تبعَّق منه ما تبعَّق ، وتكلم بذلك الكلامِ البليغ المصيب ، وذهب ذلك المذهَبَ ، لم يزَلْ عنده فى عَلياءَ ، ثم صار إلى أن عقد له الرِّياسة ثابتاً له ذلك (٥) ، إلى أن فارقَ الدنيا .

ونظر النُّعمانُ بن المنذر إلى ضَمْرة بن ضَمْرة (٦) ، فلما رأى دمامته وقِلَّته قال : « تَسمعُ بالمُعَيدىّ لا أنْ تراه » ، هكذا تقوله العرب . فقال ضمرة : « أبيتَ اللّعن ، إنّ الرجال لا تُكال بالقُفْزان ، ولا تُوزَن فى الميزان (٧) ، وإنَّما المرءُ بأصغَرَيْه : قلبِه ولسانه » .

---

(١) سبقت ترجمته فى ص ٢٥ . (٢) سبقت ترجمته فى ص ١٠٩ .

(٣) هم وفد العراق ، أهل البصرة والكوفة . وخبر هذا الوفد فى العقد (١ : ١٩١) .

(٤) البت : كساء غليظ مربع .

(٥) ل : « ثابتة له » فقط .

(٦) سبقت ترجمته فى ص ١٧١ ، حيث مضى الخبر .

(٧) فى حواشى هـ : « وقع فى بعض النسخ : « لا تكال بالقفزان ، ولا توزن بالميزان ، ولا تعرف إلا بعد الامتحان » .

وكان ضَمرةُ خطيباً ، وكان فارساً شاعراً شريفاً سيِّداً .

وكان الرَّمَق بن زيد (١) مدح أبا جُبَيْلَةَ الغسَّانى (٢) ، وكان الرَّمَق دَميماً قصيراً ، فلما أنشده وحاوره ، قال : « عسَلٌ طيِّبٌ فى ظَرف سَوءٍ » .

قال : وكلَّم عِلباءُ بنُ الهَيثم السَّدوسى (٣) عمرَ بن الخطاب ، وكان عِلباءٌ أعورَ دميماً ، فلمَّا رأى براعتَه وسمِع بيانَه ، أقبل عمر يصعِّد فيه بصرَه ويَحْدُرُه ، فلما خرج قال عمر : « لكلِّ أُناسٍ فى جُمَيْلِهِمْ خُبْرٌ (٤) » .

* * *

وقال أبو عثمان : وأنشدتُ سهلَ بن هارونَ ، قولَ سلَمة بن الخُرشُب (٥) وشعرَه الذى أرسل به إلى سُبَيع التغلبى (٦) فى شأن الرُّهُن التى وضعت على يديه فى قتال عَبْسٍ وذُبيان ، فقال سَهل بن هارون . واللهِ لكأنّه قد سمع رسالةَ عمر

(١) فى الاشتقاق ٢٧٠: « ومنهم الرمق بن زيد بن غنم الشاعر ، جاهلى . والرمق معروف ، وهو باقى النفس » . وذكر فى حواشيه عن العسكرى أنه « الدمق » واسمه عبيد بن سالم بن مالك . وفى الأغانى (١٩ : ٩٦) أن الرمق لقب له ، واسمه عبيد بن سالم بن مالك .

(٢) أبو جبيلة الغسانى ، أحد ملوك الغساسنة بالشام . وفى ملوكهم جبلة بن الأيهم الغسانى آخر ملوك الغساسنة . وكان الرمق قد مدح أبا جبيلة بشعر قال فيه :

وأبو جبيلة خير من يمشى وأوفاهم يمينا
وأبره برا وأعـــلمه بعلم الأولينا

وهذا الشعر هو الذى يشير إليه الجاحظ . انظر الأغانى (١٩ : ٩٦) . ب والتيمورية : « أبا جبلة الغسانى » .

(٣) فيما عدا ل ، هـ : « وتكلم علباء » . وفى ب فقط بعد كلمة « السدوسى » : « عند » وما فى أمثال الميدانى (٢ : ١١٥) يطابق ما أثبت من ل ، حـ . وهو علباء بن الهيثم بن جرير ، وأبوه من الرؤساء الذين حاربوا كسرى فى وقعة ذى قار . وأدرك علباء الجاهلية والإسلام ، وشهد الجمل واستشهد بها . الإصابة ٦٤٤٣ . وسيأتى الخبر فى (٣ : ٢٩٩ – ٣٠٠) .

(٤) الجميل : تصغير الجمل . والخبر ، بضم الخاء وكسرها : العلم والمعرفة . فيما عدا ل : « خبرة » ، وهى بضم الخاء وكسرها كالخبر . وفى أمثال الميدانى : « لكل أناس فى بعيرهم خبر » . وضبط فى هـ « خبر » بالتحريك . وأنشد التبريزى فى شرح الحماسة ١ : ٢٧٤ بيتا فى شعر يتحتم معه هذا الضبط ، وهو قوله :

فآليت لا أشرِى بعيرا بغيره لكل أناس فى بعيرهم خبر

(٥) سلمة بن الخرشب ، أحد شعراء المفضليات ، واسمه سلمة بن عمرو بن نصر ، والخرشب لقب أبيه ، وأصل معناه الطويل السمين .

(٦) ب فقط : « الثعلبى » مع أثر تصحيح .

ابن الخطاب إلى أبى موسى الأشعرى فى سياسة القضاء وتدبير الحكم [١].

والقصيدة قوله :

أبلغ سُبَيعاً وأنت سيِّدُنا ... قِدْماً وأوفى رجالِنا ذِمَما
أنَّ بَغيضاً وأنَّ إخوتَها ... ذُبيانَ قد ضرَّموا الذى اضطرما
نُبِّيتُ أنْ حكَّموك بينهمُ ... فلا يَقُولُنَّ بئس ما حَكَما
إن كنتَ ذَا خُبرةٍ بشأنهمُ ... تعرفُ ذا حَقِّهم ومن ظَلَما
وتُنْزِلِ الأمرَ فى منازِلِه ... حُكماً وعلماً وتَحْضُرُ الفَهَما [٢]
ولا تُبالى مِن المُحِقّ ولا المُبْـ ... ـطِلِ لا إلَّةً ولا ذِمَما
فاحكمْ وأنت الحكِيمُ بينهمُ ... لن يَعْدَموا الحكمَ ثابتاً صَتَمَا

الصَّتَمُ : الصحيح القوىُّ ؛ يقال رجلٌ صَتَمٌ ، إذا كان شديداً [٣].

واصدَعْ أديمَ السَّواءِ بينهمُ ... على رضا مَن رَضِى ومن رَغِمَا
إنْ كان مالاً فَقَضٌ عِدَّتُه ... مالاً بمالٍ وإنْ دَماً فدَمَا [٤]
حتى تُرَى ظاهرَ الحُكومة مِثْـ ... ـلَ الصُّبح جَلَّى نهارُه الظُّلَمَا
هذا وإنْ لم تُطِقْ حكومتَهمْ ... فانبِذْ إليهمْ أمورَهُم سَلَمَا

* * *

وقال العائشىّ [٥] : كان عمر بن الخطاب – رحمه الله – أعلَم الناسِ بالشِّعر ، ولكنه كان إذا ابْتلِىَ بالحُكْم بين النجاشىّ والعَجْلانى [٦] ، وبين

---

(١) ستأتى فى (٢ : ٤٩ – ٥٠) . وهى فى أوائل كامل المبرد ٩ ليبسك .

(٢) ل : « وتحصر » بالصاد المهملة ، وستعاد الأبيات فى (٣ : ٣١٤) .

(٣) هذه مما عدا ل .

(٤) فيما عدا هـ ، ب « ففض عدته » والوجه ما أثبت منهما .

(٥) هو عبيد الله بن محمد بن حفص ، المترجم فى ص ١٠٢ .

(٦) النجاشى هو قيس بن عمرو ، من بنى الحارث بن كعب ، روى أنه شرب الخمر فى رمضان فجلده علىّ مائة سوط ، فلما رآه زاد على الثمانين صاح به : ما هذه العلاوة يا أبا الحسن ؟ =

الحطيئة والزِّبْرِقان ، كره أن يتعرَّضَ للشُّعَراء ، واستشهد للفريقَين رجالاً ، مثل حسَّان بن ثابت وغيره ، ممن تهون عليه سِبَالُهم ، فإذا سمع كلامَهم حَكَم بما يعلم ، وكان الذى ظَهَر من حُكْم ذلك الشاعر مُقْنِعاً للفريقين ، ويكون هو قد تخلَّص بعرضِه سليماً . فلمَّا رآه مَن لا عِلم له يسأل هذا وهذا ، ظنَّ أن ذلك لجهله بما يعرف غيرُه .

وقال : ولقد أنشدوه شعراً لزهيرٍ – وكان لشعِره مقدِّما – فلما انتهوا إلى قوله :

وإنَّ الحقَّ مَقْطَعُه ثلاثٌ ‏ ‏ ‏ يمينٌ أو نِفار أو جِلاءُ [(١)]

قال عمر كالمتعجِّب مِن علمه بالحقوق وتفصيله بينها ، وإقامته أقسامَها :

وإنَّ الحقَّ مقطعه ثلاثٌ ‏ ‏ ‏ يمين أو نِفارٌ أو جِلاءُ

يردِّدُ البيتَ من التعجُّب . ٤٧

وأنشدوه قصيدةَ عَبْدَةَ بنِ الطَّبيب [(٢)] الطويلةَ التى على اللّام [(٣)] ، فلما بلغ المنشد إلى قوله :

والمرء ساعٍ لشىء ليس يدركهُ ‏ ‏ ‏ والعيش شُحٌّ وإشفاقٌ وتأميلُ

قال عمر متعجِّباً :

= فقال : لجراءتك على الله فى رمضان ! فهرب إلى معاوية وهجا عليا . الإصابة ٧٣٠١ ، ٨٨٥٤ والخزانة (٢ : ١٠٧) . وفى الإصابة أنه إنما سمى النجاشى لأن لونه كان يشبه لون الحبشة . وحكى ابن الكلبى أن جماعة من بنى الحارث بن كعب وفدوا على رسول الله ﷺ فقال : « من هؤلاء الذين كأنهم من الهند » . وأما العجلانى ؛ فهو تميم بن أبى بن مقبل بن عوف بن حنيف بن قتيبة بن العجلان . أدرك الإسلام فأسلم ، وكان يبكى أهل الجاهلية ، وعمر مائة وعشرين سنة . الإصابة ٨٥٨ والخزانة (١ : ١١٣) . وانظر الحكومة بينهما فى المرجعين المتقدمين والعمدة (١ : ٢٧) وأمالى ثعلب ١٨٠ – ١٨١ وزهر الآداب (١ : ١٩) .

(١) النفار : أن يتنافروا إلى حاكم يحكم بينهم . والجلاء ، بالكسر كما ضبط فى أصول الديوان ٧٥ ، وكما نبه عليه الصغانى . انظر حواشى اللسان (جلا ١٦٣) .

(٢) سبقت ترجمته فى ص ١٢٢ .

(٣) هى إحدى المفضليات . انظر (١ : ١٣٣ – ١٣٤) .

* والعيش شُحٌّ وإشفاقٌ وتأميلُ *

يعجّبهم من حسن ماقسّم وما فصّل [١].

وأنشدوه قصيدة أبى قيس بن الأسلت التى على العين ، وهو ساكت ، فلما انتهى المنشد إلى قوله :

الكَيْسُ والقُوَّةُ خيرٌ من الـ   إشْفاقِ والفَهّةِ والهَاعِ [٢]

أعاد عمر البيت وقال :

الكَيس والقُوَّةُ خيرٌ من الـ   إشفاقِ والفَهّةِ والهاع

[وجَعل عمر يردِّد البيت ويتعجب منه [٣]] .

قال محمّد بن سلام ، عن بعض أشياخه قال . كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه لا يكاد يعرِض له أمرٌ إلّا أنشَدَ فيه بيتَ شِعر .

وقال أبو عمرو بنُ العلاء : كان الشاعر فى الجاهلية يُقدَّم على الخطيب ، لفرط حاجتهم إلى الشّعر الذى يُقيِّد عليهم مآثِرهم ويفخِّم شأنهم ، ويهوِّل على عدوِّهم ومَن غزاهم ، ويهيِّب من فُرسانهم ويخوِّف من كثرة عددهم ، ويهابهم شاعرُ غيرِهِم فيراقب شاعرَهم . فلمّا كثُر الشّعر والشعراء ، واتخذوا الشّعر مَكْسَبَةً ورحلوا إلى السُّوقة ، وتسرَّعوا إلى أُعراض الناس ، صار الخطيبُ عندَهم فوقَ الشاعر . ولذلك قال الأوّل : « الشّعر أدنى مروءة السرِيّ ، وأُسْرَى مروءة الدَّنىّ » .

قال : ولقد وضَع قولُ الشعر من قدر النّابغة الذبيانىّ ، ولو كان فى الدّهر الأوّل مازادَه ذلك إلّا رِفعة .

---

(١) انظر الحيوان (٣ : ٤٦) .

(٢) البيت من قصيدة مفضلية (٢ : ٨٤ – ٨٦) . الفهة : العى والسقطة والجهلة . والهاع : شدة الحرص . ويروى :

الحزم والقوة خير من الـ   إدهان والفكّــة والهاع

(٣) هذه مما عدا ل .

وروى مجالد [١] عن الشَّعبى قال : ما رأيت رَجلا مثلى [٢] ، وما أشاء أن ألقَى رجلاً أعلم مِنى إلّا لقِيتُه .

وقال الحسن البَصرىّ : يكون الرَّجُل عابداً ولا يكون عاقلا ، ويكون عابداً عاقلاً ولا يكون عالماً . وكان مسلم بن يَسار [٣] عاقلا عالما عابداً .

قال : وكان يقال : « فقه الحسن ، وورع ابن سيرين ، وعقل مُطَرِّف ، وحِفظ قتادة » .

قال : وذُكرت البصرة ، فقيل : شيخها الحسن ، وفتاها بكر بن عبد الله المزنىّ [٤] .

قال : والذين بثّوا العلم فى الدنيا أربعة : قتَادة [٥] ، والزُّهرى [٦] ، ٤٨
والأعمش [٧] ، والكلبىّ [٨] .

---

(١) هو مجالد بن سعيد الهمدانى ، أبو عمرو الكوفى النسابة ، يروى عن الشعبى ومسروق ، ويروى عنه الهيثم بن عدى . توفى سنة ١٤٤ . تهذيب التهذيب (١٠ : ٣٩ - ٤٠) والمعارف ٢٣٤ . وفى حواشى هـ عن نسخة : « جناب بن موسى عن مجالد »

(٢) هـ « ما رأيت مثلى » .

(٣) مسلم بن يسار البصرى الأموى المكى ، روى عن أبيه وابن عباس وابن عمر ، وروى عنه ابنه عبد الله وثابت البنانى وابن سيرين . وكان مفتىَ أهل البصرة قبل الحسن . توفى فى خلافة عمر بن عبد العزيز سنة ١٠٠ . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (١ : ١٦١) .

(٤) سبق الخبر فى ص ١٠١ .

(٥) هو قتادة بن دعامة السلوسى البصرى ، أحد المحدثين العباد الزهاد الثقات . ولد سنة ٦١ وتوفى سنة ١١٧ . تهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة (٣ : ١٨٢) ، وتذكرة الحفاظ (١ : ١١٥) وابن خلكان ، ونكت الهميان .

(٦) هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهرى ، نسبة إلى زهرة بن كلاب : حافظ مدنى . ولد سنة ٥٠ سنة ١٢٣ . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٢ : ٧٧) وتذكرة الحفاظ (١ : ١٠٢) وابن خلكان .

(٧) هو أبو محمد سليمان بن مهران الأعمش ، كان قارئاً حافظاً عالماً بالفرائض ، ولد يوم قتل الحسين ، يوم عاشوراء سنة ٦١.وتوفى سنة ١٤٨ . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ٦٥) وتذكرة الحفاظ (١ : ١٤٥) وابن خلكان .

(٨) هو أبو النضر محمد بن السائب بن بشر بن عمرو بن عبد الحارث بن عبد العزى الكلبى الكوفى النسابة المفسر ، قالوا : ليس لأحد أطول من تفسيره . وتوفى بالكوفة سنة ١٤٦ . تهذيب التهذيب ، وابن خلكان ، وابن النديم ١٣٩ .

وجمع سليمان بن عبد الملك بين قَتَادَة والزُّهرى ، فغلب قتادةُ الزهريَّ ، فقيل لسليمانَ فى ذلك ، فقال : إنّه فقيهٌ مليح . فقال القَحذَمِىّ [١] : لا ، ولكنه تعصَّب للقرشيَّة ، ولا نقطاعه كان [٢] إليهم ، ولروايته فضائلَهم .

وكان الأصمعى يقول : « وَصَلْتُ بالعلم ، ونلتُ بالمُلَح [٣] » .

وكان سهل بن هارون يقول : « اللسان البليغ والشعر الجيِّد لا يكادان يجتمعان فى واحِد ؛ وأعسَرُ من ذلك أن تجتمع بلاغةُ الشعر ، وبلاغة القلم » .

والمسجديُّون [٤] يقولون : من تمنّى رجلاً حَسَنَ العقل ، حسنَ البيان ، حسنَ العلم ، تمنّى شيئاً عسيراً .

* * *

---

(١) هو أبو عبد الرحمن الوليد بن هشام بن قحذم القحذمى ، ثقة من أهل البصرة ، يروى عن جرير بن عثمان ، وعنه أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحى ، توفى سنة ٢٢٢ . السمعانى ٤٤٣ ولسان الميزان (٦ : ٢٢٧) .

(٢) كلمة « كان » من هـ .

(٣) سبق هذا القول فى ص ١٩٩ . وانظر الحيوان (٣ : ٤٦٧) .

(٤) فى حواشى هـ : « المسجديون هم الذين يلتزمون مسجد البصرة والكوفة . وانظر الحيوان (٣ : ٦٣) وما سيأتى فى ٤ : ٢٣ .

باب

وكانوا يعيبون النُّوكَ والعِيَّ والحُمقَ، وأخلاقَ النِّساء والصِّبيان . قال الشاعر :

إذا ما كنتَ متَّخِذاً خليلا   فلا تِثقَنْ بكلِّ أخى إخاءِ
وإن خُيِّرت بينهمُ فأَلصِقْ   بأهل العقلِ منهم والحياءِ
فإنَّ العقلَ ليس له إذا ما   تفاضلت الفضائلُ من كِفاءِ
وإنَّ النُّوك للأحساب داءٌ   وأهونُ دائِه داءُ العَياء
ومَن تَرَكَ العواقبَ مهمَلاتٍ   فأيسر سَعيه سعىُ العَناءِ
فلا تِثقَنَّ بالنَّوكى لشىءٍ   وإن كانوا بنى ماءِ السماءِ (١)
فليسوا قابِلِى أدبٍ فدَعْهُمْ   وكن من ذاك منقطِعَ الرَّجاءِ

وقال آخرَ فى التضييع والنُّوك :

ومَن تَرَك العواقبَ مهملاتٍ   فأَيْسَرُ سعيِه أبداً تَبَابُ (٢)
فعِشْ فى جَدِّ أنوكَ ساعدتهُ   مقاديرٌ يخالفُها الصَّوابُ (٣)
ذَهَاب المالِ فى حمدٍ وأجرٍ   ذهابٌ لا يقال له ذَهابُ ٤٩

وقال آخرُ فى مثل ذلك :

أرى زمناً نَوكاهُ أسعَدُ أهلِهِ   ولكنّما يشقَى به كلُّ عاقلِ (٤)

---

(١) هـ : « ولو » . وفى حواشيها عن نسخة : « فلا تتقن من النوكى بشىء » . وبنو ماء السماء ، هم ملوك الشام ، أبوهم ماء السماء بن حارثة الأزدى . قال :

أنا ابن مزيقيا عمرو ، وجدى   أبوه عامر ماء السماء

يقال أيضا لملوك العراق بنو ماء السماء . وهو لقب أم المنذر بن امرىء القيس بن عمرو بن عدى بن ربيعة بن نصر اللخمى . قال زهير :

ولازمت الملوك من ال نصر   وبعدهم بنى ماء السماء

(٢) هذا البيت من ل فقط . والتباب : الخسران والهلاك .

(٣) فى عيون الأخبار (١ : ٣٢٩) « خالفته » مقادير يساعدها » .

(٤) عيون الأخبار (١ : ٣٢٩) . وسيأتى فى ٤ : ٢٠ .

مشَى فوقه رجلاهُ والرَّأس تحتَه … فكَبَّ الأعالى بارتفاعِ الأسافِل

وقال الآخر :

فلم أر مثلَ الفقر أوضَعَ للفتى … ولم أر مثلَ المالَ أرفَعَ للرَّذْل (١)

ولم أر عِزاً لامرىءٍ كعشيرةٍ … ولم أر ذُلاً مثلَ نأيٍ عن الأصلِ (٢)

ولم أر مِن عُدم أضرَّ على امرىءٍ … إذا عاشَ وسط النَّاس من عدم العقلِ

وقال آخر :

تحامَقْ مع الحمقى إذا ما لقِيتَهمْ … ولاقِهِمُ بالنوك فِعلَ أخى الجهل (٣)

وخَلط إذا لاقَيت يوماً مُخَلِّطاً … يخلِّط فى قولٍ صحيحٍ وفى هَزْل (٤)

فإنى رأيتُ المرءَ يشقَى بعقله … كما كان قبلَ اليوم يَسعَدُ بالعقلِ

وقال آخر (٥) :

وأنزَلَنى طولُ النَّوى دارَ غَرْبةٍ … إذَا شئتُ لاقيتُ امرأً لا أشاكله

فحامقْتُه حتَّى يقال سجيَّةٌ … ولو كان ذا عقل لكنتُ أعاقِلُه

وقال بِشرُ بن المعتمِر :

وإذا الغبىُّ رأيتَه مستغنياً … أعيا الطَّبيبَ وحيلةَ المحتالِ

وأنشدنى آخَرُ :

وللدّهر أيامٌ فكُن فى لباسه … كلِبْسته يوماً أُجدَّ وأخْلَقا (٦)

وكنْ أكيسَ الكَيْسَى إذا ما لقيتَهم … وإن كُنت فى الحمقى فكن أنت أحمقا (٧)

---

(١) الأبيات فى عيون الأخبار (٣ : ١٩) وأمالى ثعلب ٤٨٨ .

(٢) ما أثبت من ل يطابق رواية ثعلب . وفيما عدا ل : « عن الأهل » . وأشير فى حاشية هـ إلى رواية « الأصل » .

(٣) فيما عدا ل : « ولا تلقهم بالعقل إن كنت ذا عقل » .

(٤) هذا البيت فى ل فقط .

(٥) البيتان فى عيون الأخبار (٣ : ٢٤) . وسيأتيان فى (٢ : ٢٣٥ ، ٤ : ٢١) .

(٦) البيتان لعقيل بن علفة ، كما فى الحماسة (٢ : ١٧) . ورواهما ثعلب فى مجالسه مع ثالث منسوبين إلى ماجد الأسدى . ص ٥٠٢ .

(٧) فى الحماسة والأمالى وفيما عدا ل : « إذا كنت فيهم » .

وأنشدنى آخر :

ولا تقربى يا بنتَ عمِّىَ بُوهةً ‏ ‏ من القوم دِفْنَاساً غبيًّا مفنَّدا (١)
وإن كان أعطَى رأسَ ستِّين بَكْرةً ‏ ‏ وحُكْماً علَى حكْمٍ وعَبداً مُوَلَّدا (٢)
ألَا فاحذَرِى لا تُورِدَنَّكِ هَجْمةٌ ‏ ‏ طِوالُ الذرَى جِبْساً من القوم قُعْدُدا (٣)

وأنشدنى آخر (٤) :

كسا الله حَيَّىْ تغلبَ ابنةِ وائلٍ ‏ ‏ من اللّؤمِ أظفاراً بَطيئاً نصولها (٥)
إذا ارتحَلُوا عن دارِ ضَيمٍ تعاذَلُوا ‏ ‏ عليها وردُّوا وفْدَهُمْ يستقيلُها

وأنشدنى آخر :

وإنَّ عَناءً أن تُفهِّمَ جاهلاً ‏ ‏ ويَحْسَب جهلاً أنَّه منك أفْهَمُ (٦)

وقال جرير :

ولا يعرفون الشَّرَّ حتى يصيبَهم ‏ ‏ ولا يعرفون الأمرَ إلا تدبُّرا (٧)

وقال الأعرَج المعْنِىُّ الطائى (٨) :

---

(١) البوهة : الرجل الضعيف الطائش . والدفناس : الأحمق . والمفند : الضعيف الرأى والجسم .

(٢) عنى بالرأس الرءوس .

(٣) الهجمة من الإبل : قريب من المائة . يقول : لا تغترى بهذا الصداق . الجبس ، بالكسر : الجبان الفدم . والقعدد ، بضم العين والدال وفتحهما ، وضم القاف وفتح الدال : الجبان اللئيم القاعد عن الحرب والمكارم .

(٤) فى حواشى هـ للخشنى : « هو عميرة بن جعيل أخو كعب بن جعيل ، فيما ذكر ابن قتيبة » . وانظر الشعراء ٦٣٢ .

(٥) حيا تغلب ، الأرجح أنه أراد بهما أحياء تغلب كلها ، فعبر بالمثنى عن الجمع . ويجوز أن يكون أراد بهما أوساً وغنما ابنى تغلب بن وائل . وفى نهاية الأرب (٢ : ٣٣٣) : « فالعقب فى ثلاثة أفخاذ لصلبه : عمران وهم قليل ، وأوس وغنم وفيه العدد والبيت » .

(٦) البيت لصالح بن عبد القدوس ، كما سيأتى فى (٤ : ٢٢) .

(٧) سبق البيت والكلام عليه فى ١٩٨ .

(٨) هو عدى بن عمرو بن سويد بن زبان بن عمرو بن سلسلة بن غنم بن ثوب بن معن الطائى . شاعر جاهلى إسلامى . وهو القائل :

تركت الشعر واستبدلت منه ‏ ‏ إذا داعى صلاة الصبح قاما
كتاب الله ليس له شريك ‏ ‏ وودعت المدامة والنداما

انظر الإصابة ٣٧١٣ و ٦٤٠٩ ومعجم المرزبانى ٣٥١ وفى حماسة البحترى ٤٧ أن قائل الشعر الأعرج بن مالك المرى .

لقد علمَ الأقوام أن قد فررتم ... ولم تبدءوهم بالمَظالم أوّلا (١)
فكونوا كدَاعِى كَرَّةٍ بعد فرّة ... ألا رُبَّ من قد فَرَّ ثُمَّتَ أقبلا
فإن أنتمُ لم تفعلوا فتبدَّلوا ... بكلِّ سِنانٍ مَعْشَرَ الغَوْثِ مِغْزَلا (٢)
وأعطُوهُم حُكمَ الصَّبىّ بأهله ... وإنِّى لأرجو أنْ يقولوا بأنَّ لا (٣)

ويقال : « أظْلَمُ من صَبِى (٤) » و « أكذَبُ من صبىّ » و « أخْرَق من صبىّ ». وأنشد :

ولا تحكُما حُكْمَ الصبىِّ فإنَّه ... كثيرٌ على ظَهْر الطّريق مجاهلُه (٥)

قال : وسُئل دَغْفَل بن حنظلة ، عن بنى عامر فقال : « أعناق ظِباء ، وأعجاز نساء » . قيل : فما تقول فى أهل اليمن ؟ قال : « سيّدٌ وأَنْوَكُ (٦) » .

* * *

(١) فى جميع النسخ : « أن قد قدرتم » ، صوابه من حماسة البحترى .

(٢) الغوث ، هم بنو الغوث بن أدد ، إخوة طيىء بن أدد . فيما عدا ل : « معشر العرب » صوابه فى ل وحماسة البحترى .

(٣) كتب بعد هذا البياض فى ب ، جـ : « أصله بياض » .

(٤) انظر الحيوان (٣ : ٤٧١) .

(٥) فى حواشى : « أى انه يظهر ما يجب أن يخفى ، ولا يبالى بذلك » .

(٦) الأنوك : الأحمق ، وجمعه النوكى .

باب
فى ذكر المعلمين (١)

ومن أمثال العامة : « أحمَقُ من معلِّم كُتَّاب » . وقد ذكرهم صِقلَابٌ فقال :

وكيف يُرجَّى الرأْىُ والعقلُ عند مَنْ ... يَرُوح على أنثى ويغدو على طِفْلِ (٢)

وفى قول بعض الحكماء : « لا تستشيرُوا معلّما ولا راعىَ غَنمٍ ولا كثيرَ ١٥١ القُعود مع النساء » . وقالوا : « لا تدَعْ أمَّ صبيِّك تضربُه ؛ فإنّه أعقلُ منها وإن كانت أسَنَّ منه » . وقد سمعنا فى المثل : « أحمق من راعى ضأن ثمانين (٣) » . فأما استحماق رُعاة الغنم فى الجملة فكيف يكون ذلك صواباً وقد رعى الغنمَ عدَّةٌ من جِلّة الأنبياء صلى الله عليهم . ولعمرى إنّ الفدّادين من أهل الوبَر ورُعاةِ الإبل ليتنبَّلُون (٤) على رعاة الغنم ، ويقول أحدُهم لصاحبه : « إن كنت كاذباً فحلبْتَ قاعدا » . وقال الآخر :

ترى حالِبَ المِعزَى إذا صَرَّ قاعدا ... وحالبُهنَّ القائمُ المتطاوِلُ (٥)

---

(١) كتبت بحثا عنوانه « الجاحظ والمعلمون » فى عدد أغسطس سنة ١٩٤٦ من مجلة الكتاب .

(٢) ورد البيت بدون نسبة فى عيون الأخبار (٢ : ٥٤) .

(٣) انظر الحيوان (٥ : ٤٨٨) . وروى الميدانى فى (١ : ٢٠٥) روايتين أخريين عن الجاحظ فى هذا المثل : « أشقى من راعى ضأن ثمانين » و « أشغل من مرضع بهم ثمانين » . وروى عن الجاحظ فى اللسان (ثمن) : « أشقى من راعى ضأن ثمانين » . ولم أجد هاتين الروايتين فيما بين يدى من كتبه . وروى فى اللسان عن ابن خالويه : « أحمق من طالب ضأن ثمانين » . وذكر أصل المثل . وهذه الرواية الأخيرة رويت فى الميدانى عن أبى عبيد ، وذكر لها أصلا غير أصل ابن خالويه .

(٤) ب ، جـ : « ليتلون » ، التيمورية « ليتبلون » صوابهما ما أثبت من ل ، هـ .

(٥) الصر : أن يشد الضرع بالصرار لئلا يرضعها ولدها . وفى النسخ : « إذا سر » وليس له وجه .

وقال امرأةٌ من غامد ، فى هزيمة ربيعة بن مكدَّم [١] ، لجَمْع غامدٍ وحْدَه :

ألا هل أتاها على نأْيِها   بما فَضحتْ قومَها غامدُ
تمنيتـــمُ مائتَـــىْ فارسٍ   فرَدّكُمُ فارسٌ واحدُ [٢]
فليت لنا بارتباط الخيو   ل ضأناً لها حالبٌ قاعدُ

* * *

وقد سمعنا قول بعضهم : الحُمق فى الحاكة والمعلّمين والغزّالين . قال : والحاكة أقلُّ وأسقط من أن يقال لها حَمقَى . وكذلك الغزَّالون ؛ لأنَّ الأحمق هو الذى يتكلَّم بالصواب الجيِّد ثم يجىء بخطإٍ فاحش ، والحائك ليس عنده صوابٌ جيِّد فى فَعَالٍ ولا مَقال ، إلا أنْ يُجعل جَودة الحياكة من هذا الباب ، وليس هو من هذا فى شئ .

* * *

(١) ربيعة بن مكدم بن عامر ، أحد فرسان مضر المعدودين ، وشجعانهم المشهورين . انظر أخباره فى الأغانى (١٤ : ١٢٥ – ١٣٤) .

(٢) انظر الرسالة المصرية لأبى الصلت الأندلسى فى نوادر المخطوطات (١ : ٣٦) وإخبار العلماء للقفطى ١٤٣ .

وباب منه آخر [١]

ويقال : فلان أحمقُ . فإذا قالوا مائِق ، فليس يريدون ذلك المعنى بعينه ، وكذلك إذا قالوا أنْوَكُ . وكذلك إذا قالوا رقيع . ويقولون : فلانٌ سليم الصَّدر؛ ثم يقولون عِييٌّ ، ثم يقولون أبله . وكذلك إذا قالوا مَعتوهٌ ومَسْلوس وأشباهَ ذلك . ٥٢

قال أبو عبيدة : يقال للفارس شجاعٌ ، فإذا تقدَّم [فى [٢]] ذلك قيل بطَل ، فإذا تقدّم شيئاً قيل بُهمْةٌ ، فإذا صار إلى الغاية قيل ألْيَسُ . وقال العجّاج :

* ألْيَسُ عن حَوْبائِهِ سَخِىُّ [٣] *

وهذا المأخَذُ يَجرِى فى الطَّبقات كلِّها : من جود وبخل ، وصلاح وفساد ، ونقُصان ورُجحان . ومازلتُ أسمعُ هذا القولَ فى المعلِّمين .

والمعلِّمون عندى على ضربين : منهم رجال ارتفعوا عن تعليم أولاد العامّة إلى تعليم أولاد الخاصّة ، ومنهم رجال ارتفعوا عن تعليم أولاد الخاصّة إلى تعليم أولاد الملوك أنفسِهم المرشحين للخلافة . فكيف تستطيع أن تزعم أنّ مثلَ علىِّ بنِ حمزة الكسائىِّ ، ومحمد بن المستنير الذى يقال له قُطْرُب [٤] ، وأشباهَ هؤلاء يقال لهم حَمْقى . ولا يجوز هذا القولُ على هؤلاء ولا على الطّبقة التى دونهم . فإنْ ذهبوا إلى معلِّمى

---

(١) هـ : « وهذا باب آخر » .

(٢) ليست فى جميع النسخ .

(٣) ديوان العجاج ٧١ واللسان (ليس) . والحوباء : النفس .

(٤) سمى قطربا لأنه كان يبكر إلى سيبويه للأخذ عنه ، فإذا خرج سيبويه سحراً رآه على بابه ، فقال له يوما : ما أنت إلا قطرب ليل . والقطرب : دويبة تدب ولا تفتر . وأخذ عن النظام مذهب الاعتزال ، ولما صنف كتابه فى التفسير أراد أن يقرأه فى الجامع فخاف من العامة وإنكارهم عليه ؛ لأنه ذكر فيه مذهب أهل الاعتزال ، فاستعان بجماعة من أصحاب السلطان ليتمكن من قراءته فى الجامع . وأخذ عنه ابن السكيت . وهو أول من ألف فى المثلثات . توفى ببغداد سنة ٢٠٦ . معجم الأدباء ، وبغية الوعاة ، ووفيات الأعيان ، وتاريخ بغداد ١٣٨٦ .

كتاتيب القُرى فإنّ لكلٍّ قوم حاشيةً وسَفِلة ، فما هم فى ذلك إلّا كغيرهم . وكيف تقول مثل ذلك فى هؤلاء وفيهم الفقهاء والشُّعراء والخُطباء ، مثل الكميت ابن زيد ، وعبد الحميد الكاتب ، وقيس بن سعد [١] ، وعطاء بن أبى رَبَاح [٢] ، ومثل عبد الكريم أبى أمية [٣] ، وحسين المعلم [٤] ، وأبى سعيد المعلم .

ومن المعلّمين : الضحّاك بن مزاحم [٥] . وأمّا معبد الجهنى [٦] وعامر الشَّعبى [٧] ، فكان يعلمان أولاد عبد الملك بن مروان . وكان معبدٌ يعلم سعيداً [٨] . ومنهم

---

(١) هو قيس بن سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة الأنصارى ، كان من النبى صلى الله عليه وسلم بمنزلة صاحب الشرطة من الأمير ، وكان من دهاة العرب ، حارب فى صفين مع على ، ثم هرب من معاوية ، وتوفى فى ولاية عبد الملك بن مروان . الإصابة ٧١٧١ وتهذيب التهذيب .

(٢) هو عطاء بن أبى رباح – واسمه أسلم – القرشى المكى . أدرك مائتين من الصحابة . وكان معلم كتاب فقيها ثقة . ولد بسنة ٣٧ وتوفى سنة ١١٤ . تهذيب التهذيب ونكت الهميان ١٩٩ وابن خلكان .

(٣) هو عبد الكريم بن أبى المخارق – واسمه قيس ويقال طارق – أبو أمية المعلم البصرى ، روى عن أنس وطاوس ونافع ، وعنه :عطاء ومجاهد وأبو حنيفة . توفى سنة ١٢٧ . تهذيب التهذيب . وفى الأصول : « عبد الكريم بن أبى أمية » تحريف . انظر أيضاً المعارف ٢٣٨ .

(٤) هو الحسين بن ذكوان المعلم العوذى البصرى . ترجم له ابن حجر فى تهذيب التهذيب وأرخ وفاته سنة ١٤٥ . وانظر المعارف ٢٣٨ ، والسمعانى ٥٤٠ ب .

(٥) هو أبو القاسم الضحاك بن مزاحم الهلالى الخراسانى ، روى عن ابن عمر وابن عباس وأبى هريرة وغيرهم ، وكان معلم كتاب ، ذكر ابن قتيبة أنه كان لا يأخذ أجراً ، واشتهر بالتفسير . وهو ممن ولد وهو ابن ثلاثة عشر شهرا . توفى سنة ١٠٦ . تهذيب التهذيب والمعارف ٢٣٨ ، ٢٠١ ، ٢٥٧ والعقد ٦ : ٢٣٤ .

(٦) هو معبد بن خالد – أو ابن عبد الله بن حكيم ، أو ابن عبد الله بن عويمر – الجهنى القدرى . كان يجالس الحسن البصرى ، وهو أول من تكلم بالبصرة فى القدر فسلك أهل البصرة مسلكه . قتله الحجاج ابن يوسف صبرا . وذلك فى سنة ٨٠ . تهذيب التهذيب . (١٠ – ٢٢٥) والسمعانى ١٤٥ والمعارف ١٩٥ – ٢٣٨ ، ٢٦٨ .

(٧) سبقت ترجمته فى ص ١٩٤ .

(٨) سعيد بن عبد الملك بن مروان ، كان يلقب بسعيد الخير ، وإليه ينسب نهر سعيد ، وهو دون الرقة من ديار مضر ، وكان موضعه غيضة ذات سباع أقطعه إياها الوليد أخوه ، فحفر النهر وعمر ما هناك ، المعارف ١٥٧ ، ومعجم البلدان .

أبو سعيد المؤدب [١] ، وهو غير أبى سعيد المعلم ، وكان يحدِّث عن هشام بن عروة [٢] وغيرهم . ومنهم:عبد الصمد بن عبد الأعلى [٣] ، وكان معلم ولد عُتبةَ بن أبى سفيان . وكان إسماعيلُ بن على [٤] ألزم بعضَ بنيه عبدَ الله بن المقفع ليعلِّمه . وكان أبو بكر عبد الله بن كيسان معلما . ومنهم:محمد بن السكن [٥]] .

وما كان عندنا بالبصرة رجلان أروى لصنوف العلم ، ولا أحسنَ بياناً ، من أبى الوزير وأبى عدنان المعلِّمَين ، وحالهُما من أوَّل ما أذكر من أيام الصِّبا وقد قال الناس فى أبى البَيداء [٦] ، وفى أبى عبد الله الكاتب [٧] ، وفى الحجَّاج ابن يوسف وأبيه ماقالوا . وقد أنشدوا مع هذا الخبر شاهداً من الشعر على أنّ الحجّاج وأباه كانا معلمين بالطائف [٨]

* * *

---

(١) اسمه محمد بن مسلم بن أبى الوضاح ، أبو سعيد المؤدب الجزرى نزيل بغداد . ضمه المنصور إلى المهدى ، ثم ضم بعده إليه سفيان بن حسين ، وكان كذلك معلم موسى الهادى الخليفة قبل أن يستخلف . ومات فى خلافته . تاريخ بغداد ١٣٤٦ وتهذيب التهذيب والمعارف ٢٣٩ .

(٢) هو أبو المنذر هشام بن عروة بن الزبير بن العوام الأسدى ، ولد هو والأعمش سنة مقتل الحسين ٦١ وتوفى سنة ١٤٦ . تهذيب التهذيب .

(٣) عبد الصمد بن عبد الأعلى الشيبانى ، كان يتهم بالزندقة ، وكان يؤدب أيضا الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، ويقال إنه هو الذى أفسده ، ذكر ذلك الطبرى فى تاريخه . لسان الميزان (٤ : ٢١) والطبرى (٨ : ٢٨٨) .

(٤) هو إسماعيل بن على بن عبد الله بن العباس ، وهو عم السفاح والمنصور . ولى لأبى جعفر فارس والبصرة . المعارف ١٦٣ .

(٥) محمد بن السكن مؤذن مسجد بنى شقرة ، من ضعاف المحدثين . لسان الميزان (٥ : ١٨١ – ١٨٢) . هذا ، وإن هذه التكملة التى بدأت فى ص ٢٥١ ص ٥ لم ترد فى ل ، وهى ثابتة فى سائر النسخ .

(٦) أبو البيداء الرياحى ، سبقت ترجمته فى ص ٦٦ .

(٧) ذكره ابن قتيبة فى أسماء المعلمين ، فى المعارف ٢٣٨ ، بلقب « كاتب الرسائل » .

(٨) روى هذا الشعر فى المعارف ٢٣٨ – ٢٣٩ والشعراء (١ : ٣١٤) طبع الحلبى ، والكامل ٢٩٠ . قال مالك بن الرَّيب :

فماذا عسى الحجاج يبلغ جهده … إذا نحن جاوزنا حفير زياد
فلولا بنو مروان كان ابن يوسف … كما كان عبداً من عبيد إياد =

ثم رجع بنا القول إلى الكلام الأوَّل .

قالوا : أحقُّ الناس بالرَّحمة عالم يجرى عليه حكمُ جاهلٍ .

قال : وكتب الحجَّاج إلى المهلّب يُعْجله فى حرب الأزارقة ويسمّعه [1] ، فكتب إليه المهلّب : « إن البلاء كلَّ البلاء أنْ يكون الرَّأىُ لمن يَملِكه دون من يُبْصره » .

* * *

= زمان هو العبد المقر بذله   يراوح غلمان القرى ويغادى

وقال آخر فيه :

أينسى كليب زمان الهزال   وتعليمه سورة الكوثر

رغيف له فلكة ما ترى   وآخر كالقمر الأزهر

(١) التسميع : أن يندد به ويشهره ويفضحه ويسمعه القبيح .

وباب آخر

وقال بعض الرَّبانيِّين [١] من الأدَباء ، وأهلِ المعرفة من البلغاء ممَّن يكره التَّشادُق والتعمّق ، ويُبغض الإغراق فى القول ، والتكلُّفَ والاجتلاب [٢] ، ويعرف أكثرَ أدواء الكلام ودوائه ، وما يعترى المتكلِّم من الفتنة بِحسن ما يقول ، ٥٣
وما يعرض للسامع من الافتتان بما يسمع ، والذى يورث الاقتدارُ من التهكُّم والتسلُّط ، والذى يمكن الحاذق والمطبوع من التمويه للمعانى ، والخِلابة وحسن المنطق ، فقال فى بعض مواعظه : « أُنذِرُكم حُسنَ الألفاظ ، وحلاوةَ مخارج الكلام ؛ فإنَّ المعنى إذا اكتسى لفظاً حسناً وأعاره البليغُ مَخرجاً سهلا ، ومنحه المتكلم دَلًّا مُتَعشَّقاً ، صار فى قلبك أحْلى ، ولصدرك أمْلا . والمعانى إذا كُسِيت الألفاظَ الكريمة ، وألبست [٣] الأوصافَ الرفيعة ، تحوَّلت فى العيون عن مقادير صُوَرها ، وأرْبَتْ على حقائق أقدارها ، بقَدْرِ ما زُيِّنت ، وحَسَبِ ما زُخرِفت . فقد صارت الألفاظ فى معانى المعارض [٤] وصارت المعانى فى معنى الجوارى والقلب ضعيفٌ ، وسلطانُ الهوى قوىٌّ ، ومَدخل خُدَع الشيطان خفىٌّ » .

فاذكر هذا الباب ولا تنسَه ، ولا تفرِّط فيه ؛ فإنّ عمر بن الخطاب رحمه الله لم يَقُلْ للأحنف بن قيس – بعد أن احتبسه حَوْلاً مُجَرَّما [٥] ؛ ليستكثر منه ، وليبالغ فى تصفُّح حالِه والتنقير عن شأنه – : « إنّ رسول الله ﷺ قد كان خوّفَنا كلَّ منافقٍ عليم ، وقد خِفْتُ أن تكون منهم » إلّا لما كان

(١) الربانى : العالم الراسخ فى العلم ، أو العالم العامل المعلم . ل ، هـ : « الديانين ». والديان : الحاكم والقاضى . حـ والتيمورية : « الربانين » تحريف . والصواب ما أثبت من ب .

(٢) الاجتلاب : أن يجتلب معانى سواه لفقره فى معانيه . ل : « الاختلاب » .

(٣) ل : « وأكسبت » .

(٤) المعارض : جمع معرض ، وهو كمنبر ، ثوب تجلى فيه الجارية .

(٥) حول مجرم : تام كامل .

راعَه مِن حُسن منطقه ، ومالَ إليه لما رأى من رِفقه وقلة تكلُّفه ؛ ولذلك قال رسول الله ﷺ : « إنّ مِن البيان لسحرا » . وقال عمر بن عبد العزيز لرجلٍ أحسَنَ فى طلب حاجة وتأتّى لها بكلامٍ وجيز ، ومنطق حسن : « هذا والله السِّحرُ الحلال » . وقال رسول الله ﷺ : « لا خِلَابة [١] » .

فالقصد فى ذلك أن تجتنب السوقىَّ والوحشىّ ، ولا تجعَل همَّك فى تهذيب الألفاظ ، وشغلَك فى التخلُّص إلى غرائب المعانى . وفى الاقتصاد بلاغٌ ، وفى التوسُّط مجانبةٌ للوُعورة ، وخروجٌ مِن سبيلِ مَن لا يحاسب نفسَه . وقد قال الشّاعر :

عليكَ بأوساطِ الأمور فإنّها نجاة ولا تركب ذَلُولاً ولا صَعْبا

وقال الآخر :

لا تذهبَنَّ فى الأمور فَرَطَا [٢] لا تسألنّ إن سألتَ شطَطَا
وكنْ من الناس جميعاً وَسَطا

وليكن كلامُك ما بين المُقصِّر والغالى ؛ فإنك تسلم من المِحنة [٣] عند العلماء ، ومن فِتْنة الشيطان .

وقال أعرابىٌّ للحسن : عَلِّمْنى ديناً وَسُوطاً ، لا ذاهباً شَطوطاً ، ولا هابطاً هَبوطاً . فقال له الحسن : لئن قلتَ ذاكَ إنّ خير الأمور أوساطُها .

وجاء فى الحديث : « خالِطُوا النَّاسَ وزايِلوهم » .

---

(١) الخلابة ، بالكسر : المخادعة ، وقيل الخديعة باللسان . وفى الحديث أنه قال لرجل كان يخدع فى بيعه : « إذا بايعت فقل لا خلابة » .

(٢) الفرط ، بالتحريك : المتقدم ، رجل فرط ، وقوم فرط .

(٣) فيما عدا ل : « المحنة » .

وقال على بن أبى طالب رحمه الله : « كن فى الناس وَسَطاً وامْشِ جانبًا » .

وقال عبد الله بن مسعود فى خطبته : « وخيرُ الأُمور أوساطها ، وما قلَّ وكفى خيرٌ ممّا كثر وألهى . نفسٌ تُنْجيها ، خير من إمَارة لا تُحْصيها » .

وكانوا يقولون : اكرهِ الغلوَّ كما تكره التقصير .

وكان رسول الله ﷺ يقول لأصحابه : « قولوا بقولكم ولا يستَحْوِذنَّ عليكم الشيطان » . وكان يقول : « وهل يكُبُّ الناسَ على مَناخِرهم فى نار جهنَّم إلا حصائدُ ألسنتهم » .

* * *

باب
من الخطب القِصَار من خطب السلف ، ومواعظ من مواعظ النُّسَّاك ، وتأديب من تأديب العلماء

قال رجلٌ لأبى هريرة النحوىّ : أريد أن أتعلّم العلم وأخافُ أن أُضيعه . فقال : « كَفَى بترك العِلم إضاعةً » .

وسمع الأحنفُ رجلاً يقول : « التعلُّم فى الصِّغَر كالنَّقش فى الحجر » ، فقال الأحنف : « الكبيرُ أكبرُ عقلاً ، ولكنه أشْغَل قلباً » .

وقال أبو الدَّرداء : مالى أرى علماءَكم يذهبون وجُهَّالَكم لا يتعلَّمون .

وقال رسول الله ﷺ : « إنّ الله لا يقبِض العلمَ انتزاعاً ينتزِعُه من النّاس ، ولكن يقبض العلماءَ حتَّى إذا لم يبق عالمٌ اتَّخَذَ الناسُ رُؤساءَ جُهَّالاً فسُئِلوا فأفتَوا بغير علمٍ ، فضلُّوا وأضَلُّوا » .

قالوا : ولذلك قال عبد الله بن عباس رحمه الله ، حين دلّى زيد بن ثابتٍ فى القبر ، رحمه الله : « من سَرَّه أن يرى كيفَ ذهابُ العلم فلينظر ، فهكذا ذهابه (١) » .

وقال بعضُ الشُّعراء فى بعضِ العلماء :

أَبعَدْتَ مِن يومِك الفِرارَ فما ... جاوَزْت حيثُ انتَهَى بك القَدرُ (٢)
لو كان يُنجِى من الرَّدَى حذرٌ ... نجَّاك مِمَّا أَصابكَ الحذَرُ
يرحمك اللهُ مِن أَخى ثقةٍ ... لم يكُ فى صفو ودِّهِ كدَرُ
فهكذا يَفْسُد الزَّمان ويَفْنَى الـ ... ـعِلمُ منه ويَدْرُسُ الأثرُ (٣)

---

(١) ل : « ذهابه » .

(٢) الأبيات اختارها أبو تمام فى الحماسة (١ : ٤٣٧) ونسبها لرجل من بنى أسد. ونسبت فى وفيات الأعيان (١ : ١٦٥) إلى أبى يحيى محمد بن كناسة . وانظر ابن النديم ١٣٥ .

(٣) فى الحماسة : « فهكذا يذهب الزمان » .

قال : وقال قَتادة : لو كان أحدٌ مكتفياً من العلم لا كتَفى نبىُّ الله موسى عليه السلام ، إذْ قال للعبد الصالح : ﴿ هَلْ أَتَّبِعكُ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ ممَّا عُلِّمْتَ رُشْدا ﴾ .

أبو العبَّاس التميمىّ قال : قال طاوس : « الكلمة الصَّالحة صَدَقة » .

وقال ثمامة بن عبد الله بن أنس [١] ، عن أبيه ، [عن جدِّه [٢]] ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : « فضْلُ لسانِك تُعبِّر به عن أخيك الذى لا لِسانَ له صَدَقة [٣] » .

وقال الخليل : « تكثَّرْ مِن العلم لتَعرِفَ ، وتقلَّلْ منه لتَحفَظ » .

وقال الفُضَيل [٤] : « نعمت الهديَّة الكلمةُ من الحِكمة يحفظُها الرَّجُل حتى يلقيَها إلى أخيه » .

وكان يقال : يكتب الرَّجلُ أحسنَ ما يسمع ، ويحفظ أحسن ما يكتب .

وكان يقال : اجعل ما فى كتبك بيتَ مال ، وما فى قلبك للنَّفَقة .

وقال أعرابىّ : حَرْفٌ فى قلبك خير من عشرة فى طُومارك [٥] .

وقال عُمر بن عبد العزيز : « ما قُرِن شىء إلى شىء أفضلُ من حِلْم إلى علم ، ومن عَفْو إلى قُدرة » .

---

(١) ثمامة بن عبد الله بن أنس بن مالك الأنصارى البصرى القاضى ، روى عن جده أنس وأبى هريرة . تهذيب التهذيب . وفى الأصل : « عبد الله بن ثمامة بن أنس » تحريف .
وجاء الحديث بسنده فى (٢ : ٣٩) . ولفظه هناك « ثمامة بن أنس » ، نسبة إلى جده .

(٢) التكملة مما سيأتى فى (٢ : ٣٩) .

(٣) كلمة « الذى لا لسان له » ليست فى ل . وستأتى فى (٢ : ٣٩) .

(٤) هو أبو على الفضَيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمى ، الزاهد الخراسانى ، ولد بخراسان وقدم الكوفة وهو كبير ، ثم انتقل إلى مكة ، ومات بها سنة ١٨٧ ، وكان فى أول أمره شاطرا ، ثم صار إلى الزهد والعبادة . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٢ : ١٣٤) .

(٥) الطومار : الصحيفة ، قال ابن سيده : « أراه عربيا محضا ؛ لأن سيبويه قد اعتد به فى الأبنية » .
ل : « تامورك » محرف .

وكان ميمون بن سِيَاه [١] ، إذا جلس إلى قومٍ قال : إنّا قومٌ مُنْقَطَعٌ بنا ، فحدثونا أحاديث نتجمّل بها .

قال : وفَخر سُلَيم مولى زيادٍ ، بزيادٍ عند معاوية ، فقال معاويه : اسكت ،
١٥٠ فوالله ما أدرك صاحبُك شيئاً بسيفه إلّا وقد أدركتُ أكثرَ منه بلساني .

وضرب الحجاج أعناقَ أَسْرى ، فلما قدَّموا إليه رجلاً لتُضرَبَ عنُقه قال : والله لئنْ كُنَّا أسأنا فى الذّنب فما أحسنْتَ فى العفو ! فقال الحجَّاج : أُفٍّ لهذه الجِيَف ، أما كان فيها أحدٌ يحسن مثلَ هذا الكلام ! وأمسَكَ عن القتل .

وقال بشير الرَّجَّال [٢] : « إنِّى لَأجِدُ فى قلبى حَراًّ لا يُذهبه إلّا برد العدل أو حَرُّ السِّنان » .

قال : وقدَّموا رجلاً من الخوارج إلى عبد الملك بن مَرْوَان لتُضرب عنقه ، ودخل على عبد الملك ابنٌ له صغيرٌ قد ضربَه المعلِّم ، وهو يبكى ، فهمَّ عبدُ الملك بالمعلِّم ، فقال له الخارجىّ : دَعُوه يبكى فإنه أفتح لجِرمه [٣] ، وأصحُّ لبَصَره ، وأذْهَب لصَوته . قال له عبدُ الملك : أَمَا يشغَلُك ما أنتَ فيه عن هذا ؟ قال الخارجىّ : ما ينبغى لمسْلِم أن يشغَلَه عن [قول [٤]] الحقِّ شىء ! فأمر بتخلية سبيله .

قال : وقال زيادٌ على المنبر : « إنَّ الرجل ليتكلم بالكلمة لا يُقطَع بها ذَنَبُ عَنْزٍ مَصُورٍ [٥] ، لو بلَغَتْ إمامَه سفَكَ بها دمه [٦] » .

---

(١) سياه ، بكسر السين وفتح الياء المخففة ، كما فى التقريب . وميمون بصرى ، كنيته أبو بحر ، روى عن أنس والحسن ، وكان يقال إنه سيد القراء . تهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة (٣ : ١٥٤) .

(٢) فيما عدا ل : « الرحال » بالحاء المهملة .

(٣) الجرم ، بالكسر : الحلق . والخبر فى البخلاء ٦ معزو إلى بعض الحكماء

(٤) هذه مما عدا ل .

(٥) المصور : التى انقطع لبنها ؛ والمصر ، بالفتح : قلة اللبن .

(٦) وكذا جاء الخبر فى اللسان (٧ : ٣٣) . ل : « سفك دمه » . وهذا الخبر فى هـ ورد بعد بيت الشعر الثانى .

قال : وقال إبراهيم بن أدهَم (١) : « أعربنا كلامَنا فما نَلْحن (٢) ، ولحَنّا فى أعمالنا فما نُعْرِب حرفاً » . وأنشد :

نرقِّع دُنيانا بتمزيق ديننا فلا دينُنا يبقَى ولا ما نرقِّعُ (٣)

قال : وعزَلَ عمرُ زياداً عن كتابةِ أبى موسى الأشعرى ، فى بعض قَدَماتِه ، فقال له زياد : أعن عجز أم عن خيانة ؟ قال : لا عن واحدةٍ منهما ، ولكنّى أكره أن أُحمِلَ على العامّة (٤) فَضْلَ عقلِك .

قال : وبلغ الحجّاجَ موتُ أسماءَ بنِ خارجة فقال : هل سَمِعْتُم بالذى عاشَ ما شاء ومات حين شاء !

قال : وكان يقال « كَدَرُ الجماعة خيرٌ من صَفْو الفُرقَة » .

قال أبو الحسن : مرَّ عمر بن ذرّ (٥) ، بعبد الله بن عَيَّاش المنتوف (٦)، وقد كان سَفِه عليه فأعرَضَ عنه ، فتعلّق بثوبه ثم قال له : « يا هَناهُ ، إنا لم نَجدْ لك أَنْ عصَيتَ الله فينا خيراً من أن نطيع الله فيك » .

وهذا كلامٌ أخذه عُمَر بن ذَرّ ، عن عمر بن الخطاب رحمه الله . قال عُمر :

---

(١) هو أبو إسحاق إبراهيم بن أدهم بن منصور العجلى البلخى الزاهد ، وكان ذا ثروة عريضة ، ثم رفض الدنيا وصار إلى الزهد . توفى فى بلاد الروم سنة ١٦١ . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٤ : ١٢٧) .

(٢) فى جميع النسخ : « فما نلحن حرفا » . وكلمة « حرفا » مقحمة ، لم ترد فى رواية ابن الجوزى (٤ : ١٣١) ولا فيما سيأتى فى (٢ : ٢٢٠) .

(٣) البيت منسوب إلى ابن أدهم فى العقد (٢ : ١١٥) وعيون الأخبار (٢ : ٣٣٠) . وانظر محاسن البيهقى (٢ : ٤٧) والحيوان (٦ : ٥٠٦) .

(٤) هـ عن نسخة : « الرعية » .

(٥) هو أبو ذر عمر بن ذر بن عبد الله بن زرارة الهمدانى الكوفى ، كان رأسا فى الإرجاء ، اختلف فى توثيقه . توفى سنة ١٥٣ . تهذيب التهذيب .

(٦) هو أبو الجراح عبد الله بن عيّاش بن عبد الله الهمدانى الكوفى ، المعروف بالمنتوف ، روى عن الشعبى وغيره ، وروى عنه الهيثم بن عدى ، وكان راوية للأخبار والآداب ، وكان ينادم المنصور ويضحكه . لسان الميزان (٣ : ٣٢٢) .

« إنِّى واللهِ ما أَدَعُ حَقًّا لله لشِكايةٍ تظهر ، ولا لضَبٍّ يُحتَمل (١) ، ولا لمحاباةِ بَشَرٍ ، وإنّك واللهِ ما عاقبتَ مَن عصى اللهَ فيكَ بمثلِ أن تُطيعَ اللهَ فيه » .

١٥٧ قال : وكتب عمرُ بن الخطاب إلى سعد أبى وقّاص (٢) : « يا سعدَ سعدَ بنِي أُهيْب (٣) ، إنّ الله إذا أحبَّ عبداً حبّبه إلى خلقه ، فاعتبِرْ منزلتَك من الله بمنزلتك من الناس ، واعلَمْ أنّ مالَكَ عند الله مثلُ مالِله عندك » .

قال : ومات ابْنٌ لعُمَر بنِ ذَرّ فقال : « أىْ بُنَىَّ ، شغلَنى الحزنُ لك ، عن الحزن عليك » .

وقال رجلٌ من بنى مُجاشع : جاء الحسنُ فى دم كان فينا ، فخطب (٤) فأجابه رجلٌ فقال : قد تركتُ ذلك للهِ ولوجوهكم . فقال الحسن : لا تقلْ هكذا ، بل قُلْ : لِلهِ ثم لوجوهكم . وآجَرَك الله .

وقال : ومرّ رجلٌ بأبى بكر ومعه ثوبٌ ، فقال : أتبيع الثوب ؟ فقال : لا عافاك الله . فقال أبو بكر رضى الله عنه : لقد عُلِّمتم (٥) لو كنتم تعلمون . قل : لا ، وعافاك الله .

قال : وسأل عمرُ بنُ الخطّاب رجلاً عن شئ فقال : الله أعلم . فقال عمر : لقد شقِينا إنْ كُنّا لا نعلم أنّ الله أعلم . إذا سُئِل أحدكم عن شئ لا يعلمُه فليقلْ : لا أدرى (٦) .

---

(١) الضب ، بالفتح والكسر : الغيظ والحقد . فيما عدا ل : « لنضب » . وأشير فى حواشى هـ إلى رواية « لضب » عن نسخة .

(٢) هو سعد بن مالك بن أهيب – ويقال وهيب – بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب القرشى الزهرى ، أحد العشرة وآخرهم موتاً ، وهو كذلك أحد الستة أهل الشورى . ولاه عمر الكوفة ثم ولاه عثمان ، ثم عزله بالوليد بن عقبة . توفى بالمدينة سنة ٥٥ الإصابة ٣١٨٧ .

(٣) ل ، هـ : « وهيب » والخبر فى رسائل الجاحظ (١ : ٢٩٥) .

(٤) فيما عدا ل : « جاء الحسن يخطب فى دم فينا » . لكن فى هـ : « كان الحسن » .

(٥) ل : « فقال قد علمته » .

(٦) فيما عدا ل : « لا علم لى » .

وكان أبو الدَّرداء يقول : أبغَضُ النّاسِ إلىَّ أَنْ أظلِمَه مَنْ لا يستعين علىَّ بأحد إلّا بالله .

وذكر ابن ذَرٍّ (١) الدُّنيا فقال : كأنكم زادَكم (٢) فى حرصكم علينا ذَمُّ الله لها .

ونظر أعرابىٌّ إلى مالٍ له كثيرٍ ، من الماشية وغيرها ، فقال : « يَنْعة ، ولكل يَنْعةٍ استحشاف (٣) » . فباع ما هُناك مِن ماله ، ثمَّ يمَّم (٤) ثغراً عن ثغور المسلمين ، فلم يزلْ به حتى أتاه الموت (٥) .

قال : وتمنَّى قوم عند يَزيدَ الرَّقاشى (٦) ، فقال : أتمنى كما تمنَّيتم ؟ قالوا : تمنَّهْ . قال : « ليتَنا لم نُخْلَق ، وليتنا إذْ خُلِقْنا لم نَعصِ ، وليتنا إذ عَصَينا لم نمُتْ ، وليتنا إذْ مُتْنا لم نُبعَث ، وليتنا إذْ بعثنا لم نُحاسب ، وليتنا إذْ حُوسبنا لم نعذَّبْ ، ، وليتنا إذْ عذِّبنا لم نُخلَّد » .

وقال الحجّاج : « ليت اللهَ إذْ خلَقَنا للآخرة كفانا أمْرَ الدُّنيا ، فرفَعَ عنّا الهمَّ بالمأكل والمشرب والملبَس والمنكَح . أوْ ليته إذْ أوْقَعَنا فى هذه الدنيا كفانا أمْرَ الآخرة ، فرفَع عنا الاهتمام بما ينجىّ مِن عذابه » .

فبلغ كلامُهما عبدَ الله بن حسن بن حسن ، أو علىَّ بنَ الحسين ، فقال : ما عَلِما (٧) فى التمنِّى شيئاً ، ما اخْتَارَه الله فهو خيرٌ (٨) .

وقال أبو الدَّرداء : مِن هوان الدُّنيا على الله أنّه لا يُعصَى إلّا فيها ، ٥٨
ولا يُنال ما عنده إلّا بتركها .

---

(١) هو عمر بن ذر ، المترجم فى ص ٢٦٠ .

(٢) هذا ما فى هـ . وفى ل : « كأنه زاد » وفى سائر النسخ : « كأنما زادكم » .

(٣) الاستحشاف : اليبس والتقبض . ل : « استحفاف » تحريف .

(٤) فيما عدا ل : « لزم » .

(٥) فيما عدا ل : « حتى مات فيه » .

(٦) سبقت ترجمته فى ص ٢٠٤ .

(٧) ل : « ما عملا » .

(٨) كلمة « فهو » مما عدا ل .

قال شُرَيح (١) : « الحِدَّة كنايةٌ عن الجَهْل » .

وقال أبو عُبيدة : « العارضة كناية عن البَذَاء » (٢) .

قال : وإذا قالوا فلانٌ مقتصدٌ فتلك كناية عن البخل ، وإذا قالوا للعامل مستَقْصٍ فتلك كنايةٌ عن الجَوْر .

وقال الشاعر (٣) ، أبو تمَّام الطائى :

كذَبْتُمُ ليس يُزهَى مَن له حسبٌ ... ومَن له نسبٌ عمَّن له أدبُ
إنِّى لَذُو عجبٍ منكمْ أردِّدهُ ... فيكم ، وفى عجبى مِن زَهوكم عَجَبُ
لَجَاجةٌ لِىَ فيكمْ ليس يشبهُها ... إلّا لجاجتُكمْ فى أنَّكم عَرَبُ

وقيل لأعرابيّةٍ مات ابنُها : ما أحسَنَ عزاءَكِ عن ابنك ؟ قالت : إنَّ مصيبته أمَّنَتْنى من المصائب بعده .

قال : وقال سعيد بن عثمان بن عفان رحمه الله لطُوَيسٍ المُغَنِّى (٤) : أيُّنا أسَنُّ أنا أم أنت ياطاوس (٥) ؟ قال : « بأبى أنتَ وأمِّى ؛ لقد شهدتُ زِفاف أمِّك المبارَكة إلى أبيك الطيِّب (٦) » . فانظر إلى حِذْقه وإلى معرفته بمخارج الكلام ،

---

(١) هو أبو أمية شريح بن الحارث بن قيس الكندى الكوفى القاضى ، كان من أولاد الفرس الذين كانوا باليمن ، استقضاه عمر على الكوفة ، ثم عثمان ، وأقره على ، وكان يقول له : أنت أقضى العرب ، وولاه زياد قضاء البصرة . توفى سنة ٧٢ . الإصابة ٣٨٧٥ ، وتهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة (٣ : ٢٠) ، والمعارف ١٩١ ، وابن خلكان .

(٢) العارضة : القدرة على الكلام . والبذاء ، كسحاب : الفحش .

(٣) فيما عدا ل : « وقال حبيب بن أوس الشاعر » .

(٤) طويس لقب غلب عليه ، واسمه عيسى بن عبد الله ، مولى بنى مخزوم . وطويس هذا ، هو الذى يقال فيه « أشأم من طويس » ؛ وذاك أنه — كما يقولون — ولد يوم قبض الرسول ، وفطم يوم وفاة أبى بكر ، وختن يوم مقتل عمر ، وزوج يوم مصرع عثمان ، وولد له ولد يوم قتل على . وهو أول من تغنى بالمدينة غناء بالمدينة غناء يدخل فى الإيقاع . عمر طويس حتى مات فى ولاية الوليد بن عبد الملك . الأغانى (٣ : ١٦٤ — ١٧٢) وثمار القلوب ١١٤ .

(٥) فيما عدا ل : « طويس » . وفى ثمار القلوب : « وكان يسمى طاوسا ، فلما تخنث سمى بطويس » .

(٦) انظر الخبر فى الحيوان (٤ : ٥٨) .

كيف لم يقل : زِفاف أُمِّك الطيبة إلى أبيك المبارك . وهكذا كان وجهُ الكلام فقَلَب المعنى .

قال : وقال رجلٌ من أهل الشّام : كنت فى حلقة أبى مُسْهِر [(١)] ، فى مسجد دمشق ، فذكرنا الكلامَ وبَراعتَه ، والصَّمتَ ونبالته ، فقال :كَلّا إن النَّجْم ليس كالقمر ، إنك تصِفُ الصَّمت بالكلام ، ولا تصف الكلامَ بالصَّمت .

وقال الهيثم بن صالح لابنه وكان خطيباً : يا بنىّ إذا قَلَّلتَ من الكلام أكثرتَ من الصَّواب ، وإذا أكثرت من الكلام أقلَلت من الصّواب . قال : يا أبه ، فإنْ أكثرتُ وأكثرت ؟ – يعنى كلاماً وصواباً – قال : يا بُنىَّ ، ما رأيتُ موعوظاً أحقَّ بأن يكون واعظاً منك !

قال : وقال ابن عبَّاس : « لولا الوَسْواسُ ، ما بالَيْتُ ألّا أكلِّم الناس » .

قال : وقال عمر بن الخطَّاب رحمه الله : « ما تستبْقوه [(٢)] من الدُّنيا تجدوه فى الآخرة » .

وقال رجلٌ للحسن : إنى أكره الموت . قال : ذاك أنَّك أخّرت مالَكَ ، ولو قدَّمته لسرَّك أن تَلْحَق به .

قال : وقال عامر بن الظرِب العَدْوانىّ [(٣)] « الرأى نائمٌ ، والهوى يقظان ؛ فمن هُنالك يغلبُ الهوى الرأى [(٤)] » .

---

(١) هو أبو مسهر عبد الأعلى بن مسهر بن عبد الأعلى الدمشقى الغسانى ، وهو أحد من أشخص من دمشق إلى المأمون فامتحنه فى خلق القرآن ، فلما دعِى له بالسيف قال : مخلوق ! فأمر بإشخاصه إلى بغداد فحبس بها ومات سنة ٢١٨ . ومولده سنة ١٤٠ . تهذيب التهذيب ، وتذكرة الحفاظ (١ : ٣٤٦) وتاريخ بغداد ٥٧٥٠ .

(٢) فيما عدا ل : « ما تستبقوا » . والاستبقاء : ترك البقية .

(٣) عامر بن الظرب العدوانى ، أحد حكام العرب فى الجاهلية ، قالوا : عمر مائتى سنة ، وفيه يقول ذو الإصبع العدوانى :

ومنا حكم يقضى ... فلا ينقض ما يقضى

انظر المعمرين ٤٤ – ٥٠ وأمثال الميدانى فى : « إن العصا قرعت لذى الحلم » .

(٤) انظر الخبر فى المعمرين ٤٨ – ٤٩ . هـ : « فمن هناك » .

وقال : مكتوب فى الحكمة : « اشكُرْ لمن أنعَمَ عليك ، وأَنعِمْ على من شكر لَكَ » .

وقال بعضهم (١) : « أيُّها الناس ، لا يمنعنَّكم سوءُ ما تعلمون منّا أن تَقبَلوا أحْسنَ ماتسمعُون منا » .

وقال عبدُ الملك على المنبر : « ألا تُنصفوننا يا معشرَ الرعيَّة ؟ تريدون مِنّا سيرَةَ أبى بكر وعمر ولم تَسِيروا فى أنفسكم ولا فينا بِسيرة رعيّة أبى بكر وعمر ، أسأل الله أنْ يعين كُلاًّ على كُلٍّ » .

وقال رجلٌ من العرب : « أربعٌ لا يشبَعْن من أربعة : أنثى من ذكر ، وعينٌ من نَظَر ، وأرضٌ من مطر ، وأذُن من خَبَر » .

قال : وقال موسى ﷺ لأهله : ﴿ امْكُثُوا إِنِّى آنَسْتُ نَارًا لَعَلّى آتِيكُمْ مِنْها بِخَبَرٍ ﴾ ، فقال بعضُ المعترضين : فقد قال : ﴿ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ ﴾ . فقال أبو عقيل (٢) : « لم يعرِفْ موقِع النّار من أبناء السّبيل، ومن الجائع المقرور »

وقال لبيدُ بن ربيعة :

ومقامٍ ضيِّقٍ فرّجْتُه ... بِبيان ولِسانٍ وجَدَلْ (٣)
لو يقوم الفِيلُ أو فَيّالُه ... زَلّ عن مِثل مقامى وزَحَلْ
ولَدَى النعمان مِنِّى موطنٌ ... بَيْنَ فاثُورِ أُفاقٍ فالدَّحَلْ (٤)

---

(١) فيما عدا ل زيادة « وهو أبو الدرداء » .

(٢) الراجح أنه أبو عقيل السواق . انظر الحيوان (٤ : ٢٠٦/٧ : ٢٠٤) .

(٣) الأبيات من قصيدة طويلة فى ديوانه ١١ - ١٧ طبع ١٨٨١ .

(٤) فاثور : موضع أو واد بنجد . وأفاق ، بالضم : موضع فى بلاد بنى يربوع . وأنشد ياقوت البيت فى الموضعين . والدحل : ماء بنجد . هـ : « فالدخل » .

إذ دعَتْنى عامرٌ أنصرُها فالتقى الألسُنُ كالنَّبل الدُّوَلْ (١)

فرميتُ القومَ رِشْقاً صائباً ليس بالعُصْل ولا بالمقْتعِلّ (٢)

فانتضَلنا وابنُ سَلمَى قاعدٌ كعَتيقِ الطَّير يُغْضِى وَيُجَلْ (٣)

وقبيلٌ من لُكَيزٍ شاهدٌ رهطُ مرجومٍ ،ورهطُ ابنِ المُعَلّ (٤)

وقال لبيد أيضاً (٥)

وأبيضَ يجتابُ الخُرُوقَ على الوَجى خطيباً إذا التَفَّ المجامع فاصلا (٦)

يجتاب : يفتعل من الجَوبْ ، وهو أن يجوب البِلاد ، أى يدخل فيها ويقطعها . والخُرُوق : جمع خَرقٍ ؛ والخَرق : الفلَاةُ الواسعة . والوجَى : الحَفَا ، ٦٠ مقصور كما ترى ؛ وأنه ليتوجَّى فى مِشيته ، وهو وَجٍ . وقال رؤبة :

* به الرَّذايا من وَجٍ ومُسْقَط (٧) *

---

(١) النبل : السهام . والدول ، بالتحريك : المتداول .

(٢) الرشق : أن يرمى الرامى بالسهام كلها . أى ليس رمىى بالعصل من السهام ، وهى المعوجة . والمقتعل من السهام : الذى لم يبر برياً جيداً . والبيت فى اللسان (عصل ، قعل) برواية : « المقتعل » ، وفى (قتعل) برواية البيان .

(٣) ابن سلمى هو النعمان بن المنذر . جاء فى الحيوان (٤ : ٣٧٧) : « وأم النعمان سلمى بنت الصائغ ، يهودى من أنباط الشام » . وجلى ببصره تجلية ، إذا رمى به كما ينظر الصقر إلى الصيد . انظر اللسان (٢٠ : ١٦٤) والحيوان (٧ : ٤٧) .

(٤) لكيز بن أفصى بن عبد القيس . ومرجوم ، بالجيم ، اسمه شهاب بن عبد القيس . قال ابن دريد : « وإنما سمى مرجوما لأنه نافر رجلا إلى النعمان فقال له النعمان : قد رجمتك بالشرف . فسمى مرجوماً » . الاشتقاق ٢٠١ . وابن المعلى ، وهو الجارود بن المعلى ، كان سيد عبد القيس ، قدم على الرسول فى وفد عبد القيس الأخير سنة عشر ، وأسلم وحسن إسلامه. الإصابة ١٠٣٨ والحيوان (١ : ٣٢٧) . والبيت لم يرو فى ديوان لبيد .

(٥) ب : « وقال » فقط . ح والتيمورية : « وقال لبيد » .

(٦) ديوان لبيد ٢٦ طبع ١٨٨١ . ل : « فيصلا » تحريف . التيمورية والديوان : « فاضلا » بالمعجمة . والوجه ما أثبت من ب ، ح . وقبل البيت :

ولن يعدموا فى الحرب ليثا مجرباً وذا نزل عند الرزية باذلا

(٧) التفسير بعد البيت السابق إلى كلمة « الواسعة » من ل . وما بعدها إلى هنا من ل فقط . والبيت من أرجوزة رواها أبو عمرو والأصمعى لرؤبة ، ورواها ابن الأعرابى للعجاج . ديوان رؤبة ٨٣ .

وقال أيضاً لبيد (١) :

لو كان حيٌّ فى الحياة مخلَّداً   فى الدّهر أدركَهُ أبو يَكْسُومِ (٢)
والحارثـان كلاهما ومحرِّقٌ   أو تُبَّعٌ أو فارس اليحمومِ (٣)
فدعِى الملامةَ ويْبَ غيرِكِ إنّه   ليس النَّوالُ بِلوْمِ كلِّ كريمِ
ولقد بلوتُكِ وابتليتِ خَليقتى   ولقد كفاكِ مُعلِّمِى تعليمى

وله أيضاً :

ذهبَ الذين يُعَاشُ فى أكنافهمْ   وبقِيتُ فى خَلْف كجِلْد الأجربِ
يتأكَّلُون مَغالةً وخِيانـةً   ويُعاب قائلُهم وإن لم يَشْغَبِ

والخَلَفُ : البقيّة الصالحة من ولد الرجل وأهلِه . والخلْف ضد هذا (٤) .

وقال زيد بن جندب ، فى ذكر الشَّغْب :

ما كان أغْنَى رجالاً ضَلَّ سَعْيُهمُ   عن الجدال وأغناهم عن الشَّغَبِ (٥)

وقال آخر (٦) فى الشَّغْب :

إنى إذا عاقبتُ ذو عقابِ   وإن تشاغِبْنى فذو شِغَابِ

---

(١) فيما عدا ل : « وقال لبيد » . وانظر ديوان لبيد ٨٣ – ٨٤ طبع ١٨٨٠ .

(٢) أبو اليكسوم : كنية أبرهة ، الملك الحبشى صاحب الفيل الذى وجه لهدم الكعبة . وفى السيرة ٤١ جوتنجن : « فلما هلك أبرهة ملك الحبشة ملك ابنه يكسوم بن أبرهة . وبه كان يكنى » . وانظر الحيوان (٧ : ١٠١) . وفى شرح الديوان : « أدركه ، الهاء للتخليد » .

(٣) الحارثان ، هما الحارث الأكبر والحارث الأصغر ، ملكان من ملوك الغساسنة. محرق ، هو عمرو بن هند ملك الحيرة ، لأنه حرق بنى تميم . وهو كذلك لقب للحارث الأكبر الغسانى . انظر القاموس والعمدة (٢ : ١٧٩) . وفى شرح الديوان أنه ملك من ملوك اليمن. وفارس اليحموم ، هو النعمان بن المنذر . واليحموم : فرسه . انظر العمدة (٢ : ١٨٢) والخيل لابن الكلبى ٣١ ونهاية الأرب (١٠ : ٤٥) . وبدل هذا البيت وتاليه فيما عدا ل :

بكتائب خرس تعوّد كبشها   نطح الكباش شبيهة بنجوم

(٤) هذا التفسير فى ل فقط .

(٥) انظر ما سبق ص ٤٢ . ل : « ضل شغبهم » ل ، هـ : « عن الخطب » .

(٦) هو لقيط بن زرارة ، كما سيأتى فى (٢ : ١٧٠) .

وقال ابن أحمر بن العَمَرّدِ (١) :

وكَم خَلَّها مِن تَيَّحانٍ سَمَيدع   مُصَافِي النَدى سَاقٍ بيهْماءَ مُطْعِمِ (٢)

– التَيَّحان : الذى يعرِض فى كل شئ ليُغْنىَ فيه . والسَّمَيدَع : الكريمُ . والنَّدى : السخاء . والهيماء : الأرض التى لا يُهتدَى فيها لطريق (٣) –

طَوِى البطنِ مِتْلَافٍ إذا هبَّت الصَّبا   على الأمر غوّاصٍ وفى الحى شَيظمِ (٤)

وقال (٥) :

هل لامَنى قومٌ لموقِفِ سائلٍ   أو فى مخاصمة اللّجُوج الأُصيَدِ

الأَصيَد : السَّيِّدُ الرّافعُ رأسَه ، الشّامخُ بأنفه (٦) . ٦١

وقال فى التطبيق :

فلمَّا أنْ بدا القَعقاع لجَّتْ   على شَرَكٍ تُنَاقِله نِقالَا (٧)

تعاوَرْنَ الحديثَ وطبَّقَتْه   كما طَبَّقت بالنَّعل المِثالا

قال : وهذا التطبيق غير التطبيق الأوّل . وقال آخر (٨) :

لو كنتُ ذا علمٍ علمتُ وكيفَ لى   بالعِلْم بعد تَدَبُّر الأمـــرِ

---

(١) هو ابن أحمر الباهلى ، واسمه عمرو بن أحمر بن العمرد بن عامر بن عمرو بن عبد بن فراص . من شعراء الجاهلية الذين أدركوا الإسلام ، أسلم وغزا مغازىَ فى الروم ، ونزل الشام ، وتوفى على عهد عثمان . الإصابة ٦٤٦٠ والخزانة (٣ : ٣٨) والمؤتلف ٣٧ .

(٢) التيحان ، بفتح التاء وتشديد الياء المفتوحة والمكسورة . وكان سيبويه ينكر لغة الكسر .

(٣) هذا التفسير جميعه من ل فقط .

(٤) رجل طو : خالى البطن جائع . والشيظم : الطلق الوجه الهش .

(٥) ل : « وقال آخر » تحريف ، فإن البيت لابن أحمر ، كما سيأتى صريحا فى (٢ : ١٧١) .

(٦) هذا التفسير من ل فقط .

(٧) القعقاع : طريق يأخذ من اليمامة إلى البحرين ، كان فى الجاهلية . والشرك : الطرق التى تخفى عليك ولا تستجمع لك ، فأنت تراها وربما انقطعت ، غير أنها لا تخفى عليك.والمناقلة : سرعة نقل القوائم . وضمير « تناقله » للنقال ، كما فى : « فإنى أعذبه عذاباً » .

(٨) هو ابن أحمر الباهلى ، كما سبق فى ص ٥ .

يعنى إدبار الأمر [١] .

وقال المعترضُ على أصحاب الخَطابة والبلاغة :

قال لقمانُ لابنه : « أَىْ بُنىّ ، إنّى قد ندمتُ على الكلام ، ولم أندَم على السُّكوت » . وقال الشّاعر :

ما أن ندمتُ على سكوتىَ مَرَّةً   ولقد ندمتُ على الكلام مِرارَا

وقال الآخَر [٢] :

خَلِّ جنبَيك لرَامِ   وامضِ عنه بسلامِ
مُتْ بداء الصمتِ خير   لك مِن داء الكلامِ
إنّما المُسلِمُ مَنْ أَلْـ   ـجَمَ فاهُ بلجامِ [٣]

وقال الآخر [٤] فى الاحتراس والتّحذير :

اخفِض الصَّوتَ إن نطقتَ بليلٍ   والتفِتْ بالنّهار قبل الكَلامِ

وقال آخَر فى مثل ذلك :

لا أسألُ النّاس عَمّا فى ضمائرهمْ   ما فى الضّمير لهم من ذاك يكفينى [٥]

وقال حَمزة بن بِيض [٦] :

لم يكن عن جِنايةٍ لحِقَتْنى   لا يَسارى ولا يَمينى جَنَتْنى
بل جناها أخٌ علىّ كريمٌ   وعلى أهلها براقِشُ تجنى

---

(١) هذا الشرح من ل فقط .

(٢) هو أبو نواس ، كما فى عيون الأخبار (٢ : ١٧٧) .

(٣) فى عيون الأخبار : « إنما السالم » . والبيت ساقط من هـ .

(٤) هو أبان اللاحقى ، كما فى الحيوان (٥ : ٢٤١) .

(٥) فيما عدا ل : « ما فى ضميرى لهم منى سيكفينى » . وأشير فى هـ إلى رواية « من ذاك » .

(٦) حمزة بن بيض الحنفى ، شاعر إسلامى من شعراء الدولة الأموية ، كوفى خليع ماجن . وكان منقطعاً إلى المهلب بن أبى صفرة وولده ، ثم إلى أبان بن الوليد ، وبلال بن أبى بردة ، واكتسب بشعره مالا عظيما بلغ ألف ألف درهم . الأغانى (١٥ : ١٤ – ٢٥) والمؤتلف ١٠٠ . و « بيض » بكسر الباء . انظر تحقيق ذلك فى شرح الحيوان (٥ : ٤٥٤) .

لأنّ هذه الكلبةَ ، وهى براقش ، نَبحث غُزًّى [١] قدْ مَرُّوا من ورائهم وقد رجعوا خائبين مُخْفقين ، فلما نبحَتْهم استدلُّوا بنباحها على أهلها واستباحوهم ، ولو سكتت كانوا قد سلموا . [فضرب ابن بِيض به المثل [٢]] .

وقال الأخطل :

تَنِقُّ بلا شيءٍ شُيوخ مُحارِبٍ ... وما خِلْتُها كانت تَرِيش ولا تَبْرِى

ضفادعُ فى ظَلماء ليلٍ تجاوبَتْ ... فدَلّ عليها صوتُها حيَّةَ البحرِ [٣] ٦٢

النقيق : صياح الضَّفادع .

وقالوا : « الصمت حُكْمٌ وقليلٌ فاعلُه » .

وقالوا : « استكثَرَ من الهَيبة صامت » .

وقيل لرجل من كلبٍ طويل الصمت : بحقٍّ ماسَمّتكُم العربُ خُرْسَ العرب . فقال : « أسكُتُ فأسلمُ ، وأسمَعُ فأعلَم » .

وكانوا يقولون : « لا تعدِلُوا بالسلامة شيئاً » .

ولا تسمع الناسَ يقولون : جُلِدَ فلان حين سكت ، ولا قُتِلَ فلانٌ حين صمت [٤] ونسمعُهم يقولون : جُلِد فلان حينِ قال كذا ، وقُتل حين قال كذا وكذا .

وفى الحديث المأثور : « رحِمَ اللهُ مَن سكت فسلِمَ ، أو قال فغنم » .

والسلامة فوق الغنيمة ؛ لأنّ السلامة أصلٌ والغنيمةَ فرع .

---

(١) غزى : جمع غاز . فيما عدا ل : « إنما نبحت غزيا » . والغزىّ : جمع غاز أيضاً ، مثل ناد وندىّ ، وناج ونجىّ .

(٢) به ، أى بذلك . وهذه التكملة مما عدا ل .

(٣) البيتان فى ديوان الأخطل ١٣٢ . وانظر الحيوان (٣ : ٢٦٨ / ٤ : ٢٤٠ / ٥ : ٥٣٢/) . وللشعر قصة فى العقد (٢ : ١٤) ومعاهد التنصيص (٢ : ١٩٩) والكنايات ٧٢ .

(٤) فيما عدا ل : « صمت » موضع « سكت » وبالعكس فيما بعده .

وقال النبى ﷺ : « إنّ الله يبغض البليغَ الذى يتخلّل بلسانه ، تخلُّلَ الباقرة [١] بلسانها » .

وقيل : « لو كان الكلامُ من فِضّة ، لكان السُّكوت من ذهب [٢] ».

قال صاحب البلاغة والخطابةِ ، وأهلُ البيانِ وحُبُّ التبيُّن [٣] : إنّما عاب النبى ﷺ المتشادقين والثّرثارين والذى يتخلل بلسانه تخلُّلَ الباقرة بلسانها ، والأعرابىَّ المتشادق ، وهو الذى يصنَعُ بفكّيْه وبشدقيه ما لا يستجيزه أهلُ الأدب مِن خطباء أهل المدَر ؛ فمن تكلف ذلك منكم فهو أعْيَبُ ، والذّمُّ له ألزَم .

وقد كان الرَّجلُ من العرب يقِفُ الموقفَ فيرسلُ عدَّة أمثالٍ سائرة ، ولم يكن النَّاسُ جميعاً ليتمثلوا بها إلا لما فيها من المرفق والانتفاع [٤] . ومدار العِلم على الشّاهِدِ والمَثَل . وإنّما حثُّوا على الصّمت لأنّ العامة إلى معرفة خطأ القول ، أسرعُ منهم إلى معرفة خطأ الصّمت . ومعنى الصامت فى صَمته أخفى من معنى القائل فى قوله ؛ وإلاّ فإنَّ السكوت عن قول الحقِّ فى معنى النُّطق بالباطل . ولعمرى إنَّ النّاس إلى الكلام [٥] لأسرع ؛ لأنّ فى أصل التركيب أنّ الحاجة إلى القول والعمل أكثرُ من الحاجة إلى ترك العمل ، والسُّكوتِ عن جميع القول.وليس الصّمْتُ كله أفضلَ من الكلام كله ، ولا الكلام كلُّه أفضل من السكوت كله ، بل قد علمنا أنّ عامّة الكلام أفضلُ من عامّة السكوت . وقد قال الله عز وجل : ﴿ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ للسُّحتِ ﴾ . فجعل سَمْعه وكَذِبه سواء . وقال الشاعر :

بنى عَدىٍّ ألا يا انْهَوْا سفيهَكُمُ ... إنَّ السَّفيه إذا لم يُنْهَ مأمورُ [٦]

---

(١) المعروف فى جمع بقر الباقر والبقير والبيقور والباقور والباقورة والبواقر . هـ : « كما تتخلل الباقرة » .

(٢) فيما عدا ل : « إن كان الكلام ... فالسكوت » .

(٣) ما عدا هـ : « التبيين » .

(٤) المرفق ، كمنبر ومجلس ومسكن : ما استعينَ به . (٥) ل : « كلامهم » .

(٦) يا انهوا ، هو من حذف المنادى ، أى يا قوم انهوا . فيما عدا ل ، هـ : « ألا ينهى » .

وقال آخر [١] :

فإن أنا لم آمُرْ ولم أنْهَ عنكما   ضَحِكتُ له حتّى يلجَّ ويستشري

وكيف يكون الصَّمتُ أنفعَ ، والإيثارُ له أفْضل [٢] ، ونفعُه لا يكاد يجاوز رأسَ صاحبه ، ونفع الكلام يعُمّ ويَخُصّ ، والرُّواة لم ترْوِ [٣] سكوت الصامتين ، كما روتْ كلامَ النّاطقين ، وبالكلام أرسَلَ الله أنبياءَه لا بالصَّمت ، ومواضعُ الصَّمت المحمودة قليلة ، ومواضعُ الكلام المحمودة كثيرة ، وطولُ الصَّمت يُفسد اللِّسان [٤] .

وقال بكر بن عبد الله المزنى [٥] : « طول الصَّمت حُبْسَة » كما قال عمر بن الخطاب رحمه الله : « ترْك الحركة عُقْلَةٌ » .

وإذا ترك الإنسانُ القولَ ماتت خواطرُه ، وتبلّدتْ نَفْسُه ، وفسَدَ حِسُّه .

وكانوا يروُّون صِبيانَهم الأرجاز ، ويعلّمونهم المُناقلات ، ويأمرونهم برَفْع الصَّوت وتحقيق الإعراب ؛ لأنَّ ذلك يفتق اللَّهاة ، ويفتح الجِرْم [٦] .

واللّسان إذا أكثرتَ تقليبه رقَّ ولانَ ، وإذا أقللتَ تقليبَه وأطَلْت إسكانَه جسأ وغلظ [٧] .

وقال عَبَايةُ الجُعْفىّ [٨] : « لولا الدُّرْبة وسُوء العادة لأمرتُ فتياننا [٩] أن يمارِىَ بعضُهم بعضاً » .

---

(١) هو عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود . انظر الحيوان (١ : ١٤) وأمالى المرتضى (٢ : ٦٠) وثعلب ١٧ .

(٢) ل : « ولا يقال له أفضل » ، تحريف .

(٣) فيما عدا التيمورية : « لم يرووا » .

(٤) فيما عدا ل : « البيان » .

(٥) تقدمت ترجمته فى ص ١٠٠ .

(٦) الجرم ، بالكسر : الحلق .

(٧) ل : « إسكاته » : بالتاء . جسأ : يبس وصلب .

(٨) أورد له فى الحيوان (٥ : ١٩٠) : « ما سرَّنى بنصيبى من المنى حمر النعم » .

(٩) ل : « فتيانى » .

وأيةُ جارحةٍ منعتَها الحركةَ ، ولم تمرِّنها على الاعتمال ، أصابَها من التعقُّد على حسب ذلك المنْع . ولمَ قال رسول الله ﷺ للنّابغة الجعدى : « لا يَفْضُض اللهُ فاك » ؟ ولم قال لكعب بن مالك : « ما نَسِىَ الله لَكَ مقالك ذلك [(١)] » ؟ ولم قال لهيذان بن شيخ [(٢)] : « رُبَّ خطيبٍ من عَبْس » ؟ ولم قال لحسان : « هَيِّج الغطاريف على بنى عبد مناف [(٣)] ، والله لشِعْرُك أشدُّ عليهم من وَقْع السِّهام ، فى غَبَش الظَّلام [(٤)] » ؟

وما نشكُّ أنّه عليه السلام قد نَهى عن المِراءِ ، وعن التزيُّد والتكلُّف ، وعن كلِّ ما ضارَعَ الرِّياء والسُّمعة ، والنَّفْجَ والبذَخ [(٥)] ، وعن التَّهاتر والتّشاغُب ، وعن المماتنة والمغالبة [(٦)] . فأمَّا نَفْسُ البيان ، فكيف يَنهَى عنه . وأبيَن الكلام كلامُ الله ، وهو الذى مدَح التَّبيين وأهل التفصيل [(٧)] وفى هذا كفايةٌ إن شاء الله .

وقال دغفَل بن حنظلة : إنَّ للعلم أربعة [(٨)] : آفة ، ونكداً ، وإضاعة ، واستجاعة . فآفته النِّسيان ، ونكده الكذِب ، وإضاعته وَضْعُه فى غير موضعه ، واستجاعته أنّك لا تشبع منه .

وإنّما عاب الاستجاعة لسوء تدبير أكثرِ العلماء ، ولخُرْق سياسة أكثر الرُّواة ؛ لأنَّ الرُّواة إذا شَغَلوا عقولهم بالازدياد والجمع ، عن تحفُّظ ما قد حصَّلوه ،

---

(١) الكلمة الأخيرة ليست فى ل .

(٢) ذكره ابن حجر فى الإصابة ٩٠٢٧ برسم « هيدان بن سنح العبسى » . وأورد له هذا الخبر الذى رواه الجاحظ ثم قال : « ولم يتحرر لى ضبط والده » .

(٣) الغطريف : أصله السيد الشريف . فى الأصول ما عدا هـ : « من بنى » . وما أثبت من هـ يطابق ما فى العثمانية للجاحظ ٢٤ . وانظر ما كتبت فى حواشيها من تحقيق .

(٤) الغبش : شدة الظلمة . ل والعمدة : « غلس الظلام » . وهى ظلمة آخر الليل .

(٥) النفج ، بالفتح ، والبذخ بالتحريك ، هما بمعنى الكبر .

(٦) المماتنة : المعارضة فى الجدل والخصومة .

(٧) فيما عدا ل : « التفضيل » ، بالضاد المعجمة ، تصحيف .

(٨) فيما عدا ل : « أربعا » . وانظر الإصابة ٢٣٩٥ وابن النديم ١٣١ .

وتدبُّر ماقد دوَّنوه ، كان ذلك الازدياد داعياً إلى النقصان ، وذلك الرِّبح سبباً للخُسران . وجاء فى الحديث : « منهومانِ لا يشبعان : منهومٌ فى العلم ، ومنهومٌ فى المال » .

وقالوا : علِّمْ عِلمَك ، وتعلمْ علمَ غيرِك ، فإذا أنت قد علمْتَ ما جهِلت ، وحفِظت ما علِمْتَ .

وقال الخليل بن أحمد : اجعَلْ تعلمك دراسةً لعلمك ، واجعل مناظرةَ المتعلِّم تنبيهاً على ما ليس عندك .

وقال بعضهم – وأظنُّه بكرَ بنَ عبدِ الله المُزَنِىّ – : لا تكُدُّوا هذه القلوبَ ولا تُهمِلوها ؛ فخيْر الفِكْر ما كان عَقِب الجَمَام (١) ، ومن أكره بصرَهُ عَشِىَ . وعاوِدُوا الفِكرةَ (٢) عند نَبَوات القلوب ، واشحَذُوها بالمذاكرة ، ولا تيأسُوا من إصابة الحكمة إذا امتُحِنْتم ببعض الاستغلاق ؛ فإنّ مَن أدام قرع البابِ وَلَج .

وقال الشّاعر :

إذا المرءُ أعيَتْه السِّيادةُ ناشئاً   فمطلبها كهلاً عليه شديدُ (٣)

وقال الأحنف : « السُّؤدُد مع السَّواد » . وتقول الحكماء : « مَن لم ينطق بالحكمة قبل الأربعين لم يبلغ فيها » . وأنشد (٤) :

ودون النَّدَى فى كل قلبٍ ثَنِيَّةٌ   لها مَصعَدٌ حَزن ومنحدَر سهلُ (٥)

ووَدَّ الفَتى فى كلِّ نَيلٍ يُنيلُه   إذا ما انقضى ، لو أنَّ نائلَهُ جَزْلُ

---

(١) فيما عدا ل ، هـ : « فخير الكلام » . والجمام ، كسحاب : الراحة .

(٢) فيما عدا ل : « الفكر » .

(٣) فيما عدا ل : « أعيته المروءة » .

(٤) ل : « وأنشد قول الشاعر » . وهو إسحاق الخزيمى كما فى الشعراء ٨٣٣ وزهر الآداب (٤ : ٢٠١) وما سيأتى فى (٢ : ٣٥٢) . وانظر الحيوان (٢ : ٩٥) .

(٥) ل : « ودون العلى » ، وما أثبت من سائر النسخ يطابق رواية الحيوان .

وقال الهذلىُّ (١) :

وإنّ سيادةَ الأقوامِ فاعلَمْ لها صَعْداءُ مطلبُها طويلُ (٢)
أترجُو أن تسود ولا تُعَنَّى وكيف يسود ذُو الدَّعَة البخيلُ (٣)

١٦ صالح بن سليمان ، عن عتبة بن عُمَر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قال : « ما رأيتُ عُقولَ النّاس إلاّ وقد كادَ يتقاربُ بعضُها من بعض (٤) ، إلاّ ما كان من الحجّاج وإياس بن معاوية ، فإنّ عقولهما كانت تَرْجَحُ على عقول الناس » .

أبو الحسن قال : سمعت أبا الصُّغْدِىَّ (٥) الحارثىَّ يقول : كان الحجّاج أحمَقَ ، بنى مدينة واسط فى بادية النَّبط ثم حماهُمْ دخولَها (٦) . فلمّا مات دَلَفوا إليها من قريب .

وسمعتُ قَحْطَبة الخُشَنىّ (٧) يقول : كان أهلُ البصرة لا يشكّون أنّه لم يكُنْ بالبصرة رجلٌ أعقلَ من عُبَيد الله بن الحسن (٨) ، وعُبيد الله بن سالم .

وقال معاوية لعمرو بن العاصى : إنّ أهل العراق قد قَرَنُوا بك رجلاً طويلَ اللّسان ، قصيرَ الرأى ، فأجِدِ الحَزّ وطَبّق المَفصِلَ ، وإيّاك أن تلقاهُ برأيك كلِّه .

---

(١) هو حبيب بن عبد الله الهذلى ، المعروف بالأعلم . انظر ديوان الهذليين ٦٠ – ٦١ نسخة الشنقيطى ، وشرح الهذليين السكرى ٦٣ – ٦٤ .

(٢) وكذا روى فى شعر الهذليين وعيون الأخبار (١ : ٢٢٦) . ورواه فى الحيوان (٢ : ٩٥) برواية : « وإن سياسة » ، وكذا فى اللسان (صعد) . والصعداء : الأكمة يشتد صعودها على الراق .

(٣) فيما عدا ل : « ولن تعنى » ، تحريف : وهذا البيت لم يرد فى ديوان الهذليين .

(٤) فيما عدا ل : « إلا قريباً بعضها من بعض » وهو ما سبق فى ص ١٠٠ س ١ .

(٥) ب والتيمورية : « الصغرى » جـ : « الصفرى » وأثبت ما فى ل ، هـ وسيعيد الجاحظ هذا الخبر فى (٤ : ١٨) .

(٦) سيأتى : « ثم قال لهم لا تدخلوها » وهو رواية ما عدا ل هنا .

(٧) الخشنى : نسبة إلى خشين بن نمر بن وبرة بن تغلب . فيما عدا ل : « الجشمى » .

(٨) تقدمت ترجمته فى ص ١٢٠ . ل : « عبد الله » تحريف .

باب ما قالوا فيه من الحديث الحسن
الموجز المحذوف ، القليل الفضول

قال الشّاعر (١) :

لها بَشرٌ مثلُ الحرير ومنطقٌ رقيقُ الحواشى لا هُرَاءٌ ولا نَزْرُ (٢)

وقال ابن أحمر :

تَضَعُ الحديثَ على مواضِعِه وكلامُها مِن بعدِهِ نَزْرُ

وقال الآخر :

حديث كطعم الشُّهدِ حلو صدورُه وأعجازُه الخُطبان دونَ المَحارِمِ (٣)

وقال بشّار بن برد :

أُنُسٌ غرائرُ ماهَمَمْنَ بريبَةٍ كظِباء مكَّةَ صيدُهنَّ حرامُ
يُحسَبْنَ من أُنس الحديثِ زوانياً ويصدُّهُنَّ عن الخنا الإسلامُ

ولبشّارٍ أيضاً :

فنعِمْنا والعينُ حَىٌّ كَمَيْتٍ بحديثٍ كنشوةِ الخندريسِ

ولبشّار أيضاً :

وكــأنَّ رَفْضَ حديثهــا قِطَعُ الرِّياض كُسِين زَهْرا (٤)
وتخالُ ما جَمَعت عليــ ـه ثيابَهـا ذهباً وعِطـرا
وكــأنّ تَحْتَ لسانِهــا هاروتَ ينفُثُ فيه سِحرا ٦٦

---

(١) هو ذو الرمة . ديوانه ٢١٢ وأمالى القالى (١ : ١٥٤) واللسان (هرأ) .
(٢) فى الديوان : « دقيق الحواشى » . وفى الأمالى وما عدا ل : « رخيم الحواشى » .
(٣) الخطبان ، بالضم : نبت شديد المرارة .
(٤) أنشده فى اللسان (رفض) على أن الرفض . بمعنى الجانب . وفى أمالى القالى (١ : ٨٤) : « وكأن رصف » .

ولبشّار العُقَيلىّ :

وفتاةٍ صُبَّ الجمالُ عليها … بحديثٍ كلَذّة النَّشوانِ

وقال الأخطل :

فأَسْرَيْنَ خمساً ثم أصبحن غُدوةً … يُخبِّرْن أخبارا ألذّ من الخمرِ (١)

وقال بشّار :

وبِكْرٍ كنُوّارِ الرِّياض حديثُها … تَرُوق بوجهٍ واضح وقَوامِ

وقال بشّار :

وحديث كأنه قِطَعُ الرو … ضِ وفيه الصّفراءُ والحمراءُ

وأخبرنا عامر بن صالح أنّ عبد العزيز بن عمرَ بن عبد العزيز (٢) كتب إلى امرأته ، وعنده إخوان له ، بهذه الأبيات :

إنّ عندى أبقاكِ ربك ضيفاً … واجباً حقُّهم كُهولاً ومُرْدَا

طرَقُوا جارَكِ الذى كان قِدْماً … لا يَرَى مِن كرامة الضَّيف بُدَّا

فلديه أضيافُه قد قَرَاهُمْ … وهُمُ يشتهون تَمْراً وزُبْدَا

فلهذا جرى الحديثُ ولكنْ … قد جعلنا بعضَ الفُكاهة جِدّا (٣)

وأنشد الهُذَلىّ :

كُرُّوا الأحاديث عن ليلى إذا بَعُدَت … إنّ الأحاديثَ عن ليلى لَتُلهِينِى

وقال الهُذَلىُّ أيضاً (٤) :

---

(١) ديوان الأخطل ١٣٥ .

(٢) هو ابن الخليفة عمر بن عبد العزيز ، كان أمير مكة والمدينة ، توفى سنة ١٤٤ . تهذيب التهذيب .

(٣) فيما عدا ل : « المزاحة » ، وأشير إلى هذه الرواية فى هامش هـ ، وهذه ضبطت بالضم فى القاموس ، وبالفتح فى المصباح .

(٤) فيما عدا ل : « وقال الهذلى فى حلاوة الحديث » . والهذلى هذا هو أبو ذؤيب . انظر ديوانه ١٤٠ واللسان (طفل) .

وإنّ حديثاً منكِ لو تبذلينَهُ   جَنَى النَّحْلِ أو ألبانُ عُوذٍ مَطَافِلِ
مطافيلَ أبْكارٍ حديثٍ نِناجُها   تُشاب بماءٍ مثل ماء المَفاصِلِ

العُوذ : جمع عائذٍ ، وهى الناقة إذا وضَعَتْ ، فإذا مشى ولدها فهى مُرْشِحٌ (١) فإذا تَبِعها فهى مُتْلِيَة ، لأنّه يتلوها . وهى فى هذا كلّه مُطفِل . فإن كان أوّلَ ولدٍ (٢) ولدتْه فهى بِكْر . ماء المفاصِلِ فيه قولان : أحدهُما أنّ المفاصل ما بين الجبلَين واحِدُها مَفصِل ، وإنّما أراد صفاء الماء ؛ لأنّه ينحدر عن الجبال ، لا يمرُّ بطين ولا تُراب . ويقال إنّها مفاصِلُ البعير . وذكروا أنّ فيها ماءً له صفاءٌ وعُذوبة (٣).

وفى الكلام الموزون يقول [عبد الله بن] معاوية بن عبد الله بن جعفر (٤) : ٦٧

الزم الصَّمتَ إنّ فى الصّمت حُكْمًا   وإذا أنتَ قُلتَ قولاً فزِنْهُ

وقال أبو ذؤيب :

وسِربٍ يُطَلَّى بالعَبير كأنه   دماءُ ظباءٍ بالنُّحورِ ذَبيحُ (٥)
بذلتُ لهنَّ القولَ إنك واجدٌ   لما شئتَ من حُلو الكلام ، مليحُ (٦)

---

(١) يقال راشح ، ومُرْشِح ، ومرشح بالتشديد أيضا .

(٢) فيما عدا ل ، هـ : « أول ولدها » .

(٣) انظر مثيل هذا الكلام فى الحيوان (٢ : ٣٥٠ – ٣٥١) .

(٤) التكملة مما عدا ل . وعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ، كان من فتيان بنى هاشم وأجوادهم وشعرائهم ، وكان يرمى بالزندقة ، خرج بالكوفة فى آخر أيام مروان بن محمد ، ثم انتقل عنها إلى الجبل ثم خراسان ، فأخذه أبو مسلم فقتله ، الأغانى (١١ : ٦٣ – ٧٤) .

(٥) أنشده فى اللسان (ذبح) وقال : « ذبيح وصف للدماء . وفيه شيئان : أحدهما وصف للدم بأنه ذبيح وإنما الذبيح صاحب الدم لا الدم . والآخر أنه وصف الجماعة بالواحد . فأما وصفه الدم بالذبيح فإنه على حذف المضاف ، أى كأنه دماء ظباء بالنحور ذبيح ظباؤه ، ثم حذف المضاف وهو الظباء ، فارتفع الضمير الذى كان مجروراً ، لوقوعه موقع المرفوع المحذوف لما استتر فى ذبيح . وأما وصفه الدماء وهى جماعة بالواحد فلأن فعيلا يوصف به المذكر والمؤنث والواحد وما فوقه على صورة واحدة »

(٦) ل : « لهم القول أنى واجد » ، صوابه من سائر النسخ والديوان ١١٧. و « مليح » صفة « واجد » .عنى أنه يجد ما يشاء من حلو الكلام ، وأنه مليح أيضاً .

السِّرب : الجماعة من النساء والبقر والطير والظِّباء . ويقال فلانٌ آمِن السَّرب ، بفتح السين ، أى آمن المسلك . ويقال فلانٌ واسع السرب [١] وخَلِيّ السّرب [٢] ، أى المسالك والمَذاهب . وإنما هو مثلٌ مضروب للصَّدر والقلب . وعن الأصمعيّ : فلانٌ واسع السِّرب ، مكسور ، أى واسع الصدر ، بطيء الغضب [٣] .

وأنشد للحكم بن رَيحان ، من بنى عمرو بن كلاب :

يا أجْدَل النَّاس إن جادلتُه جَدَلا ... وأكثَرَ الناس إن عاتبتُه عِلَلا
كأنّما عَسَلٌ رُجْعانُ مَنْطِقِها ... إن كان رَجْعُ كلام يشبه العَسَلا [٤]

وقال القُطَاميُّ [٥] :

وفى الخدور غماماتٌ بَرَقن لنا ... حَتَّى تصيّدْنَنا من كلِّ مُصْطَادِ
يقتُلْننا بحديثٍ ليس يَعلَمُه ... مَن يتّقينَ ولا مكنونُهُ بادِى [٦]
فهنَّ ينبِذْنَ من قول يُصِبنَ به ... مَواقعَ الماءِ من ذى الغُلّةِ الصّادِى

يَنبِذْن : يُلقِين . الغُلّة والغليل : العطش [الشّديد [٧]] . والصادى : العَطشان أيضاً ؛ والاسمُ الصَّدَى . وأنشد للأخطل :

شُمُسٌ إذا خَطِلَ الحديثُ أوانِسٌ ... يرقُبْن كلَّ مُجَذِّرٍ تِنْبالِ [٨]
أُنُفٌ كأنّ حديثَهنَّ تنـادُمٌ ... بالكأسِ كلُّ عقيلةٍ مِكسالِ

---

(١) الكلام من « السرب » إلى هنا ساقط مما عدا ل ، هـ .
(٢) فيما عدا ل : « وخلى السرب وواسع السرب » .
(٣) فيما عدا ل : « بطيء التأنيب » .
(٤) الرجعان ، بالضم : مصدر لرجع ، كالرجع والرجوع والرجعى .
(٥) ديوان القطامى ٨ .
(٦) هذا البيت فى ل فقط ، وهو ساقط من سائر النسخ . وفى الديوان : « ولا مكتوبه » .
(٧) هذه مما عدا ل .
(٨) البيتان لم يرويا فى ديوان الأخطل . هـ ، ب ، جـ : « كل مرقب » . وفى التيمورية : « كل مجدر » ، كلاهما محرف ، صوابهما فى ل .

الشُّمُسُ : النّوافِرُ [١] . والتِّنبال : القصير [٢] . والأُنُف : جمع آنفةٍ ، وهى المُنكِرة للشَّىء غيرَ راضية [٣] . العقيلة : المصونة فى أهلها . [وعقيلة ٨٦ كل شيءٍ :خِيرته [٤]] . والمِكسال : ذات الكسل عن الحركة .

وقال أبو العَمَيْثَل عبد الله بن خُلَيد [٥] :

لقيتُ ابنةَ السّهمىِّ زينبَ عن عُفْرِ ... ونحنُ حَرَامٌ مُسْىَ عاشِرَةِ العَشْرِ [٦]
وإنِّى وإيّاهـا لحَتْـمٌ مبيتُنـا ... جميعاً ، ومَسْرانا مُغِذٌّ وذو فَتْرِ [٧]
فكلَّمتُها ثِنتينِ : كالثلج منهما ... على اللَّوح والأخرى أحرُّ من الجمر

يقال : ما يَلقَانا إلا عن عُفْرٍ [٨] ، أى بَعدَ مُدّة . مُسْىٌ : أى وقت المساء . يقال أغذّ السَّيْرَ ، إذا جَدّ فيه وأسرع . واللّوح بالفتح [٩] : العطش ، يقال لاحَ الرّجل يلُوحُ لَوْحاً ، والتاح يلتاح التياحاً ، إذا عطش . واللّوح بالفتح أيضاً:الذى يكتب فيه . واللُّوح بالضم : الهواء ، يقال : « لا أفعل ذلك ولو نزوتَ فى اللُّوح » ، أو « حَتّى تنزُوَ فى اللُّوح » .

وأنشد :

---

(١) يقال شمس ، بضمة وبضمتين أيضا ، مفرده شموس ، بالفتح .

(٢) فيما عدا ل : « التنبال القصير . والمجذر مثله . والشمس : النوافر » .

(٣) فيما عدا ل : « غير راضية عنه » . (٤) هذه مما عدا ل .

(٥) فيما عدا ل : « وقال أبو العميثل » فقط . وهو أبو العميثل عبد الله بن خليد ، مولى جعفر ابن سليمان بن على بن عبد الله بن العباس . وكان كاتب طاهر وولده عبد الله بن طاهر ، وكان مكثراً من نقل اللغة عارفا بها شاعرا مجيدا . توفى سنة ٢٤٠ . ابن النديم ٧٢ — ٧٣ وابن خلكان . وفى أمالى القالى (١ : ٩٨) حيث أنشد الشعر : « عبد الله بن خالد » تحريف .

(٦) جـ : « من عفر » ب و التيمورية « غفر » كلاهما محرف عما أثبت من ل ، هـ و الأمالى. حرام : أى محرمون . مسى عاشرة العشر ، أى عشية عرفة ، وهى الليلة العاشرة لليوم العاشر .

(٧) فى الأمالى : « وسيرانا » بدل « ومسرانا ».وفى الأمالى : « وسيرانا ، أى سيرى أنا مغذ ، أى مسرع ، وسيرها ذو فتر أى ذو فتور وسكون ؛ لأنها يرفق بها » .

(٨) فيما عدا ل « نقول ما يلقانا فلان » . (٩) يقال أيضاً بالضم .

وإنّـا لنُجـرى بيننـا حين نلتقِـى ... حديثاً له وشْىٌ كَحِبْر المَطَارِفِ [١]

حديث كطعم القَطْرِ فى المَحْلِ يُشْتَفَى ... به من جوًى فى داخل القلب لاطِفِ

المَحْل : الجدب ، وسنةٌ مَحُولٌ . وأمحل البلد فهو ماحل ومُمحِل ، وزمانٌ ماحلٌ وممحِل . الجوى ها هنا : شدّة الحبّ حتى يمرَضَ صاحبُه . لاطِفٌ : لطيف [٢] . وأنشد للشماخ [٣] بن ضِرار الثَّعْلبىّ [٤] :

يُقِرُّ بعينى أنْ أُنَبَّأَ أنّها ... وإن لم أَنَلْها أَيِّمٌ لم تزوَّجِ [٥]

وكنتُ إذا لاقيتُها كان سِرُّنا ... وما بيننا مثلَ الشِّواء المُلَهْوَجِ

يريد أنّهما كانا على عجلةٍ من خَوف الرُّقباء . والمُلَهْوَجُ : المعجلُ الذى لم يُنتَظَرْ به النُّضج .

وقال جِرَان العَود :

فنِلنا سِقاطـاً من حديث كأنّـه ... جَنَى النحل أو أبكارُ كَرْمٍ يُقطَّفُ

حديثاً لَوَ انّ البقلَ يُولَـى بمثِلـه ... زَها البقلُ واخضرّ العضاه المُصَنِّفُ [٦]

---

(١) الحبر ، بالكسر : الوشى ، عن ابن الأعرابى . وفيما عدا ل : « كوشى » . والمطارف : جمع مطرف ، كمنبر ومصحف ، وهو ثوب من خز له أعلام .

(٢) هذا التفسير فى ل فقط .

(٣) فيما عدا ل : « وقال الشماخ » . وهو الشماخ بن ضرار بن حرملة بن صيفى بن إياس بن عبد بن عثمان ابن جحاش بن بجالة بن مازن بن ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان . شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام . الأغانى (٨ : ٩٧) والإصابة ٣٩١٣ والخزانة (١ : ٥٢٦) وابن سلام ٤٧ والشعر والشعراء .

(٤) الثعلبى : نسبة إلى ثعلبة بن سعد بن ذبيان ، كما فى ترجمته . وفى جميع النسخ « التغلبى » تحريف . لكن فى ل : « وقال الشماخ بن ضرار » فقط .

(٥) أقر الله عينه وبعينه ، أى أبردها بما يفرح صاحبها ، أو أسكنها فلا تطمح إلى غير ما نال صاحبها من خير كثير . والبيتان من قصيدة له فى ديوانه ٥ — ١٧ .

(٦) البيت فى ديوانه ٢١ ، والذى قبله لم يرو فى الديوان . وبدله فيه :

ينازعننا لذاً رخيما كأنه ... عوائر من قطر حداهن صيف

وللفرزدق :

إذا هن ساقطن الحديث كأنه ... جنى النحل أو أبكار كرم تقطف

المصنف : الذى خرج ورقه واخضر ، وقال السكرى : « الذى قد جف بعضه وبقى بعضه » . ل : « المضيف » ، وفيما عدا ل : « المصيف » صوابهما من الديوان .

زها : بدا زهره . العِضَاهُ : جمع عِضَةٍ ، وهى كل شجرةٍ ذات شوك ، ٦٩
إلا القتادة فإنها لا تسمى عِضَةً .

وقال الكميت بن زيد :

وحديثهنَّ إذا التقيْـ ـنَ تهانُفُ البيضِ الغرائرْ
وإذا ضحِكْنَ عن العِذا بِ لنا المُسَفَّاتِ الثَّواغِرْ (١)
كانَ التهلُّلَ بالتَّبسُّـ ـمِ لا القَهاقِهَ بالقَراقِرْ

التهانُف : تضاحُكٌ فى هُزُؤ . الغرائر : جمع غريرة ، وهى المرأة القليلة الخِبْرة ، الغُمرَة (٢) . والعِذاب ، يريد الثَّغْر . والمُسَفَّات : اللِّثات التى قد أُسِفَّت بالكُحل أو بالنَّؤور ، وذلك أن تُغرزَ بالإبرة ويُذَرَّ عليها الكحل فيعلوَها حُوَّةٌ . والتهلُّل ، يقال تهلّل وجهُه ، إذا أشرق وأسْفَر . وقال الآخَر (٣) :

ولَمَّا تلاقَيْنا جَرى مِن عُيونِنا دُموعٌ كفَفْنا غَرْبَها بالأصابعِ (٤)
ونِلنا سِقاطاً من حديثٍ كأنّه جَنَى النَّحلِ ممزوجاً بماء الوقائعِ

سقاط الحديث : ما نُبِذَ منه ولُفِظ به . يقال ساقطْتُ فلانا الحديثَ سِقَاطاً. الوقائع والوقيع : مناقع الماء فى مُتون الصُّخور ، الواحدة وقيعة .

وقال أشعث بن سُمَىّ (٥) :

هلْ تعرِف المبدا إلى السَّنام (٦) ناطَ به سواحـرُ الكـلامِ
كلامُها يشفى من السَّقامِ (٧)

---

(١) لم أجد هذه الكلمة ولا تفسيرها فى المعاجم المتداولة . والأبيات لم ترو فى الهاشميات .
(٢) الغمر ، بتثليث الغين ، وبالتحريك : من لم يجرب الأمور .
(٣) هو ذو الرمة . ديوانه ٣٥٨ .
(٤) الغرب : كل فيضة من الدمع . وفى الديوان : « جرت من .. ماءها بالأصابع » .
(٥) فيما عدا ل : « الأشعث بن سمى » . لكن فى هـ « أشعب بن سمى » .
(٦) لم أجد « المبدأ » . وأما السنام فذكره ياقوت ، وذكر فى القاموس أيضاً ، وهو جبل مشرف على البصرة ، وجبل بالحجاز بين ماوان والربذة .
(٧) فيما عدا ل : « كلامهن برء ذى السقام » .

المبدا وسَنامٌ : موضعان . ناط به : أى صار إليه (١) .

وقال الرّاجز ووصف عيونَ الظِّباءِ بالسِّحر وذكر قوساً (٢) فقال:

صَفْراء فَرع خَطَمُوها بوَتَرْ (٣)　　لَأْمٍ مُمَرٍّ مِثْلِ حُلقوم النُّغَرْ
حَدَتْ ظُبَاتِ أسهُمٍ مثل الشّرَرْ　　فصرَّعتْهُنَّ بأكناف الحُفَر (٤)
حُورُ العيونِ بابليّاتُ النَّظَرْ (٥)　　يَحسبُها الناظرُ من وحْش البَشَرْ (٦)

اللّأم من كلِّ شيءٍ : الشديد . والمُمَرَّ : المحْكَم الفتل ، وحبلٌ مَرِيرٌ مثله . النُّغَر : البلبل . والظُّبَاتُ : جمع ظُبَةٍ ،وهى حدُّ السَّيف والسّنان وغيرهما .

وقال آخر (٧) :

وحديثُها كالقَطرِ يسمعُه　　راعى سِنِينَ تتابَعتْ جَدْبَا
فأصاخَ يرجُو أن يكون حَياً　　ويقول من طَمَع : هَيَا رَبَّا (٨)

* * *

(١) أصل معنى النوط التعليق . وهذا التفسير جميعه من ل فقط .

(٢) فيما عدا ل : « قوسا صفراء » .

(٣) فرع : عملت من رأس القضيب وطرفه . خطم القوس : علق عليها الوتر .

(٤) أى حدت القوس ظبات هذه الأسهم وقذفتها فصرعت هذه الوحوش .

(٥) أى ذات عيون سواحر ، وبابل ينسب إليها السحر .

(٦) بعد هذه الكلمة فيما عدا ل : « ويروى البقر » وأراها إقحاماً . كما أن التفسير التالى والبيتين بعده ساقطان مما عدا ل .

(٧) البيتان التاليان ، رواهما القالى فى أماليه (١ : ٨٤) منسوبين لأعرابى .

(٨) فى الأمالى : « من فرح » .

باب آخر من الأسجاع فى الكلام

قال عُمَر بن ذَرٍّ ، رحمه الله : « الله المستعانُ على ألسنةٍ تَصِف ، وقلوبٍ تَعرِف ، وأعمالٍ تُخْلِف »

ولمّا مَدحَ عتيبةُ بن مرداسٍ عبدَ الله بن عبّاسٍ قال : لا أُعطى مَن يعصى الرَّحمن ، ويُطيع الشيطان ، ويقول البُهْتان .

وفى الحديث المأثور ، قال : « يقول العبدُ مالى مالى ، وإنَّما لك مِن مالِك ما أكلتَ فأفنيت ، وأعطيت فأمضَيْت ، أو لبِسْتَ فأبليت » .

وقال النَّمْرُ بن تَولب [١] :

أعاذلَ إن يُصبِح صداىَ بقفرةٍ بعيداً نآنى صاحبى وقريبى
تَرَىْ أنَّ ما أبقيتُ لم أكُ رَبَّهُ وأنّ الذى أمضَيتُ كان نصيبى [٢]

الصَّدَى هاهنا : طائرٌ يخرج من هامة الميت [٣] إذا بَلِىَ ، فينعَى إليه ضَعفَ وليِّه وعَجْزه عن طلب طائلتِه ، وهذا كانت تقوله الجاهلية [٤] ، وهو هنا مستعار أى إنْ أصبحتُ أنا .

ووصف أعرابىٌّ رجلاً فقال : « صغير القَدْر ، قصير الشَّبْر ، ضيِّق الصَّدر ، لئيم النَّجْر ، عظيم الكِبر ، كثير الفخر » .

الشَّبْر : قدر القامة ، تَقول : كم شَبْر قميصك ، أى كم عدد أشباره [٥]. والنَّجْر : الطباع .

---

(١) انظر الأغانى (١٩ : ١٦١) وابن سلام ٦٠ .

(٢) هذه رواية ل وابن سلام . وفى الأغانى وسائر النسخ : « الذى أنفقت » .

(٣) فيما عدا ل : « من قبر الميت » .

(٤) فيما عدا ل : « كانت العرب تقوله فى الجاهلية » .

(٥) فيما عدا ل : « الشبر : القامة » لا غير .

ووصف بعضُ الخطباء رجلاً فقال : « ما رأيتُ أضرَبَ لمثلٍ ، ولا أركَبَ لجمل ، ولا أصعَدَ فى قُللٍ منه » .

وسأل بعضُ الأعراب رسولاً قَدِم من أهل السِّند : كيف رأيتُم البلاد ؟ قال : « ماؤها وَشَلٌ ، ولِصُّها بَطَلٌ ، وتَمرُها دَقَلٌ [١] . إنْ كثُر الجند بها جاعوا ، وإن قلُّوا بها ضاعُوا[٢]» .

١٧ وقيل لصعصعةَ بنِ معاوية : مِن أينَ أقبلت ؟ قال : من الفجِّ العميق . قيل : فأين تريد ؟ قال : البيتَ العتيق . قالوا : هل كان مِن مطر ؟ قال : نَعم ، حتّى عفَّى الأثَرَ ، وأنْضَر الشجرَ ، ودَهْدَى الحجر [٣] .

واستجار عَون بن عبد الله بن عُتبة بن مسعود ، بمحمّد بن مروان بنصيبين ، وتزوَّج بها امرأة ، فقال محمَّد : كيف ترى نصيبين ؟ قال : « كثيرة العقارب [٤] قليلة الأقارب » . يريد بقوله « قليلة » كقول القائل : فلان قليلُ الحياء ، ليس يريد أن هناك [٥] حياءً وإنْ قلّ . يضعون قليلاً فى موضع ليس .

وولِىَ العلاء الكلابى [٦] عملاً خسيساً [٧] ، بعد أن كان على عمل جسيم ، فقال : « العُنُوق بعد النُّوق [٨] » .

---

(١) الدقل ، بالتحريك : أردأ أنواع التمر .

(٢) هذا التفسير من ل فقط .

(٣) أنضره : صيره ناضرا . ويقال دهديت الحجر ودهدهته ، أى دحرجته وقذفته من أعلى إلى أسفل . وهو تصوير لاندفاع السيل . فيما عدا ل ، هـ : « ودهده » .

(٤) انظر الحيوان (٤ : ٢٢٦ / ٥ : ٣٦٠) .

(٥) ب والتيمورية : « هنالك » .

(٦) ل : « وولى العلاء » فقط . وفى الحيوان (٥ : ٤٦٢) : « وقال الكلابى » .

(٧) ل : « حسناً » صوابه من سائر النسخ .

(٨) العنوق ، بالضم : جمع عناق بالفتح ، وهو الأنثى من ولد المعزى إذا أتت عليها سنة . وهذا جمع نادر ، ويجمع أيضاً على أعنق وعنق . والنوق : جمع ناقة . أى كنت صاحب نوق فصرت صاحب عنوق . انظر الحيوان والميدانى (١ : ٤٢٠) واللسان (١٢ : ١٤٨) .

قال : ونظر رجلٌ من العُبَّاد إلى بابِ بعض الملوك فقال : « بابٌ جَديد ، وموتٌ عَتيد (١) ونَزْع شديد ، وسفَر بعيد » .

وقيل لبعض العرب (٢) : أيَّ شيء تَمَنَّى ، وأيُّ شيءٍ أحب إليك ؟ فقال : لواءٌ منشور ، والجلوسُ على السَّرير ، والسَّلامُ عليك أيُّها الأمير » .

وقيل لآخر ، وصلَّى ركعتينِ فأطالَ فيهما ، وقد كان أُمِر بقتله : أجزِعتَ من الموت ؟ فقال : إن أجزَعْ فقد أَرَى كفناً منشوراً ، وسَيفاً مشهوراً ، وقبراً محفوراً .

ويقال أن هذا الكلام تكلم به حُجْر بن عِدِيّ الكنديّ عند قتله (٣).

وقال عبدُ الملك بن مروانَ لأعرابيّ : ما أطيَبُ الطعام ؟ فقال : « بَكرةٌ سَنِمةٌ ، معتَبَطة غير ضَمِنة ، فى قدور رَذمةٍ ، بشفار خَذِمةٍ ،فى غداة شَبِمةٍ » . فقال عبد الملك : وأبيك لقد أطْيَبْت (٤) .

معتَبَطة : منحورةِ من غير داءٍ ؛ يقال اعتُبِط الإبلُ والغنمُ ، إذا ذُبحت من غير داءٍ . ولهذا قيل للدم الخالص عَبيط . والعَبيط : ما ذُبح من غير عِلّة . غير ضَمِنة : غير مريضة . رذمة : سائلة من امتلائها . بِشِفارٍ خذِمة : قاطعة . غداة

---

(١) عتيد : معد حاضر .

(٢) هو ضرار بن الحصين ، كما فى (٢ : ١٧٥) .

(٣) هذه العبارة من ل فقط . وحجر بن عدى بن معاوية الكندى ، صحابى جليل ، وفد على الرسول الكريم ، وشهد القادسية والجمل وصفين ، وصحب عليا فكان من شيعته . قتل بأمر معاوية سنة ٥١ أو ٥٣ . الإصابة ١٦٢٤ . وكان يعرف بحجر الخير . وأما حجر الشر فهو حجر بن يزيد بن سلمة الكندى ، وفد على الرسول ، وكان مع على يوم الجمل ، ثم اتصل بمعاوية فاستعمله على إرمينية . الإصابة ١٦٢٦ ، ووقعة صفين ٢٧٤ .

(٤) يقال أطاب الشيء : وجده طيباً ؛ وأطاب : قدم طعاماً طيباً . وقد وردت هذه الكلمة « أطيبت » على أصلها بدون إعلال . على أن هذه المادة قد ورد فيها بعض ماترك على أصله ، حكى سيبويه « استطيبه » لغة فى استطابه . وأنشد فى اللسان :

* فكأنها تفاحة مطيوبة *

وسيعاد الخبر فى ص ٢٩٩ من هذا الجزء .

شبمة : باردة [١] . والشَّبَم : البرد .

وقالوا : « لا تغترَّ بمناصحة الأمير ، إذا غشّك الوزير » .

[وقالوا : « من صادَقَ الكُتّابَ أغنَوْه ، ومَن عاداهم أفقروه » . وقالوا : « اجعلْ قولَ الكذّابِ ريحاً ، تكن مستريحاً [٢] »] .

وقيل لعبد الصَّمد بن الفضل بن عيسى الرقاشى : لِمَ تؤثرُ السَّجع على المنثور ، وتلزمُ نفسَك القَوافِيَ [٣] وإقامةَ الوزن ؟ قال : إنَّ كلامى لو كنتُ ١٧ لا آمُلُ فيه إلاّ سماع الشاهد لقلّ خلافى عليك ، ولكنِّى أريد الغائبَ والحاضر ، والراهن والغابر ؛ فالحفظُ إليه أسرع ، والآذان لسماعه أنشَط ؛ وهو أحقُّ بالتقييد وبقلّة التَّفلُّت [٤] . وما تكلَّمَتْ به العربُ مِن جيِّد المنثور ، أكثرُ ممّا تكلمت به من جيِّد الموزون ، فلم يُحفظْ من المنثور عُشرُه ، ولا ضاع من الموزون عُشره .

قالوا : فقد قيل للذى قال : يا رسول الله ، أرأيتَ مَن لا شرِب ولا أكل ، ولا صاح واستهلّ ، أليس مثلُ ذلك يُطَلّ [٥] . فقال رسول الله ﷺ : « أسَجْعٌ كسجع الجاهليَّة » .

قال عبد الصمَّد : لو أن هذا المتكلِّم لم يُرد إلاّ الإقامة لهذا الوزن ، لما كان عليه بأسٌ ، ولكنّه عسى أن يكون أراد إبطالَ حقٍ [٦] فتشادَقَ فى الكلام .

وقال غيرُ عبد الصمد : وجدْنا الشّعرَ : من القصيدِ والرجز ، قد سمعه النبىُّ ﷺ فاستحسنه وأمر به شعراءه ، وعامَّةُ أصحاب رسول الله ﷺ

---

(١) التفسير من مبدئه إلى هنا ساقط مما عدا ل ، هـ . وفى حواشى هـ : « هذا التفسير ثبت فى الأم » .

(٢) هذه التكملة مما عدا ل .

(٣) ل : « القول » ، صوابه فى سائر النسخ .

(٤) ل : « التغلب » ، صوابه من سائر النسخ .

(٥) يطل ، أى يهدر دمه . فيما عدا ل : « بطل » تحريف .

(٦) فيما عدا ل : « إبطالا لحق » .

قد قالوا شعراً ، قليلاً كان ذلك أم كثيراً ، واستَمعوا واستنشَدوا . فالسجع والمزدوج دونَ القصيد والرجز ، فكيف يَحلُّ ما هو أكثر ويحرُم ما هو أقلُّ (١) .

وقال غيرهما : إذا لم يَطُلْ ذلك القول ، ولم تكن القوافى مطلوبةً مجتلَبة ، أو ملتمَسةً متكلَّفة ، وكان ذلك كقول الأعرابىِّ لعامل الماء : « حُلِّئَتْ ركابى (٢) ، وخُرِّقت ثيابى (٣) ، وضُربت صِحابى » – حُلِّئت ركابى ، أى (٤) مُنِعَت إبلى من الماء والكلأ. والركاب : ما ركب من الإبل – قال : « أَوَ سجْعٌ أيضاً ؟ » . قال الأعرابى : فكيف أقول ؟ لأنه لو قال حُلِّئتْ (٥) إبلى أو جمالى أو نُوقى أو بُعْرانى أو صِرْمَتى ، لكان لم يعبّر عن حَقِّ معناه ، وإنّما حُلِّئت ركابهُ ، فكيف يَدَعُ الرِّكاب إلى غير الركاب . وكذلك قوله : وخُرِّقت ثيابى (٦) ، وضربت صِحابى . لأن الكلامَ إذا قلَّ وقَعَ وُقوعاً لا يجوز تغييره ، وإذا طال الكلامُ وجدْتَ فى القوافى ما يكون مجتَلَباً ، ومطلوبا مستَكرَها .

ويُدْخَل (٧) على مَن طعن فى قوله : ﴿ تبَّت يَدَا أبى لَهَبٍ ﴾ . وزعم أنّه شعر ؛ لأنه فى تقدير مستفعلن مفاعلن ، وطعن فى قوله فى الحديث عنه : « هل أنت إلَّا إصبعٌ دمِيتِ ؟ وفى سبيل الله ما لقِيتِ (٨) » – فيقال له : اعلمْ أنّك لو اعترضْتَ أحاديثَ النّاس وخطبَهم ورسائلَهم . لو جَدْتَ فيها مثلَ مستفعِلن مستفعِلن (٩) ٧٣

(١) ل : « أصغر » .

(٢) فيما عدا ل : « حلبت » تحريف .

(٣) ب ، جـ : « وحرفت » صوابه فى ل ، هـ والتيمورية .

(٤) هذه الكلمات الثلاث فى ل والتيمورية فقط .

(٥) ب ، جـ : « حلبت » تحريف .

(٦) ب : « حرفت » جـ : « خرفت » ، صوابهما فى ل ، هـ والتيمورية .

(٧) فيما عدا ل : « وفى الحديث المأثور ويدخل » ، وفيه إقحام .

(٨) انظر العمدة (١ : ١٢٣) فى باب الرجز والقصيد .

(٩) بدلها فيما عدا ل : « مفاعلن » .

كثيراً ، ومستفعلُنْ مفاعِلُن (١). وليس أحدٌ فى الأرض يجعلُ ذلك المقدارَ شعراً . ولو أنَّ رجُلا من الباعة صاح : مَن يشترى باذنجان ؟ لقد كان تكلمَ بكلامٍ فى وزن مستفعلن مفعولات . وكيف يكون هذا شعراً وصاحبه لم يقصِدْ إلى الشِّعر ؟ ومثلُ هذا المقدار من الوزن قد يتهيَّأُ فى جميع الكلام . وإذا جاء المقدارُ الذى يُعلم أنَّه من نِتاج الشِّعر والمعرفةِ بالأوزان والقصدِ إليها ، كان ذلك شِعرًا . وهذا قريبٌ ، والجواب سهلٌ بحَمد الله (٢) .

وسمعتُ غلاماً لصديق لى ، وكان قد سقى بطنُه (٣) ، وهو يقول لغِلمان مولاه : « اذهبوا بى إلى الطَّبيب وقولوا قد اكتَوَى » . وهذا الكلام يخرج وزنه على خروج (٤) فاعلاتن مفاعلن ، فاعلاتن مفاعلن مرَّتين . وقد علمتَ أن هذا الغلام لم يَخْطِرْ على باله (٥) قطُّ أن يقول بيتَ شعرٍ أبداً . ومثلُ هذا كثيرٌ، ولو تتبعته فى كلام حاشيتك وغِلمانك لوجَدتَه .

وكانَ الذى كرِّه الأسجاعَ بعينها وإن كانت دون الشعر فى التكلف والصنعة ، أنَّ كُهَّان العرب الذين كان أكثرُ الجاهلية يتحاكمون إليهم ، وكانوا يدَّعون الكِهانةَ وأنَّ مع كلِّ واحدٍ منهم رَئِياً من الجن (٦) مثل حازِى جُهينة (٧) ،

---

(١) هاتان الكلمتان فى ل فقط .

(٢) ما عدا هـ : « والحمد لله » .

(٣) يقال سقى بطنُه ، بالبناء للفاعل ، وسقى بطنه ، بالبناء للمفعول ، أى اجتمع فيه ماء أصفر .

(٤) هاتان الكلمتان من ل فقط .

(٥) فيما عدا ل : « لم يخطر بباله » . وهما سيان .

(٦) الرئى ، بفتح الراء وكسرها مع كسر الهمزة وتشديد الياء : هو الذى يعتاد الإنسان من الجن يحبه ويؤالفه .

(٧) الحازى : الكاهن.وفى الحيوان (٦ : ٢٠٤) : « حارثة جهينة » و « جارية جهينة ».وفى مروج الذهب (١ : ٣٣٧) : « حارثة بنت جهينة » . وفى ثمار القلوب ٨١ : « أخبارية جهينة » .

ومثل شِقّ وسَطيح (١) ، وعُزَّى سَلِمة (٢) وأشباههم ، كانوا يتكهَّنون ويحكُمون بالأسجاع ؛ كقوله : « والأرض والسَّماء ، والعُقابِ الصَّقْعاء (٣) ، واقعةً ببقعاء (٤) ، لقد نَفَّر المجدُ بنى العُشَراءِ (٥) ، للمجْد والسَّناء (٦) » .

وهذا الباب كثيرٌ . ألا ترى أن ضَمْرة بن ضَمرة ، وهَرِم بن قُطْبة ، والأقرع بنَ حابس ، ونُفيل بن عبدِ العُزَّى كانوا يحكُمون وينفِّرُون بالأسجاع وكذلك ربيعة بن حُذَار (٧) .

قالوا : فوقع النَّهىُ فى ذلك الدهر لُقرْب عهدهم بالجاهليَّة ، ولبقيتِّها فيهم وفى صدورِ كثير منهم (٨) ، فلما زالت العلّة زال التحريم .

وقد كانت الخطباءُ تتكلم عند الخلفاء الراشدين ، فيكونُ فى تلك الخُطب أسجاعٌ كثيرة ، فلا ينهَوْنَهم (٩) .

وكان الفضلُ بن عيسى الرَّقاشىّ (١٠) سجّاعاً فى قصصه . وكان عَمرو بن

---

(١) شق بن أنمار بن نزار ، زعموا أنه كان شق إنسان له يد واحدة ، ورجل واحدة ، وعين واحدة . انظر بلوغ الأرب (٣ : ٢٧٨ – ٢٨١) وعجائب المخلوقات ٣١٠ . وسطيح هو ابن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب . انظر السيرة ٤٧ جوتنجن .

(٢) سيأتى فى ص ٣٥٨ أن اسمه سلمة بن أبى حية . وانظر الحيوان (٦ : ٢٠٤ ، والميدانى فى : « إلا ده فلا ده » ورسائل الجاحظ ١٣٠ .

(٣) الصقعاء : التى فى وسط رأسها بياض .

(٤) البقعاء : هى من الأرض المعزاء ذات الحصى الصغار .

(٥) نفرهم : حكم لهم بالغلبة على غيرهم . وبنو العشراء ، من بنى مازن بن فزارة بن ذبيان . المعارف ٣٧ والاشتقاق ١٧٢ .

(٦) وقعت كل هذه الكلمات الممدودة فيما عدا ل ، هـ مقصورة .

(٧) حذار ، بضم الحاء وكسرها . وكان ربيعة حكم بنى أسد بن خزيمة ، وقاضيا من قضاة العرب فى الجاهلية . وفيه يقول الأعشى ، كما فى اللسان :

وإذا طلبت المجد أين محله   فاعمد لبيت ربيعة بن حذار

(٨) ل : « ولبقيتها فى صدور كثير منهم » .

(٩) فيما عدا ل ، هـ : « فلم ينهوا منهم أحداً » .

(١٠) هو الفضل بن عيسى بن أبان الرقاشى الواعظ البصرى ، أحد القدرية المعتزلة. تهذيب التهذيب والحيوان (٧ : ٢٠٤) .

عُبيد (١) ، وهشام بن حسّان (٢) ، وأبان بن أبى عيّاش (٣) ، يأتون مجلسه .

١٧ وقال له داود بن أبى هند (٤) : لولا أنّك تفسرُ القرآنَ برأيك لأتيناك فى مجلسك . قال : فهل ترانى أحرِّم حلالاً (٥) ، أو أُحلُّ حراماً ؟ وإنّما كان يتلو الآية التى فيها ذكر الجنّة والنار ، والموت والحشر ، وأشباهُ ذلك .

وقد كان عبد الصَّمد بن الفضل ، وأبو العباس القاسم بن يحيى ، وعامّة قُصَّاص البصرةِ ، وهم أخطبُ مِن الخطباء ، يجلس إليهم عامَّة الفقهاء .

وقد كان النَّهى ظاهراً عن مرثيَة أميَّة بن أبى الصَّلت لقتلى أهل بدرٍ (٦) ، كقوله:

ماذا ببــدرٍ بالعَقَنْـــ ـقَلِ مِن مرازِبَةٍ جَحاجِحْ (٧)
هَلّا بكيتِ على الكرا مِ بَنى الكرامِ أولِى المَمَادِحْ

وروى ناسٌ شبيهاً بذلك فى هجاء الأعشى لعلقمة بن عُلَاثَة . فلمَّا زالت العِلّة زال النَّهى .

وقال واثلةُ بنُ خليفة ، فى عبد الملك بن المهلَّب (٨) :

---

(١) سبقت ترجمته فى ص ٢٣ .

(٢) هو أبو عبد الله هشام بن حسان الأزدى القردوسى – بالقاف والدال المضمومتين – البصرى ، كان من كبار الحفاظ وأعلم الناس بحديث الحسن البصرى . توفى سنة ١٤٦ . تهذيب التهذيب وتذكرة الحفاظ (١ : ١٥٤) وصفة الصفوة (٣ : ٢٣٢) والقاموس (قردس) .

(٣) هو أبو إسماعيل أبان بن أبى عياش فيروز البصرى ، روى عن أنس وسعيد بن جبير . توفى سنة ١٣٨ . تهذيب التهذيب .

(٤) هو أبو بكر داود بن أبى هند – واسم أبى هند دينار – القشيرى البصرى . روى عن أنس وعكرمة والشعبى ، وعنه : شعبة والثورى ، وكان ثقة كثير الحديث . توفى سنة ١٤٠ . تهذيب التهذيب وتذكرة الحفاظ (١ : ١٣٨) وصفة الصفوة (٣ : ٢٢١) .

(٥) ل : « فهل أنى أحرم حلالا » ، تحريف .

(٦) المرثية رواها ابن هشام فى السيرة ٥٣١ – ٥٣٢ ، وقال : « تركنا منها بيتين نال فيهما من أصحاب رسول الله » . (٧) هذا البيت ساقط من هـ . ويروى : « فالعقَنْقَل » .

(٨) هـ : « وقال أبو واثلة بن خليفة » . تحريف . وعبد الملك بن المهلب ، من نسل المهلب بن أبى صفرة الأزدى . وفى كتاب المعارف ١٧٥ : « ويقال إنه وقع إلى الأرض من صلب المهلب ثلاثمائة ولد » . وقد أورد أبو الفرج لعبد الملك بن المهلب خبراً مع الأخطل ، فى الأغانى (٧ : ١٦٩) . والأبيات التالية سيعيد =

لقد صبرت للذُّلّ أعوادُ مِنبرٍ ... تقوم عليها ، فى يديك قضيبُ
بكى المِنبر الغربىُّ إذْ قمتَ فوقَه ... وكادَت مساميرُ الحديِد تذوبُ
رأيتُك لمّا شِبْتَ أدركَكَ الذى ... يُصيب سَرَاة الأَسْدِ حين تشيبُ (١)
سفاهةُ أحلامٍ وبخلٌ بنائلٍ ... وفيك لمن عاب المُزونَ عيوب (٢)

* * *

قال : وخطب الوليدُ بن عبد الملك فقال : « إنَّ أمير المؤمنين كان يقول : إنّ الحجَّاج جِلدَة ما بين عينَىَّ ، ألاَ وإنّه جِلدةُ وجهى كلِّه » .

وخطب الوليد أيضاً فذكر استعماله يزيد بن أبى مسلمٍ بَعد الحجَّاج ، فقال : « كنتُ (٣) كمن سقط منه درهمٌ فأصابَ ديناراً » .

شبيب بن شَيبة قال : حدَّثنى خالدُ بن صفوانَ قال : خطبنا يزيدُ بن المهلَّب بواسط فقال : « إنِّى قد أسمع قولَ الرَّعاع : قد جاء مَسلمة ، وقد جاء العبَّاس (٤) ، وقد جاء أهلُ الشام . وما أهلُ الشّامِ إلّا تسعةُ أسيافٍ ، سبعةٌ منها معى ، واثنان منها عَلَىَّ . وأما مَسْلَمة فَجَرَادَةٌ صفراء . وأما العبَّاس فنسطوس بن نسْطوس (٥) ، أتاكم فى

= الجاحظ إنشادها فى (٢ : ٣١٣ - ٣١٤ / ٣ : ٧٨) .

(١) الأسد : لغة فى الأزد ، وهم قبيل المهلب : فيما عدا ل : « الأزد » .

(٢) المزون ، بالفتح والضم : اسم لأرض عمان وأهلها من الأزد ، رهط المهلب بن أبى صفرة ؛ وذلك أن جدهم الأعلى مازن بن الأزد . انظر اللسان (مزن) ومعجم البلدان (المزون) والحيوان (٦ : ١٥٧) .

(٣) فيما عدا ل : « وخطب الوليد بعد وفاة الحجاج وتولية يزيد بن أبى مسلم فقال : « إنما مثلى ومثل يزيد ابن مسلم بعد الحجاج » .

(٤) مسلمة ، هو مسلمة بن عبد الملك بن مروان ، القائد العربى الأموى ، قال ابن قتيبة فى المعارف ١٥٧ : « وأما مسلمة فكان يكنى أبا سعيد ، ويلقب الجرادة الصفراء ، لصفرة كانت تعلوه ، وكان شجاعا وافتتح فتوحا كثيرة فى الروم ، منها طوانة . وولى العراق أشهراً ، وله عقب كثير » . وأما العباس فهو العباس بن الوليد بن عبد الملك ، كان يسمى فارس بنى مروان ، وكانت أمه نصرانية . انظر المعارف ١٥٧ .

(٥) إشارة إلى أن أمه كانت رومية نصرانية . وفى هامش ب والتيمورية : « أى طبيب ابن طبيب » وليس بشىء .

برابرة وصقالبة ، وجرامقة وجَراجمة (١) ، وأقباط وأنباط ، وأخلاط [من النَّاس (٢)] . إنما أقبل إليكم الفلّاحون الأَوباش (٣) كأَشلاء اللُّجُم (٤) . والله ما لَقُوا قوماً قطُّ كحدِّكم وحديدكم ، وعَدِّ كم وعديدكم . أعيرونى سواعدَكم ساعةً [من نهار (٥)] تَصْفِقُون بها خراطيمَهم (٦) ، فإنَّما هى غَدوةٌ أو رَوحةٌ حتى يحكمَ الله بيننا وبين القومِ الفاسقين (٧) » .

ثمّ دعا بفرسٍ ، فأُتِي بأبلق (٨) ، فقال : تخليطٌ وربِّ الكعبة ! ثمّ ركب فقاتل فكثَرَهُ الناس (٩) فانهزم عنه أصحابه ، حتَّى بقى فى إخوته وأهله ، فقُتِلَ وانهزم باقى أصحابه . وفى ذلك يقول الشاعر (١٠) :

كل القبائل بايعوك على الذى ... تدعو إليه طائـعين وساروا (١١)
حتى إذا حَمِيَ الوغَى وجعلتَهم ... نَصْبَ الأسنَّة أسلمُوك وطاروا (١٢)
إنْ يقتلوك فإنّ قتلك لم يكنْ ... عاراً عليك وبعضُ قتلٍ عارُ (١٣)

---

(١) فى القاموس (جرجم) انهم قوم من العجم بالجزيرة ، أو نبط الشام .
(٢) هذه مما عدا ل .
(٣) ل : « الفلاحون الأوباش » . وهم الأخلاط وسفلة الناس .
(٤) اللجم : جمع لجام . وأشلاء اللجام : حدائده بلا سيور . قال كثير :

رأتنى كأشلاء اللجام وبعلها ... من القوم أبزى منحن متطامن

هـ ، ب ، جـ : « اللحم » ، التيمورية : « اللخم » صوابهما فى ل .
(٥) هذه مما عدا ل .
(٦) الصفق : الضرب ؛ صفقه بالسيف إذا ضربه . والخرطوم : الأنف ، أو مقدمه .
(٧) ما بعد هذه الكلمة إلى نهاية الشعر التالى ساقط مما عدا ل .
(٨) البلق من الخيل مسبوقة متخلفة . الحيوان (١ : ١٠٤ / ٥ : ١٦٦) .
(٩) كثره الناس : تكاثروا عليه .
(١٠) هو ثابت قطنة . والوقعة التى قُتل فيها هى يوم العقر . انظر الأغانى (١٣ : ٦٣) وشرح شواهد المغنى ٣٣ – ٣٤ .
(١١) فى الأغانى : « تابعوك على الذى * تدعو إليه وبايعوك » .
(١٢) فى الأغانى : « حمس الوغى » .
(١٣) فى شواهد المغنى وهمع الهوامع (٢ : ٢٥) : « ورب قتل عار » .

ومدح الشاعر بَشّارٌ ، عُمَرَ هَزَارِ مَرْد [١] العَتَكِىّ ، بالخطب وركوبِه المنابر ، بل رثاه وأَبَّنه فقال [٢] :

ما بال عينك دمعُها مسكوبُ   حُرِبَت فأنت بنومها محروبُ [٣]
وكذاكَ مَن صَحِب الحوادث لم يَزَلْ   تأتى عليه سلامةٌ ونكُــوبُ
يا أرضُ ويحكِ أكرمِيهِ فإنَّه   لم يَبْقَ للعَتكىِّ فيكِ ضَريبُ
أبهى على خَشَب المنابر قائماً   يوماً وأحزمُ إذْ تُشَبُّ حروبُ

* * *

وقال : كان سَوَّار بن عبد الله [٤] ، أوّل تميميّ خطب على مِنبر البصرة . ثم خطب عُبيد الله بن الحسن [٥] .

ووَلِىَ منبر البصرة أربعة من القضاة فكانوا قضاةً أُمراءَ : بلال بن أبى بُردة ابن أبى موسى الأشعرىّ ، وسَوَّار ، وعُبَيد الله ، وأحمد بن أبى رباح [٦] ، فكان بلالٌ قاضياً ابنَ قاضٍ ابنِ قاضٍ .

وقال رؤبة :

فأنت يا ابنَ القاضيينِ قاضى [٧]   مُعْتـزِمٌ على الطَّريق ماضى [٨]

---

(١) هو عمر بن حفص بن عثمان بن أبى صفرة المهلبى ، وكانت العجم تسميه « هزار مرد » أى ألف رجل ؛ إذا كان مشهوراً بالشجاعة والإقدام . ولى إمارة السند فى أيام المنصور ، ثم وجهه أميراً على إفريقية فدخل القيروان سنة ١٥١ وقضى على بعض أصحاب الفتنة فيها ، ولكنهم تجمعوا وتكاثروا عليه وعلى جنده ، فقاتلهم زمانا ثم قتل . الطبرى (٩ : ٢٧٩) والأغانى (١٨ : ٩ ، ١٠ ، ٢٠) .

(٢) الأبيات سيعيد الجاحظ إنشادها فى (٢ : ٣١٤) .

(٣) حربت : سلبت ، كأنها حربت النوم وسلبته . فيما عدا ل : « سهرت » .

(٤) سبقت ترجمته فى ص ١٠٠ .

(٥) سبقت ترجمته فى ص ١٢٠ .

(٦) ب ، جـ : « أحمد بن رباح » والتيمورية: « أحمد بن رياح » . وفى حواشى هـ : « وزاد أبو العباس المبرد خامسا وهو عدى بن أرطاة » .

(٧) ل : « بلال يا ابن » صواب إنشاده فى الديوان ٨٢ وسائر النسخ .

(٨) فيما عدا ل : « مغترم » صوابه فى ل ، هـ و الديوان .

قال أبو الحسَن المدائنى : كان عُبيد الله بن الحسن حيثُ وَفَدَ على المهدىّ معزِّياً ومهنِّئاً (١) ، أعدّ له كلاماً ، فبلغه أنّ النّاسَ قد أعجبهم كلامُه ، فقال لشبيب بن شيبة : إنّى واللهِ ما ألتَفِت إلى هؤلاء ، ولكن سل لى أبا عبيد الله الكاتبَ عنه . فسأله فقال : ما أحْسَنَ ما تكلّم به ! عَلَى أنه أُخَذَ مواعظ الحَسَن ، ورسائل غيلان (٢) ، فلقَّح بينهما كلاماً . فأخبره بذلك شبيب ، فقال عُبيد الله : لا والله إن أخطأ حرفاً واحداً .

وكان محمد بن سليمان (٣) له خطبةٌ لا يغيّرها ، وكان يقول : « إنَّ اللهَ وملائكتُه » ، فكان يرفع الملائكة ، فقيل له فى ذلك ، فقال : خَرِّجوا لها وجهاً . ولم يكن يدعُ الرفع .

قال : وصلّى بنا خزيمة يوم النحر ، فخطب ، فلم يُسْمَع من كلامه إلاّ ذِكرُ أمير المؤمنين الرشيد ، ووَلِّ عهده محمّد .

قال : وكان إسحاقُ بن شِمْرٍ (٤) يُدارُ به إذا فَرَع المنبر (٥).قال الشاعر:

---

(١) هذه الكلمة من ل فقط .

(٢) هو غيلان الدمشقى أبو مروان . قالوا : أول من تكلم فى القدر معبد الجهنى ، ثم غيلان بعده . أخذه هشام بن عبد الملك فصلبه بباب دمشق . المعارف ٢١٢ . وذكر ابن حجر فى لسان الميزان (٤ : ٤٢٤) أن اسمه غيلان بن مسلم ، وأنه كان من بلغاء الكتاب ، وأنه آمن بنبوة الحارث الكذاب ، فأفتى الأوزاعى بقتله . وقال ابن النديم فى الفهرست ١٧١ : « وقد استقصيت خبره فى مقالة المتكلمين فى أخبار المرجئة ، ولرسائله مجموع نحو ألفى ورقة » . وانظر آراءه فى الفرق بين الفرق ١٩٠ ، ١٩٣ ، ١٩٤ .

(٣) هو محمد بن سليمان بن على العباسى ، ولاه المنصور البصرة ثم عزله عنها وولاه الكوفة ، ثم ولاه المهدى ثم عزله ، ثم أعاده الهادى وأقره الرشيد ، وكان الرشيد فى أول أمره يكرمه ويبره بما لا يبر به أحداً ، ثم نقم عليه واستصفى أمواله ، وكانت نيفا وخمسين ألف ألف درهم ، وتوفى سنة ١٧٣ فى اليوم الذى ماتت فيه الخيزران . لسان الميزان (٥ : ١٨٨) وتاريخ بغداد ٢٧٩٥ وجمهرة بن حزم ٢٢ ، ١٤٦ ، ٢١٦ ، ٣١٦ . والخبر فى مجالس العلماء للزجاجى ٥٤ وإنباه الرواة (٢ : ٤٣) .

(٤) فيما عدا ل : « زهير بن محمد الضبى » .والشعر يقتضى ما أثبت من ل .

(٥) فرع المنبر يفرعه : عَلاهُ .

أميرَ المؤمنينَ إليكَ نشكو … وإن كُنَّا نقولُ بغيرِ عُذرِ [(١)]
غَفرتَ ذنوبَنا وعفوْتَ عنَّا … وليستْ منكَ أن تَعفو بنُكْرِ
فإنَّ المنبرَ البصريَّ يشكو … على العِلَّاتِ إسحاقَ بنَ شِمْرِ
أُضَيْبِيٌّ على خَشَباتِ مُلْكٍ … كمُرْكِبِ ثعلبٍ ظهرَ الهِزَبرِ

وقال بعضُ شعراء العسكر [(٢)]، يهجو رجلا من أهل العسكر :

ما زلتَ تركبُ كل شيءٍ قائمٍ … حتى اجترأتَ على ركوبِ المِنبرِ
مازالَ منبرُك الذى دنَّستَه … بالأمس منك كحائضٍ لم تَطهُرِ
فَلأنظُرَنَّ إلى المنابرِ كُلِّها … وإلى الأسِرَّةِ باحتقارِ المنظَرِ [(٣)] ٧

وقال آخر :

فما منبرٌ دنَّسته ياابنَ أفْكَلٍ … بِزاكٍ ولو طهَّرتَه بابن طاهرِ [(٤)]

* * *

---

(١) فيما عدا ل : « وإن كنا نقوم » . و « إن » هنا هى النافية .

(٢) هو أبو الأسد ، يقوله فى هجاء الحسن بن رجاء . انظر الحماسة ص ١٥٠٠ بشرح المرزوقى . وأبو الأسد هو نباتة بن عبد الله الحمانى ، شاعر من شعراء الدولة العباسية من أهل الدينور ، وكان طيبا مليح النوادر مداحا خبيث الهجاء . الأغانى (١٢ : ١٦٧) .

(٣) هذا البيت فى ل فقط . والأسرة : جمع سرير .

(٤) أفكل : علم من أعلامهم ، ومنه الأفكل ، اسم الأفوه الأودى . فيما عدا ل : « باست أفكل » . وفى حواشى هـ مع علامه التصحيح : « بابن أنوال » . والزاكى : الطاهر .

باب أسجاع

عبد الله بن المبارك ، عن بعض أشياخه ، عن الشَّعبى قال : قال عيسى ابن مريم عليه السلام : « البرُّ ثلاثة : المنطق ، والنَّظر [(١)] ، والصَّمت . فمن كان منطقُه فى غير ذكرٍ فقد لغا ، ومَن كان نظَرهُ فى غير اعتبار فقد سها ، ومن كانَ صَمْتُه فى غير فكرٍ فقد لَها » .

وقال علىٌّ بن أبى طالب : « أفضل العبادة الصمتُ ، وانتظارُ الفرَج » .

وقال يزيد بن المهلَّب ، وهو فى الحبْس : « والهفاه على طَلِيَّة [(٢)] بمائة ألف ، وفَرْجٍ فى جَبْهة أسد [(٣)] » .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « استغزِروا الدُّموعَ بالتذكر [(٤)] » .

وقال الشاعر :

* ولا يبعَثُ الأحزانَ مثلُ التذكّرِ [(٥)] *

حفص بن ميمون [(٦)] قال : سمعت عيسى بن عمر [(٧)] يقول : سمعنا الحسن يقول : « اقدَعُوا هذه النفوس فإنها طُلَعةٌ ،واعصُوها ؛ فإنّكم إن أطعتموها

---

(١) فيما عدا ل ، هـ : « والمنظر » تحريف . وانظر رسائل الجاحظ (١ : ١٦٨) .

(٢) الطلية : الفرس ، أو الكأس المطلية . ما عدا ل ، هـ : « طلبة » بالباء ، تحريف . وورد الخبر فى عيون الأخبار (١ : ٨٢) محرفا . وانظر الاستدراكات فى نهاية الجزء الرابع حيث تجد تحقيقا مسهبا .

(٣) فى عيون الأخبار : « وفرح » . وفيما عدا ل ، هـ : « جبهة الأسد » .

(٤) ل : « لا تستغزروا الدموع إلا بالتذكر » .

(٥) سيأتى البيت بتمامه فى الصفحة التالية .

(٦) فيما عدا ل ، هـ : « حفص » فقط .

(٧) هو أبو عمر عيسى بن عمر البصرى الثقفى النحوى ، أحد من روى عن الحسن البصرى ، وكان أحد القراء ، إلا أن الغريب والشعر أغلب عليه . وهو شيخ سيبويه ، ويزعمون أن سيبويه أخذ كتابه « الجامع » وبسطه ، وحشى عليه من كلام الخليل وغيره ، وذكر سيبويه أنه صنف نيفا وسبعين مصنفاً فى النحو . وكان صاحب تقعير فى كلامه . توفى سنة ١٤٩ . ابن خلكان ، وياقوت ، وبغية الوعاة ، وتهذيب التهذيب .

تنزعْ بكم إلى شرٍّ غاية . وحادِثُوها بالذِّكر ، فإنَّها سريعة الدُّثور [١] » .

اقدعوا : انهَوا [٢] . طُلَعَةٌ : أى تَطَلَّع إلى كلِّ شيء . حادثوا ، أى اجلُوا واشحَذُوا . والدُّثور : الدُّروس . يقال : دثَر أثَرُ فلانٍ ، إذا ذهب ، كما يقال دَرَس وعفا .

قال : فحدَّثت بهذا الحديث أبا عمرو بنَ العلاء ، فتعجَّب من كلامه .

وقال الشاعر [٣] :

سمِعنَ بِهيَجْاَ أوجَفَتْ فذكَرْنَه ولا يبعثُ الأحزانَ مثلُ التذكّرِ

الوجيف : سير شديد ؛ يقال : وجَف الفرسُ والبعير وأوجفته . ومثله الإيضاع ، وهو الإسراع . أراد : بهيجا أقبلَتْ مسرعة .

ومن الأسجاع قول أيُّوب بن القِرِّيَّة [٤] ، وقد كان دُعِيَ للكلام واحتبس القولُ عليه ؛ فقال : « قد طال السَّهرَ [٥] ، وسَقط القمر ، واشتد المطر ، فما يُنتَظَر » . فأجابه فتًى من عبد القيس فقال : « قد طال الأرَق ، وسقط الشَّفَق ، وكثُر اللثَقُ ، فلينْطِقْ من نَطَق » .

اللَّثق : النَّدَى والوحل .

وقال أعرابىٌّ [٦] لرجلٍ : « نحنُ والله آكلُ منكم للمأدوم ، وأكسب منكم للمعدوم ، وأعطى منكم للمحروم » .

ووصف أعرابىٌّ رجلا فقال : « إنّ رِفدَك لنجيح [٧] ، وإن خَيرك لسَريع ، وإنّ مَنعك لمُريح » .

---

(١) سيأتى القول فى (٣ : ١٣٨) منسوبا إلى عمر بن الخطاب .

(٢) بدلها فيما عدا ل : « كفوا » .

(٣) هو ليلى الأخيلية ، من قصيدة فى الأغانى (١٠ : ٧٢) . وانظر (٣ : ١٤٨) .

(٤) سبقت ترجمته فى ص ٢٠ .

(٥) فيما عدا ل : « السمر » ، وما أثبت من ل يوافق ما سيأتى : « قد طال الأرق » .

(٦) بهذه الكلمة ينتهى المجلد الأول من القسم الأول من نسخة كوبريلى المرموز إليها بالرمز « ل » .

(٧) الرفد : العطاء . والنجيح : السريع الوشيك . وسيأتى الخبر فى (٢ : ٢٠٠) .

سَرِيحٌ : عَجِلٌ . ومريح : أى مُريح من كدِّ الطلَب .

وقال عبد الملك لأعرابى : ما أطيبُ الطعام ؟ فقال : « بَكْرَةٌ سَنِمة ، فى قُدور رَذِمةٍ ، بشفارٍ خذِمةٍ ، فى غداةٍ شَبِمةٍ » . فقال عبد الملك : وأبيك لقد أطْيَبت [1] .

وسئل أعرابىٌّ [2] فقيل له : ما أشدُّ البَرد ؟ فقال : « ريحٌ جِرْبِياء [3] ، فى ظِلٍّ عَمَاء [4] ، فى غِبِّ سماء [5] » .

ودعا أعرابىٌّ فقال : « اللهم إنِّى أسألك البقاء والنَّماء ، وطيبَ الإتاء ، وحَطّ الأعداءِ ، ورفعَ الأولياء » . الإتاء : الرِّزق .

قال : وقال إبراهيم النَّخَعى [6] لمنصور بن المعتمر [7] : « سَلْ مسألةَ الحَمْقى ، واحفظ حفظَ الكَيْسَى [8] » .

ووصفت عَمَّة حاجِزٍ اللِّصِّ [9] حاجزاً ، ففضلَّته وقالت : « كان حاجزٌ

---

(١) فيما عدا ل ، هـ : « أطبت » . وقد سبق الخبر فى ص ٢٨٦ .

(٢) فى اللسان (جرب ٢٥٥) أن المسئول هو ابنة الخس . وفى (عمى ٣٣٤) : « والعرب تقول » .

(٣) الجربياء : ريح تهب بين الجنوب والصبا ، وقيل هى الشمال الباردة .

(٤) فى اللسان (١٩ : ٣٣٤) : « تحت ظل عماء » . والعماء : جمع عماءة ، وهى السحابة الكثيفة المطبقة .

(٥) فى غب سماء ، أى بعد أن تنقطع يوماً . والسماء : المطر .

(٦) هو إبراهيم بن يزيد النخعى المترجم فى ص ١٩٢ .

(٧) هو أبو غياث منصور بن المعتمر بن عبد الله بن ربيعة السلمى الكوفى . روى عن إبراهيم النخعي ، والحسن البصرى ، ومجاهد وغيرهم ، وروى عنه الأعمش ، والثورى ، وشعبة وغيرهم ، وكان أثبت أهل الكوفة فى الحديث . توفى سنة ١٣٢ . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ٦٢) .

(٨) الكيسى : جمع كيس ، ويجمع الكيس أيضاً على أكياس ، وإنما جمع على كيسى إجراء له مجرى ضده ، وهو أحمق وحمقى .

(٩) هو حاجز بن عوف بن الحارث ، من بنى سلامان بن مفرج . شاعر جاهلى مقل ، وهو أحد صعاليك العرب المغيرين ، ممن كانوا يسبقون الخيل عدوا على أرجلهم . انظر أخباره فى الأغانى (١٢ : ٤٧ - ٥٠) .

لا يشبَع ليلةَ يُضاف ، ولا ينام ليلة يَخاف » .

ووصف بعضُهم فرساً فقال: « أقبَلَ بزُبْرة الأسد ، وأدبَرَ بعجُز الذِّئب » .

الزُّبْرة : مَغرِز العُنق ، ويقال للشَّعَر الذى بين كتفيه . وصفَه بأنَّه محطوط الكَفَل (١) .

قال : ولمَّا اجتَمَع النّاسُ ، وقامت الخطباءُ لبيعة يزيدَ ، وأظهر قومٌ الكراهةَ قام رجلٌ مِن عذرة (٢) يقال له يَزيد بن المقنَّع ، فاخترَطَ من سيفه شِبرا ثم قال : أميرُ المؤمنين هذا – وأشار بيده إلى معاوية – فإن مات فهذا – وأشار بيده إلى يزيد – فمن أبَى فهذا – وأشار بيده إلى سيفه . فقال له معاوية : أنت سيِّد الخطباء .

قالوا : ولمّا قامت خطباءُ نزارٍ عند معاويةَ فذهبَتْ فى الخُطَب كلَّ مذهب ، قام صَبِرَةُ بن شيْمانَ (٣) ، فقال : « ياأمير المؤمنين ، إنّا حىٌّ فَعالٍ ، ولَسنا حىَّ مقالٍ ؛ ونحن نبلُغ بفَعالنا أكثَرَ من مَقَالِ غيرنا (٤) » .

قال : ولمَّا وفَدَ الأحنفُ فى وجوه أهل البصرة إلى عبد الله بن الزُّبير ، تكلَّم أبو حاضر الأُسَيِّدىّ (٥) وكان خطيباً جميلاً ، فقال له عبد الله بنُ الزُّبير : اسكُتْ ، فوالله لوَدِدتُ أنَّ لى بكلِّ عشرةٍ من أهل العراق رجلاً من أهل الشام ، صَرْفَ الدِّينار ٧٩
بالدرهم . قال : يا أمير المؤمنين ، إنّ لنا ولك مثلاً ، أفتأذَنُ فى ذِكره ؟ قال : نعم . قال : مَثلنا ومَثلك ومثلُ أهلِ الشام ، كقول الأعشى حيثُ يقول :

---

(١) الكفل : العجز . كفل محطوط : ممدود لا مأكمة له .

(٢) من عذرة ، فى ل ، هـ فقط .

(٣) هو صبرة بن شيمان بن عكيف بن كيوم الأزدى ، كان رئيس الأزد يومَ الجمل ، وكذا فى حرب صفين . انظر الاشتقاق ٢٩٩ ووقعة صفين لنصر بن مزاحم ١٣١ .

(٤) انظر الخبر برواية أخرى فى الكامل ٥٧ ليبسك .

(٥) الأسيدى ، بضم الهمزة وفتح السين وتشديد الياء : نسبة إلى أسيد بن عمرو . وأسيد ، بتشديد الياء تصغير أسود . قال ابن دريد فى الاشتقاق ١٢٧ : « ومن رجالهم أبو حاضر ، واسمه صبرة ابن جرير » . وفى النقائض ٧٤٩ أن اسمه « صبرة بن شريس » .

عُلِّقْتُها عرضاً وعُلِّقَتْ رَجُلاً غيرى وعُلِّق أخرى غَيْرَها الرَّجلُ

أَحَبَّكَ أهلُ العراق ، وأحببتَ أهلَ الشام ، وأحبَّ أهلُ الشام عبدَ الملك بنَ مروان .

علىّ بن مجاهد (١) ، عن حُميد بن أبى البَخْترىّ (٢) قال : ذَكَر معاويةُ لابن الزُّبير بيعةَ يزيد ، فقال ابنُ الزبير : إنِّى أُناديك ولا أُناجيك ، إنّ أخاكَ مَن صَدَقك ، فانظُرْ قبل أن تَقَدَّم ، وتفكَّرْ قبل أن تندَّم ؛ فإنَّ النَّظرِ قبل التقدُّم ، والتفكرَ قبلَ التندم » . فضحك معاويةُ ثم قال : تعلّمتَ أبا بكرٍ السِّجاعة (٣) عند الكِبَر ، إنَّ فى دونِ ما سجَعت به على أخيك ما يَكفيك . ثمَّ أخَذَ بيده فأجلسَهُ معه على السَّرير .

أخبرنا ثُمامة بن أشرس ، قال : لمَّا صَرفت اليَمانِية من أهل مِزَّة (٤) ، الماءَ عن أهل دِمَشق ، ووجَّهوه إلى الصحارى ، كتب إليهم أبو الهَيذام : « إلى بنى استِها أهل مِزَّة ، ليُمَسِّيَنّى الماءُ أو لتُصبِّحنّكم الخيل » .قال : فوافاهم الماءُ قبل أن يُعْتِمُوا (٥) . فقال أبو الهَيذام : « الصِّدق يُنْبِى عنك لا الوعيد » .

وحدَّثنى ثُمامة عن من قَدِم عليه من أهل دمشق (٦) قال : لما بايع الناسُ يزيدَ بنَ الوليد ، وأتاه الخبرُ عن مروانَ بنِ محمد ببعض التلكُّؤِ والتحبّس ، كتب إليه :

---

(١) أبو مجاهد على بن مجاهد بن مسلم بن رفيع الكابلى الرازى العبدى ، القاضى ، روى عن ابن إسحاق والثورى وجماعة ، وروى عنه جرير بن عبد الحميد ، وأحمد بن حنبل وغيرهما . وفى تهذيب التهذيب : « كأنه مات سنة بضع وثمانين » أى ومائة .

(٢) فيما عدا ل ، هـ : « البحترى » . انظر عيون الأخبار (٢ : ٥٩) .

(٣) هذا المصدر من السجع لم أجده فى المعاجم المتداولة ، وكأنه نظير الكهانة والعِرافة . وضبط فى هـ بفتح السين .

(٤) المزة ، بالكسر : قرية بينها وبين دمشق نصف فرسخ .

(٥) بعد هذه الكلمة فيما عدا ل : « أى يصيرون فى وقت عتمة الليل . وعتمته : ظلامه . يقال عتم الليل يعتم ، إذا أظلم . وأعتم الناس : صاروا فى وقت العتمة » .

(٦) فيما عدا ل : « الشام » .

« بسم الله الرحمن الرحيم . مِن عبد الله أميرِ المؤمنين يزيدَ بنِ الوليد ، إلى مروانَ بن محمَّد . أمَّا بعد فإنى أُراك تقدِّم رجْلاً وتؤخِّر أخرى ، فإذا أتاك كتابى هذا فاعتمِدْ على أيِّهما (١) شئت . والسلام » .

وهاهنا مذاهبُ تدلُّ على أصالة الرَّأى ، ومذاهبُ تدلُّ على تمام النَّفْس (٢) ، وعلى الصَّلاح والكمال ، لا أُرى كثيراً من النّاسِ يقفُون عليها .

واستعمل عبدُ الملك بن مروْان نافعَ بنَ علقمة بن نضلة بن صفوان بن مُحرِّث خالَ مروان ، على مكّة ، فخَطَب ذاتَ يومٍ وأبانُ بن عثمانَ بحذاء المِنبر ، ٨٠ فشتم طلحةَ والزُّبير ، فلمّا نَزل قال لأبان : أَرْضَيْتُك من المُدْهِنَين فى أمير المؤمنين (٣) ؟ قال : لا والله ولكنْ سُؤتَنى ، حَسْبى أن يكونا شَرِكَا فى أمره .

فما أدرى أيُّهما أحسنُ كلاماً : أَبان بن عثمانَ هذا ، أَمْ إسحاق بن عيسى ، فإنّه قال : « أعِيذ عليًّا أن يكون قَتل عثمان ، وأعيذُ عثمان بالله أن يقتلَه علىٌّ » . فمدح عليًّا بكلام سديدٍ غير نافر ، ومقبولٍ غير وحشىّ ، وذهب إلى معنى الحديث فى قول رسول الله ﷺ : « أشدُّ أهلِ النّار عذاباً مَن قتَل نبيًّا أو قتلَه نبىّ » . يقول : لا يتَّفق أن يقتلَه نبىٌّ بنفسه إلّا وهو أشد خلق الله معاندة وأجرؤُهم على معصية . وقال هذا : لا يجوز أن يقتله علىٌّ إلّا وهو مستحقٌّ للقتل .

خطبة من خطب رسول الله ﷺ

قال : خطَبَ رسول الله ﷺ بعشْر كلمات : حَمِد الله وأَثنى عليه ، ثم قال :

أَيُّها الناس ، إنّ لكم معالِمَ فانتهُوا إلى مَعَالمِكُمْ ، وإنّ لكم نهايةً فانتهوا

---

(١) إذا أضيفت « أى » لضمير المؤنث جاز تأنيثها وتذكيرها . هـ : « أيتهما » .

(٢) ل : « وتدل على تمام النفس » .

(٣) عنى بالمدهنَين طلحة والزبير . كانا يعلنان المطالبة بدم أمير المؤمنين عثمان . والإدهان : المصانعة والغش والنفاق .

إلى نهايتكم . إنّ المؤمنَ بين مخافتين : بين عاجلٍ قد مَضَى لا يدرى ما الله صانعٌ به ، وبين أجلٍ قد بَقِىَ لا يدرى ما اللهُ قاضٍ فيه . فليأخُذ العبدُ من نفسه لنفسه ، ومن دُنياه لآخرته ، ومن الشَّبيبةِ قبل الكَبْرَة [١] ، ومن الحياة قبل الموت [٢] ، فوالذى نَفسُ محمَّدٍ بيده ، ما بَعْدَ الموتِ من مُسْتَعْتَبٍ ، ولا بَعد الدُّنيا من دارٍ إلاَّ الجنَّة أو النار » .

* * *

أبو الحسن المَدائنىّ قال : تكلّم عمَّار بن ياسر يوما فأَوْجَزَ ، فقيل له : لو زِدْتَنا . فقال : أمَرَنا رسول الله ﷺ بإطالة الصَّلاة وقَصْرِ الخُطَب [٣] .

محمد بن إسحاق [٤] ، عن يعقوب بن عُتبة [٥] ، عن شيخ من الأنصار من بنى زُرَيق [٦] ، أن عمر بن الخطاب رحمه الله لما أُتِىَ بسَيف النُّعمانِ بن المنذر ، دعا جُبير بن مُطعِم [٧] فسلَّحه إياه ، ثم قال : ياجُبير ، ممَّن كان النعمان ؟ قال : من أشلاء قَنَص بن مَعدّ [٨] . وكان جُبيرٌ أنسَبَ العرب ، وكان أخَذَ النَّسبَ عن أبى بكر الصِّدِّيق رحمه الله وعن جُبَير أخذ سعيد بن المسيَّب [٩]

---

(١) الكبرة ، بالفتح : الكبَر . ل فقط : « الكبر » .

(٢) ل : « قبل الملمات » .

(٣) هـ : « الخطبة » .

(٤) هو أبو بكر محمد بن إسحاق بن يسار المدنى المطلبى ، صاحب السيرة والمغازى ، وأحد الرواة عن يعقوب بن عتبة . توفى سنة ١٥٢ . تهذيب التهذيب ، وتذكرة الحفاظ (١ : ١٦٤) وابن النديم ١٣٦ .

(٥) يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس بن شريق الثقفى المدنى ، روى عن عمر بن عبد العزيز ، وأبان بن عثمان ، وعروة بن الزبير وغيرهم . وروى عنه محمد بن إسحاق ، وكان له علم بالسيرة . توفى سنة ١٢٨ . تهذيب التهذيب .

(٦) بنو زريق : بطن من الخزرج ، منهم أبو جبيلة : الملك الغسانى . الاشتقاق ٢٧٢ .

(٧) جبير بن مطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف القرشى ، صحابى جليل عارف بالنسب . توفى سنة ٧٥ . الإصابة ١٠٨٧ .

(٨) أورد الخبر فى اللسان (شلل) ، وقال : « أراد أنه من بقايا أولاده » .

(٩) سبقت ترجمته فى ٢٠٢ وفى القاموس (سيب) : « وكمحدث : والد سعيد ، ويفتح » .

وروى عن إسحاق بن يحيى بن طلحة (١) قال : قلت لسعيد بن المسيّب : علِّمنى النّسب . قال : أنت رجلٌ تريد أن تُسَابَّ الناس . ١٨١

قال : وثلاثةٌ فى نَسقٍ واحدٍ كانوا أصحابَ نسب : عمر بن الخطاب رحمه الله ، أخذ ذلك عن الخَطّاب ، وكان كثيراً ما يقول : سمعتُ ذلك من الخَطّاب ، ولم أسمَعْ ذلك من الخطّاب ، والخطابُ بنُ نُفيل ، ونُفيلُ بنُ عبد العُزّى ، تنافَرَ إليه عبدُ المطلب وحَرب بن أُميّة ؛ فنَفّر عبد المطلب ، أى حكم لعبد المطلب. والمنافرة : المحاكمة .

قال : والنُّسَّاب أربعة : دَغْفَل بن حنظلَة (٢) ، وعُمَيرةُ أبو ضَمْضَم (٣) ، وصُبْح الحَنِفى (٤) وابن الكَيِّس النّمرى (٥) .

قال الأصمعىّ : دَغفل بن حنظلة ، والنَّسَّابة البكرى (٦) ، وكان نصرانيًّا . ولم يُسَمِّه .

ذكر كلمات خطب بهن سليمان بن عبد الملك

قال : « اتَّخِذُوا كتابَ الله إماماً ، وارضَوْا به حَكَماً ، واجعلوه قائداً ؛ فإنه ناسخٌ لما قبله ، ولم ينسخْه كتابٌ بعده » .

---

(١) فيما عدا ل : « عن بعض ولد طلحة » . وهو إسحاق بن يحيى بن طلحة بن عبد الله التيمى . روى عن عميه إسحاق وموسى ابنى طلحة ، والزهرى ، ومجاهد ، وروى عنه وكيع وابن المبارك وغيرهما . توفى سنة ١٦٤ . تهذيب التهذيب .

(٢) هو دغفل بن حنظلة بن زيد الشيبانى الذهلى النسابة ، أدرك الرسول ولم يسمع منه . غرق فى يوم دولاب فى قتال الخوارج سنة سبعين . الإصابة ٢٣٩٥ وابن النديم ١٣١ والميدانى (٢ : ٢٧٣) والمعارف ٢٣٢ ، والاشتقاق ٢١١ وتاريخ الإسلام (٢ : ٢٨٧) .

(٣) فيما عدا ل ، هـ : « عميرة أبو ضمضام » ، وفى المعارف ٢٣٣ : « عمير بن ضمضم » .

(٤) فى الحيوان (٣ : ٢١٠) : « صبح الطائى » . وفى المعارف ٢٣٣ وابن النديم ١٢٣ : « صالح الحنفى » .

(٥) هو زيد بن الكيس النمرى ، كما فى الحيوان (٣ : ٢١٠) .

(٦) ذكر فى الفهرست ١٣١ ، المعارف ٢٣٣ . وذكر أن رؤبة العجاج روى عنه أنه قال : « إن للعلم آفة وهجنة ونكدا » . انظر أيضاً ما سبق فى ٢٧٣ ص ١٢ . هـ : « والنساب البكرى » .

قال : وكان أوَلَ كلام بارع سمعوه منه : « الكلامُ فيما يَعنيك خيرٌ من السكوت عما يضرُّك ، والسُّكوتُ عمَّا لا يَعنِيك خيرٌ من الكلام فيما يضرُّك ».

خَلّاد بن يزيدَ الأرقط (١) قال : سمعت من يخبرنا عن الشَّعبى قال : ما سمعتُ متكلماً على منبرٍ قَطُّ تكلَّم فأحسَنَ إلاَّ تمنَّيت أن يسكُت خوفاً منْ أن يُسيء ، إلَّا زيَاداً ؛ فإنّه كان كُلَّما أكثرَ كان أجودَ كلاماً .

وكان نَوفل بن مُساحِق (٢) ، إذا دخل على امرأته صمَت ، وإذا خرج من عندها تكلَّم ، فرأتْهُ يوماً كذلك فقالت : أمَّا عِندى فتُطرِق ، وأمّا عِند الناس فتَنطِق . قال : لأنى أدِقُّ عن جليلكِ ، وتَجلّين عن دَقيقى .

قال أبو الحسن : قاد عَيّاشُ بنُ الزِّبرقان بن بدر ، إلى عبد الملك بن مروان خمسةً وعشرين فرساً ، فلمَّا جلَسَ لينظُر إليها نسبَ كُلَّ فرسٍ منها إلى جميع آبائه وأمَّهاته ، وحلف على كلِّ فرسٍ بيمين غيرِ اليَمِين التى حلف بها على الفرس الآخر ، فقال عبدُ الملك بن مروان : عَجَبى من اختلاف أيمانه أشدُّ مِن عجبى من معرفته بأنساب الخيل .

وقال : كان للزبرقان بن بدر ثلاثة أسماء : القَمر ، والزِّبرقان ، والحصين . ١٨٢
وكانت له ثلاثُ كُنًى : أبو شَذْرة ، وأبو عَيَّاش ، وأبو العبَّاس . وكان عيَّاشٌ ابنُه خطيباً ماردًا، شديد العارضة شديد الشكيمة، وجيهاً ؛ وله يقول جرير :

أعَيّاشُ قد ذاقَ القُيونُ مرارتى ... وأوقدتُ نارى فادْنُ دونَكَ فاصْطَلِ

فقال عيّاش : إنى إذًا لَمَقْرُور . قالوا : فغلّب عليه .

---

(١) سبقت ترجمته فى ص ٥٨ . وسيأتى الخبر فى (٢ : ٤٠) بلفظ آخر .

(٢) هو أبو سعيد نوفل بن مساحق بن عبد الله الأكبر بن مخرمة بن عبد العزى القرشى العامرى المدنى ، القاضى ، ولى قضاء المدينة . توفى سنة ٤٧ . تهذيب التهذيب والإصابة ٨١١٠ والمعارف ١٢٩ فى ترجمة معقل بن سنان .

باب

ذكر أسماء الخطباء والبلغاء والأبيناء وذكر قبائلهم وأنسابهم

كان التَّدبير فى أسماء الخطباء وحالاتهم وأوصافهم أن نذكر أسماءَ أهل الجاهلية على مراتبهم ، وأسماءَ أهل الإسلام على منازلهم ، ونجعَلَ لكلٍّ قبيلة منهم خطباءَ ، ونقسِّمَ أمورَهم باباً باباً على حِدَته ، ونقدِّم مَنْ قدّمه الله ورسوله عليه السلام فى النّسب ، وفضَّله فى الحسب . ولكنِّى لَمَّا عجزَت عن نظمه وتنضيده ، تكلَّفتُ ذِكرهم فى الجملة . والله المستعانُ ، وبه التوفيق ، ولا حولَ ولا قوّة إلا به (١) .

كان الفضلُ بن عيسى الرَّقاشىُّ مَن أخطب الناس ، وكان متكلِّما قاصًّا مُجيدا ، وكان يجلس إليه عَمرو بن عُبيد ،وهِشام بن حسَّان ، وأبان بن أبى عَيّاش (٢) وكثيرٌ من الفقهاء . وهو رئيس الفَضْلِيَّة (٣) ، وإليه يُنسبون . وخطب إليه ابنَته سوادةَ بنتَ الفَضْل ، سليمانُ بنُ طَرْخانَ التيمىّ (٤) ، فزوَّجه

---

(١) سبقت ترجمته فى ص ٢٩١ .

(٢) سبقت ترجمته فى ص ٢٩١ .

(٣) الفضلية : طائفة من المعتزلة ، منسوبة إلى الفضل بن عيسى بن أبان الرقاشى البصرى . وهذه الطائفة غير طائفة الفضلية فى الخوارج ، المنتسبة إلى الفضل بن عبد الله . انظر مفاتيح العلوم ١٩ .

(٤) فى القاموس : « وطرخان ، بالفتح ، ولا تضم ولا تكسر وإن فعله المحدثون : اسم للرئيس الشريف ، خراسانية » . وسليمان ، هو أبو المعتمر سليمان بن طرخان التيمى البصرى ، ولم يكن من بنى تيم ، وإنما نزل فيهم . وهو أحد حفاظ البصرة الثلاثة ، وهم سليمان ، وعاصم الأحول ، وداود بن أبى هند . وكان من العباد النساك لا يزال هو وابنه المعتمر يدوران بالليل فى المساجد . توفى بالبصرة سنة ١٤٣ . تذكرة الحفاظ (١ : ١٤٢) وصفة الصفوة (٣ : ٢١٨) وتهذيب التهذيب . وقد ورد اسمه فى المعارف ٢٠٩ : « سليمان بن طهمان » تحريف .

فولدت له المعتمِرَ بن سُليمان (١) . وكان سليمانُ مبايناً للفَضْل فى المقالة ، فلما ماتت سَوادةُ شهِد الجنازَة المعتمر وأبوه ، فقدَّما الفضل .

وكان الفَضْلُ لا يركب إلّا الحمير ، فقال له عيسى بنُ حاضر (٢) : إنّك لتُؤْثِر الحميرَ على جميع المركوب ، فلِمَ ذلك ؟ قال : لما فيها من المرافق والمنافع . قلت : مثل أىِّ شىء ؟ قال : لا تَستبدِلُ بالمكان على قدر اختلاف
١ الزمان ، ثم هى أقلُّها داءً وأيسرُها دواء ، وأسلَمُ صريعاً ، وأكثر تصريفاً ، وأسهَل مرتقًى وأخفضُ مهوًى ، وأقلُّ جِماحاً ، وأشهر فارهاً ، وأقلُّ نظيراً ، يزهى راكبُه وقد تواضَعَ بركوبه ، ويكون مقتصدا وقد أسرفَ فى ثمنه .

قال : ونظر يوما إلى حمارٍ فارهٍ تحت سَلْم بن قتيبة ، فقال (٣) : « قِعدةُ نَبىّ وبِذْلة جَبَّار » .

وقال عيسى بن حاضر : ذهبَ إلى حمار عُزير ، وإلى حمار المسيح (٤) ، وإلى حمار بلعم (٥) . وكان يقول : لو أراد أبو سَيَّارة عُميلة بن أعْزَلَ (٦) ، أن

---

(١) هو أبو محمد المعتمر بن سليمان بن طرخان ، روى عن أبيه ، وداود بن أبى هند ، وعنه الثورى وابن المبارك وغيرهم . ولد سنة ١٠٠ وتوفى سنة ١٨٧ . تهذيب التهذيب وتذكرة الحفاظ (١ : ٢٤٥ – ٢٤٦) .

(٢) سبقت ترجمته فى ص ٢٥ . وقد ورد الخبر فى عيون الأخبار (١ : ١٦٠) مصدراً بقوله : « قال رجل للفضل الرقاشى » .

(٣) فى الحيوان (٧ : ٢٠٤) : « ولما نظر الفضل بن عيسى الرقاشى إلى سلم بن قتيبة على حمار يريد المسجد قال ... » .

(٤) هو المسيح عيسى بن مريم ، صلوات الله عليه . وفى الحيوان (٧ : ٢٠٤) : « وأما الحمار فمركب عيسى بن مريم ، وعزير وبلعم » . فيما عدا ل : « مسيح الدجال » تحريف كما رأيت .

(٥) فى هـ رواية عن نسخة : « بلعوم » .

(٦) فى ثمار القلوب ٢٩٥ : « وأبو سيارة : رجل من عدوان ، واسمه عميلة بن خالد بن أعزل وكان له حمار أسود أجاز الناس عليه من مزدلفة إلى منى أربعين سنة » . وقال ابن دريد فى الاشتقاق ١٦٤ : « وعميلة تصغير عملة ، والعملة واليعملة الناقة الصابرة » . وفى السيرة ٧٨ جوتنجن : « الإفاضة من مزدلفة كانت فى عدوان فيما حدثنى زياد بن عبد الله البكائى عن محمد إسحاق ، يتوارثون ذلك كابرا عن كابر ، حتى كان آخرهم الذى قام عليه الإسلام عميلة بن الأعزل » .

يدفَع بالموسم على فرسٍ عربىّ ، أو جَمل مُهْرِىٍّ لفعل ؛ ولكنّه ركِب عَيراً أربعين عاماً ؛ لأنّه كان يتألّه [١] . وقد ضرِب به المثلُ فقالوا : « أصحُّ من عَيرِ أبى سيّارة » .

والفضلُ هو الذى يقول فى قصصه : « سَلِ الأرض فقل : مَنْ شَقَّ أنهارَكِ ، وغَرس أشجارَك ، وجنَى ثمارَك ؛ فإنْ لم تُجِبْك حِوَاراً ، أجابتك اعتبارا [٢] » .

وكان عبدُ الصمد بنُ الفَضْل أغزَرَ من أبيه وأعجَبَ وأبيَنَ وأخطب .

وقال : وحدّثنى أبو جعفرٍ الصُّوفىُّ القاصُّ قال : تكلّم عبدُ الصمد فى خَلْق البعوضة وفى جميع شأنها ثلاثَةَ مجالسَ تامّة .

قال : وكان يزيدُ بن أبان ، عمُّ الفضل بن عيسى بن أبان الرَّقاشى ، من أصحاب أُنسٍ [٣] والحسن ، وكان يتكلّم فى مجلسِ الحسَن ، وكان زاهداً عابداً ، وعالماً فاضلا ، وكان خطيباً ، وكان قاصّا مُجيداً .

قال أبو عبيدة : كان أبوهم خطيباً ، وكذلك جدُّهم ، وكانوا خطباءَ الأكاسرة فلما سُبُوا ووُلِد لهم الأولادُ فى بلاد الإسلام وفى جزيرة العرب ، نَزَعهم ذلك العِرْق ، فقاموا فى أهل هذه اللغة كمَقَامهم فى أهل تلك اللُّغة ، وفيهم شِعر وخُطَب ، وما زالوا كذلك حَتَّى أصهرَ إليهمُ الغُرَباء ففسد ذلكَ العِرْقُ ودخله الخَوَرُ .

ومن خطباء إيادٍ قسُّ بن ساعدة ، وهو الذى قال فيه النبى ﷺ : « رأيته بسوق عُكَاظ على جمل أحْمر وهو يقول : أيُّها الناس اجتمِعُوا

---

(١) التألّه : التنسك والتعبد .

(٢) سبق هذا القول فى ص ٨١ .

(٣) هو أبو حمزة أنس بن مالك بن النضر الأنصارى المدنى ، خادم رسول الله ، شهد معه الحديبية والفتح وحنينا والطائف ، وهو آخر من بقى بالبصرة من الصحابة . توفى سنة ٩٥ . الإصابة ٢٧٥ وتهذيب التهذيب .

واسمَعوا [١] وعُوا . مَن عاش مات ، ومَن ماتَ فَاتْ ، وكلُّ ما هو آتٍ آت » .

وهو القائل فى هذه : « آياتٌ محكمات ، مطرٌ ونبات ، وآباء وأمّهات ، وذاهب وآت [٢] ، ضوءٌ وظلام ، وبِرٌّ وأَثَام [٣] ، ولباسٌ ومَركَب ، ومطعمٌ ومشرب ، ونجوم تمور [٤] ، وبحورٌ لا تغور ، وسقفٌ مرفوع ، ومِهادٌ موضوع ، وليلٌ داجٍ ، وسماء ذات أبراج . مالى أرى النّاسَ يموتون ولا يرجعون ، أَرَضُوا فأقاموا ، أم حُبِسُوا فناموا » .

وهو القائل : « يا معشَرَ إياد ، أينَ ثمودُ وعاد ، وأين الآباء والأجداد . أين المعروفُ الذى لم يُشكَر ، والظُّلم الذى لم ينكر . أقسَمَ قُسٌّ قسماً بالله ، إنَّ لله لَدِيناً هو أرضى له من دينكم هذا » .

وأنشدوا له :

فى الذّاهبين الأوَّليـ ـنَ مِنَ القرونِ لنا بصائِرْ
لما رأيتُ موارداً للموت ليس لها مَصادِرْ
ورأيتُ قومى نحوَها يَمضى الأصاغر والأكابرْ [٥]
لا يرجع الماضى ولا يَبْقَى من الباقين غابِرْ
أيقنتُ أنّى لا محا لَةَ حيثُ صارَ القومُ صائرْ

* * *

ومن الخطباء زيدُ بن علىٍّ بن الحسين . وكان خالدُ بن عبد الله [٦] أَقَرَّ عَلَى

---

(١) فيما عدا ل : « فاسمعوا » .

(٢) ما بعده هذه الكلمة إلى كلمة « مشرب » ساقط مما عدا ل ، هـ .

(٣) الأثام ، كسحاب : الإثم ، أو جزاؤه .

(٤) فى اللسان : « وفى حديث قس : ونجوم تمور ، أى تذهب وتجىء » . ل : « تغور » ، وأثبت ما فى اللسان وسائر النسخ .

(٥) فيما عدا ل : « تمضى الأكابر والأصاغر » .

(٦) هو خالد بن عبد الله القسرى أمير العراق من قبَل هشام بن عبد الملك الأموى ، قتل فى أيام الوليد بن يزيد سنة ١٢٦ . انظر الطبرى (٩ : ١٧) والمعارف ١٧٤ ووفيات الأعيان (١ :١٦٩ – ١٧) .

زيد بن علىّ ، وداودَ بن علىّ (١) ، وأيُّوب بن سلمة المخزومى ، وعَلَى محمد بن عمر بن علىٍّ (٢) ، وعَلَى سعدِ بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف (٣) ، فسأل هشامٌ زيداً عن ذلك فقال : أحلِفُ لك . قال : وإذا حلفتَ أصدِّقُك ؟ قال زيد : اتّق الله . قال : أوَمثلك يا زيد يأمُر بتقوى الله ؟ قال زيد : لا أحد فوق أن يُوصَى بتقوى الله ، ولا دونَ أن يُوصِيَ بتقوى الله (٤) . قال هشام : بلَغنى أنّك تُريد الخِلافة ، و لا تصلُح لها ؛ لأنّك ابنُ أمَة . قال زيد : فقد كان إسماعيل بن إبراهيم ﷺ ابنَ أمةٍ ، وإسحاقُ عليه السلام ابنَ حُرّة ، فأخرَجَ الله من صُلب إسماعيل خيرَ ولِد آدم محمداً ﷺ . فعندها قال له : قم . قال : إذَنْ لا ترانى إلاّ حيثُ تكره ! ولما خرج من الدار قال : « ما أحَبَّ أحدٌ الحياةَ قطُّ إلاّ ذَلّ » . فقال له سالم مولى هشام : لا يسمعَنَّ هذا الكلامَ منك أحد .

وقال محمد بن عُمير (٥) : إنّ زيداً لمّا رأى الأرض قد طُبِّقت (٦) جَوْراً ، ورأى قِلّة الأعوان وتَخاذُل الناس (٧) ، كانت الشّهادةُ أحبَّ المِيتات إليه (٨)

وكان زيدٌ كثيراً ما يُنشِد :

---

(١) هو داود بن على بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمى . وهو زوج أم موسى بنت على بن الحسين . توفى وهو وال على المدينة سنة ١٣٣ لابن أخيه السفاح . تهذيب التهذيب والمعارف ٩٥ .

(٢) فيما عدا ل ، هـ : « وعلى بن محمد بن عمر بن على » ، تحريف . وهو محمد بن عمر بن على بن أبى طالب الهاشمى ، روى عن عمه محمد بن الحنفية وابن عمه على بن الحسين بن على ، وروى عنه أولاده عبد الله ، وعبيد الله ، وعمر . أدرك أول خلافة بنى العباس . تهذيب التهذيب .

(٣) فيما عدا ل ، هـ : « وعلى بن سعد » الخ ، تحريف كسابقه ، سببه كلمة « على » . وسعد هذا ، كان قاضيا من قضاة المدينة زمن هشام . توفى سنة ١٢٧ . تهذيب التهذيب والمعارف ١٠٤ وصفة الصفوة (٢ : ٨٢) .

(٤) انظر ما سيأتى فى ص ٣٢٥ .

(٥) ذكر الجاحظ فيما مضى ص ٨٤ أنه كان غاليا من مشايخ الشيعة .

(٦) طبقت ، أى ملئت وعمت وغشيت . طبق السحاب الجو : غشاه .

(٧) فيما عدا ل ، هـ : « ورأى تخاذل الناس » .

(٨) فيما عدا ل ، هـ : « جمع منية ، وهى الموت » .

شَرَّده الخوفُ وأزرَى به   كذاك مَن يَكره حَرَّ الجِلادْ (١)
مُنْخَرِق الخُفَّينِ يشكو الوَجَى   تَنكُبُه أطرافُ مَرْوٍ حِدَادْ (٢)
قد كان فى الموت له راحةٌ   والموتُ حَتمٌ فى رقاب العبادْ

قال : وكان كثيراً ما يُنشِد شِعر العبسىّ فى ذلك (٣) :

إنّ المحكَّم ما لم يرتقب حَسباً   أو يَرهب السَّيف أوحدَّ القنا جَنَفا (٤)
مَن عَاذَ بالسيف لاقى فُرصةً عَجباً   موتا على عَجَلٍ أو عاش منتصفا (٥)

ولما بعث يوسف بن عمر (٦) برأس زيد (٧) ، ونصر بن خزيمة (٨) ، مع

---

(١) الأبيات فى زهر الآداب (١ : ٧٢) . قال : « وقد رويت هذه الأبيات لمحمد بن عبد الله ابن الحسن بن الحسين » . وقد سرد فى زهر الآداب طائفة كبيرة من أقواله . ل فقط : « فأزرى به » .

(٢) الوجى : الحفا . تنكبه : تصيبه وتناله . والأبيات فى الطبرى (٨ : ٤١) .

(٣) فى ذلك ، من هـ . والبيتان من أبيات عشرة رواها الجاحظ فى الحيوان (٣ : ٨٧) .

(٤) فى الأصل : « من لم » صوابه من الحيوان . ل : « أو يجعل السيف » . جنف : مال مع أحد الخصمين ، أو جار .

(٥) فى الحيوان : « من لاذ بالسيف » . وفى بعض نسخ الحيوان : « لاقى قرضه ». والقرض ، أصله ما يتجازى به الناس بينهم .

(٦) هو يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم الثقفى ، ولى اليمن لهشام بن عبد الملك سنة ١٠٦ ثم ولاه العراق سنة ١٢١ فاستخلف ابنه الصلت على اليمن وقصد العراق ، فقتل خالدا القسرى أمير العراق قبله ، وأقام بالكوفة إلى أيام يزيد بن الوليد ، فعزله سنة ١٢٦ وقبض عليه وحبسه فى دمشق إلى أن قتله يزيد بن خالد القسرى بثأر أبيه سنة ١٢٧ . وهو ابن ابن عم الحجاج . وفيات الأعيان .

(٧) زيد هذا ، هو زيد بن على بن الحسين بن على ، كان قد خرج على هشام بن عبد الملك ، وقتله يوسف بن عمر الثقفى ، وصلبه بالكناسة – موضع بالكوفة – عريانا . وكان زيد يلقب بالمهدى ، فقال شاعر أموى :

صلبنا لكم زيدا على جذع نخلة   ولم نر مهديا على الجذع يصلب

ويروى الجاحظ أن رأس زيد رئيت فى دار يوسف بن عمر ، فجاء ديك فوطىء شعره ونقره فى لحمه ليأكله . انظر الحيوان (٢ : ٢٥١) والكامل ٧١٠ ليبسك .

(٨) ذكر ابن دريد فى الاشتقاق ١٦٩ أنه من أهل الكوفة ، وكان من أشجع الناس ، قتل مع زيد بن على بن الحسين بن على ، وصلب معه .

شَبّة بن عِقَالٍ ، وكلَّف آل أبى طالبٍ أن يبرءُوا من زيدٍ ، ويقومَ خطباؤهم بذلك . فأوَّلُ مَن قامَ عبدُ الله بن الحسن ، فأوجَزَ فى كلامه ثم جلس ، ثم قام عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ، فأطنب فى كلامه ، وكان شاعراً بيّنا ، وخطيباً لَسِناً ، فانصرف الناس وهم يقولون : ابنُ الطَّيّار (١) أخطبُ الناس ! فقيل لعبد الله بن الحسن فى ذلك ، فقال : لو شئتُ أن أقولَ لقلت ، ولكن لم يكن مقامَ سُرور . فأعجَبَ الناسَ ذلك منه .

ومن أهل الدَّهاء والنَّكْراء (٢) ، ومن أهل اللَّسَن واللَّقَن ، والجوابِ العجيب ، والكلام الفصيح ، والأمثال السائرة ، والمخارج العجيبة : هندُ بنتُ الخُسّ (٣) ، وهى الزرقاء ، وجُمعَةُ بنتُ حابس (٤) . ويقال إن حابساً من إياد .

وقال عامر بن عبد الله الفزاريّ: جُمعَ بين هند وجُمعة ، فقيل لجُمعة : أىُّ الرِّجال أحبُّ إليك ؟ فقالت : « الشَّنِق الكَتَد (٥) ، الظاهر الجَلَد ، الشديدُ الجذْب بالمسَدِ » . وقيل لهند : أىُّ الرِّجال أحب إليك ؟ قالت : « القريب الأمَد ، الواسع البلَد (٦) ، الذى يُوفَد إليه ولا يَفِد » .

---

(١) الطيار ، لقب جده جعفر وهو جعفر بن أبى طالب : كان قد حمل لواء المسلمين فى يوم مؤتة بيمينه فقطعت ، ثم بشماله فقطعت ، فاحتضنه بعضديه فقتل وخر شهيدا ، فيقولون إنه عوض من يديه جناحين يطير بهما فى الجنة . انظر الإصابة ١١٦٢ .

(٢) النكراء : الدهاء والفطنة .

(٣) هى هند بنت الخس ، بضم الخاء وتشديد السين ، بن حابس بن قريط الإيادية ، وكانت ذات فصاحة وحكمة وجواب عجيب . انظر جوابها على أسئلة شتى فى أمالى القالى (١ : ١٩٩/٢ : ٢١٨ ، ٢٣٥ ، ٢٥٦ ، ٣/٢٥٧ : ١٠٧ ، ١١٩) والمزهر (٢ : ٥٤٠ — ٥٤٥) وكانت ترد سوق عكاظ . عيون الأخبار (٢ : ٢١٤) .

(٤) يقال لها أيضا « خمعة » بالخاء . وفى بلاغات النساء لطيفور ص ٥٨ أنها أخت هند ، وأن القلمس الكنانى سألها فى سوق عكاظ .

(٥) الشنق : الطويل . والكتد ، بالتحريك وككتف : أعلى الكتف . فيما عدا ل : « الشبق الكتد » تحريف .

(٦) البلد : الدار ، يمانية .

وقد سئلت هند عن حَرّ الصيف وبرد الشتاء ، فقالت : « من جعل بُؤسا كأذى (١) ». وقد ضُرِب بها المثل . فمن ذلك قول ليلى بنتِ النَّضْر الشاعرة (٢) : ١٨٦

وكنز بنُ جُدْعانٍ دَلالةُ أُمِّه ... وكانت كبِنْت الخُسّ أو هى أكبرُ

وقال ابنُ الأعرابىّ : يقال بنت الخُسّ ، وبنت الخُصّ ، وبنت الخُسْف (٣) وهى الزَّرقاء . وقال يونس : لا يقال إلّا بنت الأَخَسّ .

وقال أبو عمرو بن العلاء : داهيتا نساءِ العرب هند الزرقاءُ ، وعنزٌ الزرقاء ، وهى زرقاءُ اليمامة .

* * *

وقال البَقْطَرىّ : قيل لعبد الله بن الحسن : ما تقول فى المِراء ؟ قال : ما عسى أن أقولَ فى شىءٍ يُفسد الصداقة القديمة ، ويُحل (٣) العقدةَ الوثيقة ، فإنّ أقلَّ ما فيه (٤) أن يكون دُرْبَةً للمغالبة ، والمغالبة من أمتَن أسباب الفتنة . إنّ رسول الله ﷺ لما أتاه السَّائب بن صيفىّ فقال : أتعرفنى يا رسول الله ؟ قال : « كيف لا أعرف شريكى الذى كان لا يُشارِينى ولا يمارِينى » . قال : فتحوَّلْتُ إلى زيد بن على فقلت له : الصمت خيرٌ أم الكلام ؟ قال : أخْزَى الله المساكَتة ، فما أفسدها للبيان ، وأجلَبها للحَصَر . والله لَلمُماراةُ أسرَعُ فى هدم العِىّ من النَّار فى يَبِيس العرفج ، ومنَ السَّيل فى الحَدُور .

وقد عَرف زيدٌ أن المماراة مذمومة ، ولكنه قال : المماراةُ على مافيها أقلُّ ضرراً من المساكَتة التى تورث البُلْدةَ (٥) ، وتحُلُّ العُقدة ، وتُفسِد المُنّة ، وتورث

---

(١) الخبر برواية أخرى فى الحيوان (٥ : ١٠٥) .

(٢) وبنت الخسف ، من ل ، هـ فقط .

(٣) فيما عدا ل ، هـ : « ويحتل » ، تحريف .

(٤) التيمورية : « وإن كان فإن أقل مافيه » . ب ، ج ، هـ : « وإن كان لأقل مافيه » .

(٥) فى اللسان : « والبلدة والبلدة – أى بالضم والفتح – والبلادة : ضد النفاذ والذكاء والمضاء فى الأمور » .

عللاً ، وتُولِّد أدواءً أيسَرُها العِيّ . فإلى هذا المعنى ذهَب زيد .

* * *

ومن الخطباء : خالد بن سلمة المخزومى من قريش ، وأبو حاضر ، وسالم بن أبى حاضر ، وقد تكلَّم عند الخلفاء .

ومن خطباء بنى أسيد : الحكم بن يزيد بن عمير ، وقد رأس . ومن أهل اللسن منهم والبيان : الحجَّاج بن عمر بن يزيد [١] .

ومن الخطباء : سعيد بن العاصى بن سعيد بن العاصى بن أمية [٢] . قال : وقيل لسعيد بن المسيِّب : مَن أبلغ النَّاس ؟ قال : رسول الله ﷺ . فقيل : ليس عن هذا نسألك . قال : معاوية وابنه ، وسعيدٌ وابنه [٣] ، وما كان ابنُ الزبير دونهم ، ولكن لم يكن لكلامه طُلَاوة .

فمن العجب أنّ ابن الزبير قد ملأ دفاتر العلماء كلاماً ، وهم لا يحفظون ٨٧
لسعيد بن العاص وابنه من الكلام إلّا ما لا بال له .

---

(١) فيما عدا ل ، هـ : « الحجاج بن عمير بن زيد » .

(٢) أبو عثمان سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس القرشى الأموى كان ممن ندبه عثمان لكتابة القرآن ، ولى الكوفة وغزا طبرستان وجرجان ، وولى المدينة لمعاوية ، فكان يعاقب بينه وبين مروان ، وكان مشهوراً بالكرم حتى إذا سأله السائل وليس له مال حاضر كتب له بما يريد ، فلما توفى كان عليه ثمانون ألف دينار فوفاها عنه ولده عمرو الأشدق . توفى فى قصره بالعقيق سنة ٥٣ . الإصابة ٣٢٦١ .

(٣) هو أبو أمية عمرو بن سعيد ، المعروف بالأشدق ، الذى مضى ذكره فى ص ١٢١. وكان يلقب بلطيم الشيطان ، وهو لقب يقال لمن به لَقوة أو شتَر . انظر الحيوان (٦ : ١٧٨) . وهو أحد التابعين . وهناك عمرو بن سعيد بن العاص الأكبر ، صحابى قديم . ولى الأشدق المدينة لمعاوية وليزيد ، ثم طلب الخلافة وغلب على دمشق ؛ وذلك أنه كان بايع عبد الملك بن مروان ، بشرط أن يكون هو الخليفة بعده . فلما أراد عبد الملك خلعه وأن يبايع لأولاده نفر عمرو من ذلك وخرج عليه . وقتله عبد الملك بعد أن أعطاه الأمان . وكان ذلك سنة ٧٠ . تهذيب التهذيب وتاريخ الطبرى (٧ : ١٧٨ — ١٨١) والإصابة ٦٨٤٢ .

وكان سعيدٌ جواداً ، ولم ينزع قميصَه قطُّ ، وكان أسودَ نحيفاً ، وكان يقال له « عُكّة العَسلَ [١] » . وقال الحطيئة :

سَعيدٌ فلا يَغْرُرْكَ قِلّـةُ لحِمِـهِ   تخدَّدَ عنهُ اللحمُ فهو صليبُ [٢]

وكان أوّل مَن خَشَّ الإبلَ فى نفْس عَظْم الأنف . وكان فى تدبيره اضطراب . وقال قائلٌ من أهل الكوفة :

يا ويلَنا قد ذهب الوليدُ   وجاءنـا مجوِّعـاً سعيــدُ

ينقُص مِ الصّاعِ ولا يَزيد [٣]

قال : الأمراء تتحبّب إلى الرعية بزيادة المكاييل [٤] ، ولو كان المذهبُ فى الزِّيادة فى الأوزان كالمذهب فى زيادة المكاييل ما قصَّروا ، كما سأل الأحنف عمر بن الخطاب الزيادةَ فى المكاييل . ولذلك اختلفَتْ أسماءُ المكاييل ، كالزِّيادى والفالج [٥] ، والخالدى . حتّى صِرنا إلى هذا المُلْجَم [٦] اليوم .

ثمَّ من الخطباء : عمرو بن سعيد ، وهو الأشدق [٧] ، يقال إن ذلك إنما قيل لتشادُقه فى الكلام . وقال آخرون : بل كان أفقمَ مائل الذّقَن ، ولذلك قال عبيدُ الله بن زيادٍ حين أهوى إلى عبد الله بن معاوية : يَدَكَ عنِّى يالطيمَ الشيطان ، ويا عاصىَ الرحمن [٨] . وقال الشّاعر :

وعمروٌ لطيم الجنِّ وابنُ محمّدٍ   بأسوأ هذا الأمرِ يلتبسانِ [٩]

---

(١) العكة ، بالضم : زق صغير .

(٢) ديوان الحطيئة ٤٢ وسيأتى فى (٣ : ١١٦) . تخدد اللحم : هزل ونقص .

(٣) فيما عدا ل : « ينقص فى الصاع » .

(٤) ل : « الكيل » .

(٥) فى اللسان (٣ : ١٧٢) : والفالج والفلج – بالكسر – مكيال ضخم معروف وقيل هو القفيز ، وأصله بالسريانية فالغاء ، فعرب . ومثله فى المعرب للجواليقى ٢٤٩ .

(٦) ل : « الملحم » ، تحريف . وانظر الطبرى (١٠ : ٢٦٦) وكتاب بغداد لابن طيفور ١٩ حيث ذكر صفته .

(٧) مضت ترجمته فى الصفحة السابقة .

(٨) انظر الخبر فى الحيوان (٦ : ١٧٨) .

(٩) ل : « فيا سوء » تحريف .

ذُكر ذلك عن عَوانة (١) . وهذا خلاف قول الشاعر :

تشادَقَ حتى مال بالقول شِدقهُ ... وكلُّ خطيبٍ لا أباَلَكَ أشدقُ (٢)

وقال : وقد كان معاوية قد دَعا بهِ فى غِلَمةٍ من قريش ، فلما استنطَقَه قال : « إنّ أوّلَ كلِّ مركبٍ صعب ، وإنّ مع اليوم غداً » . وقال له : إلى من أوصى بك أبوك ؟ قال : إنَّ أبى أوصَى إلىَّ ولم يوصِ بى (٣) . قال : وبأىِّ شئٍ أوصاك ؟ قال : بألّا يفقدَ إخوانُه منه إلاّ شَخصَه . قال : فقال معاوية عند ذلك : إنَّ ابن سعيدٍ هذا لَأشدق . فهذا يدلُّ عندهم على أنّه إنما سمّى بالأشدق لمكان التّشادُق . ٨

ثم كان بعد عمرو بن سعيد ، سعيدُ بنُ عمرِو بن سعيدٍ ، وكان ناسباً خطيباً ، وأعظمَ الناس كِبرا . وقيل له عند الموت : إنّ المريض ليستريح إلى الأنين ، وإلى أن يصِفَ ما به إلى الطبيب . فقال :

أجاليدُ مِن رَيب المَنُون فلا تُرى ... على هالكٍ عيناً لنا الدهرَ تدمعُ (٤)

ودخَلَ على عبد الملك مع خطباءِ قريش وأشرافهم ، فتكلّموا من قيام ، وتكلمَ وهو جالس ، فتبسَّم عبد الملك وقال : لقد رجوتُ عثرتَه ، ولقد أُحْسَنَ حتّى خِفتُ عثرتَه .

فسعيد بن عمرو بن سعيد ، خطيبٌ ابنُ خطيبٍ ابنِ خطيب .

---

(١) عوانة بفتح العين ، وهو عوانة بن الحكم بن عوانة بن عياض ، الكلبى الكوفى الأخبارى النسابة . وكان كثير الرواية عن التابعين ، وأكثر المدائنى فى النقل عنه ، وكان عثمانيا يضع الأخبار لبنى أمية . توفى سنة ١٥٨ . لسان الميزان (٤ : ٣٨٦) وابن النديم ١٣٤ ونكت الهميان ٢٢٢ .

(٢) أنشد هذا البيت فى ص ١٢١ .

(٣) الخبر فى عيون الأخبار (١ : ٢٣٥) وأمالى المرتضى (١ : ٢٠٠) .

(٤) أجاليد : جمع جمع للجلد ، وهو القوى النفس والجسد .

ومن الخطباء : سُهيل بن عمرو الأعلمَ (١) أحد بنى حِسْل بن مَعِيصَ (٢) وكان يُكنَى أبا يزيد ، وكان عظيم القَدْر ، شريف النَّفس ، صحيحَ الإسلام . وكان عُمر قال للنبى ﷺ : يارسول الله ، انزِعْ ثنيّتيهِ السُّفْلَيين حتى يدلُعَ لسانُه فلا يقوم عليك خطيباً أبداً . فقال رسول الله ﷺ : « لا أُمثِّل فيمثِّل الله بى وإنْ كنتُ نبياً . دعْهُ ياعمر فعسى أن يقوم مقاماً تحمدُه » . فلمَّا هاج أهلُ مكّة عند الذى بلغهم مِن وفاة رسول الله ﷺ قام خطيباً فقال : « أيُّها الناس ، إنْ يكن محمّدٌ قد مات فالله حىٌّ لم يمت . وقد علمتم أنّى أكثرُكمْ قَتَباً فى برّ ، وجاريةً فى بحر (٣) ، فأقِرُّوا أميرَكم وأنا ضامنٌ إن لم يَتِمَّ الأمرُ أن أردَّها عليكم » ، فسكن الناس . وهو الذى قال يوم خَرجَ آذِنُ عمر ، وهو بالباب وعُيَينة بن حِصن (٤) ، والأقرع بن حابس ، وفلانٌ وفلان ، فقال الآذِن : أين بلال ، أين صُهيب ، أين سَلْمان ، أين عَمَّار ؟ فتمعّرت وجوهُ القوم ، فقال سهيل : لِمَ تتمعَّرُ وجوهُكم ؟! دُعُوا ودُعينا فأسْرَعُوا وأبطأْنا ، ولَئن حسدتموهم على باب عمر ، لَمَا أعدَّ الله لهم فى الجنة أكثر .

ومن الخطباء : عبد الله بن عروة بن الزّبير : قالوا : وكان خالد بن صفوانَ يشبَّه به .وما علمتُ أنّه كان فى الخطباء أحدٌ كان أجودَ خُطَبا من خالد بن صفوان

---

(١) سبقت ترجمته فى ص ٥٨ . ل : « الأشرم » وما أثبت من سائر النسخ هو المطابق لما فى الإصابة ٣٥٦٦ . والأعلم : المشقوق الشفة العليا ، وقد كان كذلك . أما الأشرم فهو المشروم الأنف .

(٢) كذا . والمعروف أن حسلا ومعيصا أخوان أبوهما عامر بن لؤى . انظر المعارف ٣٢ ومختلف القبائل ومؤتلفها لابن حبيب ص ٣١ .

(٣) القتب : رحل صغير على قدر السنام . عنى كثرة إبله وسفنه فى التجارة .

(٤) هو عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزارى ، وكان اسمه حذيفة فلقب عيينة ، لأنه كان أصابته شجة فجحظت عيناه . شهد حنينا والطائف وعاش إلى خلافة عثمان . الإصابة ٦١٤٦ . ما عدا هـ : « وبالباب عيينة بن حصن » .

وشبيب بن شيبة ، للذى يحفظه الناس ويدورُ على ألسنتهم مِن كلامهما . ٨٩
وما أعلم أنّ أحداً ولَّد لهما حرفاً واحداً .

ومن النسّابين من بنى العنبر ثم من بنى المنذِر : الحَنتَفُ بن يزيد [١] بن جَعْوَنة . وهو الذى تعرّضَ له دَغْفل بن حنظلة العلامة عند ابن عامر [٢] بالبصرة ، فقال له : متَى عهدُكَ بسَجَاحِ أمِّ صادر [٣] ؟ فقال : « مالى بها عهدٌ منذُ أُضَلَّت أمَّ حِلْسٍ » ، وهى بعض أمّهات دَغْفل . فقال له : نَشَدْتُك باللّٰه ، أنحن كُنّا لكم أكثَرَ غزْواً فى الجاهلية أم أنتُم لنا ؟ قال : بل أنتم [٤] فلم تُفلحوا ولم تُنجحوا ، غزانا فارسُكم وسيّدُكم وابنُ سيِّدكم ، فهزمْناه مَرَّةً وأسرناه مرّة ، وأخذْنا فى فدائه خِدرَ أمه . وغزَانا أكثرُكُمْ غزواً ، وأنبهُكم فى ذلك ذكرا ، فأعرَجْناه ثم أرْجَلناه . فقال ابن عامر : أسألكما باللّٰه لَمَّا كففتُما .

وكان عبد اللّٰه بن عامر ، ومُصعَب بن الزُّبير ، يُحِبَّان أن يَعرِفا حالات الناس ، فكانا يُغْرِيان بين الوجوه وبين العلماء ، فلا جرَم أنّهما كانا إذا سبًّا أوجعا .

وكان أبو بكر رحمه اللّٰه أنسَبَ هذه الأمّة ، ثم عمر ، ثم جُبير بن مُطعِم ، ثم سعيد بن المُسيَّب ، ثمَّ محمد بن سعيد بن المسيب . ومحمدٌ هذا هو الذى نفَى آل عَنْكثة المخزوميِّين [٥] فرُفع ذلك إلى والى المدينة فجلده الحَدَّ . وكان ينشد :

---

(١) فيما عدا ل : « بن ريد » .

(٢) هو عبد اللّٰه بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف ، ابن خال عثمان بن عفان . كان شجاعا جوادا ميمونا ، ولاه عثمان البصرة وضم إليه فارس فافتتح خراسان وأطراف فارس وسجستان وغيرها . وولاه معاوية البصرة . توفى سنة ٥٩ قبل وفاة معاوية بسنة . الإصابة ٦١٧٥ والمعارف ١٤٠ والجهشيارى ١٤٨ .

(٣) هى سجاح بنت الحارث التميمية ، من بنى يربوع ، وكان يقال لها أم صادر ، وتزوجها مسيلمة المتنبئ ، ثم من بعد قتله عادت إلى الإسلام فأسلمت وعاشت إلى خلافة معاوية ، ذكر ذلك صاحب التاريخ المظفرى . المعارف ١٧٨ والإصابة ٦٠٧ من قسم النساء .

(٤) ل : « قال بل أنتم لنا قال » .

(٥) نفاهم : أى نفى نسبتَهم إلى مخزوم ، جعل أباهم مولى لهبيرة بن أبى وهب .

ويَرْبوع بن عَنكثَةَ ابن أرضٍ وأَعتقَهُ هُبَيرةُ بعد حينِ (١)

يعنى هُبيرةَ بن أَبى وهبٍ المخزومىّ (٢)

ومن النّسابين العلماء : عتبة بن عُمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وكان من ذوى الرَّأْى والدَّهاء ، وكان ذا منزلةٍ من الحجَّاج بن يوسفَ . وعمرُ بن عبد الرحمن خامسُ خمسةٍ فى الشَّرف . وكان هو الساعىَ بين الأَسْدِ (٣) وتميمٍ فى الصُّلح .

ومن بنى حُرقوص : شُعبة بن القَلْعَمِ ، وكان ذا لسانٍ وجوابٍ وعارضة ، وكان وَصَّافاً فصيحاً ، وبنوه عبد الله ، وعُمر ، وخالد كلُّهم كانوا فى هذه الصِّفة ، غير أنّ خالداً كان قد جمع مع اللَّسن والعلم ، الحلاوةَ والظَّرف (٤) . وكان الحجَّاجُ بن يوسف لا يَصبِر عنه .

ومن بنى أُسَيِّد بن عمرو بن تميم (٥) ، أبو بكر بن الحكم ، كان ناسباً
١٩ راوية شاعرا ، وكان أحْلَى النَّاس لسانا ، وأحسنَهم منطقا ، وأكثرَهم تصرُّفا . وهو الذى يقول له رؤبة :

لقد خشيتُ أن تكون ساحرَا راويةً مَراًّ ومراًّ شاعرَا (٦)

ومنهم مُعَلَّل بن خالد ، أحد بنى أنمار بن الهُجَيم ، وكان نسَّابة علّامة ،

---

(١) ابن أرض ، أى غريب . انظر المقاييس (١ : ٨١) .

(٢) فى الاشتقاق ٩٥ : « ومن فرسانهم هبيرة بن أبى وهب ، وكان زوج أم هانئ بنت أبى طالب ، فأسلمت وثبت هو على الشرك » .

(٣) هـ : « الأزد » ، وهما لغتان .

(٤) فيما عدا ل : « مع بلاغة اللسان العلم والحلاوة والظرف » .

(٥) أسيد هذا : تصغير أسود فى لغة بنى تميم ، وسائر العرب يقولون فى تصغيره : أسيود . انظر الاشتقاق ١٢٧ .

(٦) المر ، بالفتح : جمع مرة . ومثله قول ذى الرمة :

لا بل هو الشوق من دار تخونها مرا سحاب ومرا بارح ترب

راويةً صَدُوقا مقلَّدا [١] . وذُكِر للمنتجِع بن نَبْهانَ فقال : كان لا يُجارَى ولا يمارَى .

ومنهم من بنى العَنْبر ، ثم من بنى عمرو بن جُندب : أبو الخنساء عبّاد بن كُسَيب [٢] ، وكان شاعراً علّامة ، وراويةً نسَّابة ، وكانت له حُرْمَةٌ بأبى جعفرٍ المنصور .

ومنهم : عمرو بن خَوْلة ، كان ناسباً خطيبا ، وراوية فصيحا ، من ولد سَعيد بن العاصى . والذى أتى سعيد بن المسيَّب ليعلِّمه النّسب هو إسحاق ابن يحيى بن طلحة .

وكان يحيى بن عروة بن الزبير ناسباً عالما ، ضربه إبراهيم بن هشام المخزومىُّ والى المدينة حتّى مات ، لبعض القول . وكان مصعبُ بن ثابت بن عبد الله [٣] ناسبا عالما ، ومن ولده الزُّبيرى [٤] عامل الرَّشيد على المدينة واليمن .

ومنهم ثم من قريش : محمد بن حفص [٥] ، وهو ابن عائشة ، ويكنى أبا بكر . وابنه عبيد الله ، كان يجرى مجراه ، ويكنى أبا عبد الرحمن .

ومن بنى خُزَاعىِّ بن مازن [٦] : أبو عمرو وأبو سفيان ؛ ابنا العلاءِ بن عمَّار بن العُريان . فأمَّا أبو عمروٍ فكان أَعْلَمَ الناس بأمور العرب ، مع صِحَّة سماعٍ وصِدق

---

(١) المقلد ، أصله فى الخيل : السابق يقلد شيئاً ليعرف أنه قد سبق .

(٢) أبو الخنساء عباد بن كسيب ، من بنى عمرو بن جندب ، ذكره ابن النديم فى الفهرست ٧٣ وقال : « وكان راوية للشعر عالماً بأخبار العرب » .

(٣) هو والد الزبيرى التالى . وفى الأصول : « مصعب بن عبد الله بن ثابت » . وهذا لا يستقيم مع الكلام التالى ، وانظر لمصعب بن ثابت جمهرة ابن حزم ١٢٢ والأغانى (٢٠ : ١٨٠) .

(٤) اسمه عبد الله بن مصعب ، كما فى تاريخ الطبرى (١٠ : ١١٢) . وتاريخ بغداد (١٠ : ١٧٣) . وكانت وفاته سنة ١٨٤ .

(٥) فيما عدا ل ، هـ : « محمد بن جعفر بن حفص » وكلمة « جعفر » مقحمة . انظر ترجمة ولده عبيد الله فيما مضى ص ١٠٢ .

(٦) هم بنو خزاعى بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم . انظر الاشتقاق ١٢٤ — ١٢٥ . فيما عدا ل « خزاعة » تحريف .

لسان . حدَّثنى الأصمعىُّ قال : جلستَ إلى أبى عمرٍو عشرَ حِجَجٍ ما سمعتُه يحتجُّ ببيتٍ إسلامىّ . قال وقالَ : مَرّة : « لقد كَثر هذا المحدَث وحَسُن حتَّى لقد هَممت أن آمر فِتيانَنا بروايته » . يعنى شعر جرير والفرزدق وأشباههما . وحدَّثنى أبو عبيدة قال : كان أبو عمرو أعْلَمَ النّاس بالغريب [١] والعربيّة ، وبالقُرآن [٢] والشِّعر ، وبأيام العرب وأيّام الناس . وكانت دارُه خلفَ دار جعفرِ بن سليمان [٣] . قال : وكانت كُتبه التى كَتَبَ عن العرب الفصحاء ، قد ملأَتْ بيتاً له إلى قريبٍ من السقف ، ثم إنّه تقرّأ [٤] فأحرقها كُلَّها ، فلمّا رجع بَعدُ إلى علمه الأوّل لم يكن عنده إلاّ ما حفِظه بقلبه . وكانت عامّةُ أخباره عن أعرابٍ قد أدركوا الجاهلية [٥] .

وفى أبى عمرو بن العلاء يقول الفرزْدَق :

مازلت أفتحُ أبواباً وأُغلقها ‏ ‏ حتّى أتيتُ أبا عمرِو بنَ عمّارِ

قال : فإذا كان الفرزدق وهو راوِيَةُ النّاس وشاعرُهم وصاحبُ أخبارهم ، يقول فيه مثلَ هذا القول ، فهو الذى لا يُشَكُّ فى خطابته وبلاغته .

وقال يونس : لولا شعر الفرزدق لذهب نِصف أخبار الناس .

وقال فى أبى عمرٍو مكّىُّ بن سَوادة [٦] :

الجامعُ العلمِ ننساه ويحفظه ‏ ‏ والصادقُ القولِ إن أندادُه كذَبُوا

وكان أبو سفيانَ بن العلاءِ ناسباً ، وكلاهما كُناهُما أسماؤهُما . وكذلك أبو عمرو بن العلاء بن لَبيد ، وأبو سفيان بن العلاء بن لَبيد التغلبىّ ، خليفة عيسى بن شَبيبٍ المازنىّ على شُرَط البصرة .

---

(١) فيما عدا ل : « بالعرب » . (٢) فيما عدا ل : « وبالقراءة » .

(٣) هو جعفر بن سليمان بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، ابن عم السفاح والمنصور . انظر المعارف ١٦٤ .

(٤) تقرأ تقرؤا ، أى تنسك . وفى ترجمته عند ابن خلكان : « ثم إنه تقرأ ، أى تنسك » .

(٥) ولد أبو عمرو بن العلاء سنة ٧٠ وتوفى سنة أربع أو ست أو سبع أو تسع وخمسين ومائة . ياقوت وابن خلكان وبغية الوعاة .

(٦) سبقت ترجمته فى ص ٣ .

وكان عَقيلُ بن أبى طالبٍ ناسباً عالماً بالأمّهات ، بيِّن اللسان سَديدَ الجواب (١) ، لا يقوم له أحد .

وكان أبو الجهم بن حُذيفة العدوىّ (٢) ناسباً شديد العارضة ، كثير الذِّكر للأمّهات بالمَثالب .

ومن (٣) رؤساء النَّسَّابين : دَغْفَل بن حنظلة ، أحد بنى عمرو بن شيبان ، لم يدرك الناس مثلَه لساناً وعِلماً وحِفظا . ومن هذه الطبقة زيد بن الكيِّس النَّمَرىُّ .

ومن نسَّابى كلبٍ : محمّد بن السائب ، وهشام بن محمد بن السائب ، وشَرَقىُّ بن القُطَامىّ . وكان أعلاهم فى العلم ومَن ضُرِب به المثل ، حمّادَ بن بشر .

وقال سِمَاكٌ العِكرمىّ (٤) :

فسائِلْ دَغفلاً وأخا هلال وحمّاداً يُنَبُّوك اليَقينا (٥)

وقد ذكرنا دَغْفَلا . وأخو هلال هو زيد بن الكيِّس . وبنو هلالٍ :حىٌّ من النَّمر بن قاسط .

وقال مِسكين بن أُنَيف الدَارِمىّ (٦) فى ذلك :

وعند الكيّس النَّمَرِىّ علمٌ ولو أمسى بمُنْخَرَق الشَّمالِ

وقال ثابتُ قطنة :

فما العِضّانِ لو سُئِلا جميعا أخو بكر وزيدُ بنى هلالِ (٧) ٢

---

(١) فى جميع النسخ : « شديد الجواب ».وإنما هو من السداد والإصابة .

(٢) أبو الجهم ذكره ابن النديم فى الفهرست ١٦٢ .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من حـ والتيمورية وزيدت فى ب .

(٤) حـ : « العكلى » مع أثر تصحيح . ب والتيمورية : « العكرى » .

(٥) ل : « وأبا هلال » تحريف . يقال فلان أخو القوم ، أى هو منهم .

(٦) مسكين ، لقب له ، واسمه ربيعة بن عامر بن أنيف بن شريح بن عمرو بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم . شاعر شجاع من أهل العراق ، كان معاصراً للفرزدق . الخزانة (١ : ٤٦٧) والأغانى (١٨ : ٦٨ – ٧٢) .

(٧) العض ، بالكسر : الداهية من الرجال ، ومنه قول القطامى :

أحاديث من أنباء عاد وجرهم يثورها العضان زيد ودغفل

ولا الكلبيُّ حمَّادُ بن بِشرٍ ... ولا من فَاد فى الزمن الخوالى (١)

وقال زيادٌ الأعجم :

بل لو سألتَ أخا ربيعة دَغفلا ... لوجدتَ فى شَيبانَ نسبة دَغفلِ
إن الأحابِنَ والذين يَلُونهم ... شرُّ الأنام ونَسلُ عبدٍ أغْرَلِ (٢)

يهجو فيها بنى الحَبْناء .

ومنهم : أبو إياسٍ النصرى (٣) . وكان أنسبَ الناس ، وهو الذى قال : كانوا يقولون : أشعر العرب أبو دُوادٍ الإيادىّ ، وعدِىّ بن زيدٍ العِبادىّ .

وكان أبو نوفل بن أبى عقرب (٤) ، علّامة ناسبا خطيبا فصيحا ، وهو رجلٌ من كنانة ، أحد بنى عُرَيج (٥) .

ومن بنى كنانةَ ثم من بنى لَيث ، ثم من بنى الشُّدَّاخ (٦) : يزيد بن بكر ابن دأب . وكان يزيدُ عالماً ناسبا ، وراويةً شاعراً . وهو القائل :

اللهُ يعلم فى علىٍّ علمَه ... وكذاك علمُ الله فى عثمانِ

---

(١) فاد يفيد فيدا : هلك .

(٢) الأحابن أراد بهم بنى الحبناء . والأغرل : الأقلف . فيما عدا ل : « عبد الأعزل » تحريف .

(٣) فيما عدا ل : « إياس النصرى » .

(٤) ذكره الجاحظ فى الحيوان (٥ : ٢١٩) بلفظ « ابن أبى العقرب الليثى » . كما ذكره ابن قتيبة فى المعارف ٣١ بنسبة « العريجى » . وفى تهذيب التهذيب : « أبو نوفل بن أبى عقرب البكرى الكندى العريجى ، قيل اسمه مسلم بن أبى عقرب ، وقيل عمرو بن مسلم بن أبى عقرب ، وقيل معاوية بن أبى عقرب . روى عن أبيه أو جده أبى عقرب ، وعائشة وأسماء بنتى أبى بكر الصديق ، وعمرو بن العاص والعبادلة الأربعة ... وسماه شعبة معاوية بن عمرو قال : كنت آتيه أنا وأبو عمرو بن العلاء فأسأله عن الفقه ويسأله أبو عمرو عن العربية » . وانظر الإصابة ٧٦٦ من باب الكنى .

(٥) فى المعارف ٣١ : « ومنهم بنو عريج ، وهم قليل ، وأبو نوفل بن أبى عقرب العريجى منهم » . وانظر جمهرة ابن حزم ١٨٤ .

(٦) الشداخ ، بتثليث الشين وتشديد الدال ، من ليث بن كنانة ، واسمه يعمر بن عوف بن كعب . قالوا : سمى بذلك لأنه أصلح بين قريش وخزاعة فى الحرب التى كانت بينهم فقال : شدخت الدماء تحت قدمى » . انظر الاشتقاق ١٠٦ والقاموس واللسان (شدخ) .

وولدَ يزيدُ يحيى وعيسى . فعيسى هو الذى يُعرَف فى العامَّة بابن دأبٍ ، وكان من أحسن الناس حديثاً وبياناً ، وكان شاعراً راوية ، وكان صاحبَ رسائلَ وخطبٍ ، وكان يُجيدُهما جِدًّا [١] .

ومن آل دأبٍ : حذيفة بن دأبٍ ، وكان عالماً ناسباً . وفى آل دأب علمٌ بالنَّسَب والخبر .

وكان أبو الأسود الدؤلى ، واسمه ظالم بن عمرو بن جندل بن سفيان ، خطيباً عالما ، وكان قد جمع شِدَّةَ العقل وصواب الرأْى وجودةَ اللسان ، وقولَ الشِّعرِ والظَّرفَ . وهو يُعَدّ فى هذه الأصناف ، وفى الشِّيعة ، وفى العُرْجان ، وفى المفاليج . وعلى كلِّ شئٍ من هذا شاهدٌ سيقع فى موضعه إن شاء الله تعالَى .

وقال الخُسُّ لابنته هند : أريد شراءَ فحلٍ لإبلى . قالت : « إن اشتريتَه فاشتَرِه أسجَح الخدين ، غائر العينين ، أرقَبَ ، أحزَم أعكَى ، أكْوَمَ : إنْ عُصِىَ غَشَم ، وإن أُطيع تَجَرْثَم » .

وهى التى قالت لمّا قيل لها : ما حملكِ على أنْ زنيتِ بعبدك ؟ قالت : ٩٣
« طول السِّواد ، وقرب الوِساد » .

السِّواد : السِّرار . أسجَح : سَهْلٌ واسع . يقال : « ملكتَ فأسجِحْ » . أرقَب : غليظ الرَّقبة . أحْزَم : منتفخُ المَحْزِمِ . أعكى : العُكْوة مَغرِز الوركين فى المؤخّر ، تصفه بشِدَّة الوركين . إن عُصِىَ غَشم : إنْ عصته النَّاقةُ غصبَها نفسَها . تجرثَمَ : أى بَقِى ، مأخوذٌ من الجرثومة ، وهى الطين والتّرابُ يُجْمَع

---

(١) وكان عيسى يضع الحديث والشعر وأحاديث السمر ، كان يضع الحديث بالمدينة ، وابن شوكر يضع الحديث بالسند . وفيهما يقول خلف الأحمر :

أحـاديث ألفهـا شوكـر   وأخرى مؤلفة لابن داب

وكان صاحب حظوة عند الهادى ، وروى عنه شبابة بن سوار ، ومحمد بن سلام الجمحى . تاريخ بغداد (١١ : ١٤٨) ولسان الميزان (٤ : ٤٠٨) .

حول النخلة ؛ ليقوّيها . تصفه بالصَّبْر والقوّة على الضِّراب . أكوَم : عظيم السنام. وقال الشاعر [١] :

ويَفهمُ قولَ الحُكلِ لو أنّ ذرّةً ... تُساوِدُ أخرى لم يفته سِوادُها

يقال : فى لسانه حُكلة ، إذا كان شديدَ الحُبسة مع لثَغ .

قالوا : وعاتب هشامُ بن عبد الملك زيدَ بن على ، فقال له : بلغنى عنك شىءٌ . قال : يا أمير المؤمنين ، أحلف لك ؟ قال : وإذا حلفتَ لى أصدِّقك ؟ قال : نَعم ، إنّ الله لم يرفَع أحداً فوقَ ألاّ يَرضى به ، ولم يَضع أحداً دون ألّا يُرضى منه به [٢] .

وكان زِياد بن ظَبْيان التيمىّ العائشىّ خطيباً ، فدخل عليه ابنه عبيد الله [٣] وهو يَكيدُ بنفْسه ، فقال له : ألا أُوصِى بك الأمير [٤] . قال : لا . قال : ولم ؟ قال : إذا لم يكن للحىِّ إلا وصيّة الميِّت فالحىّ هو الميّت .

وكان عُبيد الله أفتكَ النّاس ، وأخطبَ الناس . وهو الذى أتى باب مالك ابن مِسْمَع [٥] ومعه نارٌ ، ليحرِّق عليه دارَه ، وقد كان نابه أمرٌ فلم يرسلْ إليه قبلَ الناس ؛ فأشرف عليه مالك فقال : مهلاً يا أبا مطر ، فوالله إنْ فى كنانتى

---

(١) هو العمانى الراجز ، كما فى الحيوان (٤ : ٢٣) . وعبارة الإنشاد والبيت وشرحه ساقطة من ل .

(٢) سبق الخبر برواية أخرى فى ص ٣١٠ .

(٣) كان عبيد الله بن زياد بن ظبيان فاتكا من الشجعان ، وكان مقربا من عبد الملك بن مروان ، وهو الذى قتل مصعب بن الزبير وحمل رأسه إلى عبد الملك . الطبرى (٧ : ١٨٦) وجمهرة ابن حزم ٣١٥ . وذكره النويرى فى نهاية الأرب (٩ : ٢١٦) هو وعبيد الله بن زياد بن أبيه . وقال : « وخبرهما يشبه مسائل الدور ، فإن عبد الله بن زياد بن أبيه قتله المختار والمختار قتله مصعب ، ومصعب قتله عبيد الله بن زياد بن ظبيان » .

(٤) فيما عدا ل : « الأمير زيادا » . وكلمة « زيادا » مقحمة . والخبر فى الحيوان (٢ : ٩٥ – ٩٦) وعيون الأخبار (١ : ٢٣٥) وأمالى المرتضى (١ : ٢٠٠) .

(٥) مالك بن مسمع بن شيبان ، من بكر بن وائل . قال رجل لعبد الملك : لو غضب مالك لغضب معه مائة ألف لا يسألونه فيم غضب . فقال عبد الملك : هذا وأبيك السودد . وهلك فى أول خلافة عبد الملك بن مروان بالبصرة . المعارف ١٨٤ والإصابة ٨٣٥٣ والحيوان (١ : ٢٧٠) .

سَهمٌ أنا به أوثقُ منِّى بك . قال : وإنك لتعُدُّنى فى كنانتك ، فوالله لو قمت فيها لطُلْتها ، ولوْ قعدتُ فيها لخرقتُها . قال مالك : مهلاً ، أكثَرَ الله فى العشيرة مِثلَك ! قال : لقد سألْتَ الله شططاً !

ودخل عُبيد الله على عبد الملك بن مروان ، بعد أن أتاه برأسِ مصعبِ بن الزُّبير ، ومعه ناسٌ مِن وجوه بكر بن وائل ، فأراد أن يقعُدَ معه على سريره فقال له عبد الملك : ما بال الناس يزعُمون أنّك لا تُشبه أباك ؟ قال : والله لَأنا أشبَهُ بأبى من اللّيل بالليل ، والغرابِ بالغراب ، والماءِ بالماء ، ولكن إنْ شئت أنبأتُك بمن لا يُشْبه أباه . قال : ومن ذاك ؟ قال : مَن لم يولد لِتمام ، ولم تُنْضِجه الأرحام ، ومَن لم يشْبه الأخوالَ والأعمام . قال : ومَن ذاك ؟ قال : ابنُ عمِّى سُويد بن منجوف [1] . قال عبد الملك : أوَ كذلك أنت يا سُويد ؟ قال : نعم . فلما خرجا من عنده أقبَلَ عليه سويدٌ فقال : وَرِيَت بك زنادى [2] ! والله ما يسرُّنى أنك كنتَ نقصتَه حرفاً واحداً ممّا قلتَ له وأنّ لى حُمْرَ النَّعمَ [3] قال : وأنا والله ٩٤
ما يسرُّنى بحِلمك اليومَ عنّى سُودُ النَّعمَ [4] .

قال : وأتى عُبيد الله ، عتّابَ بنَ ورقاء ، وعتّابٌ على أصبهان ، فأعطاه عشرين ألفَ درهم ، فقال : والله ما أحسنْتَ فأحمَدَك ، ولا أسأتَ فأذمَّك ، وإنك لَأقرَبُ البعداء ، وأبعد القُرَباء .

قال : وقال أشيَمُ بن شَقيق بن ثور ، لعُبيد الله بن زياد بن ظَبْيان : ما أنت قائلٌ لرِّبك وقد حملْتَ رأس مصعبِ بن الزُّبير إلى عبد الملك بن مروان ؟ قال :

---

(١) سويد بن منجوف بن ثور السدوسى كان زعيم بكر بن وائل بالبصرة ، وأحد من هجاهم الأخطل . الحيوان (٥ : ١٦٢) والاشتقاق ٢١٢ والأغانى (٧ : ١٧٤) .

(٢) فى اللسان : « وتقول لمن أنجدك وأعانك : ورتْ بك زنادى » . ويقال وريت أيضا . والزناد : جمع زند ، وهو ما تورى به النار .

(٣) العرب تقول : خير الإبل حمرها وصهبها .

(٤) انظر لقوة السود من الحيوان كتاب الحيوان (١ : ٢/٢٦٢ : ٧٩) .

إسكُت ، فأنت يوم القيامة أخطبُ من صعصعة بن صُوحان إذا تكلّمت الخوارج . فما ظنُّك ببلاغةِ رجلٍ عبيدُ الله بن زيادٍ يضرِب به المثل !

وإنما أردنا بهذا الحديث خاصّةً ، الدلالةَ على تقديم صعصعة بن صُوحان فى الخطب . وأدلُّ [١] من كلِّ دلالةٍ استنطاق علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه له [٢] .

وكان عُثمان بن عُروة [٣] أخطَبَ الناس ، وهو الذى قال : « الشكر وإنْ قلَّ ، ثمنٌ لكلِّ نوالٍ وإن جَلَّ » .

وكان ثابتُ بن عبد الله بن الزبير ، مِن أبْيَن الناس ، ولم يكن خطيبا .

وكان قَسامة بن زُهَير [٤] أحد بنى رِزام بن مازن [٥] ، مع نُسْكه وزُهده ومنطقه ، مِن أبْيَن النّاس ، وكان يُعدَل بعامرِ بن عبد قيسٍ [٦] فى زهده ومنطقه . وهو الذى قال : رَوِّحوا هذه القلوب تَعِ الذِّكْر » . وهو الذى قال : « يا معشرَ الناس ، إنّ كلامَكم أكثرُ من صمتكم ، فاستعِينوا على الكلام بالصَّمت ، وعلى الصواب بالفكر » . وهو الذى كان رسولَ عُمرَ فى البحث عن شأن المغيرة وشهادة أبى بَكْرة [٧] .

---

(١) فيما عدا ل ، هـ : « وأولى » .

(٢) انظر ما سبق فى ص ٢٠٢ .

(٣) هو عثمان بن عروة بن الزبير بن العوام ، كان من خطباء الناس وعلمائهم ، ومن وجوه قريش وساداتهم ، وأمه عمة عبد الملك بن مروان . توفى سنة ١٣٦ . تهذيب التهذيب .

(٤) سبقت ترجمته فى ص ٤٥ . وكلمته التالية فى رسائل الجاحظ (١ : ٢٩٠)

(٥) فى هامش ل ، « خ : دارم بن مالك » . وقسامة مازنى .

(٦) سبقت ترجمته فى ص ٨٣ .

(٧) أبو بكرة ، هو نفيع بن الحارث ، أسلم ومات فى خلافة عمر . وكان تدلى إلى النبى ﷺ من حصن الطائف ببكرة ، ذلك أنه لما طال حصار الطائف قال رسول الله : « أيما عبد تدلى إلى فهو حر » . فاشتهر بأبى بكرة . الإصابة ٧٨٩٤ وابن خلكان فى ترجمة (يزيد بن ربيعة) . والمغيرة ، هو الصحابى الجليل المغيرة بن شعبة . وكان قد اتهم بامرأة من بنى هلال يقال لها أم جميل ، فشهد عليه أبو بكرة ، وشبل بن معبد ، ونافع بن كلدة وزياد . انظر تاريخ الطبرى (٤ : ٢٠٦ - ٢٠٨) فى حوادث سنة ١٧ .

وكان خالد بن يزيد بن معاوية ، خطيباً شاعراً ، وفصيحا جامعا ، وجيِّدَ الرَّأْيِ كثيرَ الأدب ، وكان أول من ترجم كتب النُّجوم والطِّبّ والكيمياء .

ومن خطباء قريش : خالد بن سلمة المخزومى [١] وهو ذو الشّفة . وقال الشاعر فى ذلك :

فما كان قائلَهم دَغْفَلٌ ولا الحَيقُطانُ ولا ذو الشَّفَهْ

ومن خُطباء العرب: عُطارِد بن حاجب بن زُرارة ، وهو كان الخطيبَ عند النبىّ ﷺ ، وقال فيه الفرزدق بن غالب :

ومِنّا خطيب لا يُعابُ وحاملٌ أَغرُّ إذا التفّت عليه المجامع [٢]

ومن الخطباء : عون بن عبد الله بن عُتبة بن مسعود [٣]، وكان مع ذلك راوية ناسبا شاعراً ، ولما رجع عن قول المُرجئة [٤] إلى قول الشيعة قال :

وأَولَ ما نفارِق غيرَ شكٍّ نُفارق ما يقول المرجِئونا [٥]
وقالوا : مؤمنٌ من أهل جَور وليس المؤمنون بجائرينا [٦]

---

(١) خالد بن سلمة المخزومى ، وكان يسمى ذا الضرس ، وذا الشفة . قتل مع يزيد بن عمر بن هبيرة سنة ١٣٢ . انظر الحيوان (٧ : ٧١) .

(٢) الحامل : الذى يحمل عن القوم الحمالة ، وهى الدية والغرامة : يعنى الفرزدق به أباه غالب ابن صعصعة . وفيه يقول :

دعوا غالبا عند الحمالة والقرى وأين ابنه الشاق تميما نقائمه

وكان الفرزدق نفسه حمالا ، قال جرير فى رثائه له (ديوانه ٥٣٥) :

رزئنا بحمال الديات ابن غالب وحامى تميم عرضها والبراجم

(٣) هو أبو عبد الله عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلى الكوفى الزاهد . وعتبة هذا ، هو أخو عبد الله بن مسعود . قال ابن سعد : إن عمر بن عبد العزيز لما ولى الخلافة رحل إليه عون ، وعمر ابن ذر ، وموسى بن أبى كثير . فناظروه فى الإرجاء ، فزعموا أنه وافقهم . توفى بين ١١٠ — ١٢٠ . تهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة (٣ : ٥٥) والمعارف ١١٠ .

(٤) المرجئة : طائفة ترجئ العمل عن الإيمان : أى تؤخره ، وترى أن الإيمان لايضر معه معصية . انظر الملل (١ : ١٨٦) ومفاتيح العلوم ٢٠ والمواقف ٦٣١ والفرق بين الفرق ١٩٠ وطبقات ابن سعد (٧ : ٢١٤) .

(٥) فى التهذيب حيث روى هذا البيت وحده : « لأول ما نفارق » .

(٦) هـ : « من آل جور » . وفى المعارف حيث روى الأبيات الثلاثة : « المؤمنون يحاربونا » .

وقالوا : مؤمن دمُه حلالٌ ... وقد حَرُمت دماءُ المؤمنينا

وكان حين هربَ إلى محمّد بن مروان (١) فى فَلٍّ (٢) ابنِ الأشعث (٣) ألزمه ابنَه يؤدِّبه ويقوِّمه ، فقال له يوماً : كيف ترى ابنَ أخيك ؟ قال : « ألزمْتنى رجُلاً إن غبتُ عنه عَتَب ، وإنْ أتيتُه حُجِبَ ، وإن عاتبتُه غضب » . ثم لزم عمرَ ابنَ عبد العزيز ، وكان ذا منزلةٍ منه . قالوا : وله يقول جرير :

يأيُّها الرَّجلُ المرخِى عمامتَه ... هذا زمانكُ إنِّى قد مضى زمنى

أبلغ خليفتنا إن كنتَ لاقِيَهُ ... أنّى لدَى الباب كالمصفود فى قَرَنِ (٤)

وقد رآك وُفُود الخافقَين معاً ... ومُذْ وَليتَ أمورَ النّاس لم تَرَنى (٥)

* * *

وكان الجارود بن أبى سبرة (٦) ويكنى أبا نوفل ، من أبْيَن النّاس وأحسنِهم

---

(١) هو محمد بن مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس ، وكان أشد بنى مروان ، وهو قتل إبراهيم بن الأشتر ومصعب بن الزبير بدير الجاثليق ، بين الشام والكوفة ، وكان على الجزيرة . وابنه مروان بن محمد آخر من ولى الخلافة من بنى أمية . المعارف ١٥٥ .

(٢) الفل : بقية الجيش المنهزم . ل : « فك » ، والصواب ما أثبت من هـ ، ب مع أثر تصحيح فى الأخيرة .

(٣) هو عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ، خرج على الحجاج من سجستان إلى العراق سنة ٨١ . ولما دخل البصرة فى تلك السنة بايعه على حرب الحجاج وخلع عبد الملك جميعُ أهلها من قرائها وكهولها ، وكان بينه وبين الحجاج وقعات منها:الأهواز ، والزاوية ، ودير الجماجم ، ومسكن ، ودجيل . وقد قتل عبد الرحمن نفسه ، بأن ألقى بها من فوق قصر . الطبرى (٨ : ٢ – ٤٢) والمعارف ١٥٦ .

(٤) المصفود : المشدود بالصفاد ، وهو ما يوثق به الأسير من قيد وغل . فيما عدا ل : « كالمشدود » . ما أثبت من ل يطابق رواية الديوان ٥٨٨ . والقرن : الحبل يقرن به البعيران . وفى اللسان (قرن) :

أبلغ أبا مسمع إن كنت لاقيه ... أنى لدى الباب كالمشدود فى قرن

(٥) الخافقان : الشرق والغرب . وبدله فى الديوان :

لا تنس حاجتنا لاقيت مغفرة ... قد طال مكثى عن أهلى وعن وطنى

(٦) هو الجارود بن أبى سبرة سالم بن سلمة الهذلى البصرى ، روى عن أبى ، وطلحة بن عبيد الله ، وأنس ، وروى عنه قتادة وثابت البنانى . توفى سنة ١٢٠ . تهذيب التهذيب .

حديثاً ، وكان راويةً علّامةً ، شاعراً مُفْلِقا ، وكان من رجال الشِّيعة . ولما استنطَقَه الحجَّاجُ قال : ما ظننتُ أن بالعراق مثلَ هذا . وكان يقول : ما أمكنني والٍ قطُّ من إذْنه إلّا غلبتُ عليه ، ما خلا هذا اليهوديّ – يعني بلالَ بن أبي بُردة (١) – وكان عليه متحامِلاً ، فلما بلَغه أنه دُهِقَ حتى دُقَّت ساقه (٢) ،وجُعِل الوتَر فى خُصيَيْه ، أنشأ يقول :

لقد قَرَّ عَينِى أنَّ ساقَيه دُقَّتاَ ... وأن قُوَى الأوتارفى البيضة اليسرى ٦
بَخِلْتَ وراجعتَ الخيانةَ والخنا ... فيسَّرك الله المقدَّسُ للعُسْرَى
فما جِذْعِ سَوءٍ خرَّبَ السُّوسُ جَوفَه ... يُعالُجه النَّجّار يُبرَى كما تُبرَى

وإنَّما ذكر الخُصية اليسرى لأنَّ العامَّة تقول : إن الولد منها يكون (٣).

* * *

ومن الخُطباء الذين لا يُضاهَون ولا يُجارَون : عبد الله بن عبَّاس . قالوا : خطبَنا بمكة ، وعثمانُ محاصَرٌ ، خُطبةً لو شهِدَتْها التُّركُ والدَّيلمُ لأسلَمَتا .

قال : وذكره حسَّانُ بن ثابت فقال :

إذا قال لم يترك مقالاً لقائل ... بملتَقَطاتٍ لا ترى بينها فَضْلا
كفَى وشفَى ما فى النفوس ولم يَدَعْ ... لذى إرْبةٍ فى القولِ جِدًّا ولا هزلا
سموتَ إلى العَليا بغير مَشقّة ... فنلت ذُراها لا دَنِيًّا ولا وَغْلا

---

(١) هو بلال بن أبى بردة بن أبى موسى الأشعرى ، واسم أبى بردة عامر ، واسم أبى موسى عبد الله . كان بلال أمير البصرة وقاضيها ، روى ابن الأنبارى أنه مات فى حبس يوسف بن عمر ، وأنه قتله دهاؤه ، قال للسجان : أعلم يوسفَ أنى قدمتّ ولك ما يغنيك ، فأعلمه فقال : أرنيه ميتا ، فجاء السجان فألقى عليه شيئا غمه حتى مات . توفى سنة نيف وعشرين ومائة . تهذيب التهذيب والمعارف ١٧٤ .

(٢) الدهق ، بالتحريك : خشبتان يغمز بهما الساق ، وهى ضرب من العذاب ، يقال له بالفارسية « اشكنجه » . اللسان ومعجم استينجاس ٦٦ .

(٣) انظر الحيوان (١ : ١٢٣) .

وقال الحسنُ : كان عبدُ الله بنُ عبّاسٍ أوَّلَ من عَرَّف [(١)] بالبصرة ، صعِد المنبر فقرأ البقَرة وآل عمران ، ففسَّرهما حرفاً حرفا ؛ وكان والله مِثَجًّا يَسيل غَرْباً [(٢)] ، وكان يسمَّى البَحر وحَبر قُريش . وقال فيه النبى ﷺ : « اللهُمَّ فقِّهْه فى الدِّين ، وعلِّمْه التأويل » . وقال عمر: « غُصْ غَوَّاصُ » . ونظر إليه يتكلم فقال :

* شِنشِنَةٌ أعرِفها من أخزمِ *

الشعر لأبى أخزَمَ الطائىّ ، وهو جَد أبى حاتم طَيِّء أو جدُّ جدّه ، وكان له ابنٌ يقال له أخزَم ، فمات وترك بنينَ فتوثّبوا يوماً على جدهم أبي أخزمَ فأدمَوْه ، فقال :

إنّ بَنِيَّ رَمَّلونى بالدَّمِ [(٣)]   شِنْشِنة أعرفُها من أخْزَمِ

أى إنّهم أشبَهوا أباهم فى طبيعته وخلُقه . وأحسبه كان به عاقًّا . هكذا ذكر ابنُ الكلبىّ . والشِّنشِنة مثل الطبيعة والسجِيَّة .

فأراد عمرُ رحمه الله إنِّى أعرف فيك مَشابِهَ من أبيك ، فى رأيه وعقله . ويقال إنّه لم يكن لقرشيّ مثلُ رأى العبَّاس . ١٩

ومن خُطباء بنى هاشم أيضاً : داود بن علىّ [(٤)] ، ويكنَى أبا سليمان ، وكان أنطَقَ النّاسِ وأجودَهم ارتجالا واقتضاباً للقول ، ويقال إنّه لم يتقدَّم فى تحبير خطبةٍ قطُّ . وله كلامٌ كثير معروف محفوظ ، فمن ذلك خطبته على أهل مكّة :

---

(١) كذا ضبطت هذه الكلمة فى ل ، هـ ، ب والتعريف هنا بمعنى التعليم .

(٢) سبق الخبر فى ص ٨٥ .

(٣) رمله بالدم : لطخه وضرجه . حـ والتيمورية : « زملونى » تحريف . انظر اللسان (رمل ٣١٤) . وأشير فى هامش هـ إلى رواية « ضرجونى » عن نسخة . وفى أمثال الميدانى : « ضرجونى » قال : « ويروى رملونى ، وهو مثل ضرجونى » . وهذه الرواية الأخيرة هى رواية العقعقة والبررة لأبى عبيدة . نوادر المخطوطات (٢ : ٣٥٨) حيث نسب إلى عقيل بن علفة .

(٤) هو داود بن على بن عبد الله بن العباس . قال ابن قتيبة فى المعارف ١٦٣ عند ذكر عمومة أبى العباس السفاح : فأما داود فكان خطيبا جميلا ، يكنى أبا سليمان ، وولى مكة والمدينة لأبى العباس ، وأدرك من دولتهم ثمانية أشهر . ومات سنة ثلاث وثلاثين ومائة ، وله عقب » .

« شكراً شكراً . أَمَا واللهِ ما خرجْنا لنحتَفِر فيكم نهراً ، ولا لنبنىَ فيكم قصراً (١) . أظَنَّ عدوُّ الله أَنْ لن نَظفَر به أَنْ أُرْخِى له فى زِمَامِه ، حتى عثَر فى فضل خِطَامِهِ . فالآن عاد الأمر فى نِصابه ، وطَلعت الشّمسُ من مطلعِها ، والآنَ أَخذَ القوسَ بارِيها ، وعادت النَّبلُ إلى النَّزَعة (٢) ، ورجع الحقُّ (٣) إلى مستقَرِّه ، فى أهل بيت نبيِّكم : أهلِ بيت الرَّأفة والرحمة » .

ومن خطباء بنى هاشم : عبد الله بن الحسن بن الحسن ، وهو القائل لابنه إبراهيم أو محمد (٤) :

« أى بُنَىَّ ، إنى مؤدٍّ إليك حقَّ الله فى تأديبك ، فإدِّ إلىَّ حقَّ الله فى حسن الاستماع . أى بُنَىَّ ، كُفَّ الأذَى ، وارفُض البَذَا ، واستعِنْ على الكلام بطُول الفكر فى المواطن التى تدعوك نفسُك فيها إلى القول ؛ فإنّ للقول ساعاتٍ يضرُّ فيها الخطأ ، ولا ينفع فيها الصَّواب . واحذَرْ مَشورةَ الجاهل وإن كان ناصحاً ، كما تحذر مشورةَ العاقل إذا كان غاشًّا ؛ يوشك أن يُورِّطَاك بمشورتهما ، فيسبقَ إليك مَكرُ العاقل ، وغَرارة الجاهل » .

قال الحسن بن خليل : كان المأمون قد استثقل سهلَ بن هارون ، فدخل عليه سهلٌ يوماً والنّاسُ عندَه عَلَى منازلهم ، فتكلَّم المأمونُ بكلامٍ فذهَبَ فيه كلَّ مذهب ، فلمَّا فرغ المأمونُ من كلامه أقبل سهلُ بن هارونَ عَلَى على ذلك الجمع فقال :

« ما لَكم تسمعون ولا تَعُون ، وتشاهدون ولا تَفْقَهُونَ (٥) ،وتنظرون ولا تُبصِرون . والله إنّه ليَفعلُ ويقول فى اليوم القَصير مثلَ ما فعل بنو مروان

---

(١) ل : « ولا لنبنى قصرا » .

(٢) كلمة « والآن » فى ل فقط . النزعة : الرماة ، واحدهم نازع .

(٣) هـ : « ورجع الأمر » .

(٤) انظر ما سيأتى فى (٢ : ١٧٤) .

(٥) بعدها فيما عدا ل : « وتفهمون ولا تتعجبون » وأراها مقحمة .

وقالوا فى الدَّهر الطويل . عَرَبُكم كعجمهم ، وعجمكُم كعَبيدهم (١) ، ولكن كيفَ يعرف الدّواءَ مَن لا يشعر بالدَّاء » .

قال : فرجع له المأمون بعد ذلك إلى الرّأى الأوَّل .

ومن خطباء بنى هاشم ثم من ولد جعفر بن سليمان (٢) : سليمان بن جعفر والى مَكّة . قال المكّىّ : سمعتُ مشايخنا من أهل مكّة يقولون : إنّه لم يَرِدْ عليهم أميرٌ منذُ عقَلوا الكلام إلاّ وسليمانُ أبيَنُ منه قاعداً ، وأخطَبُ منه قائماً .

١٩ وكان داودُ بن جعفرٍ إذا خطبَ اسحنْفَرَ فلم يردَّه شئ (٣) ، وكان فى لسانه شبيهٌ بالرُّتَّة (٤) .

وكان أيّوبُ (٥) فوقَ داودَ (٦) فى الكلام والبيان ، ولم تكن له مقاماتُ داودَ فى الخُطَب .

وقال إسحاق بن عيسى (٧) لداودَ بنِ جعفر : بلغنى أنّ معاوية قال للنخّار بن أوس : ابْغِنِى محدِّثا (٨) قال : ومعى يا أمير المؤمنين تَريد محدِّثا ؟ قال : نعم ، أستريح منك إليه ، ومنه إليك ، وأنا لا أستريح إلى غير حديثك ، ولا يكون صمتُك فى حالٍ من الحالات أوفَقَ لى من كلامك .

---

(١) ل : « عربكم كعجمكم وعجمكم كعبيدكم » .

(٢) جعفر بن سليمان بن على بن عبد الله بن العباس ، ويكنى أبا عبد الله . انظر ٣٢١ .

(٣) اسحنفر الخطيب : اتسع فى كلامه ومضى .

(٤) الرتة ، كقوة : العجمة والحكلة فى الكلام .

(٥) هو أيوب بن جعفر ، سبقت ترجمته فى ٩١ ، ١٠٦ .

(٦) ل : « قرين داود » لعلها « فويق داود » .

(٧) إسحاق بن عيسى بن أبى جعفر المنصور . وقد سبق فى ٣٠٢ . ما عدا ل : « عيسى بن إسحاق » تحريف .

(٨) يقال ابغنى ، بهمزة الوصل من الثلاثى ، أى اطلبه لى ، ومثله ابغ لى . ويقال أيضا « أبغنى » بالقطع من الرباعى ، أى أعنى على بغائه وأطلبه معى .

وكان إسماعيل بن جعفر ، من أرقّ [١] الناس لساناً وأحسنِهم بيانا .

ومن خطباء بنى هاشم : جعفر بن حسن بن الحسن بن على ، وكان أحَدَ من ينازع زيداً فى الوصية ، فكان النّاس يجتمعون ليسمعوا مجاوباتِهما فقط .

وجماعةٌ من ولد العبّاس فى عصرٍ واحد ، لم يكن لهم نُظَراءُ فى أصالة الرأى وفى الكمال والجلالة ، وفى العلم بقريشٍ والدّولة ، وبرجال الدّعوة ، مع البيان العجيب ، والغَور البَعيد ، والنفوس الشريفة ، والأقدار الرفيعة ؛ وكانوا فوقَ الخطباء ، وفوق أصحاب الأخبار ؛ وكانوا يَجِلُّون عن هذه الأسماء إلا أن يصِفَ الواصفُ بعضَهم ببعضٍ ذلك .

منهم عبد الملك بن صالح [٢] . قال : وسأله الرَّشيدُ وسليمانُ بن أبى جعفرٍ وعيسى بن جعفرٍ شاهدان ، فقال له : كيف رأيتَ أرضَ كذا وكذا ؟ قال : « مَسافِى رِيح ، ومنابت شِيح » . قال : فأرضَ كذا وكذا . قال : « هضابٌ حُمْر ، وبِراث عُفْر » . قال : حتَّى أتى على جميع ما أراد . قال : فقال عيسى لسليمان : والله ما ينبغى لنا أن نَرضى لأنفسنا بالدُّون من الكلام .

الهَضْبة : الجبل يَنبسط على الأرض ، وجمعها هَضْبٌ [٣]. والبِرَاثُ : الأماكن الليِّنة السهلة ، واحدها بَرْثٌ . وقوله عُفرٌ ، أى حمرتُها كحمرة التُّراب . والظبى الأعفر : الأحمر ؛ لأنّ حمرتَه كذلك : والعَفَر والعَفْر : التُّراب ؛ ومنه قيل : ضَربه حَتَّى عفَّره ، أى ألحقه بالتُّراب .

---

(١) فيما عدا ل ، هـ : « أدق » بالدال .

(٢) هو عبد الملك بن صالح بن على بن عبد الله بن العباس ، ولى الموصل للهادى سنه ١٦٧ وعزله الرشيد ١٧١ ثم ولاه المدينة ، وبلغه أنه يطلب الخلافة ، فحبسه ببغداد سنة ١٨٧ . ولما مات الرشيد أطلقه الأمين وولاه الشام والجزيرة سنة ١٩٣ فأقام بالرقة إلى أن توفى سنة ١٩٦ . فوات الوفيات (٢ : ١٢) وتاريخ الطبرى فى السنوات المذكورة .

(٣) فيما عدا ل : « هضاب » ، وكلاهما جمع هضبة .

ومن هؤلاء : عبد الله بن صالح ، والعباس بن محمد ، وإسحاق بن عيسى ، وإسحاق بن سليمان ، وأيوب بن جعفر . هؤلاء كانوا أعلَمَ بقريش وبالدّولة وبرجال الدعوة ، من المعروفين برواية الأخبار .

وكان إبراهيم بن السِّنْدِىّ [(١)] يحدّثنى عن هؤلاء بشىءٍ هو خلافُ ما فى كتب الهيثم بن عدىّ وابنِ الكلبىّ . وإذا سمعتَه علمتَ أنّه ليس من المؤلَّف المزوَّر [(٢)].

وكان عبد الله بن علىّ ، وداود بن علىّ يُعدَلان بأُمَّةٍ من الأمم .

ومن مواليهم : إبراهيم ونصر ابنا السّندىّ .

فأمّا نصرٌ فكان صاحبَ أخبارٍ وأحاديثَ ، وكان لا يعدو حديثَ ابنِ الكلبىّ والهيثمِ بن عدى .

وأمّا إبراهيم فإنّه كان رجلاً لا نظير له : كان خطيباً ، وكان ناسباً ، وكان فقيهاً ، وكان نحوياً عَروضياً ، وحافظاً للحديث ، راويةً للشعر شاعراً ، وكان فَخمَ الألفاظ شريفَ المعانى ، وكان كاتب القَلَم كاتب العمَل ، وكان يتكلم بكلام رؤبة [(٣)] ، ويعمل فى الخَراج بعمل زَاذَانَ فَرُّوخَ الأعور [(٤)]، وكان منجِّماً طبيباً ، وكان من رؤساء المتكلِّمين ، وعالماً بالدولة وبرجال الدَّعوة ؛ وكان أحفَظَ الناس لما سَمِع ، وأقلَّهم نوماً وأصبَرَهم عَلَى السَّهر .

---

(١) سبقت ترجمته فى ص ١٤١ .

(٢) زور الكلام : قومه وأتقنه قبل أن يتكلم به .

(٣) ل : « بلسان رؤبة » .

(٤) زاذان فروخ ، كان دهقانا من الدهاقين القائمين على أمر الخراج فى أيام عبيد الله بن زياد حين ولايته البصرة . انظر الطبرى (٧ : ٢٠٩) . ويبدو أنه امتد به الأمر فى ذلك إلى زمان الحجاج . الطبرى (٧ : ٢٧١) ، وانظر كذلك (٦ : ٧٦) .

ومن خطباء تميم : جَحْدَب [١] . وكان خطيبا راوية ، وكان قضى على جريرٍ فى بعض مذاهبه ، فقال جرير :

قَبَح الإله ولا يقبِّح غيرَه بَظْراً تَفلّق عن مفارق جَحدبِ

وهو الذى كان لقيه خالدُ بن سلمة المخزومىُّ الخطيب الناسب ، فقال : والله ما أنتَ من حنظلةَ الأكرمِين ، ولا سعدِ الأكثرين ، ولا عمرٍو الأشَدِّين ، وما فى تميمٍ خيرٌ بعد هؤلاء . فقال له جَحْدَب : والله إنّك لمن قريش ، وما أنت من بيتها ولا نُبُوَّتها ، ولا من شُورَاها وخلافتها ، ولا من أهل سِدَانَتِها وسِقَايتها .

وهو شبيهٌ بما قال خالدُ بن صفوان ، للعبدرىّ [٢] ؛ فإنه قال له : « هَشَمتك هاشم ، وأَمَّتْك أُمَيّة ، وخزمتْك مخزوم ، وأنت من عَبد دارها ، ومنتهى عارِها ، تَفتح لها الأبواب إذا أقبلَتْ ، وتُغلقها إذا أدبرت » .

* * *

ومِن ولَد المنذر : عبدُ الله بن شُبرُمة بن طُفيل [٣] بن هُبيرة بن المنذر . وكان فقيهاً عالما قاضياً ، وكان راويةً شاعراً ، وكان خطيباً ناسبا ، وكان لاجتماع هذه الخِصال فيه يُشبَّه بعامرٍ الشّعبىّ ، وكان يُكْنى أبا شُبرُمة . وقال يحيى بن نوفلٍ [٤] فيه :

---

(١) جحدب ، ذكره ابن دريد فى الاشتقاق ١١٥ . وقال : « وكان لجحدب بالكوفة قدر » ، وذكر أنه كان شاعراً ، هو والتيم السرندى ، وعَلقة ، كانوا يجتمعون على هجاء جرير ، فهجاهم هو جميعا بقوله :

عض السرندى على تفليل ناجذِه من أم علقة بظرا عمه الشعر
وعض عَلقة لا يألو بعرعرة من بظر أم السرندى وهو منتصر

(٢) العبدرى : رجل منسوب إلى عبد الدار بن قصى .

(٣) تقدمت ترجمته فى ٩٨ وفى نسبه خلاف .

(٤) يحيى بن نوفل : شاعر من شعراء الدولة الأموية ، ذكره الجاحظ فى مواضع كثيرة من الحيوان والبيان .

لما سألتُ النّاسَ أين المَكرُمَهْ   والعِزُّ والجُرثومةُ المُقَدَّمه (١)
وأين فاروقُ الأمورِ المحكَمهْ (٢)   تَتابَعَ النّاسُ على ابن شُبرُمَه

وابن شُبرمة الذى يقول فى ابن أبى ليلى (٣) :

وكيف تُرجَّى لفَصل القضاء   ولم تُصِبِ الحُكم فى نفسكا (٤)
وتَزعُم أنّك لابن الجُلَاح   وهيهات دعواكَ مِن أصلكا (٥)

قال : وقال رجلٌ من فقهاء المدينَة : مِن عندنا خرجَ العلم . قال : فقال ابن شبرمة : نَعم ثم لم يَرجعْ إليكم .

قال : وقال عيسى بن موسى (٦) : دُلُّونى على رجلٍ أولِّيه مكانَ كذا وكذا . فقال ابن شبرمة : أصلح الله الأمير ، هل لك فى رجلٍ إنْ دعوتموه أجابكم ، وإن تركتموهُ لم يأتِكم ؛ ليس بالمُلِحِّ طلباً ، ولا بالمُمْعِن هربا (٧) ؟

وسُئِل عن رجلٍ ، فقال : إنَّ له شرَفاً وبيتا وقَدَما (٨) . فنظروا فإذا هو ساقط من السِّفلة . فقيل له فى ذلك ، فقال : ما كذبتُ ، شرَفه أُذُناه ، وقدمُه التى يمشى عليها ، ولا بدَّ من أن يكون له بيتٌ يأوى إليه .

---

(١) الجرثومة : الأصل . والرجز فى الحيوان (٣ : ٤٩٤) بدون نسبة . ونسب فى أمالى الزجاجى ١٠٠ إلى رؤبة بن العجاج .

(٢) الفاروق : الذى يفرق ويفصل . ب فقط : « فارق » .

(٣) ابن أبى ليلى ، هو محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى ، واسم أبى ليلى يسار . ولى محمد القضاء لبنى أمية ثم لبنى العباس ، وكان فقيها مفتيا بالرأى . انظر أصحاب الرأى فى المعارف ٢١٧ .

(٤) البيتان فى المعارف ٢١٦ وفهرست ابن النديم ٢٨٥ .

(٥) ابن الجلاح ، هو أحيحة بن الجلاح . وفى المعارف : « وهو من ولد أحيحة بن الجلاح ، وكان ابن شبرمة القاضى وغيره يدفعونه عن ذلك » .

(٦) هو عيسى بن موسى بن محمد بن عبد الله بن العباس ، أحد ولاة العباسيين وقوادهم . وموسى أبوه هو أخو السفاح والمنصور . انظر المعارف ١٦٥ .

(٧) ل : « بالممتنع هربا » ، صوابه فى سائر النسخ .

(٨) القدم : التقدم والمنزلة الرفيعة .

قال أبو إسحاق [١] : قد لعمرى كَذَب [٢] ، إنما هو كقول القائل حين سأله بعضُ من أراد تزويج حُرمته عن رجل ، فقال : « هو يبيع الدّوابّ » . فلما نظروا فى أمره وجدوه يبيع السنانير ، فلما سئل عن ذلك قال : ما كذبتُ ؛ لأنّ السِّنّور دابّة .

قال أبو إسحاق : بل لعمرى لقد كذب ، هذا مثل قول القائل حين سُئِل عن رجلٍ فى تزويج امرأة فقال : « رزين المجلس ، نافذ الطّعنة » . فحسِبوه سيِّداً فارسا ، فنظروا فوجدوه خَيَّاطا ! فسئل عن ذلك فقال : ما كذبت ؛ إنّه لَطَوِيلُ الجلوس ، جيِّد الطعن بالإبرة .

قال أبو إسحاق : بل لعمرى لقد كذب ؛ لأنه قد غرّهم منه .

وكذلك لو سأله رجل عن رجل يريد أن يُسْلفه مالاً عظيما ، فقال : « هو يملك مالاً ما كان يبيعه بمائة ألف ومائة ألف » ، فلمّا بايعه الرجل وجده مُعْدِما ضعيف الحيلة ، فلما قيل له فى ذلك قال : ما كذبت ؛ لأنه يملك عينيه وأذنيه وأنفه وشفتيه ويديه [٣] . حتى عدَّ جميع أعضائه وجوارحه .

ومَن قال للمستشير هذا القولَ فقد غرّه ، وذلك مالا يحلُّ فى دين ، ولا يحسُن فى الحُرِّيّة [٤] . وهذا القول معصيةٌ لله ، والمعصيةُ لا تكون صِدقا . وأدنَى منازلِ هذا الخبرِ أن لا يُسمَّى صدقا ، فأمَّا التسمية له بالكذب فإن فيها كلاماً يطول .

* * *

---

(١) أبو إسحاق ، هو إبراهيم بن سيار النظام البصرى ، شيخ الجاحظ وأحد رءوس المعتزلة ، وإليه تنسب الفرقة النظامية . توفى فى خلافة المعتصم سنة بضع وعشرين ومائتين.انظر آراءه فى الملل (١ : ١٧) والمواقف ٦٢١ والفرق بين الفرق ١١٣ .

(٢) ما عدا ل : « بل كذبت » موضع : « قد لعمرى كذب » . لكن فى هـ : « بل كذب » .

(٣) هذه الكلمة ساقطة مما عدا ل .

(٤) ل : « حرية » . والحرية: مصدر صناعى ، أى كون الإنسان حرا .

ومن الخطباء المشهورين فى العوامّ ، والمقدَّمين فى الخواص : خالد بن صفوان الأهتمىّ (١) ، زعموا جميعاً أنه كان عند أبى العباس أمير المؤمنين (٢) ، وكان من سُمّارِه وأهل المنزلة عنده ، ففخَر عليه ناسٌ من بَلْحارِث بن كعب ، وأكثروا فى القول ، فقال أبو العباس : لِمَ لا تتكلّم يا خالد ؟ فقال : أخوال أمير المؤمنين وأهلُه (٣) . قال : فأنتم أعمامُ أمير المؤمنين وعصَبَتُه فقُلْ (٤) . قال خالد : « وما عَسى أن أقولَ لقومٍ كانوا بين ناسِجِ بُردٍ ، ودابغ جِلدٍ ، وسائِس قرد ، وراكب عَرْدٍ (٥) ؛ دلَّ عليهم هُدهدٌ ، وغرَّقتهم فأرة ، ومَلَكتهم امرأة » . فلئن كان خالدٌ قد فكَّر وتدبَّر هذا الكلامَ إنه للرَّاويةُ الحافظ ، والمؤلِّف المُجيد ؛ ولئن كان هذا شيئاً حَضَرَه حين حُرِّك وبُسِط فما لَهُ نظيرٌ فى الدنيا .

فتأمَّلْ هذا الكلامَ فإنك ستجده مليحاً مقبولا ، وعظيمَ القَدْر جليلا . ولو خَطب اليمانىُّ بلسان سحبانِ وائل حَوْلاً كَرِيتا (٦) ، ثمَّ صُكَّ بهذه الفِقرة ما قامت له قائمة .

وكان أذكَرَ النَّاس لأوّل كلامه ، وأحفظَهم لكلّ شىء سَلَف من منطقه . وقال مكّىّ بنُ سَوادةَ (٧) فى صفته له :

---

(١) سبقت ترجمته فى ص ٢٤ . ونسبته إلى جده : « الاهتم » .

(٢) هو أبو العباس عبد الله بن محمد الملقب بالسفاح ، أول خلفاء الدولة العباسية ، المتوفى سنة ١٣٦ وله ثلاث وثلاثون سنة . وفى المعارف ١٧٧ فى ترجمة خالد بن صفوان أنه عمر إلى أن حادث أبا العباس . وانظر الحيوان (٢ : ١٧٠) .

(٣) ذلك أن أم السفاح ، واسمها ريطة ، من بنى الحارث بن كعب . انظر التنبيه والإشراف ٢٩١ . فيما عدا ل : « وعصبته » ، تحريف ؛ إذ عصَبة الرجل بنوه وقرابته لأبيه .

(٤) هذه الكلمة ساقطة مما عدا ل .

(٥) العرد ، بالفتح : الحمار ، ذكره فى القاموس ولم يرد فى اللسان . والخبر فى الحيوان (٦ : ١٥٢) وذكر فيه أن الخليفة هو المهدى . والمهدى هو ابن أبى جعفر المنصور أخى السفاح ، وكنية المهدى « أبو عبد الله » . وما فى معجم البلدان (٨ : ٥٢٤) يطابق ما فى البيان . وذكر ياقوت أن اليمانى الذى فخر على خالد هو إبراهيم بن مخرمة .

(٦) حول كريت : تام .

(٧) سبقت ترجمته فى ص ٣ .

عليمٌ بتنزيل الكلام ملقَّنٌ   ذكورٌ لما سَدَّاه أوّلَ أوّلا [١]

يبذّ قَريعَ القوم فى كلّ مَحْفِلٍ   وإن كان سحبانَ الخطيبَ ودَغفلا [٢]

ترى خُطباءَ النّاس يوم ارتجاله   كأنّهم الكِرْوانُ عايَنَّ أجْدَلا

الكِرْوان : جمع كَرَوان ، وهو ذكر الحُبارَى . والأجدل : الصَّقْر .

وكان يقارض شبيب بنَ شيبة [٣] ؛ لاجتماعهما على القرابة والمجاورة والصِّناعة ، فذكِر شبيبٌ مرَّةً عنده فقال : « ليس له صديق فى السِّرّ ، ولا عدُوٌّ فى العلانية [٤] ».وهذا [٥] كلامٌ ليس يعرِف قدْرَه إلّا الرّاسخون فى هذه الصناعة. ٠٢

وكان خالدٌ جميلا ولم يكُنْ بالطّويل ، فقالت له امرأتُه [٦] : إنّك لجميلٌ يا أبا صفوان . قال : وكيف تقولين هذا وما فىَّ عمود الجمال ولا رداؤه ولا بُرنُسه . فقيل له : ما عَمود الجمال ؟ فقال : الطُّول ، ولستُ بطويل ؛ ورداؤه البياض ، ولست بأبيض ؛ وبرنسه سواد الشّعر ، وأنا اشمط ؛ ولكن قُولى : إنّك لمليح ظريف .

وخالدٌ يعد فى الصُّلْعان ، ولكلام خالدٍ كتابٌ يدور فى أيدى الورّاقين [٧].

* * *

وكان الأزهر بن عبد الحارث بن ضِرار بن عمرٍو الضبىّ [٨] ، عالما ناسبا .

---

(١) سدّاه ، أى نسجه . وفى اللسان : « وإذا نسج إنسان كلاما أو أمرا بين قوم قيل سدّى بينهم » .

(٢) يبذ : يغلب ويسبق .والقريع : السيد والرئيس .

(٣) يقارضه : من المقارضة ، وهى التجازى بالخير والشر .

(٤) الخبر فى الحيوان (٥ : ٥٩٢) وعيون الأخبار (٣ : ٧٣) وسبق فى ص ٤٧ .

(٥) ل ، هـ والتيمورية : « وها هنا » .

(٦) فيما عدا ل : « امرأة » . والخبر بصورة أخرى فى تثقيف اللسان .

(٧) للمدائنى كتاب فى خالد بن صفوان ، ولعبد العزيز الجلودى كتاب فى أخبار خالد بن صفوان . انظر ابن النديم ١٥١ - ١٦٧ .

(٨) سبقت ترجمته جده ضرار بن عمرو فى ص ٢١ .

ومن خطباء بنى ضَبّة : حنظلة بن ضِرار [١] ، وقد أدرك الإسلام وطال عُمره حتّى أدرَكَ يومَ الجمل ، وقيل له : ما بَقِىَ منك ؟ قال : « أذكر القَديم وأنسَى الحديث ، وآرَقُ باللّيل ، وأنامُ وسْطَ القوم » .

ومن خطباء بنى ضبة وعلمائهم : مَثجُور بن غَيْلان بن خَرَشَة [٢] ، وكان مقدَّما فى المنطق ، وهو الذى كتب إلى الحجاج : « إنّهم قد عَرَضوا علىّ الذَّهبَ والفِضّة ، فما ترى أن آخُذَ ؟ » قال : « أرى أن تأخذ الذّهَب » . فذهب عنه هاربا ثم قتله بَعدُ . وذكره القُلاخُ بن حَزنٍ المِنْقَرِى [٣] فقال :

أمْثالُ مَثجورٍ قليـلٌ ومِثلُه　　فَتى الصِّدق إن صَفّقته كل مَصْفَقِ [٤]
وما كنتُ أشرِيه بدُنْيا عريضةٍ　　ولا بابنِ خال بين غربٍ ومَشرقِ [٥]
إذا قال بَذّ القائلين مقالُهُ　　ويأخُذُ من أكفائِهِ بالمُخَنَّقِ

* * *

ومن الخطباء الخوارج ، قَطَرِىُّ بنُ الفُجاءةِ [٦] ، وله خطبةٌ طويلة

---

(١) ترجم له ابن حجر فى الإصابة ٢٠٠٣ ونقل بعض كلام الجاحظ .

(٢) فى القاموس (ثجر) : « ومثجور بن غيلان مهجو جرير » . انظر ديوان جرير ٢٣٢ . وذكره الجاحظ فى الحيوان (٣ : ٢١٠) فى العلماء بالنسب . وذكره ابن دريد فى الاشتقاق ١٢٠ ، كما ذكر أباه غيلان بن خرشة الذى يقول فيه : « كان سيد بنى ضبة بالبصرة » .

(٣) فى الاشتقاق ١٥٣ : « والقلاخ من القلخ ، وهو أن يردد الفحل صوته فى جوفه » . وهو القلاخ بن حزن من جناب بن منقر ، وهو معدود من الرجاز . انظر المؤتلف ١٦٨ والاشتقاق ١٥٣ .

(٤) هو من قولهم : صفقت الريح الشىء وصفقته ، بالتخفيف والتشديد ، إذا قلبته يمينا وشمالا .

(٥) أشريه ، أى أبيعه ، والشراء من الأضداد .

(٦) قطرى بن الفجاءة ، واسم الفجاءة جعونة بن مازن المازنى . كان قطرى زعيما من الخوارج ، خرج زمن مصعب بن الزبير لما ولى العراق نيابة عن أخيه عبد الله بن الزبير . وكانت ولاية مصعب سنة ٦٦ فبقى قطرى عشرين سنة يقاتل ويسلم عليه بالخلافة ، وكان الحجاج يسيّر إليه جيشا بعد جيش وهو يستظهر عليهم . وقطرى ليس باسم له ، ولكنه نسبة إلى بلده ، وهو بين البحرين وعمان . وفيات الأعيان .

مشهورة (١) ، وكلامٌ كثير محفوظ ، وكانت له كنيتان : كنية فى السِّلم ، وهى أبو محمد ؛ وكنيةٌ فى الحرب ، وهى أبو نعامة .

وكانت كنية عامر بن الطُّفَيل فى الحرب غير كُنيته فى السلم : كان يكنى فى الحرب بأبى عَقيل ، وفى السِّلم بأبى علىّ .

وكان يَزيد بنُ مَزْيد (٢) يُكَنى فى السِّلم بأبى خالد ، وفى الحرب بأبى الزُّبير . وقال مُسلم بن الوليد الأنصارىّ :

لولا سيوفُ أبى الزبير وخيلُه ... نشرَ الوليد بسيفه الضَّحّاكا (٣)

وفيه يقول :

لولا يزيدُ وأيامٌ لهُ سلفت ... عاشَ الوليد مع العاوين أعواما (٤)
سَلّ الخليفةُ سيفاً من بنى مَطَرٍ ... يَمضِى فيَخترق الأجسامَ والهاما (٥)
إذا الخِلافَةُ عُدَّتْ كنتَ أنت لها ... عِزاً وكانَ بنو العباس حُكّاما

ألا تراه قد ذكَر قَتْلَ الوليد !

وقد كان خالدُ بن يزيدَ (٦) اكتنى بها فى الحرب ، فى بعض أيّامه بمصر .

---

(١) ستأتى خطبته فى (٢ : ١٢٦) .

(٢) يزيد من مزيد بن زائدة بن عبد الله بن زائدة بن مطر الشيبانى ، وهو ابن أخى معن بن زائدة . أمير شجاع ، ندبه هارون لقتال الوليد بن طريف الشيبانى الشارى الخارجى ، فقتله وعاد إلى أرمينية حيث كان واليا عليها . توفى سنة ١٨٥ . ابن خلكان

(٣) الوليد هو الوليد بن طريف الشارى . خرج على الرشيد سنة ١٧٨ وقتله يزيد بن مزيد سنة ١٧٩ . والضحاك ، هنا ، هو الضحاك بن قيس الشيبانى ، أحد زعماء الخوارج الشجعان ، سار إلى العراق واستولى على الكوفة سنة ١٢٧ وبلغ جيشه مائة وعشرين ألفاً وبايعه عبد الله بن عمر بن عبد العزيز ، وسليمان بن هشام بن عبد الملك ، وصليا خلفه . انظر ما سيأتى فى كلام الجاحظ . وقتل أيام مروان بن محمد سنة ١٢٨ . الطبرى (٩ : ٧٥ - ٧٧) .

(٤) فيما عدا ل : « ومقدار له سبب » وهى رواية ابن خلكان (٢ : ٢٨٤) . فيما عدا ل : « مع الغاوين » ، ولعل صوابهما « مع العامِين » كما هو عند ابن خلكان ؛ فإن الوليد ظل عامين محاربا ، كما سبق القول .

(٥) فيما عدا ل : « يخترق الأرواح » .

(٦) يعنى خالد بن يزيد بن مزيد بن زائدة الشيبانى .

وهذا البابُ مستقصىً مع غيره فى أبواب الكُنَى والأسماء ، وهو واردٌ عليكم إن شاء الله .

ومن خطباء الخوارج : ابن صُدَيقة [١] ، وهو القاسم بن عبد الرحمن ابن صُدَيقة ، وكان صُفْرِياً [٢] ، وكان خطيباً ناسبا ، ويَشُوب ذلك [٣] ببعض الظَّرف والهَزل .

ومن علماء الخوارج : شُبَيْل بن عَزْرَة الصبَعىّ [٤] ، صاحب الغريب . وكانَ راوِيةً خطيبا ، وشاعرا ناسبا ، وكان سبعين سنةً رافِضيّا ثم انتقل خارِجياً صُفْرِياً .

ومن علماء الخوراج : الضَّحّاك بن قيس الشَّيبانى ، ويكنى أبا سَعيد ، وهو الذى مَلكَ العراق ، وسار فى خمسين ألفاً ، وبايعه عبد الله بن عمر بن عبد العزيز ، وسليمان بن هشام ، وصَلَّيا خلفه ، وقال شاعرهم [٥] :

ألم تَرَ أنَّ الله أظهر دينه ... وصَلّت قريشٌ خلَف بكر بن وائل

* * *

---

(١) كذا ضبط فى ل ، هـ .

(٢) الصفرية : طائفة من الخوارج ، وهم أصحاب زياد بن الأصفر ، ويقال لهم الزيادية أيضا ، وقولهم كقول الأزارقة فى أن أصحاب الذنوب مشركون ، غير أن الصفرية لايرون قتل أطفال مخالفيهم ونسائهم وهم يرون ذلك . انظر آراءهم فى الملل (١ : ١٨٣) والفرق ٧٠ والسمعانى ٣٥٤ والمواقف ٦٣٠ ومفاتيح العلوم ١٩ والكامل ٦٠٤ ليبسك .

(٣) فيما عدا ل : « ويشوبه » .

(٤) قال ابن دريد فى الاشتقاق ١٩٣ : « شبيل بن عزرة العلامة ، كان فصيحا عالما شريفا ، مات بالبصرة ، وأدرك دولة بنى العباس ، وكان يرى رأى الخوارج » . وذكره فى الفهرست ٦٨ قال : « من خطباء الخوارج وعلمائهم ، وهو صاحب قصيدة الغريب ، وكان أولا رافضا نحو سبعين ، ثم انتقل إلى الشراة وقال :

برئت من الروافض فى القيامه ... وفى دار المقامة والسلامه » .

وشبيل بهيئة التصغير ، وعزرة بفتح العين . انظر التهذيب وتقريب التهذيب .

(٥) هو شبيل بن عزرة الضبعى . الطبرى (٩ : ٦٤) . وانظر ما سيأتى فى (٣ : ٢٦٥) .

وكان ابن عطاء الليثى يسامر الرشيد ، وكان صاحبَ أخبار وأسمار [١] وعلمٍ بالأنساب ، وكان أظْرَفَ الناس وأحلاهم .

وكان عبد العزيز بن عبد الله بن عامر بن كُرَيْز [٢] ، روايةً ناسبا ، وعالما بالعربيّةِ فصيحا .

وكان عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر [٣] مِن أبْيَن النَّاس وأفصحِهم . وكان مَسلَمة بن عبد الملك [٤] يقول : إنِّى لأُنحِّى كَورَ العِمامة عن أُذُنِى لأسمعَ كلام عبدِ الأعلى .

وكانوا يقولون : أشبه قريشٍ نَغْمَةً وجهارة بعمرو بن سَعيد [٥] ، عبدُ الأعلى بن عبد الله بن عامر [٦] .

قال : وقال بعضُ الأمراء — وأظنُّه بلالَ بنَ أبى بُردة — لأبى نوفلٍ الجارودِ بن أبى سَبْرة [٧] : ماذا تصنعون عند عبد الأعلى إذا كنتم عِنده ؟ قال : يشاهدنا بأحسن استماع ، وأطْيَب حديث [٨] ، ثم يأتى الطبّاخ فيمثُل بين
٤ ٠ يدَيه [٩] فيقول : ما عندك ؟ فيقول : عندِى لونٌ كذا وجدىٌ كذا ، ودَجاجةٌ كذا ، ومن الحلواءِ كذا . قال : ولِمَ يَسأل عن ذلك ؟ قال : ليُقْصِرَ كلُّ رجلٍ عمّا لا يشتهى ، حتّى يأتيَه ما يشتهى . ثمَّ يأتون بالخُِوان فيتضايق ونَتّسع ، ويقصِّر

---

(١) أصل السمر الحديث ليلا ، ولكنه يراد به فى مثل هذا الموضع حديث الخرافة ، وقد جعل ابن النديم الخرافة والسمر مترادفين فى الفهرست (المقالة الثامنة) . وانظر الحيوان (٣ : ٢١٢) .

(٢) سبقت ترجمة والده فى ٣١٨ .

(٣) هو عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر بن كريز ، أبو عبد الرحمن البصرى . وكان مشهوراً بالجود . تهذيب التهذيب .

(٤) سبقت ترجمته فى ص ٢٩٢ .

(٥) مضت ترجمته فى ص ٣١٤ . (٦) هذه الفقرة من ل ، هـ فقط .

(٧) ترجم فى ص ٣٢٩ . (٨) فيما عدا ل : « وأحسن حديث » .

(٩) فيما عدا ل : « بين عينيه » . وانظر العقد (٦ : ٢٩٤ — ٢٩٥) .

ونجتهد ، فإذا شبعنا خَوَّى تخوية الظَّليم [١] ، ثم أقبَلَ يأكل أكْلَ الجائع المقرور . قال : والجارود هو الذى قال : « سوءُ الخُلق يُفسِد العمل ، كما يفسد الخَلُّ العسل » . وهو الذى قال : « عليكم بالمِرْبَد [٢] ؛ فإنه يطرد الفِكَر ، ويجلو البَصَر ، ويجلب الخَبَر ، ويجمع بين ربيعة ومُضَر » .

قال : وصعِد عثمانُ المنبرَ فأُرتِجَ عليه ، فقال : « إنَ أبا بكرٍ وعُمر كانا يُعِدَّان لهذا المقامِ مقالا ، وأنتم إلى إمامٍ عادلٍ أحوَجُ منكم إلى إمامٍ خطيب ، وستأتيكم الخُطَب [٣] على وجهها ، وتعلمون إن شاء الله » .

قال : وشخص يزيدُ عُمَرَ بنِ هبيرةَ إلى هشام بن عبد الملك فتكلمَ ، فقال هشام : ما مات مَن خَلّف هذا . فقال الأبرش الكلبىّ [٤] : ليس هناك ، أمَا تراه يَرشَح جبينُه لِضِيق صدرِه ! قال يزيد : ما لذلك رَشَح ولكنْ لجلوسك فى هذا الموضع .

وكان الأبرشُ ثَلّابة نسَّابة ، وكان مصاحبا لهشامِ بن عبد الملك ، فلمَّا أفضت إليه الخلافةُ سجَدَ وسجد من كان عنده من جُلسائه ، والأبرش شاهدٌ لم يسجُد . فقال له : ما مَنَعكَ أن تسجُدَ يا أبرش ؟ قال : ولِمَ أسجُدُ وأنت اليومَ معى ماشياً ، وغداً فوقى طائرا . قال : فإن طرتُ بك معى ؟ قال : أتُراك فاعلا ؟ قال : نَعَم . قال : فالآنَ طاب السُّجود [٥] .

قال : ودخل يزيدُ بن عمر [٦] على المنصور وهو يومئذ أميرٌ ، فقال : « يأيُّها

---

(١) الظليم : ذكر النعام . والتخوية : أن يفرج ما بين عضديه وجنبيه . وهى من الطائر أن يرسل جناحيه .

(٢) المربد : سوق من أسواق العرب ، بالقرب من البصرة .

(٣) هـ : « الخطبة » .

(٤) اسمه الأبرش بن حسان كما سيأتى فى (٢ : ١٣٩) . وكان ذا منزلة عند هشام . يروى أبو الفرج فى (٢ : ١١٧) أنه حج مع هشام فكان عديله فى محمله .

(٥) فيما عدا ل : « فالآن » .

(٦) هو يزيد بن عمر بن هبيرة المترجم فى ١٩٩ .

الأمير ، إنّ عهدَ الله لا يُنكَث ، وعَقدَه لا يُحلُّ ، وإنّ إمارتَكم بكرٌ فأذيقُوا الناسَ حلاوتَها ، وجنِّبوهم مرارتها » .

قال سهلُ بن هارون : دخل قُطربٌ النحويُّ على المخلوع (١) فقال : يا أمير المؤمنين ، كانت عِدَتُك أرفَعَ من جائزتك – وهو يتبسّم – قال سهل : فاغتاظ الفضلُ بن الربيع ، فقلت له : إن هذا من الحَصَر والضّعف ، وليس هذا من الجلَد والقوة . أما تراه يَفْتِل أصابعَه ، ويرشَح جبينُه .

قال : وقال عبدُ الملك لخالد بن سلَمة المخزوميّ (٢) : مَن أخطَبُ الناس ؟ قال : أنا . قال : ثمّ من ؟ قال : سيّد جُذَام – يعنى رَوْح بن زِنباع (٣) ٥٠
– قال : ثم من ؟ قال : أُخَيفِش ثَقيف – يعنى الحَجّاج – قال : ثم من ؟ قال : أمير المؤمنين . قال : ويحكَ ، جعلتَنى رابع أربعةٍ . قال : نَعَم ، هو ما سمعت .

ومن خطباء الخوارج وعُلمائهم ورؤسائهم فى الفُتْيا ، وشعرائهم ، ورؤساء قَعَدِهم (٤) : عِمران بن حِطّان (٥) . ومن علمائهم وشعرائهم وخُطبائهم : حَبيبُ بنُ خُدْرَةَ الهلالىّ (٦) ، وعداده فى بنى شيبان .

---

(١) المخلوع ، هو الخليفة محمد الأمين بن هارون . انظر خبر خلعه فى حوادث ١٩٦ من الطبرى وغيره من التواريخ .

(٢) سبقت ترجمته فى ٣٢٨ .

(٣) كان أحد ولاة فلسطين أيام يزيد بن معاوية . الأغانى (١٧ : ١١١) . وذكر الجاحظ فى الحيوان (١ : ٢٢٦) أن عبد الملك زوّجه أم جعفر بنت النعمان بن بشير .

(٤) القعد : الخوارج الذين يرون التحكيم حقا غير أنهم قعدوا عن الخروج على الناس . قال أبو نواس فى الخمر :

فكأنى وما أحسّن منها ... قعدى يزين التحكيما
كل عن حمله السلاح إلى الحـ ... ـرب فأوصى المطيق ألا يقيما

(٥) ترجم فى ص ٤١ .

(٦) ل : « بن جدرة » تصحيف ، صوابه بالخاء المعجمة المضمومة . وفى القاموس: « وحبيب بن خدرة تابعى محدث » .

ومن كان يرى رأى الخوارج : أبو عبيدة النحوىّ مَعْمَر بن المثنَّى ، مولى تيم بن مُرَّة . ولم يكن فى الأرض خارجىٌّ ولا جَماعىٌّ أعلمَ بجميع العلم منه .

ومن كان يرى رأىَ الخوارج : الهيثم بن عدىّ الطائىّ ثم البحترىّ (١).

ومن كان يرى رأى الخوارج : شُعيب بن رِئاب الحنفى ، أبو بكّار ، صاحب أحمد بن أبى خالد ، ومحمد بن حسان السَّكْسَكىّ (٢) .

ومن الخوارج مِن علمائهم ورؤسائهم : مسلم بن كُورِين (٣) ، وكنيته أبو عبيدة وكان إباضيًّا ، ومن علماءِ الصُّفْرية .

ومن كان مَقنعاً فى الأخبار لأصحاب الخوارج والجماعة جميعاً : مُلَيْل (٤) ، وأظنُّه من بنى تغلب (٥) . ومن أهل هذه الصفَة :أصفر بن عبد الرحمن (٦) ، من أخوال طَوق بن مالك .

ومن خطبائهم وفقهائهم وعلمائهم : المُقَعْطِل (٧) ، قاضى عسكر الأزارقة ، أيام قَطَرِىّ .

ومن شعرائهم ورؤسائهم وخطبائهم : عَبيدة بن هلال اليشكرى (٨) .

---

(١) ترجم فى ص ٥٦ . وهو الهيثم بن عدى بن عبد الرحمن بن زيد بن أسيد بن جابر بن عدى ابن خالد بن خيثم بن أبى حارثة بن جدى بن تدول بن (بحتر) بن عتود بن عنين بن سلامان بن ثعل ابن عمرو بن الغوث بن جلهمة ، وهو طيىء .

(٢) نسبة إلى سكسك بن أشرس ، وهو أبو السكاسك من اليمن .

(٣) فيما عدا ل : « كرزين » تحريف ، وكورين بضم الكاف . انظر تاج العروس (كور) . وسيأتى فى (٣ : ٢٦٥) أن مسلم بن كورين كان مولى لعروة بن أذينة .

(٤) هـ : « أصغر » وسيأتى فى (٣ : ٢٦٥) : « ومن علمائهم مليل وأصغر ابنا عبد الرحمن » .

(٥) التيمورية : « ثعلب » ب ، حـ : « ثعلبة » مع أثر تصحيح فيهما .

(٦) انظر الحاشية رقم ٤ هذه الصفحة .

(٧) تقدم ذكره فى ص ٣٨ .

(٨) فى الفرق بين الفرق ٦٦ : « وكان عبيدة بن هلال اليشكرى قد فارق قطريا وانحاز إلى قومس ، فتبعه سفيان بن الأبرد وحاصره فى حصن قومس إلى أن قتله وقتل أتباعه » . وفى الاشتقاق ١٠٧ : « ومنهم عبيدة بن هلال ، كان مع قطرى بن الفجاءة ، ثم ولى بعده أمر الخوارج . وهو الذى يقول فى حصارهم لما حاصرهم سفيان بن الأبرد الكلبى بالرى :

إلى الله أشكو ما نرى من جيادنا ... تساوك هزلى مخهن قليل » .

وانظر ما مضى فى ص ٥٥ .

وكان فى بنى السَّمِين [١] من بنى شيبان [٢] ، خطباءُ العرب ، وكان ذلك فيهم فاشياً ؛ ولذلك قال الأخطل :

فأيْنَ السَّمينُ لا يقومُ خطيبُها وأين ابن ذى الجَدَّينِ لا يتكلمُ [٣]

وقال سُحيم بن حفص [٤] : كان يزيد بن عبد الله بن رؤيم [٥] الشيبانىّ مِن أخطب الناس ، خطب عند يزيد بن الوليد ، فأمَرَ للناس بعطاءين .

ومن الخطباء مَعبد بن طَوقٍ العنبرىّ ، دخل على بعض الأمراء فتكلَّم وهو قائمٌ فأحسن ، فلمَّا جلس تتعتَع فى كلامه [٦] فقال له : ما أظرفَكَ قائما ، وأمْوَقَك قاعداً ! قال : إنى إذا قمت جَدَدت ، وإذا قعدتُ هَزَلت . قال : ما أحسَنَ ماخرجتَ منها .

ومن خطباء عبد القيس : مَصقلة بن رقَبة ، [ورقبة [٧]] بن مَصقْلة ، وكرِب بن رقبة . ٠٦

والعرب تذكر مِن خطب العرب « العجوز » وهى خطبةٌ لآلِ رَقَبة ، ومتَى تكلَّموا فلا بدَّ لهم منها أو من بعضها . و « العذراء » وهى خطبة قيس بن خارجة لأنه كان أبا عُذْرها . و « الشَّوهاء » ، وهى خطبة سحبانِ وائل ، وقيل لها ذلك من حسْنها ، وذلك أنَّه خَطَب بها عند معاوية فلم ينشد شاعرٌ ولم يَخطُبْ خطيبٌ.

---

(١) فى القاموس (سمن) : « وكأمير لقب عبد الله بن عمرو بن ثعلبة ؛ لأنه كان بين أخ وعم وعدد كثير » .

(٢) فيما عدا ل ، هـ : « ومن بنى شيبان » .

(٣) ذو الجدين هو قيس بن مسعود بن قيس بن خالد الشيبانى ، سمى بذلك لأنه كان أسر أسيراً له فداء كثير ، فقال رجل : إنه لذو جد فى الأسر ، أى له حظ ! فقال آخر : إنه لذو جدين . وابنه هو بسطام بن قيس المترجم فى ص ٢١ . انظر جنى الجنتين ١٥٧ .

(٤) ترجم فى ص ٤٠ .

(٥) فيما عدا ل : « رؤبة » .

(٦) تتعتع : تردد من حصر أوعى . فيما عدا ل : « تلهيع » أى أفرط .

(٧) التكملة مما سبق فى ص ٩٧ . وكلمة « بن مصقلة » من ل فقط . ولرقبة بن مصقلة أخبار متفرقة فى الكتاب .

وكان ابن عَمّار الطائىُّ (١) خطيبَ مَذحِجَ كلِّها ، فبلغ النّعمانَ حسنُ حديثه فحمله على منادمته ؛ وكان النعمان أحمر العينين ، أحمر الجِلد ، أحمر الشَّعْر ، وكان شديد العَربدة قَتّالاً للندماء ، فنهاه أبو قُرْدُودةَ الطائىُّ عن منادمته ، فلما قتله رثاه فقال :

إنِّى نهيتُ ابنَ عمّارٍ وقلتُ له ... لا تأمنَنْ أحمرَ العينينِ والشَّعَره (٢)
إنّ الملوكَ مَتَى تنزِلْ بساحَتِهِمْ ... تَطِرْ بنارك مِن نيرانهم شَرَرَه
يا جفنةً كإزاءِ الحَوْضِ قد هدَموا ... ومنطِقاً مثلَ وشى اليَمْنة الحِبَره

قال الأصمعىّ : وهو كقوله :

ومنطِقٍ خُرِّق بالعَواسل (٣) ... لَذٍّ كوَشْى اليُمنْة المَرَاحِلِ (٤)

* * *

قال (٥) : وسأل رسول الله ﷺ عمرو بن الأهتم عن الزِّبرقان بن بدر ، فقال : « إنّه لمانع لحَوْزته ، مطاع فى أدْنَيْهِ » . قال الزِّبرقان : إنّه يا رسول الله لَيعلمُ منِّى أكثَرَ مماّ قال ، ولكنه حَسَدَنى شَرفِى ، فقصَّر بى . قال عَمروٌ : « هو والله زَمِرُ المروءةَ ، ضيِّق العَطَن ، لئيم الخال » . فنظر النبى ﷺ فى عينيه ، فقال : « يا رسول الله ، رضيتُ فقلتُ أحسَنَ ما علمت ، وغضِبْت فقلتُ أقبحَ ما علمت ، وما كذبْتُ فى الأولى ولقد صدقْتُ فى الآخِرة » . فقال رسول الله ﷺ : « إنّ من البيان لسحراً » .

* * *

(١) هو عمرو بن عمار الطائى المترجم فى ٢٢٢ .
(٢) الأبيات سبقت فى ٢٢٣ .
(٣) منطق ، أى صاحب منطق . والعواسل : الرماح اللدنة . وانظر (٢ : ٢٩٢) .
(٤) المراحل : التى نقش فيها تصاوير الرحال ، جمع مرحل ، بالتشديد .
(٥) سبق الخبر برواية أخرى فى ٥٣ .

قال : وتكلَّم رجلٌ فى حاجة عند عمرَ بنِ عبد العزيز ، وكانت حاجتُه فى قضائها مشقّة ، فتكلّم الرجُل بكلامٍ رقيق موجَز ، وتَأَتَّى لها ، فقال عُمر : والله إنّ هذا لَلسِّحرُ الحلال .

* * *

ومن أصحاب الأخبار والآثار أبو بكر بنُ عبد الله بن محمد بن أبى سَبْرة (١) ، وكان القاضىَ قَبْلَ أبى يوسف .

ومن أصحاب الأخبار : أبو هُنَيدة وأبو نَعَامة ، العَدَويّان . ٠٧

ومن الخطباء : أَيُّوب بن القِرِّيَّةِ (٢) ، وهو الذى لما دخل على الحجاج قال له : ما أعددت لهذا الموقف ؟ قال : « ثلاثة حروف (٣) ، كأنّهنّ ركبٌ وقوف : دُنْيا وآخرةٌ ومعروف » ثم قال له فى بعض القَول : « أَقِلْنى عَثرتى ، وأَسِغْنى رِيقى (٤) ؛ فإنه لابُدَّ للجواد من كَبوة ، وللسَّيف من نَبْوة ،وللحليم مِن هفوة » . قال : كَلّا والله حتّى أُورِدَك نارَ جهنّم . أَلستَ القائل برُسْتَقاباد (٥) : تغدَّوْا الجَدْىَ قبل أن يَتعشَّاكم ؟

قال : ومن خطباء غطفان فى الجاهليَّة : خُويلِد بن عَمرٍو ، والعُشَراء (٦)

---

(١) أبو بكر هذا أحد من سمى بكنيته . وذكر ابن حجر فى التهذيب (١٢ : ٢٧) أن اسمه عبد الله ، أو محمد . وجده أبو سبرة صحابى شهد بدرا . وكان أبو بكر يفتى بالمدينة . ثم كتب إليه فقدم بغداد فولى قضاء موسى الهادى بن المهدى وهو ولى عهد . ومات ببغداد سنة ١٦٢ وهو ابن ستين فى خلافة المهدى ، فلما مات استقضى أبو يوسف مكانه . انظر التهذيب والمعارف ٢١٤ ، ٢٥٩ وتاريخ بغداد ٧٦٩٧ .

(٢) ترجمته مضت فى ص ٢٠ .

(٣) ل ، ب : « صروف » صوابها ما أثبت من هـ ، حـ والتيمورية . وقد سبق الخبر فى ص ١١٢ .

(٤) أسغنى ريقى ، أى أمهلنى ولا تعجِلْنى . ل ، حـ : « واسقنى » تحريف .

(٥) يقال أيضا « رستقباذ » وهى من أرض دستوا بفارس .

(٦) فى الاشتقاق ١٧٢ : « ومن بنى مازن بن فزارة بنو العشراء » . ب : « الغشراء » ل : « العشر » ، وأثبت ما فى هـ ، حـ والتيمورية .

ابن جابر بن عقيل بن هلال بن سُمَىّ بن مازن بن فزارة . وخويلدٌ خطيب يوم الفِجار .

ومن أصحاب الأخبار والنسب والخطب [١] وأهل البيان : الوَضّاح بن خَيْثَمَة . ومن أصحاب الأخبار والنَّسبِ والخُطب والحُكم [٢] عند أصحاب النُّفورات [٣] بنو الكَوَّاءِ ، وإيَّاهُم يعنى مسكين بن أُنَيف الدارمىّ ، حين ذكر أهلَ هذه الطبَقة فقال :

كِلانا شاعرٌ من حَىٍّ صِدقٍ ولكن الرَّحى فوقَ الثِّفالِ [٤]
وحَكِّمْ دَغْفَلاً وارحلْ إليهِ ولا تُرجِ المطىَّ من الكَلالِ
تعالَ إلى بنى الكَوّاءِ يقضوا بِعِلْمِهِم بأنساب الرِّجالِ [٥]
هَلُمَّ إلى ابن مَذْعور شِهاب يُنَبِّى بالسَّوافل والعَوالِى
وعند الكَيِّسِ النمرى علمٌ ولو أضحى بمنخرَق الشَّمالِ [٦]

ومن الخطباء القدماء : كعبُ بن لُؤىّ ، وكان يخطب على العرب عامّة ، ويحضُّ كنانةَ على البرِّ ، فلما مات أكبرُوا موتَه ، فلم تزل كنانةُ تؤرِّخ بموت كعب بن لُؤىّ إلى عام الفيل .

* * *

ومن الخطباء العلماء الأَبيناء ، الذين جَرَوا من الخِطابة على أعْراقٍ قديمة [٧] : شبيب بن شيبة ، وهو الذى يقول فى صالح بن أبى جعفر المنصور ، وقد كان

---

(١) كلمة « والنسب » من ل ، هـ . و « الخطب » من هـ .

(٢) فيما عدا ل : « والحكام » .

(٣) النفورة : الحكومة . وفى اللسان : « ونافر الرجل منافرة ونفارا : حاكمه واستعمل منه النفورة كالحكومة . قال ابن هرمة :

يبرقن فوق رواق أبيض ماجد يدعى ليوم نفورة ومعاقل »

(٤) الثفال ، بالكسر : ماوقيت به الرحى من الأرض .

(٥) فيما عدا ل : « تعال إلى » .

(٦) سبق البيت فى ص ٣٢٢ .

(٧) انظر ما سيأتى فى ص ٣٥٥ .

المنصور أقام صالحاً فتكلّم ، فقال شبيب : « ما رأيتُ كاليوم أبْيَنَ بياناً ، ولا أجودَ لساناً ، ولا أربَطَ جَنانا ، ولا أبَلَّ ريقاً ، ولا أحسن طريقاً ، ولا أغمضَ عُروقاً (١) من صالح . وحُقَّ لمن كان أميرُ المؤمنين أباه ، والمهدىُّ أخاه ، أن ٢٠٨
يكون كما قال زهير (٢) :

يطلُب شأو امرأينِ قَدّما حَسنا ... نالا المُلُوك وبَذّا هذه السُّوَقا (٣)
هو الجوادُ فإن يلحَقْ بشأوِهما ... على تكاليفه فمثلُه لَحِقا (٤)
أو يَسْبِقاه على ما كان من مَهَلٍ ... فمثلُ ما قدَّما مِن صالح سَبَقا (٥) »

قال : وخرج شبيبٌ من دار الخليفة (٦) يوماً فقال له قائل : كيف رأيت الناس ؟ قال : رأيت الداخل راجياً والخارج راضياً .

قال : وقال خالد بن صفوان : « اتّقوا مَجانِيق (٧) الضُّعفاء » ، يريد الدعاء .

قال : وقال شبيب بن شيبة : « اطلب الأدب فإنّه دليلٌ على المروءة ، وزيادةٌ فى العقل ، وصاحبٌ فى الغُربة ، وصِلَة فى المجلس » .

وقال شبيبٌ للمهدى يوماً : « أراكَ اللهُ فى بَنِيكَ ما أرى أباكَ فيك ، وأرى اللهُ بنيكَ فيك ما أراك فى أبيك » .

---

(١) أغمض ، من الغموض ، وهو الغؤور .

(٢) فى مديح هرم . والأبيات فى ديوان زهير ٥١ .

(٣) الشأو : السبق . بذا : غلبا . والسوق : جمع سوقة ، وهم أوساط الناس ، أو ما بين الملوك والأوساط .

(٤) فى شرح ثعلب : تكاليفه : شدته ، الواحدة تكلفة . وفى اللسان : « وهى الكلف والتكاليف ، واحدتها تكلفة » . ومما هو جدير بالذكر أن الكوفيين يطردون زيادة الياء فى هذا الجمع وحذفها .

(٥) المهل : التقدم . يقول : هو معذور إن سبقاه لأنهما أخذا مهلة قبله فتقدماه. والألف فى «سبق » للإطلاق ، أى مثل فعلهما سبق .

(٦) فى عيون الأخبار (١ : ٩١) : « دار الخلافة » .

(٧) المجانيق ، جمع منجنيق ، وهى من آلات فى القتال . وانظر (٣ : ٢٧٤) .

وقال أبو الحسن : قال زيد بن علىّ بن الحسين : « اطلب ما يعَنِيك واتْرُكْ ما لا يعنيك ؛ فإنَّ فى ترك ما لا يعنيك دَرَكاً لما يَعنيك ، وإنما تَقْدم على ما قدَّمت ، ولست تقَدَم على ما أخّرت . فآثِرْ ما تلقاه غداً ، على مالا تراه أبداً » .

أبو الحسن ، عن إبراهيم بن سعد قال : قال خالد بن صفوان : « ما الإنسان لولا اللِّسان إلا صورةٌ ممثّلة [(١)] ، أو بهيمة مهمَلة » .

أبو الحسن قال : كان أبو بكر خطيباً ، وكان عمر خطيبا ، وكان عثمانُ خطيبا وكان علىٌّ أخطبَهم [(٢)] . وكان من الخطباء : معاوية ، ويزيد ، وعبد الملك ، ومعاوية بن يزيد ، ومروان ، وسليمان [(٣)] ، ويزيد بن الوليد ، والوليد بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز . ومن خطباء بنى هاشم : زيد بن على ، وعبد الله بن الحسن ، وعبد الله بن معاوية ، خطباءُ لا يُجارَوْنَ . ومن خطباء النُّسَّاك والعُبّاد : الحسن بن أبى الحسن البصرىّ ، ومطرِّف بن عبد الله الحَرَشى [(٤)] ، ومُوَرِّق العجلى [(٥)] وبكر بن عبد الله المزنىّ [(٦)] ، ومحمد بن واسع الأزدىّ [(٧)] ، ويزيد بن أبان

---

(١) ل فقط : « مهملة » . وقد سبق الخبر فى ١٧٠ .

(٢) فيما عدا ل : « خطيباً » .

(٣) ل : « ومروان بن سليمان » .

(٤) هو مطرف بن عبد الله بن الشخير البصرى ، المترجم فى ١٠٣ . وقال السمعانى فى الأنساب ١٦٣ : « هذه النسبة إلى الحريش بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن قيس . وأكثرهم نزل البصرة ، ومنها تفرقت إلى البلاد . وفى الأزد الحريش بن خزيمة بن الحجر بن عمران . قاله ابن حبيب . والمشهور بهذه النسبة مطرف بن عبد الله الحرشى » .

(٥) هو مورق بضم الميم وفتح الواو وتشديد الراء المكسورة – بن مشمرج – بكسر الراء – بن عبد الله العجلى ، أبو المعتمر البصرى ، ثقة عابد من كبار الثالثة . مات بعد المائة . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ١٧٣) . ويحرف هذا الاسم فيجعل « مؤرق » بالهمز . انظر القاموس (ورق) .

(٦) ترجم فى ص ١٠٠ .

(٧) هو أبو بكر أو أبو عبد الله محمد بن واسع بن جابر الأزدى البصرى ، روى عن أنس ومطرف والأعمش وغيرهم . وكان أحد النساك العباد الزهاد . توفى هو ومالك بن دينار سنة ١٢٣ . تهذيب التهذيب والمعارف ٢٠٩ وصفة الصفوة (٣ : ١٩٠) .

الرَّقاشى (١) ومالك بن دينار السَّامىّ (٢) .

وليس الأمر كما قال ؛ فى هؤلاء القاصُّ المُجيدُ ، والواعظ البليغ ، وذو المنطق الوجيز . فأمَّا الخطب فإنَّا لا نعرف أحدا يتقدَّم الحسنَ البصرىَّ فيها . وهؤلاء وإن لم يُسَمَّوْا خطباءَ فإنّ الخطيب لم يكن يشُقُّ غُبارَهم .

أبو الحسن قال : حدَّثنى أبو سليمان الحميرىّ قال : كان هشام بن عبد الملك يقول : إنِّى لأستصفِقُ العمامة الرقيقة تكون على أُذُنى إذا كان عندى عبد الأعلى بن عبد الله (٣) ؛ مخافةَ أن يسقط عنّى من حديثه شىء .

ومن الخطباء من بنى عبد الله بن غَطفان : أبو البِلاد (٤) ، كان راوية ناسبا. ومنهم : هاشم بن عبد الأعلى الفَزارىّ . ومن الخطباء : حفْص بن معاوية الغَلابِىُّ (٥) وكان خطيباً ، وهو الذى قال حين أشركَ سليمانُ بن علىّ بينه وبين مولى له على دار القَتَبِ : « أشركتَ بينى وبين غير الكفىّ ، وولَّيتنى غير السنىّ » .

ومن بنى هلال بن عامر : زُرْعة بن ضَمْرة ، وهو الذى قيل فيه : « لولا غلوٌّ فيه ما كان كلامه إلّا الذّهب » . وقام عند معاويةَ بالشَّام خطيبا فقال معاوية : يا أهل الشام هذا خالى فائتُونى بخالٍ مثلِه . وكان ابنُه النُّعمان بن زُرعة ابن ضَمرة،مِن أخطب الناس ، وهو أحدُ مَن كان تخلَّصَ من الحجاج من فَلِّ

---

(١) ترجم فى ص ٢٠٤ .

(٢) إنما قيل له السامى لأنه كان مولى لامرأة من بنى سامة بن لؤى ، كما سبق فى ترجمته ص ١٢٠ .

(٣) انظر ما سبق فى ص ٣٤٤ س ٥ – ٧ .

(٤) فى المعارف ٢٣٥ : « أبو البلاد الكوفى ، كان من أروى أهل الكوفة وأعلمهم . وكان أعمى جيد اللسان ، وهو مولى لعبد الله بن غطفان ، وكان فى زمن جرير والفرزدق » . وأبو البلاد هذا غير أبى البلاد الطهوى ، أحد شعراء بنى طهية ،وهو المعروف أيضا بأبى الغول الطهوى ، انظر المؤتلف ١٦٣ وشرح التبريزى للحماسة (١ : ١٤) .

(٥) الغلابى : نسبة إلى أهل بيت بالبصرة يعرفون ببنى غلاب ، وغلاب على وزن فعال مثل حذامِ ، من بَنى نصر بن معاوية . الاشتقاق ١٧٨ .

ابن الأشعث (١) بالكلام اللطيف .

وقال سُحيم بن حفص (٢) : ومن الخطباءِ عاصم بن عبد الله بن يزيد الهلالىّ : تكلم هو وعبد الله بن الأهتم ، عند عمر بن هبيرة وعبد الله بن هبيرة ، ففضَّل عاصماً عليه . قال سحيم : فقال قائل يومئذ : الخلُّ حامضٌ ما لم يكنْ ماء .

ومن خطباء بنى تميم : عمرو بن الأهتم (٣) ، كان يُدْعى « المُكَحَّل » لجماله ؛ وهو الذى قيل فيه : إنّما شعره حُلَلٌ مُنَشَّرَة بين أيدى الملوك ، تأخذ منه ما شاءت . ولم يكن فى بادية العرب فى زمانه أخطبُ منه .

ومن بنى مِنقر : عبد الله بن الأهتم ، وكان خطيبا ذا مقاماتٍ ووِفادات. ومن الخطباء : صفوان بن عبد الله بن الأهتم ، وكان خطيباً رئيساً ، وابنه خالد ابن صفوان ، وقد وفَدَ إلى هشام ، وكان من سُمّار أبى العبّاس .

ومنهم : عبد الله بن عبد الله بن الأهتم ، وقد ولِىَ خُراسانَ ووفد على الخلفاء ، وخَطب عند الملوك . ومن ولده شبيب بن شيبة بن عبد الله بن عبد الله بن الأهتم ، وعبد الله بن عبد الله بن عبد الله بن الأهتم ، و خاقان بن الأهتم هو عبد الله بن عبد الله بن عبد الله بن الأهتم .

٢١٠ ومن خطبائهم : محمدٌ الأحول بن خاقان ، وكان خطيبَ بنى تميم ، وقد رأيتُه وسمعت كلامه .

ومن خطبائهم : مَعْمرُ بن خاقان ، وقد وَفَد .

ومن خطبائهم : مؤمَّل بن خاقان . وقال أبو الزُّبير الثّقفى : ما رأيتُ خطيباً من خطباء الأمصار أشبَهَ بخطباء البادية ، من المؤمّل بن خاقان .

---

(١) انظر ما سبق فى ص ٣٢٩ س ٢ .

(٢) ترجم فى ص ٤٠ .

(٣) سبقت ترجمته فى ١٠ ، ٥٣ .

ومن خطبائهم : خاقان بن المؤمَّل بن خاقان . وكان صَبَاح بن خاقانَ (١) ، ذا علمٍ وبيانٍ ومعرفة ، وشدّة عارضة ، وكثرة رواية ، مع سخاءٍ واحتمالٍ وصبر على الحقّ ، ونصرةٍ للصَّدِيق ، وقيامٍ بحقّ الجار .

ومن بنى مِنقر : الحكَم بن النَّضر ، وهو أبو العلاء المِنقرىّ ؛ وكان يصرِّف لسانَه حيث شاء ، بجهارةٍ واقتدار .

ومن خطباء بنى صَرِيم بن الحارث : الخَزْرَجُ بن الصُّدَىّ .

ومن خطباء بنى تميم ثم من مُقاعِس : عُمارة بن أبى سليمان . ومن ولد مالك بن سعد (٢) : عبدُ الله وجبر (٣) ابنا حبيب (٤) ، كانا ناسبين عالمين أديبين ديِّنين . ومن ولد مالك بن سعد (٥) : عبد الله والعبّاس ابنا رُؤبة ، وكان العبّاس علّامةً عالما ، ناسبا راوية ، وكان عبدُ الله أرجزَ الناس وأفصحَهم ، وكان يكنى أبا الشَّعثاء ، وهو العجّاج (٦) .

ومن أصحاب الأخبار والنسب : أبو بكرٍ الصِّدّيق ، رحْمةُ الله عليه ، ثم جُبير بن مُطعِم ، ثم سعيد بن المسيِّب ، ثم قَتادة ، وعبيدُ الله بن عبد الله بن عتبةَ المسعودىّ (٧)

---

(١) فى القاموس (صبح) : « وكسحاب ابن الهذيل أخو زفر الفقيه ، وابن خاقان ، كريم » .

(٢) هو مالك بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، وفى ب : « سعيد » تحريف .

(٣) فيما عدا ل ، هـ : « بن عبد الله » وكذلك « خير » . وقد صححت فى حـ وجعلت « جبر » .

(٤) هذه الكلمة ساقطة من التيمورية .

(٥) فيما عدا ل ، هـ : « بن سعيد » تحريف .

(٦) العجاج هذا والد رؤبة بن العجاج ، كلاهما راجز مجيد عارف باللغة وحشيها وغريبها . وكان رؤبة أكثر شعراً من أبيه العجاج بن رؤبة وأفصح منه . خزانة الأدب (١ : ٤٣) والمؤتلف ، والشعر والشعراء .

(٧) هو عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، أبو عبد الله الهذلى المدنى ، أحد الفقهاء السبعة بالمدينة ، روى عن أبيه ، وأرسل عن عم أبيه عبد الله بن مسعود وجماعة من الصحابة ، وعنه : أخوه عون الزهرى وأبو الزناد وغيرهم . وهو معلم عمر بن عبد العزيز . وكان عالماً ناسكاً ، وأضَر رحمه الله بأخَرة . توفى سنة ٩٨ . تهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة (٢ : ٥٧) ونكت الهميان ١٩٧ — ١٩٨ والأغانى (٨ : ٩٤ — ٩٥) .

الذى قال فى كلمةٍ له فى عمر بن عبد العزيز ، وعبد الله بن عَمرِو بن عثمانَ ابن عفّان [١] :

مُسًّا تُرابَ الأرضِ منه خلقتُما   وفيه المعادُ والمصيرُ إلى الحشرِ [٢]
ولا تأنفَا أن ترجِعا فتُسلِّما   فما حُشِىَ الإنسانُ شراً من الكِبْرِ
فلو شئتُ أُدلَى فيكما غيرُ واحدٍ   عَلانيةً أو قال عندى فى سِرِّ
فإن أنا لم آمُرْ ولم أنهَ عنكمـا   ضحكتُ له حتّى يَلِجَّ ويَستشرِى [٣]

وهو الذى قيل له كيف تقول الشِّعر مع النُّسك والفقه ؟ فقال : « إنّ المصدورَ لا يملك أن ينفُثَ [٤] » .

٢١١ وقد ذكر المصدورَ أبو زُبيدٍ الطائىّ فى صفة الأسد فقال :

للصَّدر منه عويلٌ فيه حَشرجَة   كأنّما هو من أحشاء مصدورِ

ومن خطباء هذيل : أبو المليح الهُذَلىّ أسامةُ بن عمير [٥] ، ومنهم:أبو بكر الهُذَلى [٦] ، كان خطيباً قاصّا ، وعالما بيّنا ، وعالماً بالأخبار والآثار . وهو الذى لما فاخر أهلَ الكوفة قال : « لنا السَّاج والعاج ، والدِّيباج والخَراجُ ، والنهر العجَّاج [٧] » .

---

(١) انظر القصة فى أمالى ثعلب ١٧ والمرتضى (٢ : ٦٠) وجمع الجواهر للحصرى ص ٣ والمحبر لابن حبيب ٢٩٧ .

(٢) كذا بالخزم فى أوله فى ل . وفيما عداها « فمُسًّا » . وانظر الحيوان (١ : ١٤ : ١٥) .

(٣) ذكر فى الأغانى (١٣ : ١٠) أن العتبى سرق هذا المعنى فى قوله :

ومن دعا الناس إلى ذمه   ذموه بالحق وبالباطل

(٤) ويروى : « لابد للمصدور أن ينفث » . نكت الهميان .

(٥) ذكره فى التهذيب (١٢ : ٢٤٦) فى باب الكنى وقال : اسمه عامر أو زيد بن أسامة .

(٦) ذكره الجاحظ فيما سيأتى ص ٣٦٨ . وقال : « وهو عبد الله بن سلمى ».وذكره فى التهذيب (١٢ : ٤٥) فى باب الكنى ، وأن اسمه سلمى بن عبد الله بن سلمى ، أو روح . روى عن الحسن وابن سيرين وأبى المليح الهذلى وغيرهم ، وعنه:ابن جريج وابن عياش . وكان من العلماء بأيام الناس . توفى سنة ١٦٧ .

(٧) انظر (٢ : ٩٤) .

باب
من أسماء الكهّان والحكام والخطباء والعلماء من قحطان

قالوا : أكهَنُ العرب وأسجعهم سَلمة بن أبى حَيَّة ، وهو الذى يقال له عُزَّى سَلِمَة [١] . ومنهم من خطباء عُمَان : مُرَّة بن فَهْمٍ التَّليدُ ، وهو الخطيب الذى أوفده المهلب إلى الحجاج .

ومن العتيك : بِشْر [٢] بن المغيرة بن أبى صُفرة ، وهو الذى قال لبنى المهلَّب: « يابنى عمِّى ، إنِّى والله قد قصَّرت عن شَكاة العاتب ، وجاوزت شكاةَ المستعتب ، حتَّى كأنِّى لستُ موصولا ولا محروما ، فعُدُّونى أمراً خفتم لسانه ، أو رجوتم شُكرَه . وإنِّى وإن قلتُ هذا فلَمَا أبلانى اللهُ بكم أعظمُ مما أبلاكم بى » .

ومن خطباء اليمن ثم من حِميَر : الصَّبّاح بن شُفَىّ الحميرىّ ، كان أخطب العرب . ومنهم ثم من الأنصار : قيس بن شمّاس [٣] . ومنهم : ثابت ابن قيس بن شمّاس خطيبُ النبى ﷺ . ومنهم : رَوْح بن زِنباع [٤] ، وهو الذى لما همَّ به معاوية قال : « لا تُشْمِتنَّ بى عَدُواً أنت وقَمتَه [٥] ، ولا تسوءَنّ فىَّ [٦] صديقاً أنت سررته ، ولا تَهدِمنَّ مِنّى ركنا أنت بنيتَه . هَلاَّ أتى حلمُك وإحسانُك على جهلى وإساءتى » .

---

(١) كذا ورد بضبطه فى ل . وفى هـ بفتح اللام . وفى ب والتيمورية : « غرى سلمة » .

(٢) فى ل : « بسر » بضم الباء بعدها سين مهملة .

(٣) فيما عدا ل : « الشماس » .

(٤) سبقت ترجمته فى ص ٣٤٦ وكلمته فى أمالى الزجاجى بتحقيقنا ص ٧ .

(٥) الوقم : الإذلال والقهر والرد أقبح الرد .

(٦) هـ : « بى » .

ومن خطبائهم :الأسود بن كعب ، الكذّابُ العنْسِيّ [١] . وكان طُليحة [٢] خطيباً وشاعراً،وسجَّاعاً كاهنا ناسباً . وكان مُسيلِمَة الكذّاب [٣] بعيداً من ذلك كلّه .

وثابت بن قيس بن شَمّاس هو الذى قال لعامر [٤] ، حين قال : أمَا والله لئن تعرَّضْتَ لِعَنِّى [٥] وفنِّى ، وذكاءِ سِنِّى [٦] ، لتولِّيَنَّ عنِّى » ، فقال له ثابت : « أمَا والله لئن تعرضْتَ لسِبابى ، وشَبَا أنيابى [٧] وسرعةِ جوابى ، لَتكرَهَنَّ ٢١

---

(١) هو الأسود بن كعب بن غوث ، من بنى عنس بن مالك . تنبأ باليمن . الاشتقاق ٢٤٨ . وذكر المسعودى فى التنبيه والإشراف ٢٤٠ أن الأسود لقب له ، واسمه عبهلة بن كعب بن الحارث بن عمرو بن عبد الله بن سعد بن عنس بن مذحج ، وأنه كان يدعى « ذا الحمار » لحمار كان معه قد راضه وعلمه ، يقول له اجث ، فيجثو . قتله قيس بن مكشوح المرادى سنة ١١ من الهجرة . وانظر الطبرى (٣ : ٢١٣ – ٢٢٠) .

(٢) هو طليحة بن خويلد الأسدى ، تنبأ فى خلافة أبى بكر فى بنى أسد بن خزيمة . وعاضده عيينة بن حصن الفزارى ، فوجه أبو بكر إليه خالد بن الوليد ، فهزمه وفض جموعه وأسر عيينة . وذلك فى سنة ١١ من الهجرة . وقد أسلم طليحة بعد ذلك ، واستشهد بنهاوند سنة ٢١ . الإصابة ٤٢٨٣ والتنبيه والإشراف .

(٣) هو أبو ثمامة مسيلمة بن حبيب الحنفى ، من أهل اليمامة ، ادعى النبوة بمكة قبل الهجرة ، وصنع أسجاعا ، عارض فيها القرآن بزعمه . منها قوله : « والشمس وضحاها ، فى ضوئها ومجلاها ، والليل إذا عداها ، يطلبها ليغشاها ، فأدركها حتى أتاها ، وأطفأ نورها ومحاها » . وقوله : « يا ضفدع نقى نقى كم تنقين ، لا الماء تكدرين ، ولا الشرب تمنعين » . وكان قد قوى أمره فى اليمامة وظهر جدا بعد وفاة الرسول ، فأرسل أبو بكر إليه خالد بن الوليد فى جيش لمقارعته ، فكان له النصر على بنى حنيفة فى يوم اليمامة . وقتل مسيلمة وكثير من أتباعه ، واستشهد من المسلمين ألف ومائتا رجل . انظر المعارف ١٧٨ والطبرى (٣ : ٢٤٣ – ٢٥١) والتنبيه والإشراف ٢٤٧ والسيرة ٩٤٦ .

(٤) هو عامر بن عبد قيس ، المترجم فى ٨٣ ، الذى قال : « الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت فى القلب ، وإذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان » . وانظر ٢٣٧ س ١ ، ٣٢٧ س ١٠ ، ٣٦٣ س ٣ .

(٥) هـ : « للعنى » . تحريف .

(٦) ذكاء السن : تمامه بانتهاء الشباب ، ومنه قول الحجاج : « فررت عن ذكاء » .

(٧) شبا الأنياب : حدها .

جَنابى ». قال : فقال النبى ﷺ : يكفيك اللهُ وابْنَا قَيْلة [١] » .

لعَنّى : أى لما يِعِنُّ لى ويعرِض . فنّى : مذهبى فى الفن [٢] .

وأخذتُ هذا الحديثَ من رجلٍ يضع الأخبارَ فأنا أتّهمه [٣] .

ومن خطباء الأنصار : بشر بن عمرو بن مِحْصَنٍ ، وهو أبو عَمرة الخطيب .

ومن خطباء الأنصار : سعد بن الربيع [٤] ، وهو الذى اعترضت ابنتُه [٥] النبىَّ ﷺ ، فقال لها : من أنت ؟ قالت : ابنةُ الخطيب النَّقيب الشهيد : سعد بن الربيع . ومنهم خالُ حسّان بن ثابت ، وفيه يقول حسّان :

إن خالى خطيبُ جابِيَة الجَوْ   لاَنِ عند النُّعمان حين يقومُ [٦]

وإياه يعنى حسّانُ بقوله :

رُبَّ خالٍ لىَ لو أبصَرْتِـــهِ   سَبِطِ المِشيةِ فى اليومِ الخَصِرْ [٧]

ومنهم من الرواة والنَّسابين والعلماء : شَرْقىُّ بن القطامىّ [٨] الكلبىّ ، ومحمد

---

(١) فى هامش التيمورية : « ابنا قيلة هما الأوس والخزرج ، وهم الأنصار ، وكانوا أشجع الناس . قال عبد الله بن عباس : ماسلت السيوف ولا زحفت الزحوف ولا أقيمت الصفوف حتى أسلم ابنا قيلة » . وفى اللسان : « اسم أم لهم قديمة ، وهى قيلة بنت كاهل » .

(٢) هذا التفسير ساقط من هـ .

(٣) فى هامش التيمورية : « يشير إلى أن الراوى لهذا الحديث غير موثوق به لا سيما فى عطف ابنا قيلة على لفظه الجلالة ما لا يخفى » . هـ : « من رجل يصنع الكلام » .

(٤) هو سعد بن الربيع بن عمرو الأنصارى الخزرجى ، آخى الرسول بينه وبين عبد الرحمن بن عوف ، واستشهد يوم أحد . الإصابة ٣١٤٧ .

(٥) هى أم سعد بنت سعد . انظر الإصابة ١٢٨٧ قسم النساء .

(٦) جابية الجولان ، من أعمال دمشق .

(٧) رواية الديوان ٢٠٤ : « سبط الكفين » . وقبله :

سألت حسان من أخواله   إنما يسأل بالشئ الغمر
قلت : أخوالى بنو كعب إذا   أسلم الأبطال عورات الدبر

(٨) الشرقى لقب له ، واسمه الوليد بن الحصين ، كان وافر الأدب ، أقدمه المنصور بغداد ، وضم إليه المهدى ليأخذ من أدبه . تاريخ بغداد ٤٨٣٨ وابن النديم ١٣٢ ولسان الميزان (٣ : ١٤٢ – ١٤٣) . والقطامى لقب أبيه ، واسمه الحصين بن حمال ، يقال بفتح القاف وضمها ، مأخوذ من القطامى بفتح القاف وضمها ، وهو الصقر . والقطامى شاعر ذكره صاحب المؤتلف ١٦٦ – ١٦٧ . وهو غير القطامى التغلبى ، الشاعر المشهور ، واسمه عمير بن شييم .

ابن السّائب الكلبىّ (١) ، وعبد الله عَيَّاش الهَمْدانى (٢) ، وهشام بن محمد بن السائب الكلبى (٣) . والهيثم بن عدىّ الطائىّ (٤) ، وأبو رَوق الهمْدانىّ واسمه عطية بن الحارث (٥) ؛ وأبو مِخنِف لوط بن يحيى الأزدىّ (٦) ، ومحمد بن عُمَر الأسلمىّ الواقدىّ (٧) ، وعَوانَةُ الكلبىّ (٨) ، وابن أبى عُيينة المُهَلّبىّ (٩) ، والخليل بن أحمد الفَراهيدىّ (١٠) ، وخلَف بن حَيَّانَ الأحمرُ الأشعرىّ (١١) .

قالوا : ومِنّا فى الجاهلية عُبَيدُ بن شَرِيَّة (١٢) ، ومنّا شِقُّ بن الصَّعب ، ومنّا ربيع بن ربيعة السَّطيحُ الذِّئبىّ (١٣) .

---

(١) ترجم فى ٢٤٢ .

(٢) ترجم فى ٢٦٠ .

(٣) ذكره ابن النديم فى الفهرست وساق ثبت مصنفاته الكثيرة فى ١٤٠ – ١٤٣ وهو صاحب الجمهرة فى النسب ، وذكر ابن خلكان أنه توفى سنة ٢٠٤ . وانظر تاريخ بغداد ٧٣٨٦ .

(٤) ترجم فى ص ٦ .

(٥) أبو روق عطية بن الحارث الهمدانى الكوفى ، روى عن أنس وعكرمة والشعبى ، وروى عنه الثورى وعمارة . تهذيب التهذيب .

(٦) أبو مخنف لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن سليم الأزدى الغامدى ، شيخ من أصحاب الأخبار بالكوفة . روى عن الصعق بن زهير ، وجابر الجعفى ، ومجالد . وروى عنه المدائنى وعبد الرحمن بن مغراء ، ومات قبل السبعين ومائة . منتهى المقال ٢٤٨ ولسان الميزان (٤ : ٢٩٢) وابن النديم ١٣٦ .

(٧) ترجم فى ٣٧ . ل : « محمد بن عمرو » تحريف . انظر أيضاً تهذيب التهذيب (٩ : ٣٦٣) .

(٨) ترجم فى ٣١٦ .

(٩) ترجم فى ٥٠ .

(١٠) الفراهيدى : نسبة إلى فرهود ، بالضم ، وهم حى من يحمد ، وهم بطن من الأزد

(١١) ترجم فى ١٢٩ .

(١٢) عبيد ، بهيئة التصغير ، كما ضبط فى ل ، هـ ، وكما يفهم من سياق ابن حجر فى الإصابة ٦٣٩١ . وشرية قال ابن حجر : « بمعجمة وزن عطية » . وضبط فى هـ بفتح الشين وسكون الراء . وقال ياقوت فى إرشاد الأريب (١٢ : ٧٢) : « عبيد بن سرية ، ويقال ابن سارية ، ويقال ابن شرية » . وهو أحد معمرى العرب ، أدرك الإسلام فأسلم وقدم على معاوية وجرى بينهما حديث طويل طريف ، أورده ياقوت والسجستانى فى المعمرين ٣٩. وهو أول من نسب إليه كتاب فى التاريخ من المسلمين . الفهرست ١٣٢ .

(١٣) سبقت ترجمة شق وسطيح فى ص ٢٩٠ .

ومنّا المأمور الحارثىّ (١) ، والدَّيّانُ بن عبد المدان ، الشَّريفان الكاهنان .

ومنهم : عمرو بن حنظلة بن نهدٍ الحَكَم ، وله يقول القائل :

عمرو بن حنظلة بن نَهْدْ   مِن خيرِ نَاسٍ فى معَدّ

ومنهم : أبو السَّطّاح اللخْمىّ (٢) ، وجمع معاوية بينه وبين دَغفَل بن حنظلة البكرىّ . ومنهم أبو الكُبَاس الكندىّ (٣) ومنهم أظفَرُ بن مِخْوَسٍ الكندىّ (٤) . وكانا ناسبين عالمين . ٢١٣

ومن أصحاب الأخبار والآثار: عبد الله بن عقبة بن لَهِيعة(٥) ويكنى أبا عبد الرحمن .

ومن القدماء فى الحكمة والرياسة والخطابة عُبَيد بن شَرِيَّة الجرهمى ، وأُسْقُفُّ نجران ، وأُكَيدِرُ صاحب دُومة الجَنْدل ، وأُفَيْعى نجران ، وذَرِب بن حَوْط ، وعُلَيم ابن جناب (٦) وعَمرو بن ربيعة – وهو لُحَىٌّ (٧) – بن حارثة بن عمرٍو مُزَيقِياء . وجَذيمة بن مالكٍ الأبرشُ (٨) ، وهو أوّل من أسرج الشَّمَعَ ورَمَى بالمنْجَنيق .

---

(١) المأمور الحارثى ، اختلف فى اسمه ، فقيل هو الحارث بن معاوية ، قال ابن دريد فى الاشتقاق ٢٦٩ : « وكان من فرسان مذحج ، وكانت فى أمره تتقدم وتتأخر » . وقيل هو معاوية بن الحارث . الأمالى (٣ : ١٤٩) . وقيل هو المأمور بن تبراء . معجم المرزبانى ٤٧٢ . أو هو المأمور بن زيد . القالى (٣ : ١٤٩) . ونسبته إلى بنى الحارث بن كعب بن عمرو بن علة بن جَلد بن مذحج ، كما فى النقائض ٦٠٠ . وله خبر فى يوم الكلاب الثانى . الأغانى (١٥ : ٧٠) والنقائض ١٤٩ .

(٢) فيما عدا ل ، هـ : « أبو الشطاح » بالشين المعجمة . وانظر الحيوان (١ : ٣٦٥ و ٣ : ٢٠٩) .

(٣) فيما عدا ل : « الكناس » .

(٤) هذا ما فى ل . وفى هـ : « ومنهم ابن مخوس الكندى » . وفى سائر النسخ : « ابن مخوس » .

(٥) كذا فى ل ، هـ ، وفيما عداهما : « عبد الله بن عتبة بن لهيعة » . وكلاهما خطأ ، وصواب اسمه « عبد الله بن لهيعة بن عقبة » . وابن لهيعة محدث جليل ، وقاض فقيه ، روى عن الأعرج وعطاء وابن المنكدر وغيرهم ، وروى عنه الثورى وشعبة والأوزاعى . تهذيب التهذيب .

(٦) هو عليم ؛ بهيئة التصغير ، ابن جناب بن هبل ، الاشتقاق ٣١٦ .

(٧) لحى هو لقب ربيعة ، كما فى الاشتقاق ٢٧٦ . وقال : « ومن بنى عمرو بن لحى تفرقت خزاعة » . وفى العرب « عمرو بن لحىّ » آخر ، هو عمرو بن لحىّ بن قمعة بن الياس بن مضر . انظر السيرة ٥٠ – ٥١ . وفى هذا الأخير ورد حديث : « رأيت عمرو بن لحىّ يجر قصبه فى النار » .

(٨) هو جذيمة بن مالك بن فهم بن عمرو بن درس بن الأزد ، ملك الحيرة . والأبرش لقب جذيمة . ويقال له أيضا « الوضاح » . العمدة (٢ : ١٧٨) .

باب

ذكر النُّساك والزهّاد من أهل البيان

عبد قيس (١) ، وصِلَةُ بن أَشْيَمِ (٢) ، وعثمان بن أدهم ، وصـ ٣) والأسود بن كلثوم (٤) ، والربيع بن خُثَيم (٥) ، وعَمْرو ابن وهَرِمُ بن حيّان (٧) ، ومورِّق العجلى ، وبكر بن عبد الله المُزَنىّ عبد الله بن الشِّخِّير الحَرَشىّ (٨) .

---

(١)

(٢) صهباء صلة بن أشيم العدوى الناسك ، زوج معاذة العدوية الناسكة ، لقى جماعة من الصحابة ، وأسند عن ابن عباس وغيره ، وقتل شهيداً فى غزاة ، فى أول إمرة الحجاج على العراق سنة ٧٥ . واجتمعت النساء عند معاذة للتعزية فقالت : مرحباً ، إن كنتن جئتن لتهنئتى فمرحبا بكن ، وإن كنتن جئتن لغير ذلك فارجعن . صفة الصفوة (٣ : ١٣٩) والإصابة ٤١٢٧ .

(٣) صفوان بن محرز بن زياد المازنى ، أسند عن ابن عمر ، وأبى موسى ، وابن مسعود . وعنه عاصم وقتادة وغيرهم . توفى بالبصرة سنة ٧٤ فى ولاية بشر بن مروان . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ١٤٩) .

(٤) ذكره ابن الجوزى فى صفة الصفوة (٣ : ٢١٢) فى الطبقة الثالثة من أهل البصرة .

(٥) هو الربيع بن خثيم ، بتقديم الثاء على الياء ، ابن عائذ بن عبد الثورى الكوفى ثقة عابد من كبار التابعين . قال له ابن مسعود : « لو رآك رسول الله ﷺ لأحبك » . توفى سنة إحدى وقيل ثلاث وستين . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ٣١) وابن النديم ٢٦٠ .

(٦) فيما عدا ل : « عمر » تحريف . وهو عمرو بن عتبة بن فرقد السلمى الكوفى . روى عن ابن مسعود وسبيعة الأسلمية كتابة . قتل فى تستر فى خلافة عثمان . تهذيب التهذيب وصفوة الصفوة (٣ : ٣٧) .

(٧) هرم بن حيان العبدى ، أحد عمال عمر ، وبعثه عثمان بن أبى العاص إلى قلعة بَحرة فافتتحها عنوة سنة ٢٦ . الإصابة ٤٩٤٧ وصفة الصفوة (٣ : ١٣٧) .

(٨) ترجم مورق فى ص ٣٥٣ ، وبكر فى ص ١٠٠ ، ومطرف فى ص ١٠٣ .

وبعد هؤلاء : مالك بن دينار (١) ، وحبيب أبو محمد (٢) ، ويَزيدُ الرَّقاشيّ ، وصالح المُرّيّ (٣) ، وأبو حازِمٍ الأعرج (٤) ، وزياد مولى عَيّاش بن أبى ربيعة (٥) ، وعبد الواحد بن زيد (٦) ، وحيّان أبو الأسود ، ودَهْثَم أبو العلاء .

ومن النساء : رابعة القيسية (٧) ، ومُعاذَةُ العلوية (٨) امرأةُ صِلةَ بنِ أشْيَم ،

---

(١) ترجم فى ١٢٠ .

(٢) هو أبو محمد حبيب بن محمد العجمى ، أو الفارسى ، البصرى ، أحد الزهاد المشهورين ، روى عن الحسن وابن سيرين وبكر بن عبد الله ، وعنه:سليمان التيمى وحماد بن سلمة . قال المعتمر عن أبيه سليمان : « ما رأيت أحدا قط أزهد من مالك بن دينار ، ولا رأيت أحداً قط أخشع من محمد بن واسع ، ولا رأيت أحدا قط أصدق يقينا من حبيب أبى محمد » . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ٢٣٦) . وقد ذكر خطأً فى الفهرست ٢٦٠ باسم « محمد بن حبيب الفارسى » .

(٣) ترجم يزيد بن أبان الرقاشى فى ٢٠٤ ، وصالح بن بشير المرى فى ١١٣ .

(٤) هو أبو حازم سلمة بن دينار ، الأعرج الأفزر التمار المدنى القاص ، مولى الأسود بن سفيان المخزومى ، وكان ثقة كثير الحديث . توفى بعد سنة ١٤٠ فى خلافة المنصور . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٢ : ٨٨) .

(٥) الصواب أنه مولى عبد الله بن عياش بن أبى ربيعة القرشى . وزياد ، هو زياد بن أبى زياد ميسرة ، وكان عبدا ، وكان عمر بن عبد العزيز يستزيره ويكرمه ، وبعث إلى مولاه ليبيعه إياه فأبى وأعتقه . توفى سنة ١٣٥ . صفة الصفوة (٢ : ٥٩) وتهذيب التهذيب .

(٦) كان عبد الواحد بن زيد من الزهاد البكائين ، وكان يحضر مجالس مالك بن دينار ، قال ابن الجوزى : أسند عن الحسن البصرى وأسلم الكوفى . صفة الصفوة (٣ : ٢٤٠) . وفى لسان الميزان (٤ : ٨٠) أنه كان متهماً فى حفظه كثير الوهم . وقد ذكره ابن النديم فى الفهرست ٢٦٠ فى جماعة العباد والزهاد .

(٧) هى أم الخير رابعة بنت إسماعيل العدوية القيسية البصرية ، وهى تعد أشهر الزاهدات المتعبدات ؛ كانت تقول إذا وثبت من مرقدها : « يانفس كم تنامين ، وإلى كم تنامين . يوشك أن تنامى نومة لا تقومين منها إلا لصرخة يوم النشور » . انظر لسائر أقوالها صفة الصفوة (٤ : ١٧) . وذكر ابن خلكان أن وفاتها كانت فى سنة ١٣٥ ، وقبرها بظاهر القدس ، على رأس جبل يسمى جبل الطور .

(٨) هى أم الصهباء معاذة بنت عبد الله العدوية البصرية ، زوج صلة بن أشيم المترجم فى ٣٦٣ . روت عن عائشة وعلى ، وعنها:قتادة والحسن وأيوب وعاصم الأحول وغيرهم . يقال إنها لم تتوسد فراشاً بعد أبى الصهباء حتى ماتت . وكانت تقول : « عجبت لعين تنام وقد عرفت طول الرقاد فى ظلَم القبور » . تهذيب التهذيب (٢ : ٤٥٢) وصفة الصفوة (٤ : ١٣) .

وأمُّ الدرداء (١) .

ومن نساء الخوارج : البَلْجاء (٢)، وغَزَالة (٣)، وقَطامِ ،وحَمّادة (٤)، وكُحَيْلة .

ومن نساء الغالية : ليلى الناعظيَّة (٥) : والصَّدوف ، وهِند .

وممن كان من النُّساك ممن أدركناه : أبو الوليد ، وهو الحَكَم الكِنديّ ، ومحمد بن محمد الحمراويّ (٦) .

ومن القدماء ممَّن كان يُذكر بالقَدْر والرِّياسة ، والبيان والخطابة ، والحكمة والدَّهاء والنَّكراء : لقمان بن عاد ، ولُقَيم بن لقمان ، ومجاشع بن دارم ،وسَليط(٧) بن كعب بن يَربوع ، سمَّوه بذلك لسلاطة لسانه . وقال جرير :

* إنّ سَليطاً كاسمه سليطُ *

ولؤيّ بن غالب ، وقُسّ بن ساعدة ، وقُصَيّ بن كلاب .

ومن الخطباء البلغاء والحُكّام الرؤساء : أكثم بن صَيْفيّ ، وربيعة بن حُذار ، وهَرِم بن قطبة ، وعامر بن الظَّرِب ، ولبيد بن ربيعة ، وكان من الشعراء .

---

(١) أم الدرداء ، هى زوج أبى الدرداء الصحابى ، واختلف علماء التراجم فى أم الدرداء ، فبعضهم يجعلهما شخصين : أم الدرداء الكبرى ، وأم الدرداء الصغرى ، وكلاهما زوج لأبى الدرداء . وبعضهم يقول : هما واحدة . ويختلفون فى ذلك اختلافاً . انظر الإصابة ٣٨٤ من قسم النساء وتهذيب التهذيب (١٢ : ٤٦٥) وصفة الصفوة (٤ : ٢٦٦) حيث يرجح ابن الجوزى أن العابدة هى الصغرى ، واسمها هجيمة بنت حيى ، واسم الكبرى خيرة بنت أبى حدرد .

(٢) لعلها « الشجاء » . انظر الحيوان (٥ : ٥٨٨ – ٥٨٩) .

(٣) هى غزالة الشيبانية ، زوج شبيب بن يزيد الخارجى الشيبانى ، وكانت من الشجاعة والفروسة بالموضع العظيم . وكان الحجاج فى بعض حروبه قد هرب منها ، فعيره أسامة بن سفيان البجلى بقوله :

أسد على وفى الحروب نعامة ... ربداء تنفر من صفير الصافر

هلا برزت إلى غزالة فى الضحى ... بل كان قلبك فى جناحى طائر

تقدمت ترجمة يزيد فى ص ١٢٨ . وفى الحيوان (٥ : ٥٩٠) أن خالد بن عتاب قتلها .

(٤) هى حمادة الصفرية ، ذكرها الجاحظ فى الحيوان (٥ : ٢٩٠) .

(٥) ترجمت فى ص ٣٠ . فى الأصول : « الناعطية » ، بالطاء المهملة ، تحريف .

(٦) فيما عدا ل : « الحمرانى » . (٧) فى الديوان ٣٣٢ : وقال لبنى سليط :

إن سليطا كاسمها سليط ... لولا بنو عمرو وعمرو عيط

قلت ديافيون أو نبيط

وأسماء الصوفية من النسّاك ممن كان يجيد الكلام ٢١٤

كِلابٌ [(١)] ، وكُلَيب ، وهاشمٌ الأوقص ، وأبو هاشم الصوفىّ [(٢)] ، وصالح بن عبد الجليل .

ومن القدماء العلماء بالنّسَب وبالعرب [(٣)] : الخطَفى وهو [(٤)] جدّ جرير بن عطية بن الخطفَى ، وهو حُذَيفة بن بدر بن سَلمة بن عوف بن كليب بن يربوع . وإنما سُمّى الخطَفى لأبياتٍ قالها ، وهى :

يَرفعْنَ بالليل إذا ما أَسدَفا   أعناقَ جِنّانٍ وهاماً رُجَّفا

وعَنقاً باقى الرسيم خَيطفاً

العَنَق : ضربٌ من السير ، وهو المسْبَطرّ ؛ فإذا ارتفع عن العَنق قليلاً فهو التزيُّد ، فإذا ارتفع عن ذاك فهو الذَّمِيل . والرَّسيمُ فوق الذَّمِيل . والخَيطَفُ : السريع ، أى يَخطِف كما يخطف البرقُ . وخيطف من الخَطف ، والياء فى خيطف زائدة ، كما قالوا رجل صَيْرَفٌ من الصرف ، ورجل جَيْدرٌ من الجَذرِ وهو القِصَر [(٥)] . وأصل الخطْف الأخذُ فى سرعة [(٦)] ثم استعير لكلّ سريع .

* * *

---

(١) هو كلاب بن جرى . ذكر فى صفة الصفوة (٣ : ٢٨٩) .

(٢) أبو هاشم الصوفى الزاهد ، من قدماء زهاد بغداد ، جلس إليه سفيان الثورى . صفة الصفوة (٢ : ١٧٢) .

(٣) فى هامش هـ : « وبالغريب » عن نسخة .

(٤) هذه الكلمة من هـ .

(٥) فيما عدا ل : « القصير » .

(٦) ل : « بسرعة » .

ذكر القُصَّاص

قَصَّ الأسودُ بنُ سريع ، وهو الذى قال :

فإنْ تنجُ منها تَنجُ من ذى عظيمةٍ   وإلاّ فإنى لا إخالُك ناجِيا

وقصَّ الحسن وسعيدٌ ابنا أبى الحَسَن (١) . وكان جَعْفرُ بنُ الحسن أوَّلَ مَن اتخذ فى مسجد البصرة حلْقةً وأقرأ القرآن فى مسجد البصرة . وقَصَّ إبراهيم التَّيمىُّ (٢) . وقص عُبيد بن عُمير الليثىّ (٣) وجلس إليه عبد الله بن عُمَر . حدَّثنى بذلك عَمرو بن فائد بإسناد له .

ومن القُصّاص : أبو بكر الهُذَلىّ وهو عبد الله بن سُلمىّ (٤) ، وكان بيِّناً خطيبا صاحبَ أخبار وآثار . وقصَّ مُطرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير (٥) فى مكان أبيه . ومن كبار القُصَّاصِ ثم من هذيل : مُسلم بن جندب (٦) وكان قاصَّ مسجدِ النبىّ

---

(١) أبو الحسن : كنية والدهما يسار . أما الحسن فهو أبو سعيد الحسن ابن أبى الحسن يسار البصرى ، مولى الأنصار ، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر ، وتوفى سنة ١١٠ . وأخوه سعيد بن يسار أكبر منه ، توفى قبله سنة ١٠٠ . تهذيب التهذيب . فيما عدا ل : « ابن أبى الحسن » ، تحريف .

(٢) هو إبراهيم بن يزيد بن شريك التيمى ، تيم الرباب ، الكوفى ، كان من العباد ، روى عن أنس وعمر بن ميمون ، وأرسل عن عائشة . قال الأعمش : كان إبراهيم إذا سجد تجىء العصافير فتنقر ظهره . توفى فى حبس الحجاج سنة ٩٢ . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ٥٠) .

(٣) فيما عدا ل : « عبيد الله بن عمير » ، لكن فى هـ « عبد الله » ، كلاهما تحريف . وهو عبيد ابن عمير بن قتادة بن سعيد بن عامر بن جندع بن ليث الليثى ، أبو عاصم المكى ، قاضى أهل مكة . روى عن أبيه وعمر وعلى وأبى هريرة وغيرهم ، وذكر العوام بن حوشب أنه رأى عبد الله بن عمر فى حلقة عبيد بن عمير يبكى . توفى سنة ٦٨ . التهذيب وصفة الصفوة (٢ : ١١٦) .

(٤) سبقت ترجمته فى ٣٥٧ . فيما عدا ل : « بن أبى سليمان » .

(٥) سبقت ترجمة مطرف فى ١٠٣ . ل : « وقص ابن مطرف » . وفيما عدا ل : « وقص ابنه مطرف » وكلاهما خطأ .

(٦) هو أبو عبد الله مسلم بن جندب الهذلى القاضى ، كان من فصحاء الناس ، وكان معلم عمر بن عبد العزيز ، وكان يقضى بغير رزق . توفى سنة ١٠٦ . تهذيب التهذيب .

ﷺ بالمدينة ، وكان إمامَهم وقارئهم ، وفيه يقول عمر بن عبد العزيز: « مَن سَرَّه أن يسمعَ القرآن غَضًا فليسمع قراءة مسلم بن جندب » . ٢١٥

ومن القُصَّاص : عبد الله بن عَرادة بن عبد الله بن الوَضِين ، وله مسجدٌ فى بنى شَيبان .

ومن القُصَّاص : موسى بن سيّار الأُسوارىّ (١) ، وكان من أعاجيب الدُّنيا ، كانت فصاحتُه بالفارسية فى وزن فصاحته بالعربيّة ، وكان يجلِس فى مجلسه المشهور به ، فتقعد العربُ عن يمينه ، والفُرس عن يساره ، فيقرأ الآية من كتاب الله ويفسّرها للعرب بالعربية ، ثم يحوِّل وجهَه إلى الفرس فيفسِّرها لهم بالفارسيَّة ، فلا يُدرى بأى لسانٍ هو أبيَنُ . واللُّغتانِ إذا التقتَا فى اللِّسان الواحد أدخلت كلٌّ واحدةٍ منهما الضَّيمَ على صاحبتها ، إلاّ ما ذكرنا (٢) من لسان موسى بن سيّار الأسوارىّ .

ولم يكن فى هذه الأمّة بعد أبى موسى الأشعرىّ أقرأُ فى محراب من موسى بن سَيّار ثم عثمان بن سعيد بن أسعدَ، ثم يونس النحوىّ، ثم المعلّى . ثم قصَّ فى مسجده (٣) أبو علىّ الأُسوارىّ ، وهو عمرو بن فائدٍ (٤) ، ستًّا وثلاثين سنة ، فابتدأ لهم فى تفسير سورة البقرة ، فما خَتمَ القرآن حتَّى مات ، لأنَّه كان حافظا للسِّير ، ولوجوه التأويلات فكان ربَّما فسَّر آيةً واحدة فى عِدّة أسابيع ، كأنّ الآية ذُكر فيها يوم بدر ، وكان هو يحفظ مما يجوز أن يلحق فى ذلك من الأحاديث كثيراً (٥) . وكان يقصُّ

---

(١) ترجم له فى لسان الميزان (٦ : ١٣٠) وذكر أنه كان قدرياً . وذكره السمعانى فى الأنساب ٣٧ .

(٢) فيما عدا ل : « ما ذكروا » .

(٣) أى المسجد الذى كان يقص فيه موسى بن سيار .

(٤) عمرو بن فائد الأسوارى ، قال العقيلى : كان يذهب إلى القدر والاعتزال ، وكان منقطعاً إلى محمد بن سليمان أمير البصرة ، وأخذ عن عمرو بن عبيد ، وله معه مناظرات.ومات بعد المائتين بيسير . لسان الميزان (٤ : ٣٧٢ - ٣٧٣) . ونسبته إلى نهر الأساورة بالبصرة . انظر الحيوان (٦ : ١٩١) .

(٥) هـ : « الكثيرة » .

فى فنونٍ من القَصَص ، ويجعل للقرآن نصيباً من ذلك . وكان يونسُ بن حبيب يسمع منه كلامَ العرب ، ويحتجُّ به . وخصاله المحمودةُ كثيرة .

ثم قصَّ من بعده القاسم بن يحيى ، وهو أبو العبَّاس الضَّرير ، لم يُدرَك فى القُصّاص مثله . وكان يقُصُّ معهما وبعدهما مالك بن عبد الحميد المكفوف ، ويزعمون أنَّ أبا علىّ لم تُسمَع منه كلمةُ غِيبةٍ قط ، ولا عارض أحداً قطُّ من المخالِفين والحُسّاد والبُغاة بشىءٍ من المكافأة .

فأمَّا صالحٌ المُرّىّ ، فكان يكنى أبا بِشْر [١] ، وكان صحيحَ الكلام رقيقَ المجلس . فذكرَ أصحابنا أنَّ سفيان بن حبيب [٢] ، لَمَّا دخل البصرةَ وتوارَى عند مَرحومٍ العطّار [٣] قال له مَرحوم : هل لكَ أن تأتِىَ قاصاً عندنا هاهنا ، فتتفرَّجَ بالخروج والنّظر إلى النّاس ، والاستماع منه ؟ فأتاه على تكرُّهٍ ، كأنّه ظنّه ٢١٦
كبعض مَن يبلغه شأنُه ، فلمَّا أتاه وسمِع منطقَه ، وسمِع تلاوتَه للقرآن ، وسمعه يقول حدّثنا شُعْبة عن قَتَادة [٤] ، وحدثنا قَتادة عن الحسن ، رأى بياناً لم يحتسِبه ، ومذهباً لم يكن يظُنُّه [٥] ، فأقبل سفيانُ على مَرحومٍ فقال : ليس هذا قاصًّا ، هذا نَذير !

---

(١) فيما عدا ل : « فإنه كان » . وترجمة صالح فى ١١٣ .

(٢) هو أبو محمد سفيان بن حبيب البصرى ، أحد المحدثين الثقات . توفى سنة ١٨٣ . تهذيب التهذيب .

(٣) هو أبو محمد مرحوم بن عبد العزيز بن مهران العطار الأموى البصرى . كان من الثقات العباد . توفى سنة ١٨٧ . تهذيب التهذيب .

(٤) ترجمة قتادة فى ٢٤٢ . وأما شعبة ، فهو فيما عدا ل : « سعيد » وكلاهما محتمل ؛ إذ أن قتادة روى عنه شعبة ، وسعيد . وشعبة هو أبو بسطام شعبة بن الحجاج بن الورد العَتكىّ الأزدىّ الواسطى البصرى ، محدث كثير الرواية ، كان الشعبى يقول فيه : شعبة أمير المؤمنين فى الحديث . ويقولون إنه أول من تكلم فى الرجال . ولد سنة ٨٢ وتوفى سنة ١٦٠ . تهذيب التهذيب . وأما سعيد فهو سعيد بن أبى عروبة العدوى البصرى ، قال ابن أبى خيثمة . أثبت الناس فى قتادة سعيد بن أبى عروبة وهشام الدستوائى . توفى سنة ١٥٦ . تهذيب التهذيب .

(٥) هـ : « يدانيه » .

باب

ما قيل فى المخاصر والعصى وغيرهما

كانت العرب تخطب بالمخاصر (١) ، وتعتمد على الأرض بالقسِىّ ، وتشير بالعِصىّ والقَنا . نَعَمْ حتَّى كانت المخاصر لا تفارق أيدِىَ الملوك فى مجالسها ، ولذلك قال الشاعر (٢) :

فى كَفِّهِ خيزُرانٌ رِيحُهُ عبِقٌ ... بكفٌ أرْوَعَ فى عِرنينه شَمَمُ
يُغضِى حَياءً ويُغضَى مِن مَهابته ... فما يكلَّم إلا حينَ يبتسم
إن قال قال بما يهوى جميعُهم ... وإن تكلّم يوماً ساخَتِ الكَلِمُ
يكاد يُمسكه عِرْفانَ راحتِه ... ركنُ الحطيم إذا ما جاء يستَلِمُ (٣)

وقال الشاعر قولا فسَّر فيه ما قلنا . قال :

مجالسُهم خَفْضُ الحديث وقولُهم ... إذا ماقَضَوْا فى الأمر وحْىُ المَخاصرِ

وقال الكميت بن زيد :

---

(١) المخاصر : جمع مخصرة ، وهى ما يختصره الإنسان فيمسكه بيده ، من عصا أو مقرعة أو عنزة أو عكازة أو قضيب .

(٢) هو الفرزدق يقوله فى هشام بن عبد الملك ، كما فى أمالى المرتضى (١ : ٤٨) وزهر الآداب (١ : ٦٠) . أو الحزين الكنانى فى عبد الملك بن مروان كما فى ديوان الحماسة (٢ : ٢٨٤) . أو الفرزدق فى على بن الحسين كما فى العمدة (٢ : ١١٠) وأمالى المرتضى . أو للعين المنقرى فيه ، كما فى العمدة . أو لكثير بن كثير السهمى فى محمد بن على بن الحسين ، المؤتلف ١٦٩ . أو لداود بن سلم فى قثم بن العباس ، كما فى العمدة . وهذا مثل لمبلغ اختلاف الرواة فى نسبة الشعر . انظر الحيوان (٣ : ١٣٣) وعيون الأخبار (١ : ٢٩٤/٢ : ١٩٦) .

(٣) البيتان الأولان فى (٣ : ٤١ - ٤٢) . والثالث ساقط من هـ . زيد بعد هذا البيت فيما عدا ل :

كم هاتف لك من داع وداعية ... يدعون يا قثم الخيرات يا قثم

وَنَزُورُ مَسلَمَةَ المهذَّ ... بَ بالمؤبَّدَةِ السَّوائرْ (١)
بالمُذهَباتِ المُعجِباَ ... تِ لمُفْحَمٍ منّا وشاعرْ (٢)
أهلُ التَّجاوُبِ فى المحا ... فِلِ والمَقَاوِلِ بالمَخَاصِرْ (٣)
فهمُ كذلك فى المجا ... لِسِ والمحافِلِ والمَشاعِرْ (٤)

٢١ وكما قال الأنصارىُّ فى المجامع حيث يقول :

وسارت بنا سَيّارةٌ ذاتُ سَورةٍ ... بكُوم المطايا والخيولِ الجَماهِرِ (٥)
يؤُمُّون مُلْكَ الشّام حَتّى تمكنوا ... ملوكاً بأرضِ الشّام فوقَ المنابِرِ
يُصيبون فَصْلَ القولِ فى كلِّ خطبةٍ ... إذا وَصَلوا أيمانَهم بالمَخاصِرِ

وفى المخاصرِ والعصىِّ وفى خَدِّ وجهِ الأرض بالعِصىِّ ، قال الحطيئة :

أمْ من لَخصمٍ مُضْجِعين قسيَّهُمْ ... صُعُرٍ خُدودُهُم عظامِ المَفْخَرِ

وقال لَبيد بن ربيعة فى الإشارة :

غُلْبٍ تَشَذَّرُ بالذُّحول كأنّها ... جنُّ البَدِىِّ رواسياً أقدامُها (٦)

وقال فى خَدّ وَجه الأرض بالعصى والقسى :

نَشِينُ صحاحَ البِيد كُلَّ عشية ... بعُوج السَّراء عند بابِ مُحَجّبِ (٧)

---

(١) مسلمة ، هو مسلمة بن عبد الملك . انظر ٢٩٢ . المؤبدة : التى يبقى ذكرها على الأبد . عنى بها القصائد والمِدَح . ل : « بالمهذبة » وفى هامشها : « خ : بالمؤبدة » .

(٢) فى اللسان : « والمفحم . الذى لا يقول الشعر » .

(٣) المقاول : جمع مقول ، وهو البين الظريف اللسان .

(٤) المشاعر : مواضع المناسك . والأبيات الثلاثة الأولى فى (٣ : ١١٧) .

(٥) الكوم : جمع أكوم وكوماء ، وهو ما علا سنامه . وانظر (٣ : ١١٦ - ١١٧) .

(٦) الغلب : الغلاظ الأعناق . تشذر : يوعد بعضهم بعضا برفع اليد . والذحول : جمع ذحل ، وهو الحقد والثأر . والبدى : موضع ، أو هو البادية . والبيت من معلقته .

(٧) فى شرح ديوانه ٤٥ : « نشين صحاح البيد ، يقول : نخط بأطراف قسينا ، كلما ذكرنا يوما نقول : وهذا ! ... بعوج السراء ، يعنى بهذه القسى .عند باب محجب ، يعنى باب الملك . قال : وعند باب الملوك يتلاقى الناس فيتفاخرون ويخطون بقسيهم فيؤثرون فى الأرض ، فذلك شينهم صحاح البيد » . ل : « بعود السراء » .

عوج : جمع عوجاء ، وهى هاهنا القوس . السَّراء : شجر تعمل منه القِسِىّ .
وفى مثله يقول الشاعر :

إذا اقتسَم النّاسُ فَضْلَ الفَخارِ   أطَلْنا على الأرض مَيْلَ العصا

وقال الآخر :

كَتَبتْ لنا فى الأرض يومَ محرِّقٍ   أيّامُنا فى الأرض يوماً فَيْصلَا (١)

وقال لَبيد بن ربيعة فى ذكر القسى :

ما إنْ أهابُ إذا السُّرادِقُ غَمَّه   قَرْعُ القِسىِّ وأُرْعِش الرِّعديدُ (٢)

وقال مَعنُ بنِ أوسٍ المُزَنىّ (٣) :

ألا مَن مُبلغٌ عنِّى رسولاً   عُبَيدَ الله إذْ عَجِلَ الرِّسالا (٤)
تُعَاقِل دُونَنا أبناءَ ثورٍ   ونحنُ الأكثرون حصًى ومالا (٥)
إذا اجتمع القبائل جئت رِدْفا   وَراءَ الماسحين لك السِّبالا (٦) ١٨
فلا تُعْطَى عَصَا الخطباء فيهم   وقد تُكفَى المَقادةَ والمَقالا (٧)
فإنكمُ وتركَ بنى أَبيكم   وأسْرَتَكم تجُرُّون الحِبالا (٨)

---

(١) انظر لمحرق ما مضى فى حواشى ٢٦٧ .

(٢) السرادق ، أى سرادق الملك . غمه : علاه وستره ، أى كثر فيه . ل : « عمه » وما أثبت من سائر النسخ يطابق رواية الديوان ٢٧ طبع ١٨٨٠ .

(٣) معن بن أوس : شاعر فحل من مخضرمى الجاهلية والإسلام ، له مدائح فى جماعة من الصحابة . وعمر إلى زمان ابن الزبير . وهو الذى قال له : « لعن الله ناقة حملتنى إليك » . فقال : « إن وراكبها » . وكف فى آخر عمره . الأغانى (١٠ : ١٥٦) والإصابة ٨٤٤٥ ونكت الهميان ٣٩٤ والخزانة (٣ : ٢٥٨) . ونسب القول إلى عبد الله بن فضالة فى الأغانى ونكت الهميان ٣٩٤ والخزانة (٣ : ٢٥٨) . ونسب القول إلى عبد الله بن فضالة فى الأغانى (١٠ : ١٦٢) . وإلى عبد الله بن الزَّبير الأسدى فى الخزانة (٢ : ١٠٠) وزهر الآداب (٢ : ١٦٤) .

(٤) عجِله : سبقه . وفى الكتاب : « أعجلتم أمر ربكم » .

(٥) تعاقل : من العقل ، وهو الدية . حصى ، أى عددا .

(٦) السبال : جمع سبلة ، وهو مقدم اللحية . ومسح اللحى كناية عن التهدد والتوعد ، أو هو تأهب للكلام . انظر تفسير البغدادى فى الخزانة (١ : ٥٢٥) لقول الشماخ :

أتتنى سليم قضها بقضيضها   تمسح حولى بالبقيع سبالها

فيما عدا ل : « أمام الماسحين » ، تحريف .

(٧) يقول : لست برئيس ولا خطيب . ل : « فلا يعطى عطا » صوابه فى سائر النسخ .

(٨) هذا البيت وما بعده فى ل فقط . وانظر (٣ : ٩) .

وودُّكم العِدى ممَّن سِواكُمْ لكالحيران يتّبع الضلالا

ومما قالوا فى حمل القناة قوله :

إلى امرئٍ لا تَخَطّاهُ الرِّفاقُ ، ولا جَذْبِ الخِوَانِ إذا ما استُنْشِئَ المرقُ (١)

صُلْبُ الحيازيم لا هَذْرُ الكلامِ إذا هزَّ القناةَ ولا مُسْتَعْجِلٌ زَهِقُ (٢)

وكما قال جريرُ بن الخطفى (٣) :

مَن للقَناة إذا ما عَيَّ قائلها أمْ للأَعِنَّة ياشَبَّ بنَ عَمّارِ (٤)

وقال : ومثل هذا قول أبى المجيب الرَّبَعيّ (٥) : « ما تزال تحفَظُ أخاك حتَّى يَأخذ القناةَ ، فعند ذلك يَفضَحُك أو يحمَدك » . يقول : إذا قام يخطب .

وفى كتاب جبل بن يزيد (٦) : « احفَظْ أخاك إلّا من نفسه » .

وقال عبد الله بن رُؤبة (٧) : سأل رجلٌ رؤبةَ عن أخطبِ بنى تميم ، فقال :

---

(١) لا تخطاه الرفاق : لا يتخطونه ، يقول : هو أبداً أمامهم . فيما عدا ل : « الرقاب » . يقول : هو كثير الطعام على الخوان . الاستنشاء والاستنشاق بمعنى . يقول : هو فى وقت الأزمة والسنة حين يتشهى الناس الطعام مخصب ذو يسر وكرم . فيما عدا ل ، هـ : « العراق » تحريف .

(٢) الحيزوم : ما استدار بالظهر والبطن . هز القناة ، أى الرمح حين الخطبة . فى اللسان « وفلان زهق ، أى نزق » .

(٣) فيما عدا ل : « وقال جرير الخطفى » ؛ وهو خطأ ، إذ أن الخطفى لقب جده عوف وهو جرير بن عطية بن عوف الخطفى .

(٤) كذا فى ل ، هـ . وفيما عداهما : « شيب بن عمار » . وكلاهما خطأ فى الرواية ؛ إذ أن البيت من أبيات فى ديوان جرير ٢٣٦ – ٢٣٧ يرثى بها عقبة بن عمار ، أولها :

ياعقب لا عقب لى فى البيت أسمعه من للأرامل والأضياف والجار
أم من لباب إذا ما اشتد حاجبه أم من لخصم بعيد السأو خطار
أم من يقوم بفاروق إذا اختلفت غياطل الشك من ورد وإصدار
أم للقناة إذا ما عى قائلها أم للأعنة يا عقب بن عمار

(٥) أبو المجيب الربعى : أحد فصحاء العرب الذين روى عنهم ابن الأعرابى ، انظر ابن النديم ١٠٣ .

(٦) جبل بن يزيد : كاتب عمارة بن حمزة ، وكان مترجما من معدودى البلغاء والبرعاء . وعمارة ابن حمزة ، كان مولى لأبى جعفر المنصور وكاتبا له . انظر ابن النديم ١٧١ .

(٧) هو العجاج ، والد رؤبة . والعجاج لقبه ، وكنيته أبو الشعثاء .

« خِداش بن لبيد بن بَيْبَة » يعنى البَعِيث (١) . وإنّما قيل له البعيثُ لقوله :

تَبَعّثَ منى ما تَبعّثَ بعد ما   أُمِرَّتْ حِبالى كُلَّ مِرّتها شَزْرا (٢)

وزعم سُحَيم بن حفص أنّه كان يقال : أخطب بنى تميم البَعيثُ إذ أخذ القناة .

وقال يونس : لَعمرِى لئن كان مغلّباً فى الشّعر لقد كان غُلِّب فى الخُطَب (٣) .

* * *

ومن الشعراء من يَغلِبُ شىءٌ قاله فى شعره ، على اسمه وكنيته ، فيسَمَّى به بَشَرٌ كثير (٤) . فمنهم البَعيث هذا . ومنهم عوف بن حِصن (٥) بن حُذيفة ابن بَدْر ، غلب عليه عُوَيفُ القوافى لقوله :

سأُكذِب مَن قد كان يزْعُم أنّنى   إذا قلتُ شعراً لا أجيدُ القوافيا

فسمّى عُوَيفَ القوافِى لذلك .

ومنهم : يَزِيد بن ضِرار التغلبىّ ، غلب على اسمه المزَرِّد ؛ لقوله :

فقلت تزرّدْها عُبيدُ فإنّنى   لِدُرْدِ الموالى فى السِّنينَ مُزَرِّدُ (٦) ١٩

فسمّى المزرِّد (٧) .

ومنهم : عَمرو بن سَعْدِ بن مالك ، غلب عليه مُرَقِّشٌ (٨) ؛ وذلك لقوله :

---

(١) ترجم فى ٢٠٤ . ونسبه فى المؤتلف ٥٦ : خداش بن بشر بن خالد بن بيبة .

(٢) أمرت شررا : أحكم فتلها عن اليسار . وقيل سمى البعيث لقوله :

تبعث منى ما تبعث بعد ما اسـ   ـتمر فؤادى واستمر عزيمى

(٣) انظر ما سيأتى فى (٤ : ٨٤) .

(٤) انظر ذكر من لقب ببيت شعر قاله ، فى المزهر (٢ : ٤٣٤ – ٤٤٣) والعمدة (١ : ٢٣ – ٢٤) .

(٥) فيما عدا ل ، هـ : « حصين » ، تحريف . انظر الاشتقاق : ١٧٣ . ونسبه فى الأغانى (١٧ : ١٠٥) : « عويف بن معاوية بن عقبة بن حصن – أو ابن عقبة بن عيينة بن حصن – بن حذيفة بن بدر » . وهو شاعر مقل من شعراء الدولة الأموية من ساكنى الكوفة .

(٦) الدرد : جمع أدرد ودرداء ، وهو الذى ذهبت أسنانه . فى السنين : فى الجدب . وكلمة « تزرد » و « مزرد » لم يرد لهما تفسير فى المعاجم ، وهما من الزرد بمعنى الابتلاع والبيت فى صفة زبدة ، كما فى المؤتلف ١٩٠ .

(٧) وهو أخو الشماخ بن ضرار الشاعر المعروف .

(٨) فيما عدا ل : « المرقش » . ما عدا هـ : عمرو بن سعيد » تحريف .

الدّار قفرٌ والرسوم كما ... رَقّشَ فى ظهر الأديمِ قَلَمْ (١)

فسمّى مرقّشا . ومنهم : شَأْس (٢) بن نَهارٍ العبدىّ ، غلب عليه الممزِّق (٣) لقوله :

فإن كنتُ مأكولاً فكن خيرَ آكلٍ ... وإلّا فأدرِكْنى ولمّا أُمَزَّقِ (٤)

فسمّى الممزِّق . ومنهم: جرير بن عبد المسيح الضُّبَعىّ ، غلَب عليه المتلمِّس لقوله :

فهذا أوانُ العِرض حَىَّ ذبابُه ... زنابيرُه والأزرقُ المُتَلَمِّس (٥)

ومنهم : عمرو بن رِياح السُّلَمىّ (٦) ، أبو خنساءَ ابنةِ عمرٍو ، وغلَبَ الشّريد على اسمه لقوله (٧) :

تولّى إخوتى وبَقِيتُ فردا ... وحيداً فى ديارهِمُ شريدا

فسمِّى الشريد . وهذا كثير .

* * *

---

(١) من قصيدة له فى المفضليات (٢ : ٣٧ – ٤١) .

(٢) فى الأصول : « سالم » تحريف صوابه فى ابن سلام ١٠٨ والاشتقاق ١٩٩ والمزهر (٢ : ٤٣٥) والعمدة (١ : ٢٣) وزهر الآداب (١ : ٣٦) والقاموس واللسان (مزق) والمؤتلف ١٨٥ ومعجم المرزبانى ٤٩٥ . وفى الأخير : « وقيل اسمه يزيد بن نهار » .

(٣) الممزق ، بفتح الزاى المشددة وكسرها . وهو شاعر جاهلى من بنى عبد القيس .

(٤) البيت من قصيدة له فى الأصمعيات ٤٧ ليبسك ، يقولها لعمرو بن هند حين هم بغزو عبد القيس ، فلما بلغته القصيدة انصرف عن عزمه . انظر المؤتلف . وبهذا البيت تمثل عثمان فى رسالة بعث بها إلى على بن أبى طالب ، وذلك حين أحيط به ، قال : « أما بعد فإنه قد جاوز الماء الزبى ، وبلغ الحزام الطبيين ، وتجاوز الأمر بى قدره ، وطمع فى من لا يدفع عن نفسه ، ولم يعجزك كلئيم ، ولم يغلبك كمغلب . فأقبل إلى ، معى كنت أو على ، على أى أمريك أحببت :

فإن كنت مأكولا فكن خير آكل ... وإلا فأدركنى ولما أمزق »

العمدة (١ : ١٧١) وابن سلام ١٠٨ وزهر الآداب (١ : ٣٦) .

(٥) العرض : واد باليمامة . حى ذبابه ، من الحياة ، والمراد هنا الانتعاش . ويروى : « جن ذبابه » . وفيما عدا ل : « طن ذبابه » . والأزرق : ضرب من الذباب .

(٦) ب فقط : « رباح » بالباء الموحدة ، والمعروف فى نسب الخنساء أنها بنت عمرو بن الشريد ابن رياح . الإصابة ٣٥٣ من قسم النساء والخزانة (١ : ٢٠٨) . وفى الأغانى (١٣ : ١٢٩) أنها بنت عمرو بن الحارث بن الشريد بن رياح .

(٧) فيما عدا ل : « غلب عليه الشريد لقوله » .

قال : ودخل رجلٌ من قيسِ عَيلان على عبد الملك بن مروان ، فقال زُبَيرىّ عُمَيرىّ (١) والله لا يحبُّك قلبى أبدا ! فقال : « يا أمير المؤمنين ، إنّما يجزع من فِقدان الحبِّ المرأة ، ولكن عدلٌ وإنصافٌ (٢) .

وقال عمر لأبى مريم الحنفىّ (٣) ، قاتلِ زيدِ بن الخطاب : « لا يحبُّك قلبى أبداً حتّى تحبَّ الأرضُ الدمَ المسفوح » . وهذا مثل قول الحجّاج : « والله لأقلعنّك قَلع الصَّمْغَةِ » . لأنّ الصمغة اليابسة إذا قُرِفَت (٤) عن الشجرة انقلعت انقلاع الجُلْبَة (٥) . والأرض لا تَنْشَفُ الدَّمَ المسفوحَ ولا تمَصُّه ، فمتى جفَّ الدم وتجلّب (٦) لم تره أخذ من الأرض شيئاً .

* * *

ومن الخطباء : الغَضبان بن القَبَعْثَرَى (٧)،وكان محبوساً فى سجن الحَجّاج ،

---

(١) ل : « عمرى » . وسيعاد الخبر فى (٢ : ٨٩) .

(٢) الخبر فى عيون الأخبار (٣ : ١١) مع إيجاز .

(٣) هذا الصواب فى ل . وفيما عدا ل : « الحنفى السلولى » وهو خلط فى النسب . وفى الكامل ٣٤٦ ليبسك أنه « السلولى » . وفى حواشيه : « وهم أبو العباس رحمه الله فى قوله أبو مريم السلولى ، إنما هو أبو مريم الحنفى ، وكان سبب بغضه إياه أنه قتل أخاه زيد بن الخطاب ، وكان أبو مريم صاحب مسيلمة الكذاب ، واسم أبى مريم إياس بن صبيح ، ثقة كوفى . واسم أبى مريم السلولى مالك بن ربيعة ، من الصحابة ، روى عنه ابنه يزيد وغيره » . والخبر أيضاً فى عيون الأخبار (٣ : ١٣) والحيوان (٣ : ١٣٦ / ٤ : ٢٠١) .

(٤) قرفت : قشرت وقلعت . ماعدا هـ : « فرقت » تحريف . وفى اللسان : وقولهم:تركته على مثل مقرف الصمغة ، وهو موضع القرف ، أى مقشر الصمغة » .

(٥) الجلبة بالضم : القشرة تعلو الجرح عند البرء.وانظر (٣ : ٦٠) .

(٦) المعروف فيه جلب وأجلب ، أى يبس.ل « تجلف » ولا وجه له .

(٧) القبعثَرى ، بفتحات بينها سكون العين ، أصل معناه الجمل العظيم الضخم . والغضبان هذا رجل شيبانى ، وكان من زعماء مروانية أهل العراق الذين كان عبد الملك يرعى جانبهم . انظر الطبرى (٧ : ١٨٤) . وقد أوفده الحجاج بكتاب إلى قطرى بن الفجاءة ، نصه فى الكامل ٢١٤ ليبسك .

فدعا به يوماً ، فلما رآه قال : إنك لَسَمين ! قال : القَيْدُ والرَّتْعة (١) ، ومَن يكن ضيفاً للأمير يَسمَن » .

وقال يزيد بن عياض (٢) : لما نَقِمَ النّاس على عثمان ، خرج يتوكّأ عَلَى
٢٢ مروان (٣) ، وهو يقول : « لكلِّ أُمّةٍ آفة ، ولكلِّ نِعمة عاهَة ، وإنّ آفةَ هذه الأمّة عَيّابون طعّانون ، يُظهرون لكم ما تحبُّون ، ويُسِرّون ما تكرهون ، طَغَامٌ مثلُ النَّعام ، يتبَعُون أوّلَ ناعق ، لقد نَقَموا عليَّ ما نقموه علَى عُمر ، ولكنْ قَمَعهم عمرُ ووَقَمَهُم . والله إنّى لَأَقربُ ناصراً وأعزّ نفرا . فَضَلَ فَضْلٌ من مالى ، فما لِيَ لا أفعل فى الفضل ما أشاء » .

قال : ورأيتُ النّاس يتداولون رسالة يحيى بن يعمر (٤) ، على لسان يزيد ابن المهلب (٥) : « إنّا لقِينا العدُوّ فقتلنا طائفةً وأسَرْنا طائفة ، ولحقَتْ طائفةٌ

---

(١) الرتعة ، بالفتح وبالتحريك : الاتساع فى الخصب . والخبر فى اللسان (رتع) بلفظ : « الخفض والدعة ، والقيد والرتعة ، وقلة التعتعة » . وأول من قال « القيد والرتعة » هو عمرو بن الصعق ، وكانت شاكر من همدان قد أسروه ، فأحسنوا إليه ، وقد كان يوم فارق قومه نحيفاً ، فهرب من شاكر فلما وصل إلى قومه قالوا : أى عمرو ، خرجت من عندنا نحيفاً وأنت اليوم بادن ! فقال : القيد والرتعة . انظر اللسان والميدانى (٢ : ٤١) .

(٢) هو أبو الحكم يزيد بن عياض بن جعدبة الليثى المدنى ، من ضعاف أهل الحديث ، توفى بالبصرة فى خلافة المهدى . تهذيب التهذيب .

(٣) مروان هذا ، هو مروان بن الحكم والد عبد الملك ، ولد لسنتين خلتا من الهجرة ، وقبض رسول الله وهو ابن ثمان سنين ، وولى لعبد الله بن عامر رستاقا من أردشير خره ، ثم ولى البحرين لمعاوية ثم المدينة مرتين ، ثم بويع له بالخلافة ، فوليها عشرة أشهر ، ومات بالشام سنة خمس وستين .

(٤) يحيى بن يعمر التابعى ، أديب نحوى فقيه ، كان من فصحاء أهل زمانه وأكثرهم علماً باللغة ، سمع ابن عمر وجابراً وأبا هريرة ، وأخذ النحو عن أبى الأسود . ولاه قتيبة بن مسلم قضاء خراسان وتوفى سنة ١٢٩ . بغية الوعاة ، وتهذيب التهذيب ، وابن الأثير .

(٥) وجه الرسالة إلى الحجاج ، كما فى اللسان (٦ : ٢٣٥) وما يفهم من السياق . ويزيد هو يزيد بن المهلب بن أبى صفرة ، من أمراء الدولة الأموية وقوادها ، وكان الحجاج زوج أخته هند بنت المهلب ، وكان يكرهه لنجابته ، فأشار على عبد الملك بعزله ، فعزله ثم حبسه الحجاج وعذبه ، فهرب إلى سليمان بالشام فآواه ، وحبسه عمر بن عبد العزيز فهرب أيضا ولما ولى يزيد بن عبد الملك خلعه فوجه إليه أخاه مسلمة فقتله . وفيات الأعيان .

بعَراعِر الأودية وأهضام الغِيطان ، وبتنا بعُرعُرة الجبل ، وبات العدُوُّ بحضيضه » قال : فقال الحجَّاج : ما يزيدُ بأبى عُذْرِ هذا الكلام (١) . فقيل له : إنّ معه يحيى بنَ يعمر ! فأمر بأن يحمل إليه (٢) فلما أتاه قال : أين وُلدتَ ؟ قال : بالأهواز . قال : فأنَّى لك هذه الفصاحة ؟ قال : أخذتُها عن أبى .

عراعر الأودية : أسافلها . وعراعر الجبال : أعاليها . وأهضام الغيطانِ : مداخلها . والغيطان : جمع غائط ، وهو الحائط ذو الشجر .

ورأيتُهم يديرون (٣) فى كتبهم أن امرأةً خاصمت زوجَها إلى يحيى بن يعمر فانتهرَها مراراً ، فقال له يحيى بن يعمر : « أأنْ سألتْكَ ثَمن شَكْرِها وشَبْرِك ، أنشأتَ تطُلُّها وتَضْهَلُها (٤) » .

قالوا : الضّهل : التَّقليل . والشَّكْر : الفرج (٥) والشَّبْر : النِّكاح (٦) . وتَطُلّها: تذهب بحقّها ؛ يقال دمٌ مطلول . ويقال بئر ضَهول ، أى قليلة الماء .

قال : فإن كانوا إنّما روَوا هذا الكلام لأنّه يدلُّ على فصاحةٍ فقد باعده الله من صفة البلاغة والفصاحة . وإن كانوا إنّما دوَّنوه فى الكتب ، وتذاكروه فى المجالس لأنّه غريب ، فأبياتٌ من شعر العجَّاج وشعر الطِّرِمّاح وأشعارِ هُذيل ، تأتِى لهم مع حُسن الرَّصْف على أكثر من ذلك (٧) . ولو خاطب بقوله « أأنْ سألتكَ ثمن شَكرها وشَبْرك أنشأت تطُلّها وتضهَلها » الأصمعيَّ ،

(١) يقال هو أبو عذر هذا الكلام وعذرته أيضا ، أى أول من قاله ، كأنه افتضّه أولا . فيما عدا ل : « بأبى عذرة » .

(٢) بدلها فيما عدا ل : « فحمل إليه » .

(٣) ل : « يزيدون » تحريف .

(٤) الخبر فى اللسان (شكر ، شبر ، طلل ، ضهل) ، والصناعتين ٣٠ .

(٥) فيما عدا ل : « الجماع » والصواب ما أثبت من ل .

(٦) فيما عدا ل : « البضع » كلاهما صحيح .

(٧) فيما عدا ل : « مما ذكروا » . وما أثبت من ل يطابق ما فى الصناعتين .

لظننتُ أنّه سيجهل بعض ذلك . وهذا ليس من أخلاق الكتاب ولا من آدابهم .

قال أبو الحسن : كان غلامٌ يقعّر فى كلامه ، فأتى أبا الأسود الدّؤلى (١) يلتمس بعضَ ما عنده ، فقال له أبو الأسود : ما فعَل أبوك ؟ قال : « أخذته الحُمَّى فطبخَتْه طبخاً ، وفنَخته فنْخا ، وفضَخته فضخا ، فتركته فرخا » .

فنختْه : أضعفته . والفنيخ : الرخو الضعيف . وفضخته : دقّته .

فقال أبو الأسود : « فما فعلت امرأتُه التى كانت تُهارُّه وتشارُّه (٢) ، وتجارُّه (٣) وتُزارُّه » ؟ قال :« طلَّقَها فتزوَّجت غيرَه ، فرضيَتْ وحَظِيت وبظيت » .

٢ قال أبو الأسود : قد عرَفنا رضيت وحظيت ، فما بظيت ؟ قال : حرف من الغريب لم يبلغْك . قال أبو الأسود : يا بُنىّ كلُّ كلمةٍ لا يعرفها عمُّك فاسترُها كما تستر السّنورُ جَعْرها (٤) .

تزارّه : تَعاضُّه . والزَّرُّ : العضّ . وحَظيت : من الحُظوة . وبظيَت : إتباعٌ لحظيَت .

قال أبو الحسن : مَرّ أبو علقمة النحوىُّ (٥) ببعض طرق البصرة ، وهاجت به مِرَّةٌ ، فوثب عليه قوم منهم فأقبَلوا يَعَضُّون إبهامَه ويؤذِّنون فى أذنه ، فأفلتَ منهم (٦) فقال : « ما لكم تتكأكئون علىَّ كما تَكأكئون على ذى جِنَّةٍ (٧) ، افرنْقِعوا

---

(١) فيما عدا ل : « الدئلى » . ويقال في النسبة إلى « دئل » : « دؤلى » و « دئلى » .

(٢) تهاره : تهر فى وجهه كما يهر الكلب . وتشاره : تعاديه وتخاصمه . فيما عدا ل : « تشاره وتجاره » .

(٣) تجاره : تلحق به الجريرة .

(٤) فيما عدا ل : « خرءها » .

(٥) أبو علقمة النحوى التميرى . قال : ياقوت : أراه من أهل واسط . وقال القفطى : قديم العهد يعرف اللغة ، كان يتقعر فى كلامه ويعتمد الحوشى من الكلام والغريب . بغية الوعاة ٣٢٥ . وإرشاد الأريب (١٢ : ٢٠٥ – ٢١٥) .

(٦) فيما عدا ل : « من أيديهم » . وانظر الخبر فى الصناعتين ٢٧ .

(٧) الجنة : الجنون . فيما عدا ل : « كانكم تتكأكئون » .

عنّى (١) » . قال : دعُوه فإنَّ شيطانه يتكلّم بالهنديّة .

قال أبو الحسن : وهاجَ بأبى علقمة الدم فأتَوْه بحجّام ، فقال للحجّام : « اشدُد قصب المَلَازم (٢) ، وأَرْهِف ظُباتِ المشارط ، وأسرع الوضعَ وعجِّل النَّزع ، وليكن شرطُك وَخْزاً ، ومصُّك نَهزاً ، ولا تُكرِهنَّ أبيًّا ، ولا تردَّنَّ أتِيًّا. فوضع الحجام محاجمه فى جُونته ثم مضى (٣) .

فحديثُ أبى علقمةَ فيه غريب ، وفيه أنّه لو كان حجاماً مَرّة ما زاد على ما قال . وليس فى كلام يحيى بن يعمر شىء من الدُّنيا إلا أنّه غريب ، وهو أيضاً من الغريب بغيض .

وذكروا عن محمد بن إسحاق قال : لما جاء ابنَ الزبير وهو بمكّة قتلُ مروانَ الضّحاكَ (٤) بمرج راهط ، قام فينا خطيباً فقال : « أن ثَعلب بن ثعلب ، حَفر بالصحصحة ، فأخطأت استُه الحفرة (٥) . والَهْفَ أمّ لم تلدنى على رَجُلٍ من محارب (٦) كان يرعى فى جبال مكّة ، فيأتى بالصَّربة من اللبن (٧) فيبيعها بالقُبْضة من الدقيق ، فيرى ذلك سِداداً من عيش ، ثم أنشأ يطلب الخلافة ووراثة النبوّة » .

(١) يروى هذا القول أيضا لعيسى بن عمر ، كما فى بغية الوعاة ٢٢٥ .

(٢) الخبر فى الصناعتين ٢٦ – ٢٧ . والملازم : جمع ملزم ، بالكسر ، وهو خشبتان مشدود أوساطهما بحديد تجعل فى طرفها قناحة فتلزم ما فيها لزوماً شديداً .

(٣) فيما عدا ل : « وانصرف » . الجونة ، بالضم : سليلة مستديرة مغشاة أدما .

(٤) الضحاك هذا هو الضحاك بن قيس بن خالد الفهرى ، ولد فى زمان الرسول بعد الهجرة ، ولاه معاوية الكوفة ثم عزله ، ثم ولاه دمشق . ولما مات معاوية بن يزيد بن معاوية دعا إلى نفسه فقاتله مروان فقتل بمرج راهط سنة ٦٤ الإصابة ٤١٦٤ والطبرى (٧ : ٣٧ – ٤١) .

(٥) الصحصحة والصحصح : الأرض المستوية الواسعة . والخبر فى اللسان (٣ : ٣٣٩) . وقال : « وهذا مثل للعرب تضربه فيمن لم يصب موضع حاجته . يعنى أن الضحاك طلب الإمارة والتقدم فلم ينلها » .

(٦) يعنى الضحاك بن قيس ، ينتهى نسبه إلى محارب بن فهر .

(٧) الصربة : الواحدة من الصرب ، وهو اللبن الحقين الحامض . فيما عدا ل : « بالشربة » . وهذه العبارة فى اللسان (صرب) .

وأوّلُ هذا الكلامِ مستكره ، وهو موجود فى كلّ كِتاب ، وجارٍ على لسان كلِّ صاحِب خبر . وقد سمعتُ لابن الزُّبير كلاماً كثيراً ليس هذا فى سبيله ، ولا يتعلّق به .

وقال أبو يعقوبَ الأعور [١] :

وخَلْجةِ ظَنٍّ يَسبِق الطّرْفَ حزمُها تُشِيف على غُنْمٍ وتُمْكن من ذَحْلِ
صَدعتُ بها والقومُ فوضَى كأنَّهم بِكارةُ مِرباع تُبصبِص للفَحلِ

خلجة ظنّ : أى جذبة ظنٍّ ، كأنَّه يجذِب صوابَ الرأى جذبا . والخَلج :
٢١ الجذْب [٢] . تُشِيف : أى تُشرِف ؛ يقال أشافَ وأشفى بمعنى واحد ، أى أشرف . بِكارة مرْباع : أى نوقٌ فتايا [٣] قد أُذِلَّت للفحل . مرباع : أى نوق رئيس [٤] . والمرباع : رُبع الغنيمة فى الجاهليَّة لصاحب الجيش . وقال ابن عَنَمة [٥] :

لك المِرباع منها والصَّفايَا وحُكمكَ والنَّشيطة والفُضولُ [٦]

وقال رجل من بنى يربوع :

إلى الله أشكو ثم أشكو إليكما وهل تنفع الشكوى إلى مَن يَزيدُها
حزازاتِ حُبٍّ فى الفؤاد وعَبْرةً أظَلُّ بأطراف البنان أذودُها [٧]
يَحنُّ فؤادى من مخافةِ بينِكم حنين المُزَجَّى وِجهةً لا يريدُها

---

(١) فيما عدا ل : « الأعور السلمى » ولست منه على بينة . وقد أنشد له الجاحظ شعرا فى الحيوان (٣ : ٧٢٠) وذكره أيضا فى (٥ : ٣١٦) .

(٢) بدل هذا كله فى هـ : « خلجة ظن ، أى ظن سريع » .

(٣) فتايا : جمع فتية . فيما عدا ل « صغار » .

(٤) فى الأصول : « ربيع » وفى اللسان : « ما يأخذه الرئيس » .

(٥) هو عبد الله بن عنمة الضبى ، أحد شعراء المفضليات ، وهو مخضرم شهد القادسية ، ذكره ابن حجر فى الإصابة ٦٣٣٤ . وانظر الخزانة (٣ : ٥٨) .

(٦) البيت فى اللسان (ربع ، صفا ، نشط ، فضل) . وهو من أبيات ثمانية فى الحماسة (١ : ٤٢٠) .

(٧) الحزازة : وجع فى القلب من غيظ ونحوه . ل : « حرارات » .

وقد أحسن الآخر حيث قال :

وأكرِمِ نفسى عن مَناكحَ جَمَّةٍ ويقصُر مالى أن أنالَ الغواليا

وقال الآخر :

وإذا العبدُ أغلق البابَ دونى لم يُحرَّم علىَّ متنُ الطريقِ

وقال الخليع العُطارِدىُّ [١] : كنّا بالبادية إذْ نشأ عارضٌ وما فى السماء قَزَعة معلَّقة [٢] ، وجاء السّيْلُ فاكتسح أبياتاً من بنى سعد ، فقلت :

فَرِحنا بوَسمىٍّ تألّقَ وَدْقُه عِشاءً فأبكانا صَباحاً فأسرعا [٣]

له ظُلّةٌ كأنَّ ريِّقَ وَبْلها عَجاجةُ صَيف أو دخانٌ تَرفَّعا [٤]

فكان على قوم سلاماً ونعمةً وألحق عاداً آخرين وتُبَّعا [٥]

وقال أبو عطاء السِّندىُّ [٦] ، لعُبيد الله بن العباس الكندىّ :

قُلْ لعُبيدِ اللهِ لو كان جعفرٌ هو الحىُّ لَمْ يبرَحْ وأنتَ قتيلُ [٧]

إلى معشرٍ أرْدَوْا أخاك وأكفروا أباكَ فماذا بعد ذاك تقول ٣

فقال عُبيد الله : أقول: عَضٌّ أبو عطاء بِبَظْر أمّه ! فَغُلِّب عليه .

قال أبو عبيدة : قال أبو البصير ، فى أبى رُهْم السَّدوسىّ ، وكان يلى الأعمال لأبى جعفر :

---

(١) قال فى المؤتلف ١١٣ : « الخليع السعدى ، وهو الخليع بن زفر ، أحد بنى عطارد بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، يقال له الخليع العطاردى » .

(٢) القزعة ، بالتحريك : واحدة القزع ، وهو قطع السحاب .

(٣) الوسمى : مطر الربيع الأول . والودق : المطر .

(٤) الريق : أول كل شىء . ترفع : ارتفع .

(٥) ل : « سلاما وسرة » . ألحق الآخرين عادا : أهلكهم مثلهم .

(٦) أبو عطاء السندى ، هو أفلح بن يسار ، مولى لبنى أسد ، وشاعر من مخضرمى الدولتين . وكان من شيعة بنى أمية . توفى عقب أيام المنصور . الخزانة (٤ : ١٧٠) والشعر والشعراء والأغانى (١٦ : ٨٨ – ٨٤) .

(٧) فيما عدا ل ، هـ : « وقل » بدون الخرم . كما أن هذا البيت فيما عداهما متأخر عن لاحقه .

رأيتُ أبا رُهْمٍ يقرِّب مُنْجِحاً   غلامَ أبى بشرٍ ويُقصِى أبا بشرِ [١]
فقلت ليحيى كيف قَرَّبَ مُنْجِحاً   فقال : له أيرٌ يزيد على شِبرِ

* * *

وقال أبو عثمان : وقد طعنت الشُّعوبية على أخذ العرب فى خُطَبِها المخصرة والقناةَ والقضيبَ ، والاتكاءِ والاعتماد على القَوس ، والخدِّ فى الأرض ، والإشارة بالقضيب ، بكلامٍ مستكره سنذكره فى الجزء الثانى [٢] ، إن شاء الله . ولابد من أن نذكر فيه بعضَ كلامِ معاوية ، ويزيدَ ، وعبد الملك ، وابنِ الزبير ، وسليمانَ ، وعمرَ ابنِ عبد العزيز ، والوليدِ بن يزيدَ بنِ الوليد ؛ لأنَّ الباقين من ملوكهم لم يُذكَر لهم من الكلام الذى يُلحق بالخُطب ، وبصناعة المنطق ، إلا اليسير . ولابدّ من أن نذكر فيه أقسامَ تأليف جميع الكلام ، وكيف خالف القرآنُ جميعَ الكلام الموزونِ والمنثور ، وهو منثورٌ غير مقفًّى على مخارج الأشعار والأسجاع ، وكيف صار نظمُه من أعظم البرهان ، وتأليفه من أكبر الحجج . ولابدَّ من أن نذكر فيه شأنَ إسماعيل ﷺ وانقلابَ لغته بعد أربعَ عشرةَ سنة ، وكيف نسِى لغتَه التى رَبِىَ فيها ، وجَرى على أعراقها ، وكيف لفَظَ بجميع حاجاته بالعربيّة على غير تلقينٍ وترتيب ، وحتى لم تدخله عجمة ، ولا لُكْنة ولا حُبْسة ، ولا تعلَّق بلسانه شىءٌ من تلك العادة ، إن شاء الله .

ولابد من ذكر بعض كلام المأمون ومذاهبه ، وبعضِ ما يحضرنى من كلام آبائه وجِلّةِ رَهطه . ولابدَّ أيضاً مِن ذكر مَن صعد المنبر فَحَصِر أو خَلَّط ، أو قال فأحسن ؛ ليكون أَتمَّ للكتاب [٣] إن شاء الله .

---

(١) فيما عدا ل : « ويجفو أبا بشر » . وأشير فى هـ إلى رواية : « يقصى » .

(٢) فيما عدا ل : « الثالث » وهو خطأ .

(٣) فيما عدا ل : « ليكون الكتاب أكمل » .

ولا بدَّ من ذكر المنابر ولِمَ اتُّخِذت ، وكيف كانت الخطباء من العرب ٢٤ فى الجاهلية وفى صدْر الإسلام (١) ، وهل كانت المنابرُ فى أمَّةٍ قطُّ غير أمَّتنا ، وكيف كانت الحال فى ذلك . وقد ذكرنا أنَّ الأمم التى فيها الأخلاقُ والآداب والحِكَم والعلم أربع ، وهى : العرب ، والهند ، وفارس ، والروم . وقال حُكَيم بنُ عيَّاش الكلبىُّ (٢) :

ألم يكُ مُلْكُ أرضِ الله طُرًّا ... لأربعـــةٍ له متميِّزينـــا
لحميرَ والنَّجاشِى وابنِ كِسرى ... وقَيصرَ غيرَ قولِ المُمْترينا

فما أدرى بأىِّ سببٍ وضع الحبشةَ بهذا المكان . وأما ذكرهُ لحمير فإنْ كانَ إنّما ذهب إلى تبَّعٍ نفسِه فى الملوك ، فهذا له وجه . وأما النَّجاشىّ فليس هو عند الملوك فى هذا المكان ، ولو كان النجاشىُّ فى نفسه فوق تبَّع و كِسرى وقيصر لما كان أهلُ مملكته من الحبَش فى هذا الموضع . وهو لم يفضِّل النجاشىَّ لمكانِ إسلامه ، يدلُّ على ذلك تفضيلُه لكسرى وقيصر . وكان وضع كلامِه على ذكر الممالك ، ثم ترك الممالك وأخذ فى ذكر الملوك . والدَّليل على أن العرب أنطقُ ، وأن لغتَها أوسع ، وأن لفظَها أدلُّ ، وأن أقسام تأليف كلامها أكثر ، والأمثالَ التى ضُربت فيها أجود وأسير . والدَّليل على أن البديهة مقصورٌ عليها ، وأن الارتجال والاقتضاب خاصٌّ فيها ، وما الفرق بين أشعارهم وبين الكلام الذى

---

(١) فيما عدا ل ، هـ : « صدور الإسلام » .

(٢) ضبط « حكيم » من هـ . وحكيم هو المعروف بالأعور الكلبى . وهو شاعر مجيد كان منقطعاً إلى بنى أمية بدمشق ، ثم انتقل إلى الكوفة . وكان بينه وبين الكميت بن زيد مفاخرة . وهو القائل فى تعصبه لليمن على مضر :

ما سرنى أن أمى من بنى أسد ... وأن ربى نجانى من النار
وأنهم زوجونى من بناتهم ... وأن لى كل يوم ألف دينار

إرشاد الأريب (١٠ : ٢٤٧ - ٢٤٩) والأغانى (١٥ : ١٢٢ - ١٢٣) .

تسمِّيه الرُّوم والفرس شعراً . وكيف صار النَّسيب فى أشعارهم وفى كلامهم الذى أدخلوه فى غنائهم وفى ألحانهم إنما يقال على ألسنة نسائهم ، وهذا لا يُصاب فى العرب إلاّ القليلَ اليسير . وكيف صارت العرب تقطِّع الألحانَ الموزونة على الأشعار الموزونة ، فتضع موزونا على موزون ، والعجمُ تمطِّط الألفاظ فتقبض وتبسُط حتّى تدخل فى وزن اللحن فتضعَ موزوناً على غير موزون .

وسنذكر فى الجزء الثانى من أبواب العِيِّ واللّحن والغلط والغَفلة ؛ أبوابا طريفة (١) ، ونذكرُ فيه النَّوكَى من الوُجوه ومجانين العرب ، ومن ضُرب به المثل
٢١ منهم ، ونوادرَ من كلامهم ، ومجانينَ الشعراء . ولستُ أعنى مثلَ مجنون بنى عامر ، ومجنونِ (٢) بنى جَعدة ، وإنّما أعنى مثل أبى حيَّة فى أهل البادية ، ومثل جُعيفِران فى أهل الأمصار ، ومثل أريسيموس (٣) اليونانىّ .

وسنذكر أيضاً بقيةَ أسماء الخطباء والنّسّاك الظُّرفاء والملحاء ، إن شاء الله . وسنذكر من كلام الحجّاج وغيره ، ما أمكننا فى بقية هذا الجزء إن شاء الله .

* * *

وقال أبو الحسن المدائنى : قال الحجّاج لأنس بن مالك ، حين دخل عليه فى شأن ابنِه عبد الله ، وكان خرج مع ابن الأشعث : « لا مرحباً بكَ ولا أهلاً . لعنةُ الله عليك من شيخٍ جَوّال فى الفتنة ، مرّةً مع أبى تراب ، ومرة مع

---

(١) فيما عدا ل ، هـ : « ظريفة » بالمعجمة .

(٢) الحق أن هذا المجنون والذى قبله واحد . فإن المجنون العامرى هو قيس بن الملوح بن مزاحم ابن قيس بن عدس بن ربيعة بن جعدة . انظر المؤتلف ١٨٨ حيث ساق أيضا ممن يسمى بالمجنون من الشعراء : المجنون الشريدى ، والقشيرى ، والتيمى .

(٣) كذا فى ل . وفى هـ : « أريسموس » ، وسائر النسخ : « أرسيموس » .

ابن الأشعث . واللهِ لأقلعنَّك قلع الصَّمْغة (١) ، ولأعصبنَّك عَصْب السَّلَمة (٢) ، ولأجرِّدنّك تجريد الضبّ (٣) » . قال أنس : من يعنى الأمير أعزّه الله (٤) ؟ قال : إيّاك أعْني ، أصمّ الله صداك (٥) ! فكتب أنسٌ بذاك إلى عبد الملك بن مروان ، فكتب عبد الملك إلى الحجّاج :

« بسم الله الرحمن الرحيم . يا ابن المستَفْرِمة بعَجَم الزّبيب (٦) ، والله لقد هممتُ أنْ أركُلَك ركلةً تهوِى بها فى نار جهنّم (٧) . قاتلك الله ، أخيفشَ العينين أصكَّ الرِّجْلين (٨) ، أسودَ الجاعرتين . والسلام » .

وكان الحجّاج أخيفش ، مُنسلِق الأجفان ، ولذلك قال إمام بن أقرم النميرى (٩) ، وكان الحجّاج جعله على بعض شُرط أُبانِ بن مروانَ ثم حبسه ، فلما خرج قال :

طَليقُ الله لم يَمنُنْ عليه أبو داود وابنُ أبى كثيرِ
ولا الحجّاج عينَىْ بنتِ ماءٍ تقلِّب طَرْفَها حذَرَ الصَّقورِ

لأنَّ طير الماء لا يكون أبداً إلا مُنْسَلقَ الأجفان .

قال : وخطب الحجاج يوماً فقال فى خطبته : « والله ما بقى من الدُّنيا

---

(١) انظر ما سبق فى ص ٣٧٦ .

(٢) السلم : شجر من العضاه . وإنما يعصب لتخبط أوراقه فتتناثر للماشية . انظر اللسان (عصب) حيث تفسير العبارة .

(٣) تفسيره فى اللسان (جرد) : « أى لأسلخنك سلخ الضب ؛ لأنه إذا شوى جرد من جلده » .

(٤) فيما عدا ل : « أبقاه الله » .

(٥) الصدى : رجع الصوت . وهذا كناية عن الإهلاك ، إذا مات الرجل فإنه لا يسمع صوته ولا يجاب .

(٦) وكذا فى اللسان (خرم) وفى ل : « بحب الزبيب » وعجَم الزبيب : حبه . والمستفرمة : التى تجعل الدواء فى هنها ليضيق .

(٧) ل : « إلى نار جهنم » .

(٨) الصكك : اضطراب الركبتين والعرقوبين .

(٩) فيما عدا ل : « إمام بن أرقم » .

إلا مثلُ ما مضى ، ولهو أشبَهُ به من الماء بالماء . والله ما أُحبُّ أن ما مضى من الدنيا لى بعمامتى هذه » .

المفضّل بن محمد الضّبىّ قال : كتب الحجّاج إلى قتيبة بن مسلم : أن ابعَثْ إلىَّ بالآدم الجَعْد (١) ، الذى يُفهِمنى ويَفهم عنّى . فبعث إليه غَذّام بن شُتَيْر (٢) فقال الحجّاج : لله درُّه ! ما كتبتُ إليه فى أمرٍ قطُّ إلا فهم عنّى وعرف ما أريده .

وقال أبو الحسن وغيره : أراد الحجاجُ الحجَّ ، فخطب الناسَ فقال : ٢٢ « أيُّها الناس ، إنى أريد الحجَّ ، وقد استخلفت عليكم ابنى محمَّداً هذا ، وأوصيتُه فيكم بخلافِ ما أوصى به رسول الله ﷺ فى الأنصار . إنّ رسول الله ﷺ أوصى أن يُقبَل من محسنهم ، ويُتجاوَزَ عن مسيئهم ، ألا وإنّى قد أوصيتُه ألّا يَقبل من مُحسنكم ولا يتجاوز عن مسيئكم . ألَا وإنّكم ستقولون بعدى مقالة ما يمنعكم من إظهارها إلا مخافتى (٣) . ستقولون بعدى : لا أحسنَ الله له الصَّحابة (٤) ! ألَا وإنّى مُعجِّلٌ لكم الإجابة (٥) ، لا أحسنَ الله عليكم الخِلافة » . ثم نَزَل .

وكان يقول فى خطبته : « أيُّها الناس ، إنّ الكفّ عن محارم الله أيسَرُ من الصَّبر على عذاب الله » .

وقال عمرو بن عُبيد رحمه الله : كتب عبد الملك بن مروان وصيَّةَ زيادٍ بيده وأمر النَّاسَ بحفظها وتدبُّر معانيها ، وهى : « إنّ الله عزّ وجلّ جعَلَ لعباده عُقولاً عاقبهم بها على معصيته ، وأثابهم بها على طاعته ، فالناس بين محسنٍ بنعمة الله

---

(١) الآدم : الأسود . والجعد : الخفيف ، وقيل المجتمع الشديد .

(٢) فيما عدا ل ، هـ : « غدام بن شتير » .

(٣) ل : « مقالا ما يمنعكم من إظهاره إلا مخافتى » .

(٤) فى القاموس : « صحبه ، كسمعه ، صحابة ويكسر » .

(٥) ل : « الجواب » .

عليه ، ومسيءٌ بخِذلان الله إيّاه . ولله النّعمة على المحسن ، والحُجَّةُ على المسيء فما أوْلَى مَن تمَّت عليه النّعمة فى نفسه ، ورأى العبرة فى غيره ، بأن يضع الدُّنيا بحيث وضعها الله فيعطِىَ ما عليه منها ، ولا يتكثَّر مما ليس له فيها ؛ فإنَّ الدُّنيا دارُ فناء ، ولا سبيل إلى بقائها ، ولا بدَّ مِن لقاء الله عزّ وجلّ . فأُحذِّرُكم الله الذى حذّركم نفسَه ، وأُوصيكم بتعجيل ما أخّرته العجَزة ، قبل أن تَصيروا إلى الدّار التى صاروا إليها ، فلا تقدروا [1] فيها على تَوبة ، وليست لكم منها أَوْبة وأنا أستخلف الله عليكم ، وأستخلفه منكم » .

وقد رُوىَ هذا الكلام عن الحجّاج ، وزيادٌ أحقُّ به منه .

* * *

(١) فى جميع النسخ : « فلا تقدرون » .

باب
ما ذكروا فيه من أن أثر السيف يمحو أثر الكلام

قال جرير :

تُكَلِّفُنِى رَدَّ الفوائِت بَعد ما   سَبَقْن كسَبق السيف ما قال عاذلُه (١)

وقال الكُميت بن معروف (٢) :

خذُوا العقلَ إن أعطاكم القومُ عقلَكُم   وكونوا كمن سِيمَ الهوانَ فأربعا (٣)
٢٢ ولا تكثروا فيه الضَّجاجَ فإنّه   محا السيفُ ما قال ابنُ دارة أجمعا (٤)

والمثل السابق (٥) : « سبق السيْفُ العَذَلَ (٦) » .

* * *

ومن أهل الأدب : زكريّاء بن درهم ، مولى بنى سُلَيم بن منصور ، صاحب سَعيد بن عَمرو الحَرَشى (٧) . وزكرياء هو الذى يقول :

---

(١) فيما عدا ل : « رد العواقب » تحريف . والقصيدة من النقائض ٦٣٩ يجيب بها الفرزدق . ورواية الديوان ٤٨٣ والنقائض :

* وما بك رد للأوابد بعد ما *

(٢) وكذا جاءت النسبة فى حماسة البحترى ١١ وشرح الحماسة للتبريزى (١ : ٢٠٦ بولاق) . وقيل هو الكميت بن ثعلبة . الخزانة (٤ : ٥٦٠) والمؤتلف ١٧٠ .

(٣) العقل : الدية . فيما عدا ل : « العقل قومكم » . سامه الهوان : أراده عليه . وأربع : أقام فى المربع عن الارتياد والنجعة . ويروى : « فارتعا » ، وفسره فى الخزانة بأنه من قولهم أرتع إبله ، جعلها تأكل ما شاءت . انظر الحيوان (٣ : ٧٩) .

(٤) فيه ، أى فى الأمر . ويروى : « فيها » ، أى فى القضية . وابن دارة هو سالم بن مسافع بن يربوع ، كان يهجو بنى فزارة هجوا شنيعا ، فقتله زميل الفزارى .

(٥) فيما عدا ل : « والمثل السائر من قبل هذا » .

(٦) العذل ، بالتحريك : اسم من عذله يعذله ، إذا لامه . والمثل للحارث بن ظالم ، كان قد ضرب رجلا فقتله ، فأخبر بعذره فقال : « سبق السيف العذل » .

(٧) سعيد بن عمرو الحرشى : أحد قواد العرب ، وهو الذى قتل شوذبا الخارجى وفتك بمن معه سنة ١٠١ ، وولاه ابن هبيرة خراسان سنة ١٠٣ ثم بلغه أنه يكاتب الخليفة مباشرة ولا يعترف بإمارته ، فعزله وعذبه . والحرشى : نسبة إلى الحريش بن كعب بن ربيعة . انظر الجهشيارى ١١ والطبرى (٨ : ١٤٢ ، ١٦٨ — ١٧٥) والحيوان (٤ : ٣٣) .

لا تُنْكِروا لسعيدٍ فضلَ نِعمته   لا يشكر اللهَ من لا يشكر الناسا

ومن أهل الأدب ممن وجّهَهُ هشامٌ إلى الحرشيّ : السُّرادق بن عبد الله السَّدوسيّ الفارسُ (١) . ولما ظفر سَلْم بن قتيبة (٢) بالأزْد ، كان من الجند فى دُور الأزد انتهابٌ وإحراق ، وآثار قبيحة ، فقام شَبيب بن شيبة إلى سَلْم بن قتيبة فقال : أيها الأمير ، إن هُرَيم بن عدىّ بن أبى طَحْمة (٣)– وكان غير منطيق – قال ليزيدَ بن عبد الملك فى شأن المهالبة : يا أمير المؤمنين ، إنّا والله ما رأينا أحداً ظُلِم ظُلمَك ، ولا نُصِر نصرَك ، ولا عفا عفوك (٤) . وإنا نقول أيضاً : أيُّها الأمير ، إنّا والله ما رأينا أحداً ظُلِم ظلمَك ، ولا نُصر نصرك . فافعل الثالثة نَقُلْها .

قال الهيثم بن عدىّ : قام عبد الله بن الحجاج التَّغلبى إلى عبد الملك ابن مروان ، وقد كان أراد الاتصال به ، وكان عبد الملك حَنِقا عليه ، فأقام ببابه حولًا لا يصل إليه ، ثم ثار فى وجهه فى بعض رَكَباته فقال :

أدنو لترحَمَنى وترتُقَ خَلَّتى   وأراك تدفَعُنى فأين المَدفعُ (٥)

فقال عبد الملك : إلى النار ! فقال :

ولقد أذقْتَ بنى سعيدٍ حَرَّها   وابنَ الزُّبير فعَرشُه متضعضعُ (٦)

فقال عبد الملك : قد كان ذلك ، وأنا أستغفر الله .

---

(١) فيما عدا ل ، هـ : « الفارسى » تحريف .

(٢) ل والتيمورية : « مسلم بن قتيبة » تحريف . وترجمة سلم فى ١٧٤ .

(٣) كان هريم من فرسان بنى تميم فى الإسلام . الاشتقاق ١٤٨ . وكان مع المهلب فى قتال الأزارقة ، ومع عدى بن أرطاة فى قتال يزيد بن المهلب . ولما كبر حول اسمه فى أعوان الديوان ليرفع عنه الغزو . فقيل له : إنك لا تحسن أن تكتب . فقال : إلا أكتب فإنى أمحو الصحف . المعارف ١٨٣ – ١٨٤ .

(٤) هذه الجملة فى ل والتيمورية فقط . وانظر (٢ : ١٠٧) .

(٥) « لترحمنى وترتق » كتبت فى حـ والتيمورية بنقطتين من أعلى وأخريين من أسفل. وفى ب : « ليرحمنى ويرتق » .

(٦) فيما عدا ل : « فرأسه متضعضع » . وأشير فى حواشى هـ إلى رواية : « فعرشه » .

وقال أبو عبيدة : كان بين الحجاج وبين العُدَيل بن الفَرْخَ العجلىّ [١] بعضُ الأمر ، فتوعّده الحجاجُ ، فقال العُدَيل :

أُخَوَّفُ بالحجاج حتّى كأنما　　يحرّك عظمٌ فى الفؤاد مَهيضُ
ودون يَدِ الحجاج من أنْ تنالنى　　بَساطٌ لأيدى اليَعمَلات عريضُ [٢]
٢٢ مهامهُ أشباهٌ كأن سرابَهــا　　مُلَاءٌ بأيدى الغاسلاتِ رحيضُ [٣]

المهيض : الذى قد كُسر ثم جُبر ثم كسر . اليَعمَلات : العوامل ، والياء زائدةٌ لأنّها من عملت [٤] .

ثم ظفِر به الحجاج فقال : إيهِ [٥] يا عُدَيل ، هل نجّاك بَساطُك العريض ؟ فقال : أيُّها الأمير ، أنا الذى أقول فيكم [٦] :

لو كنتُ بالعَنقاء أو بَيسُومها　　لكان لحجّاجٍ علىَّ دليلُ [٧]
خليلُ أميرِ المؤمنين وسيفُه　　لكلِّ إمام مصطفًى وخليلُ

---

(١) العديل ، بهيئة التصغير . والفرخ ، بالفتح ، وضبط فى الخزانة (٢ : ٣٦٨) بضم الفاء ، وأراه تحريفاً . وضبط بالفتح فى الاشتقاق ٢٠٨. ل : « فرج » ، التيمورية « فرح » ب ، هـ : « فرخ » والوجه ما أثبت من حـ . والعديل شاعر إسلامى مقل فى الدولة المروانية . الخزانة والأغانى (٢٠ : ١١ – ١٩) والشعر والشعراء وحماسة ابن الشجرى ١٩٩ .

(٢) البساط ، بالفتح ، ويكسر : الأرض البسيطة الواسعة .

(٣) ملاء بالضم : جمع ملاءة . رحيض : مغسول .

(٤) هذا التفسير فى ل فقط .

(٥) فيما عدا ل : « له » .

(٦) فيما عدا ل : « فيك » .

(٧) العنقاء : أكمة فوق جبل مشرف . كذا فى القاموس ومعجم ياقوت . ويسوم : قال فى اللسان : « جبل صخره ملساء » ، وقال ياقوت : « فى بلاد هذيل .. وقيل يسوم جبل قرب مكة » . فى جميع النسخ : « بأسومها » صوابه ما أثبت . ومثله قول محمد بن عبد الله بن نمير الثقفى ، للحجاج حين خاف منه :

ولو كنت بالعنقاء أو بيسومها　　لخلتك إلا أن تصد ترانى

انظر الكامل ٣٥٣ ليبسك . ورواية صدر بيت العديل فى المراجع المتقدمة :

* ولو كنت فى سلمى أجا وشعابها *

بنى قُبَّةَ الإسلام حتّى كأنّما هَدى النّاسَ من بعد الضلال رسولُ

فقال له الحجاج : اربَحْ نفسَك ، واحقِن دمك ، وإيّاك وأختَها ؛ فقد كان الذى بينى وبينَ قتلِك أقصرَ من إبهام الحُبَارى .

قال : وقام الوليد بن عتبة بن أبى سفيان ، خطيباً بالمدينة ، وكان واليَها ، ينعَى معاويةَ ويدعو إلى بيعة يزيد ، فلما رأى رَوْحُ بن زِنباع إبطاءَهم قال : « أيها الناس ، إنّا لا ندعوكم إلى لخم وجذام وكلب ، ولكنّا ندعوكم إلى قريش ومَن جعل الله له هذا الأمرَ واختصَّه به ، وهو يزيد بن معاوية ، ونحن أبناءُ الطَّعن والطاعون ، وفُضَالات الموت [١] ، وعندنا إن أجبتم [٢] وأطعْتُمْ مِن المعونة والعائدة [٣] ما شئتم » . فبايع الناس .

قال : وخطب إبراهيم بن إسماعيل ، من ولد المغيرة المخزومى فقال : « أنا ابنُ الوحيد ، من شاء أجزَر نفسه [٤] صقراً يلوذ حَمامُهُ بالعَرفِج [٥] » .

ثم قال :

استوسِقى أحمرةَ الوَجينْ [٦] سمعن حِسَّ أسدٍ حَرُونْ

فهنّ يَضْرِطْن وينْتَزِينْ

ثم قال : « والله إنّى لأُبغض القُرشىّ أن يكون فظًّا [٧] . يا عجبًا لقومٍ يقال لهم مَن أبوكم ، فيقولون : أُمُّنا من قريش » .

---

(١) الفضالة ، بالضم : ما فضل من الشئ . فيما عدا ل ، هـ « فضلات » .

(٢) فيما عدا ل ، هـ :« أحبتم » .

(٣) العائدة : النفع . فيما عدا ل ، هـ : « والفائدة » .

(٤) أجزر نفسه الصقر : جعلها له جزورا . ل : « أجزرنى نفسه » ، وفيما عدا ل : « أحرز نفسه » ، والوجه ما أثبت .

(٥) اقتباس ، هو عجز بيت سبق فى ص ٤٨ . وصدره :

* وبعثت من ولد الأغر معتب *

(٦) استوسقى : اجتمعى . والوجين : شط الوادى .

(٧) ل : « فضا » بالضاد المعجمة .

فتكلَّم رجلٌ من عُرض النَّاس (١) وهو يخطب ، فقال غيره : مَهِ (٢) فإنّ الإمام يخطب . فقال : إنَّما أُمرنا بالإنصاتِ عند قراءة القرآن ، لا عند ضُرَاط أحمرة الوجين .

وقال آخر : سمعت عمر بن هبيرة وهو يقول على هذه الأعواد (٣) فى دعائه : ٢٢
اللهم إنِّى أعوذُ بك من عدوٍّ يَسرِى ، ومن جليسٍ يُغرِى ، ومن صديق يُطرِى .

قال أبو الحسن : كان نافع بن علقمة بن نضلة بن صفوان بن مُحَرّث ، خالُ مروان ، والياً على مكّة والمدينة ، وكان شاهراً سيفَه (٤) لا يُغمده ، وبلغه أن فتىً من بنى سهم يذكُره بكلِّ قبيح ، فلمَّا أُتِى به وأمر بضرب عنُقه قال الفتى : لا تَعجَل علىّ ، ودعْنى أتكلَّم . قال : أوَ بك كلام ؟ قال : نعم وأزيد ، يا نافع وَلِيتَ الحرَمَينِ تحكم فى دمائنا وأموالنا ، وعندك أربع عقائل من العرب ، وبنيت ياقوتةً بين الصَّفا والمروة – يعنى داره – وأنت نافعَ بنَ علقمة بن نضلة بن صفوان بن محرث ، أحسَنُ الناس وجهاً ، وأكملهُم حسبا ، وليس لنا من ذلك إلا التُّراب (٥) ، لم نحسدك على شىء منه ، ولم نَنْفَسه عليك ، فنفِستَ علينا أن نتكلّم . قال : فتكلَّمْ حتى ينفَكَّ فكَّاكَ (٦) .

علىّ بن مجاهد (٧) ، عن الجعد بن أبى الجعد ، قال : قال صَعصعة بن صُوحان : ما أعيانى جوابُ أحدٍ ما أعيانى جوابُ عثمان ، دخلت عليه فقلت : أُخرِجْنا مِن ديارنا وأموالنا أن قلنا ربُّنا الله ! فقال : نحن الذين أُخرِجنا من ديارنا وأموالنا أن قلنا ربُّنا الله ؛فمنا مَن مات بأرض الحبشة ، ومنا مَن مات بالمدينة .

قال : وقال الحجاج على منبره : « والله لألحُونَّكم لَحْوَ العصا ، ولأَعْصِبَنَّكم

---

(١) هـ : « من البادية » . وفى حواشيها : « خ : الناس » .

(٢) فيما عدا ل : « صه » . وكلاهما بمعنى اسكتْ . ينونان عند الوصل .

(٣) أى أعواد المنبر . فيما عدا ل : « على هذه الأعواد وهو يقول » .

(٤) ل : « وكان سيفه شاهرا » .

(٥) فيما عدا ل « فلم » .

(٦) ل : « حتى ينفك فكك » .

(٧) ترجم فى ٣٠١ .

عَصْب السَّلَمَة ، ولأضربنّكم ضربَ غرائب الإبل . يا أهل العراق ، ويا أهل الشّقاق والنّفاق ، ومساوى الأخلاق ، إنّى سمعت تكبيراً ليس بالتكبير الذى يُراد بِه اللهُ فى الترغيب ، ولكنّه التكبير الذى يراد بِه الترهيب . وقد عرَفتُ أنّها عجاجةٌ تحتها قَصفُ فتنة . أى بَنِى اللُّكيعة وعبيدَ العصا ، وأبناء الإماء ، والله لئن قرعَتْ عَصاً عَصاً (١) لأتركنّكم كأمسِ الدابر .

مالكُ بن دينار قال : ربَّما سمعتُ الحجّاج يخطب ، يذكُر ما صنع به أهلُ العراق وما صنَع بهم ، فيقع فى نفسى أنّهم يظلمونه وأنّه صادقٌ ؛ لبيانه وحسن تخلُّصه بالحجج .

قال : وقسَّم الحجاج مالا ، فأعطى منه مالكَ بن دينار ، وأراد أن يدفع منه إلى حبيبٍ أبى محمد (٢) فأبى أن يقبل منه شيئاً ، ثم مر حبيبٌ بمالك ، فإذا ٣٠ هو يقسّم ذلك المال ، فقال له مالك : أَبَا محمَّد ، لهذا قَبِلناه (٣) ! قال له حبيب : دعْنى ممَّا هناك ، أسألك بالله آلحجّاجُ اليومَ أحَبُّ إليك أم قبلَ اليوم ؟ قال : بل اليوم . فقال حبيب : فلا خير فى شىءٍ حَبَّب إليك الحجَّاج .

ومرّ غَيلان بن خَرَشة الضّبى ، مع عبد الله بن عامر (٤) ، على نهر أمّ عبد الله (٥) ، الذى يشقُّ البصرة ، فقال عبد الله : ما أصلَحَ هذا النّهرَ لأهل هذا المِصر ! فقال غيلان : أجَلْ والله أيُّها الأمير ، يعلّم القوم صبيانَهم فيه السِّباحة ، ويكون لسُقياهُم (٦) ومَسيلِ مياههم ، وتأتيهم فيه مِيرتُهم . قال: ثم مَرَّ غيلان

---

(١) هذه الكلمة الأخيرة ساقطة مما عدا ل . وما بعد « الإماء » إلى نهاية الفقرة ساقط من هـ .

(٢) سبقت ترجمته فى ص ٣٦٤ .

(٣) ل : « قبلته » .

(٤) ترجمة غيلان فى ٣٤١ وعبد الله فى ٣١٨ . وكان غيلان أحد أصحاب أبى موسى الأشعرى . ثم انتقض عليه وكان سبباً فى أن يعزل عثمان أبا موسى الأشعرى ويولى مكانه عبد الله بن عامر . انظر الجهشيارى ١٤٧ .

(٥) نهر أم عبد الله ، منسوب إلى أم عبد الله بن عامر . كما فى معجم البلدان (٨ : ٣٣٦) . وفى الأصل : « نهر عبد الله » تحريف . والخبر فى الحيوان (٥ : ١٩٨) بخلاف فى اللفظ .

(٦) فى الأصول : « لشفاههم » صوابه من العمدة (١ : ١٦٥) .

يساير زياداً على ذلك النّهر ، وقد كان عادى ابنَ عامر ، فقال زياد : ما أضرَّ هذا النهر ، بأهل هذا المصر ! قال غيلان : أجلْ والله أيُّها الأمير ، تنِزُّ منه دورهُم ، وتغرَق فيه صبيانُهم ،ومن أجله يكثر بعوضُهم .

فالذين كرهوا البيانَ إنّما كرهوا مثلَ هذا المذهب ؛ فأمّا نفسُ حسنِ البيان فليس يذمُّه إلاّ من عَجَز عنه . ومن ذَمَّ البيانَ مدح العِيّ ، وكفى بهذا خبالا [١] .

ولخالد بن صفوانَ كلامٌ فى الجُبْن المأكول ، ذهبَ فيه شبيهاً بهذا المذهب .

قال : ورجع طاوسٌ عن مجلس محمّد بن يوسف ، وهو يومئذ والى اليمن ، فقال : ما ظننت أنّ قَول سبحان اللهِ معصيةٌ لله حتى كان اليومَ . سمِعتُ رجلاً أبلغ ابنَ يوسفَ عن رجلٍ كلاماً فقال رجل من أهل المجلس [٢] : سبحان الله ! كالمستعظم لذلك الكلام . فغضب ابنُ يوسف .

قال أبو الحسن وغيره ، قالوا : دخل يزيدُ بن أبى مسلم [٣] على سليمانَ ابن عبد الملك ، وكان دميما ، فلما رآه قال : على رَجلٍ أجرَّك رَسَنَك ، وسلَّطك على المسلمين ، لَعنةُ الله ! قال : يا أمير المؤمنين ، إنّك رأيتنى والأمرُ عنِّى مدبِر ، ولو رأيتنى والأمرُ علىّ مقبلٌ لاستعظمتَ من أمرى ما استصغرت ! قال : فقال سليمان : أفتُرَى الحجّاج بلغ قعر جهنم بَعد ! قال [٤] : يا أمير المؤمنين ، يجىء الحجّاج يومَ القيامة بين أبيك وأخيك ، قابضاً على يمين أبيك وشِمال أخيك ، فضَعْه من النّار حيث شئت .

---

(١) فيما عدا ل : « وكفى بذلك جهلا وخبالا » .

(٢) فيما عدا ل : « فى المجلس » وانظر (٢ : ٢٩٤) .

(٣) يزيد بن أبى مسلم ، هو يزيد بن دينار الثقفى ، كان مولى الحجاج بن يوسف ، ولما حضرت الحجاج الوفاة استخلفه على الخراج بالعراق ، فلما مات أقره الوليد بن عبد الملك . وقال الوليد فى شأنه : « مثلى ومثل الحجاج وابن أبى مسلم ، كرجل ضاع منه درهم فوجد ديناراً » قتل يزيد سنة ١٠٢ . وفيات الأعيان .

(٤) فيما عدا ل : « فقال يزيد » .

وذكر يزيد بن المهلب ، يزيد بن أبى مسلم ، بالعفَّة عن الدينار والدِّرهم ، وهَمَّ بأنْ يستكفيَه مُهِمًّا من أمره ، قال : فقال عمر بن عبد العزيز : أفَلا أدلُّك ٣١ على مَن هو أزهَدُ فى الدِّرهم والدينار منه ، وهو شرُّ خَلْق الله ؟ قال : من هو (١) ؟ قال : إبليس .

قال : وقال أسيلِم بن الأحنف ، للوليد بن عبد الملك قبل أن يُستخلف : أصلح الله الأمير ، إذا ظننتَ ظنّا فلا تحققْه ، وإذا سألتَ الرِّجالَ فسلْهم عما تعلم ، فإذا رأوا سرعةَ فهمك لما تعلم ظنُّوا ذلك بك فيما لا تعلم ، ودُسَّ مَن يسأل لك عما لا تعلم .

وكان أسيلم بن الأحنف الأسدىّ ، ذا بيانٍ وأدب وعقل وجاه ، وهو الذى يقول فيه الشّاعر :

ألا أيُّها الركب المخبُّون هل لكم ... بسيِّد أهلِ الشّام تُحبَوْا وترجعوا (٢)
أسَيلِمُ ذاكُمْ لا خَفا بمكانِه ... لعين تُرَجِّى أو لأُذنٍ تسمَّعُ (٣)
من النّفرِ البيضِ الذين إذا انتمَوْا ... وهابَ الرّجال حَلْقةَ الباب قعقعوا (٤)
جلَا الأذفَرُ الأحوَى منَ المسك فَرْقَه ... وطيبُ الدِّهان رأسَه فهو أنْـزَعُ
إذا النَّفر السُّودُ اليمانون حاوَلُوا ... له حَوْكَ بُردَيه أرقُّوا وأوسعُوا

وهذا الشّعر من أشعار الحفظ والمذاكرة .

* * *

---

(١) فيما عدا ل : « قال بلى » .

(٢) هذا البيت ساقط من ل . والمخبون : الذين تخب بهم دوابهم : تسرع . وفى النسخ جميعها : « المحثون » تحريف . والأبيات فى الحيوان (٣ : ٤٨٦) والعقد (٣ : ٤٢٣) والكامل ١٠٣ والبخلاء ورسائل الجاحظ ٧٩ ساسى . وانظر (٣ : ٣٠٥) .

(٣) خفا : مقصور خفاء . فيما عدا ل : « تدجى » وضبطت هذه الكملة فى هـ ، ب بفتح التاء والدال وتشديد الجيم المفتوحة .

(٤) جعلهم نفرا لقلتهم ، والكرام قليل . حلقة الباب ، أى باب الملك . وفى حواشى هـ . « خ : انتجوا » .

الهيثم بن عدىّ قال : قدِمَتْ وفودُ العراق على سليمانَ بنِ عبد الملك ، بعد ما استُخْلِف ، فأمرهم بشَتْم الحجّاج ، فقاموا يشتمونه ، فقال بعضهم ، إنّ عدوَّ الله الحجاج ، كان عبداً زبَاباً [١] ، قِنْوراً ابن قِنّور [٢] ، لا نسبَ له فى العرب . فقال سليمان : أىُّ شتمٍ هذا ؟ إنّ عدوَّ الله الحجّاجَ كتب إلىّ : « إنما أنتَ نقطةٌ من مداد ، فإن رأيتَ فىَّ ما رأى أبوك وأخوك كنتُ لك كما كنتُ لهما ، وإلّا فأنا الحجاج وأنت النُّقطة ، فإن شئت محوتُك ، وإن شئت أثبتُّك » . فالعَنُوه لعَنه الله ! فأقبلَ النّاسُ يَلعنون ، فقام ابن أبى بُرْدة بن أبى موسى [٣] فقال : يا أمير المؤمنين ، أخبِرُك [٤] عن عدُوّ الله بعلمٍ . قال : هاتِ . قال : كان عدوُّ الله يتزيَّن تزيُّنَ المومِسة ، ويصعد على المنبر فيتكلّم بكلام الأخيار ، وإذا نَزَل عَمِل عَمَلَ الفراعنة [٥] وأكذبُ فى حديثه من الدجّال .

فقال سليمان لرجاء بن حَيْوة [٦] : هذا وأبيك الشَّتمُ لا ما تأتى به هذه السَّفلة .

٢٣ وعن عوانة قال : قطع ناسٌ من عمرو بن تميم وحنظَلة ، عَلَى الحجاج ابن يوسف ، فكتب إليهم :

مِن الحجّاج بن يوسف . أما بعد فإنّكم قد استصحبتم الفتنة [٧] وقال بعضهم

---

(١) الزباب ، بالفتح : الجاهل ؛ مأخوذ من الزباب ، وهو ضرب من الفأر أصم . ل : « زبانا » ولا وجه له .

(٢) القنور : العبد . وأنشد أبو المكارم :

أضحت حلائل قنور مجدعة   لمصرع العبد قنور بن قنور

(٣) هو بلال بن أبى بردة بن أبى موسى الأشعرى . واسم أبى بردة عامر ، واسم أبى موسى عبد الله بن قيس . وكان أبو بردة وبلال ابنه قاضيين . مات بلال فى عذاب يوسف بن عمر . المعارف ١١٥ ، ١٧٤ .

(٤) فيما عدا ل : « إنا نخبرك » .

(٥) هـ : « الجبابرة » . وفى حواشيها : « خ : الجبابرة » .

(٦) هو رجاء بن حيوة بن جرول الكندى الفلسطينى ، كان ثقة فاضلا كثير العلم ، من عباد أهل الشام وفقهائهم وزهادهم . توفى سنة ١١٢ . تهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة (٤ : ١٨٦) .

(٧) فيما عدا ل : « استخلصتم الفتنة » .

قد استنتجتم الفتنة (١) – فلا عنْ حقّ تقاتلون ، ولا عن منكَر تنهَون ، وأيمُ الله إنى لأَهُمّ أن يكون أوَّل ما يَرِدُ عليكم من قِبَلى خيلٌ تنسف الطارف والتالد ، وتُخَلّى (٢) النساء أيامَى ، والأبناء يتامى ، والدِّيار خراباً ، والسَّوادَ بياضاً . فأيُّما رُفْقة مَرَّت بأهل ماءٍ فأهل ذلك الماءِ ضامنون لها حتَّى تصير إلى الماء الذى يليه . تقدمةً منّى إليكم ، والسعيدُ مَن وُعِظ بغيره . والسلام .

مَسْلمة بن محارب قال : كان الحجّاج يقول : « أخطب الناس صاحب العمامة السَّوداء بينَ أُخصاص البصرة (٣) ، إذا شاء خَطب ، وإذا شاء سكت » . يعنى الحسن . فيقول : لم ينصب نفسه للخِطاب (٤) .

قال : ولمَّا اجتمعَت الخطباء عند معاوية فى شأن يزيد ، وفيهم الأحنف ، قام رجلٌ من حِمير ، فقال : إنا لا نطيق أفواهَ الكِمال – يريد الجِمال – عليهم المقال ، وعلينا الفِعال . وقول هذا الحميرىّ : إنا لا نطيق أفواه الكِمال (٥) ، يدلُّ على تشادُق خطباء نِزار .

سفيان بن عُيينة (٦) قال : قال ابن عباس : « إذا تَرَكَ العَالِمُ قولَ لا أدرى أُصيبت مَقاتِله » .

وقال عمر بن عبد العزيز : « من قال لا أدرى فقد أحرز نصفَ العلم » . لأنَّ الذى له على نفسه هذه القوة قد دلَّنا على جودة التثبُّت ، وكثرة الطَّلب ، وقوة المُنّة .

---

(١) هذه العبارة من ل فقط .

(٢) فيما عدا ل : « وتدع » .

(٣) الأخصاص : جمع خص ، بالضم ، هو البيت من القصب .

(٤) فيما عدا ل : « يقول إنه لم ينصب نفسه للخطب » .

(٥) بدلها فيما عدا ل : « وهذا من الحميرى » فقط .

(٦) ترجم فى ١٠٤ ، ١٧٥ . والخبر فى (٢ : ٩٠) .

قال : وقيل لعيسى (١) بن مريم عليه السلام : من نُجالس ؟ قال : مَن يزيد فى علمكم منطقُه ، ويُذكِّركم الله رؤيتُه ، ويرغّبكم فى الآخرة عمله .

قال : ومرَّ المسيح ﷺ بقومٍ يبكون ، فقال : ما بال هؤلاء (٢) يبكون ؟ قيل له (٣) : يخافون ذنوبَهم . قال : اتركوها يُغفرْ لكم .

الوصافىّ (٤) قال : دخل الهيثم بن الأسود بن العُريان (٥) ، وكان خطيبا شاعراً ، على عبد الملك بن مروان فقال له : كيف تجدك ؟ فقال : أجدنى قد ابيضَّ منى ما كنتُ أحبّ أن يسودّ ، واسودّ منى ما كنْتُ أحبّ أن يبيضّ ، واشتدّ منّى ما كنت أحب أن يلين ، ولانَ منى ما كنت أحب أن يشتدّ . ثم أنشد :

اسمعْ أنبِّئكَ بآيات الكِبَر ... نومُ العِشاءِ وسُعَالٌ بالسَّحرْ
وقلّةُ النوم إذا الليل اعتكَرْ (٦) ... وقلّةُ الطُّعم (٧) إذا الزاد حَضرْ ٢٣
وسرعة الطَّرف وتحميج النَّظرْ (٨) ... وتركىَ الحسناءَ فى قُبْل الطُّهُرْ (٩)
وحذراً أزدادُه إلى حذَرْ ... والنّاس يبلَوْن كما يبلى الشجرْ

(١) فيما عدا ل : « للمسيح » .

(٢) فيما عدا ل « ما لهؤلاء » .

(٣) فيما عدا ل : « قالوا » . وفى هـ : « تغفر لكم » .

(٤) هو أبو إسماعيل عبيد الله بن الوليد الوصافى الكوفى ، من ولد الوصاف بن عامر العجلى . روى عن محارب وطاوس وجماعة ، وعنه الثورى ووكيع وآخرون ، متهم برواية الضعيف والموضوع . الأنساب ٥٨٤ والتهذيب .

(٥) فى الإصابة ٩٠٦١ أنه الهيثم بن الأسود ، وأنه يكنى أبا العريان . وقد ساق القصة بوجه آخر ، قال : « عاد عمرو بن حريث أبا العريان فقال : كيف تجدك » ...الخ . وفى اللسان (عكر) أنه أبو العريان . وانظر ما سيأتى فى (٣ : ٦٩) .

(٦) اعتكر الليل : اشتد سواده .

(٧) الطعم ، بالضم : الطعام .

(٨) من مبدأ هذا البيت إلى كلمة « عبد » فى (٢ : ١٠) ساقط من التيمورية . والطرف : تحريك الجفون فى النظر ؛ والطرف أيضا : العين ، لا يجمع ولا يثنى ؛ لأنه فى الأصل مصدر . والتحميج : تصغير العين للتمكن من النظر . وفى الحيوان (٥ : ٥٠) : « وضعف فى النظر » . وانظر عيون الأخبار (٢ : ٣٢١) .

(٩) قبل ، بضم القاف وإسكان الباء ، أى فى أول الطهر بعد انقطاع الدم . وفى الحديث : « طلقوا النساء من قبْل طهرهن » ، أى فى إقباله وأوله .

وقال الآخر : « مُروا الأحداث بالمِراء ، والكهولَ بالفكر » . فقال عبد الله ابن الحَسَن (١) : المِراءُ رائِد الغضب ، فأخزى الله عقلاً يأتيك بالغضب (٢) .

وقالوا : أربعة تشتدُّ معاشرتهم : الرجل المتوانى ، والرجل العالم ، والفرس المرحُ ، والملك الشديد المملكة .

وقال غازٍ أبو مجاهد ، يعارضه : أربعة تشتد مَؤونتهم : النديم المعربد ، والجليس الأحمق ، والمغنِّى التائه ، والسَّفِلةُ إذا تقرَّأ (٣) .

وكان أبو شِمْرٍ الغسَّانى يقول (٤) : أقبل علىَّ فلانٌ باللحظ واللفظ ، وما الكلام إلاَّ زجرٌ أو وعيد .

قال : وقال عمير بن الحُباب (٥) ، وروى ذلك عنه مِسْعَرٌ (٦) : ما أغَرْتُ على

---

(١) هو عبد الله بن حسن بن حسن بن على بن أبى طالب الهاشمى ، كان من العباد ، وكان له شرف وعارضة وهيبة ولسان شديد ، وكان ذا منزلة من عمر بن عبد العزيز . توفى سنة ١٤٥ . تهذيب التهذيب . فيما عدا ل : « ابن الحسين » تحريف .

(٢) فيما عدا ل : « يأتيك به الغضب » وليس بشئ .

(٣) السفلة : الأرذال ، يقال للجميع وللواحد أيضا ، يقال هو سفلة . تقرأ : تنسك . انظر ما مضى فى حواشى ص ٣٢١ . وهذا مافى ل ، وفى هـ : « تقربوا » ، وسائر النسخ « نفروا » وهذه محرفة .

(٤) فيما عدا ل : « وقال أبو شمر الغسانى » .

(٥) هو عمير بن الحباب بن جعدة بن إياس بن حزابة بن محارب بن مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان بن ثعلبة بن بهثة بن سليم ، شاعر إسلامى قتلته بنو تغلب بالحشاك ، وهو إلى جانب الثرثار بالقرب من تكريت . انظر معجم المرزبانى ٢٤٥ والأغانى (١١ : ٥٥ — ٦٠) وللحشاك ياقوتا فى معجم البلدان ، والميدانى فى الأمثال (٢ : ٣٦٧) وإياه يعنى الأخطل بقوله :

ألا سائل الجحاف هل هو ثائر ... بقتلى أصيبت من سليم وعامر

الأغانى (١١ : ٥٨) .

(٦) هو مسعر ، بكسر أوله وفتح العين ، بن كدام ، ككتاب ، بن ظهير الهلالى . أبو سلمة الكوفى ، ثقة ثبت فاضل ، توفى سنة اثنتين ، أو ثلاث ، أو خمس وخمسين بعد المائة . تهذيب التهذيب والمعارف ٢١١ والفهرست ٢٨٧ . قال ابن قتيبة : « وكان يقول : من أبغضنى فجعله الله محدثا » لعله يريد ما يعانون من مشقة التثبت . وفيه يقول ابن المبارك :

من كان ملتمسا جليسا صالحا ... فليأت حلقة مسعر بن كدام

حيٍّ فى الجاهليّة أحزمَ امرأةً ولا أعجز رجلاً من كلبٍ ،ولا أحزمَ رجلا ولا أعجزَ امرأةً من تغلب .

قال : وقامت امرأة من تغلبَ إلى الجَحَّاف بن حكيم [(١)] حين أُوقع بالبِشر ، فقَتَل الرِّجال ، وبقَرَ بطون النِّساء ، فقالت له [(٢)] : « فضَّ اللهُ فاكَ ، وأصمَّكَ وأعماك ، وأطالَ سهادك ، وأقلَّ رقادك ؛ فوالله إنْ قتلتَ إلا نساءً أسافلهنّ دُمِيّ [(٣)] ، وأعاليهن ثُدِيّ » . فقال الجحاف لمن حوله : « لولا أن تلد مثلَها لَخَلَّيتُ سبيلَها [(٤)] » . فبلغ ذلك الحسنَ فقال : « إنّما الجحَّاف جَذْوةٌ من نار جهنم » .

وكان عامر بن الظَّرِب العَدْوانى حكيما ، وكان خطيباً رئيسا . وهو الذى قال : « يا معشر عَدْوان ، إنّ الخير أَلُوفٌ عَزُوفٌ ، ولن يُفارقَ صاحبه حتى يفارقه [(٥)] ، وإنِّى لم أَكنَ حليما حتى اتَّبعت الحكماء ، ولم أَكنْ سيِّدَكم حتَّى تعبَّدت لكم » .

وقال [(٦)] أعشى بنى شَيبان :

وما أنا فى أمرِى ولا فى خليقتى ... بمهتَضَمٍ حقِّى ولا قارعٍ سِنِّى [(٧)]

---

(١) الجحاف بن حكيم السلمى ، قاد قومه وأغار على بنى تغلب بموضع يسمى البشر ، بين الفرات والشام فقتل منهم مقتلة عظيمة . انظر معجم البلدان والعمدة (٢ : ١٦٧) وأمثال الميدانى (٢ : ٣٣٥ ، ٣٧٦) .

(٢) الخبر ساقه الجاحظ فى الحيوان (١ : ٢٤) على هذا النحو . أما أبو الفرج فى الأغانى (١٩ : ١٢٩ – ١٣٠) والميدانى فى (١ : ٣٦٠) فيجعلان الحديث للحمراء بنت ضمرة وعمرو بن هند ، فى خبر طويل .

(٣) دمى ، بضم الدال وكسر الميم وتشديد الياء : جمع دم . قال سيبويه : « الدم أصله دمى على فعل بالتسكين ؛ لأنه يجمع على دماء ودمى ، مثل ظبى وظباء وظبىّ » . اللسان (١٨ : ٢٩٤) .

(٤) ترجم فى ٢٦٤ . وستأتى هذه الخطبة فى (٢ : ١٩٩) .

(٥) بعدها فى المعمرين ٤٧ : « لن يرجع إليه حتى يأتيه » . وقد ساق السجستانى هذه الفقرات فى خطبة طويلة لعامر أوصى بها قومه . وانظر عيون الأخبار (١ : ٢٦٦) .

(٦) ل : « فقال » . والأبيات منسوبة إلى أعشى بنى ربيعة ، فى عيون الأخبار (١ : ٢٧٧) .

(٧) مهتضم : منتقص . وقرع السن كناية عن الندم .

ولا مُسْلِمٍ مولاىَ من شرٍّ ما جَنَى   ولا خائِفٍ مولاى من شرِّ ما أجنى
وإنّ فؤاداً بين جنبىَّ عالمٌ   بما أَبصرَتْ عينِى وماسمِعَتْ أُذْنى ٢٣٤
وفضّلنى فى العقل والشّعر أنّنى   أقولُ بما أَهوَى وأَعرِفُ ما أعنى

وقال رجل من ولد العبّاس : ليس ينبغى للقرشىّ أن يستغرق شيئاً (١) من العلم إلاّ علَم الأخبار ، فأما غير ذلك فالنُّتف والشَّذْو من القول (٢) .

وقال آخر (٣) :

وصافيةٍ تُغْشِى العيونَ رقيقةٍ   رهينةِ عامٍ فى الدِّنان وعامِ
أَدَرْنا بها الكأسَ الروِيَّةَ بيننا (٤)   من اللّيل حتَّى انجاب كلُّ ظلامِ
فما ذَرّ قرنُ الشّمس حتى كأننا   من العِىِّ نحكى أَحمَدَ بنَ هشام (٥)

ومرَّ رجل من قريش بفتًى من ولد عتَّاب بن أُسيِد (٦) وهو يقرأ كتاب

---

(١) فيما عدا ل : « أن يستغرق فى شئ » . وما أثبت من ل يطابق ما فى إرشاد الأريب (١ : ٩٦) . وقد نسب القول فيه إلى معاوية .

(٢) الشذو : كل شئ قليل من كثير .

(٣) هو إسحاق بن إبراهيم الموصلى ، كما فى حماسة ابن الشجرى ٢٥٩ .

(٤) رواية ابن الشجرى : « موهنا » .

(٥) أحمد بن هشام هذا ، من أعيان الدولة العباسية وشعرائها . يروى أبو الفرج فى الأغانى (٥ : ٦٣) أنه وجه إلى إسحاق بزعفران ،وكتب إليه :

اشرب على الزعفران الرطب متكئا   وانعم نعمت بطول اللهو والطرب
فحرمة الكأس بين الناس واجبة   كحرمة الود والأرحام والأدب

فكتب إليه إسحاق :

اذكر أبا جعفر حقا أمت به   إنى وإياك مشغوفان بالأدب
وإننا قد رضعنا الكأس درتها   والكأس حرمتها أولى من النسب

وفيه يقول محمد بن وهيب . الأغانى (١٧ - ١٤٢) :

إن الأمير على البرية كلها   بعد الخليفة أحمد بن هشام

(٦) هو عتاب بن أسيد بن أبى العيص بن أمية ، ذكره فى الاشتقاق ٤٩ ، قال : « وأسيد فعيل من قولهم أسد يأسد أسدا . إذا صار كالأسد » . أسلم عتاب يوم فتح مكة ، ولما خرج الرسول إلى حنين استعمله على مكة وعمره نيف وعشرون سنة ، فلم يزل عليها حتى أقره أبو بكر عليها . وتوفى هو وأبو بكر فى وقت واحد . الإصابة ٥٣٨٣ والمعارف ٣٣ ، ١٣٢ .

سيبويه ، فقال : أفٍّ لكم ، علم المؤدِّبين وهمّة المحتاجين !

وقال ابن عتّاب (١) : يكون الرجل نحوياً عَروضياً ، وقسّاماً فَرَضياً ، وحسنَ الكتاب جيِّد الحساب ، حافظاً للقرآن ، راوِية للشعر ، وهو يرضى أن يعلِّم أولادنا بستِّين درهماً . ولو أنَّ رجلا كان حسنَ البيان حسنَ التخريج للمعانى ليس عنده غيرُ ذلك لم يَرْضَ بألف درهم ؛ لأن النحوىَّ الذى ليس عنده إمتاعٌ (٢) ، كالنجّار الذى يُدْعَى ليعلّق باباً (٣) وهو أحذَقُ الناس ، ثمّ يفرغ من تعليقه ذلك البابَ فيقال له : انصرفْ . وصاحبُ الإمتاع يُراد فى الحالات كلِّها .

خبّرنا عبيد الله بن زيد السُّفيانى (٤) قال : عَوِّد نفسك الصبر على الجليس السَّوْءِ (٥) ، فإنّه لا يكاد يخطئك .

وقال سُهيل بن عبد العزيز (٦) : من ثَقَّل عليك بنفسه ، وغمَّك فى سؤاله ، فأعِرْه أذناً صماء ، وعيناً عمياء .

سُهَيل بن أبى صالح (٧) عن أبيه (٨) قال : كان أبو هريرة إذا استثقل رجلًا قال : اللهم اغفر لهُ وأرِحْنا منه !

---

(١) الخبر رواه ياقوت فى مقدمة إرشاد الأريب (١ : ٩٥ - ٩٦) .

(٢) هذا ما فى ل . وفى هـ « الذى لا إمتاع عنده » . وسائر النسخ : « لا متاع عنده » الأخيرة محرفة .

(٣) تعليق الباب : نصبه وتركيبه . اللسان (١٢ : ١٣٧) والحيوان (٣ : ٢٨٦) .

(٤) فيما عدا ل : « وقال عبد الله بن يزيد السفيانى » .

(٥) منع هذا الوصف الأخفش ،وأجازه غيره . اللسان (سوأ) .

(٦) فيما عدا ل ، هـ : « سهل بن عبد العزيز » .

(٧) هو أبو زيد سهيل بن أبى صالح - واسمه ذكوان السمان الزيات - المدنى كان ثقة كثير الحديث . توفى فى ولاية أبى جعفر . تهذيب التهذيب وتذكرة الحفاظ (١ : ١٢٩) .

(٨) أبوه أبو صالح ذكوان السمان الزيات المدنى ، من ثقات المحدثين ، وكان من أوثق الناس فى أبى هريرة ، وكان يجلب الزيت والسمن إلى الكوفة . تهذيب التهذيب ، وتذكرة الحفاظ (١ : ٨٣) .

وقال ابن أبى أمية (١) :

شهدتُ الرَّقاشىَّ فى مجلسٍ   وكان إلىَّ بغيضاً مَقيتا

فقال : اقترِحْ يأبا جعفرٍ   فقلتُ اقترحت عليك السكوتا (٢)

وقال ابن عباس : العلم أكثرُ مِن أن يُحصَى ، فخذوا من كلِّ شىء بأحسنه (٣) » . ٣٥

المدائنىّ عن العبّاس بن عامر ، قال : خطب محمد بن الوليد بن عتبة (٤) إلى عمر بن عبد العزيز أختَه فقال :

« الحمد لله ربّ العزّة والكبرياء ، وصلّى الله على محمّد خاتَم الأنبياء (٥) . أما بعد فقد أحسَنَ بك ظناً مَن أودعَك حرمتَه ، واختارك ولم يختَرْ عليك ، وقد زوّجْناك على ما فى كتاب الله ، إمساكٌ بمعروف أو تسريح بإحسان » .

قال : وخطب أعرابىٌّ وأعجلَه القولُ (٦) وكره أن تكون خطبته بلا تحميد ولا تمجيد ، فقال : « الحمد لله ، غيرَ مَلال (٧) لِذكر الله ، ولا إيثارِ غيرِه عليه » . ثم ابتدأ القول فى حاجته .

وسأل أعرابىٌّ ناساً فقال : « جعل الله حَظَّكم فى الخير ، ولا جعل حظَّ السائل منكم عِذْرَةً صادقة (٨) » .

---

(١) هو محمد بن أمية بن أبى أمية ، كان كاتبا شاعرا ظريفا معاصراً لأبى العتاهية ، وكان ينادم إبراهيم ابن المهدى . انظر أخباره فى الأغانى (١١ : ٣٠ – ٣٥) .

(٢) فيما عدا ل : « اقترح كل ما تشتهى » . وفى حواشى هـ عن نسخة : « بعض ما تشتهى » . وفى البيت ما يسميه البلاغيون « المشاكلة » ، كما فى قول أبى الرقعمق :

قالوا اقترح شيئا نجد لك طبخه   قلت اطبخوا لى جبة وقميصا

(٣) فيما عدا ل : « أحسنه » .

(٤) فيما عدا ل : « بن عتيبة » .

(٥) يقال خاتم الأنبياء ، بفتح التاء وكسرها أى آخرهم . وبهما قرئ .

(٦) ل : « فأعجله أمر » .

(٧) ل : « أما بعد بغير ملال » .

(٨) العذرة ، بكسر العين ، مثل الركبة والجلسة : الاعتذار . وانظر (٣ : ٢٦٨) .

وكتب إبراهيم بن سَيَابة (١) إلى صديقٍ له كثير المالِ ، كثير الدَّخل ، كثير الناضِّ (٢) يستسلف منه نفقة ، فكتب إليه (٣) : « العيال كثير ، والدَّخل قليل ، والدَّين ثقيل ، والمال مكذوب عليه » . فكتب إليه إبراهيم : « إن كنت كاذباً فجعلك الله صادقاً ، وإن كنتَ مُلِيما فجعلك الله معذوراً (٤) » .

وقال الشاعر :

لعل مُفِيدات الزَّمان يُفدنني بنى صامتٍ فى غير شيءٍ يضيرها (٥)

قال : وقال أعرابىٌّ : « اللهمَّ لا تُنزلنى بماء سَوءٍ فأكون امرأ سَوء (٦) » .

وقال أعرابى : « اللهم قنى عثراتِ الكرام » .

قال : وسمع مُجاشع الرَّبَعىّ رجلاً يقول : الشَّحيح أعذر من الظالم . فقال : أخزى الله شيئين خيرهما الشحّ .

قال : وأنشدَنا (٧) أبو فروة :

إنى امتدحتُك كاذباً فأثَبْتنى، لمّا امتدحتك ، ما يثابُ الكاذبُ

وأنشدنى علىٌّ بن معاذ :

ثالبَنى عمروٌ وثالبْتُه فأثِمَ المثلوبُ والثّالبُ (٨)
قلتُ له خيراً وقال الخنا كلٌّ على صاحبه كاذبُ

---

(١) سيابة ، كسحابة ، وأصل معنى السياب البلح أو البسر . وإبراهيم بن سيابة شاعر من شعراء الدولة العباسية من موالى الهاشميين ، وكان يمدح إبراهيم الموصلى وابنه إسحاق ويتغنيان هما بشعره ، ويرفعان من شأنه ويذكرانه للخلفاء والوزراء . الأغانى (١١ : ٥ — ٨) . والخبر فى الأغانى والعقد (٦ : ١٩٢) . ونسب فى تاريخ بغداد (٧ : ٥٧) إلى بشر المريسى .

(٢) الناض والنض : الدراهم والدنانير . فيما عدا ل : « النض » .

(٣) فيما عدا ل : « إما مستسلفا وإما سائلا ، فكتب إليه الرجل » .

(٤) مليم ، بضم الميم ، من قولهم : ألام الرجل : أتى بما يلام عليه . فيما عدا ل : « محجوجا » . وفى حواشى هـ : « فجعلك الله معذورا ، أى جعل عذرتك صادقة » .

(٥) فى حواشى هـ : « يعنى ببنى صامت المال . فى غير شئ يضيرها ، أى أستفيدها فى غير مشقة ولا تعب » .

(٦) الحيوان (٢ : ٤٧٢) . وسيأتى فى (٣ : ٢٦٩) .

(٧) ل : « وأنشد » .

(٨) المثالبة : مفاعله من الثلب ، وهو شدة اللوم والأخذ باللسان .

أبو معشر (١) ، قال : لما بلغ عبدَ الله بن الزبير قتلُ عبد الملك بن مروان ٣٦ عمرَو بنَ سعيدٍ قام خطيباً فقال : « إنّ أبا ذِبَّانٍ قَتَل لطيمَ الشيطان (٢) . كذَلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً بما كانوا يَكْسِبُون » .

ولما جلس عثمانُ بن عفّان على المنبر قال : « يأيها النّاس ، إنّ الله قد فتح عليكم إفريقيّة ، وقد بعث إليكم ابنُ أبى سرحٍ (٣) ، عبدَ الله الزُّبير بالفتح (٤) . قم يا ابن الزُّبير » . قال : فقمت فخطبتُ ، فلما نزلتُ قام فقال : « يأيُّها الناس ، انكِحُوا النساء على آبائهن وإخوتهنّ ؛ فإنِّى لم أر لأبى بكر الصدّيقِ ولداً أشبه به من هذا (٥) » . وقال الخُرَيمى (٦) :

وأعددتُه ذخراً لكلِّ مصيبةٍ ... وسَهْمُ المنايا بالذّخائر مُولَع (٧)

وذكر أبو العَيزار (٨) جماعة من الخوارج بالأدب والخطب فقال :

---

(١) هو أبو معشر نجيح بن عبد الرحمن السندى المدنى ، مولى بنى هاشم ، سبى فى وقعة يزيد بن المهلب باليمامة والبحرين . وكان من المحدثين الأميين ، أقدمه المهدى من المدينة إلى بغداد سنة ١٦٠ فلم يزل بها حتى مات سنة ١٧٠ فى خلافة هارون. وكان من أعلم الناس بالمغازى . تهذيب التهذيب وتاريخ بغداد ٧٣٠٤ .

(٢) أبو ذبان : كنية عبد الملك بن مروان . انظر الحيوان (٣ : ٣٨١ ، ٣٨٢) والبيان (٢ : ٩٥) . ولطيم الشيطان : لقب عمرو بن سعيد الأشدق . انظر حواشى ص ٣١٤ .

(٣) هو أبو يحيى عبد الله بن سعد بن سرح القرشى العامرى ، كان أخا عثمان من الرضاعة ، اشترك فى فتح مصر ، ولما عزل عثمان عمرو بن العاص سنة ٢٥ ولاها عبد الله بن سعد ، فغزا إفريقية سنة ٢٢ ، وكان فتحا من أعظم الفتوح ، ولما وقعت فتنة عثمان سنة ٣٥ لجأ إلى عسقلان ولم يبايع لأحد ، ومات بها سنة ٣٦ . وقيل : بل شهد صفين وعاش إلى ٥٧ . الإصابة ٤٧٠٢ .

(٤) فى الإصابة ٤٦٧٣ : « وشهد ابن الزبير اليرموك مع أبيه الزبير . وشهد فتح إفريقية ، وكان البشير بالفتح » .

(٥) ذاك أن أم عبد الله بن الزبير هى أسماء بنت أبى بكر . والخبر فى (٢ : ٩٥) .

(٦) هو أبو يعقوب إسحاق بن حسان ، المترجم فى ١١ : ١١٥ .

(٧) انظر الحيوان (٣ : ٦/١٤٨ : ٤٢٣) والكامل ٧٠٣ ليبسك .

(٨) وكذا جاءت النسبة فى الحيوان (٦ : ٤٢٣ – ٤٢٤) . لكن الشعر قد نسب فى الكامل ٧٠١ ليبسك إلى عبيدة بن هلال ، المترجم فى ٥٥ .

ومسوَّم للمَوت يركب رَدْعَه   بين القَواضِب والقنا الخُطّار (١)
يدنو وترفعه الرِّماحُ كأنّه   شِلوٌ تَنَشَّبَ فى مَخَالِب ضَارِى
فَثوَى صَرِيعاً والرماح تَنوشُه   إنّ الشُّرَاة قصيرةُ الأعمارِ (٢)
أدباءُ إما جئتهم خطباءُ   ضُمناءُ كلِّ كتيبةٍ جرّارِ (٣)

* * *

ولمّا خطَبَ سفيانُ بن الأبرد الأصمّ الكلبىّ (٤) ، فبلغ فى الترهيب والترغيب المبالغَ ، ورأى عَبيدة بن هلال اليشكرىّ (٥) أن ذلك قد فتّ فى أعضاد أصحابه ، أنشأ يقول :

لَعمرِى لقد قام الأصمُّ بخطبةٍ   لها فى صُدور المسلمين غليلُ
لعمرى لئن أعطيتُ سفيانَ بَيْعتى   وفارقتُ دينى إننى لجهولُ

ولما قام أحد الخطباء الذين تكلموا عند رأس الإسكندر قال أحدهم (٦) : « الإسكندر كان أمسِ أنطقَ منه اليومَ ، وهو اليومَ أوعظُ منه أمس » . فأخذه أبو العتاهية فقال (٧) :

بكيتك يا علىُّ بدَرِّ عينى   فما أغنى البكاءُ عليك شيًّا (٨) ٢٣

---

(١) ركب ردعه : خر صريعا لوجهه على دمه وعلى رأسه . والردع : الدم .

(٢) ثوى : هلك . تنوشه : تأخذه وتتناوله .

(٣) الضمناء : الكفلاء ، جمع ضمين . وذكر الوصف « جرار » كأنه ذهب بالكتيبة إلى معنى الجيش والعسكر .

(٤) سبقت ترجمته فى ٦١ .

(٥) ضبط « عبيدة » فى الاشتقاق ٢٠٧ بضم العين ، وفى الكامل ٧٠١ بالفتح ، كلاهما ضبط قلم . فيما عدا ل : « عبد الله بن هلال » ، تحريف .

(٦) انظر ما سبق من تخريج هذا الخبر فى حواشى ص ٨١ والحيوان (٣ : ٩١/ ٦ : ٥٠٥) والأغانى (٣ : ١٤٢) .

(٧) فيما عدا ل : « فأخذ أبو العتاهية هذا المعنى بعينه فقال » .

(٨) على هذا ، هو على بن ثابت ، وكان صديقاً لأبى العتاهية . انظر الأغانى (٣ : ١٤٢) . فيما عدا ل : « فلم يغن البكاء » . وكذا وردت هذه العبارة فى (٣ : ٢٥٨) .

طوتْكَ خطوبُ دهرِكَ بعد نشرٍ كذاك خطوبُه نَشراً وطَيّا
كَفى حُزْناً بدفْنكَ ثم أنى نفضْتُ ترابَ قبرك عن يدَيّا
وكانت فى حياتكَ لى عظاتٌ وأنت اليومَ أوعظُ منك حيّا

* * *

ومن الأسجاع الحسنة قول الأعرابية حين خاصمت ابنها (١) إلى عامل الماء فقالت : « أمَا كان بطنى لك وِعاءً ؟ أما كان حِجرى لك فِناء ؟ أما كان ثديى لك سِقاء ؟ » . فقال ابنها : « لقد أصبحتِ خطيبةً ، رضى الله عنك » . لأنّها قد أتت على حاجتها بالكلام المُتَخَيَّر كما يبلغ الخطيبُ بخطبته .

وقال النَّمر بن تولب :

وقالت ألا فاسمع نَعِظْكَ بخطبةٍ فقلتُ: سمعنا فانطقى وأصِيبى (٢)
فلن تنطقِى حقاً ولستِ بأهلِهِ فقبِّحتِ ممَّا قائلٍ وخطيبِ (٣)

قال أبو عباد كاتب ابنِ أبى خالد (٤) : ما جلس أحدٌ قط بين يدىَّ إلاَّ تمثّل لى أنى سأجلس بين يديه (٥) .

قال الله عزّ وجلّ : ﴿ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغاً ﴾ . ليس يريد بلاغةَ اللسان ، وإنْ كان اللسان لا يبلغُ من القلوب حيثُ يريد إلا بالبلاغة .

قال : وكانت خُطبة قريش فى الجاهليّة – يعنى خُطبة النساء – : « باسمك اللهم ، ذُكِرَتْ فلانةُ وفلانٌ بها مشغوف . باسمك اللهم ، لك ما سألت ولنا ما أعطيت » .

---

(١) فيما عدا ل : « الأعرابية لابنها حين خاصمته » .

(٢) فيما عدا ل ، هـ : « فاسمع للفظى وخطبتى » . وفى هـ : « فقلت سميعا » .

(٣) ما عدا هـ : « فإن » ، وهى رواية نبه عليها فى حواشى هـ .

(٤) هو أحمد بن أبى خالد ، كما سبق فى ٣٤٧ س ٥ . والخبر رواه الجاحظ فى الحيوان (٥ : ١٤٠) .

(٥) زاد فى الحيوان : « وما سرنى دهر قط إلا شغلنى عنه تذكر ما يليق بالدهور من الغير » . يليق : يعلق . والغير : الأحوال المتغيرة .

ولما مات عبد الملك بن مروان صعِد الوليدُ المنبرَ فحمِد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « لم أرَ مثلَها مصيبةً ، ولم أر مثلَها ثواباً : موت أمير المؤمنين ، والخلافة بعدَه . إنّا لله وإنّا إليْهِ راجِعُون . والحمدُ للهِ رب العالمين على النّعمة . انهضوا فبايِعُوا على بركة الله » . فقام إليه عبدُ الله بن همّامٍ (١) فقال :

اللهُ أعطاكَ التى لا فوقَها　　وقد أراد المُلْحِدون عَوْقَها
عنك ويأبى الله إلّا سَوْقَها　　إليك حتّى قلّدوك طَوْقَها ٢٢

فبايَعَ النّاس .

وقيل لعمرو بن العاصى (٢) فى مرضه الذى مات فيه : كيف تجدك ؟ قال : « أجدنى أذوب ولا أثُوب (٣) ، وأجدُ نجوِى أكثر من رُزِئى (٤) ، فما بقاءُ الشّيخ على ذلك » .

---

(١) عبد الله بن همام المرى السلولى . والسلولى نسبة إلى سلول أمهم ، وأبوهم مرة بن صعصعة ابن معاوية بن بكر بن هوازن . المعارف ٣٩ . وعبد الله من شعراء الدولة الأموية . وكان معاوية قد أمر لأهل الكوفة بزيادة عشرة دنانير ، فأبى واليها النعمان بن بشير أن ينفذ ماأمر به معاوية ، فقال عبد الله يطالب النعمان بها :

زيادتنا نُعمانُ لا تحرمنّنا　　تق الله فينا والكتاب الذى تتلو

الأغانى (١٤ : ١١٥ – ١٦٦) . ولما تزوج مصعب بن الزبير سُكينة على ألف ألف ، كتب عبد الله ابن همام إلى عبد الله بن الزبير :

أبلغ أمير المؤمنين رسالة　　من ناصح لك لا يريد خداعا
بضع الفتاة بألف ألف كامل　　وتبيت سادات الجنود جياعا
لو لأبى حفص أقول مقالتى　　وأبث ما أبثثكم لارتاعا

فكان هذا الشعر سببا فى عزل مصعب عن البصرة . الأغانى (١٤ : ١٦٣) . وانظر الخزانة (٣ : ٦٣٩) ومعاهد التنصيص (١ : ٩٦) والشعراء لابن قتيبة .

(٢) فى تاج العروس (١٠ : ٢٤٥) : «قال النحاس : سمعت الأخفش يقول : هو العاصى بالياء لا يجوز حذفها ، وقد لهجت العامة بحذفها . قال النحاس : هذا مخالف لجميع النحاة يعنى أنه من الأسماء المنقوصة ، فيجوز فيه إثبات الياء وحذفها » . وانظر شرح الرضى للشافية (٢ : ٣٠٣) .

(٣) أثوب : أرجع ، أى لا أرجع إلى صحتى ولا تحسن حالى .

(٤) رزئى ، أى ما أرزؤه من الطعام وأصيبه . والخبر فى اللسان (١ : ٧٩) .

وقيل لأعرابىٍّ كانت به أمراضٌ عدّه ، كيف تجِدُكَ ؟ قال : « أمّا الذى يَعْمِدُنى فحُصْرٌ وأُسْرٌ [١] » .

وعن مقاتل [٢] قال : سمعت يزيد بن المهلب [٣] ، يخطب بواسط ، فقال : « يا أهل العراق ، يا أهل السَّبق والسِّباق ، ومكارم الأخلاق ، إنّ أهل الشام فى أفواههم لُقمةٌ دَسِمة ، زَبّبتْ لها الأشداق [٤] ، وقاموا لها على ساق ، وهم غير تاركيها لكم بالمِراء والجِدال ؛ فالبَسوا لهم جُلودَ النُّمور [٥] » .

[تم الجزء الأول من تجزئة المؤلف]

---

(١) عمده : أضناه وأوجعه. والحصر ، بضم وبضمتين : احتباس البطن . والأسر ، بالضم : احتباس البول . والخبر فى الحيوان (٥ : ٢٩١) واللسان (٤ : ٢٩٦) .

(٢) هو أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدى الخراسانى صاحب التفسير ، أخذ التفسير عن الكلبى ، وكان متهماً فى الرواية . توفى سنة ١٥٠ . تهذيب التهذيب .

(٣) هو يزيد بن المهلب بن أبى صفرة . خرج فى أيام يزيد بن عبد الملك ، فإنه لما مات عمر بن عبد العزيز فى رجب سنة ١٠١ تمكن يزيد هذا أن يخرج من سجنه ، وسار إلى البصرة ، واجتمع إليه خلق عظيم ، وخلع يزيد بن عبد الملك ، والتقت جيوش اليزيدين بالعقر ، من أرض بابل ، فهزم يزيد بن المهلب وقتل سنة ١٠٢ . التنبيه والإشراف ٢٧٧ – ٢٧٨ .

(٤) زببت الأشداق : اجتمع الريق فى جوانبها وتحلّب . ما عدا هـ : « رنبت » ، تحريف .

(٥) يقال : لبس لفلان جلد النمر ، إذا تنكر له وأظهر الحقد والغضب .

فهرس الأبواب (*)

صفحة

(*) هذه هى العنوانات التى وردت فى صلب الكتاب كما وضعها الجاحظ . أما تفصيل الأبواب فموضعه فى ملحقات الكتاب ، مع الفهارس العامة .

صفحة

★ ★ ★

مكتبة الجاحظ
أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ
١٥٠ - ٢٥٥

بتحقيق وشرح
عبد السلام محمد هارون

الكتاب الثاني

البيان والتبيين

الجزء الثاني

الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة

صف هذا الكتاب بطريقة الجمع التصويرى

مكتبة الخانجى

للطباعة والنشر والتوزيع

ص . ب ١٣٧٥ القاهرة

الطبعة السابعة

١٤١٨ هـ = ١٩٩٨ م

مطبعة المدني المؤسسة السعودية بمصر
٦٨ شارع العباسية - القاهرة . ت : ٤٨٢٧٨٥١

البيان والتبيين

تأليف

أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

الجزء الثاني

بتحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

وهذا أول الجزء الثانى من تجزئة المصنف [1]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، ولا حولَ ولا قوَّة إلا بالله ، وصلى الله على محمد خاصَّة ، وعلى أنبيائه عامّة .

أردْنا – أبقاكَ اللهُ – أن نبتدئ صدرَ هذا الجزءِ من البيان والتبيُّن [2] بالرد على الشعوبية فى طعنهم على خطباء العرب وملوكهم [3]؛ إذْ وصلوا أيمانَهم بالمخاصر ، واعتمدوا على وجه الأرض بأطراف القسىّ والعصىّ ، وأشاروا عند ذلك بالقُضبان والقُنِىّ [4] . وفى كلّ ذلك قد روينا الشاهدَ الصادق ، والمثَلَ السَّائر . ولكنَّا أحببْنا أن نُصَيِّر صدرَ هذا البابِ كلاماً [5] من كلام رسول ربِّ العالمين ، والسَّلَف المتقدِّمين ، والجِلّةِ من التابعين ، الذين كانوا مصابيحَ الظلام ، وقادة هذا الأنام ، ومِلْحَ الأرض [6] ، وحُلِيَّ الدُّنيا ، والنّجومَ التى لا يضلُّ معها السَّارى ، والمَنارَ الذى يرجع إليه الباغى ، والحِزْبَ الذى كثّر اللهُ به القليل ، وأعزَّ به الذليل ، وزاد الكثيرَ فى عدده ، والعزيزَ فى ارتفاع قدره . وهم الذين جَلَوْا بكلامهم الأبصارَ الكليلة [7] ، وشَحذوا بمنطقهم الأذهانَ العليلة [8] ، فنبَّهوا القلوبَ من رَقدتها ، ونقلوها عن سوء عادتها ، وشفَوها [9] من داء القسوة،

---

(١) بدل هذه العبارة فى هـ ، ب ، جـ : « أول الثلث الثانى » ، كما أن بعدها فى ب ، حـ : « قال أبو عثمان الجاحظ » .

(٢) ما عدا ل ،هـ : « والتبيين » .

(٣) وملوكهم ، ليست فى هـ .

(٤) القنى : جمع قناة ، وهو الرمح . ل : « والقسى » .

(٥) فيما عدا ل : « أن نصدر هذا الجزء بكلام » .

(٦) الملح ، بالكسر : البركة .

(٧) فيما عدا ل : « العليلة » .

(٨) فيما عدا ل : « الكليلة » .

(٩) ل : « وشفوا » .

وغباوة الغفلة ، وداوَوْا من العىّ الفاضح ، ونهَجُوا [لنا] الطَّريقَ الواضح . ولولا الذى أمَّلتُ فى تقديم ذلك وتعجيله ، من العملِ بالصواب ، وجزيلِ الثَّواب ، لقد ٢٣٩
كنتُ بدأتُ بالردِّ عليهم ، وبكشف قِناع دعواهم (١) . على أنَّا سنقول فى ذلك بعد الفراغ ممَّا هو أولى بنا ، وأوجبُ علينا . والله الموفق ، وهو المستعان .

وعلى أنّ خطباءَ السّلَف الطيّب ، وأهلَ البيان من التابعين بإحسان ، ما زالوا يسمُّون الخطبةَ التى لم تبتَدَأ بالتحميد ، وتُستفتَحْ بالتمجيد (٢) : « البَتراء » . ويسمُّون التى لم توشّح بالقرآن ، وتزيَّنْ بالصَّلاة على النبى ﷺ : « الشَّوْهاء » .

وقال عِمرانُ بن حِطّان (٣) : خطَبتُ عند زيادٍ خطبةً ظننتُ أنّى لم أقصِّرْ فيها عن غاية ،ولم أدَعْ لطاعنٍ (٤) علّة ، فمررتُ ببعض المجالسِ فسمعتُ شيخاً يقول : هذا الفتى أخطَبُ العربِ لو كان فى خطبته شئ من القرآن .

وخطب أعرابىٌّ فلمّا أعجله بعضُ الأمر عن التَّصدير بالتحميد ، والاستفتاح بالتمجيد ، قال : « أما بعد ، بغير ملالةٍ (٥) لذكر الله ولا إيثار غيره عَليه ، فإنَّا (٦) نقول كذا ، ونسأل كذا » ؛ فِراراً من أن تكون خطبتُه بتراءَ أو شوهاء .

وقال شَبيب بن شيبة : « الحمد لله ، وصلى الله على رسول الله . أمَّا بعد فإنّا نسأل كذا ، ونبذل كذا » .

وبنا – حفِظَك اللهُ – أعظمُ الحاجة إلى أن يَسلم كتابنا هذا من النَّبَز القبيح (٧)

---

(١) فيما عدا ل : « دعاويهم » .

(٢) فيما عدا ل : « لم يبتدئ صاحبها بالتحميد ، ويستفتح كلامه بالتمجيد .

(٣) ترجم فى (١ : ٤٠٤) .

(٤) فى حواشى هـ عن نسخة : « لجادب » . والجادب : العائب .

(٥) فيما عدا ل ، هـ : « ملال » . وقد سبق الخبر فى البيان (١ : ٤٠٤) .

(٦) هذه الكلمة ساقطة من هـ .

(٧) النبز بالتحريك : اللقب . فيما عدا ل : « البتر » .

والشَّوَه المَشِين [١] ، واللقَب السَّمج المَعيب [٢] ، بل قد يَجِب [٣] أن نزيدَ فى بهائه ونستميل القلوبَ إلى اجتبائه ، إذْ كان الأملُ فيه بعيداً ، وكان معناه شريفاً ثميناً .

ثم اعلم بعدَ ذلك أنّ جميع خُطَبِ العرب ، من أهل المَدَر والوبر ، والبدْو والحضَر ، على ضربين : منها الطِّوال ، ومنها القصار ، ولكلّ ذلك مكانٌ يليق به ، وموضعٌ يحسُن فيه . ومن الطِّوال ما يكون مستوِياً فى الجودة ، ومتشاكلاً فى استواء الصَّنعة ، ومنها ذوات الفِقَر الحسان ، والنُّتَف الجياد . وليس فيها بعدَ ذلك شئٌ يستحق الحفظَ ، وإنما حظُّه [٤] التخليد فى بطون الصُّحف . ووجَدنا عددَ القصار أكثر ، ورواةَ العلم إلى حفظها أسرع . وقد أعطينا كلَّ شكل من ذلك قِسطه من الاختيار ، ووفَّيناه حظَّه من التمييز ، ونرجو ألاّ نكون قصَّرْنا فى ذلك . والله الموفّق .

٢٤٠ هذا سوى ما رسمنا [٥] فى كتابنا هذا من مقطَّعات كلام العرب الفصحاء وجُملِ كلام الأعراب الخُلَّص ، وأهل اللَّسَن من رجالات قريش والعرب ، وأهل الخطابة من أهل الحجاز ، ونُتِف من كلام النُّسَّاك ، ومواعظَ من كلام الزّهاد ، مع قلّة كلامِهم ، وشِدَّة توقّيهم . وربَّ قليلٍ يُغنى عن الكثير ، كما أنْ رُبَّ كثيرٍ لا يتعلَّق به صاحب القليل . بل ربَّ كلمةٍ تُغْنِى عن خطبة ، وتنوب عن رسالة . بل ربَّ كنايةٍ تربى على إفصاح ، ولحظٍ يدلُّ على ضمير ، وإن كان ذلك الضمير بعيدَ الغاية ، قائماً على النِّهاية . ومتى شاكل أبقاك الله ذلك اللفظُ معناه ؛ وأعرب عن فَحواه [٦] ، وكانَ لتلك الحال وَفْقاً ، ولذلك القدرِ لِفْقا، وخَرَج

(١) الشَّوَه : القبح . وهاتان الكلمتان من ل فقط .

(٢) فيما عدا ل ، هـ : « السميج » . والسميج : القبيح .

(٣) فيما عدا ل : « نحب » .

(٤) فيما عدا ل : « حظها » .

(٥) فيما عدا ل : « رسمناه » .

(٦) هذه الجملة ساقطة من هـ .

من سماجة الاستكراه ، وسلِم من فساد التكلف ، كان قميناً [١] بِحُسن الموقع ، وبانتفاع المستمِع ، وأجدَرَ أن يمنع جانِبَه من تناوُل الطّاعنين ، ويحمىَ عِرضه من اعتراضِ العائبين [٢] ، وألاَّ تزالَ القلوبُ به معمورةً ، والصّدورُ مأهولة . ومتى كان اللفظ أيضاً كريماً فى نفسه ، متخيَّراً مِن جنسه [٣] ، وكان سليماً من الفُضول ، بريئاً من التعقيد ، حُبِّب إلى النُّفوس ، واتَّصل بالأذهان ، والتحَمَ بالعقول ، وهشَّت إليه الأسماع ، وارتاحت له القلوب ، وخفَّ على ألسُن الرُّواة ، وشاع فى الآفاق ذِكرُه ، وعظُم فى الناس خَطَره ، وصار ذلك مادَّةً للعالِم الرئيس ، ورياضة للمتعلِّم الريِّض . فإن أراد صاحبُ الكلام صلاحَ شأن العامَّة ، ومصلحةَ حال الخاصَّة ، وكان ممَّن يعُمُّ ولا يخُصّ ، وينصح ولا يغُشّ ، وكان مشغوفاً بأهل الجماعة ، شَنِفا لأهل الاختلاف والفرقة [٤] ، جُمعت له الحظوظُ من أقطارها ، وسِيقت إليه القلوبُ بأزِمّتها ، وجُمعت النفوسُ المختلفة الأهواء على محبَّته ، وجُبِلت على تصويب إرادته . ومَن أعاره الله من مَعُونته [٥] نصيبا ، وأفْرَغ عليه من محبّته ذَنوبا [٦] ، جُلِبت [٧] إليه المعانى ، وسَلِسَ له النّظام [٨] ، وكان قد أُغفَى المستمعَ من كدّ التكلف ، وأراح قارئَ الكتاب من عِلاج التفهُّم . ولم أجِدْ فى خطب السَّلِف الطيِّبِ والأعراب الأقحاحِ ، ألفاظاً ٢٤١ مسخوطة ، ولا معانىَ مدخولة ، ولا طبعاً رديئاً ، ولا قولاً مستكرها . وأكثرُ

---

(١) هـ : « قمنا » وبفتح الميم وكسرها معا . وكلها بمعنى جدير وخليق .

(٢) هـ : « العيابين » .

(٣) فيما عدا ل ، هـ : « فى جنسه » .

(٤) يقال شَنِفه ، أبغضه ،فهو شنف .

(٥) فيما عدا ل : « معرفته » .

(٦) الذنوب ، بالفتح : الدلو الملأى .

(٧) فيما عدا ل : « حنت » بدل : « جلبت » .

(٨) فيما عدا ل : « نظام اللفظ » .

ما نَجد (١) ذلك فى خطب المَوَلَّدين ، وفى خطب البلديِّين المتكلِّفين (٢) ، ومن أهل الصنعة المتأدِّبين ، وسواء كان ذلك منهم على جِهة الارتجال والاقتضاب ، أَوْ كان من نتاج التحبير والتفكير (٣) .

ومِن شعراء العرب مَن كان يدع القصيدةَ تمكث عنده حولاً كَريتا (٤) ، وزَمناً طويلا ، يردِّد فيها نظَرَه ، ويُجيل فيها عقله (٥) ، ويقلِّب فيها رأيَه ، اتّهاماً لعقله ، وتتبُّعا على نفسه ، فيجعل عقلَه (٦) ، زِماماً على رأيه ، ورأيَه عِياراً على شعره ؛ إشفاقاً على أدبه ، وإحرازاً لما خوّله الله تعالى من نِعمته . وكانوا يسمُّون تلك القصائدَ : الحوليّاتِ ، والمقلَّداتِ ، والمنقَّحات ، والمُحكَمات ؛ ليصير قائلها فحلاً خِنذيدا ، وشاعراً مُفْلقا .

وفى بيوت الشِّعر الأمثال والأوابد ، ومنها الشَّواهد ، ومنها الشوارد .

والشعراء عندهم أربع طبقات . فأوّلهم : الفحل الخنذيذ . والخنذيذ هو التامّ . قال الأصمعى : قال رؤبة : « الفُحولَةُ هم الرواة » (٧) . ودون الفحل الخِنذيذِ الشّاعرُ المُفْلِقُ ، ودونَ ذلك الشاعرُ فقط ، والرّابع الشُّعْرُور . ولذلك قال الأوّل فى هجاء بعض الشعراء :

يا رابعَ الشعراءِ كيف هجوتنى   وزعمتَ أنى مُفْحَمٌ لا أنطِقُ (٨)

فجعله سُكَّيتاً مُخلَّفا (٩) ، ومسبوقا مؤخَّرا .

---

(١) فيما عدا ل : « نجد » بالنون .

(٢) كلمة : « فى » من ل فقط . وكلمة « خطب » الثانية ساقطة من هـ .

(٣) التحبير : التحسين . ما عدا هـ : « أم كان » . وما عدا ل ، هـ : « التخير والتفكر » .

(٤) حول كريت : كامل تام .

(٥) هذه الجملة من ل فقط .

(٦) ل : « فجعل » .

(٧) فيما عدا ل ، هـ : « هم الفحولة الرواة » وفى حواشى هـ : « يريد الذين يرون شعر غيرهم فيكثر تصرفهم فى الشعر ويقوون على القول » .

(٨) وكذا رواية العمدة (١ : ٧٣) . فيما عدا ل : « فيم هجوتنى » .

(٩) السكيت : آخر خيل الحلبة ؛ وقد تخفف الكاف . ل : « خلفا » .

وسمعتُ بعض العلماء يقول : طبقات الشّعراء ثلاث : شاعر ، وشوَيْعر ، وشُعْرُور . قال : والشُّويعر مثل محمد بن حُمران بن أبى حُمران [١] ، سمَّاه بذلك امرؤ القيس بن حُجْر .

ومنهم من بنى ضبَّة [٢] : المفوَّف ، شاعر بنى حُمَيس [٣] ، وهو الشُّوَيعر ، ولذلك قال العبدىّ [٤] :

ألا تَنْهَى سَرَاة بنى حُمَيسٍ ... شُوَيعِرَها فُوَيْلِيَة الأفاعى
قبيِّلةٌ تَرَدَّدُ حيث شاءت ... كزائدةِ النّعامَةِ فى الكُراعِ ٢٤٢

فُويليَة الأفاعى : دويبَّة سوداء فوق الخُنفَساء .

والشويعر أيضاً : صفوان بن عبد [٥] ياليَل ، من بنى سَعد بن ليث ، ويقال إنَّ اسمَه ربيعة بن عثمان [٦] . وهو الذى يقول :

فسَائِلْ جعفراً وبنى أبيها ... بنى البَزَرَى بِطَخْفة والمِلَاحِ [٧]

---

(١) ذكره الآمدى فى المؤتلف ١٤١ وقال : « وهو ابن أخى الأسعر الجعفى ، وممن سمى محمدا فى الجاهلية ، وهو قديم . وكان امرؤ القيس بن حجر أرسل إليه فى فرس يبتاعها منه فمنعه ، فقال امرؤ القيس :

أبلغا عنى الشويعر أنى ... عمد عين نكبتهن حزيما

فسمى بهذا البيت الشويعر » . وانظر لمن سمى بمحمد فى الجاهلية الخزانة (٢ : ٢٣ – ٢٥) .

(٢) فيما عدا ل : « ومنهم ثم من بنى ضبة » وكلمة « ثم » مقحمة .

(٣) بنو حميس ، بضم الحاء ، من قبائل جهينة . الاشتقاق ٣٢١ .

(٤) انظر العمدة (١ : ٧٤) .

(٥) هنا ينتهى سقط التيمورية ، الذى سبق التنبيه عليه فى الجزء الأول ص ٣٩١ س ٢٣ .

(٦) نقل هذا النص فى العمدة (١ : ٧٤) عن الجاحظ . أما ياقوت فى معجم البلدان (٨ : ١٤٤) فقال : « قال الشويعر الكنانى ، واسمه ربيعة بن عثمان » .

(٧) البزرى ، كجمزى : لقب لبنى بكر بن كلاب . وتبزر الرجل ، إذا انتمى إليهم . ل ، هـ : « البرزى » ، صوابه بتقديم الزاى كما صحح فى حـ . وفى ب والتيمورية : « البراز » تحريف . وطخفة ، بالكسر ويروى بالفتح : جبل لبنى كلاب ، ولهم عنده يوم . والملاح ، بالكسر : موضع .

وأفلتَنا أبــو ليلى طُفَيــلٌ   صحيحَ الجلد مِن أَثَرِ السّلاحِ (١)

وقد زعم ناسٌ أنّ الخنذيذ من الخيل هو الخَصِيّ . وكيف يكون ذلك كذلك مع قول الشاعر :

يا ليلتى بالخَبْتِ لم أر مثلَها   أمَرَّ قِرًى منها وأكثَرَ باكيَا (٢)

وأكثَرَ خِنذيــذاً يجُرُّ عِنانَــهُ   إلى الماء لم يترُكْ له السَّيفُ ساقيا (٣)

وقال بشر بن أبى خازم (٤) :

وخنذيذٍ تَرى الغُرمُولَ منهُ   كطَىِّ الزِّقّ علَّقهُ التِّجارُ (٥)

وأبيَنُ من ذلك قول البُرجُمىّ (٦) :

* وخناذيذ خصيةً وفُحُولَا (٧) *

ويدلُّ على ما قلنا قول القيسىّ (٨) :

---

(١) أفلته الشيء : انفلت منه . وأنشد ياقوت بين هذا البيت وسابقه :

غداة أتتهمُ حمر المنايا   يسقن الموت بالأجل المتاح

(٢) الخبت : بلد دون الجزيرة : فيما عدا ل : « يا ليلتى يا ليت » ، تحريف .

(٣) هـ : « له الموت » . ويشبه هذا بيت مالك بن الريب فى الخزانة (١ : ٣١٨) والأمالى (٣ : ١٣٧) :

وأشقر محبوكا يجر عنانه   إلى الماء لم يترك له الموت ساقيا

(٤) هو بشر بن أبى خازم الأسدى ، شاعر فارس فحل جاهلى قديم . الخزانة (٢ : ٢٦٢ – ٢٦٤) والشعر والشعراء .

(٥) البيت من قصيدة فى المفضليات (٢ : ١٣٨ – ١٤٥) .

(٦) نسب فى الحيوان (١ : ١٣٣) إلى خفاف بن ندبة وندبة : أمه ، واسم أبيه عمير بن الحارث . وهو شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ، وشهد حنينا والطائف ، وبقى إلى زمان عمر . الخزانة (٢ : ٤٧٢ – ٤٧٣) والإصابة ٣٢٦٩ ، والمؤتلف ١٠٨ . والصواب أن ينسب إلى خفاف بن عبد قيس البرجمى ، كما فى اللسان (خنذ) . ونسب فيه أيضا إلى النابغة الذبيانى ، وليس فى ديوانه .

(٧) صدره فى اللسان :   * وبراذين كابيات وأتنا *

(٨) فيما عدا ل : « العبسى » تحريف . وفى الحيوان (١ : ١٣٤) : « قول بعض القيسيين من قيس بن ثعلبة » .

دعوتُ بنى سعدٍ إلىَّ فشمرَّتْ   خناذيذُ من سعدٍ طِوالُ السّواعِدِ

وكان زُهير بن أبى سُلمَى يسمِّى كبارَ قصائده : الحَوليَّات .

وقد فسَّر سُويد بنُ كُراعٍ العُكلىُّ (١) ما قلنا ، فى قوله :

أَبِيتُ بأبوابِ القوافى كأنَّما   أُصادِى بها سِرْباً من الوَحشِ نُزَّعَا (٢)
أُكالئُها حتى أُعَرِّسَ بعد ما   يكون سُحَيراً أو بُعيداً فأهجَعا (٣) ٢٤٣
عَواصِىَ إلّا ما جعلتُ أمامَها   عصا مِرْبَدٍ تغشى نحوراً وأذرُعا (٤)
أهَبْتُ بغُرِّ الآبدات فراجعت   طريقاً أَمَلَّتْهُ القصائدُ مَهْيَعا (٥)
بعيدةُ شأْوٍ ، لا يكاد يرُدُّها   لها طالبٌ حتى يَكِلَّ ويَظْلَعا (٦)
إذا خِفْتُ أن تُروَى عَلَىَّ رددتُها   وراءَ التراقِى خشيةً أن تطَلَّعا (٧)
وجشَّمنى خوفُ ابنِ عَفّان رَدَّها   فثقَّفْتُها حَولًا حَرِيداً ومَرْبَعا (٨)

---

(١) سويد بن كراع العكلى ، شاعر فارس من شعراء الدولة الأموية ، وكان فى آخر أيام جرير والفرزدق . الأغانى (١١ : ١٢١ – ١٢٥) والشعر والشعراء .

(٢) كان من سبب هذا الشعر أنه هجا بنى عبد الله بن دارم ، فاستعدَوا عليه سعيد بن عثمان بن عفان ، فطلبه ليضربه ويحبسه ، فهرب ولم يزل متواريا حتى كلم فيه . فآمنه على ألا يعاود . الأغانى (١١ : ١٢٣) . والمصاداة : المداجاة ، والمخاتلة . والنزع ، كركع : جمع نازع ، وهو الغريب .

(٣) أكالئها : أراقبها . والتعريس : النزول فى وجه السحر . هـ عن نسخة : « أو بُعيد » .

(٤) المربد ، كمنبر : محبس الإبل . أراد عصا معترضة على باب المربد . وانظر اللسان والمقاييس (ربد). وقد ورد فى الأول بدون نسبة . وفيهما وكذا فى الشعر والشعراء : « جعلت وراءها » . وما هنا أوثق وأليق .

(٥) أهاب بها : دعاها . الآبدات : المتوحشات ، عنى بها القوافى الشرد . أملته : سلكته ؛ طريق ممل : مسلوك معلوم . والمهيع : الواسع المنبسط .

(٦) أى لا يكاد يردها طالب لها ، هى منطلقة لا يستطاع ردها إلا بالجهد .

(٧) تروى على : أى تروى عنى . فيما عدا ل : « تردى جلى » . وقد صححت فى حـ فجعلت : « تروى على » . والترقوة : مقدم الحلق فى أعلى الصدر حيثما يترق النفس .

(٨) فى الأغانى : « خوف بن عثمان » . الحريد : التام الكامل .

وقد كان فى نفسى عليها زيادةٌ فلم أرَ إلا أنْ أطيعَ وأسْمَعَا

* * *

ولا حاجةَ بنا مع هذه الفِقَرِ إلى الزيادة (١) فى الدَّليل على ما قلنا ، ولذلك قال الحطيئة : « خير الشِّعر الحَوليُّ المُحكَّكُ » . وقال الأصمعىّ (٢) : « زهير ابن أبى سُلْمَى ، والحطيئةُ وأشباههما ، عبيدُ الشِّعر » . وكذلك كلُّ من جَوَّد فى جميع شعره ، ووقَف (٣) عند كلِّ بيت قاله ، وأعاد فيه النَّظَر حتى يُخرِجَ أبياتَ القصيدة كلّها مستويةً فى الجودة . وكان يُقال (٤) : لولا أنَّ الشِّعرَ قد كان استعبَدَهم واستفرغ مجهودَهم حتّى أدخلَهم فى باب التكلُّف وأصحاب الصنعة ، ومَن يلتمِسُ قَهْرَ الكلام (٥) ، واغتصابَ الألفاظ ، لذهبوا مذهبَ المطبوعين ، الذين تأتيهم المعانى سَهْواً ورَهوا (٦) ، وتنثال عليهم الألفاظ انثيالا (٧) . وإنَّما الشِّعر المحمود كشعر النابغة الجَعْدىّ ورُؤبة . ولذلك قالوا فى شعره : مُطْرَفٌ بآلاف وخِمارٌ بِوافٍ (٨) . وقد كان يخالف فى ذلك جميع الرُّواة والشعراء . وكان أبو عبيدة يقولُ ويَحكِى ذلك عن يونس (٩) .

ومَن تكسَّبَ بشعره والتمس به صِلات الأشراف والقادة ، وجوائزَ الملوك والسادة ، فى قصائد السِّماطَين ، وبالطِّوال التى تُنشَد يوم الحفْل ، لم يجِدْ بُداً
٢٤٤ من صَنيع زُهير والحطيئة وأشباههما ، فإذا قالوا فى غير ذلك أخذوا عفوَ الكلام

---

(١) ل : « مع هذه الفقرة إلى زيادة » .

(٢) فيما عدا ل : « وكان الأصمعى يقول » .

(٣) فيما عدا ل : « كل من يجود فى جميع شعره ويقف » .

(٤) ل : « يقول » .

(٥) فيما عدا ل : « قعر الكلام » ، تحريف .

(٦) السهو : السهل اللين . والرهو : السهل الدمث . ل : « سهوا رهوا » .

(٧) انثالت : اجتمعت وانصبت من كل وجه .

(٨) انظر ما سبق فى (١ : ٢٠٦) .

(٩) مضت ترجمته فى (١ : ١٧٤) . فيما عدا ل : « يقوله » بدل : « يقول » .

وتركوا المجهود ، ولم نرهم مع ذلك يستعملونَ مثلَ تدبيرهم فى طِوال القصائد فى صنعة طِوَال الخُطَب ، بل كان الكلام البائِت عندهم كالمقتضب [(١)] ، اقتداراً عليه ، وثقةً بحسْنْ عادة الله عندهم فيه . وكانوا مع ذلك إذا احتاجوا إلى الرَّأى فى مَعاظم التَّدبير ومُهِمَّات الأمور ، ميَّثوه فى صدورهم [(٢)] ، وقيَّدوه على أنفسهم ، فإذا قوَّمه الثِّقاف وأُدخِلَ الكِير ، وقامَ على الخِلاص [(٣)] ، أبرزوه مُحَكَّكاً منقَّحاً ، ومُصَفًّى من الأدناس مُهذَّبا . قال الربيع بن أبى الحُقيق [(٤)] لأبى ياسرٍ النَّضِيرى [(٥)] :

فلا تُكثِرِ النَّجوَى وأنت محاربٌ تُؤامر فيها كل نِكسٍ مُقَصِّرِ

وقال عبد الله بن وهب الراسبىّ [(٦)] : « إياىَ والرأىَ الفَطيرَ » .

وكان يَستعيذ بالله من الرأى الدَّبَرىّ [(٧)] ، الذى يكون من غير رويَّةٍ ، وكذلك الجواب الدَّبَرىّ .

وقال سحبانُ وائِل : « شرُّ خليطَيكَ السَّؤُوم المحزَّمُ » ؛ لأنّ السَّؤوم لا يصبر ، وإنما التفاضل فى الصبر . والمحزَّم صَعبٌ لا يُعرفُ ما يُرَاد منه ، وليس الحزم إلّا بالتجارب ، وبأن يكون عقلُ الغريزة سُلَّما [(٨)] إلى عقل التجربة . ولذلك قال على بن أبى طالب رضى الله عنه : « رأىُ الشَّيخ أحبُّ إلينَا من جَلَدِ الشابّ [(٩)] » .

---

(١) اقتضاب الكلام : ارتجاله ؛ اقتضب : تكلم من غير تهيئة له أو إعداد .

(٢) ميثه : ذلله ولينه . فيما عدا ل : « بينوه » صواب هذه « بيتوه » كما وردت فى هـ . وما أثبت من ل أعلى .

(٣) الخلاص ، بكسر الخاء كما فى هـ . وهو الثُّفل الذى يكون أسفل .

(٤) ترجم فى (١ : ٢١٣) .

(٥) هو أبو ياسر بن أخطب ، أخو يحيى بن أخطب ، كلاهما كان يهوديا من أعداء المسلمين . وكان من العلماء بالتوراة . وفيه وفى عبد الله بن صوريا ووهب بن يهودا ، نزل قوله تعالى : (ومن الذين هادوا سماعون للكذب) . انظر السيرة ٣٥١ ، ٣٥٤ ، ٣٧٧ ، ٣٩٤ .

(٦) سبقت ترجمته فى (١ : ٢٠٥) . فيما عدا ل : « وكان عبد الله بن وهب الراسبى يقول » . والكلمة هناك برواية أخرى .

(٧) سائر هذه الفقرة من ل فقط .

(٨) فيما عدا ل : « ولأن عقل الغريزة مسلم » : لكن فى هـ : « سلم » .

(٩) فيما عدا ل : « أحب إلى » . وفى أمثال الميدانى ١ : ٢٦٧ : « رأى الشيخ خير من مشهد الغلام » . والجلد ، بالتحريك : القوة والشدة .

ولذلك كرِهوا ركوبَ الصَّعب حتى يَذِلّ ، والمُهرِ الأرِنِ إلا بعد رياضة (١) . ولم يحوّلُوا المَعانيق هماليجَ إلا بعد طول التَّخليع (٢) ، ولم يَحلُبوا الزَّبون إلا بعدَ الإبساس (٣) .

* * *

وسنذكر من كلام رسول الله ﷺ ، مما لم يسبقه إليه عربيٌّ ، ولا شاركه فيه أعجميّ (٤) ، ولم يُدَّعَ لأحدٍ ولا ادّعاه أحد ، مما صار مستعملاً ومثلا سائراً .

فمن ذلك قوله : « يا خيلَ الله اركَبى » ، وقوله (٥) : « ماتَ حتْفَ أنفه » ، وقوله : « لا تنتطِح فيه عَنْزان » . وقوله : « الآنَ حمِىَ الوَطيس » .

ولمَّا قال عدىُّ بنُ حاتِمٍ (٦) فى قتل عثمانَ رحمه الله : « لا تَحبِقُ فيه عَنَاقٌ (٧) » قال له معاوية بن أبى سفيان بعد أن فُقئت عينه وقُتِل ابنه : يا أبا طريف ، هل حبقَتْ فى قتل عثمانَ عَنَاقٌ ؟ قال : إى والله ، والتَّيْس الأكبر (٨) ! فلم يَصِرْ

---

(١) الأرن والأرون : النشيط . فيما عدا ل : « بعد طول الرياضة » .

(٢) المعانيق : جمع معناق ، وهى السريعة السير . والهملاج : الحسن السير فى سرعة وبخترة . والتخليع : مشى فيه تفكك .

(٣) الزبون : التى تضرب حالبها وتدفعه . والإبساس : صويت للراعى تسكن به الناقة عند الحلب .

(٤) فيما عدا ل : « ولم يشاركه فيه عجمى » .

(٥) ما عدا ل : « ومن ذلك قوله » فى هذا الموضع وتاليه . وانظر الحيوان ١ : ٣٣٥ و ٤ : ٤٢٤ .

(٦) هو أبو طريف عدى بن حاتم الطائى الجواد المشهور ، أسلم سنة تسع أو عشر ، وكان نصرانيا قبل ذلك ، وشهد فتوح العراق وسكن الكوفة ، وشهد صفين مع على . ومات بعد الستين بعد أن بلغ ١٢٠ سنة . وذكر أبو حاتم السجستانى أنه عمر ١٨٠ سنة الإصابة ٥٤٦٧ والمعمرين ٣٦ . وفى المعارف ١٣٦ أنه شهد الجمل ففقئت عينه وقتل ابنه محمد .

(٧) حبق من باب ضرب : ضرط . والعناق ، كسحاب : الأنثى من أولاد المعز . يضرب المثل فى الأمر لا يعبأ به ، والثأر لا يدرك . ولفظه عند الميدانى : « لا تحبق فى هذا الأمر عناق حوليَّة » . والحولية : التى أتى عليها الحول .

(٨) فيما عدا ل : « الأضخم » . وعند الميدانى : « الأعظم » .

كلامُه مَثلاً ، وصار كلامُ رسول الله ﷺ مثلا (١) .

ومن ذلك قوله لأبى سفيانَ بن حرب : « كلُّ الصَّيد فى جَوْف الفَرَا (٢) » .

ومن ذلك قوله : « هُدْنةٌ على دَخَنٍ ، وجماعةٌ على أقذاءٍ (٣) » ، ومن ذلك قوله : « لا يُلسع المؤمن من جُحْر مرَّتين (٤) » .

ألا ترى أن الحارث بن حُدّان (٥) ، حين أُمِر بالكلام عند مقتل يزيد بن المهلب ، قال : « أيها الناس ، اتَّقوا الفِتنة ؛ فإنّها تُقْبِل بشُبْهةٍ ، وتُدْبر ببيان ، وإنّ المؤمن لا يُلسَع من جُحْرٍ مرتين » ، فضرب بكلام رسول الله ﷺ المثَلَ ، ثم قال : « اتقوا عُصَباً تأتيكم من الشَّام ، كأنها دِلاءٌ قد انقطع وَذَمُها (٦) » .

وقال ابن الأشعث (٧) لأصحابه ، وهو على المنبر : « قد علمنا إن كُنّا نَعْلم ، وفهِمنا إن كنّا نفهم ، أنّ المؤمنَ لا يُلسَع من جُحر مرتين ، وقد والله لُسِعت بكم من جُحرٍ ثلاثَ مَرّات ، وأنا أستغفِر الله من كلِّ ما خالف الإيمان ، وأعتصِمُ به من كل ما قارَبَ الكُفر » .

* * *

وأنا ذاكرٌ بعد هذا فنًّا آخرَ من كلامه ﷺ ، وهو الكلام

---

(١) يعنى قوله : « لا تنتطح فيه عنزان » .

(٢) قاله حين استأذن أبو سفيان عليه فحُجب قليلا ثم أذن له ، فلما دخل عليه قال : « ما كدت تأذن لى حتى تأذن لحجارة الجلهتين » . فقال ﷺ هذا القول يتألفه على الإسلام . والجلهة : ناحية الوادى . وانظر الحيوان ١ : ٣٣٥ .

(٣) يضرب لمن يضمر أذى ويظهر صفاء . والدخن ، بالتحريك : الحقد .

(٤) ويروى : « لا يلدغ » . قاله لأبى عزة الشاعر ، وكان قد أسره يوم بدر ثم منَّ عليه ، وأتاه يوم أحد فأسره ، فقال : مُنَّ على . فقال عليه السلام هذا القول .

(٥) فيما عدا ل ، هـ : « بن خذان » ، تحريف .

(٦) الوذم : جمع وذمة ، وهو السير الذى بين آذان الدلو وعراقيها .

(٧) هو عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ، المترجم فى (١ : ٣٢٩) .

الذى قلّ عدد حروفه وكثر عدد معانيه (١) ، وجَلَّ عن الصَّنعة ، ونُزِّه عن التكلف ، وكان كما قال الله تبارك وتعالى : قل يا محمد : ﴿ وما أنا مِنَ المتَكلِّفين (٢) ﴾ . فكيف وقد عابَ التشديق ، وجانب أصحاب التقعيب (٣) ، واستعمل المبسوطَ فى موضع البسط ، والمقصورَ فى موضع القصر ، وهَجَر الغريبَ الوحشىَّ ، ورغِب عن الهجين السُّوقىّ ، فلم ينطِقْ إلا عن مِيراثِ حكمَةٍ ، ولم يتكلَّم إلا بكلامٍ قد حُفَّ بالعصمة ، وشُيِّد بالتأييد (٤) ، ويُسِّر بالتوفيق .

وهو (٥) الكلامُ الذى أَلقَى اللهُ عليه المحبّةَ ، وغشَّاهُ بالقَبول ، وجمع له بين المهابة والحلاوة ، وبَيْن حُسنِ الإفهام ، وقلّة عدد الكلام ، مع استغنائه عن إعادته ، وقِلّةِ حاجة السامع إلى معاوَدته . لم تسقط له كلمة ، ولا زَلّت به قَدَم (٦) ، ولا بارَتْ له

٢٤٦ حُجَّة ، ولم يَقُم له خَصم ، ولا أفحمه خطيب ، بل يبذُّ الخُطَبَ الطِّوال بالكلِم القِصار (٧) ولا يَلتمِس إسكاتَ الخَصم إلا بما يعرفه الخصم ، ولا يحتجُّ إلا بالصِّدق ولا يطلب الفَلْجَ إلا بالحقّ (٨) ، ولا يستعين بالخِلابة ، ولا يستعمل المواربَة ، ولا يهمِز ولا يَلْمِز (٩) ، ولا يُبطِئُ ولا يَعْجَل ، ولا يُسْهِب ولا يَحْصَر (١٠) . ثم لم يَسمْع الناسُ بكلامٍ قَطّ أعمَّ نفعاً ، ولا أقصَدَ لفظا ، ولا أعدلَ وزناً ، ولا أجملَ

---

(١) ل : « وكثرت معانيه » .

(٢) الآية ٨٦ من سورة ص ، وتلاوتها : « قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين » .

(٣) التقعيب كالتقعير ، وهو أن يتكلم بأقصى قعر فمه . انظر ما سبق فى (١ : ١٣) . حـ : « التقعير » وبذلك بدلت فى ب .

(٤) هـ عن نسخة : « وسدد بالتأييد » .

(٥) فيما عدا ل : « وهذا » .

(٦) فيما عدا ل : « له قدم » .

(٧) فيما عدا ل : « بالكلام القصير » .

(٨) الفلج ، بالفتح وبالتحريك أيضاً : الفوز والظفر ، كما فى اللسان .

(٩) الهمز : العيب فى الغيبة ؛ واللمز : العيب فى الحضرة .

(١٠) حصر يحصر حصرا ، من باب تعب : عى فى كلامه .

مذهباً ، ولا أكرَم مطلباً ، ولا أحسنَ موقعاً ، ولا أسهل مخرجاً ، ولا أفصح معنىً ، ولا أبين فى فحوَى (١) ، من كلامه ﷺ كثيراً .

قال : ولم أرَهُم يذمُّون المتكلِّف للبلاغة فقطْ ، بل كذلك يَرون المتظرِّف والمتكلِّف للغِناء . ولا يكادون يضَعون اسمَ المتكلّف إلا فى المواضع التى يذمُّونها . قال قيس بن الخطيم :

فما المالُ والأخلاقُ إلا مُعارةٌ   فما اسْطَعْتَ من معروفِها فتزوَّدِ (٢)
وإنِّى لَأَغْنَى النّاسِ عن متكلِّفٍ   يرى النّاسَ ضُلّالاً وليس بمهتدِ

وقال ابن قَميئة (٣) :

وحمّالِ أثقالٍ إذا هى أعرضَت   عن الأصْلِ لا يَسْطيعها المتكلِّفُ

* * *

قال محمَّد بن سلام : قال يونس بن حبيب : « ما جاءنا عن أحدٍ من روائع الكلام ما جاءنا عن رسول الله ﷺ (٤) » .

وقد جمعتُ لك فى هذا الكتاب (٥) جُملاً التقطناها من أفواه أصحاب الأخبار . ولعلّ بعضَ من يتّسِع فى العلم ، ولم يعرفْ مقاديرَ الكَلِم ، يظُنّ أنّا قد تكلفّنا له من الامتداح والتشريف،ومن التزيين والتجويد ما ليس عنده ، ولا يبلُغه قدْرُه . كَلّا والذى حَرَّمَ التزيُّدَ على العلماء ، وقبَّح التكلّف عند الحكماء ، وبَهْرَجَ الكذّابين عند الفقهاء،لا يظنّ (٦) هذا إلا من ضلَّ سعيُه !

---

(١) فيما عدا ل : « أفصح من معناه ولا أبين فى فحواه » . والفحوى : المعنى .

(٢) البيتان من قصيدة لقيس فى ديوانه ٢٠ - ٢٢ .

(٣) هو عمرو بن قميئة بن ذريح بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة ، أحد شعراء الجاهلية ، دخل مع امرىء القيس بلاد الروم فهلك فقيل له : « عمرو الضائع » . المؤتلف ١٦٨ والخزانة (٢ : ٢٤٩ - ٢٥٠) والأغانى (١٦ : ١٥٨ - ١٦٠) والمعمرين ٨٩ . وفيه يقول امرؤ القيس (ابن سلام ٥٩) .

بكى صاحبى لما رأى الدرب دونه   وأيقن أنا لاحقان بقيصرا

(٤) انظر الاستدراكات الملحقة بالجزء الرابع .

(٥) فيما عدا ل : « وقد جمعنا فى هذا الكتاب .

(٦) ل : « ما يظن » .

فمن كلامه ﷺ حين ذكر الأنصار فقال : أَمَا والله ما عَلِمْتُكُمْ إلا
لَتَقِلُّونَ عند الطمع ، وتكثُرون عند الفزَع » . وقال : « الناس كلُّهم سواءٌ كأسنان ٢٤٧
المُشْط » ، و « المرء كثيرٌ بأخيه » ، و « لا خَيْرَ فى صحبةِ من لا يرى لك مِثلَ
ما ترى له [١] » . وقال الشاعر [٢] :

سواءٌ كأسنانِ الحمار فلا ترى ... لِذِى شَيْبةٍ منهم على ناشئ فَضْلا [٣]

وقال آخر :

شبــابهُمُ وشِيبهُمُ سواءٌ ... فهمْ فى اللُّوم أسنانُ الحمارِ [٤]

وإذا حصَّلت تشبيهَ الشاعر وحقيقتَه ، وتشبيهَ النبى ﷺ وحقيقتَه ، عرفت فصْلَ ما بين الكلامين .

وقال ﷺ : « المسلمون تتكافأ دماؤهم ، ويَسعَى بذِمَّتهم أدناهم [٥] ، ويردُّ عليهم أقصاهم ، وهم يدٌ على مَن سواهم [٦] » .

فتفهَّمْ، رحمك الله ، قلّة حروفه ، وكثرَةَ معانيه .

وقال عليه السلام : « اليدُ العليا خيرٌ من اليد السُّفلى ، وابدأ بمن تعول » . وقال : « لا تَجْنِ يمينُك على شِمالك » . وذَكَر الخيل فقال : « بطونُها كَنْز ، وظُهورُها حِرْزٌ » ، وقال : « خير المال سِكّة مأبورة ، وفرسٌ مأمورة [٧] » .

---

(١) فيما عدا ل : « من لا يرى لك ما يرى لنفسه » .

(٢) هو كثير عزة ، كما فى تهذيب الألفاظ ١٩٨ واللسان (سور) والميدانى (١ : ٣٠١) . ونسب فى ثمار القلوب ٢٩٧ إلى ابن أحمر .

(٣) الرواية المشهورة ، وهى رواية الحيوان (٦ : ١٥٧) : « سواس » ، وهما بمعنى .

(٤) أنشد البيت فى اللسان (سوى) وثمار القلوب ٢٩٧ .

(٥) فى اللسان : « أبو عبيد : الذمة الأمان فى قوله عليه السلام : ويسعى بذمتهم أدناهم » .

(٦) أى كلمتهم واحدة وأمرهم مجتمع ، لا يسعهم التخاذل . والجملة قبلها ساقطة من هـ .

(٧) فيما عدا ل : « مهرة مأمورة ، وسكة مأبورة » . السكة : السطر المصطف من النخل . المأبورة : المصلحة الملقحة . والمأمورة : الكثيرة النتاج والنسل ؛ من قولهم : أمر الله ماله وآمره ، أى كثَّره وبارك فيه . انظر مقاييس اللغة (١ : ١٣٨) .

وقال : « خير المال عينٌ ساهرة ، لعين نائمة (١) » . وقال : « نعِمت العَمّةُ لكم النَّخْلة ، تُغرس فى أرضٍ خَوّارة ، وتشرب من عينٍ خَرّارة (٢) » . وقال : « المطعمات فى المَحْل ، الراسخات فى الوَحْلِ » . وقال : « الحُمّى فى أصول النّخل » . وذكر الخيل فقال : « أعرافُها دِفاؤها (٣) ، وأذنابها مَذَابُّها » ، و « الخيلُ معقودٌ فى نواصيها الخَيرُ إلى يوم القيامة » . وقال : « ليس مِنا مَن حَلَق أو صَلَق (٤) أو شَقَّ » .

وقال : « نهيتكم عن عُقوق الأمهات ، ووأْد البنات ، ومنعٍ وهاتِ (٥) » .

وقال : « الناس كالإبلِ المائةِ لا تجِدُ فيها راحلة (٦) » .

وقال : « ما أمْلَق تاجرٌ صَدوق » .

وجاء فى الحديث : « ما قَلّ وَكَفَى خيرٌ ممّا كثُرَ وألهى » .

وقال : « يحمِل هذا العِلْمَ من كُلِّ خَلَفٍ عُدولُه ، ينفُون عنه تحريفَ ٢٤٨
الغالِينَ ، وانتحالَ المُبْطِلين ، وتأويلَ الجاهلين » .

وقال علىُّ بنُ أبى طالبٍ رضى الله عنه : قال رسول الله ﷺ : « الخَير فى السَّيف ، والخيرُ مع السيف ، والخير بالسيف » . وقال « لا يُورِدَنّ مُجْرِبٌ على مُصِحّ (٧) » . وقال : « لا تزالُ أمّتى صالحاً أمْرُها ما لم تر الأمانةَ مَغنمًا والصّدقةَ مَغْرَماً » . وقال : « رأسُ العقل بعد الإيمان بالله مُداراةُ الناس (٨) » ، و « لن يهلِكَ امرؤٌ بعد مَشورة » . وقال : «المستشار مُؤتَمن » . وقال : «المستشار

---

(١) عين ساهرة ، أى عين ماء تجرى ليلا ونهارا وصاحبها نائم .

(٢) أرض خوارة : لينة سهلة . عين خرارة : جارية لمائها خرير .

(٣) الدفاء ، بالكسر : ما يدفأ به . فيما عدا ل : « أدفاؤها » جمع دفء .

(٤) يعنى حلق الشعر عند المصيبة . والصلق : رفع الصوت فى المصائب . وسلق ، بالسين لغة فيه . والشق : شق الثياب لذلك .

(٥) فسره فى اللسان (منع) بقوله : « أى منع ما عليه إعطاؤه ، وطلب ما ليس له » .

(٦) المائة صفة للإبل . ويروى : « كالإبل مائة » . والراحلة من الإبل : البعير النجيب القوى على الأسفار ، التام الخلق ، الحسن المنظر .

(٧) المجرِب : صاحب الإبل الجَرِبَى . والمصح : من إبله صحيحة .

(٨) مداراة الناس : ملاينتهم وحسن صحبتهم واحتمالهم لئلا ينفروا .

بالخيار ، إن شاء قال وإن شاء أمْسَكَ » ، وقال : « رحم الله عبداً قال خيراً فَغَنِمَ أو سكت فسلِم » . وقال : « افصلوا بين حديثكم بالاستغفار» . وقال : « استعينوا على طُول المشْى بالسَّعى » .

وقال للخاتنة (١) : « يا أمّ عَطِيّة ، أَشِمِّيه ولا تَنْهَكيه ؛ فإنه أسْرَى للوجه ، وأحظَى عند الزَّوج (٢) » . وقال : « لا تَجْلِسوا على ظَهر الطَّريق ، فإنْ أَبيْتم فغُضُّو الأبصارَ ورُدُّوا السلام ، واهْدُوا الضَّالَّ ، وأعينوا الضعيف » . وقال : « إنّ الله يرضَى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً : يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تعتصموا بحبْله جميعاً ولا تفرَّقوا ، وأن تُناصِحُوا من وَلّاه الله أمْرَكم . ويكره لكم قِيلَ وقالَ ، وكثرةَ السُّؤال ، وإضاعة المال » . وقال : « يقول ابنُ آدمَ : مالى مالى . وإنّما لك مِن مالك ما أكلت فأفنَيت ، أو لبِست فأبليت ، أو وَهَبْتَ فأمضيت » . وقال : « لو أنّ لابن آدم واديَيْنِ مِن ذهَبٍ لسأَل إليهما ثالثاً » . و « لا يملأ جوفَ ابنِ آدمَ إلا التُّراب ، ويتوبُ الله على من تاب » . وقال : « إنّ الدُّنيا حُلوة خَضِرة ، وإنّ الله مستعمِلُكم فيها،فناظرٌ كيف تعملون » . وقال : « إنّ أحبّكم إلىَّ وأقربَكم منى مجلساً (٣) يومَ القيامة ، أحاسِنُكم أخلاقاً ، الموطَّئُون أكنافاً ، الذينَ يأْلَفون ويُؤلَفون . وإنّ أبغضكم إلىَّ وأبعدَكُمْ منِّى مجلساً
يومَ القيامة ، الثَّرثارونَ المتشدِّقون المتفَيْهِقون » . وقال : « إيَّاىَ والتَّشادُق » ، وقال : ٢٤٩
« إيَّاكُم والفُرَجَ فى الصَّلاة » ، وقال : « لا يُؤَمَّنَّ ذو سلطان فى سلطانه ولا يُجلس على فراش تكرِمَتِه إلا بإذنه (٤) » . وقال : « إياكم والمشَارّة ، فإنها

---

(١) فيما عدا ل : « للختانة » . والحديث فى الحيوان (٧ : ٢٨) .

(٢) الإشمام . أن تأخذ منه قليلا . أسرى : أجلى .

(٣) يروى : « مجالس » فى الموضعين .

(٤) لا يؤمن ، أى لا يجعلن مأموما ؛ من قولهم أم الإمام الناس فى الصلاة : كان إمامهم . فيما عدا ل : « يأمن » ، تحريف . وعنى بفراش التكرمة ما يعد من الفرش والسرر لإكرام للرجُل .

تميت الغُرَّة ، وتحيي العُرَّة [١] » . وقال : « لا ينبغي لِصدِّيق أن يكون لعَّانا » . وكان يقول : « أعوذُ بالله من الأيهمَيْن ، وبَوَار الأيِّم [٢] » . وكان يقول : « أعوذ بالله من دعاءٍ لا يُسْمَع ، ومن قلب لا يَخشع ، ومِن علم لا ينفع [٣] » .

وقال له رجل : يا رسولَ الله ، أوصِنِي بشيء ينفعنى الله به . قال : « أكثِرْ ذِكْرَ المَوْت يُسْلِكَ عن الدُّنيا ، وعليكَ بالشكر ؛ فإنه يزيد فى النعمة [٤] ، وأكْثر الدُّعاء ؛ فإنَّك لا تدرِي متى يُستَجاب لك ، وإيَّاك والبَغْى ؛ فإنّ الله قد قَضَى أنّه مَن بُغِىَ عليه لينصُرنَّه الله [٥] » ، وقال : ﴿ يَأَيُّها النَّاسُ إنما بَغْيُكم على أنفسكم ﴾ . وإيّاك والمَكر ؛ فإنّ الله قد قَضَى ألَّا يَحيق المكرُ السَّيِّئُ إلا بأهْله » .

وقيل : يا رسول الله ، أىُّ الأعمالِ أفضل ؟ فقال : « اجتناب المحارم ، وألا يَزالَ فُوكَ رَطْباً مِن ذِكر الله » .

وقيل له : أىُّ الأصحاب أفضل ؟ قال : الذى إذا ذُكِرْتَ أعانَك ، وإذا نُسيِت ذكرك » .

وقيل : أىُّ الناس شرٌّ ؟ قال : « العلماءُ إذا فسَدوا » .

وقال : « دَبَّ إليكم [٦] داءُ الأمم مِن قَبْلِكم : الحسد والبَغْضاء . والبَغْضاء هى الحالقة ، حالقة الدِّين لا أقول حالقة الشَّعر [٧] . والذى نَفْسُ مُحمَّدٍ بيده لا تُؤمنون حتّى تَحابُّوا . ألا أُنَبِّئكم بأمرٍ إذا فَعَلتُموهُ تحابَبْتم ؟ » ، فقالوا : بلى يارسول الله .

---

(١) المشارَّة : المعاداة والمخاصمة ، مفاعلة من الشر . والعرة : القذر ، استعيرت الغرة والعرة للمحاسن والمثالب .

(٢) الأيهمان : الأعميان ، وهما السيل والحريق ، أو البعير المغتلم الهائج والسيل ، لأنه لا يهتدى فيهما كيف العمل . والأيم : التى لا زوج لها ، بكرا كانت أو ثيبا ، أو هى التى مات عنها الزوج . ل : « من الأعمين » . وأشير فى حواشيها إلى هذه الرواية .

(٣) فيما عدا ل : « وقلب لا يخشع وعلم لا ينفع » .

(٤) فيما عدا ل : « فإن الشكر » .

(٥) موضع الكلام من « وإياك » إلى هنا ، فيما عدا ل ، بعد كلمة « أنفسكم » التالية ، وبذا يضطرب الكلام .

(٦) هـ « دب فيكم » .

(٧) ما عدا ل : « لا حالقة الشعر » .

قال [١] : « أَفشُوا السّلام [٢] ، وصِلَوا الأرحام » .

وقال : « تَهادَوْا تَحابُّوا » .

وعن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ : « أوصانِى ربِّى بتسع : أوْصانى بالإخلاص فى السِّر والعَلانية ، وبالعَدْل فى الرِّضا والغضَب ، وبالقَصد فى الغِنى والفقر ، وأن أعفُوَ عمّن ظلمنى ، وأُعطِىَ مَن حرمنى ، وأُصِلَ مَن قطَعَنى ، وأن يكون صَمْتى فِكْراً ، ونطقى ذِكْراً ، ونَظَرِى عِبَرا » .

وثلاثُ كلماتٍ رُوِيت مُرسلةً ، وقد رُوِيت لأقوامٍ شتّى ، وقد يجوز أن
٢٥٠ يكونوا حَكَوها ولم يُسْنِدُوها [٣] . منها قوله : « لوْ تكاشَفْتم لمَا تدافَنْتم [٤] » . ومنها قوله : « النّاس بأزمانهم ، أشبَهُ منهم بآبائهم » . ومنها قوله : « ما هلَكَ امرؤٌ عَرَفَ قَدْره » .

وقد ذكر إسماعيل بن عَيّاش [٥] ، عن عبد الله بن دينار [٦] قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنّ الله كَرِه لكم العَبَث فى الصلاة ، والرّفَث فى

---

(١) الكلام بعد « تحابتم » إلى هنا من ل فقط .

(٢) فيما عدا ل : « السلام بينكم » .

(٣) فيما عدا ل : « أن يكون إنما حكوها ولم يبتدوها » .

(٤) رواه فى اللسان (دفن) ، وفسر التدافن بالتكاتم . وقال : « أى لو تكشف عيب بعضكم لبعض » . ورواه فى (كشف) وقال : « ابن الأثير : أى لو علم بعضكم سريرة بعض لاستثقل تشييع جنازته ودفنه » . وانظر ما سيأتى فى (٢ : ١٣٢ — ١٣٤) .

(٥) ما عدا ل : « وقال إسماعيل بن عياش » وهو أبو عتبة إسماعيل بن عياش بن سلم العنسى الحمصى ، حافظ ثقة . قيل كان أهل حمص يتنقصون على بن أبى طالب ، حتى نشأ فيهم إسماعيل بن عياش فحدثهم بفضائله فكفّوا . وكان قد وفد على المنصور ، فولاه خزانة الثياب . تذكرة الحفاظ (١ : ٢٣٣) وتهذيب التهذيب ، وتاريخ بغداد ٣٢٧٦ .

(٦) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن دينار العدوى المدنى ، كان من صالحى التابعين كثير الحديث . توفى سنة ١٢٧ . تهذيب التهذيب وتذكرة الحفاظ (١ : ١١٨) .

الصِّيام ، والضَّحِكَ عند المقابر (١) » . وقال : « إذا أَذَّنْتَ فترسَّلْ ، وإذا أَقَمْتَ فاحْذِمْ (٢) » .

وحدَّثنا إسماعيل بن عَيّاش الحِمصىّ ، عن الحسن بن دينار (٣) عن الخصيب بن جحدر (٤) ، عن رجل ، عن مُعاذ بن جَبَل (٥) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليس مِن أخلاق المؤمن المَلَقُ إلا فى طَلَب العلم » .

ومن حديث أنس بن مالك أنّ رسول الله ﷺ قال : « قَيِّدوا العلمَ بالكتاب » . وقال : يقول الله : لولا رجالٌ خُشّع ، وصبيانٌ رُضَّع ، وبهائمُ رُتَّع ، لصَببتُ عليكم العذابَ صبّا (٦) » .

ومن حديث عبد الله بن المبارك (٧) يرفعه قال : « إذا سادَ القَبيلَ فاسِقُهُمْ ، وكان زعيمَ القومِ أرذَلُهم ، وأُكْرِمَ الرّجلُ اتّقاءَ شرِّه ، فلينتظروا البلاء » .

---

(١) انظر ما سيأتى فى (٣ : ١٦٨) .

(٢) حذم فى القراءة وغيرها : أسرع . وهذا ما فى هـ . وفى ل . « فأخذم » . وسائر النسخ : « فاجزم » ، تحريف .

(٣) هو أبو سعيد الحسن بن دينار البصرى . نسب إلى زوج أمه دينار ، واسم أبيه واصل . روى عن الحسن وابن سيرين وعبد الله بن دينار ، وروى عنه الثورى وأبو يوسف القاضى ، وكان يرى رأى القدرية . لسان الميزان (٢ : ٢٠٣) وتهذيب التهذيب .

(٤) الخصيب بن جحدر ، ترجم له فى لسان الميزان (٢ : ٣٩٨) ، وذكر أنه يروى عن عمرو ابن دينار وأبى صالح السمان . توفى سنة ١٤٦ .

(٥) فيما عدا ل : « وهو من حديث معاذ بن جبل » . ومعاذ بن جبل صحابى جليل ، وهو أحد من جمع القرآن على عهد الرسول ، شهد بدرا وهو ابن إحدى وعشرين ، وأمّره الرسول على اليمن وكتب إلى أهل اليمن « إنى بعثت لكم خير أهلى » . وقدم من اليمن فى خلافة أبى بكر . وتوفى بالطاعون فى الشام سنة ١٧ .

(٦) انظر ما سيأتى فى (٣ : ١٥٣) .

(٧) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك الحنظلى التميمى المروزى مولاهم ، كان أبوه تركيا وأمه خوارزميّة ، كان من كبار الحفاظ ، بلغت كتبه التى حدث بها نحو عشرين ألفاً . جمع العلم والفقه والأدب ، والنحو واللغة ، والشعر والفصاحة ، والزهد والورع والانصات ، وقيام الليل والعبادة ، والحج ، والغزو والفروسيّة والشجاعة والشدة فى بدنه ، وترك الكلام فيما لا يعنيه ، وقلة الخلاف على أصحابه . ولد سنة ١١٨ وتوفى سنة ١٨١ . تهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة . (٤ : ٢٠٩) وتذكرة الحفاظ (١ : ٣٥٣) وتاريخ بغداد ٥٣٠٦ .

ومن أحاديث ابن أبى ذئب (١) عن المَقْبُرى (٢) ، عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « ستَحرِصُون على الإمارة ، فنعمتِ المُرضِعُ ، وبئست الفاطمة (٣) » .

ومن حديث عبد الملك بن عمير (٤) ، عن عبد الرحمن بن أبى بكْرة (٥) ، عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يحكم الحاكم بين اثنين وهو غضبان » .

ومن حديث عبد الله بن المبارك ، قال : كان رسول الله ﷺ يقول : « إنّ قوماً ركبوا سفينةً فى البحر فاقتسموا ، فصار لكلِّ رجلٍ موضعٌ ، فنَقَر رجلٌ موضعَه بفأس فقالوا : ما تصنع ؟ قال : هو مكانى أصنَعُ به ما شئت . فإنْ أَخذوا على يديه نجا ونَجْوا ، وإنْ تركوه هلك وهلكوا » .

---

(١) ابن أبى ذئب ، هو محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحارث بن أبى ذئب – واسمه هشام – ابن شعبة بن عبد الله بن قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى القرشى المدنى . كان من أوثق المحدثين وأورعهم وأقومهم بالحق . وهو الذى قال للمنصور : « الظلم فاش ببابك » . وقيل إن المهدى حج فدخل المسجد فلم يبق إلا من قام ، إلا ابن ذئب ، فقيل له : قُمْ فهذا أمير المؤمنين ! فقال : إنما يقوم الناس لرب العالمين ! وكان يرى القدر ومالك يهجره من أجله . ولد عام الجحاف سنة ٨٠ وتوفى سنة ١٥٨ . تهذيب التهذيب ، وتذكرة الحفاظ (١ : ١٧٩) وتاريخ بغداد ٧٨٧ وصفة الصفوة (٢ : ٩٨) والمعارف ٢١٢ .

(٢) فيما عدا ل : « عن المغيرة » تحريف . والمقبرى ، هو أبو سعد سعيد بن أبى سعيد – واسمه كيسان – المقبرى ، نسبة إلى مقبرة بالمدينة كان مجاوراً لها . روى عن أبى هريرة وعائشة ومعاوية وأنس ، وعنه : مالك ، وابن أبى ذئب ، والليث بن سعد ، وقال ابن معين : أثبت الناس فى سعيد ابن أبى ذئب . توفى سنة ١٢٣ . السمعانى ٥٣٩ ، وتذكرة الحفاظ (١ : ١١) وتاريخ دمشق لابن عساكر ، وتهذيب التهذيب .

(٣) فيما عدا ل – وهو يطابق ما فى اللسان (رضع) – « فنعمت المرضعة » . فمن أدخل الهاء جعله نعتاً : أى المرضعة ، ومن حذفها أراد الاسم .

(٤) ترجمة عبد الملك بن عمير فى (١ : ٥٧) .

(٥) هو أبو بحر عبد الرحمن بن أبى بكرة نفيع بن الحارث الثقفى البصرى ، وهو أول مولود ولد فى الإسلام بالبصرة ، فأطعم أبوه أهل البصرة جزوراً فكفتهم . تابعى ثقة ، ولاه علىٌّ بيت المال ، ثم ولاه ذلك زياد ولد سنة ١٤ وتوفى سنة ٩٦ تهذيب التهذيب . وقد سبقت ترجمة أبيه نفيع فى (١ : ١٧٣ ، ٣٢٧) .

وقال : « عَلِّق سوطَك حيثُ يراه أهْلُك » .

ودخل السَّائب بن صَيفى [١] ، على النبى ﷺ فقال : يا رسول الله ، أتعرفنى ؟ فقال : « كيف لا أعرف شريكى الذى كان لا يُشارِينى ٢٥١ ولا يُمارِينى [٢] » .

وقال رسول الله ﷺ : « يُؤتَى بالوالى الذى يَجْلِدُ فوقَ ما أمرَهُ الله تعالى [٣] فيقول له الربُّ تعالى : أىْ عبدِى ، لِمَ جَلدتَ فوقَ ما أمرتُكَ به ؟ فيقول : ربِّ غضبتُ لغضبك . فيقول : أكان ينبغى لغضَبك أن يكون أشدَّ من غضَبى ؟! ثم يؤتَى بالمقصِّر فيقول : عبدى ، لم قَصَّرت عماَّ أمرتُك به ؟ فيقول : ربِّ ، رحِمْتُه . فيقول : أكان ينبغى لرحمتك أن تكون أوسَعَ من رحمتى ؟! قال : فيأمر فيهما بشئ قد ذَكره لا أعرفه [٤] ، إلاّ أنه قال : صيِّرهما إلى النار » .

وكيع [٥] قال : حدثنا عبد العزيز بن عمر [٦] ، عن قَزَعَة [٧] قال : قال لى ابنُ عمر [٨] : أودِّعك كما ودّعنى رسول الله ﷺ : « أستودِعُ

---

(١) السائب بن صيفى بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، من جلة الصحابة ، كان شريك النبى ﷺ فى الجاهلية ، وكان فى قتال أهل الردة ، وأدرك زمان معاوية . الإصابة ٣٠٥٩ .

(٢) لا يشارى ، من الشر ، على إبدال إحدى الراءين ياء . لا يمارى : لا يخاصم فى شئ ليست له منفعة .

(٣) فيما عدا ل : « ما أمر الله به » .

(٤) هـ عن نسخة : « لا أحفظه » .

(٥) هو أبو سفيان وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسى الكوفى الحافظ العابد . أراد الرشيد أن يوليه قضاء الكوفة فامتنع . ولد سنة ١٢٨ وتوفى سنة ١٩٦ . تذكرة الحفاظ (١ : ٢٨٢) وتهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ١٠٢) .

(٦) هو عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، المترجم فى (١ : ٢٧٧) .

(٧) هو أبو الغادية قزعة بن يحيى البصرى ، مولى زياد بن أبى سفيان ، روى عن ابن عمر وابن عمرو بن العاص وأبى هريرة ، وعنه قتادة ومجاهد وعمرو بن دينار وغيرهم . تابعى ثقة . تهذيب التهذيب .

(٨) هو الصحابى الجليل عبد الله بن عمر بن الخطاب . كان كثير الحديث شديد الورع . ولد سنة ثلاث من البعثة ، وتوفى سنة ٧٣ من الهجرة . ويقال إن الحجاج دس له السم . الإصابة ٤٨٢٥ وصفة الصفوة (١ : ٢٢٨) ووفيات الأعيان والمعارف ٨٠ .

اللهَ دينَك وأمانَتَك وخواتِمَ عملك [١] » .

وقال : « كلُّ أرضٍ بسَمَائِها » .

وروى سعيد بن عُفَير [٢] عن ابن لَهيعَة [٣] ، عن أشياخه ، أنَّ النبى ﷺ كتب إلى وائل بن حُجْر الحضرمىّ ولقومه : « من محمَّد رسول الله ﷺ إلى الأقيال العباهلة من أهل حضرَموت ، بإقامِ الصلاة وإيتاء الزكاة : على التِّيعة شاةٌ ، والتِّيمةُ لصاحبها [٤] ، وفى السُّيوب الخُمْس [٥] . لا خِلاط ، ولا وِراط [٦] ، ولا شِنَاق ولا شِغَار [٧] . فمَنْ أجْبَى فقد أربى [٨] .وكلُّ مُسْكرٍ حرام » .

ومن حديث راشد بن سعيد أن رسول الله ﷺ قال : « لا تغالُوا بالنّساء [٩] فإنما هُنّ سُقْيا الله » . وقال : « خير نساءٍ ركِبْن الإبلَ صوالح

---

(١) فيما عدا ل : « خواتيم » ، وكلاهما صحيح .

(٢) هو سعيد بن كثير بن عفير الأنصارى المصرى ، قال فى تهذيب التهذيب : وقد ينسب إلى جده » ، روى عن الليث ومالك وابن لهيعة ، وعنه : البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى . وكان من أعلم الناس بالأنساب والأخبار والمناقب والمثالب . وقال الحاكم : يقال إن مصر لم تخرج أجمع للعلوم منه ، ولد سنة ١٤٧ وتوفى سنة ٢٢٦ . انظر التهذيب وتذكرة الحفاظ (٢ : ١٥) .

(٣) هو عبد الله بن لهيعة المترجم فى (١ : ٣٦٢) .

(٤) التيعة ، بالكسر : الأربعون من الغنم . والتيمة ، بالكسر : الشاة الزائدة على الأربعين .

(٥) السيوب : جمع سيب ، يراد به المال المدفون فى الجاهلية .

(٦) الخلاط : أن يخلط رجل إبله بإبل غيره أو بقره أو غنمه ، ليمنع حق الله منها . والوراط : الخديعة والغش .

(٧) الشناق : ما بين الفريضتين من الإبل والغنم ، فما زاد على الفريضة لا يؤخذ منه شئ حتى تتم الفريضة الثانية . والشغار : أن يزوج الرجل الرجل حريمته على أن يزوجه الآخر حريمته ، ويكون مهر كل واحدة منهما بضع الأخرى ، وقد كان ذلك فى الجاهلية .

(٨) الإجباء : بيع الزرع قبل إدراكه . والإرباء من الربا .

(٩) فيما عدا ل : « فى النساء » وفى اللسان . « لا تغالوا صدقات النساء ، وفى رواية : لا تغالوا صدق النساء » .

نساءِ قريش ، أحناَهُ على ولدٍ فى صغره . وأرعَاه على بعلٍ فى ذات يده [١] » .

مُجالِد عن الشّعبى قال : قال رسول الله ﷺ : « اللهمَّ أذهِبْ مُلكَ غسَّان ، وضَعْ مهور كِنْدةَ [٢] » .

والذى يدلُّك على أنَّ الله عزَّ وجلَّ قد خصَّه بالإيجاز وقلة عدد اللفظ ، مع كثرة المعانى ، قولُه ﷺ : « نُصِرْتُ بالصَّباَ ، وأُعطيتُ جوامعَ الكلم [٣] » .

ومما روَوا عنه ﷺ من استعمالِه الأخلاقَ الكريمة [٤] ، والأفعال الشريفة ، وكثرةَ الأمْرِ بها ، والنَّهى عما خالف عنها ، قولُه : « مَن لم يقبَلْ من متنصِّل عُذراً ، ٢٥٢ صادقاً كان أو كاذباً ، لم يَردْ علىَّ الحوض [٥] » . وقال فى آخر وصِيَّته : « اتقوا الله فى الضعيفين » .

وكلَّمته جارية مِن السَّبْى [٦] فقال لها : مَن أنتِ ؟ فقالت : أنا بنت الرجل الجواد حاتم [٧] . فقال ﷺ : « ارحموا عزيزاً ذلّ، ارحموا عالِماً ضاع بين جُهَّال » .

وقال : « سرعة المشى تَذْهَب ببهاء المؤمن » .

وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الأحاديث ستكثُر عنِّى بعدى كما كثُرَت عن الأنبياء [٨] مِن قَبْلى ، فما جاءكم عنِّى فاعرِضُوه على كتاب الله ، فما وافَقَ كِتاب الله ، فهو عنِّى ، قلْتُه أو لم أقُلْه » .

وسُئلت عائشةُ رضى الله عنها عن خُلُق رسول الله ﷺ فقالت : « خُلُقُ القرآن » ، وتلَتْ قولَ الله تبارك وتعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ .

---

(١) قال ابن الأثير : إنما وحّد الضمير ذهابا إلى المعنى ، تقديره أحنى من وجد أو خلق .

(٢) سيأتى فى (٣ : ٢٨٩) .

(٣) انظر (٤ : ٢٩) .

(٤) ل : « الجميلة » .

(٥) المتنصل : المعتذر المتبرئ من ذنبه .

(٦) فيما عدا ل : « فى السَّبى » .

(٧) ل : « بنت حاتم الجواد » .

(٨) ل : « ستكثر بعدى كما كثرت على الأنبياء » .

وقال محمد بن علىّ (١) أدَّبَ الله محمداً ﷺ بأحسن الآداب ، فقال : ﴿ خُذِ العَفْوَ وَأْمُرْ بالعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِينَ ﴾ ، فلما وَعَى قال : ﴿ ماَ آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهاكُمْ عَنْه فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللّٰهَ ﴾ .

حدثنا علىُّ بن مجاهد ، عَن هِشام بن عُروة (٢) ، قال : سَمِعَ عمر بن الخطاب رحمه الله رجلاً ينشد :

متى تأتِهِ تعشُو إلى ضوءِ نارِهِ   تجدْ خيرَ نارٍ عندها خَيرُ مُوقِدِ (٣)

فقال عمر : ذاكَ رسول الله ﷺ .

وقد كان الناس يستحسنون قولَ الأعشى :

تُشَبُّ لِمَقْرورَينِ يصطليانِهـا   وباتَ على النار النّدى والمُحَلّقُ (٤)

فلما قال الحُطيئة البيتَ الذى كتبناهُ قبلَ هذا سقط بيتُ الأعشى .

وقال رسول الله ﷺ : « لا يزال المسروقُ منه فى تُهَمَةِ مَن هو برىءٌ ، حتى يكون أعظَمَ جُرْماً من السَّارق » .

وقال أبو الحسن : أَجرَى رسولُ الله ﷺ الخيلَ وسَبّق بينها (٥) ، فجاء فرسٌ له أدْهَمُ سابقاً ، فجثا رسول الله ﷺ على ركبتيه وقال : « ما هو إلاّ بَحْرٌ » . ٢٥٣

فقال (٦) عمر بن الخطاب : كذَب الحُطيئةُ حيث يقول :

وإنَّ جيادَ الخيل لا تستفزُّنا   ولا جاعلاتُ العاج فوقَ المعاصِمِ

---

(١) هو محمد بن على بن عبد الله بن عباس ، والد السفاح والمنصور ، وأول من نطق بالدعوة بالعباسية . توفى سنة ١٢٥ . تهذيب التهذيب .

(٢) ترجم على فى (١ : ٣٠١) وهشام فى (١ : ٢٥٢) .

(٣) البيت للحطيئة فى ديوانه ٢٥ . والخبر برواية أخرى فى الأغانى (٢ : ٥٩) .

(٤) المحلق هذا : رجل من بنى بكر بن كلاب . وضبط فى اللسان بكسر اللام .

(٥) فيما عدا ل : « وسابق بينها » . وأشير فى هـ إلى رواية « سبق » .

(٦) فيما عدا ل : « وقال » .

وقد زعم ناسٌ من العلماء أنه لم يستفزَّه سَبْق فرسِه ، ولكنّه أراد إظهارَ حُبِّ الخيل وتعظيمِ شأنها .

وكان رسولُ الله ﷺ يأكُل على الأرض ، ويجلس على الأرض [1] ويلبَس العَباء ، ويُجالِس المساكين ، ويمشى فى الأسواق ، ويتوسَّدُ يَدَه [2] ، ويُقِصُّ مِن نفسه ، ويَلطَعُ أصابعَه ، ولا يأكل متّكئاً ، ولم يُرَ قَطُّ ضاحكاً مِلْءَ فيه . وكان يقول : « إنّما أنا عبدٌ آكُل كما يأكل العبد ، وأشرب كما يشرب العبد ، ولو دُعيت إلى ذِراعٍ لأجبت ، ولو أُهْدِىَ إلَىَّ كُرَاعٌ لقبلت » . ولم يأكُلْ قطُّ وحدَه ، ولا ضَرب عبدَه ، ولا ضرب أحداً بيده إلاّ فى سبيل ربِّه . ولو لم يكُن مِن كرم عَفوه وثَخانة حِلْمه [3] ، إلّا ما كان منه يومَ فتحِ مكة ، لقد كان ذلك مِن أكمل الكمال ، وأوضح البرهان [4] . وذلك أنَّه حين دخل مكة عَنْوةً وقد قَتلوا أعمامَه وبنى أعمامِه ، وأولياءَه وأنصاره [5] ، بعد أن حَصَروه فى الشِّعَاب ، وعذَّبوا أصحابه بأنواع العذاب ، وجرحوه فى بَدنِه [6] ، وآذَوْه فى نفْسه ، وسفِهوا عليه ، وأجمعوا على كيده . فلمّا دخلها بغير حمدهم ، وظَهَر عليها على صُغْرٍ منهم [7] ، قام خطيباً فيهم ، فحمِد الله وأثنى عليه ثم قال : « أَقُول كما قال أخى يوسفُ : لَا تَثْرِيب عَلَيْكُمُ اليَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكمْ وهُوَ أرْحَم الرَّاحِمينَ » .

وإنما نقول فى كل بابٍ بالجملة من ذلك المذهب ، وإذا عرفتم أولَ كلِّ بابٍ كنتم خُلقاء أن تعرِفوا الأواخرَ بالأوائل ، والمصادر بالموارد . ٢٥٤

---

(١) فيما عدا ل ، هـ : « يجلس على الأرض ويأكل على الأرض » .

(٢) فيما عدا ل ، هـ : « يده الشريفة » .

(٣) قالوا : رجل ثخين : حليم رزين ثقيل فى مجلسه . فيما عدا ل : « رجاحة » .

(٤) وأوضح البرهان ، من ل فقط .

(٥) فيما عدا ل : « وقادة أنصاره » .

(٦) ل : « يديه » والصواب ما أثبت من سائر النسخ .

(٧) أى غلب على مكة وهم فى ذلة . فيما عدا ل : « وظهر عليهم » .

خطبة النبى ﷺ فى الوداع (١)

قال ﷺ (٢) : الحمدُ الله ، نَحْمَده ونَستعِينُه ، ونستغفرُه ونتوب إليه ، ونعوذُ بالله مِن شُرور أنفسِنا ، ومِن سيِّئات أعمالنا . مَن يَهدِ الله فلا مُضِـلّ له ، ومن يُضْلِلْ فلا هادِىَ له . وأشهَدُ أن لا إله إلّا اللهُ وحْدَه لا شريك له ، وأشهد أنَّ محمّداً عبدُه ورسولُه . أُوصِيكم عِبَادَ الله بتَقوى الله ، وأحُثّكُمْ على طاعته ، وأستفتِحُ بالذى هو خير . أمّا بعد ، أيُّها الناس اسمَعُوا منِّى أبيِّنْ لكم ، فإنِّى لا أدرِى ، لعَلِّى لا ألقاكم بعدَ عامى هذا فى موقِفِى هذا . أيُّها الناس : إنَّ دماءَكم وأموالَكم حرام عليكم (٣) إلى أنْ تلقَوْا ربَّكم ، كحُرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا .

ألا هل بَلَّغت ؟ اللّهم اشهَدْ (٤) .

فمَنْ كانت عِنده أمانة فليؤدِّها إلى الذى ائتَمنَه عليها . وإنَّ رِبا الجاهليّة موضوع (٥) ، وإنّ أوّلَ رباً أبْدَأُ به ربَا عمِّى العباسِ بنِ عبد المطَّلب . وإنَّ دماءَ الجاهلية موضوعة ، وإنّ أوّلَ دمٍ نبدأ به دمُ عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطَّلب . وإنَّ مآثِرَ الجاهلية موضوعة ، غيرَ السِّدانة (٦)والسِّقاية.

---

(١) فيما عدا ل : « ومن خطبه صلى الله تعالى وسلم خطبة الوداع وهى » .

(٢) هذه العبارة من ل فقط . والخطبة فى الطبرى (٣ : ١٦٨) وابن الأثير (٢ : ١٤٦) ، وابن أبى الحديد (١ : ٣١) ، والعقد ، وإعجاز القرآن ، وسيرة ابن هشام ٩٦٨ وسائر كتب السير .

(٣) ل : « عليكم حرام » .

(٤) فيما عدا ل ، هـ:« فاشهد » فى هذا الموضع وسائر المواضع .

(٥) يقال وضعت عنه الدين والجزية ونحوهما ، إذا أسقطته .

(٦) السدانة : خدمة الكعبة . وهى بفتح السين وكسرها ، كما فى اللسان . وضبطت فى القاموس بالفتح ، وفى المصباح بالكسر . وكانت السدانة واللواء لبنى عبد الدار فى الجاهلية ، فأقرها الرسول لهم فى الإسلام ، والسقاية : ما كانت قريش تسقيه الحجاج من الزبيب المنبوذ فى الماء .

والعَمْد قوَد (١) ، وشِبْه العَمد : ما قُتل بالعصا والحجَر ، وفيه مائة بعير ، فمن زاد فهو من أهل الجاهليّة .

أيُّها الناس ، إنّ الشيطان قد يَئِس أن يُعبَدَ فى أرضكم هذه ، ولكنّه قد رضِىَ أن يُطاعَ فيما سوى ذلك مما تَحْقِرون من أعمالكم .

أيُّها الناس : إنّ النّسىء (٢) زيادةٌ فى الكُفْر يُضَلُّ به الذّين كَفَرُوا يُحِلّونه عاَماً ويُحَرِّمُونَهُ عَاماً لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرّمَ اللهُ (٣) فَيُحِلّوا مَا حَرّمَ اللهُ . إنّ الزّمانَ قد استدار كهيئته يَوْمَ خَلق اللهُ السّمواتِ والأرض . وإنّ عِدَّةَ الشّهُورِ عِنْدَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِى كِتابِ اللهِ يَوْمَ خَلَقَ السّمواتِ وَالأَرْض ، مِنْها أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ : ثلاثة متواليات وواحدٌ فرد : ذو القَعدة وذو الحِجّة والمحرم ، ورَجب ٢٥٥
الذى بين جُمادى وشعبان .

ألا هَلْ بلّغْت ؟ اللّهم اشهد !

أيُّها النّاس إنّ لنسائكم عليكمْ حَقّا ، ولكمْ عليهنّ حقّ . لكم عليهنّ ألّا يُوطِئن فُرُشَكم غيرَكم ، ولا يُدْخِلْن أحداً تكرهونه بيوتَكم إلّا بإذنكم ، ولا يأتين بفاحشةٍ مُبيِّنةٍ . فإنْ فعلْنَ فإنّ الله قد أذِن لكم أن تعضُلوهن وتهجروهنّ فى المضاجع ، وتضرِبُوهنّ ضرباً غير مبرّح ، فإن انتهين وأطعنَكم فعليكم رِزقُهنّ وكُسوتُهُنّ بالمعروف . وإنّما النساء عندكم عَوَانٍ لا يملكن لأنفسهنّ شيئاً (٤) ، أخذتُموهنّ بأمانة الله ، واستحللتُم فروجَهُنّ بكلمة الله . فاتّقوا الله فى النّساء واستوصوا بهنّ خيراً .

ألا هل بلّغت ؟ اللهم اشهد !

---

(١) أى فى القتل المتعمد القود . وهو بالتحريك : قتل القاتل بالقتيل .

(٢) كذا ورد فى جميع النسخ . ونص الآية : (إنما النسىء) .

(٣) سائر الآية من ل فقط . وفى هـ : « يَضِلُّ به » ، وهى قراءة يعقوب والحسن .

(٤) العوانى : جمع عانية ، وهى الأسيرة ، أى هن عندكم بمنزلة الأسرى .

أيُّها الناس ، إنّما المؤمِنُونَ إخْوَةٌ ، ولا يحلُّ لامرئ مُسْلِمٍ (١) مالُ أخيه إلاّ عن طِيب نَفسٍ منه .

ألَا هل بلَّغتُ ؟ اللهم اشهد !

فلا ترجِعُنَّ بعدى كُفّارا يضربُ بعضُكم رقابَ بعض ، فإنى قد تركتُ فيكم ما إنْ أخذتُم به لم تَضِلُّوا بعدَه : كتابَ الله .

ألَا هل بلَّغت ؟ اللهم اشهد !

أيُّها الناس ، إنَّ ربَّكم واحد ؛ وإنَّ أباكم واحد ؛ كلّكم لآدم وآدمُ مِن ترابٍ . أكرمُكم عِنْدَ الله أتقاكُم ، إنّ الله عليم خبيرٌ (٢) . وليس لعربىّ على عجَمىٍّ فضلٌ إلا بالتّقوى .

ألَا هل بلّغت ؟ اللهمَّ اشهد !

قالوا : نعم . قال : فليبلِّغ الشّاهدُ الغائب .

أيُّها الناس ، إنّ الله قَسَم لكلِّ وارث نصيبَه من الميراث ، فلا تجوزُ لوارثٍ وصيَّةٌ ، ولا تجوز وصيَّةٌ فى أكثَرَ من الثُّلث . والوَلَدُ للفِراش ، وللعاهر الحَجَرُ . من ادَّعى إلى غير أبيه ، أو تولَّى غير مُواليه فعليه لعنةُ الله والملائكة والنّاس أجمعين ، لا يُقبل مِنْه صَرفٌ ولا عَدْلٌ (٣) . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

* * *

وعن الحسن قال : جاء قيس بن عاصم إلى النبى ﷺ فلما رآه (٤) قال : هذا سيِّد أهلِ الوبر . فقال : يا رسول الله ، خبِّرنى عن المال الذى لا تكون

---

(١) هذه الكلمة من ل فقط . وكلمة « منه » التالية ساقطة من هـ .

(٢) هذه الجملة ليست فى هـ .

(٣) أى لا يُقبَل منهم شئ . وأصل العدل أن يقتل الرجل بالرجل . والصرف : أن ينصرف عن الدم إلى أخذ الدية .

(٤) فيما عدا ل : « نظر إليه » .

عليَّ فيه تَبِعة [١] من ضيف ضافنى ، أو عيالٍ كَثُروا عليَّ . قال : « نِعم المال الأربعون ، والأكثرُ الستّون ، وويلٌ لأصحاب المِئين [٢] إلا مَن أعطَى فى رِسْلِها ٥٦
ونَجْدتها [٣] ، وأطرَقَ فَحْلها [٤] ، وأَفْقَرَ ظَهرَها [٥] ، ونَحَر سمينَها ، وأَطعم القانع والمُعْتَرّ [٦] » . قال : يا رسول الله ، ما أكرمَ هذه الأخلاقَ وأحسنها ، وما يحُلّ بالوادى الذى أكونُ فيه أكثَرُ من إبلى . قال : فكيف تصنع بالطَّرُوقة ؟ قال : تغدو الإبل ويغدو الناس ، فمن شاء أخذ برأسٍ بعيرٍ فذهب به . قال : فكيف تصنع فى الإفقار [٧] ؟ قال:إنى لأُفقِرِ البَكْر الضَّرَع [٨] ، والنَّابَ المسنَّة . قال : فكيف تصنعُ بالمَنيحة [٩] ؟ قال : إنّى لأمنَحُ فى كلِّ سنةٍ مائة . قال : فأىُّ المالِ أحبُّ إليك ، أمالُك أم مالُ مولاك ؟ قال : بل مالى . قال : « فما لَكَ من مالك إلا ما أكلتَ فأفنيت ، أو لَبستَ فأبلَيْتَ ، أو أعطَيْتَ فأمضيت . وما سِوى ذلك للوارث » .

وذكر أبو المقدام هشام بن زياد [١٠] ، عن محمّد بن كعب القُرَظىّ [١١] قال :

---

(١) التبعة : ما يتبع المال من نوائب الحقوق . ل : « تبع » .

(٢) ل : « الثمانين » .

(٣) فى رسلها ، أى بطيب نفس منه . وفى نجدتها : ألا تطيب نفسه بإعطائها ويشتد عليه . وقيل الرسل : الخصب . والنجدة : الشدة .

(٤) أطرق فحله : أعاره غيره ليضرب فى إبله .

(٥) أفقر ظهرها : أعاره للركوب .

(٦) القانع : الذى يسأل . والمعتر : الذى يطيف بك يطلب ما عندك ، سألك أو سكت عن السؤال .

(٧) الإفقار فسر قريبا . ل : « بالإفقار » .

(٨) البكر : الفتى من الإبل بمنزلة الشاب من الناس . والضرع ، بالتحريك : الضعيف .

(٩) المنيحة : أن يجعل الرجل لبن شاته أو ناقته لآخر ، سنة .

(١٠) أبو المقدام هشام بن زياد بن أبى يزيد القرشى المدنى ، ضعيف لا يحتج بحديثه . تهذيب التهذيب .

(١١) هو أبو حمزة محمد بن كعب بن سليم بن أسد القرظى المدنى ، كان أبوه من سبى قريظة ، كان محمد ثقة عالما كثير الحديث ورعا . توفى سنة ١١٧ . تهذيب التهذيب والسمعانى ٢٤٨ وصفة الصفوة (٢ : ٧٥) .

دخلتُ على عمرَ بنِ عبد العزيز فى مرضه الذى مات فيه ، فجعلت أُحِدُّ النَّظرَ إليه ، فقال لى : يا ابنَ كعب ، ما لَكَ تُحِدُّ النّظرَ إلىّ ؟ قلت : لِماَ نَحَلَ مِن جسمك ، وتغيَّر مِن لونك . قال : فكيف لو رأيتنى بعد ثالثةٍ فى قبرى ، وقد سالَتْ حدَقَتاىَ على وَجنتى ، وابَتَدر فمى وأنفِى صديداً ودُودا ؛ كنتَ والله أشدَّ نَكَرَةً لى [1] . أعِدْ عَلَىَّ حديثاً [2] كنتَ حدَّثْتنيه عن عبد الله بن عباس .
قال : سمعتُ ابنَ عبَّاسٍ يقول : كان رسول الله ﷺ يقول : « إن لكلِّ شئٍ شرفاً ، وإنَّ أشرفَ المجالس ما استُقْبِل به القِبلة ، ومَن أحبَّ أن يكون أعزَّ الناس فليتَّق الله . ومن أحبّ أن يكونَ أقوى الناس فليتوكّل على الله . ومن أحبَّ أن يكونَ أغنى النّاسِ فليكُنْ بما فى يَدَىِ الله أوثَقَ منه بما فى يديه [3] » ؛ ثم قال : « ألا أُنَبِّئكم بشِرار الناس ؟ » قالوا : بَلَى يا رسول الله . قال : « مَن نزل وَحْدَه ، ومنع رِفدَه ، وَجَلَد عبده » . ثم قال : « ألا أنبئكم بشرٍّ من ذلك ؟ » . قالوا : بلى يا رسول الله . قال : « مَن لا يُقِيلُ عَثْرةً ، ولا يَقبل مَعذِرة ، ولا يَغْفِر
٢٥٧ ذنْباً » . ثم قال : « أَلا أنبئكم بشَرٍّ من ذلك ؟ » قالوا : بلى يا رسول الله . قال : « مَن يُبْغِضُ النّاسَ ويُبغِضونه . إنَّ عيسى بنَ مريمَ عليه السلامُ قام خطيباً فى بنى إسرائيلَ فقال : يا بنى إسرائيل ، لا تَكَلَّموا بالحكمة عند الجُهّال فتظلِموها ، ولا تَمنعوها أهلَها فتظلموهم ، ولا تظلموا ولا تكافئوا ظالماً فيبطُل فضلُكم . يا بنى إسرائيل ، الأُمور ثلاثة : أمرٌ تبيَّن رُشْدُهُ فاتّبعوه ، وأمرٌ تبيَّنَ غَيّه فاجتنِبوه ، وأمرٌ اختُلِف فيه فإلى الله فردُّوه [4] » .

وقال النبى ﷺ : « كلُّ قومٍ على زِينةٍ من أمرِهم ، ومَفْلَحَةٍ

---

(١) النكرة ، بالتحريك : اسم من الإنكار ، كالنفقة من الإنفاق . هـ : « كنت إلى أشد نكرة » .
(٢) فيما عدا ل ، هـ : « أعده على حديثا » مع سقوط كلمة « لى » قبلها .
(٣) فيما عدا ل : « فى يد الله » و « فى يده » .
(٤) ل : « فردوه إلى الله » .

فى أنفسهم [١] ، يُزْرُونَ على مَن سواهم . ويتبيّن [٢] الحقُّ فى ذلك بالمقايَسة بالعَدل عند أُولِى الألباب من النّاس » .

وقال ﷺ « مَن رَضِىَ رقيقَه فليُمْسكه ، ومن لم يرضَ فليَبِعْه ، فلا تعذِّبوا خَلْق الله » .

وقال فى آخِرِ ما أوصى به : « اتقوا الله فى الضعيفين [٣] » .

قال ابن ثَوْبان [٤] عن أبيه ، عن مكحول [٥] ، عن جُبَير بن نُفَير [٦] ، عن مالك بن يَخامرَ [٧] عن مُعاذ بن جَبَل ، قال : قال رسول الله ﷺ « عُمْران بيت المقدس خرابُ يثرب ، وخرابُ يثربَ خروج الملحمة [٨] ، وخروجُ الملحمة فتح القسطنطينية ، وفتحُ القسطنطينية خروج الدَّجّال [٩] » . ثم ضَرَب

---

(١) مفلحة : مفعلة من الفلاح . قال الخطابى : معناه أنهم راضون بعلمهم يغتبطون به عند أنفسهم .

(٢) ل : « ويبين » .

(٣) الحديث بتمامه : « اتقوا الله فى الضعيفين : المملوك والمرأة » . وذكر السيوطى فى الجامع الصغير (١ : ٢١) أنه حديث ضعيف .

(٤) هو أبو عبد الله عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان العنسى الدمشقى الزاهد ، روى عن أبيه وعن الزهرى وعمرو بن دينار وطائفة ، وعنه : الوليد بن مسلم ، وعلى بن ثابت الجزرى ، وعلى بن الجعد وآخرون . ولد سنة ٧٥ وتوفى سنة ١٦٥ . تاريخ بغداد ٥٣٥٦ وتهذيب التهذيب .

(٥) هو مكحول الشامى الفقيه ، أعجمى ، يقال كان اسم أبيه : سهراب . تابعى ثقة ، كان يرى القدر . توفى سنة ١١٣ . تهذيب التهذيب .

(٦) جبير بن نفير ، بالتصغير فيهما ، بن مالك بن عامر الحضرمى الحمصى ، أدرك الجاهلية وزمان الرسول ، وأسلم فى خلافة أبى بكر ، ومات سنة ٧٠ . الإصابة ١٢٧١ وتهذيب التهذيب .

(٧) مالك بن يخامر السكسكى الألهانى الحمصى ، يقال له صحبة . وذكره ابن حبان فى ثقات التابعين . توفى سنة ٧٢ . الإصابة ٧٦٩٥ وتهذيب التهذيب . ويخامر بفتح التحتانية والمعجمة وكسر الميم ، كما فى تقريب التهذيب . وفى الإصابة أن الياء قد تبدل همزة .

(٨) الملحمة : الوقعة العظيمة فى الفتنة .

(٩) فيما عدا ل ، هـ : « قسطنطينية » بإسقاط اللام .

بيده على فخذ الذى حدَّثه أو مَنكِبه ، ثم قال : « إنَّ هذا لحَقٌّ كما أنّك هاهنا » ، أو « كما أنّك قاعد » ، يعنى مُعاذاً .

صالح المُرّىّ عن الحسن البصرى ، قال : قال رسول الله ﷺ : حَصِّنوا أموالكم بالزّكاة وداوُوا مَرضاكم بالصَّدقة ، واستقبِلوا البلاءَ بالدُّعاء » .

كَثِير بن هشام (١) ، عن عيسى بن إبراهيم (٢) ، عن الضحّاك (٣) ، عن ابن عبّاس قال : قال رسول الله ﷺ : « الجُمعةُ حجُّ المساكين » .

قال عوف (٤) ، عن الحسن ، أن النبى ﷺ قال : « اتّقوا الله فى النِّساء فإنّهنّ عندكم عَوَانٍ (٥) ، وإنَّما أخذتموهُنَّ بأمانة الله ، واستحللتُم فروجَهُنَّ بكلمة الله » . ٢٥٨

الواقِدىّ (٦) ، عن موسى بن محمد بن إبراهيم التيمى (٧) عن أبيه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إنّ الله يحبُّ الجَوَادَ مِن خَلْقِهِ » .

أبو عبد الرحمن الأشجعىّ (٨) ، عن يحيى بن عُبَيد الله (٩) ، عن أبيه عن

---

(١) هو أبو سهل كثير بن هشام الكلابى الرَّقّى ، من ثقات المحدثين ، خرج إلى الحسن بن سهل وهو بفم الصلح ، فمات هناك سنة ٢٠٧ . تهذيب التهذيب ، وتاريخ بغداد ٦٩٥٥ .

(٢) هو عيسى بن إبراهيم بن سيار الشعيرى البركى البصرى ، روى عنه أبو داود والبخارى . توفى ٢٢٨ . تهذيب التهذيب .

(٣) هو أبو القاسم الضحاك بن مزاحم الهلالى . وقد سبقت ترجمته فى (١ : ٢٥١) .

(٤) هو عوف بن أبى جميلة العبدى الهجرى البصرى . واسم أبى جميلة بندويه ، ويقال بل بندويه اسم أمه واسم أبيه رزينة . ثقة ثبت ، وكان شيعيا قدريا . توفى سنة ١٤٧ تهذيب التهذيب .

(٥) انظر ما سبق فى ص ٣٦ ص ٥ .

(٦) هو محمد بن عمر بن واقد ، المترجم فى (١ : ٣٧) .

(٧) هو أبو محمد موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمى المدنى ، كان فقيها محدثا ، وكان الأئمة ينكرون عليه حديثه . توفى سنة ١٥١ . تهذيب التهذيب .

(٨) هو أبو عبد الرحمن عبيد الله بن عبد الرحمن الكوفى ، الحافظ الثبت ، لزم سفيان الثورى مدة فكان يقول : سمعت من سفيان ثلاثين ألف حديث . ولما مات الثورى جلس موضعه ، ثم تحول بعد ذلك إلى بغداد . توفى سنة ١٨٢ . تذكرة الحفاظ (١ : ٢٨٦) وتاريخ بغداد ٥٤٥٩ والسمعانى ٣٩ .

(٩) هو يحيى بن عبيد الله بن عبد الله بن موهب التيمى المدنى ، روى عن أبيه ، وعنه : عبد الله بن =

أبى هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ما خلا يَهودىٌّ بمسلمٍ قطّ إلّا هَمّ بقَتْله » ، ويقال : « حدَّثَ نفْسَه بقَتْله » .

أبو عاصم النّبيل (١) ، قال : حدثنا عُبيد الله بن أبى زياد (٢) ، عن شَهْر ابن حَوْشَب (٣) ، عن أسماءَ بنتِ يزيدَ (٤) قالت : قال رسول الله ﷺ وسلم : « مَنْ ذَبّ عن لحم أخيه بظَهْرِ الغيب كان حقًّا على الله أن يحرِّم لحمَه على النار » .

إسماعيل بن عيَّاش ، عن الحسن بن دينار ، عن الخصيب بن جحدر ، عن رجل ، عن معاذ (٥) بن جبل ، عن النبى ﷺ قال : « ليس مِن أخلاق المؤمِنِ الملَقُ إلّا فى طلب العلم » .

= المبارك ، والفضيل بن عياض ، ويحيى القطان وآخرون ، ولم يكن بثقة فى الحديث . تهذيب التهذيب . فيما عدا ل : « يحيى بن عبد الله » .

(١) أبو عاصم النبيل ، هو الضحاك بن مخلد الشيبانى البصرى ، كان فقيها ثقة ، كثير الحديث ، وكان فيه مزاح . ولد سنة ١٢٢ وتوفى سنة ٢١٣ . تهذيب التهذيب وتذكرة الحفاظ (١ : ٣٣٣) .

(٢) هو عبيد الله بن أبى زياد القداح ، أبو الحصين المكى . اختلف فى توثيقه . توفى سنة ١٥٠ . تهذيب التهذيب .

(٣) هو أبو سعيد شهر بن حوشب الأشعرى الشامى مولى أسماء بنت يزيد بن السكن ، روى عنها وعن جمع من الصحابة ، وكان من القراء . وكان على بيت المال فيزعمون أنه أخذ منه خريطة فيها دراهم ، فقال فيه القطامى الكلبى ، أو سنان بن مكمل النميرى . كما فى تاريخ الطبرى (٨ : ١٢٢) :

لقد باع شهر دينه بخريطة　　　فمن يأمن القراء بعدك يا شهر

وقيل إن نحو هذا الخبر لا يصح . توفى سنة ١١٢ . تهذيب التهذيب وثمار القلوب للثعالبى ١٣٣ .

(٤) هى الصحابية الجليلة أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية الأوسية ، وهى بنت عم معاذ بن جبل ، وكان يقال لها « خطيبة النساء » . شهدت اليرموك وقَتلت يومئذ تسعة من الروم بعمود فسطاطها ، وعاشت بعد ذلك دهراً . الإصابة ٥٩ من قسم النساء وتهذيب التهذيب .

(٥) إسماعيل بن عياش سبقت ترجمته فى ص ٢٣ . كما سبقت ترجمة الحسن بن دينار والخصيب ابن جحدر فى ص ٢٤ . وهذا الإسناد إلى هذه الكلمة ثابت فى ل أيضاً ، مع قرنه بلفظ مكرر . أما باقى الإسناد والحديث فهو مما عدا ل .

وعن عبدِ ربِّه بن أعْيَنَ ، عن عبد الله بن ثُمَامة بن أنس [١] ، عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ﷺ : « قيِّدُوا العِلْمَ بالكِتاب » . وقال : « فَضْلُ جاهِكَ تعودُ به على أخيك الذى لا جاهَ له صدقةٌ منك عليه ، وفضلُ لسانِك تعَبِّر به عن أخيك الذى لا لسان له صدقةٌ منك عليه ، وفضلُ عِلمك تعُود به على أخيك الذى لا علمَ عنده صدقةٌ منك عليه [٢] ، وفَضل قُوتِّك تردُّه [٣] على أخيك الذى لا قوَّةَ له صدقةٌ منك عليه ، وإماطتُك الأذى عن الطَّريق صدقةٌ منك على أهله » .

وإنّما مَدار الأمور والغاية التى يُجرَى إليها : الفهمُ ثم الإفهام ، والطَّلب ثم التثبُّت .

وقال عمرو بن العاص : « ثلاثةٌ لا أمَلُّهم : جليسِى ما فَهِمَ عنّى ، وثوبِى ما ستَرنى [٤] ، ودابَّتى ما حمَلَتْ رجلىّ » .

وذكر الشَّعبىُّ ناساً فقال : « ما رأيتُ مثلَهم أشد تنابُذاً فى مجلس [٥] ، ولا أحسَنَ تفهُّما عن مُحدِّث » .

ووصف سهل بن هارون رجلا فقال : « لم أر أحسَنَ منه فهماً لجليل ، ولا أحسن تفهُّماً لدقيق » .

---

(١) سبقت ترجمة والده ثمامة فى (١ : ٢٥٨) . والوجه فى السند السابق فيما اتضح لنا بعد : « عبد الله بن ثمامة بن عبد الله بن أنس » . ويبدو أنه دأب على نسبة ثمامة إلى جده أنس .

(٢) جاءت هذه الجملة فيما عدا ل ، هـ بعد الجملة التالية .

(٣) فيما عدا ل : « تعود بها » .

(٤) جاءت عبارة « وثوبى ما سترنى » فيما عدا ل آخر الكلام . والخبر فى عيون الأخبار (١ : ٣٠٧) هـ : « ما ستر عورتى » .

(٥) وكذا ورد النص فى أصل عيون الأخبار (١ : ٣٠٨) . ولم أجد هذا اللفظ إلا فى أساس البلاغة : « ونبذ إلى العدو : رمى إليه بالعهد ونقضه ، ونابذه منابذة،وتنابذوا » . يصفهم بانعدام الوفاء . وفى العقد (١ : ٢٥٩) : « أشد تناويا » .

وقال سعيد بن سَلِمٍ [١] لأمير المؤمنين المأمون : « لو لم أشكر اللهَ إلّا على حُسن ما أبلانى فى أمير المؤمنين ، مِن قصدِه إلىَّ بحديثه ، وإشارته إلىَّ بطرفه ، لقد كان ٢٥٩ ذلك مِن أعظم ما تفرضُه الشريعة ، وتوجِبُه الحُرّية » . فقال المأمون : « لأنَّ أميرَ المؤمنين يجدُ عندَك من حسن الإفهام إذا حدّثت ، وحسن التفهُّم إذا حُدّثتَ ، ما لم يجِدْ عند أحدٍ فيمن مضى ، ولا يظنُّ أنه يجده فيمن بقى » .

وقال له مرةً أخرى : « واللهِ إنك لتستقفِى حديثى [٢] ، وتقِفُ عند مقاطِع كلامى ، وتُخْبِر عنه بما كنت قد أغفلتُه » .

وقال أبو الحسن : قالت امرأةٌ لزوجها [٣] : مالَكَ إذا خرجتَ إلى أصحابك تطلَّقْتَ وتحدَّثْت ، وإذا كنتَ عندى تعقّدت وأطرقت ؟ قال : « لأنّنى أجلّ عن دقيقكِ ، وتدِقّين عن جليلى [٤] » .

وقال أبو مُسهِر [٥] : « ما حدَّثْتُ رجلاً قَطّ إلّا أعجبَنى حُسن إصغائه [٦] ، حفِظَ عنى أم ضيّع » .

وقال أبو عقيل بن دُرُسْتَ : « نَشاط القائل على قدر فَهم المستمع » .

وقال أبو عبّادٍ كاتب أحمد بن أبى خالد : « لِلقائل على السامع ثلاث : جَمْع البال ، والكتمان ، وبسطُ العُذر » .

---

(١) هو سعيد بن سلم بن قتيبة بن مسلم الباهلى ، ولاه السلطان بعض الأعمال بمرو ، وقدم بغداد وحدث بها ، فروى عنه محمد بن زياد بن الأعرابى . وكان سعيد عالما بالحديث والعربية ، لكنه كان لا يبذل نفسه للناس . انظر تاريخ بغداد ٤٦٥٨ .

(٢) الاستقفاء : أن يقفو أثر الشئ .

(٣) هو نوفل بن مساحق وامرأته . وقد سبق الخبر فى (١ : ٣٠٥) .

(٤) انظر ما مضى فى (١ : ٣٠٥) . ل : « لأننى أدق عن جليلك ، وتجلين عن دقيقى » .

(٥) أبو مسهر هو عبد الأعلى بن مسهر ، وقد ترجم فى (١ : ٢٦٤) . وفيما عدا ل: « أبو مسهر بن المبارك » وفيه إقحام .

(٦) هـ : « إلا أعجبنى إصغاؤه » ، مع إشارة إلى الرواية الأخرى

وقال أبو عبّاد : « إذا أنكرَ القائلُ عَيْنَى المستمع [١] فليْستفهمْه عن منْتَهى حديثه ، وعن السبب الذى أجرى ذلك القولَ له ، فإنْ وجدَه قد أخلص له الاستماعَ أتَمَّ له الحديث ، وإن كان لاهياً عنه حَرَمه حُسنَ الحديث ونفْعَ المؤانسة ، وعرَّفه بفسولة الاستماع [٢] ، والتقصير فى حقِّ المحدِّث » .

وأبو عبَّاد هذا هو الذى قال : « ما جلس بين يدىَّ رجلٌ قطّ إلا تمثَّل لى أنّى سأجلس بين يديه [٣] » .

وذكر رجلٌ من القرشيِّين عبدَ الملك بن مَرْوان ، وعبد الملكِ يومئذ غلام فقال : « إنّه لآخذٌ بأربع ، وتاركٌ لأربع : آخذٌ بأحسَنِ الحديث إذا حَدَّث ، وبأحسن الاستماع إذا حُدِّث ، وبأيسر المُئونة إذا خُولف ، وبأحسن البِشْر إذا لَقِىَ . وتاركٌ لمحادثة اللئيم ، ومُنازَعَة اللّجوج ، ومُماراة السّفيه ، ومصاحَبة المأفون » .

وذمَّ بعضُ الحكماء رجُلاً فقال: « يَحْزِم قبل أن يَعلم ، ويغضب قبل أن يَفهم » .

وقال عمر بن الخطاب رحمه الله فى بعض رسائله إلى قُضاته [٤] : « الفهْمَ الفهمَ فيما يتلجلج [٥] فى صدرك » .

ولا يمكنُ تمامُ الفهم إلا مع تمام فراغ البال . ٢٦٠

وقال مجنون بنى عامر :

---

(١) ل : « على عى السامع » ، صوابه فى سائر النسخ .

(٢) الفسولة : الضعف والحمق . فيما عدا ل ، هـ : « بنسولة » تحريف .

(٣) ل : « إلا مثل لى أنى جالس بين يديه » . وما أثبت من سائر النسخ يطابق ما سلف فى (١ : ٤٨ س ١٣) .

(٤) هى رسالته إلى أبى موسى الأشعرى . وسيذكر الجاحظ نصها فى ص ٤٨ – ٥٠ .

(٥) هـ : « يختلج » مع الإشارة إلى الرواية الأخرى .

أتانى هواها قبل أن أعرِفَ الهوَى　　فصادَفَ قلبى فارغاً فتمكّنا (١)

وكتب مالك بن أسماءَ بن خارجةَ إلى أخيه عيينةَ بن أسماء بن خارجة :

أَعُيَيْنَ هَلّا إذْ شُغِفْتَ بها　　كنتَ استعنتَ بفارغ العَقْلِ

أقبَلْتَ ترجو الغَوث مِنْ قِبَلى　　والمستغاثُ إليه فى شُغْلِ

وقال صالح المُرِّىّ : « سوءُ الاستماع نفاق » . وقد لا يَفهم المستمع إلا بالتفهُّم ، وقد يتفهَّم أيضاً مَن لا يفهم . وقال الحارث بن حِلِّزَة :

وحَبَسْتُ فيها الركبَ أحدِس فى　　كلِّ الأمورِ وكنتُ ذا حَدْسِ (٢)

وقال النابغة الجعدِىّ :

أبَى لِي البلاءُ وأنِّى امرؤٌ　　إذا ما تبيَّنْتُ لم أرْتَبِ (٣)

وقال آخر (٤) :

تَحلَّمْ عن الأدنَيْنَ وُدَّهم　　ولن تستطيعَ الحِلم حتى تَحلَّما

والمَثَلُ السائرُ على وجه الدهر قولهم : « العِلْمُ بالتعَلُّم » .

وإذا كانت البهيمة إذا أحسَّت شيئاً (٥) من أسباب القانص ، أحَدَّتْ نظرَها ، واستَفرغتْ قواها فى الاسترواح ، وجمعَتْ بالَها للتسمُّع – كان الإنسانُ العاقلُ أوْلَى بالتثبت ، وأحَقَّ بالتعرُّف .

ولما اتَّهم قُتيبة بن مسلم (٦) ، أبا مِجْلَزٍ لاحق بن حُميد ، ببعض الأمر ، قال له

---

(١) روايته فى الحيوان (١ : ١٦٩ / ٤ : ١٦٧) : « قلباً خالياً » .

(٢) الحدس : الظن ، وروايته فى المفضليات (١ : ١٣١) : « فحبَسْت » .

(٣) سبق البيت والكلام عليه فى (١ : ١٠٠) .

(٤) هو حاتم الطائى . انظر ديوانه ١٠٨ من مجموع خمسة دواوين . وهو فى اللسان (حلم) بدون نسبة .

(٥) فيما عدا ل : « أحست بشئ » .

(٦) هو قتيبة بن مسلم بن عمرو بن الحصين الباهلى ، أمير خراسان زمن عبد الملك بن مروان من قبل الحجاج بن يوسف . وابنه سلم بن قتيبة بن مسلم المترجم فى (١ : ١٧٤) . وحفيده سعيد بن سلم ابن قتيبة . ولد قتيبة سنة ٤٩ وقتل سنة ٧٩ . وفيات الأعيان .

أبو مِجْلَز (١) : « أيُّها الأمير تثبّتْ ، فإنَّ التثُّبتَ نِصف العفو » .

وقال الأحنف : « تعلَّمتُ الحِلم من قيس بن عاصم (٢) » .

وقال فيروز حُصينٍ (٣) : « كنت أختلف إلى دار الاستخراج أتعلَّم الصبر(٤) » .

٢٦١ وقال سهل بن هارون : « بلاغة اللسان رِفْقٌ ، والعِىُّ خُرْق » .

وكان كثيراً ما ينشد قول شُتَيم بن خُوَيْلِد (٥) :

ولا يشعَبُون الصَّدع بعدَ تفاقُـــمٍ   وفى رِفقِ أيديكم لِذِى الصَّدْعِ شاعبُ(٦)

وقال إبراهيم الأنصارى ، وهو إبراهيم بن محمد المفلوج ، من ولد أبى زيد القارئ : الخلفاء والأئمة وأمراءُ المؤمنين ملوكٌ . وليس كلُّ ملكٍ يكون خليفة وإماماً ، ولذلك فَصَل بينهم أبو بكر رحمه الله فى خطبته ، فإنه لما فرغ من الحمد والصلاة على النبى قال : « ألاَ إنَّ أشقى الناس فى الدنيا والآخرة الملوك ! » . فرفع الناس رءوسهم ، فقال : « ما لكم أيّها الناس ، إنكم لطَعَّانون عَجِلون . إن مِن الملوك مَن إذا مَلَكَ (٧) زهَّده الله فيما فى يديه (٨) ، ورغَّبه فيما فى يدَىْ غيره ، وانتقَصَه شَطْرَ أجله ، وأُشرِبَ قلبَه الإشفاق ، فهو يَحْسُد على القليل ، ويتسخَّط

---

(١) هو أبو مجلز لاحق بن حميد بن سعيد السدوسى البصرى ، وكان ممن قدم خراسان ، وولى بعض الأمر . وكان عمر بن عبد العزيز يستشيره فيمن يتولى خراسان . توفى سنة ١٠٩ . تاريخ الطبرى (٨ : ١٣٤ ، ١٣٥) .

(٢) انظر بقية الخبر مع تفصيل فى عيون الأخبار (٣ : ٢٨٦) .

(٣) فيروز حصين بالإضافة ، مولى حصين بن مالك بن الخشخاش العنبرى . قال ابن قتيبة فى المعارف ١٤٧ : « ومن موالى آل الخشخاش فيروز ، أعظم مولى بالعراق قدراً : وقد ولى الولايات ، وخرج مع ابن الأشعث ، فقال الحجاج : من جاءنى برأس فيروز فله عشرة آلاف درهم ! فقال فيروز : من جاءنى برأس الحجاج فله مائة ألف درهم ! فلما هزم ابن الأشعث هرب إلى خراسان ، فأخذه يزيد بن المهلب فبعث به إلى الحجاج » . وقد نكل به الحجاج تنكيلا شديداً وقتله . هـ : « فيروز بن حصين » .

(٤) فى حواشى هـ : « دار الاستخراج هى دار العذاب التى كان العمال يعذبون فيها » .

(٥) سبقت ترجمته فى (١ : ٤ ، ١٨١) . وقد أنشد البيت فى الموضع الأول .

(٦) ل : « ألا تشعبون الصدع قبل تفاقم » محرف .

(٧) ل : « إن الملك إذا مات » ، صوابه من سائر النسخ .

(٨) فيما عدا ل : « فيما عنده » .

الكثير ، ويسأم الرَّخاء ، وتنقطع عنه لذَّةُ الباءة [١] ، ولا يستعمل العِبْرة ، ولا يسكن إلى الثِّقة . فهو كالدِّرهم القَسِّيّ [٢] ، والسَّراب الخادع ، جَذِلُ الظاهر ، حزينُ الباطن ؛ فإذا وجبَتْ نفْسُه ، ونضَب عُمره ، وضَحَا ظِلُّه [٣] ، حاسَبَه اللهُ فأشَدَّ حِسابَه ، وأقلَّ عفوه ، إلّا مَنْ آمَنَ بالله ، وحكَمَ بكتابه وسُنَّه نبيه ﷺ . أَلَا إن الفقراء هم المرحومون [٤] أَلَا وإنكم اليومَ على خلافِة النبوةّ ، ومَفْرِق المَحَجَّة [٥] . وإنكم ستَرَوْن بعدى مُلْكا عضُوضاً ، ومَلْكاً عَنُوداً [٦] ، وأَمَّةً شَعاعاً ، ودماً مُفاحاً [٧] . فإن كانت للباطل نزوةٌ ، ولأهل الحقِّ جَولةٌ ، يعفو لها الأثَرُ ، ويموت لها البَشَرُ ، وتحيا بها الفِتَنُ ، وتَموت لها السُّنَن [٨] فالزموا المساجدَ ، واستشيروا القُرآن ، واعتصموا بالطاعة [٩] ، ولا تفارِقُوا الجماعة . وليكن الإبرام بعد المشاوَرة [١٠] ، والصَّفقة بعد طول التناظر . أىُّ بلادِكُمْ خَرْشَنَة [١١] ؟ فإنكم

---

(١) الباءة : النكاح . ل ، هـ والتيمورية : « البهاء » صوابه ما أثبت من حـ ، وبه صحح ما فى ب ، إذ بها أثر تغيير .

(٢) فى القاموس (قس) : « ودرهم قسى وتخفف سينه : ردئ » . وفى اللسان (قسا) : « ودرهم قسى : ردئ ، والجمع قسيان ، مثل صبى وصبيان . قال الأصمعى : كأنه إعراب قاشى . وقيل درهم قَسِيٌّ : ضرب من الزيوف . أى فضته صلبة رديئة ليست بلينة » . وانظر المعرب ٢٥٧ . وأنشد لمزرد بن ضرار :

وما زودونى غير سحق عمامة   وخمس مئ منها قسى وزائف

(٣) ضحا ظله : برز للشمس ، أراد أن ظله قد تقلص ، عبارة عن الموت .

(٤) جاءت هذه الجملة فيما عدا ل بعد كلمة « عفوه » السابقة .

(٥) المحجة : الطريق .

(٦) عضوض : شديد فيه عسف وعنف . والعنود : الطاغى العاتى المتجبر . يقال : عنود ، وعنيد ، وعاند .

(٧) الشعاع ، كسحاب : المتفرقة . والمفاح : السائل المهراق .

(٨) ما بعد كلمة « البشر » من ل فقط .

(٩) فيما عدا ل : « والزموا الطاعة » .

(١٠) فيما عدا ل : « التشاور » .

(١١) خرشنة : بلد قرب ملطية من بلاد الروم . والمراد بها بلاد الروم . وفى الأصول : « خرسة » تحريف .

سيُفتح عليكم أقصاها كما فُتح عليكم أدناها [١] .

كلام أبى بكر الصديق رضى الله عنه لعمر رحمه الله حين استخلفه عند موته

إنى مستخلفُك مِن بعدى ، ومُوصِيكَ بتقوى الله . إنَّ لله عملاً بالليل لا يقبله بالنهار ، وعملاً بالنّهار لا يقبلهُ باللّيل ، وإنّه لا يَقْبَلُ نافلةً [٢] حتّى تُؤدَّى الفريضة . وإنَّما ثقُلت موازينُ مَن ثقلت موازينه يومَ القيامة باتباعهم الحقَّ فى الدنيا ، وثِقَله عليهم ؛ وحُقَّ لميزانٍ لا يوضع فيه إلاّ الحقّ أن يكون ثقيلا . وإنّما خَفْت موازين مَن خفت موازينُه يوم القيامة باتباعهم الباطل وخِفّته عليهم فى الدنيا[٣] ؛ وحُقَّ لميزان لا يوضَع فيه إلا الباطل أن يكون خفيفاً . إنَّ الله ذَكَرَ أهل الجنّة فذَكَرهم بأحسنِ أعمالهم ، والتجاوُزِ [٤] عن سيّئاتهم ، فإذا ذكرتُهم قلتُ : إنِّى أخافُ ألاّ أكون من هؤلاء . وذَكَر أهل النار فذكَرهم بأسوإ أعمالهم ، ولم يذكر حسناتِهم ، فإذا ذكرتُهم قلتُ : إنِّى لأرجو ألا أكون من هؤلاء . وذكَرَ آية الرحمة مع آية العذاب ، ليكون العبدُ راهباً ، ولا يتمنَّى على الله إلا الحق ، ولا يُلقِىَ بيده إلى التّهْلُكة . فإذا حفِظتَ وصيَّتى [٥] فلا يكوننَّ غائب أحبَّ إليك من الموت ؛ وهو آتِيك . وإن ضيَّعتَ وصيَّتى ، فلا يكونَنَّ غائب أبغض إليك من الموت ؛ ولَسْتَ بمعجِزِ الله [٦] .

---

(١) انظر الخطبة أو بعضها فى عيون الأخبار (٢ : ٢٢٣) وصبح الأعشى (١ : ٢١٣) وزهر الآداب (١ : ٣١) والعقد فى سرد خطب أبى بكر . هـ : « إن الله سيفتح » .

(٢) فيما عدا ل : « تقبل نافلة » .

(٣) كلمة « فى الدنيا » من ل ، وهى ساقطة من سائر النسخ .

(٤) فيما عدا ل : « وتجاوز » .

(٥) ل : « أحببت وصيتى » ، صوابه فى سائر النسخ .

(٦) انظر الوصية فى كامل ابن الأثير عند ذكر استخلاف عمر .

وأوصى عمر الخليفة من بعده فقال :

أُوصِيكَ بتقوى الله لا شريك له ، وأوصيك بالمهاجرين الأوَّلينَ خيراً : أن تعرِف لهم سابقتهم . وأُوصيك بالأنصار خيراً ؛ فاقبَلْ من مُحسِنهم ، وتجاوَزْ عن مُسيئهم . وأُوصيك بأهل الأمصار خيراً ؛ فإنّهم رِدْءُ العدُوّ ، وجُباةَ الأموال والفَىء (٢) لا تحمِلْ فيئَهم إلاّ عن فضلٍ منهم . وأوصيك بأهل البادية خيراً؛ ٢٦٣
فإنّهم أصلُ العرب ، ومادّة الإسلام : أَنْ تأْخُذَ من حواشى أموال أغنيائهم (٣) ، فتُردَّ على فقرائهم . وأوصيك بأهل الذّمّة خيراً : أن تُقاتِلَ مِن ورائهمْ ، ولا تكلِّفَهم فوق طاقتهم ، إذا أدَّوْا ما عليهم للمؤمنين طَوْعا أو عن يدٍ وهم صاغِرون (٤). وأُوصيك بتقوى الله وشدّة الحذَرِ منه ، ومخافةِ مَقْته ؛ أَنْ يطَّلِع منك على رِيبة . وأُوصيك أن تَخشى الله فى الناس ولا تخشى النَّاسَ فى الله . وأوصِيك بالعدل فى الرّعية ، والتفرُّغ لحوائجهم وثغورهم (٥) . ولا تُؤْثِر غنيَّهُم على فقيرهم ، فإنّ ذلك – بإذنِ الله – سلامةٌ لقلبِك ، وحَطٌّ لوِزْرِك ، وخيرٌ فى عاقبة أمرك ، حتّى تُفضِيَ من ذلك إلى مَن يعرف سريرَتَك ، ويحول بينك وبين قلبك . وآمُرُك أن تشتدَّ فى أَمْر الله (٦) ، وفى حُدودِه ومعاصيه ، على قريب الناس وبعيدِهم ، ثم لا تأْخُذَك فى أحدٍ الرَّأفةُ حتّى تنتهِكَ منه مثل ما انتَهكَ من حُرَمِه (٧) . واجعل النّاس سواءً عندَك ، لا تبالى عَلَى مَن وجب الحق ، ولا تأْخُذْكَ (٨) فى

(١) الردء : المعين ، أراد أنهم يعينون على العدو . وفى اللسان (ردأ) : « فإنهم ردء الإسلام ، وجباة المال » .
(٢) الفىء : الغنيمة والخراج . فيما عدا ل : « وجباة الفىء » .
(٣) الحواشى : صغار الإبل كابن المخاض وابن اللبون ، واحدها حاشية .
(٤) عن يد : عن ذل واعتراف للمسلمين بأن أيديهم فوق أيديهم .
(٥) الثغور : جمع ثغر ، وهو الفرجة : والمراد بها الخلة والحاجة .
(٦) ل : « أمور الله » .
(٧) فيما عدا ل : « من حرم الله » .
(٨) فيما عدا ل : « ثم لا تأخذك » .

الله لومة لائم . وإياك والأَثَرَة والمحاباة ، فيما وَلّاك الله مما أفاء الله على المؤمنين ، فتجُورَ وتَظلِمَ ، وتَحرِمَ نفسك من ذلك ما قد وسَّعه الله عليك .

وقد أصبحتَ بمنزلةٍ من منازل الدُّنيا والآخرة ، فإن اقترفت (١) لدُنياك عدلا وعِفّة عمّا بسط الله لك ؛ اقترفت به إيماناً ورضواناً ، وإن غَلبك عليه الهوى ومالت بك شهوةٌ (٢) ، اقترفْتَ به سُخطَ الله ومعاصِيَه (٣) . وأُوصِيك ألّا ترخِّصَ لنفْسك ولا لغيرك فى ظُلم أهل الذِّمّة . وقد أوصيتُك وحَضضتُك (٤) ، ونصحت لك (٥) ، أبتغى بذلك (٦) وجهَ الله والدارَ الآخرة . واخترتُ من دِلالتك ما كنتُ دالاًّ عليه نفسى وولَدى ، فإن عملتَ بالذى وعظتُك ، وانتهيتَ إلى الذى أمرتُك ، أَخذتَ به نصيباً وافياً ، وحظًّا وافرا (٧) . وإنْ لم تقبَل ذلك ولم يَهُمَّك ، ولم تُنزِلْ معاظم الأمور (٨) عند الذى يرضى الله به عنك ، يكن ذلك بك انتقاصاً ، ورأيُك فيه مدخولاً (٩) ؛ لأنّ الأهواء مشتركة . ورأسُ كلِّ خطيئة ، ٢٦٤
والدّاعى إلى كل هَلَكة إبليسُ (١٠) ؛ وقد أضلَّ القرونَ السالفةَ قبلكَ فأورَدَهم النَّار ، ولبئس الثَّمَنُ أن يكونَ حظَّ امرىءٍ موالاةً لعدوّ الله (١١) ، والداعى إلى مَعاصِيه ! ثم اركَب الحقّ وخُضْ إليه الغَمَرات ، وكنْ واعظاً لنفسك ، وأنشُدُك اللهَ لَمّا ترحّمتَ على

---

(١) الاقتراف : الاكتساب والاقتناء .

(٢) بدلها فيما عدا ل ، هـ : « وإن غلبك الهوى » بسقوط الجملة الأخيرة . وفى هـ : « فيه الهوى » .

(٣) هذه الكلمة من ل فقط .

(٤) ل : « وخصصتك » . وأثبت ما فى سائر النسخ .

(٥) فيما عدا ل : « ونصحتك » .

(٦) فيما عدا ل : « فابتغ » تحريف .

(٧) فيما عدا ل : « نصيبا وافرا وحظا وافيا » .

(٨) أعظم الأمر : صار عظيما ، فهو معظِم . ل : « ولم تترك معظِمات الأمور » .

(٩) المدخول : ذو الدخَل ، وهو العيب والفساد .

(١٠) فيما عدا ل : « ورأس كل خطيئة إبليس ، وهو داع إلى كل هلكة » .

(١١) فيما عدا ل : « موالاة عدو الله » .

جماعة المسلمين [١] فأجْلَلت كبيرَهم ، وَرحِمْتَ صغيرَهم ، ووقَّرت عالمهم . ولا تضربِهُم فيذِلّوا ، ولا تستأثِرْ عليهم بالفَيء فتُغضِبَهم ، ولا تَحْرِمْهم عطاياهم عند مَحلّها فتُفْقِرهم [٢] ، ولا تَجمِّرْهم فى البُعوث فتقطَعَ نَسلَهم [٣] ، ولا تجعل المالَ دُولةً بين الأغنياءِ منهم [٤] ، ولا تغلقْ بابَكَ دونَهم فيأكُلَ قويُّهم ضعيفَهم .

هذه وصيّتى إيَّاك ، وأُشْهِدُ الله عليك ، وأَقرأُ عليكَ السلام .

رسالة عمر رضى الله عنه إلى أبى موسى الأشعرى رحمه الله [٥]

رواهاابنعُيينة[٦]،وأبو بكر الهذلىّ[٧]ومَسلمة بن محارب[٨]؛رووهاعن قتادة[٩].

ورواها أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم [١٠] ، عن عبيد الله بن أبى حُميد الهذلى [١١] عن أبى المليح أسامة الهُذلىّ [١٢] . أنّ عمر بن الخطاب كتب إلى أبى موسى الأشعرىّ :

---

(١) يقال نشدتك الله وبالله ، وناشدتك الله وبالله ، أى سألتك وأقسمت عليك . و « لما » هنا بمعنى إلاَّ فى لغة هذيل . وفى الكتاب : « إن كل نفس لما عليها حافظ » .

(٢) أى عند حلول وقتها .

(٣) تجمير الجند : أن يحبسهم فى أرض العدو ويحبسهم عن العَودِ إلى أهلهم .

(٤) دولة بين الأغنياء ، أى متداولا بينهم ، لهذا مرة ولذاك أخرى .

(٥) انظر (١ : ٢/٢٣٧ : ٤١) والكامل ٩ ليبسك .

(٦) ابن عيينة هو أبو محمد سفيان بن عيينة بن أبى عمران ميمون الهلالى الكوفى ، كان من الحفاظ المتقنين ، وأهل الورع والدين . ولد سنة ١٠٧ وتوفى سنة ١٩٨ بمكة . تهذيب التهذيب وتاريخ بغداد ٤٧٦٤ وتذكرة الحفاظ (١ : ٢٥٢) وصفة الصفوة (٢ : ١٣٠) .

(٧) سبقت ترجمته فى (١ : ٣٥٧) .

(٨) هو مَسلمة بن عبد الله بن محارب الفهرى البصرى النحوى المقرى ، ترجم له فى لسان الميزان (٦ : ٣٤) وقال : « كان صاحب فصاحة » .

(٩) هو قتادة بن دعامة المترجم فى (١ : ٤٢) .

(١٠) هو أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى المدنى ، نزيل بغداد . محدث ثقة كثير الرواية لحديث الزهرى . توفى سنة ٢٠٨ . تهذيب التهذيب وتاريخ بغداد ٧٥٦٢ .

(١١) فى الأصول : « بن حميد » صوابه من تهذيب التهذيب وهو أبو الخطاب عبد الله ابن أبى حميد غالب الهذلى البصرى ، روى عن أبى المليح الهذلى ، وعنه : عيسى بن يونس ووكيع . وذكر أنه كان ضعيف الحديث منكره .

(١٢) سبقت ترجمة أسامة فى (١ : ٣٥٧) .

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد فإنَّ القضاءَ فَريضةٌ محكمة ، وسُنّة متّبعة . فافهَمْ إذا أُدْلِيَ إليك (١) ، فإنه لا ينفع تكلُّمٌ بحقّ لا نفاذَ له . آسِ بين الناس فى مجلسك ووَجهك (٢) ، حَتَّى لا يطمَعَ شريفٌ فى حَيْفك ، ولا يَخافَ ضعيفٌ من جَورك . البيِّنةُ على من ادَّعى واليمينُ على من أنكَر ، والصُّلْحُ جائزٌ بين المسلمينَ إلا صلحاً حَرَّم حلالاً أو أحلَّ حراما . ولا يمنعنَّك قضاءٌ قضيتَه بالأمس فراجعتَ فيه نفسَك ، وهُدِيت فيه لرُشْدك ، أن تَرجِعَ عنه إلى الحقِّ (٣)
٢٦٥ فإنَّ الحق قديمٌ ، ومراجعةُ الحق خيرٌ من التَّمادِى فى الباطل . الفَهمَ الفهمَ عندما يتلجلج فى صدرك ، مما لم يبلغْك فى كتاب الله ولا فى سنَّة النبىِّ ﷺ . اعرِف الأمثالَ والأشباه ، وقِسِ الأمورَ عند ذلك ، ثم اعمِدْ إلى أحبِّها إلى الله ، وأشبَهِها بالحقّ فيما ترى . واجعلْ للمدَّعِى حقًّا غائبا أو بيِّنة ، أمداً ينتهى إليه ، فإن أحضَر بيّنته أخذتَ له بحقّه ، وإلاّ وجّهتَ عليه القضاءَ ، فإنَّ ذلك أنفَى للشكّ ، وأجلى للعَمَى ، وأبلغُ فى العُذر . المسلمون عُدولٌ بعضُهم على بعض، إلا مجلوداً فى حدٍّ ، أو مجرَّبا عليه شهادةُ زورٍ ، أو ظنيناً فى وَلاءٍ أو قرابة ، فإنّ الله قد تولّى منكم السرائر ودَرأَ عنكم بالشبهات (٤) . ثمّ إياك والقلقَ والضّجر ، والتأذِّىَ بالناس ، والتنكُّرَ للخصوم فى مواطن الحقّ ، التى يُوجب اللهُ بها الأجر ، ويُحْسِن بها الذُّخر ؛ فإنّه من يُخلِصْ نيّته فيما بينه وبين الله تبارك وتعالى ، ولو على نفسه ، يَكْفِهِ الله ما بينَه وبين الناس ، ومَن تَزيَّنَ للناس بما يعلم الله منه خلافَ ذلك (٥) هتَكَ الله سِتْره ، وأبدى فعله . فما ظنُّك بثواب

---

(١) أدلى فلان بحجته ، إذا أرسلها وأتى بها على صحة . وانظر رسائل الجاحظ (٢ : ٣١) .

(٢) آس بينهم ، أى سو بينهم ، واجعل كل واحد منهم إسوة خصمه .

(٣) كلمة « إلى الحق » من ل والكامل ٩ ليبسك .

(٤) ل : « بالبينات والأيمان » .

(٥) فيما عدا ل : « بما يعلم الله خلافه منه » .

غير الله فى عاجل رزقه ، وخزائن رحمته (١) . والسلام عليك .

خطبة لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه (٢)

قال أبو عبيدة مَعمر بن المثنّى : أول خطبة خطبها على بن أبى طالب رحمه الله (٣) أنّه قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلّى على نبيّه (٤) :

أما بعد فلا يُرْعِيَنَّ مُرعٍ إلا على نفسه (٥) ؛ فإنَّ مَن أرْعَى على غير نفسه شُغِل عن الجنة والنارُ أمامَه (٦) . ساعٍ مجتهد ينجو (٧) ، وطالبٌ يرجو ، ومقصِّرٌ فى النار . ثلاثة . واثنان : ملَكٌ طارَ بجناحيه ، ونبىٌّ أخَذَ الله بيديه ، ولا سادس (٨) . هَلَكَ من ادَّعى ، ورَدِىَ مَن اقتحم ؛ فإنّ اليمين والشِّمال مَضَلَّة ، والوسطَى الجادَّةُ (٩) ، منهجٌ عليه باقِى الكتاب والسنّة ، وآثارُ النبوة . إنّ الله ٢٦٦
دَاوَى هذه الأمّة بدواءين : السَّيف والسوط (١٠) ، فلا هوادةَ عند الإمام فيهما ، استتروا ببيوتكم وأصلِحوا فيما بينكم (١١) ، والتَّوبة (١٢) من ورائكم . مَن أبدَى صفحَتَهُ للحقّ هَلك . قد كانت لكم أمورٌ مِلتُم علىّ فيها مَيلةً لم تكونوا

---

(١) الكلام بعد كلمة « فعله » إلى هنا من ل فقط .

(٢) هذا العنوان فى ل ، هـ فقط . وفى هـ : « أول خطبة خطبها على بن أبى طالب رضى الله عنه » .

(٣) فى العقد : « أول خطبة خطبها فى المدينة » . وفى شرح ابن أبى الحديد (١ : ٩٠) « ومن خطبة له عليه السلام لما بويع بالمدينة » . وانظر عيون الأخبار (٢ : ٢٣٦) .

(٤) بدل هذه العبارة فيما عدا ل : « حمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ﷺ ثم قال » .

(٥) الإرعاء : المراعاة والملاحظة والإبقاء والمحافظة .

(٦) الكلام قبل « شغل » فى البيان فقط . ورواية ابن أبى الحديد وابن قتيبة : « شغل من الجنة والنار أمامه » . وانظر تفسير ابن أبى الحديد

(٧) كلمة « ينجو » من ل فقط . وعند ابن أبى الحديد : « ساع سريع نجا ، وطالب بطىء رجا ، ومقصر فى النار هوى » . وانظر مثيل هذا الأسلوب فى (٣ : ١٣٦ س ١٨) .

(٨) فيما عدا ل : « بيده ولا سادس » .

(٩) جادة الطريق : مسلكه وما وضح منه .

(١٠) فى العقد وما عدا ل : « السوط والسيف » .

(١١) فيما عدا ل : « واصطلحوا » . ابن أبى الحديد (١ : ٩٢) حيث صرح بنقله عن البيان للجاحظ : « وأصلحوا ذات بينكم » .

(١٢) العقد : « فالموت » .

عندى فيها بمحمودِين (١) ولا مصيبين (٢) . أمَا إنِّى لو أشاءُ لقلت عَفا الله عمَّا سلف . سَبَق الرجلان وقامَ الثالث (٣) ، كالغُراب همَّته بطنه (٤) ، ياوَيْحَه ، لو قُصَّ جناحاه وقُطِع رأسه لكان خيراً له (٥) . انظروا فإن أنكرتم فأنكروا ، وإنْ عَرَفتُم فآزروا (٦) . حقٌّ وباطل ، ولكلٍّ أهل ؛ ولئن أمِرَ الباطل لقديماً فَعَل (٧) ، ولئن قَلَّ الحق لرُبّما ولعَلّ (٨) . ما أدبرَ شئٌ فأقبل (٩) . ولئن رجعَتْ عليكم أمورُكم إنّكم لسُعَداء (١٠) ، وإنِّى لأخشى أن تكونوا فى فَترةٍ (١١) . وما علينا إلا الاجتهاد .

قال أبو عبيدة : وروى فيها جعفر بن محمد :

---

(١) عند ابن أبى الحديد وما عدا ل : « قد كانت أمور لم تكونوا عندى فيها محمودين » . قال ابن أبى الحديد : « مراده أمر عثمان وتقديمه فى الخلافة عليه » .

(٢) هاتان الكلمتان فى ل فقط .

(٣) يعنى عثمان . وورد فى بعض خطب على : « إلى أن قام ثالث القوم نافجا حضنيه » . انظر ابن أبى الحديد (١ : ٦٦) .

(٤) ل فقط : « همه بطنه » .

(٥) ابن أبى الحديد : « يريد لو كان قتل أو مات قبل أن يتلبس بالخلافة لكان خيراً له من أن يعيش ويدخل فيها » .

(٦) المؤازرة : المعاونة . أى إن كان منكراً فأنكروه ، وإن كان حقا فأعينوا عليه . فيما عدا ل ، هـ : « بارزوا » ، تحريف .

(٧) ابن أبى الحديد : « أمِر الباطل : كثر . وقوله لقديما فعل ، أى لقديما فعل الباطل ذلك . ونسب الفعل إلى الباطل مجازا . ويجوز أن يكون فعل بمعنى انفعل ، كقوله :

* قد جبر الدين الإله فجبر *

أى انجبر » .

(٨) أى لئن كان الحق قليلا فربما كثر ، ولعله ينتصر أهله . عن ابن أبى الحديد .

(٩) عند ابن الحديد : « وقلما أدبر شئ فأقبل . استبعد أن تقوم دولة قوم بعد زوالها عنهم » .

(١٠) ابن أبى الحديد : « أى إن ساعدنى الوقت وتمكنت من أن أحكم فيكم بحكم الله ورسوله ، وعادت إليكم أيام شبيهة بأيام رسول الله ﷺ وآله ، وسيرة مماثلة لسيرته فى أصحابه ، إنكم لسعداء » .

(١١) المراد بالفترة : الأزمنة التى بين الأنبياء ، كأنه توقع أن يطرأ عليهم ما طرأ على تلك الأمم من الاضطراب وفقدان الرشد .

أَلّا إنّ أبرارَ عِترتى ، وأطاليبَ أُرومتى ، أحلم الناس صِغاراً ، وأعلم الناس كباراً (١). أَلَا وإنّا أهلُ بيت مِن علمِ الله عَلِمْنا ، وبحُكم الله حَكَمْنا ، ومِن قولِ صادقٍ سَمِعنا . وإن تَتّبِعوا آثارَنا تهتدوا ببصائرنا ، وإنْ لم تفعلوا يُهلكْكم الله بأيدينا . معنا رايةُ الحق ، مَن تبِعها لَحِق ، ومَن تأخّر عنها غَرِق . أَلَا وإنّ بنا تُرَدُّ دَبْرَة كلِّ مؤمن (٢) ، وبنا تُخلَع رِبقة الذّل من أعناقكم (٣) ، وبنا غُنِم (٤) ، وبنا فَتَح الله لا بكم (٥) ، وبنا يُختم لا بكم (٦)

وخطبة لعلى بن أبى طالب أيضا رضى الله عنه (٧)

أمّا بعدُ فإن الدنيا قد أدبَرَت وآذنت بوَداع ، وإنّ الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطّلاع . وإنّ المضمار اليومَ والسِّباقَ غداً (٨) . أَلَا وإنّكم فى أيامِ أملٍ من ورائه أجل ، فمَن أخلَصَ فى أيام أمله قبل حضور أجله [فقد] نفعه عمله (٩) ولم يضرُرْهُ أمله (١٠) ، ومن قصّر فى أيام أَمَله قبل حضور أَجَله ، فقد

---

(١) وكذا عند ابن أبى الحديد . وفيما عدا ل : « وأعلمهم كبارا » .

(٢) الدبرة ، بالفتح : الهزيمة . هـ : « ترد ترة كل مؤمن » ، ابن أبى الحديد : « تدرك ترة كل مؤمن » . والترة : الثأر والوتر .

(٣) الربقة ، بالكسر : الحبل يجعل فى عنق الشاة .

(٤) هذه الجملة فى ل فقط .

(٥) فيما عدا ل : « وبنا فتح » فقط . ابن أبى الحديد : « فتح لا بكم » .

(٦) فيما عدا ل ، هـ : « وبنا ختم لا بكم » . قال ابن أبى الحديد : « إشارة إلى المهدى الذى يظهر فى آخر الزمان . وأكثر المحدثين على أنه من ولد فاطمة عليها السلام . وأصحابنا المعتزلة لا ينكرونه ، وقد صرحوا بذكره فى كتبهم » .

(٧) موضع هذه الخطبة فيما عدا ل ، هـ ، فى ص ٥٦ قبل خطبة ابن مسعود .

(٨) المضمار : الزمان الذى تضمر فيه الخيل للسباق ، والموضع مضمار كذلك . وكلمة « اليوم » تكملة من نهج البلاغة وإعجاز القرآن للباقلانى ١٢١ وعيون الأخبار (٢ : ٢٣٥) .

(٩) التكملة من نهج البلاغة وما عدا ل .

(١٠) وكذا فى نهج البلاغة . وفيما عدا ل ، هـ : « ولم يضره أمله » ، وهما وجهان جائزان فى العربية ، الفك والإدغام .

خسِر عملُه ، وضَرّه أملُه . ألَا فاعمَلوا للهِ فى الرَّغبة ، كما تعملون له فى الرَّهبة .

٢٦٨ ألاَ وإنِّى لم أر كالجنّة نام طالبُها ، ولا كالنَّار نامَ هاربها (١) . ألا وإنّه من لم ينفعْه الحقّ يضرّه الباطل ، ومن لم يستقم به الهُدَى يَجُرْ بِهِ الضّلال (٢) . ألاَ وإنّكم قد أُمرتم بالظَّعْن ، ودُلِلتُم على الزّاد ،وإنّ أخوفَ ما أخاف عليكم اتّباعُ الهوى وطُولُ الأمل .

ومن خطب على أيضا رضى الله عنه

قالوا : أغار سُفيان بن عوف الأزدىّ ثم الغامدىّ على الأنبار ، زمانَ علىّ ابن أبى طالب رضى الله عنه ، وعليها حسَّان – أو ابن حسَّان – البكرى (٣) فقتلَه ، وأزال تلك الخيلَ عن مَسالِحِها ، فخرج على بن أبى طالب رضى الله عنه حتّى جلَس على باب السُّدَّة (٤) ، فحمِد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ثم قال :

أمَّا بعدُ ، فإنّ الجهادَ بابٌ من أبواب الجنة (٥) . فمن تركه رَغبةً عنه ألبسه الله ثوبَ الذُّلّ ، وشمِله البلاء ، ولَزِمَه الصَّغار ، وسِيمَ الخَسفَ ، ومُنِعَ النَّصَف (٦) . ألاَ وإنِّى قد دعوتُكم إلى قتال هؤلاءِ القومِ ليلاً ونهارا ، وسِرًّا وإعلانا ، وقلت لكم : اغزُوهم قبل أن يَغزوكم ؛ فوالله ما غُزِىَ قومٌ قطُّ فى

---

(١) ابن أبى الحديد (١ : ١٤٧) : « يقول : إن من أعجب العجائب من يوقن بالنار كيف لا يهرب منها وينام . أى لا ينبغى أن ينام طالب هذه ولا الهارب من هذه » .

(٢) يجر ، من الجور ، وهو الميل عن القصد . ل : « يجزيه » محرف .

(٣) فى كامل المبرد ١٤ ليبسك وابن أبى الحديد (١ : ١٤١) حيث نقل عن الكامل « حسان ابن حسان » . وفيما عدا ل : « وعليها ابن حسان أو حسان البكرى » .. وذكر ابن أبى الحديد (١ : ١٤٥) أن ابن حسان هو أشرس بن حسان البكرى .

(٤) السدة : كالصفة تكون بين يدى البيت . وسدة المسجد : ما حوله من الرواق . الكامل وابن أبى الحديد : « حتى أتى النخيلة وأتبعه الناس ، فرقى رباوة من الأرض » .

(٥) بعده فى نهج البلاغة : « فتحه الله لخاصة أوليائه ، وهو لباس التقوى ، ودرع الله الحصينة ، وجنته الوثيقة » .

(٦) النصف ، بالتحريك ، وكذا النصفة : الإنصاف . ويقال النصف أيضاً مثلث النون .

عُقْر دارهم إلا ذلُّوا [١] فتواكلتم وتخاذلتُم ، وثَقُل عليكم قولى واتّخذتُموه وراءَكم ظِهريًّا ، حتى شُنَّت عليكم الغارات . هذا أخو غامدٍ قد وردتْ خيلُهُ الأنبار ، وقتَل حسَّان – أو ابن حسَّان – البكرىّ [٢] ، وأزال خيلكم عن مَسالحها [٣] ، وقتَل منكم رجالا صالحين [٤] ، ولقد بلغنى أنَّ الرّجلَ منهم كان يدخُل على المسلمِة والأُخرى المعاهَدة ، فينزع حِجْلها وقُلْبَها ورِعاثها [٥] ثم انصرفوا وافِرِين ، ما كُلِم رَجلٌ منهم كَلْماً ، فلو أنّ أمرأً مسلما مات من بعد هذا [٦] أسفاً ، ما كان عندى به ملوما ، بل كان به عِندى جديراً [٧] . فيا عجبا من جِدِّ هؤلاء القوم فى باطلهم ، وفَشَلِكم عن حَقِّكم . فقَبْحاً لكم وتَرحاً [٨] ، حين صِرتم هدفاً يُرمَى [٩] ، وفَيْئاً يُنتَهب ، يُغارُ عليكم ولا تُغِيرون ، وتُغْزَوْن ولا تَغزُون ، ويُعصَى اللهُ وتَرضَون ؛ فإذا أمرتُكم بالسَّير إليهم فى أيّام الحرّ قلتم : حَمارَّةُ القيظ [١٠] ، أمهِلْنا ينسلخْ عنّا الحرّ [١١].وإذا أمرتُكم بالسَّير فى البَرد [١٢] قلتم : أمهِلْنا ينسلخ عنا القُرُّ . كلُّ ذا فِراراً من الحَرّ والقُرّ . فإذا كنتم من الحرّ ٢٦٨
والقُرّ تفرُّون ، فأنتم والله من السيف أفَرّ . يا أشباهَ الرِّجال ولا رجالَ ، ويا أحلامَ الأطفالِ وعقولَ رَبّاتِ الحِجَال ، ودِدتُ أنّ الله قد أخرجنى من بين ظَهرانَيْكم

---

(١) عقر القوم ، بالضم والفتح : محلتهم بين الدار والحوض .

(٢) نهج البلاغة والكامل : « حسان بن حسان » .

(٣) ل فقط : « خيلهم » .

(٤) هذه الجملة لم ترد فى غير البيان .

(٥) الحِجل : الخلخال . والقلب ، بالضم : السوار . والرعاث : جمع رعث ، بالفتح ، ورعثة بالضم والتحريك ، وهو القرط . فيما عدا ل : « فينتزع أحجالها وقلبها ورعثها » .

(٦) فيما عدا ل : « من بعدها » .

(٧) هـ . « بها » موضع « به » فى الموضعين .

(٨) قبحه الله قبحاً : أقصاه وباعده من كل خير . يقولون قبحاً له وشقحاً ، بفتح أولهما وضمه .

(٩) الكامل ونهج البلاغة وعيون الأخبار (٢ : ٢٣٦) وما عدا ل : « غرضاً يرمى » .

(١٠) حمارة القيظ بتخفيف الميم وتشديد الراء : شدة حره . هـ : « فى الحر » .

(١١) وكذا فى نهج البلاغة . فيما عدا ل : « حتى ينسلخ عنا الحر » . الكامل : « أنظرنا ينصرم عنا الحر » .

(١٢) هـ : « بالسير إليهم فى الشتاء » .

وقَبَضَنِي إلى رحمته من بينكم . والله لَوَدِدْتُ أنّى لم أرَكُمْ ، ولم أعرِفكم . معرفةٌ والله جَرَّتْ ندَماً . قد وَرَيْتم صدرى غيظاً (١) ، وجَرَّعتمونى الموت أنفاساً (٢) ، وأفسدتُمْ علىَّ رأيى بالعصيان والخِذْلان ، حتى قالت قريش : ابنُ أبى طالب شجاعٌ ولكن لا علمَ له بالحرب . لله أبوهم ، وهل منهم أحدٌ أشدُّ لها مِراساً أو أطولُ لها تجربةً منّى ؟ لقد مارستها وما بلغتُ العشرين (٣) ، فهأنذا قد نيّفت على السّتين (٤) ولكن لا رأىَ لمن لا يُطاع .

قال : فقام له رجلٌ من الأزد يقال له فلان بن عفيف (٥) ، ثم أخذ بيد ابن أخٍ له فقال : هأنذا يا أمير المؤمنين لا أملك إلا نفسى وابنَ أخى (٦) فأْمُرْنا بأمرك (٧) فوالله لنَمْضينَّ له ولو حال دون أمرك شوك (٨) الهَرَاس (٩) ، وجَمرُ الغَضَى . فقال لهما علىّ : وأين تبلغان ما أريد ، رحمكما الله .

وخطبة له أخرى بهذا الإسناد فى شبيه بهذا المعنى

قام فيهم خطيبا فقال (١٠) :

---

(١) يقال ورى القيح جوفه يريه ورياً : أكله . فيما عدا ل : « وورثتم صدرى غيظاً » . نهج البلاغة : « وشحنتم صدرى غيظاً » .

(٢) أنفاساً : جمع نفس ، بالتحريك ، وهو الجرعة من الماء ونحوه .

(٣) فيما عدا ل ، هـ : « العشرين فيها » .

(٤) نهج البلاغة : « قد ذرفت على الستين » .

(٥) هـ : « غضيف » .

(٦) فيما عدا ل : « أنا وأخى كما قال الله : رب إنى لا أملك إلا نفسى وأخى » .

(٧) فيما عدا ل : « فمرنا بأمرك » .

(٨) فيما عدا ل : « لنضربن دونك وإن حال دونك جمر الغضى » .

(٩) الهراس ، بالفتح : شجر كثير الشوك . ب ، حـ : « وشوك القتاد » . وبعد هذه الكلمة فيما عدا ل : « قال : فأثنى عليهما وقال لهما خيراً وقال : أين تقعان مما أريد . ثم نزل » .

(١٠) ابن أبى الحديد (١ : ١٥٢) : « وهذه الخطبة خطب بها أمير المؤمنين فى غارة للضحاك ابن قيس » ، وذلك بعد الحكمين ، وقبل قتال النهروان .

أيها الناسُ المجتمعة أبدانهم ، المختلفة أهواؤكم (١) ، كلامكم يُوهِى الصُّمَّ الصِّلَاب ، وفعلكم يُطمع فيكم عَدُوَّكم . تقولون فى المجالس كَيتَ وكَيتَ ، فإذا جاء القتال قلتم : حِيدِى حَيَادِ (٢) . ما عَزَّت دعوةُ مَن دعاكم ، ولا استراح قلبُ من قاساكم ، أعاليلُ بأَضاليل (٣) . سألتمونى التأخيرَ دِفاعَ ذى الدَّين المَطُولِ (٤) . هيهات لا يمنع الضَّيمَ الذّليلُ ، ولا يُدرَك الحقُّ إلا بالجِدّ . أىَّ دارٍ بعد داركم ٢٦٩ تَمنعون ؟ أم مع أىِّ إمامٍ بعدى تقاتلون . المغرورُ والله مَن غَرَرتموه ، ومَن فاز بكم فاز بالسهم الأَخيَب . أصبحتُ والله لا أصدِّق قولكم ، ولا أطمَع فى نصركم . فَرَقَ الله بينى وبينَكم ، وأعقبَنِى بكم مَن هو خيرٌ لى منكم . لَوَددتُ أنَّ لى بكلِّ عشرة منكم رجلاً من بنى فِرَاسِ بن غَنمٍ ، صَرْفَ الدِّينار بالدِّرهم .

خطبة عبد الله بن مسعود رحمه الله

أصدَقُ الحديث كتاب الله ، وأوثق العُرى كلمة التّقوى ، وخير المِلل مِلّة إبراهيم ﷺ ، وأحسن السّنَن سنّة محمد ﷺ (٥) ، وشرُّ الأمور مُحْدَثاتها ، وخير الأمور عزائمها ؛ ما قلّ وكفى خيرٌ مما كثر وألهى . نفسٌ تُنْجيها خيرٌ من إمارة لا تُحْصِيها (٦) ؛ خيرُ الغِنى غِنى النّفس . خَيرُ ما أُلقِىَ فى

---

(١) هذا على الالتفات . نهج البلاغة : « أهواؤهم » .

(٢) حيدى حياد : كلمة يقولها الهارب الفار . مِن حاد عن الشئ ، أى انحرف . وحياد كقطام .

(٣) ابن أبى الحديد : « الباء فى قوله بأضاليل متعلقة بأعاليل نفسها ، أى يتعللون بالأضاليل التى لا جدوى لها » .

(٤) المطول من المَطْل ، وهو التسويف والمدافعة بالوعد .

(٥) وسلم ، ليست فى هـ . وبعدها فى إعجاز القرآن ١٢٢ : « خير الأمور أوساطها » .

(٦) فى هامش التيمورية : « معناه أن يحكم الإنسان نفسه فيردها عن الشهوة والظلم لينجيها بذلك ، خير له من أن يكون أميراً على جماعة لا يقدر أن يعدل فيهم فيوبق نفسه » .

القلب اليقين . الخمر جِمَاعُ الآثام [١] . النساء حِبَالَةُ الشَّيطان . الشبابُ شُعبة من الجنون . حبُّ الكفاية مِفتاح المَعْجَزة [٢]. من الناس من لا يأتى الجماعة إلا دَبْراً [٣] ، ولا يذكر الله إلا نَزْراً [٤] . أعظَمُ الخطايا اللسان الكَذوب . سِباب المؤمِن فِسق [٥] ، وقتاله كفر ، وأكل لَحمِه معصية . من يَتألَّ على الله يُكْذِبْه [٦] ومن يَغفر يُغفَرْ له . مكتوبٌ فى ديوان المحسِنِين : مَن عفا عُفِيَ عنه . الشقى من شَقِى فى بطن أمه . السَّعيد مَن وُعِظ بغيره . الأمور بعواقبها . مِلَاك الأمر خواتمه [٧]. أحسن الهَدْى هَدْىُ الأنبياء . أقبح الضَّلالة الضلالةُ بعدَ الهدَى . أشرف الموتِ الشهادة . مَن يعرِف البلاءَ يصبرْ عليه . من لا يعرف البلاء يُنكره .

خطبة عتبة بن غزوان السُّلَمى بعد فتح الأُبُلَّة

٢٧٠ حَمِدَ الله وأثنى عليه وصلَّى على النبى ﷺ ثم قال :

أَمَّا بعد فإن الدنيا قد تولت حَذَّاءَ مُدْبِرة [٨] ، وقد آذنت أهلها بصُرْمٍ ، وإنَّما بقى منها صُبَابةٌ كصُبابة الإناء يصطبُّها صاحبها [٩] . ألَا وإنكم منقولون

---

(١) جماع الشى : مجمعه ومظنته ، كما فى اللسان (جمع ٤٠٥) . والآثام : جمع إثم . وفى إعجاز القرآن : « جماع الإثم » .

(٢) المعجَزة : بالفتح : مصدر ميمى من عجز ، وفى هامش التيمورية : « يريد الكفاية من العبادة : أن يستغنى الإنسان بالقليل منها عن الكثير فيؤدى ذلك إلى العجز » .

(٣) الدبر ، بالفتح والضم ، أى آخر الوقت . وفى الحديث فى علامة المنافقين : « ولا يأتون الصلاة إلا دبرا » . اللسان (٥ : ٣٥٤) .

(٤) فيما عدا ل وكذا فى إعجاز القرآن ، والعقد : (٤ : ١٣٩) طبع لجنة التأليف : « إلا هجرا » . وفى هامش التيمورية : « أى لا يذكره إلا إذا حلف بيمين حانثا » .

(٥) وكذا فى إعجاز القرآن . فيما عدا ل : « فسوق » .

(٦) أى من حكم عليه وحلف ، كقولك : والله ليدخلن الله فلانا النار ، ولينجحن الله سعى فلان . انظر اللسان (١٨ : ٤٣) .

(٧) فيما عدا ل وكذا إعجاز القرآن : « ملاك العمل خواتيمه » .

(٨) حذاء : سريعة الإدبار . والحذذ : السرعة والخفة . وكلمة « حذّاء مدبرة » ليست فى العقد (٤ : ١٣٠) .

(٩) يقال : اصطبَّ الصبابة وتصببها ، أى شربها . والصبابة ، بالضم : بقية الماء واللبن ونحوهما فى الإناء والسقاء .

منها إلى دارٍ لا زوال لها ، فانتقِلوا منها بخير ما يحضرُكم (١) ؛ فإنه قد ذُكِرَ لنا (٢) أنّ الحَجَر يُلقى فى النار من شَفيرها (٣) فيهوى فيها سبعين عاما (٤) لا يُدرِك لها قَعرا . والله لتُملأَنّ . أفعجبتم ولقد ذُكر لنا أن بين مصراعين من الجنّة مسيرةَ أربعين سنة (٥) ، وليأتينَّ عليه وقت (٦) وهو كظيظٌ بالزِّحام . ولقد رأيتنى سابعَ سبعة مع رسول الله ﷺ (٧) وما لنا طعامٌ إلا ورق الشجر (٨) حتى قَرِحت أشداقنا ، فالتقطتُ بُردةً فشققتها بينى وبين سعد بن مالك (٩) فائتزرتُ بنصفها وائتزر بنصفها ، فما أصبح اليومَ أحدٌ منا حيًّا إلا أصبح أميراً على مصر من الأمصار (١٠) . وإنى أعوذ بالله من أن أكون فى نفسى عظيما ، وعند الله صغيراً (١١) وإنها لم تكن نبوّة قطُّ إلا تناسخَتْ حتى يكون عاقبتُها مُلْكا (١٢) . وستَخْبُرُون الأمراءَ بعدى فتعرفون وتُنكِرون (١٣) .

---

(١) فى العقد وما عدا ل : ألا وإنكم مفارقوها لا محالة ، ففارقوها بأحسن ما يحضركم » .

(٢) بدله فى العقد وما عدا ل : « ألا وإن من العجب أنى سمعت رسول الله ﷺ يقول » .

(٣) فيما عدا ل : « إن الحجر الضخم يلقى فى النار » . العقد : « إن الحجر الضخم يرمى به فى شفير جهنم » .

(٤) فى العقد وما عدا ل : « خريفاً » . والكلام بعدها إلى « أفعجبتم » من ل فقط .

(٥) بدل هذه العبارة فيما عدا ل والعقد : « ولجهنم سبعة أبواب ما بين البابين مسيرة خمسمائة سنة » ، لكن فى العقد : « بين كل بابين منها مسيرة خمسمائة عام » .

(٦) فيما عدا ل : « ولتأتين عليه ساعة » . العقد : « ولتأتين عليها ساعة ولها كظيظ بالزحام » .

(٧) فى العقد وما عدا ل : « ولقد كنت مع رسول الله سابع سبعة » .

(٨) فى العقد وما عدا ل « البشام » وهو كسحاب : شجر عطرى الرائحة يستاك به .

(٩) فى العقد وما عدا ل : « فوجدت أنا وسعد بن مالك نمرة فشققتها بينى وبينه » .

(١٠) العقد وما عدا ل : « وما منا أحد اليوم إلا وهو أمير على مصر » .

(١١) ما عدا ل : « وفى أعين الناس صغيرا » .

(١٢) بدل هذه العبارة فيما عدا ل : « وإنه لم تكن نبوة قط تناسختها جبرية » .

(١٣) هذه العبارة ساقطة من العقد . وفيما عدا ل : « وستجربون » بدل « وستخبرون » .

خطبة من خطب معاوية رحمه الله [١]

رواها شعيب بن صفوان [٢] ، وزاد فيها البقطَرىّ [٣] وغيره ، قالوا : لما حضرَتْ معاويةَ الوفاةُ قال مولًى له : من بالباب ؟ قال [٤] : نفرٌ من قريش يتباشرون بموتك . فقال : ويْحَك ، ولِمَ ؟ قال : لا أدرى ، قال:فوالله ما لهُمْ بعدى إلاّ الذى يسوؤهم . وأذِنَ للنّاس فدخلوا ، فحمِد الله وأثنى عليه وأوجَزَ ثم قال :

أيّها النّاس ، إنّا قد أصبحنا فى دهر عَنُود [٥] ، وزمن شديد ، يُعَدُّ فيه المحسنُ مسيئاً . ويزداد فيه الظالم عُتُواً ، ولا نَنتفِع بما عَلِمنْاه ، ولا نَسأل عَمّا ٢٧١ جهلناه ، ولا نتخوّف قارعة حتّى تحلّ بنا . فالناس على أربعة أصناف : مِنهم من لا يمنعه الفسادَ فى الأرض إلاّ مهانةُ نفسه ، وكَلال حَدّه ، ونضيض وَفْرِه [٦].ومنهم المُصلِت لسيفه ، المُجْلِب بخيله ورَجْله ، والمُعلن بسرّه ؛ قد أشْرَطَ لذلك نفسَه [٧] ، وأَوبَق دينه ، لحُطامٍ ينتهزه ، أو مِقْنَب يقودُه ، أو مِنبر يَفْرَعُه [٨].ولَبئسَ المتجرُ أن تراها [٩] لنفسك ثمناً ، ومِمّا لَكَ [١٠] عند الله عوضا . ومنهم مَن

---

(١) فيما عدا ل : « معاوية بن أبى سفيان رضى الله تعالى عنهما » .

(٢) هو أبو يحيى شعيب بن صفوان بن الربيع الثقفى الكوفى الكاتب ، ذكره ابن حبان فى الثقات سكن بغداد ومات بها أيام الرشيد . تاريخ بغداد ٤٨١٣ وتهذيب التهذيب .

(٣) كذا فى ل مع ضبط الطاء بالفتح . وفيما عدا ل : « اليقطرى » .

(٤) ل : « قال لموال له من بالباب ؟ قالوا » . وسائر العبارة فى ل بجمع الضمائر للموالى . وأثبت ما فى سائر النسخ والعقد (٤ : ٨٨) وإعجاز القرآن ١٢٣ وعيون الأخبار (٣ : ٢٣٧) وابن أبى الحديد (١ : ١٧٢) حيث نسبت الخطبة فى الأخير إلى على بن أبى طالب .

(٥) العنود : الجائر الطاغى . ل « عتود » ، تحريف .

(٦) التضيض : القليل . والوفر : المال .

(٧) أشرط نفسه للأمر : أعدها وهيأها . والإشراط : الإعلام بعلامة .

(٨) يفرعه : يعلوه .

(٩) فى الأصول والعقد وعيون الأخبار : « تراهما » ، صوابها من إعجاز القرآن . وفى نهج البلاغة : « أن ترى الدنيا لنفسك » .

(١٠) هـ : « ولما لك » .

يطلب الدنيا بعملِ الآخرة ، ولا يطلب الآخرةَ بعمل الدنيا ، قد طامَن من شخصه ، وقارب مِن خطوه [١] وشمّر من ثوبه ، وزخرف نَفْسَه للأمانة [٢] ، واتّخذ سِتر الله ذريعةً إلى المعصية [٣] . ومنهم مَن أقعَدَه عن طلبَ المُلْك ضُؤُولة نَفْسه ، وانقطاعٌ من سببه [٤] ، فقصَّرت به الحالُ عن أَمَله . فتحلى باسم القناعة ، وتزيَّنَ بِلباس الزَّهادة [٥] وليس من ذلك فى مَرَاحٍ ولا مَغْدًى . وبقىَ رِجالٌ غَضٌّ أبصارَهم ذكرُ المرجِع ، وأراق دموعَهم خوفُ المحشَر [٦] ، فهم بين شريد نادٍّ [٧] ، وخائِف منقمِع ، وساكت مكعوم [٨] ، وداعٍ مخلص ، وموجَع ثَكْلان ، قد أخملتهم التّقِيّةُ ، وشَملتهم الذّلّة ، فهم فى بحرٍ أُجَاج ، أفواههم ضامزة [٩] ، وقلوبهم قَرِحَة ، قد وُعِظوا حتّى ملُّوا ، وقُهِرُوا حتّى ذَلُّوا ، وقُتلوا حتى قلُّوا . فلتكن الدنيا فى عيونكم [١٠] أصغرَ من حُثالة القَرَظ [١١] ، وقُرَاضة الجَلَمَيْن [١٢] ، واتّعظوا

---

(١) ل : « فى خطوه » . وأثبت ما فى سائر النسخ والمصادر المتقدمة .

(٢) فى العقد : « بالأمانة » .

(٣) فيما عدا ل : « للمعصية » .

(٤) إعجاز القرآن والعقد وما عدا ل : « وانقطاع سببه » .

(٥) العقد : « وتزيا » . العيون والإعجاز وما عدا ل : « الزُّهاد » . وفى نهج البلاغة: « بلباس أهل الزهادة » .

(٦) العقد : « خوف المضجع » .

(٧) الناد : النافر الذاهب على وجهه . فيما عدا ل : « نافر » ، وأشير فى هـ إلى « ناد » .

(٨) المكعوم : المشدود بالكعام ، وهو ككتاب : شئ يجعل على فم البعير . ل فقط : « معكوم » تحريف .

(٩) ضامزة : ساكنة ؛ من قولهم : ضمز البعير : أمسك جرته فى فيه . العقد والعيون : « ضامرة » بالراء ، تحريف صوابه فى نهج البلاغة . وفى إعجاز القرآن : « دامية » .

(١٠) وكذا فى الإعجاز .وفى العقد والعيون وما عدا ل : « أعينكم » .

(١١) ل : « القرط » محرف ، صوابه فى هـ والعقد والعيون والإعجاز والنهج . وفى سائر النسخ : « القرظة » . والقرظة : واحدة القرظ .

(١٢) الجلمان : المقص يجز به أوبار الإبل . والقراضة : ما يقع من القرض والقطع . العقد : « قرادة الحلم » ، تحريف . وفى سائر المصادر : « قراضة الجلم » .

بمَن كان قبلكم ، قبلَ أن يتّعظ بكم مَن يأتى بَعدَكم . فارفُضوها ذَميمةً ؛ فإنّها رَفضت مَن كان أشغَفَ بها منكم .

* * *

وفى هذه الخطبة أبقاك الله ضروبٌ من العجب : منها أنّ الكلام لا يشبه السبَبَ الذى من أجله دعاهم معاوية ، ومنها أنّ هذا المذهبَ فى تصنيف الناس ، وفى الإخبار عمّا هم عليه من القَهر والإذلال ، ومن التّقيّة والخَوف . أشبه بكلام على رضى الله عنه ومعانيه وحالِه منه [1] بحال معاوية . ومنها أنّا لم نَجِدْ معاويةَ فى حالٍ من الحالات يسلُك فى كلامه مَسلك الزُّهّاد ، ولا يذهبُ مذَاهب العُبّاد. وإنما نكتب لكم ونخبِرُ بما سَمِعناه ، والله أعلمُ بأصحاب الأخبار ، وبكثير منهم [2].

٢٧٢ خطبة زياد بالبصرة

وهى التى تدعَى البَتْراء [3]

قال أبو الحسن المدائنى [4] ، وغيره ؛ ذكر ذلك عن مَسلمة بن محارب ، وعن أبى بكر الهُذَلىّ قالا : قدم زيادٌ البَصرة واليا لمعاوية بن أبى سفيان ، [وضمَّ إليه

---

(١) فيما عدا ل : « و بمعانيه و بحاله منه » .

(٢) وكذا قال الرضى فى نهج البلاغة معقبا على هذه الخطبة وقد نسبها إلى على ، قال : « وهذه الخطبة ربما نسبها من لا علم له إلى معاوية ، وهى من كلام أمير المؤمنين عليه السلام الذى لا يشك فيه ، وأين الذهب من الرغام ، والعذب من الأجاج ، وقد دل على ذلك الدليل الخريت ، ونقده الناقد البصير : عمرو بن بحر الجاحظ ، فإنه ذكر هذه الخطبة فى كتاب البيان والتبيين ، وذكر من نسبها إلى معاوية ثم قال : هى بكلام على أشبه ... » إلى آخر كلامه .

(٣) انظر سبب تسميتها بالبتراء فى أوائل هذا الجزء ص ٦ س ٦ . وأوردها ابن قتيبة فى عيون الأخبار (٢ : ٢٤١ ، ٢٤٣) برواية أخرى وجعلها خطبتين . ونحو رواية ابن قتيبة فى نوادر القالى ١٨٥ . أما صاحب العقد فقد أوردها من رواية المدائنى موافقة ما فى البيان . وجاء بها الطبرى فى حوادث سنة ٤٥ مقاربة لذلك .

(٤) بعدها فى ل : « وغيره » . وهى مقحمة فيما أرى ، وليست فى العقد .

خراسان وسجستان ، والفسقُ بالبصرة كثير فاشٍ ظاهر [١]] .

قالا : فخطب خطبة بتراءَ ، لم يَحمَد الله فيها ، ولم يصلِّ على النبىّ .

وقال غيره : بل قال :

الحمد لله على إفضاله وإحسانه ، ونسأله المزيدَ من نِعَمه وإكرامه . اللهُمّ كما زدتنا نِعَما فألهِمْنا شُكْراً .

أما بعد فإنّ الجهالَة الجَهلاء ، والضّلالة العمياء ، والغَىَّ الموفىَ بأهله على النار ، ما فيه سفهاؤكم ويشتمل عليه حلماؤكم ، من الأمور العظام يَنْبُتُ فيها الصغير ، ولا ينْحاشُ عنها الكبير [٢] ، كأنّكم لم تقرءوا كتابَ الله ، ولم تسمعوا ما أعَدّ الله مِن الثّواب الكريم لأهل طاعته ، والعذابِ الأليم لأهل معصيته ، فى الزمن السَّرمَدِ [٣] الذى لا يزول ، أتكونون كمن طرفت عينَه الدُّنيا ، وسَدَّت مسامعَه الشهواتُ ، واختار الفانيةَ على الباقية ، ولا تذكرون أنّكم أحدثتم فى الإسلام الحَدَثَ الذى لم تُسبَقوا إليه : مِن تَركِكم [٤] الضعيفَ يُقهرَ ويؤخذُ مالُه ، وهذه المواخير المنصوبة [٤] ، والضعيفةَ المسلوبةَ فى النَّهار المُبْصِر ، والعددُ غير قليل . ألم تكن منكُم نُهاةٌ تَمنع الغُواةَ عن دَلَج الليل وغارة النهار ؟! قرّبتُم القَرابة ، وباعدتم الدِّين ، تعتذرون بغير العُذر ، وتُغْضُون على المختلس [٥] . ألَيْسَ [٦] كلُّ امرئ منكم يذُبُّ عن سفِيهه ، صُنْعَ [٧] مَن لا يخافُ عاقبةً ولا يرجو مَعاداً . ما أنتم بالحلماء ،

---

(١) التكملة من العقد ومما عدا ل .

(٢) انحاش عن الأمر : نفر منه . العقد والطبرى : « ولا يتحاشى » ، ولست أحقُّها .

(٣) العقد : « السرمدى » .

(٤ — ٤) العقد والطبرى : « من ترككم هذه المواخير المنصوبة » .

(٥) ل : « على الذم » وأثبت ما فى سائر النسخ والعقد . وفى الطبرى : « وتغطون على المختلس » .

(٦) كلمة « أليس » فى ل فقط .

(٧) فى الطبرى والعقد وما عدا ل ، هـ : « صنيع » . وأشير فى هـ إلى رواية صنيع .

ولقد اتبعتم السُّفهاء ، فلم يَزَلْ بكم ما ترون [١] مَن قيامكم دُونَهم حتّى انتهكوا حُرَم الإسلام ، ثم أطرقوا وراءكم كُنُوسا فى مَكَانِس الرِّيَب . حَرامٌ علىَّ الطّعامُ والشرابُ حتى أسوّيها بالأرض ، هَدْماً وإحراقا . إنّى رأيتُ آخِرَ هذا الأمرِ ٢٧٣ لا يصلُح إلّا بما صَلُح به أوَّلُه : لينٌ فى غير ضَعف ، وشدةٌ فى غير عُنف[٢] . وإنّى أُقسم بالله ، لآخُذَنَّ الولىَّ بالولىّ [٣] ، والمقيم بالظّاعن ، والمقبلَ بالمدْبر ، والمطيع بالعاصى ، والصَّحيحَ منكم فى نفسه بالسقيم ، حتّى يَلقَى الرَّجُل منكم أخاه فيقول : انجُ سعدُ فقد هلك سُعَيْدٌ ، أو تستقيمَ لى قناتُكم . إنَّ كِذْبَةَ المِنبر بلقاءُ مَشْهُورةٌ [٤] ، فإذا تعلَّقتم علىّ بكِذبةٍ فقد حلّت لكم معصيتى ، وإذا سمعتموها مِنّى فاغتمزُوها فىَّ [٥] واعلموا أنَّ عندى أمثالَها . من نُقِبَ منكم عَلَيْه فأنا ضامنٌ لما ذهبَ منه [٦] . فإيّاىَ ودَلَجَ اللّيل ؛ فإنّى لا أُوتَى بمُدلج إلا سفكتُ دمَه . وقد أجّلْتُكم فى ذلك بمقدار [٧] ما يأتى الخبرُ الكُوفَة ويرجعُ إليكم . وإياىَ ودعْوةَ الجاهليّة [٨] ؛ فإنى لا آخُذ داعياً بها [٩] إلا قطعتُ لسانه . وقد أحدثْتم أحداثاً لم تكُن ، وقد أحدثْنا لكلّ ذنبٍ عقوبة : فمَنْ غرَّق قوما غرَّقناه ، ومَن أحرق قوماً أحرقناه ، ومن نقبَ بيتاً نقبنا عن قلبه ، ومَن نبش قبراً دفنَّاه فيه حَيًّا . فكُفُّوا عَنِّى أيديَكم وألسنَتكم ، أكفُفْ عنكم يدى ولسانى . ولا تَظْهَرُ على

---

(١) وكذا فى العقد . وفى ل : « فلم يزل بهم ما ترون » .

(٢) الطبرى : « فى غير جبرية وعنف » .

(٣) العقد فقط : « الولى بالمولى » .

(٤) الطبرى : « تبقى مشهورة » .

(٥) اغتمز الشئ : استضعفه . ل : « فاعتبروها فى » . النوادر : « فاختبروها فى » .

(٦) ل : « له » .

(٧) ل : « بقدر » .

(٨) العقد والطبرى والعيون : « ودعوى الجاهلية » . وفى اللسان : « وفى الحديث ما بال دعوى الجاهلية . هو قولهم يالفلان . كانوا يدعون بعضهم بعضا عند الأمر الحادث الشديد.ومنه حديث زيد بن أرقم : فقال قوم : ياللأنصار . وقال قوم : يا للمهاجرين ! فقال عليه السلام : دعوها فإنها منتنة » .

(٩) هـ : « لا أجد أحداً دعا بها » .

أحدٍ منكم ريبةٌ بخلاف ما عليه عامتكُم إلاّ ضربتُ عنقه . وقد كانت بينى وبين أقوامٍ إحَنٌ فجعَلتُ ذلك دَبْرَ أُذْنى [١] وتحتَ قَدَمِى ، فمَن كان منكم محسناً فليزدد إحساناً ، ومن كان منكم مُسيئاً فلينْزِع عن إساءته . إنِّى والله لو علمتُ أنّ أحدكم قد قتله السُّلُّ مِن بُغضى لم أكشِف له قِناعا ، ولم أهْتِكْ له سِتراً ، حتى يُبدِىَ له صفحتَه ، فإذا فَعَلَ ذلك لم أناظِرْه . فاستأنِفُوا أموركم ، وأرْعُوا على أنفسكم [٢] ، فَربَّ مَسُوءٍ بقدومنا سنسرُّهُ [٣] ومسرورٍ بقدومنا سنسوؤه [٤] .

أيها الناس ، إنّا أصبحنا لكم سادة ، وعنكم ذَادةً ، نَسُوسُكم بسلطان الله الذى أعطانا ، ونذودُ عنكم بفَىْءِ الله الذى خَوَّلَنا . فلنا عليكم السَّمعُ والطاعة فيما أحبَبْنا ، ولكم علينا العدل والإنصاف فيما وُلِّينا . فاستوجِبُوا عَدْلنا وفَيْئَنا بمناصَحتِكم لنا ، واعلموا أنّى مهما قصَّرتُ عنه فلن أقصِّر عن ثلاثٍ : لستُ محتجباً عن طالبِ حاجةٍ منكم ولو أتانى طارقاً بلَيل ، ولا حابساً عطاءً ٢٧٣ ولا رزقا عن إبّانه ، ولا مجمِّراً لكم بَعثا [٥] . فادعُوا الله بالصَّلاح لأئمتكم ؛ فإنهم ساستكم المؤدِّبون [٦] ، وكهفُكم الذى إليه تأوُون ، ومتى يصلُحوا تَصلُحوا . ولا تُشْرِبوا قلوبَكم بُغْضَهم فيشتدَّ لذلك غيظكم ، ويطولَ له حُزنكم ، ولا تُدْرِكوا بِهِ حاجتكم ، مع أنّه لو استُجيب لكم فيهم لكان شراً لكم . أسأل الله أن يُعينَ كُلاًّ على كلٍّ . وإذا رأيتُمونى أُنفِذ فيكم الأمرَ فأنْفِذوه على

---

(١) ل : « جعلتها دبر أذنى » .

(٢) الإرعاء : الإبقاء والرفق . الطبرى والعقد وما عدا ل : « وأعينوا على أنفسكم » .

(٣) الطبرى والعقد وما عدا ل : « غرب مبتئس بقدومنا سيسر » .

(٤) الطبرى والعقد وما عدا ل : « سيبتئس » .

(٥) انظر ما سبق فى ص ٤٨ ص ٣ .

(٦) ل : « ساساتكم » . وساسات : جمع ساسة ، كسادات جمع سادة .

أذلاله (١) وأيمُ الله إنَّ لى فيكم لَصَرعَى كثيرةً ، فليحذرْ كلُّ امرئٍ منكم أن يكون من صَرْعاى .

قال : فقام إليه عبدُ الله بن الأهتم (٢) فقال : أشهدُ أيُّها الأمير ، لقد أُوتِيتَ الحكمةَ وفَصلَ الخطاب . فقال له : كذبتَ ، ذلك نبيُّ الله داود صلى الله عليه .

فقام الأحنفُ بن قيس فقال (٣) : أيُّها الأمير ، إنما المرءُ بجَدِّه ، والجوادُ بشَدِّه،وقد بلَّغَك جَدُّك أيُّها الأميرُ ما تَرى ، وإنما (٤) الثناءُ بعد البلاءِ ، والحمد بعد العَطاء ، وإنا لن نُثنِيَ حتى نَبتلى . فقال زياد : صدقت .

فقال إليه أبو بلال مِرداس بن أُدَيّة (٥) ، وهو يهمس ويقول : أنبأنا الله بغير ما قلت ، فقال (٦) : ﴿ وإبراهيمَ الذى وَفّى . ألاّ تَزرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى . وَأَنْ لَيسَ لِلإنْسَانِ إلاّ ماَ سَعَى ﴾ . وأنتَ تزعُم أنك تأخذ البرىء بالسقيم ، والمطيعَ بالعاصى ، والمقبلَ بالمدبر . فسمعه زيادٌ (٧) فقال : إنا لا نبلغُ ما نُريدُ فيك وفى أصحابك حَتّى نخوض إليكمُ الباطلَ خَوْضاً .

وقال الشعبى (٨) : ما سمعتُ متكلِّماً على مِنبرٍ قطُّ تكلَّمَ فأحسَنَ إلاّ أحببتُ

---

(١) على أذلاله : على طرقه ووجوهه ، واحده ذل ، بكسر الذال ، وهو ما مهِّد وذلل من الطريق .

(٢) فى نوادر القالى ١٨٥ : « صفوان بن الأهتم » .

(٣) الكلام بعده إلى نهاية « ما ترى » من ل فقط ، وفى النوادر : « إن الجواد بشده ، وإن السيف بحده ، وإن المرء بجده » . ونحوه فى عيون الأخبار . ولم يذكر فى العقد والطبرى .

(٤) الواو ساقطة مما عدا ل ، لأنها فيها أول كلام الأحنف .

(٥) هو أبو بلال مرداس بن أدية – بهيئة التصغير – أحد الخوارج ، خرج فى أيام يزيد بن معاوية بناحية البصرة على عبيد الله بن زياد ، فبعث إليه زرعة بن مسلم العامرى ، فهزم زرعة.ثم وجه إليه عباد بن علقمة – ويقال له أيضاً عبّاد بن أخضر – فهزمه وقتله سنة ٦١ ، وهى سنة مقتل الحسين . وقد أنشد الجاحظ له شعراً فى الحيوان (٥ : ٢٥).وانظر الطبرى (٦ : ٢٧١) ولسان الميزان (٦ : ١٤) وجمهرة ابن حزم ٢١١ .

(٦) فيما عدا ل : « قال الله » .

(٧) فيما عدا ل : « فسمعها زياد » .

(٨) بدله فيما عدا ل : « خلاد بن يزيد الأرقط قال : سمعت من يخبر أن الشعبى قال » .

أن يسكتَ خوفاً أن يسيءَ ، إلاّ زياداً ؛ فإنّه كانَ كلّما أكثرَ كان أجودَ كلاماً .

أبو الحسن المدائنيّ قال : قال الحسن : أوْعَدَ عمرُ فَعُوفِيَ ، وأوْعَدَ زيادٌ فابتُلِيَ (١) .

قال : وقال الحسن : تشبّه زيادٌ بعُمَر فأفرط ، وتشبّهَ الحجّاج بزيادٍ فأهلك الناس .

* * *

٢٧٥ قال أبو عثمان : قد ذكرنا من كلام رسول الله ﷺ وخُطَبه صدراً ، وذكرْنا مِن خُطَب السلف رَحمهم الله جُمَلا ، وسنذكُر من مقطّعات الكلام ، وتجاوُب البُلغاء (٢) ، ومَواعظِ النُسّاك ، ونقصِدُ من ذلك إلى القصار دون الطّوال ؛ ليكون ذلك أخفَّ على القارئ ، وأبعَدَ من السآمة والمَلَل (٣) . ثم نعود بعد ذلك إلى الخطب المنسوبة إلى أهلها إن شاء الله . ولا قُوّةَ إلا بالله .

قال أبو الحسن المدائنيّ : قدِم عبد الرحمن بن سليم الكلبيّ ، على المهلّب ابن أبى صُفرة ، فى بعض أيّامه مع الأزارقة ، فرأى بَنيهِ قد ركبوا عَن آخرهم فقال : « شَدَّ الله الإسلامَ بتلاحُقِكم (٤) ، فوالله لئن لم تكونوا أسباطَ نُبُوّةٍ إنّكم لأسباط مَلْحَمَة » .

وقال أبو الحسن : دخل الهُذيل بن زُفَرَ الكلابىّ ، على يزيد بن المهلب فى حَمالات لزِمَتْه (٥) ، ونوائبَ نابَتْه ، فقال له : « أصلحك الله ، إنّه قد عظُم شأنُك ،

---

(١) ذاك أنه أصيب بالطاعون فقضى عليه . وقال عبد الله بن عمر حين بلغه مصرعه : اذهبْ إليك ابن سمية ، فلا الدنيا بقيت لك ، ولا الآخرةَ أدركت . انظر الطبرى (٦ : ١٦٢) فى حوادث سنة ٥٣ .

(٢) ما عدا هـ . « وتجارب البلغاء » .

(٣) فيما عدا ل : « والملال » .

(٤) فيما عدا ل : « أنس الله » .

(٥) الحمالة ، كسحابة : الدية يَحملها قوم عن قوم .

وارتَفَع قَدرُك أن يُستعان بك ، أو يستعانَ عليك (١) ولست تفعل شيئا من المعروف إلاّ وأنتَ أكبر منه (٢) . وليس العَجب من أن تفعَل ، ولكن العجبَ من أن لا تفعل » . قال يزيد : حاجَتَك . فذكرها ، فأمَرَ له بها ، وأمر له بمائة ألف . فقال : أمّا الحَمالات فقد قبلتها ، وأمّا المال فليس هذا موضعَه .

عيسى بن يزيد بن دأب (٣) ، عَمّن حدَّثه عن رجلٍ كان يجالس ابنَ عبّاس قال : قال عثمان بن أبى العاصى الثّقفى لبنيه (٤) : « يا بَنِىّ ، إنّى قد أمْجَدْتُكُم فى أمهّاتكم (٥) ، وأحسنت فى مهنة أموالكم (٦) ، وإنّى ما جلستُ فى ظِلّ رجلٍ من ثَقيف أشتم عِرضَه . والنّاكح مُغْتَرِسٌ ، فلينظرِ امروٌ منكم حيثُ يضع غَرسَه . والعِرق السَّوْءُ قَلّما يُنجِب (٧) ولو بَعد حِين » . قال : فقال ابنُ عباس : « يا غلامُ ، اكتبْ لنا هذا الحديث » .

قال : ولما همّت ثَقيف بالارتداد قال لهم عثمان : « معاشِرَ ثَقيف ، لا تكونوا آخرَ العرب إسلاما ، وأوّلَهم ارتداداً » .

قال : وسمِعتُ أعرابيًّا ذكر يوما قُريشا ، فقال : « كَفَى بقريشٍ شرَفاً أنّهم أقربُ النّاسِ نسباً برسول الله (٨) ﷺ ، وأقربُهم بيتاً من بيت الله » .

---

(١) فيما عدا ل ، هـ : « قد عظم شأنك عن أن يستعان عليك » .

(٢) فيما عدا ل : « ولست تصنع » .

(٣) سبقت ترجمته فى (١ : ٣٢٤) .

(٤) فى الأغانى (١٢ : ٤٥) أن الوصية لغيلان بن سلمة .

(٥) هو من قولهم أمجد فلانا ، إذا أعطاه ما كفى وفضل . أراد قد اخترت لكم نسباً كريماً .

(٦) المهنة ، بالفتح ، والكسر ، والتحريك ، وبفتح فكسر : الخدمة . ل : « وأحسنت مهنة أموالكم » .

(٧) هـ : « والعرق السيئ مما ينجب السوء » .

(٨) ل : « من رسول الله » .

٢٧٦ الأصمعىّ قال : قيل لعَقيل بن عُلَّفة:أتهجو قومك (١) ؟ قال : الغَنم إذا لم يُصْفَر بها لم تَشْرب (٢) .

قال : وقيل لعَقِيل : لم لا تُطيل الهجاء ؟ قال : « يكفيك من القِلادة ما أحاط بالعُنق » .

قال : وسأل عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه عَمرَو بن مَعد يكرب ، عن سَعد (٣) قال : كيف أميركم ؟ قال : «خيرُ أمير، نبطىٌّ (٤) فى حُبْوَتِهِ ، عَرَبِىٌّ فى نَمِرته (٥) ، أسدٌ فى تامُورته (٦) ، يعدِل فى القضيةّ ؛ ويَقسِم بالسَّوِيةَّ ، ويَنْفِر فى السَّرِيَّة (٧) ، وينقُل إلينا حقَّنا كما تَنقُل الذَّرَّةُ » . فقال عمر : لَشَدَّ ما تقارضتما الثّناء .

قال : ولمَّا تورَّد الحارثُ بن قيس الجَهْضَمىّ بعبيد الله بن زياد (٨) ، منزلَ مسعود بن عمرو العَتَكىّ (٩) ، عن غير إذْن ، فأراد مسعودٌ إخراجه من منزله ، قال عُبيد الله : قد أجارَتْنى ابنةُ عمِّك عليك (١٠) ، وعَقدُها العَقدُ الذى يلزمُك ،

---

(١) فيما عدا ل : « لم تهجو قومك » .

(٢) ما عدا ل ، هـ : « لم يصفر لها » .

(٣) هو سعد بن أبى وقاص مضت ترجمته فى (١ : ٢٦١) . ولى لكوفة لعمر ، وهو الذى بناها . والخبر فى الأغانى (١٤ : ٣١) والشعر والشعراء ٣٣٣ .

(٤) وكذا فى الشعراء . وفى اللسان (نبط) . « أعرابى فى حبوته ، نبطى فى حبوته » ، وقال: « أراد أنه فى جباية الخراج وعمارة الأرضين كالنبط ، حذقا بها » .

(٥) فى اللسان (٧ : ٩٤) . « أعرابى فى نمرته » . والنمرة : بردة من صوف يلبسها الأعراب .

(٦) التامورة : العرين ، وهو بيت الأسد .

(٧) كذا ، وفى اللسان (١٩ : ١٠٥) : « وفى حديث سعد : لا يسير بالسرية ، أى لا يخرج مع السرية فى الغزو » . والسرية : قطعة من الجيش نحو الأربعمائة ، سميت بذلك لأنها تسرى ليلا فى خفية ، لئلا ينذر بهم العدو فيحذروا ويمتنعوا » . والجملة ساقطة من هـ .

(٨) أى مع عبيد الله بن زياد . وتورد بمعنى ورد . وفى الاشتقاق ٢٩٤ : « والحارث بن قيس صهبان هذا ، هو الذى ذهب بعبيد الله بن زياد إلى مسعود حتى أجاره » .

(٩) فى الاشتقاق ٢٩٤ : « ومن رجالهم مسعود بن عمرو بن عدى بن محارب بن صنيم بن مليح ابن شرطان بن معن بن مالك ، الذى يقال له : قمر العراق . قتلته بنو تميم . كان سيد الأزد ، وهو الذى أجار عبيد الله بن زياد أيام الفتنة . أخو المهلب بن أبى صفرة لأمه » .

(١٠) هى أم بسطام امرأة مسعود ، وهى بنت عمه . الطبرى (٧ : ٢٣) . وكان قد استجار بها فى فتنة البصرة وأعطاها مائة ألف درهم .

وهذا ثوبُها علىَّ ، وطعامُها فى مذاخيرى (١) ، وقد التفَّ علىَّ منزِلُك . وشهد له الحارث بذلك .

قال : مَرَّ الشَّعبى بناسٍ من الموالى يتذاكرون النَّحو فقال : لئن أصلحتموه إنَّكم لَأَوَّل مَن أفسدَه .

قال : وتكلّم عبدُ الملك بن عُمير (٢) ، وأعرابىٌّ حاضر ، فقيل له : كيف ترى هذا الكلام ؟ فقال : لو كان كلامٌ يُؤتَدَم به لكان هذا الكلام ممَّا يؤتدم به (٣) .

وقال جريرٌ (٤) « العِذْرة طَرَفٌ من البُخْل (٥) » .

وقال جريرٌ (٦) : « الخَرَس خير من الخِلَابَة » .

وقال أبو عُمَر الضَّرير (٧) : « البَكَمُ خير من البَذَاءِ » .

[قال : وقدِم الهيثم بن الأسود بن العُريان على عبد الملك بن مروانَ فقال : كيف تجدك ؟ قال : أجِدنى قد ابيضّ منِّى ما كنت أحبُّ أن يسودّ ، واسودّ منى ما كنتُ أحبُّ أن يبيض ، واشتدّ منِّى ما كنت أحبُّ أن يَلين ، ولانَ منِّى ما كنتُ أحبُّ أن يشتدَّ . ثم أنشد :

اسمَعْ أنبِّئكَ بآيات الكِبَرْ نومُ العَشاء وسُعالٌ بالسَّحَرْ
وقِلّةُ النّوم إذا الليلُ اعتكَرْ وقِلّةُ الطُّعْمِ إذا الزادُ حَضَرْ
وسُرعة الطَّرْف وتحميجُ النَّظَرْ وتركَى الحَسنْاء فى قُبْل الطُّهُرْ

---

(١) الطبرى : « وهذا ثوبك على ، وطعامك فى بطنى » . والمذاخير : الأعفاج والمصارين ، جمع مَذخر ، والكوفيون يزيدون الياء فى مثل هذا الجمع . فيما عدا ل : « مذاخرى » .

(٢) سبقت ترجمته فى (١ : ٥٦) .

(٣) فيما عدا ل : « لو كان الكلام يؤتدم به لكان هذا » ، فقط . وفى هـ : « كلام » .

(٤) فيما عدا ل ، هـ : « وقال » فقط .

(٥) العذرة ، بالكسر : الاعتذار .

(٦) فيما عدا ل : « وقال أيضاً » .

(٧) ل : « أبو عمرو الضرير » .

وحذراً أزادهُ إلى حذرْ والناسُ يَبلَوْنَ كما يَبْلى الشَّجَرْ[١]]

وقال أكثم بن صَيْفىّ : الكَرم حُسن الفطِنة وحُسْنُ التغافل ، واللّؤم سوءُ الفِطنة وسُوء التغافل [٢] .

وقال أكثمُ بن صَيفىّ : تباعَدُوا فى الدِّيار تقارَبُوا فى المَودَّة .

وقال آخر لبنيه : تباذَلُوا تحابُّوا .

قال : ودخل عيسى بن طلحة بن عُبيد الله ، على عُروة بن الزبير وقد قُطِعَت رجله ، فقال له عيسى : والله ما كنا نُعِدُّك للصِّرَاع ، ولقد أبْقَى الله لنا أكثَرَك : أبقى لنا سَمعكَ وبصرَك ، ولسانك وعقلك ، ويدَيك وإحدى رجلَيك . فقال له عروة : والله يا عيسى ما عزَّانى أحدٌ بمثل ما عزّيتنى به .

وكتب الحسنُ إلى عمرَ بن عبد العزيز رحمه الله : « أمَّا بعد فكأنَّك بالدُّنيا ٢٧٧
لم تكن ، وبالآخرة لم تَزَلْ » .

قال : وقال عمر بن الخطاب رحمه الله : « اقرءوا القرآن تُعْرَفوا به ، واعملوا به تكونوا من أهله ، ولن يبلغ حق ذى حقٍّ أن يُطاعَ فى معصية الله ، ولن يقرِّبَ مِن أجَلٍ ، ولن يُباعِدَ من رزقٍ ، أن يقوم رجلٌ بحقٍّ ، أو يُذكِّر بعظيم » .

وقال أعرابىٌّ لهشام بن عبد الملك : أتت علينا ثلاثةُ أعوامٍ . فعامٌ أكَلَ الشَّحم ، وعامٌ أكَلَ اللحم ، وعامٌ انتقى العَظْم [٣] . وعندكم أموالٌ ، فإنْ كانت لله فادفَعوها إلى عِباد الله ، وإن كانت لعبادِ الله فادفعوها إليهم ، وإن كانت لكم فتصدّقوا ، فإن الله يَجزى المتصدِّقين . قال : فهل [٤] مِن حاجة غيرِ ذلك ؟

---

(١) هذه التكملة التى أثبتها مما عدا ل قد سبقت فى (١ : ٣٩٩) .

(٢) حسن التغافل ، وسوء التغافل ، ساقطتان مما عدا ل .

(٣) انتقى العظم : استخرج نقيه . والنقى ، بالكسر والتحريك : المخ . وأنشد :

ولا يسرق الكلب السرو نعالنا ولا ينتقى المخ الذى فى الجماجم

(٤) ل : « فقال : هل » .

قال : ما ضَرَبْتُ إليك أكباد الإبل أدَّرِع الهجير ، وأخوض الدُّجى لخاصٍّ دونَ عام .

قال شَدَّاد الحارثىّ ، ويكنى أبا عُبيد الله (١) : قلت لأَمَة سَوداءَ بالبادية : لِمَنْ أنْتِ يا سوداء ؟ قالت : لسَيِّد الحضَر يا أصلع . قال : قلت لها : أوَ لستِ بسوداء ! قالت : أوَ لستَ بأصلع ؟ قلتُ : ما أغضبَكِ من الحق ؟ قالت : الحقُّ أغضبكَ ! لا تسبُبْ حتى تُرْهَب ، ولَأَنْ تتركَه أمْثَل .

وقال الأصمعىّ : قال عيسى بن عُمَر : قال ذو الرّمّة : قاتل الله أَمَة آلِ فلانٍ ما كان أفصَحَها (٢) ! سألتها كيف المطر عندكم ؟ فقالت : غِثنا ما شئنا .

وأنا رأيتُ عبداً أسودَ لبنى أُسِيد (٣) ، قدِم عليهم من شِقِّ اليمامة ، فبعثوه ناطُورا ، وكان وحشيًّا محرَّما (٤) ؛ لطول تعزُّبه كان فى الإبل (٥) ، وكان لا يَلْقى إلّا الأكَرَة ، فكان لا يفهم عنهم ، ولا يستطيع إفهامَهُم ؛ فلمَّا رآنى سكَنَ إلىَّ ، وسمعتُه يقول : لَعَنَ الله بلاداً ليس فيها عَرَبٌ . قاتل الله الشّاعر حيث يقول :

* حُرُّ الثَّرى مُسْتَعرِبُ التّرابِ *

٢٧٨ أبا عثمان ، إنّ هذه العُرَيبَ فى جميع الناس كمقدار القُرْحة فى جميع جِلدِ الفَرَس (٦) ، فلولا أنَّ الله رَقَّ عليهم فجعلهم فى حاشيةٍ لَطَمَست هذه العُجمانُ آثارَهم (٧) ؛ أتُرَى الأعيارَ إذا رأت العِتاق لا تَرَى لها فضلا ، والله ما أمر

---

(١) ل : « أبا عبد الله » . وقد ذكر الجاحظ : « شدادا » هذا فى كتاب فخر السودان ٥٤ ساسى وقال : « وكان خطيباً عالماً » . ثم ساق الخبر التالى .

(٢) فى فخر السودان : « ما كان أفصحها وأبلغها » . وانظر مجالس ثعلب ٣٤٨ .

(٣) ل : « لبنى أسد » . ومثله فى أصل الحنين إلى الأوطان .

(٤) محرّم ، من قولهم ناقة محرمة : لم ترض ولم تذلل . وفى حواشى هـ : « المحرم الذى لم يَلِنْ ولم يرتض بسكنى الحاضرة » . والناطور : حافظ الكرم والزرع . ورسمت فى هـ لتقرأ بالطاء والظاء معاً . وهما لغتان ، كما فى اللسان .

(٥) التعزب : أن يبعد بإبله فى المرعى بعيداً عن الأهل .

(٦) القرحة : بالضم : الغرة الصغيرة فى وجه الفرس .

(٧) لم أر كلمة « العجمان » بمعنى الأعاجم فى مرجع لغوى ، وفى رسالة الحنين : « العجم » .

اللهُ نبيّه بقتلهم إلا لِضَنّه بهم [١] ، ولا تَركَ قَبول الجِزية منهم إلاّ تنزيها لهم

وقال الأحنف بن قيس : أسرعُ النّاس إلى الفتنة أقلُّهم حياء من الفِرَار .

قال : ولما مات أسماء بن خارجةَ [٢] ، فبلغ الحجاجَ موتُه ، قال : هل سمعتم بالذى عاش ماشاءَ ، ثم مات حين شاء .

وقال سَلْمُ بن قُتيبة : رَبُّ المعروف أشدُّ من ابتدائه [٣] .

أبو هلال [٤] ، عن قَتادة قال : قال أبو الأسود : إذا أردت أن تُكْذِب صاحِبَك فلقّنْه .

وقال أبو الأسود : إذا أردتَ أن تُعظَّمَ فمُتْ ، وإذا أردتَ أن تُفْحِمَ عالماً فأحضرْهُ جاهلا .

قال : وقيل لأعرابىّ : ما يدعُوك إلى نَوْمة الضُّحَى ؟ فقال : مَبْرَدَةٌ فى الصيف ، مَسخَنة فى الشّتاء .

وقال أعرابىٌّ : نَومة الضحى مَجْعَرَةٌ مَجْفَرَةٌ مَبْخَرَةٌ [٥] .

وجاء فى الحديث : « الولد مَبخَلةٌ مَجْبنةٌ » .

---

(١) فيما عدا ل ، هـ : « لضنة بهم » .

(٢) هو أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة الفزارى ، وكان من سادات العرب وأشراف أهل الكوفة ، فارساً شجاعاً كريماً . مدحه أعشى همدان وعبد الله بن الزَّبير الأسدى . وكان الشيعة تعده فى قتلة الحسين ، وخطب المختار بن أبى عبيد فقال : لتنزلن من السماء ، تسوقها ريح حالكة دهماء ، حتى تحرق دار أسماء وآل أسماء . فبلغ أسماء قول المختار فيه فقال : أوقد سجع لى أبو إسحاق ؟ لا قرار على زأر من الأسد . وهرب إلى الشام ، فأمر المختار بطلبه ففاته ، فأمر بهدم داره فما أقدم عليها مضرى ؛ لموضع أسماء وجلالة قدره فى قيس ، فتولت ربيعة واليمن هدمها . انظر الأغانى (١٣ : ٣٥) .

(٣) ربُّ المعروف : نماه وزاده وأتمه وأصلحه .

(٤) هو أبو هلال محمد بن سليم الراسبى البصرى . روى عن الحسن وابن سيرين وقتادة ، وعنه : ابن مهدى ووكيع وغيرهما . توفى فى خلافة المهدى سنة تسع وستين . تهذيب التهذيب .

(٥) مجعرة ، يريد يبس الطبيعة ، والجعر : ما خرج يابساً . مجفرة : مقطعة للنكاح منقصة للماء . مبخرة : من بخر الفم وتغير رائحته . والحديث روى فى اللسان « بخر ، جعر ، جفر ، » منسوباً إلى عمر أو على .

قال : ونظر أعرابىٌّ إلى قوم يلتمسون هلال رمضان ، فقال: أمَا والله لئن أثرْتُموه لَتمسِكُنّ منه بذُنابَى عيشٍ أغبر .

وقال أسماء بن خارجة : إذا قَدُمت المصيبة تُركت التَّعزية .

وقال : إذا قَدُمَ الإخاء سَمُجَ الثَّناء (١) .

وقال إسحاق بن حَسَّان : لا تُشَمِّتِ (٢) الأمراءَ ولا الأصحابَ القدماء .

وسُئل أعرابىٌّ عن راعٍ له فقال : هو السَّارح الآخِر ، والرّائح الباكر ، والحالب العاصر ، والحاذف الكاسر (٣) .

قال : وقال عُتبة بن أبى سفيان لعبد الصَّمد مؤدِّب ولدِه :

ليكن أوَّلَ ما تبدأُ به من إصلاحك بَنِى إصْلاحُك نفسَك ؛ فإنَّ أعينَهم معقودة بعينك ، فالحسَنُ عِندهم ما استحسنتَ ، والقبيحُ عندهم ما استقبحت . علِّمْهم كتابَ الله ، ولا تُكرِهْهم عليه فيَملُّوه ، ولا تترُكْهم منه فيهجُروه ، ثم روِّهم من الشِّعر أعَفَّه (٤) ، ومن الحديث أشْرَفه ، ولا تُخرِجْهم من عِلْمٍ إلى غيره حتّى ٢٧٩
يُحْكموه ، فإنَّ ازدحامَ الكلام فى السَّمع مَضَلَّةٌ للفهم (٥) . وعلِّمْهم سِيَرَ الحكماء وأخلاقَ الأدباء ، وجنِّبْهُم محادثَة النساء ، وتهدَّدْهم بى وأدِّبْهم دُونى ، وكنْ لهم كالطَّبيب الذى لا يَعجَل بالدَّواء حتى يعرف الداء (٦) ، ولا تَتّكل على عُذرى ،

---

(١) فيما عدا ل : « قبح الثناء » .

(٢) تشميت العاطس : الدعاء له بالخير . وخرجه ابن سيده بقوله : « دعا له أن لا يكون فى حال يشمت به فيها » .

(٣) سقطت الواوات مما عدا ل . والحاذف : الذى يحذف بالعصا : يرمى بها . وفى اللسان : « الأزهرى : وقد رأيت رعيان العرب يحذفون الأرانب بعصيهم إذا عدَت ودرمت بين أيديهم ، فربما أصابت العصا قوائمها فيصيدونها ويذبحونها » . فيما عدا ل : « الحادق » تحريف .

(٤) فيما عدا ل ، هـ : « عفه » .

(٥) بعد هذه الكلمة فيما عدا ل : « وتهددهم بى ، وأدبهم دونى ، وكن لهم كالطبيب الذى لا يعجل بالدواء قبل معرفة الداء ، وجنبهم محادثة النساء ، وروهم سير الحكماء ، واستزدنى بزيادتهم إياك أزدك ، وإيَّاك أن تتكل على عذر منى لك فقد اتكلت على كفاية منك » .

(٦) هـ : « قبل معرفة الداء » .

فإنى قد اتَّكلتُ على كفايتِك (١) ، وزد فى تأديبهم أزدك فى برّى إن شاء الله .

* * *

محمد بن حربٍ الهلالىّ قال : كتب إبراهيم بن أبى يحيى الأسلَمىّ ، إلى المهدىّ يعزّيه على ابنته (٢) : أما بَعْدُ فإنّ أحقَّ مَن عرَف حَقَّ الله عليه فيما أخَذ منه ، مَن عَظَّم حقّ الله عليه فيما أبقَى له . واعلم أنَّ الماضىَ قبلك هو الباقى لك ، وأنّ الباقىَ بعدك هو المأجورُ فيك ، وأنَّ أجر الصابرين فيما يصابون به ، أعظَمُ من النِّعمة عليهم فيما يُعافَوْن منه (٣) .

* * *

قال : وقال سهل بن هارون : التهنئة على آجِلِ الثَّواب أُولى من التعزية على عاجل المصيبة (٤) .

وقال صالح بن عبد القدوس :

إنْ يكن ما به أُصبتَ جليلا ... فذَهاب العزاء فيه أجَلُّ (٥)

كل آتٍ لا شكّ آتٍ ، وذو الجَهْـ ... ـلِ مُعَنًّى ، والهمُّ والحُزن فَضْلُ (٦)

وقال لقمان لابنه : يا بُنىّ إياك والكسل والضَّجَر ؛ فإنك إذا كَسِلتَ لم تؤدِّ حقاً ، وإذا ضجِرت لم تصبر على حقّ .

قال : وكان يقال : أربع لا ينبغى لأحدٍ أن يأنف منهنَّ وإن كان شريفا

---

(١) إلى هنا ينتهى تخالف العبارات .

(٢) ل : « عن ابنه » ، تحريف . وابنة المهدى هذه هى « البانوقة » « وكانت سمراء حسنة فلما ماتت وذلك ببغداد ، أظهر عليها المهدى جزعا لم يسمع بمثله ، فجلس للناس يعزونه وأمر ألا يحجب عنه أحد ، فأكثر الناس فى التعازى . واجتهدوا فى البلاغة » . انظر الطبرى (١٠ :٢١) فى حوادث ١٦٩ . وقد سبق فى (١ : ٦٥) لنحو هذا التعبير :

هل معين على البكا والعويل ... أم معز (على) المصاب الجليل

(٣) انظر هذا الخبر أيضاً فى عيون الأخبار (٣ : ٥٢) .

(٤) هذا الخبر فى عيون الأخبار (٣ : ٥٢) .

(٥) فى عيون الأخبار : « فلفقد العزاء » . وانظر الحيوان (٥ : ٥٠٥) .

(٦) فضل ، فاضل زائد . والبيت ساقط من هـ .

أو أميراً : قيامهُ عن محلِّه لأبيه ، وخدمتُه لضيفه ، وقيامُه على فَرسه ، وخدمتُه للعالِمِ (١) .

وقال بعض الحكماء : إذا رغِبت فى المكارم ، فاجتنِب المَحَارم .

وكان يقال : لا تغترَّ بمودَّة الأمير ، إذا غَشَّك الوزير .

وكتب بعضهم : أما بعدُ فقد كنتَ لنا كلَّك ، فاجعلْ لنا بعضَك ، ولا تَرض إلا بالكلِّ مِنّا لك .

ووصف بعض البلغاء اللسان فقال : اللسانُ أداةٌ يظهر بها حُسن البيان ، وظاهرٌ يُخبِر عن ضميرٍ ، وشاهدٌ ينبئُك عن غائب ، وحاكمٌ يُفصَل به الخطاب وناطقٌ يُرَدُّ به الجواب ، وشافعٌ تُدرَك به الحاجة ، وواصفٌ تُعرف به الحقائق ، ومُعَزٍّ يُنْفَى به الحزن ، ومؤْنس تذهَب به الوَحْشة (٢) ، وواعظٌ يَنهَى عن القبيح ، ومُزَيِّنٌ يدعو إلى الحَسَن ، وزارعٌ يحرث المودَّة ، وحاصدٌ يستأصل ٢٨٠
الضَّغينة ، ومُلْهٍ (٣) يُونِقُ الأسماع .

وقال بعض الأوائل : إنّما الناسُ أحاديثُ ، فإن استطعتَ أن تكون أحسنَهَم (٤) حديثاً فافعَلْ .

ولما وصل عبد العزيز بن زُرَارة (٥) إلى معاوية قال : يا أمير المؤمنين ، لم أزَل

---

(١) ل : « العالم » .

(٢) ل : « يذهب بالوحشة » .

(٣) فيما عدا ل ، هـ : « وملهم » ، تحريف .

(٤) ل : « أحسن الأحاديث » ، صوابه فى سائر النسخ .

(٥) ل : « عمر بن عبد العزيز بن زرارة » تحريف . وعبد العزيز هذا أحد أشراف العرب وشعرائهم ، روى له الجاحظ شعراً فى الجزء الثالث وكذا فى الحيوان (٣ : ٨٤) . ومدحه بعض الشعراء . الحيوان (٦ : ٣٢٩) . وذكر أبو الفرج فى الأغانى (١٠ : ٦٨) أنه هو الذى تكفل يدفن توبة بن الحمير . وفى جمهرة ابن حزم ٢٨٣ أنه توفى فى عهد معاوية . والخبر رواه فى عيون الأخبار (١ : ٨٢) .

أستدلُّ بالمعروف عليك ، وأمتطى النَّهارَ إليك [١] ؛ فإذا أَلْوَى بِىَ الليل [٢] ، فقُبِض البَصَر وعُفِّىَ الأثر ، أقام بدنى وسافر أملى ، والنَّفس تَلوَّمُ [٣] ، والاجتهاد يَعذِر [٤] فإذْ قد بلَغْتُك فقَطْنِى .

قال : قال لقمان لابنه : ثلاثة لا يُعرفون إلا فى ثلاثة مواطن : لا يُعرَف الحليم إلا عند الغضب ، ولا الشّجاع إلا فى الحرب ، ولا تعرِفُ أخاك إلّا عند الحاجة إليه [٥] .

وقال أبو العتاهية :

أنتَ ما استغنيتَ عن صا　　حبِكَ الدَّهْرَ أخوه
فإذا احتجت إليـه　　سـاعـةً مَجَّك فُوه

وقال على بن الحسين لابنه : يا بنىّ ، اصبر على النائبة ، ولا تتعرَّض للحقوق ، ولا تُجِب أخاك إلى شىءٍ مَضرَّته [٦] عليك أعظم من منفعته له .

وقال الأحنف : مَن لم يصبر على كلمةٍ سمع كلمات .

وقال : رُبَّ غيظٍ تجرَّعتُه مخافةَ ما هو أشدُّ منه .

وقالوا : من كثُر كلامه كثُر سَقَطه ، ومن طال صمتُه كثُرت سلامته .

قال : وقال عمر بن عبد العزيز : من جعل دِينَه غَرَضاً للخصومات أكثَرَ التنقُّل [٧] .

---

(١) فى عيون الأخبار : « أمتطى الليل بعد النهار ، وأسِمُ المجاهل بالآثار » .

(٢) يقال ألوى بالشىء : ذهب به ؛ عبارة عن شدة الليل .

(٣) تلوم ، أى تتلوم بحذف إحدى التاءين . والتلوم : الانتظار والتلبث . وفى عيون الأخبار : « والنفس مستبطئة » .

(٤) عيون الأخبار : « والاجتهاد عاذر » .

(٥) فيما عدا ل : « عند حاجتك إليه » .

(٦) المضرة : الضرر . فيما عدا ل : « ضرره » .

(٧) فيما عدا ل ، هـ : « النقل » : جمع نقلة .

محمد بن حرب الهلالىّ ، عن أبى الوليد اللَّيثى قال : خطب صعصعةُ بن معاوية إلى عامر بن الظَّرِب العَدْوانى ابنته « عَمْرة » ، وهى أمّ عامر بن صعصعة ٢٨١
فقال عامرُ بن الظَّرِب : يا صعصعة ، إنك قد أتيتنى تشترى منى كَبِدى ، وأَرْحَمَ ولدى عندى ، غير أنّى ، أطْلَبْتُكَ أو رَددتك (١) ، فالحسيب كُفء الحسيب ، والزَّوج الصالح أبٌ بعد أب (٢) . وقد أنكحتُك مخافَة (٣) ألّا أجدَ مثلَك أفَرَّ من السرّ إلى العلانية . أنصحُ ابناً ، وأُودِعُ ضَعيفاً قويّا . يا معشر عَدوان : خرَجَتْ من بين أظهركم كريمتُكم من غير رَغْبة ولا رَهبة . أُقْسم لولا قَسْمُ الحظوظ على قدر المجدود ، لما ترك الأوّلُ للآخِر شيئاً يعيش به (٤) .

وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه : « أوصيكم بأربع (٥) لو ضربتم إليها آباط الإبل لكُنَّ لها أهلاً : لا يرجونَّ أحدٌ منكم إلا ربَّه ؛ ولا يخافَنَّ إلا ذنبَه ؛ ولا يستحْيِ أحَدٌ إذا سُئل عمّا لا يعلم أن يقول : لا أعلم . ولا إذا لم يَعلَم الشئ أن يتعلَّمه . وإنَّ الصَّبر (٦) من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، فإذا قُطع الرأسُ ذهب الجسَد ، وكذلك إذا ذهبَ الإيمان .

قال : ومدح علىَّ بن أبى طالب رجلٌ فأفرط (٧) فقال علىّ — وكان يتّهمه — : أنا دُونَ ما تقول ، وفوقَ ما فى نفسك » .

وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه : قيمة كلِّ امرئٍ ما يحسن (٨) .

---

(١) « غير أنى » من ل فقط . هـ : « بعتك أو رددتك » ، وفيما عداهما : « أبغيتك أو زودتك » . والكلمة الأخيرة فى هذه محرفة . أطلبتك : أعطيتك ما تطلب .

(٢) أى أب ثان .

(٣) فيما عدا ل : « خشية » .

(٤) انظر الحديث فى المعمرين للسجستانى ٤٩ — ٥٠ . هـ : « لو قسم الحظوظ ما ترك الأول للآخر ما يعيش به » .

(٥) فيما عدا ل : « بخمس » تحريف .

(٦) فيما عدا ل : « واعلموا أن الصبر » .

(٧) فيما عدا ل : « وقال الأصمعى : أثنى رجل على على بن أبى طالب فأفرط » .

(٨) فيما عدا ل : « كل إنسان » .

٧٨

وقال له مالك الأشتر (١) : كيف وجَدَ أميرُ المؤمنين أهله (٢) ؟ فقال : كخير امرأة (٣) ، قَبَّاء جَبَّاء (٤) ! قال : وهل يريد الرِّجال من النساء غير ذلك يا أمير المؤمنين ؟ قال : لا ، حتى تُدفِئَ الضَّجيعَ ، وتُروِىَ الرَّضيع .

قال : ووقف رجل على عامرٍ الشعبى فلم يدَعْ قبيحاً إلّا رماه به ، فقال له عامر : إن كنتَ كاذباً فغفر الله لك ، وإنْ كنت صادقا فغفر الله لى .

وقال إبراهيم النَّخعى لسُليمانَ الأعمشِ – وأراد أن يماشيَه – : إنَّ الناس إذا رأونا معاً قالوا : أعمشُ وأعور ! قال : وما عليك أن يأثموا ونُؤْجر ؟ قال : وما علينا أن يسلموا ونسلم !

قال أبو الحسن : كان هشام بن حسَّان إذا ذكر يزيد بن المهلَّب (٥) ، قال : إنْ كانت السفن لَتجْرِى فى جُوده .

وقال : مكتوبٌ فى الحكمة : التوفيق خير قائد ، وحسن الخُلق خير قرين ، والوَحْدة خير من جَليس السَّوء (٦) . ٢٨٢

---

(١) هو المعروف بالأشتر النخعى ، واسمه مالك بن الحارث بن عبد يغوث بن مسلمة ابن ربيعة النخعى الكوفى . أدرك الجاهلية ، وكان من أصحاب على ، شهد معه الجمل وصفين وغيرهما ، وكان ممن ألب على عثمان وشهد حصره . وولاه على مصر بعد صرف قيس بن عبادة عنها ، فلما وصل إلى القلزم شرب شربة عسل فمات سنة ٣٨ . ولقب بالأشتر لأن رجلا ضربه فى يوم اليرموك على رأسه فسالت الجراحة قيحا إلى عينه فشترتها . الإصابة ٨٣٣٥ ، وتهذيب التهذيب ، ومعجم المرزبانى ٣٦٢ .

(٢) فيما عدا ل : « امرأته » .

(٣) ب والتيمورية واللسان (٢ : ٢٤٢) : « كالخير من امرأة » . حـ : « كالخير من النساء إلا أنها » .

(٤) فى ل : « خبا جباء » والكلمة الأولى محرفة ، صوابها من سائر النسخ واللسان ، كما أن الكلمة الأخيرة من ل واللسان فقط ، أما القبَّاء فهى الدقيقة الخصر . وقد ورد فى التيمورية بعد كلمة « قباء » : « دقيقة الخصر » . والجباء : الصغيرة الثديين .

(٥) ترجمة هشام فى (١ : ٢٩١) ويزيد فى (١ : ٣٨٧ ، ٤١٠) .

(٦) فيما عدا ل : « قرين السوء » .

وقال : وكان مالك بن دينار يقول : ما أشدَّ فِطام الكبير . وكان [1] ينشد قولَ الشاعر :

وتَرُوض عِرسَكَ بعدما هرِمْتَ ومن العناء رياضة الهَرِمِ [2]

وقال صالحٌ المرّىّ : كنّ إلى الاستماع أسرعَ منك إلى القول ، ومن خَطاء الكلام أشدَّ حذراً من خَطاء السكوت .

وقال الحسنُ بن هانئ :

خلِّ جنبيك لرامٍ وامضِ عنه بسلامِ
مُتْ بداء الصمت خيرٌ لَكَ من داء الكلامِ
إنّما السالمُ مَن ألْـ ـجَمَ فاهُ بلجامِ
ربَّما استفتحتَ بالمزْ ـحِ مغاليقَ الحِمامِ

أبو عبيدة وأبو الحسن : تكلّم جماعةٌ من الخطباء عند مَسلمة بن عبد الملك ، فأسهبوا فى القول ، ثم اقترح المنطقَ منهم [3] رجل من أُخْريات الناس ، فجعل لا يخرُج من حسنٍ إلّا إلى أحسَنَ منه . فقال مَسلمة : ما شبَّهتُ كلامَ هذا بِعقِب كلامِ هؤلاء إلّا بسَحابة لَبّدت عَجاجةً [4] .

وقال أبو الحسن : علّم أعرابىٌّ بنيه الخِراءة : فقال : ابْتَغُوا الخَلا ، وابْعُدُوا عن المَلَا [5] ، واعلُوا الضَّرا [6] ، واستقبِلوا الرِّيح ، وأَفجُّوا إفجاجَ النَّعامة [7] ، وامتسحوا بأشْمُلِكم .

وروى عن الحسن أُنه قال : لما حضرت قيسَ بن عاصمٍ الوفاةُ دعا بَنيه فقال : يا بَنىّ

---

(١) هذه الكلمة فى ل فقط.

(٢) سبق الشعر والخبر فى (١ : ١٢٠) .

(٣) هذه الكلمة من ل فقط . اقترح الكلام : ارتجله . فيما عدا ل « افترع » ، وفى هـ : « افترع » بالفاء والقاف معا .

(٤) العجاجة : واحدة العجاج ، وهو الغبار .

(٥) الخلا : مقصور الخلاء ، وهو المتوضأ . والملا : الفلاة . وانظر عيون الأخبار (١ : ١٣٦) .

(٦) الضراء ، كسحاب : الأرض المستوية ، والفضاء .

(٧) الإفجاج : أن يفتح رجليه ويباعد ما بينهما ، والنعامة تفج إذا ذرقت .

احفظوا عنّى ، فلا أَحَدَ أنصحُ لكم منّى . إذا متُّ فسودُّوا كبارَكم ، ولا تسودُّوا صغارَكم فيسفِّهَ الناسُ كبارَكم وتهونوا عليهم . وعليكم بإصلاح المال (١) فإنَّه مَنبهة للكريم ، ويُستغنَى به عن اللئيم . وإيّاكم ومسألةَ الناس ، فإنها شَرُّ كسب المرء (٢).

سئل دَغفلٌ النّسّابة عن بنى عامر بن صعصعة ، فقال : أَعناق ظِباء ، وأعجاز نساء . قيل : فتميم ؟ قال : حجرٌ أخشَنُ ، إن دنوتَ منه آذاك ، وإن تركتَه خلّاك (٣) . قيل : فاليمن ؟ قال : سَيِّدٌ وأَنْوَكُ .

وكانوا يقولون : لا تستشيروا معلِّما ، ولا راعىَ غنمٍ ، ولا كثِيرَ القُعُود مع النِّساء (٤) .

عِقَال بن شَبَّة (٥) قال : كنتُ رديفاً لأبى (٦) ، فلقِيَه جريرٌ على بغْل ، فحيّاه أبى وأَلطفَه ، فقلت له : أَبَعْدَ ما قال ؟ قال : يا بُنَىَّ ، أَفأُوسِّعُ جُرحى ؟ ٢٨٣

قال : ودعا جَريرٌ رجلا من شعراء بنى كلاب إلى مهاجاته ، فقال الكلابىّ : إن نسائى بإمَّتِهنَّ ، ولم تَدَع الشّعراء فى نسائك مترقَّعاً (٧) .

وقال جرير : أَنا لا أبتدِى ولكنْ أُعتدى .

وكان الحسنُ فى جِنازة فيها نوائح ومعه رجل ، فهَمَّ الرجل بالرجوع فقال الحسن : إن كنت كلما رأيتَ قبيحاً تركت له حَسَناً ، أَسْرَعَ ذلك فى دينك .

---

(١) فيما عدا ل : « باستطلاح المال » . وفى أمالى الزجاجى ٢٩ : « بحفظ المال » .
(٢) ب : « آخرة كسب المرء » . التيمورية : « أخرى » . حـ : « أخرد » محرفة .
(٣) فيما عدا ل : « أعفاك » .
(٤) تقدم الخبر فى (١ : ٢٤٨) .
(٥) فيما عدا ل ، هـ : « عفان بن شبة » ، محرف .
(٦) فيما عدا ل : « كنت رديف أبى » .
(٧) الإمة ، بالكسر : الحال والشأن والطريقة . والمترقع : موضع الشتم ، قال :

وما ترك الهاجون لى فى أديمكم مصحا ولكنى أرى مترقعا

قال أبو عبيدة : لقى المخبَّل القُرَيعى [١] الزِّبرقانَ بن بدر فقال : كيف كنت بعدى أبا شَذْرة ؟ فقال : كما يَسُرُّك مُحِيلا مُجْرِباً [٢] .

قال : وكان عبد الملك بن مروان يقول : جمع أبو زُرعة – يعنى رَوح بن زِنباع – طاعةَ أهل الشام ، ودَهاء أهل العراق ، وفِقهَ أهل الحجاز .

وذُكر لعمر بن الخطاب إتلافُ شبابٍ من قريش أموالَهم فقال : حِرفة أحدِهم أشدُّ عَلَىَّ من عَيْلته [٣] .

وقال عمر بن الخطاب : حِرفةٌ يُعَاشُ بها [٤] خير من مَسألة الناس .

وقال زياد : لو أنّ لى ألفَ ألفِ درهم ولِى بَعيرٌ أجرب لقمتُ عليه قيام مَن لا يملك غيره . ولو أنّ عندى عشرةَ دراهمَ لا أملك غيرها ولزِمنى حقٌّ لوضعتُها فيه .

وقال عمرو بن العاص : البِطنةُ تُذهِب الفطنة .

وقال معاوية : ما رأيت رَجلا يُستَهتر بالباءة [٥] إلا تبيَّنتُ ذلك فى مُنّته [٦] .

قال الأصمعى : وقال أبو سليمان الفقْعسى لأعرابىٍّ من طَيِّء [٧] : أبا مرأتك

---

(١) المخبل لقب له ، واسمه ربيع بن ربيعة بن عوف بن قتال بن أنف الناقة القريعى السعدى ، شاعر فحل مخضرم ، وكان بينه وبين الزبرقان مهاجاة ، مات فى خلافة عمر أو عثمان وهو شيخ كبير . الأغانى (١٢ : ٣٨ – ٤٣) والخزانة (٢ : ٥٣٥) والإصابة ٢٥٧٢ والمؤتلف ١٧٧ .

(٢) أحال الرجل : حالت إبله فلم تحمل . وأجرب : جربت إبله .

(٣) العيلة ، بالفتح : الفقر ، أراد لَعدمُ حرفة أحدهم والاغتمام لذلك ، أشد على من فقره . انظر اللسان (١٠ : ٣٨٩) .

(٤) ل : « فيها » .

(٥) الباءة : شهوة النكاح . يستهتر : يولع . فيما عدا ل ، « مستهتراً » .

(٦) المنة ، بالضم : القوة . وانظر الحيوان (١ : ٨١) والبغال ٣٠٤ .

(٧) موضع كلمة « من طيئ » بياض فى الأصل ، وإثباتها مما عدا ل .

حَملٌ . قال : لا وذو بيتُه فى السّماء ، ما أدرى ، والله مالها ذَنَبٌ تشتال به ، وما آتيها إلّا وهى ضَبِعَةٌ [١] .

قال أبو الحسن المدائنى : اتخذ يزيد بن المهلب بستاناً فى دارهِ بخراسان ، فلما وَلِىَ قُتيبة بن مسلمٍ خراسانَ جعل ذلك لإبله ؛ فقال له مَرزُبان مَروان : هذا كان بستاناً ليزيد ، اتّخَذتَه لإبلك ! فقال قتيبة : إنّ أبى كان أُشتُرْبان [٢] (يريد جمّالا) ، وأبو يزيد كان بُستان بان [٣] .

وقال الحجّاج بن يوسف لعبد الملك بن مروان : لو كان رجلٌ من ذهَب لكنتُه . قال : وكيف ذلك ؟ قال : لم تلدنى أَمَةٌ بينى وبين آدمَ ما خلا هاجَر . ٢٨٤ قال : لولا هاجَرُ لكنتَ كلباً من الكلاب .

قال : ومات ابنٌ لعبيد الله بن الحسن [٤] ، فعزّاه صالحٌ المرّىّ فقال : إن كانت مصيبَتُك فى ابنك أحدثَتْ لك عظةً فى نفسك فمصيبتك فى نفسك أعظم من مصيبتك فى مَيْتِك [٥] .

قال : وعزَّى عمرُو بن عبيدٍ أخاه فى ابنٍ مات له [٦] ، فقال : ذهب أبوك

---

(١) ذو ، بمعنى الذى فى لغة طيئ . وتشتال به : أراد ترفعه ، يقال شالت الناقة بذنبها واشتالته . واستشالته ، أى رفعته ليعلم أنها لاقح . وسمع « اشتال » بمعنى شال فى قول الراجز :

« حتى إذا اشتال سهيل فى السحر »

ففى اللسان (١٣ : ٣٩٩) : « اشتال هنا بمعنى شال » . على أن النص روى فى اللسان (١٠ : ٨٥) : « فتشول به » . والضبعة : الشديد الشهوة . وانظر البغال ٣١٦ .

(٢) أشتربان : كلمة فارسية مكونة من كلمتين : « أشتر » بمعنى جَمَل ، ومثله « شتر » بضمتين ، و « بان » بمعنى القائد والضابط والحارس . فيما عدا ل : « يعنى رئيس الجمالين » ، وهو خطأ .

(٣) بستان بان ، أى بستانى ، بالفارسية . وفى حواشى هـ : « بستان بان رئيس الأكرة ، وهم الحراثون ، وقال هذا قتيبة لأن يذم يزيد ؛ لأن أصحاب الجمال هم العرب ، وأهل البساتين هم العرب » .

(٤) سبقت ترجمته فى (١ : ١٢٠) . فيما عدا ل ، هـ : « الحسين » ، محرف .

(٥) ل : « فى نفسك » .

(٦) فيما عدا ل : « على ابن » . وانظر ما سبق فى ص ٧٤ س ٣ ، ٧ .

وهو أصلُك ، وذهب ابنُك وهو فرعُك ، فما حال الباقى بعد ذَهاب أصله وفرعه

قال : وكان يزيد بن عمر بن هبيرة يقول : احذِفُوا الحديثَ كما يحذفه سَلْم ابن قُتيبة (١) .

قال : وقال رجلٌ من بنى تميم لصاحب له : اصحَبْ مَن يتناسى معروفَه عندك ، ويتذكّر إحسانَك إليه ، وحقوقَك عليه (٢) .

وعذَلَ عاذِلٌ شُعيبَ بن زيادٍ على شُرب النبيذ ، فقال : لا أتركُه حتى يكونَ شرَّ عملى .

وقال المأمون : اشربْه ما استبشَعْتَه ، فإذا سُهل عليك فاتركْه (٣) .

وقال رسول الله ﷺ : « إذا كتب أحدُكم كتاباً فليترِّبْه (٤) فإنَّ الترابَ مبارَك ، وهو أنجَحُ للحاجة » .

ونظر ﷺ إلى رجل فى الشمس ، فقال : « تحوّلْ إلى الظلّ فإنه مبارك » .

وقال المغيرة بن شعبة : لا يزالُ النّاس بخير ما تعجَّبوا من العجَب .

وكان يقال : تَركُ الضّحك من العجَب ، أعجبُ من الضّحِك بغير عجب (٥) .

قال : قدم سعيد بن العاصى على معاوية فقال : كيف تركت أبا عبد الملك (٦) ؟

---

(١) مضى الخبر وترجمة سلم فى (١ : ١٧٤) . ما عدا هـ : « مسلم بن قتيبة » تحريف .

(٢) فيما عدا ل : « ويتذكر حقوقك عليه » .

(٣) فيما عدا ل : « حتى إذا سهل » .

(٤) فيما عدا ل : « إذا كتب أحدكم فليترب كتابه » .

(٥) هـ : « من غير العجب » .

(٦) أبو عبد الملك ، هو مروان بن الحكم بن أبى العاص القرشى الأموى ، وهو ابن عم عثمان وكاتبه فى خلافته ، وقد كان من أسباب قتل عثمان ، وشهد الجمل مع عائشة ، وصفين مع معاوية ثم ولى إمرة المدينة لمعاوية ، ولم يزل بها إلى أن أخرجهم ابن الزبير فى أوائل إمرة يزيد بن معاوية ، وكان ذلك من أسباب وقعة الحرة ، وبقى بالشام إلى أن مات معاوية بن يزيد بن معاوية ، فبايعه أهل الشام ، ثم كانت الوقعة بينه وبين الضحاك بن قيس أحد أمراء ابن الزبير ، فانتصر مروان وقتل الضحاك واستوثق له ملك الشام . انظر الإصابة ٨٣١٢ والتواريخ .

فقال : منفِّذاً لأمرك ، ضابطاً لعملك . فقال له معاوية : إنَّما هو كصاحب الخُبزة كُفِيَ إنضاجَها فأكَلَها . فقال سعيد : كلا إنّه بينَ قومٍ يتهادَون فيما بينهم كلاماً كوقع النَّبْل ، سهمًا لك وسَهمًا عليك . قال : فما باعَدَ بينه وبينك ؟ فقال : خِفْتُه على شَرَفى ، وخافنى على مثله . قال : فأىُّ شئ كان له عندك فى ذلك ؟ فقال : أسوءُه حاضراً وأسُرُّه غائباً قال : يا أبا عثمان ، تركْتَنا فى هذه الحروب . قال : نعم : ٢٨٥ تحملتَ الثِّقْل وكَفَيتَ الحزمَ ، وكنتُ قريباً لو دُعيتُ لأجبت ، ولو أُمِرْتُ لأطعت . قال معاوية : يا أهل الشام : هؤلاء قومى وهذا كلامهم .

قال : وكان الحجاج يستثقل زيادَ بن عمرو العَتَكىّ (١) ، فلما أثنى الوفدُ على الحجَّاج عند عبد الملك (٢) ، والحجاجُ حاضِرٌ ، قال زيادٌ : « يا أميرَ المؤمنين ، إنّ الحجَّاج سيفك الذى لا ينبو ، وسهمُك الذى لا يَطيش ، وخادمُك الذى لا تأخذُه فيكَ لومةُ لائم » . فلم يكن بعد ذلك أحدٌ أخفَّ على قلبه منه (٣) .

وقال شَبيب بن شيبة لسَلْم بن قتيبة (٤) : والله ما أدرى أىَّ يوميك أشرفُ : أيومُ ظفرك أم يوم عفوك .

قال : وقال غلامٌ لأبيه – وقد قال له : لستَ لى ابنا – : والله لَأنا أشبه بك منك بأبيك ، ولأنت أشدُّ تحصيناً لأمِّى من أبيك لأمِّك .

وكتب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ذى الجَناحين إلى رجل من إخوانه :

---

(١) هو زياد بن عمرو بن الأشرف العتكى الأزدى ، قال ابن دريد فى الاشتقاق ٢٨٤ : « ومنهم زياد بن عمرو ، رأس الأسد بعد مسعود » . والأسد ، بسكون السين لغة فى الأزد . والخبر رواه المبرد فى الكامل ٥٢٣ .

(٢) ل : « فلما أتى عبد الملك فى الوفد » ، صوابه فى سائر النسخ . وفى الكامل : « فلما أثنت الوفود على الحجاج عند الوليد بن عبد الملك » .

(٣) ل : « أخف عليه منه » .

(٤) ما عدا هـ : « لمسلم بن قتيبة » ، تحريف . وانظر ص ١٧٤ من الجزء الأول .

أما بعد فقد عاقنى الشّكّ فى أمرك عن عزيمة الرأى فيك . ابتدأتَنى بلَطَف عَن غير خِبْرة ، ثم أعقبتنى جفاءً عن غير ذنب (١) ، فأطمَعَنى أوّلُك فى إخائك ، وأيأسَنِى آخرُك مِن وفائك ؛ فلا أنا فى اليوم مُجمِعٌ لك اطّراحا ، ولا أنا فى غدٍ وانتظاره منك على ثقة . فسبحان مَن لو شاء كشَف بإيضاحِ الرأى فى أمرك عن عزيمةِ الشّكِّ فيك (٢) ، فأقَمْنا على ائتلاف ، أو افترقنا على اختلاف . والسلام .

* * *

وكتب إلى أبى مسلم صاحب الدّعوة أيضاً ، من الحبس (٣) :

« من الأسير فى يديه ، بلا ذنبٍ إليه ، ولا خلافٍ عليه . أمّا بعد فآتاكَ الله حفِظَ الوصيّة ، ومَنحك نصيحةَ الرعيّة ، وألهمك عدلَ القضيّة ، فإنك مستودَعٌ ودائعَ ، ومُولًى صنائعَ ، فاحفظ ودائعَك بحسن صنائعك ، فالودائع عاريَّةٌ والصنائع مرعيّة ، وما النّعمُ عليك وعلينا فيك بمنزورٍ نداها (٤) ، ولا بمبلوغ مَداها . فنبّه للتفكّر (٥) قلبك ، واتّقِ ربَّك ، وأعطِ مِن نفسك لِمَن هو تحتَك ما تحبُّ أن يعطيَك مَن هو فوقَك : من العدل والرأفة ، والأمن من المخافة ؛ فقد أنعم الله عليك بأنْ فَوّض أمرَنا إليك . فاعرفْ لنا لِينَ شكر المودّة ، واغتفارَ ٢٨٦

---

(١) فيما عدا ل ، هـ : « من » بدل « عن » فى الموضعين .

(٢) ل : « عن عزيمة فيك » .

(٣) كان عبد الله بن معاوية قد خرج بالكوفة فى أيام مروان بن محمد ، ثم انتقل عنها إلى نواحى الجبل ثم إلى خراسان ، وكان يطمع فى نصرة أبى مسلم ، فأخذه أبو مسلم وحبسه وجعل عليه عينا يرفع إليه أخباره ، فرفع إليه أنه يقول : ليس فى الأرض أحمق منكم يأهل خراسان ، فى طاعتكم هذا الرجل وتسليمكم إليه مقاليد أموركم ، من غير أن تراجعوه فى شئ ، أو تسألوه عنه . والله ما رضيت الملائكة الكرام من الله تعالى بهذا حتى راجعته فى أمر آدم عليه السلام . ثم كتب إليه عبد الله هذه الرسالة المشهورة ، فلما قرأ كتابه رمى به ثم قال : قد أفسد علينا أصحابنا وأهل طاعتنا وهو محبوس فى أيدينا ، فلو خرج وملك لأهلكنا . ثم أمضى تدبيرَه فى قتله ، ووجه برأسه إلى ابن ضبارة ، فحمله إلى مروان . الأغانى (١١ : ٦٨ ، ٧١) حيث ورد فى الموضع الأخير بعض هذه الرسالة .

(٤) المنزور : القليل . والندى : الخير .

(٥) فيما عدا ل : « للتفكير » .

مسّ الشدّة ، والرِّضا بما رضيت ، والقناعةَ بما هوِيت ، فإنّ علينا من سَهَك الحديد وثِقَله (١) أذًى شديداً ، مع معالجة الأغلال ، وقلّة رحمة العُمّال ، الذين تسهيلُهم الغِلظة ، وتيسيرُهم الفَظَاظة ، وإيرادهم علينا الغموم ، وتوجيههم إلينا الهموم ؛ زيارتهم الحراسة ، وبِشارتهم الإياسة (٢) . فإليكَ بعد الله نرفع كُربة الشكوى ، ونشكو شِدَّة البلوَى ، فمتى تُمِلْ إلينا طرفا ، وتُولِنا منك عطفا ، تجِدْ عندنا نُصحاً صريحاً ، ووُدًّا صحيحاً ، لا يُضيع مثلُك مثلَه ، ولا ينفِى مثلُك أهلَه . فارْعَ حُرمةَ مَن أدركتَ بحرمته ، واعرف حُجَّة من فَلَجْتَ بحجتّه ؛ فإنّ الناس مِن حوضك رِواء ، ونحن منه ظِماء . يمشون فى الأبراد ، ونحن نرسُف فى الأقياد (٣) ، بعد الخير والسَّعة ، والخفض والدَّعَة . والله المستعان ، وعليه التُّكْلان ، صَريخ الأخيار (٤) ، ومُنْجى الأبرار . النَّاسُ من دَولتكَ (٥) فى رخاء ، ونحن منها فى بلاء ، حين أمِنَ الخائفون ، ورجَع الهاربون . رزقنا الله منك التحنُّن ، وظاهَرَ علينا منك التمنُّن ؛ فإنّك أمينٌ مسْتودَع ، ورائدٌ مصطنَع . والسّلامُ ورحمة الله (٦) .

* * *

قال هشامُ بن الكلبىّ ، قال : حدّثنى خالد بن سعيد ، عن أبيه قال :

---

(١) السَّهَك : رائحة الصدأ . فيما عدا ل ، هـ : « سمك الحديد وثقله » .

(٢) لم أجد سندا لهذه الكلمة إلا هذه الرسالة ، ومفهومها اليأس . والمذكور فى المعاجم « اليآسة » . ومما هو جدير بالذكر أن هذه المادة كثيرا ما تتعرض للقلب ، يقال يئس وأيس .

(٣) الأقياد : جمع قيد . فيما عدا ل : « ونحن نحجل » .

(٤) الصريخ : المغيث ، وهو أيضا المستغيث ، من الأضداد .

(٥) فيما عدا ل : « من دولتنا » تحريف .

(٦) لم يذكر فى هذه العبارة كلمة « عليك » . والجملة ساقطة من هـ .

شَكت بنو تغلبَ السَّنَةَ إلى معاوية ، فقال : كيف تشكون الحاجةَ مع ارتجاع البِكارة ، واجتلاب المِهارة (١) ؟!

* * *

ابن الكلبى قال : كتب معاوية إلى قَيس بن سعد (٢) ، وهو والى مصرَ لعلىّ بن أبى طالب رضى الله عنه :

أمّا بعدُ فإنّما أنت يهودىٌّ بنُ يهودىّ (٣) . إنْ ظفِر أحبُّ الفريقين إليك عزَلك واستبدلَ بك ، وإن ظفِرَ أبغضُهما إليك قَتلك ونكَّل بك . وقد كان أبوك وتَّر قوسه ورمى غيرَ غرضِهِ (٤) ، فأكثَرَ الحزّ وأخطأ المَفْصِل ، فخَذَلَه قومُه ، وأدركه يومُه ، ثم مات طريداً بحَوْران (٥) . والسلام .

فكتب إليه قيس بن سعد :

أما بعدُ فإنَّك وَثَنُ بن وَثَنٍ (٦) ، دخلتَ فى الإسلام كَرْها ، وخرجتَ مِنه طوعًا ، لم يَقدُم إيمانُك ولم يحدُث نفاقك . وقد كان أبى رحمه الله وتَّر قوسه

٢٨٧ ورمى غرضَه ، فشغَّب عليه من لم يبلغْ كعبَه ، ولم يشُقّ غبارَه . ونحن بحَمد الله أنصارُ الدين الذى خرجتَ منه ، وأعداء الدين الذى دخلتَ فيه . والسلام .

* * *

وقال أبو عبيدة ، وأبو اليقظان ، وأبو الحسن : قدِم وفدُ العِراق على معاوية ،

---

(١) البكارة ، بالكسر : جمع بكر بالفتح ، وهو الفتى من الإبل بمنزلة الغلام من الناس . والمهارة ، بالكسر : جمع مهر بالضم ، وهو أول ما ينتج من الخيل . والخبر فى اللسان (٩ : ٤٧٦) . والارتجاع : أن يقدم الرجل المصر بإبله فيبيعها ثم يشترى بثمنها مثلها أو غيرها . أى تجلبون أولاد الخيل فتبيعونها وترتجعون بأثمانها البكارة للقنية . فى النسخ جميعها : « واختلاف المهارة » صوابه من اللسان .

(٢) سبقت ترجمته فى (١ : ٢٥١) .

(٣) فى حواشى هـ : « كانت الأوس والخزرج ، وهم الأنصار ، قد حالفت كل قبيلة منها طائفة من اليهود . وسعد بن عبادة من الخزرج » .

(٤) ل : « عن غرضه » ، صوابه فى سائر النسخ .

(٥) حوران ، بالفتح : كورة واسعة من أعمال دمشق .

(٦) فيما عدا ل : « فإنما أنت » . وانظر عيون الأخبار (٢ : ٢١٣) والكامل ٢٩٨ .

وفيهم الأحنف ، فخرج الآذِن فقال : إنّ أمير المؤمنين يعزِم عليكم ألاَّ يتكلم أحدٌ إلاّ لنفسه . فلما وصلوا إليه قال الأحنف : لولا عزيمةُ أمير المؤمنين لأخبرتُه أنّ دافّةً دفَّت (١) ، ونازلةً نزلت ، ونائبة نابت (٢) ، ونابتةً نبتتْ (٣) كلُّهم به حاجةٌ (٤) إلى معروف أمير المؤمنين وبِرّه .

قال : حسبُك يا أبا بحر ، قد كَفيت الشَّاهد والغائب .

وقال غيلان بن خَرشة للأحنف : ما بقاءُ ما فيه العرب ؟ قال : إذا تقلّدوا السيوف ، وشدُّوا العمائم ، وركِبوا الخيل ، ولم تأخذهم حَمِيّة الأوغاد . قال غيلان : وما حمية الأوغاد ؟ قال : أنْ يعدُّوا التَّواهُب فيما بينهم ضَيما (٥) .

وقال عمر : العمائم تيجان العرب .

وقال : وقيل لأعرابيٍ : مالَكَ لا تضعُ العمامة عن رأسك (٦) ؟ قال : إنّ شيئاً فيه السمعُ والبصر لحقيق بالصَّون .

وقال عليٌّ بن أبي طالب رضى الله عنه : جمال الرجل فى عِمّته (٧) ، وجمالُ المرأة فى خُفِّها .

وقال الأحنف : استجيدوا النِّعال فإنّها خلاخيل الرّجال .

قال : وقد جرى ذكرُ رجلٍ عند الأحنف فاغتابوه فقال : ما لكم وماله ؟ يأكل رزقَه ، ويكفى قِرْنَه ، وتحمل الأرض ثِقْلَه .

---

(١) يقال : دفت دافة ، أى أتى قوم من أهل البادية قد أقحمتهم السنة .

(٢) النائبة : الأضياف ينوبون القوم وينزلون بهم .

(٣) أى نشأ فيهم صغار لحقوا بالكبار وصاروا زيادة فى العدد . اللسان (٢ : ٤٠٢) حيث ورد النص . وانظر أيضاً (دفف) .

(٤) فيما عدا ل : « بهم حاجة » . الإفراد للفظ ، والجمع للمعنى .

(٥) فى حواشي هـ : « التواهب : هو أن يترك الرجل من حقه لصاحبه عند الحاكم على وجه المروءة ومكارم الأخلاق . فإذا رأى أن ترك ذلك ذلة فتلك حمية الأوغاد » . وانظر ما سيأتى فى (٣ : ٩٨) .

(٦) ل : « من رأسك » . وانظر عيون الأخبار (١ : ١٣) .

(٧) فيما عدا ل : « كمته » . والكمة ، بالضم : القلنسوة .

مَسلمة بن محارب قال : قال زياد لحُرقة بنتِ النعمان (١) : ما كانت لذة أبيكِ ؟ قالت : إدمانُ الشراب ، ومحادَثة الرجال .

قال : وقال سليمان بن عبد الملك : قد ركبنا الفارِه ، وتبطّنّا الحسناء ، ولبسنا الليّن حتى استخشنّاه ، وأكلنا الطيِّب حتى أَجَمْناه (٢) . فما أنا اليوم إلى شيءٍ أحوجَ منّي إلى جَليسٍ يضَعُ عنّى مَئُونة التحفُّظ .

وأشاروا على عُبيد الله بن زياد بالحُقْنة ، فتفحَّشها ، فقالوا : إنَّما يتولاّها منك الطَّبيب . فقال : أنا بالصاحب آنَس .

وقال معاوية بن أبي سفيان للنّخّار بن أوس العُذرىّ : ابْغِنِى محدِّثاً . فقال:
٢٨٨ أوَ معي يا أمير المؤمنين ؟! قال : نعم أستريح منك إليه ، ومنه إليك (٣) .

وقال عمرُ بن الخطاب رحمه الله لأبى مريمَ الحنَفِىّ : والله لا أحبُّك حتى تحب الأرضُ الدّمَ المسفوح . قال : فتمنعنى لذلك حقًّا ؟ قال : لا . قال : فَلا ضَيْر ، إنّما يأسَف على الحبّ النِّساء (٤) .

وقال عمرُ لرجلٍ هَمَّ بطلاق امرأته ، فقال له : لِمَ تطلِّقها ؟ قال : لا أحبُّها . فقال عمر : أو كلُّ البيوت بُنِيت على الحب ؟ فأين الرعاية والتذمم .

قال : وأُتى عبدُ الملك بن مروان برجل فقال : زُبيرىٌّ عميرىٌّ ، والله لا يحبك قلبى أبداً . قال : يا أمير المؤمنين ، إنما يبكى على الحبِّ المرأة ، ولكن عدلٌ وإنصاف (٥) .

---

(١) حرقة ، بضم الحاء المهملة وفتح الراء ، كما ضبطت فى اللسان والقاموس . وانظر ترجمتها فى المؤتلف ١٠٣ ، ل : « لحرقة » تحريف. والخبر فى العقد (٦ : ٢٢١) ورسائل الجاحظ بتحقيقنا (١ : ٣٧٢). ولها مقطوعة فى الحماسة ١٢٠٣ بشرح المرزوق .

(٢) أجم الطعام وغيره يأجمه : كرهه ومله . وبابه ضرب وتعب .

(٣) سبق الخبر فى (١ : ٣٣٣) .

(٤) انظر الخبر وتخريجه فى (١ : ٣٧٦) . وما بعد كلمة « ضير » ساقط من هـ .

(٥) انظر (١ : ٣٧٦) والحيوان (٤ : ٢٠١) وعيون الأخبار (٣ : ١١) .

عبد الله بن المبارك ، عن هشام بن عروة ، قال : نازع مروان ، ابنَ الزبير عند معاوية ، فرأى ابن الزُّبير أنَّ ضَلْع معاوية [١] مع مروان ، فقال ابن الزبير : يا أمير المؤمنين : إن لك علينا حقًّا وطاعة ، وإن لك سِطَةً [٢] وحُرْمةً فينا ، فأطع الله نُطعْك ، فإنّه لا طاعة لك علينا إلا فى حقِّ الله . ولا تُطرقْ إطراق الأُفْعُوان فى أُصول السَّخْبَر [٣] .

أبو عبيدة ، قال : قيل لشيخٍ مَرّة : ما بقىَ منك ؟ قال : يسبقنى مَن بين يدىّ ، ويَلحقنى مَن خلفى ، وأنْسَى الحديث ، وأذكر القديم ، وأنْعس فى المَلَاء وأسهر فى الخلاء ، وإذا قمتُ قَرُبت الأرضُ منِّى ، وإذا قعدتُ تباعَدتْ عنّى .

الأصمعى قال : قلت لأعرابى معه ضاجعةٌ من شاءٍ [٤] : لمن هذه ؟ قال :هى لِله عندى .

ولما قَتل عبدُ الملك بن مروانَ مُصعَباً ودخل الكوفة ، قال : للهيثم بن الأسود النّخعى : كيف رأيتَ اللهَ صنَع ؟ قال : قد صنَعَ خيراً ، فخفَّف الوطأة ، وأقَلّ التّثريب [٥] .

وقال ابن عباس : إذا تَرك العالم قولَ لا أدرى فقد أُصِيبتْ مَقاتِله [٦] .

قال : وكانوا يستحبُّون [٧] ألاّ يُجيبوا فى كلٍّ ما سُئلوا عنه .

---

(١) الضلع ، بالفتح : الميل . ل : « ميلان معاوية » . والمَيَلان : الميل .

(٢) يقال وسط قومه فى الحسب يَسِطهم وساطة وسطة ، كعدة ، إذا كان أوسطهم نسبا وأرفعهم مجدا . فيما عدا ل ، هـ : « بسطة » تحريف .

(٣) السخبر : شجر تألفه الحيات . ل : « الشجر » ، صواب نصه من سائر النسخ واللسان (سخبر) .

(٤) الضاجعة : الغنم الكثيرة . ل : « قطيعة من شاء » . والقطيعة ، بالتصغير : الطائفة الصغيرة .

(٥) التثريب : التقريع والاستقصاء فى اللوم ، والإفساد والتخليط .

(٦) كلمة « فقد » سقطت مما عدا ل ، هـ ، مطابقة لما مضى فى (١ : ٣٩٨) .

(٧) ل : « يستحسنون » . وفى حواشى هـ : « خ : يستحيون أن يجيبوا » .

قال : وقال عمرُ بن عبد العزيز (١) : من قال عند مالا يدرِى : لا أدرِى ، فقد أحرَزَ نصف العلم .

وقال ابن عبَّاس : إنّ لكلٍّ داخلٍ دَهشةً ، فآنِسُوهُ بالتحيَّة .

٢٨٩ قالوا : واعتذر رجلٌ إلى سَلم بن قتيبة فقال سَلْم : لا يَدْعُونّك أمرٌ قدْ تخلّصتَ منه ، إلى الدُّخول فى أمرٍ لعلّك لا تخلُص منه .

قال : وكان يقال : دعوا المعاذر فإن أكثرها مَفاجر .

قال : وقال إبراهيم النَّخعىّ لعبد الله بن عون (٢) : تجنّب الاعتذار ، فإن الاعتذار يخالطُه الكذب .

واعتذر رجلٌ إلى أحمدَ بنِ أبى خالد فقال لأبى عبَّاد : ما تقول فى هذا ؟ قال : يُوهَبُ له جُرمُه ، ويُضرَب لعُذره أربعَمائة (٣) .

وقد قال الأول : عذره أعظم من ذنبه .

قال : وقيل لابن عباس : ولد عمر بن أبى ربيعة فى الليلة التى مات فيها عمر بن الخطاب رَحمه الله ، فسُمِّىَ باسمه . فقال ابن عباس : أىُّ حَقٍّ رُفع ، وأىُّ باطل وُضِع !

وقال عَبْدُ الله بن جعفر (٤) لابنته : يا بنية ، إيّاكِ والغَيرة فإنّها مفتاحُ الطلاق ، وإياكِ والمعاتبة فإنّها تورث البِغْضة (٥) وعليكِ بالزّينة والطِّيب ، واعلمى

---

(١) ل : « ابن عمر بن عبد العزيز » فيما عدا ل : « ابن عمر » فقط . والصواب ما أثبت مطابقا ما سبق فى (١ : ٣٩٨ س ١٥) .

(٢) هو عبد الله بن عون بن أرطبان المزنى البصرى ، روى عن ثمامة ، وأنس بن سيرين ، ومحمّد بن سيرين ، وإبراهيم النخعى ، والحسن ، والشعبى ، وعنه : الأعمش ، والثورى،وابن المبارك . ثقة ثبت ورع كثير الحديث . ولد سنة ٦٦ وتوفى سنة ١٥٠ . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ٢٢٨) . فيما عدا ل ، هـ : « لعبد الله بن عوف » تحريف .

(٣) هـ : « على عذره » .

(٤) هو عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ، كان من أجواد العرب ، ولد بالحبشة وتوفى بالأبواء سنة تسعين . المعارف ٨٩ . ل : « عبيد الله » تحريف .

(٥) فيما عدا ل : « الضغينة » . وأشير فى حواشى هـ إلى « البغضة » عن نسخة .

أنّ أزْيَنَ الزّينة الكُحل ، وأطيبَ الطّيب الماء .

قال : ولمّا نازع ابنُ الزبير مروانَ عند معاوية قال ابنُ الزُّبير : يا معاوية : لا تَدَعْ مروانَ يرمى جماهير قريشٍ بمَشاقِصِه ، ويضربُ صَفاتَهم بمَعاوِلِه (١) ، فلولا مكانُك لكان أخفَّ على رقابنا من فَراشَةٍ ، وأقلّ فى أنفسنا من خَشاشَةٍ (٢) . ولئن مُلّكَ أعِنَّة خيلٍ تنقاد له ليَركَبَنَّ منك طَبَقاً تخافُه (٣) . قال معاوية : إن يَطلبْ هذا الأمرَ فقد يطمعُ فيه مَن هو دونَه ، وإن يتركْه فإنّما يتركُه لمن هو فوقه . وما أُراكم بمنتهين حتّى يبعثَ الله إليكم مَن لا يعطِف عليكم بقرابَةٍ ، ولا يذْكُركم عند مُلمَّةٍ ، يَسومُكم خَسفا ، ويُوردكم تلَفا ! فقال ابن الزُّبير : إذاً والله نُطْلِقَ عِقال الحرب بكتائبَ تمور كرِجل الجراد (٤) ، حافَتُها الأسَل (٥) ، لها دَوِيّ كدَوِيّ الرّيح ، تتبع غِطْريفا من قريشٍ لم تكن أُمُّه براعية ثَلّةٍ (٦) . فقال معاوية : أنا ابنُ هند ، إنْ أطلقتُ عِقال الحرب أكلَتْ ذِروة السَّنام (٧) ، وشربَتْ عُنفُوانَ المَكْرع (٨) ، وليس للآكِل إلّا الفِلْذةُ ، ولا للشّارب إلا الرَّنْق (٩) .

---

(١) المشاقص : جمع مشقص ، كمنبر ، وهو النصل العريض ، أو سهم فيه ذلك . والصفاة : الحجر الصلد الضخم . ل : « يضرب صفاهم بمعاوله » . والصفا : جمع صفاة .

(٢) الخشاشة : واحدة الخشاش ، بكسر الخاء وفتحها ، وهى حشرات الأرض وهوامّها .

(٣) فى اللسان (١٢ : ٨١) : « تنقاد له فى عثمان ليركبن منك طبقا تخافه » . ليركبن طبقا ، أى ليركبن منك مركبا صعبا وحالا لا يمكن تلافيها .

(٤) الرجل ، بالكسر : الجراد الكثير .

(٥) الأسل : الرماح . فيما عدا ل : « حافاتها الأسل » .

(٦) الثلة ، بالفتح : جماعة الغنم .

(٧) فيما عدا ل : « أطلقت عقال الحرب فأكلت ذروة السنام » .

(٨) عنفوان المكرع ، أى أوله .

(٩) الرنق ، بالفتح ، والتحريك ، وبفتح فكسر : الكدر .

بكر بن الأسود [١] قال : قال الحسن بن علىّ لحبيب بن مَسْلَمة [٢]: رُبَّ
٢٩٠ مَسِيرٍ لك فى غَيرِ طاعَةِ الله . فقال : أمّا مسيرى إلى أبيك فلا . قال : بَلَى ، ولكنّك أطعت معاويةَ على دنيا قليلة ، فلعمرى لئن قام بك فى دنياك ، لقد قَعَدَ بك فى دينك . ولو أنّك إذْ فعلتَ شرًّا قلتَ خيراً ، كنت كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً ﴾ ، ولكنّك كما قال جلّ وعز : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكسِبُون ﴾ .

قال أبو الحسن : سمعتُ أعرابيًّا فى المسجد الجامع بالبصرة بعد العصر ، سنة ثلاث وخمسين ومائة ، وهو يقول : أمّا بعد فإنّا أبناءُ سبيل ، وأنضاءُ طريق ، وفَلُّ سَنة ، فتصدَّقُوا علينا ؛ فإنه لا قليلَ من الأجر ، ولا غِنَى عن الله ، ولا عَملَ بعد الموت . أمَا والله إنّا لَنقومُ هذا المقام وفى الصّدر حَزازة ، وفى القلب غُصَّةٌ .

وقال الأحنف بخراسان : يا بنى تميم ، تحابُّوا تجتمع كلمتكُم ، وتباذلوا تعتدلْ أموالكم ، وابدءُوا بجهاد بُطونكم وفروجكم يصلُحْ لكم دينكم ، ولا تَغُلّوا يسلمْ لكم جهادُكم .

ومن كلام الأحنف السّائرِ فى أيدى الناس : الزم الصّحةَ يلزمْك العمل .

وسئل خالد بن صفوان عن الكوفة والبصرة فقال [٣] : « نحنُ منابتُنا قصَب ، وأنهارنا عَجَب ، وسماؤنا رُطَب ، وأرضنا ذهب » . وقال الأحنف : « نحن أبعَدُ منكم سَرِيّة ، وأعظم منكم بَحْرِيّة ، وأكثر منكم ذُرِّيّة ، وأغْذَى

---

(١) بكر بن الأسود ، ويقال ابن أبى الأسود ، أبو عبيدة الناجى ، أحد الزهاد ، وكان رأسا فى القدر ، روى عن الحسن . لسان الميزان .

(٢) هو أبو عبد الرحمن حبيب بن مسلمة بن مالك القرشى المكى ، وكان يسمى « حبيب الروم » لمجاهدتهم أو لكثرة دخوله عليهم . مختلف فى صحبته . مات فى خلافة معاوية سنة ٤٢ . تهذيب التهذيب والإصابة ١٥٩٥ .

(٣) فيما عدا ل : « وقال خالد بن صفوان وسئل عن الكوفة والبصرة » .

منكم بَرِّيَّةً (١) » . وقال أبو بكر الهذلىّ : « نحن أكثرُ منكم ساجاً وعاجا ، وديباجا وخراجا ، ونهرا عَجّاجا (٢) » .

وكتب صاحبٌ لأبى بكر الهذلىّ إلى رجل يعزّيه عن أخيه : « أُوصِيك بتقوى الله وحدَه ؛ فإنّه خَلقك وحده ، ويبعثُك يومَ القيامة وحدَه . والعجَبُ كيف يعزّى ميْتٌ مَيْتاً عن مَيْت . والسلام » .

وقال رجل لابن عَيّاشٍ (٣) رحمه الله : أيّما أحبُّ إليك : رجلٌ قليل الذُّنوب قليل العمل ، أو رجلٌ كثير الذُّنوب كثير العمل ؟ فقال : ما أعدِلُ بالسَّلامة شيئاً .

وقال آخر : حماقة صاحبى أشدُّ ضرراً علىّ منها عليه .

شُعبَةُ أبو بسطام (٤) قال : قال عبد الرحمن بن أبى لَيلَى : لا أُمارى أخى ، فإمّا أنْ أُكْذِبَه ، وإمّا أن أُغضِبه .

وقالوا : أخذ رجلٌ على ابن أبى ليلى كلمةً (٥) ، فقال له ابنُ أبى ليلى : أهْدِ إلينا من هذا ما شئت (٦) . ٢٩١

لما مات ابنُ أبى ليلى ، وعمرُو بن عُبيد ، رحمهما الله تعالى ، قال أبو جعفر المنصور : ما بقى أحدٌ يُستَحَى منه (٧) .

ولمّا مات عبدُ الله بن عامر (٨) قال معاوية : رحم الله أبا عبد الرحمن ، بمن نُفاخِرُ ؟

---

(١) أعذى ، من العذاة ، وهى الأرض الطيبة التربة الكريمة المنبت .

(٢) سبق الخبر بلفظ آخر فى (١ : ٣٥٧) .

(٣) فيما عدا ل : « لابن عباس » .

(٤) سبقت ترجمته فى (١ : ٣٦٩) .

(٥) فيما عدا ل : « قال وأخذ على ابن أبى ليلى رجل من جلسائه » .

(٦) فى حواشى التيمورية : « أى نبهنا عليه . وهذا من الإنصاف أن ينبه الرجل على خطائه فيرضى » .

(٧) هـ : « يستحيا منه » .

(٨) سبقت ترجمته فى (١ : ٣١٨) .

مَسلمة بن محارب (١) قال : قال زياد : ما قرأتُ كتابَ رجلٍ قطُّ إلا عرفتُ فيه عقلَه .

أبو معشر (٢) قال : لما بلغ عبدَ الله بن الزُّبير قتلُ عبد الملك بن مروان عمرَو بنَ سعيد الأشدق ، قام خطيباً فقال : إن أبا الذِّبَّان قَتَل لطيم الشيطان ، ﴿ كَذَلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ الظَّالِمينَ بَعْضاً بِمَا كانُوا يَكْسِبُون ﴾ . ولما جاءه قتلُ أخيه مُصْعَب ، قام خطيباً بعد خُطبته الأولى فقال : إنّ مُصعبا قدّم أيرَه وأخّر خيرَه ، وتشاغَلَ بنكاح فلانة وفلانة ، وتَرَك حلْبة أهلِ الشام حَتّى غشيَتْه فى داره . ولئن هَلَكَ مصعبٌ إنّ فى آل الزُّبير منه خلَفاً .

قالوا (٣) : ولما قدِم ابنُ الزُّبير بفتح إفريقيَّة ، أمَره عثمانُ فقام خطيباً ، فلما فرغ من كلامه قال عثمان : أيُّها الناس انكِحوا النِّساءَ على آبائهنّ وإخوتهنّ ؛ فإنّى لم أرَ فى ولد أبى بكر الصديق أشبَهَ به من هذا .

وسمع عمر بن الخطاب رحمه الله أعرابياً يقول : اللهمَّ اغفر لأُمّ أوْفَى . قال : ومَن أمّ أوفى ؟ قال : امرأتى ، وإنّها لحمقاء مِرْغامَةٌ (٤) ، أكول قامَّةٌ (٥) ، لا تَبقَى لها خَامَّةٌ (٦) ، غير أنّها حسناء فلا تُفْرَك ، وأمُّ غِلمان فلا تُترك .

قالوا : ودفَعُوا إلى أعرابيّة عِلكًا (٧) تمضَغَه ، فلم تفعلْ ، فقيل لها فى ذلك فقالت : ما فيه إلاَّ تعبَ الأضراس ، وخَيْبة الحنجرة .

---

(١) ترجمته فى ص ٤٨ من هذا الجزء .

(٢) ترجم فى (١ : ٤٠٦) حيث ورد الخبر التالى .

(٣) سبق الخبر فى (١ : ٤٠٦) .

(٤) المرغامة : المبغضة لبعلها . والخبر فى اللسان (١٥ : ١٣٨) .

(٥) قمّ ما على المائدة : أكله فلم يدع منه شيئاً .

(٦) الخامُّ : ما تغير ريحه من لحم أو لبن ونحوهما . يقال خم وأخم أيضا . والكلمة محرفة فى النسخ صوابها من هـ واللسان ، ففى ل : « جامة » ، وفيما عدا ل : « حامة » .

(٧) العلك ، بالكسر : ضرب من صمغ الشجر كاللُّبان ، يمضغ فلا يباع .

وكان أبو مسلم استشارَ مالك بن الهيثم ، حِينَ وردَ عليه كتابُ المنصور فى القُدوم عليه ، فلم يُشرْ عليه فى ذلك ، فلما قُتل أبو مسلم أذكَرَهُ ذلك ، فقال ابنُ الهيثم : إنّ أخاك إبراهيم الإمام حدّث عن أبيه محمد بن على أنّه قال : لا يزال الرّجل يُزَادُ فى رأيه ما نصح لمن استشاره ، فكنتُ له يومئذ كذلك ، وأنا لك اليوم كذلك .

وقال الحسن : التّقدير نصف الكسب ، والتودُّد نصف العقل ، وحُسن طلب الحاجة نصف العلم .

قال : وقال رَجل لعمرو بن عُبيد : إنّى لأرحمك مما يقول الناس فيك . قال : أسمِعتَنى أذكر [1] فيهم شيئاً ؟ قال : لا . قال : إيّاهم فارحَمْ . ٢٩٢

ومدح نُصَيب أبو الحجناء عبدَ الله بنَ جعفر ، فأجزَلَ لهُ من كلِّ صِنف ، فقيل له : أتصنع هذا بمثل هذا العبد الأسود ؟ قال : أمَا والله لئن كان جلدُه أسودَ إنّ ثناءَه لأبيض [2] ، وإن شِعرَهُ لَعربىّ ، ولقد استحق بما قال أكثر مما نال ، وإنّما أخَذَ رواحلَ تُنْضَى ، وثياباً تَبلَى ، ومالاً يفنَى ؛ وأعطى مديحاً يُروَى ، وثناءً يبقى .

ووقف أعرابىٌّ فى بعض المواسم ، فقال : اللهم إنّ لك علىّ حقوقاً فتصدّقْ بها علىّ ، وللناس تَبعاتٍ فتحمّلْها عنّى ، وقد أوجبتَ لكلِّ ضعيف قِرًى وأنا ضيفُك ، فاجعل قِرَاىَ فى هذه اللّيلة الجنَّة .

ووقف أعرابىٌّ يسأل قوماً فقالوا له : عليك بالصَّيارفة . فقال : هناك والله قَرَارَةُ اللؤم .

---

(١) فيما عدا ل : « أفتسمعنى أقول » .

(٢) الثناء : ما تصف به الإنسان من مدح أو ذم .

وقال مَسلمة : ثلاثةٌ لا أُعذِرهم : رجلٌ أَحفى شاربَه ثم أعفاه [١] ، ورجل قصّر ثيابه ثم أطالها ، ورجلٌ كان عنده سراريُّ فتزوّجَ حُرّة .

أبو إسحاق قال : قال حذيفة : كُن فى الفتنة كابنِ لَبُون ، لا ظَهرَ فيُركب ، ولا لبنَ فيُحلَب .

وقال الشّاعر وليس هذا الباب فى الخبر الذى قبل هذا :

ألم تَرَ أنّ النّاب تُحلَبُ عُلبةً ... ويُتْرك ثِلْبٌ لا ضِرَابٌ ولا ظَهْرُ [٢]

عُتبة بن هارون قال : قلت لرؤبة : كيف خَلّفت ما وراءك ؟ قال : التراب يابس ، والمرعى عابس .

وقال معاوية لعبد الله بن عباس : إنّى لأعلم أنّك واعظ نفسه ، ولكنّ المصدور إذا لم ينفِثْ جَوِىَ .

وقيل لعُبيد الله بن عبد الله بن عُتبة بن مسعود : أتقول الشعر مع النُّسْكِ والفضل والفقه ؟ فقال : « لابد للمصدور من أن ينفث [٣] » .

قال أبو الذّيّال شُوَيسٌ [٤] : « أنا والله العربىُّ ، لا أَرقَع الجُرُبّان ،

---

(١) إحفاء الشارب : أن يبالغ فى قصه . وإعفاؤه : إطالته وتوفيره . فيما عدا ل : « أحفى شعره » . وفى الحديث أنه أمر أن تحفى الشوارب وتعفى اللحى .

(٢) الثلب ، بالكسر : الجمل الذى انكسرت أنيابه من الهرم .

(٣) سبق الخبر فى (١ : ٣٥٧) .

(٤) ل : « قال أبو الذيال قال شريس » ، وفيما عدا ل : « قال أبو الذيال قال شويس » . وكلاهما خطأ ، فإن « شويسا » بالواو ، هو أبو الذيال عينه ، كما فى تنبيه البكرى على الأمالى ١٢٤ ؛ فإنه أورد نص القالى فى الأمالى (٢ : ٢٤٧) وقال : « وهذا الكلام لأبى الذيال شويس الأعرابى العدوى » . وفى الإصابة ٣٩٨٣ أنه « شويس بن حباش العدوى » . والنص عند البكرى : قال : أنا ابن التاريخ ، أنا والله العربى المحض ، لا أرقع الجربان ، ولا ألبس التبان ، ولا أحسن الرطانة . وإنى لأرسب من رصاصة ، وما قرقمنى إلا الكرم » . قال البكرى : « قوله أنا ابن التاريخ ، يعنى أنه ولد سنة الهجرة » . والجربان : جيب القميص . والتبان : السراويل الصغير مقدار الشبر . نفى عن نفسه لبس العجم ، ولبس الملاحين . والعرب إنما كانت تلبس الإزار والرداء . وقوله : « ما قرقمنى إلا الكرم » قال أبو عبيد : « يعنى أن أباه طلب المناكح الكريمة فلم يجدها إلا فى أهله ، فجاء ولده ضاويا » . وفى اللسان (قرقم) : « أى إنى جئت ضاويا لكرم آبائى وسخائهم بطعامهم عن بطونهم » .

ولا أُلبس التُّبَّان ، ولا أُحسن الرِّطَّانة ، ولأنا أرْسَى من حَجرٍ ، وما قرقمنى إلاّ الكرم » .

أبو الحسن وغيره قال : قال عَمرو بن عتبة بن أُبى سفيان ، للوليد بن يزيد ابن عبد الملك ، وهو بالبَخراءِ (١) من أُرض حِمص : يا أُمير المؤمنين ، إنّك لَتستنطقنى بالأُنْسِ بك ، وأُكفُّ عن ذلك بالهيبة لك ، وأراك تأمَن أشياءَ أُخافُها ٢٩٣ عليك ، أفأسكتُ مطيعاً ، أم أقولُ مشفقاً ؟ قال : كلٌّ ذلك مقبولٌ منك ، ولله فينا علمُ غيبٍ نحن صائرون إليه ، وتَعود فتقول (٢) . قال : فقُتِلَ بعد أيّام .

وكان أيّوب السِّختيانىّ يقول : لا يَعرف الرّجلُ خطأَ معلِّمه حتّى يسمع الاختلاف .

وقال بعضُهم (٣) : كنت أجالس ابنَ صُعْير فى النَّسب (٤) ، فجلست إليه يوماً فسألتُه عن شئ من الفقه ، فقال : أَلك بهذا من حاجة ؟ عليك بذاك – وأشار إلى سعيد بن المسيّب (٥) – فجلست إليه لا أظُنُّ أنّ عالِماً غيرُه ، ثم تَحوّلت إلى عُروة (٦) ، ففتقت به ثَبَجَ بحر (٧) .

قال : وقلت لعثمان البُرّىّ (٨) : دُلّنى على باب الفقه . قال : اسمع الاختلاف

---

(١) فى معجم ما استعجم : « البخراء : أرض بالشام ، سميت بذلك لعفونة فى تربتها ونتنها » .

(٢) فيما عدا ل ، هـ : « ونعود فنقول » .

(٣) هو الزهرى ، كما فى اللسان (ثبج) .

(٤) أى فى تعلم النسب .

(٥) سبقت ترجمته فى (١ : ١٠٢) .

(٦) هو عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى الأسدى . روى عن أبيه وأخيه عبد الله ، وأمه أسماء بنت أبى بكر ، وخالته عائشة ، وعلى وغيرهم . وكان ثقة كثير الحديث فقيها . ولد فى آخر خلافة عمر سنة ٢٣ وتوفى سنة ٩٤ وهى سنة الفقهاء . تهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة (٢ : ٤٧) .

(٧) ثبج البحر والليل : معظمه .

(٨) مضت ترجمته فى (١ : ٢٢) . ل : « المزى » صوابه فى سائر النسخ .

وقيل لأعرابى عند مَن تحبُّ أن يكون طعامُك ؟ قال : عند أمّ صبىّ راضع ، أو ابن سبيل شاسع ، أو كبيرٍ جائع ، أو ذى رحم قاطعٍ .

وقال بعضهم : إذا اتّسعت المقدرة نقّصت الشهوة . قال : قلت له [١] : فمن أسوأُ النّاس حالاً ؟ قال : مَن اتسعت معرفتُه ، وبعُدت همّته ، وقويت شهوتُه ، وضاقت مقدرتُه .

وذُكر عند عائشة رحمها الله الشَّرفُ فقالت : كلُّ شرفٍ دُونَه لُؤمٌ فاللُّؤمُ أولى به ، وكلّ لؤم دونه شرفٌ فالشّرفُ أولى به .

ودخل رجلٌ على أبى جعفر ، فقال له : اتّق الله . فأنكر وجهَه . فقال : يا أمير المؤمنين ، عليكم نزلَتْ ، ولكُمْ قِيلت ، وإليكم رُدَّت .

وقال رجلٌ عند مَسلمة : ما استرحْنَا مِن حائك كِندةَ حتَّى جاءنا هذا المَزُونىّ [٢] ! فقال له مسلمة : أتقول هذا لِرجل سار إليه قَرِيعاً قريش ؟ يعنى نفسه والعباسَ بنَ الوليد . إنّ يزيدَ بن المهلَّب [٣] حاولَ عظيماً ، ومات كريماً .

عبدُ الله بن الحسَن قال : قال علىّ بن أبى طالب رحمه الله : خُصِصْنَا بخمسٍ : فصاحةٍ ، وصباحةٍ ، وسماحةٍ ، ونجدةٍ ، وحُظوةٍ – يعنى عند النِّساء .

علىّ بن مجاهِد ، عن هشام بن عروة [٤] ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : جُبِلت القلوبُ قلوبُ الناس [٥] على حُبِّ مَن أحسَنَ إليها ، وبُغضِ من أساء إليها .

---

(١) هذه الكلمة من ل فقط .

(٢) المزونى : نسبة إلى المزون ، بالفتح ، وهى أرض عمان . وفى حواشى التيمورية : « يعنى بحائك كندة عبد الرحمن بن الأشعث ، لأنه خرج على عبد الملك ، ومن أجله كان يوم دير الجماجم . ولم يكن حائكا ولكنه كان من اليمن ، وكان النسج الرفيع باليمن . والمزونى هو يزيد بن المهلب ، وكان أيضا قد خرج على عبد الملك إلى أن ظفر به مسلمة » .

(٣) التيمورية : « والعباس بن الوليد بن يزيد بن المهلب » ، محرفة . ل : « إن يزيد » فقط .

(٤) هو هشام بن عروة بن الزبير المترجم فى (١ : ٢٥٢) .

(٥) هاتان الكلمتان من ل ، هـ .

وقال الأصمعىّ : كُتِب كتابُ حكمةٍ فبقيتْ منه بقيّة فقالوا : ما نكتب ؟ قالوا : اكتبوا : « يُسْأَل عن كلٍّ صناعةٍ أهلُها » . ٢٩٤

وقال شَبيب بن شيبةَ للمهدىّ : إنَّ الله لم يرضَ أن يجعلك دونَ أحدٍ مِن خلقه ، فلا ترض لنفسك أن يكون أحدٌ أخوفَ لله منك .

وقال يحيى بن أكثم : « سِياسة القضاء اشدُّ من القضاء » . وقال : إنَّ من إهانة العلم أن تجارِىَ فيه كلَّ من جاراك » .

قال : وحمَّل رقبةُ بن مَصقَلة من خراسان رجلاً إلى أُمّهِ خمسَمائةِ درهم ، فأبى الرجل أن يدفعَها إليها حتّى تكون معها البيّنةُ على أنها أُمّه ، فقالت لخادمٍ لها : اذهبى حتى تأتينا ببعض مَن يعرفُنا ، فلما أتاها الرجل برزَت فقالت : الحمد لله ، وأَشكو إلى الله الذى أبرزَنى وشهَّر بالفاقة أهلى . فلمَّا سمع الرجلُ كلامها قال : أشهد أنَّكِ أمُّه ، فرُدِّى الخادمَ ولا حاجة بنا إلى أنْ تجيئى بالبينة [١] .

قال : وكان الحسن يقول فى خُطبة النكاح ، بعد حَمْدِ الله والثناء عليه : « أمّا بعدُ فإنَّ الله جمع بهذا النكاح الأرحامَ المُنْقطعة ، والأنسابَ المتفرقة ، وجعل ذلك فى سنّةٍ من دينه ، ومِنهاج واضحٍ من أمره ، وقد خطب إليكم فلانٌ ، وعليه من الله نِعمة » .

عامر بن سعد [٢] قال : سمعت الزُّبيرَ [٣] يعزّى عبدَ الرحمن [٤] على بعض

---

(١) هذا ما فى ل . وفى هـ : « أن تأتى بالبينة » . وفى سائر النسخ : « أن تجئ بالبينة » .

(٢) هو عامر بن سعد بن أبى وقاص الزهرى ، أحد ثقات الحديث من التابعين المدنيين . توفى سنة ١٠٤ . تهذيب التهذيب .

(٣) هو الصحابى الخليل الزبير بن العوام الأسدى ، حوارىّ رسول الله ، وابن عمته ، وأحد العشرة المشهود المشهود لهم بالجنة ، والستة أصحاب الشورى . قتله عمرو بن جرموز منصرفه من الجمل سنة ٣٦ . الإصابة ٢٧٨٣ .

(٤) هو الصحابى الجليل عبد الرحمن بن عوف ، أحد العشرة والستة . وكان ممن حرم على نفسه الخمر فى الجاهلية . توفى سنة ٣١ وصلى عليه عثمان ، وقيل صلى عليه الزبير . الإصابة ٥١٧١ .

نسائه ، فقال وهو قائمٌ على قبرها : لا يَصْفَرْ رَبْعُكَ (١) ، ولا يوحِشْ بيتُك ، ولا يَضِعْ أجرُك . رحم الله مُتوفّاك ، وأحسَنَ الخلافَةَ عليك .

وقال عمر بن الخطاب رحمه الله : خيرُ صناعات العرب أبياتٌ يقدِّمها الرّجلُ بين يدَىْ حاجَته ، يستميل بها الكريم ، ويستعطف بها اللَّئيم .

وقال : ولِيمَ مُصعب بن الزُّبير على طول خطبته عشيّة عرفة فقال : أنا قائمٌ وهم جلوس ، وأتكلّم وهم سكوت ، ويضجرون !

وقال موسى بن يحيى : كان يحيى بن خالد يقول : ثلاثة أشياءَ تدلُّ على عقول أربابها : الكتاب يدلُّ على مقدار عقل كاتِبه ، والرّسولُ على مقدار عقل مُرسِله ، والهديّةُ على مقدار عَقْل مهديها .

٢٩٥ وذكر أعرابى أميراً فقال : يقضى بالعُِشْوة (٢) ، ويطيل النّشوة ، ويقبل الرِّشوة .

وقال يزيد بن الوليد : إنّ النّشوة تحلُّ العُقدة ، وتُطلق الحُبْوة . وقال : إيّاكم والغِناءَ ، فإنّه مفتاح الزِّناء (٣) .

وقال عمر بن الخطاب رحمه الله : إذا توجّه أحدكم فى وجهٍ ثلاثَ مرّات فلم يصبْ خيراً فليدَعْه .

وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه : لا تكونَنّ كمن يعجِز عن شكر ما أُوتى ، ويبتغى الزّيادةَ فيما بقى ؛ يَنهَى ولا ينتهى ، ويأمر الناس بما لا يأتِى ؛ يحبُّ الصالحين ولا يعمل بأعمالهم ، ويُبغض المُسيئين وهو منهم ؛ يكره الموت لكثرة ذنوبه ، ولا يَدَعُها فى طول حياتِه .

---

(١) الربع : المنزل ، وقيل المنزل فى الربيع خاصة . صفر يصفر : من باب تعب : خلا .

(٢) العشوة ، بتثليث العين : الأمر الملتبس .

(٣) ما عدا هـ : « الزنى » . وانظر العقد (٦ : ٣٣٨) .

وقال أعرابىّ : خرجتُ حين انحدرَتْ أيدى النُّجومِ وشالت أرجلُها ، فلم أزَلْ أصدع الليلَ حتى انصدعَ الفجر .

قال : وسألتُ أعرابياً عن مسافةِ ما بين بلدين فقال : عُمرُ ليلةٍ ، وأديمُ يومٍ . وقال آخر : سواد ليلةٍ ، وبَياض يومٍ .

وقال بعض الحكماء : لا يَضِرْك حبُّ امرأةٍ لا تعرفها .

وقال رجلٌ لأبى الدّرداء : فلان يُقرئك السّلام . فقال : هديّة حسنة ، ومَحْمَل خفيف .

وسَرَق مُزَبِّدٌ (١) نافجةَ مِسك فقيل له : إنّ كلّ مَن غَلّ يأتى يوم القيامة بما غَلّ (٢) يحمله فى عنقه ، فقال : إذاً واللهِ أحمِلَها طيِّبةَ الريح ، خفيفةَ المحمَل .

قيل : ومِن أبخل البُخل تَركُ رَدِّ السَّلام .

قال ابن عُمر : لَعمرِى إنّى لأرى حقّ رجْعِ جواب الكتاب كردِّ السَّلام .

وجاء رجلٌ إلى سَلْمان (٣) فقال : يا أبا عبد الله ، فلان يقرئك السلام . فقال : أَما إنك لو لم تفعل لكانت أمانةً فى عنقك .

---

(١) مزبد المدينى ، من مشهورى أصحاب النوادر والفكاهة . ويقع التحريف فى اسمه كثيرا فيقال « مزيد » بالياء المثناة التحتية . وفى تاج العروس (٢ : ٣٦١) : « ومزبد كمحدث : اسم رجل ، صاحب النوادر . وضبطه عبد الغنى وابن ماكولا كمعظم . وكذا وجد بخط الشرف الدمياطى وقال : إنه وجده بخط الوزير المغربى . ووجد بخط الذهبى ساكن الزاى مكسور الموحدة » . وقد رجعت إلى المشتبه للذهبى ص ٤٧٥ فوجدت فيه : « وبزاى وبموحدة مكسورة : مزبد صاحب النوادر » ففى ضبطه أقوال ثلاثة . وله حديث فى ثمار القلوب ٣٧٢ والحيوان (٥ : ١٨٤ ، ١٩٢ ، ١٩٣) . وقال التوحيدى فى شأن الجاحظ : « وإن هزل زاد على مزبد » . انظر المقابسات ٥٥ .

(٢) هاتان الكلمتان من ل ، هـ .

(٣) فيما عدا ل ، هـ : « سليمان » تحريف . والخبر رواه ابن الجوزى فى ترجمة سلمان الفارسى . انظر صفة الصفوة (١ : ٢١٨ س ١٣ – ١٥) . ونصه : « عن أبى قلابة أن رجلا دخل على سلمان وهو يعجن فقال : ما هذا ؟ قال : بعثنا الخادم فى عمل فكرهنا أن نجمع عليه عملين . ثم قال : فلان يقرئك السلام . قال : متى قدمت ؟ قال : منذ كذا وكذا . فقال : أما إنك لو لم تؤدها كانت أمانة لم تؤدها » . وكنية سليمان أبو عبد الله ، ويقال له سلمان ابن الإسلام ، وسلمان الخير . وأصله من رامهرمز ، وقيل من أصبهان ، =

وقال مثنّى بن زهير لرجل : احتفظ بكتابى هذا حتى توصله إلى أهلى ؛ فمن العجَب أنّ الكتاب مُلقًى ، والسَّكرانَ مُوقًّى .

وكان عبد الملك بن الحجاج يقول : لأنا لِلعاقِل المُدْبِر أرجى من الأحمق المُقْبِل .

وقال : إيّاك ومصاحبةَ الأحمق ؛ فإنّه ربما أراد أن ينفعك فضرّك .

وكتب الحجاج إلى عامل له بفارس : « ابعث إلىّ بعسلٍ من عَسَلِ خُلَّار (١) ، من النّحل الأبكار ، من الدَّسْتِفْشارَ (٢) ، الذى لم تمسَّه النار » .

وقال الشاعر :

٢٩٦ وما المرء إلا حيثُ يجعل نفسَه ففى صالح الأخلاق نفسَك فاجْعلِ (٣)

قال : ونظر أبو الحارث جُمَّين (٤) ، إلى برذَون يُستقى عليه الماء فقال :

* وما المرء إلا حيث يجعل نفسه *

لو أن هذا البِرذون هملَجَ ما صُنِعَ به هذا .

عمرو بن هُدّاب قال : قال سَلْمُ بن قتيبة : رَبُّ المعروف أشدُّ من ابتدائه .

وقال محمّد بن واسع : « الإبْقاء على العمل أشدُّ من العمل » .

وقال يحيى بن أكثم : « سياسةُ القضاء أشدُّ من القضاء » .

= سافر يطلب الدين مع قوم فغدروا به فباعوه من اليهود ، ثم إنه كوتب فأعانه النبى ﷺ فى كتابه . أسلم مقدم النبى المدينة ، وشهد الخندق وما بعدها ، وولاه عمر المدائن . انظر الإصابة ٣٣٥٠ .

(١) خلار ، كرمان : موضع يكثر به العسل الجيد . والخبر فى اللسان (خلر) .

(٢) الدستفشار : لفظ فارسى معناه المعصور باليد ، مركب من « دست » بمعنى يد ، و « أفشار » بمعنى معصور . انظر الألفاظ الفارسية المعربة لأدى شير ٦٤ واللسان (بكر ١٤٤) .

(٣) ل فقط : « فالفعل » والبيت لمنقر بن فروة كما سيأتى فى (٣ : ٢٢٨) .

(٤) أبو الحارث جمين ، أو جميز ، أحد أصحاب الفكاهة من معاصرى الجاحظ ، ودعبل بن على ، وابن سَيَابة . انظر بعض أخباره فى الأغانى (١ : ٣٧ / ١١ : ٦ / ١٧ : ٤٤) وجمع الجواهر للحصرى ٦٣ ، ٦٤ . صاحب القاموس يرى أن لفظ « جمين » خطأ ، والصواب « جميز » . وقال فى مادة (جمن) : « ضبطه المحدثون بالنون ، والصواب بالزاى المعجمة أنشد أبو بكر بن مقسم :

إن أبا الحارث جميزا قد أُوتىَ الحكمة والميزا » .

وقال محمد بن محمد الحُمْرانى [١] : « من التوقِّى تَركُ الإفراط فى التوقِّى » .

وقال أبو قرّة : « الجوع للحِمْية أشدُّ من العلّة » .

وقال الجمّاز : « الحِمية إحدى العلّتين » . وقال العَمّىُّ [٢] : « مَن احتمى فهو على يقينٍ مِن تعجيل المكروه ، وفى شكٍّ مما يأمُل من دوام الصحَّة » .

وذكر أعرابىٌّ رجلا فقال : حُمَّى المُعافَى ، حَنوطُ المُبتَلَى [٣] .

وقال عمر [٤] اعتبر عزْمَه بحِميَته ، وحَزْمَه بمتاعِ بَيتِه .

وقالوا [٥] : أمرانِ لا ينفكان من الكذب : كثرة المواعيد ، وشدّة الاعتذار .

وقيل لرجلٍ من الحكماء : ما جِمَاعُ البلاغة ؟ قال : معرفة السّليم من المعتلّ ، وفصل ما بين المُضمّن والمطْلَق ، وفرقِ ما بين المشتَرَك والمفرد ، وما يحتمل التأويل من المنصوص المقيّد .

وقال سهل بن هارون فى صدر كتابٍ له : « وَجَب [٦] على كلّ ذى مقالةٍ أنْ يبتدئَ بالحمد لله قبل استفتاحها ، كما بُدِئ بالنِّعمة قبل استحقاقها » .

وقال أبو البلاد [٧] :

وإنّا وجَدنا النّاسَ عُودَين : طيِّباً ... وعُوداً خبيثاً لا يبِضُّ على العَصْرِ [٨]
تَزِينُ الفتى أخلاقُه وتَشِينُه ... وتُذكَرُ أخلاقُ الفتى وهو لا يدرى

وقال آخر فى هذا المعنى :

سابِقْ إلى الخيرات أهلَ العلا ... فإنّما النـاسُ أحـاديثُ ٢٩٧
كلُّ امرئٍ فى شأنه كادحٌ ... فوارثٌ منهمْ ومـــوروثْ

---

(١) انظر ما سبق فى (١ : ٣٦٥ س ٥) .
(٢) فيما عدا ل ، هـ : « القمى » .
(٣) فيما عدا ل : « حمى المبتلى حنوط المعافى » .
(٤) هذه الكلمة من ل ، هـ .
(٥) ل : « وقال » .
(٦) فيما عدا ل : « واجب » .
(٧) سبقت ترجمته فى (١ : ٣٥٤) .
(٨) لا يبض : لا يخرج منه ماء .

ولما قال حَمَلُ بن بدر ، لبنى عبس ، والأسنّةُ فى ظهورهم ، والبوارقُ فوق رءوسهم : « نُؤدِّى السبَق (١) ، ونَدِى الصِّبْيان وتخلّون سِربنا ، وتسودون العرب » ، انتهره حذيفةُ فقال : إيّاك والكلامَ المأثور !

وقال الشاعر :

اليوم خمرٌ ويبدو فى غدٍ خبرٌ والدّهرُ من بين إنعامٍ وإبآسِ(٢)

قال : وقال أعرابىّ : « إنّ المسافر ومَتاعَهُ لعلَى قَلَتٍ (٣) إلاّ ما وَقَى الله » .

وقالوا : السّفَر قِطعة من العذاب ، وصاحبُ السَّوء قطعةٌ من النار .

قال : وجلس معاوية بالكوفة يُبايع الناس على البراءة مِن علىٍّ رحمه الله ، فجاءه رجلٌ من بنى تميم ، فأراده على ذلك فقال : يا أمير المؤمنين : نُطيع أحياءكم ولا نبرأُ من موتاكم . فالتفت إلى المغيرة فقال : إن هذا رجلٌ ، فاستْوصِ به خيراً .

وقال الشاعر (٤) :

قالت أُمامةُ يومَ بُرْقَةِ واصِلٍ يا ابنَ الغَدير لقد جعلتَ تَغيَّرُ
أصبحتَ بعد زمانك الماضى الذى ذهبَتْ شبيبتُه وغصنُك أخضرُ
شيخاً دِعامتُك العصا ومشيَّعاً لا تبتغى خبراً ولا تُستخبَرُ

قالوا : وكان شُرَيحٌ فى الفتنة يستَخبِرُ ولا يُخبِر ، وكان الرّبيع بن خُثَيم لا يُخبِر ولا يَستخبرِ ، وكان مطرِّف بن عبد الله يَستخبِر ويُخبرِ . قالوا : فينبغى أن يكون أعقلَهم .

---

(١) السبق ، بالتحريك : الخطر يوضع بين أهل السباق . وقد قال حمل هذا القول فى يوم الهباءة . انظر الحيوان (٣ : ١١٧ / ٥ : ٢٩٤) ، ومعجم البلدان ، وكامل ابن الأثير (١ : ٣٥٢) والعمدة (٢ : ١٦١) والميدانى (٢ : ٢٦٣) والخزانة (١ : ٣٠٣ / ٣ : ٣٥٨ / ٤ : ٥٨٥) .

(٢) سبق البيت فى (١ : ١٧٧) .

(٣) القلت ، بالتحريك : الهلاك . والخبر فى اللسان (قلت) . ل فقط : « على قلت » .

(٤) هو حسان بن الغدير . انظر خبر الشعر واختلاف الرواية فى الأمالى (٣ : ٨٩) .

قال أبو عبيدة : كان ابن سيرينَ لا يَستخبْر ولا يُخبِر ، وأنا أخبر وأُستخبر .

وقال أبو عمرو بن العلاء لأهل الكوفة : لكم حَذلقَةُ النَّبَطِ وصَلَفُهم [١] ، ولنا دهاءُ فارسَ وأحلامُها .

وأنشد للحارث بن حِلِّزة اليشكرىّ :

لا أُعرِفَنّكَ إن أرسلتُ قافيةً   تُلقِى المَعاذيرَ إن لم تنفع العِذَرُ [٢]
إنّ السّعيدَ له فى غيرِه عظَةٌ   وفى التّجارب تحكيمٌ ومُعْتَبَرُ ٢٩٨

ومعنى المعاذير هنا على غير معنى قول الله تبارك وتعالى فى القرآن : ﴿ بَلِ الإِنْسانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ۝ وَلَوْ أَلْقَى مَعاذِيرَهُ ﴾ . والمعاذير ها هنا : السُّتور [٣] .

وقال : أراد رجلٌ الحجّ فسلّم على شُعبة بن الحجّاج [٤] فقال له : أَمَا إنّك إن لم تعُدّ الحِلم ذُلاًّ ، ولا السّفَهَ أنفاً ، سلِمَ لك حَجُّك .

وقالوا : وكان على رضى الله عنه بالكوفة قد مَنَعَ النّاسَ من القُعود على ظهر الطريق ، فكلّموه فى ذلك فقال : أَدعُكُم على شريطة . قالوا : وما هى يا أمير المؤمنين ؟ قال : غَضُّ الأبصار ، ورَدُّ السلام ، وإرشاد الضالّ . قالوا : قد قبِلنا . فتَرَكهم .

وكان نوفلُ بن أبى عقرب ، لا يقعد على باب داره [٥] ، وكان عامراً بالمارّة

---

(١) الحذلقة : التظرف والتكيس . ل: « وسلفهم » . التيمورية : « وصلقهم » ، صوابهما فى هـ ، ب ، جـ . وفى اللسان : « الصلف : مجاوزة القدر فى الظرف والبراعة والادعاء فوق ذلك تكبرا » . وفيه : « رجل حِذْلِقٌ : كثير الكلام صلف » .

(٢) المعاذير : الحجج . والعذر : جمع عذرة ، بالكسر ، وهى العذر .

(٣) هى الستور بلغة أهل اليمن ، واحدها معذار .

(٤) سبقت ترجمته فى (١ : ٣٦٩) .

(٥) هذا ما فى ل . وفى هـ : « لا يجلس » . وفى سائر النسخ : « لا يجلس إلا على باب داره » ، تحريف .

فقيل له : إنّ فى ذلك نَشْرَة (١) ، وصَرْفَ النفوس عن الأمانى ، واعتباراً لمن اعتبَر ، وعظةً لمن فكّر . فقال : إنّ لذلك حقوقاً يعجز عنها ابنُ خَيْثمة (٢) ، قالوا : وما هِى ؟ قال : غضّ البصر ، وردُّ التحيّة ، وإرشاد الضالّ ، وضَمُّ اللُّقَطَة ، والتعرُّض لطُلّاب الحوائج ، والنّهى عن المنكر . والشُّغُل بفضول النظر ، الداعيةِ إلى فضول القول والعمل ، عادةٌ إن قطعتَها اشتدّت وَحشتك لها ، وإنْ وصلتَها قطعتْك عن أمورٍ هى أولى بك منها .

وقال الفُضَيل بن عِياض (٣) ، لسفيانَ الثورى : دُلّنى على جليس أجلس (٤) إليه . فقال : هيهاتَ ، تلك ضالّةٌ لا توجَد .

وقيل لبعض العلماء : أىُّ الأمور أمتع ؟ فقال : مجالسةُ الحكماء ومذاكرة العلماء .

وقيل لعبد الرحمن بن أبى بَكْرة : أىُّ الأمور أمتع ؟ فقال : الأمانىّ .

وقال رجاء بن حَيْوَة ، لعبد الملك بن مروان ، فى أُسارى ابنِ الأشعث : إن الله قد أعطاك ما تحبُّ من الظَّفَر ، فأعطِ اللهَ ما يحبُّ من العفو .

وقال هُرَيم بن عدىّ بن أبى طَحْمة (٥) ، ليزيد بن عبد الملك بعد ظفره بيزيدَ بنِ المهلَّب : ما رأينا أحداً ظُلِم ظُلمَك ، ولا نُصر نصرَك ، ولا عفا عفوك .

وذمّ رجلٌ رجلاً فقال : سيّء الروِيّة ، قليل التَّقِيَّة ، كثير السِّعاية ، قليل ٢٩٩
النّكاية .

---

(١) النشرة بالفتح : النسيم الذى يحيى الحيوان . انظر اللسان (٧ : ٦٥) .

(٢) هو الصحابى الجليل سعد بن خيثمة بن الحارث ، أحد نقباء الأنصار الاثنى عشر ، شهد العقبة الأخيرة مع السبعين . ولما ندب رسول الله ﷺ الناس إلى بدر قال له أبوه خيثمة : إنه لابد لأحدنا أن يقيم ، فآثرنى بالخروج وأقم مع نسائك . فأبى سعد وقال : لو كان غير الجنة آثرتك بها ، إنى لأرجو الشهادة فى وجهى هذا . فاستهما فخرج سهم سعد فخرج فقتل ببدر . صفة الصفوة (١ : ١٨٦) والإصابة ٣١٤٢ . هـ : « ابن حنتمة » .

(٣) سبقت ترجمته فى (١ : ٢٥٨) .

(٤) هذه الكلمة ساقطة من التيمورية . ب ، جـ : « أطمئن » .

(٥) مضت ترجمته فى (١ : ٣٩٠) حيث سبق الخبر التالى .

قال : وقال معاويةُ لمعاوية بن حُدَيج الكِندىّ (١) : ما جرَّأك على قتل قريش ؟ قال : ما أنصفتمونا ، تقتلون حلماءَنا وتلوموننا على قتل سفهائكم .

وهو الذى قال لأمِّ الحكم بنت أبى سفيان : والله لقد نكَحتِ فما استَكْرمت ، وولدت فما أنْجبت .

أبو بكر بن مَسلمة ، عن أبى إسحاق القيسىّ قال : لما قدم قتيبة بن مسلم خراسان قال : « مَن كان فى يديه شئٌ من مال عبد الله بن خازم (٢) فَلينبِذْه ، وإن كان فى فيه فليلفِظْه ، وإن كان فى صدره فلينفُثْه » . فعجِبَ الناسُ من حسن ما قسّم وفصّل . قال : ثم غَبَر بعد ذلك عيالُ عبد الله بن خازم وما بخراسان أحسنُ حالاً منهم .

عَنْبَسة القطَّان قال : شهدت الحسنَ وقال : له رجلٌ : بلغنا أنك تقول : لو كان علىٌّ بالمدينة يأكل من حَشَفها لكان خيراً له مما صنع . فقال له الحسن : يالُكَع ، أمَا والله لقد فَقَدتموه سهماً من مَرامى الله غيرَ سؤوم لأمر الله ، ولا سَرُوقةٍ لمال الله ، أعْطَى القرآنَ عزائمه فيما عليه ولَهُ ، فأَحَلَّ حلالَه ، وحَرَّمَ حرامَه ، حتى أورده ذلك رِياضاً مونقةً ، وحدائق مُغْدِقة . ذلك علىٌّ بن أبى طالبٍ يالُكَع (٣) .

---

(١) هو معاوية بن حديج التجيبى الكندى . ذكره ابن سعد فى تسمية من نزل بمصر من الصحابة . شهد فتح مصر ، وكان الوافد على عمر بفتح الإسكندرية ، وولى الإمرة على غزو المغرب مرارا ، آخرها سنة خمسين . توفى سنة ٥٢ . الإصابة ٨٠٥٧ وتهذيب التهذيب . وفى الاشتقاق ٢٢١ : « ومنهم معاوية ابن حُديج الذى قتل محمد بن أبى بكر الصديق » .

(٢) خازم ، بالخاء المعجمة . ماعدا هـ : « حازم » ، تحريف . وهو عبد الله بن خازم بن أسماء السلمى البصرى ، أمير خراسان ، كان من أشجع الناس ، ولى خراسان لبنى أمية فلما ظهر ابن الزبير كتب إليه خازم بطاعته فأقره على خراسان ، ثم ثار به أهلها فقتلوه وأرسلوا رأسه إلى عبد الملك سنة ٧٢ . انظر الطبرى فى حوادث هذه السنة ، وتهذيب التهذيب والإصابة ٤٦٣٢ .

(٣) فيما عدا ل : « ذاك ابن أبى طالب يالكع » .

يزيد بن عِقال : قال سمعت عبدَ الملك بن صالح (١) يوصى ابنَه وهو أميرُ سريَّةٍ ونحن ببلاد الروم ، فقال له : أنت تاجِرُ اللهِ لعباده ، فكن كالمضارب الكيِّس ، الذى إن وجد ربْحاً تَجَرَ ، وإلّا احتفَظَ برأس المال . ولا تطلب الغنيمة حتى تُحرِزَ السلامة (٢) . وكن من احتيالك على عدوِّك أشدَّ خوفاً من احتيال عدوِّك عليك .

وقال بعض الحكماء : لا تصطنعوا إلى ثلاثة معروفاً : اللئيم فإنّه بمنزلة الأرض السَّبِخة ، والفاحش فإنّه يرى أنّ الذى صنعتَ إليه إنما هو لمخافة فُحشِه ، والأحمق فإنّه لا يعرف قدْرَ ما أسديتَ إليه . وإذا اصطنعت إلى الكرام فازدرع المعروف واحصِد الشُّكر .

قال : وواضع المعروف فى غير أهله كالمُسْرِج فى الشَّمس ، والزارع فى السَّبَخ .

ومثله البيت السائر فى الناس :

٣٠٠ ومَن يَصْنع المعروفَ فى غير أهله ... يُلاقِ الذى لاقى مُجيرُ آمِّ عامرِ (٣)

وقالوا : من لم يعرف سوءَ ما يُولِى لم يعرف حُسْنَ ما يولَى .

وقال الإيادىّ (٤) صاحب الصَّرح ، الذى اتخذ سُلّما لمناجاة الرّبّ ، وهو الذى كان يقول : « مرضعةٌ وفاطمة . القطيعة والفجيعة ، وصِلَة الرّحم وحُسن الكَلِم . زعَم ربُّكم ليَجزينّ بالخير ثواباً ، وبالشرّ عقاباً . وإنَّ مَن فى الأرض عَبيدٌ لمن فى

---

(١) وكذا عيون الأخبار (١ : ١٠٩) . وفى العقد (١ : ١٣٢) ونهاية الأرب (٦ : ١٧٠) : « عبد الملك بن مروان » .

(٢) فيما عدا ل : « تحوز السلامة » .

(٣) البيت لبعض الأعراب . انظر خبر الشعر فى أمثال الميدانى (٢ : ٨١) عند قولهم : « كمجير أم عامر » ، وحياة الحيوان للدميرى فى رسم (ضبع) . هـ : « ومن يضع » .

(٤) هو وكيع بن سلمة بن زهير بن إياد ، كما فى أمثال الميدانى (٢ : ٨١) . وانظر الحيوان (٦ : ١٥١) . وكان قد ولى أمر البيت بعد جرهم ، فبنى صرحا بأسفل مكة وجعل فى الصرح سلما ، فكان يرقاه ويزعم أنه يناجى الله ، وينطق بكثير من الخبَر .

السماء . هلكت جُرهم ورَبلت إياد [١] ، وكذلك الصَّلاحُ والفَساد . من رَشَدَ فاتَّبعوه ، ومن غَوَى فارفُضوه . كلُّ شاةٍ برجلها معلَّقةٌ » .

وإيَّاه يعنى الشاعر [٢] بقوله :

ونحنُ إيادٌ عبيد الإلهِ ورهطُ مُناجيهِ فى السُّلَّمِ
ونحنُ وُلاةُ حِجابِ العتيق زمانَ الرُّعافِ على جُرهُمِ

* * *

تعزيةُ امرأة للمنصور على أبى العبّاس مَقدَمَه من مكة . قالت : أعظمَ الله أجْرَك ، فلا مصيبةَ أجلُّ من مصيبتك ، ولا عِوَضَ أعظمُ من خِلافتك .

وقال عثمان بن خُرَيم للمنصور ، حين عفا عن أهل الشام فى إجلابهم مع عبد الله بن علىّ عمِّه : يا أمير المؤمنين : لقد أُعطِيتَ فشَكرت ، وابتُليتَ فَصَبْرتَ ، وقَدَرت فغفرت [٣] .

وقال آخر : يا أمير المؤمنين ، الانتقام عدل ، والتجاوُز فَضل ، والمتفضِّل قد تجاوز حدّ المنصِف . فنحن نُعيذ أمير المؤمنين بالله بأن يَرضى لنفسه بأوكسِ النَّصِيبَيْن ، دون أن يَبلغ أرفَع الدّرجتين .

وقال آخر : من انتقَمَ فقد شفى غيظَ نفسه ، وأخَذَ أقصى حقِّه . وإذا انتقمت فقد انتصفت [٤] ، وإذا عفوت فقد تطوّلت [٥] . ومَن أخَذَ حقّه وشفى غيظه لم يَجب شُكرُه ، ولم يُذكَر فى العالَمين فضلُه . وكَظْم الغيظ حِلم ، والحِلم صَبر ، والتَّشفِّى طَرَفٌ من العجْز ، ومن رَضِىَ ألاّ يكون بينَ حالِه وبين حال الظّالم إلاّ سِتْرٌ رقيق ، وحجابٌ ضعيف ، فلم يجزم فى تفضيل الحلم ، وفى الاستيثاق من ترك ٣٠١

---

(١) ربل القوم : كثروا ، أو كثر أولادهم وأموالهم .

(٢) هو بشير بن الحجير الايادى ، كما فى أمثال الميدانى (٢ : ٨٩) .

(٣) فيما عدا ل ، هـ : « فعفوت » .

(٤) فيما عدا ل ، هـ : « انتقصت » .

(٥) ل : « وإذا عفوت فقد تفضلت » .

دواعى الظُّلم . ولم تَرَ أهلَ النُّهى والمنسوبِين إلى الحِجَا والتُّقَى ، مَدَحوا الحلماءَ بشدة العقاب ؛ وقد ذكروهم بحُسن الصَّفْح ، وبكثرة الاغتفار ، وشدّة التغافُل . وبعد فالمُعَاقِب مستعدٌّ لعداوة أولياءِ المذنِب ، والعافى مُستَدْعٍ لشكرهم ، آمِنٌ من مكافأتهم أيّام قدرتهم ، ولأنْ يُثنَى عليك باتِّساع الصدر خيرٌ من أن يُثنى عليك بضِيق الصَّدر . على أنّ إقالتك عثرةَ عبادِ الله موجبٌ لإقالتك عَثْرَتَكَ من ربِّ عباد الله ، وعفوُك عنه موصولٌ بعفو الله عنك ، وعقابُك لهم موصولٌ بعقاب الله لك .

وقالوا : [1] الموتُ الفادحُ ، خيرٌ من اليأس الفاضح .

وقال آخر : لا أقلَّ من الرجاء . فقال آخر : بل اليأس المريح .

وقال عبد الله بن وهبٍ الراسبى [2] : ازدحام الجواب مَضَلَّةٌ للصَّواب ، وليس الرَّأىُ بالارتجال ، ولا الحزمُ بالاقتضاب ، فلا تدعُوَنَّك السَّلامةُ من خطاءٍ موبِقٍ ، أو غنيمةٍ نلتَها من صوابٍ نادر ، إلى معاودته ، والتماس الأرباح مِن قِبَله . إنَّ الرأْىَ ليس بِنُهْبَى ، وخَميرُ الرَّأى خيرٌ من فطيره . وربَّ شىء غابُّهُ خَيْرٌ من طريِّه ، وتأخيرُه خيرٌ من تقديمه .

ولما قُدِم بعبد الجبّار بن عبد الرحمن ، إلى المنصور ، قال : يا أمير المؤمنين ، قِتلةً كريمةً . قال : وراءَك تركتَها [3] ، يا ابنَ اللَّخْناء .

ولما احتالَ أبو الأزهر المهلّبُ بن عُبَيْثِر المَهْرىّ ، لعبد الحميد بن رِبْعىّ بن معدان [4] ، وأسلَمه إلى حُمَيد بن قَحْطَبة ، وأسلمَهَ حُميد إلى المنصور ، فلمَّا صار إلى المنصور قال:لا عُذْرَ فأعتذرَ وقد أحاط بى الذَّنب ، وأنت أولى بما ترى . قال : لستُ أقْتُلُ أحداً من آل قحطبة ، بل أهَبُ مسيئهم لمحسنهم ، وغادِرَهم

---

(١) فيما عدا ل : « وقال » .

(٢) سبقت ترجمته فى (١ : ٢٠٥) .

(٣) فيما عدا ل : « تركتها وراءك » .

(٤) فيما عدا ل ، هـ : « معداق » ، تحريف .

لوفيِّهم . قال : إن لم يكن فيَّ مصطنعٌ فلا حاجةَ بى إلى الجاه (١) . ولستُ أرضى أن أكونَ طليقَ شفيعٍ وعتيقَ ابنِ عَمٍّ . قال : اخرُج ، فإنّك جاهل ؛ أنت عتيقُهم ما حييت .

قال زيادُ بن ظَبْيان التيمىّ ، لابنه عُبيد الله بن زيادٍ ، وزياد يومئذ يَكِيدُ بنفسه وعُبيدُ الله غلام : ألا أوصى بك الأمير (٢) ؟ قال : لا . قال : ولم ؟ قال : ٣٠٢ إذا لم تكنْ للحىّ إلاّ وصيَّة الميت فالحىُّ هو الميّت (٣) .

ودخل عَمرُو بن سعيدٍ الأشدق بعد موت أبيه على معاوية ، وعَمرٌو يومئذ غلام ، فقال له معاوية : إلى مَن أوصَى بك أبوك يا غلام ؟ قال ؟ إنَّ أبى أوصى إلىّ ولم يوصِ بى . قال : وبأىِّ شئ أوصاك . قال : أوصانى ألَّا يفقِد إخوانه منه إلاَّ وجهَه . قال معاويةُ لأصحابه : إن ابن سعيدٍ هذا لأشدَق (٤) .

ولما داهَنَ سفيانُ بن معاوية بن يزيد بن المهلب ، فى شأن إبراهيم بن عبد الله وصار سفيانُ إلى المنصور ، أمر الرَّبيعَ فخلع سوادَه ، ووقف به على رءوس اليمانِيَة فى المقصورة فى يوم الجمعة ، ثم قال : يقول لكم أمير المؤمنين : قد عرفتم ما كان من إحسانى إليه ، وحسن بلائى عنده ، والذى حاول من الفتنة والغَدْر ، والبغْى وشقِّ العصا ، ومعاونة الأعداء ، وقد رأى أمير المؤمنين أن يهَبَ مسيئكم لمحسنكم ، وغادِرَكم لوفيّكم .

وقال يونس بن حبيب : المفحَم يأتيه دون ما يَرضى ، ويطلب فوق ما يقوَى .

وذكَرَ بعضُ الحكماءِ أعاجيبَ البحر وتزيُّد البحريِّين (٥) : فقال : البحر كثير العجائب ، وأهله أصحاب زوائد ، فأفسَدُوا بقليل الكذب كثير الصِّدق ، وأدخلوا

---

(١) فيما عدا ل : « فلا حاجة لى فى الحياة » .

(٢) فى الأصول : « الأمير زيادا » ، وكلمة « زيادا » مقحمة .

(٣) سبق الخبر وتخريجه فى (١ : ٣٢٥) .

(٤) سبق هذا الخبر فى (١ : ٣١٦) .

(٥) انظر لتزيد البحريين ، الحيوان (٣ : ٥١٥ / ٦ : ١٩) .

ما لا يكون فى باب ما قد يكاد يكون ، فجعلوا تصديق الناس لهم فى غرائب الأحاديث سُلّما إلى ادّعاءِ المحال .

وقال بعض العرب : « حدِّث عن البحر ولا حَرَجَ ، وحدِّثْ عن بنى إسرائيل ولا حَرج ، وحدث عن مَعْنٍ [1] ولا حرَج » .

وجاء فى الحديث : « كفى بالمرء حِرصاً ركوبُه البحر » .

وكتب عَمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب ، يصف له البحر فقال : « يا أمير المؤمنين ، البحر خَلْقٌ عظيم ، يركبُه خَلْقٌ صغير ، دُودٌ على عود [2] » .

وقال الحسن رحمه الله : « إملاء الخير خيرٌ من الصَّمت ، والصَّمتُ خير من إملاء الشرّ » .

وقال بعضهم : مُرُوا الأحداث بالمِراء ، والكهولَ بالفِكر ، والشّيوخَ بالصَّمْت .

عبد الله بن شداد [3] قال : « أرى داعىَ الموت لا يُقلِع [4] ، وأرى مَن مضى لا يَرجع . لا تَزهدَنَّ فى معروف ، فإنَّ الدّهر ذُو صروف . وكم من راغبٍ قد كان مرغوباً إليه ، وطالبٍ أصبح مطلوباً إليه . والزّمانُ ذو ألوان ، ومَن ٣٠٣

---

(١) هو معن بن زائدة الشيبانى ، أحد أجواد العرب وفرسانهم ، وكان فى أيام بنى أمية متنقلاً فى الولايات ، ومنقطعا إلى يزيد بن عمر بن هبيرة الفزارى أمير العراقين ، فلما انتقلت الدولة إلى بنى العباس ، وجرى بين أبى جعفر المنصور وبين يزيد بن عمر ما جرى ، من محاصرة واسط ، أبلى معن مع يزيد بلاء حسنا ، فلما قتل يزيد هرب معن خوفا من المنصور ، ثم دخل معن فى شيعة المنصور وصار من خواصه . وقتل معن بسجستان إذ كان واليا عليها سنة اثنتين أو ثمان وخمسين مائة . ورثاه مروان بن أبى حفصة بمرثية هى من عيون الشعر العربى . تاريخ بغداد ٧١٢٧ والأغانى فى غير ما موضع ، ووفيات الأعيان .

(٢) عيون الأخبار (٣ : ١٧٨ ، واللسان (برق ٢٩٧) . وسيأتى فى (٣ : ٧٨) .

(٣) هو عبد الله بن شداد بن الهادى الليثى المدنى ، وهو من كبار التابعين وثقاتهم . شهد مع على يوم النهروان ، وخرج مع القراء أيام ابن الأشعث على الحجاج بعد أن كان من أخص الناس بالحجاج ، فقتل يوم دجُيَل سنة ٨١ . وذكر ابن عبد البر فى الاستيعاب أنه ولد على عهد الرسول . تهذيب التهذيب والأغانى (١٠ : ١٠٥) .

(٤) هذه الوصية أوصى بها ولده محمداً حين حضرته الوفاة . وقد رواها القالى مطولة مسهبة فى الأمالى (٢ : ٢٠٢ : ٢٠٤) .

يصحب الزّمانَ يرى الهوان . وإن غُلِبتَ يوماً على المال فلا تُغلَبنَّ على الحيلة على حال . وكُنْ أحسنَ ما تكون فى الظّاهر حالا ، أقلَّ ما تكون فى الباطن مالا » .

وقيل لقيس بن عاصم : بمَ سُدتَ قومك ؟ قال : ببذل النّدى ، وكفِّ الأذى ، ونصر المولَى .

وقيل لشيخ : أين شبابك ؟ قال : مَن طال أمدُه ، وكثُر ولَدُه ، وقَلّ عددُه [١] ، وذهب جلَده ، ذهب شبابُه .

وقال زياد : لا يُعدِمنَّك [٢] من الجاهل كثرةُ الالتفات ، وسرعةُ الجواب .

وقال عبد الرحمن بن أمِّ الحكم [٣] : لولا ثلاثٌ ما باليت متى متّ : تزاحُفُ الأحرارِ إلى طعامى ، وبذلُ الأشرافِ وجوهَهُم إلىَّ فى أمرٍ أجد السّبيل إليه ، وقولُ المنادى : الصلاةَ أيُّها الأمير [٤] .

وقال ابن الأشعث [٥] : لولا أربعُ خصالٍ ما أعطيتُ بشَريًّا [٦] طاعة : لو ماتت أمّ عمران – يعنى أمَّه – ولو شاب رأسى ، ولو قرأتُ القرآن ، ولو لم يكن رأسى صغيراً.

---

(١) فى اللسان (٤ : ٣٧٥) . « قالت امرأة ورأت رجلا كانت عهدته شابا جلدا : أين شبابك وجلدك ؟ قال : من طال أمده ، وكثر ولده ، ورق عدده ، ذهب جلده » . ثم قال : « رق عدده ، أى سنوه التى بعدها ذهب أكثر سنه ، وقل ما بقى ، فكان عدده رقيقاً » . وهذا ما فى ل . وفى هـ : « ودق عدده » ، وفى سائر النسخ : « ودف عدده » وهذه محرفة .

(٢) يقال أعدمنى الشىء ، إذا لم أجده . هـ : « لا يعدمك » .

(٣) هو عبد الرحمن بن أم الحكم بنت أبى سفيان ، نسب إلى أمه . وأبوه هو عبد الله بن أبى عقيل بن ربيعة بن الحارث . ولاه خاله معاوية الكوفة بعد موت زياد سنة ٥٧ فأساء السيرة ، فعزله وولاه مصر بعد أخيه عتبة بن أبى سفيان ، فلما كان على مرحلتين خرج إليه معاوية بن حديج فمنعه من دخول مصر ، فرجع وولاه معاوية الجزيرة فكان بها إلى أن مات معاوية . انظر الإصابة ٦٢١٨ والأغانى (١٣ : ٣٢) .

(٤) ل : « بالصلاة أيها الأمير » .

(٥) هو عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث . والخبر فى الحيوان (٥ : ١٩٤) .

(٦) فى الحيوان : « عربياً » .

وقال معاوية : أُعِنتُ على عليّ بثلاث خصال : كان رجلا يظهر سرّه ، وكنت كَتُوماً لسرّى . وكان فى أخبث جندٍ وأشدّه خلافاً ، وكنت فى أطوع جندٍ وأقلّه خلافاً . وخلا بأصحاب الجمَل فقلت : إن ظفر بهم اعتددت بهم عليه وَهْناً فى دينه ، وإن ظفروا به كانوا أهوَنَ علىَّ شوكةً منه . وكنتُ أحبّ إلى قريشٍ منه . فكم شئتَ من جامعٍ إلىّ ومفرِّقٍ عنه .

جهْمُ بن حسَّان السّليطىّ قال : قال رجلٌ للأحنف : دُلّنى على حمدٍ بلا مَرزِئةٍ (١) . قال : الخُلُق السّجيح ، والكفُّ عن القبيح . ثمَّ اعلموا أنّ أدْوَى الدّاء اللسانُ البذىء ، والخُلُق الرّدىء .

وقال محمَّد بن حرب الهلالىّ : قال بعض الحكماء : لا يكوننّ منكم المحدِّثُ لا يُنصَتُ له ، ولا الدّاخلُ فى سرٍّ اثنين لم يُدخلاه فيه ، ولا الآتى الدّعوةَ لم يُدْعَ إليها ، ولا الجالسُ المجلِسَ لا يستحقُّه . ولا الطّالبُ الفضلَ من أيدى اللّئام ، ولا المتعرّض للخير من عند عدوّه ، ولا المتحمّق فى الدّالّة .

★ ★ ★

(١) يقال مارزأه رزءا ومرزئة ، أى ما أصاب منه ولا نقصه شيئا .

بابٌ
من مزدوج الكلام ٣٠٤

قالوا : قال النبى ﷺ فى معاوية : « اللهم علِّمه الكِتاب والحِساب ، وقِهِ العذاب » .

وقال رجلٌ من بنى أسد : مات لشيخٍ منا ابنٌ ، فاشتدّ جزعُه عليه ، فقام إليه شيخٌ منَّا فقال : اصبرْ أبا أُمامة ؛ فإنّه فَرَطٌ افترطْتَه ، وخيرٌ قدمته ، وذُخر أحرزْتَه (١) . فقال مجيباً له : ولدٌ دَفنتُه ، وثُكل تعجّلتُه ، وغيبٌ وُعِدتُه . واللهِ لئن لم أجزَعْ من النّقص لا أفرحْ بالمزيد (٢) .

الأصمعىّ قال : قال ابن أُقيصِر (٣) : خيرُ الخَيْل الذى إذا استدبرتَه جَنَا (٤) ، وإذا استقبلتَه أقْعى ، وإذا استعرضتَه استوى ، وإذا مشى رَدَى ، وإذا ردَى دحاَ (٥) .

ونظر ابن أُقيصِر (٦) إلى خيل عبد الرحمن بن أمِّ الحكم (٧) ، فأشار إلى فرسٍ منها فقال : تجيءُ هذه سابقة . قالوا : وكيف ذلك ؟ قال : رأيتُها مشت

---

(١) هـ : « ادخرته » .

(٢) ل : « بالتزيد » .

(٣) ابن أقيصر : رجل بصير بالخيل ، كما فى اللسان (٦ : ٤١٦) . وفى (١١ : ٢٠٣) أنه أحد بنى أسد بن خزيمة . فيما عدا ل : « ابن قصير » تحريف . وانظر بعض أخبار ابن أقيصر فى أمالى القالى (٢ : ٢٥١) وأمالى ثعلب .

(٤) جنا : أكب . وفى أمالى القالى : « ويستحب من الفرس أن يكون إذا استدبرته كالمنكبّ » . ل : « جبا » وفيما عدا ل : « جبا » مع تشديد الباء ، كلاهما محرف عما أثبت من أمالى القالى حيث أورد الخبر .

(٥) القالى : « الرديان أن يرجم الأرض رجماً بين المشى الشديد والعدو . وإذا رمى بيديه رميا لا يرفع سنبكه عن الأرض قيل : مر يدحو دحوا » .

(٦) فيما عدا ل ، هـ : « ابن قصير » ، تحريف .

(٧) ترجم فى ص ١١٤ .

فكتَفَتْ (١) ، وخَبَّت فوجَفت (٢) ، وعَدَت فنسفَتْ (٣) .

وذكرت أعرابية (٤) زوجها فقالت : ذهب ذَفَرُه (٥) ، وأقبل بَخَرُه ، وفتر ذَكَرُه .

وكان مالك بن الأخطل قد بعثَه أبوه ليسمع (٦) شعرَ جرير والفرزدق ، فسأله أبوه عنهما فقال : جرير (٧) يغرِف من بحر ، والفرزدق ينحِت من صَخر (٨) . فقال : الذى يغرف من بحرٍ أشعرهُما .

* * *

قد ذكرنا من مقطَّعات الكلام وقصار الأحاديث ، بقدر ما أسقطْنا به مؤونة الخُطب الطِّوال . وسنذكر من الخطب المسنَدة إلى أربابها مقداراً لا يَستفرغ مجهودَ من قَرأها ، ثمّ نعود بعد ذلك إلى ماقصُرَ منها وخَفّ ، وإلى أبواب قد تدخل فى هذه الجملة وإن لم تكن مثلَ هذه بأعيانها . والله الموفِّق .

أبو الحسن ، عن يحيى بن سعيد ، عن ابن خَرَّبوذَ البكرى (٩) ، عن خالد بن صفوان ، قال : دخل عبد الله بنُ عبد الله بن الأهتم (١٠) ، على عمر بن عبد العزيز مع

---

(١) كتفت : ارتفعت فروع أكتافها فى المشى . والخبر فى اللسان (كتف) وأمالى القالى (٢ : ٢٥١) .

(٢) الوجيف : ضرب من السير فيه بعض السرعة .

(٣) النَّسوف من الخيل : الواسع الخطو .

(٤) فيما عدا ل : « امرأة » .

(٥) الذفر : شدة ذكاء الريح من طيب أو نتن . فيما عدا ل ، هـ : « زفره » ، محرف .

(٦) ل : « وكان مالك بن الأخطل سمع » .

(٧) ل : « فقيل : جرير » .

(٨) بعده فى ل : « فأيهما أشعر » .

(٩) ابن خربوذ ، بفتح الخاء والراء المشددة وضم الباء وفى آخره ذال معجمة ، هو معروف بن خربوذ المكى مولى عثمان ، ذكر فى ثقات أهل الحديث . تهذيب التهذيب ، والقاموس فى فصل الخاء من باب الذال . ل : « خريوذ » وفيما عدا ل : « خربوز » صوابهما فى هـ .

(١٠) عبد الله بن عبد الله بن الأهتم ، هو عم خالد بن صفوان بن عبد الله بن الأهتم ، المترجم فى ص ٢٤ . فيما عدا ل : « عبد الله بن الأهتم » تحريف .

العامّة ، فلم يُفجَأ عمر إلّا وهو ماثلٌ بين يديه يتكلّم ، فحمِد الله وأثنى عليه ثم قال (١) :

أما بعد فإنّ الله خلق الخلقَ غنيًّا عن طاعتهم ، آمِناً لمعصيتهم ، والناسُ يومئذ فى المنازل والرّأى مختلفون ، والعرب بشرٍّ تلك المنازل : أهلُ الوبر وأهل ٣٠٥ المدر ، تُحتاز (٢) دونَهم طيّباتُ الدنيا ورفاغَة عَيشِها (٣) : ميّتهم فى النار وحَيُّهم أعمى . مع مالا يُحصى من المرغوب عنه ، والمزهودِ فيه . فلمّا أراد الله أن ينشر فيهم رحمتَه ، ويُسبغَ عليهم نعمته (٤) ، بعث إليهم رسولاً منهم عزيزاً عليه ماعَنِتُوا ، حريصاً عليهم ، بالمؤمنين رءوفاً رحيما (٥) ، فلم يمنعهم ذلك مِن أن جرحوه فى جسمه ، ولقّبوه فى اسمه (٦) ، ومعه كتابٌ من الله ناطقٌ ، وبرهانٌ من الله صادق (٧) ، لا يُرحَل إلا بأمره ، ولا يُنزَل إلّا بإذنه . واضطَرُّوه إلى بطن غارٍ ، فلما أُمر بالعزم (٨) أسفَرَ لأمر الله لونُه ، فأفلجَ الله حُجَّتَه ، وأعْلَى كلمته وأظهَرَ دعوتَه ، ففارق الدنيا نقياً تقيًّا ، مباركاً مرضيًّا (٩) . ﷺ .

ثم قام بعده أبو بكرٍ رحمه الله ، فسلَكَ سُنّتَه ، وأَخذ بسبيله ، وارتدّت العرب ، فلم يَقبَل منهم بعد رسول الله إلّا الذى كان قابلاً منهم ، فانتَضَى السُّيوفَ من أغمادها ، وأوقد النِّيران من شُعَلها ، ثمَّ ركب بأهل الحقّ أهلَ الباطل ، فلم يبرحْ يُفصِّل أوصالَهم ، ويسقى الأرضَ دماءَهم ، حتّى أدخلَهم

---

(١) الخطبة التالية فى سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم ص ١٠٩ ولابن الجوزى ١٣٦ والعقد (٤ : ٩٣) طبع لجنة التأليف .

(٢) هذا الصواب من هـ وسيرة عمر . وفى ل : « يختار » وسائر النسخ : « تختار » .

(٣) الرفاغة والرفاغية : سعة العيش والخصب .

(٤) هذه الجملة فى ل فقط .

(٥) هذا ما فى ل . وفى هـ : « عزيز ، حريص ، رءوف رحيم » بالرفع ، وسائر النسخ : « عزيزا عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم » .

(٦) فى حواشى هـ : « كانوا يقولون بدل محمد مذمما » .

(٧) هذه الجملة من ل فقط .

(٨) ب ، جـ : « بالغرامة » تحريف ، هـ والتيمورية : « بالعزمة » ، وفى العقد : « بالعزيمة » .

(٩) هاتان الكلمتان من ل فقط .

فى الذى خرجُوا عنه ، وقرَّرهم بالذى نَفَروا منه . وقد كان أصاب من مال الله بَكراً يرتوِى عليه ، وحَبَشيّةً تُرضع وَلداً له ، فرأى ذلك غُصّةً عند مَوته [١] فى حلقه ، فأدّى ذلك إلى الخليفة مِن بعده ، وبَرىء إليهم [٢] منه ، وفارَق الدّنيا نقيّا تقيًّا ، على مِنهاج صاحبه ، رحمه الله .

ثم قام من بعده عمر بن الخطاب رحمه الله ، فمصَّر الأمصار ، وخَلَط الشِّدَّة باللِّين ، فحسَرَ عن ذراعيه ، وشمّر عن ساقيه ، وأعدَّ للأمور أقرانَها [٣] ، وللحرب آلتَها ، فلمّا أصابه فتى المغيرة بن شعبة [٤] ، أمر ابنَ عبَّاس أنْ يسأل الناس هل يُثْبِتون قاتلَه ، فلما قيل له : فَتَى المغيرةِ ، استهلَّ بحمد الله ألاّ يكون أصابه ذو حَقّ فى الفىء فيستحلَّ دمه بما استحلَّ من حَقّه . وقد كان أصاب من مال الله بِضعاً وثمانين ألفاً ، فكسَرَ رباعَهُ [٥] ، وكرِه بها كفالة أهله وولدِه ، فأدّى ذلك إلى الخليفة من بعده ، وفارق الدُّنيا تَقيًّا نقياً ، على مِنهاج صاحبيه ، رحمه الله .

ثمّ إنا والله ما اجتمعنا بعدهما إلاّ على ظُلَّع [٦] . ثم إنَّك يا عُمرُ ابنُ الدُّنيا ، ولدتْكَ
٣٠٦ ملوكها ، وألقمتك ثديَها . فلمَّا وَلِيتَها وضَعتَها حيث وضَعَها الله [٧] . فالحمدُ لله

---

(١) ل فقط : « عند فوته » .

(٢) ل فقط : « إليه » .

(٣) أقرانها ، أى أسبابها التى تقاد بها ، جمع قرن بالتحريك ، وهو الحبل يجمع به بعيران .

(٤) هو أبو لؤلؤة فيروز النصرانى ، طعن عمر وهو يتأهب لصلاة الصبح بخنجر فقتله ، فتوفى لثلاث بقين من ذى الحجة سنة ٢٣ . وكان من قبل قد شكا إلى عمر ثقل ما كان يؤدى إلى مولاه المغيرة من خراج ، فلم يشْكِه ، فترصد له فقتله ، ولما أحيط به وعلم أنه مأخوذ طعن نفسه . انظر مقتل عمر فى الطبرى والعقد وغيرهما .

(٥) الرباع جمع ربع ، وهو المنزل . وكسرها : باعها ربعا ربعا . وفى اللسان (٦ : ٤٥٧) : « كسر الرجل ، إذا باع متاعه ثوبا ثوبا » .

(٦) ظُلَّع : جمع ظالع ، أراد به المتهم المائل عن الحق . والظَّلْع : الغمز فى المشى والعرج . وفى العقد : « على ضلع أعوج » .

(٧) ما عدا هـ : « وليتك وضعتها حيث » . تحريف . وفيما عدا ل : « ألقاها الله » .

الذى جَلا بك حَوْبَتَها (١) ، وكشف بك كُربَتَها . امض ولا تلتفتْ فإنّه لا يُغنى مِن الحقِّ شيءٌ (٢) . أقول قولى هذا وأستغفِر الله لى ولكم ، وللمؤمنين والمؤمنات .

قال : ولمّا أن قال : « ثمّ إنّا والله ما اجتمعنا بعدهما إلا على ظُلَّعٍ » ، سكت الناس كلهم إلاّ هشاما ، فإنّه قال له : كذبت .

خطبة عمر بن عبد العزيز رحمه الله

أبو الحسن قال : حدّثنا المغيرة بن مطرِّف ، عن شعيب بن صفوان ، عن أبيه قال : خطب عمر بن عبد العزيز بخُناصرةَ (٣) خطبةً لم يخطُبْ بعدها غيرَها حتّى مات رحمه الله . فحمِد الله وأثنى عليه وصلى على نبيّه ثم قال (٤) :

أيُّها الناس ، إنّكم لم تُخلَقوا عبثا ولم تُتركوا سُدًى ، وإنّ لكم مَعاداً يحكم الله بينكم فيه ، فخابَ وخَسِرَ مَن خرج من رحمة الله التى وسعَتْ كلَّ شىء ، وحُرِمِ الجنّةَ التى عَرضُها السّمواتُ والأرض . واعلموا أنّ الأمان غداً لمن خاف الله اليوم (٥) ، وباع قليلاً بكثير ، وفائتاً بباق . ألا تُرون أنّكم فى أسلاب الهالكين ، وسيخلِّفها مِن بَعدكم الباقون كذلك ، حتى تُرَدُّوا إلى خير الوارثين . ثم أنتم فى كلِّ يوم تُشيِّعونَ غادياً ورائحاً إلى الله ، قد قَضى نحبَه وبلَغ أجلَه ، ثم تغيِّبونه فى صَدْعٍ من الأرض ، ثم تَدَعونه غير مُوسَّد ولا مُمَهَّد ، قد خَلَع

---

(١) الحوبة ، بالفتح : الهم ، والغم. وهذا الصواب من هـ . وفى ل : « جونتها » وسائر النسخ : « جوبتها » ، تحريف . وفى سائر المراجع المتقدمة : « حوبتنا » ، و « كربتنا » .

(٢) ل : « عن الحق شيئا » .

(٣) خناصرة : بلدة بالشام من أعمال حلب .

(٤) ما بعد « أثنى عليه » ساقط من هـ . انظر الخطبة فى العقد (٤ : ٩٥ طبع لجنة التأليف) والطبرى (٨ : ١٤) وابن أبى الحديد (١ : ٤٨٠) وعيون الأخبار (٢ : ١٤٦) والأغانى (٨ : ١٥٢) وسيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزى ٢٢٢ وابن عبد الحكم (٤١ ، ١٣٦) .

(٥) فيما عدا ل : « لمن خاف ربه اليوم » . وكلمة « اليوم » ساقطة من هـ .

الأسبابَ ، وفارَق الأحباب ، وباشَرَ التراب [١] ، وواجَه الحِساب ، غَنيًّا عما ترَك ، فقيراً إلى ما قدّم . وآيمُ اللهِ إنّى لأقول لكم هذه المقالةَ ، وما أعلَمُ عند أحدٍ منكم من الذُّنوب أكثَرَ مما عندى . فأستغفر الله لى ولكم . وما تبلغُنا حاجةٌ يتّسع لها ما عِندنا إلاّ سدَدناها ، وما أحدٌ منكم إلاّ ودِدْت أنّ يده مع يدى ، ولُحْمَتى الذين يلوننى [٢] ، حتى يستوىَ عيشُنا وعيشكم . وآيمُ اللهِ إنّى لو أردت غير هذا من عيشٍ أو غَضَارة [٣] ، لكان اللسان منى ناطقاً ذَلُولاً ،
٣٠٧ عالماً بأسبابه . لكنه مضى من الله كتاب ناطق ، وسُنّة عادِلَة ، دَلَّ فيهَا على طاعته ، ونهى فيها عن معصيته .

ثم بكى رحمه الله ، فتلقَّى دموعَ عينيه بطرَف ردائِه ، ثم نزل ، فلم يُرَ على تلك الأعواد حتّى قبضه الله إلى رحمته .

وخطبة أخرى ذهب عنّى إسنادها [٤]

أما بعد : فإنّك ناشئ فتنةٍ [٥] وقائدُ ضلالةٍ ، قد طال جُثومها ، واشتدّت غُمومُها ، وتلوّنت مصايد عدوِّ الله فيها [٦] ، وقد نصَب الشَّرَك لأهل الغفْلة عما فى عواقبها . فلن يَهُدَّ عمودَها ، ولن ينزِعَ أوتادَها إلا الذى بيده مُلك الأشياء [٧] ، وهو الله الرحمن الرحيم . ألاَ وإنّ للهِ بقايا من عباده لم يتحيّروا فى ظُلمتها ، ولم

---

(١) هذه الجملة من ل فقط .

(٢) اللحمة ، بالضم : القرابة . فيما عدا ل ، هـ : « ويحمى » ، تحريف .

(٣) الغضارة ، بالفتح : النَّعمة ، والخصب ، والسعة .

(٤) عثرت على إسنادها فى العقد (٤ : ١٤٨ طبع لجنة التأليف) ، وهى لأبى حمزة الخارجى الشارى .

(٥) فى العقد : « فى ناشئ فتنة » .

(٦) ل : « مصائب » ، وأثبت ما فى سائر النسخ والعقد . وفى بعض أصول العقد « وتلوت » .

(٧) فيما عدا ل ، هـ : « تلك الأشياء » .

يُشايعوا أهلَها على شبهتها ، مصابيح النور فى أفواههم تَزْهَر [١] ، وألسنتُهم [٢] بحجج الكتاب تنطق . ركبوا نَهجَ السَّبيل ، وقاموا على العَلَم الأعظم ، فهم خُصَماء الشيطان الرجيم . وبهم يُصلِح اللهُ البلاد ، ويدفع عن العباد . فطوبَى لهم وللمستصبِحِين بنُورهم . أسأل الله أن يجعلنا منهم .

خطبة أبى حمزة الخارجى

دخل أبو حمزة الخارجى [٣] مكة — وهو أحد نُسَّاك الإباضيَّة وخطبائهم ، واسمه يحيى بن المختار [٤] — فصعد مِنبرها [٥] متوكِّئاً على قوسٍ له عربِّية ، فحمِد اللهَ وأثنى عليه ثم قال [٦] :

أيُّها الناس ، إنّ رسول الله ﷺ كان لا يتأخّر ولا يتقدّم إلا بإذن الله وأمره ووحْيه ، أنزَلَ الله كتاباً بَيّن له فيه ما يأتى وما يتّقى ، ولم يكُ فى شكٍّ من دينه ، ولا فى شبهةٍ من أمره ، ثمّ قبضه الله وقد عَلّم المسلمين مَعالمَ دينِهم ، وولّى أبا بكر صَلاتَهم ، فولّاه المسلمون أمرَ دنْياهم حين ولّاه رسول الله أمرَ دينهم [٧] ، فقاتَلَ أهل الرِّدّة ، وعَمِل بالكتاب والسنّة،فمضَى لسبيلِه رحمةُ الله عليه .

---

(١) تزهر : تضئ . وفى العقد وما عدا ل ، هـ : « تزهو » ، وليس بشئ .

(٢) ل : « وأفواههم » . وأثبت ما فى العقد وسائر النسخ .

(٣) خرج أبو حمزة سنة ١٢٩ من قبل عبد الله بن يحيى ، مظهراً للخلاف على مروان بن محمد ، ودخل مكة فى موسم الحج بغير قتال . وفى سنة ١٣٠ دخل المدينة فهرب منها عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك إلى الشام ، ثم سار أبو حمزة وأصحابه إلى مروان فلقيهم خيل مروان بوادى القرى فأوقعوا بهم ، فرجعوا منهزمين إلى المدينة فلقيهم أهل المدينة فقتلوهم وذلك سنة ١٣٠ . انظر الطبرى (٩ : ١٠٨) .

(٤) كذا فى النسخ . وفى الأغانى (٢٠ : ٩٨ ، ٩٩) أنه المختار بن عوف . وفى جمهرة أنساب العرب لابن حزم ٣٨٠ أنه المختار بن عبد الله .

(٥) فى الطبرى والأغانى أن هذه الخطبة إنما كانت بالمدينة .

(٦) انظر الخطبة فى الطبرى ، والعقد (٤ : ١٤٤ لجنة التأليف) ، والأغانى (٢٠ : ١٠٥) ، وابن أبى الحديد (١ : ٤٥٩) .

(٧) ما بعد « دنياهم » إلى هنا ساقط من هـ .

ثم وَلِىَ عمر بن الخطاب رحمه الله ، فسار بسيرة صاحبه ، وعمِل بالكتاب
٣٠٨ والسنّة ، وجَبى الفَىء ، وفرَضَ الأعطية ، وجمع النَّاسَ فى شهر رمضان ، وجلد فى الخمر ثمانين ، وغَزَا العَدُوّ فى بلادهم ، ومضى لسبيله رحمةُ الله عليه .

ثم وَلِىَ عثمانُ بن عفان فسار سِتَّ سنينَ بسيرة صاحبيه ؛ وكان دونهما ، ثم سار فى الستِّ الأواخر بما أحبَط به الأوائل ، ثم مضى لسبيله .

ثم ولىَ علىّ بن أبى طالب ، فلم يبلُغْ من الحق قصداً ، ولم يرفع له مَنارا ، ثم مضى **لسبيله** .

ثم ولىَ معاوية بن أبى سفيان لَعِينُ رسول الله وابنُ لعينه ، فاتّخَذ عباد الله خَوَلاً ، ومال الله دُوَلاً ، ودينَه دَغَلاً ، ثمّ مضى لسبيله ، فالعنُوه لعنه الله .

ثم ولىَ يزيدُ بن معاوية : يزيدُ الخُمور ، ويزيدُ القرودِ [١] ، ويزيدُ الفهود ، الفاسق فى بطنه ، المأبونُ فى فَرْجه ، فعليه لعنة الله وملائكته [٢] .

ثم اقتصَّهم خليفةً خليفة ، فلما انتهى إلى عمر بن عبد العزيز أعرض عنه ، ولم يذكره . ثم قال :

ثم وَلِىَ يزيدُ بن عبد الملك الفاسقُ فى دينه ، المأبونُ فى فرجه ، الذى لم يُؤنَس منه رُشْد ، وقد قال الله تعالى فى أموال اليتامى : ﴿ فإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُوا إِليهِمْ أَمْوَالَهُمْ ﴾ ، فأمْرُ أمّةِ محمد عليه السلام أعظم . يأكل الحرامَ ويشرب الخمر ، ويلبس الحُلَّة قُوِّمت بألف دينار ، قد ضُرِبت فيها الأبشار [٣] ، وهُتِكت فيها الأستار ، وأُخِذت من غير حِلّها . حَبابةُ عن يمينه [٤]،وسَلّامة عن

(١) انظر الحيوان (٤ : ٦٦) .

(٢) هذه الجملة من ل فقط . وقد أسقط صاحب العقد من هذه الخطبة ما كان فيها من طعنه على الخلفاء ، كما صرح بذلك .

(٣) البشرة : ظاهر الجلد ، جمعها بشر ، وجمع بشر أبشار ، كشجرة وشجر وأشجار .

(٤) حَبابة من مولدات المدينة كانت حلوة جميلة ظريفة ، حسنة الغناء ، طيبة الصوت ، ضاربة بالعود . اشتراها يزيد بن عبد الملك بأربعة آلاف دينار ، وكانت تسمى العالية فسماها حبابة . الأغانى (١٣ : ١٤٨ - ١٥٩) وأمالى الزجاجى ٧٤ .

يساره (١) تغنّيانه ، حتّى إذا أخذ الشرابُ منه كلّ مأْخذٍ قَدَّ ثوبَه ، ثم التفت إلى إحداهما فقال : ألا أطير ألا أطير ! نعم فِطرْ إلى لعنة الله ، وحريقِ ناره ، وأليمِ عذابه .

وأمّا بنو أميّة ففِرقةُ الضلالةِ ، بطشهم بطْشُ جَبريّة ، يأخذون بالظِّنَّةِ ، ويقضُون بالهوى ، ويقتلون على الغَضب ، ويحكمون بالشّفاعة ، ويأخذون الفريضة من غير موضعها ، ويضعونها فى غَير أهْلها ، وقد بيَّن الله أهلَها فجعلَهم ثمانيةَ أصناف ، فقال : ﴿ إنّما الصَّدَقات لِلفُقَراء والمَساكِينِ والعامِلِينَ عَلَيْها والمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وفى الرِّقاب والغارِمينَ وَفى سَبِيلِ الله وَابنِ السَّبيل ﴾ . فأقبل صنفٌ تاسعٌ ليس منها فأخذها كلها . تلكم الفرقة الحاكمة بغير ما أنزل الله .

وأمّا هذه الشِّيَعُ فشِيَعٌ ظاهرت بكتاب الله ، وأعلنوا الفِرية على الله ، لم يفارقوا الناس ببصَرٍ نافِذٍ فى الدين ، ولا بعلمٍ نافِذٍ (٢) فى القرآن ، ينقِمون المعصيةَ ٣٠٩
على أهلها ، ويَعْمَلونَ إذا وُلُّوا بها . يُصِرُّون على الفتنة ، ولا يعرفون المخرج منها ، جُفَاةٌ عن القرآن ، أتباعُ كُهّانٍ ، يؤمّلون الدُّوَلَ فى بعث الموتى ، ويعتقدون الرَّجعة إلى الدُّنيا ، قلّدوا دينَهم رجلاً لا ينظر لهم ، قاتلهم الله أنّى يُؤفَكون .

ثم أقبل على أهل الحجاز فقال :

يا أهل الحجاز ، أتعيّرونني بأصحابي وتزعمون أنّهم شباب ؟! وهل كان أصحابُ

---

(١) وسلامة هذه هى سلامة القس ، مولدة من مولدات المدينة أيضا ، أخذت عن معبد وابن عائشة فمهرت . وسميت سلامة القس لأن رجلا كان يعرف بعبد الرحمن بن أبى عمار الجشمى من قراء أهل مكة ، وكان يلقب بالقس لعبادته ، شغف بها وشهر ، فغلب عليها لقبه . اشتراها يزيد بن عبد الملك . وكانت سلامة أحسن من حبابة غناء ، وحبابة أحسن منها وجها ، وكانت سلاّمة تقول الشعر وحبابة تتعاطاه فلا تحسن . الأغانى (٨ : ٥ — ١٢) .

(٢) ل : « ناقد » .

رسول الله ﷺ إلاّ شَباباً . أمَا والله إنى لعالمٌ بتتايعكم (١) فيما يضرُّكم فى مَعادكم ، ولولا اشتغالى بغيركم عنكم ما تركتُ الأخْذَ فوق أيديكم . شبابٌ والله مُكتهِلون فى شبابهم ، غبِيَّةٌ (٢) عن الشرّ أعينُهم ، ثقيلةٌ عن الباطل أرجلهم ، أنضاءُ عبادةٍ وأطلاحُ سَهَر (٣) ، ينظر اللهُ إليهم فى جوف الليل منحنيةً أصلابهم على أجزاء القرآن ، كلَّما مر أحدُهم بآيةٍ من ذكر الجنّة بكى شوقاً إليها ، وإذا مَرّ بآية من ذكر النار شَهِقَ شَهقة كأنّ زفير جهنّم بين أذنيه . موصولٌ كَلَالهم بكلالهم : كَلالُ الليل بكلال النهار . قد أكلت الأرضُ رُكَبَهم وأيديَهم ، وأنوفَهم وجباهَهم ، واستقلّوا ذلك فى جنْب الله ، حتّى إذا رأوا السهامَ قد فُوِّقَت (٤) ، والرِّماحَ قد أُشرِعَت ، والسيوفَ قد انتُضيَتْ ، ورَعَدت الكتيبةُ بصواعق الموت وبرقت ، استخفُّوا بوعيد الكتيبة لوعْد الله (٥) ، ومضى الشابُّ منهم قُدُماً حتى اختلفت رِجلاهُ على عنق فرسه ، وتخضَّبت بالدّماء محاسنُ وجهه فأسرعَتْ إليه سباعُ الأرض ، وانحطّت علَيه طيرُ السّماء ، فكم من عينٍ فى منقارِ طائرٍ (٦) طالما بكى صاحبُها فى جوف الليل من خوف الله ، وكم من كفٍّ زالت عن مِعْصَمها طالما اعتمد عليها صاحبُها فى جوف الليل بالسُّجود لله . ثم قال : آه آه (ثلاثاً (٧)) . ثم بكى ونَزَل .

---

(١) التتايع : التهافت والوقوع فى الشر ، يقال تتابعوا فى الخير وتتايعوا فى الشر . ما عدا هـ : « بتتابعكم » ، والوجه ما أثبت من هـ .

(٢) ما عدا هـ : « غضيضة » .

(٣) أطلاح : جمع طلح ، بالكسر ، وهو المعيى .

(٤) فُوقت : جعلت لها الأفواق ، والفوق بالضم : موضع الوتر من السهم .

(٥) فى الأصول : « لوعيد الله » ، صوابه عن العقد .

(٦) فيما عدا ل : « فى مناقير طير » .

(٧) فيما عدا ل ، هـ : « أوه أوه أوه » ، فقط .

خطبة قطرى بن الفجاءة

صعِد قَطَرِىٌّ بن الفُجاءة [١] مِنبر الأزارقة – وهو أحد بنى مازن بن عمرو ابن تميم – فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على نبيه ثم قال [٢] : ٣١٠

أمّا بعدُ فإنى أُحَذِّركم الدُّنيا ؛ فإنَّها حُلوةٌ خَضِرة ، حُفَّتْ بالشّهوات ، وراقت بالقليل ، وتحبّبت بالعاجلة ، وحُلِّيت بالآمال ، وتَزَيَّنت بالغُرور ، لا تدوم حَبْرتُها [٣] ولا تُؤمَن فجْعتُها ، غَرّارة ضَرّارة ، خوّانةٌ غدّارة ، حائله زائلة ، نافدة بائدة ، أكّالة غوّالة ، بدلةٌ [٤] نقّالة ، لا تعدو إذا هى تناهت إلى أمنيَّةِ أهل الرّغبة فيها ، والرّضا عنها ، أن تكون كما قال الله : ﴿ كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاه مِنَ السّماءِ فَاخْتَلَطَ به نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوه الرِّياحُ وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ مُقْتَدِراً ﴾ . مع أنّ امرأً لم يكن منها فى حَبْرة إلا أعقبتْه بعدهَا عَبْرة ، ولم يَلْقَ من سَرّائها بطناً إلا منحته من ضَرَّائها ظهرا ، ولم تَطُلَّه غَبْيَةُ رَخاءٍ [٥] إلا هَطَلَتْ [٦] عليه

---

(١) سبقت ترجمته فى (١ : ٣٤١) .

(٢) الخطبة فى العقد (٤ : ١٤١) . وصبح الأعشى (١ : ٢٢٣) وعيون الأخبار (٢ : ٢٥٠) ونهاية الأرب (٧ : ٢٥٠) . وقد رويت فى نهج البلاغة بشرح ابن الحديد (٢ : ٢٣٨ – ٢٤٠) منسوبة إلى على بن أبى طالب . وقال فى (٢ : ٢٤٢) : « هذه الخطبة ذكرها شيخنا أبو عثمان الجاحظ فى كتاب البيان والتبيين . ورواها لقطرى بن الفجاءة . والناس يروونها لأمير المؤمنين عليه السلام . وقد رأيتها فى كتاب الموثق لأبى عبد الله المرزبانى مروية لأمير المؤمنين عليه السلام ، وهى بكلام أمير المؤمنين أشبه . وليس يبعد عندى أن يكون قطرى قد خطب بها بعد أن أخذها عن بعض أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ؛ فإن الخوارج كانوا أصحابه وأنصاره ، وقد لقى قطرى أكثرهم » .

(٣) الحبرة ، بالفتح : السرور والنعمة وسعة العيش .

(٤) بدلة ، أريد بها كثيرة التبديل ، أما ضبطها فلا أحقه لأنى لم أهتد إليها فى معجم من المعاجم المتداولة ، فقد تكون « بدلة » كفرحة و « بدلة » كضحكة . وفيما عدا ل : « بذلة » ولا وجه لها . و « بدلة نقالة » ساقطة من هـ .

(٥) طل : أصابه الطل ، وهو مطر خفيف . والغَبية ، بالفتح : الدفعة من المطر . فيما عدا ل . هـ : « غيثة » تحريف .

(٦) ل ، حـ : « أهطلت » ، صوابه فى هـ ، ب والتيمورية .

مُزنة بَلاء ، وحَرًى إذا أضْحت (١) له منتصرةً أن تُمْسِيَ له خاذلة متنكِّرة ، وإنْ
جانبٌ منها اعذَوذَب واحلَوْلَى ، أمَرَّ عليه منها جانب وأوبَى (٢) ، وإن آتت امرأً
من غَضَارتها ورفاهَتها نِعَماً ، أرهقته من نوائبها نِقَما ، ولم يُمْسِ امرؤٌ منها فى جَناح
أمنٍ إلّا أصبح منها على قوادِمِ خَوف . غرَّارة غرورٌ ما فيها ، فانيةٌ فانٍ مَن
عليها (٣) ، لا خير فى شئٍ من زادها إلا التّقوى . مَن أقلَّ منها استكثر
مما يؤمِنُه ، ومَن استكثر منها استكثر مما يُوبِقهُ ويطيل حَزَنَه ، ويُبكى عينَه . كم
واثقٍ بها قد فجعَتْه ، وذى طُمَأنينةٍ إليها قد صرعتْه ، وذى اختيالٍ فيها قد خدَعته .
وكم من ذى أبَّهةٍ فيها قد صيَّرته حقيراً ، وذى نخوةٍ قد ردَّتْه ذليلا ، وكم مِن ذى تاج
قد كبَّته لليدين والفم . سلطانُها دُوَل ، وعيشُها رَنَق ، وعذبُها أُجاجٌ ، وحُلوها
صَبِرٌ ، وغذاؤها سِمام ، وأسبابُها رِمام (٤) ، وقِطافها سَلَعٌ (٥) . حيُّها
بعَرَض (٦) موتٍ ، وصحيحها بعَرَضِ سُقْم ، ومَنيعها بعَرَضِ اهتضام . مليكها
مسلوب ، وعزيزُها مغلوب ، وسليمها منكوب ، وجامعها محروب (٧) . مع أنّ
وراءَ ذلك سَكَراتِ الموت ، وهَولَ المُطَّلَع (٨) والوقوفَ بين يَدى الحكَمِ
العَدْل ؛ ﴿ لِيَجْزِىَ الذين أساءُوا بمَا عَمِلُوا وَيَجْزِىَ الّذِينَ أَحْسَنُوا
بالحُسْنَى (٩) ﴾ . أَلَستمْ فى مساكِنِ مَن كان أطولَ منكم أعماراً ، وأوضَح ٣١٢

---

(١) فيما عدا ل : « أصبحت » .

(٢) أوبى : مسهل أوبأ ، صار فيه الوباء والوخم . ل : « أوى » تحريف .

(٣) العقد وما عدا ل : « فان ما عليها » .

(٤) الأسباب : جمع سبب ، وهو الحبل . والرمام : جمع رمة بالضم ، وهى قطعة بالية . عنى أنه لا يركن إليها .

(٥) السلع ، بالتحريك: نبات مر سام .

(٦) هـ : « بغرض » فى المواضع الثلاثة .

(٧) محروب : مسلوب .

(٨) المطلع : موضع الاطلاع من إشراف إلى انحدار ، يريد به الموقف يوم القيامة ، أو ما يشرف عليه من أمر الآخرة عقيب الموت .

(٩) من الآية ٣١ فى سورة النجم .

آثاراً [١] ، وأعَدّ عديداً ، وأكثَفَ جنوداً ، وأعند عُنُودا [٢] : تعبَّدُوا الدُّنيا أىَّ تعبُّد ، وآثروها أىَّ إيثار ، وظَعَنوا عنها بالكَرْهِ والصَّغار ، فهل بَلَغكم أنَّ الدنيا سمحت لهم [٣] نَفْسا بفِدْية ، أو أغنَتْ عنهم فيما قد أهلكتهم بخَطْب [٤] ، بل قد أرهَقَتْهم بالفَوادح ، وضعضعتهم بالنّوائب ، وعَقَرتهم بالمصائب [٥] . وقد رأيتم تنكُّرَها لمن دان لها [٦] وآثَرَها ، وأخلد إليها ، حين ظَعَنوا عنها لفراق الأبد إلى آخر المُسنَد [٧] . هل زوّدتْهم إلّا الشقاء . وأحلّتْهم إلا الضَّنْك ، أو نوَّرَت لهم إلا الظُّلمة ، أو أعقبتهم إلّا الندامة . فهذه تُؤْثرون أم عليها تَحرِصون ، أم إليها تطمئنون . يقول الله : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الحَيَاةَ الدنيا وَزِينَتها نُوَفِّ إلَيْهِمْ أعمالهم فِيها وهم فيها لا يُبْخَسُون . أولئِك الذّين لَيْسَ لهم فى الآخِرَة إلّا النّارُ وَحَبِطَ ما صَنَعُوا فيها وباطِلٌ ما كانُوا يَعْلَمون [٨] ﴾ . فبئست الدارُ لمن أقامَ فيها . فاعملُوا وأنتم تعلمون أنكم تاركوها لا بُدَّ ، فإنما هى كما وصفها الله باللعب واللّهو ؛ وقد قال الله : ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ . وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴾ . وذكر الذين قالوا مَن أشدُّ منا قوّة [٩] . ثم قال :

حُمِلوا إلى قبورهم فلا يُدعَون رُكباناً ، وأُنزلوا فيها فلا يُدعَون ضِيفاناً ، وجُعِل لهم من الضَّريح أجنانٌ [١٠] ، ومن التُّراب أكفان ، ومن الرُّفات

---

(١) فيما عدا ل : « وأوضح منكم آثارا » .

(٢) عند عندا ، بالفتح ، وعنودا ، بالضم : عتا وطغا وتجاوز قدره .

(٣) ابن أبى الحديد : « سخت لهم » .

(٤) الخطب : الشأن أو الأمر ، صغر أو عظم .

(٥) هـ : « بالمصايب » .

(٦) دان لها : خضع وذل . فيما عدا ل : « زان لها » ، تحريف .

(٧) المسند : الدهر ، يقال لا آتيه يد المسند ، أى أبدا .

(٨) الآيتان ١٥ ، ١٦ من سورة هود .

(٩) ابن أبى الحديد: « واتعظوا فيها بالذين قالوا من أشد منا قوة . حملوا إلى قبورهم » . ونحوه فى العقد .

(١٠) الأجنان : جمع جنن ، بالتحريك ، وهو القبر .

جِيران ، فهم جيرةٌ لا يجيبون داعياً ، ولا يمنعون ضَيما ، إن أخصبوا لم يَفرحوا ، وإن أُقحَطوا لم يَقنَطوا ، جميعٌ (١) وهم آحادَ ، وجيرةٌ وهم أبعاد ؛ متناءُون لا يُزارون ولا يَزُورون ، حلماءُ قد ذهبت أضغانُهم ، وجُهَلاء قد ماتت أحقَادهم (٢) ، لا يُخشى فَجْعُهم ، ولا يُرجَى دفعُهم ، وكما قال جَلَّ وعَزّ : ﴿ فَتِلْكَ مَساَكِنُهمْ لم تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهم إلاّ قليلاً وكُنّا نحنُ الوارثين (٣) ﴾ . استبدَلُوا بظهر الأرض بطناً ، وبالسَّعةِ ضِيقاً ، وبالأهل غُربة ، وبالنُّور ظلمة ، فجاءوها كما فارقوها : حُفاةً عُرَاةً فُرادَى ، غير أنّهم ظعنوا بأعمالهم إلى الحياة الدائمة ، وإلى خلود الأبد . يقول الله : ﴿ كَمَا بَدَأْنا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعيدُه وَعْداً عَلَيْنا

إنَّا كُنَّا فَاعِلِين ﴾ . فاحذروا ما حذّركم الله ، وانتفعوا بمواعظه ، واعتصموا بحبله . ٣١٢

عَصَمنا الله وإياكم بطاعته ، ورزقَنا وإياكم أداء حَقّه (٤) .

خطبة محمد بن سليمان (٥) يوم الجمعة

وكان لا يغيّرها

الحمد لله . أحَمدُه وأستعينه وأستغفره ، وأومِن به وأتوكَّل عليه ، وأبرأ من الحول والقوَّة إليه (٦) . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده ولا شريكَ له ، وأشهد أنّ محمداً عبدُه ورسوله ، أرسله بالهُدى ودين الحقِّ ليظهرَه على الدِّين كلِّه ولو كَرِه المشركون . مَن يعتصم بالله ورسولِه فقد اعتَصم بالعُروة الوثقى ،وسُعِد فى الآخرة والأولى . ومَن يعصِ الله ورسولَه فقد ضَلَّ ضلالاً بعيداً ، وخَسِرَ خُسرانا مبيناً .

---

(١) العقد وما عدا ل : « جمع » .

(٢) ل : « وذهلاء » تحريف .

(٣) ل : « فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ، وتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا » . وهو خلط بين آيتين .

(٤) زاد فى العقد : « تم نزل » .

(٥) سبقت ترجمته والإشارة إلى خطبته فى (١ : ٢٩٥) .

(٦) هذه الجملة من ل فقط .

أسأل الله أن يجعلَنا وإيّاكم مّمن يطيعُه ويطيع رسولَه ﷺ ، ويتّبع رضوانَه ، ويتجنّب سُخْطه ، فإنّما نحن به وله . أوصيكم عبادَ الله بتقوى الله ، وأحثّكم على طاعة الله ، وأرضَى لكم ما عِند الله ؛ فإنّ تَقوى اللهِ أفضلُ ما تَحَاثَّ الناسُ عليه ، وتداعَوا إليه ، وتواصَوا به . فاتّقوا الله ما استطعتم ، ولا تموتُنَّ إلاّ وأنتمْ مُسْلِمُون .

خطبة عبيد الله بن زياد

صعد المنبر بعد موتِ يزيدَ بنِ معاوية ، وحيث بلغه أنّ سلمة بن ذؤيب الرِّياحىّ (١) قد جَمَع الجموع يريد خَلْعَهُ ، فقال :

يا أهل البصرة انسُبونى (٢) ، فوالله ما مُهَاجَرُ أبى إلاّ إليكم ، ولا مَولِدى إلاّ فيكم ، وما أنا إلا رجلٌ منكم . والله لقد وَلِيَكُم أبى وما مُقاتِلتُكم إلا أربعون ألفاً ، فبلغ بها ثمانين ألفاً ، وما ذريّتّكم إلاّ ثمانون ألفاً ، وقد بلغ بها عشرين ومائةَ ألف . وأنتم أوسَعُ النّاسِ بلاداً ، وأكثرُهُ جواداً (٣) ، وأبعدهُ مَقاداً ، وأغْنَى النّاس عن الناس . انظُرُوا رَجُلاً تُوَلُّونه أمرَكم ، يكُفّ سفهاءَكم ، ويَجْبِى لكم فَيْئكم ، ويَقسِمه فيما بينَكم (٤) ، فإنّما أنا رجلٌ منكم . ٣١٣

فلما أبَوْا غيرَه قال : إنّى أخاف أن يكون الذى يدعوكم إلى تأميرى حَداثةُ عهدِكم بأمرى .

---

(١) ل : « سلمة بن أبى ذؤيب » ، صوابه من الطبرى (٧ : ٢٠) وسائر النسخ . وهو سلمة بن ذؤيب بن عبد الله بن محكم بن زيد بن رياح بن يربوع بن حنظلة . فيما عدا ل ، هـ : « الرياضى » ، تحريف .

(٢) ل : « أنسبوننى » ، صوابه فى الطبرى وما عدا ل . وجاء نظير هذا فى خطبة قتيبة بن مسلم : « انسبونى تجدونى عراقى الأم » . الطبرى (٨ : ١٠٥) .

(٣) فيما عدا ل ، هـ : « جنودا » .

(٤) ل : « ويقسمه بينكم » .

خطبة معاوية رحمه الله

الهيثم بن عدى ، عن أبى بكر بن عيَّاش ، عن أشياخه قال : لما حضرَتْ معاويةَ الوفاةُ ويزيدُ غائب ، دعا معاويةُ مُسْلِمَ بن عُقبةَ المُرّىّ ، والضَّحَّاك بن قيس الفهرىَّ ، فقال [١] :

أبلغا عنِّى يزيدَ وقُولَا له : انظُرْ إلى أهل الحجاز فهم أصلُك وعِترتُك [٢] ، فمن أتاك منهم فأكرمْه ، ومن قَعَدَ منهم [٣] عنكَ فتعهَّدْه . وانظُرْ إلى أهل العراق ، فإنْ سألوك عزْلَ عاملٍ فى كلّ يوم [٤] فاعزِلْه عنهم ؛ فإنَّ عزْلَ عاملٍ فى كلّ يومٍ أهوَنُ عليك من سَلِّ مائة ألِف سيفٍ ثمّ لا تدرى عَلامَ أنت عليه منهم . ثم انظُرْ إلى أهل الشَّام فاجعلهُم الشِّعارَ دون الدِّثار [٥] ، فإنْ رابَكَ من عدوِّك رَيبٌ فارمِهِ بهم ، فإن أظفَرَك الله بهم فارْدُدْ أهلَ الشام إلى بلادهم ، ولا يقيموا فى غير ديارهم [٦] فيتأدَّبوا بغير أدبهم . لستُ أخاف عليك غير عبد الله بن عُمَر ، وعبدِ الله بنِ الزُّبير ، والحسينِ بنِ علىّ . فأمّا عبد الله بن عمر فرجلٌ قد وقَذَه الوَرع [٧] . وأمَّا الحسين فإنِّى أرجو أن يكفِيَكه الله بمَنْ قتل أباه ، وخَذَلَ أخاه . وأمّا ابنُ الزُّبير فإنه خَبٌّ ضَبٌّ [٨] .

وفى غير هذه الرواية : « فإن ظَفِرتَ بابن الزبير فقطّعه إرْبا إرْبا [٩] » .

* * *

---

(١) الخطبة فى العقد (٤ : ٨٧) .

(٢) وكذا فى العقد . وعترة الرجل : رهطه وعشيرته الأدنون ممن مضى وغَبَر . وفى ل : « وعشيرتك » .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من العقد وما عدا ل ، هـ .

(٤) فى كل يوم ، من ل ، هـ فقط .

(٥) الشعار : ما ولى شعر جسد الإنسان دون ما سواه من الثياب . والدثار : الثوب يكون فوق الشعار . وكلمة « إلى » ساقطة من هـ .

(٦) فى العقد وما عدا ل : « فى غير بلادهم » .

(٧) وقذه الورع ، أى كسره وأثخنه وبلغ منه مبلغا .

(٨) الخب ، بالفتح ويكسر : الخداع . والضب : ذو الحقد .

(٩) هـ : « فقطعه آرابا » .

فمات معاوية فقام الضحّاك بن قيس خطيباً ، فقال : « إنَّ أمير المؤمنين معاويةَ كان أنفَ العرب ، وهذه أكفانُه ونحن مُدرِجُوه فيها ، ومُخَلُّون بينه وبين ربّه ، فمن أراد حضورَه بعد الظهر فليحضُرْه » . فصلّى عليه الضحّاك بن قيس ، ثم قَدِم يزيدُ ولده ، فلم يُقدِمْ أحدٌ على تعزيته حتّى دخل عليه عبدُ الله بن همَّامٍ السلُوليُّ [١] فأنشأ يقول :

اصبِرْ يزيدُ فقد فارقْتَ ذَا ثقةٍ   واشكر حِبَاءَ الذى بالمُلْك حاباكا [٢]
لا رُزْءَ أصبَحَ فى الأقوام قد عَلِموا   كما رُزِئتَ ولا عُقْبَى كعُقْباكا
أصبحتَ راعِىَ أهلِ الدِّينِ كلِّهِمُ   فأنت ترعاهُمُ واللهُ يرعاكا
وفى معاويةَ الباقى لنا خَلَفٌ   إذا نُعيتَ ولا نَسْمَعْ بمَنْعاكا

فانفتح الخطباء لِلكلام بعد ذلك [٣] .

خطبة قتيبة بن مسلم الباهلى [٤]

قام بخراسان خطيباً حين خَلَعَ [٥] فقال :

أتدرون من تُبايِعون ؟ إنَّما تبايعون يزيدَ بن ثَرْوان – يعنى هَبَنَّقَةَ القيسىّ [٦] – كأنّى بأميرٍ من حَاءٍ وحَكَم [٧] ، قد أتاكم يحكُم فى أموالكم وفُروجكم وأبْشاركم .

---

(١) سبقت ترجمته فى (١ : ٤٠٩) .

(٢) هـ : « ذا كرم » ، وفى العقد : « ذا مقة » . والمقة : الحب . وفى هـ : « أد فاكا » .

(٣) ل : « بعد ذلك بالكلام » .

(٤) سبقت ترجمته فى هذا الجزء ص ٤٢ . وكلمة « الباهلى » ساقطة من ل .

(٥) فى حواشى هـ والتيمورية : « يعنى حين خلع سليمان بن عبد الملك ودعا لنفسه بعد موت عمر بن عبد العزيز » . وفى العقد (٤ : ١٢٥) : « حين خلع سليمان بن عبد الملك » وانظر خبر الخلع فى الطبرى (٨ : ١٠٣ – ١١٢) حيث انتهى الأمر بقتل قتيبة سنة ٩٦ . والخطبة وردت فى الطبرى (٨ : ١٠٥) مختلطة بالخطبة التى بعدها .

(٦) هو أبو نافع يزيد بن ثروان الملقب بذى الودعات ، أحد بنى قيس بن ثعلبة ، كان يضرب به المثل فى الحمق . وكان يحسن إلى السمان من إبله ويهمل المهازيل ، ويقول : إنما أكرم ما أكرم الله،وأهين ما أهانه . انظر الميدانى فى (أحمق من هبنقة) .

(٧) حاء : حى من مذحج . انظر اللسان (٢٠ : ٣٣٤) ومقاييس اللغة (٢ : ٢٦) =

ثم قال : الأعراب وما الأعراب ، فلعنة الله على الأعراب . جمعْتُكم كما يجتمعُ قَزَع الخريف (١) ، من منابت الشِّيح والقَيصوم ، ومنابت القِلقِل (٢) ، وجزيرة أبْرَكاوان (٣) تركبون البقَر ، وتأكلون القَضْبَ (٤) ، فحملتكم على الخيل ، وألبستكم السلاح ، حتى منعَ الله بكم البلاد ، وأفاء بكم الفيء .

قالوا : مُرْنا بأمرك . قال : غُرُّوا غيرى .

وخطب مرة أخرى

فقال (٥) : يا أهلَ العراق ، ألستُ أعلَمَ النّاسِ بكم . أمّا هذا الحىُّ من أهل (٦) العالية فَنَعَمُ الصَّدَقَةِ (٧) ، وأمّا هذا الحىُّ من بكر بن وائل فعِلْجةٌ بظْراءُ لا تمنعُ رِجلَيها . وأمَّا هذا الحىُّ من عبد القيس فما ضَرَبَ العَيرُ بذنَبه (٨) . وأمّا هذا الحىُّ من الأزد ، فعُلوجُ خَلْقِ الله وأنباطُه . وايمُ اللهِ لو ملكتُ أَمْرَ

= وحكم كذلك : حى من اليمن . هما جميعاً من سعد العشيرة بن مذحج . انظر نهاية الأرب (٢ : ٣٠١) حيث ورد الاسم الأول محرفا برسم « جا » .

(١) القزع : قطع من السحاب رقاق كأنها ظل إذا مرت من تحت السحابة الكبيرة . والخريف أول الشتاء يكون السحاب فيه متفرقا غير متراكم . انظر اللسان (قزع) حيث فسر قول على : « كما يجمع قزاع الخريف » . فيما عدا ل : « كما يجمع » .

(٢) القلقل ، بكسر القافين : شجر له حب عظام يؤكل . ل : « الفلفل » ، تحريف .

(٣) الذى فى معجم البلدان : « بركاوان : ناحية بفارس » . وجاء فى تاريخ ابن الأثير (٣ : ١٧) : «وقيل أن عثمان بن أبى العاصى أرسل أخاه الحكم من البحرين فى ألفين إلى فارس ، ففتح جزيرة بركاوان فى طريقه » . وفى الطبرى : « تركبون البقر والحمر فى جزيرة ابن كاوان » .

(٤) القضب : الرطبة ، وهو ما أكل من النبات المقتضب غضا . ما عدا ل ، هـ : « الغضب » .

(٥) الخطبة فى العقد (٤ : ١٢٦) .

(٦) هذه الكلمة من العقد ، ول ، هـ .

(٧) فى هامش هـ والتيمورية و ب : « يعنى أنهم من قبائل شتى كنعم الصدقة وليسوا بمستوين ولا لهم جرأة » .

(٨) العير ، بالفتح : الحمار . كنى عن جاعرتيه ، وهما موضع الرقمتين من است الحمار . وصفهم بالمهانة والضعة .

النَّاسِ لنقشْتُ أَيديَهم (١) . وأمَّا هذا الحيُّ من تميم فإنَّهم كانوا يُسمُّون الغَدْرَ فى الجاهلية : « كَيْسان » (٢) . قال النمر بن تولب يهجو تميما :

إذا ما دَعَوا كيسانَ كان كهولُهم　　　إلى الغَدر أدنَى من شَبَابِهم المُرْدِ

وخطب مرة أخرى ٣١٥

فقال (٣) : يا أهل خُراسان ، قد جرّبتم الوُلَاة قبلى : أتاكُم أُمَيّة (٤) فكان كاسمه أُمَيّةَ الرأى وأُميَّةَ الدّين (٥) ، فكتب إلى خليفته : إنّ خراجَ خراسانَ وسجستان لو كان فى مِطبَخه (٦) لم يَكْفِه . ثم أَتاكم بعده أبو سعيد – يعنى المهلّب بن أبى صُفْرة (٧) – فدوَّخ بكم ثلاثاً (٨) ، لا تدرُون أفى طاعةٍ أنتم أم فى معصيةٍ . ثمّ لم يَجْبِ فيئاً ولم يَنْكِ عدوًّا (٩) . ثم أتاكم بنُوه بعدَه مثلَ أطْباء الكَلبةِ ، منهم ابن الدَّحْمة (١٠)

---

(١) أى لَوَسَمْتُ أيديهم بالنار . وفى هامش هـ ، ب : « هذه إشارة لفعل الحجاج ؛ لأنه كان قد وسم قوماً فى أيديهم بالنار » .

(٢) ما بعد هذه الكلمة وضع فى ب تعليقاً على كلمة « كيسان » . وهو ساقط من هـ .

(٣) الخطبة فى العقد (٤ : ١٢٦) والطبرى (٨ : ١٠٥) . وقد مزج الطبرى بين هذه الخطبة وسابقتها .

(٤) هو أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبى العاص ، كان عاملا لعبد الملك بن مروان على خراسان ، ثم عزله سنة ٨٧ وجمع سلطانه للحجاج . الطبرى (٧ : ٢٨) .

(٥) الأمية : تصغير الأمة المملوكة .

(٦) فيما عدا ل : « مطبخته » . ونص فى المعاجم على أنه « المطبخ » بكسر الميم .

(٧) المهلب بن أبى صفرة ، ولى خراسان من قبل الحجاج بعد أمية . الطبرى (٧ : ٢٨٠) .

(٨) ل ، هـ والتيمورية : « بلايا » ، وفى ب : جـ : « البلا » محرفتان عما أثبت . وفى الطبرى : « قدوم بكم ثلاث سنين » . والتدويم : الدوران .

(٩) نكى العدو ينكيه : أصاب منه . الطبرى : « لم ينكا » . يقال أيضاً نكأت العدو أنكؤهم ، لغة فى نكيتهم .

(١٠) فى العقد : « دحمة » . وقال معقباً : « ابن دحمة ، يريد يزيد بن المهلب » . وكذا فى حواشى هـ . وفى اللسان (دحم) : « قال أبو النجم :

* لم يقض أن يملكنا ابن الدحمه *

حرك احتياجا – أى للضرورة – يعنى يزيد بن المهلب » . وقد ولى الحجاج يزيد هذا خراسان بعد موت المهلب سنة ٨٣ ثم عزله الحجاج عن خراسان سنة ٨٥ ، وولاها أخاه المفضل بن المهلب . الطبرى (٨ : ٢٠ ، ٤٢) .

حِصانٌ يضرِب فى عانةٍ (١) ، ولقد كان أبوه يخافه على أمَّهات أولاده ، ثمَّ قد أصبحتم وقد فتح الله عليكم البلاد ، وأمَّن لكم السُّبل (٢) ، حتَّى إن الظَّعينة لَتخرُج من مَرْوَ إلى سَمَرْقَندَ فى غير جَوَاز (٣) .

خطبة الأحنف بن قيس

قال بعد أن حَمِد الله وأثنى عليه وصلى على نبيّه (٤) :

يا معشر الأزد وربيعة ، أنتم إخوانُنا فى الدِّين ، وشركاؤنا فى الصِّهر ، وأشِقَّاؤنا فى النَّسب ، وجيرانُنا فى الدّار ، ويدُنا على العدُوّ . والله لَأَزْدُ البصرة أحبُّ إلينا من تميم الكوفة ، ولأَزْد الكوفة أحبُّ إلينا من تميم الشام . فإن استَشْرَى شنآنُكم (٥) ، وأبَى حَسَكُ صُدُورِكم (٦) ، ففى أموالنا وسعة أحلامنا لنا ولكم سَعَة(٧) .

خطبة جامع المحاربىّ

ومن محاربٍ: جامعٌ ، وكان شيخاً صالحاً ، خطيباً لَسِنا ، وهو الذى قال للحجاج حين بَنَى مدينةَ واسط : « بنيتَها فى غير بلدك ، وأورثْتَها غيرَ ولدِك . وكذلك مَنْ قَطَعه العُجْب عن الاستشارة ، والاستبدادُ عن الاستخارة » .

---

(١) العانة : القطيع من حمر الوحش . الطبرى : « يريد فحل تبارى إليه النساء » .

(٢) هذه الجملة ليست فى هـ .

(٣) وكذا فى الطبرى . والجواز : الولاية . اللسان (جوز ١٩٢) . وفى القاموس : « والجواز ، كسَحاب : صَكّ المسافر ». ب والتيمورية : « جوان » تحريف . وفى هـ : « جوار » .

(٤) الخطبة فى العقد (٤ : ١٣٤) والطبرى (٧ : ٣٢) . هـ : « بعد حمد الله والثناء عليه » .

(٥) الشنآن : العداوة والبغض . استشرى : عظم وتفاقم . فيما عدا ل : « استشرف » تحريف .

(٦) حسك الصدر : حقد العداوة ، كما فى اللسان (حسك) . فى العقد وما عدا ل : « حسد صدوركم » .

(٧) ما عدا هـ : « ففى أموالنا وأحلامنا سعة لنا ولكم » .

وشكا الحجاجُ سُوءَ طاعةِ أهل العراق وتَنقُّمَ مذهبَهم ، وتسخَّطَ طريقتَهم ، فقال جامع (١) :

أمَا إنّهم لو أحبُّوك لاطاعوك ، على أنّهم ماشَنِفوك لنَسبِك (٢) ، ولا لبلدك ، ولا لذاتِ نَفْسك ، فدَعْ ما يُبْعِدهمْ منك ، إلى ما يقرِّبُهم إليك ، والتمس العافيةَ مِمَّن دونَك [تُعْطَها ممَّن فوقك (٣)] ، وليكن إيقاعُك بَعْدَ وعيدِك ، ووعيدُك بعد وعدك .

فقال الحجاج : إنِّى والله ما أرَى أنْ أردَّ بنى اللَّكيعةِ إلى طاعتى إلاّ بالسيف. فقال : أيُّها الأمير ، إنّ السَّيفَ إذا لاقَى السَّيفَ ذهب الخِيارُ . فقال الحجاج : الخيار يومئذٍ لله . فقال : أجَلْ ، ولكن لا تَدْرِى لمن يجعلُه الله . فغضب الحجاج فقال : يا هَنَاه (٤) ، إنّك من مُحارب . فقال جامع :

وللحرب سُمِّينا وكُنَّا مُحارباً إذا ما القَنَا أمسى مِنَ الطَّعن أحمرا

والبيت للخُضْرى (٥) .

فقال الحجَّاج : والله لقد همَمتُ أن أخلَعَ لسانَك فأضربَ به وجهك . قال جامع : إنْ صَدَقْناك أغضَبْناك ، وإن غَشَشناكَ أغضبنا الله . فغَضَبُ الأميرِ أهوَن علينا من غضب الله . قال : أجَلْ . وسَكَنَ وشُغِل الحجّاج ببعض الأمر ، وانسلَّ

---

(١) الخطبة فى العقد (٢ : ١٧٩ / ٤ : ١١٤) وزهر الآداب (٤ : ٤٨) وعيون الأخبار (٢ : ٢١٢) .

(٢) شنفه : أبغضه . وفى العقد والعيون : « شنئوك » . يقال شنأهُ وشنئه : أبغضه .

(٣) التكملة من المراجع المتقدمة وما عدا ل .

(٤) الهن : كلمة يكنى بها عن الإنسان ، تقول . ياهن أقبل . وقد تزاد الألف والهاء فيقال للرجل : يا هناه بضم الهاء ، على تقدير أنها آخر الاسم ، وبكسرها لالتقاء الساكنين . اللسان (هنا ٢٤٥) .

(٥) هو الحكم بن معمر الخضرى . والخضر : ولد مالك بن طريف . وكان بينه وبين ابن ميادة مهاجاة . الأغانى (٢ : ٩٤) .

جامعٌ فمرَّ بين صُفُوفِ خيل الشام ، حتّى جاوزهم إلى خيل أهل العراق . وكان الحجّاج لا يَخْلِطُهم ، فأبصر كَبْكَبَةً فيها جماعةٌ كثيرة من بَكر العِراق ، وقيس العراق ، وتميم العراق ، وأَزْد العراق ، فلمّا رأَوْهُ اشرأبُّوا إليه ، وبلَغهم خروجُه فقالوا له : ما عندك ؟ دافَعَ اللهُ لنا عن نفسك . فقال : ويحكم عُمُّوه بالخَلْع كما يعمُّكم بالعداوة ، ودعُوا التعادىَ ما عاداكم ، فإذا ظَفِرتم به تراجعتم وتعافَيتم (١) . أيُّها التَّميمى ، هو أعدى لك من الأزدىّ ؛ وأيُّها القيسىّ ، هو أعدى لك من التَّغلَبىّ . وهل ظَفِر بمن ناوأه منكم إلّا بمن بقى معه منكم .

وهرب جامعٌ من فوره ذلك إلى الشّام فاستجار بزُفَر بن الحارث .

وخطب الحجاج

فقال (٢) : اللهم أرِنى الهُدَى هُدًى فأتَّبِعَهُ ، وأرِنى الغَىَّ غَيًّا فأجتنبَه (٣) ، ولا تكِلْنى إلى نفسى فأضلَّ ضلالاً بعيدا . واللهِ ما أُحِبُّ أنّ ما مضى من الدُّنيا لى بعمامتى هذه ، ولَمَا بَقِى منها أشبَهُ بما مضى من الماء بالماء .

٣١٧ وخطبة له أيضا

الهيثم قال : أنبأنى ابنُ عَيَّاش عن أبيه قال : خرج الحجّاج يوماً من القصر بالكوفة ، فسمِع تكبيراً فى السوق ، فراعَه ذلك ، فصعِد المنبر ، فحمِد اللهَ وأثنى عليه ، وصلّى على نبيّه ثم قال (٤) :

يا أهل العراق ، يا أهل الشّقاق والنّفاق ، ومساوِى الأخلاق ،

---

(١) هذا ما فى هـ ، ومعناه تجاوز كل منكم عن حقه . ما عدا هـ : « وتعاقبتم » ، ولا وجه له . وفى العقد : « وتعاديتم » .

(٢) الخطبة فى العقد (٤ : ١١٥) .

(٣) فى العقد وما عدا ل بتقديم هذه الجملة على سابقتها .

(٤) الخطبة فى العقد (٤ : ١١٥) وابن أبى الحديد (١ : ١١٤) والطبرى (٧ : ٢١٢) وإعجاز القرآن ١٢٤ . هـ : « وأثنى عليه ثم قال » .

وبَنى اللُّكيعةِ ، وعبيدَ العصا ، وأولادَ الإماء ، والفَقْعِ بالقَرْقرِ (١) . إنّى سمِعتُ تكبيراً لا يُرَاد به الله ، وإنما يُراد به الشّيطان . وإنَّما مَثَلى ومثَلكم ما قال عَمرو ابن بَرَّاقة الهَمْدَانىّ (٢) :

وكنتُ إذا قومٌ غزَوْنى غزوتُهم ... فهل أنا فى ذا يا لَهَمْدانَ ظالمُ
مَتى تجمَع القلبَ الذكىَّ وصارماً ... وأنْفًا حَمياً تجتنِبْك المظالـمُ

أمَا والله لا تَقرَعُ عصاً عَصاً إلّا جعلتُها كأمْسِ الدّابر .

خطبة الحجاج بعد دَيْر الجماجم (٣)

خطب أهل العراق بعد دَيْر الجماجم (٤) فقال :

يا أهل العراق ، إنّ الشيطان قد استبطنكم فخالَطَ اللّحمَ والدّم ، والعصَب والمسامِعَ ، والأطراف والأعضاء ، والشَّغاف ، ثم أفضى إلى الأمخاخ والأصماخ ، ثم ارتفع فعَشّش ، ثم باض وفرّخ ، فَحَشاكم نِفاقاً وشقاقاً ، وأشعرَكُم خِلافا ، واتّخذتموه دليلا تتّبعونه ، وقائداً تُطيعونه ، ومُؤامَراً تستشيرونه ، فكيف تنفعكمْ تجربةٌ ، أوْ تعِظُكم وقَعة ، أو يحجِزُكم إسلام ، أو ينفعُكم بيان . ألستم أصحابى بالأهواز ، حيثُ رُمْتُم المَكْر ، وسعيتم بالغَدْر ، واستجمعتم للكفر ، وظننتم أنّ الله يخذُل

---

(١) الفقع : كمأة بيض رخوة . والقرقر : الأرض المنخفضة .

(٢) عمرو بن براقة أو ابن براق كما ذكر صاحب الأغانى (٢١ : ١١٣) . وهو أحد عدائى العرب ، ذكره تأبط شرا فى قصيدته الأولى من المفضليات :

ليلة صاحوا وأغروا بى سراعهم ... بالعيكتين لدى مغدى ابن براق

فيما عدا ل ، هـ : « براق » وهو الأصح .

(٣) موضع هذه الخطبة فيما عدا ل بعد كلام هلال بن وكيع وزيد بن جبلة ص ١٤٣ .

(٤) كانت وقعة دير الجماجم بين الحجاج وبين عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ، بقرب الكوفة ، وفيها هزم ابن الأشعث سنة ٨٣ . الطبرى (٨ : ٢١) . والخطبة فى العقد (٤ : ١١٥) وابن أبى الحديد (١ : ١١٤) ونهاية الأرب (٧ : ٢٤٥) .

دينَه وخِلافتَه ، وأنا أرميكم بطَرْفى : وأنتم تَسَلَّلون لِواذاً (١) ، وتنهزمون سراعاً. ثمّ
يومُ الزّاوية وما يوم الزّاوية (٢) ، به كان فشلُكم (٣) وتنازُعكم وتخاذُلكم ، وبراءةُ
٣١٨ الله منكم ، ونكوصُ (٤) وليّكم عنكم ، إذ ولّيتم كالإبل الشّواردِ إلى أوطانها ،
النّوازعِ إلى أعطانها ، لا يَسأل المرءُ عن أخيه ولا يَلْوِى الشّيخُ على بَنِيه ، حين
عَضّكم السِّلاح ، ووَقَصَتْكم الرِّماح (٥) . يومُ دَير الجماجم ، وما يومُ دير
الجماجم ؟! به كانت المعاركُ (٦) والمَلاحم ، بضَرْبٍ يُزيل الهامَ عن مَقِيله ،
ويُذْهِلُ الخليلَ عن خليله (٧) .

يا أهلَ العراقِ ، الكَفَراتِ بعد الفَجَرات (٨) ، والغَدَرَاتِ بعد الخَتَرات ، والنَّزوةَ بعد النَّزوات ! إنْ بعثْتكم إلى ثُغوركم غَلَلْتُم وخُنْتم (٩) ، وإن أمِنتم أرْجَفْتم ، وإن خِفتم نافقتم . لا تَذكُرون حسنةً ، ولا تشكرون نِعمة . هل استخفَّكم ناكثٌ ، أو استغواكم غاوٍ (١٠) ، أو استفزّكم عاص (١١) ، أو استنصرَكم ظالم ، أو استعضدكم خالعٌ إلا تبِعتموه وآويْتموه ، ونصرتُموه ورجّبْتموه (١٢) .

يا أهلَ العراق ، هل شَغَبَ شَاغِبٌ ، أو نَعَب ناعب ، أو زفَر زافرٌ إلا كنتم

---

(١) فيما عدا ل : « تتسللون » .

(٢) الزاوية : موضع قرب البصرة ، كانت به وقعة مشهورة بين الحجاج وعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ، قتل فيها خلق كثير من الفريقين ، وذلك سنة ٨٢ . الطبرى (٨ : ١٢) .

(٣) فيما عدا ل « بها كان فشلكم » .

(٤) ل : « ونصوص » ، تحريف .

(٥) هـ : « حتى » موضع « حين » . وفيما عدا ل : « وقصمتكم » . والقصم والوقص : الكسر .

(٦) فيما عدا ل : « بها كانت المعارك » .

(٧) اقتبس هذا من رجز لعمار بن ياسر فى وقعة صفين ٣٧٦ – ٣٨٧ .

(٨) فى سائر المصادر : « والكفرات بعد الفجرات » بالعطف .

(٩) غل غلولا : خان .

(١٠) فى حواشى هـ : « وأخرى : استغواكم غاو » .

(١١) ب ، حـ : « أو استنفركم عاص » .

(١٢) الترجيب : التعظيم . ل : « ربيتموه » .

أتباعَه وأنصارَه . يا أهل العراق ، ألم تنهكم المواعظُ ؟ ألم تَزجرْكم الوقائع ؟! ثم التفتَ إلى أهل الشام فقال : يا أهل الشام ، إنَّما أنا لكم كالظَّليم الرامِح عن فراخه (١) ، ينفى عنها المَدَر ، ويُباعِد عنها الحجَر ، ويُكنُّها من المطر ، ويحميها من الضِّباب ، ويحرُسها من الذِّئاب . يا أهلَ الشام ، أَنتم الجُنَّة والرِّداءُ ، وأنتم العُدّة والحِذاء .

* * *

وقال رجلٌ لحذيفة (٢) : أخشى أن أكون منافقاً . فقال : لو كنتَ منافقاً لم تخْشَ ذلك .

وقال آخر : اعلم أنّ المصيبة واحدةٌ إن صبرتَ ، وإن لم تصبر فهما مصيبتان . ومُصِيبتُك بأجرك ، أعظمُ من مصيبتك بميْتك .

وقال صالح بن عبد القُدّوس :

إن يكن ما به أُصِبْتُ جليلاً فَذَهابُ العزاءِ فيه أجلُّ (٣)

وقال آخر : تعزَّ عن الشيء إذا مُنعتَه ، لقلّة ما يصحبُك إذا أُعطِيتَه ؛ وما خَفّف الحسابَ وقلّله ، خيرٌ مما كثّره وثقّله .

قال : وحدثنا أبو بكر الهُذلى – واسمه سُلْمِىُّ (٤) – قال : إذا جَمَع الطَّعامُ أربعاً فقد كمل وطاب : إذا كان حلالاً ، وكثُرت الأيدى عليه ، وسُمِّى اللهُ تعالى فى أوَّله ، وحُمِد فى آخره .

---

(١) الظليم : ذكر النعام . الرامح : المدافع . وفى اللسان (٣ : ٢٨٧) : « والعرب تجعل الرمح كناية عن الدّفع والمنع » . وانظر هذه القطعة من الخطبة فى الحيوان (٦ : ٣٥٣) .

(٢) هو أبو عبد الله حذيفة بن اليمان ، أحد الصحابة الأجلاء ، استعمله عمر على المدائن . ومات سنة ٣٦ . تهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة (١ : ٢٤٩) .

(٣) سبق البيت فى ص ٧٤ من هذا الجزء .

(٤) سبقت ترجمته فى (١ : ٣٥٧) .

خطبة كلثوم بن عمرو (١)

أما بعدُ فإنّه لا يُخبرِ عن فَضْل المرء أصدَقُ مِن تركِه تزكيةَ نفْسه ، ولا يعبِّر عنه فى تزكيةِ أصحابه أصدَقُ من اعتماده إيَّاهم برغبته ، وائتمانِه إيّاهم على حرمته .

خطبة يزيد بن الوليد

قالوا (٢) : ولمّا قَتل يزيدُ بن الوليد ابنَ عمِّه الوليدَ بنَ يزيدَ بنِ عبد الملك بن مروان (٣) ، قام خطيباً ، بعد أن حَمِد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

والله يأيُّها الناس (٤) ، ما خَرَجْتُ أشَراً ولا بَطَراً ، ولا حرصاً على الدنيا ، ولا رغبةً فى الملك ، وما بِىَ إطراءُ نفسى ، وإنِّى لظَلومٌ لها ، ولقد خَسِرتُ إن لم يرحَمْنى ربِّى ، ويغْفرْ لى ذنبى (٥) ، ولكنِّى خرجتُ غضَباً لله ولدينه ، وداعياً إلى الله وسُنّة نبيِّه ، لمّا هُدِمَت معالمُ الهُدى ، وأُطفِئَ نُور التُّقى (٦) ، وظهَرَ الجبَّار العنيد ، وكثُرَتْ حولَه الحِزَق والجنود (٧) ، المستحلُّ لكلِّ حُرْمة ، والرّاكبُ لكلِّ بِدعة . مع أنّه والله ما كان يؤمنُ بيوم الحساب ، ولا يصدِّق بالثواب والعِقاب . وإنّه لابنُ عمِّى فى النّسب ، وكَفِيِّى فى الحسَب . فلمّا رأيتُ ذلك استخرتُ الله فى أمره ، وسألتُه أن لا يكِلَنى إلى نفسى ، ودعوت إلى ذلك مَن

---

(١) هو العتابى ، الذى مضت ترجمته فى (١ : ٢٢١) : وفى جميع النسخ : « عمرو ابن كلثوم » ، تحريف .

(٢) الخطبة فى العقد (٤ : ٩٥) والفخرى ١٢٠ وعيون الأخبار (٢ : ٢٤٨) .

(٣) قتله لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة ١٢٦ وولى الخلافة بعده . الطبرى (٩ : ٢) .

(٤) فيما عدا ل : « أيها الناس والله » .

(٥) هذه الجملة من ل فقط .

(٦) فيما عدا ل : « التقوى » .

(٧) وهذه الجملة من ل فقط . والحزق : الجماعات ، جمع حزقة ، بالكسر .

أجابنى من أهل وِلايتى ، حتى أراح الله منه العباد ، وطَهَّر منه البلاد ، بحول الله وقُوَّته ، لا بحولى وقوّتى .

أيها الناس ، إنّ لكم علىَّ ألاّ أضعَ حَجَرا على حَجَرٍ ، ولا لَبِنةً على لَبِنةٍ ، ولا أُكْرِىَ نهرا (١) ، ولا أكنِزَ مالاً ، ولا أعطِيَه زوجاً ولا ولداً ، ولا أنقُلَ مالاً من بلدٍ إلى بلد حتَّى أَسُدّ فقر ذلك البلد وخَصاصةَ أهْله ، بما يغنيهم ، فإنْ فَضَلَ فَضلٌ (٢) نقلتُه إلى البلد الذى يليه ممَّن هو أحوجُ إليه منه . ولا أجمِّركم فى ثُغوركم (٣) فأفتِنَكم وأفتنَ أهالِيَكم ، ولا أغلق بابى دونكم فيأكلَ قويُّكم ضعيفَكم ، ولا أحملَ على أهلِ جِزْيتكم ما أُجْليهم به عن بلادهم ، وأقطَعُ نسلَهم . ولكم عندى أَعطِياتُكم فى كلِّ سنةٍ ، وأرزاقُكم فى كلِّ شهر ، حتى تَستدِرَّ ٣٢٠
المعيشة بين المسلمين ، فيكونَ أقصاهم كأدناهم . فإنْ أنا وفَّيتُ فعليكم السَّمعُ والطاعة ، وحسن المُوَازرة والمكانفة (٤) . وإن أنا لمْ أوفِ لكم (٥) فلكم أن تَخلعونى ، إلاّ أنْ تستتيبُونى ، فإنْ أنا تُبْتُ قبلتم منِّى ، وإن عرَفْتم أحداً يقوم مَقامى ممّن يُعرفَ بالصّلاح ، يعطيكم من نفسه مثلَ ماأعطيكم ، فأردْتم أنْ تبايعوه فأنا أوَّل من بايَعه ، ودَخل فى طاعته (٦) .

أيُّها الناس : لا طاعةَ لمخلوق فى معصية الخالق . أقول قولى هذا (٧) وأستغفر الله لى ولكم .

فلما بويع مَروان بن محمد نبَشَه وصلَبَه . وكانوا يقرءون فى الكتب :

---

(١) كرى النهر : احتفره .

(٢) ل : « فإن فضل شئ » .

(٣) جمر الجيش : حبسهم فى أرض العدو ولم يُقفلهم .

(٤) المكانفة : المعاونة .

(٥) فيما عدا ل : « أف لكم » .

(٦) ل : « من يبايعه ويدخل فى طاعته » .

(٧) ل : « أقول ذلك » .

« يا مُبذِّر الكنوز ، ويا سَجَّاداً بالأسحار ، كانت ولايتُك لهم رحمة ، وعليهم حُجةً ، أخذوك فصلَبُوك » .

خطبة يوسف بن عمر

قامَ خطيباً يوسف بن عمر (١) فقال (٢) :

اتّقوا اللهَ عبادَ الله ، فكم مِن مؤمِّلٍ أملاً لا يبلغُه ، وجامِعٍ مالاً لا يأكله ، ومانِعٍ ما سوف (٣) يتركُه ، ولعلّهُ مِن باطلٍ جَمَعه ، ومِن حقٍّ مَنَعه ، أصابَهُ حراماً ، وأورثَه عَدوًّا ، فاحتمل إصْرَه (٤) ، وباء بِوزره ، ووَرَد على ربِّه آسفاً لاهفاً ، قد خسر الدُّنيا والآخرة ، ذلك هو الخُسران المبين .

كلام هلال بن وكيع (٥) وزيد بن جبلة (٦) والأحنف بن قيس عند عمر

بشار بن عبد الحميد ، عن أبي ريحانة (٧) قال : وفد هِلال بن وكيع ، والأحنف بن قيس ، وزَيد بن جَبَلة على عمر رحمه الله ، فقال هلالُ بن وكيع :

---

(١) سبقت ترجمته في (١ : ٣١١) ، وهو ابن ابن عم الحجاج . هـ : « قام خطيبا فقال » .

(٢) الخطبة في العقد (٤ : ١٣٤) ونهاية الأرب (٧ : ٢٥٥) .

(٣) فيما عدا ل : « مما سوف » .

(٤) الإصر ، بالكسر : الذنب ، وعقوبة الذنب .

(٥) هلال بن وكيع ، اختلف في صحبته وقتل يوم الجمل . الإصابة ٩٠٥٣ .

(٦) ذكره في الإصابة ٢٩٩٠ باسم « زيد بن حيلة » بالياء ، ثم قال : « ويقال بجيم وموحدة ، ويقال زيد بن رؤاس التميمي » . وكان شريفا ، وكان الأحنف يقول فيه : طالما خَرَّقنا النعال إلى زيد نتعلم منه المروءة – يعني في الجاهلية . وله ذكر في وقعة صفين ٢٧ وذكر ابن عساكر أنه وفد على معاوية .

(٧) هو أبو ريحانة شمعون – ويقال سمعون – بن زيد بن خنافة الأزدي ، حليف الأنصار ، له صحبة وشهد فتح دمشق مرابطا بعسقلان . قالوا : وهو أول من طوى الطومار وكتب فيه مدرجا مقلوبا . الإصابة ٣٩١٦ وتهذيب التهذيب .

يا أمير المؤمنين ، إنّا لُبابُ مَن خلفْنَا من قومنا ، وغُرَّةُ مَن وراءَنا من أهل مصرِنا ، وإنّك إنْ تصرفْنا بالزيادة فى أعطياتنا ، والفرائضِ لعيالاتنا ، يزدْ ذلك الشَّريفَ منا تأميلاً ، وتكُنْ لذوى الأحساب أباً وَصُولا . فإنّا إنْ نكن مع ما نَمُتُّ به من فضائلك ، ونُدلى به مِنْ أسبابك (١) ، كالجُدِّ الذى لا يُحَلُّ ولا يُرحَل (٢) ، نرجعْ بأنْفٍ مَصلومة وجُدودٍ عاثرة . فمِحْنا وأهالِيَنا (٣) بسَجْلٍ من سِجالك المُتْرَعة . ٣٢١

وقام زيدُ بن جبلة فقال : يا أمير المؤمنين ، سَوِّدِ الشّريفَ وأكرِمِ الحسيب ، وازرَعْ عندنا من أياديك ما نسدُّ به الخَصاصَة ، ونَطرُد به الفاقة (٤) ، فإنّا بِقُفٍّ من الأرض (٥) ، يابسِ الأكناف مقشعِرِّ الذِّروة ، لا شجَرَ فيه ولا زَرْع . وإنّا مِن العرب اليومَ إذْ أتيناك بمرأًى ومَسمَع .

وقام الأحنف فقال : يا أمير المؤمنين ، إنَّ مفاتِح الخير بيد الله ، والحرصَ قائد الحِرمان . فاتّق الله فيما لا يُغنى عنك يَوم القيامة قِيلاً ولا قالاً ، واجعل بينك وبين رعيّتك من العدلِ والإنصافِ ، سبباً (٦) يكفيك وِفادةَ الوفود ، واستماحةَ المُمتاح ؛ فإنّ كلَّ امرئٍ إنّما يجمع فى وعائه ، إلا الأقلَّ ممَّن عسى أن تقتحمه الأعيُن ، وتخونَهم الألسن ، فلا يُوفَد إليك يا أمير المؤمنين (٧) .

---

(١) ل : « من فضائله » و « من أسبابه » .

(٢) الجد ، بالضم : البئر القليلة الماء ، والماء يكون فى طرف الفلاة . عنى أنه ليس بموضع حلول وارتحال ، لقلة جدواه .

(٣) الميح : العطاء . ل : « فمح من أهالنيا » .

(٤) ل : « تسد » و « وتطرد » بالتاء .

(٥) القف ، بالضم : ما غلظ من الأرض وارتفع .

(٦) فيما عدا ل : « شيئا » .

(٧) بعد هذه ، فيما عدا ل ، خطبة الحجاج بعد دير الجماجم التى مضت فى ص ١٣٨ . وفى حواشى هـ : « قوله لا يوفَد إليك ، يعنى به الذى تقتحمه الأعين » .

خطبة زياد

وخطب زياد فقال :

استوصُوا بثلاثةٍ خيراً : الشريف ، والعالم ، والشيخ . فوالله لا يأتينى شريفٌ بوضيع استخَفَّ به إلاّ انتقمتُ له منه ، ولا يأتينى شيخ بشابٍّ استخَفَّ به إلا أوجعتُه ضرباً ، ولا يأتينى عالمٌ بجاهل استَخفَّ به إلاّ نكّلتُ به [1] .

* * *

علىّ بن سُلَيم قال : قال حاتم طيٍّ لعديٍّ ابنِه : أىْ بُنىّ ، إن رأيتَ أنّ الشرّ يتركُك إن تركتَه فاتركْه .

قال : وقال عدىّ بن حاتم لابنٍ له : قم بالباب فامنَعْ مَن لا تعرف ، وأْذَنْ لمن تعرف . فقال : لا والله ، لا يكونَنّ أوّلَ شئٍ وَلِيته من أمْر الدنيا منْعُ قوم من طعام [2] .

وقال مدينىٌّ لعبد الملك بن مروان [3] ، ودخل عليه بنوه : أراكَ الله فى بنيك ما أرى أباك فيك ، وأرى بنيكَ فيك ما أراك فى أبيك .

وقال بعض الأعراب وهو يرقِّص بعضَ أولاد الخلافة ويقول :

إنّا لنرجُوكَ لتِيكَ تِيكَا ... لها نرجِّيك ونَجتبيكا

هى التى نَأمُل أن تأتيكا ... وأن يَرَى ذاك أبوك فيكا

* كما رأى جَدّك فى أبيكا [4] *

* * *

(١) ما عدا ل : « فوالله لا يأتينى شيخ ... ولا يأتينى عالم . ولا يأتينى شريف » .

(٢) فيما عدا ل : « من طعامك » .

(٣) فى مجالس ثعلب ٢٢٧ أنه الوليد بن يزيد .

(٤) هذا الخبر من ل ، هـ فقط ، وهو ساقط من سائر النسخ .

وقال ابن شُبرُمة [١] : ذهب العلم إلاّ غُبَّراتٍ فى أوعية سَوْء [٢] . ٣٢٢

الهيثم بن عدىّ ، عن ابن عَيّاش ، عن أبيه [٣] قال : خرج الحجّاج إلى القاوسان [٤] فإذا هو بأعرابىّ فى زرع فقال له : ممَّن أنت ؟ فقال : من أهل عُمان . قال : فمن أىِّ القبائل ؟ قال : من الأَزْد . قال : كيف عِلمُك بالزرع ؟ قال : إنِّى لأعلم من ذلك علماً . قال : فأىُّ الزرع خيرٌ ؟ قال : ما غَلُظَ قصبُه ، واعتمّ نبتُه ، وعظُمت حَبَّته ، وطالت سنبُلتُه . قال : فأىُّ العِنب خير ؟ قال : ما غَلُظ عموده ، واخضرّ عوده ، وعَظُم عُنقوده . قال : فما خير التمر ؟ قال : ما غَلُظَ لحاؤه ، ودقَّ نواه ، ورقّ سَحاه [٥] .

* * *

---

(١) هو عبد الله بن شبرمة ، تقدمت ترجمته فى (١ : ٩٨) .

(٢) الغبرة ، بضم الغين وتشديد الباء : البقية من كل شئ . وكذلك الغبرة بالضم وتسكين الباء . وجاءت على هذا الصواب فى نسخة هـ وجامع بيان العلم لابن عبد البر (١ : ١٣٥) . وفى سائر النسخ : « عبارات » ، تحريف .

(٣) ابن عياش ، هو عبد الله بن عياش ، المترجم فى (١ : ٢٢٠) . ل : « ابن عباس عن أبيه » ، تحريف .

(٤) فيما عدا ل ، هـ : « الفارسان » .

(٥) السحا ، بالفتح : جمع سحاة ، وهى القشرة . هـ : « سحاؤه » .

باب
من اللغز فى الجواب

قالوا : كان الحُطيئة يرعَى غنماً له ، وفى يده عصا . فمرّ به رجلٌ فقال : يا راعىَ الغنم ، ما عندك ؟ قال : عجراءُ من سَلَمٍ (١) . يعنى عَصَاهُ . قال : إنِّى ضيف . فقال الحطيئة : للضِّيفان أعددتُها .

قال ابنُ سُلَيم (٢) : قال قيس بن سعد (٣) : اللهم ارزقْنى حمداً ومجداً ، فإنه لا حَمد إلاّ بِفَعال ، ولا مجدَ إلاّ بمال .

وقال خالد بن الوليد لأهل الحِيرة : أخرِجُوا إلىَّ رَجلاً من عقلائكم أسألْه عن بعض الأمور . فأخرجوا إليه عبد المسيح بن عمرو بن قيس بن حَيّان (٤) بن بُقَيلة (٥) الغَسانّى ، وهو الذى بنى القَصر (٦) ، وهو يومئذ ابن خمسين وثلثمائة سنة ، فقال له خالد : مِن أين أقصَى أثرِك ؟ قال:مِن صُلب أبى . قال : فمن أينَ خرجت ؟ قال : مِن بطن أمِّى . قال : فعلام أنت ؟ قال : على الأرض . قال : ففيمَ أنت ؟ قال : فى ثيابى . قال : ما سنُّك ؟ قال : عَظمٌ . قال : أتعقِل ، لا عَقَلتَ ؟ قال : إى

---

(١) العجراء : الكثيرة العجر ، أى العقد . والسلم ، بالتحريك : شجر . وانظر (٣ : ٨) .

(٢) هو على بن سليم ، سبق قريبا فى ص ١٤٥ س ٦ . والخبر فى (٣ : ٢٨٤) .

(٣) فيما عدا ل : « إن قيس بن سعد بن عبادة قال » .

(٤) فيما عدا ل ، هـ : « حبان » صوابه فيهما وفى المعمرين ٣٧ . وأدرك عبد المسيح الإسلام ولم يسلم ، وكان نصرانيا . انظر أمالى المرتضى (١ : ١٨٨) .

(٥) فى الأصل « نفيلة » ، صوابه من المعمرين . قال السجستانى : « وخرج بقيلة فى ثوبين أخضرين ، فقال له إنسان : ما أنت إلا بقيلة . فسمى « بقيلة » لذلك ، واسمه ثعلبة بن سنين . وانظر أمالى المرتضى (١ : ١٨٨) .

(٦) هو قصر بنى بقيلة ، كما ذكر المرتضى . بناه بالحيرة . وأنشد السجستانى والمرتضى له :

لقد بنيت للحدثان قصراً   لو ان المرء تنفعه الحصون
رفيع الرأس أقعس مشمخرا   لأنواع الرياح به حنين

والله وأُقيِّد . قال : ابن كم أنت ؟ قال : ابن رجل واحد . قال : كم أتى عليك من الدهر ؟ فقال : لو أتى علىّ شيءٌ لقتلنى . قال : ما تزيدنى مسألتك إلا غُمًّى [١] ؟ قال : ما أجبتُك إلاّ عن مسألتك . قال : أعرَبٌ أنتم أم نَبط ؟ قال : عربٌ استنبطنا ، ونبط استعربنا . قال : فحربٌ أنتم أم سَلم ؟ قال : سَلم . قال : فما ٣٢٣ بال هذه الحصون ؟ قال : بنيناها للسّفيه حتّى يجيءَ الحليم [٢] فينهاه . قال : كم أتت عليك سنةً ؟ قال : خمسون وثلثمائة . قال : فما أدركتَ ؟ قال : أدركتُ سفنَ البحر تُرفأُ إلينا فى هذا الجُرْفِ ، ورأيت المرأة من أهل الحِيرة تأخذ مِكتَلَها على رأسها ولا تتزوّدُ إلاّ رغيفاً واحداً ، فلا تزال فى قُرًى مُخْصِبة متواترة حتّى تَرِد الشام . ثم قد أصبَحتْ خراباً يَبَاباً ، وذلك دأْبُ الله فى العباد والبلاد .

قال : وأتى أزهَرَ بن عبد الحارث رجلٌ من بنى يربوع ، فقال : ألا أدخل ؟ قال : وراءَك أوسَعُ لك . قال : أحرقت الشّمس رجلىّ [٣] . قال : بُلْ عليهما تبرُدا . فقال : يا آل يربوع ! قال : ذليلاً دعوت . يا بنى دُرَيْص [٤] ، أطعمتكم عاماً أوّل جُلَّةً [٥] ، فأكلتم جُلَّتكم ، وأغْرَتم على جُلّةِ الضِّيفان .

وقال الحجّاج لرجلٍ من الخوارج : أجَمعْت القرآن ؟ قال : أمتفرِّقاً [٦] كان فأجمعَه . قال : أتقرؤه ظاهراً ؟ قال : بل أقرؤه وأنا أنظر إليه . قال : أفتحفظُه ؟ قال : أخشِيتُ فِراره فأحفظَه . قال : ما تقول فى أمير المؤمنين عبد الملك ؟ قال :

---

(١) الغمى : الأمر المتلبس . ل : « عمى » ، ما عدا ل « رغما » . والوجه ما أثبت .

(٢) فيما عدا ل ، هـ : « حتى يأتى » .

(٣) فيما عدا ل : « إن الشمس أحرقت رجلى » .

(٤) دريص : مصغر درص ، بالكسر ، وهو ولد اليربوع ، ويقال أيضا لولد الفأر والقنفذ والهرة والكلبة والذئبة ونحوها . وفيما عدا ل : « حريص » ، تحريف .

(٥) الجلة ، بالضم : وعاء من خوص يوضع فيه التمر ويكنز .

(٦) هذا ما فى هـ . وفى ل : « أمفرقا » وسائر النسخ : « أمفترقا » .

لعَنَه الله ولعنَكَ معه . قال : إنّك مقتول فكيف تَلقَى الله ؟ قال : ألقَى الله بعملِى وتلقاه أنت بدمى (١) .

وقال لقمان لابنه وهو يعظُه : يا بُنَىّ ، ازحَم العلماء برُكبتيك ، ولا تجادلهم فيمقتوك ، وخُذْ من الدُّنيا بلاغَك ، وأبْقِ (٢) فُضُول كسبك لآخرتك ، ولا ترفض الدُّنيا كلَّ الرفض فتكونَ عيالاً ، وعلى أعناق الرجال كَلاًّ ، وصمْ صوماً يكسِرُ شهوتك ، ولا تصمْ صوماً يضرُّ بصَلاتك ، فإنَّ الصلاةَ أفضل من الصوم ، وكُن كالأب لليتيم ، وكالزَّوج للأرمَلة ، ولا تحابِ القريب ، ولا تجالس السَّفيه ، ولا تخالِطْ ذا الوجهين ألبتّة .

وسمع الأحنفُ رجلاً يُطرى يزيدَ عند معاوية ، فلما خَرج من عنده اسْحَنْفَرَ فى ذمِّهما (٣) ، فقال له الأحنف : مَهْ ؛ فإن ذا الوجهين لا يكون عند الله وجيهاً .

٣٢٤ وقال سعيد بن أبى العَرُوبة (٤) : لَأنْ يكون لى نصفُ وجهٍ ونصفُ لسان ، على ما فيهما من قُبح المنظر وعَجْز المَخْبَر ، أحبُّ إلىَّ من أن أكون ذا وجهين وذا لسانين ، وذا قولين مختلفين .

وقال أيّوب السَّختيانى (٥) : النَّمّام ذو الوجهين أحسنَ الاستماع ، وخالفَ فى الإبلاغ .

* * *

---

(١) فيما عدا ل : « ألقاهُ بعملى وتلقاه بدمى » .

(٢) فيما عدا ل : « وأنفق » .

(٣) اسحنفر الرجل فى منطقه : مضى ولم يتلبث .

(٤) سبقت ترجمته فى (١ : ٣٦٩) .

(٥) هو أيوب بن أبى تميمة السختيانى المترجم فى (١ : ١٩٢) . والسختيانى ، بفتح السين المهملة وكسرها ، نسبة إلى عمل السختيان وبيعها ، وهى الجلود الضأنية . انظر السمعانى ٢٩٢ والقاموس (سخت) . و « سختيان » لفظة فارسية . معجم استينجاس ٦٦١ .

حفص بن صالح الأزدىّ (١) عن عامر الشَّعبى ؛ قال : كتب عمر إلى معاوية (٢) :

« أمّا بعد فإنّى كتبتُ إليك بكتابٍ فى القَضاء لم آلُكَ ونفسى فيه خيراً (٣). الزَمْ خمسَ خصالٍ يسلمْ لك دينُك ، وتأخُذْ فيه بأفضل حظِّك : إذا تقدَّم إليك خَصمان فعليك بالبّينة العادلة ، أو اليمين القاطعة . وأَدْن الضعيف حتّى يشتدَّ قلبُه وينبسطَ لسانه . وتعهَّد الغريبَ ، فإنّك إن لم تتعهّدْه ترك حقَّه ، ورَجَع إلى أهله ؛ وإنما ضيّع حقَّه من لم يرفُقْ به . وآس بينهم فى لحظك وطرفك . وعليك بالصُّلح بين الناس ما لم يَستَبِنْ لك فَصل القضاء » .

أبو يوسف ، عن العَرزمىّ (٤) ، عمَّن حدثه عن شُرَيح ، أن عمر بن الخطاب رحمه الله كتب إليه :

« لا تُشَارِ ولا تُمارِ ولا تُضَارّ (٥) ، ولا تَبِعْ ولا تبْتَع فى مجلس القضاء ، ولا تقضِ بين اثنين وأنت غضبان » .

وقال عمر بن عبد العزيز : إذا كان فى القاضى خمس خصال فقد كمل : علمُ ما كان قبله ، ونزاهةٌ عن الطمَع ، وحِلْم عن الخصم ، واقتداءٌ بالأئمّة ، ومشاورةُ أهل الرأى .

---

(١) فيما عدا ل ، هـ : « الأذرى » ، وهذه نسبة إلى « أذربيجان » .

(٢) عند ابن أبى الحديد (٣ : ١١٩) أن الكتاب وجهه عمر إلى أبى موسى الأشعرى وهو بالبصرة . وانظر رسائل الجاحظ (٢ : ٣١) بتحقيقنا .

(٣) ل : « لم آلك فيه ونفسى خيراً » .

(٤) هو أبو عبد الرحمن محمد بن عبد الله بن سليمان العرزمى الكوفى ، روى عن عطاء ومكحول ، وقتادة . وعنه شعبة ، والثورى ، وشريك وغيرهم . توفى سنة ١٥٥ . تهذيب التهذيب والسمعانى ٣٨٧ .

(٥) ولا تضار ، من ل فقط . على أن مأخذ هذا الكلام من الحديث : « فكان خير شريك لا يشارى ولا يمارى ولا يدارى » . فلعل « لا تضار » محرفة عن « لا تدار » . وفى اللسان (١٩ : ١٥٩) : « لا يدارى ، أى لا يدفع ذا الحق عن حقه » .

محمد بن حرب الهلالى قال (١) : لما وَلَّى يزيد بن معاوية سَلْمَ بن زياد (٢) خراسان ، قال له :

« إن أباك كَفَى أخاهُ عظيما ، وقد استكفَيتك صغيراً . فلا تَتَّكلَنَّ على عُذر منِّى لك . فقد اتَّكلت على كفايةٍ منك . وإيَّاك منِّى قبل أنْ أقول إيَّاى منك ؛ فإنَّ الظنَّ إذا أخلَفَ منِّى فيك أخلَفَ منك فىَّ (٣) . وأنت فى أدنى حَظِّك فاطلب أقصاه . وقد أتعَبَك أبوك ، فلا تريحَنَّ نفسَك . وكنْ لنفسك تكنْ لك ، واذكرْ فى يومك أحاديثَ غَدِك ، تَسْعَد إنْ شاء الله .

ومما قالوا فى التشديق وفى ذكر الأشداق

قال المازنىّ (٤) : ٣٢٥

مَن كان يعلم أن بِشراً مُلصَقٌ ... فالله يجزيه وربُّك أعلمُ (٥)
يُنبيك ناظرُه وقِلّةُ لحمه ... وتشادُقٌ فيه ولونٌ أسحمُ
إنَّ الصَّرِيحَ المحضَ فيه دلالةٌ ... والعرقُ منكشِفٌ لمن يتوسَّمُ
أمّا لسانُك واحتباؤك قاعداً ... فزرارة العُدُسىّ عندك أعجم (٦)

---

(١) بدله فيما عدا ل : « قال الهلالى » .

(٢) هو سلم بن زياد بن أبى سفيان ، أحد أمراء الأمويين وولاتهم . ولاه يزيد خراسان وسجستان سنة ٦١ . ولما مات وخرج عبد الله بن الزبير يطلب لنفسه الخلافة ، قبض عليه وحبسه وطالبه بالمال . ودخل عليه الفرزدق فى محبسه يشكو قلة المال ، ويطلب مهراً لزوجه النوار ، فأمر له بعشرين ألفا . وفيه يقول ابن عرادة :

عتبت على سلم فلما هجرته ... وخالطت أقواما بكيت على سلم

المعارف ١٥٢ ، والأغانى فى غير ما موضع ، والطبرى (٦ : ٦١) .

(٣) فيما عدا ل : « إذا أخلف منك أخلف منى فيك » . وكلمة « منى » ليست فى هـ .

(٤) فى الحيوان (٥ : ١٦٩) : « ومدح الممزق ، أبو عباد بن الممزق ، بشر بن أبى عمرو ، فقال » . وأنشد الأبيات الخمسة .

(٥) الملصق : الدعى فى القوم وليس منهم بنسب .

(٦) الاحتباء : أن يجمع الرجل بين ساقيه وظهره بعمامة ونحوها ، وكذلك كان يفعل الأشراف . وزرارة ابن عُدُس ، بضمتين : جد جاهلى ، بنوه بطن من بنى دارم . وكان حكيماً من قضاة تميم . وهو والد لقيط بن =

إنى لأرجو أن يكون مقالهم … زُوراً وشانئَك الحسودُ المرغَمُ

وفى مثل ذلك يقول مَوْرَقٌ العبد :

قد عَلِمَ الغربىّ والمُشَرِّقُ … أنَّك فى القوم صَميمٌ مُلصَقُ (١)
عُودَاك نبعٌ وهشيمٌ بَرْوَقُ (٢) … وأنت جَدبٌ وربيعٌ مُغْدِق
وأنت ليـلٌ ونهار مُشْرِقُ … لولا عجوز قَحْمَةٌ ودَرْدَقُ (٣)
وصاحبٌ جَمُّ الحَديثِ مُونِقُ … كيف الفَواتُ والطَّلُوبُ مَوْرَقُ
شيخٌ مَغيظٌ وسِنَانٌ يَبْرُق … وحَنْجَرٌ رَحبٌ وصَوتٌ مِصْلَقُ
وشِدْقُ ضرغامٍ ونابٌ يَحرُق (٤) … وشاعرٌ باقى الوُسوم مُفْلِقُ (٥)

★ ★ ★

= زرارة . والأعجم : الذى لا يكاد يبين . جعله أفصح من زرارة .

(١) جعله مخلطا ، وقد جمع بين العتق والهجنة .

(٢) البروق : نبت ضعيف له ثمر ذو حب أسود صغار ، يضرب به المثل فى الضعف فيقال « أضعف من بروقة » . هـ : « يورق » ، تحريف .

(٣) القحمة : الكبيرة المسنة . ل : « رحمة » تحريف . والدردق ، بفتح الدالين : الصبيان الصغار .

(٤) حريق الناب : صريفه ، وهو صوت احتكاكه بآخر . يكون ذلك فى الغيظ والغضب . يقال حرق ناب البعير ، وحرق البعير نابَه .

(٥) عنَى بالوُسوم آثار هجوه فى الناس . هـ : « الوشوم » بالشين مع الإشارة إلى رواية السين المهلمة بكملة « معا » فوق الكلمة .

بـاب
فى صفة الرائد للغيث ، وفى نعته للأرض

قال أبو المجيب [١] : وصف رائدٌ أرضا جَدْبةً فقال : « اغبرَّت جادَّتُها ، ودُرِّعَ مَرْتعُها [٢] ، وقَضِمَ شجرُها [٣] ، ورقّت كَرِشُها ، وخَوِرَ عظمها [٤] ، والتقى سَرْحاها [٥] ، وتميَّزَ أهلُها ، ودخل قلوبَهم الوَهَل ، وأموالهم الهزل [٦] » .

الجادّة والحَرجَة والمَجَبَّةُ معناه كلُّه : وسط الطريق ومُعظَمُه ومَنهجُه [٧] .

٣٢٦ والتقى سَرحاها ، يقول : إذا أُكل كلُّ سارحٍ ما يليه التقيا عند الماء ، وإذا لم يكن للجمال مَرْعىً إلاّ الشَّجر وحده رقّت أكراشُه . وقوله:« تميَّزَ أهلها » : تفرَّقوا فى طلب الكلأ . ومرتعُ مُدَرِّع [٨] ، إذا كان بعيداً من الماء . ومرتَعٌ قاصِرٌ ، إذا كان قريباً من الماء . ويقولون:ماء مُطلِبٌ وماء مُطْنِبٌ [٩] ، إذا ألجأهم إلى طلبه من بُعدِه .

* * *

ووصف أعرابىٌّ أرضاً أَحْمَدَهَا فقال : « خَلَع شِيحُها ، وأبقل رِمْثُها ، وخَضَبَ

---

(١) سبقت ترجمته فى (١ : ٣٧٣) . والخبر التالى فى مجالس ثعلب (١ : ٣٦٠) .

(٢) فيما عدا ل : « ذرع » بالذال المعجمة ، تصحيف . وانظر اللسان (درع ٤٢٧) .

(٣) كذا ضبط فى اللسان (سرح) حيث روى بعض الخبر . وهو من القضم ، وأصله تفلل الأسنان وتكسرها .

(٤) يقال خور خورا ، كتعب تعبا : ضعف وانكسر .

(٥) السرح ، بالفتح : المال الراعى .

(٦) الهزل ، بالفتح والضم : الهزال ، وهو نقيض السمن .

(٧) بدل هذا فيما عدا ل : « قال : الجادة الطريق إلى الماء . والجمع جواد » . والحرجة تقال بالحاء والجيم ، وبجيمين ، وبخاء معجمة وجيم . انظر اللسان (جرح ، حرج ، خرج) .

(٨) فيما عدا ل : « مذرع » ، تحريف .

(٩) ل : « مطلوب » ، تحريف ، صوابه فى سائر النسخ .

عَرفجُها ، واتسق نبتُها ، واخضَرَّت قُريانها [١] ، وأَخْوَصَت بُطنانها [٢] ، واستَحْلَسَتْ آكامُها [٣] ، واعتَمَّ نبت جراثيمها [٤] ، وأجْرَتْ بَقْلَتُها [٥] وذُرَقَتُها وخبّازتها [٦] ، واحورّت خواصِر إبِلها ، وشَكِرت حَلوبتُها ، وسَمِنَت قَتُوبتُها [٧] وعَمِدَ ثَرَاها ، وعَقِدت تَنَاهِيها ، وأماهَتْ ثِمادُها [٨] ، ووثِقَ النّاس بصائرتها [٩] » .

قال : يقال : خَلَع الشّيحُ ، إذا أَوْرَق . والخالع من العِضَاه : الذى لا يسقط ورقه أبداً كالسِّدر ، فإنّه لا يتجرّد ، وكلُّ شجرٍ له شوكٌ فهو عِضَاهٌ ، والواحد عِضَةٌ ، إلّا القَتَادَ ، ولا يُعْبِلُ إلا الأرطى . وأَخْوَصَتْ بُطنانها ، إذا نَبَتَ فيه قُضْبانٌ دِقاقٌ . وخَضَب عَرْفَجُها ، يقول : اسودّ . وأَخْوصَ الشّجر ، وهو الذى لا شوك له . ومن العضاهِ قشره وقِصَدُه . فإذا يبست فهى عُود . واتّسق نَبتُها ، أى تتامّ . وأَجْرَت بَقْلَتُها ، أى نَبَت فيها مثل الجراءِ . والعُلَّفة : ثمرة الطَّلْح ، والحُبلةُ للسَّلَم [١٠] . واحوَرَّت خواصر إبلها ، يقول : استرخت عن كثرة الرَّعى [١١] . وشكِرَت حَلوبتها [١٢] ، يقول غَزُرت [١٣] ، يقال : شَكِرَت الإبل والغنم ، إذا تملّأت

---

(١) القريان ، بالضم : جمع قرىّ ، على فعيل ، وهو مجرى الماء فى الروض .

(٢) البطنان ، بالضم : جمع بطن ، وهو ما غمض من الأرض واطمأن .

(٣) استحلست : اخضرت واستوى نباتها . هـ : « أحلست » .

(٤) اعتم النبت : التف . الجراثيم : أماكن مرتفعة عن الأرض مجتمعة ، من تراب وطين .

(٥) ل : « أجلت » تحريف .

(٦) الذرق : نبت مثل الكراث الجبلى . واحدته ذرقة . هـ : « وذرقها » . والخبازة : واحدة الخباز ، وهو بقل معروف عريض الورق . وأجرت : ظهرت جراؤها ، وهى ثمارها .

(٧) الحلوبة : الناقة تحلب . والقتوبة : الناقة يوضع عليها القتب .

(٨) الثماد : الحفر يكون فيها ماء قليل . أماهت : كثر ماؤها .

(٩) فيما عدا ل ، هـ : « بصائرها » ، تحريف . انظر اللسان (٦ : ١٤٨) .

(١٠) أتى بذكر العلفة والحبلة سوقاً لبيان أنواع من الثمار . ل : « والخلبة » تحريف .

(١١) بدلها فيما عدا ل : « تشد أحناؤها على خواصرها حتى لا تحبط . والحبط : انتفاخ بطنها من مرعى ترعاه . وقيل للنبى ﷺ : أيضر الغبط ؟ قال : نعم ، كما يضر الحبط » . وفيه تحريف . انظر اللسان (غبط) ورسالة الحور العين ٧ .

(١٢) هذه الكلمة من ل ، هـ فقط .

(١٣) التفسير بعد هذه الكلمة إلى « وقوله عَمِدَ ثراها » من ل فقط .

من الربيع ، وهى إبلٌ شَكَارَى ، ويقال ضَرَّةٌ شَكْرَى ، إذا امتلأتْ من اللبن ، والضَّرَّة : أصل الضَّرع . وقوله : عَمِد ثَرَاها ، وذلك إذا قَبضتَ منه على شيء فتعقّد واجتمع من نُدُوّته . يقال عَمِدَ الثرى يَعْمَدُ عَمَداً ، وهو ثَرًى عَمِدٌ . فالعَمَد : أن يجاوزَ الثّرى المنكِب ، وهو أن يقيس السَّماء بالمرفق فيقول : بلغت وَضَح الكفّ ، ثم الرُّسغ ، ثم العَظَمة [1] ، ثم المرفق ، ثم يَنْصُف العضُد ، ثم يبلغ المنكب . فإذا بلغ المَنْكِبَ قيل: عَمِدَ الثّرى . فيقال إن ذلك حَيَا سِنِين [2] . والتَّناهى ، واحدتها تَنْهِيَةٌ ، وهى مستقَرّ السّيْل وحيث ينتهى الماء . وعَقَدُها : أن يَمُرّ السّيْلُ مُقبلاً حتّى إذا انتهى منتهاه دار بالأباطح ، حتَّى يلتقى طرفا السَّيل . والصائرة : الكلأُ والماء .

* * *

٣٢٧ قالوا : قاتل الحجّاجُ ابنَ الأشعث فى المِرْبَد ، فخطب ابنُ الأشعث فقال : « أيُّها النّاس ، إنّه لم يَبقَ من عُدوّكم إلاّ كما يبقى من ذنب الوزَغة ، تضرب بِهِ يميناً وشِمالا ، فما تَلبَثُ أن تموت » .

فمرّ به رجلٌ من بنى قُشَير فقال : قَبَّح الله هذا ورأيَهُ ، يأمر أصحابَه بقلّة الاحتراس من عدوّهم ، ويَعِدهم الأضاليل ، ويمنِّيهم الأباطيل .

وناسٌ كثيرٌ يَرون أنّ الأشعث هو المحسن دون القُشَيرىّ .

* * *

وقال بشار :

وحَمدٍ كعَصْبِ البُرْدِ حَمَّلت صاحبى … إلى مَلكٍ للصّالحات قَرينِ [3]

وقال أيضاً :

وبِكرٍ كنُوّار الرِّياض حديثُها … تَرُوق بوجهٍ واضحٍ وقَوامِ

---

(١) كذا فى النسخ . والمعروف أن العَظَمة ما يلى المرفق الذى فيه العضلة ، فحقه التأخير عن المرفق .

(٢) الكلام من « فالعمد » إلى هنا من ل ، هـ . وأشير فى حواشى هـ إلى رواية : « سنين » .

(٣) العصب : ضرب من برود اليمن . أضاف الصفة إلى الموصوف . وسيأتى فى ٤ : ٩٩) .

أبو الحسن قال : كان معاويةُ يأذن للأحنف أوَّلَ من يأذَن ، فأذِن لهُ يَوماً ، ثم أذِن لمحمَّد بن الأشعث حتَّى جلس بين معاوية والأحنف ، فقال له معاوية : لقد أحسَسْتَ من نفسك ذُلاًّ . إنِّى لم آذَنْ له قبلك إلاّ ليكون إلىّ فى المجلس دونَك ، وإنّا كما نَملك أمورَكم كذلك نملك تأديبكم ، فأريدوا ما يُراد بكم ؛ فإنّه أبقى لنعمتكم ، وأحسنُ لأدبكم » .

وقال النبى ﷺ لأُصَيلٍ الخُزاعىّ (١) : « يا أُصَيل ، كيف تركت مكة ؟ » . قال : « تركتُها وقد أحْجَن ثُمامُها ، وأمْشَرَ سَلَمها ، وأعذَقَ إذخِرُها (٢) » . فقال عليه السلام : « دَعِ القُلوب تَقِرُّ » .

وسأل أبو زيادٍ الكلابىُّ الصَّقيلَ العُقَيْلىَّ ، حين قدم من البادية ، عن طريقه ، قال : انصرفتُ من الحجّ فأصعَدْتُ إلى الرَّبذة (٣) فى مَقاطِّ الحَرّةِ (٤) ، ووجدت صِلَالاً من الرَّبيع (٥) ، من خَضِيمةِ حَمْضٍ ، وصِلِّيانٍ ، وقَرْمَلٍ (٦) ، حتّى لو شئتُ لأنخت إبلى فى أذراء القَفْعاءَ (٧) ، فلم أزَلْ فى مَرْعًى لا أُخِسُّ (٨) منه شيئاً حتّى بلغتُ أهلى .

---

(١) هو أُصَيل بن سفيان – وقيل ابن عبد الله – الهذلى ، وقيل الغفارى ، وقيل الخزاعى . وأصيل ، بالتصغير . وفى الإصابة : « قدم أصيل الخزاعى على رسول الله من مكة قبل أن يضرب الحجاب على أزواج رسول الله فقالت له عائشة : كيف تركت مكة ؟ قال : اخضرت أجنابها ، وابيضت بطحاؤها ، وأعذق إذخرها ، وأمشر سلمها . فقال رسول الله ﷺ : حسبك يا أصيل لاتحزنّا » .

(٢) أحجن ، أى بدا ورقه . وأمشرَ : خرج ورقه واكتسى به . أعذق : صار له عذوق وشعب ، وقيل أزهر . والحديث فى اللسان (مشر ، عذق ، حجن) .

(٣) الربذة ، بالتحريك : قرية قرب المدينة .

(٤) مقاط الحرة : منقطعها . وأراد بالحرة حرة المدينة .

(٥) الصلال : جمع صلّة ، بالفتح ، وهى القطعة المتفرقة من العشب .

(٦) الخضيمة : النبت إذا كان رطبا أخضر . فيما عدا ل : « خضمة » ، تحريف .

(٧) ل : « لأثخنت » ، صوابه فى سائر النسخ . والأذراء : جمع ذرى بالفتح والقصر ، وهو كل ما استترت به . فيما عدا ل : « أذن » ، تحريف . والقفعاء ، بتقديم القاف : حشيشة خوارة . وفى النسخ : « الفقعاء » بتقديم الفاء ، تحريف . كنى عن ارتفاع العشب .

(٨) أخس الشئ : وجده خسيسا . فيما عدا ل : « أحسن » ، تحريف .

وقال سَلّام الكلَابىّ : رأيتُ ببطن فَلْج منظراً مِن الكلأ لا أنساه : وجدت الصَّفْرَاءَ والخُزامَى تضربان نحورَ الإبل ، تحتهما قَفْعاء [١] وحُرْبثٌ [٢] قد أطاعَ ، وأمسَكَ بأفواه المال – أى لاتقدر أن ترفع رءوسها – وتركت الحُوران ناقعةً فى الأجارع [٣] » .

٣٢٨ وذمّ أرضا فقال : « وجدنا أرضاً ماحلةً مثل جلدِ الأجرب ، تصأى حَيّاتها [٤] ، ولا يسكُت ذئبها ، ولا يقيِّد راكبُها [٥] » .

وقال النّضر : قلت لأبى الخُضَير [٦] : ما رأيتَ من الخِصب ؟ قال : كنت أشرب رثيئة تجرُّها الشَّفتان جَراً [٧] ، وقارصاً قُمارِصا [٨] إذا تجشّأتُ جدع أنفِى ، ورأيتُ الكَمْأة تدوسها الإبل بمناسمها ، والوضر يشَمُّه الكلبُ فيَعْطِسُ .

وقال الأصمعى : قال المنتَجع بن نبهان : قال رجل من أهل البادية : كنت أرى الكلب يمرُّ بالخَصَفة عليها الخِلاصة [٩] فيشمُّها ويمضى عنها .

محمد بن كُنَاسة ، قال : أخبرنى بعض فُصحاء أعرابِ طيِّئ قال : بعثَ

---

(١) ل : « فحثهما » . وفى سائر النسخ « فقعاء »صوابه بتقديم القاف .

(٢) الحربث ، بضم الحاء والباء . فيما عدا ل ، هـ : « حريث » ، تحريف .

(٣) الحوران ، بالضم : جمع حوار بالضم والكسر ، وهى ولد الناقة من حين يرضع إلى أن يفصل فيسمى فصيلا . ويجمع الحوار أيضا على أحورة وحِيران . ناقعة : راوية ؛ يقال نقع أى روى . والأجارع : جمع أجرع ، وهو الرملة السلة .

(٤) صأى يصأى : صاح . فيما عدا ل : « تصئ » ، وهى صحيحة ، يقال صاء يصئ : صاح .

(٥) فى حواشى هـ : « أى لا ينزل فيقيد ؛ لأنه ليس بموضع أمن » .

(٦) ل : « لأبى الحصير » .

(٧) الرثيئة : اللبن الحامض يحلب عليه فيختثر .

(٨) القارص : اللبن يحذى اللسان ، والقمارص مثله ، وفيه إتباع وإشباع . فيما عدا ل : « ممارصا » تحريف .

(٩) الخصفة ، بالتحريك : وعاء من الخوص يكنز فيه التمر ، وهو جلة التمر . والخلاصة بالضم والكسر : السمن الخالص .

قومٌ رائداً فقالوا : ما وراءك ؟ قال : « عُشب وتعاشيب ، وكَمْأة متفرِّقة شيبٌ ، تقلعُها بأخفافها النِّيب [١] » . فقالوا له : لم تصنع شيئاً ، هذا كذب . فأرسلوا آخرَ فقالوا : ما وراءك ؟ قال : عشب ثأدٌ مأْد [٢] ، مَولِيٌّ عَهْد [٣] ، متدارك جَعد [٤] ، كأفخاذ نساء بنى سعد ، تشبع منه الناب وهى تَعْدْ [٥] » .

قال : لأنّ النبْت إذا كان قليلاً وقفت عليه الإبل ، وإذا كان كثيراً أمكنها الأكلُ وهى تعدُو .

قال : وبعث رجلٌ أولادَه يرتادون فى خِصْب ، فقال أحدهم : « رأيت بقلاً وماءً غَيلاً ، يسيل سَيلاً ، وخُوصةً تميل مَيْلا [٦] ، يحسَبُها الرّائد ليلا » . وقال الثانى : « رأيت دِيمةً على ديمَةٍ ، فى عِهَادٍ غير قديمة [٧] ، وكلأً تشبع منه النَّاب قبل الفَطيمة [٨] » .

وقال أبو مُجيب : قيل لأوفَى بن عُبَيد : ايت وادىَ كذا وكذا فارتَدْه لنا . فقال : « وجدت به خُشْباً هَرْمَى [٩] ، وعُشْباً شَرْماً [١٠] » .

---

(١) الشيب : البيض . والنيب: جمع ناب ، وهى الناقة المسنة .

(٢) الثأد : الندى . والمأد : اللين الناعم .

(٣) العهد : مطر بعد مطر . والمولىُّ : الذى سقاه الوَلىُّ ، وهو المطر بعد مطر .

(٤) الجعد : المجتمع بعضه إلى بعض .

(٥) تعد ، أى تعدو ، حذف الواو للسجع ، والنحاة يأبون حذف الواو والياء من آخر الفعل إلا ماكان فى فاصلة من القرآن أو قافية من الشعر ، قال الله : « والليل إذا يسر » . وأجاز الفراء الحذف فى سعة الكلام لكثرة ما ورد من ذلك . ومنه : « ذلك ما كنا نبغ » . همع الهوامع (٢ : ٢٠٦) .

(٦) الخوصة من نبات الصيف : ما نبت على أرومة .

(٧) العهاد : الحديثة من الأمطار ، جمع عهد . وانظر مجالس ثعلب (١ : ٣٤٣) والمخصص (٩ : ١٢٢) واللسان (٤ : ٣٠٨) .

(٨) ما عدا هـ : « العظيمة » ، تحريف ، صوابه فى المصادر المتقدمة . والناب : المسنة من النوق . وفى اللسان : « فسره ثعلب فقال : معناه هذا النبت قد علا وطال فلا تدركه الصغيرة لطوله ، وبقى منه أسافله فنالته الصغيرة » .

(٩) الخشب ، بالضم وبضمتين وبالتحريك : جمع خشبة . والهرمى : جمع هرم .

(١٠) رسمت فى النسخ : « شرمى » وإنما هى مفرد منصوب . انظر اللسان (شرم ٢١٤) حيث أورد النص .

قال : والهَرْمَى : الذى ليس له دُخان إذا أُوقد ، من يبسه وقِدمه . والشرْم [١] : العُشب الضخم . يقال : هذا عُشْب شَرْمٌ .

وقالَ هَرِم بن زيد الكلبى : إذا أحْيَا النّاسُ قيل : « قد أكلأت الأرض ، واحرَنْفَشت العنزُ لأختها ، ولَحِسَ الكلبُ الوَضَر » .

٣٢٩ قال : واحرِنفاش العنز : أن ينتفش شعرُها ، وتَنصِبَ رَوْقَيها فى أحد شِقّيْها لتنطح صاحبتَها ، وإنَّما ذلك من الأشَر ، حين ازدُهيت وأعجبتها نفسُها [٢] . ولحِسَ الكلبُ الوضر ، لِماَ يُفْضِلون منه ، لأنَّهم فى الجدب لا يَدَعون للكلب شيئاً يلحَسُه .

وقال أبو مجيب : إذا أجدب الرَّائد ، قال : « وجدت أيضاً أَرْمَى ، وأرضاً عَشْمَى » .

فأمّا العَشْمَى : فالتى يُرَى فيها الشَّجر الأعشَم ، وإنَّما يَعْشَم من الهَبْوِة . ويقال للشَّيخ : إنَّما هو عَشَمَةٌ ؛ لاستشنانِ جلدِه ، وجُفوف رأسه ، وثُلوب جسمِه [٣] . فأما الأرْمَى فالتى قد أُرمت ، فليس فيها أصلُ شجَر .

قال أبو عبيدة : قال بعضُ الأعراب : « تركت جُرَادَ [٤] كأنها نعامةٌ باركة [٥] » ، يريد التفاف نبتها . وهى من بلاد بنى تميم [٦] .

---

(١) فيما عدا ل ، هـ : « والشرمى » ، تحريف .

(٢) فيما عدا ل . « حين ازدهت وأعجبتها أنفسها » .

(٣) الكلام بعد « عشمة » إلى هنا من ل فقط . وفى اللسان : « ثلب جلده ثلبا إذا تقبض » .

(٤) جراد ، بالضم بوزن غراب ، كما نص ياقوت فى معجم البلدان . وقال : ماء فى ديار بنى تميم » . وأورد الخبر . وبعدها فيما عدا ل : « عراد » ، وهذه كلمة مقحمة . والخبر فى اللسان (جرد) كذلك .

(٥) فى معجم البلدان : « جاثمة » .

(٦) فيما عدا ل : « من نبت بلاد بنى تميم » وكلمة « نبت » مقحمة . هـ : « من نبت بلاد تميم » .

وقيل لأعرابيٍّ : ما وراءَك ؟ قال : « خَلّفتُ أرضاً تَظَالمُ مِعْزاها (١) » يقول : سمنت وأَشِرت فتظالمت .

وتقول العرب : « ليس أظلمُ من حيَّةٍ » وتقول : « هو أظلم من وَرَلٍ » ، و « أظلم من ذئبٍ » ، كما تقول : « أغدر من ذئب » ، وكما يقولون : « أكسب من ذِئبٍ » . قال الأسدىّ (٢) :

لعمرُك لو أنّى أخاصمُ حَيَّةً ... إلى فقعسٍ ما أنصفتنىَ فقَعسُ (٣)
إذا قلتُ ماتَ الدَّاءُ بينى وبينهم ... أتى حاطبٌ منهم لآخر يَقبِسُ (٤)
فما لكُمُ طُلْساً إلىّ كأنكم ... ذئابُ الغَضَى والذِّئب باللّيل أطلسُ (٥)

وقال الفَزارىّ (٦) :

ولو أخاصمُ أفعَى نابُها لثقٌ ... أو الأساودَ من صُمّ الأهاضيبِ (٧)
أو لو أخاصمُ ذئبا فى أكيلتِهِ ... لجاءنى جمعُهم يسعى مع الذِّيبِ (٨)

يقول : بلغ مِن ظُلم قومنا لنا ، أنّا لو خاصمنا الذئابَ والحيَّاتِ ، وبهما يضربون المثل فى الظلم ، لقَضَوا لهما علينا .

وقالت العرب : « إذا شبِعت الدَّقيقة ، لَحِست الجليلة » . هذا فى قلّة ٣٣٠
العُشْب ، إنّما تلحسه النّاقة لقلّته وقِصَره .

---

(١) ل : « تتظالم معزاها » .

(٢) هو مضرس بن لقيط الأسدى ، كما فى الحيوان (٤ : ١٥١) . ونسبه البحترى فى حماسته ٣٨٠ إلى عامر بن لقيط الأسدى . وهذه النسبة الأخيرة فى محاضرات الراغب (١ : ١٧٤) .

(٣) هو فقعس بن طريف ، أبو حى من قبيلة أسد .

(٤) فى الحيوان : « سعى حاطب » .

(٥) الطلس : جمع أطلس ، وهو الذى فى لونه غبرة إلى سواد .

(٦) فى الحيوان (٤ : ١٥١) : « وقال حريز بن نشبة العدوى ، لبنى جعفر بن كلاب » .

(٧) لثق : مبتل بما ينطف من السم .

(٨) الأكيلة : شاة تُنصَب ليصاد بها الذئب ونحوه .

وحدثنا [١] أبو زيادٍ الكلابىّ قال : بعث قومٌ رائداً بعد سِنِينَ تتابعت عليهم ، فلما رجَع إليهم قالوا له : ما وراءك ؟ قال : « رأيت بَقلاً يَشبع منه الجملُ البَرُوك ، وتَشَكَّتْ منه النِّساء ، وهَمَّ الرَّجل بأخيه [٢] » .

أمّا قوله : « الجمل البَروك » فيقول : لو قام قائما لم يتمكّن منه لقِصَرِه . وأما قوله : « وتشكَّت منه النِّساء » فإنه مأخوذ من الشَّكوة [٣] ، وجمع الشكوة شِكاء . والشّكوة : مَسْك السّخْلةِ ما دامت تَرْضع . والشِّكاء أصغر من الوِطَاب . يقول : لم يكثر اللبن بعدُ فيُمخَضَ فى الوِطاب . وقوله : « وهمَّ الرجل بأخيه » ، أى همَّ أن يدعوه إلى منزله كما كانوا يصنعون فى أيام الخِصب . وقال غيره : الخِصب يدعو إلى طلب الطوائل ، وغزْو الجيران ، وإلى أن يأكل القوىُّ مَن هو أضعفُ منه .

وقالوا فى الكلأ : كلأٌ تشبع منه الإبل مُعَقّلة ، وكلأٌ حابِس فيه كمُرْسِل يقول : مِن كثرته سواء عليك أحبَستها أم أرسلتَها .

ويقولون : « كلأٌ تَيجَعُ منه كبدُ المُصْرِمِ [٤] » .

وأنشد الباهلىّ :

ثم مُطِرْنا مطرةً روِيّهْ فنَبَتَ البقلُ ولَا رَعِيّهْ [٥]

وأنشد الأصمعىّ :

---

(١) ل : « وحدثنى » .

(٢) انظر الخبر فى مجالس ثعلب (١ : ٣٥١ - ٣٥٢) .

(٣) ما بعد هذه إلى « ترضع » من ل فقط .

(٤) المصرم : القليل المال ، أصرم إصراما ، إذا ساءت حاله . تيجع : يلحقها الوجع ، تقال بفتح التاء وكسرها أيضا . كما يقال توجع وتاجع . ل : « تنجع » ، وفيما عدا ل : « يتجمع » ، صوابهما ما أثبت من المقاييس واللسان (صرم ٢٣١) . قال : « أى إنه كثير فإذا رآه القليل المال تأسف ألا تكون له إبل كثيرة يرعيها فيه » .

(٥) الرعية : الماشية الراعية . والبيتان فى اللسان (رعى) . ونسب الرجز فى الأغانى (١١ : ١٤٧) وإعراب ثلاثين سورة لابن خالويه ١٤٩ إلى العجير السلولى ، يقوله لنافع بن علقمة الكنانى ، وقبله فيهما :

يا نافع يا أكرم البريه والله لا أكذبك العشية

إنا لقينا سنة قسيه

فجُنِّبتَ الجيوشَ أبا زُنَيْبٍ   وجادَ على مسارحكَ السَّحابُ (١)

يجوز أن يكون دعا عليه ، ويجوز أن يكون دعاً له (٢) . وقال الآخر :

أمرعَت الأرضُ ، لوَ آنّ مالَا   لوَ آنَّ نُوقاً لك أو جِمَالاَ
أو ثَلةً من غَنمٍ إمَّا لا (٣)

وقال ابنُ الأعرابىّ : سأل الحَجّاج رجُلاً قدِم من الحجاز عن المطر ، فقال : تتابعت علينا الأسمِيةُ (٤) حتى مَنَعَتِ السُّفّارَ (٥) ، وتَظَالمت المِعزَى (٦) ، واحتُلبَت الدِّرَّةُ بالجِرَّة (٧) » .

لقيط (٨) ، قال : دخل رجلٌ على الحجاج فسأله عن المطر ، فقال : ما أصابنى من مطر ، ولكنِّى سمعتُ رائداً يقول : « هلمّ أُظْعِنْكم إلى مَحَلّةٍ تَطفأ ٣٣١ ١
فيها النِّيران ، وتتنافس فيها المِعزى ، وتبقى بها الجِرّة حتَّى تنزل الدِّرَّة » .

أبو زيد ، قال : تخاصَمت امرأتانِ إلى ابنة الخُسِّ فى مَراعِى أبوَيْهما ، فقالت

---

(١) البيت فى اللسان (زنب) ومعانى الشعر للأشناندانى ١٠٨ والعمدة (٢ : ١٥٢) . وفى اللسان أن « زنيب » تصغير زينب بعد الترخيم . وروايته فى العمدة : « تجنبك الجيوش أبا خبيب » .

(٢) فيما عدا ل ، هـ : « دعاء » فى الموضعين . وفى العمدة : « إن دعا له فإنما أراد أن يعافى من الجيوش ، وأن يجوده السحاب فتخصب أرضه . وإن دعا عليه قال : لا بقى لك خير تطمع فيه الجيوش ، فهى تتجنب ديارك لعلمهم بقلة الخير عندك ، ويدعو على محلته بأن تدرسها الأمطار . وقال غيره : معناه جاد على محلتك السحاب فأخصبت ولا ماشية لك ، فذلك أشد لهمك وغمك »

(٣) أى إما لا يكن لك نوق أو جمال . وهذا الشطر ساقط من هـ .

(٤) الأسمية : جمع سماء ، وهو المطر .

(٥) السفار : جمع سافر ، وهو المسافر . وليس للسافر فعل . والسفار ، وردت هكذا فى الأصل واللسان (٥ : ٢٠٠) والمخصص (١٠ : ١٨٢) . وفى مجالس ثعلب (١ : ٣٣٩) وصفة السحاب ص ٣٧ ليدن : « فغيبت الشفار » ، وقال ابن دريد : « قوله غيبت الشفار ، يريد أخصبت الناس ولم يذبحوا الغنم والإبل » .

(٦) انظر ما سبق فى ص ١٦٠ س ١ فيما عدا ل ، هـ : « وظالمت » تحريف .

(٧) فى اللسان فقط : « واجتلبت » بالجيم . وقال : « اجتلاب الدرة بالجرة : أن المواشى تتملأ ثم تبرك أو تربض ، فلا تزال تجتر إلى حين الحلب » .

(٨) لقيط بن بكر المحاربى المتوفى سنة ١٩٠ . فهرست ابن النديم ١٣٨ .

الأولى : إبلُ أبى ترعى الإسليح (١) . فقالت ابنة الخُسِّ : رِغوةٌ وصَريح ، وسَنامٌ إطريح (٢) . وقالت الأخرى : مَرعى إبل أبى الخَلّة . قالت ابنة الخسِّ : سريعة الدِّرَّة والجِرَّة .

وقال الأحوص بن جعفر (٣) بعد ما كان كَبِرَ وعَمِىَ ، وبنوهُ يَسُوقون به : أىّ شىءٍ ترتعى الإبل ؟ قالوا : غَرفَ الثمام والضَّعَةَ (٤) ، قال : سُوقوا . ثم إنَّها عادت فارتعت بمكان آخر ، فقال : أىَّ شىءٍ ترتعى الإبل ؟ قالوا : العِضَاهُ والقِضَةُ (٥) . قال : عُود عَوِيد (٦) ، شِبَعٌ بعيد . وقال : سُوقوا . حتّى إذا بلَغوا بلداً آخَرَ قال : أىَّ شىءٍ ترتعى الإبل ؟ قالوا : نَصِيًّا وصِلِّيَانًا . قال : مَكفَتَةٌ لرُغَاها (٧) ، مَطْوَلَةٌ لذُراها ، ارْعَوا واشبعوا . ثمّ سألهم فقال : أىَّ شىءٍ ترتعى الإبل ؟ فقالوا : الرِّمْث . قال : خُلِقَت منه وخُلق منها (٨) .

قال أبو صاعد الكلابىّ : وزعم النّاس أنّ أوَّل ما خُلقت الإبل خُلقت من الرِّمث . وعلامة ذلك أنك لا ترى دابَّةً تريده إلّا الإبل .

قال : وقيل لرُؤبة : ما وراءك ؟ قال : الثّرى يابس ، والمرعى عابس .

---

(١) الإسليح : بقلة من أحرار البقول تنبت فى الشتاء ، تسلح الإبل إذا استكثرت منها .

(٢) الخبر إلى هنا فى اللسان (سلح ، طرح) مع بعض نقص . والإطريح : الذى طال ثم مال فى أحد شقيه .

(٣) الأحوص ، بالحاء المهملة . وفى الاشتقاق ١٨٠ : « ومنهم – أى من بنى جعفر بن كلاب – الأحوص بن جعفر بن كلاب ، كان سيداً ، وهو الذى هجاه الأعشى فقال :

أتانى وعيد الحوص من آل جعفر ... فيا عبد عمرو لو نهيت الأحاوصا

والحوص : ضيق العين » . فيما عدا ل : « الأخوص » تحريف .

(٤) كلمة « غرف » ساقطه من ل . وفيما عدا هـ : « عرف » تصحيف . والغرف : الثمام مادام أخضر . والضعة : شجر ضعيف مثل الثمام . وقد اضطرب اللغويون فى اشتقاقه من وضع أوضعو .

(٥) القضَة ، بكسر القاف وتخفيف الضاد : نبتة سهلية . ومادتها (قضى) . ل : « العضة » تحريف ، فإن هذه واحدة العضاه .

(٦) ل : « عود عود » .

(٧) مكفتة لرغاها ، أى تمنعها من الرغاء . فيما عدا ل : « مكفية لرعائها » ، تحريف .

(٨) أى من إقبالها عليه ومحبتها فيه ، كما فى حواشى هـ .

قال : وقالت امرأةٌ من الأعراب : أصبحنا ما ترقُد لنا فرس ، ولا ينام لنا حَرَسٌ .

قالوا : كان أبو المجيب كثيراً ما يقول : لا أرى امرأةً تُصبِّرُ عينيها (١) ، ولا شريفا يَهنَأُ بَعيراً (٢) ، ولا امرأةً تلبَس نِطَاقَ يَمنْةٍ (٣) .

وخَطَب بلالُ بن أبى بُردة بالبصرة ، فعَرف أنَّهم قد استحسنوا كلامه ، فقال : « أيُّها الناس لا يمنعنّكم سوءُ ما تعلمون مِنَّا أن تقبلوا أحسنَ ما تسمعون منّا » .

وقال عمر بن عبد العزيز : ما قومٌ أشبَهَ بالسلف من الأعراب ، لولا جفاءٌ فيهم .

وقال غيلان أبو مروان (٤) : إذا أردتَ أن تتعلّم الدعاء ، فاسمع دعاء الأعراب .

وقال رجل من بنى سُلَيم ، وسأله الحجاج عن المطر فقال : أصابَتْنا سحائبُ ثلاث : سحابةٌ بحَوْران(٥) بقَطرٍ صغار وقطر كبار ، فكان الصِّغار للكبار ٣٣٢ لُحْمَةً . ثم أصابَتْنا الثانية بسُواء (٦) فلبَّدت الدِّماث (٧) ودَحَضت العَزاز(٨) وصَدَعت الكمأةَ عن أماكنها . ثم أصابتنا الثالثة بالقَرْيتين (٩) فملأت

---

(١) فى اللسان (دمم) : « ودمت المرأة ما حول عينها تدمه دما ، إذا طلته بصبر أو زعفران » . وسيأتى الخبر فى (٣ : ١٦٤) . وأنشد السيوطى فى المزهر (٢ : ٣٢٩) .

* صهصلق الصوت بعينيها الصبر *

(٢) هنأ البعير ، طلاه بالهناء ، وهو بالكسر : القطران .

(٣) اليمنة ، بالضم والفتح : ضرب من برود اليمن . والنطاق : شبه إزار فيه تكة .

(٤) سبقت ترجمته فى (١ : ٢٩٥) . وانظر (٣ : ٢٨١) .

(٥) حوران ، بالفتح : كورة واسعة من أعمال دمشق .

(٦) سواء ، بالضم : ماء لبهراء من ناحية السماوة . وأصله بالقصر كما فى معجم البلدان .

(٧) الدماث : السهول من الأرض ، واحدها دمث ، بالفتح .

(٨) العزاز ، كسحاب : ماغلظ من الأرض وأسرع سيل مطره . دحضته:جعلته مزلقة . فيما عدا ل : « رحضت » . والرحض : الغسل .

(٩) القريتان : هما قرية عبد الله بن عامر بن كريز ، وجعفر بن سليمان ، قريبتان من النباج ، فى طريق مكة من البصرة.هـ : « بالقرينين » .

الإخاذ [١] ، وأفعمَتْ كلَّ واد ، وأقبَلْنا فى ماءٍ يجرُّ الضبُعَ ويستخرجُها من وِجارها [٢] .

وقال رجل من بنى أسد لمحمد بن مروان وسأله عن المطر فقال : ظهَرَ الإعصار ، وكثُر الغُبار ، وأُكِل ما أشرف من الجَنْبة [٣] وأيقنّا أنه عامُ سَنَةٍ .

* * *

قال أبو الحسن عتّابٌ [٤] : عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر [٥] ، أنّ الإسكندر كان لا يدخل مدينةً إلا هدمها ، وقتل أهلها ، حتّى مرّ بمدينةٍ كان مؤدِّبُه فيها ، فخرج إليه ، فألْطَفه الإسكندرُ وأعظمَه ، فقال له : « أيُّها الملك ، إنّ أحقَّ مَن زيّن لك أمرَك وواتاك على كلٍّ ما هَوِيت لأنا ، وإن أهلَ هذه المدينة قد طِمعوا فيك لمكانى منك ، وأحِبُّ ألاَّ تشفّعَنى فيهم ؛ وأنْ تخالِفنى فى كلِّ ما سألتك لهم » . فأعطاه الإسكندرُ من ذلك ما لا يقدر على الرُّجوع عنه . فلما توثَّق منه قال : « فإنّ حاجتى أن تَدخُلها وتخرِّبَها وتقتُل أهلها » . فقال الإسكندر : ليس إلى ذلك سبيلٌ ، ولابدّ من مخالفتك .

* * *

وقال علىٌّ بن أبى طالبٍ رضى الله عنه : « أفضل العبادة الصَّمتُ ، وانتظارُ الفرج [٦] » .

---

(١) الإخاذ ، بالكسر : جمع إخذ وإخذة ، وهو ما حفرته كهيئة الحوض . ما عدا : هـ : « الأحاد » تحريف .

(٢) الوجار ، بفتح الواو وكسرها : جحر الضبع .

(٣) الجنبة ، بالفتح : ما فوق البقل ودون الشجر .

(٤) هو أبو الحسن عتاب بن بشير الجزرى ، ذكره ابن حبان فى ثقات أهل الحديث . توفى سنة ١٩٠ . تهذيب التهذيب . هـ : « أبو الحسن بن غياث بن عبد الرحمن بن يزيد » .

(٥) هو أبو عتبة الشامى عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، روى عن مكحول والزهرى وعطاء وغيرهم . نزل البصرة ثم تحوَّل إلى دمشق . توفى سنة ١٥٤ . تهذيب التهذيب .

(٦) سيعاد الخبر فى (٣ : ٢٦٠) .

وقال يزيد بن المهلَّب ، وقد طال عليه حَبْسُ الحجّاج : والهفاه عَلَى فَرْجٍ فى جَبهة أسد ، وطَلِيَّة (١) بمائة ألف .

وقال الأصمعىّ : دخل دُرُسْت بن رباط (٢) الفُقَيمىّ ، على بلال بن أبى بُردةَ وهو فى الحبس ، فعلم بلالٌ أنّه شامتٌ به ، فقال : ما يسرّنى بنصيبى من المكروه حُمْرُ النَّعَم (٣) . فقال دُرُسْت : فقد أكثر الله لك منه .

قال الهيثم بن عدىّ : كان سَجّان يوسفَ بن عمر يرفع إلى يوسف بن عمر أسماءَ الموتى ، فقال له عبد الله بن أبى بُردة بن أبى موسى الأشعرى : اقبضْ هذه العشرة الآلاف الدّرهم ، وارفَع اسمى فى الموتى . قال : فرفع اسمه فى الموتى فقال له يوسف بنُ عمر : ويحك ، جئنى به . فرجع إليه فأعلمه فقال له : ويحك ، ٣٣٣ اتّق الله فىّ ؛ فإنى أخاف القتل . قال : وأنا أيضاً أخاف ما تخاف . ثم قال : قتلك أهونُ علىَّ من قتلى ، ولا بدَّ من قتلك . فوضع على وجهه مخدَّةً فذهبت نَفْسُه مع المال .

وأمّا عبد الله بن المقفَّع فإنّ صاحب الاستخراج لما ألحّ عليه فى العذاب (٤) ،

---

(١) ما عدا ل ، هـ والتيمورية : « وطلبة » بالباء ، تحريف . وانظر ماسبق من التحقيق فى (١ : ٢٩٧) وما سيأتى فى (٣ : ٢٦٠) .

(٢) هـ : « رياط » .

(٣) النعم ، أكثر ما يطلق على الإبل . وفى اللسان (٥ : ٢٨٨) : « والعرب تقول : خير الإبل حمرها وصهبها . ومنه قول بعضهم : ما أحب أن لى بمعاريض الكلم حمر النعم » . ومن ذلك قول رسول الله : « لقد شهدت فى دار عبد الله بن جدعان حلفا ما أحب أن لى به حمر النعم » ، إشارة إلى حلف الفضول . انظر السيرة ٨٦ جوتنجن ، والحيوان (٥ : ١٩٠) وما سبق فى (١ : ٣٢٦) .

(٤) صاحب الاستخراج هو الموكل باستصفاء أموال من اتهم باختلاس مال الدولة من الوزراء والكتاب والولاة وجباة الخراج . وكان يستخدم كل ما لديه من وسائل التعذيب والإرهاق ليستخرج هذه الأموال . وكان من سبب غضب المنصور على ابن المقفع أن عبد الله بن على كان قد لجأ إلى سليمان بن على عامل المنصور على البصرة ، فكتب إليه فى طلبه ، فأنكر أن يكون عنده ، ثم طلب الأمان ، وكان الذى تولى كتاب الأمان ، ابن المقفع ، فأغلظ فى العهود والمواثيق ، فكان مما فيه : « فإن أنا فعلت أو دسست فالمسلمون براء من بيعتى ، وفى حل من الأيمان والعهود التى أخذتها عليهم » . فلما وقف أبو جعفر على هذا قال : من =

قال لصاحب الاستخراج : أعندك مال وأنا أُرْبِحُك ربحاً ترضاه ؟ وقد عرَفتَ وفائى وسخائى وكتمانى للسّرّ [١] ، فعيِّنّى مقدار هذا النَّجْم [٢] . فأجابه إلى ذلك ، فلما صار له مالٌ ترفَّقَ به مخافة أن يموت تحت العَذاب فيتْوَى مالُه [٣] .

وقال رجل لعَمرو الغزّال : مررت بك البارحةَ وأنت تقرأ . فقال : لو أخبرتنى أىّ آية كنت فيها لأخبرتُك كم بَقِىَ من اللّيل .

وسمع مُؤرِّجٌ البَصرِى [٤] رجلا يقول : أمير المؤمنين يردُّ عَلَى المظلوم . فرجَع إلى مصحفه فردّ على براءةَ : « بسم الله الرحمن الرحيم » .

وكان عبد الملك بن مروان فى مرضه الذى مات فيه يعطَش ، وقيل له : إن شربت الماء مِتَّ . فأقبل ذاتَ يومٍ بعض العُوَّد [٥] ، فقال : كيف حالُ أمير المؤمنين ؟ فقال : أنا صالحٌ والحمد لله . ثم أنشأ يقول :

ومستخبرٍ عناً يريد بنا الرّدى ومستخبِراتٍ والدّموع سواجمُ [٦]

ويلكم اسقونى ماءً وإن [٧] كان فيه تلَفُ نفْسى . فشرب ثم مات .

وكان حبيب بن مسلمة الفِهرىُّ [٨] رجلا غَزّاءً للترك ، فخرج ذات مرّةٍ إلى

= كتبه ؟ فقيل ابن المقفع ، فكان ذلك سببا للغضب عليه . انظر تاريخ اليعقوبى (٣ : ١٠٤) والطبرى (٩ : ١٨٢) .

(١) كلمة « للسر » ساقطة من هـ .

(٢) عينى ، أى أعطنى . وفى اللسان (١٧ – ١٨٣) : « وما عيننى بشىء ، أى ما أعطانى شيئاً » . والنجم ، أراد به الوظيفة ، يقال نجمت المال : أديته نجوماً عند انقضاء كل شهر .

(٣) توى يتوى توى : هلك .

(٤) هو أبو فيد مؤرج بن عمرو السدوسى البصرى ، كان من أعيان أصحاب الخليل وأبى زيد . يقال إن الأصمعى كان يحفظ ثلث اللغة ، والخليل يحفظ ثلثها ، ومؤرج يحفظ الثلثين . نزهة الألباء ، وإرشاد الأريب ، وبغية الوعاة .

(٥) العوَّد : جمع عائد . فيما عدا ل : « العواد » كلاهما صحيح . ويقال فى جمع عائد أيضا « عَود » بفتح العين وسكون الواو .

(٦) فيما عدا ل : « والعيون سواجم » .

(٧) فيما عدا ل ، هـ : « ولو » .

(٨) ترجم فى ص ٩٣ من هذا الجزء .

بعض غَزَواته ، فقالت له امرأته : أين موعدك ؟ قال : سُرادقُ الطّاغية أو الجنة إن شاء الله . قالت : إنّى لأرجو أن أُسبِقَك إلى أىِّ الموضعين كنت به [١] . فجاء فوجدها فى سُرادق الطّاغية تقاتل التُّرْك .

ولمّا مدح الكميتُ بن زيدٍ الأسدىُّ مَخْلَد بنَ يزيد بن المهلّب ، فقال له ابنُ بيضٍ [٢] : إنّكَ يا أبا المستَهِلّ [٣] لكجالبِ التّمر إلى هَجَر ! قال : نعم ، ولكنّ تَمْرَنا أجودُ من تمركم [٤] .

وكان السيِّد الحميرىُّ [٥] مُولَعاً بالشّراب ، فمدح أميراً من أمراء الأهواز [٦] ، ثم صار إليه بمديحِهِ له ، فلم يصِلْ إليه . وأَغَبَّ الشّرابَ ، فلما كان ذاتَ يومٍ شرِب ثم وصل إليه ، فجلس من بُعدٍ ، فقرّبه وشمّ منه رِيحَ الشَّراب [٧] . فقال : ما كنت أظن أبا هاشمٍ يفعل هذا ، ولكنْ يُحتَمَل لمادِحِ ٣٣٤
رسول الله ﷺ أكثرُ من هذا – يُمازحه – ثم قال : يا جاريةُ هلُمِّى الدواة . ثم كتب إلى بعض وكلائه : ادفع إلى أبى هاشم مائتى دَورق مَيْبَخْتَجا [٨] . فقال

---

(١) ل : « أحد الموضعين كنت فيه » .

(٢) هو حمزة بن بيض ، ترجم فى (١ : ٢٦٩) .

(٣) أبو المستهل : كنية الكميت بن زيد . انظر معجم المرزبانى ٢٤٨ .

(٤) مما هو جدير بالذكر أن أبا الفرج فى الأغانى (١٥ : ١٥) قد روى خبرا نقيض هذا ، فيه مدح حمزة بن بيض ، مخلد بن يزيد ، فحسده الكميت وقال له : يا حمزة ، أنت كمن يهدى التمر إلى هجر !

(٥) السيد لقبه ، واسمه إسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميرى . وقد عرف بتشيعه ، وكان يذهب مذهب الكيسانية ويقول بإمامة محمد بن الحنفية . وفيه يقول الأصمعى : « والله لولا ما فى شعره من سب السلف لما تقدمه من طبقته أحد » . عاش إلى خلافة هارون ومات فى أيامه . الأغانى (٧ : ٢ – ٢٣) .

(٦) هو أبو بجير بن سماك الأسدى . الأغانى (٧ : ٢٢) .

(٧) ل : « رائحة الشراب » .

(٨) كلمة فارسية مركبة من « مَىْ » بمعنى النبيذ ، كما ذكر أبو الفرج فى (٧ : ٢٢) حيث أورد القصة . و « بَخْتَج » هى « پخته » الفارسية ، بمعنى مطبوخ . والعرب يبدلون الهاء فى آخر الكلمات الفارسية جيما . فيما عدا ل : « مينحنجا » ، تحريف .

السيِّد : لقد كنت أظنُّ الأميرَ أبلغَ ما هو (١) . قال : وأىَّ شئٍ رأيتَ من العِىّ ؟ قال جَمْعُكَ بين حرفين وأنت تجتَزِى بأحدهما ، امْحُ هذه الخبيثة (٢) « بَخْتَجاً » ودع « مَياً » على حالها . ففعل ، وحَمَل الكتاب فأخذها عبيطا (٣) .

عبد الله بن فائد (٤) قال : قالت امرأة الحُضَين بن المنذر للحضَين (٥) : كيف سُدْتَ قومَك وأنت بخيل وأنت دَميم ؟ قال : لأنِّى سديد الرَّأى ، شديد الإقدام .

قال : وقال مَسلمة بنُ عبد الملك لهشام بن عبد الملك : كيف تطمع فى الخلافة وأنت بخيلٌ وأنت جَبان ؟ قال : لأنِّى حليمٌ وأنِّى عفيف .

* * *

وقال زبَّانُ (٦) :

إنّ بنى بدرٍ يَرَاعٌ جُوفُ (٧) كلُّ خطيبٍ منهم مؤُوفُ (٨)
أهوجُ لا ينفعه التثقيفُ

وقال لبيد بن ربيعة :

---

(١) ل : « أرى الأمير أبلغ ما هو » . وفى الأغانى : « ليس هذا من البلاغة.قال : وما هى ؟ قال : البلاغة أن تأتى من الكلام بما يحتاج إليه وتدع ما يستغنى عنه » .

(٢) التيمورية : « الحبشة » ، ب ، حـ : « الخيشة » ، محرفان عما أثبت من ل ، هـ .

(٣) أى نبيذا عبيطا لم يطبخ ولم ينضج ، يقال لحم ودم عبيط ، أى طرى لم ينضج . فيما عدا ل ، هـ : « غبيطا » بالغين المعجمة ، تحريف .

(٤) له رواية فى الحيوان (١ : ٣٠١ / ٦ : ٢١٠) .

(٥) هو الحضين بن المنذر بن الحارث بن وعلة الرقاشى ، أحد بنى رقاش ، فارس شاعر ، وكان معه راية على ، يوم صفين ، دفعها إليه وهو ابن تسع عشرة سنة . وفيه يقول على :

لمن راية سوداء يخفق ظلها إذا قيل قدمها حضين تقدما

وكان حضين من كبار التابعين ، مات على رأس المائة . المؤتلف ٨٧ وتهذيب التهذيب (٢ : ٣٩٥) والخزانة (٢ : ٨٩ – ٩٠) والقاموس (حضن) . ما عدا هـ : « الحصين » بالصاد المهملة ، تحريف .

(٦) زبان بن سيار الفزارى ، سبقت ترجمته فى (١ : ٤) .

(٧) اليراع : القصب ، واحدته يراعة . جوف : جمع أجوف وجوفاء .

(٨) مؤوف : به آفة .

وأبيضَ يجتاب الخُروقَ على الوَجَى   خطيباً إذا التفَّ المجامعُ فاصِلَا [١]

وقال [٢] فى تفصيل العلم والخَطابة ، وفى مدح الإنصاف ، وذم الشَّغَب :

ولقَدْ بلوتُكَ وابتليتَ خليقتى   ولقد كفاكَ مُعلِّمى تعليمى

وقال لبيد :

ذهبَ الذين يُعاش فى أكنافهم   وبقِيتُ فى خَلْف كجلد الأجربِ
يتأكّلون مَغَالةً وخيانـــة   ويُعابُ قائلهُم وإن لم يَشغَبِ [٣]

وقال زيد بن جُندب :

ما كان أغنى رجلاً ضلَّ سعيُهُم   عن الجدال وأغناهم عن الخُطَبِ [٤]

وقال لَقِيطُ بن زرارة :

إنى إذا عاقبتُ ذو عقـــابِ   وإنْ تشاغِبْنى فذو شِغـابِ [٥]

وقال ابنُ أحمر : ٣٣٥

وكم حلَّها من تَيِّحانٍ سَمَيْدَعٍ   مُصافِى الندى ساقِ بيهماءَ مُطْعِمِ [٦]
طَوِى البطنِ مِتلافٍ إذا هبَّتِ الصَّبا   على الأمر غوّاصٍ ، وفى الحىِّ شيظَمِ

وقال آخر :

وأغرَّ منخرقِ القميص سميدعٍ   يدعو ليغزوَ ظالماً فيُجابُ [٧]

---

(١) يجتاب . يقطع . والخروق : جمع خرق ، وهو الفلاة تتخرق فيها الرياح . على الوجى ، أى مع وجى ناقته . والوجى : الحفا . ل ، هـ : « فيصلا » ، تحريف ؛ فإن البيت من قصيدة فى ديوانه ١٧ – ٢٧ قافيتها مؤسسة ، أولها :

كبيشة حلت بعد عهدك عاقلا   وكانت به خَبلا على النأى خابلا

(٢) أى لبيد . والبيت التالى سبق مع أبيات له فى (١ : ٢٦٧) .

(٣) البيتان سبقا فى (١ : ٢٦٧) .

(٤) انظر ماتقدم من رواية هذا البيت فى (٢ : ٤٢ ، ٢٦٧) .

(٥) سبق الرجز فى (١ : ٢٦٧) بدون نسبة .

(٦) فيما عدا ل : « سار بيهماء » . والبيتان سبقا فى (١ : ٢٦٨) .

(٧) السميدع : الشجاع . يمدحه بأنه قادر على الظلم .

قد مَدّ أرسانَ الجياد من الوجَى   فكأنّما أرسانُها أطنابُ [١]

وقال آخر :

كريم يغضّ الطّرْفَ عند حَيائه   ويدنُو وأطرافُ الرماح دَوَان [٢]
وكالسّيف إن لايَنْتَه لانَ متنُه   وحدَّاه إن خاشنتَه خَشِنانِ [٣]

وقال آخر :

يقطِّع طرفَه عنّى سويدٌ   ولم أذكر بسيّئة سُوَيدا [٤]
توقَّ حِدادَ شوكِ الأرض تسلَمْ   وغيرَ الأسدِ فاتّخِذَنَّ صيدَا [٥]

وقال آخر :

لا تحَسِبنّ الموتَ موتَ البِلى   فإنّما الموتُ سؤالُ الرِّجالْ
كلاهما موتٌ ولكن ذا   أشدُّ مِن ذاك لذلّ السؤالْ [٦]

وللحسين بن مُطَير :

رأت رجلاً أودى بوافِرِ لحمه   طِلابُ المعالى واكتسابُ المكارمِ
خفيفَ الحشاَ ، ضَرْباً ، كأنَّ ثيابَه   على قاطعٍ من جوهر الهِند صارمِ [٧]
فقلت لها : لا تَعْجَبِنَّ فإنّنى   أرى سِمَن الفتيان إحدى المَشاتمِ

وكان عمر بن الخطاب ، رحمه الله ، إذا رأى عبدَ الله بن عبّاسٍ يقول فى الأمر يعَرِض من جِلّة أصحاب رسول الله ﷺ ، يقول : « غصْ غوّاصُ » .

وقال ابنُ أحمر :

هل لامنى قومٌ لموقف سائلٍ   أو فى مخاصمة اللّجوجِ الأصيدِ [٨]

---

(١) الرسن : ما يوضع على مرسن الفرس ، وهو أنفه . والطنب : الحبل .

(٢) عند حيائه ، أى عند ما يستوجب الحياء . وفى الحماسة (٢ : ٢٧٩) : « فضلَ حيائه » . فيما عدا ل ، هـ : « خيانة » تحريف .

(٣) فى الحماسة : « لان مسه » .

(٤) يقطع نظره تقطيعا ، لشدة عداوته .

(٥) ما بعد هذا إلى كلمة « المشاتم » من ل ، هـ فقط . وفى حواشى هـ : « ليست من الأصل ، وإنما هى حاشية فى بعض الكتب » .

(٦) البيتان فى الحيوان (٣ : ١٣١) مع تعليق للجاحظ .

(٧) الضرب : الرجل الخفيف اللحم . جوهر الهند ، أى حديد الهند .

(٨) سبق هذا البيت فى (١ : ٢٦٨) بدون نسبة .

وقال لَبيدُ بن ربيعة فى التطبيق على قوله :

يا هَرِمَ بنَ الأكرمِينَ مَنْصِبا إنّك قد أُوتيتَ حُكْماً مُعجِبا

فطبِّقِ المَفْصِلِ واغنَمْ طيِّبا

وقال آخر :

فلما أنْ بَدَا القعقاع لجَّت على شَرَكٍ تُناقِلُه نِقالا

تعاوَرْنَ الحديثَ وطبّقته كما طبّقتَ بالنّعل المِثالا (١)

وقال ابن أحمر :

لو كنتُ ذا علم علمتُ وكيف لى بالعلم بعد تدبُّر الأمرِ (٢) ٣٣٦

وقال :

ليْستْ بشوشاةِ الحديث ولا فُتُقٍ مغالِبَةٍ على الأمرِ (٣)

وقال :

تضعُ الحديثَ على مواضعه وكلامُها من بَعدِه نَزْرُ (٤)

وقال :

وخَصيمٍ مُضِلٍّ فى الضِّجاج تركتُه وقد كان ذا شَغْب فوَلّى مُواتِيا (٥)

وذكر علىٌّ بن أبى طالب ، رحمه الله ،أُكتَلَ بن شَمَّاخ العُكْلىَّ (٦)، فقال : « الصَّبِيح الفصيح (٧) » . وهو أوّل مَن اتّخذ بيت مالٍ لنفسه فى داره .

---

(١) سبقا فى (١ : ٢٦٨) . أراد كما طبقت النعل بالمثال ، فقلب الكلام .

(٢) سبق فى (١ : ٥ ، ٢٦٨) .

(٣) الشوشاة : الخفيفة السريعة . والفتق ، بضمتين : المتفتقة بالكلام . والبيت فى اللسان (فتق) مع نسبته إلى ابن أحمر أيضا .

(٤) سبق فى (١ : ٢٧٦) .

(٥) فيما عدا ل ، هـ : « مواثبا » تحريف .

(٦) هو أكتل بن شماخ بن زيد بن شداد العكلى ، شهد الجسر مع أبى عبيدة ، وأسر يومئذ مردشاه وضرب عنقه ، وشهد القادسية . الإصابة ٤٨١ .

(٧) فى الإصابة : « كان على بن أبى طالب إذا نظر إلى أكتل قال : من أحب أن ينظر إلى الصبيح الفصيح فلينظر إلى أكتل » .

عبد الله بن المبارَك ، عن مَعْمَر [١] عن الحسن عن النبى ﷺ قال : « سيكون بعدى أمراءُ يُعطَوْن الحكمةَ على منابرهم وقلوبُهم أنتنُ من الجِيَف » .

جعفر بن سليمان الضُّبَعىّ [٢] ، عن مالك بن دينار ، قال : غدوت إلى الجمعة ، فجلست قريباً من المِنبر ، فصعِد الحجّاج المنبر ، ثم قال : امرأً زوّر عملَه ، امرأً حاسبَ نفسه ، امرأً فكّر فيما يقرؤه فى صحيفته ويراه فى ميزانه ، امرأً كان عند قلبه زاجرا ، وعند همّه ذاكرا ، امرأً أخذ بعنان قلبه [٣] كما يأخذ الرَّجُل بخطام جَمَله ، فإنْ قادَه إلى طاعه الله تَبِعه [٤] وإن قادهُ إلى معصية الله كَفّه [٥] .

وبعث عدىُّ بن أرطاة إلى المهالبةِ أبا المليحِ الهُذلىّ ، وعبد الله بنَ عبد الله ابن الأهتم ، والحسنَ البَصرىّ ، فتكلم الحسنُ فقال عبد الله : والله ما تمنّيتُ كلاماً قطُّ أحفظُه إلّا كلامَ الحسن يومئذ .

قال : وتنقّصَ ابنٌ لعبد الله بن عروة بن الزبير عَليًّا رحمه الله ، فقال له أبوه : والله ما بَنَى الناسُ شيئاً قطُّ إلّا هَدَمه الدِّين ، ولا بَنَى الدِّين شيئاً فاستطاعت الدُّنيا هدمَه ، ألم تر إلى علىٍّ كيف يُظهِرُ [٦] بَنُو مروان من عيبه وذمّه ؟ والله لكأنَّما يأخذونَ بناصيته رفعاً إلى السماء . وما تَرَى [٧] ما ينذُبون به

---

(١) هو معمر بن راشد الأزدى الحدانى البصرى ، وكان يروى عن قتادة عن الحسن البصرى . وقال : « طلبت العلم سنة مات الحسن » . توفى فى رمضان سنة ١٥٣ . تهذيب التهذيب وتذكرة الحفاظ (١ : ١٧٨) .

(٢) هو أبو سليمان جعفر بن سليمان الضبعى البصرى ، روى عن مالك بن دينار وابن جُريج وعطاء بن السائب . وكان من المتشيعين . توفى سنة ١٧٨ . تهذيب التهذيب .

(٣) ل : « عمله » .

(٤) فيما عدا ل : « قبله وتبعه » .

(٥) الخطبة فى عيون الأخبار (٢ : ٢٥١) والعقد (٤ : ١١٧) وابن أبى الحديد (١ : ١٥٠) . وأولها فيما عدا عيون الأخبار : « امرؤ » بالرفع .

(٦) ل : « تظهر » ، وهى صحيحة أيضا . وفى القرآن الكريم : (إلا الذى آمنَتْ به بنو إسرائيل) .

(٧) هـ : « وترى » .

موتاهم من التأبين والمديح ؟ والله لكأنَّما يكشفون عن الجِيَف .

أبو الحسن قال : قال عبد الله بن الحسن ، لابنه محمد ، حين أراد الاستخفاء [١] :

« أى بُنَىَّ ، إنى مؤدٍّ إليك حقَّ الله فى حُسن تأديبك ، فأدِّ إلىَّ حق الله فى ٣٣٧ حسن الاستماع . أىْ بُنَىّ ، كُفَّ الأذى ، وارفض البَذَا ، واستَعِنْ على الكلام [٢] بطُول الفكر فى المواطن التى تدعوك فيها نفسك إلى القول ؛ فإن للقول ساعاتٍ يضرُّ فيها خطاؤه ، ولا ينفع صوابُه . احذَرْ مشورةَ الجاهل وإن كان ناصحاً ، كما تحذر مشورةَ العاقل إذا كان غاشاً ، فإنَّه يوشك أن يورّطاك بمشورتهما [٣] ، فيسبقَ إليك مكرُ العاقل وتوريط الجاهل » .

وكان يقال : من لانت كلمتُه وجبت محبته ، ومن طال صمتُه اجتلب من الهيبة ما ينفعُه ، ومن الوحشة ما لا يضرُّه .

★ ★ ★

---

(١) انظر ما سبق فى (١ : ٣٣٢) .

(٢) فيما عدا ل : « واستغن عن الكلام » ، تحريف ، صوابه فى ل .

(٣) ل : « فإنه يوشك أن يورطك بمشورته » .

بـاب
أن يقول كل إنسان على قَدْر خُلُقه وطبعه

قال قُتيبة بن مسلم ، لحُصَين بن المنذر [١] : ما السّرور ؟ قال : امرأةٌ حسناء ، ودارٌ قوراء [٢] وفرسٌ مرتَبَطٌ بالفِناء .

وقيل لِضرار بن الحصَين [٣] : ما السرور ؟ قال : لواء منشور ، وجلوسٌ على السرير ، والسلامُ عليك أيُّها الأمير .

وقيل لعبد الملك بن صالح : ما السرور ؟ قال :

كلّ الكرامةِ نلتُها   إلّا التَّحيّةَ بالسّلامْ

وقيل لعبد الله بن الأهتم : ما السرور ؟ قال : رفع الأولياء ، وحَطُّ الأعداء ، وطولُ البقاء ، مع القدرة والنماء [٤] .

وقيل للفضل بن سهل : ما السرور ؟ قال : توقيعٌ جائز [٥] ، وأمرٌ نافذ .

أبو الحسن المدائنى قال : قيل لإنسان بَحْرِيٍّ : أىَّ شيء تَمَنَّى ؟ قال : شربةً من ماء الفِنْطاس [٦] ، والنَّومَ فى ظلِّ الشراع ، وريحاً دُنْبَاد [٧] .

وقيل لطفيلى : كم اثنان فى اثنين [٨] ؟ قال : أربعة أرغفة .

وقال الفلّاس القاصّ : كان أصحابُ رسول الله ﷺ يوم بدرٍ ثلاثمائة وستِّين درهماً .

---

(١) سبقت ترجمته فى ص ١٦٩ . ل : « لحصين » . ما عدا ل : « للحصين » صوابهما من هـ .

(٢) دار فوراء : واسعة الجوف .

(٣) سبق الخبر بدون نسبة فى (١ : ٢٨٦) .

(٤) فيما عدا ل : « مع القدرة على النماء » ، تحريف .

(٥) جائز ، أى يجوز وينفذ .

(٦) فِنطاس السفينة : حوضها الذى يجتمع فيه نشافة الماء .

(٧) كلمة فارسية معناها « الريح التى تهب من خلف » كما كتب فى حاشية هـ والتيمورية . مركبة من : « دُنْبَهْ » بمعنى الذيل ، و « داد » بمعنى المعطى .

(٨) فيما عدا ل ، هـ : « اثنتين فى اثنتين » ، تحريف . وفى ل : « كم اثنين » والوجه من هـ .

وقلت لملَّاحٍ لى ، وذلك بعد العصر فى رمضان : انظر كم بينَ عين الشمس وبين موضع غُروبها من الأرض ؟ قال : أكثر من مُرْدِيَّيْنِ ونصف .

وقال آخر : وقع علينا اللُّصوص ، فأوَّلُ رجلٍ داخلٍ دخل علينا السفينةَ كان فى طول هذا المُردِىّ [١] ، وكانت فخذُه أغلظَ من هذا السُّكان ، واسوَدَّ ٣٣٨
صاحب السَّفينة حتّى صار أشدّ سواداً من هذا القِير .

وأردتُ الصّعودَ مرّةً فى بعض القناطر ، وشيخٌ ملاَّح جالس ، وكان يومَ مَطَرٍ وزَلَق ، فزلِقَ حمارى فكاد يُلقينى لجَنْبى ، لكنّه تماسَكَ فأقعى على عَجُزه . فقال الشيخ الملّاح : لا إله إلّا الله ، ما أحسَنَ ما جلس على كَوْثَلِهِ [٢] .

ومررت بتَلّ طينٍ أحمرَ ومعى أبو الحسَين النّخّاس [٣] ، فلما نظر إلى الطِّين قال : أىُّ أوارِىَّ [٤] تَجىءُ من هذا الطِّين .

ومررنا بالخُلد [٥] بعد خرابه ، فقال : أىُّ إصطبلات تجىء مِنْ هذا الموضع .

وقيل لبعضهم : ما المروءة ؟ قال : طهارة البدن ، والفعلُ الحسَن .

وقيل لمحمد بن عمران [٦] : ما المروءة ؟ قال : أن لا تعمل فى السرّ شيئاً تستحِى منه فى العلَانِيَة .

وقيل للأحنف : ما المروءة ؟ قال : العِفة والحِرْفة .

وقال طلحة بن عُبيد الله : المروءة الظاهرةُ الثياب الطّاهرة .

---

(١) المردى ، بضم الميم وتشديد الياء : خشبة يدفع بها الملاح السفينة . وقد وضعت بعض المعاجم هذه الكلمة فى (ردى) وحقها (مرد) . وقد قالوا : إن المرد دفع الملاح السفينة بالمردى .

(٢) الكوثل : مؤخر السفينة ، أو سكانها . وقد تشدد اللام .

(٣) ل : « أبو الحسن النحاس » ، تحريف . واسمه الحارث ، كما فى كتاب البغال ، قال : « وهو الذى يقال له مؤمن آل فرعون » . والنخاس : بائع الدواب .

(٤) الأوارىّ : مواضع علف الدواب ، واحدها آرىّ . وفيما عدا ل ، هـ : « إدارى » ، تحريف .

(٥) الخلد ، بالضم : قصر بناء المنصور ببغداد . معجم البلدان .

(٦) انظر للخبر وتاليه عيون الأخبار (١ : ٢٩٥ – ٢٩٦) .

وقيل لأبى هريرة : ما المروءة ؟ قال : تقوى الله ، وإصلاحُ الصَّنيعة [١] ، والغَداء والعَشاء بالأفنية .

ونظر بكر بن الأشعر ، وكان سَجَّانا ، مرَّة إلى سُور دار بَجَالَة بن عبْدة ، فقال : لا إله إلا الله ، أىُّ سجنٍ يجىء من هذا .

وقال إنسانٌ صيرفىّ : باعنى فلانٌ [٢] عشرين جَريباً ، ودانِقَينِ ونصفاً ذهبا .

قال : ونظر عثمان بن عفّان رحمه الله إلى عِير مُقْبلَةٍ ، فقال لأبى ذَرّ : ما كنت تحبُّ أن تَحمِل هذه ؟ قال أبو ذَرّ : رجالاً مثلَ عُمَر [٣] .

وقيل للزُّهرىّ [٤] ، ما الزُّهد فى الدنيا [٥] ؟ فقال : أمَا إنه ليس بشَعَثِ اللِّمّة [٦] ، ولا قَشَفِ الهيئة ، ولكنَّه ظَلْفُ النفْس عن الشَّهوة [٧] .

وقيل له أيضاً : ما الزُّهد فى الدُّنْيا ؟ قال : ألّا يغلِبَ الحرام صَبْرَك ، ولا الحلالُ شُكرَك .

ونظر زاهدٌ إلى فاكهة فى السُّوق ، فلما لم يجدْ شيئاً يبتاعها به عزَّى نفسَه وقال : يا فاكهة ، مَوعدى وإياكِ الجَنَّة [٨] .

قالوا : ومَرّ المسيح عليه السلام بحَلَق بنى إسرائيل ، فشتَموه ، فكلَّما قالوا شراً قال المسيح ﷺ خيراً ، فقال له شَمعون الصَّفىّ [٩] : أكلَّما قالوا شرًّا قلت لهم خيراً ؟ قال المسيح : « كلُّ امرئ يعطِى ممَّا عندَه » .

وقال بعضهم : قيل لامرئ القيس بن حُجْر : ما أطيبُ عيشِ الدُّنيا ؟ ٣٣٩

---

(١) هـ : « الضيعة » . وضيعة الرجل : حرفته وصناعته ومكسبه وعيشه .

(٢) ل : « إنسان » .

(٣) فيما عدا ل ، هـ : « رجالا لا مثل عمرى » ، تحريف .

(٤) ل : « للزبير » تحريف . وانظر ما سيأتى فى ص ١٨٨ .

(٥) الكلام بعد هذه إلى « ما الزهد» فى الفقرة التالية ، من ل فقط .

(٦) ل : « بشعث فى اللمة » .

(٧) ظلف نفسه عن الشئ ظلفا ، بالفتح : منعها عنه .

(٨) هذا الخبر ساقط من ل .

(٩) ل : « سمعون الصفاء » . وانظر (٣ : ١٤٠) وعيون الأخبار (٢ : ٣٧٠) .

قال : بيضاء رُعبُوبَة (١) ، بالطِّيب مشبوبة (٢) ، بالشَّحم مكروبة (٣) .

وسئل عن ذلك الأعشى فقال : صهباء صافية ، تمزجها ساقية ، من صَوب غادية (٤) .

وقيل مثل ذلك لطَرَفَةَ فقال : مَطعمٌ شهىّ ، وملبَس دَفِىّ ، ومركَبٌ وطىّ .

قال : وكان محمّد بن راشِدٍ البجلىّ (٥) ، يتغدّى ، وبينَ يديه شَبُّوطة (٦) ، وخيّاطٌ يقطع له ثياباً ، ورآه يلحَظُ الشَّبُّوطة ، فقال : قد زَعمتَ أن الثوبَ يحتاج إلى خِرقة ، فكم مقدارها ؟ قال : ذراعٌ فى عرض الشَّبُّوطة .

ودخل آخَرُ على رجلٍ يأكل أُترُجَّةً بعسَل ، فأراد أن يقول : السلام عليكم ، فقال : عَسَلَيكُم .

ودخلت جاريةٌ روميَّةٍ على راشد البَتّى (٧) ، لتسأل عن مولاتها (٨) ، فبصُرَت بحمار قد أدلى فى الدار ، فقالت : قالت مولاتى : كيف أير حماركم ؟ — فيما زعم أبو الحسن المدائنى .

وأنشد ابن الأعرابىّ :

وإذا أظْهرتَ أمراً حسَناً فليكن أحسَنَ منه ماتُسِرّْ (٩)
فمُسِرُّ الخير موسومٌ به ومُسِرُّ الشرِّ موسومٌ بشَرّْ

---

(١) الرعبوبة : البيضاء الحسنة الرطبة الحلوة .

(٢) مشبوبة : قد ظهر حسنها ، وأشرق لونها .

(٣) المكروبة : المفتولة المشدودة .

(٤) الصوب : المطر . والغادية : السحابة تنشأ غدوة . والخبر يروى لمطيع بن إياس . الأغانى (١٢ : ٩٠) .

(٥) محمد بن راشد البجلى الخناق ، ذكر الجاحظ فى الحيوان (١ : ١١٥) انه كانت له بنت ذات لحية وافرة . وفى الحيوان (٤ : ٢٦٦) أن بجيلة يكثر فيها الخناقون . وذكر أبو الفرج فى الأغانى (٥ : ٥٨) أنه كان من أصدقاء إسحاق الموصلى ، وروى له أخبارا .

(٦) الشبوطة : واحدة الشبوط ،وهو ضرب من السمك دقيق الذنب عريض الوسط صغير الرأس ،لين المس .

(٧) البتى : نسبة إلى البت ، بفتح الباء ، وهى قرية من أعمال بغداد ، كما ذكر ياقوت . وقال السمعانى فى الأنساب ٦٥ : « موضع أظن بنواحى البصرة » . فيما عدا ل ، هـ : « البستى » .

(٨) فيما عدا ل : « لتسأل به عن مولاتها » . وكلمة « به » مقحمة .

(٩) تسر ، من الإسرار . فيما عدا ل ، هـ : « يسر » بالبناء للمفعول .

وأنشد ابن الأعرابىّ :

أرى النّاسَ يبنُون الحصونَ وإنّما　　غوابر آجالِ الرّجالِ حُصونُها (١)
وإنَّ من الأعمال دُوناً وصالحاً　　فصالحُها يبقى ويَهلِكُ دُونُها

وأنشد ابنُ الأعرابى :

حَسْبُ الفتى من عيشه　　زادٌ يبلغُه المَحلّا
خُبزٌ وماء بارد　　والظّلّ حين يريد ظِلّا

وقال بعضُ الأعراب :

وما العيش إلا شَبعةٌ وتشرُّقٌ　　وتَمرٌ كأخفاف الرِّباع وماءُ (٢)

٣٤٠ محمّد بن حرب الهلالىّ قال : قلت لأعرابى : إنِّى لك لَوادٌّ . قال : وإنّ لك من قلبى لَرَائداً (٣) .

قال : وأتيت أعرابياً فى أهله مُسلِّما عليه ، فلم أَجِدْهُ ، فقالت لى امرأته : عَشَّر اللهُ خُطاك . أى جعلها عَشرة أمثالها .

قالوا : وكان سَلْم بن قتيبة (٤) يقول : لم يضيّع امرؤٌ صوابَ القول حَتّى يضيّع صواب العمل .

أبو الحسن قال : قال الحجّاج لمعلّم ولده : علّم ولَدِى السِّباحة قبل الكتابة ، فإنّهم يصيبون مَن يكتب عنهم ولا يُصيبون من يَسْبَح عنهم (٥) .

أبو عقيل بن دُرُسْت قال : رأيت أبا هاشم الصوفىَّ مقْبِلاً من جهة النهر ، فقلت : فى أىِّ شئٍ كنتَ اليوم ؟ قال : فى تعلُّم ما ليس يُنسَى ، وليس لشئٍ من الحيوان عنه غِنًى . قال : قلت وما ذَاكَ ؟ قال : السِّباحة .

---

(١) الغوابر : البقايا . فيما عدا ل ، هـ : « عوائر » .
(٢) التشرق : الجلوس للشمس . الأخفاف : جمع خف . والرباع : جمع ربع ؛ بضم ففتح ، وهو الفصيل يولد فى الربيع . وفى الحماسة ١٨٥٤ بشرح المرزوقى : « كأكباد الجراد » . وسيأتى البيت والبيتان اللذان قبله فى (٣ : ١٨٧ – ١٨٨) .
(٣) ل : « من صدرى » ، وقد فهم الأعرابى أنه عنى الوادى ، على حين أنه أراد المودة .
(٤) فيما عدا ل ، هـ : « مسلم بن قتيبة » : تحريف .
(٥) الخبر فى عيون الأخبار (٢ : ١٦٦) .

حدّثنا علىُّ بن محمدٍ (١) وغيره قال : كتب عُمر بن الخطّاب إلى ساكنى الأمصار : « أمَّا بعد فعلّموا أولادَكم العَوْم والفُروسةَ (٢) ، وروّوهم ما سارَ من المَثَل ، وحَسُن من الشِّعر » .

وقال ابنُ التّوْأم : علّم ابنَك الحسابَ قبلَ الكتاب ؛ فإنّ الحسابَ أكسَبُ من الكِتاب ، ومؤونةُ تعلّمه أيسر ، ووجوهُ منافعه أكثر .

وكان يقال : لا تعلّموا بناتِكم الكتابَ ، ولا تروُّوهن الشعر ، وعلّموهن القرآن ، ومن القرآن سُورةَ النور .

وقال آخر : بنو فلان يعجبهُم أن يكون فى نسائهم إباضيَّات ، ويُؤْخَذْنَ بحفظ سورة النُّور .

وكان ابنُ التوأم يقول : من تمام ما يجب على الآباء من حفظ الأبناء ، أن يعلِّمُوهم الكتاب والحساب والسِّباحة .

خطب رجلٌ امرأةً أعرابيّة فقالت له : سَلْ عنّى بنى فلان وبنى فلان وبنى فلان (٣) . فعَدَّتْ قبائلَ ، فقال لها: وما عِلْمهم بك ؟ قالت : فى كلِّهم قد نكَحْت . قال : أُرَاكِ جَلنْفعةً قد خَزَّمَتْكِ الخزائِم (٤) .قالت: لا ، ولكنّى جوالة بالرَّحْل عَنْتَرِيس (٥) .

---

(١) هو أبو الحسن على بن محمد المدائنى ، صاحب الأخبار والتصانيف الكثيرة . المتوفى سنة ٢١٥ . ابن النديم ١٤٧ - ١٥٢ ولسان الميزان (٤ : ٢٥٣) .

(٢) فيما عدا ل ، هـ : « السباحة والفروسية » . هـ : « العوم والفروسية » . وانظر الخبر فى الكامل ١٥٠ ليبسك .

(٣) فى اللسان (جلفع) : « إن سألت عنى بنى فلان أنبئت عنى بما يسرك ، وبنو فلان ينبئونك بما يزيدك فىَّ رغبة ، وعند بنى فلان منى خبر » .

(٤) الجلنفعة : المسنة . والخزائم : جمع خزامة ، بالكسر ، وهو ما يجعل فى أنوف الإبل . وهذه كناية عن الاذلال والتسخير . انظر أساس البلاغة (خزم) . هـ : « خرمتك » وأشير فيها إلى أنها فى نسخة « خزمتك » .

(٥) تعنى أنها فتية ذات شدة ، كالناقة العنتريس ، وهى الصلبة الوثيقة الشديدة . فيما عدا ل ، هـ : « شمريس » ، تحريف .

وقال الفرزدق لامرأته النَّوار [١] : كيف رأيتِ جريرا ؟ قالت : رأيتُكَ ظلمتَه أوَّلاً ثم شَغْرْتَ عنه بِرِجلك آخِراً [٢] قال : أنا إنِيهْ [٣] ؟ قالت : نعم ، أَمَا إنَّه قد غَلَبك فى حُلوِه ، وشارَكَكَ فى مُرِّه .

٣٤١ قال : وتغدَّى صَعصعة بن صُوحانَ عند معاوية يوماً ، فتناوَلَ من بين يدَىْ معاويةَ شيئاً ، فقال : يا ابنَ صُوحان ، لقد انتجعتَ من بعيد ! فقال : « مَن أجدَبَ انتَجَع » .

وبَصُر الفرزدقُ بجريرٍ مُحْرِماً فقال : والله لَأُفسِدنَّ على ابن المَرَاغة حَجَّه . ثم جاءه مستقبِلاً له ، فجَهَرَه بِمشقَص كان معه [٤] ، ثم قال :

إنّك لاقٍ بالمَشَاعر من مِنًى   فَخاراً فخبِّرنى بمن أنتَ فاخِرُ

فقال جرير : لبيك اللهم لبيك : ولم يُجِبْه [٥] .

قال : وأُدخِل مالكُ بن أسماءَ سجنَ الكوفة ، فجلس إلى رجلٍ من بنى مُرّة ، فاتّكأ المُرّىّ عليه يحدّثه حتّى أكثَر وغَمَّه ، ثم قال : هل تدرى كم قَتلْنا منكم فى الجاهلية ؟ قال مالِكٌ : أمّا فى الجاهليّة فلا ، ولكنِّى أعرف مَن قتلتُم منا فى الإسلام . قال المُرّىّ : ومَن قتلنا منكم فى الإسلام ؟ قال : أنا ، قد قتلْتَنى غَمًّا !

قال : ودخل رجلٌ من محاربِ قيسٍ على عبد الله بن يزيد [٦] الهلالىّ ، وهو

---

(١) فيما عدا ل : « نوار » . وإثبات اللام وحذفها فى مثل هذه الأعلام جائز .

(٢) هو من قولهم : بلدة شاغرة برجلها ، إذا لم تمتنع من غارة أحد .

(٣) ل : « قال أنا » فقط . وفى هـ : « قال أنى » ، وسائر النسخ « قال أنا أنى » ، والوجه ما أثبت . وفى اللسان (١٧ : ٥٣) : « وحكى سيبويه أنه قيل لأعرابى سكن البلد : أتخرج إذا أخصبت البادية ؟ فقال : أنا إنيه ، يعنى : أتقولون لى هذا القول وأنا معروف بهذا الفعل » .

(٤) المشقص : سهمٌ فيه نصل عريض . جهره : راعه وفجأه . ل : « فجهزه » .

(٥) فى الأغانى (٧ : ٤٨) أنهما التقيا بمنى . وعقب على الخبر بقوله : « قال إسحاق : فكان أصحابنا يستحسنون هذا الجواب من جرير ويعجبون منه » .

(٦) ب فقط : « زيد » .

عاملٌ على أَرْمِينِيَة ، وقد بات فى موضع قريبٍ منه غديرٌ (١) فيه ضفادع ، فقال عبدُ الله للمحاربىّ : ما تركَتْنا أشياخُ محاربٍ نَنام فى هذه الليلةِ ؛ لشدَّة أصواتها . فقال المحاربىّ : أصلَحَ الله الأمير ، إنَّها أضَلَّت بُرقُعاً لها ، فهى فى بُغائه (٢) . أراد الهلالىُّ قولَ الأخطل :

تَنِقُّ بلا شئٍ شُيوخُ محاربٍ … وما خِلتُها كانت تَرِيش ولا تَبْرِى
ضفادعُ فى ظلماءِ ليلٍ تجاوبت … فدلَّ عليها صوتُها حَيَّةَ البحرِ (٣)

وأراد المحاربىُّ قول الشاعر :

لكلِّ هلالىٍّ من اللُّؤم بُرقعٌ … ولِابنِ هلالٍ بُرْقُعٌ وقميصُ

وقال العُتْبىّ (٤) :

رأيْنَ الغَوانِى الشّيبَ لاحَ بعارضِى … فأعرضْنَ عنِّى بالخُدود النواضِرِ (٥)
وكُنَّ إذا أبصرْنَنى أو سمِعنَ بى … سعَيْنَ فرقّعن الكُوَى بالمحاجرِ (٦)
لئنْ حُجِّبت عنِّى نواظِرُ أعينٍ … رَمَيْنَ بأَحداق المَها والجآذرِ ٣٤٢
فإنِّى من قومٍ كرامٍ أصولُهم … لأقدامهم صِيغَت رءُوس المنابِر

---

(١) فيما عدا ل : « فى موضع غدير قريب منه » .

(٢) البغاء ، بالضم : الطلب .

(٣) ديوان الأخطل ١٣٢ والحيوان (٣ : ٢٦٨ / ٤ : ٢٤٠ / ٥ : ٤٣٢) .

(٤) هو أبو عبد الرحمن محمد بن عبد الله بن عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبى سفيان العتبى البصرى . كان هو وأبوه سيدين أديبين فصيحين ، وكان العتبى شاعرا ولم يكن أبوه كذلك . ذكره ابن النديم فى الكتاب المترسلين . وذكر ابن قتيبة أن الأغلب عليه الأخبار ، وأكثر أخباره عن بنى أمية . وكان مستهترا بالشراب ويقول الشعر فى عتبة ، فقيل أن نسبته اليها ، وقيل إلى جده عتبة . وتوفى سنة ٢٢٨ . الفهرست ١٧٦ ، وابن خلكان (١ : ٥٢٣) ، والمعارف ٢٣٤ والسمعانى ٣٨٣ .

(٥) من شواهد العربية فى إلحاق علامة الجمع بالفعل . انظر الأشمونى وسر العربية ٣٣٩ .

(٦) الكوى : جمع كوة بالفتح وقد تضم ، وهو الخرق فى الحائط والثقب فى البيت . وأنشده فى اللسان (رقع) منسوبا إلى عمر بن أبى ربيعة ، مسبوقا بقوله : « وكل ما سددت من خلة فقد رقَعته ورقّعته » . وعَقَّبَ عليه بقوله : « وأراه على المثل » ، أى المجاز والاستعارة . والمحاجر : جمع محجر ، كمجلس ومنبر : مادار بالعين وبدا من البراقع . والبيت محرف فى وفيات الأعيان .

خلائفُ فى الإسلام ، فى الشِّرك قادة بهم وإليهمْ فَخْرُ كلِّ مُفاخرِ

وقال لبيد :

والشَّاعرون النَّاطِقون أُراهم سلَكوا طريق مُرَقِّشٍ ومُهلْهِلِ (١)

وقال آخر :

أم مَن لِباب إذا ما اشتدَ حاجبُه أَم من لخصمٍ بعيد الغَور مغوارِ

وقال حاجب بن دينار المازنىّ (٢)

ونحن بنو الفَحْل الذى سال بولُه بكلِّ بلادٍ لا يبولُ بها فحلُ
أبَى النَّاسُ والأقلام أن يَحسُبُوهُم إذا حُصِّلَ الأجناسُ أَوْ يُحسبَ الرَّملُ (٣)
فإن غَضِبوا سَدُّوا المشارِقَ ، منهمُ ملوكٌ وحكامٌ كلامهمُ فَصلُ (٤)

وقال أعرابىٌّ من بنى حَنيفة ، وهو يمزَح :

مَرّ الجرادُ على زرعى فقلت له : اِلزَمْ طريقَك لا تُولَع بإفسادِ
فقال منهم خطيبٌ فوق سُنبلةٍ : إنّا على سفر لابُدَّ من زادِ

وقال آخر يهجو بَعضَ الخُطَباء :

يُمان ولا يَمُون وكان شيخاً شديد اللّقْمِ هِلقاماً خطيبا (٥)

وذهب إلى قول الأحوص :

---

(١) وكذا ورد إنشاده فى الديوان ٣٤ طبع ١٨٨١ . وفيما عدا ل : « إذا هى » .

(٢) ورد اسمه فى ل محرفا : « حاجب بن ذبيان » . وكذا ورد اسمه فى الأغانى (١٣ : ٤٨) حيث ذكر له أخبارا مع يزيد بن المهلب وثابت قطنة ، وذكر أن ثابت قطنة لقب حاجبا « حاجب الفيل » . وانظر أمالى المرتضى (٤ : ٢١) والحيوان (١ : ١٩١) .

(٣) فيما عدا ل : « الأخماس » تحريف . عنى كثرة عديدهم .

(٤) فيما عدا ل : « شدوا المشارق » ، لكن فى هـ : « شد » ، تحريف . أراد : ثاروا بجموعهم التى تملأ الأرض وتحجب ضوء الشمس بما تثير من الرهج والغبار .

(٥) مانه يمونه : كفله وقام بكفايته وأنفق عليه . واللقم : سرعة الأكل . والهلقام : الواسع الشدقين الكثير الأكل . فيما عدا ل : « صلقاما » . وأصل الصلقام : الضخم من الإبل .

ذهَب الذين أحبُّهم فَرطاً … وبقِيتُ كالمقْمورِ فى خَلْف (١)
من كلِّ مَطويٍّ على حَنَقٍ … متَضجِّعٍ يُكفَى ولا يَكْفِى (٢)

وقال الحسن بن هانئ : ٣٤٣

إذا نابَهَ أمرٌ فإمَّا كفيتَه … وإمَّا عليه بالكَفِىّ تُشِيرُ (٣)

وقال آخر :

ذَرِينى فلا أعيا بما حلَّ ساحتى … أَسُودُ فأكفِى أو أُطيعُ المُسوَّدا (٤)

وقال بشَّار :

وفى العَبَراتِ الغُرِّ صُبْرٌ على النَّدَى … أولئك حَىٌّ من خُزَيمَةَ أغلبُ (٥)
وألأم من يَمشى ضُبيعةُ ، إنّهم … زعانفُ لم يَخْطُب إليهمْ مُحجَّبُ (٦)

وكذلك قول أعشى بنى ثعلبة :

ما ضرَّ غانى نِزارٍ أن تُفارقه … كلبٌ وجَرمٌ إذا أبناؤه اتفّقوا (٧)
قالت قُضاعةُ : إنَّا من ذَوى يَمَن … الله يعلم ، ما بَرُّوا ولا صدقوا
يزداد لَحْمُ المَنَاقِى فى منازلنا … طيباً إذا عَزَّ فى أعدائنا المَرَقُ (٨)
وما خَطبنا إلى قوم بَناتِهمُ … إلاّ بأرْعَن فى حافاتِه الحَرَقُ (٩)

---

(١) فرطا : متقدمين سابقين . والمقمور : المغلوب فى القمار .

(٢) فيما عدا ل ، هـ : « على عنق » . تحريف . والمتضجع : المتقعد الذى لا يقوم بالأمر .

(٣) الكفى : الكاف . والبيت من قصيدة أبى نواس المشهورة ، التى مطلعها :

أجارة بيتينا أبوك غيور … وميسور ما يرجى لديك يسير

(٤) فيما عدا ل : « لا أعيا » .

(٥) العبرات : قبائل عبر أو عبرة ، ولم أهتد إلى تعيينها لكثرتها . هـ : « الغبرات » . أغلب : غليظ الرقبة ؛ حى أغلب : ذو سيادة ، وهم يصفون السادة بالغَلَب ، وهو بالتحريك : غلظ الرقبة . قال :

* بيض مرازبة غلب جحاجحة *

(٦) الزعانف : الأحياء القليلة فى الأحياء الكثيرة . المحجب : الملك ذو الحجاب .

(٧) الغانى : المقيم ، من قولهم غنى بالمكان : أقامَ . فيما عدا ل : « غازى » ، تحريف .

(٨) المناق : جمع منقية ، كمحسنة ، وهى الناقة ذات الشحم . عز : قل .

(٩) الأرعن : الجيش العظيم ، له فضول كرعان الجبال ، أى أنوفها . والحرق ، بالتحريك : النار . هـ « الخرق » وفى حواشيها : « الخرق هنا العلامات ، وهو إشارة إلى معنى السَّبى » .

قوله خَطبْنا : من الخِطْبَة ها هنا ؛ وهو فى الشِّعر الأول من الخِطبة أيضاً .

وقال بلعاءُ بن قيس :

أَبَيْتُ لنفسى الخَسفَ لمّا رَضُوا به ... ووَلَّيتهم شَتْمى وما كنت مُفْحَما [(١)]

وقال بلعاءُ بن قيسٍ [(٢)] لِسُراقَةَ بن مالك بن جُعْشُمٍ [(٣)] :

ألا أبلغْ سُراقَة : يا ابن مالٍ ... فبئس مَقالةُ الرّجلِ الخطيبِ [(٤)]

أترجو أن تؤوبَ بظُعْن ليثٍ ... فهذا حينُ تُبصِرُ من قريبِ [(٥)]

وقال منصورٌ الضبّىّ [(٦)] :

ليت الفتى عَجرداً مِنّا مكانَهُمُ ... وليتهم من وراء الأخضر الجارى

قد قام سيِّدهُم عِمرانُ يخطُبهم ... ما كان للخير عمرانٌ بأَمّـارِ

* * *

قال : وتقول العرب : « الخَلّةُ تَدْعُو إلى السَّلّة [(٧)] . وكانوا إذا أُسَروا
أسيراً قال المادح : « أسَرَه فى مُزاحَفَة ، ولم يأسِرْه فى سَلّةٍ » . وفى الحديث : ٣٤٤

---

(١) البيت وما قبله من عبارة الإنشاد ، ساقط من ب .

(٢) هو أبو مساحق بلعاء بن قيس اليعمرى ، كان رأس بنى كنانة فى أكثر حروبهم ومغازيهم . وهو شاعر محسن ، قال فى كل فن أشعارا جيادا . المؤتلف ١٠٦ . ومات قبل يوم الحريرة ، وهو اليوم الخامس من أيام الفجار . انظر العقد (يوم الحريرة) .

(٣) سراقة هذا ، هو الذى حاول إدراك الرسول ﷺ فى هجرته إلى المدينة . وقد أسلم عام الفتح . ولما أتى عمر بسِوارىْ كسرى ومِنطقته وتاجه ، دعا سراقة فألبسه إياها وقال له : ارفع يديك وقل : الله أكبر ، الحمد لله الذى سلبهما كسرى بن هرمز وألبسهما سراقة الأعرابى ! مات سراقة فى خلافة عثمان سنة ٢٤ . الإصابة ٣١٠٩ .

(٤) مال : ترخيم مالك . يا ابن مال ، أى قل يا ابن مالك .

(٥) ليث ، هى القبيلة . والظعن ، بالضم وتقال أيضا بضمتين : جمع ظعينة ، وهى المرأة فى الهودج . كنى بذلك عن سبى نسائهم .

(٦) ذكره المرزبانى فى معجم الشعراء ٣٧٣ . قال : « منصور بن المسجاح – وقيل مسحاج – بن سباع الضبى . جاهلى » .

(٧) أى الحاجة تدفع إلى السرقة .

« لا إسلالَ ولا إغلال [١] » . وفى المثل : « الحاجة تفتح بابَ المعرفة » .

ونذكر هنا أبياتَ شعر تصلح للرواية والمذاكرة

قال سُويدُ المراثِدِ الحارثى [٢] أو غيره [٣] :

بنى عمِّنا لا تذكُرُوا الشِّعرَ بعدما ... دفنتم بصحراء الغُمَيمِ القوافيا [٤]
فلَسْنا كمن كنتمْ تُصِيبون سَلّةً ... فنقْبَلَ عَقْلاً أو نحكِّم قاضيا [٥]
ولكنَّ حُكمَ السَّيفِ فيكمْ مُسلَّطٌ ... فنرضَى إذا ما أصبحَ السَّيفُ راضيا
وقد ساءنى ما جرَّت الحربُ بيننا ... بنى عمّنا لو كان أمراً مُدانيا [٦]
فإن قلتُم : إنّا ظَلَمْنا فإنّكم ... بدأتمْ ولكنّا أسأْنا التّقاضيا [٧]

وقال ضابئ بن الحارث [٨] :

ورُبَّ أمورٍ لا تضيـرُك ضيرةً ... وللقلب من مَخْشاتهنَّ وجيبُ [٩]

---

(١) هذا من كتاب صلح الحديبية حين وادع أهل مكة . الإسلال : الرشوة والسرقة . والإغلال : الخيانة . انظر مقاييس اللغة (٣ : ٥٩) .

(٢) سويد المراثد ، ذكر التبريزى فى شرح الحماسة (٢ : ٣٢٠) أن المراثد : جمع مرثد ، وهو مصدر رثدت المتاع بعضه فوق بعض : أى نضدته . ويقال له أيضا « سويد المراثى » . وقد وردت فى نسخة من البيان ، كما فى حواشى هـ .

(٣) الأبيات رواها أبو تمام فى الحماسة (١ : ٣١) للشميذر الحارثى . وذكر التبريزى فى الكلام على هذه الأبيات أنها لسويد بن صُمَيع المرثدى ، من بنى الحارث ، وكان أخوه قتِل غيلة فقتل قاتل أخيه نهارا فى بعض الأسواق من الحضر . فهذا قول ثالث فى اسم سويد .

(٤) فى الحماسة وعيون الأخبار (١ : ٧٧) : « بصحراء الغمير » ، بالراء .

(٥) العقل : الدية . وفى الحماسة وعيون الأخبار : « فنقبل ضيما » .

(٦) أمر مدان : مقارب . أى لو كان الأمر الذى أدى إلى الحرب مقاربا هينا لساءنى ذلك ، ولكنه أمر شديد يستوجب الحرب . ل : « وقد سرنى » ، صوابه فى الحماسة وسائر النسخ . والبيت لم يروه ابن قتيبة .

(٧) هذا البيت مقدم على البيت الذى قبله فيما عدا ل .

(٨) هو ضابئ بن الحارث بن أرطاة البرجمى ، أدرك النبى ﷺ ، وجنى جناية فى زمن عثمان فحبسه ، فجاء ابنه عمير فأراد الفتك بعثمان ثم جبن عنه ، ثم لما قتل عثمان وثب عمير عليه فكسر ضلعين من أضلاعه . الإصابة ٤٢٠٠ والخزانة (٤ : ٨٠) والحيوان (١ : ٣٦٩) .

(٩) المخشاة : الخشية والخوف . والوجيب : الاضطراب والخفقان .

وقال حارثةُ بن بدر (١) :

وقـلْ للفـؤادِ إن نزا بِك نزوةً … من الرَّوْع أفرخ أكثرُ الرَّوْع باطِلُه (٢)

وقال لَبيد بن ربيعة :

واكذِبِ النّفْس إذا حدَّثْتَها … إنَّ صدْقَ النّفسِ يُزْرِى بالأَمَلْ (٣)

وقال حبيب بن أوس (٤) :

وطولُ مُقامِ المرءِ فى الحىِّ مُخْلِقٌ … لِديباجتَيْهِ فاغتربْ تتجدَّدِ (٥)

فإنِّى رأيتُ الشَّمسَ زِيدتْ مَحبَّةً … إلى النَّاس أنْ ليست عليهم بسَرْمَدِ (٦)

٣٤٥ وقال غيره :

هو الشّمس إلا أنّ للشّمس غَيبةً … وهذا الفتى الجَرمىُّ ليس يَغِيبُ

يروح ويغدُو ما يُفتِّرُ ساعةً … وإن قيل ناءٍ فهو منكَ قريبُ (٧)

وقال آخر :

خلافاً لقولِى من فَيالَـةِ رأيـه … كما قِيل قبلَ اليوم : خالفْ فتُذْكَرَا (٨)

وقال حارثةُ بن بدر :

---

(١) هو حارثة بن بدر بن حصين بن قَطَن بن مالك بن غدانة بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، الغدانى . قال أبو الفرج : كان من لِدات الأحنف بن قيس . قال ابن حجر : فإن يكن كذلك فقد أدرك النبى ﷺ . وله أخبار فى الفتوح . وذكر المبرد فى الكامل أنه غرق ، فى ولاية عبد الله ابن الحارث على العراق ، وذلك سنة ٦٤ الإصابة ١٩٣٣ .

(٢) البيت من أبيات فى الحيوان (٣ : ٧٧) وأمالى المرتضى (٢ : ٤٧) .

(٣) ديوان لبيد ١٢ طبع ١٨٨١ .

(٤) فيما عدا ل : « وقال الشاعر ، وهو حبيب بن أوس » .

(٥) أراد بالديباجتين الديباجة .

(٦) ل والديوان ١٠١ : « إذ ليست » .

(٧) فيما عدا ل : « وليس يفتر » .

(٨) أنشده فى الحيوان (٧ : ٨٤) . الفيالة ، بالفتح : ضعف الرأى . ل : « لتذكرا » . وانظر المثل عند الميدانى (١ : ٢١٣) .

إذا ما مُتُّ سَرَّ بنى تميم على الحَدَثانِ لو يَلْقَون مِثلى
عدُوٌّ عدُوِّهِمْ أبدا عدُوّى كذلك شِكلهم أبدا وشِكْلى

وهو شبيه بقول الأعشى :

عُلِّقتُها عَرَضا وعُلِّقَتْ رجلَا غيرى وعُلِّقَ أخرى غيْرَها الرَّجُلُ (١)

* * *

وقال عمرو لمعاوية : من أصبر الناس ؟ قال : من كان رأيه رَادًّا لهواه (٢) .

واختلفوا بحضرة الزُّهْرىّ فى معنى قول القائل : فلان زاهد . فقال الزُّهرى : « الزاهد الذى لا يغلب الحرامُ صَبْرَه ، ولا الحلالُ شُكْره » .

وقال ابن هبيرة وهو يؤدِّب بعض بنيه : لا تكونَنّ أوَّل مشيرٍ ، وإيَّاك والرَّأى الفَطِير ، وتجنَّب ارتجالَ الكلام ، ولا تُشِرْ على مستبِدٍّ ولا على وَغْدٍ ، ولا على متلوِّن ولا على لَجوج ، وخَفِ الله فى موافقةِ هوى المستشير ؛ فإنّ التماسَ موافقته لؤمٌ ، وسوءَ الاستماع منه خِيانة .

وقالوا (٣) . من كثر كلامه كثُر سَقَطُه ، ومن ساء خُلُقه قلَّ صديقُه .

وقال عمر للأحنف : من كثر ضحِكُه قلَّت هَيْبتُه ، ومن أكثر من شئ (٤) عُرِفَ به ، ومن كَثُرَ مِزاحُه كثُر سَقَطُه ، ومن كثر سَقَطُه قَلَّ ورعُه ، ومن (٥) قلَّ ورعُه ذهب حياؤُه ، ومن ذهب حياؤُه ماتَ قلبُه .

وقال المهلَّب لبنيه : يا بَنِىَّ تباذَلُوا تَحَابُّوا ؛ فإنّ بنى الأمِّ يختلفون ، فكيف بنو العَلّات (٦) إنَّ البِرَّ يَنْسأ فى الأَجَل ، ويزيد فى العدد ، وإن القطيعة

---

(١) ديوان الأعشى ٤٣ .

(٢) سيعيد هذا الخبر وتاليه فى (٣ : ١٥٤) .

(٣) فيما عدا ل : « وقال » .

(٤ – ٥) الكلام بين هذين الرقمين ساقط من ب .

(٦) بنو العلات : بنو رجل واحد من أمهات شتى . والعَلَّة : الضَّرَّة .

٣٤٦ تُورِثُ القلّة ، وتُعْقِب النّار بعد الذِّلّة . واتّقوا زَلّة اللسان ؛ فإنَّ الرّجُل تزلُّ رجله فينتعش [١] ، ويزلُّ لسانه فيهلِك . وعليكم فى الحرب بالمكيدة ؛ فإنّها أبلغ من النَّجدة [٢] ؛ فإنَّ القتالَ إذا وقَعَ وقع القضاء ، فإن ظَفِر فقد سَعِد ، وإن ظُفِر به لم يقولوا فرّط .

ولقىَ الحسينُ رضى الله عنه الفرزدقَ فسأله عن النّاس فقال : القُلوبُ معك ، والسّيوفُ عليك ، والنَّصر فى السماء .

وقال بعضهم : حُجب أعرابىٌّ عن باب السلطان فقال :

أُهِينُ لهم نفسى لأكرِمَها بهم ... ولا يكرِمُ النفس الذى لا يهينُها

وقال جرير :

قومٌ إذا حضر المُلُوكَ وُفودُهم ... نُتِفت شواربهمْ على الأبوابِ [٣]

وقال آخر :

نَهيتُ جَميعَ الحَضْرِ عن ذكر خُطّةٍ ... يدبِّرُها فى رأيه ابنُ هشامِ [٤]
فلمّا وردتُ البابَ أيقنْتُ أنّنا ... على اللهِ والسُّلطان غيرُ كرامِ

وقال آخر :

وافَى الوفودُ فوافى من بنى حَمَلٍ ... بِكرُ الحَمَالةِ قانِى السِّنِّ عُرْزومُ [٥]

---

(١) انتعش العاثر : نهض من عثرته .

(٢) النجدة هنا : الشجاعة والشدة .

(٣) من قصيدة له فى ديوانه ٥٥ – ٥٧ يهجو بها التيم .

(٤) الحضر ، بالفتح : أهل الحضر . قال زهير :

دع ذا وعد القول فى هرم ... خير الكهول وسيد الحضر

(٥) سيأتى فى (٣ : ٣٠٢) منسوباً لأبى العرف الطهوى . والعرزوم ، لم يذكر فى المعاجم ، وبدله العرزم بالفتح ، والعرزام بالكسر ، وهو القوى الشديد من كل شئ . وفى حواشى هـ عن نسخة : « العُرزوم : القوى الشديد » . وقد وقع بعد هذا البيت اضطراب فيما عدا ل ، هـ ، فقدم بعض صفحات الأصل وأخر بعضها . وقد اعتمدت ترتيب الكلام فى النسختين لتساوقه والتئامه .

وقال الحُضَين بن المنذر (١) :

كلُّ خفيف الشَّأن يسعى مشمِّراً إذا فتح البوّاب بابك إصْبَعا (٢)
ونحن الجُلوسُ الماكثون توقُّراً حياءً إلى أن يُفتحَ البابُ أجمعا

وقال آخر :

ونَفْسَك أكرِمْها فإنّك إن تَهُنْ عليك فلن تلقى لها الدَّهرَ مُكرِما (٣)

اعتذر ابنُ عونٍ (٤) إلى إبراهيمَ النَّخَعى فقال له : آسكت معذوراً ؛ فإن الاعتذارَ يخالطه الكذب (٥) .

أبو عمرو الزَّعفرانى قال : كان عَمرو بن عُبيد عند حفص بن سالم فلم يسأله أحدٌ من حَشَمه فى ذلك اليوم شيئاً إلاَّ قالَ : لا . فقال له عمرو : أَقِلَّ من قولِ لا ؛ فإنّه ليس فى الجنة ، وإنَّ رسول الله ﷺ كان إذا سُئِل ما يَجِدُ ٣٤٧ أعطى ، وإذا سئل مالا يَجد قال : « يَصْنَعُ اللهُ » (٦).

وقال عمر بن الخطاب رحمه الله : أكثروا لهُنَّ من قول « لا » ؛ فإن قول « نعم » يضرِّيهنَّ على المسألة (٧) . وإنَّما خصَّ عُمَر بذلك النِّساء .

وقال بعضهم : ذمَّ رجلٌ الدّنيا عند على بن أبى طالب رضى الله عنه فقال علىٌّ :

« الدُّنيا دَارُ صدقٍ لمن صَدَقها ، ودارُ نجاةٍ لمن فَهِمَ عنها ، ودار غِنًى لمن تزوّد منها ، ومَهبِطُ وَحْى الله ، ومُصلَّى ملائكته ، ومَسجِد أنبيائه ، ومَتجرُ أوليائه . رَبِحُوا فيها الرّحمة ، واكتسبوا فيها الجنّة .فمن ذا الذى يذمُّها وقد آذنت بِبَيْنِها

---

(١) سبقت ترجمته فى ص ١٦٩ .
(٢) ما عدا ل ، هـ : « الساق » ، وأشير فى هـ إلى رواية « الساق » .
(٣) البيت بدون نسبة أيضا فى حماسة البحترى ٢٤٧ .
(٤) هو عبد الله بن عون ، تقدمت ترجمته فى ص ٩١ من هذا الجزء .
(٥) سبق الخبر برواية أخرى فى ص ٩١ .
(٦) روى هذا الخبر أيضا فى (٣ : ١٥٥) وعيون الأخبار (٣ : ١٣٧) .
(٧) المسألة : السؤال . ل : « يضربهن عن المسألة » تحريف . وانظر (٣ : ١٥٥) .

ونادت بفِراقها ، وشَبَّهتْ بسُرورها السرورَ ، وببلائها البلاء ، ترغيباً وترهيباً . فيأيُّها الذامُّ للدُّنيا ، المعلِّل نفسَه ، متى خَدَعتك الدنيا أم متى استذَمَّت إليك (١) ؟ أبمصارع آبائك فى البِلَى ، أم بمَضاجِع أمَّهاتك فى الثرى ؟! كم مَرَّضْتَ بيديك ، وكم علّلْتَ بكفَّيك ، تطلُب له الشّفاء ، وتَستَوصِف له الأطبّاء ، غداةَ لا يُغْنى عنه دواؤك (٢) ، ولا ينفعه بكاؤك (٣) ، ولا تُنْجِيهِ شفقتُك ، ولا تشفع فيه طَلِبَتُك » .

وقال عُمَر ، رحمه الله : « ما بال أحدكم ثانِىَ وِسَادِه عند امرأةٍ مُغْزِيَةٍ مُغِيبة (٤) ؟! إن المرأةَ لحمٌ على وَضَمٍ (٥) إلاّ ما ذُبَّ عنه » .

* * *

وقال بعضهم : مات ابن لبعض العظماء فعزّاه بعضهم فقال : عِش أيها الملك العظيمُ سعيداً ، ولا أراك الله بَعدَ مصيبتك ما ينسيكَها !

وقال : لمَّا توفّى معاويةُ وجلس ابنُه يزيد (٦) ، دخل عليه عَطاءُ بن أبى صيفِىّ الثّقفىُّ ، فقال : « يا أمير المؤمنين ، أصبحتَ قد رُزِيت خليفةَ الله ، وأُعطِيتَ خلافةَ الله ، وقد قَضَى معاويةُ نَحْبَه ،فغفر الله ذنبه ،وقد أُعطِيتَ بعده الرِّياسة ووَلِيتَ السّياسة ، فاحتَسِبْ عند الله أعظمَ الرَّزِيَّة ، واشكُرْه على أفضل العطيّة » .

ولما تُوفِّى عبدُ الملك وجلس ابنُه الوليد ، دخَلَ عليه النّاس وهم لا يَدرون : أيهنّئونه أم يعزّونه ؟ فأقبل غَيلانُ بن سَلَمة الثّقَفىُّ فسلّمَ عليه ، ثم قال :

---

(١) استذم إليه ، فعل ما يذمه عليه . وهذا الصواب من هـ . وفى ل : « بما استندمت اليك » ، وفى سائر النسخ : « أم متى استندمت إليك » .

(٢) ل : « عنك دواؤك » .

(٣) الجملتان التاليتان من ل فقط .

(٤) كلمة « مغزية » من ل فقط ، وفى حواشى هـ عن نسخة بدل « مغيبة » . يقال أغزت المرأة فهى مغزية ، إذا خرج زوجها للغزو . والخبر مروى فى اللسان (غزا) . وأما المغيبة ، بضم الميم وكسر الغين ، فهى التى غاب عنها بعلها .

(٥) الوضم : ما يوضع عليه اللحم يوقى به من الأرض . أى هن من الضعف مثل ذلك اللحم لا يمتنع من أحد ، إلا أن يذب عنه ويدفع . وانظر اللسان (وضم) .

(٦) فيما عدا ل ، هـ : « جلس ابنه يزيد ودخل » .

« يا أمير المؤمنين ، أصبحتَ قد رزِيتَ خير الآباء ، وسُمِّيتَ بخير الأسماء ، وأُعطيت أفضلَ الأشياء ، فعظَّمَ الله لكَ على الرزيّة الصَّبْر ، وأعطاك فى ذلك نوافلَ الأجر ، ٣٤٨ وأعانَك على حُسن الوِلاية والشكر . ثم قَضَى لعبد الملك بخير القضيّة ، وأنزله بأفضل المنازل المرضِيَّة (١) ، وأعانَك مِن بعده على الرعيَّة » . فقال له الوليد : من أنت ؟ فانْتَسَبَ له . قال : فى كم أنت ؟ قال : فى مائة دينار . فألَحقه بأهل الشَّرف .

ولما تُوفِّى المنصور دخل ابنُ عُتْبَة مع الخطباء على المهدىّ فسلّم ثم قال : آجَرَ اللهُ أميرَ المؤمنين على أمير المؤمنين قبلَه ، وبارك لأمير المؤمنين فيما خلّفه له أميرُ المؤمنين بعدَه ؛ فلا مصيبةَ أعظَمُ مِن فَقْد أميرِ المؤمنين ، ولا عُقْبَى أفضلُ من وِراثة مَقامِ أمير المؤمنين . فأقبَلْ يا أمير المؤمنين من الله أفضلَ العطيّة ، واحتسبْ عنده أعظَمَ الرزّية .

وكتب مَيمون بن مِهْران (٢) إلى عمرَ بن عبد العزيز ، يعزِّيه عن ابنِهِ عبد الملك ، فكتب إليه عمر : « كتبتَ إلَىَّ تُعزِّينى عَن ابنِى عبدِ الملك ، وهو أمرٌ لم أزَلْ أنتظرُه ، فلمَّا وقَعَ لم أنكرْه » .

وقال الشاعر (٣) :

تعزَّيْتُ عن أُوفَى بغَيلانَ بعدَه ... عزاءً ، وجَفْنُ العين بالماء مُترَعُ (٤)

---

(١) هـ : « الرضية » مع الإشارة إلى رواية « المرضية » .

(٢) هو أبو أيوب ميمون بن مهران الجزرى الرقى ، نشأ بالكوفة ثم نزل الرقة ، وكان مولى مكاتبا لبنى نصر بن معاوية ثم عتق ، وكان على خراج الجزيرة وقضائها لعمر بن عبد العزيز . وكان بزازاً ، فكان يجلس فى حانوته ويتولى الخراج ، وكان عمر يقول فيه : « إذا ذهب هذا وضَرْبه صار الناس من بعده رِجراجة » . الرجراجة ، بالكسر : الرعاع والرذال . توفى سنة ١١٧ . تهذيب التهذيب ، والمعارف ١٩٨ ، وصفة الصفوة (٤ : ١٦٦) .

(٣) الشعر نسبه الجاحظ فى الحيوان (٧ : ١٦٤) إلى أخت ذى الرمة ، وفى (٦ : ٥٠٦) إلى أخى ذى الرمة . وذكر فى الحماسة (١ : ٣٢٨) أنه هشام بن عقبة يرثى أخويه : أوفى ، وذا الرمة . ونحوه فى الكامل ١٤٨ . والتحقيق أنه لمسعود أخى ذى الرمة يرثى ذا الرمة ، وابن عمه أوفى بن دلهم . انظر الأغانى (١٦ : ١٠٧) والشعراء لابن قتيبة .

(٤) غيلان هو اسم ذى الرمة ، وأوفى هو ابن عمه ، هـ : « ملآن مترع » ، وأشير فى حواشيها إلى رواية « بالماء » عن نسخة .

ولم تُنسِنِى أوفَى المصيباتُ بعدَه ولكِنَّ نَكْءَ القَرح بالقَرح أوجَعُ

وقال متمِّم :

قعيدَكِ أَلّا تُسمِعينى مَلامةً ولا تَنكَئِى قَرْحَ الفؤادِ فيِيجَعا (١)

وقال آخر (٢) :

قليلُ التَّشكِّى للمصيباتِ ذاكرٌ مِن اليوم أعقابَ الأحاديثِ فى غدِ

وقالوا : « أشدُّ من الموت ما يُتمنَّى له الموت » .

وقال الفرزدق وهو يصف طعنة :

يودّ لك الأدنَوْن لو مُتَّ قَبلَها يُرَونَ بها شراً عليك مِن القَتلِ

وقال : وقيل للأحنف : ما بلغ من حزمك ؟ قال : لا أَلِى ما كُفِيت ، ولا أُضيع ماوَليتُ .

وقال آخر : لا تقيموا ببلادٍ ليس فيها نهر جارٍ ، وسوقٌ قائمة ، وقاضٍ عَدْلٌ .

وقالوا : لا تُبنى المدن إلا على الماء والمرعَى والمُحتَطَب (٣) .

وقال مالك بن دينار (٤) : لربما رأيتُ الحجَّاج يتكلّم على مِنبره ، ويَذكُر
٣٤٩ حُسنَ صنيعِه إلى أهل العراق ، وسُوءَ صَنيعهم إليه ، حتّى إنَّه ليُخيَّل إلى السامع أنَّه صادقٌ مظلوم .

أبو عبد الله الثّقفىّ عن عمِّه قال : سمِعت الحسن يقول : لقد وقَذَتْنى كلمةٌ سمعتُها من الحَجَّاج . قلتُ : وإنَّ كلامَ الحجَّاج ليَقِذُك ؟ قال : نعم ، سمعتُه

(١) البيت فى الخزانة (١ : ٢٣٤) . وقصيدة متمم فى المفضليات (٢ : ٦٥ - ٧٠) . وقعيدك ، أى قعيدك الله ، هو من أيمان العرب ، كقولهم : نشدتك الله . نكأ القرحة : قشرها . وييجع ، بكسر الياء : لغة فى يوجع . انظر حواشى ص ١٦١

(٢) هو دريد بن الصمة . انظر الحماسة (١ : ٣٣٩) . وقصيدة البيت فى الأصمعيات ٢٣ - ٢٤ ليبسك .

(٣) انظر الحيوان (٥ : ٩٩) .

(٤) سبقت ترجمته فى (١ : ١٢٠) .

على هذه الأعواد يقول [١] : إنَّ أمرأً ذهبت ساعةٌ من عمره فى غير ما خُلِقَ له ، لَخليقٌ أن تطول عليها حسرتُه .

وقال بعضهم : ما وجدتُ [٢] أحداً أبلَغَ فى خيرٍ وشرٍّ من صاحب .

عبد الله بن سَلِمة [٣] . قال : دخل الزِّبرقانُ بن بدرٍ على زيادٍ وقد كُفَّ بصره ، فسلَّمَ تسليما جافياً ، فأدناه زيادٌ فأجلسه معه ، وقال : يا أبا عَيَّاش : القومُ يضحكون من جفائك ! قال : وإن ضحكوا فوالله إن منهم رجلٌ إلا يُودُّ [٤] أنّى أبوه دون أبيه لِغَيَّةٍ أو لِرَشْدةٍ [٥] .

وقال : ونظر هشامُ بن عبد الملك إلى قبر عثمان بن حيان المُرِّىّ [٦] فقال : جُثْوَةٌ من جُثَى النار [٧] .

قالوا : وكان يقال : صاحب السَّوءِ قطعةٌ من النار [٨] ، والسَّفر قِطْعةٌ من العذاب .

وقال بعضهم [٩] : عذابان لا يَكترِثُ لهما الداخل فيهما [١٠] : السَّفَر الطويل ، والبِناء الكبير [١١] .

---

(١) ل : « يقول على هذه الأعواد » .

(٢) فيما عدا ل : « وقال بعضهم : كان يقال ما وجدنا » .

(٣) ل ، هـ : « سلم » تحريف . وهو عبد الله بن سلمة المرادى الكوفى . فى الطبقة الأولى من فقهاء الكوفة بعد الصحابة . روى عن عمر وعلى وابن مسعود . وقال النسائى : لا أعلم أحد روى عنه غير عمرو بن مرة . انظر ترجمة كل منهما فى تهذيب التهذيب .

(٤) فيما عدا ل : « يود » .

(٥) لغية ، بفتح الغين وكسرها ، أى لزنية ، وهو نقيض قولك : لرشدة .

(٦) عثمان بن حيان المرى ، كان والياً على المدينة سنة ٩٤ من قبل الوليد بن عبد الملك ، ثم عزله سليمان سنة ٩٦ . الطبرى (٨ : ٩٢ ، ١٠٢) .

(٧) الجثوة ، مثلثة الجيم : الحجارة المجموعة .

(٨) بقية القول ساقط من هـ .

(٩) فيما عدا ل : « قال آخر وكان يقال » .

(١٠) ل : « لا يكترث لهما الرجل » .

(١١) ما عدا هـ : « الكثير » .

وقال رجلٌ من أهل المدينة : مَن ثَقُل على صديقه خَفَّ على عدوِّه ، ومَن أسرَعَ إلى النّاس بما يكرهون قالوا فيه بِما لا يعلمون .

وقال سهل بن هارون : ثلاثة يعودون إلى أجَنِّ المجانين ، وإن كانوا أعقَلَ العقلاء : الغضبان ، والغَيْران ، والسَّكران . فقال له أبو عَبْدان الشاعر المخلَّع [١] : ما تقول فى المنْعِظ ؟ فضحك حتَّى اسلَنْقى [٢] ،ثم قال :

وما شَرُّ الثلاثةِ أمَّ عمرٍو　　بصاحبك الذى لا تَصبَحينا

وقال أبو الدّرداء : « أقربُ ما يكونُ العبدُ مِن غضب الله إذا غَضِبَ » .

وقال : قال إياس [٣] : البُخْل قَيد ، والغَضَبُ جُنون ، والسُّكْر مفتاح الشرّ .

وقال بعض البُخَلاء : ما نَصَب الناس لشىء نَصْبَهم لنا [٤] ، هَبْهم يُلزِموننا الذّمَّ فيما بيننا وبينهم ، ما لهم يُلزموننا التقصيرَ فيما بيننا وبين أنفُسنا .

٣٥٠ قال : وقال إبراهيم بن عبد الله بن حسن لأبيه : ما شعر كُثَيِّرٍ عندى كما يصفُ النّاس [٥] . فقال له أبوه : إنك لم تَضَع كُثَيِّراً بهذا ، إنّما تضَع بهذا نَفْسَك .

قال : وأنشد رجل عمر بن الخطاب ، رحمه الله ، قولَ طَرَفة :

فلولا ثلاثٌ هُنَّ من عِيشة الفَتَى　　وجدِّك لم أُحفِلْ متى قام عُوَّدِى

فقال عمر : « لولا أنْ أسيرَ فى سبيل الله ، وأضَعَ جَبهتى لله ، وأُجالِسَ أقواما ينتقون أطايب الحديث كما ينتقون أطايب التَّمْرِ ، لم أبالِ أن أكُونَ قد مِتُّ [٦] » .

---

(١) ل : « الشاعر المخلع » .

(٢) فيما عدا ل ، هـ : « استلقى » ، وكلاهما بمعنًى .

(٣) ل : « قال إبليس » ، ما عدا ل : « قال ناس » ، ووجهه ما أثبت من حواشى هـ عن نسخة .

(٤) نصب فلان لفلان نصبا ، إذا قصد له وعاداه وتجرد له .

(٥) فيما عدا ل : « كما يصفه الناس » .

(٦) عيون الأخبار (١ : ٣٠٨) .

وقال عامر بن عبد قيس (١) . « ما آسَى من العراق إلا على ثلاث : على ظَمَإ الهواجر ، وتجاوُب المؤذّنين ، وإخوانٍ لى منهم الأسود بن كُلثوم (٢) » .

وقال آخر : « ما آسى من البَصْرة إلا على ثلاث : رُطَب السُّكَّر ، وليل الحَزِيز (٣) ، وحديث أبى بَكْرة (٤) » .

وقال سَهل بن هارون :

تكنّفنى همّانِ قد كَسَفا بالى ... وقد تركا قلبى مَحَلّةَ بَلْبالِ
هما أذْرَيا دمعى ولم تُذرِ عَبرتى ... ربيبةُ خِدرٍ ذات سِمْطٍ وخلخالِ (٥)
ولكنّنى أبكِى بعينٍ سَخينةٍ ... على جَلَل تبكى له عينُ أمثالى
فِراقُ خليلٍ ، أو شَجًى يستشِفُّنِى ... لِخَلَّةِ مَرْءٍ لا يقومُ لها مالِى (٦)
فوَاكبِدِى حَتّى متَى القلبُ موجَعٌ ... بفقدِ حبيبٍ أو تعذُّرِ إفْضالِ
وما العيشُ إلّا أن تَطُول بنائلٍ ... وإلّا لقاءُ الخِلِّ ذى الخُلُق العالِى (٧)

وقال آخر :

لولا ثلاثٌ هُنَّ عَيشُ الدَّهرِ ... الماءُ والنّومُ وأُمُّ عمرو
* لَمَا خَشيتُ مِن مضيقِ القَبْرِ *

قال : وقال الأحنف : أربعٌ من كُنَّ فيه كان كامِلاً ، ومن تعلّق بخَصلةٍ

---

(١) سبقت ترجمته فى (١ : ٨٣) .

(٢) مضت ترجمته فى (١ : ٣٦٣) .

(٣) الحزيز ، بزاءين معجمتين : موضع بالبصرة ، كما فى معجم البلدان وهامش التيمورية . وفى معجم ما استعجم : « هو الموضع الذى بين العقيق وأعلى المربد بالبصرة » . وهذا مافى ل . وفى هـ : « الحزبز » وسائر النسخ : « الحزير » .

(٤) ما عدا ل ، هـ : « أبى بكر » صوابه منهما ومن عيون الأخبار (١ : ٣٠٨) حيث ورد هذا الخبر وسابقه ، ومما سيأتى فى (٣ : ١٥٨) . وهذا استدراك لما وقع فى الطبعة الأولى .

(٥) هذا البيت والبيت قبله من ل فقط .

(٦) الخلة ، بالفتح : الحاجة . فيما عدا ل : « لخلة أمر » ، تحريف .

(٧) هـ : « لقاء الأخ » .

منهنّ كان مِن صالحى قومه : دِينٌ يُرشدُه ، أو عَقلٌ يُسَدِّدُه ، أو حسب يصونُه ، أو حياءٌ يَقناه [1] .

٣٥١ وقال : المؤمن بين أربع : مؤمنٍ يحسده ، ومنافق يُبغضه ، وكافر يجاهده ، وشيطان يَفتِنه . وأربع ليس أقلُّ منهن : اليقين ،والعدل ، ودرهمٌ حلال ، وأخٌ فى الله .

وقال الحسن بن علىّ : مَن أتانا لم يَعْدَم خصلةً من أربع : آية محكمةً ، أو قضيَّة عادلة ، أو أخا مستفاداً ، أو مجالسةَ العلماء [2] .

وقالوا : مَن أُعطِىَ أربعاً لم يُمْنَعْ أربعاً : مَن أُعطِىَ الشُّكرَ لم يُمنَع المَزِيد ، ومن أُعطى التّوبةَ لم يُمنع القَبول ، ومَن أُعطِىَ الاستخارة لم يُمنع الخِيَرة ، ومَن أُعطِىَ المشورةَ لم يَعْدَم الصَّواب [3] .

وقال أبو ذَرٍّ الغِفَارى : كان الناس ورقاً لا شوكَ فيه ، فصاروا شوكاً لا ورَق فيه [4] .

وقالوا : تعامَلَ النَّاس بالدِّين حتى ذهبَ الدِّين ، وبالحياءِ حتَّى ذهب الحياء ، وبالمروءة حتّى ذهبت المروءة ، وقد صاروا إلى الرّغبة والرهبةِ ، وأَحْرِ بهما أن يذهبا .

وقال بعضهم : دَعَا رجلٌ علىَّ بن أبى طالبٍ رضى الله عنه إلى طعام ، فقال : نأتيك على أن لا تتكلّفَ لنا ما ليس عندك ، ولا تدّخر عَنَّا ما عِندَك [5].

وقال آخر : كان شيخ يأتى ابنَ المقفّع ، فألحّ عليه يسأله الغَدَاء عنده وفى ذلك يقول : إنَّك تظنُّ أنّى أتكلّف لك شيئاً ؟ لا والله لا أُقدِّم إليك إلّا ما عندى . فلما أتاه إذَا ليس عنده [6] إلّا كِسرةٌ يابسة ومِلحٌ جَرِيش . ووقف سائلٌ

(١) ل : « وعقل .. وحسب .. وحياء » . قنى الحياء ، كرضى ورمَى : لزمه .

(٢) ل : « وقضية .. وأخا .. ومجالسة » ، أى بالواو بدل « أو » .

(٣) فيما عدا ل : « لم يمنع الصواب » .

(٤) نسب فى (٣ : ١٢٧) إلى أبى الدرداء .

(٥) هذه الجملة من ل ، هـ فقط .

(٦) فيما عدا ل : « ليس فى منزله » .

بالباب فقال له : بُورِك فيك ! فلمّا لم يذهب قال : والله لئن خرَجْتُ إليك لأدُقّنّ ساقيك ! فقال ابن المقفّع للسّائل : إنّك لو تعرِفُ مِن صدق وعيده مثلَ الذى أعرِفُ مِن وَعْده لم تُرَادَّه كلمةً ، ولم تَقِفْ طَرفَةً (١) .

قال : وكان يقال : أوّل العلم : الصَّمت ، والثانى : الاستماع ، والثالث : الحفْظ ، والرابع : العمل به ، والخامس : نَشْره .

وقال آخر : كان يقال : لا وَحْشة أوحَشُ من عُجبٍ ، ولا ظَهيرَ أعون من مشورة ، ولا فقْرَ أشدُّ من عدم العقل .

وقال مُوَرِّقٌ العِجْلى (٢) : ضاحكٌ معترِفٌ بذنبه ، خيرٌ من باكٍ مُدِلٍّ على ربّه (٣) .

وقال : خير من العُجْب بالطاعة ، ألّا تأتىَ بالطاعة (٤) .

وقال شَبيبٌ لأبى جعفر : إنّ الله لم يجعل فوقَكَ أحداً ، فلا تجعلنَّ فوق ٥٢ شُكرك شكراً .

وقال آخَر لأبى جعفرٍ فى أوّلِ رَكْبةٍ ركبها : إن الله قَدْ رأى ألَا يجعل أحداً فوقك (٥) ، فَرَ نفسَك أهلاً ألا يكونَ أحدٌ أطوَعَ لله منك .

وسَفِهَ رجلٌ على ابنٍ له فقال له ابنهُ : والله لَأَنا أشْبَه بك منك بأبيك ، ولأنت أشدُّ تحصيناً لأمى من أبيك لأمّك .

وقال عمرو بن عُبيد لأبى جعفر : إنّ الله وَهَب لك الدُّنيا بأسْرِها ، فاشتَرِ نَفْسك (٦) منه ببعضها .

---

(١) ما عدا ل : « مثل ما أعرف » والخبر فى البخلاء ١١٠ والعقد (٦ : ١٨٦) .

(٢) سبقت ترجمته فى (١ : ٣٥٣) .

(٣) هـ : « من الباكى المدل على ربه » .

(٤) فيما عدا ل ، هـ : « ألا يأتى » . وفى ل : « خ : بطاعة » إشارة إلى نسخة . وهى رواية ما عدا ل . وهذا الخبر وسابقه سيعادان فى (٣ : ١٥٨) .

(٥) ل : « قدر ألا يجعل فوقك أحداً » .

(٦) فيما عدا ل ، : « فاشتر لنفسك » .

وقال الأحنف : ثلاثة لا أناةَ فيهنَّ عندى . قيل : وما هُنَّ يا أبا بحر ؟ قال : المبادرة بالعمل الصالح ، وإخراجُ ميِّتك ، وأن تُنكح الكفءَ أيِّمَك .

وكان يقول : لَأُفعَى تَحَكَّكُ فى ناحيةِ بيتى أحبُّ إلىّ من أيِّم رددتُ عنها كُفْئاً .

وكان يقال : ما بَعد الصَّواب إلا الخطأ ، وما بعد منْعهنَّ من الأكفاء إلاّ بذلُهنّ للسِّفلة والغَوغاء .

وكان يقال : لا تطلُبوا الحاجة إلى ثلاثة : إلى كذوب ؛ فإنّه يُقَرِّبُها وإن كانت بعيدة ، ويباعدها وإن كانت قريبة . ولا إلى أحمَق ؛ فإنّه يريد أن ينفعك فيضرُّك . ولا إلى رجلٍ له إلى صاحب الحاجة حاجة ؛ فإنه يجعل حاجتَك وِقايةً لحاجته .

وكان الأحنف بن قيس يقول : لا مُروءة لكَذُوب ، ولا سُؤدد لبخيل ، ولا ورَعَ لِسيِّئ الخلق .

وقال الشَّعبى : عليك بالصِّدق حيثُ تُرى أنّه يضرُّك ؛ فإنّه ينفعك . واجتنب الكذب فى موضعٍ ترى أنّه ينفعُك ؛ فإنّه يضرّك .

وقالوا : لا تصرِفْ حاجتك إلى مَن معيشته من رءوس المكاييل (١) ، وألسنة الموازين .

وقالوا : تفرَّدَ (٢) الله عَزَّ وجل بالكمال ، ولم يبرِّئ أحداً من النُّقصان .

قالوا : وقال عامر بن الظَّرِب العَدْوانىّ (٣) : « يا مَعْشَر عَدْوان ، إن الخيرَ ألوفٌ عَزوف ، ولن يُفارق صاحبَه حتّى يفارقَه ، وإنِّى لم أكنْ حليماً حتّى اتّبعت الحلماء ، ولم أكن سيّدَكم حتّى تعبَّدْت لكم » .

---

(١) ل : « المكاتل » ولكنها لا تساوق النص . والمكاتل : جمع مِكتل ، وهو شبه الزنبيل يسع خمسة عشر صاعا .

(٢) هـ : « انفرد » .

(٣) سبق بعض الخطبة التالية والإشارة إلى مراجعها فى (١ : ٤٠١) .

وقال الأحنف : « لَأَنْ أُدْعَى مِن بعيد ، أحبُّ إلىّ من أن أُقْصَى من قريب » .

وكان يقال : إيّاك وصدرَ المجلس وإنْ صَدَّرَك صاحبُه ؛ فإنّه مجلسُ قُلْعةٍ [١]. ٣٥٣

قال : وقال زيادٌ : ما أَتَيْت مجلساً قطُّ إلاّ تركتُ منه ما لو أخذتُه كان لى . وتركُ ما لى ، أحبُّ إلىَّ مِن أخْذِ ما ليس لى .

وقال الأحنف : ما كشَّفتُ أحداً عن حالى عنده إلاّ وجدتُها دونَ ما كنتُ أظنُّ .

قال : وأثْنَى رجلٌ على علىّ بن أبى طالب فأفرط ، وكان علىٌّ له متَّهِماً ، فقال : أنا دون ما تقول ، وفوقَ ما فى نفسِك .

قال : وكان يقال : خمس خصال تكونُ فى الجاهل : الغضَب فى غير غضب ، والكلام فى غير نَفْع ، والعطيَّة فى غير موضع ، والثقةُ بكلّ أحد ، وألاّ يعرفَ صديقَه من عدوّه .

وأثنَى أعرابىٌّ على رجل فقال : إنْ خَيرك لسريع ، وإن مَنْعَك لمُرِيح ، وإنّ رِفدك لربيح [٢] .

وقال سَعيد بن سَلْم [٣] كنت والياً بأَرمِينيَة ، فغَبَر أبو دُهْمان الغَلَّابى [٤]

---

(١) القلعة : بالضم : التحول والارتحال .

(٢) سبق هذا الكلام فى (١ : ٢٩٨) .

(٣) فيما عدا ل ، هـ : « مسلم » ، تحريف . وقد سبقت ترجمة سعيد فى ص ٤٠ .

(٤) غبر : بقى ومكث. وأبو دهمان الغلابى : شاعر من شعراء البصرة ممن أدرك دولتى بنى أمية وبنى هاشم ، ومدح المهدى . وكان طيبا ظريفا مليح النادرة . وهو القائل لما ضرب المهدى أبا العتاهية بسبب عشقه عتبة :

لولا الذى أحدث الخليفة فى الـ ... ـعشاق من ضربهم إذا عشِقوا
لبحت باسم الذى أحب ولكنـ ... ـى امرؤ قد ثنانىَ الفَرَق

الأغانى (١٩ : ١٥١) . و « دهمان » بضم الدال . وفى النسخ : « زهمان » ، محرف . والغلابى بتشديد اللام كما فى السمعانى . فيما عدا ل ، هـ : « العلانى » تحريف . وانظر الحيوان (٧ : ٢٣٧) .

عَلَى بابِى أيّاما ، فلما وصل إلىّ مَثَل بين يدىَّ قائِماً بين السِّماطَين وقال :

« والله إنى لَأعرفُ أقواماً لو علموا أنّ سَفَّ التُرابِ يقيم من أُوَد أصلابهم لجعلوه مُسْكَةً لأرْماقِهِم (١) ؛ إيثاراً للتنزُّه عَن عيشٍ رقيق الحواشى (٢) . أمَا والله إنّى لَبعيدُ الوَثْبة ، بطىءُ العَطفة (٣) . وإنّه والله ما يَثْنينى عليك إلاّ مِثْل ما يصرِفُنى عنك . ولَأَنْ أكون مُقِلاً مقرَّباً أحبُّ إلىَّ مِن أن أكون مُكْثِراً مُبعَدا . والله ما نسأل عملاً لا نَضْبِطه ، ولا مالاً إلاّ ونحن أكثَرُ منه . وهذا الأمرُ الذى صار إليك وفى يديك ، قد كان فى يَدَىْ غيرِك ، فأمْسَوا والله حديثاً ، إنْ خيراً فخيرٌ وإنْ شرًّا فشرّ . فتحبَّبْ إلى عباد الله بحُسْن البِشْر ، ولِين الجانب ؛ فإنّ حبَّ عبادِ الله موصولٌ بحبِّ الله ، وبُغضَهم موصولٌ ببُغض الله ؛ لأنَّهم شهداءُ الله على خَلْقه ، ورُقَباؤه على من عاج عن سبيله (٤) » .

ودخل عُتْبة بن عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، عَلَى خالد ابن عبد الله القَسرىّ بعد حجابٍ شديد ، وكان عُتبةُ سخيًّا ، فقال خالدٌ يعرِّض به : إنّ هاهنا رجالاً يَدَّانُون فى أموالهم ، فإذا فَنِيت ادّانوا فى أعراضهم . فعلم القُرَشىُّ (٥) أنّه يعرِّض به ، فقال القرشى (٦) : أصْلَحَ اللهُ الأمير ، إن رجالاً من الرِّجال تكون أموالُهم أكثَرَ من مُروءاتهم ، فأولئك تَبقى لهم أموالُهم ، ورجالاً تكون مروءاتُهم أكثَرَ من أموالهم ، فإذا نَفِدَت ادَّانُوا عَلَى سَعِة ما عندَ الله ! ٣٤٥
فخجل خالدٌ وقال : إنّك لِمنهم ما علمت !

---

(١) الأرماق : جمع رمق ، بالتحريك ، وهو بقية الحياة . فيما عدا ل ، هـ : « لازماً فيهم » ، تحريف . وانظر رسائل الجاحظ (٢ : ٤٢) بتحقيقنا .

(٢) التنزه : الابتعاد .

(٣) العطفة : الرجعة .

(٤) عاج : رجع . فيما عدا ل : « اعوج عن سبيله » .

(٥) القرشى ، هو عتبة بن عمر ، فإنه مخزومى ، ومخزوم من قريش ، هو مخزوم بن يقظة بن مرة ابن كعب بن لؤى بن غالب . جـ والتيمورية : « القسرى » تحريف . وفى ب : « عتبة » مع أثر تصحيح .

(٦) هذه الكلمة فى ل فقط .

قال : وقيل لعبد الله بن يزيد بن أسد بن كُرْز (١) : هلّا أجبتَ أمير المؤمنين إذْ سألك عن مالك ؟ فقال : إنّه كان لا يعدو إحدى حالتين (٢) : إن استكثَرَه حسَدنى ، وإن استقلّه حَقَرنى .

أبو الحسن قال : وعَظَ عُروةُ (٣) بَنيه فقال : « تعلمُوا العلم فإنّكم إن تكونوا صغارَ قومٍ فعسى أن تكونوا كبارَ قومٍ آخرين » . ثم قال : « النّاس بأزمانهم أشبَهُ منهم بآبائهم . وإذا رأيتم من رَجُل خَلّة (٤) فاحْذروه ، واعلموا أنّ عنده لها أَخَوات » .

قال : وقال رجلٌ لرجل (٥) : هَبْ لى دُرِيهماً . قال : أتصغِّره ، لقد صغَّرت عظيما ! الدّرهم عُشر العَشَرَة ، والعَشَرة عُشْر المائة ، والمائة عُشر الألْف ، والألْف عُشر الدِّيَة .

قال الأصمعىّ : خرجَتْ بالدارمىّ (٦) قَرحةٌ فى جوفه ، فبَزَق بَزقةً خضراء ،

---

(١) عبد الله هذا هو والد خالد بن عبد الله بن يزيد القسرى ، المترجم فى (١ : ٣٠٩) . والخبر بتمامه فى الكامل ١١٠ ليبسك : « وكان عبد الله بن يزيد أبو خالد من عقلاء الرجال ، قال له عبد الملك يوما : ما مالك ؟ فقال : شيئان لا عيلة على معهما : الرضا عن الله ، والغنى عن الناس . فلما نهض من بين يديه قيل له : هلا خبرته بمقدار مالك ؟! فقال : لم يعد أن يكون قليلا فيحقرنى ، أو كثيرا فيحسدنى » . فيما عدا ل ، هـ : « بن كوز » تحريف ، انظر ضبط نسبه فى ترجمة ابن خلكان لخالد بن عبد الله القسرى .

(٢) كان لا يعدو إحدى حالتين ، من ل فقط .

(٣) هو عروة بن الزبير بن العوام .

(٤) الخلة ، بالفتح : الخصلة . أراد خلة مستهجنة .

(٥) المسئول خالد بن صفوان ، كما فى كتاب البخلاء ١٢٦ . قال : سأل خالد بن صفوان رجل فأعطاه درهما ، فاستقله السائل : يا أحمق إن الدرهم عشر العشرة » إلخ .

(٦) اسمه سعيد الدارمى ، كما ذكر أبو الفرج فى الأغانى (٢ : ١٧٥) ، حيث ساق الخبر التالى . وهو أحد شعراء أهل مكة وظرفائهم وأصحاب الغناء . كان فى أيام عمر بن عبد العزيز وهو الذى روج لصديقه التاجر الكوفى تجارته فى الخمر السود ، بما أشاع من غنائه وقوله :

قل للمليحة فى الخمار الأسود ... ماذا صنعتِ براهب متعبد
قد كان شمر للصلاة ثيابه ... حتى وقفتِ له بباب المسجد

قالوا : فلم تبق فى المدينة ظريفة إلا ابتاعت خماراً أسوَد ، حتى نفد ما كان مع التاجر منها .

فقيل له : قد بَرَأْتَ ، إذْ قد بَرَقْتَها خضْراء (١) . قال : والله لو لم تَبْقَ فى الدُّنيا زمرُّدةٌ خضراء إلّا بزقتُها لمَا نجوتُ (٢) .

مرّ الوليد بنُ عبدِ الملك بمعلّم صبيان فرأى جاريةً فقال : ويلكَ ما لهذه الجارية ؟ فقال : أعلِّمُها القرآن . قال : فليكن الذى يعلِّمُها أصغَرَ منها .

إسحاق بن أيُّوب قال : هرب الوليدُ بن عبد الملك من الطّاعون ، فقال له رجلٌ : يا أمير المؤمنين . إنّ الله يقول : ﴿ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ المَوْتِ أَوِ القَتْلِ وَإِذًا لا تُمَتَّعُونَ إلاَّ قَلِيلاً ﴾ . قال : ذلك القليلَ نُريد .

وهرب رجلٌ من الطّاعون إلى النَّجَف ، أَيّامَ شُرَيح (٣) . فكتب إليه شُريح : « أمَّا بعد فإنَّ الفِرار لن يُبعِدَ أجَلا ، ولن يكثِّر رِزقا . وإن المُقامَ لن يقرِّب أجلا ، ولن يقلِّل رزقا . وإنَّ مَنْ بالنَّجَف (٤) مِنَ ذى قُدرةٍ لقريب » .

قالوا : ودخل على الوليد فتىً من بنى مخزوم ، فقال له : زوّجْنى ابنتَك . فقال له : هل قرأْت القرآن ؟ قال : لا . قال : أَدْنُوه منِّى . فأدنَوه فضَرَب عمامتَه بقضِيبٍ كان فى يده ، وقَرَعَ رأسَه به قَرَعات ، ثمَّ قال لرجل : ضُمَّه إليك فإذا قرأَ القرآنَ زوَّجنْاه (٥) .

ولما استَعمل يزيدَ بن أبى مسلمٍ (٦) بعد الحجَّاج قال : أنا كمن سَقَط منه (٧) درهمٌ فأصابَ دينارا .

---

(١) فى الأغانى : « فقال له : أبشر ، قد اخضرت القرحة وعوفيت » .

(٢) فيما عدا ل : « ما نجوت » .

(٣) شريح بن الحارث القاضى المشهور ، ترجم فى (١ : ٢٦٣) .

(٤) ل : « وإن النجف » .

(٥) كلمة « القرآن » من ل فقط . فى هـ : « فإذا اقرأه » .

(٦) انظر ترجمة يزيد بن أبى مسلم فى (١ : ٣٩٥) .

(٧) ل : « عنه » . وفى هـ : « فوجد دينارا » .

وقال (١) ليزيدَ بن أبى مُسْلم : قال أبى للحجَّاج (٢) : إنَّما أنت جلدةُ ما بين عينَىّ (٣) ! قال الوليد : يا يزيد (٤) ، وأنا أقول : أنت جلدةُ وجهى كلِّه . ٣٥٥

ومع هذا إنّه صعِد المنبر فقال : علىٌّ بن أبى طالبٍ لُصٌّ ابنُ لُصّ ، صُبَّ عليه شُؤبوبُ عذاب . فقال أعرابىٌّ كان تحتَ المنبر : ما يقول أميركم هذا ؟!

وفى قوله لُصٌّ ابنُ لُصٍّ أعجوبتان : إحداهما رَمْيُه علىَّ بن أبى طالب أنّه لِصّ ، والأخرى أنّه بلغ مِن جَهله ما لم يَجهلْه أحد ، أنّه ضم اللام من لِصّ (٥).

بَكر بن عبد العزيز الدِّمشقىّ (٦) ، قال : سمعت الوليدَ بن عبد الملك على المِنبر ، حين ولِىَ الخِلَافة ، وهو يقول : « إذا حَدَّثْتُكم فكذَبْتكم فلا طاعَةَ لى عليكم ، وإذا وعدتكم فأخلفتكم فلا طاعةَ لى عليكم ، وإذا أغزيتُكم فجمَّرتكم فلا طاعة لى عليكم (٧) » . فيقول مثلَ هذا الكلام ثمّ يقول لأبيه : « يا أمير المؤمنين ، اقتلْ أبى فُدَيك (٨) ». وقال مرَّة أخرى : « يا غلامُ رُدَّ الفَرَسانِ الصَّادَّان عن المَيدان » .

---

(١) وقال ، أى الوليد . انظر ما سيأتى فى ص ٢٠٧ ، وفى النسخ ما عدا هـ : « وقيل » ، تحريف .

(٢) أبى ، أى عبد الملك . ل : « قال لك الحجاج » ، تحريف .

(٣) يقال هو جلدة ما بين العينين ، أو ما بين العين والأنف ، أى هو مثلها فى مكان العزة والقرب . وقال عبد الله بن عمر ، وكان يلام فى شدة حبه لابنه سالم :

يديروننى عن سالم وأديرهم ... وجلدة بين العين والأنف سالم

انظر اللسان (حوز ٢٠٩ ، سلم ١٩١) ، وثمار القلوب ١٧٤ والمعارف ٧٠ .

(٤) قال الوليد يا يزيد ، من ل فقط .

(٥) الحق أن ضم اللام لغة .

(٦) ترجم له ابن عساكر فى تاريخ دمشق (٧ : ١٣٣) نسخة المكتبة التيمورية ، وذكر أنه روى عن أبيه عبد العزيز ، وعمه عبد الغفار بن إسماعيل ، وروى عنه عبد الرحمن بن يحيى .

(٧) الكلمتان الأخيرتان ساقطتان من حـ . أغزيتكم : أخرجتكم للغزو . وتجمير الجيش : حبسه فى أرض العدو ، ومنعه من الرجوع .

(٨) ل : « قتل أبى فديك » . وأبو فديك الخارجى ، هو عبد الله بن ثور بن سلمة ، من بنى سعد بن قيس ، من بكر بن وائل . المعارف ١٨٥ . وكان خروجه على عبد الملك فى سنة ٧٢ . الطبرى =

قال : وقال عبد الملك : أضَرَّ بالوليد حبُّنا له ، فلم نوجِّهْه إلى البادية (١) .

قال : ولَحَن الوليدُ على المنبر فقال الكَرَوَّس : لا والله إن رأيتُه على هذه الأعواد قطُّ فأمكنني أن أملأً عينى منه ، مِن كثرته فى عينى ، وجَلالته فى نفسى (٢) . فإذا لَحَن هذا اللّحنَ الفاحشَ صار عندى كبعض أعوانه .

وصلّى يوماً الغداةَ فقرأ السُّورة التى تُذكَر فيها الحاقّة فقال : « يا ليتُها كانت القاضِيَة » ، فبلغَتْ عمرَ بنَ عبدِ العزيز فقال : أمَا إنَّه إنْ كان قالها إنّه لَأَحَدُ الأَحَدِين (٣) .

قالوا : وكان الوليد ومحمد ، ابنا عبد الملك ، لحّانَين ، ولم يكن فى ولده أفصحُ من هشام ومَسْلَمة .

قال : وقال صاحب الحديث الأوّل (٤) : أخبرنى أبى ، عن إسحق بن قَبِيصة (٥) قال : كانت كتبُ الوليد تأتينا ملحونة ، وكذلك كُتُبُ محمَّد ، فقلت لمولَى محمّد : ما بالُ كُتُبِكم تأتينا ملحونة وأنتم أهلُ الخِلافة ؟! فأخبره المولَى بقولى ، فإذا كتابٌ قد وَرَد علَىَّ : « أمَّا بعدُ فقد أخبرنى فلانٌ بما قلتَ ، وما أحسبك تشكُّ أنّ قريشاً أفصح من الأشْعرِين (٦) . والسّلام » .

= (٧ : ١٩٤) . وقد وجه إليه عبد الملك أمية بن عبد الله بن خالد ، فهزمه أبو فديك وفضحه وأخذ أثقاله وحرمه ، ثم وجه إليه عمر بن عبيد الله بن معمر ، فلقى أبا فديك بالبحرين ، فقتل أبا فديك واستنقذ منه حرم أمية بن عبد الله سنة ٧٤ . اليعقوبى (٣ : ١٨) والطبرى (٧ : ٢٠٥) .

(١) العقد (٢ : ٤٨) .

(٢) هاتان الكلمتان من ل فقط .

(٣) يقال هو أحد الأحدين ، وواحد الآحاد ، أى إنه واحد لا مثل له . اللسان (وحد ٤٤٦) . وفى حواشى هـ : « لأحد الأحدين ، أى لأحد اللحانين » .

(٤) هذه الكلمة من ل ، هـ فقط . يعنى بذلك بكر بن عبد العزيز الدمشقى .

(٥) فيما عدا ل ، هـ : « قصبية » تحريف . وهو إسحاق بن قبيصة بن ذؤيب الخزاعى الشامى . أحد ثقات المحدثين ، وكان ممن غزا مع معاوية ، وكان على ديوان الزمْنَى فى أيام الوليد ،ثم صار عاملا لهشام بن عبد الملك على الأردن . تهذيب التهذيب .

(٦) يقال الأشعَرون بحذف ياء النسب ، كما يقال يمانون . ل : « الأشعريين » ، والأشعر أبو قبيلة من اليمن ، وهو أشعر بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان .

ومن بنى صَرِيم : الصُّدَىُّ بن الخَلَق ، وفَدَ به الحجّاج على الوليد بن عبد الملك ، فقال له : ممّن أنت ؟ قال : من بنى صَرِيم . قال له : ما اسمُك ؟ قال : الصُّدَىُّ بن الخَلَق . قال : دُعًّا فى عنقه (١) ! خارجىٌّ خبيث .

هذا يدلُّ على أنّ عامّةَ بنى صَرِيم كانوا خوارج ، وكان منهم البُرَك ٣٥٦
الصّرِيمىّ (٢) ، واسمه الحجّاج ، وهو الذى ضَرَب معاويةَ بالسيف . وله حديث . والخَزْرج بن الصُّدَىّ بن الخَلَق ، كان خطيباً . وقال الشّاعر فى بنى صَرِيم :

أصَلِّى حيثُ تدرِكُنى صلاتى ... وبئس الدِّينُ دينَ بنى صَرِيم (٣)
قياماً يطعُنون على مَعَدٍّ ... وكُلّهمُ على دين الخَطِيم

والخَطيم باهلىٌّ (٤) .

قال الأصمعىُّ وأبو الحسن : دخل على الوليد بن عبد الملك شيخانِ ، فقال أحدهُما : نَجِدُك تملك عشرين سنة . وقال الآخر : كذبتَ بل نجده يملك ستّين سنة (٥) . قال : فقال الوليد : ما الذى قال هذا لائطٌ بصَفَرِى (٦) ، ولا ما قال هذا يغُرُّ مثلى .

---

(١) الدع : الدفع العنيف . وضبط فى ب « دعا » على المصدرية .

(٢) هو الحجاج بن عبد الله الصريمى ، كان أحد الثلاثة الذين عهد إليهم بقتل على ومعاوية وعمرو بن العاص فى ليلة ، ثانيهم : عبد الرحمن بن ملجم الذى تكفل بقتل على ، وثالثهم : عمرو بن بكر التيمى الذى نصب نفسه لعمرو . وقد ضرب البرك معاوية مصليا ، فأصاب مأكمته ، وقبض عليه فقال لمعاوية : إن عندى خبرا أسرك به ، فإن أخبرتك فنافعى ذلك عندك ؟ قال : نعم . قال : إن أخا لى قتل عليا فى مثل هذه الليلة . قال : فلعله لم يقدر على ذلك . قال : بلى إن عليا يخرج ليس معه من يحرسه . فأمر به معاوية فقتل . الطبرى (٦ : ٨٦) وكتب التاريخ فى حوادث سنة ٤٠ .

(٣) ل : « وليس الدين » .

(٤) فى الاشتقاق ١٦٧ : « ومن رجالهم الخطيم ، كان أول خارجى فى زمن عبد الله بن عامر » . وكان ذلك سنة ٤١ كما ذكر الطبرى وابن الأثير . وسماه الطبرى وابن الأثير يزيد بن مالك . قال : ابن الأثير : « وإنما قيل له الخطيم لضربة ضربها على وجهه » . وقد خرج الخطيم مرة أخرى سنة ٤٦ وقتل فى تلك السنة بأمر زياد .

(٥) فيما عدا ل ، هـ : « بل نجدك تملك ستين سنة » .

(٦) الصفر ، بالتحريك : الروع ولب القلب . لائط : عالق لازق .

واللهِ لأجمعنَّ المالَ جمعَ من يعيش أبداً ، ولأفرِّقنَّه تفريقَ مَن يموت غداً .

وخطب الوليد فقال : إنَّ أمير المؤمنين عبدَ الملك كان يقول : إنّ الحجَّاج جلدةُ ما بين عينَيَّ ، ألَا وإنّه جلدة وجهى كُلِّه [١]

آخر الجزء الأول من كتاب البيان والتبيُّن ، ويتلوه فى النصف الثانى :

« باب اللحن : حدثنا غنام أبو على عن الأعمش عن عمارة بن عمير . الحمد لله وحده وصلى الله على محمد النبى وعلى آله » .

وافق الفراغ من كتابته يوم الجمعة تاسع ذى الحجة من سنة ثلاث وثمانين وستمائة . علقه الفقير إلى الله أحمد بن سلامة بن سالم المعرى ، حامداً لله على نعمه وعونه ، ومصلياً على نبيه محمد وآله ومسلماً [٢] .

---

(١) انظر ما سبق فى ٢٠٤ .

(٢) هذه خاتمة نسخة الأصل وهى ل . أما خاتمة ب ، جـ والتيمورية فهى : « تم الجزء الأول من البيان والتبيين » . وخاتمة هـ : هنا كمل نصف الديوان بحمد الله .

الجزء الثاني

البيان والتبيين

تأليف

أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، وسلام على عباده الذين اصطفى

باب اللحن

حدَّثنا عَثَّامٌ أبو على [١] عن الأعمش ، عن عُمارة بن عُمير [٢] ، قال : كان أبو معمر [٣] يحدِّثنا فيلحن ، يتّبع ما سَمِع .

أبو الحسن قال : أوفد زيادٌ عبيدَ الله بنَ زيادٍ إلى معاوية ، فكتب إليه معاوية : « إنَّ ابنَك كما وصفت ، ولكنْ قوِّمْ من لسانه » . وكانت فى عُبيد الله لُكنةٌ ؛ لأنه كان نشأ بالأساورة [٤] مع أُمِّه « مَرجانة » ، وكان زيادٌ قد زَوَّجَها من شِيرَويه الأُسوارىّ [٥] وكان قال مَرَّة : افتحوا سيوفكم [٦] » ، يريد: سُلّوا سيوفكم ، فقال يزيد بن مفرِّغ [٧] :

---

(١) هو أبو على عثام بن على بن هجير الكوفى ، روى عن الأعمش وهشام بن عروة والثورى ، وكان من ثقات أهل الحديث ،توفى سنة ١٩٥ . تهذيب التهذيب . ل : « غنام أبو على » ، وفيما عدا ل : « هشام أبو يحيى » ، كلاهما محرف عما أثبت .

(٢) هو عمارة بن عمير التيمى الكوفى . روى عن جماعة منهم أبو معمر عبد الله بن سَخبرة الأزدى ، توفى سنة ٩٨ . تهذيب التهذيب .

(٣) هو أبو معمر عبد الله بن سخبرة الأزدى الكوفى . روى عن عمر ، وعلى ، وابن مسعود ، وعنه عمارة بن عمير ، ومجاهد ، وإبراهيم النخعى . توفى فى ولاية عبيد الله بن زياد . تهذيب التهذيب .

(٤) الأساورة : قوم من العجم بالبصرة نزلوها قديما ، كالأحامرة بالكوفة .

(٥) زاد ابن قتيبة فى المعارف ١٥١ : « ودفع إليها عبيد الله » .

(٦) ذكر أبو الفرج فى الأغانى (١٧ : ٦٦) أن الذى قال هذه الكلمة هو عباد بن زياد ، أخو عبيد الله بن زياد . قال : « وكان عباد فى حروبه ذات ليلة نائما فى عسكره ، فصاحت بنات آوى ، فثارت الكلاب ونفر بعض الدواب ، ففزع عباد وظنها كبسة من العدو ، فركب فرسه ودهش فقال : « افتحوا سيفى » .

(٧) سبقت ترجمته فى (١ : ١٤٣) .

ويومَ فتحتَ سيفَك مِن بعيدٍ   أضَعْتَ وكلُّ أمرِك للضَّياعِ

ولما كلَّمه سُويد بن مَنجوف (١) فى الهَثْهات بن ثَور (٢) ، وقال له : يا ابن البَضْراء (٣) ! قال له سُويد : كذبت [على (٤)] نساءِ بنى سَدُوس . قال : اجلس على استِ الأرض . قال سويد : ما كنت أُحسِب أنّ للأرض استاً !

قالوا : وقال بِشْر بن مروان (٥) ، وعندُه عُمَر بن عبد العزيز ، لغلامٍ له : ادْعُ لى صالحاً . فقال الغلام : يا صالحاً . فقال له بشر : أَلقِ منها أَلِفْ . قال له عُمَر : وأنت فزِدْ فى أَلِفك أَلِفا (٦) .

وزعم يزيدُ مولى ابن عون ، قال : كان رجلٌ بالبصرة له جاريةٌ تسمَّى ظَمياء ، فكان إذا دعاها قال : يا ضَمياء ، بالضاد . فقال ابنُ المقفَّع : قل : يا ظَمياء . فناداها : يا ضَمياء . فلماّ غيّر عليه ابنُ المقفَّع مرّتين أو ثلاثاً قال له : هى جاريتى أو جاريتك ؟

قال نصر بن سيار (٧) : لا تُسمِّ غلامَك إلا باسم يخفُّ على لسانك .

وكان مُحمَّد بن الجهم ولّى المكّىَّ (٨) صاحبَ النّظَّام ، مَوضِعاً من مواضع

---

(١) سبقت ترجمة سويد بن منجوف السدوسى فى (١ : ٣٢٦) .

(٢) ل : « والهثات بن ثور » ، وفى الاشتقاق ٣٢٧ : « الهثات أحد رجال بنى تميم » .

(٣) البضراء : الطويلة البضر ، والبضر ، بفتح الباء وسكون الضاد : لغة فى البظر ، وهى هنة بين الإسكتين . فيما عدا ل : « البظراء » .

(٤) هذه الكلمة ساقطة من ل ، هـ والتيمورية : وجاءت فى ب مع علامة إلحاق ، وهى فى صلب حـ .

(٥) هو أبو مروان بشر بن مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس . وكان أخوه عبد الملك بن مروان قد ولاه على الكوفة ، ثم ضم إليه البصرة بعد عزله خالد بن عبد الله القسرى ، فشخص إليها وشرب الأذريطوس ، ومات بها بعد قليل . وهو أول أمير مات بالبصرة . المعارف ١٥٥ والطبرى (٧ : ٢٠٦ – ٢٠٧) .

(٦) الخبر برواية أخرى فى العقد (٢ : ٤٨٠) .

(٧) سبقت ترجمته فى (١ : ١٥٨) .

(٨) أورد له الجاحظ أخباراً كثيرة فى الحيوان ولم يصرح باسمه .

كَسكر ، وكان المكىُّ لا يحسن أن يسمِّىَ ذلك المكان ولا يتهجّاه ، ولا يكتبه ، وكان اسم ذلك الموضع شَانَمَثْنَا (١) .

وقيل لأبى حنيفة : ما تقول فى رجلٍ أخذ صخرةً فضرب بها رأسَ رجلٍ فقتله ، أتُقِيدُه به ؟ قال : لا ولو ضَرَب رأسَه بأبا قُبيس (٢) .

وقال يوسف بن خالد السَّمْتىّ (٣) ، لعمرو بن عُبيد : ما تقول فى دَجاجة ٣
ذبحت من قفائها ؟ قال له عَمرو : أحْسِنْ . قال : مِن قفاؤُها . قال : أحسِنْ . قال : من قفاءَها . قال عمر : ما عنّاك بهذا ؟ قُلْ : مِن قَفاها واستَرِحْ (٤) .

قال : وسمعت من يوسف بن خالد يقول : لا ، حَتّى يَشِجَّهُ ، بكسر الشين . يريد : حتّى يشُجّه ، بضم الشين .

وكان يوسف يقول : هذا أحَمرُ من هذا . يريد : هذا أشدُّ حمرة من هذا .

وقال بِشْرٌ المريسىّ (٥) : « قَضى الله لكم الحوائجَ على أحسن الوجوه وأهنَؤُها » ، فقال قاسمٌ التَّمَّار : هذا على قوله :

---

(١) فيما عدا ل ، هـ : « شاتمشثا » .

(٢) أبو قبيس : جبل مشرف على مكة . وانظر الخبر فى العقد (٢ : ٤٨٢) .

(٣) ذكره الجاحظ فى الحيوان (١ : ٩٢) . فيما عدا ل : « التيمى » تحريف . ونسبته إلى « السمت » أى الهيئة ، كما فى الأنساب وتهذيب التهذيب . وهو أبو خالد يوسف بن خالد بن عمير السمتى الليثى ، وكان له بصر بالرأى والفتوى ، وهو أول من جلب رأى أبى حنيفة إلى البصرة ، كما أنه أول من وضع كتابا فى الشروط ، وهذا العلم يتناول أدب القضاء والشروط والمواثيق . وكان أحد رجال الجهمية . توفى سنة ١٩٠ . تهذيب التهذيب ، والسمعانى ٣٠٦ ، وكشف الظنون (علم الشروط والسجلات) .

(٤) هذه الكلمة مما عدا ل . وهى فى ل كلمة مطموسة لم يظهر منها إلا آخرها وهو قاف مكسورة وعين .

(٥) اختلف فى ضبطه ، فذكر السمعانى أنه « المريسى » بفتح الميم وكسر الراء ، نسبة إلى مريس : قرية بمصر . وكذلك ذكر ابن حجر فى لسان الميزان ، ثم قال : « وضبطها الصغانى بتثقيل الراء » . وذكر ياقوت أنه « المريسى » بفتح الميم وتشديد الراء المكسورة : نسبة إلى قرية بمصر وولاية من ناحية الصعيد تسمى مريسة . أما صاحب القاموس فقال : ومريسة كسِكِّينة : قرية منها بشر بن غياث المريسى » . قال ياقوت : وببغداد درب يعرف بدرب المريسى ، ينسب إليه » . وهو أبو عبد الرحمن بشر بن غياث بن أبى كريمة المريسى ، =

إنَّ سُلَيمى واللهُ يكلؤُها ... ضَنَّتْ بشَئٍ ما كان يرزؤُها (١)

فصار احتجاجُ قاسمٍ أطيَبَ من لحن بِشر (٢) .

وقال مُسلِم بن سَلَّام (٢) : حدّثَنى أبان بن عثمان (٣) قال : كان زيادٌ النَّبَطىّ أخو حسَّان النبطىّ ، شديدَ اللُّكْنة ، وكان نحوياً . قال : وكان بخيلاً ، ودعا غلامَه ثلاثاً فلما أجابه قال : فَمِنْ لَدُنْ دأوْتُك إلى أنْ قلت لَبّىْ (٤) ما كنت تَصْنَأ ؟ يريد : مِن لدُن دعَوتُك إلى أنْ أجبتنى ما كنت تصنع .

قال : وكانت أمُّ نوحٍ وبلالٍ ابنَىْ جريرٍ أعجميّة ، فقالا لها : لا تَكَلَّمِى إذا كان عندنا رجال . فقالت يوماً : يا نُوح ، جُرْدان دخَل فى عِجَان أمّك ؟ وكان الجرُذ أكل من عجينها .

قال أبو الحسن : أُهدِىَ إلى فيلٍ مولى زياد حمارُ وحش ، فقال لزياد : أهْدوا لنا هِمارَ وهْش . قال : أىَّ شىء تقول ويلك ؟ قال : أهدوا إلينا أيراً — يريد عَيراً — قال زياد : الثّانى شرٌّ من الأوَّل (٥) .

وقال يحيى بن نوفل (٦) :

= تفقه على أبى يوسف ، وكان أحد دعاة الجهمية ، وأبوه كان يهوديا قصاراً صباغا . قال العجلى : رأيته مرة واحدة ، شيخاً قصيراً دميم المنظر ، وسخ الثياب وافر الشعر ، أشبه شئ باليهود . وكان يقول بخلق القرآن . وإليه تنسب فرقة المريسية . توفى سنة ٢١٨ . تاريخ بغداد ٣٥١٦ والسمعانى ٥٢٣ ولسان الميزان (٢ : ٢٩ — ٣١) .

(١) نسبه فى تاريخ بغداد (٧ : ٥٧) إلى ابن هرمة .

(٢) القصة رويت فى تاريخ بغداد ، وعيون الأخبار (٢ : ١٥٧) ، والعقد (٢ : ٤٨٢) .

(٢) هو أبو عبد الله مسلم بن سلام الحنفى ، ترجم له فى تهذيب التهذيب .

(٣) أبو سعيد — ويقال أبو عبد الله — أبان بن عثمان بن عفان الأموى . ثقة من كبار التابعين . توفى سنة ١٠٥ . تهذيب التهذيب .

(٤) فيما عدا ل : « دأوتك فقلت لبى إلى أن أجبتنى » .

(٥) فى الحيوان (٧ : ٢٣٤) : « فقال زياد : الأول أمثل » . وفى عيون الأخبار (٢ : ١٥٩) : « الأول خير » .

(٦) سبقت ترجمته فى (١ : ٣٣٦) .

إنْ يكُ زيدٌ فصيحَ اللسانِ خطيباً فإنَّ استَهُ تَلحنُ
عليك بسُكٍّ ورُمَّانــةٍ ومِلْحٍ يُدَقُّ ولا يُطحنُ (١)
وحِلْتيتِ كِرْمَانَ والنَّانخاهِ وشَمع يُسخَّن فى مُدْهُنِ (٢)

وهذا الشِّعر فى بعض معانيه يشبه قول ابن مُناذر (٣) :

إذا أنتَ تعلَّـــقتَ بحبلٍ من أبى الصَّلْتِ ٤
تعلَّــقْتَ بحبــلٍ وا هِنِ القُوَّةِ مُنْـبَتِّ
فخُذْ من شِعر كَيسانٍ ومن أظفار سُبُّخْتِ (٤)
ألم يبلــغْكَ تَسآلى لدى العَلَّامة البِرْتِ (٥)
وقال المرءُ ما سَرْجُو يَه داءُ المرءِ من تحتِ (٦)

وقال البَرْدُخت (٧) :

---

(١) السك ، بالضم : ضرب من الطيب يركَّب من مسك ورامك .

(٢) كرمان بالفتح وقد يكسر : إقليم بين فارس وسجستان . والنانخاه ، أو النانخواه حب فى حجم الخردل قوى الرائحة والحرافة ، يسمى الكمون الملوكى ، وأهل مصر يسمونه « نخوة هندية » . ل : « والنابخات » وما عدا ل : « ونانخاة » صوابهما ما أثبت . وانظر تذكرة داود ومعجم استينجاس ١٣٨١ . وفى هذا البيت إقواء .

(٣) هو محمد بن مناذر ، المترجم فى (١ : ١٨) .

(٤) كيسان ، هو والد أبى الحسن محمد بن أحمد كيسان النحوى ، فكيسان لقب أبيه أحمد ، وكان كيسان معاصرا لخلف الأحمر . ابن النديم ٧٤ . وابنه أبو الحسن ابن كيسان ممن أخذ عن المبرد وثعلب . توفى سنة ٢٩٩ . نزهة الألباء وابن النديم ١٢٠ . وسبخت ، بضم السين والباء المشددة : لقب أبى عبيدة . كما فى اللسان . وفى الأغانى (١٧ : ١٩) أن « سبخت » اسم من أسماء اليهود ، لقب به تعريضا بأن جده كان يهوديا . والرواية المشهورة : « من سلح كيسان » . انظر مجالس ثعلب ٤٢٤ . وفى الأغانى : « من جعر كيسان » .

(٥) البرت ، بتثليث الباء : الرجل الدليل الماهر . وهذا البيت فى ل مقدم على سابقه .

(٦) ماسرجويه ، أو ماسرجيس : متطبب البصرة ، اليهودى السريانى : أحد الأطباء الناقلين من السريانى إلى العربى . ابن النديم ٤١٣ . وذكر ابن أبى أصيبعة (١ : ١٦٣) أنه كان فى أيام بنى أمية ، وتوفى فى الدولة المروانية .

(٧) اسمه على بن خالد الضبى العكلى . قال ياقوت : « صحراء البردخت هى محلة بالكوفة نسبت إلى البردخت » . وذكر ابن قتيبة فى الشعر والشعراء أنه جاء إلى جرير فقال له : أتهاجينى ؟ قال : ومن أنت ؟ قال : البردخت . قال : وما البردخت ؟ قال : البردخت : الفارغ بالفارسية . قال : ما كنت لأشغل نفسى =

لقد كان فى عينيك يا حفصُ شاغلٌ وأنْفٍ كثِيلِ العَوْدِ عَمّا تَتَبَّعُ (١)
تَتَبَّعُ لحناً فى كلامٍ مُرقّشٍ وخَلْقُك مبنىٌّ على اللّحن أَجْمَعُ
فعينُك إقواءٌ وأنفك مُكْفَأٌ ووجهك إيطاءٌ فأنت مُرَقَّعُ (٢)

وقال المَيْسانىُّ فى هجائه أهلَ المدينة :

ولحنُكُمُ بتقعيرٍ ومَـــدٍّ وألأمُ من يدِبُّ على العَفَارِ (٣)

علىّ بن معاذٍ قال : كتبتُ إلى فتىً كِتاباً ، فإجابنى فإذا عُنوان كتابه (٤) : « إلى ذاك الذى كَتَب إلىّ » .

وقرأت على عنوان كتابٍ إلى أبى أميَّةَ الشِّمَّرىّ : « لأبى أميّة ، لِلمَوتِ أنا قبلَه (٥) » .

وكتب ابن المراكبى (٦) إلى بعض ملوك بغداد : « جُعِلْتُ فِداكَ برحمتِه » .

وقال إبراهيم بن سَيَابَة (٧) : أنا لا أقول مِتُّ قبلَك ، لأنى إذا [قلتُ (٨)] متُّ قبلَك مات هو بعدى ، ولكن أقول مِتّ بَدَلَك .

= بفراغك ! وأنشد له هذا الشعر فى ترجمته . وكذلك أنشده صاحب الوساطة ١٥ وذكر أنه قاله لبعض النحويين . وفى العقد (٢ : ٤٨١) أن حفصاً كان من المتفصحين ، وكان به اختلاف فى عينيه ، وتشويه فى وجهه . وحفص هذا هو ابن أبى بردة ، كما فى الأغانى .

(١) الثيل ، بالكسر : القضيب . والعود ، بالفتح : الجمل المسن . ونسب فى الأغانى (١٦ : ١٦٢) إلى مساور الوراق .

(٢) الإقواء : اختلاف حركة الروى . والإكفاء : اختلاف حرف الروى . والإيطاء : تكرار القافية باللفظ والمعنى . ما عدا ل : « المرقع » . وفى العقد : « فما فيك مرقع » .

(٣) فيما عدا ل ، هـ : « بتقصير ومد » . والعفار ، أراد به العفر ، وهو التراب ؛ ولم يذكر فى المعاجم . وفى اللسان (٦ : ٢٦٧) : « وحكى ابن الأعرابى : عليه العفار والدبار وسوء الدار . ولم يفسره » .

(٤) فيما عدا ل : « عنوان الكتاب » .

(٥) هذا ما فى ل ، هـ مع حذف « لأبى أمية » فى هـ . وفى سائر النسخ : « لأبى أمية الشمرى للموت أنا قبله » .

(٦) فيما عدا ل : « ابن المرادى »

(٧) ترجم فى (١ : ٤٠٥) . ما عدا ل : « بن سيار » . وإبراهيم بن سيار ، هو النظام .

(٨) بها يلتئم الكلام .

وكتبَ عِقَالُ بن شَبَّة بن عِقَالٍ ، إلى المسيّب بن زهير (١) :

للأمير المُسَيَّب بن زهير ... مِن عقَالِ بن شبّة بن عقَالِ

ولما كتب بشير بن عُبيد الله على خاتَمه :

بَشير بنُ عبيد اللـ ... ـهِ بالرحمنِ لا يشرِكْ (٢)

وقرأ أبوه هذا البيتَ على خاتمة (٣) قال : هذا أقبح من الشِّرك !

وقال عبد الملك بن مروان : اللَّحن هُجْنَةٌ على الشَّريف ، والعُجْب آفة الرّأى (٤) . وكان يقال : اللَّحن فى المنطق أقبح من آثار الجُدَرىّ فى الوجه (٥) .

وقال يحيى بنُ نَوفل ، فى خالد بن عبد الله القَسرِىّ :

وألحنُ الناسِ كلِّ الناس قاطبةً ... وكان يولعُ بالتشديق فى الخطَبِ (٦)

وزعم المدائنىّ أن خالد بن عبد الله قال : « إن كنتم رجبيُّون فإنا رمضانيّون » . ولولا أن تلك العجائب قد صحَّت عن الوليد (٧) ما جوّزتُ هذا على خالد .

قال : وكتب الحُصين بن أبى الحُرّ (٨) إلى عُمرَ كتاباً ، فلحن فى حرفٍ

---

(١) فى النسخ هنا : « زهير بن المسيب » ، تحريف . وقد ذكر الطبرى فى (٩ : ١٧٨) أنه كان من ولاة السند فى أيام المنصور . وانظر (٩ : ١٨٣) .

(٢) ل : « لا تشرك » . وانظر محاضرات الراغب (١ : ٤٢) . والبيت من الهزج .

(٣) ما عدا ل : « وقرأه أبوه على خاتمه » . وفى حواشى هـ : « وإنما انتقده عليه أبوه لأنه لا يكتب على خاتم إلا حسبى الله ، وما أشبهه من اللفظ المختصر » .

(٤) كلام عبد الملك هذا ساقه صاحب العقد فى (٢ : ٤٧٩) بلفظ : « الإعراب جمال للوضيع ، واللحن هجنة على الشريف » .

(٥) فى العقد (٢ : ٤٧٨) : « وقال عبد الملك بن مروان : اللحن فى الكلام أقبح من التفتيق فى الثوب ، والجدرى فى الوجه » . وفى عيون الأخبار (٢ : ١٥٨) : « وقال مسلمة بن عبد الملك : اللحن فى الكلام أقبح من الجدرى فى الوجه . وقال عبد الملك : اللحن أقبح من التفتيق فى الثوب النفيس » .

(٦) سبق البيت مع قرين له فى (١ : ١٢٢) .

(٧) الوليد بن عبد الملك . ما عدا ل : « قد صححت على الوليد » .

(٨) ل : « الحصين بن الحر » ، هـ : « حصين بن الحر » ، وسائر النسخ : « بن حر » ، والصواب ما أثبت . وأبو الحر : كنية والده مالك ، وهو أبو القلوص الحصين بن أبى الحر مالك بن الخشخاش التميمى العنبرى البصرى . كان عاملا لعمر على ميسان ، وبقى حتى أدرك الحجاج ، فأتى به فهم بقتله ، ثم خلاه وحبسه حتى مات . تهذيب التهذيب .

منه ، فكتب إليه عمر : أن قنِّعْ كاتبَك سَوطا [١] .

وبلغنى عن كُثَيِّر بن أحمد بن زُهير بن كثير بن سيَّار [٢] أنه كان ينشد بيت أبى دُلَف [٣] :

أَلبِسِينِى الدِّرع قد طا ... ل عن الحَرْب جَمَامى

فسألتُه عن ذلك فحلف أنَّه إنّما قال :

أَلبسينى الدِّرع قد طا ... ل عن الحرب جُمامى [٤]

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ الْقَوْلِ ﴾ . واللحن فى هذا الموضع غير اللّحن فى ذلك .

وكان سليمان بن عبد الملك يقول : المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث [٥] يفخّم اللحن كما يفخِّم نافع بن جُبَير [٦] الإعراب .

وقال الشاعر فى نحو ذلك :

لَعمرِى لقد قَعَّبتَ حين لقيتَنا ... وأنت بتقعيب الكلام جديرُ

---

(١) أى اضربه سوطا . والخبر فى اللسان (قنع ١٧٥) .

(٢) فيما عدا ل ، هـ : « بن زهير بن سيار » .

(٣) هو أبو دلف القاسم بن عيسى بن إدريس العجلى . أحد قواد المأمون ثم المعتصم . وكان كريماً سرياً ممدحاً شجاعاً ، ذا وقائع مشهورة ، وصنائع منشورة . وله صنعة فى الغناء . وله من الكتب ؛ كتاب البزاة والصيد ، وكتاب السلاح ، وكتاب سياسة الملوك ، وغير ذلك.قال ابن خلكان : « وله أيضاً أشعار حسنة ، ولولا خوف التطويل لذكرت بعضها » . توفى سنة ٢٢٥ ببغداد . ابن خلكان وتاريخ بغداد ٦٨٦٩ . وقد أنشد الخطيب بعض أشعاره .

(٤) كذا ورد فى ل مضبوطا بضم الجيم . يريد أنه سجل على نفسه اللحن إذ ضم الجيم وحقها الفتح . والجمام ، بالفتح : الراحة . ما عدا ل : « جماصى » .

(٥) هو أبو هاشم – ويقال أبو هشام – المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومى . كان أحد الأجواد . توفى بالمدينة فى ولاية هشام بن عبد الملك . تهذيب التهذيب .

(٦) هو أبو عبد الله نافع بن جبير بن مطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف النوفلى ، مدنى تابعى ثقة ، كان يحج ماشياً وناقته تقاد . وكان فصيحاً ، عظيم النخوة ، جهير الكلام . توفى سنة ٩٩ . تهذيب التهذيب .

وقال خلفٌ الأحمرُ :

وفَرقَعهـنَّ بتَقْعِيبِـه كفرقعة الرَّعدِ بين السّحابِ [١]

وقال الأصمعىّ : خاصمَ عيسى بن عُمر النحوىّ الثقفىّ رجلا إلى بلال بن ٦ أبى بُردة ، فجعل عيسى يَتتَبَّع الإعراب [٢] ، وجعل الرجلُ ينظر إليه ، فقال له بلال : لأن يذهب بعضُ حقِّ هذا أحبُّ إليه من تَركِ الإعراب ، فلا تتشاغَلْ به واقصِد لحجَّتك .

وقدَّم رجلٌ من النحويّين رجلاً إلى السلطان فى دَينٍ له عليه . فقال : أصلح الله الأمير ، لى عليه درهمانِ . فقال خصمه : لا والله أيُّها الأمير ؛ إن هى إلاّ ثلاثة دراهم ، ولكن لظهور الإعراب تركَ من حقِّه دِرْهماً .

قال : خاصم رجلٌ إلى الشّعبى أو إلى شُريح رجلاً فقال : إنَّ هذا باعنى غلاماً فصيحاً صَبيحاً . قال : هذا محمد بن عمير [٣] بن عُطارد بن حاجب بن زُرارة .

قال : مرَّ ماسَرْجُويَه الطبيب ، بجدّ مُعاذ بن سعيد بن حُميد الحميرىّ ، فقال : يا ماسَرجُويه ، إنى أجد فى حلقى بَحَحاً . قال : إنه عملُ بُلْغُم [٤] . فلما جازَه قال : أنا أُحْسِنُ أن أقول بَلْغَمٌ ، ولكنه كلّمنى بالعربيّة فكلّمتُه بالعربيَّة .

وروَى أبو الحسن أنّ الحجاج كان يقرأ : إنّا من المجرمون منتقمون [٥] .

---

(١) ورد بعده فيما عدا ل إنشاد سبق فى ص ٢١٥ وهو : وقال الميسانى :

ولحنكم بتقعيرٍ ومـد وألأم من يدب على العفار

(٢) فيما عدا ل : « يشيع الإعراب » ، تحريف .

(٣) فيما عدا ل ، هـ : « عمر » .

(٤) كذا ورد فى ل مضبوطا بضم الباء والغين ، وفى هـ بضم الباء وفتح الغين . فهو إما تندر منه ، وإما ظن منه أن هذه لغة أفصح من فتح الباء والغين .

(٥) فيما عدا ل ، هـ : « المنتقمون » .

وقد زَعم رؤبةُ بن العجّاج وأبو عمرو بن العلاء ، أنهما لم يريا قَرويَّينِ أفصحَ من الحسن والحجَّاج .

وغَلِط الحسن فى حرفين من القرآن مثل قوله : ص والقرآنُ . والحرف الآخر : وما تنزّلَتْ به الشّياطُون .

أبو الحسن قال : كان سابقٌ الأعمى يقرأ : الخالقُ البارئُ المُصَوَّرُ . فكان ابن جابان إذا لقيه قال : يا سابق ، ما فعل الحرف الذى تُشرك بالله فيه ؟

قال : وقرأ:ولا تَنْكِحُوا المشركين حتى يؤمنوا . قال ابن جابان : وإن آمنوا أيضاً لم نَنْكِحهُم (١) .

وقال مَسلمة بن عبد الملك : إنى لأحبُّ أن أسأل هذا الشيخ – يعنى عمرو بن مسلم – فما يمنعُنى منه إلّا لحنُه .

قال : وكان أيوب السّختيانى يقول : تعلّموا النّحو، فإنه جمالٌ للوضيع ، وتركُه هُجنة للشَّريف (٢) .

وقال عمر رضى الله عنه : تعلّموا النّحو كما تَعَلَّمونَ السُّننَ والفرائض .

وقال رجلٌ للحسن : يا أبى سعيد (٣) . فقال : أَكَسْبُ الدّوانيقِ (٤) شغَلك عن أن تقول يا أبا سعيد ؟

قالوا : وأوّلُ لحنٍ سُمِع بالبادية : هذه عصاتى ، وأوَّلُ لحنٍ سُمع بالعراق : حَيٍّ عَلَى الفلَاح (٥) .

---

(١) فى حاشية التيمورية : « قوله وإن آمنوا أيضاً لم ننكحهم ، لأنه فى القراءة : ولا تنكحوا ، بضم التاء . يقال نكحت المرأة وأنكحتها غيرى . وفسره المفسرون على معنى ولا تنكحوا المشركين بناتكم . فلما قرأ هذا بالفتح التبس فيه المذكر بالمؤنث ، فجاوبه ابن جابان على ذلك » .

(٢) انظر ما سبق فى الحاشية رقم ٤ ص ٢١٦ .

(٣) فى العقد (٢ : ٤٨٠) : « يا أبو سعيد » .

(٤) الدانق ، بفتح النون وكسرها : سدس الدرهم والدينار ، يجمع دوانق ودوانيق ، الأخيرة شاذة . معرب من « دانك » الفارسية . المعرب للجواليقى ومعجم استينجاس .

(٥) هكذا ضبط فى هـ ، حـ على اللحن . وضبطها الصحيح بفتح الياء المشددة .

بـاب

ومن اللحانين البلغاء

خالد بن عبد الله القَسْرِىّ ، وخالد بن صفوان الأهتمىُّ ، وعيسى بن المُدَوَّر

وقال بعض النّسَّاك [١] : أَعْربنا فى كلامنا فما نلحن ، ولحَنَّا فى أعمالنا فما نُعرب .

وقال : أخبرنى الرّبيع [٢] بن عبد الرحمن السُّلَمىُّ قال : قلتُ لأعرابىّ : أتهمز إسرائيل ؟ قال : إنى إذاً لرجل سَوْءٍ . قال : قلت : أفتجرُّ فِلَسطين ؟ قال : إنّى إذاً لقوىٌّ .

وكان هُشَيم [٣] يقول : حدثنا يَوْنِس [٤] عن الحسن . يقولها بفتح الياء وكسر النون .

وكان عبد الأعلى بن عبد الأعلى السَّامىّ [٥] يقول : فأخَذِهِ فصرعِهِ فذبحِهِ فأكَلِهِ ، بكسر هذا أجمع .

---

(١) هو إبراهيم بن أدهم ، كما سبق فى (١ : ٢٦٠) وورد الخبر بدون نسبة فى عيون الأخبار (٦ : ١٥٩) بلفظ : « لئن أعربنا فى كلامنا حتى ما نلحن ، لقد لحنا فى أعمالنا حتى ما نعرب » .

(٢) فى الحيوان (٣ : ١٨) : « الربيع » فقط . والخبر كذلك فى عيون الأخبار (٢ : ١٥٧) .

(٣) هو أبو معاوية هشيم بن بشير بن القاسم بن دينار السلمى الواسطى ، كان ورعا من كبار الحفاظ ، وكان من أروى الناس عن يونس بن عبيد . ولد سنة ١٠٥ وتوفى سنة ١٨٣ . تذكرة الحفاظ (١ : ٢٢٩) وتاريخ بغداد ٧٤٣٦ وصفة الصفوة (٣ : ٦) والمعارف ٢٢١ وتهذيب التهذيب .

(٤) هو الحافظ أبو عبد الله يونس بن عبيد بن دينار العبدى البصرى الخزاز . وكان من أثبت الناس فى الحسن ، وكان يقول : ما كتبت شيئاً قط . توفى سنة ١٣٩ . تذكرة الحفاظ (١ : ١٣٧) وصفة الصفوة (٣ : ٢٢٢) والمعارف ٢١١ ، وتهذيب التهذيب .

(٥) السامى : نسبة إلى بنى سامة بن لؤى . ل : « الشامى » تحريف . وهو أبو محمد عبد الأعلى =

وكان مهدىّ بن هُلَيل (١) يقول : حدثنا هشامْ (٢) ، مجزومةً ؛ ثم يقولُ ابنْ ويجزمه ؛ ثم يقول حسّانْ ويجزمه ؛ لأنّه حين لم يكن نحوياً رأى السلامةَ فى الوقف .

وأمّا خالد بن الحارث (٣) ، وبشر بن المفضَّل (٤) الفقيهان ، فإنَّهما كانا لا يلحنان .

وممَّن كان لا يلحن البتَّة حتّى كأنَّ لسانه لسانُ أعرابىّ فصيح : أبو زيد النحوىّ ، وأبو سعيد المُعلّم (٥) .

وقال خَلَفٌ (٦) : قلت لأعرابىٍّ : أُلقِى عليك بيتاً ؟ قال : عَلَى نفسك فألِقه (٧) !

وقال أبو الفَضْل العنبرىُّ (٨) لعلىِّ بن بشير (٩) إنى التقطت كتاباً من الطريق فأُنبئتُ أن فيه شعراً أفتريده حتى آتيكَ به ؟ قال : نعمْ ، إنْ كان مقيَّداً . قال : والله ما أدرى أمُقَيَّدٌ هو أم مغلول .

الأصمعىّ قال : قيل لأعرابى : أتهمز الرُّمْح ؟ قال : نعم . قِيلَ له : فقلها مهموزة (١٠) .

= ابن عبد الأعلى بن محمد القرشى البصرى السامى ، بصرى ثقة ، وكان ممن يرى القدر . توفى سنة ١٩٨ . تهذيب التهذيب .

(١) فيما عدا ل : « بن مهلهل » . ولم أعثر له على ترجمة .

(٢) هشام بن حسان البصرى ، المترجم فى (١ : ٢٩١) .

(٣) هو أبو عثمان خالد بن الحارث بن عبيد بن سليمان الهجيمى البصرى ، كان من عقلاء الناس ودهاتهم ، وكان يقال له « خالد الصدق » . ولد سنة ١٢٠ وتوفى سنة ١٨٦ . تهذيب التهذيب .

(٤) هو أبو إسماعيل بشر بن المفضل بن لاحق الرقاشى . قال ابن حنبل : كان إليه المنتهى فى التثبت بالبصرة . توفى سنة ١٨٧ . تهذيب التهذيب .

(٥) انظر (١ : ٢٥٢ س ١) .

(٦) خلف الأحمر ، المترجم فى (١ : ١٢٩) .

(٧) ل : « فألق » .

(٨) انظر ما مضى فى (١ : ١٦٣ – ١٦٤) . وهذا الاسم يرد أحيانا بلفظ « أبو المفضل » . انظر الحيوان (٣ : ٥٠٨ / ٥ : ٢٨٣ ، ٢٨٤) .

(٩) ل : « بن بشر » .

(١٠) يقال همزت الحرف فانهمز ، أى ضغطته .

فقالها مهموزة . قيل له : أتهمز التُّرْسَ ؟ قال : نعم . فلم يَدَعْ سيفاً ولا تُرساً إلّا هَمَزه . فقال له أخوه وهو يهزأ به : دعُوا أخى فإنّه يهمز السِّلاحَ أجمع .

وقال بعضهم (١) : ارتفع إلى زيادٍ رجلٌ وأخوه فى ميراث ، فقال : إنَّ أبونا مات ، وإن أخينا وثَب على مال أبانا فأكله . فأمَّا زياد فقال (٢) : الذى أضَعْتَ من لسانك أضرُّ عليك مما أضعت من مالك . وأمَّا القاضى فقال : فلا رحم الله أباك ، ولا نَيَّحَ عَظْمَ أخيك (٣) ! قُمْ فى لعنة الله !

وقال أبو شَيبة قاضى واسط : أتيتمونا بعد أن أردنا أن نقُم . ٨

قد ذكرنا – أكرمك الله – فى صَدْر هذا الكتاب من الجزء الأوَّل وفى بعض الجزء الثانى ، كلاماً من كلام العقلاء البلغاء ، ومذاهبَ من مذاهب الحكماء والعلماء ، وقد روَيْنا نوادرَ من كلام الصِّبيان والمحرَّمِين من الأعراب (٤) ، ونوادرَ كثيرةً من كلام المجانين وأهل المِرَّة من المَوَسْوِسين (٥) ، ومن كلام أهل الغفلةِ من النَّوْكَى ، وأصحاب التكلّف من الحمقَى ، فجعلنا بعضَها فى باب الاتعاظ والاعتبار ، وبعضَها فى باب الهَزْل والفكاهة (٦) . ولكلِّ جنسٍ من هذا موضعٌ يصلح له . ولابد لمن استكدَّهُ (٧) الجِدُّ ، من الاستراحة إلى بعض الهزل .

---

(١) الخبر أيضاً فى عيون الأخبار (٢ : ١٥٩) ونزهة الألباء ١٢ .

(٢) وكذا فى هـ والتيمورية ، وهو الوجه . وبدله فى حـ و ب مع أثر تبديل فى الأخيرة : « فقال زياد » .

(٣) يقال لا نيح الله عظامه : لا صلَّبها ولا شد منها . وهذا الصواب من هـ واللسان . ل : « نتح » وسائر النسخ : « تنح » ، تحريف . وفى حواشى هـ : « معنى نيح خصَّب » .

(٤) المحرم ، من قولهم ناقة محرمة : لم تُرَضْ ولم تذلل . وفى حاشية هـ والتيمورية « : المحرم : الذى لم يرض ولم يؤدب ، كما قيل ناقة محرمة ، وهى التى لم ترض » .

(٥) المرة ، بالكسر : خلط من أخلاط البدن الأربعة ، وهى الدم ، والبلغم ، والمرة الصفراء ، والمرة السوداء . وإذا غلبت المرة السوداء على شخص ، اختلط عقله وسمى ممروراً .

(٦) ب ، حـ : « فجعلنا بعضها فى باب الهزل والفكاهة » ، تحريف .

(٧) استكده : أجهده وأتعبه ، وأصل استكده طلب منه الكد .

قال أبو عبيدة : أرسَل ابنٌ لعِجل بن لُجَيم (١) فرساً له فى حَلْبَةٍ ، فجاء سابقاً ، فقال لأبيه : يا أَبَه ، بأىِّ شىءٍ أُسَمِّيه ؟ فقال : افقَأْ إحدى عينيه ، وسمِّه الأعور .

وشعراء مُضَر يُحَمِّقُون رجالَ الأزد ويستخفُّون أحلامهم . قال عمر بن لَجَأ :

تصطكُّ أَلْحِيَها على دِلَائها تلاطُمَ الأزدِ على عطائها

وقال بشَّار :

وكأنَّ غَلْىَ دِنانِهم فى دُورهم لَغَطُ العَتيكِ على خِوَان زيادِ

وقال الرَّاجز :

لَبَّيكَ بى أَرْفُلُ فى بِجَادِى (٢) حازِمَ حَقْوَىَّ وصدرِى بادِ (٣)
أفرِّجُ الظَّلماءَ عن سوادِى (٤) أَقْوَى لشَوِلٍ بَكَرتْ صَوَادِ (٥)
كأنَّمـا أصواتُهـا بالـوادى أصوات حِجٍّ من عُمَانَ غادِ (٦)

وقال الآخر فى نحوِه :

فإذا سمعتَ هديلَهـنَّ حَسِبتَـه لَغَطَ المَقاوِلِ فى بُيُوتِ هَدَادِ (٧)

وبسبب هذا (٨) يُدْخِلُونَ فى المعنى قبائلَ اليمانيَة . وقال ابنُ أحمر :

---

(١) عجل بن لجيم بن صعب بن على بن بكر بن وائل . وانظر عيون الأخبار (٢ : ٤٣) .

(٢) كلمة « بى » مبيض لها فى ل . البجاد ، بالكسر : كساء مخطط .

(٣) الحقو ، بالفتح والكسر : الكشح ، وقيل معقد الإزار .

(٤) سواد الإنسان : شخصه . ما عدا ل : « سواد » ، تحريف .

(٥) يقول : هو ذو قوة عليها فى الرحلة . ل ، هـ : « أقرى » وليس بشىء .

(٦) أنشده فى اللسان (حجج) مع سابقه وقال : « هكذا أنشده ابن دريد بكسر الحاء » . والحج : الحُجَّاج .

(٧) المقاوِل : جمع مِقول ، بالكسر ، وهو الملك من ملوك حمير . وهداد ، كسحاب : حى من اليمن . فى اللسان (١٥ : ٤٣) : « قال ابن برى : وقد جاء الحمّام مؤنثاً فى بيت زعم الجوهرى أنه يصف حماما ، وهو قوله :

فإذا دخلت سمعت فيها رجة لغط المقاول فى بيوت هداد » .

(٨) ل : « وبسبب الأزد » ، تحريف .

إخالُها سمِعت عَزْفاً فتحسبُه ... إهابةَ القَسْرِ ليلاً حين تَنْتَشِرُ (١)

وقال الكميت . ٩

كأنَّ الغُطامِطَ من غَلْيِها ... أراجيزُ أسْلَمَ تهجو غِفَارَا (٢)

فجعل الأراجيز ، التى شبَّهها فى لغطها والتفافها بصوت غَلَيَان القِدْر ، لأسلَمَ دون غِفَار .

* * *

---

(١) العزف : صوت فى الرمل لا يدرى ماهو . والإهابة : الدعاء والصياح ، وأصلها الصوت بالإبل ودعاؤها . والقسر : بطن من بجيلة فى اليمن ، إليهم ينسب خالد بن عبد الله . وفى هامش التيمورية : « القسر قبيلة من اليمنية » . وأنشده فى اللسان (قسر) ، وقال : « والقسر : اسم رجل قيل هو راعى ابن أحمر » . وروايته هناك :

أظنها سمعت عزفاً فتحسبه ... إشاعة القسر ليلا حين ينتشر

(٢) الغطامط ، بالضم : صوت الغليان . أسلم وغفار : قبيلتان كانت بينهما مهاجاة . والبيت له قصة فى الأغانى (١ : ١٣٤) .

بـاب النَّوْكَى

قال : ومن النَّوْكَى : مالكُ بن زيد مناةَ بن تميم ، الذى لما أُدخِل على امرأته فرأت ما رأت من الجَفاءِ والجَهْل (١) ، وجَلَسَ فى ناحية منقبضاً مشتمِلا ، قالت : ضع عُلْبَتَكَ . قال : يدى أحفَظُ لها . قالت : فاخلعْ نعليك . قال : رجلاى أحفَظُ لهما . قالت له : فَضَعْ شَمْلَتك . قال : ظهرى أولى بها . فلمَّا رأت ذلك قامت فجلست إلى جنبه (٢) . فلمَّا شم رِيحَ الطِّيب وثبَ عليها .

ومن المجانين والمُوسوِسين والنَّوكى : ابن قَنانٍ (٣) ، وصَبَّاح المُوسَوِس ، ودِيسِيموس اليونانىّ (٤) ، وأبو حَيَّةَ النُّمَيْرى (٥) ، وأبو يَسِ الحاسب (٦) ، وجُعيفران الشاعر (٧) ، وجَرَنْفَشٌ (٨) . ومنهم سارية الليل . ومنهم رَيْطة بنت كعب بن سعد ابن تَيْم بن مُرَّة (٩) ، وهى التى نَقَضت غَزْلَها أنكاثا ، فضرب الله تباركَ وتعالى بها

---

(١) ل : « والجهد » . تحريف . والخبر فى العقد (٦ : ١٥٦) .

(٢) ما عدا ل ، هـ : « إلى جانبه » .

(٣) فى اللسان (قنن) : « وابن قنان : رجل من الأعراب » . ما عدا ل : « ابن فنان » تحريف . وانظر ما سيأتى فى ص ٢٤٦ .

(٤) ل ، هـ : « ريسيموس » . وسائر النسخ « ريسموس » صوابه بالدال ، كما فى الحيوان (١ : ٢٧٩) .

(٥) اسمه الهيثم بن ربيع ، شاعر مجيد من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية ، ومدح الخلفاء فيهما ، وكان أهوج جباناً بخيلا كذاباً ، معروفاً بذلك أجمع . الأغانى (١٥ : ٦١ – ٦٢) والخزانة (٣ : ١٥٤) .

(٦) انظر ترجمته فى حواشى الحيوان (٦ : ٢٤٩) .

(٧) هو جعيفران بن على بن أصفر بن السرى بن عبد الرحمن الأنبارى ، مولده ومنشؤه ببغداد ، وكان يتشيع ، وكان ممن مدح أبا دلف العجلى . وغلبت عليه المرة السوداء فاختلط فى أكثر أوقاته ، وله شعر يفند فيه من ادعى اختلاطه وجنونه . انظر الأغانى (١٨ – ٦١ – ٦٥) .

(٨) مأخوذ من قولهم رجل جرنفش ، وهو العظيم البطن أو الجنبين ، أو قولهم: رجل جرنفش اللحية : عظيمها ضخمها .

(٩) فيما عدا ل : « تميم بن مرة » تحريف ، صوابه فى الاشتقاق ٥٩ وتفسير أبى حيان (٥ : ٥٣١) ، حيث ذكر فى الأخير أن لقب ريطة هو « الجفراء » .

المَثل (١) ، وهى التى قيل لها : « خرقاءُ وجدت صُوفا » .

ومنهم: دُغَةُ (٢) ، وجَهيزَةُ (٣)، وشَوْلَةُ (٤) ، ودُرَّاعَةُ القُدَيد المعَدّيّة (٥) ولكلّ واحدٍ من هؤلاء قصَّة سنذكرها فى موضعها ، إن شاء الله .

فأمّا ديسيموس (٦) فكان مِن مُوسوِسى اليونانيّين ، قال له قائل : ما بال ديسيموس يعلّم الناسَ الشّعر ولا يستطيع قولَه ؟ قال : مَثَلُه مَثَل المِسَنّ الذى يَشْحَذ ولا يقطع .

ورآه رجلٌ وهو يأكل فى السُّوق فقال : ما بال ديسيموس يأكل فى السّوق ؟ فقال : إذا جاع فى السّوق أكلَ فى السُّوق .

---

(١) فى قوله تعالى فى سورة النحل : (ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دَخَلا بينكم) . وذكر أبو حيان أنها كانت تغزل هى وجواريها من الغداة إلى الظهر ، ثم تأمرهن فينقضن ما غزلن .

(٢) دغة ، بضم الدال وفتح الغين ، وأصل معنى الدغة الفراشة ، أو دُوَيبّة . وهذا لقب لها ، واسمها مارية بنت معنج – أو مغنج ، أو منعج – وهذا لقب ربيعة بن عجل . ومن حمقها أنها نظرت إلى يافوخ ولدها يضطرب ، وكان قليل النوم كثير البكاء ، فقالت لضرتها : أعطينى سكينا ، فناولتها وهى لا تعلم ما انطوت عليه ، فمضت وشقت به يافوخ ولدها فأخرجت دماغه ، فلحقتها الضرة فقالت : ما الذى تصنعين ؟ فقالت : أخرجت هذه المدة من رأسه ليأخذه النوم ، فقد نام الآن . الميدانى فى (أحمق من دغة) .

(٣) قال ابن السكيت : هى أم شبيب الحرورى . ومن حمقها أنها لما حملت شبيبا فأثقلت قالت لأحمائها : إن فى بطنى شيئاً ينقر . فنشرن عنها هذه الكلمة فحمّقت . وقيل هى أمة حمقاء ، وكان قوم قد اجتمعوا يخطبون فى صلح بين حيين قتل أحدهما من الآخر قتيلا ، ويسألون أن يرضوا بالدية . فبينا هم فى ذلك إذ أقبلت جهيزة فقالت : إن القاتل قد ظفر به بعض أولياء المقتول فقتله . فقالوا : « قطعت جهيزة قول كل خطيب » . وضُرِب ذلك مثلا لمن يقطع على الناس ما هم فيه بحماقة يأتى بها . الميدانى فى (أحمق من جهيزة) ، و (قطعت جهيزة قول كل خطيب) .

(٤) فى اللسان : « ابن السكيت : من أمثالهم فى الذى ينصح القوم : أنت شولة الناصحة . قال : وكانت أمة لعدوان رعناء تنصح لمواليها فتعود نصيحتها وبالا عليهم لحمقها » .

(٥) ما عدا ل : « ذراعة المعدية » .

(٦) ل ، هـ « ريسيموس » وسائر النسخ : « ريسموس » فى هذا الموضع والمواضع التالية . وانظر ما سبق فى ص ٢٢٥ .

وألَحّ عليه رجلٌ بالشّتيمة [١] وهو ساكت فقيل له : أيشتُمك مثلُ هذا وأنت ساكت ؟ فقال : أرأيتَ إن نَبَحَكَ كلبٌ أتنبحه ، وإنْ رَمَحك حمار أترمَحُه ؟

وكان إذا خرج مع الفجر يريد الفرات ألقى فى دُوَّارة بابه حَجراً ، حتّى لا يُعانِيَ دفَع بابِه إذا رجَع . وكان كلّما رجَع إلى بابه وجد الحجر مرفوعا والبابَ منصفقاً ، فعلم أنَّ أحداً يأخذ الحجر من مكانه ، فكمَن لصاحبه يوماً ، فلمّا رآه قد أخذ الحجر قال : مالك تأخذُ ما ليس لك ؟ قال : لم أعلم أنه لك . قال : فقد علمتَ أنّه ليس لك [٢] .

وأمّا جُعيفران الموسِوس الشاعر [٣] ، فشهدتُ رجلا أعطاه درهما وقال له : قل شِعْراً على الجيم . فأنشأ يقول :

عادنى الهمُّ فاعتلجْ كُلُّ هَمّ إلى فَرَجْ
سَلِّ عنك الهمومَ بالكا س وبالرَّاحِ تنفرجْ

وهى أبيات [٤] .

وكان يتشيَّعُ ، فقال له قائلٌ : أتشتُم فاطمةَ وتأخذ درهما ؟ قال : لا ، بل أشتم عائشة وآخذُ نِصفَ درهم .

وهو الذى يقول [٥] :

ما جعفرٌ لأبيهِ ولا له بشبيهِ
أضحى لقوم كثيرٍ فكلُّهم يَدَّعيهِ
فذا يقول بُنَيِّى وذا يخاصمُ فيهِ

---

(١) الشتيمة والمشتمة والشتم بمعنى ، وهو السب .

(٢) الخبر بتفصيل فى الحيوان (١ : ٢٩٠) .

(٣) سبقت ترجمته فى ص ٢٢٥ .

(٤) القصة برواية أخرى فى الأغانى (١٨ : ٦٢) .

(٥) ذكر أبو الفرج أنه اطلع يوما فى جُبّ فرأى وجهه قد تغير ، وعفا شعره ، فقال وأنشد الأبيات التالية . والشعر فى محاضرات الراغب (١ : ١٧٢) .

والأمُّ تضحكُ منهمْ   لعلمها   بأبيـهِ

وهو الذى يقوم فى قوم لَاطَةٍ :

كأنَّهمْ والأيور عامِدَةٌ   صَيَاقِلٌ فى جِلَايَةِ النُّصُلِ

وأما أبو يَس الحاسب فإنَّ عقلَه ذهب بسبب تفكُّره فى مسألة ، فلما جُنَّ كان يهذى بأنَّه سيصير مَلِكا وقد أُلْهِمَ ما يحدُث فى الدُّنيا من الملاحم .

وكان أبو نواس والرَّقاشىُّ يقولان على لسانِه أشعاراً ، على مذاهب أشعار ابن عَقْب اللّيثى ، ويُرَوِّيانها أبا يَس ، فإذا حفظها لم يَشُكّ أنَّه الذى قالها . فمن تلك الأشعار قول أبى نواس :

مَنعَ النَّومَ ادّكارى زمناً   ذا تهاويـلَ وأشيـاءَ نُكُــرْ

واعتراكُ الرُّوم فى معمعةٍ   ليس فيها لجبانٍ من مَقَرّْ (١)

كائناتٌ ليس عنها مذهبٌ   خَطُّها يُوشَع فى كُتْبِ الزُّبُرْ (٢)

وعلامـاتٌ ستـأتى قَبلـه   جمَّةٌ أوَّلُها سَكْرُ النَّهَرْ (٣)

ويليهم رجلٌ من هاشم   أقنَصُ النَّاسِ جميعاً للحُمُرْ

يبتنى فى الصَّحن من مسجدهم   للمصلِّين من الشمس سُتُرْ (٤)

ورَجـاءٌ يبتنــى مِطْهــرةً   ضخمةً فى وسطها طَسْتُ صُفُر (٥)

---

(١) المقر ، بالقاف ، أى الاستقرار . هـ : « من مقر » و « مفر » معا .

(٢) أراد بالكائنات الحوادث . والزبر : جمع زبور ، كرسل جمع رسول ، وهو الكتاب ، كما فى قول لبيد :

وجلا السيول عن الطلول كأنها   زبر تجد متونَها أقلامها

وقد غلب استعماله فى صحف داود عليه السلام .

(٣) سكر النهر سكراً : سد فاه . ل : « شكر » تحريف .

(٤) الصحن : ساحة وسط الدار ونحوها . ما عدا ل : « من مسجدهم » . والستر بضمتين : جمع ستر ، بالكسر . وقد جرى على لغة ربيعة فى الوقوف بالسكون على المنصوب .

(٥) المطهرة ، بالكسر : البيت الذى يتطهر فيه . والطست ، بالفتح : إناء من الصفر ، مؤنث وقد يذكر . قال فى القاموس : « وحكى بالشين المعجمة » . وبهذه اللغة الأخيرة ورد فيما عدا ل ، هـ : « طشت » . والصفر ، بالضم : النحاس الأصفر ، وضم الفاء للشعر .

فهُناكمْ حين يفشُو أمركم | وهُناكُمْ ينزل الأمرُ النُّكُرْ
فاتْبعوه حيثُ ما سارَ بكم | أيُّها الناس وإن طالَ السّفَرْ
ودَعُوا ، بالله ، أن تَهزَوْا به | لَعَن الرّحمنُ مَن مِنه سَخِرْ (١)

والبَصريُّون يزعمون أن أبا يّس كان أحسَبَ الناس .

وأما أبو حيّة النُّميرىّ فإنه كان أجنَّ من جُعيفران ، وكان أشعَرَ الناس. وهو الذى يقول (٢) :

أَلَا حيِّ أطلالَ الرّسومِ البواليا | لبِسن البِلَى ممّا لَبِسْنَ اللَّياليا

وفى هذه القصيدة يقول :

إذا ما تقاضَى المرءَ يومٌ وليلةٌ | تقاضاه شيءٌ لا يملُّ التقاضيا (٣)

وهو الذى يقول :

فأرخت قِناعاً دونَه الشَّمسُ واتّقتْ | بأحسنِ موصولينِ : كفٍّ ومِعصَمِ

وحدَّثنى أبو المنجوف (٤) قال : قال أبو حيّة : عَنَّ لى ظبىٌ فرميته ، فراغ عن سهمى ، فعارضَه واللهِ السهمُ ، ثمّ راغ فراوغَه حتّى صرعه ببعض الخَبَارات (٥) .

وقال : رميتُ والله ظبيةً ، فلمّا نفَذ السّهم ذكرتُ بالظبية حبيبةً لى ، فشددتُ وراء السّهم حتّى قبضت على قُذَذه (٦) .

---

(١) هزئ منه وبه يهزأ ، من بابى سمع ومنع : سخر ، وقد سهل الهمزة ثم أجرى الفعل مجرى المنقوص .

(٢) الخبر والشعر فى العقد (٦ : ١٦٤) .

(٣) هذا البيت وعبارة الإنشاد قبله من ل ، هـ والتيمورية .

(٤) أبو المنجوف السدوسى ، روى عنه الجاحظ فى البخلاء ١٣٥ والحيوان (٦ : ٥٣) وهو أحد الأخباريين . وقد ذكره ابن النديم فى الفهرست باسم « المنجوف السدوسى » .

(٥) الخبار ، كسحاب : ما استرخى من الأرض وتحفر . ب ، حـ : « الجنارات » والتيمورية : « الحبارات » ، صوابهما ما أثبت من ل ، هـ وعيون الأخبار (٢ : ٢٧) .

(٦) شددت من الشد ، وهو العدو والجرى . والقذذ : ريش السهم .

١٢ وكان يكلِّم العُمَّار ، ويخبر عن مفاوضته للجنّ (١) .

وأما جَرْنَفَشٌ فإنّه لما خلع الفرزدقُ لجامَ بغلته ، وأدنى رأسَها من الماء ، قال له جَرَنْفش : نحِّ بغْلتَك (٢) حلَقَ الله ساقَيك (٣) ! قال : ولِمَ عافاك الله ؟ قال : لأنّك كذوب الحنجرة ، زانى الكَمَرة (٤) !

قال أبو الحسن : وبلغنى أنّ الفرزدق لما أن قال له الجَرَنفشُ ما قال نادى : يا بنى سَدوس . فلما اجتمعوا إليه قال : سوِّدوا الجرنفشَ عليكم ؛ فإنِّى لم أر فيكم أعقلَ منه .

ومن مجانين الكوفة : عيناوة (٥) ، وطاق البصل .

حدّثنى صديقٌ لى قال : قلت لعيناوة (٦) : أيُّما أجنُّ ، أنت أو طاق البصل ؟ قال : أنا شئ وطاق البصل شئ !

ومن مجانين الكوفة : بُهلول ، وكان يتشيَّع ، فقال له إسحاق بن الصَّبَّاح : أكثر الله فى الشِّيعة مثلك . قال : بل أكثر الله فى المرجئة مثلى ، وأكثَرَ فى الشِّيعة مثلك !

وكان جيّد القفا (٧) ، فربّما مرَّ به من يحبُّ العبث فيَقفِده (٨) ، فَحَشا قفاه خِراء ، وجلَس على قارعة الطريق فكلَّما قَفده إنسانٌ تركه حتّى يجوزَ ، ثم يَصِيح به : يا فتَى ، شُمّ يدَك ! فلم يَعُدْ بعدها أحدٌ يقفده .

---

(١) العمار : جمع عامر ، وهم سكان البيت من الجن . والمفاوضة : المحادثة . ما عدا ل : « معارضته » ، تحريف .

(٢) ل : « نعليك » ، وما أراها صحيحة .

(٣) فى حواشى هـ عن نسخة: « شأفتك » ، وكذا فى العقد (٦ : ١٥٥) وفى البغال : « وجدَّ الله ساقيك » .

(٤) ما عدا هـ : « المنجرة » تحريف . وفى الكنايات للجرجانى ١١٢ : « ويقولون فى الكناية عن الكذب : هو قموص الحنجرة » . وانظر العقد (٦ : ١٥٥) .

(٥) ما عدا ل ، هـ : « عيناده » . وانظر العقد (٦ : ١٥٤) .

(٦) ما عدا ل ، هـ : « العينادة » .

(٧) ما عدا ل ، هـ : « القفاء » بالمد ، وهما لغتان . وهى مؤنثة ، وقد تذكر .

(٨) القفد : الصفع ، وبابه ضرب .

وكان يغنِّى بقيراط ويسكت بدانَق (١) .

وكانت بالكوفة امرأةٌ رعناءُ يقال لها مُجيبة ، فقفد بُهلولاً فتًى كانت مجيبةُ أرضعته ، فقال له بُهلول : كيف لا تكون أرعن وقد أرضعتك مُجيبة ؟ فوالله لقد كانت تَزُقُّ لى الفَرخَ فأرى الرُّعونةَ فى طيرانه !

قال : وحدّثنى حُجر بن عبد الجبَّار قال : مرَّ مُوسى بن أبى الرَّوْقاء (٢) فناداه صَبَّاح الموسوِس : يا ابن أبى الرَّوقاء (٣) ! أسمَنْتَ بِرذَونَك ، وأهزلت دينَك ، أمَا والله إنّ أمامَك لَعقبةً لا يجاوزُها إلا المُخِفُّ ! فحبس موسى برذونه وقال : مَن هذا ؟ فقيل له (٤) : هذا صَبَّاحٌ الموسوِس . فقال : ما هو بموسوِس ، هذا نذير .

قال أبو الحسن : دعا بعضُ السلاطين مجنونَين ليحرِّكَهما فيضحكَ ممّا يجىء منهما ، فلما أسمعاه وأسمعهما غضِب ودعا بالسيف ، فقال أحدُهُما لصاحبه : كنَّا مجنونَين فصرنا ثلاثة !

وقال عمر بن عثمان (٥): شيَّعت عبد العزيز بن المُطّلب المخزوميّ (٦) وهو قاضى مكةَ ، إلى منزله ، وبباب المسجد مجنونةٌ تصفّق وتقول :

أرَّق عَينىَّ ضُراطُ القاضى (٧)   هذا المقيم ليس ذاك الماضى (٨)

---

(١) سبق تفسيره فى ٢١٩ . والقيراط : نصف دانق .

(٢) ما عدا ل ، هـ : « أبى ردقا » . وفى العقد (٦ : ١٥٠) : « أبى الزرقاء » .

(٣) ما عدا ل ، هـ : « أبى الردقا » .

(٤) ل : « قال » .

(٥) هو أبو حفص عمر بن عثمان بن عمر بن موسى التيمى المدنى ، كان من وجوه قريش وبلغائها وفصحائها وعلمائها . ولاه الرشيد القضاء بالبصرة ، فخرج حاجا وأقام بالمدينة ، فلم يزل بها حتى مات . تهذيب التهذيب . هـ والعقد (٦ : ١٦٢) : « عمرو بن عثمان » .

(٦) هو عبد العزيز بن عبد المطلب بن عبد الله بن حنطب المخزومى المدنى . كان جوادا ذا معرفة بالقضاء والحكم ، ولى قضاء المدينة فى زمن المنصور ثم المهدى ، وولى قضاء مكة . تهذيب التهذيب . فيما عدا ل : « عبد العزيز بن عبد الملك » ، تحريف .

(٧) فيما عدا ل : « طراطر القاضى » ، تحريف .

(٨) هذا الشطر مما عدا ل .

فقال : يا أبا حفص ، أتُراها تعنى قاضِىَ مكة ؟

قال : وتَذاكرُوا اللَّثَغ فقال قوم : أحْسَنُ اللثغ ما كان على السِّين ، وهو أن تصير ثاء . وقال آخرون : على الرّاء ، وهو أن تصير غيناً . فقال مجنون البكَراتِ : أنا أيضاً ألثغُ ، إذا أردتُ أن أقول شَريط [١] قلت : رَشيط !

قال : وبعث عُبيد الله بن مروان ، عمُّ الوليد ، إلى الوليد بقطيفةٍ حمراءَ [٢] ، وكتب إليه : « إنِّى بعثتُ إليك بقطيفةٍ حمراء حمراء » . فكتب إليه الوليد : « قد وصلتْ إلىَّ القطيفةُ ، وأنت يا عَمُّ أحمقُ أحمق » .

وقال محمد بن بلال لوكيلهِ دَبَّة [٣] : اشترِ لى طيباً سيرافيًّا . قال : تريده سيرافى ، أو سيرافى سيرافى ؟

وقال محمد بن الجهم [٤] للمكِّىِّ [٥] : إنى أراك مستبصراً فى اعتقاد الجزء الذى لا يتجزأ ، فينبغى أن يكون عندك حَقًّا حَقًّا . قال : أمَّا أن يكون عندى حَقًّا حَقًّا فلا ، ولكنه عندى حقّ .

ودخل أبو طالبٍ ، صاحبُ الطَّعام ، على هاشميّةَ جاريةِ حَمدونةَ بنتِ الرَّشيد [٦] ، على أن يشترى طعاماً من طعامها فى بعض البيادر ، فقال لها : إنِّى قد رأيتُ متاعَكِ . قالت هاشميّةُ : قل طعامَكِ . قال : وقد أدخلتُ يدى فيه ، فإذا متاعُكِ قد خَمَّ وحَمِىَ [٧] وقد صار مثل الجِيفَة [٨] . قالت : يا أبا طالب ، ألستَ قلَّبت الشَّعير ، فأعطنا ما شئت وإن وجدته فاسداً .

---

(١) ما عدا ل ، هـ : « شرائط » ، تحريف .

(٢) القطيفة : دثار أو كساء أو فراش مخمل . والمخمَل : ذو الخمْل ، وهو هدب القطيفة ونحوها ، مما ينسج وتفضل له فضول ، كخمل الطنفسة .

(٣) ما عدا ل : « زيد » . وفى حواشى هـ عن نسخة : « دبة » .

(٤) سبقت ترجمته فى (١ : ٣٨) .

(٥) تقدمت ترجمته فى ص ٢١١ .

(٦) هو الخليفة هارون الرشيد . انظر الطبرى (١٠ : ١٢١) ، وانظر خبراً آخر لفاجرة تسمى « دفاق » كانت منقطعة كتلك إلى حمدونة بنت هارون الرشيد ، فى الأغانى (١١ : ٩٥) .

(٧) خَم : أنتن . ل : « خم وجهى » ، تحريف .

(٨) ل : « الحبقة » ، وانظر العقد (٦ : ١٦٢) وكتاب بغداد لابن طيفور ٦١ .

ودخل أبو طالبٍ على المأمون فقال : كان أبوكَ يا أبا [١] ، خيراً لنا منك ، وأنت يا أبا ، ليس تعدنا ولا تبعثُ إلينا ، ونحن يا أبا ، تِجَارُك وجِيرانُك . والمأمونُ فى كلِّ ذلك يتبسَّم .

وقيل للمثنّى بن يزيد بن عمر بن هبيرة [٢] ، وهو على اليمامة : إنّ ها هنا مجنوناً له نوادرُ . فأتوه به فقال : ما هجاء النَّشّاش [٣] ؟ فقال : الفَلَج العادِىُّ [٤] . فغضب ابنُ هبيرةَ وقال : ما جئتمونى به إلّا عمداً ، ما هذا بمجنون . والنَّشّاش : يومٌ كان لقَيس على حنيفة . والفَلَج : يومٌ كان لحنيفة على قيس [٥] .

وأنشدوا :

ترى القومَ أسواءً إذا جلسوا معاً ... وفى القوم زَيفٌ مثلُ زيف الدَّراهمِ [٦]

وقال :

فتًى زاده عزُّ المهابة ذِلَّةً ... وكلُّ عزيزٍ عنده متواضعُ

وقال :

قد ينفع الأدبُ الأحداثَ فى مَهَلٍ ... وليس ينفع بَعدَ الكَبْرةِ الأدبُ
إنّ الغُصُونَ إذا قَوّمتَها اعتدلت ... ولن تلينَ إذا قوّمتها الخُشُب [٧]

---

(١) أراد أن يكنيه فذهل عن كنيته . وكنية المأمون أبو جعفر .

(٢) سبقت ترجمة والده فى (١ : ١٩٩) .

(٣) النشاش ، كشدّاد : واد كثير الحمض ، كان به ذلك اليوم بين بنى عامر بن صعصعة وبنى حنيفة أهل اليمامة . ياقوت والميدانى (٢ : ٣٥٣) .

(٤) الفلج العادى ، ويقال له أيضاً فلج الأفلاج : مدينة باليمامة من قرى عامر بن صعصعة . وكان به يومان : الفلج الأول لبنى عامر على بنى حنيفة ، والآخر لبنى حنيفة على بنى عامر . ياقوت والميدانى (٢ : ٢٥٢) . ما عدا ل : « القادى » تحريف . قال ياقوت : « وكان فلج هذا من مساكن عاد القديمة » . وأنشد للقحيف :

وبالفلج العادى قتلى إذا التقت ... عليها ضباع الغيل باتت وظلت

(٥) مضى فى الحاشية السابقة أنهما يومان تبودلت فيها الغلبة . ويعنى بقيس عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان .

(٦) أسواء : جمع سواء ، وسواء الشئ : مثله . وأنشده فى اللسان (سوا) .

(٧) ما عدا ل : « ولا تلين » . وانظر (٣ : ٨٣) .

بـاب فى العى

قال جعفر بن أخت واصل : كتب رجلٌ إلى صديق له : « بلغنى أنّ فى بستانك أشياءَ تهمُّنى ، فهب لى منه أمراً من أمر الله عظيماً [١] » .

وقال أبو عبد الملك ، وهو الذى كان يقال له عَنَاقٌ : كان عيّاشٌ [٢] وثُمامةُ [٣] حيٌّ يعظّمنى تعظيماً ليس فى الدُّنيا مثله .

وقال له عيَّاش بن القاسم : بأىّ شىء تزعمون أنّ أبا علىّ الأسوارىَّ [٤] أفضلُ من سلّامٍ أبى المنذر [٥] ؟ قال : لأنّه لما مات سلّامٌ أبو المنذر ذهب أبو علىٍّ فى جنازته ، فلما مات أبو علىّ لم يَذْهب سلّام فى جنازته .

وكان يقول : فيك عَشْرُ خصالٍ من الشرّ . فأمّا الثانية كذا ، وأمّا الرابعة كذا ، وأما السابعة كذا ، وأمّا العاشرة كذا .

قال : وقلنا للفقعسى : كيف ثناؤك على حمدانَ بنِ حبيب ؟ فقال : هو والله الكذا الكذا .

وقال الخُرداذىّ : آجَركم الله وأعظم أجْركم وأجَركم [٦] فقيل له ذلك فقال : هذا

---

(١) ما عدا ل : « عظيم » .

(٢) هو عياش بن القاسم ، كما سيأتى .

(٣) ثمامة بن أشرس ، ترجم فى (١ : ١٠٥) .

(٤) هو أبو على الحسين بن على بن يزيد الأسوارى ونسبته إلى « أسوارية » بفتح الهمزة وضمها ، وهى قرية من قرى أصبهان . ذكره أبو نعيم الأصفهانى فى أخبار أصفهان (١ : ٢٨١) والسمعانى فى الأنساب ٣٨ .

(٥) هو أبو المنذر سلام بن سليمان . وهو من أصحاب القراءات غير السبع . ابن النديم ٤٥ والمعارف ٢٣٢ . وقد عده ابن النديم فى عداد المجبرة وقال : « ويكنى أبا المنذر ، ويلقبه أهل العدل (يعنى المعتزلة) أبا المدبر » ، وروى له خبراً فى الإجبار : أنه أصاب غلاما على جاريته فقال له:ما هذا ويلك ؟! قال : كذا قضاءالله . فقال : أنت حر لعلمك بالقضاء والقدر . وزوجّه الجارية . ابن النديم ٢٥٦ .

(٦) ل : « آجركم الله وأعظم أجركم » فقط . وانظر العقد (٦ : ١٦١) .

كما قال عثمان بن الحكم (١) : بارك الله لكم وبارك عليكم وبارك فيكم . قالوا له : ويلك : إنَّ هذا لا يشبه ذلك .

وكتب إلى بعض الأمراء : « أبقاك الله ، وأطال بقاءك ، ومدَّ فى عمرك » .

وكان أبو إدريسَ السَّمّان يقول : « وأنت فلا صبَّحك الله إلاّ بالخير (٢) » ويقول : « وأنتم فلا حياً الله وجهَكم (٣) إلّا بالسلام ، وأنتم فلا بيّتكم الله إلّا بالخير » .

ومَرَّ ابن أبى علقمة ، فصاح به الصِّبيانُ فهرب منهم ، وتلقّاه شيخٌ عليه ضفيرتان ، فقال له : ﴿ يَاذَا القَرْنَيْنِ إنَّ يأجُوجَ ومَأجوجَ مُفْسِدُون فى الأرض ﴾ .

وقال المهلَّبُ لرجل من بنى مِلْكان ، أحد بنى عدىّ : متى أنت ؟ قال : أيّامَ عُتيبةَ بنِ الحارث بن شهاب (٤) . وأقبل على رجلٍ من الأزد فقال : متى أنت ؟ فقال : أكلتُ من حياة رسول الله ﷺ عامَين . فقال له المهلّب : أطعمك الله لَحمَك !

وأنشدنى المُعَيطىّ (٥) :

وأنزَلَنى طولُ النّوى دارَ غَربةٍ ... إذا شئتُ لاقيتُ الذى لا أشاكلُه (٦)
فحامقْتُه حتّى يقالُ سجِيَّةٌ ... ولو كان ذا عقلٍ لكنتُ أعاقلُهْ

قالوا : وخطب عَتّابُ بن ورقاءَ (٧) فحثَّ على الجهاد ، فقال : هذا كما قال الله تبارك وتعالى :

---

(١) هو عثمان بن الحكم بن صخرٍ الثقفى ، أورد له أبو الفرج خبرين فى الأغانى (٩ : ٢٣ / ١٧ : ١٧) كما روى له الجاحظ خبراً فى الحيوان (١ : ١٠٤) .

(٢) العقد (٦ : ١٦١) .

(٣) ما عدا ل : « وأنت فلا حيا الله وجهك » .

(٤) سبقت ترجمته فى (١ : ٢١) .

(٥) هـ : « وأنشد المعيطى » .

(٦) البيتان أنشدهما ابن قتيبة فى عيون الأخبار (٣ : ٢٤) ، وسبقا فى (١ : ٢٤٥) ، وسيعادان فى (٣ : ٢١) . والغربة ، بالفتح : البعد .

(٧) عتاب بن ورقاء الرياحى : أحد شجعان العرب وفرسانهم ، وكان يكنى أبا ورقاء ، وكان من سادات الكوفة . وكان الفرخان صاحب الرى قد ارتد ، فوجه إليه عتاب فقتله ، وولى أصبهان أيام فتنة ابن =

كُتِبَ القتل والقتالُ علينا وعلى الغانيات جرُّ الذّيولِ (١)

وخَطب والى اليمامة فقال (٢) : « إن الله لا يُقارُّ عبادَه على المعاصى ، وقد أهلك الله أمَّة عظيمة فى ناقةٍ ما كانت تساوِى مائتى درهم » ، فسمِّىَ مقومَ ناقةِ الله .

وهؤلاء الجُفاةُ والأعراب المُحرَّمون (٣) ، وأصحاب العَجْرفيَّة ، ومن قلَّ فقهُه فى الدّين ، إذا خطبوا على المنابر فكأنهم فى طباع أولئك المجانين .

وخطب وكيعُ بن أبى سُودٍ (٤) بخراسان ، فقال : « إنّ الله خلق السَّموات والأرضَ فى ستَّة أشهر » . فقيل له : إنّها ستّة أيام . قال : وأبيكَ لقد قلتُها وإنِّى لأستقلّها !

= الزبير ، ثم ولى المدائن وناحيتها ، وبعثه الحجاج فى جيش من الكوفة لقتال الأزارقة ، ثم فى جيش منهم لقتال شبيب الخارجى ، وذلك فى سنة ٧٧ ، فبيّته شبيب فتفرق عنه جيشه فقتل . الطبرى (٧ : ٢٤٢) والمعارف ١٨٢ . وقيل فيه لما نعى :

وقائلة هل كان بالمصر حادث نعم قتل عتاب من الحدثان

وابنه خالد بن عتاب له أخبار بخراسان . حواشى الاشتقاق ١٣٦ .

(١) البيت من أبيات قالها عمر بن أبى ربيعة فى شأن عمرة بنت النعمان بن بشير ، وكانت تحت المختار بن أبى عبيد الثقفى ، فأخذها مصعب بعد قتله المختار ، وطلب إليها البراءة منه ، فأبت ، فحفر لها حفيرة وأقيمت فيها فقتلت ، فقال فى ذلك عمر :

إن من أعجب العجائب عندى قتل بيضاء حرة عطبول
قتلت حرة على غير جرم إن لله درها من قتيل
كتب القتل والقتال علينا وعلى الغانيات جر الذيول

الأغانى (٨ : ١٣٣) وزهر الآداب (٣ : ٧٦) وعيون الأخبار (٢ : ٤٩) .

(٢) الخبر فى عيون الأخبار (٢ : ٤٥) .

(٣) سبق الكلام على المحرمين فى ص ٢٢٢ . ما عدا ل : « من الجفاة والأعراب المحرمين » .

(٤) هو أبو مطرف وكيع بن حسان بن قيس بن أبى سود الغدانى التميمى ، وكان عبد العزيز بن عبد الله بن عامر قد ولى سجستان ، فغضب عليه وحبسه ، فاحتال لنفسه حتى أفرج عنه . ثم تحول إلى خراسان فكان رأساً . فكتب الحجاج إلى قتيبة يأمره بقتله . وكان أبلى معه بلاء حسناً فى مغازيه معه . فعزله قتيبة عن الرآسة فقط ، فلما ملك الوليد وخلع قتيبة بايع الناس وكيعا . فقتل قتيبة وأخذ رأسه فبعث به إلى سليمان ، ومكث وكيع غالباً على خراسان تسعة أشهر حتى وليها يزيد بن المهلب . المعارف ٨٣ والطبرى (٨ : ١١٦) وجمهرة ابن حزم ٢٢٦ . وانظر الخبر فى عيون الأخبار (٢ : ٤٨) .

وصعِد المنبرَ فقال : إن ربيعةَ لم تزَل غِضاباً على الله مذْ بعثَ الله نبيَّه فى مُضَر . ألَا وإنَّ ربيعة قومٌ كُشُفٌ (١) ، فإذا رأيتموهم فاطْعنوا الخيل فى مناخرها ، فإنّ فرساً لم يطعن فى منخره إلّا كان أشدَّ على فارسه من عَدُوّه .

وضَربت بنو مازن الحُتَات بن يزيدَ المُجاشعىّ (٢) ، فجاءت جماعةٌ منهم ، فيهم غالبٌ أبو الفرزدق ، فقال : يا قوم ، كونوا كما قال الله : لا يعجِز القومُ إذا تعاونوا .

وتزعم بنو تميم أن صَبِرَة بن شَيْمان (٣) قال فى حرب مسعودٍ (٤) والأحنف : إن جاء حُتَاتٌ جئت ، وإنْ جاء الأحنف جئت ، وإن جاء جاريَةُ (٥)
١٦ جئت ، وإن جاءوا جئنا ، وإن لم يجيئوا لم نَجئْ .

وهذا باطلٌ ؛ قد سمِعْنا لصَبِرَةَ كلاماً لا ينبغى أن يكون صاحبُ ذلك الكلامِ يقول هذا الكلام .

ولمّا سمِع الأحنفُ فتيانَ بنى تميم يضحكون من قول العَرنْدس (٦) :

لَحَا الله قوماً شوَوْا جارَهُمْ ... إذِ الشّاةُ بالدِّرهمين الشَّصِبْ (٧)
أرى كلَّ قومٍ رَعَوا جارهمْ ... وجارُ تَميم دُخَانٌ ذَهَبْ

---

(١) الكُشف : جمع أكشف ، وهو الذى لا يصدق القتال ، وقيل الأكشف : الذى لا ترس معه فى الحرب ، كأنه منكشف غير مستور .

(٢) سبقت ترجمته فى (١ : ٥٩) .

(٣) مضت ترجمته فى (١ : ٣٠٠) . وضبطت الباء فى هـ بالكسر والسكون معاً .

(٤) هو مسعود بن عَمرٍو العتكى ، المترجم فى ص ٦٨ .

(٥) هو جارية بن قدامة التميمى السعدى ، كان الأحنف بن قيس يدعوه عمه على سبيل التعظيم . الإصابة ١٤٦ . وفى النسخ : « حارثة » ، تحريف .

(٦) العرندس هذا هو العرندس العوذى ، من الأزد ، بصرى إسلامى . ذكر المرزبانى فى معجمه ٣٠٦ أنه يقول الشعر التالى لبنى تميم حين أحرقوا عامر بن الحضرمى . والعرندس هذا غير العرندس الكلابى .

(٧) ل : « والشاة » وهذا العجز كتب فى هامش أصل معجم المرزبانى برواية :

« بأخدود فيه الغثا والخشب »

قال : أتضحكون ؟ أمَا والله إنَّ فيه لمعنَى سَوء .

قال : وكان قَبيصة (١) يقول : رأيتُ غُرفةً فوق البيت .

ورأى جراداً يطير فقال : لا يَهُولَنَّكم ما ترون ، فإنّ عامَّتَها موتى .

وإنَّه فى أوّل ما جاء الجراد قَبَّل (٢) جرادةً ووضعها على عينيه ، على أنَّها من الباكورة .

وهذه الأشياء ولّدها الهيثم بنُ عديّ ، عند صنيع داود بن يزيد (٣) فى أمر تلك المرأة ما صنع (٤) .

قال أبو الحسن : وتغدَّى أبو السَّرايا (٥) عند سليمان بن عبد الملك ، وهو يومئذ ولىُّ عهد ، وقدَّامَه جَدىٌ ، فقال : كل من كُليته فإنّها تزيد فى الدماغ (٦) .

---

(١) هو قبيصة بن المهلب ، كما فى عيون الأخبار (٢ : ٤٥) حيث الخبر مع تاليه .

(٢) ل : « قتل » .

(٣) داود بن يزيد بن حاتم المهلبى ، أحد قواد الرشيد . ل : « بن زيد » تحريف . ولاه الرشيد السند سنة ١٨٤ ومات وهو وال عليها فى زمان المأمون سنة ٢٠٥ . تاريخ الطبرى .

(٤) فى الأغانى (١٨ : ١٠٩) أن الهيثم كان تزوج امرأة من بنى الحارث بن كعب ، فركب محمد بن زياد بن عبيد الله بن عبد المدان الحارثى أخو يحيى بن زياد ، ومعه جماعة من أصحابه الحارثيين إلى الرشيد ، فسألوه أن يفرق بينهما ، فقال الرشيد : أليس هو الذى يقول فيه الشاعر :

إذا نسبت عديا فى بنى ثعل … فقدم الدال قبل العين فى النسب

قالوا : بلى يا أمير المؤمنين . فأمر الرشيد داود بن يزيد أن يفرق بينهما . فأخذوه فأدخلوه داراً وضربوه بالعصى حتى طلقها . والبيت من أبيات لأبى نواس ، هى مع خبرها فى ترجمة الهيثم فى وفيات الأعيان . وفى حواشى هـ : « كان هشام بن عبد الملك قد أمر الهيثم بن عدى أن يضع تأليفاً يذكر فيه مثالب العرب ويبالغ فى ذلك وألا يذكر قريشاً . وكان داود بن يزيد بن المهلب قد فتك بامرأة من قريش،فذكرهم الهيثم فى مثالبه » .

(٥) السرايا : جمع سرية . وأبو السرايا هذا غير أبى السرايا الخارجى . وقد خرج هذا الأخير فى زمان المأمون ، واسمه السرى بن منصور ، وكان يذكر أنه من ولد هانئ بن قبيصة بن هانئ بن مسعود . خرج بالكوفة مع ابن طباطبا ، وكان هو القيم بأمره فى الحرب وتدبيرها وقيادة الجيش . كان سبب الخروج ما كان من أمر صرف المأمون طاهر بن الحسين عما كان إليه ، وتوليته ذلك الحسن بن سهل وكان ذلك سنة ١٩٩ . وانتهت حروبه بمصرعه سنة ٢٠٠ ، حيث أمر الحسن بن سهل بضرب عنقه . انظر الطبرى فى حوادث هاتين السنتين . وقد ورد الخبر الذى رواه الجاحظ فى كتاب البغال (٢ : ٢٣٨) كما ورد فى عيون الأخبار (٢ : ٤٧) بلفظ : « تغدى رجل عند سليمان » .

(٦) ل ، هـ :« كليتيه » وأثبت ما فى سائر النسخ والعيون . ما عدا ل : « فإنه يزيد فى الدماغ » .

فقال : لو كان هذا هكذا ، لكان رأسُ الأمير مثلَ رأس البغل .

وقال أبو كعبٍ : كنَّا عند عيّاشٍ بن القاسم ، ومعنا سَيْفَويه القاصّ ، فأُتينا بفالوذَجة حارة ، فابتلَع منها سَيفويه لقمةً فغُشِيَ عليه (١) من شدّة حرّها ، فلما أفاق قال : لقد مات لى ثلاثةُ بنينَ ما دخل جوفى عليهم من الحُرقة ما دخل جوفى من حُرقة هذه اللقمة !

سعيد بن أبى مالك (٢) قال : جالسنى رجل ، فَغبَر (٣) لا يكلّمنى ساعةً ، ثم قال لى : جلستَ قطُّ على رأس تنُّورٍ فخَرِيتَ فيه آمناً مطمئنّا ؟ قال : قلت : لا . قال : فإنك لم تعرفْ شيئاً من النّعيم قطّ !

قال : وقال هشام بن عبد الملك ذاتَ يوم لجلسائه : أىُّ شىء ألَذّ ؟ قال الأبرش بن حسَّان (٤) : هل أصابك جَرَبٌ قط فحككتَه ! قال : مالَكَ ! أجْربَ الله جِلدك ، ولا فرجّ الله عنك ! وكان آنَسَ الناس به .

* * *

ومن غرائب الحُمقِ : المذهب الذى ذهب إليه الكميت بن زيد ، فى مديح
النبى ﷺ ، حيث يقول (٥) : ١٧

فاعتتب الشّوق من فؤادى والشّعـ ـرُ إلى من إليه مُعتَتَبُ
إلى السّراج المنيرِ أحمدَ لا تَعدِلُنى رَغبةٌ ولا رهَبُ
عنه إلى غيرِه ، ولو رفع النّا سُ إلىَّ العيونَ وارتقَبوا
وقيل أفرطتَ ، بل قصدتُ ولو عنّفنِى القائلون أو ثَلَبوا

---

(١) ل : « غشى عليه » .

(٢) فيما عدا ل ، هـ : « سعد بن مالك » . وانظر رسائل الجاحظ بتحقيقنا .

(٣) غبر : بقى ومكث . ما عدا ل ، هـ : « فقير » ، تحريف

(٤) ترجم فى (١ : ٣٤٥) .

(٥) الأبيات أنشدها فى الحيوان (٥ : ١٧٠) .

إليكَ يا خيرَ مَن تضمّنت الأر ضُ ولو عاب قولِىَ العُيَبُ
لَجّ بتفضيلك اللّسان ولو أُكثِر فيك اللَّجاجُ واللَّجَبُ

فمن (١) رأى شاعراً مدح النبى ﷺ فاعترض عليه واحدٌ من جميع أصناف الناس ، حتّى يزعمَ هو أنّ ناساً يعيبونه ويثلبونه ويعنّفونه ؟!

ولقد مدح النبىَّ ﷺ ، فما زاد على قوله :

وبورِكَ قَبْرٌ أنتَ فيه وبوركت به ، وله أهلٌ بذلك يثربُ

يعنى قبر النبى ﷺ . ويثرب ، يعنى المدينة .

لقـد غيَّـوا بِرًّا وحزمـاً ونائـلاً عشيَّةَ واراه الصّفيحُ المُنصَّبُ (٢)

وهذا شعر يصلُح فى عامّة الناس .

وكتب مَسلمة بن عبد الملك ، إلى يزيدَ بنِ المهلب : إنّك واللهِ ما أنتَ بصاحب هذا الأمر ، صاحبُ هذا الأمرِ مغمورٌ مَوتُور ، وأنت مشهور غير موتور . فقال له رجلٌ من الأزْد يقال له عثمانُ بن المفضّل : قدِّم ابنَك مخلداً حتّى يُقتل فتصير موتوراً (٣) .

وقال : جاء ابنٌ لجُدَيع بن على (٤) وكان ابن خالٍ ليزيد بن المهلّب (٥) ، فقال

---

(١) ل : « فمتى » .

(٢) روى أيضا : « وواراك » . والصفيح : جمع صفيحة ، وهى الحجارة العريضة . والمنصَّب : الذى نصب بعضه على بعض ، يعنى حجارة القبر . والبيتان فى الحيوان (٥ : ١٧١) .

(٣) الخبر فى عيون الأخبار (٢ : ٤٤) .

(٤) جديع بن على الأزدى المعنى الكرمانى ، شيخ خراسان وفارسها ، وأحد الرؤساء الدهاة : ولد بكرمان ، وأقام بخراسان إلى أن وليها نصر بن سيار ، فخاف شر الكرمانى فسجنه ، ثم فر من السجن وأقام زمنا يؤلف الجموع سرا ، ثم خرج من جرجان وتغلب على مرو ، وفى أثناء ذلك ظهر أبو مسلم الخراسانى فاتفق معه على قتال نصر ، ثم اجتذبه نصر إليه وخادعه بطلب الصلح ، وخرج ليكتب المعاهدة ومعه مائة فارس ، فوجه إليه نصر مائة فارس قتلوه فى الرحبة . وذلك فى سنة ١٢٩ . الطبرى (٩ : ٩١) . ل ، هـ « لجذيع » ، وفى سائر النسخ : « لخديع » صوابه بالجيم والدال المهملة .

(٥) هـ : « ابن خال يزيد بن المهلب » .

ليزيد : زوِّجنى بعض وَلِدك . فقال له عثمان بن المفضَّل : زوِّجْه ابنَك مخلداً ، فإنه إنما طلبَ بعضَ الوَلَد ولم يستثنِ شيئاً .

ومن الحَمقَى[1]: كُثَيِّر عَزَّة . ومن حُمقه أنه دخل على عبد العزيز بن مروان ، فمدحه بمديحٍ استجاده ، فقال له : سَلْنى حوائجَك . قال : تجعلنى فى مكانِ ابن رُمَّانة [2] . قال : ويلك ، ذاك رجلٌ كاتب وأنت شاعر! فلما خرج ولم ينل شيئاً قال فى ذلك : ١٨

عجبتُ لأخذى خُطَّة الغَىّ بعد ما   تبيَّن من عبد العزيز قَبولُها
فإنْ عادَ لى عبدُ العزيز بمثلها   وأمكننى منها إذاً لا أُقِيلُها

قال أبو الحسن : قال طارق [3] : قال ابن جابان [4] : لقى رجلٌ رجلاً ومعه كلبان ، فقال له : هب لى أحدَهما . قال : أيَّهما تريد ؟ قال : الأسود . قال : الأسود أحبُّ إلىَّ من الأبيض ! قال : فهب لى الأبيض . قال : الأبيض أحبُّ إلىَّ من كِلَيهما !

قال : وقال رجلٌ لرجل : بكم تبيع الشاة ؟ قال : أخذتُها بستّة ، وهى خيرٌ من سبعة ، وقد أُعطيتُ بها ثمانية ، فإنْ كانت حاجتَك [5] بتسعة فزِنْ عشرة .

قال أبو الحسن : قال طارقُ بن المبارك : دخل رجلٌ على بلالٍ فكساه ثوبين ، فقال : كسانى الأمير ثوبين ، فاتَّزرتُ بالآخَر ، وارتديتُ بالآخَرَ .

قال : ومرِض فتًى عندنا فقال له عمُّه : أىَّ شىءٍ تشتهى ؟ قال : رأسَ كبشين . قال : لا يكون ! قال : فرأسَىْ كبش [6] !

---

(١) ما عدا ل ، هـ : « الحمقاء » تحريف .
(٢) ما عدا ل ، هـ : « ابن زمانة » بالزاى .
(٣) هو طارق بن المبارك ، كما سيأتى .
(٤) ل : « جلبان » وانظر ما مضى فى ص ٢١٩ س ٦ .
(٥) هـ : « من حاجتك » .
(٦) العقد (٦ : ١٦٠) .

طارق قال : وقع بين جارٍ لنا وجارٍ له يُكْنَى أبا عيسى ، كلامٌ ، فقال : اللهمَّ خُذْ منّى لأبى عيسى . قالوا [١] : أتدعو الله على نفسك ؟ قال : فخُذْ لأبى عيسى منّى !

أبو زكريَّا العَجْلانىّ ، قال : دخل عمرو بن سعيدٍ [٢] على معاوية وهو ثقيل ، فقال : كيف أصبحت يا أمير المؤمنين ؟ قال : أصبحتُ صالحاً . قال : أصبحَتْ عينُك غائرة ، ولونُك كاسفاً ، وأنفُك ذابلاً ، فاعهد عَهْدَك ولا تُخْدعَنَّ عَنْ نفسِك .

قال : وقال عُبيد الله بن زياد بن ظَبْيانَ التيمىّ : يرحم الله عمر بن الخطاب ، كان يقول : اللهمَّ إنى أعوذ بك من الزّانيات ، وأبناء الزانيات ! فقال عُبيد الله بن زياد بن أبيه : يرحم [٣] الله عمر كان يقول : لم يُقِم جنينٌ فى بطن ١٩
حمقاءَ تسعة أشهرٍ إلّا خرج مائقا !

وكان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون : « كونوا بُلْهاً كالحَمَام [٤] » .

وقال آخر : حماقة صاحبى علىَّ أشدُّ ضَرَراً منها عليه [٥] .

وقالوا : شَرَدَ بعيرٌ لهبنَّقَة القيسىّ [٦] – وبجنونه يُضرب المثل – فقال : مَن جاء به فله بعيران . فقيل له : أتجعل فى بعير بعيرين ؟ فقال : إنّكم لا تعرفون فَرْحة الوِجدان [٧] . واسمه يزيدُ بن ثَرْوان ، وكنيته أبو نافع .

---

(١) ل : « قيل » .
(٢) عمرو بن سعيد الأشدق ، المترجم فى (١ : ٣١٤) .
(٣) ما عدا ل ، هـ : « رحم » .
(٤) انظر للخبر وتحقيقه ما كتبت فى حواشى الحيوان (٣ : ٨٩) .
(٥) هـ : « وقال قائل » . ل : « حماقة صاحبى أشد ضررا على منها عليه » .
(٦) سبقت ترجمته فى ص ١٣٢ .
(٧) الفرحة ، بالضم ، وبالفتح : المَسَرّة .

وقال الشّاعر :

عِشْ بجَدٍّ ولا يضُرَّكَ نَوكٌ إنّما عيشُ مَن تَرَى بالجُدُودِ
عش بجَدٍّ وكن هَبَنَّقَةَ القَيْـ ـسيَّ نَوكاً أو شَيبةَ بن الوليدِ [١]

وهَبنّقةُ هو يزيد بن ثَرْوان ، أحد بنى قيس بن ثعلبة .

* * *

ولما خَلَع قتيبةُ بن مسلم سليمانَ بن عبد الملك بخراسان [٢] ، قام خطيباً فقال : « يا أهل خراسان ، أتدرون مَن وِلِيُّكم ؟ إنّما ولِيُّكم يزيد بن ثروان » . كنى به [٣] عن هَبنّقة . وذلك أنّ هبنّقة كان يحسِن من إبله إلى السِّمان ويَدَع المهازيل ، ويقول : إنّما أُكرِمُ من أكرم الله وأهين من أهان الله [٤] . وكذلك كان سليمانُ يعطى الأغنياء ولا يعطى الفقراء ، ويقول : أُصلِح ما أصلح الله ، وأُفسد ما أفسَدَ الله .

وقال الفرزدق : ما عييتُ بجواب أحدٍ قَطُّ ما عَيِيت بجوابِ مجنونٍ بدَير هِزْقِلَ [٥] ، دخلتُ إليه فإذا هو مشدودٌ إلى أسطوانة [٦] ، فقلت : بلغنى أنّك حاسب .

---

(١) البيتان رويا مع أربعة بعدهما فى أمالى الزجاجى ٦١ مع النسبة إلى يحيى بن المبارك اليزيدى . وهما فى عيون الأخبار (١ : ٢٤٢ – ٢٤٣) برواية : « أو خالد بن الوليد » . وهما مع قرين ثالث فى أمثال الميدانى واللسان (هبنق) :

رب ذى إربة مقل من الما ل وذى عنجهية مجدود

ورابع فى اللسان (هبنق) ، وهو :

شبيب يا شيب يا سخيف بنى القعـ ـقاع ما أنت بالحليم الرشيد

وذكر الميدانى أن « شيبة بن الوليد » هذا رجل من رجالات العرب .

(٢) انظر لخبر الخلع ص ١٣٢ حيث ساق الجاحظ « خطبة قتيبة » .

(٣) ل . « كناية » .

(٤) ل : « ما » بدل « من » فى الموضعين .

(٥) دير هزقل : دير مشهور بين البصرة وعسكر مكرم ، يقال هو المراد بقوله تعالى : (أو كالذى مر على قرية) . وهو بكسر الهاء وسكون الزاى وكسر القاف . أصله حزقيل ثم نقل إلى هزقل ، كما ذكر ياقوت . وفى الأصول : « هرقل » تحريف . وجاء فى قول دعبل :

فكأنه من دير هِزقلَ مفلت حرد يجر سلاسل الأقياد

(٦) هـ : « أصطوانة » بالصاد ، ولم أجدها . والأسطوانة : السارية .

قال : ألقِ علىّ ما شئت. قال : فقلت : أمسك معك خمسة وجُلِدْتَها [١] . قال : نعم. قلت : وأمسِكْ أربعةً وجُلِدْتَها . قال : نعم . قلت : كم معك ؟ قال : تسعة وجُلِدتَها مرّتين .

وكان زُرَيْق الفَزارىّ يمرُّ باللّيل وهو شارب ، فيشتُم أهلَ المجلس ، فلما أن كان بالغداة عاتبوه [٢] ، قال : نعم ، زَنَّيت أمهاتِكم فماذا عليكم ؟

قالوا : وخطب يوماً عَتَّاب بن ورقاء [٣] فقال : هذا كما قال الله تبارك وتعالى : « إنّما يتفاضل النّاس بأعمالهم ، وكل ما هو آتٍ قريب » . قالوا له : إنّ ٢٠ هذا ليس من كتاب الله ! قال : ما ظننتُ إلاّ أنّه من كتاب الله [٤] .

قال : وخطب عدىّ بن وَتَّاد [٥] الإيادىّ فقال : أقول كما قال العبدُ الصالح : ﴿ ما أُريكُمْ إلاّ ما أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إلاّ سَبيلَ الرَّشاد ﴾ . قالوا له : ليس هذا من قول عبدٍ صالحَ ، إنّما هو من قول فرعون . قال : ومن قاله فقد أحسن !

وقال أعرابىّ :

خلقَ السَّماءَ وأهلَها فى جُمْعةٍ   وأبوكَ يمْدُر حوضَه فى عَامِ [٦]

* * *

وقالوا : وكان عبدُ الملك بنُ مرْوان أوّلَ خليفةٍ من بنى أميَّة منع الناسَ من الكلام عند الخلفاء ، وتقدّم فيه وتوعّد عليه ، وقال : إنّ جامعةَ عمرو بن سعيد ابن العاصِى عِندى [٧] ، وإنى والله لا يقولُ أحَدٌ [٨] هكذا إلاّ قلت به هكذا.

---

(١) هكذا ورد ضبطه فى ل ، هـ .

(٢) ل : « فإذا كان » .

(٣) سبقت ترجمته قريبا فى ص ٢٣٥ .

(٤) ل : « فى كتاب الله » فى الموضعين .

(٥) كذا ورد مضبوطا فى ل . وفيما عداها . « زياد » .

(٦) مدر الحوض : سد خصاص حجارته بالمدر ، وهو قطع الطين اليابس .

(٧) ما عدا ل ، هـ : « العاص » . والجامعة : الغل ؛ لأنها تجمع اليدين إلى العنق .

(٨) ما عدا ل ، هـ : « أحدكم » .

وفى خطبَة له أخرى : إنِّى والله ما أنا بالخليفة المستضعَف (وهو يعنى عثمان بن عفّان رحمه الله) ، ولا أنا بالخليفة المُداهِن (يعنى معاوية) ، ولا أنا بالخليفة المأبون (يعنى يزيد بن معاوية) .

قال أبو إسحاق (١) : والله لولا نسبُك من هذا المستضعف ، وسببُك من هذا المُداهِن ، لكنتَ منها أبعد من العَيُّوق (٢) . والله ما أخذتَها من جهة الميراث ولا من جهة السّابقة ، ولا من جهة القرابة ، ولا تدَّعى شُورَى ولا وصيةً .

* * *

قال أبو الحسن : دخل كَرْدَم السّدوسى ، على بلال بن أبى بُردة فدعاه إلى الغَداء فقال : قد أكلتُ . قال : وما أكلتَ ؟ قال : قليلَ أرز فأكثَرتُ منه (٣) .

ودخل كَردمٌ الذَّرَّاعُ أرضَ قومٍ يَذرعُها ، فلما انتهى إلى زَنَقَةٍ (٤) لم يحسن يذرِّعها (٥) ، قال : هذه ليست لكم ! قالوا : هى لنا ميراثٌ وما ينازعنا فيها إنسان قطُّ . قال : لا والله ما هى لكم . قالوا : فحَصّل لنا حسابَ مالا تشُكُّ

---

(١) أى أبو إسحاق إبراهيم بن سيار النظام ، قال ذلك تعليقاً على ما سبق من الخطبة .

(٢) العيوق : كوكب أحمر مضىء فى طرف المجرة الأيمن بحيال الثريا فى ناحية الشمال ، يعوق الدبران عن لقاء الثريا .

(٣) الخبر بعبارة أخرى فى عيون الأخبار (٢ : ٥٣) .

(٤) الزنقة ، بالتحريك : السكة الضيقة فيها التواء . ذكرت فى اللسان وليست فى القاموس .

(٥) التذريع : التقدير بالذراع . وقد حذف « أن » قبل الفعل ، وذلك قليل ، وقد سمع ، فقال البصريون : إنه شاذ . وذهب الكوفيون وبعض البصريين إلى القياس عليه . وأجازه الأخفش بشرط رفع الفعل . انظر همع الهوامع (٢ : ١٧) والإنصاف لابن الأنبارى ٢٣٢ – ٢٣٥ والتصريح بشرح التوضيح (٢ : ٢٤٥) واللسان (ريث) والمغنى (٢ : ١٧٢) والرسالة للشافعى ١٦٧ ، ٧٣١ ، ٧٣٢ والخزانة (٣ : ٦٢٣) . وقد ورد نحو هذا التعبير فى الحيوان (٦ : ٤٦٥) : « وإن كان لا يحسن يبنى » . وانظر كذلك (٥ : ٢٢٥) . فيما عدا ل : « لم يحسن تذريعها » .

فيه . قال : عشرون فى عشرين مائتان [١] ، قالوا : من أجل هذا الحساب صارت الزَّنَقَة ليست لنا ؟

قالوا : ودخل عُكابَةُ بن نُمَيلة النُّميرىّ دارَ بلال بن أبى بردة ، فرأى ثوراً مُجلّلاً ، فقال: ما أفرهَهُ من بَغلٍ لولا أنَّ حوافره مشقوقة .

* * *

ومن النَّوكَى ، وممن ربما عدُّوه من المجانين : ابن قَنَانٍ الأزدىّ [٢] ؛ وضَرب به المثل ابنُ ضَبٍّ العَتَكىُّ ، فى قوله لجُدَيع بن علىٍّ [٣] ، خالِ يزيدَ بنِ المهلّب حيث يقول : ٢١

لولا المهلّبُ يا جُدَيْعُ ورُسْلُه   تغدُو عليك لكنتَ كابن قَنَانِ [٤]
أنت المرَدَّدُ فى الجيادِ وإنّما   تأتى سُكيتاً كلَّ يومِ رِهانِ [٥]

وقال آخر يهجو امرأةً بأنّها مِضياعٌ خرقاء :

وإنّ بلائى من رَزينة كُلّما   رجوتُ انتعاشاً أدركتنى بِعاثِرِ [٦]
تبرّدُ ماءَ السُّعْنِ فى ليلة الصَّبا   وتستعمل الكُركورَ فى شهر ناجرِ [٧]

---

(١) ما عدا ل : « عشرين فى عشرين مائتين » . وانظر العقد (٦ : ١٦٠) .

(٢) ما عدا ل ، هـ : « ابن فنان الأذرى » . وانظر ما سبق فى ص ٢٢٦ .

(٣) سبقت ترجمته فى ص ٢٤٠ . وفى هـ : « لجذيع » بالذال المعجمة .

(٤) ما عدا ل ، هـ : « كابن فنان » .

(٥) السكيت ، بضم ففتح ، وقد تشدد الكاف : آخر خيل الحلبة .

(٦) ما عدا ل ، هـ : من درينة » .

(٧) السعن ، بالفتح ، وبالضم : شبه دلو يتخذ من أُدَم يبرد فيه الماء . والكركور : واد بعيد القعر يتكركر فيه الماء . وفى حواشى هـ عن نسخة : « الكانون » . وناجر ، من شهور الصيف . وقد أنشد هذا البيت فى اللسان (نجر) منسوباً إلى عركة الأسدى برواية :

تبرد ماء الشن فى ليلة الصبا   وتسقينى الكركور فى حر آجر

وذكر قبله : « وشهرا ناجر وآجر أشد ما يكون من الحر . ويزعم قوم أنهما حزيران وتمُّوز . قال : وهذا غلط ، إنما هو وقت طلوع نجمين من نجوم القيظ » .

وفى خطأ العلماء

قال أبو الحسن : قال الشّعْبىّ : سايرت أبا سَلَمةَ بن عبد الرحمن بن عوف (١) فكانَ بينى وبين أبى الزِّناد (٢) ، فقال : بينكما عالم أهل المدينة . فسألته امرأةٌ عن مسألةٍ فأخطأ فيها .

وقال طرفة بن العبد يهجو قابوسَ بن هندٍ الملكَ :

لعمركَ إنّ قابوسَ بنَ هندٍ ليخلِطُ مُلكَهُ نوكٌ كَثيرُ (٣)
قَسَمتَ الدّهرَ فى زمنٍ رخىٍّ كذاكَ الحُكْمُ يَقصِدُ أو يجورُ (٤)
لنا يومٌ وللكِرْوان يومٌ تطير البائساتُ وما نطيرُ (٥)
فأمَّا يومُنا فنظلُّ رَكْباً وقوفاً مانَحُلُّ وما تَسيرُ
وأمّا يومُهنَّ فيومُ بُؤْسٍ يطارِدُهُنَّ بالحدَبِ الصُّقورُ (٦)

---

(١) أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف الزهرى المدنى . قيل اسمه عبد الله وقيل إسماعيل ، وقيل اسمه كنيته . كان ثقة فقيها كثير الحديث ، وكان من سادات قريش ، توفى سنة ١٠٤ . تهذيب التهذيب (١٢ : ١١٥) .

(٢) هو أبو الزناد عبد الله بن ذكوان القرشى المدنى ، تابعى ثقة فقيه صالح الحديث ، وكان فصيحا بصيرا بالعَربية ، توفى سنة ١٣٠ . تهذيب التهذيب .

(٣) الأبيات فى ديوان طرفة ٦ – ٧ والخزانة (١ : ٤١٢) . وهى من قصيدة له يهجو بها عمرو بن المنذر بن امرئ القيس ، وأخاه قابوس بن المنذر . وأمهما هند بنت الحارث بن حجر الكندى . والنوك ، بالضم والفتح : الحمق والجهل .

(٤) قسمت ، التفات إلى عمرو بن هند المذكور فى الشعر قبل ، وكان له كما ذكروا يومان : ففى يوم خروجه للصيد يقتل أول من يلقى ، وفى يوم نعيمه يقف الناس ببابه فيأذن لمن شاء منهم ، ومن لم يأذن له ظل بالباب واقفا .

(٥) الكروان ، بالكسر : جمع كروان بالتحريك ، ومثله ورشان وورشان ، وشقذان وشقذان . والبائسات يروى أيضاً بالنصب بالقطع على معنى الترحم . ويروى أيضا : « ولا نطير » ، وهى رواية هـ والديوان .

(٦) ويروى : « فيوم سوء » . والحدب ، بالتحريك : ما ارتفع من الأرض وغلظ . وفى الشعر إشارة إلى أنه كان يستعمل الصقر فى الصيد .

الفَلُوشكىّ قال : قلتُ لأعرابىّ : أىَّ شئ تقرأ فى صلاتك ؟ قال : أُمّ الكتاب ، ونسبة الرّبّ ، وهِجاء أبى لهب .

وكان الفَلُوشكى البكراوِىّ [١] أجنّ الناس وأعيا الخلقِ لساناً ، وكان شديد القِمارِ ، شديد اللعب بالوَدع [٢] . قال ابنُ عمٍّ له : وقفت على بقيَّةِ تمرٍ فى بَيدرٍ ٢٢ لى ، فأردتُ أن أعرفهُ بالحَزْر ، ومَعَنا قومٌ يجيدون الخرْص [٣] ، وقد قالوا فيها واختلفوا ، فهجم علينا الفَلُوشكى فقلت له : كم تحزُرُ هذا التَّمر [٤] ؟ قال : أنا لا أعرف الأكرَار وحسابَ القُفْزَان [٥] ، ولكنْ عندى مِرْجَلٌ أطبخ فيه تمرَ نبيذِى ، وهو يسع مَكُّوكين [٦] ، وهذا التَّمر يكون فيه مائتين وستِّين مِرْجلا . قال : فلا والله إنْ أخطأ بقفيز واحد .

قالوا : وقال المهلَّب يوماً والأزد حوله : أرأيتم قول الشاعر :

إذا غُزْرُ المَحَالِب أتأقتْهُ ... يمجُّ على مناكبهِ الثُّمَالا [٧]

وإلى جنب غَيلان بن خَرَشة [٨] شيخٌ من الأزد ، فقال له : قل لَبَن الفحل [٩] . فقالها . فقال المهلَّب : ويلكم ، أمَا جالستم النَّاس ؟!

---

(١) البَكراوىّ : إما نسبة إلى بكراباذ ، وهى ضاحية جرجان ، ينسب إليها بكراوى وبكراباذى ، وإما نسبة إلى أبى بكرة الثقفى الصحابى ، وهو صحابى نزل البصرة . انظر السمعانى ٨٨ . وما عدا ل : « البكرادى » ، تحريف .

(٢) الودع ، بالفتح والتحريك : خرز بيض جوف فى بطونها شق كشق النواة ، وفى جوفها دويبة كالحلمة . وكانت تستعمل فى القمار . وجاء فى وصية عثمان الخياط للصوص : « والودع رأس مال كبير ، وأول منابعه الحذف باللقف » . الحيوان (٢ : ٣٦٧) .

(٣) الخرص : الحزر ، وهو تقدير الشئ بالظن .

(٤) ما عدا ل ، هـ : « فى هذا التمر » .

(٥) الأكرار : جمع كر ، بالضم ، وهو مكيال لأهل العراق ، وهو ستون قفيزاً أو أربعون أردبا . والقفزان : جمع قفيز ، وهو مكيال يسع ثمانية مكاكيك .

(٦) المكوك ، كتنور : مكيال يسع صاعا ونصف صاع ، أو هو نصف الوَيبة .

(٧) الغزر : جمع غزيرة . ل : « غر » ، وهى فى حواشى هـ عن نسخة . ب ، جـ والتيمورية : « غرز » ، والوجه ما أثبت من هـ . أتأقته : ملأته كله . والثمال ، بالضم : رغوة اللبن .

(٨) سبقت ترجمته فى (١ : ٣٤١ ، ٣٩٤) .

(٩) كذا فهم غيلان أو أراد أن يفهم . وإنما عنى الشاعر وطب اللبن أو نحوه .

وأنشد بعضُ أصحابِنا :

أَلِكْنى إلى مَولى أُكَيْمَةَ وانْهَـهُ وهل ينتهى عن أوَّل الزجر أحمَقُ (١)

وزعم الهيثم بن عديٍّ عن رجاله ، أن أهل يَبرِينَ (٢) أخفُّ بنى تميم أحلاماً ، وأقلُّهم عقولا .

* * *

قال الهيثم : ومن النَّوكى : عُبيد الله بن الحُرّ (٣) وكنيته أبو الأشوس (٤) .

قال الهيثم : خطب قَبيصَة (٥) ، وهو خليفة أبيه على خراسان وأتاه كتابُه ، فقال : هذا كتابُ الأمير ، وهو والله أهلٌ لأن أطيعَه ، وهو أبى وأكبر منِّى .

وكان فيما زعموا ابنٌ لسَعيدٍ الجوهرىّ (٦) يقول : صلى الله تبارك وتعالى على محمد ﷺ .

قال أبو الحسن : صعِد عدىُّ بن أرطاةَ على المنبر ، فلما رأى جماعةَ الناس حَصِرَ فقال : الحمدُ لله الذى يُطعم هؤلاء ويسقيهم !

وصعِد رَوح بن حاتم المنبر ، فلما رآهم قد شَفَنوا أبصارهم (٧) ، وفتَحوا أسماعَهم نحوه ، قال : « نكِّسوا رءوسكم ، وغُضّوا أبصارَكم ؛ فإنّ المنبر مركَبٌ صعب ، وإذا يسَّر الله فَتح قُفلٍ تَيسَّر » .

---

(١) ألَاكه يليكه : تحمل ألوكته ، وهى الرسالة .

(٢) يبرين ، ويقال لها أبرين بالهمز : قرية كثيرة النخل بحذاء الأحساء من بلاد بنى سعد بالبحرين . وفى مقدمة معجم البكرى : « ونفذت بنو سعد بن زيد مناة بن تميم إلى يبرين . وتلك الرمال ، حتى خالطوا بنى عامر بن عبد القيس فى بلادهم قطر ، ووقعت طائفة منهم إلى عمان ، وصارت قبائل منهم بين أطراف البحرين إلى ما يلى البصرة ، ونزلوا هنالك إلى منازل ومناهل كانت لإياد بن نزار ، فرفضتها إياد وساروا عنها إلى العراق .

(٣) سبقت ترجمته فى (١ : ٢١) .

(٤) ما عدا ل : « أبو الأبرش » .

(٥) قبيصة بن المهلب بن أبى صفرة .

(٦) ما عدا ل ، هـ : « ابن السعيد الجوهرى » .

(٧) الشفن : أن يرفع طرفه ناظرا إلى الشئ كالمتعجب . ل : « شقت » ، تحريف .

٢٣ قالوا : وصعد عثمان بن عفان ، رحمه الله ، المنبَر فأُرتِج عليه فقال : « إنَّ أبا بكر وعمر كانا يُعِدّان لهذا المقام مقالاً ، وأنتم إلى إمامٍ عادلٍ أحوجُ منكم إلى إمام خطيب » .

قال : وقالوا لزيادٍ الأعجم : لم لا تهجو جريراً ؟ قال : أليس الذى يقول :

كأنَّ بنى طُهَّيَةَ رهطَ سَلْمَى   حجارة خارئٍ يرمى الكِلَابَا [١]

قالوا : بَلَى . قال : ليس بينى وبين هذا عمل .

قال أبو الحسن : خطب مُصعب بن حيَّان أخو مقاتل بن حيان ، خِطبةَ نكاح ، فحَصِرَ فقال : لقِّنُوا موتاكم قول لا إله إلا الله . فقالت أُمُّ الجارية : عجَّل الله موتَك ، ألهذا دعوناك ؟!

وخطب أمير المؤمنين المَوالِى [٢] – وهكذا لقبه – خِطبةَ نكاح ، فحَصِر فقال : اللهم إنّا نَحْمَدك ونستعينك ، ونشرِك بك [٣] .

وقال مولًى لخالد بن صفوان : زوِّجنى أَمَتَك فلانة . قال : قد زوَّجْتُكها ، قال : أفأُدخِل الحَىَّ حتَّى يحضُروا الخِطبة ؟ قال : أدخلْهم . فلمَّا دخلوا ابتدأ خالد فقال : أمَّا بعد فإنَّ الله أجلُّ وأعزُّ من أن يُذكَر فى نكاح هذين الكلبين ، وقد زوَّجتُ [٤] هذه الفاعلَة من هذا ابن الفاعِلةِ

وقال إبراهيم النّخَعى لمنصور بن المعتمر : سل مسألةَ الحَمقى ، واحفَظْ حِفظَ الكَيْسَى [٥] .

---

(١) ديوان جرير ٦٦ وما عدا ل : « يرمى كلابا » . وسلمى : امرأة من طهية هى بنت عم أبى البلاد الطهوى الشاعر ، وكان قد خطبها فاعتل عليه أبوها وزوجها رجلا آخر ، فلما علم بذلك قصد إليها فقتلها . فعير جرير بنى طهية بذلك . وبعد البيت :

رأين سواده فدنون منه   فيرميهن أخطأ أو أصابا

(٢) كذا ضبط فى هـ . وضبط فى ل بضم الميم .

(٣) ما عدا ل : « ولا نشرك بك » .

(٤) ما عدا ل ، هـ : « زوجنا » .

(٥) ما عدا ل : « الأكياس » .

قال : ودَخَل كُثَيِّر عَزَّة – وكان محمَّقاً ، ويُكنَى أبا صخر – على يزيدَ بنِ عبد الملك فقال : يا أمير المؤمنين ، ما يعنى الشَّمَّاخُ بن ضِرارٍ بقوله :

إذا الأرْطَى توسَّدَ أبرَدَيهِ خُدُودُ جوازِئٍ بالرّمل عِينِ [١]

قال يزيد : وما يضرُّ أمير المؤمنين ألاّ يعرف ما عَنَى هذا الأعرابىُّ الجِلفُ ؟ فاستحمقه وأخرجه .

قالوا : وكان عامر بن كُرَيز [٢] يحمَّقُ . قال عَوانة [٣] : قال عامرٌ لأمِّه : مَسِسْتُ اليَومَ بُرْد العاصى بن وائِل السهمى . فقالت : ثَكِلتك أُمُّك ، رجلٌ بين عبد المطلب بن هاشم وبين عبد شمس بن عبد مناف ، يفرَحُ أن تصيب يَدُه بُرْدَ رجل من بنى سهْمٍ ؟

٢٤ ولمّا حَصِر عبدُ الله بن عامر على مِنبر البصرة ، فشقَّ ذلك عليه قال له زياد : أيُّها الأمير ، إنّك إن أقمتَ عامّة مَن تَرى أصابه أكثرُ مما أصابك .

وقيل لرجل من الوجوه : قمْ فاصعد المنبر وتكلمْ . فلما صعِدَ حَصِر وقال : الحمد لله الذى يرزُق هؤلاء ! وبقى ساكتاً ، فأنزلوه .

وصعِد آخر فلما استوى قائماً وقابل بوجهه وجوهَ الناس وقعت عينُه على صَلَعة رجُل [٤] فقال : اللّهم العَن هذه الصَّلَعة !

وقيل لوازِع اليشكُرىّ : قم فاصعد المنبر وتكلم . فلما رأى جَمْع الناس قال : لولا أنّ امرأتى حملَتْنى على إتيان الجمعةِ اليوم ما جَمَّعتُ [٥] ، وأنا أُشْهِدُكم أنّها منِّى طالقٌ ثلاثا !

---

(١) ديوان الشماخ ٩٤ . الأبردان : الغداة والعشى . والجوازئ : بقر الوحش .

(٢) هو والد عبد الله بن كريز ، المترجم فى (١ : ٣١٨) .

(٣) عوانة بن الحكم الكلبى الأخبارى ، المترجم فى (١ : ٣١٦) .

(٤) الصلعة بالتحريك ، موضع الصلع .

(٥) جمع الرجل ، بتشديد الميم : صلى الجمعة . وفى الحديث : « أول جمعة جُمِّعت بالمدينة » .

ولذلك قال الشاعر :

وما ضرَّنى أن لا أقوم بخطبة   وما رَغْبتِى فى ذا الذى قال وَازِعُ

قال : ودخلتُ على أنس بن أبى شَيخ (١) ، وإذا رأسه على مِرْفَقةٍ ، والحجَّام يأخذ من شعره ، فقلت له : ما يحملك على هذا ؟ قال : الكسل . قال : قلت : فإن لقمان قال لابنه : إيّاك والكسل ، وإيّاك والضَّجَر ؛ فإنّك إذا كَسِلْتَ لم تؤدِّ حَقًّا (٢) ، وإذَا ضَجِرتَ لم تصبرْ على حَقّ . قال : ذاك والله أنّه لم يعرف لذَّةَ الكُسولة (٣) .

قال : وقيل لبحر بن الأحنف : ما يمنعك أن تكون مثل أبيك ؟ قال : الكسل (٤) .

وقال الآخر :

أطال الله كيس بنى رَزيـنٍ   وحُمْقِي أنْ شَرَيتُ لهم بِدَيْنِ (٥)
أأكتب إبْلَهمْ شاءً وفيها   بَرَيع فِصَالها بِنتا لَبُونِ (٦)
فما خُلِقوا بكَيسهمُ دُهَاةً   ولا مُلَحَاءَ بعَدُ فيعجبونى (٧)

وذكر الآخر الكَيْس ، فى معاتبته (٨) لبنى أخيه ، حين يقول :

---

(١) كان أنس بن أبى شيخ من البلغاء الفضلاء ، وكان كاتباً للبرامكة ، وقتله الرشيد على الزندقة سنة سبع وثمانين ومائة ، وهى سنة نكبة البرامكة ، صبح الليلة التى قتل فيها يحيى . انظر لسان الميزان والطبرى (١٠ : ٨٥) والبداية لابن كثير (١٠ : ١٩٠ – ١٩١) .

(٢) ل : « لم ترج حقاً » . وانظر ما سبق فى ٧٤ .

(٣) ل : «الفسولة» . والفسولة : الرذالة والنذالة . لكن يبدو أنه عبر عن الكسل بالكسولة .

(٤) الخبر فى عيون الأخبار (٢ : ٥٩) .

(٥) فى البيت سناد . شرى بمعنى باع . ما عدا ل : هـ : « شربت لهم » ، تحريف . وانظر (٤ : ٥٧) .

(٦) الربع : الزيادة . والفصيل : ولد الناقة . وبنت اللبون : التى أتى عليها سنتان ودخلت فى الثالثة ، فصارت أمها لبونا ، أى ذات لبن ، لوضعها أخرى .

(٧) ملحاء : جمع مليح . ما عدا ل ، هـ : « ملجاء » بالجيم . والمليح : الرجل الجليل .

(٨) ما عدا ل ، هـ : « معاتبة » .

عفاريتاً عليَّ وأكْلَ مالى وعجزاً عن أناسٍ آخرينا (١)
فهلَا غير عَمِّكم ظَلَمتُم إذا ما كنتمُ متظلِّمينا
فلو كنتم لِكَيِّسَةٍ أكاسَتْ وكَيْسُ الأم أكيَسُ للبَنِينا

وقال بعضهم : عيادَة النَّوكى الجلوس فوق القَدْر ، والمجيء فى غير وقت .

وعاد رجلٌ رقبةَ بن الحُرّ ، فَنَعى رجالا اعتلُّوا من علَّتِه ، فنعى بذلك إليه نفسَه ، فقال له رقَبة ، إذا دخلتَ على المرضى فلا تَنْعَ إليهم الموتى ، وإذا خرجت من عندنا فلا تَعُد إلينا .

وسأل معاوية ابنَ الكوَّاء (٢) عن أهل الكوفة ، فقال : أبحثُ الناسِ عن صغيرة ، وأترَكُه لِكبيرة (٣) .

وسئل شريكٌ (٤) عن أبى حنيفة فقال : أعلم الناس بما لا يكون ، وأجهل الناس بما يكون (٥) .

وسأل معاوية دَغفَلاً النسَّابة عن اليمن ، فقال : سيِّدٌ وأنْوَك .

وذُكرَ عُيَينة بن حِصْن (٦) ، عند النبى ﷺ فقال : « الأحمق المطاع » .

---

(١) سبقت الأبيات مع نسبتها إلى رافع بن هريم فى (١ : ١٨٥) . وانظر (٤ : ٥٧) .

(٢) ابن الكواء ، هو عبد الله بن عمرو ، من بنى يشكر ، كان ناسباً عالماً من شيعة على . وفيه يقول مسكين الدارمى :

هلم إلى بنى الكواء تقضوا بحكمهم بأنساب الرجال

ابن النديم ١٣٣ والمعارف ٢٣٣ . وفى الاشتقاق ٢٠٥ : « وكان خارجياً وكان كثير المساءلة لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه ، كان يسأله تعنتاً » . وفى الأغانى (١٣ : ٥٢) أنه كان مع الشراة الذى حاربهم المهلب .

(٣) هـ : « عن صغير وأتركه لكبير » .

(٤) هو شريك بن عبد الله بن أبى شريك النخعى الكوفى القاضى . ولد ببخارى سنة ٩٠ ومات سنة ١٧٧ ، وولى القضاء بواسط سنة ١٥٥ . تهذيب التهذيب والمعارف ٢٢٢ وتذكرة الحفاظ (١ : ٢١٤) .

(٥) ورد هذا الخبر فى الحيوان (١ : ٣٤٧ / ٣ : ١٩) والمسئول فيه « حفص بن غياث » لا « شريك » .

(٦) ما عدا ل ، هـ : « عتبة بن حصين » تحريف . والخبر رواه ابن حجر فى الإصابة =

وجنّ أعرابىٌّ من أعراب المِرْبَد ، ورماه الصِّبيان ، فرَجَم ، فقالوا له : أمَا كنت وقوراً حليما ؟ فقال : بلى بأبى أنتم وأمّى ، والله ما استُحمِقْتُ إلا قريباً . وكان أول جنونه من عبث الناس به . ٢٦

ورمى إنساناً فشجَّه ، فتعلّق به ، وهو لا يعرفه وضمَّه إلى الوالى فقال له الوالى : لم رميْتَ هذا وشَجَجْتَهُ ؟ فقال : أنا لم أرْمِه ، هو دخل تحت رَمْيتى .

وكان وَكيعُ بن الدَّورقيَّة [١] يحمِّق ، قال الوليد بن هشام القحذمىّ أبو عبد الرحمن [٢] ، قال : أخبرنى أبى ، قال : لمّا قَدِمَ أميَّةُ [٣] خُرَاسان قيل له : لم لا تُدْخل وكيع بن الدّورقيّة فى صَحَابَتك ؟ قال : هو أحمق . فركب يوماً وسايره فقال : ما أعظم رأسَ بِرذَونك ! قال : قد كفاك الله حَمْله [٤] . ثمّ سايره قليلا فقال : أصلحك الله ، أرأيتَ يومَ لقيتَ أبا فُديكٍ [٥] ما منعَكَ أن تكون قد قدَّمتَ رِجْلاً وأخّرتَ رجْلا ، وداعَسْتَ بالرمح حتى يفتحَ الله عليك ؟ قال : اغُرب قَبَحك الله ! وأمَرَ به فنُحِّىَ .

وساير سعيدُ بن سَلْمٍ [٦] موسى أميرَ المؤمنين [٧]، والحربةُ فى يد عبد الله بن

= ٦١٤٦ عند ترجمة عيينة . وهو أبو مالك عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزارى . كان من المؤلفة قلوبهم ، أسلم قبل الفتح ، وشهدها وشهد حنيناً والطائف ، ثم ارتد فى عهد أبى بكر ومال إلى طليحة وبايعه ، ثم عاد إلى الإسلام . وكان فيه جفاء أهل البوادى ، جاء إلى الرسول ﷺ وعنده عائشة ، فقال : من هذه – وذلك قبل أن ينزل الحجاب – فقال : هذه عائشة . فقال : ألا أنزل لك عن خير منها ؟! فغضبت عائشة فقالت : من هذا ؟ فقال ﷺ : « هذا الأحمق المطاع » ، أى فى قومه . وانظر (١ : ٣١٧) .

(١) هو وكيع بن عميرة القريعى المعروف بابن الدورقية ، وهى أمه ، كانت من سبى دورق : بلد بخوزستان ، يقال لها دورق الفرس . ووكيع هذا هو الذى تولى قتل عبد الله بن خازم السلمى الخارج على عبد الملك سنة ٧٢ . انظر الطبرى (٧ : ١٩٦) وكامل المبرد ٢٧٦ ليبسك .

(٢) ترجمة الوليد بن هشام فى (١ : ٦١ ، ٢٤٣) .

(٣) هو أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، أحد ولاة خراسان .

(٤) هـ : « قد كفاك حمله » .

(٥) سبقت ترجمته فى ص ٢٠٤ .

(٦) ترجم فى ص ٤٠ .

(٧) هو موسى الهادى بن محمد المهدى . أخو الرشيد هارون بن محمد المهدى .

٢٦ مالك [١] ، وكانت الرِّيح تَسْفِى التُّراب الذى تثيره دابّة عبد الله بن مالك فى وجه موسى ، وعبد الله لا يشعر بذلك ، وموسى يَحيد عن سَنَن التُّرابِ ، وعبد الله فيما بين ذلك يلحظ موضعَ مسير موسى ، فيتكلّف أن يسير على محاذاته ، وإذا حاذاه ناله ذلك التُّراب ، فلمَّا طال ذلك عليه أقبل على سعيد بن سَلْم فقال : ألا تَرَى ما نلقى من هذا الحائن [٢] فى مسيرنا هذا ؟ قال : والله يا أمير المؤمنين ما قصَّر فى الاجتهاد ، ولكنه حُرِمَ التوفيق .

وسايَرَ البِطريقُ الذى خَرَج إلى المعتصم من سور عَمُّوريَّةَ [٣] ، محمَّدَ بنَ عبد الملك ، والأفْشِينَ بنَ كاوُس ، فساوم كلَّ واحدٍ منهما ببرذونه ، وذكر أنه يرغّبهما أو يُرْبحهما [٤] . فإذا كان هذا أدبَ البِطريق ، مع محلّه من المُلك والمملكة ، فما ظنُّك بمن هو دونَه منهم !

ولما استجلس المعتصمُ بِطريقَ خَرْشَنة ، تربَّع ثم مد رجليه [٥] .

وقال زياد : ما قرأتُ مثلَ كتُبِ الرّبيع بن زياد الحارثىّ ، ما كَتَبَ إلىَّ إلاّ فى اجترار منفعة [٦] ، أو دفع مَضَرَّةٍ ، وماكان فى مَوكِبى [٧] قطُّ فتقدم عِنَانُ دابَّته عِنَانَ دابّتى ، ولا مسَّت ركبَتَهُ ركبتى ، ولا شاورْتُ الناسَ فى أمرٍ قطّ إلا سَبقهم إلى الرَّأى فيه .

---

(١) كان عبد الله بن مالك من قواد موسى الهادى ، وكان ممن طلبوا إلى الهادى أن يخلع هارون ويبايع جعفراً ابنه . وقد أوقع به الفضل بن سهل فى خطبة ذكرها الجهشيارى ، وضربه المأمون فى تهمة ساقها إليه الفضل . انظر الجهشيارى ١٧٤ ، ٣١٤ – ٣١٦ .

(٢) الحائن : الهالك . ما عدا ل ، هـ : « الخائن » تحريف .

(٣) عمورية : بلد من بلاد الروم ، غزاه المعتصم سنة ٢٢٣ بسبب أسر العلوية واستصراخها ، وكان فتح عمورية من أعظم فتوح الإسلام .

(٤) ل : « ويربحهما » .

(٥) هذا ما فى هـ . وفى ل : « ثم مد رجله » ، وسائر النسخ : « ومد رجليه » .

(٦) ل : « اجتلاب منفعة » .

(٧) ل : « من مركبى » ، تحريف .

وكان عَلى شُرَط زيادٍ ، عبدُ الله بن حِصن التغلبى [١] ، صاحب مقبرة بنى حصن [٢] ، والجعد بن قيس النُّمَيرى [٣] صاحب طاق الجعد ، وكانا يتعاقبان مجلسَ صاحب الشُّرطة ، فإذا كان يومُ حَمْلِ الحربةِ سارا بين يديه مَعاً ، فجرى بينهما كلامٌ وهما يسيران بين يديه ، فكان صوتُ الجعد أرفَعَ وصوتُ عبدِ الله أخفض ، فقال زياد لصاحب حَرَسه [٤] : تناولِ الحربةَ من يد الجعد ، ومُره بالانصراف إلى منزله .

وعَدَا رجلٌ من أهل العسكر بَين يدَيِ المأمون ، فلما انقضى كلامُه قال له بعض مَن يسير بقربه : يقول لك أمير المؤمنين : اركبْ . قال : قال المأمون : لا يقال لمثل هذا اركبْ ، إنّما يقال لمثل هذا انصرفْ .

وكان الفضل بن الربيع يقول : مسألة الملوك عن حالهم مِن تحيّة النَّوكَى . فإذا أردتَ أن تقول : كيف أصبحَ الأمير فقل : صبَّحَ الله الأمير بالكرامة والنّعمة ! وإذا أردتَ أن تقول : كيف يجد الأمير نفسه فقل : أنزل الله على الأمير الشّفاءَ ٢٧
والرحمة ! والمسألة توجِبُ الجواب ، فإنْ لم يجبْك اشتدَّ عليك ، وإن أجابك اشتدَّ عليه [٥] .

وقال محمّد بن الجهم : دخلت على المأمون فقال لى : مازال أمير المؤمنين إليك مشتاقاً ! فلم أدرِ جوابَ هذه الكلمةِ بعينها ، وأخذتُ لا أقصِّر فيما قدَرت عليه من الدُّعاء ثم الثَّناء [٦] .

قال أبو الحسن : قال ابن جابان : قال المهدىّ : كان شبيب بن شيبة [٧] يسايرنى فى طريق خراسان ، فيتقدّمُنى بصدر دابّته ، فقال لى يوماً : « ينبغى لمن سايَرَ

---

(١) ما عدا ل ، هـ : « ابن الحصين التغلبى » . وانظر الاشتقاق ٢٠٢ أولى ٣٣٥ ثانية .

(٢) ما عدا ل ، هـ : « بنى حصين » .

(٣) كذا فى هـ . وفى ل : « النمرى » ، وسقطت من سائر النسخ .

(٤) ما عدا ل ، هـ : (حربته) .

(٥) انظر (٣ : ٢٧٥ ، ٢٨٦) .

(٦) ثم الثناء ، ساقطة من ل .

(٧) ترجم فى (١ : ٢٤) .

خليفةً أن يكون بالموضع الذى إذا أراد الخليفةُ أن يسأله عن شئ لا يلتفتُ إليه ، ويكونَ من ناحيةٍ إن التفت لم تستقبلْه الشَّمس » . قال : فبينما نحن كذلك إذ انتهينا إلى مَخَاضَةٍ ، فأقحمْت دابّتى ، ولم يقف واتَّبعنى ، فملأ ثيابى ماءً وطيناً . قال : فقلت : يا أبا معمر ، ليس هذا فى الكتاب ؟

قال الهيثمُ بن عدىّ : كنت قائماً إلى جنب حُمَيد بن قَحطَبة [1] وهو على برذون ، فتفاجّ البِرذونُ ليبول ، فقال لى : تنحَّ لا يُهرِقْ [2] عليك البِرذَونُ الماء .

وجاء رجلٌ إلى محمد بن حرب الهلالىّ [3] بقومٍ فقال : إنَّ هؤلاء الفسّاقَ مازالوا فى مَسيس هذه الفاجرة . قال : ما ظننت أنه بلغ من حُرمة الفواجر ما ينبغى أن يُكْنَى عن الفجور بهنّ .

وقلت لرجل من الحُسّاب : كيف صار البِرذون المتحصِّن [4] ، على البغلة أحرصَ منه على الرَّمَكة [5] ، والرَّمكة أشكل بطبعه ؟ قال : بلَغنى أنّ البغلةَ أطيَبُ خلوة .

وقال صديقٌ لنا : بعثَ رجلٌ وكيلَه إلى رجلٍ من الوجوه يقتضيه مالاً له

---

(١) كان حميد بن قحطبة من ولاة الدولة العباسية وقوادها ، ولى إمرة مصر سنة ١٤٢ ووجهه المنصور لقتال محمد بن عبد الله بن الحسن عند خروجه بالمدينة سنة ١٤٥ ، ولغزو أرمينية سنة ١٤٨ ، وكابل سنة ١٥٢ . وولاه المنصور خراسان سنة ١٥٢ ، وكان المنصور ينفس عليه نفوذه وَجاهه ، ففكر فى التخلص منه ، فكتب له كتاباً إلى زفر بن عاصم والى حلب ، وأمره بأن يسير إليه ويسلمه الكتاب ، وكان فيه : « إذا قدم عليك حميد فاضرب عنقه » . فارتاب فى ذلك ، حتى إذا كان ببعض الطريق فض الكتاب وعرفه ، فعدل عن طريقه وعاد إلى العراق . وتوفى حميد وهو عامل المهدى على خراسان سنة ١٥٩ . الطبرى وابن الأثير فى حوادث ١٤٢ – ١٥٩ والمعارف ١٦٥ .

(٢) هـ : « لا يهريق » .

(٣) ذكر أبو الفرج فى الأغانى (١٧ : ٨٨) أنه كان على شرطة محمد بن سليمان العباسى .

(٤) يتحصن : تبدو منه أمارات الذكورة . وفى القاموس : « وتحصن : صار حصاناً بين التحصن » . وقد استعمل الجاحظ هذه الكلمة فى الحيوان (٢ : ١٤١ / ٤ : ٤٠٢) .

(٥) الرمكة : الفرس والبرذونة التى تتخذ للنسل ، فارسى معرب . والبراذين من الخيل : ما كان من غير نتاج العراب .

عليه ، فرجع إليه مضروباً ، فقال : مالك ويلك [١] ؟ قال : سبّك فسببتُه فضرَبنى . قال : وبأىّ شىء سَبنّى ؟ قال : قال : هَنُ الحمار فى حِرِ أمّ مَن أرسَلك . قال : دعنى من افترائه علىّ ، أَنت كيف جعلتَ لأير الحمار من الحُرْمة ما لم تجعلْه لحِرِ أمّى ؟ فهلّا قلت:أير الحمار فى هَن أمّ مَن أرسلك ؟!

أبو الحسن قال : كان رجلٌ من ولد عبد الرحمن بن سَمُرة [٢] ، أراد ٢٨
الوثوبَ بالشام ، فحُمِل إلى المهدىّ ، فخلّى سبيلَه وأكرمَه وقرّبَ مجلسَه ، فقال له يوماً : أنشِدْنى قصيدةَ زهير ، التى على الراء وهى التى أوّلها :

لِمَن الدِّيارُ بِقُنّةِ الحِجْرِ أَقوَيْنَ من حِجَجٍ ومن شَهْرِ

فأنشده ، فقال المهدى : ذهب والله من يقولُ مثل هذا . قال السَّمُرىّ : وذَهَب واللهِ مَن يقال فيه مثل هذا . فغضب المهدىُّ واستجهلَه ونَحّاه ولم يعاقبْه ، واستحمقَه الناس .

ولما دخل خالد بن طَلِيقٍ [٣] على المهدىّ مع خصومه ، أنشَدَ قولَ شاعرهم :

---

(١) ما عدا ل : « ما بالك ويلك » .

(٢) عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس ، أحد الصحابة الذين أسلموا يوم الفتح . وكان اسمه عبد كلال ، فسماه النبى ﷺ عبد الرحمن . سكن البصرة وافتتح سجستان ، وكابل ، وغيرهما ، ورجع إلى البصرة فمات بها سنة خمسين . الإصابة ١٥٢٥ وتهذيب التهذيب .

(٣) خالد بن طليق بن محمد بن عمران بن حصين الخزاعى ، ذكر ابن النديم فى الفهرست ١٣٩ أنه كان أخبارياً نسابة ، وكان معجباً تياها ، ولاه المهدى قضاء البصرة بعد أن عزل عبيد الله بن الحسن بن الحر العنبرى . وذكر أبو الفرج فى الأغانى أنه ولى قضاء البصرة على حين ولى عيسى بن سليمان الإمارة بها ، فقال ابن مناذر يهجوهما :

الحمد لله على ماأرى خالد القاضى وعيسى أمير
لكن عيسى نوكه ساعة ونوك هذا منجنون يدور

الأغانى (١٧ : ٢٧) . وفيه يقول ابن مناذر (الأغانى ١٧ : ٢٤) :

أصبح الحاكم بالنا س من آل طليق
جالساً يحكم فى النا س بحكم الجاثليق

وانظر لسان الميزان (٢ : ٣٧٩) .

إذا القرشىُّ لم يَضرِب بعرق خزاعىٍّ فليس من الصميمِ

فغضب المهدىّ وقال : أحمق . فأنشد خالد فقال :

إذا كنتَ فى دارٍ فحاولت رِحْلةً فدَعْها وفيها إن أردتَ مَعَادُ

فسكن عند ذلك المهدىُّ .

وقال بشَّار :

خليلىَّ إنَّ العُسرَ سوف يفيقُ وإنّ يساراً من غدٍ لخليقُ
وما كنتُ إلا كالزّمانِ إذا صحا صحوتُ وإن ماقَ الزّمان أمُوقُ

* * *

قالوا : ومن النّوكى : أبو الرّبيع العامرىّ (١) ، واسمهُ عبد الله ، وكان وَلِىَ بعض منابر اليمامة . وفيه يقول الشاعر :

شهدتُ بأنَّ اللهَ حقٌّ لقاؤه وأنَّ الرَّبيعَ العامرىّ رَقيعُ
أقاد لنا كلباً بكلب ولم يَدَعْ دماءَ كلابِ المسلمِين تَضيعُ

قالوا : ومن النّوكى :ربيعةُ بن عِسْلٍ (٢) ، أحد بنى عمرو بن يربوع، وأخوه
٢٩ صَبِيغ بن عِسْلٍ (٣). وفد ربيعةُ على معاوية فقال له معاوية : ما حاجتُك (٤) ؟

---

(١) كذا فى النسخ ، وهو ما يقتضيه الكلام بعد ، أن اسمه « عبد الله » . لكن الشعر وما ورد فى عيون الأخبار (٢ : ٤٩) يشعر بأن اسمه « الربيع » لا « أبو الربيع » . وصرح فى العقد (٦ : ١٥٨) أنه الربيع العامرى .

(٢) عسل ، بكسر العين ، كما فى هـ والاشتقاق ١٣٩ . قال ابن دريد : « ومنهم ربيعة أخو صبيغ ، وكان مع عائشة رضى الله عنها يوم الجمل . فأتى به على أسيراً ، فمن عليه على رضى الله عنه ولحق بمعاوية » .

(٣) صبيغ ، بفتح الصاد المهملة وآخره غين معجمة . قال ابن دريد « كان يحمق فوفد على معاوية ..... وكان صبيغ هذا أتى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال له : خبرنى عن الذاريات ذروا . فقال : افحص عن رأسك . فإذا له ضفيرتان فقال : فلم يزل بشر حتى قتل فى بعض الفتن » . وقد ذكره ابن حجر فيمن له إدراك من الصحابة ٤١١٨ . فيما عدا ل : « ضبيع » تحريف .

(٤) هـ : « حاجتك » .

قال : زوِّجْنى ابنَتك . قال : اسقُوا ابن عِسْلٍ عَسَلاً . فأعاد عليه العَسلَ ثلاثاً ، فتركه وقد كاد يَنقدُّ بطنه (١) . قال : فاستعمِلْنى على خراسان . قال : زيادٌ أعلَمُ بثُغوره . قال : فاستعمِلنى على شرطة البَصرة . قال : زيادٌ أعلم بشُرْطته (٢) . قال : فاكسُنى قطيفةً . أو قال : هَبْ لى مائةَ جِذْعٍ لدارى . [قال : وأين دارك ؟ قال : بالبصرة . قال : كم ذَرعُها ؟ قال : فرسخان فى فرسخين (٣)] . قال : فدارك فى البصرة أو البصرة فى دارك ؟!

قال عَوَانة : استعمل معاويةُ رجلاً من كلبٍ فذكر يوماً المجوس وعنده الناس ، فقال : لعَنَ اللهُ المجوسَ يَنكِحُون أمَّهاتِهم ، واللهِ لو أُعطِيتُ مائة ألِف درهمٍ ما نكحتُ أمِّى ! فبلغ ذلك معاويةَ فقال : قاتله اللهُ أَتُرَوْنَه لو زادوه على مائة ألِف فَعَل ! فعَزَله .

[أبو الحسن : وفد ربيعة بن عِسْل على معاوية — وهو من بنى عمرو بن يربوع — فقال لمعاوية : أعِنّى بعشرة آلاف جذعٍ فى بناء دارى بالبصرة . فقال له معاوية : كم دارك ؟ قال : فرسخان فى فرسخين . قال معاوية : هى فى البصرة أم البصرة فيها ؟ قال : بل هى فى البصرة . قال معاوية : فإن البصرة لا تكون هذا (٣)] .

وقال أبو الأحوص الرياحىّ (٤) :

ليس بيربوعٍ إلى العقل حاجةٌ ... سوى دَنَسٍ تسودُّ منه ثيابُها

---

(١) ينقد : ينقطع . ما عدا ل ، هـ : « تنقد » ، تحريف . والبطن مذكر .

(٢) ما عدا ل : « أعرف بشرطته » .

(٣) هذه التكملة مما عدا ل .

(٤) ما عدا ل ، هـ : « الرياهى » تحريف . على أن النسخ جميعها اتفقت فى الخطأ فى اسم الشاعر ، فالصواب أنه « الأخوص الرياحى » . والأخوص ، بالخاء المعجمة لقب له ، واسمه زيد بن عمرو ابن قيس بن عتاب بن هرمى بن رياح بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم . وهو شاعر إسلامى كما ذكر البغدادى فى الخزانة (٢ : ١٤٢ — ١٤٣) .

فكيف بنوكَى مالك إن كفرتمُ ... لهمْ هذه أم كيف بعدُ خِطابُها ؟
مشائيم ليسوا مصلحين عشيرةً ... ولا ناعبٍ إلا بِبَينٍ غُرابُها (١)

الهيثم ، عن الضّحاك بن زِمْلٍ (٢) قال : بينا معاوية بن مرْوانَ (٣) واقف بدمشق ينتظر عبد الملك على باب طحّانٍ وحمارٌ له يدور بالرَّحى وفى عنقه جُلجل إذ قال للطحّان : لِمَ جعلت فى عنق هذا الحمارِ هذا الجلجل ؟ قال : ربَّما أدركتْنى سآمةٌ أو نَعسْة ، فإذا لم أسمَعْ صوت الجُلجلِ علمتُ أنه قد قام فصحت به . قال معاوية : أفرأيت إن قامَ ثم قال برأسه هكذا وهكذا — وجعل يحرّك رأسه يمنةً ويسرةً — ما يُدْريك أنت أنّه قائم ؟ فقال الطحّان : ومَن لى بحمارٍ يَعْقِلُ مثلَ عَقْلِ الأمير (٤) ؟

ومعاوية بن مروان هذا هو الذى قال لأبى امرأته : ملأتْنا ابنتك البارحةَ بالدّم ! قال : إنّها من نسوةٍ يَخْبَأْنَ ذلك لأزواجهنّ (٥). ٣٠

وصعد يوسفُ بنُ عمرَ المِنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : قد قَتل الله زيداً ونَصْرَ بن سيَّار — يريد نصر بن خُزيمة .

وقال على الأُسوارىّ : عمر بن الخطّاب معلّقٌ بشعرةٍ ! قلت : وما صيَّرهُ إلى ذلك ؟ قال : لِمَا صَنَع بنصر بن سيَّار — يريد نصر بن الحجَّاج بن عِلاط .

وقالوا : أحبَّ الرشيد أن ينظر إلى أبى شُعيبٍ القَلّال كيف يعمل القِلال ، فأدخلوه القصرَ ، وأتوه بكلِّ ما يحتاج إليه من آلةِ العمل ، فبينا هو يعمل إذا هو بالرشيد

---

(١) البيت من شواهد الرضى فى الخزانة (٢ : ١٤٠) ، وسيبويه (١ : ١٥٤ ، ٤١٨) . يستشهد به على أن « ناعب » معطوف بالجر على مصلحين لتوهم دخول الباء عليه .

(٢) ب : « رمل » مع وضع ضمة على الراء . حـ : « رمل » ، التيمورية : « زلل » .

(٣) هو معاوية بن مروان بن الحكم ، أخو عبد الملك بن مروان . وهذا الخبر رواه ابن قتيبة فى المعارف ١٥٥ وعيون الأخبار (٢ : ٤٢) .

(٤) فى المعارف : « ومن له بمثل عقل الأمير » . وفى عيون الأخبار : « ومن لحمارى بمثل عقل الأمير » . وفى حواشى هـ عن نسخة : « ومن لحمارى بعقل مثل عقل الأمير » . وانظر الطبرى (٦ : ١٨٣) .

(٥) انظر العقد (٦ : ١٥٨) .

قائمٌ فوقَ رأسه ، فلما رآه نهضَ قائماً ، فقال له الرشيد : دُونَك ما دُعيتَ له ؛ فإنِّى لم آتِكَ لتقُوم إلىّ ، وإنما أتيتُك لتعمَلَ بين يدىَّ . قال : وأنا لم آتِكَ ليَسُوءَ أدبى ، وإنما أتيتك لأزداد بك فى كثرة صوابى . قال له الرَّشيد : إنما تعرّضْتَ لى حين كسدت صنعتك (١) . فقال أبو شُعيب : يا سيِّد الناس ، وما كساد عملى فى جَلَالِ وجهك ؟ فضحك الرّشيد حتّى غطَّى وجهَه ثم قال : واللهِ ما رأيتُ أنطَقَ منه أوَّلاً ، ولا أعيا منه آخِراً ، ينبغى لهذا أن يكون أعقل الناس أو أجنَّ الناس .

عبد الله بن شدّاد (٢) قال : أرى داعىَ الموت لا يُقلع ، وأرى مَن مضى لا يرجع ، ومَن بقِىَ فإليه ينزِع . لا تَزهدَنَّ فى معروف ، فإنَّ الدّهرَ ذو صروف ؛ فكم من راغب (٣) قد كان مرغوباً إليه ، وطالبٍ قد كان مطلوباً ماله ديه . والزّمانُ ذو ألوان ، ومَن يصحب الزّمانَ يرى الهوان .

الفَرج بن فَضَالَة (٤) ، عن يحيى بن سعيد (٥) ، عن محمد بن على (٦) ، عن أبيه ، عن النبى ﷺ قال : إذا فعلَتْ أمّتى خمْسَ عشرَةَ خصْلةً

---

(١) ما عدا ل : « سوقك » .

(٢) سبقت ترجمته فى ١١٣ حيث سلفت الخطبة له .

(٣) ل : « كم راغبا » . وهو مذهب الكوفيين ، يجيزون نصب تمييز كم الخبرية بدون فاصل .

(٤) فرج بن فضالة بن النعمان التنوخى ، روى عن يحيى بن سعيد ، ومسافر ، وهشام بن عروة ، وروى عنه ابنه محمد ، وشعبة ، ووكيع ، والنضر بن شميل وغيرهم . سكن بغداد وكان على بيت المال بها . ولمولده سنة ٨٨ حديث فى تاريخ بغداد ٦٨٥٦ . ومات ببغداد سنة ١٧٦ . وانظر تهذيب التهذيب (٨ : ٢٦٠) .

(٥) هو أبو سعيد يحيى بن سعيد بن قيس بن عمرو الانصارى المدينى ، سمع أنس بن مالك وسعيد ابن المسيب وغيرهما . وروى عنه مالك بن أنس ، وابن جريج ، وشعبة . وهو تابعى ثقة فقيه ، ولى القضاء بالأنبار وبغداد فى عهد المنصور . وتوفى سنة ١٤٤ . تاريخ بغداد ٧٤٤٦ وتهذيب التهذيب .

(٦) هو محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب الهاشمى ، أبو جعفر الباقر . وهو من التابعين فقهاء أهل المدينة . ولد سنة ٥٦ وتوفى سنة ١٢٨ . تهذيب التهذيب .

حلّ بها البلاء : إذا أكلوا الأموال دُوَلاً ، واتَّخذُوا الأمانة مَغْنَماً ، والزّكاة مَغرَماً ، وأطاع الرجل زوجته وعقّ أُمَّه ، وبرَّ صديقَه وجفاَ أخاه ، وارتفعت الأصواتُ فى المساجد ، وأُكرِمَ الرَّجُل مخافةَ شرِّه ، وكان زعيمَ القوم أرذلُهم ، وإذا لُبِسَ الحريرُ وشُرِبت الخمور ، واتّخِذت القِيانُ والمَعازف ، ولعن آخرُ هذه الأمّةِ أوّلَها ، فليترقَّبُوا بعد ذلك ثلاثَ خِصَالٍ : ريحاً حمرَاء ، ومَسْخاً ، وخَسْفا .

٣١ الهيثم قال أخبرنا الكلبىُّ قال : كانت قريشٌ تعُدُّ أهلَ الجزالة فى الرأى العباسَ بن عبد المطَّلب ، وأبا سفيان ، ونُبَيها [١] ، وأميَّة بن خَلَف .

قال : وقال ابنُ عبَّاس : لم يكن فى العرب أمردُ ولا أشيب أشدَّ عقلاً من السائب بن الأقرع [٢] .

قال : وحدثَّنى الشّعبىُّ أنّ السائب شهد فتح مِهْرجان قَذَق [٣] ، ودخل منزلَ الهُرمُزان وفى داره ألفُ بيت ، فطاف فيه ، فإذا ظبىٌ من جِصّ فى بيتٍ منها مادٌّ يدَه ، فقال : أقسم بالله إنّ هذا الظَّبىَ يُشِيرُ إلى شئ [٤] ! انظروا . فنظروا فاستخرجُوا سَفَط كَنْزِ الهُرمُزان فإذا فيه ياقوتٌ وزبرجد . فكتب فيه السائب إلى عُمَر ، وأخذ منه فَصًّا أخضَرَ ، وكتب إلى عمر : إنْ رأى أميرُ المؤمنين أن يَهَبَه لى فليفعَلْ . فلما عرض عمر السَّفَط على الهُرمُزان قال : فأين الفصُّ الصغير ؟ قال : سألَنِيهِ صاحبُنا فوهبتُه له . قال : إنَّ صاحبك بالجوهرِ لَعالِم .

قال : أخبرنا مُجالدٌ [٥] عن الشّعبى قال : قال السائب لجَمِيل بن بَصْبَهَرَّى [٦] :

---

(١) ما عدا ل ، هـ : « وبينهما » تحريف . وفى حواشى هـ : « تنبيه بن الحجاج كان من المطعمين فى غزاة بدر » . وانظر السيرة ٥١٠ – ٥١١ والاشتقاق ٧٨ .

(٢) السائب بن الأقرع بن عوف بن جابر ، الصحابى الجليل ، استعمله عمر على المدائن. ترجم فى الإصابة ٣٠٥٠ .

(٣) مهرجان قذق ، بكسر الميم وبفتح القاف وضمها أيضا ، قال ياقوت : كورة حسنة واسعة قرب الصيمرة ، من نواحى الجبال ، عن يمين القاصد من حلوان العراق إلى همذان .

(٤) ما عدا ل : « إنه يشير إلى شئ » وفى هـ : « ليشير » . وانظر نص الخبر فى الإصابة

(٥) مجالد بن سعيد ، مضت ترجمته فى (١ : ٢٤٢) .

(٦) كذا ورد مضبوطا فى هـ . وكذا فى ل لكن بكسر الراء . وفيما عداهما : « يصبهرى » .

أخبرنى عن مكان من القُرَيّة (١) لا يَخْرب حتّى أستقطعَ (٢) ذلك المكان . قال : ما بينَ الماء إلى دار الإمارة . قال : فاختطّ لثقيف فى ذلك الموضع .

قال الهيثم : بِتُّ عندهم ليلةً ، فإذا ليلُهُم مثلُ النّهار (٣) .

أبو الحسن قال : قال عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بن المُغيرة ، لمعاوية : أما والله لو كُنّا على السَّوَاء بمكّة لعلمت ! قال معاوية : إذاً كنتُ أكون معاويةَ بن أبى سفيان منزلى الأبطحُ (٤) ينشقُّ عنّى سيلُه ، وكنت أنت عبدَ الرحمن ابن خالد منزلُك أجيادٌ (٥) ، أعلاه مَدَرَة ، وأسفله عَذِرَةٌ . قال سُهيل بن عمروٍ : « أشبه امرؤٌ بعضَ بَزِّه » . فصار مثلاً (٦) .

وقال مُحْرِز بن علقمة :

لقد وارى المقابرُ من شَرِيكٍ كثيرَ تحلّمٍ وقليلَ عاب (٧)
صموتاً فى المجالس غير عَيٍّ جديراً حين ينطق بالصَّوابِ

وقال ابن الرِّقاع (٨) : ٣٢

---

(١) القريّة ، بهيئة تصغير القرية : قال ياقوت : محلتان ببغداد ، إحداهما فى حريم دار الخلافة ، وهى كبيرة فيها محال وسوق كبير . والقرية أيضا : محلة كبيرة جدا كالمدينة من الجانب الغربى من بغداد مقابل مشرعة سوق المدرسة النظامية .

(٢) ما عدا ل : « اقتطع » .

(٣) عنى أنهم يَصِلون الليل بالنهار فى العمل والتجارة وغير ذلك .

(٤) الأبطح والبطحاء : رمل منبسط يضاف إلى مكة حينا وإلى منًى آخر .

(٥) أجياد : موضع بمكة يلى الصفا ، وكانت منزلا لبنى مخزوم .

(٦) انظر (٣ : ٢٩٤) .

(٧) العاب : العيب . وشريك هذا هو شريك بن عبد الله النخعى الكوفى القاضى . ولى القضاء بواسط سنة ١٥٥ ثم بالكوفة ومات بها سنة ١٨٨ . تذكرة الحفاظ (١ : ٢١٤) وتهذيب التهذيب .

(٨) هو عدى بن زيد بن مالك بن عدى بن الرقاع العاملى . كان شاعرا مقدما عند بنى أمية مداحا لهم ، خاصا بالوليد بن عبد الملك . وكان منزله بدمشق ، وهو من حاضرة الشعراء لا من باديتهم . وقد تعرض لجرير وناقضه فى مجلس الوليد ، ثم لم تتم بينهما مهاجاة إلا أن جريرا قد هجاه تعريضا فى قوله :

* حى الهدملة من ذات المواعيس * =

أمَّ تداخلت الحتُوفُ عليهمُ   أبوابَهُمْ فكشفْن كلَّ غِطاءِ
فإذا الذى فى حصنِهِ متحرِّزٌ   منهم كآخر مُصْحِرٍ بفَضاءِ
والمرءُ يورث مَجدَه أبناءَهُ   ويموت آخرُ وهو فى الأحياءِ
والقوم أشباهٌ وبين حلومهم   بَونٌ كذاك تفاضُلُ الأشياءِ

وقال بعضهم :

بيضاء ناصعة البياض كأنها   قمرٌ تَوَسَّطَ جُنْحَ ليلٍ مُبْرِدِ
موسومةٌ بالحسن ذاتُ حواسِدٍ   إنّ الحِسَانَ مَظِنَّةٌ للحُسَّدِ
وترى مآقيها تُقلِّبُ مُقلَةً   حوراءَ ترغب عن سواد الإثمدِ
خَوْدٌ إذا كثُر الحديث تعوَّذَتْ   بحِمَى الحياء وإن تَكَلّمْ تقصِدِ (١)

وقال آخر :

لسانُك خيرٌ وحدَه من قبيلة   وما عُدَّ بَعْدُ فى الفتَى أنتَ فاعِلُه
سِوى طَبعِ الأخلاقِ والفُحْشِ والخَنَا   أبتْ ذاكُمُ أخلاقهُ وشمائلُه

وقال الآخر :

على امرئٍ هَدَّ عَرشَ الحىّ مَصرعُه   كأنَّه مِن ذَوِى الأحلامِ من عادِ

وقال النابغة :

أحلامُ عادٍ وأجسادٌ مطهَّرةٌ   من المَعَقَّةِ والآفات والأُثُمِ (٢)

وقال الخنساء :

= ولم يصرح ، لأن الوليد حلف إن هو هجاه أسرجه وألجمه وحمله على ظهره . فلم يصرح بهجائه . الأغانى (٨ : ١٨٢ - ١٨٧) .

(١) القصد : التوسط . وقبل هذا البيت فيما عدا ل : « وقال الآخر » .

(٢) المعقة : العقوق . والأثم ، بضمتين : جمع أثام ، كسَحاب وكتاب ، وهو الإثم . ولم يرد هذا الجمع فى المعاجم ولكنه قياسى . وقبل البيت فى ديوانه ٧٤ :

هم الملوك وأبناء الملوك لهم   فضل على الناس فى اللأواء والنعم

خَطَّابُ مُعْضِلةٍ فَرَّاجُ مُظلمةٍ   إنْ جاء مفظعةٌ هيَّا لها بابا (١)

وعدَّد الأصمعىُّ خصال مَعَدٍّ فقال : ٣٣

كانوا أديماً ماعِزاً شاتهُ   أخلَصَ فيه القَرظَ الآهِبُ (٢)
أو مُرْقِئٌ عِرقَ دمٍ مُفْرَجٍ   أو سائلٌ فى لَزْبةٍ زاعِبُ (٣)
أو ذمَّةٌ يوفى بها عاقدٌ   أو عُقدةٌ يُحكمُها آرِبُ (٤)
أو خابطٌ من غيرِ لا نِعمْةٍ   أو رَحِمٍ مَتَّ بها جانبُ (٥)
أو خُطةٌ بَزْلاءُ مفصولة   يرضَى بها الشاهدُ والغائب (٦)

وقال ابن نوفل يهجو (٧) :

وأنت كساقطٍ بين الحشايا   يَصيرُ إلى الخبيثِ من المَصيرِ (٨)

---

(١) ل : « إن داء معضلة » . وفى حواشى هـ عن نسخة : « إن هاب معضلة » .

(٢) الأديم : الجلد . والقرظ : شجر عظام يدبغ بورقة وثمره . والآهب : كلمة لم تذكرها المعاجم . وفى حواشى هـ : « الذى يدبغ الإهاب » . والإهاب : الجلد .

(٣) أرقأ الدم : حقنه . المفرج : القتيل يكون فى القوم من غيرهم ، فيحق عليهم أن يعقلوا عنه . واللزبة : السنة الشديدة . يقول : هم فى اللزبات سيل زاعب يزعب الوادى : يملؤه . ل : « راغب » وليس بشئ .

(٤) أرب العقدة : شدها وعقدها .

(٥) الخابط : الذى يعطى غيره من غير معرفة بينهما . قال علقمة :

وفى كل حى قد خبطت بنعمة   فحق لشأس من نداك ذنوب

ما عدا ل ، هـ : « حايط » تحريف . والرحم : القرابة . مت بها : توسل . والجانب : الغريب .

(٦) خطة بزلاء : تفصل بين الحق والباطل . والبزلاء : الرأى الجيد والعقل . وفى جميع النسخ : « أو خطبة » ، تحريف . انظر اللسان (بزل) .

(٧) ل : « أبو نوفل » . وهو يحيى بن نوفل ، كان شاعراً من شعراء الدولة الأموية معاصراً للحكم بن عبدل الأسدى ، وله معه خبر فى الأغانى (٢ : ١٤٤) . والشعر التالى فى الحيوان (٤ : ٣٢٢ / ٦ : ٣٩٠ / ٧ : ٢٠) من قصيدة يهجو بها خالد بن عبد الله القسرى .

(٨) جعله ممن يلازم الفراش ويقعد عما تقتضيه الشجاعة والرجولية . وجاء فى حديث على : من يعذرنى من هؤلاء الضياطرة ، يتخلف أحدهم يتقلب على حشاياه » . وقال عمرو بن العاص : « ليس أخو الحرب من يضع خور الحشايا عن يمينه وشماله » .

ومثلُ نعامةٍ تُدْعَى بعيراً … تَعاظُمِها إذا ما قيلَ طِيرِى [١]
وإنْ قيلَ احمِلِى قالتْ فإنّى … مِنَ الطّيرِ المُرِبَّةِ بالوُكورِ [٢]
وكنتَ لدى المُغيرةِ عَيْرَ سَوْءٍ … يبول من المخافة للزّئيرِ [٣]
لأعلاجٍ ثمانيةٍ وشيخٍ … كبيرِ السِّنِّ ذى بصرٍ ضَريرِ [٤]
تقول لِما أصابَكَ : أطعمونى … شراباً ثم بُلْتَ على السَّريرِ [٥]

وقال عبد يغوث [٦] :

ألا لا تَلومانِى كفَى اللّوْمَ مابيَا … فما لكما فى اللّوْم خيرٌ ولا ليَا
ألم تَعلمـا أنّ المَلامَـةَ نفعُهـا … قليلٌ، ومالومى أخى من شِماليا [٧]

---

(١) تعاظمها : ادعاؤها العظمة والفوق على الطيور . ورويت هذه الكلمة بهذا اللفظ أيضاً فى أصل عيون الأخبار (٢ : ٨٦) ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٩٨) . وعند الدميرى : « تعاصينا » . وفى اللسان (نعم) : « تُعاظِمه » أى هى تعاظم البعير .

(٢) أربَّ الطائر بوكره إرباباً : لزمه ولم يفارقه .

(٣) المغيرة هذا ، هو المغيرة بن سعيد ، صاحب فرقة المغيرية . وهى متنبىء خرج فى إمارة خالد ابن عبد الله القسرى ، وكان يقول بالإهية على وتكفير أبى بكر وعمرَ وسائر الصحابة ، إلا من ثبت مع على . وظفر به خالد بن عبد الله آخر الأمر ، فأحرقه وأحرق أصحابه سنة ١١٩ . والعَير : الحمار الوحشى . جعله عند ملاقاته للمغيرة كالعير ، إذا سمع زئير الأسد حمله الذعر والفزع أن يهاجم هو الأسد ، مما طار من صوابه وضاع من رشده ، وذا معروف من طباع العير . ما عدا ل : « تبول » بالتاء .

(٤) يشير إلى المغيرة وكبار أتباعه . والعلج : الرجل من كفار العجم . ونقد المرزبانى هذا البيت فى الموشح ٢٣٥ حيث ظاهره يوهم التناقض ؛ فإن ذا البصر لايكون ضريراً . وأقول : إنه أراد بالبصر العين ثم وصف ذلك البصر بأنه ضرير .

(٥) كان خالد قد اضطرب عند عيان المغيرة بن سعيد وقال : « أطعمونى ماء » لشدة ذهوله . انظر الحيوان (٢ : ٢٦٧ / ٦ : ٣٩٠) والبيان (١ : ١٢٢) .

(٦) هو عبد يغوث بن وقاص الحارثى . شاعر جاهلى فارس ، كان قائد قومه بنى الحارث بن كعب يوم الكلاب الثانى . وفى ذلك اليوم أسر ، ثم قتل بعد ذلك اليوم . ويروون أنه قال قصيدته هذه حين جهز للقتل . انظر النقائض ١٤٩ – ١٥٦ والأغانى (١٥ : ٦٩ – ٧٥) وكامل ابن الأثير والعقد فى (يوم الكلاب الثانى) والمفضليات (١ : ١٥٣ — ١٥٦) وأمالى القالى (٣ : ١٢٢) .

(٧) الشمال ، بالكسر : واحد الشمائل ، وهى الأخلاق والطباع .

فيا راكباً إمّا عَرضْتَ فبلِّغَن ندامایَ من نَجْرانَ أن لا تَلَاقيا (١)

أبا كربٍ والأَيْهَمَينِ كليهما وقيساً بأعلى حَضْرَمَوْتَ اليمانيا (٢)

جزى الله قومی بالكُلابِ مَلامةً صريحَهُمُ والآخرينَ المواليا (٣) ٣٤

أقول وقد شَدُّوا لسانی بنِسْعةٍ أمَعْشَر تَيمٍ أطلِقُوا من لسانيا (٤)

وتَضحكُ منِّی شيخةٌ عبشميّة كأنْ لم تَرَیْ قبلی أسيراً يمانيا (٥)

قال أبو عثمان : وليس فی الأرض أعجبُ من طرفةَ بنِ العبد وعبدِ يغوث ، وذلك أنّا إذا قِسنا جودةَ أشعارهما فی وقت إحاطة الموت بهما لم تكن دون سائر أشعارهما فی حال الأمْن والرّفاهِيَة (٦) .

أبو عبيدةَ (٧) قال : حدثنی أبو عبد الله الفَزاریّ ، عن مالك بن دينار (٨) قال : ما رأيت أحداً أبيَنَ من الحجّاج ، إنْ كان لَيَرقَی المِنبر فيذكُرُ إحسانَه إلى

---

(١) عرضت : أتيت العروض ، بفتح العين ، وهی مكة والمدينة وما حولهما .

(٢) أبو كرب ، هو بشر بن علقمة بن الحارث . والأيهمان ، هما الأسود بن علقمة بن الحارث ، والعاقب ، وهو عبد المسيح بن الأبيض . انظر ابن الأثير . وقيس ، هو ابن معديكرب ، وهو والد الأشعث بن قيس .

(٣) الكلاب ، بالضم : يوم الكلاب الثانی كلاب أهل اليمن وتميم ، وفيه أسر عبد يغوث . صريحهم : خالصهم ومحضهم فی النسب . والموالی : الحلفاء ها هنا .

(٤) النسعة ، بكسر النون : القطعة من النسع ، وهو سير يضفر من جلد . ومما يروى أنهم بعد أن أسروه شدوا لسانه بنسعة يمنعوه الكلام . وقيل أراد أنهم فعلوا به ما منع لسانه أن ينطق بمدحهم .

(٥) عبشمية : نسبة إلى عبد شمس . والذی أسر عبد يغوث فتیً من بنی عمير بن عبد شمس وكان أهوج ، فانطلق به إلى أهله فقالت أمه لعبد يغوث ، ورأته عظيماً جميلا : من أنت ؟ قال : أنا سيد القوم . فضحكت وقالت : قبحك الله من سيد قوم حين أسرك هذا الأهوج ! فعن ذلك قول عبد يغوث : « وتضحك منی » . ما عدا ل ، هـ : « لم ترأ » ، وهی رواية نصُّوا عليها ، جعل الهمزة بدلا من الياء : وفی الكلام التفات .

(٦) مثل هذا الكلام فی الحيوان (٧ : ١٥٧) ، وزاد هناك : هدبة العذری .

(٧) ل : « أبو عبيد » .

(٨) ترجم فی (١ : ١٢٠) .

أهل العراق ، وصَفَحَه عنهم وإساءتهم إليه ، حتّى أقولَ فى نفسى : إنّى لأحسبه صادقاً ، وإنى لأظنّهم ظالمين له .

قال : وكانت العرب تخطُب على رواحلها . وكذلك روَى النبىُّ ﷺ عن قُسّ بن ساعِدة (١) .

قال : وأخبرنى عبدُ الرحمن بن مهدىّ (٢) ، عن مالك بن أنس قال : الوقوف على ظهر الدّوابِّ بعرفةَ سنّة ، والقيام على الأقدام رُخْصة .

وجاء فى الأثر : لا تجعلوا ظُهورَ دوابِّكم مجالس .

ووقف الهيثم بن مُطهّر الفأفاء ، على ظهر دابّته على باب الخَيزُران (٣) ، ينتظر بعضَ من يخرج من عندها ، فلمّا طال وقوفُه بعث إليه عُمَرُ الكَلْواذىّ فقال له : انزلْ عن ظهر دابّتك . فلم يَرُدَّ عليه شيئاً ، فكرّ الرّسولُ إليه ، فقال : إنى رجلٌ أعرج ، وإن خرج صاحبى من عند الخيزُران فى مَوكِبه خِفتُ ألّا أدركَه . فبعث إليه : إنْ لم تَنزل أنزَلْناك . فبعث إليه قال : هوَ حبْسٌ (٤) فى سبيل الله إن أنزلتَنى عنه إنْ أقضمتهُ (٥) شهراً ، فانظر أيُّما خيرٌ له.أراحةُ ساعة أم جوع شهر ؟ قالوا له : هذا الهيثم بن مطهَّر . قال : هذا شيطان (٦) .

---

(١) إذ يقول ﷺ: « كأنى انظر إليه بسوق عكاظ على جمل له أورقَ وهو يتكلم بكلام عليه حلاوة ، ما أجدنى أحفظه » . الأغانى (١٤ : ٤٠) والخزانة (١ : ٢٦٨) . وانظر ما سبق فى (١ : ٥٢ س ١٠ – ١٥) .

(٢) هو أبو سعيد عبد الرحمن بن مهدى بن حسان العنبرى البصرى ، الحافظ . شهد له كثير من الأئمة أنه كان أعلم الناس بالحديث . مع ورع كان فيه وزهد . توفى سنة ١٩٨ وهو ابن ثلاث وستين سنة . تذكرة الحفاظ (١ : ٣٠١) وتهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة (٤ : ٢) .

(٣) الخيزران هى أم موسى الهادى وهارون الرشيد ، وهى أم ولد يقال لها الخيزران ابنة عطاء . وكانت ذات نفوذ كبير عند زوجها المهدى وولديها موسى وهارون ، وهى التى دبرت المؤامرة لاغتيال موسى ١٧٠ . وتوفيت سنة ١٧٤ فى خلافة الرشيد . تاريخ الطبرى .

(٤) ما عدا ل : « حبيس » . وعند الجهشيارى ٢٢١ : « حبس » كما هنا .

(٥) أقضمته : علفته القضيم ، وهو الشعير . و « إن » قبله نافية .

(٦) فى عيون الأخبار (٦ : ١٦٠) : « هذا شيطان ، اتركوه » .

وقال أبو علقمة النحوى : يا آسى (١) ، إنى رجعت إلى المنزل وأنا سنِقٌ لَقِسٌ (٢) ، فأُتيت بشِنْشنةٍ من لِوَيّةٍ ولكيك (٣) ، وقِطَع أَقْرَنَ (٤) قد غَدَرْنَ هناك من سَمْن (٥) ، ورُقَاقٍ شِرشِصان (٦) ، وسَقيط عُطْعُط (٧) ، ثم تناولت عليها كأساً . قال له الطبيب : خُذْ خَرْفَقاً وَسَفْلَقاً وجَرْفَقاً (٨) . قال : ويْلَكَ أيُّ شئ هذا ؟ قال : وأى شئ ما قلت ؟

قال الزِّبرِقان : أحبُّ صبيانِنا إلىَّ:العريض الورِك ، السَّبِط الغُرَّة ، الطويل الغُرلةِ ، الأبله العَقُول (٩) . وأبغضُ صِبْيانِنا إلىَّ : الأقيِعس (١٠) الذَّكَر ، الذى كأنما ينظر من جُحْر ، وإذا سأله القوم عن أبيه هَرَّ فى وجوههم .

قال الهيثم : قال الأشعث : إذا كان الغلام سائل الغُرَّة ، طويل الغُرْلةِ ملتاث الإِزْرَةِ (١١) كأنَّ به لُوثَة (١ق) فما يُشَكّ فى سُؤْدُدِهِ . ٣٥

---

(١) الآسى : الطبيب . والخبر برواية أخرى فى عيون الأخبار (٢ : ١٦٢) والعقد (٢ : ٤٨٩) ، وإرشاد الأريب (١٢ : ٢٠٩) .

(٢) السنق : الشبعان كالمتخم . واللقس : ذو الغَثَيان .

(٣) الشنشنة : القطعة . واللوية : مايخبأ للضيف أو يدخره الرجل لنفسه . واللكيك : الصلب المكتنز من اللحم .

(٤) الأقرن : الكبش الكبير القرنين .

(٥) غدر من باب سمع وضرب : شرب . حـ : « قد عذرنا » ، التيمورية : « غذرون » ، وليس لهما وجه من الصواب .

(٦) ما عدا ل ، : « سرشصان » ، ولم أهتد إلى تحقيقها . وفى هـ : « وشرشصان » .

(٧) العطعط : الجدى .

(٨) كذا وردت هذه الألفاظ فى الأصول ، وليس أحدها صحيحا . وبدل الأول فى العقد « خريقا » وهو نبت كالسم يغشَى على آكله وبدل الكلمة الثانية فى العقد : « سلفقا » . وفى إرشاد الأريب « سلقفا » وفى العيون « شلفقا » وكلها لا وجه له . وبدل الكلمة الثالثة فى العقد وعيون الأخبار « شبرقا » ، وهو نبت من جنس الشوك إذا كان رطباً فهو شبرق ، فإذا يبس فهو الضريع .

(٩) انظر اللسان (بله ٣٦٩) . وفيه : « يعنى أنه لشدة حيائه كالأبله ، وهو عقول » .

(١٠) كذا فى النسخ . وفى اللسان (فصع) : « الأفيصع » ، وهو البادى القلفة من الكمرة .

(١١) الملتاث : المختلط . والإزرة بالكسر : هيئة الائتزار .

(١٢) اللوثة ، بالضم والفتح : الحمق .

قال أبو المِخَشّ [(١)] : « كان المخشُّ أشدق خُرطُمَانيًّا ، سائلا لعابه ، كأنّما ينظر من قَلْتَين ، كأنّ تَرْقُوَته بُوانٌ أو خالِفَةٌ ، وكأنّ كاهِلَهُ كِرْكِرةُ جمل . فقأ الله عينىّ إنْ كنتُ رأيتُ قبلَه ولا بعدَه مثله » .

قال : وكان زيادٌ حَوَّل المنبرَ وبيوتَ المال والدّواوين إلى الأزد ، وصلّى بهم ، وخطب فى مسجد الحُدّان ، فقال عَمْرُو بن العرندس :

فأصبح فى الحُدّانِ يخطُبُ آمنا ... وللأزد عزٌّ لا يزالُ تِلادُ

وقال الأعرج [(٢)] :

وكنّا نَستَطِبّ إذا مَرِضْنا ... فصار سَقامُنا بيد الطّبيبِ
فكيف نُجيز غُصّتَنا بشيء ... ونحن نَغَصُّ بالماء الشّريبِ

وقال أيضاً [(٣)] :

والقائلين فلا يُعَابُ خطيبُهم ... يومَ المَقامَةِ بالكلام الفاصلِ

وقال ابن مُفَرِّغ :

ومتى تقمْ يوم اجتماع عشيرة ... خُطباؤُنا بين العشيرة تَفْصِلِ

وقال أيضاً :

فيا رُبَّ خَصم قد كُفِيتُ دِفَاعَهُ ... وقوّمْتُ منه دَرْأَهُ فتنكّبا [(٤)]

وقال آخر :

وحامِلِ ضَبٍّ ضِغنٍ لم يَضِرْنِى ... بعيدِ قلبُه حُلوِ اللّسانِ [(٥)]

---

(١) سبق الخبر فى (١ : ١٢١) .
(٢) هاتان الكلمتان والبيتان بعدهما من ل فقط .
(٣) ما عدا ل : « وقال الأعرج » .
(٤) الدره : الميل . وتنكب : مال .
(٥) الضب : الحقد . وانظر ما فى « بعيد قلبه » من جمال وقوة .

ولو أنى أشاءُ نَقَمتُ منه ... بشَغْبٍ من لسانٍ تَيَّحانِ (١)

وقال : ٣٦

عهدتُ بها هِنْداً وهندٌ غَريرةٌ ... عن الفُحْشِ بلهاءُ العِشَاء نؤومُ

رَدَاح الضّحى ميَّالةٌ بَخْتَرِيَّةٌ ... لها منطقٌ يُصبِى الحليمَ رخيمُ (٢)

وقال :

وخَصْمٍ يَركبُ العَوصاء طاطٍ ... عن المُثْلَى قُصَاراه القِراعُ (٣)

وملمومٍ جوانبُهـــا رَدَاحٍ ... تُزجَّى بالرماح لها شُعَاعُ (٤)

وقال مُحَلِّمٌ بن فِراسٍ ، يرثى منصوراً وهَمَّاماً ابنَي المِسْجَاح :

كم فيهمُ لو تملَّينا حياتَهمُ ... من فارسٍ يومَ رَوْعِ الحَىِّ مِقْدَامِ (٥)

ومن فَتىً يملأُ الشِّيزَى مكلَّلةً ... شحمَ السَّديف ندىِّ الحمدِ مِطْعامِ (٦)

ومن خطيبٍ غَدَاةَ الحفلِ مُرْتَجِلٍ ... ثَبْتِ المَقام أريبٍ غير مفحامِ

وقال خالدٌ للقعقاع (٧) : أُنافرك على (٨) أَيُّنا أطعنُ بالرِّماح ، وأطعمُ للسِّحاح (٩)

---

(١) التيحان ، بفتح الياء المشدودة وكسرها : الذى يتعرض لكل أمر .

(٢) الرداح ، هنا : التى لا تنبعث . والبخترية : ذات التبختر . والمنطق : الحديث .

(٣) الشعر لربيعة بن مقروم الضبى فى المفضليات (١ : ١٨٤ – ١٨٧) . وأنشد هذا البيت فى اللسان (طيط) شاهدا على أن « الطاط » بمعنى المتكبر . والمثلى : خير الأمور . ما عدا ل ، هـ : « على المثل » . والقراع ، هى فى المفضليات « القذاع » أى المقاذعة والمسابة .

(٤) عنى بالملموم جوانبها الكتيبة . والرداح : الثقيلة الجرارة . تزجَّى : تساق وتدفع . لها شعاع من كثرة بياض الحديد وصفائه .

(٥) أى لو تمتعنا بحياتهم . وفى اللسان (متع) : « ومتعه : ملأه إياه » . ما عدا ل ، هـ : « تمتعنا حياتهم » . وفيما عدا ل أيضاً : « يوم روح الحى » ، تحريف .

(٦) الشيزى : الجفنة تعمل من خشب الشيزى ، وهو الذى يقال له : « الآبنوس » . والسديف : السنام . هـ : « بنى اللحم » . والنَّى بكسر النون وفتحها : الشحم . ل : « ندى الحمد » .

(٧) هما خالد بن مالك النهشلى ، والقعقاع بن معبد بن زرارة . انظر الاشتقاق ١٤٥ جوتنجن و ٢٣٧ بتحقيقنا .

(٨) ل : « عن » .

(٩) السحاح ، بكسر السين وضمها : جمع ساح ، يقال جزور ساحة وساح ، أى انتهت سمناً . ل : « للشحاح » ، ما عدا ل : « للشجاج » صوابهما ما أثبت من هـ .

وأنزَلُ بالبَراح . قال : لا ، بل عن أيّنا أفضلُ أباً وجَدًّا وعمًّا ، وقديماً وحديثاً . قال خالد : أعطيتُ يوماً مَن سأل ، وأطعمتُ حولاً مَن أكل ، وطَعنتُ فارساً طعنةً شككت فخذَيه بجنب الفرس . قال القعقاع وأخرج نَعلين فقال : رَبَع عليهما أبى أربعين مِرباعا [١] لم تثكل فيهنّ تميميّة ولداً .

كان مالك بن الأخطل التغلبى – وبه كان يكنى – أتى العراق وسمع شعر جرير والفرزدق ، فلمّا قَدِمَ على أبيه سأله عن شِعرهما ، فقال : وجدت جريراً يغرف من بحر ، ووجدت الفرزدق ينحت من صخر . فقال الأخطل : الذى يَغرِف من بحرٍ أشعرهُما.

وقال بعضهم :

وما خيرُ مَن لا ينفع الأهلَ عَيشُه   وإن ماتَ لم تجزع عليه أقاربه
كَهامٌ على الأقصَى كليلٌ لسانُه   وفى بَشَر الأدنى حِدادٌ مخالبهُ [٢]

وقال العُمَانىّ :

إذا مَشَى لكلّ قِرنٍ مُقْرِنِ   ثم مشى القِرن له كالأَرْعَنِ
٣٧ بصارمٍ يفرى صفيحَ الجوشَن [٣]   مُقرطَنٌ زافَ إلى مُقَرطَنِ [٤]
يُفضى إلى أمّ الفِراخ الكُمَّنِ [٥]   حيث تقول الهامةُ : اسقِنى اسقِنى [٦]

---

(١) المرباع : ما كان يأخذه الرئيس ، وهو ربع الغنيمة ، وقد ربعهم .

(٢) الكهام أصله فى السيف الذى لا يقطع . والبشر : جمع بشرة ، وهى ظاهر الجلد .

(٣) يفرى : يقطع . والجوشَن : الحديد الذى يلبس من السلاح .

(٤) المقرطن : لم أجده فى المعاجم . ولعله أراد به الفحل المشدود عليه القرطان – ويقال له أيضاً القرطاط – وهو كالبرذعة لذوات الحافر . عنى أنه وقرنه فحلان يزيف أحدهما إلى الآخر . يقال زاف البعير يزيف : تبختر فى مشيته .

(٥) أم الفراخ ، عنى بها الرأس المشتمل على الدماغ . والدماغ : حشو الرأس . وفى اللسان : « وفرخ الرأس : الدماغ ، على التشبيه » كما قيل له : العصفور . قال :

ونحن كشفنا عن معاوية التى   هى الأم تغشى كل فرخ منقنق »

(٦) الهامة : الرأس . قال الأصمعى : العرب تقول : العطش فى الرأس . وقال غيره : يقال إن الرجل =

* كم لأبى محمدٍ من مَوطنٍ (١) *

وقال العُمَانىّ :

ومِقوَلٍ نِعْمَ لِزازُ الخَصمِ (٢) ... أَلَدَّ يشتقُّ لأهل العِلْم (٣)
بباطل يدحَضُ حقَّ الخَصْمِ ... حتى يصيروا كسَحاب البُكْمِ (٤)

وقال أبو عبيدٍ فى حديث على بن أبى طالب رضى الله عنه حين رأى فلانا (٥) يخطب فقال : « هذا الخطيب الشَّحْشَح » . قال : هو الماهر الماضى .

وقال الطِرِمَّاح :

كأنّ المطايا ليلةَ الخِمس عُلِّقَتْ ... بوثّابة تَنْضو الرّواسم شَحْشَحِ (٦)

وقال ذو الرمة :

لدُنْ غُدوةٌ حتى إذا امتدّت الضُّحى ... وحَثَّ القطينَ الشَّحشحانُ المكلَّفُ (٧)

= إذا قتل فلم يدرك بثأره خرجت هامة من قبره فلا تزال تصيح : اسقونى ! اسقونى ! حتى يقتل قاتله .

(١) أى موطن صالح مشهور . والموطن : المشهد من مشاهد الحرب ، قال الله : (لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة) . وقال طرفة :

على موطن يخشى الفتى عنده الردى ... متى تعترِكْ فيه الفرائص ترعد

(٢) المقول : اللسان ، والرجل الكثير الكلام البليغ . ويقال هو لزاز الخصم وملزّه ، أى يلزمه ويوكل به ويقدر عليه .

(٣) الألد : الخصم الجدل . واشتقاق الكلام : الأخذ فيه يميناً وشمالا .

(٤) الخصم يقال للواحد والجمع . والبكم ، أراد به الغيوم التى لا صوت لها فهى لا تسمح بماء . هـ : « كشجاب البكم » وفى حواشيها : « الشجاب المحزونون » . كما أشارت إلى رواية : « كسحاب الأكم » .

(٥) فى اللسان (٣ : ٣٢٧) : « رأى رجلا يخطب .

(٦) الخمس : أن تردَ الإبل يوماً ثم لا ترد ثلاثة أيام ثم ترد اليوم الخامس . علقت بها ، أى علقتها وأولعت بها . وعنى بالوثابة القطاة السريعة . تنضو : تسبق . والرواسم : جمع راسم وراسمة ، وهى الإبل تسير الرسيم ، وهو ضرب من سيرها . والشحشح : الجادّ الماضى ، يكون الذكر والأنثى . والبيت فى ديوان الطرماح ١٣٦ واللسان (شحح) وأساس البلاغة (علق) .

(٧) تقرأ : « غدوة » فى هذا التعبير بالأوجه الثلاثة : الرفع بتقدير : كانت غدوة ؛ والنصب بتقدير : كان الوقت غدوة ؛ والجر بتقدير الإضافة . والضحى مؤنثة وقد تذكر . والقطين : المقيمون . والمكلف : اللهج بالأمر . والبيت فى ديوان ذى الرمة ٣٧٤ واللسان (شحح) .

يعنى الحادىَ .

قال : وكان أسدُ بن كُرْزٍ (١) يقال له « خطيب الشَّيطان » ، فلما استعمِل خالدٌ ابنه (٢) على العراق قيل له : « خطيب الله » ، فجَرَتْ إلى اليوم .

وقال أبو المُثلّم الهُذَلىّ (٣) :

أصَخْرَ بن عبد الله إنْ كنتَ شاعراً   فإنّك لا تُهدى القريضَ لمُفحَمِ (٤)

وقال بلعاء بن قيس (٥) :

أَبيتُ لنفسى الخسفَ لما رَضُوا به   وولّيتُهم سَمْعى وما كنتُ مُفحَمَا

وقال عبد الله بن مصعب : وقف معاوية على امرأة من كنانة ، فقال لها هل من قِرًى ؟ قالت : نعم . قال : وما قِرَاك ؟ قالت : عندى خبزٌ خميرٌ ، ولبن فطيرٌ (٦) ، وماء نميرٌ .

وقال أُحيحةُ :

والصَّمت خيرٌ للفتى   ما لم يكن عِىٌّ يَشينُه (٧)

---

(١) هو أسد بن كرز بن عامر البجلى ثم القسرى ، وهو جد خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد القسرى . كان يدعى فى الجاهلية « رب بَجيلة » ، وكان ممن حرم الخمر فى الجاهلية تنزها عنها ، وكان شاعراً فاتكا مغواراً . وأدرك الإسلام وأسلم ، وأهدى إلى الرسول ﷺ قوسا . الإصابة ١٠٣ والأغانى (١٩ : ٥٣ – ٥٥) .

(٢) كلمة « خالد » من ل ، هـ فقط . وقد أراد بكلمة « ابنه » ابن حفيده .

(٣) أبو المثلم الهذلى : ذكره صاحب المؤتلف ١٧٢ والأغانى (٢٠ : ٢٠ – ٢١) . ما عدا ل ، هـ : « أبو المسلم » تحريف . وقصيدته فى شرح السكرى للهذليين ٢٢ ونسخة الشنقيطى ٩١ .

(٤) انظر (٣ : ٣٢٦) . وصخر هذا هو الملقب بصخر الغى . لخلاعته وشدة بأسه وكثرة شره . وكان بينه وبين أبى المثلم مناقضات ذكرت فى أشعار الهذليين . وكان صخر يخشى بأس أبى المثلم ، فلما صُرع صخر فى غَزاة له رثاه أبو المثلم بأبيات أولها :

لو كان للدهر مال كان يتلده   لكان للدهر صخرٌ مال قُنيان

الأغانى (٢٠ : ٢٠) والمؤتلف ١٨٢ . لمفحم ، يقول : لست مفحما .

(٥) كان بلعاء بن قيس رأس بنى كنانة فى أكثر حروبهم ومغازيهم . وهو شاعر محسن ، وقد قال فى كل فن أشعارا جيادا . المؤتلف ١٠٦ . ومات قبل يوم الحريرة ، وهو اليوم الخامس من أيام الفجار الآخر . انظر العقد .

(٦) الفطير : اللبن ساعة يحلب .

(٧) ما عدا ل : « والصمت أكرم بالفتى » .

والقولُ ذو خطَلٍ إذا ... ما لم يكن لُبٌّ يُعينه

وقال أبو ثمامة الضَّبّى : ٣٨

ومنا حصينٌ كان فى كل خطبةٍ ... يقولُ ألاَ مِن ناطقٍ متكلِّمِ (١)

وقال عُبيدُ بن أميَّة الضبىّ ، واستبَّ هو والحارث بن بَيْبَة المُجاشعى (٢) عند النُّعمان ، فقال :

تُرى بيوتُ وتُرى رِماحُ ... ونَعَمٌ مزنَّم سُحاحُ (٣)

ومنطقٌ ليس له نجاحُ ... ياقَصَباً طار به الرِّياحُ (٤)

* وأذرعاً ليست لها ألواحُ (٥) *

وقال قيس بن الخطيم :

وبعض القول ليس له حصاةٌ ... كمَخْضِ الماء ليس له إتاءُ (٦)

وهذا شبيه بقوله (٧) :

كُسالَى إذا لاقيتَهم غيرَ منطقٍ ... يُلهَّى به المتبول وهو عَنَاءُ

وقال أبو ثُمامة :

أخاصمُهم مَرَّةً قائماً ... وأجثو إذا ما جَثَوْا للرُّكَب (٨)

إذا منطقٌ قاله صاحبى ... تعقَّبت آخرَ ذا مُعتقَبْ

---

(١) هو الحصين بن ضرار الضبى ، والد زيد الفوارس . حواشى الحماسة بشرح المرزوقى ٥٥٧ بتحقيقنا .

(٢) ما عدا هـ : « الحارث بن شيبة » ، وفى هـ : « بن نبيه » تحريف ، صوابهما من الاشتقاق ١٤٧ . قال : « والبيبة : المثعب الذى ينصب منه الماء إذا أفرغ من الدلو فى الحوض » .

(٣) المزنم : صغار الإبل . والسحاح بالكسر والضم : السِّمان .

(٤) جعلهم كالقصب الأجوف الخوار .

(٥) الألواح من الجسد : كل عظم فيه عرض .

(٦) الحصاة : العقل والرأى . والإتاء هنا : الزبد . والبيت فى ديوانه ٢٧ واللسان (أتى) . وانظر ما سبق فى (١ : ٢٠٣) .

(٧) سبق البيت فى (١ : ٩) منسوبا للمكعبر الضبى برواية أخرى .

(٨) البيتان من أبيات اختارها أبو تمام فى الحماسة (١ : ٢٢٥) . المخاصمة : المنازعة والمغالبة . والمجاثاة فى القتال من أساليبهم .

وقال الشمَّاخ :

ومَرتبةٍ لا تُستطاع ، بها الرَّدى تركتُ بها الشّكّ الذى هو عاجزُ [١]

ويروى :

* تلافىَ بها حلمى عن الجهل حاجزُ *

* * *

(١) ما عدا ل : « لا يستطاع » . والبيت ملفق من بيتين فى ديوانه ٤٣ . وهما :

ومرتبة لا يستقال بها الردى تلافى بها حلمى عن الجهل حاجز
وعوجاء مجذام وأمر صريمة تركت بها الشك الذى هو عاجز

باب
من الكلام المحذوف

ثم نرجع بعد ذلك إلى الكلام الأوَّل :

هُشَيم [١] ، عن يونس ، عن الحسن يرفعه ، أنّ المهاجرين قالوا : يا رسول الله ، إنّ الأنصار قد فَضَلُونا بأنهم آوَوْا ونصروا [٢] ، وفعلُوا وفعلوا . قال النبى عليه السلام : أتعرفون ذلك لهم ؟ قالوا : نعم . قال : « فإنّ ذاك [٣] » . ليس فى الحديث غير هذا . يريد : إنّ ذاك [٤] شكرٌ ومكافأة .

قال : وكلّم رجلٌ من قيسٍ عمرَ بنَ عبد العزيز فى حاجةٍ ، وجعل يمتُّ بقرابةٍ ، فقال عمر : « فإنّ ذاك » . ثم ذكر حاجتَه فقال : « لعَلَّ ذاك » . لم يزدْه ٣٩
على أن قال : فإنّ ذاك ، ولعل ذاك . أى إنّ ذلك كما قلت ، ولعلّ حاجتك تُقضَى [٥] . وقال : عَبْدُ الله بن قيس [٦] :

---

(١) سبقت ترجمته وترجمة شيخه فى ص ٢٢٠ من هذا الجزء .

(٢) ل : « أوونا ونصرونا » . وما فى اللسان (١٧ : ١٧٦) يوافق ما فى ل .

(٣) ل : « ذلك » .

(٤) ل : « ذلكم » .

(٥) ما عدا ل : « أن تقضى » .

(٦) التزم الجاحظ أن يذكره باسم « عبد الله » . وكان لقيس ولدان : عبد الله وعبيد الله . واختلفوا فى الشاعر منهما . فقال ابن قتيبة والمبرد « فى الكامل » : هو عبد الله . وقال المرزبانى فى « معجمه » : هو عبيد الله ، بالتصغير . قال : ومن الرواة من يقول الشاعر عبد الله ، وهو خطأ . وقال ابن السيد فيما كتب على الكامل : ذكر المبرد أن اسمه عبد الله بن قيس . وكذلك قال فيه ابن سلام ، والجاحظ ، وابن قتيبة . وقال غيرهم : هو عبيد الله . حكاه أبو عبيد عن الأصمعى وغيره ، ومنهم الكلبى . وكذلك قال المصعب الزبيرى فى أنساب قريش . هذا ما كتبه البغدادى فى تحقيق الاسم . وأضيف إليه أن أبا الفرج رواه بالتصغير ، وكتب ترجمة مسهبة له فى الأغانى (٤ : ١٥٤ – ١٦٦) . وأما البغدادى فقد ترجم له وكتب تحقيقاً مسهباً فيمن لقبه « الرقيات » أهو الشاعر أم أبوه ، كما ذكر سبب هذا اللقب . انظر الخزانة (٣ : ٢٦٦ – ٢٦٩) وكذا ابن قتيبة فى الشعراء . وكان ابن قيس الرقيات زبيرى الهوى ، خرج مع مصعب على عبد الملك ، وظل عبد الملك يطلبه حتى قبض عليه ، ثم آمنه .

بكَرتْ علىَّ عواذلى   يَلحَيْنَنِى وأَلُومُهُنَّهْ [١]

ويَقُلْن : شيب قد علا   ك وقد كبرت ، فقلت : إنَّهْ

وقال الأسدى [٢] لعبد الله بن الزُّبير : لا حُمِلتْ ناقةٌ حَملتنى إليك ! قال ابن الزبير : « إنّ وراكبها [٣] » .

عبد الرحمن بن مهدى ، عن سفيان ، عن أبى هاشم القاسم بن كَثير [٤] ، عن قيس الخارفى [٥] إنه سمع عليًّا يقول : « سبق رسول الله ﷺ وصلّى أبو بكر ، وثلَّث عمر [٦] ، وخبَطتنا فتنةٌ فما شاء الله » . ليس فى الحديث أكثرُ من هذا .

ولما كتب أبو عبيدةَ إلى عمرَ جوَابَ كتابِ عمر فى أمر الطّاعون ، فقرأ عمرُ الكتابَ واسترَجع ، فقال له المسلمون : مات أبو عبيدة ؟ قال : « لا وكأنْ قد » .

---

(١) البيتان فى ديوانه ١٤١ – ١٤٢ والخزانة (٤ : ٤٨٥) واللسان (١٦ : ١٧٢) .

(٢) هو فضالة بن شريك الأسدى ، مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام . أو ابنه عبد الله بن فضالة . انظر الإصابة ٧٠٢١ واللسان (١٦ : ١٧٢) .

(٣) إن هنا حرف جواب بمعنى « نعم » . وقص الخبر فى اللسان : « أنه لقى ابن الزبير فقال : إن ناقتى قد نقب خفها فاحملنى . فقال : ارقعها بجلد ، واخصفها بهُلب ، وسر بها البَردَين . فقال فضالة : إنما أتيتك مستحملا لا مستوصفاً . لاحمل الله ناقة حملتنى إليك ! فقال ابن الزبير : إن وراكبها » .

(٤) هو أبو هاشم القاسم بن كثير الخارفى الهمدانى ، أحد الثقات ، روى عن قيس الخارفى ، وأبى البحترى الطائى ، وعنه : سفيان الثورى ، ومطرف بن طريف . تهذيب التهذيب . والخارفى . نسبة إلى خارف ، وهو لقب مالك بن عبد الله ، والد قبيلة من همدان القاموس (خرف) .

(٥) سبق الكلام على هذه النسبة فى الترجمة السالفة . وفيما عدا ل ، هـ : « الخارجى » ، وهو قيس بن سعد الخارفى ، تابعى ، روى عن على ، وعنه : أبو القاسم بن كثير . تهذيب التهذيب .

(٦) صلى : أتى مصلياً . والمصلى فى الحلبة : الذى يلى السابق .

وقال النابغة :

أزِف التَّرحُّل غيرَ أنَّ ركابنا   لمَّا تَزُلْ برحالنا وكأن قَدِ

وأنشد ابنُ الأعرابى :

إذا قيل أعمَى قلت إنَّ ،وربمَّا   أكونُ ، وإنِّى من فتًى لَبَصيرُ
إذا أبصر القلبُ المروءةَ والتقَى   فإن عمَى العينين ليس يَضيرُ
وإنّ العمى أجرٌ وذُخرٌ وعِصْمَةٌ   وإنّى إلى هذى الثّلاثِ فقيرُ

ابن أبى الزِّناد (١) قال : كنتُ كاتباً لعمر بن عبد العزيز ، فكان يكتب إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطّاب فى المظالم فيُراجعه ، فكتب إليه : « إنه يُخيَّلُ إلىّ أنّى لو كتبت إليك أن تعطىَ رجُلاً شاةً لكتبتَ إلىّ : أضأنٌ أم ماعزٌ ؟ وإنْ كتبتُ إليكَ بأحدِهما كتبتَ إلىّ : أذكرٌ أم أُنثى ؟ وإن كتبتُ إليك بأحدِهما كتبتَ إلىّ : أصغيرٌ أم كبير ؟ فإذا أتاك كتابى فى مَظْلمِةٍ فلا تراجعْنى . والسلام » .

وقال عمر بن الخطاب رحمه الله : « إنى لأستعينُ بالرّجل الذى فيه » (٢) . ٤٠
ليس فى الحديث غير هذا . ثمّ ابتدأ الكلام فقال : « ثمّ أكون على قَفّانِه (٣) إذا كان أقوى من المؤمن الضعيف وأردَّ (٤) » . وهو قول الأسدىّ (٥) :

سَوَيدٌ فيه ، فابغُونا سواه   أبيناه وإنْ بَهَّاهُ تاجُ (٦)

---

(١) هو عبد الرحمن بن أبى الزناد عبد الله بن ذكوان . ترجم والده عبد الله فى ص ٢٤٧ . وأما هو فكان كثير التحديث ، حدث بالمدينة وبغداد ، وولى خراج المدينة فكان يستعين بأهل الخير والورع . ولد سنة ١٠٠ وتوفى ببغداد ١٧٤ . تهذيب التهذيب وتاريخ بغداد ٥٣٥٩ .

(٢) فى اللسان (قفف) : « وفى حديث عمر أن حذيفة – رضى الله عنهما – قال له : إنك تستعين بالرجل الفاجر ! فقال : إنّى لأستعين بالرجل لقوّته ثم أكون على قَفّانه » .

(٣) ب ، جـ : « على قفائه » صوابه فى ل ، هـ : والتيمورية واللسان . أى أكون على تتبع أمره حتى استقصى علمه وأعرفه . فكفايته لى تنفعنى ، ومراقبتى له تمنعه من الخيانة .

(٤) أردّ : أنفع . ماعدا ل ، هـ : « الضعيف وأراد هو قول الأسدى » ، تحريف .

(٥) أى مثله وشبيهه .

(٦) بغاهُ الشئ : طلبه له .

ولم يقُل : فيه كذا وفيه كذا . وقال الرّاجز (١) :

بِتْنَا بحسّانَ ومِعْزَاهُ تئطّ (٢) ... فى سَمَنٍ جَمٍّ وَتَمْرٍ وَأَقِطْ (٣)
حتّى إذا كاد الظلام ينكَشِطْ ... جاءَ بمَذْقٍ هل رأيتَ الذّئبَ قطّ (٤)

وقيل للمنتجع بن نَبْهان (٥) ، أو لأبى مهديَّة (٦) : ما النَّضْنَاضُ ؟ فأخرج طرَفَ لسانِه وحرّكَه .

وقيل له : ماالدَّلَنْظَى ؟ فزَحَر وتقاعَسَ وفرَّجَ ما بين مَنْكِبَيْه .

ومن الكلام كلامٌ يذهب السامع منه إلى معانى أهلِه ، وإلى قَصْد صاحبه ، كقول الله تبارك وتعالى : ﴿ وتَرَى الناسَ سُكارَى وما هُمْ بسُكارَى ﴾ . وقال : ﴿ لا يُموتُ فيها ولا يَحيْاَ ﴾ . وقال : ﴿ ويَأْتِيه المَوْتُ مِنْ كلِّ مَكانٍ وما هُوَ بميِّتٍ ﴾ . وسئل المفسِّر عن قوله : ﴿ لَهُمْ رِزْقُهُمْ فيها بُكْرَةً وَعَشِيّا ﴾ فقال : ليس فيها بكرةٌ ولا عشِيٌّ . وقال لنبِّيه ﷺ : ﴿ فإن كُنْتَ فى شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنا إليْك فَسَلِ الذّينَ يَقْرءُونَ الكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ (٧) ﴾ .قالوا: لم يشُكَّ ولم يَسَلْ (٨) .

---

(١) ذكر البغدادى فى الخزانة (١ : ٢٧٧) أن هذا الرجز لم ينسبه أحد من الرواة . وقيل : قائله العجاج . وانظر الكامل ٥١٨ ليبسك وشرح شواهد المغنى للسيوطى ٢١٤ وأمالى ابن الشجرى (٢ : ١٤٩) .

(٢) بحسان ، أى عند حسان . تئط : تصوت أجوافها من الجوع .

(٣) السمن ، بسكون الميم ، وفتحها هنا للضرورة . والجم : الكثير . والأقط : اللبن المخيض يطبخ ثم يترك حتى يمصل . يقول : هو مع وفرة ماعنده بخيل شحيح .

(٤) يروى أيضاً : « جاءوا » . والمذق : بالفتح : اللبن الممزوج بالماء .

(٥) المنتجع بن نبهان ، أحد الأعراب الذين روى عنهم الأصمعى . انظر الحيوان (٣: ٣٤١) .

(٦) أبو مهدية الأعرابى – ويقال أبو مهدى – أحد فصحاء الأعراب الذين روى عنهم البصريون ، واختار له الأصمعى قصيدة فى الأصمعيات ٦٧ ليبسك . قال ابن النديم ٦٩ : « وكان يهيج به المرة فى كل سنة مديدة » .

(٧) من الآية ٩٤ من يونس . وقراءة « فسل » هى قراءة ابن كثير والكسائى وخلف . وقرأ الجمهور : « فاسأل » . إتحاف فضلاء البشر ٢٥٤ . وهى رواية ما عدا ل .

(٨) ما عدا ل : « ولم يسأل » .

وقال عمر بن الخطاب رحمه الله فى جواب كلامٍ قد تقدّم وقولٍ قد سلف منه : « مُتْعتَانِ كانتا على عهد رسول الله ﷺ أنا أَنهى عنهما وأَضرب عليهما [١] » . وهذا مِثل قائلٍ لو قال : أتضرِبُنا على الكلام فى الصَّلاة ، وعلى التطبيق إذا ركعنا [٢] ، فيقول : نعم أشدّ الضرب . إذا كان قد تقدّم منه إعلامه إياهم بحال الناسخ والمنسوخ [٣] .

وقد سأل رجل بلالاً مولى أبى بكر رحمه الله [٤] وقد أقبل من جهة ٤١
الحلْبة ، فقال له : من سَبَق ؟ قال : سبقَ المُقَرَّبون . قال : إنّما أسألك عن الخيل . قال : وأنا أجيبُك عن الخير . فترك بلالٌ جواب لفظه إلى خبَرٍ هو أنفعُ له .

حدثنى عبدُ الملك بن شَيبان ، قال : حدثنى يعقوب بن الفضل الهاشمىّ ، قال : كتب أبو جعفر إلى سَلْم [٥] يأمره بهدْمِ دُور مَن خرج مع إبراهيم ، وعَقْرِ

---

(١) الحديث فى الحيوان (٤ : ٢٧٦) . والمتعتان هما متعة النساء ومتعة الحج ، كما جاء هذا الخبر مفصلا فى كتاب العباسية من رسائل الجاحظ ٣٠٢ الرحمانية . أما متعة النساء فهى ما يسميه الفقهاء نكاح المتعة ، وهو الزواج بأجل مسمى فى العقد ، كيوم ، أو شهر ، أو سنة ، أو سنوات . وكان ذلك مباحا فى أول الإسلام . وفيه نزل قول الله : « فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة » ، ثم نسخ ذلك بنهى الرسول . وأما متعة الحج فهو ما يعرف بالتمتع . وعنى عمر تحريمها على سكان مكة ، إذ قيل فى حديث آخر : « ليس لأهل مكة تمتع ولا قران » . وقد عنى الجاحظ أن كلام عمر ليس على ظاهره ، بل المراد أنهما كانتا على عهد رسول الله ، وحرمتا أيضاً فى عهد رسول الله . وكذلك قوله « أنا أنهى عنهما » فالمراد : أنا أنهى عنهما كما نهى الرسول .

(٢) التطبيق : أن يجمع بين أصابع يديه ويجعلهما بين ركبتيه فى الركوع والتشهد . وقد كان ذلك من فعل المسلمين فى أول ما أمروا بالصلاة ، ثم أمروا بإلقام الكفين رأس الركبتين . انظر اللسان (طبق) .

(٣) انظر الحيوان (٤ : ٢٧٧) .

(٤) بلال هذا ، هو بلال المؤذن ، واسمه بلال بن رباح الحبشى ، ويقال أيضا بلال بن حمامة ، وحمامة أمه . اشتراه أبو بكر من المشركين إنقاذا له من التعذيب ، ثم أعتقه ، فلزم النبى ﷺ وأذّن له ، وشهد جميع المشاهد ، وآخى الرسول بينه وبين أبى عبيدة بن الجراح . توفى فى طاعون عمواس سنة ١٨ . الإصابة ٧٣٢ . وسيأتى الخبر فى (٣ : ١٦٠) منسوبا إلى عامر بن عبد قيس ، كما فى عيون الأخبار (٢ : ٣٧)

(٥) هو سَلْم بن قتيبة المترجم فى (١ : ١٧٤) .

نخلِهم قال : فكتب إليه سَلْم : بأىّ ذلك نبدأ ؟ بالدُّور أم بالنَّخْل ؟ قال : فكتب إليه أبو جعفر : « أمّا بعدُ فإنّى لو كتبتُ إليك بإفساد تَمرِهم لكتبت إلى تستأذِننى بأيّةٍ نبدأ بالبَرْنىّ أم بالشُّهريز (١) ؟ » . وعزله وولّى محمدَ بنَ سليمان .

وقال ابن مسعود : « إنّ طُول الصّلاةِ وقِصَر الخُطْبة مَئِنَّةٌ مِن فِقه الرّجُل » . مَئِنةٌ كقولك : مَخلقةٌ ومَجدَرة ومَحْراة . قال الأصمعىّ : مَئِنَّة : علامة .

وقال عبد الله : « عليكم بالعلم ؛ فإنّ أحدكم لا يدرى متى يُختَلّ إليه (٢) » .

ولما أقدم عمرُ بنُ الخطاب عَمرو بنَ العاص عليه من مصر قال له عُمَر : « لقد سِرْت سَيْرَ عاشق (٣) » . قال عمرو : « إنّى والله ما تأبّطتْنى الإماء ، ولا حَملَتْنى البغايا فى غُبَّرات المآلى (٤) » . قال له عُمر : « والله ما هذا بجواب الكلام الذى سألتُك عنه ، وإنّ الدّجاجة لتفحَصُ فى الرّماد فتضعُ لغير الفَحْلِ ، والبيضةُ منسوبةٌ إلى طَرْقِها (٥) » . وقام عمر فدخل وقام عمرو فقال : لقد أفحشَ أميرُ المؤمنين علينا .

وجاء فى الأثر : « لا يُمنع فضلُ الماء ليُمنَع به فَضل الكَلأ (٦) » .

قال الأعرابى : اللهم لا تُنْزِلْنى ماءَ سَوْءٍ فأكون امرأ سَوْءٍ (٧) .

---

(١) البرنى : ضرب من التمر أصفر مدور ، وهو أجود التمر : قال أبو حنيفة : أصله فارسى ، إنما هو البارنى . فالبار الحمل ، و « نى » تعظيم ومبالغة . والشهريز : ضرب من التمر ، معرب أيضاً ، وهو بكسر الشين وضمها ، وأنكر بعضهم الضم . ويقال كذلك سهريز بكسر السين المهملة .

(٢) هذا الصواب من هـ . يختل إليه : يحتاج إليه . ل : « يحتل » ، وسائر النسخ : « يخيل » .

(٣) فى حواشى هـ : « يعنى سيرا سريعا » .

(٤) المآلى : جمع مئلاة ، وهى خرقة الحائض . وغبراتها : بقاياها .

(٥) الطرق ، بالفتح : الفحل . ب ، جـ : « طرفها » ، التيمورية : « ظرفها » تحريف . والخبر منثور فى اللسان (غبر ، ألى ، طرق) .

(٦) معناه أن البئر تكون فى البادية ، ويكون قريباً منها كلأ ، فإذا ورد عليها وارد فغلب على مائها ومنع من يأتى بعده من الاستقاء منها ، فهو بمنعه الماء مانع من الكلأ ، لأنه متى ورد رجل بإبله فأرعاها ذلك الكلأ ثم لم يسقها قتلها العطش . فالذى يمنع ماء البئر يمنع النبات القريب منه . انظر اللسان (كلأ) . وأخرجه البخارى فى كتاب الحيل .

(٧) سبق الخبر فى (١ : ٤٠٥) .

وقال بَلْعاء بن قيس (١) :

وكم كان فى آل المُلوَّح من فَتًى … مُنادًى مفدًّى حين تُبلَى سرائرُه

وكم كان فى آل الملوَّح من فتًى … يُجيب خطيباً لا تُخاف عوائره (٢)

وقال الآخر (٣) :

ومُخاصِمٍ قاومت فى كَبَدٍ … مثلِ الدِّهان فصار لى العذرُ (٤)

وقال آخر :

وجهٌ قبيحٌ ولسان أبكمُ … ومِشفرٌ لا يتوارى أضْجَمُ (٥)

ولما رأى الفرزدق دُرُسْت بن رِبَاطٍ الفُقيميَّ (٦) على المنبر – وكان أسود ٤٢
دميماً قصيراً – قال :

بكى المِنبرُ الشرقىُّ إذْ قام فوقَه … أميرٌ فُقَيمىٌّ قصيرُ الدَّوَارجِ (٧)

وقال :

بكى المنبر الشرقىُّ والناسُ إذ رأَوْا … عليه فُقَيميّا قصير القوائمِ

وإنما كان يعادى بنى فُقَيم لأنَّهم قتلوا أباه غالبا .

قال أبو عبيدة : قال رجل ليونس بن حبيب (٨) : إذا أخذتم فى مذاكرة

---

(١) ترجم فى ١٨٥ .

(٢) ما عدا هـ : « لا يخاف » .

(٣) هو مسكين الدارمى ، كما فى سمط اللآلى ١٨٦ – ١٨٧ واللسان (عذر) .

(٤) الكبد : الشدة والمشقة . والدهان بالدال كما فى السمط وحواشى هـ عن نسخة . وفى صلب هـ وجميع النسخ : « الرهان » تحريف . والدهان : جلد أحمر لاتثبت فيه الأقدام لملوسته . أى قاومته فى مقام مزلة فثبتت قدمى فيه . والعذر هنا : النجح ، كما فى اللسان (عذر) عند إنشاد البيت .

(٥) أضجم : مائل : ما عدا ل ، هـ : «.أضخم » تحريف .

(٦) ذكر فى القاموس أنه كان شاعراً . وفى ديوان الفرزدق ١٤٢ أن الشعر يقوله محمد بن رباط الفقيمى . واستعمله ابن هبيرة على البصرة ، فلما صعد المنبر قال : يا بنى تميم ، اتقوا الله وكونوا كما قال الله فى كتابه : انصر أخاك ظالما أو مظلوماً . فقال له بعض أصحابه : ليس هذا قول الله ، إنما هذا شعر . قال : اسكت ، فمن قاله فقد أحسن وأجمل ! ورباط ، بالباء الموحدة ، ووردت فى هـ « رياط » ، بالمثناة .

(٧) الدوارج : جمع دارجة ، وهى الأرجل . وفى اللسان (درج) : « أن قام فوقه خطيب » .

(٨) ترجم فى (١ : ١٧٤) .

الحديث وقَع عليّ النعاس . قال : فاعلمْ أنك حمارٌ فى مِسلاخ إنسان (١)

قال : ودخل عبد الله خازم (٢) على عُبيد الله بن زيادٍ وهو يَخْطِر فى مِشيته ، فقال للمنذر بن الجارود : حرِّكه . فقال : يا ابن خازم ، إنّك لتجُرُّ ثوبَك كما تجرُّ البَغِيُّ ذيلَها . قال : أمَا والله إنِّى مع ذلك لأَنفُذُ بالسَّرِيّة ، وأضرِبُ هامة البطل المُشِيح (٣) ، ولو كنتَ وراء هذا الحائط لوضَعْت أكثَرَك شَعَراً (٤).

وقد كان قبض عطاءَهُ فصبَّه بين أيديهم ثم قال : لعنَكِ الله من دراهم ، ما تَقُومين بمَؤُونة خيلنا !

وقال علىٌّ بن أبى طالب رضى الله عنه : خذ الحكمة أنّى أتتك ؛ فإنّ الحكمة تكون فى صدر المنافق فتتلجلج فى صدره حتَّى تخرجَ فتسكنَ إلى صوَاحبها (٥) .

وقال عمرو بن العاص لأهل الشامِ يوم صِفِّين (٦) : « أقيمُوا صفوفَكم مثلَ قصِّ الشارب ، وأعيرونا جماجمكم ساعةً من النّهار ، فقد بلغ الحق مَقْطَعَه ، وإنّما هو ظالمٌ أو مظلوم » .

وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه يومئذ (٧) : « عَضُّوا على النّواجذ من الأضراس (٨) ، فإنّه أنْبَى للسُّيوف عن الهام » .

وقال رجل : طِد رجلك إذا اعتصيت بالسَّيف والعصا (٩) ، وأنت مخيَّرٌ فى رَفْعِها ساعةَ المسالمة والموادعة .

---

(١) المسلاخ : الجلد . والخبر فى عيون الأخبار (٢ : ١٢٠) .

(٢) ترجم فى ص ١٠٨ .

(٣) المشيح : الحازم الحذر .

(٤) يعنى بذلك رأسه .

(٥) ما عدا ل : « صاحبها » .

(٦) الخطبة فى وقعة صفين لنصر بن مزاحم ٢٥١ .

(٧) الخطبة فى وقعة صفين ص ٢٦٤ - ٢٦٥ .

(٨) النواجذ : أقصى الأضراس ، وهى ضروس الحلم .

(٩) وطد رجله يطدها : أثبتها وثقلها . واعتصى بالسيف : أخذه أخذ العصا ، وضرب به ضربه بها .

ولما أقاموا ابن قميئة [١] بين العُقابين قال له أبوه : طِد رجليك بالأرض [٢] ، وأَصِرَّ إصرارَ الفَرَس ، واذكر أحاديث غدٍ ، وإيّاك وذكرَ الله فى هذا الموضع ، فإنّه من الفشل .

٤٣ قال : وقيل للحجاج : مَن أخطب الناس ؟ قال : صاحب العمامة السوداء بين أخصاص البَصْرة [٣] . يعنى الحسن .

وقال الأحنف : قال عُمر : تفقّهوا قبل أن تُسَوَّدُوا . وقال عمر : احذرْ من فَلَتات الشَّباب كُلَّ ما أورثك النَّبز وأعْلَقَك اللَّقب [٤] ؛ فإنه إنْ يعظمْ بعدها شأنُك يَشتدَّ على ذلك نَدَمك .

ولما بنى عُتبةُ بن غزوان وأصحابُه بالبصرة بناءَ اللّبِن ، كتب إليهم عُمر : « قد كنت أكره لكم ذلك [٥] فإذْ فعلتم ما فعلتم فعرِّضوا الحِيطان ، وارفعوا السَّمْكَ ، وقاربوا بين الخُشُب » . ولما بلغه أنّهم قد اتخذوا الضِّياع وعمَّروا الأَرض كتب إليهم : « لا تَنْهَكُوا وجه الأرض ، فإنّ شحمتَها فيه » .

وقال عُمر : « بع الحيوانَ أحسنَ ما يكون فى عينك » : وقال : « فرِّقوا بين المنايا ، واجعلوا الرأس رأسين » .

وقال : « املِكُوا العجينَ فإنّه أحدُ الرَّيعَين [٦] » .

وقال : « إذا اشتريت بعيراً فاجعله ضَخْما ؛ فإنّه إنْ أخطاك خُبْرٌ لم يخطِئْك سُوق » .

---

(١) ابن قميئة هذا ليس هو عمرو بن قميئة ، ولعل فى اسمه تحريفاً .

(٢) ما عدا ل ، هـ : « الأرض » تحريف .

(٣) الأخصاص : جمع خص ، بالضم ، وهو بيت من شجر أو قصب ، أو بيت يسقف عليه بخشبة على هيئة الأزج .

(٤) النبز ، بالتحريك : اللقب ، ويكثر النبز فيما يكون ذما .

(٥) بعده سقط فى التيمورية ينتهى إلى منتصف صفحة ٢٩٠ .

(٦) ملك العجين يمكله ملكا بالفتح ، إذا شدد عجنه . والريع : الزيادة .

وقال عمر : « العمائم تيجان العرب » . وقال : « نعم المُسْتَنَد الاحتباء » .

وقال رسول الله ﷺ : « الناس كالإبل ، ترى المائة لا تجد فيها راحلة (١) » .

وأنشدوا :

وكأنّ من زهر الخُزَامى والنّدَى ... والأقحُوانِ عليه رَيطةَ بُرنُسِ (٢)
فإذا ترنَّمَ حولَه ذِبّانُه ... أصغَى تَسَمُّعَ خائِف مُتَوَجِّسِ
خرجَت عليه من الضِّراءِ دواجِنٌ ... تَحتثُّ نحو مَلاذِ وانٍ أشوَسِ (٣)
يسعى ويمْثُل والصَّفِيرُ كلامُهُ ... وتَحِى يداه لهُنَّ وَحْىَ الأخرسِ (٤)

وقال الراعى :

أبا خالـدٍ لا تَنبِـذنَّ نَصَاحـةً ... كوَحى الصَّفا خُطَّتْ لكم فى فؤاديا (٥)

وقال الشاعر :

رُبَّ طَرْفٍ مُصَرِّحٍ ... عن ضَمِيرٍ بما هَجَسْ

وقال آخر :

---

(١) الراحلة من الإبل : القوى على الأسفار والأحمال ، التى يختارها الرجل على النجابة وتمام الخلق وحسن المنظر . ويروى : « تجدون الناس بعدى كإبل مائة ، ليس فيها راحلة » .

(٢) الريطة : الملاءة إذا كانت قطعة واحدة . والبرنس : كل ثوب رأسه منه ملتزق به . والأبيات فى صفة ثور . يقول : ذلك الثور المتوارى بين ذلك الزهر وقد تساقط الندى عليه كأنما ليس برنسا موشيا .

(٣) الضراء : جمع ضرو بالكسر ، وهو الضارى من السباع والكلاب . والدواجن ذوات الإلف ، عنى بها كلاب الصيد . تحتث : تسرع ، وهو مطاوع استحثه واحتثه . والملاذ : الملجأ . والأشوس : الذى ينظر بمؤخر العين تكبراً أو غيظا . ل : « نحو ملاوسى » ، تحريف .

(٤) يمثل : يقف . يقول : هو يداول بين السعى والانتظار . يعنى الصائد . ب : « يسعى يمثل » حـ يسعى بمثل » : « وحى يحى : أشار يشير .

(٥) النصاحة ، بفتح النون : النصح والإخلاص . ماعدا ل ، هـ : « لا تنبذنا » ، فصاحة تحريف . الوحى : الكتابة ها هنا . أى كتلك الكتابة الثابتة فى ذاك الحجر .

* بِلحنِ القَولِ والطَّرْفِ الفصيحِ *

وقال المثقِّبُ العبديُّ ، فى استماع الثور وتوجُّسِهِ وجَمْعِ بالِه إذا أحسَّ بشىء من أسباب القانص ، وذَكَرَ ناقةً : ٤٤

كأنّها أسْفَعُ ذو جُدَّةٍ ... يَضُمُّه القَفْرُ وليل سَدِ (١)
كأنّما ينظرُ من بُرقعٍ ... من تحت رَوقٍ سَلِبٍ مِذوَدِ (٢)
يُصيخ للنَّبْأة أسماعُه ... إصاخة الناشدِ للمُنشِدِ (٣)
ويُوجِس السَّمعَ لنَكرائهِ ... من خشية القانص والمُؤسِدِ (٤)

وقال بعض العبيد شعراً يقع فى ذكر الخطباء ، وفى ذكر أشداقهم وتشادُقهم:

أغَرّك منّى أنّ مولاى مَزْيداً ... سريعٌ إلى داعى الطعام سَرُوطُ
غلامٌ أتاه الذُّلُّ مِن نحو شِدْقِه ... له نَسبٌ فى الواغِلينَ بسيطُ (٥)
له نحو دَوْرِ الكاس إمّا دعوتَه ... لسانٌ كذَلْقِ الزّاعبىّ سليطُ (٦)

وقال الأوَّل :

* إنّ سَليطاً كاسمه سليطُ *

---

(١) الأسفع : الثور الوحشى الذى فى خديه سواد يضرب إلى الحمرة قليلا . والجدة ، بالضم : الخطة فى ظهره تخالف لونه . والسدِى : ذو السدَى : وهو الندى . والبيت فى اللسان (مسد ، سفع ، سدا) .

(٢) شبه السُّفعة فى وجه الثور ببرقع أسود . والروق : القرن . والسلب : الطويل . والمذود : الكثير الذود والمدافعة .

(٣) الناشد : الذى يطلب الضالة ويسأل عنها . والمنشد : المرشد إلى الضالة . ما عدا ل : « تصيخ » .

(٤) النكراء : الدهاء والفطنة . والمؤسد : الكلاَّب الذى يشلى كلابه للصيد ؛ يقال آسد الكلب وأوسده : أغراه بالصيد .

(٥) ل : « أتاه الدل » بالدال المهملة . والواغل : الذى يدخل على القوم فى طعامهم وشرابهم من غير أن يدعوه . والبسيط : المنبسط الممتد .

(٦) ذلق الشىء : حده . والزاعبى من الرماح : الذى إذا هز تدافع كله .

وقال بعض العبيد فى بعض العبيد :

وقد كان مفتوقَ اللَّهاةِ وشاعراً　　　وأشدَق يَفرِى حين لا أحدٌ يَفرِى

وقال مَورَقٌ العبدُ يتوعّد مولاه (١) :

لولا عجوز قَحمَةٌ ودَرْدَقُ　　　وصاحِبٌ جَمٌّ الحديثِ مُونِقٌ

كيف الفَوات والطلوب مَورَقُ　　　شيخٌ مَغيظ وسِنانُ يَبرِقُ

وحنجرٌ رَحبٌ وصوت مِصْلَقُ　　　وشِدقُ ضرغامٍ ونابٌ يَحْرُقُ

وسأل رجلٌ عمر بن عبد العزيز عن الجمل وصِفّين فقال : « تلك دماءٌ كف اللّٰهُ يدى عنها ، فلا أحبُّ أن أغمس لسانى فيها » .

ويقع فى باب التطبيق :

لأنتمْ ببيع اللَّحْمِ أعلمُ منكُمُ　　　بضَرب السُّيوفِ المرهَفات القَواطِعِ　٤٥

وقال عَمرو بن هُدّاب : « إنّما كنّا نعرف سؤدد سَلم بن قُتيبةَ (٢) أنه كان يركب وحدَه ويرجع فى خمسين » .

قال الأصمعىّ : دخل حَبيب بن شَوذَبٍ الأسدىّ على جعفر بن سليمانَ بالمدينة ، فقال : « أصلَحَ اللّٰه الأمير ، حبيبُ بن شَوذبٍ وادُّ الصَّدر ، جميل الذِّكْر ، يكره الزيارة المُمِلّة ، والقَعدة المُنْسِيَة (٣) » .

وفى الحديث : « زُرْ غِبًّا تزْدد حُبًّا » .

وقال بعضهم : عن الثّورى ، عن محمد بن عَجلان (٤) ، عن عِياض بن

---

(١) سبق إنشاد الأبيات التالية فى ١٥٢ .

(٢) سبقت ترجمته فى (١ : ١٧٤) .

(٣) يعنى الطويلة . والخبر فى عيون الأخبار (٣ : ٢٤) مع خلاف .

(٤) هو أبو عبد الله محمد بن عجلان المدنى القرشى ، كان ثقة كثير الحديث له حلقة كبيرة فى مسجد رسول الله ، قدم مصر وصار إلى الإسكندرية ، وتوفى بالمدينة سنة ١٤٨ . تهذيب التهذيب وتذكرة الحفاظ (١ : ١٥٦) .

عبد الله (١) قال : « إنّ الدَّيْنَ مَجْمعٌ لكلِّ هَمّ ، هَمٌّ بالليل وذُلٌّ بالنهّار ، وراية الله فى أرضه ، فإذا أراد الله أن يُذلَّ عبداً جعله طَوْقاً فى عُنقِه (٢) » .

عمر بن ذَرّ (٣) قال : الحمد لله الذى جعلنا من أُمّةٍ تُغفر لهم السيِّئات ، ولا تُقبل من غيرهم الحسنات .

ابن أبى الزِّناد (٤) قال : كنا لا نكتُب إلاّ سُنّةً ، وكان الزهرى يكتب كلَّ شىء ، فلما احتيج إليه عَرفتُ أنه أوعى الناس .

قال : وقال فيروزُ حُصَيْن (٥) : إذا أراد الله أن يُزيل عن عبد (٦) نعمة كان أوَّلُ ما يغيِّر منه عَقْلَهُ .

وقيل لمحمّد بن كعب القُرَظىّ (٧) : ما علامة الخِذْلان ؟ قال : أن يستقبح الرّجلُ ما كان عنده حسنا ، ويستحسن ما كان عنده قبيحاً .

وقال محمد بن حفص (٨) : كُنْ إلى الاستماع أسرعَ منك إلى القول ، ومن خطإِ القولِ أشدَّ حذراً من خطإِ السُّكوت .

وقال الحسن : إذا جالستَ العلماء فكُن على أن تسمع أحرصَ منك على

---

(١) هو عياض بن عبد الله بن سعد بن أبى سرح القرشى المكى ، روى عن ابن عمر وأبى هريرة ، وروى عنه زيد بن أسلم ، ومحمد بن عجلان ، وسعيد المقبرى . ولد بمكة ثم قدم مصر مع أبيه ثم رجع إلى مكة ، فلم يزل بها حتى مات على رأس المائة . تهذيب التهذيب ، والتقريب .

(٢) فى عيون الأخبار (١ : ٢٥٤) : « جعلها طوقا » أى الراية . وهو الأوفق .

(٣) ترجم فى (١ : ٢٦٠) .

(٤) سبقت ترجمة أبى الزناد عبد الله بن ذكوان فى ٢٤٧ . وأما ابنه الذى عرف بهذه الكنية فهو عبد الرحمن ، كان من ثقات المحدثين ، ولى خراج المدينة ، وقدم بغداد ومات بها سنة ١٧٤ وهو ابن أربع وسبعين سنة . تهذيب التهذيب ، وتاريخ بغداد ٥٣٥٩ .

(٥) سبقت ترجمته فى ٤٣ من هذا الجزء .

(٦) إلى هنا ينتهى سقط التيمورية الذى بدأ فى ص ٢٨٦ س ١٠ .

(٧) مضت ترجمته فى ص ٣٤ .

(٨) هو محمد بن حفص ، المعروف بابن عائشة . انظر ما سبق فى (١ : ١٠٢)

أن تقول ، وتعلّمْ حسن الاستماع كما تتعلّم حُسنَ القول ، ولا تقطعْ على أحدٍ حديثَه .

سفيان بن عُيينة ، قال : كان يقال : العالِم مثل السِّراج ، من مرّ به اقتبس منه .

وقال الشاعر أبو دُهْمانَ الغَلّابىّ (١) :

لئن مصرُ فاتتنى بما كنتُ أرتجِى وأخلفَنى منها الذى كنتُ آمُلُ
٤٦ فما كُلُّ ما يخشى الفتى بمصيبِهِ ولا كُلُّ ما يرجو الفتَى هو نائلُ
فما كان بينى لو لقيتُك سالماً وبين الغِنَى إلا ليالٍ قلائلُ (٢)

وقال الآخر :

وإنّ كلام المرء فى غير كُنْهِهِ لكالنَّبل تهوِى ليس فيها نصالُها (٣)

وقال كعبُ الأحبار : قرأت فى بعض ما أنزل الله على أنبيائه عليهم السلام : « الهديَّةُ تفقأ عين الحكيم ، وتُسَفِّه عقل الحليم » .

قال : زَحَم رجُلٌ سالم بن عبد الله (٤) فزحم سالمٌ الذى يليه ، فقال له : يا شيخ ، ما حسبتك إلا شيخَ سَوء ! قال سالم : ما أحسَبك أبعَدتَ (٥) .

---

(١) سبقت ترجمته فى ص ٢٠٠ من هذا الجزء . هـ : « قال الشاعر » فقط .

(٢) البيتان الأولان من هذه المقطوعة ، هما من أصوات الأغانى (١٩ : ١٥١) . على أن البيت الأخير من قصيدة للحطيئة فى ديوانه ٩٨ يذكر فيها علقمة بن علاثة .

(٣) أنشده فى اللسان (كنه) على أن الكنه بمعنى الوجه . وسيأتى فى (٣ : ٢٠٣) منسوبا إلى هبيرة بن أبى وهب .

(٤) هو سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوى المدنى ، فاق أهل المدينة علما وتقى وعبادة وورعا ، وكان يشبه أباه فى السمت والهدى ، وأمه من سبى فارس من بنات يزدجِرد توفى سنة ١٠٦ . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٢ : ٥٠) والمعارف ٩٣ .

(٥) الخبر أورده ابن الجوزى فى صفة الصفوة (٢ : ٥١) . وأوله هناك : « زحم سالم بن عبد الله بن عبد الله بن عمر رجل فقال له سالم : بعض هذا رحمك الله ! فقال له الرجل : ما أراك إلا رجل سوء » .

قال : وسأل رجل محمّد بن عمير بن عُطارد (١) وعَتّاب بن ورقاء (٢) فى عشر ديَاتٍ ، فقال محمد : علىَّ دِيَةٌ : فقال عتّاب : الباقى علىَّ . فقال محمَّد : نعم العون على المروءة اليَسَارُ .

وقال الأحنف :

فلو مُدّ سَرْوِى بمالٍ كثيرٍ لجُدتُ وكنتُ له باذلا (٣)
فإن المروءةَ لا تُستطاع إذا لم يكن مالُها فاَضِلا

وقال يزيد بن حُجَيَّة ، حين بلغه أن زياد بن خَصَفَةَ تَبِعه (٤) ولم يلحق به :

أبلغ زِياداً أننى قد كفيتُه أمورى وخليتُ الذى هو غالبُه
وبابٍ شديدٍ داؤُه قد فتحتُه عليكَ وقد أعيت عليك مذاهبُه
هُبِلتَ فيما تَرجُو غَنائِى ومَشْهدى إذا كان يومٌ لا تَوارَى كَواكبُه

وقال آخر :

* ومنطق خُرِّق بالعواسِلِ (٥) *

قال : تجرّدت الحضرميّة (٦) لزوجها ثمّ قالت : هل تَرَى فى خلق الرَّحمن مِن تفاوُت ؟ قال : أرى فُطُوراً .

وقال آخر : راوَدَت امرأةٌ شيخاً واستهدفتْ له ، وأبطأ عليه الانتشارُ فلامته ، فقال لها : إنّكِ تفتحين بيتاً وأنا أنشُرُ مَيْتاً !

علىّ بن محمد (٧) ، عن عمر بن مُجَاشِع (٨) ، أنّ عُمر كتب إلى أبى موسى

---

(١) كان محمد بن عمير من أجواد أهل الكوفة وأشرافهم ، وكان من أمراء على بصفين . وله أخبار مع الحجاج . وفيه يقول القائل :

علمت معد والقبائل كلها أن الجواد محمد بن عُطاردِ

انظر لسان الميزان والإصابة ٨٥٢٧ . (٢) سبقت ترجمته فى ص ٢٣٥ .

(٣) سيأتى البيتان فى (٣ : ٢٠٦) . (٤) ل : « تركه » .

(٥) سبق فى (١ : ٣٤٩) . (٦) ما عدا ل ، هـ : « حضرمية » .

(٧) هو على بن محمد المدائنى ، المترجم فى ص ٢٨٠ . (٨) هو عمر بن مجاشع المدائنى ، ذكره ابن حبان فى الثقات ، وترجم له ابن حجر فى لسان الميزان (٤ : ٢٢٤) .

الأشعريّ : « أمّا بعد ، فإنّ للناس نُفرةً عن سُلطانهم ، فأعوذ بالله أن تدرِكَنى ٤٧ وإيّاكَ عمياءُ مجهولةٌ ، وضغائنُ محمولة ، وأهواءٌ مُتَبَعة ، ودُنْيا مُؤْثَرة . فأقِمِ الحدودَ ولو ساعةً من نهار ، وإذا عَرَضَ لك أمرانِ أحدهُما لله والآخرُ للدُّنيا ، فآثِرْ نصيبَكَ من الآخرة على نصيبِك من الدُّنيا ؛ فإنّ الدنيا تَنفَدُ ، والآخرة تَبقَى . وكُن مِن خَشية الله على وَجَلٍ ، وأخِفِ الفُسّاقَ واجعلهم يداً يداً ، ورِجلاً رِجلا . وإذا كانت بين القبائل نائرة [١] وتَدَاعَوْا : يالَ فلانٍ يالَ فلانٍ ، فإنّما تلك نَجْوَى الشيْطان [٢] ، فاضربهْم بالسَّيف حتى يَفِيئوا إلى أمر الله ، وتكونَ دعواهم إلى الله وإلى الإمام . وقد بلغَ أميرَ المؤمنين أنَّ ضَبَّةَ تَدْعُو : يالَ ضَبَّةَ ! وإنِّى والله ما أعلمُ أنّ ضَبَّةَ ساقَ الله بها خيراً قطّ ، ولا مَنَع بها من سوءٍ قطّ ، فإذا جاءك كتابى هذا فانهَكْهُم عقوبةً حتّى يَفْرَقُوا إن لم يَفْقَهُوا [٣].وألْصِقْ بغَيلانَ بن خَرشَة من بينهم [٤] ، وعُدْ مَرضَى المسلمين ، واشهَدْ جنائزَهم ، وافتَحْ بابك ، وباشِرْ أمرهم بنفِسك ، فإنّما أنت رجلٌ منهم ، غيرَ أنّ الله جعَلك أثقلَهم حِمْلاً ، وقد بلغ أميرَ المؤمنين أنّه قد فشا لك ولأهل بيتك هيئةٌ فى لباسك ومَطعمك ومركبك ، ليس للمسلمين مثلُها . فإيّاك يا عبد الله أن تكون بمنزلة البهيمة التى مرّتْ بوادٍ خَصِيب [٥] ، فلم يكن لها هِمَّةٌ إلاّ السِّمَن ، وإنّما حتْفها فى السِّمَن . واعلم أنّ للعامل مَردًّا إلى الله ، فإذا زاغ العاملُ زاغت رعيّته . وإنّ أشقَى الناس مَن شقِيَتْ به رعيّته . والسلام » .

عَوَانة [٦] ، قال : قدم علينا أعرابى من كَلْب ، وكان يحدِّثنا الحديث فلا

---

(١) النائرة ، بالنون : العداوة والشحناء والفتنة . ل : « ثائرة » ، تحريف .

(٢) ل : « دعوى الشيطان » .

(٣) فرق يفرق ، من باب تعب . خاف . والفقه : الفهم والعلم .

(٤) ترجم غيلان بن خرشة الضبى فى (١ : ٣٤١ ، ٣٩٤) . وألصق ، من قولهم ألصق فلان بعرقوب بعيره ، إذا عقره . وفى حواشى هـ : « كان غيلان بن خرشة رأسهم » .

(٥) ل . « خصب » .

(٦) مضت ترجمته فى (١ : ٣١٦) .

يكاد يقطُعه ، فقال له رجل : أمَا لحديثك هذا آخِر ؟ قال : إذا عجَز وصَلْناه .

قال : قال معاويةُ ليونس بن سعيد الثقفى (١) : اتَّقِ أن أطيرَ بك طَيْرَةً بطيئاً وقوعُها . قال : أليس لِى ولك المرجِعُ بعَدُ إلى الله ؟ قال : بلى ، فأَستغفِرُ الله .

رقَبة بن مَصقْلَة قال : ماسمعتُ عمر بن ذَرٍّ (٢) يتكلّم إلاّ ذكرت النّفْخَ فى الصُّور ، ولا سمعت أحداً يحكيه إلاّ تمنّيت أن يُجلَد ثمانين .

قال : وتكلّم عمرُ بن ذَرٍّ فصاحَ بعض الزَّفّانِين صَيْحَةً (٣) ، فلَطَمَه رَجُلٌ فقال عمرُ بن ذَرّ : ما رأيتُ ظُلْماً قطُّ أوفقَ لى من هذا .

قال : وقال طاوس : كنت عند محمد بن يوسف (٤) ، فأبلغه رجلٌ عن ٤٨
بعض أعدائه كلاماً ، فقال رجلٌ من القوم : سبحان الله ! فقال طاوس : ما ظننت أنّ قولَ سبحانَ الله معصيةٌ لله حتّى كان اليومُ . كأنّه عنده إنما سَبَّح لِيُظهِر استعظامَ الذى كان من الرّجُل ، ليوقِعَ به (٥) .

وقال الراجزّ :

لو كان غاَداك البَطِيءُ المُسهَمُ (٦) … إذاً بداَ منك الذى لا يُكتَمُ
وجهٌ قبيح ولسانٌ أبكَمُ … ومِشْفَرٌ لا يتوارَى أضجَمُ

وقال آخر :

يقعِّر القَولَ لكيما تَحْسِبَهْ (٧) … من الرِّجال الفُصَحاء المُعرِبَهْ

---

(١) ما عدا ل : « ليونس الثقفى » .

(٢) ترجمة عمر بن ذر فى (١ : ٢٦٠) .

(٣) الزفانون : الذين يزفنون ، أى يرقصون .

(٤) هو محمد بن يوسف الثقفى ، أخو الحجاج بن يوسف . ولاه عبد الملك اليمن ، فلم يزل واليا عليها حتى مات . المعارف ١٧٣ .

(٥) سبق الخبر فى (١ : ٣٩٥) .

(٦) المسهَم : الذى ذهب جسمه أو عقله . هـ والتيمورية : « عاداك » ، ب ، حـ : « عدواك » . وانظر ما سبق فى ٢٨٤ .

(٧) ل : « يقصر القول » ، صوابه فى سائر النسخ .

وهو ، إذا نسبتَه ، مِن كَرَبَةْ (١) من نخلةٍ نابتةٍ فى خَرِبَةْ

* * *

قالت امرأةُ الحُطيئة للحطيئة ، حين تحوَّل عن بنى رِياحٍ إلى بنى كُليب (٢) : « بئس ما استبدلْتَ من بنى رياحٍ بَعْرُ الكَبْش » ؛ لأنّهم متفرّقون ، وكذلك بعر الكبش يقع متفرِّقا .

علىّ بن محمد ، عن مَسلمة بنِ محارب ، عن داود بن أبى هند ، عن أبى حرب ابن أبى الأسود عن أبيه قال : بعثَنى وعِمرانَ بنَ حُصَينٍ (٣) عثمانُ بن حُنَيف (٤) إلى عائشة فقال : يا أُمَّ المؤمنين ، أخبرينا عن مَسيرِك ، أهذا عَهدٌ عَهِدَهُ (٥) إليكِ رسول الله ﷺ أمْ رأىٌ رأيتِهِ ؟ قالت : « بَلَى ، رأىٌ رأيتُه حينَ قُتِل عثمان . إنَّا نَقَمنا عليه ضَرْبَةَ السَّوطِ (٦) ، وموقِعَ السَّحابة المُحماةِ (٧) ، وإمرةَ سعيدِ والوليد (٨) ، فعدوتم عليه فاستحللتم منه الحُرَمَ الثّلاث : حُرْمَةَ البلد ، وحرمة

---

(١) الكرب : أصول السعف .

(٢) ل : « كلب » ، تحريف . وفى الموشح ٣٦٢ : « فمن ذلك قول بنت الحطيئة له لما نزل فى بيت بنى كليب بن يربوع » . وانظر مدحه لبنى كليب بن يربوع فى ديوانه ٩٢ .

(٣) هو عمران بن حصين بن عبيد بن خلف ، أسلم هو وأبو هريرة عام خيبر . واستقضاه عبد الله بن عامر على البصرة ثم استعفاه ، ومات بها سنة ٥٢ . الإصابة ٦٠٠٥ ، وتهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة (١ : ٢٨٣) .

(٤) عثمان بن حنَيف الأنصارى ، شهد بدرا ، وولاه عمر السواد مع حذيفة بن اليمان . وكان علىٌّ قد استعمله على البصرة قبل أن يقدم إليها . ومات فى خلافة معاوية . الإصابة ٥٤٢٧ وتهذيب التهذيب .

(٥) ما عدا ل ، هـ « مسيرك هذا ، أعهد » .

(٦) ما عدا ل : « ضربة بالسيف » . لكن فى هـ : « ضربة بالسوط » .

(٧) فى هامش ، هـ والتيمورية : « قولها موقع السحابة المحماة ، يعنى موضعاً أمطره السحاب فحمى من الرعى . فعل ذلك عثمان ، وكذلك فعل عمر ، إلا أنه كان يرعى فيه إبل الصدقة ، فكان ذلك مما نقم على عثمان » .

(٨) سعيد هذا ، هو سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية القرشى . ولى الكوفة لعثمان بن الوليد بن عقبة فشكا منه أهل الكوفة فعزله . وكان حليماً وقوراً ، وكان يقال له : « عكة العسل » . مات فى قصره بالعقيق سنة ٥٣ ، وأما الوليد فهو الوليد بن عقبة ابن أبى معيط ، وكان قبل إسلامه شديد الأذى للمسلمين ، وكان ممن أسر يوم بدر ، ونشأ فى كنف عثمان إلى أن استُخلف ، فولاه الكوفة بعد عزل سعد بن =

الخِلافة ، وحرمةَ الشهر الحرام ، بعد أن مُصْناهُ كما يماصُ الإناء فاستَنْقَى [١] ، فركِبْتم هذه منه ظالمين ، فغضبنا لكم من سوطِ عثمان ، ولا نغضب لعثمان من سيفكم ؟ » . قلت : وما أنتِ وسيفَنا وسوطَ عثمان ، وأنتِ حبيسُ رسول الله ﷺ ، أَمَرَكِ أن تَقَرِّى فى بيتكِ فجئتِ تَضْرِبِينَ الناسَ بعضَهم ببعض . قالت : وهل أحدٌ يقاتلنى أو يقول غير هذا ؟ قلنا : نعم . قالت : ومن يفعل ذلك أَزَنيمُ بنى عامر [٢] ؟ ثم قالت : هل أنت مبلغٌ عنِّى يا عِمران ! قال : لا ، لست مُبْلغاً عنكِ خيراً ولا شراً . فقلت : لكنِّى مبلغ عنكِ فهاتى ما شئت . فقالت : اللهمَّ ٤٩
اقتل مذمَّماً قِصاصاً بعثمان : تعنِى محمّدَ بنَ أبى بكر – وارمِ الأشتر بسهم من سهامك لا يُشْوِى ، وأدرِكْ عَمَّاراً بخَفْرته فى عثمان [٣] .

حدثنا يزيدُبن هارون ، قال : أخبرنا هشام بن حسان ، عن الحسن ، أنَّ زياداً بعث الحكم بن عَمرٍو [٤] على خراسان ، فأصابَ مغنماً ، فكتب إليه زياد :

= أبى وقاص ، فاستعظم الناس ذلك . وكان الوليد من شجعان قريش وسَرواتهم وأجوادهم ، ولكنه كان يشرب الخمر ، فصلى بالناس الصبح أربعا وهو سكران ، فعزله عثمان عن الكوفة بعد أن جلده . ولما قتل عثمان اعتزل الفتنة ولكنه كان يحرض على قتال على بكتبه وشعره ، ومات فى خلافة معاوية . الإصابة ٩١٤٨ .

(١) ماص الإناء يموصه : غسله . أرادات أنهم استتابوه عما نقموا منه ، فلما أعطاهم ما طلبوا قتلوه .

(٢) الزنيم : الدعى فى النسب . تعنى به عمار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس بن الحصين بن الوذيم ، من بنى ثعلبة بن حارثة بن عامر . وأمه سمية بنت خباط ، كانت أمة لأبى حذيفة بن المغيرة المخزومى ، ثم زوجها ياسرا فولدت له عمارا . الإصابة ٥٦٩٩ والمعارف ١١١ – ١١٢ ووقعة صفين ٢٢٤ .

(٣) الكلام إشارة إلى ما كان من عمار بن ياسر ، إذ كان عثمان قد أرسل رجالا إلى الأمصار ليقفوا على بواطن الأمور ، وكان ممن أرسلهم عمار بن ياسر أرسله إلى مصر ؛ فرجع الرجال جميعا إلا عمارا ، إذ استماله أهل مصر الناقمون إلى جانبهم . انظر الطبرى فى حوادث سنة ٣٥ . والخفرة : المرة من الخفر ، بالفتح : وهو الغدر ونقض العهد . ما عدا هـ : « بحفرته » بالحاء المهملة .

(٤) هو الحكم بن عمرو بن مجدع ، أبو عمرو الغفارى ، صحب رسول الله ﷺ حتى مات . ثم نزل البصرة وولاه زياد خراسان فمات بها سنة ٥٠ . تهذيب التهذيب والإصابة ١٧٧٩ .

« إنَّ أميرَ المؤمنين معاويةَ كتب إلىّ يأمُرنى أن أصطفىَ له كلَّ صفراءَ وبيضاء ، فإذا أتاك كتابى هذا فانظُرْ ما كان من ذهب وفضّة فلا تَقسِمْه ، واقسِمْ ما سوى ذلك » . فكتب إليه الحكمُ : « إنى وجدت كتابَ الله قَبلَ كتابِ أمير المؤمنين . ووالله لو أنّ السَّمواتِ والأرضَ كانتا رتقاً على عبدٍ فاتَّقى الله لجعلَ الله له منها مخرجا . والسلام » . ثم أمر المنادىَ فنادى فى الناس : أن اغْدُوا على غنائمكم . فغدَوْا فقَسَمها بينهم (١) .

قال : وقال خالدُ بن صفوان : « ما رأينا أرضاً مثل الأُبُلّة أقربَ مَسافةً ، ولا أطيَب نُطْفة (٢) ، ولا أوطأ مطيّةً ، ولا أربَحَ لتاجر ، ولا أخفى لعابد » .

قال الكِسائى : لقِيتُ أعرابيًّا فجعلتُ أسأله عن الحَرف بعد الحَرف ، والشئَ بعدَ الشئ أقْرِنُهُ بغيرِه ، فقال : تالله ما رأيتُ رجلاً أقدَرَ على كلمةٍ إلى جنب كلمة أشبه شئٍ بها وأبعدَ شئٍ منها منك .

ووصف أعرابىٌّ رجلا فقال : ذاك والله ممن ينفع سِلمهُ ، ويتَوَاصَف حِلمُه ، ولا يُستَمرأُ ظُلْمه .

وقال آخر لخصمه : لئن هَمْلَجتَ إلى الباطل إنّك لقَطوفٌ إلى الحقّ (٣) .

قال : ورأى رقبةُ بن مَصقْلةَ العبدىُّ (٤) جاريةً عند العطّار ، فقال له : ما تصنع هذه عندك ؟ قال : أكيل لها حِنّاءً . قال : أظنُّك والله تكيل لها كيلاً لا يأجُرُك الله عليه .

---

(١) فغدوا ، ساقطة من ل .

(٢) النطفة : الماء الصافى ، أو الكثير .

(٣) الهملجة : حسن سير الدابة فى سرعة . والقطاف ، بالكسر : تقارب الخطو فى بطء .

(٤) هو أبو عبد الله رقبة بن مصقلة بن عبد الله العبدى الكوفى ، كان مفوّها معدودا فى رجالات العرب . قال الدارقطنى : ثقة إلا أنه كانت فيه دعابة . وذكر ابن الأثير وفاته سنة ١٢٩ . تهذيب التهذيب .

محمد بن سعيد ، عن إبراهيم بن حُويطب (١) ، قال : قال عمرو بن العاص لعبد الله بن عباس : إنّ هذا الأمر الذى نحنُ وأنتم فيه ليس بأوّلِ أمرٍ قاده البلاء ، وقد بَلغَ الأمرُ بنا وبكم (٢) ما ترى ، وما أَبقَتْ لنا هذه الحربُ حياءً ولا صبراً ، لسنا نقول : ليتَ الحربَ عادت ، ولكنا نقول : ليتها لم تكن كانت . ٥٠
فانظر فيما بقى بغير ما مضى ؛ فإنّك رأسُ هذا الأمر بعدَ علّيٍ ، وإنما هو أميرٌ مطاع ، ومأمور مطيع ، ومشاوَرٌ مأمون ، وأنت هو .

وقال عيسى بن طلحة ، لعروة بن الزبير حين ابتُلىَ فى رجله (٣) فَقَطعَها : يا أبا عبد الله ، ذهَبَ أهْوَنُك علينا ، وبقى أكثرك لنا (٤) .

وقالت عائشة : لا سَمَر إلاّ لثلاثة : لمسافر ، أو مُصَلٍّ ، أو عروس (٥) .

قال أبو الحسن : خطب الحجّاج يوم جُمُعة فأطال الخطبة ، فقال رجل : « إنّ الوقت لا ينتظرك ، وإنّ الربَّ لا يَعذِرُك » ، فحبسه ، فأتاهُ أهلُ الرجل وكلّموه فيه (٦) وقالوا : إنّه مجنون . قال : إنْ أقرَّ بالجنون خلّيتُ سبيلَه . فقيل له : أقِرَّ بالجنون . قال : لا والله ، لا أزعُم أنّه ابتَلانى وقد عافانى .

قالت أمُّ هشامٍ السَّلولية : ما ذَكر النّاسُ مذكوراً خيراً من الإبلِ : أحناه على أحدٍ بخير ، إنْ حَمَلَت أَثقَلت ، وإنْ مشت أَبعَدت ، وإن نُحِرت أَشبعَت ، وإن حُلِبت أَرْوَت .

حدَّثنى سليمانُ بن أحمد الخَرْشَنى (٧) ، قال : حدثنى عبد الله بن محمد بن

---

(١) ما عدا ل ، هـ : « خويطب » بالخاء المعجمة .

(٢) ل : « منا ومنكم » .

(٣) ما عدا ل ، هـ : « برجله » .

(٤) كان عروة بن الزبير قد أصابته الأكلة فى رجله بالشام ، وهو عند الوليد بن عبد الملك ، فقطعت رجله والوليد حاضر ، فلم يتحرك ولم يشعر الوليد أنها تقطع ، حتى كويت فوجد رائحة الكى . وبقى بعد ذلك ثمانى سنين . المعارف ٩٨ .

(٥) هذا الخبر فى ل فقط .

(٦) هذه الكلمة من هـ .

(٧) ما عدا ل : « الخرشى » . لكن فى هـ : « الحرشى » و « الخرشى » معا .

حبيب ، قال : طلب زيادٌ رجلا كان فى الأمان الذى سأله (١) الحسن بن على لأصحابه ، فكتب فيه الحسنُ إلى زياد : « من الحسن بن على إلى زياد . أمَّا بعد فقد علمتَ ما كُنّا أخذْنا لأصحابنا ، وقد ذَكَرَ لى فلانٌ أنك عَرَضْتَ له ، فأُحِبُّ أن لا تعرض له إلاّ بخير » . فلمَّا أتاه الكتابُ ولم ينسبه الحسنُ إلى أبى سفيان غَضِب فكتب : « من زيادِ بن أبى سفيانَ إلى الحسن . أمَّا بعد فقد أتانى كتابك فى فاسقٍ يؤويه الفُسَّاق من شيعتك وشيعة أبيك ، وأيمُ الله لَأَطْلُبنَّهم ولو بين جِلدِك ولحمك ، وإنّ أحبّ الناس إلىّ لحماً أنْ آكُلَهُ (٢) للحمٌ أنت منه » .

فلما وصل الكتابُ إلى الحسنِ وجّه به إلى معاوية ، فلما قرأه معاويةُ غضِب وكتب : « مِن معاويةَ بنِ أبى سفيان إلى زياد بن أبى سفيان . أمَّا بعدُ فإنّ لك رأيين : رأياً من أبى سفيان ورأياً من سُمَيَّةَ . فأمَّا رأيك من أبى سفيان فحِلْم وحَزْم ، وأمّا رأيك من سُميَّة فكما يكون رأىُ مِثْلِها . وقد كتَبَ إلىَّ الحسنُ بنُ علىٍّ أنّك عَرَضت لصاحبه ، فلا تَعْرضنَّ له ؛ فإنِّى لم أجعل لك إليه سبيلا ، وإن الحسنَ بن علىٍّ ممن لا يُرْمى بِهِ الرَّجَوان (٣) . والعجَب مِن كتابك إليه ٥١ لا تنسبُه إلى أبيه ، أفإلى أمّه وكَلْته ، وهو ابن فاطمةَ بنتِ محمّد رسولِ الله ﷺ ؟ فالآن حينَ اخْترتَ له . والسّلام » .

* * *

وقدِم مُصعبُ بنُ الزبير العراقَ (٤) فصعِد المنبرَ ثم قال :

بسم الله الرحمن الرحيم . ﴿ طسٓمٓ ۝ تلك آيات الكتابِ المُبين ۝ نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بالحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝ إنّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى الأَرْضِ

(١) ما عدا ل : « سأل له » ، تحريف .

(٢) ما عدا ل : « وإن أحب لحم إلى آكله » .

(٣) أى ممن لا يستهان به . والرجوان : مثنى رجاً ، وهو الناحية من كل شئ .

(٤) وذلك إذ أرسله أخوه عبد الله واليا على البصرة سنة ٦٧ .

وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِى نِسَاءَهُمْ إِنَّه كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ . وأشار بيده نحوَ الشَّام . ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فى الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجعَلَهُمُ الوَارِثِينِ ﴾ . وأشار نحو الحجاز . ﴿ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُما مِنْهُمْ ماَ كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾ . وأشار بيده نحوَ العراق [١] .

قال : كتب محمد بن كعب : « القُرَظىّ [٢] » ، فقيل له : والأنصارىُّ ؟ فقال : أكره أن أمُنَّ على الله بما لم أفعل .

المدائنى [٣] قال : قام عمرُو بن العاص بالموسم ، فأطْرَى معاويةَ ، وبنى أميَّة ، وتناوَلَ بنى هاشم ، ثم ذكر مشاهدَه بصِفِّينَ ، فقال له ابنُ عبّاس : يا عمرو ، إنّك بِعتَ دينَك من معاوية فأعطيتَه ما فى يدك ، ومَنّاك ما فى يد غيرِه ، فكان الذى أخذ منك فوقَ الذى أعطاك ، وكان الذى أَخذْتَ منه دونَ ما أعطيتَه ، وكلٌّ راضٍ بما ٤٥ أخذ وأعطى ، فلمَّا صارت مصرُ فى يدك تتبَّعكَ فيها بالعزل والتنقُّص [٤] حتى لو أنّ نفسَك فيها ألقيتَها إليه ، وذكرت مَشاهِدَك بصِفِّينَ فما ثقُلتْ علينا يومئذٍ وطأتُك [٥] ، ولا نكتْنا فيها حربُك [٦] . وإنْ كنت فيها لَطويلَ اللِّسان ، قصيرَ

---

(١) انظر الخطبة أيضاً فى تاريخ الطبرى (٧ : ١٤٦) فى حوادث سنة ٦٧ والعقد الفريد (٤ : ١٢٥ - ١٣٦) طبع لجنة التأليف . وقد عنى بأهل الشام عبد الملك بن مروان والأمويين ، وبأهل الحجاز أخاه عبد الله بن الزبير ومن معه من شيعته ، وبأهل العراق المختار ابن أبى عبيد الثقفى وأنصاره .

(٢) هو محمد بن كعب بن سليم بن أسد القرظى المدنى ، وكان أبوه من سبى قريظة ، سكن الكوفة ثم المدينة ، وروى عن العباس بن عبد المطلب ، وعلى بن أبى طالب ، وابن مسعود ، وعمرو بن العاص . قالوا : وفيه جاء الحديث : « يخرج من أحد الكاهنين رجل يدرس القرآن دراسة لا يدرسها أحد يكون بعده » . والكاهنان : قريظة والنضير . توفى سنة ١٠٨ الإصابة ٨٥٣٠ وتهذيب التهذيب .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من ب ، حـ .

(٤) ل : « والتنقيص » .

(٥) ل : « فأثقلت علينا وطأتك » ، صوابه فى سائر النسخ .

(٦) نكاه ينكيه نكاية : أصاب منه .

السِّنان . آخِرَ الحرب إذا أقبلَتْ ، وَأَوّلَها إذا أدبَرَتْ . لك يدان : يدٌ لا تُبسطها إلى خَيْر ، ويدٌ لا تقبضها عن شرّ . ووجهان : وجهٌ مؤنِسٌ ، ووجه مُوحِشٌ . ولَعمرى إنّ مَن باع دينَه بدُنيا غيرِه لحرِىٌّ أن يطول حزنُه على ما باَعَ واشترى . لك بيانٌ وفيك خَطَلٌ ، ولك رأىٌ وفيك نكَدٌ ، ولك قدرٌ وفيك حَسَدٌ . فأصغَرُ عيبٍ فيك أكبر عيبٍ فى غيرك [١] .

٥٢ فقال عمرو : أَمَا والله ما فى قريش أحدٌ أثقلُ وطأةً علىّ منك ، ولا لأحدٍ من قريش عندى مثلُ قدرك [٢] .

* * *

قال : ورأى عمرو بنُ عتبةَ بنِ أبى سفيانَ [٣] رجلاً يشتم رجلا ، وآخرَ يستمع له ، فقال للمستمع : نزِّهْ سمعَك عن استماع الخَنَا ، كما تُنزِّه لسانَك عن الكلام به [٤] ؛ فإن السّامع شريكُ القائل . وإنما نَظَر إلى شرّ ما فى وعائه فأفرغه فى وعائك ، ولو رُدَّت كلمةُ جاهلٍ فى فيه لسَعِدَ رادُّها ، كما شَقِىَ قائلُها .

* * *

عَوانة قال : اختصم إلى زيادٍ رجلانِ فى حقٍّ كان لأحدهما على الآخر ، فقال المُدَّعَى عليه : أيُّها الأمير ، إنّه ليسطو علىَّ بخاصّة ذَكر أنّها له منْك . فقال زيادٌ : صَدَقَ ؛ وسأخبِرُك بمنفعتها له : إنْ يكن الحقُّ له عليك أخذتُكَ به ، وإن يكن لك عليه حكمتُ عليه ثمَّ قضيتُ عنه .

* * *

---

(١) ما عدا ل : « أعظم عيب فى غيرك » .

(٢) ما عدا ل ، هـ : « من قريش قدر مثل قدرك » .

(٣) عمرو بن عتبة بن أبى سفيان ، هو ابن أخى معاوية بن أبى سفيان . وكان عمرو ممن خرج مع ابن الأشعث على الحجاج ، وقتل فى تلك الحروب . المعارف ١٥١ . وكان خروج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بين سنتى ٨١ و ٨٣ .

(٤) ل : « عن القول به » .

قال : ولما تُوُفِّى أبو بكرٍ الصّدّيقُ رحمه الله ، قامت عائشةُ على قبره فقالت [١] : نَضَّرَ الله وجْهَك ، وشَكَر لك صالحَ سَعيك ، فلقد كنتَ للدُّنيا مُذِلاًّ بإدبارك عنها ، وللآخره مُعِزًّا بإقبالك عليها . وإنْ كان لأجَلَّ [٢] الأرزاء بَعد رسول الله ﷺ رُزْؤُك ، ولأكبرَ [٣] المصائبِ فقدُك . وإنَّ كتابَ الله ليَعِدُ بجميل العزاءِ عنك حُسْنَ العِوَض منك . فأنْتَجِزُ [٤] من الله موعودَه فيك بالصَّبر عنك ، وأستخلصه بالاستغفار لك [٥] .

* * *

وقامت فَرغانة بنت أوسٍ بن حَجَرٍ على قبر الأحنف بن قيس وهى على راحلةٍ ، فقالت : إنّا لله وإنا إليه راجعون . رحمك الله أبا بحرٍ مِن مُجَنٍّ فى جنَن [٦] ، ومُدْرَجٍ فى كفَنٍ ؛ فوالذى ابتلانا بفقدك ، وأبْلغَنا [٧] يومَ موتِك ، لقد عِشْتَ حميداً ، ومُتَّ فقيدا ؛ ولقد كنتَ عظيمَ الحِلم ، فاضِلَ السِّلم ، رفيعَ العِماد ، وارِىَ الزِّناد ، منيعَ الحريم ، سليم الأديم ؛ وإنْ كنتَ فى المحافل لَشريفا ، وعلى الأرامل لعَطوفا ، ومن الناس لقريبا ، وفيهم لغريبا ؛ وإنْ كُنتَ لمسوَّدًا ، وإلى الخلفاء لَموفَدًا ، وإن كانوا لقولك لمستمِعين ، ولرأيك لَمتَّبِعين . ثم انصرفَتْ .

* * *

أبو الحسن قال : قال عمرُو بن العاصِ : ما رأيتُ معاويةَ قطُّ متَّكِئاً على يساره ، واضعاً إحدى رجلَيه على الأخرى ، كاسراً إحدى عينيه ، يقول

---

(١) الخطبة فى العقد (٣ : ٢٤) وزهر الآداب (١ : ٣٢) ونهاية الأرب (٥ : ١٦٧) .

(٢) هـ : « أجل » .

(٣) هـ : « وأكبر » .

(٤) كذا وردت فى الأصول والعقد بتقديم النون على التاء . والمعروف فى كلامهم « أتنجز » بتقديم التاء ، و « استنجز » .

(٥) فى زهر الآداب : « وأستقضيه » ، وفى العقد ونهاية الأرب : « واستعيضه » .

(٦) أجنه فى الجنن ، أى وضعه فى القبر . أجنه : ستره .

(٧) ما عدا ل : « وبلغنا » .

للذى يكلِّمه : يا هَناه (١) ، إلا رحمتُ الذى يكلِّمه .

٥٣ وقال عمرُ بنُ الخطّاب رحمه الله: كونوا أوعية الكِتاب (٢) ، وينابيعَ العلم ، وسَلُوا الله رزقَ يوم بيوم ، ولا يضيرُكم ألّا يُكْثِرَ لكم .

وكتب مُعاويةُ إلى عائشة : أن اكتُبى إلَىَّ بشىء سمعتِه من أبى القاسم ﷺ . فكتبتْ إليه : « سمعتُ أبا القاسم ﷺ يقول : مَن عمِل بما يُسْخِطَ الله عاد حاسدُه من الناس له ذامًّا » .

أوصَى بعضُ العلماءِ ابنَه فقال : أُوصِيك بتَقوى الله ، ولْيَسَعْكَ بيتُك . وامْلِكْ عليك لسانَك ، وابْكِ على خطيئتِك (٣) .

بكر بن أبى بكرٍ القُرَشى قال : قال أعرابىّ : ما غُبِنْتُ قطُّ حتى يُغْبَنَ قومى . قيل : وكيف ؟ قال : لا أفعل شيئاً حتى أشاوِرهم .

قيل لرجلٍ من عَبْس : ما أكثَرَ صوابَكم ! قال : نحنُ ألفُ رجلٍ ، وفينا حازمٌ ونحن نُطيعُه ، فكأنّا ألفُ حازم .

* * *

قال أبو الحسن (٤) : أوّلُ مَن أجْرَى فى البحر السُّفُنَ المقيَّرة المسمَّرة ، غيرَ المخرَّزة المدهونة (٥) ، وغير ذوات الجآجىء (٦) ، وكان أوّلَ من عمل المَحامِلَ (٧) : الحجَّاج . وقال بعضُ رُجّاز الأكرياء (٨) :

---

(١) يا هناه ، كناية عن قولهم يارجل . وأصلها يا هن ، زيد فيها الألف وهاء السكت .

(٢) كونوا أوعية له ، أى احفظوه فى صدوركم .

(٣) ل : « من خطيئتك » .

(٤) هذا الكلام على السفن والمحامل تجده بعينه فى الحيوان (١ : ٨٢) .

(٥) المخرزة : التى فيها نمنمة وتحبير شبيه بالخرز .

(٦) جؤجؤ السفينة والطائر : صدرهما . والجمع جآجىء .

(٧) فى اللسان : « والمحمل : واحد محامل الحجاج ... قال ابن سيده : المحمل شقان على البعير يحمل فيهما العديلان » . وضبطه كمجلس ومنبر .

(٨) الأكرياء : جمع كرى بوزن صبى ، وهو الذى يكرى دابته بالكراء ، أى بالأجر . ل : « بعض الرجاز الأكرياء » ، وأثبت ما فى الحيوان وسائر النسخ .

أوّل عبدٍ عَمِل المَحَاملا (١) أخزاهُ ربّى عاجلا وآجلا

وقال آخر :

شيَّبَ أصداغى فهُنّ بيضُ محاملٌ لِقِدِّها نَقِيضُ (٢)

* * *

قال الأصمعىّ : سمعتُ أعرابياً يقول : لو تَنَخَّل (٣) رجلٌ أخاً شقيقاً لم يأمل أن يبدوَ منه مايبدو من الثّوب ذى الحَرَقِ (٤) ، فرحم الله رجلاً أغضى على الأقذاء (٥) ، واستمتع بالظّاهر .

قال الأصمعىّ : سمعتُ أعرابياً يقول : مَن وَلَّد الخيرَ نُتِجَ (٦) له فِراخاً تطيرُ بالسرور ، ومَن وَلَّد الشرّ أنبت له نباتاً مُرًّا مذاقُه ، قُضبانُه الغَيظ ، وثمرهُ النَّدَم .

وأنشد النَّضْرُ بن شُمَيل (٧) :

يحبُّ بَقائى المشفِقُون ومُدَّتى إلى أجلٍ ، لو تعلمون ، قريبُ

وما أَرَبِى فى أَرْذَلِ العُمرِ بعدما لبِستُ شبابى قَبْلَه ومشيبى (٨)

---

(١) وكذا روايته فى اللسان (حمل) . وفى الحيوان : « أول خلق » .

(٢) القد ، بالكسر : سيور تقد من جلد فطير غير مدبوغ فتشد بها الأقتاب والمحامل . والنقيض والإنقاض : الصوت .

(٣) التنخل : الاختيار . ما عدا ل : هـ : « تنحل » بالمهملة ، تحريف .

(٤) الحرق ، بالتحريك : النقب فى الثوب من دق القصار ، كأنه احترق بالنار . ما عدا ل ، هـ : « الخرق » تحريف .

(٥) أغضى عن القذى : صرف بصره عنه . والقذى : الأذى . وأغضى على القذى : صبر عليه وسكت . ل : « عن الأقذاء »

(٦) ما عدا هـ : « أنتج » .

(٧) هو النضر بن شميل بن خرشة بن يزيد بن كلثوم ، التميمى المازنى ، النحوى اللغوى ولد بمرو ونشأ بالبصرة ، وأخذ عن الخليل ، وأقام بالبادية زمانا طويلا ، فأخذ عن فصحاء الأعراب . ويذكرون أنه لما ضاقت عليه الأسباب فى البصرة عزم على الخروج إلى خراسان ، فشيعه من أهل البصرة نحو ثلاثة آلاف من المحدثين والفقهاء واللغويين . روى له ياقوت محاورات مسهبة مع المأمون . توفى سنة ٢٠٤ . إرشاد الأريب (١٩ : ٢٣٨ - ٢٤٣) ووفيات الأعيان ، وبغية الوعاة .

(٨) أرذل العمر ، أى آخره ، فى حال الكبر والعجز ؛ والأرذل من كل شئ : الردئ منه .

٥٤ وأنشد ابنُ الأعرابى :

يا ابنَ الزُّبيرِ جَزَاكَ اللهُ لائمةً ... هَلَّا انتهيتمْ وفى الأقوال تعتيبُ (١)
تَنزُو لتدركَ من كعب غطارفةً ... لا تستوى بُسْرَةُ العُرجون والطِّيبُ (٢)
كما ترى فَرخ عُشٍّ لا حَراكَ به ... وفوقَه من نُسال الرِّيش تزغيبُ
ما فيكمُ قد عَلِمنا مِن محافَظَةٍ ... يوم الحِفَاظِ ولا خيرٌ لمنكوبِ (٣)
وأنتمُ تحت أرواق البيوت إذا ... هبَّت شآميةٌ دُرْنٌ طحاريبُ (٤)
أنتم مُناخ الخَنَى قُبحاً لخُلَّتِكم ... فكلُّكم يابنى البَلقاءِ مقشوبُ (٥)
فى ذِمّتي أن تَضِجُّوا من مصادَمَتى ... كما تضجّ من الحَرِّ الجناديبُ (٦)
ما بين أدبَسَ نثّاجٍ له ذَفَرٌ ... ومُقْصَدِ القَلب ذى سِتِّين مَعْصُوبِ (٧)

---

(١) التعتيب : الإبطاء . عتب الرجل : أبطأ . قال ابن سيدة : « وأرى الباء بدلا من ميم عتم » . ومن فسرها بالعتاب فقد أخطأ .

(٢) النزو : الوثب . والغطريف : السيد الشريف السخى . والبسر : ما لون ولم ينضج من التمر . والطيب ، بالكسر ، هو من كل شيء : أفضله . فى ل : « فسوة العرجون » ، صوابه فى سائر النسخ . وفى حواشى هـ : « قشرة العرجون » .

(٣) الحفاظ والمحافظة : الذب عن المحارم والمنع لها عند الحروب .

(٤) الأرواق : جمع روق ، وهو مقدم البيت . شآمية : ريح تأتى من قبل الشام ، وهى ريح الشمال ، وهذه معها الجدب . درن : جمع أدرن ، والدرن : الوسخ . وقد أراد درن طباعهم . والطحاريب ، وقد زاد فيه الياء : جمع طحرب ، بكسر الطاء والراء ، وهو الغثاء من يابس النبت ونحوه .

(٥) قبحا ، يقال بضم القاف وفتحها ، أى إبعاداً لكم من كل خير . والمقشوب : الملطخ بالعيب ، والممزوج الحسب باللؤم . فى ل : « منشوب » صوابه فى سائر النسخ .

(٦) المصادمة : المقارعة . فى ل : « مصارمتى » وأثبت ما فى سائر النسخ .

(٧) الأدبس : ما لونه بين السواد والحمرة . ل : « أدنس » ولم أجد هذا الوصف . والنثاج : الذى يسلح كثيرا ، ومثله المِنْثج . ل : « نثاث » وفيما عداها : « نتاج » ، صواب هذه ما أثبت . عنى به صبيانهم . يقول : أنتم أنتم بين صبى هذه صفته وبين شيخ مقصد القلب ، أى ضعيف القلب كأنه رمى بسهم فلم يخطئه . والمعصوب : الذى عُصب حاجباه من الكبر ، وهما يسترخيان عند الشيخوخة . هـ : « ذى سبين » .والسب ، بالكسر : العمامة . وفى حواشى هـ عن نسخة : « سبتين » ، ل : « ذى شنين مغضوب » ، وهذه محرفة . وفى البيت إقواء .

خالِي سَماعةُ فاعلم ، لا خفاءَ به … لقد هَوَى بلك ياوَتِّينُ شُنْخوبُ (١)
صَعبٌ مناكبُه تَهْوى الكُماةُ به … خوفاً وتصطادهُمْ منه كلاليبُ (٢)

وأنشد ابن المُعذَّل (٣) :

تواعَدَ للبَين الخليطُ لينْبَتُّوا … وقالوا لراعِي الظَّهر : موعدُك السبتُ (٤)
ففاجأنى بَغْتاً ولم أخْشَ بَيْنَهم … وأَفْظَعُ شيءٍ حين يفجؤكَ البغْتُ
مضَى لسُلَيمى منذُ ما لم أُلاقِها … سِنُونَ توالَتْ بيننا خَمسٌ آوْ سِتُّ
وفى النّفسِ حاجاتٌ إليكم كثيرةٌ … برُبَّانها فى الحيِّ لو أُخِّرَ الوقتُ (٥)
تأيَّمتُ حتَّى لامنى كلُّ صاحبٍ … رجاءً لسَلْمَى أن تَئِيم كما إمْتُ (٦)
لئِن بعت حظِّى منكِ يوماً بغيره … لبِئسَ إذاً يومَ التغابُنِ ما بعتُ (٧)
تمنّى رجالٌ أن أموتَ وعهدُهم … بأن يتمنَّوا لو حَييتُ إذا متُّ
وقد علموا عند الحقائق أنَّنِى … أخو ثقةٍ ما إنْ ونيتُ ولا أُنِتُّ (٨) ٥٥

---

(١) وتين ، كذا ورد فى هـ . وفى حواشيها : « وتين : اسم رجل » وفى التيمورية « دقين » وفى حواشيها : « دقين : اسم رجل » ل : « وتيق » . ب ، حـ : « دفين » بالفاء . والشنخوب : رأس الجبل .

(٢) ما عدا ل : « تعيى الكماة » من الإعياء .

(٣) هو أحمد بن المعذل ، كما سيأتى . وهو أخو عبد الصمد بن المعذل ، كلاهما كان شاعراً . وكان أحمد عفيفا ذا مروءة ودين وتقدم فى المعتزلة ، وجاه واسع فى بلده وعند سلطانه ، لا يقاربه عبد الصمد فيه ، فكان يحسده ويهجوه ، فيحلم عنه . وعبد الصمد أشعرهما . الأغانى (١٢ : ٥٤) .

(٤) الخليط : القوم الذين أمرهم واحد . انبتوا : تفرقوا وانقطع بعضهم من بعض . الظهر ، بالفتح : الإبل التى يحمل عليها ويركب .

(٥) بربانها ، أى بجميعها ، أو بحدثانها وطراءتها وجدتها .

(٦) تأيم : مكث زماناً لا يتزوج ، وقد استشهد بالبيت فى اللسان (أيم) .

(٧) هذا البيت وتاليه ساقطان من ل . التغابن : أن يغبن القوم بعضهم بعضا .

(٨) الحقائق : جمع حقيقة ، وهى ما يحق على المرء أن يحميه . وإنت ، بكسر الهمزة من آن يئين أينا ، إذا أعيا ؛ وبضم الهمزة من آن يؤون ، إذا اتدع ولم يعجل .

وأَنَّى قد سَيَّرت نَبْلِى وأَنَّنى كأَنِّى وقد وقَّعتُ أنصالها رِشتُ (١)

وقال أحمد بن المعذَّل : أنشدنى أعرابىٌّ من طيِّئ :

ولستُ بميّالٍ إلى جانب الغنى إذا كانت العَلْياءُ فى جانب الفَقْر (٢)
وإنى لَصبّارٌ على ما ينوبُنى وحسبُكَ أنَّ اللهَ أثنَى على الصَّبرِ

خطبة للحجاج

حدثنا محمَّد بن يحيى بن على بن عبد الحميد (٣) ، عن عبد الله بن أبى عبيدة بن محمد بن عمّار بن ياسر ، قال (٤) :

خرج الحجّاج يريد العراق والياً عليها ، فى اثنَىْ عشر راكباً على النّجائب ، حتّى دخل الكوفة فَجاْءَةً (٥) حين انتشرَ النّهار ؛ وقد كان بشرُ بنُ مروان بَعث المهلَّبَ إلى الحَرورِيّة (٦) ؛ فبدأ الحجَّاج بالمسجد فدخَلَه ، ثم صعِدَ المنبَر وهو

---

(١) النبل : السهام العربية لا واحد لها من لفظها ، وواحدها سهم . وقال بعضهم : واحدتها نبلة . وسير السهام : جعل فيها خطوطا . ل : « يسرت قبلى » هـ « يسرت نبلى » صوابهما فى سائر النسخ . والأنصال : جمع نصل . والتوقيع : التحديد . وراش السهم : جعل له الريش . ل « كأنى إذا » .

(٢) فى الأغانى (١٢ : ٥٥) أن البيتين للمعذل بن غيلان ، والد أحمد وعبد الصمد . والبيتان فى عيون الأخبار (١ : ٢٤٧) .

(٣) هو محمد بن يحيى بن على بن عبد الحميد بن عبيد الكنانى المدنى ، روى عن مالك بن أنس ، وابن عيينة . قال عمر بن شبة : كان كاتبا ، وأبوه كاتبا ، وجداه كاتبين ، وكان أحد الثقات المشاهير ، يحمل الحديث والأدب والتفسير . تهذيب التهذيب . ما عدا ل : « عن عبد الحميد » ، تحريف .

(٤) الخطبة فى الكامل ٢١٥ ليبسك والعقد (٤ : ١١٩) والطبرى (٧ : ٢١٠) وصبح الأعشى (١ : ٢١٨) وعيون الأخبار (٢ : ٢٤٣) وابن الأثير (٤ : ١٥٦) .

(٥) هـ : « فجاءة » .

(٦) الحرورية بفتح الحاء والراء ، ويقال بفتح الحاء وضم الراء : نسبة إلى حروراء ، بالمد والقصر ، وهى قرية بظاهر الكوفة ، وقيل موضع على ميلين منها . والحرورية هم أصل الخوارج . كانوا مع على عليه السلام ثم خالفوه بعد تحكيم الحكمين بينه وبين معاوية وأهل الشام وقالوا : لا حكم إلا لله ، وكفروه وتبرءوا منه وأمّروا عليهم ذا الثدية – وهو حرقوص بن زهير – فخرج على فحاربهم بالنهروان ، فقاتلهم وقتل ذا الثدية ، فسموا الحرورية لوقعة حروراء . معجم الفرق الإسلامية .

متلثّم [١] بعمامةِ خَزٍّ حمراء ، فقال : علىّ بالناس ! فحسِبوه وأصحابَه خوارجَ ، فهمُّوا به ، حتّى إذا اجتمع النّاسُ فى المسجد قام فكشَفَ عن وجهه ، ثم قال :

أنا ابنُ جَلَا وطَلّاعُ الثّنايا مَتَى أضَعِ العمامةَ تعرفونى [٢]

أَمَا واللهِ إنى لأحتملُ الشّرّ بحِمْله ، وأحذُوه بنَعله ، وأجزيه بمثله ، وإنى لَأرَى رءوساً قد أينعَتْ وحان قِطافُها ، وإنّى لَصَاحِبُها ، وإنّى لأنظُرُ إلى الدِّماء تَرَقْرَقُ بين العمائم واللِّحَى .

* قد شمّرت عن ساقها فشمِّرا [٣] *

ثم قال :

هذا أوانُ الشَّدِّ فاشتدِّى زِيَمْ [٤] قد لَفَّها الليلُ بسَوَّاقٍ حُطَمْ [٥]

ليسَ براعِى إبِلٍ ولا غَنَمْ ولا بجزّارٍ على ظَهرِ وَضَمْ [٦]

وقال أيضا :

قد لفّها اللّيْلُ بعَصْلَبِىّ [٧] أرْوَعَ خرّاجٍ من الدَّوِّىّ [٨]

---

(١) ل : « ملثم » .

(٢) من قصيدة لسحيم بن وثيل الرياحى ، رواها الأصمعى فى الأُصمعيات ٧٣ ليبسك .

(٣) فى العقد : « فشمرى » .

(٤) الرجز لرويشد (أو رشيد) بن رميض العنبرى ، كما فى حواشى الكامل ، واللسان (حطم) والأغانى (١٤ : ٤٤) يقوله فى الحطم القيسى ، واسمه شريح بن ضبيعة ، وكان شريح قد غزا اليمن ، فغنم وسبى ، ثم أخذ على طريق مفازة ، فضلَّ بهم دليلهم ثم هرب منهم ، وهلك منهم ناس كثير بالعطش ، وجعل الحطم يسوق بأصحابه سوقا عنيفا حتى نجوا ووردوا الماء . فقال فيه رشيد الرجز مادحا ، فلقب « الحطم » بما فى الرجز . وقد أدرك الحطم الإسلام فأسلم ثم ارتد بعد وفاة الرسول . الأغانى . وزيم : اسم ناقته أو فرسه .

(٥) الضمير فى « لفها » للإبل . أى جمعها الليل بسائق شديد . عنى نفسه والراعية .

(٦) الوضم : كل ما قطع عليه اللحم .

(٧) الرجز فى اللسان والمقاييس (عصلب) . والعصلبى : الشديد الباقى على المشى والعمل .

(٨) الأروع : الكريم ذو الجسم والجهارة والفضل والسودد ، وقيل هو الجميل الذى يروعك حسنه . والدوى : المفازة . وهى الدو أيضا ، وزيد الياء فيها كما قيل فى أحمر : أحمرى .

* مهاجِرٍ ليسَ بأعرابىٍّ *

٥٦ إنّى واللهِ يا أهلَ العراق ، والشِّقاق والنِّفاق ، ومساوى الأخلاق ، ما أُغْمَزُ تَغمازَ التِّين ، ولا يُقعقَع لى بالشِّنان (١) ، ولقد فُرِرت عن ذَكاءٍ (٢) ، ولقد فُتِّشت عن تَجْرِبة ، وجَرَيْت مِن الغاية (٣) . إنَّ أميرَ المؤمنين كبَّ كِنانَته ثم عَجَم عيدانَها (٤) ، فوجدنى أمَرَّها عوداً ، وأصلبَها عموداً ، فوجَّهنِى إليكم ؛ فإنَّكم طالما أوضعتُم فى الفِتن (٥) ، واضطجعتم فى مراقد الضَّلال ، وسننتم سُنَنَ الغَىِّ . أمَا واللهِ لألحوَنَّكم لَحوَ العصا ، ولأَعصِبنَّكم عَصْبَ السَّلَمَة (٦) ، ولأضرِبنّكم ضَرْبَ غرائب الإبل (٧) ؛ فإنكم لكأهل قرية كانت آمنة مطمئنّة يأتيها رزقها رغداً من كُلِّ مكانٍ فكَفرت بأنعُم الله فأذاقها الله لباسَ الجوع والخوف بما كانوا يصنعون . إنِّى والله لا أعِدُ إلّا وفَيت ، ولا أهُمُّ إلّا أمضيت ، ولا أخلُقُ إلا فريت (٨) . فإيّاىَ وهذه الجماعاتِ ، وقالَ وقيلَ ، وما تقولون (٩)؟ وفيم أنتم وذاك ؟

---

(١) الشنان : جمع شن ، بالفتح وهو القربة البالية ، وكانوا يحركونها إذا استحثوا الإبل للسير ؛ لتفزع فتسرع .

(٢) فر الدابة : كشف عن أسنانه ليعرف بذلك عمره . والذكاء : نهاية الشباب وتمام السن . وهو فى ذوات الحافر أن يجاوز القروح بسنة ، وإنما يقرح حينما يستتم الخامسة ويدخل فى السادسة .

(٣) كأنه عنى أنه جاوز الغاية ؛ والغاية : قصبة تنصب فى الموضع الذى تكون المسابقة إليه ليأخذها السابق . وفى العقد : « وأجريت إلى الغاية القصوى » .

(٤) فى بعض المراجع : « نثر كنانته » . وعجم العود : عضه ليعرف صلابته .

(٥) الإيضاع : السير بين القوم . وفى الكتاب : « ولأوضعوا خلالكم » .

(٦) السلمة : واحدة السلم ، وهو شجر ذو شوك يدبغ بورقه وقشره . والسلم يعسر خرط ورقه لكثرة شوكه ، فتعصب أغصانه ويشد بعضها ببعض بحبل ، ثم يهصرها الخابط إليه ويخبطها بعصاه ، فيتناثر ورقها للماشية .

(٧) ذاك إن الإبل إذا وردت الماء فدخل عليها غريبة من غيرها ضربت وطردت حتى تخرج عنها .

(٨) خلق الأديم : قدره لما يريد قبل القطع وقاسه ليقطع منه . والفرى : القطع .

(٩) ل : « وقالا وقيلا » . وأثبت ما فى سائر النسخ . وفيما عدا ل بعده : « وما تقول » .

أمَا والله لتستقيمُنَّ على طريق الحقِّ أو لَأَدَعَنَّ لكلِّ رجلٍ منكم شُغْلا فى جَسَده . مَن وجدتُ بعد ثالثةٍ (١) مِن بَعث المهلَّب سفكتُ دمه ، وانتهبْتُ مالَه .

ثم دخل منزله .

* * *

أبو الحسن قال : كتب الحجَّاجُ بن يوسف إلى قَطَرِىّ بن الفُجاءَةِ : « سلامٌ عليك . أمّا بعدُ فإنّك مَرَقت من الدِّين مُروقَ السّهم من الرَّمِيّة ، وقد علمتَ حيث تجرثمْتَ (٢) ، وذاكَ أنكَ عاصٍ لله ولِوُلاةِ أمرِه ، غير أنَّكَ أعرابىٌّ جِلْفٌ أُمِّىّ ، تستطعم الكِسرةَ وتستشفِى بالتَّمرةِ (٣) ، والأمور عليك حَسْرَة ؛ خرجتَ لتَنَالَ شُبْعَةً (٤) فلحِقَ بك طَغَامٌ صَلُوا بمِثْلِ ما صَلِيتَ به من العيش ، فهم يهزُّون الرِّمَاح ، ويستنشئون الرِّياح (٥) ، على خوفٍ وجَهْدٍ من أمورهم . وما أصبحوا ينتظرون أعظمُ مما جَهِلوا معرفَته ، ثمَّ أهلكَهم اللهُ بتَرْحَتَين . والسّلام » .

فأجابه قَطرى

« من قطرىٌّ بن الفُجاءةِ إلى الحجَّاج بن يوسف . سلام على الهُدَاة من الوُلاة ، الذين يَرعَون حرِيمَ الله ويَرهبون نِقَمه . فالحمدُ لله على ما أظهَرَ من دِينه ، وأظْلَعَ به أهل السِّفَال (٦)، وهدَى به من الضَّلال (٧)، ونصَرَ به (٨) ، عند استخفافك

---

(١) ما عدا ل ، هـ : « بعد ثلاثة » .

(٢) تجرثم : سقط من علو إلى أسفل .

(٣) استطعمه : سأله أن يطعمه . استشفى : طلب الشفاء ، أو ناله .

(٤) الشبعة ، بالضمّ : مقدار ما يشبع به مرة من الطعام . ما عدا ل ، هـ : « لتناول شبعة » .

(٥) الاستنشاء : أن يشم الريح ، عنى أنهم يتنسمون ريح الطعام .

(٦) أظلع ، من الظلع ، وهو الغمز فى المشى . ولم أجد هذا الفعل فى معجم . والسفال بالكسر : سفول الخلق .

(٧) ما عدا ل : « من الضلالة » .

(٨) هـ : « وبصَّر به » .

٥٧ بحقِّه . كتبتَ إلىّ تذكرُ أنّى أعرابىٌّ جِلفٌ أُمِّىّ ، أستطعم الكِسْرة وأستشفى بالتّمرة . ولعمرى يا ابنَ أمِّ الحجَّاج (١) إنّك لَمُتَيَّهٌ فى جِبِلّتك (٢) ، مُطلخِمٌّ فى طريقتك (٣) ، واهٍ فى وثيقتك (٤) ، لا تعرف اللهَ ولا تَجْزَع من خطيئتك ، يئستَ واستيأستَ من ربِّك ، فالشَّيطانُ قرينُك ، لا تجاذبه وَثاقَك ، ولا تنازِعُه خِناقَك (٥) . فالحمدُ لله الذى لو شاء أبرز لى صفحتَك ، وأوضَحَ لى صَلَعتك (٦) . فوَ الذى نَفْسُ قطرىٍّ بيده ، لعَرَفْتَ أنَّ مقارعةَ الأبطال ، ليس كتصدير المقال (٧) . مع أنّى أرجو أن يدحَضَ اللهُ حُجّتَك، وأن يمنحنى مهُجَتَك (٨) » .

* * *

خالد بن يزيدَ الطائىُّ ، قال : كتب معاويةُ إلى عدىٍّ بن حاتم : « حاجَيتُك ما لا يُنْسَى » يعنى قتْلَ عثمان . فذهِب عَدِىُّ بالكتاب إلى علىّ فقال : « إنّ المرأة لا تنسى قاتل بِكْرِها ، ولا أبا عُذْرِها ».فكتب إليه عدىٌّ : « إن ذلك منِّى كليلَةِ شَيباءَ (٩) » .

وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله : « يا غلام ، ارفع ذلك النَّثيل (١٠) » ، يعنى روثاً . وقيل له : أين خرج هذا الجِبْن ؟ قال : تحت مَنْكِبى (١١) .

---

(١) نسبه إلى أمه طاعناً فى نسبه .

(٢) المتيه : المضلل . والجبلة : الطبيعة والسجية .

(٣) المطلخم : المظلم ، والمتكبر أيضاً .

(٤) الوثيقة:الثقة ؛ يقال أخذ بالوثيقة فى أمره .

(٥) الخناق ، بالكسر ، الحبل الذى يخنق به .

(٦) الصلعة ، بالتحريك والضم : موضع الصلع فى الرأس .

(٧) تصدير المقال : تقديمه .

(٨) المهجة : الروح ودم القلب .

(٩) كانت العرب تقول للبكر إذا زفت إلى زوجها فدخل بها ولم يفترعها ليلة زفافها : باتت بليلة حرة . وإن افترعها تلك الليلة قالوا : باتت بليلة شيباء .

(١٠) فى اللسان (نثل) : « ومنه حديث عمر بن عبد العزيز ، أنه دخل داراً فيها روث فقال : ألا كنستم هذا النثيل ؟! وكان لا يسمى قبيحا بقبيح » .

(١١) أى ولم يقل : « فى إبطى » .

وقيل لقتيبة (١) : أين خرج بك هذا الخُرَاج (٢) ؟ قال : بين الرانِفة والصَّفَن (٣) .

قال : وقيل لرقبة (٤) : ما بال القُرَّاء أشدَّ النَّاس نَهْمةً وغُلْمةً ؟ قال : أمّا الغلمة فإنّهم لا يَزْنون ، وأمّا النَّهْمة فلأنَّهم يصومون .

وعرض عليه رجلٌ الغَدَاء ، فقال : ياهذا ، إنْ أقسمتَ علىّ ، وإلاّ فدَعْنى .

وقال مُوَرِّقٌ العِجلىّ (٥) : ما تكلّمتُ بكلمةٍ فى الغضب أنْدَمُ عليها فى الرِّضاَ . وقد سألتُ الله حاجةً منذ أربعين سنةً فما أجابنى ولا يئست منها : ألاّ أتكلّم فيما لا يعنينى (٦) .

قال : مكتوب فى حكمة داود : على العاقل أن يكون عالماً بأهل زمانه ، مالكا للسانِه ، مُقبلاً على شانه .

قال : ولمَّا قدِم الفرزدقُ الشَّامَ قال له جريرٌ – وكان هُنالك (٧) – ما ظننت أنّك تَقْدَمُ بلداً أنا فيه ! فقال الفرزدق : إنِّى طالما خالفتُ رأى العَجَزة .

وقال يونُس بنُ حبيب : إذا قالوا : غُلِّب الشاعر ، فهو الغالب ، وإذا قالوا ٥٨
مغلَّب ، فهو المغلوب . وقال امرؤ القيس :

وإنّك لم يفخَرْ عليك كفاخرٍ ضعيفٍ ولم يَغلِبْكَ مثلُ مُغَلَّبِ (٨)

---

(١) هو قتيبة بن مسلم ، المترجم فى ٤٢ .

(٢) الخراج ، كغراب : ما يخرج فى البدن من القروح . والحبن ، بالكسر : الدمل .

(٣) الرانفة : أسفل الألية . والصفن ، بالتحريك : وعاء الخصية . ما عدا ل : « والصفنة » وهى صحيحة أيضاً ، بالتحريك ، وبالفتح .

(٤) هو رقبة بن مصقلة بن عبد الله العبدى ، ويقال فى أبيه أيضاً « مسقلة » بالسين ، كما وقع فى صحيح مسلم . كان ثقة مأموناً يعد فى رجالات العرب ، وكانت فيه دُعابة . وأرخ بن الأثير وفاته سنة ١٢٩ . تهذيب التهذيب .

(٥) ترجم فى (١ : ٣٥٣) .

(٦) ما عدا ل : « ألا أتكلم إلا فيما يعنينى » وهما سيان .

(٧) ما عدا ل : « هناك » .

(٨) ديوان امرئ القيس ٧٧ واللسان (غلب) . وانظر ما سبق فى (١ : ٣٧٤) ، وما سيأتى فى (٣ : ١١) . والبيت وعبارة الإنشاد قبله لم يردا فى هـ .

وقال بعضهم :

إنِّى امرؤ ينفع قومى مَشهدِى　　　أذبُّ عنهم بلسانى ويَدى

وقال قتيبةُ بن مُسْلم (١) : إذا غزوتم فأطِيلوا الأظفار ، وقصِّروا الشُّعور .

قال : ونظر مخنَّثٌ إلى شيخٍ قبيحِ الوجه فى الطّريق فقال له : ألم يَنْهَكُمْ سليمان بن داودَ عن الخروج بالنّهار ؟

قال : وعزَّى أعرابىٌّ ناساً فقال : يرحم الله فلاناً ، فلقد كان كثير الإهالة دَسِمَ الأشداق .

وقال الشاعر :

ترى وَدَكَ السَّديف على لحاهُمْ　　　كلون الرَّاءِ لبَّدَهُ الصقيعُ (٢)

وقال أعرابىّ : « رحم اللهُ فُلاناً ، إنْ كان لضَخَمَ الكاهل » . ثم جلس وسكت . وقال آخر : « كان والله نقىَّ الأظفار ، قليل الأسرار (٣) » .

وقال صديقٌ لنا : رأيتُ سكراناً وقد ركب رَدْعَه (٤) ، ثم إنّه استقلّ فقال : أنا السّديف المسرْهَدُ (٥) .

وسَارَّ رجلٌ أعرابيًّا بحديثٍ فقال له : أفهمت ؟ قال : بل نَسيِت !

قال واثلةُ بن خليفةَ السَّدوسىّ ، يهجو عبد الملك بن المهلَّب :

لقد صَبَرتْ للذُّلِّ أعوادُ مِنبرٍ　　　تقوم عليها فى يديك قضيبُ

---

(١) ترجم فى ٤٢ . ل : « قتيبة بن سلم » ، تحريف .

(٢) السديف : لحم السنام . والراء : شجر سهلى له ثمر أبيض . وقال أبو الهيثم : الراء : زبد البحر . اللسان (روأ) .

(٣) ل والتيمورية : « الأشرار » ، صوابه فى هـ ، ب ، حـ .

(٤) ل : « درعه » تحريف ، صوابه فى هـ . ويقال : ركب ردعه ، أى خر صريعاً لوجهه ، فكلما هم بالنهوض ركب مقاديمه . وأصل الردع العُنُق .

(٥) استقل ، أى نهض . المسرهد : المقطع قطعاً . وهذا الخبر فى ل ، هـ فقط .

بَكى المِنبرُ الغربىُّ إذ قُمتَ فوقَه ... وكادت مساميرُ الحديدِ تذوبُ
رأيتُك لمَّا شِبْتَ أدركك الذى ... يُصيب سَراةَ الأزدِ حين تشيبُ
سفاهةُ أحلامٍ وبُخلٌ بنائلٍ ... وفيك لمن عاب المَزُونَ عيوبُ (١) ٥٩
وقد أوحَشَت منكم رساتيقُ فارسٍ ... وبالمصرِ دُورٌ جَمَّةٌ ودُروبُ (٢)
إذا عُصْبَةٌ ضَجَّتْ من الْخَرْجِ ناسبت ... مَزُونيَّةً ، إن النَّسيب نَسيبُ (٣)

وقال بشَّارٌ الأعمى ، فى عمرَ بنِ حفص (٤) :

ما بالُ عينِك دمعُها مسكوبُ ... حُرِبَتْ فأنتَ بنومها محروبُ
وكذاكَ من صَحِبَ الحوادثَ لم تَزَلْ ... تأتى عليه سَلامَةٌ ونُكوبُ
يا أرضُ ويحكِ أكرِميهِ فإنّه ... لم يبق للعَتَكىِّ فيك ضريبُ
أبهى على خُشُبِ المنابر قائماً ... يوماً وأحزَمُ إذ تُشَبُّ حُرُوب (٥)
إنّ الرَّزِيّـــةَ لَا رَزِيّـــةَ مثلهـــا ... يومَ ابنُ حفص فى الدِّماء خضيبُ (٦)
لا يستجيبُ ولا يُحِير لسانُه ... ولقد يُحِير لسانُه ويُجيبُ
غُلِب العزاءُ على ابن حفصٍ والأسى ... إنّ العزاء بمثله مغلوبُ
إذْ قيل أصبحَ فى المقابر ثاوياً ... عُمَرٌ وشُقّ لواؤه المنصوبُ
فظَلِلْتُ أندُبُ سيفَ آلِ مُحَمَّدٍ ... عُمَراً ، وعَزَّ هنالك المندوبُ

---

(١) الكلام بعد هذه إلى « القاص » من ص ٣١٧ س ١٢ ، ساقط من التيمورية . والمزون ، بفتح الميم وضمها : اسم من أسماء عمان واهلها من الأزد ، وهم رهط المهلب ابن أبى صفرة . وذلك أن جدهم الأعلى مازن ابن الأزد . اللسان (مزن) ومعجم البلدان (المزون) والحيوان (٦ : ١٥٧) . وانظر ما سبق فى (١ : ٢٩٢) .

(٢) الرساتيق : جمع رستاق . ورساتيق فارس : سوادها ، أى قراها . ورستاق : معرب « روستا » الفارسية ، وهى بمعنى القرية . استينجاس ٥٩٤ .

(٣) الخرج : الخراج ، وهو ما تؤديه الرعية إلى الولاة . ب ، حـ : « من الجرح » .

(٤) هو عمر هزارمرد ، سبقت ترجمته فى الأبيات التالية فى (١ : ٢٩٤) .

(٥) ل : « إن تشب حروب » . وإلى هنا ينتهى الإنشاد فيما سبق .

(٦) ل : « فى الديار » .

فعليك يا عُمَرُ السّلامُ فإنّنا ... باكوكَ ما هَبّتْ صَباً وجَنُوبُ

قال إسماعِيل بن غَزْوان : الأصوات الحسنةُ والعقولُ الحِسَان كثيرة ، والبيان الجيّد والجمال البارع قليل .

وذكر أبو الحارث ، صاحبَ مسجد ابن رُغْبانَ (١) ، فقال : إنْ حدَّثْتَه سبقَك إلى ذلك الحديث ، وإنْ سكتَّ عنه أخذ فى التُّرَّهات .

٦٠ وقال ابن وهب (٢) : أنا أستثقل الكلامَ كما يستثقل حُرَيْثٌ السكوت . كما قال ابن شُبْرُمة (٣) لإياسِ بن معاوية : شكلى وشكلُك لا يتّفقان ، أنت لا تشتهى أن تسكت ، وأنا لا أشتهى أن أسمع .

وقال أبو عَقيل بن دُرُسْتَ (٤) . إذا لم يكن المستمعُ أحرصَ على الاستماع من القائل على القول ، لم يبلُغ القائلُ فى منطقه ، وكان النُّقصان الداخلُ على قوله بقدْر الخَلّة بالاستماع منه .

وقال ابن بَشّار البَرْقىّ : كان عندنا واحدٌ يتكلّم فى البلاغة ، فسمعته يقول : لو كنت ليس أنا ، وأنا ابنُ من أنا منه ، لكنت أنا أنا وأنا ابن من أنا منه . فكيف وأنا أنا وابن من أنا منه .

وقالوا : ثلاث يُسرع إليهنَّ الخَلَفُ : الحريق ، والتّزويج ، والحجّ .

وقال المهلَّب : « ليس أنْمَى من بقيَّة السَّيف (٥) » . فوجد الناسُ تَصديق

---

(١) مسجد ابن رغبان ، كان فى غربى بغداد ، كما ذكر ياقوت . واسمه محمد بن رغبان كما فى الحيوان (٢ : ١٤٦) . وفى المعارف لابن قتيبة ٢٦٦ : « ابن رغبان الذى ينسب إليه المسجد ببغداد ، وهو مولى حبيب بن مسلمة ، وكان حبيب عظيم القدر ، يلى الولايات زمن عثمان ومعاوية » : هـ : « وذكر أبا الحارث صاحب مسجد ابن رغبان » .

(٢) ما عدا ل : « أبو وهب » .

(٣) هو عبد الله بن شبرمة المترجم فى (١ : ٩٨) ، حيث سبق الخبر .

(٤) ما عدا ل ، هـ : « أبو مقبل » تحريف . وقد مضى على الصواب فى مواضع متعددة . وانظر الحيوان (٥ : ١٧٨ / ٧ : ١٥٢ ، ٢٠٣) .

(٥) ل ، هـ : « من سيف » صوابه من ب ، جـ .

قوله فيما نال ولدَه من السيف وصار فيهم من النَّماء [١].

وقال علىٌّ بن أبى طالب رحمه الله : « بقيَّة السّيف أنمى عَدَداً ، وأكرم ولداً » . ووجد الناسُ ذلك بالعِيان ، للذى صار إليه ولدُه من نَهْك السّيف ، وكَثْرة الذّرْء ، وكرم النَّجْل .

قال الله عزّ وجلّ : ﴿ ولَكُمْ فى القِصَاصِ حَيَاةٌ ياأُولِى الأَلْبَاب ﴾ . وقال بعضُ الحكماء : « قَتْل البعض إحياءٌ للجميع » .

وقال همّامٌ الرَّقاشىّ [٢] :

أبلغْ أبا مِسْمَعٍ عنى مُغَلغَلةً ... وفى العِتاب حياة بينَ أقوامِ [٣]
قَدَّمتَ قبلى رِجالاً لم يكن لهُم ... فى الحقِّ أن يَلِجُوا الأبوابَ قدّامِى
لو عُدّ قَبرٌ وقبرٌ كنتُ أكرَمَهم ... قبراً وأبعدَهم من منزل الذّامِ [٤]
فقد جعلتُ إذا ماحاجةٌ عرضَتْ ... بباب قصرِك أدلُوها بأقوام [٥]

* * *

وقال الحجّاج لامرأةٍ من الخوارج : « والله لأعُدَّنَّكم عَدًّا ، ولأحْصِدَنَّكم حَصداً » . قالت : أنت تحصِدُ ، والله يزرع ، فانظرْ أينَ قدرةُ المخلوق من قُدرة الخالق .

ولم يظهر من عدد القتلَى مثلُ الذى ظهر فى آل أبى طالب ، وآل الزبير ، ٦١ وآل المهلَّب . وقال الشاعر فى آل الزُّبَير :

---

(١) فى المعارف ١٧٥ : « ويقال إنه وقع إلى الأرض من صلب المهلب ثلاثمائة ولد » .

(٢) فى الحماسة ١١٢٠ بشرح المرزوقى : « عصام بن عبيد الله » ، وعند التبريزى : « عصام بن عبيد الزمانى » .

(٣) المغلغلة : الرسالة تحمل من بلد إلى بلد . وأنشد البيت فى اللسان (غلل) بدون نسبة . وسيعاد الشعر فى (٣ : ٣٠٢ / ٤ : ٨٥) .

(٤) الذام : العيب . عنى أنه كريم الآباء والأسلاف ، وأنه كان جديراً لذلك بالتقدمة .

(٥) يقال : دلوت بفلان إليك ، أى استشفعت به إليك .

آلُ الزبير بنو حُرَّةٍ مَرَوْا بالسُّيوف صُدُوراً حِناَقا (١)
يموتون والقتل من دأبهم ويَغْشَونَ يوم السِّباقِ السِّباقا (٢)
إذا فَرَّج القتل عن عِيصهمْ أَبَى ذلك العِيصُ إلاّ اتّفاقا (٣)

* * *

قال : احترقت دارُ ثُمامة (٤) ، فقالوا له : ما أسرَعَ خَلَفَ الحريق ؟ قال : فأنا أستحرقُ الله .

وقال ثمامة : سمعت قاصاً بعَبَّادانَ (٥) يقول فى دعائه : اللهم ارزقْنا الشهادةَ وجميعَ المسلمين (٦) .

قال : وتساقط الذِّبّانُ على وجهه فقال : الله أكبر ، كثّر الله بكم القبور (٧) .

قال : وسمع أعرابىٌّ رجلاً يقرأ سورة براءة فقال : ينبغى أن يكون هذا آخِرَ القرآن . قيل له : ولِمَ ! قال : رأيت عهوداً تُنْبَذ .

وقال عبد العزيز الغَزّال القاصّ (٨) ، فى قَصَصه : ليت الله لم يكن خلقنى وأنا

---

(١) المرى : الاستخراج . عنى أنهم بقتلهم قد شفوا صدور أعدائهم . وأنشد فى اللسان :

* مرَوا بالسيف المرهفات دماءهم *

والحناق : جمع حنيق ، وهو ذو الحنق ، بالتحريك ، أى الغيظ .

(٢) ما عدا ل ، هـ : « يغيثون يوم السباق » تحريف .

(٣) العيص ، بالكسر : الآباء والأعمام والأخوال . وأصله منبت خيار الشجر .

(٤) ثمامة بن أشرس . وقد ترجم فى (١ : ١٠٥) .

(٥) عبادان : موضع تحت البصرة قرب البحر ، وهى منسوبة إلى عباد بن الحصين الحبطى . قال ياقوت : « وأما إلحاق الألف والنون فهو لغة مستعملة فى البصرة ونواحيها : أنهم إذا سموا موضعاً أو نسبوه إلى رجل أو صفة يزيدون فى آخره ألفاً ونونا ، كقولهم فى قرية عندهم منسوبة إلى زياد بن أبيه : زيادان . وأخرى إلى عبد الله : عبد الليان . وأخرى إلى بلال بن أبى بردة : بلالان » . قلتُ : هذا مأخوذ من الفارسية ، فإنهم يزيدون « آنه » فى آخر الاسم المنسوب ، كقولهم فى مرد : مردانه ، وفى سر : سرانه .

(٦) الخبر فى الحيوان (٣ : ٣٢٤) .

(٧) فى الحيوان : « بكن القبور » .

(٨) إلى هنا ينتهى سقط التيمورية الذى بدأ فى صفحة ٣١٤ . وفى النسخ « أبو عبد العزيز الغزال القاص » صوابه فى الحيوان (٣ : ٣٤ / ٥ : ١٦٨) حيث ورد الخبر .

الساعةَ أعورُ . فحكَّيتُ ذلك لأبى عتَّاب الجرَّار (١) . فقال أبو عتَّاب : بئس ما قال ، وددتُ واللهِ الذى لا إله إلا هو أنَّ الله لم يكن خلَقَنى وأنِّى الساعةَ أعمى مقطوعُ اليدين والرِّجلين .

قال : ولمَّا استعدى الزِّبرقانُ على الحطيئة فأمر عمرُ بقَطْعِ لسانِه ، قال الزِّبرقان : نَشَدتُك اللهَ يا أمير المؤمنين أنْ تقطعَه (٢) ، فإنْ كنتَ لابدّ فاعلاً فلا تقطعْه فى بيت الزِّبرِقان . فقيل له : إنه لم يذهب هنالك ، إنما أراد أن يقطع لسانَه عنك برغْبةٍ أو رهبة .

وتقول العرب : « قتلَت أرضٌ جاهلَها ، وقَتلَ أرضاً عالمُها » . وتقول : ذَبَحنِى العطش » ، و « المسْك الذّبيح » ، و « ركب بنو فلانٍ الفلاةَ فقطع العطشُ أعناقَهم » .

وتقول : فلانٌ لسان القوم ونابهُم الذى يفتَرُّونَ عنه . وهؤلاء أنْفُ القَوم وخراطيمهم . وبَيْسَانُ (٣) لسان الأرضِ يومَ القيامة . وفلانٌ أصطُمَّةُ الوادى (٤) ٦٢
وعينُ البلد .

وقال الأصمعىّ : قال رجلٌ لأبى عمرو بن العلاء : أكرمك الله ! قال : مُحْدَثَةٌ . قال : وكان ابنُ عونٍ (٥) يقول : كيف أنت أصلحك الله ؟

وكان الأصمعىُّ يقول : قولهم جُعِلتُ فداكَ ، وجعلنى الله فداك ، مُحدَثٌ .

وقد روى علماءُ البَصريِّين أنّ الحسن لمّا سمع صراخاً فى جِنازة أمِّ عبد الأعلى

---

(١) ما عدا ل : « الجزار » ، تحريف .

(٢) نشدتك الله ، استخلفتك به . وقد حذف النافى بعد « أن » كما فى قول الله : « يبين الله لكم أن تضلوا » .

(٣) بيسان ، بالفتح : مدينة بالأردن ، بين حوران وفلسطين ، وإليها ينسب القاضى الفاضل أبو على عبد الرحيم بن على البيسانى . قال ياقوت : « ويقال هى لسان الأرض » .

(٤) أسطمة الشئ وأستمته وأصطمته : وسطه ومجتمعه .

(٥) عبد الله بن عون ، ترجم فى هذا الجزء ص ٩١ .

ابن عبد الله بن عامر (١) فالتفت ، قال له عبد الأعلى : جُعِلتُ فداك ، لا والله ما أمرتُ ، ولا شَعرتُ (٢) .

وقال الأصمعى : صلّى أعرابىٌّ فأطال الصلاة ، وإلى جانبه ناسٌ ، فقالوا : ما أحسَنَ صلاتَه ! فقال : وأنا مع هذا صائم (٣)

قال الشاعر

صلَّى فأعجبنى وصام فرابنى   عدِّ القلوصَ عن المصلِّى الصائمِ

وقال طاهرُ بن الحسين (٤) لأبى عبد الله المَرْوَزىّ : منذ كم صِرتَ إلى العراق يا أبا عبد الله ؟ قال : دخلتُ العراق منذ عشرين سنة وأنا أصوم الدهر منذ ثلاثين سنة . قال : يا أبا عبد الله ، سألناك عن مسألة فأجبتنا عن مسألتين (٥) .

* * *

(١) سبقت ترجمته فى (١ : ٣٤٤) .

(٢) ل « ولا شعرت ولا شعرت » ، بالتكرار .

(٣) ل : « وأنا مع ذلك صائم » .

(٤) هو طاهر بن الحسين بن مصعب الخزاعى ، من كبار الوزراء العباسيين . كان أديباً حكيما شجاعاً ، وهو الذى وطد الملك للمأمون العباسى ، وهو الذى قتل الأمين وعقد البيعة للمأمون فولاه شرطة بغداد ، ثم جعله والياً على خراسان ، فحدثته نفسه بالاستقلال بها ، وحالت دون ذاك منيته . وسمى « ذا اليمينين » لأنه ضرب شخصاً فى وقعته مع على بن ماهان بالسيف فقده نصفين ؛ وكانت الضربة بيساره . ولد سنة ١٥٩ وتوفى سنة ٢٠٧ . وفيات الأعيان وثمار القلوب ٢٠٧ .

(٥) القصة فى الحيوان (٣ : ٨ – ٩) .

بسم الله الرحمن الرحيم

قال عوانة : قال زياد بن أبيه : مِن سعادة الرجل أن يطولَ عمرُه ، ويرى فى عدوِّه ما يسرُّه .

وقال الباهلىّ : قيل لأعرابىّ : ما بالُ المراثى أجوَدَ أشعارِكم ؟ قال : لأنّا نقول وأكبادُنا تحترق .

قال أبو الحسن : كانت بنو أميّةَ لا تقبل الرَّاويةَ إلا أنَّ يكون راويةً للمراثى . قيل : ولِمَ ذاك ؟ قيل [1] : لأنّها تدل على مكارم الأخلاق .

وقال عمر بن الخطّاب رحمه الله : مِن خير صناعات العرب الأبياتُ يقدِّمُها الرَّجلُ بين يدَىْ حاجته ، يَسْتَنْزِلُ بها الكريم [2] ، ويستعطف بها اللئيم .

وقال شعبة [3] : كان سِمَاك بن حَرْب [4] إذا كانت له إلى الوالى حاجةٌ قال فيه أبياتاً ثم يسأله حاجتَه .

قال أبو الحسن : كان شِظَاظٌ [5] لصًّا ، فأغار على قوم من العرب فاطَّرَدَ [6]

---

(١) كذا فى جميع النسخ .

(٢) يستنزله : يطلب منه النزل ، وهو بضم وبضمتين : قرى الضيف . وهذا الفعل بمعنى المعنى مما لم يرد فى المعاجم .

(٣) سبقت ترجمة شعبة بن الحجاج فى (١ : ٣٦٩) .

(٤) سماك بن حرب بن أوس الذهلى البكرى الكوفى ، كان فصيحا عالما بالشعر وأيام الناس ، وأدرك ثمانين من الصحابة ، وتوفى سنة ١٢٣ . تهذيب التهذيب . وسماك هذا ، بكسر السين ، وفتح الميم الخفيفة . تقريب التهذيب .

(٥) شظاظ ، بالكسر : لص من بنى ضبة ، كان قريناً لمالك بن الريب وأبى حردبة اللصين . وقد صلبه الحجاج . وهو الذى يقال فيه : « ألص من شظاظ » . وفيه وفى مالك يقول القائل :

الله نجاك من القصيم ومن شظاظ فاتح العكوم

ومالك وسيفه المسموم

الأغانى (١٩ : ١٦٣ – ١٦٩) واللسان (شظظ) .

(٦) هـ : « فطرد » ، وهما سيَّانِ ، بمعنى إبعادها للاستيلاء عليها .

نَعمَهم (١) فساقها ليلتَه حتى أصبح ، فقال رجل من أصحابه : لقد أصبحنا على قَصْدٍ من طريقنا . فقال : « إن المُحْسِنَ مُعَان » . ٦٣

وقال أبو الحسن : أربى غلامٌ من بنى علىّ (٢) ، على عبدِ الملك ، وعبدُ الملك يومئذ غلام ، فقال له كهلٌ من كهولهم لما رآه مُمْسِكا عن جواب المرْبى عليه : لو شكوتَه إلى عمّه انتقم لك منه . قال : أمسِكْ يا كهلُ ؛ فإنى لا أعُدُّ انتقامَ غيرى انتقاما .

قال أبو الحسن : خاضَ جُلساءُ عبدِ الملك يوماً فى قتل عثمان ، فقال رجلٌ منهم : يا أمير المؤمنين ، فى أىِّ سِنِيك (٣) كنت يومئذ ؟ قال : كنت دون المُحْتَلِم ، قال : فما بلَغ من حُزنِك عليه ؟ قال : شغلنى الغضبُ له عن الحُزْن عليه .

وكان عمر بن الخطاب ، رحمه الله ، إذا اشترى رقيقاً قال : اللهمَّ ارزُقْنى أنصحَهم جَيباً (٤) ، وأطولَهم عُمْراً .

وكان إذا استعمل رجلاً قال : إن العمل كِـبِرٌّ (٥) : فانظرْ كيف تخرجُ منه .

قال : ومضى أبو عبد الله الكرخىّ (٦) إلى الرَّبَض (٧) ، فجلس على بابه ونَفَش

---

(١) ما عدا ل : « فطرد نعمهم » . والطرد والاطراد : الشل . قال طريح :

أمست تصفقها الجنوب وأصبحت زرقاء تطرد القذى بحباب

(٢) أربى عليه ، أى زاد عليه فى الكلام والجدال . وبنو على هؤلاء ، هم بنو على بن بكر بن وائل .

(٣) فيما عدا ل ، هـ : « فى أى سنك » .

(٤) ناصح الجيب ، نقى الصدر خالص القلب لا غش فيه . وأصل الجيب جيب القميص والدرع ، وهو شقه الذى يدخل منه الرأس .

(٥) أراد أنه مجلبة للكبر . ل : « كبير » ، ولعلها « كير » وهو المنفاخ ، ومنه الحديث : « المدينة كالكير تنفى خبثها » .

(٦) هو أبو عبد الله الكرخى اللحيانى ، من معاصرى الجاحظ ، وكان ممن يدعى الفقه والعلم . وانظر الحيوان (٣ : ٧ – ٨) حيث الخبر بعبارة أخرى . ونحو هذا الخبر للشعبى فى العقد (٦ : ١٥٢) .

(٧) الربض : ما حول المدينة من خارج . وقد أراد ربض حرب . قال ياقوت : « هى المحلة المعروفة اليوم بالحربية » . والحربية : محلة كبيرة مشهورة ببغداد ، عند باب حرب ، تنسب إلى حرب بن عبد الله البلخى الراوندى ، أحد قواد المنصور .

لحيَتَه وادَّعى الفِقه ، فوقف عليه رجل فقال له : إنّى أدخلتُ إصبَعى فى أنفى فخرج عليها دمٌ . قال : احتجمْ . قال : جلستَ طبيباً أو فقيهاً ؟!

قالوا : بينا الشّعبىُّ جالسٌ وأصحابُه يناظرونَه فى الفقه ، إذا شيخٌ بقرْبِهِ قد أقبل عليه بعد أن طال جلوسُه ، فقال له : إنّى أجدُ فى قفاىَ حِكَّةً أفترَى لىَ أن أحتجم ؟ قال الشّعبىّ : الحمد لله الذى حَوَّلَنا من الفقه إلى الحِجامة .

قال : وذكر ناسٌ رجلاً بكثْرة الصَّوم وطُول الصلاة وشِدّة الاجتهاد ، فقال أعرابىٌّ كان شاهداً لكلامهم : بئس الرجل هذا ، يظنُّ أنّ الله لا يرحمه حتَّى يعذِّب نفسَه هذا التعذيب .

وقال ابن عَون : أدركت ثلاثةً يتشدَّدون فى السَّماع ، وثلاثة يتساهلون فى المعَانى (١) . فأمَّا الذين يتساهلون فالحسن ، والشَّعبىُّ (٢) ، والنّخَعى (٣) . وأمَّا الذين يتشدَّدون فمحمد بن سِيرين (٤) ، والقاسم بن محمد (٥) ، ورَجاء بن حَيْوة (٦) . ٦٤

وقال رجل من أصحاب ابن لَهيعة (٧) : ما رأيت أحسن أدباً من عبد الله بن

---

(١) ما عدا ل والتيمورية : « المغانى » بالغين المعجمة ، تحريف . وفى الكفاية فى علم الرواية ١٨٦ طبع حيدر أباد ١٣٥٧ عن الأصمعى قال : « سمعت ابن عون يقول : أدركت ستة ، ثلاثة منهم يشددون فى الحروف ، وثلاثة يرخصون فى المعانى . وكان أصحاب الحروف : القاسم بن محمد ، ورجاء بن حيوة ، ومحمد بن سيرين . وكان أصحاب المعانى : الحسن والشعبى ، والنخعى » . فمدار الأمر على رواية الحديث باللفظ أو بالمعنى .

(٢) هو عامر بن شراحيل المترجم فى (١ : ١٩٤) .

(٣) هو إبراهيم بن يزيد النخعى المترجم فى (١ : ١٩٢) .

(٤) هو أبو بكر محمد بن سيرين الأنصارى البصرى . كان مولى لأنس بن مالك وروى عنه ، وكان ثقة صدوقا ورعا ، وكان يَعْبُر الرؤيا . قال ابن عون : ثلاثة لم أر مثلهم كأنهم التقوا فتواصوا : ابن سيرين بالعراق ، والقاسم بن محمد بالحجاز ، ورجاء بن حَيوة بالشام . ولد قبل مقتل عثمان بسنتين ، وتوفى سنة ١١٠ . تهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة (٣ : ١٦٤) ووفيات الأعيان .

(٥) هو القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق أحتضنته عائشة بعد مقتل ابيه ، وكان أشبه ولد أبى بكر به ، وكان فقيها إماما كثير الحديث ، وكان ابن سيرين يأمر من يحج أن ينظر إلى هدى القاسم فيقتدى به . وكان القاسم أحد الفقهاء السبعة بالمدينة ، توفى سنة ١٠٧ تهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة (٢ : ٤٩) ووفيات الأعيان ، ونكت الهميان ٢٣٠ .

(٦) ترجم فى (١ : ٣٩٧) .

(٧) هو عبد الله بن عقبة بن لهيعة ، المترجم فى (١ : ٣٦٢) .

المبارك (١) ، والمُعافَى بنِ عمران (٢) .

وقال أبو الحسن : حدَّثنى عبدُ الأعلى (٣) قال : رأيت الطِّرِمّاحَ مؤدِّبا بالرىّ فلم أر أحداً آخَذَ لعقول الرِّجال ، ولا أجْذَب لأسماعهم إلى حديثه منه ، ولقد رأيت الصِّبْيانَ يخرُجون مِن عنده وكأنّهم قد جالَسُوا العلماء .

قال : كان رجلٌ يبلُغه كلامُ الحسن البَصرىّ ، فبينا الرجل يطوف بالبيت إذْ سمع رجلاً يقول : « عجباً لقومٍ أُمِرُوا بالزَّاد ونُودِىَ فيهم بالرَّحيل ، وحُبِس أولُهم على آخرهم ، فليت شعرى ما الذى ينتظرون (٤) » . قال : فقلت فى نفسى : هذا الحسَن .

قال : وأربعةٌ من قريش كانوا رواةَ النّاس للأشعار ، وعلماءَهم بالأنساب والأخبار : مَخْرَمةُ بن نوفلِ بن وُهَيب (٥) بن عبد مناف بن زُهْرة ، وأبو الجهم بن حذيفة بن غانم بن عامر بن عبد الله بن عوف (٦) ، وحويطب بن عبد العُزَّى (٧) ،

---

(١) ترجم فى ص ٢٤ من هذا الجزء .

(٢) هو أبو مسعود المعاف بن عمران بن عقيل الأزدى الفهمى ، وكان ممن رحل فى طلب العلم إلى الآفاق وجالس العلماء ، ولزم الثورى ، وكان زاهداً فاضلا شريفا ، مع صدق لهجة وعظم قدر . توفى سنة ٢٠٤ . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٤ : ١٥١) .

(٣) هو عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر ، المترجم فى (١ : ٣٤٤) .

(٤) هذه الجملة الأخيرة من ل فقط .

(٥) ل : « وهب » . وأثبت ما فى سائر النسخ ؛ إذ فى السيرة ٤٢٧ ، والإصابة ٧٨٣٤ ونكت الهيمان ٢٨٧ : « أهيب » . والواو والهمزة يتعاورهما الإبدال . وقد أسلم مخرمة يوم الفتح ، وكف بصره فى زمن عثمان . وتوفى سنة ٥٤ وله مائة وخمس عشرة سنة .

(٦) ترجم له فى الإصابة ٢٠٦ فى باب الكنى . ويقال إنّ اسمه « عامر » أو « عبيدة » . كان أبو الجهم من مسلمة الفتح كذاك ، وكان من معمرى قريش ومشيختهم . حضر بناء الكعبة مرتين : حين بنتها قريش ، وحين بناها ابن الزبير . ومات فى آخر خلافة معاوية . وذلك فى سنة ٦٠ .

(٧) وأما حويطب بن عبد العزى ، فكان أيضاً ممن أسلم . عام الفتح ، وكان من المؤلفة قلوبهم ، عمر مائة وعشرين سنة ، ومات فى خلافة معاوية سنة ٥٤ . الإصابة ١٧٧٨ .

وعَقِيل بن أبى طالب (١) . وكان عَقِيلٌ أكثرهم ذكراً لمثالب النّاس (٢) ، فعادَوْه لذلك ، وقالوا فيه وحمّقوه . وسمِعتْ ذلك العامّةُ منهم ، فلا تزال تسمع الرّجلَ يقول : قد سمِعتُ الرّجُلَ يحمِّقه . حتّى ألَّف بعضُ الأعداء فيه الأحاديثَ (٣) فمنها قولهم : ثلاثة حمقى كانوا إخوةَ ثلاثةٍ عقلاءَ ، والأُمُّ واحدة : علىٌّ وعَقِيل ، وأُمُّهما فاطمةُ بنت أسد بن هاشم ؛ وعتبةُ ومعاوية ابنا أبى سفيان ، وأُمُّهما هندُ بنت عتبةَ بن ربيعة ؛ وعبد الملك ومعاوية ابنا مروان ، وأُمُّهما عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبى العاص . فكيف وجعدةُ بن هُبيرةَ يقول :

أبِي من بنى مخزومٍ آنْ كنتَ سائلاً ... ومِن هاشمٍ أُمِّى ، لخيرِ قبيلِ
فمن ذا الذى يبْأى عَلَيَّ بخالِه ... وخالى علىٌّ ذو الندى وعَقِيلُ (٤)

وقال قُدامة بن موسى بن قُدامة بن مظعون : ٦٥

وخالى بُغاةُ الخيرِ تَعلم أنّهُ ... جديرٌ بقول الحق لا يتوعَّرُ (٥)

---

(١) وعقيل هذا هو أخو على وجعفر ابنى أبى طالب ، تأخر إسلامه إلى عام الفتح . وكان عالما بأنساب قريش ومآثرها ومثالبها ، وكان الناس يأخذون عنه ذلك بمسجد المدينة ، كانت له طنفسة تطرح فى المسجد يصلى عليها ، ويجتمع إليه فى علم النسب وأيام العرب ، وكان قد فارق عليا ووفد إلى معاوية فى دَين لحقه . قال ابن عباس : « كان فى قريش أربعة يتحاكم الناس إليهم فى المنافرات : عقيل ، ومخرمة ، وحويطب ، وأبو الجهم . وكان عقيل يعد المساوى ، فمن كانت مساويه أكثر ينفر صاحبه عليه . وكان الثلاثة يعدون المحاسن ، فمن كانت محاسنه أكثر ينفره على صاحبه » . مات فى خلافة معاوية . وكان أسن من أخيه جعفر بعشر سنين ، وجعفر أسن من على بعشر سنين . الإصابة ٥٦٢٢ ونكت الهميان ٢٠٠ .

(٢) انظر الحاشية السابقة .

(٣) زاد الصفدى : « وكان مما أعانهم عليه فى ذلك مغاضبته لأخيه على ، وخروجه إلى معاوية » . وروى الصفدى أيضاً أن الرسول قال له : « يا أبا يزيد ، إنى أحبك حبين : حبا لقرابتك منى ، وحبا لما كنت أعلم من حب عمى إياك » .

(٤) يبأى ، من البأو ، وهو الفخر والكبر .

(٥) كذا فى هـ والتيمورية بالعين المهملة . يتوعر : يتعسر . وفى سائر بالنسخ . « يتوفر » تحريف .

وجدّى علىٌّ ذو التقى وابنُ أمّه عَقيلٌ وخالى ذو الجَناحين جَعفر (١)
فنحن ولاةُ الخير فى كلِّ مَوطنٍ إذا ما ونَى عنه رجالٌ وقصَّروا (٢)

وقال حسّان بن ثابت (٣) :

إنّ خالى خطيبُ جابيةِ الجَوْ لانِ عند النُّعمان حين يقومُ (٤)
وهو الصَّقْرُ عند باب ابن سَلْمَى يوم نُعمانُ فى الكُبُول مُقِيمُ (٥)
وسَطَتْ نسبتى الذَّوائبَ منهم كلُّ دارٍ فيها أبٌ لى عظيمُ
وأبى فى سُمَيحةَ القائلُ الفا صِلُ يومَ التفّت عليه الخصومُ (٦)
يَفصل القولَ بالبيان ، وذو الرأ يِ من القوم ظالعٌ مكعومُ (٧)
تلك أفعالُه وفعل الزِّبعَرَى خاملٌ فى صديقه مذمومُ (٨)
رُبَّ حِلمٍ أضاعه عدم الما لِ وجهلٍ غطّى عليه النَّعيمُ

---

(١) كان جعفر يلقب بذى الجناحين ، وبالطيار أيضاً . انظر حواشى (١ : ٣١٢) .
(٢) ل : « فقصروا » .
(٣) من قصيدة له فى ديوانه ٣٧٦ – ٣٨٠ والسيرة ٦٢٥ يعدد فيها أصحاب اللواء يوم أحد . مطلعها :
منع النوم بالعشاء الهموم وخيال إذا تغور النجوم
وفى السيرة أن حسان قال هذه القصيدة ليلا ، فدعا قومه فقال لهم : خشيت أن يدركنى أجلى قبل أن أصبح فلا ترووها عنى .
(٤) خاله ، هو مسلمة بن مخلد بن الصامت . والجابية : قرية من أعمال دمشق قرب الجولان . وأراد بالنعمان بنى جفنة الغساسنة . وسترد الأبيات مرة أخرى فى (٤ : ٥٨) .
(٥) ابن سلمى ، هو النعمان بن المنذر اللخمى ، وسلمى أمه ، أبوها يهودى من أنباط الشام . الحيوان (٤ : ٣٧٧) . ونعمان هذا ، هو نعمان بن مالك بن نوفل ، كان النعمان بن المنذر قد حبسه ، فوفد فيه وفى غيره حسان ، فأطلقوا لأجله . فصواب رواية البيت : « وأنا الصقر » كما فى الديوان والسيرة . ما عدا ل : « سقيم » .
(٦) سميحة : بئر بالمدينة تحاكمت عندها الأوس والخزرج فى حروبهم إلى ثابت بن المنذر والد حسان ، أو إلى جده المنذر .
(٧) هذا البيت ساقط من الديوان والسيرة . والظالع : من به الظلع ، وهو غمز شبيه بالعرج . والمكعوم : الذى شد فوه بالكعام .
(٨) الزبعرى ، والد عبد الله بن الزبعرى ، وكان بين حسان وعبد الله مهاجاة .

وليَ البَأسَ منكُم إذ أبيتم … أسرةٌ من بنى قُصَىٍّ صميمُ (١)
وقريشٌ تجول منا لِوَاذاً … أن يُقيموا وخَفَّ منها الحلومُ (٢)
لم تطق حَمْلَه العواتقُ منهمُ … إنّما يحمل اللواءَ النُّجومُ (٣)

وكانَ عَقِيلٌ رجلاً قد كُفَّ بصرُه ، وله بعدُ لسانُه وأدبُه ونسبهُ وجوابه ، فلما فَضَلَ نُظَراءَه من العلماء بهذه الخصال ، صار لسانُه بها أطولَ . وغاضب عليًّا وأقام بالشَّام ، وكان ذلك أيضاً مما أطلَقَ لسان الباغى (٤) والحاسِد فيه . وزعموا ٦٦ أنّه قال له معاوية : هذا أبو يزيد (٥) ، لولا أنّه عَلم أنّى خيرٌ له من أخيه لما أقام عندنا وتركَه . فقال له عقيل : « أخيِ خيرٌ لى فى دينى ، وأنت خيرٌ لى فى دنياى » .

وقال له مرة بصِفِّين (٦) : أنت معنا يا أبا يزيدَ الليلة (٦) . قال : ويوم بدرٍ قد كنتُ معكم .

وقال معاويةُ يوماً : يا أهلَ الشام ، هل سمعتم قول الله تبارك وتعالى فى كتابه : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ ؟ قالوا : نَعَم . قال : فإنّ أبا لهب عمُّه . فقال عَقيل : فهل سمعتم قول الله جلّ وعزّ : ﴿ وَامرأتُه حَمَّالَةُ الحَطَبِ (٧) ﴾ ؟ قالوا :

---

(١) ولى ، من الولاية . والبأس : الحرب . صميم : خالصة النسب .

(٢) الديوان : « تلوذ منا لواذاً » . السيرة : « تفر منا لواذا » . لواذاً : استتارا.والحلوم : العقول .

(٣) الضمير فى « حمله » يرجع إلى « اللواء » فى بيت . لم يروه الجاحظ ، وموقعه بعد بيت « ولى البأس » . وهو :

تسعة تحمل اللواء وطارت … فى رعاع من القنا مخزوم

والعواتق : جمع عاتق ، وهو ما بين الكتف والعنق . والنجوم : الأشراف المشهورون .

(٤) ما عدا ل ، هـ : « وكان ذلك أيضاً أطلق للسان الباغى » . وكلمة « أيضا » ساقطة من ل .

(٥) أبو يزيد ، كنية عقيل بن أبى طالب .

(٦) هذه الكلمة من ل فقط .

(٧) قراءة الجمهور بالرفع . وقرأ الحسن ، وزيد بن على ، والأعرج ، وأبو حيوة ، وابن أبى عبلة ، وابن محيصن ، وعاصم : « حمالة » بالنصب على الذم . إتحاف فضلاء البشر وتفسير أبى حيان . وحمالة الحطب هذه هى أم جميل بنت حرب ، أخت أبى سفيان ، فهى عمة معاوية .

نعم . قال : فإنها عَمَّتُه . قال معاوية : حسبُنا ما لقِينا من أخيك .

وذكروا أنّ امرأة عَقيلٍ ، وهى فاطمةُ ابنة عتبة بن ربيعة قالت : يا بنى هاشم لا يحِبّكم قلبى أبداً ! أين أبى ، أين عمِّى ، أين أخى ، كأنَّ أعناقَهم أباريق الفِضَّة ، ترِدُ آنُفُهم قبلَ شِفاهِهم (١) . قال لها عَقيل : إذا دَخلتِ جهنَّمَ فخذى على شِمالك .

وقيل لعمَر رحمه الله : فلان لا يعرف الشَّرَّ . قال : ذلك أجدَرُ أن يَقعَ فيه (٢) .

قال : وسمِع أعرابىٌّ رجلاً يقرأ : ﴿ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ۝ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كَفِر (٣) ﴾ ، قالها بفتح الكاف ، فقال الأعرابىّ : لا يكون . فقرأها عليه بضم الكاف وكسر الفاء ، فقال الأعرابىّ : يكون .

* * *

(١) كان العرب يتمادحون بطول الأنف ، ويتهاجون بقصرها .

(٢) انظر الحيوان (٧ : ٢٥٩) .

(٣) من كان كفر ، أى نوح عليه السلام ، إذ كان هو نعمة أهداها الله إلى قومه فكفروا بها وجحدوا نبوته . وقراءة البناء للفاعل : « كفر » صحيحة أيضاً ، قرأها زيد بن رومان ، وقتادة ، وعيسى . أى جزاء لقومه على كفرهم . فالجزاء فى الأولى بمعنى الثواب ، وفى الثانية بمعنى العقاب . انظر تفسير أبى حيان (٨ : ١٧٨) .

بـاب

من الشعر فيه تشبيه الشئ بالشئ

قال الشاعر :

بدا البرقُ مِن نحو الحجازِ فشاقنى   وكلُّ حِجازيّ له البرقُ شائِقُ (١)
سَرَى مِثلَ نبْضِ العِرْقِ والليل دونه   وأعلام أُبْلَى كلُّها والأسالِقُ (٢)

وقال آخر : ٦٧

أرِقتُ لبرقٍ آخرَ اللّيلِ يلمعُ   سَرَى دائباً حيناً يَهُبُّ ويهجعُ
سَرَى كاحتساءِ الطَّيرِ والليلُ ضاربٌ   بأرواقِهِ والصُّبحُ قد كاد يسطعُ (٣)

حدثنى إبراهيم بن السِّندىّ (٤) عن أبيه قال : دخل شابٌّ من بنى هاشم على المنصور ، فسأله عن وفاة أبيه فقال : مَرِض أبى رضى الله عنه يوم كذا ، ومات رضى الله عنه يوم كذا ، وترك رضى الله عنه من المال كذا ، ومن الولَد كذا . فانتهره الرَّبيعُ (٥) وقال : بين يَدَىْ أميرِ المؤمنين تُوالي بالدُّعاء

---

(١) ل : « سرى البرق »

(٢) أبلى ، بالضم والقصر : جبال بين مكة والمدينة . والأسالق : جمع من جموع السلق ، بالتحريك ، وهو القاع المطمئن المستوى لا شجر فيه .

(٣) فى اللسان (قذى) بيت يشبه هذا ، منسوب إلى حميد بن ثور . وهو :

خفى كاقتذاء الطير والليل واضع   بأرواقه والصبح قد كاد يلمع

وفى حواشى هـ : « كاقتذاء » وفيها أيضا : « أى كانتزاع القذى من عيونها ، فى السرعة » .

(٤) سبقت ترجمته فى (١ : ٣٦٧) .

(٥) هو أبو الفضل الربيع بن يونس بن محمد بن أبى فروة كيسان ، حاجب المنصور . وكان ابن عياش المنتوف يطعن فى نسب الربيع طعنا قبيحا ويقول للربيع : فيك شبه من المسيح ! يخدعه بذلك ، فكان يكرمه لذلك ، حتى أخبر المنصور بما قال له ، فقال : إنه يقول : لا أب لك . فتنكر له بعد ذلك . وكان أبو فروة كيسان مولى للحارث الحفار مولى عثمان بن عفان . ففى الربيع وجده يقول الحارث بن الديلمى :

شهدت بإذن الله أن محمدا   رسول من الرحمن غير مكذب =

لأبيك [١] ؟ فقال الشّابُّ : لا ألومك ؛ لأنك لم تعرِفْ حلاوةَ الآباء . قال : فما علمنا أنَّ المنصور ضحك فى مجلسه ضحكا قطُّ فافترَّ عن نواجذِهِ إلا يومئذ .

وحدثنى إبراهيم بن السِّنْدىّ عن أبيه قال : دخل شابٌّ من بنى هاشم [٢] على المنصور ، فاستجلسه ذات يومٍ ودعا بغَدَائه ، فقال للفتى : ادْنُهْ . قال الفتى : قد تغدَّيتُ يا أمير المؤمنين . فكفَّ عنه الربيع حتى ظنَّنا [٣] أنه لم يَفْطِنْ لخطابه ، فلمَّا نَهَض إلى الخروج أُمهلَه ، فلماّ كان من وراءِ السِّتر دفع فى قفاه ، فلما رأى ذلك الحُجَّابُ منه دفعوا فى قفاه حتَّى أخرجوه من الدّار ، فدخل رجالٌ من عُمومة الفتى فشكَوا الرّبيعَ إلى المنصور ، فقال المنصور : إنّ الربيع لا يُقدِم على مثل هذا إلا وفى يدَيْه حُجَّة ، فإن شئتمْ أغضيتم على ما فيها ، وإن شئتمْ سألتُه وأنتم تسمعون . قالوا : فسَلْهُ . فدعا الرّبيعَ وقَصُّوا قِصَّتَهُ ، فقال الربيع : هذا الفتى كان يسلِّم من بعيدٍ وينصرف ، فاستدناه أمير المؤمنين حتى سلّم عليه من قريب ثم أمره بالجلوس ، ثم تبذّل بين يديه وأكل ، ثم دعاه إلى طعامه ليأكل معه [٤] من مائدته ، فبلغ من جهله [٥] بفضيلة المرتبة التى صَيَّرَهُ فيها أن قال [٦] حين دعاه إلى غدَائِه : قد تغدّيت ! فإذا ليس عندَه لمن تَغدَّى مع أمير المؤمنين إلا سَدُّ خَلّة الجوع ، ومثل هذا لا يقوِّمُهُ القَولُ دون الفعل . ٦٨

وحدثنا إبراهيمُ بن السِّنديِّ عن أبيه قال : والله إنى لَواقفٌ على رأس

= وأن ولا كيسان للحارث الذى ولى زمنا حفر القبور بيثرب

وقد انتقل الربيع من حجابة المنصور إلى الوزارة له ، ثم حجب المهدىّ . وهو الذى بايع المهدى وخلع عيسى بن موسى . وابنه الفضل حجب هارون ومحمداً المخلوع . وابنه العباس بن الفضل حجب الأمين . ومات فى أول ١٧٠ . تاريخ بغداد ٤٥٢١ .

(١) فى حواشى هـ : « قال هذا الربيع لأنه أعجمى سبى صغيرا ونشأ مع المسلمين » .

(٢) فى المحاسن والمساوى للبيهقى (١ : ١٢٣) أنه محمد بن عيسى بن على .

(٣) ل : « ظننت » .

(٤) ل : « إلى طعامه معه » .

(٥) ل : « فبلغ من جهله » .

(٦) ما عدا ل ، هـ : « إلى أن قال » .

الرَّشيد ، والفَضْلُ بن الربيع واقف فى الجانب الآخر (١) والحسن اللؤلؤىُّ (٢) يحدِّثه ويسائله عن أمور ، وكان آخر ما سأله عن بيع أُمّهات الأولاد ، فلولا أنّى ذكرتُ أنّ سلطان ما وراء السِّتر للحاجب ، وسلطانَ الدّارِ لصاحب الحَرَس ، وأنّ سلطانى إنما هو على من خرج من حُدود الدّار ، لقد كنت أخذتُ بضَبْعه (٣) وأقمتُه ، فلمَّا صِرْنا وراءَ السِّتْر قلت له والفضل يسمع : أَمَا واللهِ لو كان هذا منك فى مسايرةٍ أو موقِفٍ لعلمتُ أن للخلافة رجالا يصونونها عن مجلسك .

وحدَّثنى إبراهيم بن السندى قال : بينا الحسنُ اللؤلؤى فى بعض الليالى بالرَّقَّة يحدِّث المأمون والمأمون يومئذ أمير ، إذْ نَعَس المأمون ، فقال له اللؤلؤىّ : نمتَ أيُّها الأمير ؟ ففتح المأمونُ عينيه وقال : سوقىٌّ والله ، خُذْ يا غلامُ بيده .

قال : وكُنَّا يوماً عند زياد بن محمد بن منصور بن زياد ، وقد هَيّأ لنا الفضلُ ابن محمد طعاما ، ومعنا فى المجلس خادم كان لأبيهم (٤) ، فجاء رسول الفضل إلى زيادٍ فقال : يقول لك أخُوك : قد أُدرك طعامُنا فتحوَّلوا . ومعنا فى المجلس إبراهيم النَّظَّام ، وأحمدُ بن يوسف ، وقُطرُبٌ النحوى ، فى رجالٍ من أُدَباء الناس وعلمائهم ، فما مِنَّا أحدٌ فطِنَ لخطأ الرسول . فأقبل عليه مبشِّرٌ الخادم (٥) ، فقال : يا ابن اللَّخْناء ، تقِفُ على رأس سيِّدك فتستفتح الكلام كما تستفتحه لرجلٍ من عُرْض الناس (٦) . ألا تقول : يا سيدى ، يقول لك أخوك : ترى أن تصيرَ إلينا بإخوانك فقد تهيَّأ أمرُنا ؟

---

(١) ما عدا ل : « واقف فى الجانب الأيسر » .

(٢) هو أبو على الحسن بن زياد اللؤلؤى ، مولى الأنصار ، وأحد أصحاب أبى حنيفة والرواة عنه . كوفى نزل بغداد ، وولى القضاء بعد حفص بن غياث سنة ١٩٤ . ويروى عنه أنه كان يكسو مماليكه كما كان يكسو نفسه . وكان يضعف فى حديثه . لسان الميزان (٢ : ٢٠٨) وتاريخ بغداد ٣٨٢٧ .

(٣) الضبع ، بفتح الضاد وسكون الباء : العضد ، أو وسطه .

(٤) ما عدا ل : « وكان لا يهتم » .

(٥) ل : « ميسر الخادم » .

(٦) من عرض الناس ، بالضم ، أى أوساطهم وجمهورهم .

وابتعت خادماً كان قد خدم أهل الثروة واليسار وأشباهَ الملوك ، فمرَّ به خادم من
معارفه ممن قد خدَمَ الملوك فقال له : إن الأديب وإن لم يكن ملكا فقد يجب على
الخادم أن يخدُمه خِدمةَ الملوك ، فانظر أن تخدُمه خدِمَةً تامة . قلت له : وما
٦٩ الخدمة التامة ؟ قال : الخدمة التامة أن تقوم فى دارك لبعض الأمر وبينك وبين
النَّعل [(١)] مَمْشَى خَمْسِ خُطًى فلا يدعَك أن تمشىَ إليها ، ولكن يأخُذها ويُدنيها
منك . ومَن كان يضع النَّعْلَ اليُسرىَ قُدَّامَ الرِّجل اليمنى فلا ينبغى لمثل هذا أن
يدخلَ على دار مَلك ولا أديب . ومن الخدمة التّامّة أن يكون إذا رأى مُتَّكَأً يحتاج
إلى مِخَدَّةٍ ألّا ينتظر أمرَك . ويتعاهدَ لِيقةَ الدَّواة قبل أن تأمرهَ أن يصبَّ فيه ماءً
أو سواداً ، وينفُضَ عنها الغُبارَ قَبْلَ أنْ يأتيَك بها . وإنْ رأى بين يديك قرطاساً
على طَيِّهِ قطع رأسَه ووضَعَه بين يديكَ على كَسْرِهِ . وأشباهُ ذلك .

* * *

قال : ولمّا كلّم عُروة بن مسعودٍ الثّقفى [(٢)] ، رسولَ الله ﷺ ، كان فى ذلك ربّما مَسَّ لحيةَ النبىّ ﷺ ، فقال له المغيرةُ بن شُعبة [(٣)] نحّ يدَك عن لحية رسول الله عليه السلام قبل ألّا ترجع إليك يدُك . فقال عروة : يا غُدَرُ [(٤)] هل غَسلتُ رأسَك من غَدْرَتِك إلّا بالأمس [(٥)] ؟

---

(١) ل : « نعلك » .

(٢) هو عروة بن مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف ابن ثقيف الثقفى . وهو عم والد المغيرة بن شعبة . وفيه نزل قول الله : « على رجل من القريتين عظيم » . قدم على الرسول سنة تسع . وقتله رجل من ثقيف . الإصابة ٥٥١٨ .

(٣) سبقت ترجمته فى (١ : ٣٢٧) .

(٤) يا غدر ، أى يا كثير الغدر ، يقال للذكر غدر ، وللأنثى غدار كقطام ، وهما مختصان بالنداء فى الغالب .

(٥) غسلت ، كذا ضبطت على الصواب بضم التاء فى اللسان (غدو) . وفيه : « وهل غسلت غدرتك إلا بالأمس » . وقد فسر ابن هشام هذا فى السيرة ٧٤٤ جوتنجن بقوله : « أراد عروة بقوله هذا أن =

قال : ونادى رجالٌ من وفد بنى تميمٍ (١) النبىَّ ﷺ باسمه من وراء الحجرات ، فأنزل الله تبارك وتعالى فى ذلك : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ . وقال الله جلَّ ذِكْرُه : ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكم كدُعاءِ بَعْضِكم بَعْضاً ﴾ .

وقال ابن هَرْمَةَ أو غيره (٢) :

لله دَرُّ سَمَيْدَعٍ فَجَعَتْ به ... يومَ البَقِيع حوادثُ الأيّامِ (٣)
هشٌّ إذا نزل الوفودُ ببابه ... سهلُ الحجابِ مؤدَّبُ الخُدّامِ
فإذا رأيتَ صديقَه وشقيقَه ... لم تدر أيُّهما أخو الأرحامِ (٤)

* * *

قال أبو الحسن : بينا هشامٌ يسير ومعه أعرابىٌّ إذِ انتهى إلى مِيل عليه كتاب ، فقال للأعرابى : انظُرْ أىُّ ميلٍ هذا ؟ فنظر ثم رجع إليه ، فقال : عليه مِحْجَنٌ وحَلْقَةٌ ، وثلاثة كأطباء الكَلْبة ، ورأسٌ كأنه رأس قطاةٍ . فعرفه هشامٌ ٧٠
بصورة الهجاء ولم يعرفه الأعرابىُّ ، وكان عليه « خَمْسَة » .

= المغيرة بن شعبة قبل إسلامه قتل ثلاثة عشر رجلا من بنى مالك ، من ثقيف ، فتهايج الحيان من ثقيف ، بنو مالك رهط المقتولين ، والأحلاف رهط المغيرة ، فودى عروة المقتولين ثلاث عشرة دية ، وأصلح ذلك الأمر » .

(١) كان قدوم وفد تميم إلى الرسول الكريم سنة تسع ، وكانت تلك السنة تسمى سنة الوفود . وكان رأس وفد تميم عطارد بن حاجب بن زرارة ، وفى الوفد من أشراف تميم الأقرع بن حابس ، والزبرقان بن بدر ، وعمرو بن الأهتم ، والحتات بن يزيد . فلما دخلوا المسجد نادوا رسول الله من وراء حجراته : أن أخرج إلينا يا محمد .

(٢) تروى الأبيات التالية لمحمد بن بشير الخارجى ، انظر حماسة أبى تمام (١ : ٣٣٤) فى باب المراثى ؛ وقد أنشد البيهقى هذه الأبيات فى المحاسن (١ : ١٢٤) بدون نسبة .

(٣) البقيع : ويقال له بقيع الغرقد ، هو مقبرة أهل المدينة ، وهى داخل المدينة .

(٤) هـ : « شقيقة وصديقة » .

نـوادر الأعراب

استشهدوا أعرابيًّا على رجلٍ وامرأة ، فقال : رأيته قد تَقَمَّصها ، يحفزُها بمؤخَّره ، ويجذبها بمقدَّمه ، وخفِىَ علىَّ المسلك .

وقال آخر : رأيتُه قد تبطَّنها ، ورأيتُ خَلخالاً شائلاً [١] ، وسمعت نَفسًا عالياً ، ولا علمِ لى بشئ بَعْدُ .

* * *

وقال أعرابىٌّ : رأيت هذا قد تناوَل حَجراً فالتفَّ بهذا ، وحجَزَ النّاسُ بينهما ، وإذا هذا يستدمِى .

* * *

وقال بعضهم : الشيب نذِير الآخرة .

وقال قيس بن عاصم : الشيب خِطام المنيَّة .

وقال آخر : الشّيب توْأم الموت .

وقال الحكيم : شيب الشّعَر موتُ الشَّعَر ، وموت الشَّعَر عِلّة موت البَشَر .

وقال المعتمِر بن سُليمان : الشّيب أوَّلُ مراحل الموت .

وقال السَّهمىّ : الشيب تمهيد الحِمَام .

وقال العَتّابىّ : الشيب تاريخ الكِتاب [٢] .

وقال النَّمرىّ : الشيب عنوان الكِبَر .

وقال عدىُّ بن زيدٍ العِبادىُّ :

وابيضاضُ السَّواد من نُذُرِ المْو تِ وهل مثلُه لحىِّ نذيرُ [٣]

---

(١) ما عدا ل : « خلخالها شائلا » . والشائل : المرتفع .

(٢) أى كتاريخ الكتاب ، إنما يكون فى آخره .

(٣) ما عدا ل : « من نذر الشر » . وأشير فى حواشى هـ إلى رواية . الموت » .

وقال الآخر :

أصبح الشَّيْب فى المفارق شاعا   واكتسَى الرَّأسُ من بياضٍ قِناعا [١]

ثمّ ولّى الشبابُ إلّا قليلاً   ثم يأبى القليلُ إلّا نِزَاعا [٢]

قال : وقال رجلٌ لأشعبَ [٣] : ما شكرتَ معروفى عندك . قال : لأنّ معروفَك جاء من عند غير مُحْتَسِب فوقع إلَى غيرِ شاكر . ٧١

وخفّفَ أشعبُ الصلاةَ مرّةً فقال له بعض أهل المسجد : خفَّفتَ صلاتَك جِداً . قال : لأنه لم يخالِطْها رياء .

* * *

---

(١) البيتان فى الحيوان (٣ : ١١١) .

(٢) وكذا فى الحيوان . وفى ل : « وتولى الشباب » .

(٣) هو أشعب بن جبير ، الذى يضرب به المثل فى الطمع . نشأ أشعب بالمدينة ، وتولت تربيته عائشة بنت عثمان بن عفان . وفى ذلك يقول : نشأت أنا وأبو الزناد فى حجر عائشة بنت عثمان ، فلم يزل يعلو وأسفل حتى بلغنا هذه المنزلة . انظر أخباره وطرائفه فى الأغانى (١٧ : ٨٣ - ١٠٥) .

كلام بعض المتكلمين من الخطباء

الحمدُ لله كما هو أهلُه ، والسلام على أنبيائه المقرَّبين الطيِّبين . أخى ، لا تَغتَرَّنَّ بطُول السلامة مع تضييع الشُّكر ، ولا تُعمِلنَّ نعمةَ الله فى معصيته ، فإنَّ أقلَّ ما يجب لمِهُديها ألاّ تجعلَها ذريعةً فى مخالفته . واعلم أن النِّعم نَوافِر ، ولقلّما أقشَعَتْ (١) نافرةٌ فرجعَتْ فى نصابِها ، فاستدعِ شاردَها بالتَّوبْة ، واستدِم الرّاهِنَ منها بكرَم الجِوار ، واستفتِحْ بابَ المزيد بحُسْن التوكُّل ، ولا تحسَبْ أنّ سُبوغَ سِتْر نِعَمِ الله عليك غيرُ متقلِّصٍ عمّا قريب إذا لم تَرْجُ لله وَقاراً (٢) وإنى لأخشى أن يأتيَك أمرُ الله بغتةً ، أو الإملاءُ (٣) فهو أَوْبأُ مَغَبَّة (٤) ، وأثبت فى الحجَّة ، ولَأَنْ لا تعمل ولا تعلمَ (٥) خير من أن تعلَم ولا تعمل . إنَّ الجاهل لم يُؤتَ من سُوء نِيَّةٍ ولا استخفاف برُبوبيَّةٍ ، وليس كمن قهرته الحُجَّة وأعرب له الحقُّ مفْصِحاً عن نفسِه ، فآثَرَ الغفلة ، والخسيسَ من الشَّهوة ، على الله عزّ وجلّ ، فأسمَحَتْ نفسُه عن الجنَّة (٦) ، وأسلَمَها لآبِدِ العقوبة (٧) . فاستشِرْ عقلَك ، وراجِع نفْسَك ، وادرسْ نِعَم الله عندك ، وتذكَّرْ إحسانَه إليك ؛ فإنه مَجْلَبَةٌ للحياء ، ومَردعةٌ للشهوة ، ومَشْحَذَةٌ على الطاعة ؛ فقد أَظَلّ البلاءُ أو كأنْ قَدْ ،

---

(١) أقشعت : أقلعت وانكشفت .

(٢) اقتباس من قول الله تعالى : « ما لكم لا ترجون لله وقارا » ، أى لا تخافون لله عظمة . ل : « إن لم ترج » .

(٣) الإملاء : الإمهال والتأخير . هـ : « أو فالإملاء » .

(٤) المغبة : العاقبة . أوبأ : أوخم . ما عدا ل ، هـ : « أولى » ، تحريف .

(٥) ل « فلأن تعمل ولا تعلم » .

(٦) أى انقادت إلى غير ما يدخلها الجنة .

(٧) الآبد : الخالد المقيم .

فكفكِفْ عنك غَرْبَ شؤبوبه (١) ، وجوائحَ سَطْوته ، بسرعة النزوع ، وطول التضرُّع . ثلاثٌ هى أسرَعُ فى العقل من النار فى يبيس العَرْفَج : إهمال الفكرة ، وطولُ التَّمنِّى ، والاستغرابُ فى الضَّحِك . إنَّ اللهَ لم يخلق النارَ عبَثاً ، ولا الجنَّةَ هَمَلاً ، ولا الإنسانَ سُدًى . فاعترفْ رِقَّ العُبوديَّة ، وعَجْزَ البَشَرِيَّة ، فكلُّ زائدٍ ناقصٌ ، وكلُّ قرينٍ مفارقٌ قرينَه ، وكلُّ ٧٢
غنِيّ محتاجٌ ، وإنْ عصفَتْ به الخُيَلاءُ وأبْطَرَه العُجْب ، وَصالَ على الأقْران ؛ فإنه مُذَالٌ مدبَّر ، ومقهور مُيسَّر . إنْ جاع سَخِط المِحْنة ، وإنْ شَبع بَطِرَ النِّعمة . تُرضِيه اللَّمحة فيستشرِي مَرَحاً ، وتُغْضِبه الكلمةُ فيستطير شِقَقا (٢) ، حتى تنفسخ لذلك مُنَّته (٣) ، وتنتقض مَريرتُه (٤) ، وتضطرب فريصَته (٥) ، وتنتشِر عليه حُجَّتُه . ولَلعجَبُ من لبيبٍ تو بقه الحِياطة ، ويَسلَم مع الإضاعة ، ويؤتَى من الثِّقة ، ولا يشعرُ بالعاقبة . إن أُهمِلَ عَمِيَ ، وإن عُلِّمَ نَسى . كيف لم يتَّخذ الحقَّ مَعْقِلاً يُنْجيه ، والتَّوكُّل ذائداً يحميه . أعَمِيَ عن الدَّلالة (٦) ، وعَنْ وُضوح الحجَّة ، أم آثَرَ العاجلَ الخسيس ، على الآجِل النَّفيس ؟ وكيف توجَد هذه الصِّفة مع صِحّة العُقْدة (٧) ، واعتدال الفِطرة ؟ وكيف يُشيرُ رائدُ العقل ، بإيثار القليل الفانى على الكثير الباقى . وما أُظنُّ الذى أقْعَدَك عن تناوُل الحظّ ، مع قُرْب

---

(١) الغرب : الحد . وشؤبوب كل شئ : دفعته وحده .

(٢) الشقق : جمع شقة بالكسر ، وهى القطعة . وفى اللسان : « ومنه حديث عائشة رضى الله عنها : فطارت شقة منها فى السماء وشقة فى الأرض . هو مبالغة فى الغضب والغيظ » .

(٣) المنة ، بالضم : القوة .

(٤) تنتقض : تنحل وتنتكس . والمريرة : هى من الحبال ما لطف وطال واشتد فتله ، والمراد بالمريرة هنا : الشكيمة والعزة .

(٥) الفريصة : لحمة بين الجنب والكتف ، ترتعد عند الفزع .

(٦) ما عدا ل ، هـ : « عن الدلائل » .

(٧) العقدة بالضم : العقيدة والرأى . وفى الحديث : « أن رجلا كان يبايع وفى عقدته ضعف » ، أى فى رأيه ونظره فى مصالح نفسه .

مَجْنَاه ، حتى صار لا يَثنيك زجرُ الوَعيد ، ولا يكدح فى عَزَماتك فَوتُ الجنَّة (١) ، حتى ثقُلَتْ على سمعك الموعظة ، ونَبَتْ عن قلبك العِبرة (٢) إلا طُولُ مجاوَرةِ التقصير ، واعتيادُ الراحة ، والأُنْس بالهُوَينى ، وإيثارُ الأخفِّ ، وإلفُ قَرينِ السَّوء . فاذكر الموتَ وأدِمِ الفِكرةَ فيه ؛ فإنّ من لم يعتبر بما يرى لم يَعتبر بما لا يرى . وإن كان ما يوجد بالعِيان من مواقع العِبرة لا يكشفُ لك عن قبيح ما أنت عليه ، وهُجْنةِ ما أصبحتَ فيه ، من إيثار باطلك على حقِّ الله ، واختيار الوَهْن على القوَّة ، والتفريطِ على الحَزْم ، والإسفاف إلى الدُّون (٣) ، واصطناع العار ، والتعرُّضِ للمقْت ، وبسطِ لسانِ العائب – فمستنبطَاتُ الغَيب (٤) أحرَى بالعجْز عن تَحريكك ، ونَقْلِكَ عن سُوء العادة التى آثرْتَها على ربِّك . فاستَحْيِ للُبِّك ، واستبقِ ما أفضلَ الخِذْلانُ من قُوَّتِك ، قبل أن يستوْلِيَ عليك الطبَع ، ويشتدّ بك العجْز (٥) . أوَ ما علمتَ أنّ المعصية تُثْمِر المَذَلّة ، وتَفُلّ غَرْبَ اللِّسان ، مع السَّلاطة . بل ما علمْتَ أن المستشعِر بذُلِّ الخطيئة ، المخرجَ نفسَه من كَنَف العِصمة ، المتحلِّيَ بدنَس الفاحشة ، نَطِفُ الثَّناء (٦) ، زَمِرُ ٧٣ المروءة (٧) ، قَصِيُّ المجلس ، لا يُشاوَر وهو ذو بَزْلاء (٨) ، ولا يُصدَّر وهو جميل الرُّواء (٩) ؛ يُسالِم مَن كان يسطو عليه ، ويَضْرَع لمن كان يرغَب إليه . يَجْذَلُ

---

(١) يكدح : يؤثر . ما عدا ل : « يقدح » وهما بمعنى .

(٢) نبت عنه : زايلته وتجافت عنه . ما عدا ل ، هـ : « نئت » ولعل هذه « نأت » .

(٣) أسفَّ إلى الدون : نزل إليه . ما عدا ل ، هـ : « والإشفاق على الدون » ، تحريف جره توهم السياق المزاوجة إلى هنا .

(٤) مستنبطات الغيب : مستخرجاته وما يظهر منه .

(٥) هذا ما فى ل . وفى هـ : « عليه الطبع ويشتد به العجز » ، وسائر النسخ : « عليه الطبع ويشتد عليه العجز » .

(٦) النطف : الملطخ المتهم . والثناء : ما تصف به الإنسان من مدح أو ذم . وخص بعضهم به المدح .

(٧) زمر المروءة : قليلها .

(٨) البزلاء : الرأى الجيد ، والعقل .

(٩) يصدر : يجعل فى الصدر والمقدم . والرواء ، بالضم : المنظر ، ومادته (رأى) .

بحاله المبغِضُ الشانئ (١) ، ويُثْلَبُ بقربه القريب الدانى (٢) ، غامض الشَّخْص (٣) ضئيل الصوت ، نَزْرُ الكلام متلجلج الحُجَّة ، يتوقَّع الإسكاتَ عند كل كلمةٍ (٤) ، وهو يَرى فضْلَ مَزِيَّتِه وصريحَ لُبِّه ، وحُسن فَضِيلَتِهِ ، ولكنْ قطَعَهُ سوءُ ما جَنَى على نفسه . ولو لم تطَّلع عليه عيون الخليقة لهجست العقولُ بإدْهانه (٥). وكيف يمتنع من سقوط القَدْر (٦) وظنِّ المتفرِّس ، مَن عَرِىَ عن حِلْيَة التقوى ، وسُلِبَ طابَعَ الهُدَى . ولو لم يَتغَشَّه ثوبُ سريرته ، وقبيحُ ما احتجن إليه من مخالفته ربَّه (٧) ، لأضرَعَتْه الحجَّة (٨) ، ولفسخَه وهْنُ الخطيئة ، ولقطعه العِلْمُ بقبيح ما قارف (٩) ، عن اقتدارِ ذوى الطَّهارة فى الكلام ، وإدلالِ أهلِ البَراءة فى النِدىّ (١٠) . هذه حالُ الخاطئ فى عاجل الدُّنيا ؛ فإذا كان يومُ الجزاء الأكبرِ فهو عانٍ لا يُفَكُّ (١١) ، وأسيرٌ لا يُفَادَى ، وعاريَّةٌ لا تُؤَدَّى . فاحْذَرْ عادةَ العجز وإلف الفكاهة (١٢) ، وحبَّ الكِفاية ، وقلَّة الا كتراث للخطيئة ، والتأسُّفَ على الفائت منها ، ضعفَ النَّدمِ فى أعقابها .

أخى ، أنعَى إليك القاسىَ (١٣) ، فإنه ميِّت وإن كان متحرِّكا ، وأعْمَى وإن

---

(١) يجذل : يشتد سروره ، وذلك شماتة به .

(٢) يثلب : يعاب وينتقص .

(٣) فى ل : « الشقص » ، صوابه من سائر النسخ .

(٤) الإسكات : السكوت . قال أوس بن حجر .

لنا طرقة ثم إسكاتة كما طرقت بنفاس بكر

(٥) الإدهان : الغش والمصانعة . ما عدا ل ، هـ : « بأذهانه » .

(٦) ما عدا ل : « العذر » .

(٧) احتجن الشئ إليه : ضمَّه وأمسكه . ما عدا ل : « من مخالفة ربه » .

(٨) أضرعته : أخضعته وأذلته .

(٩) قارف الذنب : قاربه . ل فقط : « قارب » .

(١٠) الندى والنادى : مجلس القوم .

(١١) العانى : الأسير ، سمى بذلك لخضوعه .

(١٢) الفكاهة ، بالفتح مصدر ، وبالضم الاسم ، وهى المزاح وطيب النفس .

(١٣) ما عدا ل ، هـ : « العانى » .

كان رائياً . واحذر القَسْوَةَ فإنها رأسُ الخطايا ، وأمارة الطَّبَع (١) . وهى الشَّوهاء العاقر ، والداهيةُ العُقام . وأراك ترتكض فى حبائلها (٢) ، وتستقبِسُ من شَرَرِها . ولا بأس أن يعظ المُقَصِّرُ ما لم يكن هازلاً . ولن يَهلِك امرؤٌ عَرف قَدْرَه . ورُبَّ حامِلِ عِلمٍ إلى مَن هو أعلم منه . علّمنا الله وإياكم ما فيه نجاتُنا ، وأعاننا وإياكم على تأدية ما كُلِّفْنا . والسَّلام .

* * *

قال : وقلت لِحُبَابٍ (٣) : إنّكَ لتكْذِبُ فى الحديث . قال : وما عليك إذا كان الذى أزِيدُ فيه أحسنَ منه . فواللهِ ما ينفعُك صدقُه ولا يضرُّك كذبُه . وما يدور الأمرُ إلّا على لفظٍ جيِّد ومعنًى حسن . ولكنَّك والله لو أردتَ ذلك لَتَلَجْلَجَ لسانُك ، ولَذَهَب كلامك . ٧٤

وقال أبو الحسن : سَمِع أعرابىٌّ مؤذِّناً يقول : « أشهد أنّ محمداً رسولَ الله » . قال : يفعل ماذا ؟

قال : وكان يقال (٤) : أوّل العلم الصَّمت ، والثانى الاستماع ، والثالث الحِفْظ (٥) ، والرابع العمل به ، والخامس نَشْرُهُ .

أبو الحسن قال : قرأ رجلٌ فى زمن عمر بن الخطاب رحمه الله : ﴿ فإن زلَلَتم من بعد ما جاءتكم البيِّناتُ فاعلموا أنَّ الله غفورٌ رحيم (٦) ﴾ : فقال أعرابىٌّ : لا يكون .

قال : ودخل على المهدىّ صالحُ بن عبد الجليل ، فسأله أن يأذن له فى

---

(١) الطبع ، بالتحريك : تلطخ القلب بالأدناس .

(٢) ركض الطائر وارتكض : اضطرب . ماعدا ل : « تركض » .

(٣) هو حباب بن جبلة الدقاق ، متهم بالكذب ، وهو ممن روى عن مالك بن أنس . توفى سنة ٢٢٨ . لسان الميزان (٢ : ١٦٤) وتاريخ بغداد ٤٣٨٢ .

(٤) سبق الخبر فى ص ١٩٨ .

(٥) ل : « التحفظ » .

(٦) الآية ٢٠٩ من سورة البقرة . والتلاوة : « فاعلموا أن الله عزيز حكيم » .

الكلام ، فقال : تكلمْ . فقال : إنّا لمّا سهُلَ علينا ما توعَّر على غيرنا من الوصول إليك قمنا مَقام الأداءِ عنهم وعن رسول الله ﷺ ، بإظهار ما فى أعناقنا من فريضة الأمر والنهى ، عند انقطاع عُذْر الكتمان فى التّقيَّة ، ولا سيَّما حين اتَّسمْتَ بميسم التواضُع ، وَوَعَدْتَ اللهَ وحَمَلَةَ كتابه إيثارَ الحقِّ على ماسواه . فجمَعَنا وإياك مَشهدٌ من مشاهد التمحيص ، ليتمّ مُؤَدِّينا على موعود الأداء عنهم ، وقابلنا على موعود القَبول ، أو يُردَّنا تمحيصُ الله إيّانا فى اختلاف السِّرّ والعلانية ، ويحلِّينا تحلية الكاذبين [١] ؛ فقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون : مَن حجب الله عنه العِلم عذَّبه على الجهل ، وأشدُّ [٢] منه عذاباً مَن أقبل عليه العلمُ وأدبَرَ عنه . ومَن أهدى الله إليه علماً فلم يَعمل بهِ فقد رغب عن هديَّة الله وقصَّر بها . فاقبَلْ ما أهدَى الله إليك على ألسنتنا [٣] قَبولَ تحقيقٍ وعمل ، لا قَبولاً فيه سُمْعةٌ ورِيَاء [٤] ؛ فإنه لا يُعْدِمُكَ منّا إعلامٌ بما تجهل [٥] ، أو مُوَاطَأَةٌ على ما تعلم ، أو تذكيرٌ لك من غفلةٍ . فقد وَطَّنَ الله جلّ وعَزَّ ، نَبيَّه عليه السلام على نزولها تعزيةً عمّا فات ، وتحصينا من التَّمادِى ، ودلالةً على المخْرج ، فقال : ﴿ وَإما يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فاسْتَعِذْ بِاللهِ إنَّهُ هُوَ السَّمِيع العَلِيم [٦] ﴾ . فَأَطْلِعِ اللهَ على قلبك بما يُنَوِّرُ به القلوب ، من إيثار الحقِّ ومنابذة الأهواء ؛ فإنّك إن لم تفعل ذلك يُرَ أُثرك ٧٥ وأثرُ الله عليك فيه . ولا حولَ ولا قوَّةَ إلا بالله .

---

(١) ل : « حلية الكاذبين » ، وسائر النسخ ما عدا هـ : « بحلية » ، وأثبت ما فى هـ . والتحلية : الوصف .

(٢) هـ : « وأسوأ » .

(٣) ما عدا ل : « من ألسنتنا » .

(٤) السمعة ، بالضم : ما سمع به رياء ليسمع . يقال : فعل ذلك رياء وسمعة ، أى ليراه الناس ويسمعوا به .

(٥) يقال أعدمه الشئ ، إذا لم يجده . ما عدا ل : « لا يخلفك منا إعلام لما تجهل » .

(٦) الآية ٣٦ من سورة فصلت . والنزغ : الإغراء والوسوسة . وفى سورة الأعراف ٢٠٠ : « وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم » .

قال : ودخَل رجلٌ على معاوية ، وقد سقطت أسنانُه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّ الأعضاء يرثُ بعضها بعضاً . فالحمد لله [١] الذى جعلك وارثَها ولم يجعلْها وارثَتك .

* * *

وحدّثنا إسماعيلُ بن عُلَيّة قال : حدّثنا زياد بن أبى حسان ، أنّه شهد عُمَرَ ابنَ عبد العزيز رحمه الله حين دفن ابنَه عبد الملك ، فلما سُوِّىَ عليه قبرُه بالأرض ، وجعلوا على قبره خشبتَينِ من زيتونٍ ، إحداهما عند رأسه ، والأخرى عند رجليه ، ثم جَعل قبرَه بينه وبين القبلة ، واستوى قائماً وأحاط به الناس ، قال :

رحمك الله يا بُنَىَّ ، فلقد كنتَ بَرًّا بأبيك ، ومازلتُ مُذَ وهبك الله لى بك مسروراً . ولا والله ما كنتُ قطُّ أشدَّ بك سروراً ، ولا أرْجَى لحظِّى من الله فيك ، منِّى مُذْ وضعتُك فى هذا الموضع الذى صَيَّرك الله إليه . فغفر اللهُ ذنبَك ، وجَزَاك بأحسنِ عَملِك [٢] ، وتجاوَزَ عن سيِّئتك [٣] ورحم اللهُ كلَّ شافعٍ يشفع لك بخيرٍ من شاهدٍ أوْ غائب . رَضِينا بقضاء اللهِ ، وسلّمْنا لأمره . فالحمدُ للهِ ربِّ العالمين . ثم انصرف .

* * *

وحدَّثنى محمد بن عُبيد الله بن عمرو [٤] قال:أخبرنى طارق بن المبارك عن أبيه

---

(١) ل : « والحمد لله » .

(٢) ما عدا ل : « وجازاك بأحسن عملك » .

(٣) ما عدا ل : « عن سيئاتك » .

(٤) ما عدا ل : « بن عمر » . وفى الأغانى (٤ : ٩٤) : « محمد بن عبد الله بن عمرو » .

قال : قال لى عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة (١) : جاءت هذه الدَّولة وأنا حديثُ السِّنِّ ، كثيرُ العِيال ، منتشِر الأموال ، فكنتُ لا أكون فى قبيلةٍ إلا شُهِرَ أمرى ، فلمَّا رأيتُ ذلك عزمتُ على أن أفدىَ حُرَمِى بنفسى ، قال المبارك : فأرسَلَ إلىّ (٢) : أن وافِنِى عند باب الأمير سليمان(٣) بن عبد الملك . قال : فأتيته فإذا عليه طيلسانٌ أبيضُ مُطْبَقٌ (٤) ، وسراويلُ وشى مسدولة . قال : فقلت : سبحان الله ، ما تَصنع الحداثة بأهلها (٥) ، إن هذا لَيس لباسَ هذا اليوم . قال : لا والله ، ولكن ليس عندى ثوبٌ إلاّ أشهرَ مما ترى (٦) . قال : فأعطيتُه طيلَسانى وأخذتُ طيلسانَه ، ولويتُ سراويلَه إلى رُكبتَيه . قال : فدخل ثم خرجَ إلىّ مسروراً . قال : قلت : حدِّثنا ما جرى بينك وبين الأمير . قال : دخلتُ عليه ولم ٧٦ يَرَنى قبلَ ذلك ، فقلت : أصلح الله الأمير ، لفظتنى البِلادُ إليك (٧) ، ودلَّنى فضلُك

---

(١) فى الأغانى : « جاءنى رسول عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة ، فقال لى : يقول لك عمرو » .

(٢) بدل هاتين الكلمتين فى الأغانى : « وأنا صائر إلى باب الأمير سليمان بن على ، فصر إلى » ، مع حذف الجملة التى بعدهما .

(٣) ل : « سليمان » فقط .

(٤) الطيلسان والطيلس : ضرب من الأكسية ، فارسى معرب . وقيده فى التكملة بأنه أسود ، واستدل بقول المرار :

فرفعت رأسى للخيال فما أرى   غير المطى وظلمة كالطيلس

وقد فسره فى المعيار بأنه « ثوب يلبس على الكتف » ، أو « ثوب يحيط بالبدن ينسج للبس ، خال عن التفصيل والخياطة » . وأما أدى شير ففسره بأنه « كساء مدور أخضر لا أسفل له ، لحمته أو سداه من صوف ، يلبسه الخواص من العلماء والمشايخ . وهو من لباس العجم » . قلت : هو فى الفارسية : « تالسان » أو « تالشان » بكسر اللام فيهما . وقد فسره استينجاس ٢٦٧ أنه غطاء للرأس يحيط به ويتدلى منه طرف إلى أسفل . وقد ذكر أيضا فى ٨٢٤ « طيلسان » مشيرا إلى أنه مأخوذ من العربية ، وذكر من بين معانيه « العباءة » أو « الرداء » أو « غطاء للكتف » : **Tippet** . فكأن اللفظ أخذ من الفارسية ثم عاد إليها بمعنى آخر .

(٥) أى حداثة السن .

(٦) ما عدا ل ، هـ : « أشهى » تحريف .

(٧) فى الأصول : « لفظنى البلاء إليك » ، والوجه ما أثبت من الأغانى .

عليك ، فإما قبلتَنى غانماً ، وإما رددتَنى سالما . قال : ومَن أنتَ أعرفْك [١] . قال : فانتسبت له ، فقال : اقعدْ فتكلّمْ غانماً سالما . ثمْ أقبَلَ علىّ فقال : حاجتَك يا ابنَ أخى [٢] قال : قلتُ : إن الْحُرَم اللاتى أنت أقربُ الناس إليهنَّ معنا ، وأولى الناس بهنَّ بعدنا ، قد خِفْنَ بخَوْفِنا ، ومَن خاف خِيف عليه . قال : فوالله ما أجابنى إلا بدموعه على خدَّيه . قال : يا ابن أخى ، يُحْقَن واللهِ دمُك [٣] ، وتُحفَظ حرمُك ، ويُوفَّر عليك مالُك ، ولو أمكننى ذلك فى جميع قومك لفعلْت . قال : فقلتُ : أكون مُتوارياً أو ظاهراً ؟ قال : كن متوارياً كظاهر [٤] .

فكنت واللهِ أكتبُ إليه كما يكتب الرَّجُل إلى أبيه وعمّه . قال : فلما فرغ من الحديث رددتُ إليه طيلسانَه ، فقال : مهلاً ، إنّ ثيابنا إذا فارقَتْنا لم تَرْجِعْ إلينا .

★ ★ ★

---

(١) فى الأغانى : « ما أعرفك » .

(٢) ل : « يا ابن أختى » فى هذا الموضع وتاليه .

(٣) فى الأغانى وما عدا ل : « يحقن الله دمك » .

(٤) زاد بعده فى الأغانى : « وآمنا كخائف ، ولتأتنى رقاعك » .

ومن أحاديث النوكى

حديث أبى سعيد الرفاعى (١) : سُئل عن الدُّنيا والدائسة (٢) ، فقال : أمّا الدّنيا فهذه الذى أنتم فيها ، وأما الدَّائسة فهى دارٌ أخرى بائنة من هذه الدَّار، لم يَسمع أهلُها بهذه الدّار ولا بشىءٍ من أمرها،وكذلك نحنُ لم نسمع بشىء من أمرها (٣) ، إلّا أنّه قد صحّ عندنا أن بيوتَهم من قِثّاء ، وسقوفَهم من قِثّاء ، وأنعامَهم من قِثّاء ، وخيلَهم من قِثّاء ، وهم فى أنفسهم من قِثّاء ، وقِثّاؤهم أيضاً من قِثّاء .

قالوا له : يا أبا سعيد ، زعمتَ أنّ أهلَ تلك الدّار لم يَسمَعوا بهذه الدار ولا بشىء من أمرها ، وكذلك نحن لهم ، وأراك تُخْبرنا عنهم بأخبارٍ كثيرة . قال : فمن ثَمَّ أنا أعجَبُ زيادةً .

قالوا : ذَمّ رجلٌ عند الأحنف الكَمْأَةَ بالسَّمن ، فقال الأحنف : « رُبَّ مَلومٍ لاذنْبَ له (٤) » .

عبد الله بن مسلم ، عن شَبَّةَ بن عِقَالٍ (٥) ، أنّ رجلاً قال فى مجلس عُبيد ٧٧
الله بن زياد : ما أطيَبُ الأشياءِ ؟ فقال رجلٌ : ماشَىْءٌ أطيبَ من تَمْرَة نِرْسِيانٍ (٦) كأنها من آذان النَّوكى (٧) عَلَّيتَها بزُبْدة .

---

(١) ما عدا ل : « حدثت عن أبى سعيد الرفاعى أنه » .

(٢) كلمة « الدائسة » لا أصل لها . وإنما تندر سائلُهُ بهذه اللفظة ليستخرج منه ما يضحك .

(٣) من « وكذلك » إلى هنا ساقط مما عدا ل ، هـ .

(٤) فى الحيوان (١ : ٢٤) : « رب مذموم » .

(٥) هو شبة بن عقال المجاشعى ، من مجاشع رهط الفرزدق ، وكان شبة شاعراً وخطيباً . سبقت ترجمته فى (١ : ١٢٧) . وما عدا ل : « شيبة بن عقال » تحريف .

(٦) النرسيان . بكسر النون : ضرب من التمر يكون أجوده . وأهل العراق يضربون الزبد بالنرسيان مثلا لما يستطاب . ما عدا ل ، هـ : « برسيان » ، تحريف . ويقال تمرة نرسيان ، بالإضافة . وابن قتيبة يقول تمرة نرسيان بالتنوين ، يجعلها صفة أو بدلا .

(٧) أى مفرطة فى الصغر . قال فليمون الحكيم فى كتاب الفراسة ٢٩ : « أعلم أن =

وقال أوس بن جابرٍ (١) لابن عامر (٢) :

ظلّت عُقَابُ النُّوك تَخفقُ فوقَه   رِخْوٌ طَفاطِفُهُ قديمُ الملعبِ (٣)

قد ظلَّ يُوعِدنى وعينُ وَزيرِه   خضراءُ خاسفة كعَين العقربِ (٤)

يعنى بوزيره عبد الله بن عُمير الليثى (٥) ، وكان أخاه لأمّه ، أُمُّهما دَجاجة بنت أسماءَ السُّلَميَّةُ .

وقال ابن مُنَاذِر (٦) ، فى خالد بن عبد الله بن طليق الخُزَاعىّ (٧) ، وكان المهدىُّ استقضاه وعَزَل عُبيدَ الله بن الحسن العنبرىّ (٨) :

= إفراط صغر الأذنين من آيات الحمق وسوء الفهم وقلة العلم ، وأنه قلما يعدم صغير الأذنين الغدر وكثرة الشر . وأن عظم الأذنين من أعلام الحرص وصغر الهمة والدناءة . وأن أحسن الآذان أذنا وخلقة المرتفعة غير العظيمة ولا الصغيرة ، فإن رأيتها كذلك فاعلم أن هناك فطنة وعقلا وعلماً ، وأن صاحبها خليق للشدة والصرامة » .

(١) ما عدا ل ، هـ : « أوس بن جار » .

(٢) هو عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة ، المترجم فى (١ : ٣١٧) . وُلد على عهد الرسول . وأمه دجاجة بنت أسماء بن الصلت السلمية . وكانت عند عمير بن قتادة الليثى يوم الفتح خمس نسوة ، فقال له الرسول : فارق إحداهن . ففارق دجاجة فتزوجها عامر ، فولدت له عبد الله . الإصابة ٦١٨٥ .

(٣) النوك ، بالضم والفتح : الحمق . والعُقاب ، ها هنا : الراية . عنى أنه مشهور بالحمق . والطفاطف : جمع طفطفة بكسر الطاءين ، وهى مارق من الجلد من طرف الكبد . وكل لحم مضطرب طفطفة .

(٤) عنى بخضرة عينيه شدة عداوته . والعرب تجعل زرقة العين وخضرتها كذلك ، مثلا للعداوة ؛ وذلك لأن أعداء العرب الروم ، وكانوا زرق العيون . وفى اللسان : « الزرقة خضرة فى سواد العين » . خاسفة : غائرة . ما عدا ل : « خاشعة » ، تحريف .

(٥) هو عبد الله بن عمير بن قتادة الليثى . ذكره ابن حجر فى الإصابة ٦٦١٧ ، والصفدى فى نكت الهميان ١٨٤ وقال : « وهو صحابى يعدّ فى أهل المدينة . وكان أعمى يؤم قومه بنى خطمة . وجاهد مع رسول الله ﷺ وهو أعمى » .

(٦) هو محمد بن مناذر ، المترجم فى (١ : ١٨) . وقد نقل القاضى الجرجانى فى الوساطة ١٤٩ ضبط الاسم بفتح الميم ، ففيها : « قال الأصمعى : ابن مناذر جمع منذر . قال القاضى : وهو أعرف به لأنه بصرى » .

(٧) هو خالد بن طليق ، الذى مضت ترجمته فى ص ٥٨ من هذا الجزء .

(٨) ترجم فى (١ : ١٢٠) .

أتَى دهرنَا والدّهرُ ليس بمُعْتِب ... بآبدةٍ ، والدّهرُ جَمُّ الأوابِدِ (١)
بعَزْلِ عُبيدِ الله عنّا فيا لَهُ ... خلافاً وباستعمال ذى النّوكِ خالدِ
بِحَيرَانَ عن قَصْد الطريق ، تُرُدُّه ... خيانةُ سَلّامٍ ، ولحية فايدِ (٢)
أذلك من ريب الزّمان وصَرفِهِ ... وأحداثه ، أم نحن فى حُلم راقِدِ

وقال أيضاً :

قُلْ لأمير المؤمنين الذى ... مِن هاشمٍ فى سِرِّها واللُّبَابْ
إنْ كنت للسَّخْطةِ عاقبتنا ... بخالِدٍ فهْوَ أشدُّ العذابْ
أصمُّ أعمَى عن سبيل الهُدَى ... قد ضَرَب الجهلُ عليه حجابْ
يا عجباً مِن خالِدٍ كيف لا ... يُخطىء فينا مَرةً بالصَّوابْ

وقال :

خالدٌ يحكم فى النّا ... سِ بحكم الجاثَليقِ (٣)
يا أبا الهيْثمِ ما كنْـ ... ـتَ لهذا بخليـــــقِ
أىُّ قاضٍ أنت للظُّلْـ ... ـمِ وتعطيلِ الحُقوقِ (٤) ٧٨
لا ولا أنتَ لما حُمِّـ ... ـلْتَ منه بمطيقِ (٥)

وقال :

يَقطع كفَّ القاذف المفترِى ... ويجلد اللِّص ثَمانينـــا

---

(١) يقال أعتبه ، أى أرضاه ؛ كأنّه أزال عتبه . والأوابد : الدواهى .

(٢) قصد السبيل : استقامته . ترده ، أى عن الاستقامة . ما عدا ل : « تصدُّه » .

(٣) هذه الأبيات والتى قبلها فى الشعر والشعراء ٨٤٦ . وفى الأغانى (١٧ : ٢٤) :

أصبـــح الحاكم بالنـــا ... س من آل طليـــق
جالسا يحكم فى النا ... س بحكـم الجاثليـــق

والجاثليق ، بفتح الثاء : رئيس من رؤساء النصارى يكون تحته المطران ، ثم الأسقف ، ثم القسيس ، ثم الشمّاس .

(٤) هذا البيت لم يروه أبو الفرج .

(٥) فى الأغانى وما عدا ل : « ولا كنت لما » .

سَقياً ورعياً لك من حاكمٍ ... يُحْيِى لنا السُّنّةَ والدِّينا

وقال زُهرَة الأهوازىّ :

يا قومِ مَن دَلّ عَلَى عالمٍ ... يعلم ما حَدُّ حِرِ سارقِ

وقال آخر :

وإنِّى لمَضّاءٌ على الهول واحداً ... ولو ظلَّ ينهانى أخيفشُ شاحجُ (١)

تُشَبَّهُ للنّوكَى أمورٌ كثيرةٌ ... وفيها لأكياس الرِّجالِ مَخارِجُ

وقال آخر :

ولا يعرِفون الشَّرّ حتى يصيبَهُمْ ... ولا يعرِفون الأمرَ إلاّ تدبُّرا (٢)

وقال آخر :

إذا ظَعَنوا عن دارِ ضيمٍ تَعاذَلُوا ... عليها وردُّوا وفْدَهم يستقيلُها

وقال النابغة :

ولا يحَسِبون الخيرَ لا شرَّ بعدَه ... ولا يحسبون الشَّرَّ ضربةَ لازِبِ (٣)

والعرب تقول : « أخزَى الله الرّأى الدَّبَرِىَّ (٤) » .

وقالوا : وجّه الحجاج إلى مطهَّر بن عمّار بن ياسرٍ ، عبد الرحمن بنَ سُلَيم الكلبى ، فلما كان بحُلوانَ أتْبعَه الحجّاجُ مَدداً ، وعَجَّل عليه بالكتاب مع تُخَيتِ الغَلَطِ (٥) – وإنّما قيل له ذلك لكثرة غلطه – فمر تُخَيتٌ بالمَدَد وهم

---

(١) فى حواشى هـ عن نسخة : « أخينس » .

(٢) البيت لجرير فى ديوانه ٢٤٦ واللسان (دبر) برواية :

فلا تتقون الشر حتى يصيبكم ... ولا تعرفون الأمر إلا تدبرا

يقال عرف الأمر تدبرا ، أى بأخرة ، بعد فوات وقته .

(٣) ديوان النابغة ٩ . وصفهم بالاعتدال ، فإذا أصابهم خير لم يثقوا بدوامه فيبطروا ، وإذا أصابهم شر لم يرهقهم وأيقنوا أنه لا يدوم عليهم .

(٤) الرأى الدبرى : الذى يسنح أخيرا بعد فوات الأمر ، وهو بفتح الدال والباء .

(٥) ما عدا ل : « تحيت » بالحاء المهملة ، فى هذا الموضع وتاليه .

يعُرَضُون بخانِقين [1] فلما قدم على عبد الرحمن قال له : أين تركتَ مَدَدَنا ؟ قال : تركتهم يُخْنَقُون بعارضِين . قال : أو يُعرَضُون بخانقين ؟ قال : نَعَم ، اللَّهمَّ لا تُخانِقْ فى بارِكين !

ولما ذهب يجلس ضَرَطَ ، وكان عبد الرحمن أراد أن يقول له : ألَا تَغَدَّى ؟
فقال له : ألا تَضرِط . قال : قد فعلتُ أصلحك الله . قال : ما هذا أردتُ .
قال : صدقتَ ولكن الأمير غَلِطَ كما غَلِطنا. فقال : أنا غَلِطْتُ من فمى ، وغَلِط ٧٩
هو من استه .

★ ★ ★

(١) خانقين ، بكسر النون والقاف : بلدة من نواحى السواد فى طريق همذان من بغداد .

بـاب

من البَلَهِ الذى يعترى من قِبَلِ العبادة وترك التعرضُ للتجارب (١)

وهو كما قال أبو وائل : أسمعكم تقولون : الدّانِق والقِيراط ، فأيُّما (٢) أكثر ؟

قالوا : وكان عامرُ بن عبد الله بن الزُّبير (٣) فى المسجد ، وكان قد أخذ عطاءَه فقام إلى منزله ونَسِيَهُ ، فلمّا صار فى منزله وذكَرَهُ بعث رسولاً ليأتيه به ، فقيل له : وأينَ تجدُ ذلك المال ؟ فقال : سبحان الله ، أوَ يأخذ أحدٌ ما ليس له .

أبو الحسن قال : قال سَعيد بنُ عبدِ الرحمن الزُّبيرى (٤) ، قال : سُرِقتْ نعلُ عامر بن عبد الله الزُّبيرى فلم يتّخِذْ نعلاً حتّى مات ، وقال : أكره أن أتَّخِذ نعلاً فلعلَّ رجلاً يسرقُها فيأثَم .

وقالوا : إنّ الخلفاء والأئمَّة أفضلُ من الرعيّة ، وعامَّة الحكّام أفضلُ من المحكوم عليهم ولهم ؛ لأنَّهم أفقه فى الدِّين وأقْوَمُ بالحقوق ، وأَرَدُّ على المسلمين (٥) ، وعِلْمهم بهذا أفضلُ من عبادة العُبَّاد ؛ لأنّ نفعَ ذلك لا يعدو قِمَمَ رءوسهم ، ونفع هؤلاء يَخُصُّ ويعُمّ .

والعِبادةُ لا تُدَلِّه ولا تورثُ البَلَهَ إلّا لمَنْ آثَرَ الوحدة ، وتَرَك معاملة

---

(١) ما عدا ل : ، هـ : « باب » فقط .

(٢) كذا وردت فى جميع النسخ بزيادة ما وتقدير المضاف إليه .

(٣) هو عامر بن عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدى ، أحد ثقات الحديث ، من التابعين ، وكان عابداً فاضلا ، وله أحاديث يسيرة . توفى سنة ١٢١ . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٢ : ٨٤) . وسيأتى الخبر مرة أخرى فى (٣ : ١٥٦) .

(٤) هو أبو شيبة سعيد بن عبد الرحمن بن عبد الله الزبيرى الكوفى ، قاضى الرى . روى عن مجاهد ، وابن جبير ، والنخعى ، وعنه : الثورى ، وعبد الواحد بن زياد . توفى سنة ١٥٦ . تهذيب التهذيب .

(٥) أرد : أكثر رداً ، أى منفعة . ل : « أرد عن المسلمين » ، من الرد ، بمعنى الدفع .

النَّاس ، ومُجالَسةَ أهلِ المعرفة . فمن هنالك صاروا بُلْهاً [١] ، حتّى صار لا يجيءُ مِنْ أَعْبَدِهم حاكمٌ ولا إمام .

وما أحسَنَ ما قال أيّوبُ السِّخْتيانىّ [٢] ، حيث يقول : « فى أصحابى مَن أرجو دعوتَه ولا أقبل شهادته » . فإذا لم يُجَزْ فى الشَّهادة كانَ مِن أن يكون حاكماً أبعد .

وقال الشاعر :

وعاجِزُ الرّأيِ مِضياعٌ لفُرصته حتّى إذا فات أمرٌ عاتب القَدَرَا [٣]

ومِن غير هذا الباب قولُه :

إذا ما الشَّيخُ عُوتب زاد شَراً ويُعتِب بعد صَبْوته الوليدُ [٤]

وقال علىٌّ بن أبى طالب رضى الله عنه : « مِن أفضل العبادة الصَّمتُ وانتظار الفَرَج [٥] » . وقال الشاعر :

إذا تضايَقَ أمرٌ فانتظِر فرجاً فأضيقُ الأمرِ أدناهُ من الفَرَجِ [٦] ٨٠

وقال الفرزدق :

أتى وسَعداً كالحُوارِ وأمِّه إذا وَطِئَتْهُ لم يَضِرْهُ اعتمادُها [٧]

وقال أعرابىٌّ :

تُبَصِّرُنى بالعَيش عِرسى كأنما تُبصِّرنى الأمرَ الذى أنا جاهلُه
يعيش الفتى بالفقر يوماً وبالغِنى وكُلٌّ كأنْ لم يَلْقَ حين يزايلُه

---

(١) البله : جمع أبله . ما عدا ل ، هـ : « بلهاء » تحريف .
(٢) هو أيوب بن أبى تميمة السختيانى ، المترجم فى (١ : ١٩٢) .
(٣) أنشده ابن قتيبة فى عيون الأخبار (١ : ٣٤ / ٢ : ١٤١) .
(٤) يعتب : يرضى ؛ أعتبه : أرضاه . والصبوة : الميل إلى الجهل واللهو .
(٥) سبق فى ص ١٦٥ من هذا الجزء ، كما سيأتى (٣ : ٢٦٠) .
(٦) أنشده ابن قتيبة فى عيون الأخبار (١ : ٢٨٧) .
(٧) اعتمادها ، أى اتكاؤها عليه . والبيت أثبته جامع ديوان الفرزدق ص ٢١٦ نقلا عن الجاحظ .

وقال آخر :

شهدتُ وبيتِ اللهِ أنّكَ باردُ الـ ـثّنايا ، لذيذٌ لَثْمُها حين تلثَمُ

وقال آخر (١) :

اللهُ يعلـــمُ يا مغيرةُ أنّنـــى قد دُسْتُها دَوْسَ الْحِصانِ الهَيْكَلِ (٢)

وأخذتها أخْذَ المقَصِّبِ شاتَه عَجْلَانَ يَشْوِيها لقومٍ نُزَّلِ (٣)

وقال آخر :

شَهِدْتُ وبيتِ اللهِ أنّكَ باردُ الثنا يا وأن الكَشْحَ منك لطيفُ (٤)

وأنّك مشبوحُ الذِّراعين خلجمٌ وأنّك إذ تخلو بهنّ عنيفُ (٥)

وقال آخر :

فهلاً من وَزَانٍ أو حُصينٍ حَمَيْتُمْ فَرْجَ حاصنةٍ كَعَابِ (٦)

---

(١) هو العجاج ، كما فى اللسان (فتح) . وكانت زوجة الدهناء بنت مسحل قد رفعته إلى المغيرة بن شعبة فقالت له : أصلحك الله ، إنى منه بجمع – أى لم يفتضّنى – فقال العجاج هذا الشعر ، فأجابته بقولها :

والله لا تمسكنى بشم ولا بتقبيل ولا بضم

إلا بزعزاع يسلّى همى تسقط منه فتخى فى كمى

ومما قاله هو أيضا ، ماأنشده فى اللسان (هكل) .

أظنت الدهنا وظن مسحل أن الأمير بالقضاء يعجل

عن كسلاتى والحصان يكسل عن السفاد وهو طِرف هيكل

(٢) الهيكل : الفرس الطويل الضخم .

(٣) المقصب : القصاب ، وهو يأخذ الشاة بقصبتها ، أى بساقها . والبيتان أنشدهما الجاحظ فى الحيوان (٣ : ٥٦) .

(٤) أنشد الجاحظ هذين البيتين فى الحيوان (٣ : ٥٦) وآخر البيت الأول عنده : « وأن الخصر منك رقيق » ، وآخر البيت الثانى : « إذ تخلو بهن رفيق » . وذلك بعد أن روى قبلهما بيتين نسبا فى تزيين الأسواق ٤٩ إلى قيس لبنى ، وهما :

شهدت وبيت الله أنك غادة رداح وأن الوجه منك عتيق

وأنك لا تجزيننى بمودة ولا أنا للهجران منك مطيق

وقال بعدهما : « فأجابته » وأنشد البيتين الآخرين .

(٥) المشبوح : العريض . والخلجم : الجسيم العظيم .

(٦) ما عدا ل ، هـ : « من وزار » .

وأُقسِمُ أنّهُ قد حَلّ منها   محلَّ السَّيف من قَعْرِ القِرابِ

وقال آخر :

أتَرجُو أن تَسود ولن تُعنَّى   وكيف يسودُ ذُو الدَّعة البخيلُ

وقال الهذلىّ (١) :

وإنَّ سيادةَ الأقوامِ فاعلمْ   لها صَعْدَاءُ مَطْلَعُها طويلُ (٢)

وقال جريرُ بن الخَطَفى :

تريدينَ أنْ أرضى وأنتِ بخيلةٌ   ومن ذا الذى يُرضِى الأخلّاءَ بالبُخلِ (٣)

وقال إسحاقُ بنُ حسَّانَ بن قُوهِىّ (٤) : ٨١

ودونَ النَّدَى فى كل قلبٍ ثنيّةٌ   لها مَصعْدٌ حزْنٌ ومنحدَرٌ سهلُ (٥)

وَوَدَّ الفتى فى كلِّ نَيلٍ يُنيلُه   إذا ما انقضَى لو أنَّ نائلَه جَزْلُ (٦)

وقال آخر (٧) :

عزمتُ على إقامة ذِى صَباحٍ   لأمرٍ ما يُسَوَّدُ مَن يَسُودُ (٨)

وقال :

وتَعجبُ أنّ حاولتُ منك تنصُّفاً   وأعجبُ منه ما تحاوِلُ مِن ظُلمِى (٩)

---

(١) هو حبيب بن عبد الله الهذلى ، المعروف بالأعلم . انظر مخطوطة الشنقيطى من الهذليين ٦٠ – ٦١ وشرح السكرى للهذليين ٦٣ – ٦٤ .

(٢) روى فى الحيوان (٢ : ٩٥) واللسان (صعد): « وإن سياسة الأقوام » . وفى عيون الأخبار (١ : ٢٢٦) واللسان (صعد) : « مطلعها طويل » كما هنا . وفى سائر الأصول والمراجع : « مطلبها » بالباء . وقد سبق البيت فى (١ : ٢٧٥) مع سابقه قرينا له ، وسيأتى فى (٣ : ٢١٨) .

(٣) فى ديوان جرير ٤٦٠ : « تريدين أن نرضى » .

(٤) سبقت ترجمته فى (١ / ١١٥) .

(٥) مضى البيتان بدون نسبة فى (١ : ٢٧٤) . وانظر الحيوان (٢ : ٩٥) والشعراء ٨٣٣ .

(٦) أى إن طبيعة الفتيان تعاند طبيعة العامة .

(٧) هو أنس بن مدركة الخثعمى ، كما فى الحيوان (٣ : ٨١) والخزانة (١ : ٤٨٦) .

(٨) من شواهد سيبويه (١ : ١١٦) . وهو شاهد على جواز جر الظروف غير المتمكنة فى لغة خثعم . وقيل إن « ذو » فيه ، زائدة . وانظر ما سيأتى فى (٣ : ٢١٨) .

(٩) تنصفه : سأله إن ينصفه .

أبا حسنٍ يَكفيك ما فيك شاتماً   لِعِرضك من شَتْم الرِّجال ومن شتمى (١)

وقال الآخَر :

كما قال الحمارُ لسهمِ رَامٍ   لقد جُمِّعتَ من شتَّى لأمرِ (٢)

أراك حديدةً فى رأس قِدْحٍ   ومتنِ جُلالة مِن ريشِ نَسْرِ (٣)

وقال الآخَر :

إذا ما مات مثلى ماتَ شىءٌ   يموت بموتــه بَشَرٌ كثيرُ

وأشعَرُ منه عَبْدة بن الطُّبيب (٤) ، حيث يقول فى قيس بن عاصم (٥) .

فما كان قيسٌ هُلْكُهُ هُلْكَ واحدٍ   ولكنَّه بُنيانُ قومٍ تَهَدَّمَا (٦)

وقال امرؤ القيس فى شبيه بهذا المعنى :

فلو أنَّها نفسٌ تَموتُ سَوِيَّةً   ولكنَّها نَفسٌ تُساقِطُ أنْفُسا (٧)

وقال الآخر :

وزهَّدَنِى فى صالحِ العيش أنَّنى   رأيتُ يدِى فى صالح العَيش قَلَّتِ

وقال مَعْنُ بن أوس :

---

(١) يقول له : لست محتاجاً إلى شتم ، فما فيك من عيب ظاهر ، يكفى شاتمك مؤونة الشتم .

(٢) من شتى ، أى من أشياء شتى مختلفة .

(٣) القدح ، بالكسر : السهم قبل أن يجعل فيه النصل والريش . والجلالة ، بالضم : العظيمة ؛ عنى بها ريشة النسر . والمتن : الظهر ، وهو الجانب القصير من الريش ، وهو أفضل ما يراش به السهم .

(٤) عبدة هذا بسكون الباء ، ترجم فى (١ : ١٢٢) .

(٥) ترجم فى (١ : ٢١٨) .

(٦) البيت من أبيات رواها أبو تمام فى الحماسة (١ : ٣٢٨) وأبو الفرج فى الأغانى (٩ : ٩٣ / ١٢ : ١٤٨) .

(٧) البيت فى ديوانه ١٤٢ برواية : « تموت جميعة » . و « تساقط » ينبغى أن تقرأ فى رواية الجاحظ بضم التاء وكسر القاف . ومعناه يموت بموتها بشر كثير . وذلك لتتساوق الشواهد . وهى رواية الوزير أبى بكر . ورواه الأصمعى : « تَساقط » بحذف إحدى التاءين ، أى تتساقط . يقول : لو أنى أموت بدفعة ، ولكن نفسى لما بها من المرض تقلع قليلا قليلا ، وتخرج شيئاً شيئاً . وليست هذه الرواية بمرادة هنا .

ولقد بدا لى أنَّ قلبَكَ ذاهلٌ عنِّى ، وقلبى لو بدا لك أذْهَل (١)
كلٌّ يجامِلُ وهو يُخفِى بُغضَه إنَّ الكريم على القِلَى يتجمَّلُ

وقال ركَّاض (٢) : ٨٢

تُرامِى فنَرمِى نحن مِنهُنّ فى الشَّوَى ويَرمِين لا يَعْدِلْنَ عن كبِدٍ سهما (٣)
إذا ما لبِسْنَ الحلىَ والوشىَ أشرقَتْ وجوهٌ ولَبَّاتٌ يُسلِّبْنناَ الحِلْما (٤)
ولُثْنَ السُّبوبَ خِمْرَةً قُرَشِيَّةً زُبيرِيَّةً يُعْلَمْنَ فى لَوثِها عِلْما (٥)

وقال آخر :

أعلِّل نفسى بما لا يكون كما يَفعلُ المائِق الأحمَقُ (٦)

وقال آخر :

تولَّتْ بهجة الدُّنيا فكلُّ جديدِها خَلَقُ
وخانَ النَّاسُ كلُّهمُ فما أدرى بمَنْ أثِقُ
رأيتُ معالمَ الخيرا تِ سُدَّت دونَها الطُّرُقُ
فلا حَسَبٌ ولا أَدَبٌ ولا دينٌ ولا خُلُقُ

وقال أبو الأسود الدؤلىّ (٧) :

---

(١) البيتان لم يرويا فى ديوان معن بن أوس . وسعيد إنشادهما فى (٣ : ٢٠٧) .

(٢) كلمة « ركاض » ساقطة من ل .

(٣) الشوى : الأطراف ، واليدان والرجلان ، وكل ما ليس مقتلا .

(٤) الوشى : ثياب موشية ذات ألوان . والوشى: خلط لون بلون . واللبة ، بالفتح : وسط الصدر والمنحر ، وهو موضع القلادة . والحلم ، بالكسر : الأناة والعقل .

(٥) السبوب : جمع سب ، بالكسر ، وهو خمار المرأة الذى تغطى به رأسها . ولاثت المرأة السب : أدارته وطوته . ما عدا ل ، هـ : « ولين السبوب » تحريف . والخمرة بكسر الخاء المعجمة : هيئة الاختمار . وفى جميع النسخ ما عدا هـ : « حمرة » تحريف . اللوث : الإدارة والطى . ما عدا ل ، هـ : « فى لونها » ، تحريف .

(٦) المائق : الشديد الحمق والغباوة .

(٧) ذكر أبو الفرج فى الأغانى (١١ : ١١٢) من سبب هذا الشعر ، أنه كان لأبى الأسود جار فى ظهر داره ، له باب إلى قبيلة أخرى ، وكان بين دار أبى الأسود وبين داره باب مفتوح يخرج منه كل واحد منهما إلى قبيلة صاحبه إذا أرادها ، وكان الرجل ابن عم أبى الأسود دِنية : وكان شرسا سيئ الخلق ، فأراد =

لنا جِيرةٌ سَدُّوا المجازةَ بيننا ... فإنْ ذكَّروكَ السَّدّ فالسَّدُّ أكيَس (١)
ومِن خير ما أَلصقْتَ بالدّار حائطٌ ... تَزِلُّ به صُقْعُ الخطاطيف أَمْلَسُ (٢)

وقال آخر :

عُقِمَتْ أمٌّ أتَتْنَا بكُمُ ... ليس منكم رَجُلٌ غيرُ دَنِى
وإذا ما الناس عَدُّوا شرفاً ... كنتمُ من ذاك فى بالٍ رَخِى (٣)

وقال آخر :

قد بلوناكَ بحمدِ ا ... للهِ إن أغنَى البَلاءُ (٤)
فإذا كلٌّ مواعيـ ... ـدِك والجحدُ سواءُ

وقال آخر :

ولقد هززتُكَ بالمديـ ... ـحِ فكنتَ ذا نفسٍ لكيعَهْ
أنت الرّقيع بن الرّقيع ... بنِ الرّقيع بن الرَّقيعَهْ

= سد ذلك الباب فقال له قومه : لا تضر بأبى الأسود وهو شيخ ، وليس عليك فى هذا الباب ضرر ولا مؤنة . فأبى إلا سده ، ثم ندم على ذلك لأنه أضر به ، فكان إذا أراد سلوك الطريق التى كان يسلكها منه بعد عليه ، فعزم على فتحه ، فبلغ ذلك أبا الأسود فمنعه منه وقال :

بليت بصاحب إن أدن شبرا ... يزدنى فى مباعدة ذراعا
وإن أمدد له فى الوصل ذرعى ... يزدنى فوق قيس الذرع باعا
أبت نفسى له إلا اتباعا ... وتأبى نفسه إلا امتناعا
كلانا جاهد أدنو وينأى ... فذلك ما استطعت وما استطاعا

وقال فيه أيضا البيتين الذين رواهما الجاحظ . وفى ذك يقول أيضا :

أعصيت أمر أولى النهى ... وأطعت أمر ذوى الجهاله
أخطأت حين صرمتنى ... والمرء يعجز لا المحاله
والعبد يقرع بالعصا ... والحر تكفيه المقاله

(١) الجار يجمع على أجوار وجيرة وجيران ، ولا نظير له إلا قاع ، وأقواع وقيعة وقيعان . والمجازة : الموضع يجاز ، أى يسلك . والبيتان فى (٣ : ٢٢٩) أيضا .

(٢) تزل : تزلق وتسقط . والصقع : جمع أصقع ، وهو من الطير ماكان على رأسه بياض . وفى الأغانى : « سفع » جمع أسفع ، وهو الأسود .

(٣) يقال : هو فى بال رخى ، أى فى سعة وخصب وأمن : لا يكترث لشئ .

(٤) البيتان فى الحيوان (٧ : ١٥٣) وعيون الأخبار (٣ : ١٤٥) .

٨٣ وقال :

لكلِّ أُناسٍ سُلَّمٌ يُرتَقَى به وليس إلينا فى السَّلاليم مَطلعُ (١)
وغايتُنا القُصوَى حِجازٌ لمن به وكلُّ حجازٍ إن هبطناه بلقعُ (٢)
ويَنفِر منّا كلُّ وحشٍ وينتمى إلى وَحْشِنا وحْشُ البلادِ فيرتَعُ (٣)

وقال آخر (٤) :

لو جَرَتْ خيلٌ نُكوصاً لجرتْ خيلُ ذُفافَه (٥)
هى لا خيلُ رجاءٍ لا ولا خيلُ مَخافَه

وقال الخُرَيمىّ (٦) :

---

(١) ل : « السلالم » ، وهما جمع سلم . وقد أنشد فى اللسان قول ابن مقبل :

لا تحرز المرء أحجاء البلاد ولو يبنى له فى السموات السلاليم

ثم قال : « احتاج فزاد الياء » . وزيادة الياء فى مثله مطرد عند أهل الكوفة .

(٢) الحجاز : الحاجز . يقول : إن أرضنا هذه حجاز حافظ لمن هو فى داخله ، فهو يستعصم به فيأمن ؛ وأما أرض غيرنا فإنها مباحة مقتحَمة الحجاز ، ولا سيما إذا هبطناها .

(٣) يقول : نحن لكثرتنا ووفرة حصاننا ينفر منا الوحش ، على حين يأنس الوحش إلى بعض ما يلم بأطرافنا من وحش ، فهو يرهبنا ولا يرهبه .

(٤) لعله مكنف أبو سلمى ، من ولد زهير بن أبى سلمى ، وكان يهجو ذفافة العبسى . الأغانى (١٥ : ١٠٣) .

(٥) ذفافة ، هذا ، هو أبو العباس ذفافة بن عبد العزيز ، أحد رجال الدولة العباسية . وهو الذى نبا سيفه حين طلب إليه الرشيد أن يضرب أعناق أحد أسرى الروم ، فقيل فى ذلك :

أبقى ذفافة عاراً بعد ضربته عند الإمام لعبس آخر الأبد

الأغانى (١٨ : ٧٣) . وقد رثاه بعد موته أبو سلمى مكنف بقصيدة رائعة ، قالوا : إن أبا تمام سرق أكثرها . ومن تلك القصيدة :

ألا أيها الناعى ذفافة والندى تعست وشلت من أناملك العشرُ

ومن شعر ذفافة يهجو الربيع بن عبد الله الحارثى وقد أهدى إليه طبق تمر :

بعثت بتمر فى طبيق كأنما بعثت بياقوت توقد كالجمرِ
فلو أن ما تهدى سَنيا قبلته ولكنما أهديت مثلك فى القدر
كأن الذى أهديت من بعد شقة إلينا من الملقى على ضفة الجسر

(٦) هو إسحاق بن حسان المترجم فى (١ : ١١ ، ١١٥) .

اخلَعْ ثيابَك من أبى دُلَف واهرُبْ من الفجفاجة الصَّلِف (١)
لا يُعْجِبنّك من أبى دُلَف وجهٌ يضيءُ كدُرَّةِ الصَّدَفِ
إنى وجدت أخى أبا دُلَف عندَ الفَعال مُوَلَّدَ الشَّرَفِ

وأنشد ابنُ الأعرابى :

أهلكَتْنى بفلانٍ ثِقَتى وظُنونٌ بفلانٍ حَسَنَهْ
ليس يَستوجِب شكراً رجلٌ نلتُ خيراً منه مِن بَعدِ سَنَهْ
كنتُ كالهادِى من الطَّير رأى طمَعاً أدخله فى مَسْجَنَهْ (٢)
زادنى قربُ صديقى فاقةً أُورثَتْ من بعد فقر مَسْكَنَهْ

وأنشدنا (٣) :

إذا المرءُ أُولاك الهوانَ فأُوْلِه هواناً وإن كانَتْ قريباً أواصِرُهْ (٤)
فإنْ أنتَ لم تقدِرْ على أن تُهينَه فذَرْهُ إلى اليوم الذى أنت قادرُهْ (٥)
وقارِبْ إذا ما لم تكن بِك قُدْرَةٌ وصمِّم إذَا أيقنتَ أنَّك عاقرُه (٦)

٨٤ وقال بعضُ ظرفاء الأعراب :

وإذا خشيتَ من الفُؤاد لَجَاجةً فاضربْ عليه بجُرْعةٍ من رائبِ (٧)

وهذا من شكل قوله :

ذكرتُكِ ذِكرةً فاصطدتُ ظبياً وكنت إذا ذكرتُكِ لا أُخيبُ

---

(١) الفجفاجة : الكثير الكلام والفخر بما عنده . والمذكور فى المعاجم « الفجفاج » وجعلوا الأنثى « فجفاجة » بالهاء ، فهذا قد جعل الهاء لتأكيد المبالغة . والصلِف من الصلَف وهو الغلو فى الظرف والزيادة على المقدار ، مع تكبر . وقد عنى المتكبر .

(٢) الهادى : المتقدم ، أراد به أول سرب الطير .

(٣) الشعر لأوس بن حَبناء ، رواه أبو تمام فى الحماسة (١ : ٢٦٦) . وسيأتى هذا البيت مع قرين آخر فى (٣ : ٦١) .

(٤) الأواصر : جمع آصرة ، وهى القرابة .

(٥) قادره ، أى قادر فيه .

(٦) ما عدا ل : « لك قدرة » . وفى الحماسة : « لك حيلة » .

(٧) الرائب : اللبن الخاثر ، أو الممخوض .

وقال بعض المُحْدَثين :

ما أشْبَهَ الإمْرَةَ بالوصْلِ   وأشبَهَ الهِجْرانَ بالعَزْلِ (١)

وقال الخنساء :

لم تَرَهُ جارة يمشى بساحتها   لريبةٍ حين يُخلى بيتَه الجارُ
مثلُ الرُّدينىّ لم تَدْنَس عمامتُه   كأنه تحت طىّ البُرْدِ أُسوارُ (٢)

وقال آخر :

ناديت هَيْذَان والأبوابُ مُغْلَقَةٌ   ومِثْلِ هيذانَ سَنَّى فتحةَ البابِ (٣)
كالهُنْدُوانىّ لم تُفْلَل مَضاربُه   وَجْهٌ جميلٌ وقلبٌ غير وجَّابِ

وقال آخر :

أرى كلَّ ريحٍ سوف تسكن مَرَّةً   وكلَّ سماءٍ ذات دَرٍّ سَتُقْلِعُ (٤)
ولستُ بقَوَّالٍ إذا قام حالبٌ :   لك الويلُ لا تَجْهَدْ لعلّك تُرضِعُ (٥)
ولكن إذا جادت بما دُونَ حَلْبِها   جَهِدْنا ولم نَمذُق بما نَتَوَسَّع (٦)

وقال آخر :

تَمَنَّى رجال أن أموت وغايتى   إلى أجلٍ لو تعلمونَ قَريبِ (٧)

---

(١) أراد : وأشبه العزل بالهجران ، فقلت مبالغة .

(٢) الردينى : الرمح ، منسوب إلى « ردينة » زعموا أنها وزوجها « سمهر » كان يقوّمان الرماح بخط هجر . والأُسوار ، بضم الهمزة وكسرها : واحد الأساورة ، وهم الفرسان المقاتلون من الفرس . وفى ديوان الخنساء ٤٤ : « لم تنفد شبيبته » .

(٣) سبق البيتان فى (١ : ٤١) . وفى العقد (٣ : ٣٩) أن على بن أبى طالب كان يتمثل بهذين البيتين . والرواية فيه محرفة .

(٤) درة السحاب : صبه واندفاقه .

(٥) ترضع ، أى لعلك تحتاج إلى أن ترضع صغارها ، وبفتح التاء بمعنى تنال لبنها .

(٦) المذق : خلط اللبن بالماء ، وفعله من باب نصر .

(٧) ما عدا ل : « أقصى مداه قريب » .

وما رغبتى فى أرذَلِ العُمر بعدما　　　لبِست شبابِى كلَّه ومَشِيبِى (١)
وأصبحتُ فى قَومٍ كأنْ لستُ مِنهم　　　وبادَ قُرونى منهمُ وضُرُوبى (٢)

٨٥ وأنشد :

رأيت النَّاسَ لمّا قَلّ مالى　　　وأكثرتُ الغَرامةَ ودَّعونى (٣)
فلمّا أن غنِيت وثاب وَفْرى　　　إذا هُمْ لا أبالَكَ راجَعُونى (٤)

وقال الآخر :

وكنَّا نَسْتَطِبُّ إذا مرِضْنا　　　فصار سَقامُنا بيَدِ الطّبيبِ
فكيفَ نُجيزُ غُصَّتَنا بشئ　　　ونَحْنُ نَغَصُّ بالماء الشَّرِيب (٥)

وقال عدىُّ بنُ زيد :

لو بغير الماء حلقى شَرِقٌ　　　كنتُ كالغَصَّان بالماءاعتصارِى (٦)

وقال التُّوتُ اليَمانىّ ، ويروى « التُّوب » بالباء ، والتُّوت هو الصَّواب . وهو المعروف بتُويتٍ ، فكبَّره هنا (٧):

---

(١) أرذل العمر : آخره ، فى حال الكبر والعجز . ما عدا ل : « فى آخر الدهر » .

(٢) القرون : جمع قرن ، بالفتح ، وهو مثلك فى السن ، تقول : هو على قرنى ، أى على سنى . وأما الأقران فجمع قرن ، بالكسر ، وهو الكفء والنظير فى الشجاعة والحرب . والضروب : جمع ضرب ، بالفتح ، وهوالشبيه .

(٣) الغرامة ، بالفتح : الدَّين .

(٤) ثاب : رجع . والوفر : الغنى واليسار .

(٥) الغصة : الشرق بالطعام أو بالماء . والشريب : العذب . وانظر ٢٧١ .

(٦) الاعتصار : أن يغص بالطعام فيعتصر بالماء ، وهو أن يشربه قليلا قليلا . والبيت من أبيات رواها أبو الفرج فى (٢ : ٢٤) ، أولها :

أبلغ النعمان عنى مألكا　　　أننى قد طال حبسى وانتظارى

وانظر الحيوان (٥ : ١٣٨ : ٥٩٣) .

(٧) ل : « وقال اللوب اليمانى » .وذكره فى الأغانى (٢٠ : ٧٩) بلفظ « نويب اليمامى » بالنون فى أوله والباء فى آخره . و « اليمامى » نسبة إلى اليمامة . قال أبو الفرج : نويب لقب له ، واسمه عبد الملك ابن عبد العزيز السلولى ، أحد الشعراء اليماميين من طبقة يحيى بن طالب وبنى أبى حفصة وذويهم . ولم يفد إلى خليفة ، ولا وجدت له مديحاً فى الأكابر والرؤساء ، فأخمل ذلك ذكره . وكان شاعراً فصيحاً ، نشأ باليمامة وتوفى بها . وانظر ما سيأتى فى (٣ : ٢٥٩) .

على أىِّ بابٍ أطلبُ الإذْنَ بعدما … حُجِبْتُ عن الباب الذى أنا حاجبُه

وقال الآخر :

لا تَضجرَنَّ ولا تَدْخُلْكَ مَعْجَـزةٌ … فالنُّجحُ يَهلِكُ بين العجز والضَّجَرِ (١)

وقال محمد بن يَسير (٢) :

إنّ الأمورَ إذا اسْتدَّت مسالكُها … فالصَّبر يفتح منها كُلَّ ما ارْتُتِجَا (٣)

لا تَيْأَسَنَّ وإن طالتْ مطالبةٌ … إذا استعنْتَ بصبرٍ أن ترَى فَرجَا

أخلِقْ بذى الصبر أن يحظَى بحاجتِه … ومُدْمِنِ القَرع للأبوابِ أن يَلِجَا

لا يمنعنّك يأسٌ من مُطالَبةٍ … فَضَيِّق السُّبْل يوماً رُبَّما انْتُهِجَا (٤)

وقال بعضُ ظُرفاء الأعراب :

وإنَّ طعاماً ضمَّ كفِّى وكفَّها … لعمرك عندى فى الحياةِ مُبارَكُ

فمِن أجْلِها أستوعِبُ الزّاد كلَّه … ومِن أجْلها تُهوى يدى فتُدَارِكُ (٥)

وقال : ٨٦

كأنِّىَ لمَّا مسنَّى السَّوط مُقْرَمٌ … من العُجْم صَعْبٌ أنْ يقاد نَفُورُ (٦)

---

(١) المعجزة ، بفتح الميم : العجْز .

(٢) سبقت ترجمته فى (١ : ٦٥) .

(٣) يقال سده يسده سدا ، فانسد واستد . وارتتج بالبناء للمفعول : استغلق . والأبيات من مقطوعة فى الأغانى (١٢ : ١٣٢) ، أولها :

ماذا يكلفك الروحات والدلجا … البر طوراً وطوراً تركب اللججا

كم من فتى قصرت فى الرزق خطوته … ألفيته بسهام الرزق قد فلجا

(٤) هذا البيت من ل فقط ، ولم يروه أبو الفرج أيضاً . وفى أساس البلاغة : « ونهجت الطريق : بيَّنته . وانتهجته : استبنته » .

(٥) الإهواء : التناول باليد . والمداركة : المتابعة .

(٦) المقوم : البعير المكرم المودع ، الذى لايحمل عليه ولا يذلل . والعجم : جمع أعجم ، وهو ما لا يفصح من الإنسان والحيوان . قال :

يقول الخنا وأبغض العجم ناطقاً … إلى ربنا صوت الحمار اليجدع

فكم قد رأينا من لئيمٍ موطّإٍ ... صَبورٍ على مَسِّ السِّياط وَقُورِ (١)
وذى كَرَمٍ فى القوم نَهْدٍ مُشيَّعٍ ... جَزوعٍ على مسِّ السياط ضَجُورِ (٢)

وقال أُحَيحة بن الجُلَاحِ (٣) :

استغْنِ عن كلِّ ذى قُرْبَى وذى رَحِمٍ ... إنَّ الغنىَّ مَن استغنى عن الناسِ
والبَسْ عدوَّك فى رِفقٍ وفى دعَةٍ ... لِباسَ ذى إربة للدَّهْرِ لَبَّاسِ (٤)
ولا تَغُــرَّنْك أضغـــانٌ مُزَمَّلَـــةٌ ... قد يُضْرَبُ الدَّبِرُ الدَّامى بأحْلاسِ (٥)

وقال أُحَيحةُ أيضاً :

استغْنِ أوْ مُتْ ولا يَغْرُرْك ذو نشَبٍ ... مِن ابن عمٍّ ولا عَمٍّ ولا خالِ (٦)
إنّى أُكِبُّ علَى الزَّوْراء أعْمُرها ... إنَّ الكريمَ على الإخوان ذو المالِ (٧)
يَلوُون ما عندهم من حَقِّ أقربِهمْ ... ومن عشيرتِهم والمال بالوالى (٨)

---

(١) الموطأ : المذلل . والوقور : الساكن الرزين .

(٢) النهد : الجسيم القوى . والمشيع : الشجاع الذى لا يخذله قلبه ، فكأنه يشيعه .

(٣) هو أحيحة بن الجلاح الأوسى ، كان سيد الأوس فى الجاهلية ، وكانت سلمى أم عبد المطلب بن هاشم تحته ، وكانت لا تنكح الرجال إلا وأمرها بيدها ، فتركته لشئ كرهته منه فتزوجها هاشم ، فولدت له عبد المطلب . وكان أحيحة كثير المال شحيحاً عليه ، يبيع بيع الربا بالمدينة حتى كاد يحيط بأموالهم ، وكان له تسع وتسعون بئراً . وهو إلى ذلك شاعر رقيق الشعر . انظر الأغانى (١٣ : ١١٤ – ١٢٢) والخزانة (٢ : ٢٣ – ٢٤) .

(٤) الأربة ، بضم الهمزة وكسرها : الدهاء والبصر بالأمور ، ومنه الأريب . ولبس الدهر : أن يجعل المرء نفسه وفقاً لزمانه وظروفه .

(٥) الأضغان : الأحقاد . والمزملة : المستورة . والدبر : البعير تصيبه الدبرة ، وهى بالتحريك : القرحة . والأحلاس : جمع حلس ، وهو بالكسر والتحريك : كل شئ ولىَ ظهر البعير والدابة تحت الرحل والقتب والسرج . يقول : ربما نشأ الضرر من الأمور الخفية التى لا ينتبه إليها . وروى فى حماسة البحترى ٩ : « قد يركب الدبر الدامى » .

(٦) النشب : المال والعقار . والأبيات فى الأغانى (١٣ : ١١٤) ، وثانيها فى حماسة البحترى ٣٤٤ . وهى مع أخوات لها فى معجم البلدان (٤ : ٣١٢) .

(٧) الزوراء : أرض كانت لأحيحة بن الجلاح ، سميت ببئر كانت فيها . عن ياقوت . البحترى : « ولن أزال على الزوراء » ، وفى الأغانى والبلدان : « إنى أقيم على الزوراء » وعند البحترى وياقوت : « إن الحبيب إلى الإخوان » .

(٨) لوى الحق : مطل فى أدائه . و « المال بالوالى » كذا وردت أيضاً فى معجم البلدان . وفى الأغانى : « والحق للوالى » .

وقال آخر :

سأبغيكَ مالاً بالمدينة إنّنى ... أرى عازبَ الأموال قلَّت فواضِلُه (١)

وقال آخر :

ولا خيرَ فى وصلٍ إذا لم يكن له ... على طولِ مَرِّ الحادثاتِ بقاءُ

وقال العَبَّاس بن الأحنف :

لم يَصْفُ حُبٌّ لمعشوقَين لم يَذُقَا ... وَصْلاً يُمِرُّ على من ذاقَهُ العسلُ (٢)

وقال بعض [سفهاء] الأعراب :

لا خيرَ فى الحُبِّ أبا السَّنَوَّرِ ... أو يلتقى أشْعَرُها وأشْعَرِى

* وأُطبِقَ الخُصيةَ فوق المَبْعَرِ *

٨٧ وقال آخر :

وحظُّكَ زورةٌ فى كلِّ عامٍ ... موافَقَةً على ظهر الطَّريقِ (٣)

سلاماً خالياً من كلِّ شىءٍ ... يعودُ به الصَّديقُ على الصَّديقِ

وقال عُطارِد بن قُرّان (٤) :

---

(١) أبغاه مالاً : أعانه على طلبه . والعازب : الذى يرعى بعيداً عن أهله .

(٢) من ذاقه ، أى ذاقه ذلك الوصل . ولم يرد هذا البيت فى ديوان العباس .

(٣) كذا وردت فى الأصول ، بتقديم الفاء على القاف . وفى اللسان : « تقول وافقت فلاناً فى موضع كذا . أى صادفته » . وسيعاد إنشادهما فى (٣ : ٢٠٧) .

(٤) ذكره المرزبانى فى معجمه ٣٠٠ وقال : « أحد بنى صدَىّ بن مالك . هجا جريراً عند هجاء جرير للمرار البرجمى ، فطلبت بنو صدى بن مالك إلى جرير أن يهبه لهم ، فقال جرير :

وهبت عطارداً لبنى صدى ... ولولا غيره علك اللجاما

وحبس بنجران فقال :

لقد هزئت منى بنجران أن رأت ... قيامىَ فى الكبلين أم أبانِ

كأن لم ترَىْ قبلى أسيراً مكبلا ... ولا رجلا يُرمَى به الرجوان

كأنى جواد ضمه القيد بعد ما ... جرى سابقاً فى حلبة ورهان

خليلى ليس الرأى فى صدر واحد ... أشيرا علىَّ اليوم ما تريان

أأركب صعب الأمر إن ذلوله ... بنجران لا يرجى لحين أوان =

ولا يَلبَثُ الحبلُ الضَّعيف إذا التوى ... وجاذَبه الأعداءُ أن يتجذَّما (١)
وما يستوى السَّيفانِ : سيفٌ مؤنَّثٌ ... وسيفٌ إذا ما عَضَّ بالعَظْمِ صَمّمَا (٢)

وقال طُرَيح بن إسماعيل (٣) ، فى الوليد بن يزيدَ بن عبد الملك :

سعيتُ ابتغاءَ الشُّكر فيما صنعتَ بى ... فقصَّرْتُ مَغْلُوباً وإنِّى لَشاكـرُ
لأنك تعطينى الجزيـل بُداهـةً ... وأنت لمَا استكثرتُ من ذاك حاقِرُ (٤)
فأرجِعُ مغبوطاً وتَرْجِعُ بالتّى ... لها أوّلٌ فى المكرُماتِ وآخِرُ
وقد قلتُ شعراً فيك ، لكن تقُولُه ... مكـارِمُ مما تَبتنِى ومَفاخِـرُ
قواصِرُ عنها لم تُحِطْ بصِفاتها ... يُرادُ بها ضَرْبٌ من الشِّعر آخِرُ

وقال آخَرُ ، مسلم بن الوليد (٥) :

لعلَّ له عُذرًا وأنت تَلُومُ ... وكم لائمٍ قد لَامَ وهو مُليمُ

وأنشد أيضاً :

فكم مِن مُليمٍ لم يُصَبْ بمَلامَةٍ ... ومتَّبَعٍ بالذنب ليس له ذَنبُ
وكم مِن محبٍّ صَدَّ مِن غير عِلّةٍ ... وإن لم يكن فى وصل خُلّته عَتْبُ

= وحبس أيضاً بحجر فقال :

يقودنى الأخشن الحداد مؤتزراً ... يمشى العِرَضْنَةَ مختالا بتقييدى
إنى وأخشَن فى حجر لمختلفا ... حالٍ ، وما ناعم حالا كمجهود »

(١) التجذم : التقطع . ب ، حـ : « يتخذما » ، وهى صحيحة أيضا بمعنى يتقطع .

(٢) المؤنث والأنيث : الذى ليس بقاطع . والمصمم من السيوف : الذى يمضى فى العظام .

(٣) هو طريح بن إسماعيل الثقفى ، نشأ فى دولة بنى أمية ، وجعل شعره فى الوليد بن يزيد ، وأدرك دولة بنى العباس ، ومات فى أيام المهدى . وكان الوليد يكرمه ويقدمه لانقطاعه إليه ولخؤولته من ثقيف . الأغانى (٤ : ٧٤ – ٨٢) . والأبيات التالية فى الحماسة (٢ : ٣٦٤) ، وأولها فى حماسة البحترى ١٦ .

(٤) البداهة ، بضم الباء وفتحها : أول كل شئ وما يفجأ منه . وفى الحماسة : « بديهة » .

(٥) كلمة « مسلم بن الوليد » من ل فقط .

كما قال الأحنف : « رُبّ مَلُومٍ لا ذنبَ له [١] » .

وقال ابنُ المقفَّع :

فلا تَلُمِ المرءَ فى شانه فَرُبّ مَلُومٍ ولم يُذْنبِ ٨٨

وقال سعيدُ بنُ عبد الرحمن بنِ حسَّانَ بن ثابت الأنصارىّ [٢] :

وإنّ امرأً يُمسى ويُصبِحُ سالماً من الناس إلّا ما جَنَى لسَعيدُ [٣]

* * *

[آخر الجزء الثانى من تجزئة المصنف]

---

(١) انظر ما سبق فى ٣٤٤ س ١٠ – ١١ .

(٢) وهذه النسبة أيضاً فى الحيوان (٣ : ٥١) . وجاء فى عيون الأخبار (٢ : ١٢) : « وقال حسان : قلت شعراً لم أقل مثله » . وأنشد البيت .

(٣) إلا ما جنى ، أى إلا جزاء ما جنى . ل : « أمسى وأصبح سالما » .

فهرس الأبواب

صفحة

صفحة

مكتبة الجاحظ
أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ
١٥٠ - ٢٥٥

بتحقيق وشرح
عبد السلام محمد هارون

الكتاب الثاني

البيان والتبيين

الجزء الثالث

الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة

صف هذا الكتاب بطريقة الجمع التصويرى

مكتبة الخانجى

للطباعة والنشر والتوزيع

ص . ب ١٣٧٥ القاهرة

الطبعة السابعة

١٤١٨ هـ = ١٩٩٨ م

مطبعة المدني المؤسسة السعودية بمصر
٦٨ شارع العباسية - القاهرة - ت : ٤٨٢٧٨٥١

البيان والتبيين

تأليف

أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

الجزء الثالث

بتحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

أول الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب العصا (١)

هذا أبقاك الله الجزء الثالث ، من القول فى البيان والتبيين (٢) ، وما شابَهَ (٣) ذلك من غُرَرِ الأحاديث ، وشاكَلَه من عُيون الخُطب ، ومن الفِقَرِ المستحسَنة ، والنُّتَف المستخرَجة ، والمُقَطَّعات المتخيَّرة ، وبعضِ ما يجوز فى ذلك من أشعار المذاكَرة ، والجواباتِ المنتخَبة .

ونبدأُ على اسم الله بذكر مذهب الشعوبية (٤) ومن يتحلَّى باسم التَّسوِيَة (٥)

---

(١) ما عدا ل : « هذا كتاب العصا » . وبعد العنوان : « الحمد لله ولا قوة إلا بالله وصلى الله تعالى على محمد خاصة وعلى أنبيائه عامة » .

(٢) ل ، هـ : « والتبين » .

(٣) ل ، هـ والتيمورية : « وما شاب » .

(٤) الشعوبية : نسبة غير قياسية إلى « الشعوب » ، وهم فريق من الناس لا يرون للعرب فضلا على غيرهم ، بل يبالغون فى ذلك فيذهبون إلى تنقصهم والحط من قدرهم ، حتى ألفوا فى ذلك الكتب . وسموا بذلك لانتصارهم للشعوب ، التى هى مغايرة للقبائل ؛ فقد قال جمع من المفسرين فى قوله تعالى : (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل) : إن القبائل العرب ، والشعوب العجم . ويقولون : إن زياد بن أبيه حين استلحقه معاوية بأبيه وخشى ألا تقر العرب له بذلك ، صنع كتاب « المثالب » وعدد نقائص العرب . كما أن النضر بن شميل الحميرى وخالد ابن سلمة المخزومى وضعا كتابا فى مثالب العرب ومناقبها ، بأمر هشام بن عبد الملك . وكان الهيثم بن عدى دعيا فى نسبه ، فصنع كتابا طعن فيه على أشراف العرب . وأما أبو عبيدة ، وقد كان أبوه يهوديا وكان يعير بذلك ، فصنع كتابا فى مثالب العرب امتاز بالسعة والاستقصاء . وجاء من بعدهم علان بن الحسن الشعوبى الوراق الزنديق ، فألف لطاهر ابن الحسين كتابا فى مثالب العرب ، بدأه بمثالب بنى هاشم ثم بطون قريش ثم سائر العرب ، ولم يعبأ فى ذلك بالخروج عن أدب الدين ، وقد أجازه طاهر عليه بثلاثين ألف درهم . وصنع ابن غرسية رسالة فى تفضيل العجم على العرب . وقد رد عليه علماء الأندلس بعدة رسائل . انظر نوادر المخطوطات ١ : ٢٢٩ – ٣٣٠ ، وشرح البكرى لأمالى القالى ص ٨٠٨ والخزانة (٢ : ٥١٩) وبلوغ الأرب (١ : ١٥٩ – ١٨٤) . وقد أورد الأخير نموذجا لرد ابن قتيبة على الشعوبية . ولابن الكلبى كتاب فى المثالب ، منه نسخة عتيقة بدار الكتب المصرية .

(٥) أى التسوية بين العرب والعجم . ويتحلى ، أى يتصف .

وبمطاعِنهم على خطباء العرب : بأخذ المِخصَرَةِ عند مناقَلَة الكلام (١) ، ومساجَلة الخصومِ بالموزون والمُقَفَّى ، والمنثور الذى لم يُقَفَّ ، وبالأرجاز عند المَتْح (٢) ، وعند مُجاثاة الخَصْم (٣) ، وساعةَ المشاوَلَة (٤) ، وفى نفس المجادَلة والمحاوَرة . وكذلك الأسجاعُ عند المنافرة والمفاخرة (٥) ، واستعمال المنثور فى خُطَب الحَمَالَة (٦) ، وفى مقامات الصُّلح وسَلِّ السخيمة (٧) ، والقولُ عند المعاقدَةِ والمعاهَدة (٨) ، وتركُ اللّفظ يَجرى على سجيَّته وعلى سلامته ، حتَّى يخرجَ على غير صنعة ولا اجتلاب تأليف (٩) ، ولا التماسِ قافية ، ولا تكلّفٍ لوزنٍ . مع الذى عابُوا من الإشارة بالعِصيّ ، والاتّكاء على أطراف القِسِيّ ، وخدِّ وجه الأرض بها ، واعتمادها عليها إذا اسحَنفرت فى كلامها (١٠) ، وافتنَّتْ يومَ الحفْل فى مذاهبها ، ولزومِهم العمائم فى أيام الجُموع ، وأخْذِ المخاصر فى كلِّ حال ، ٨٩
وجلوسِها فى خطب النّكاح ، وقيامِها فى خطب الصُّلْح وكلِّ ما دخل فى

---

(١) المخصرة : ما اختصر الإنسان بيده فأمسكه ، من عصا أو مقرعة أو عكازة أو قضيب ، أو ما أشبه ذلك . والمناقلة : مراجعة الكلام فى صخب .

(٢) المتح : الاستقاء من أعلى البئر . والميح : الاستقاء من أسفلها .

(٣) المجاثاة : الجلوس على الركبتين للخصومة .

(٤) المشاولة : أن يتناول بعضهم بعضا عند القتال بالرماح .

(٥) المنافرة : المفاخرة بكثرة عدد القوم وعزتهم . والمفاخرة أعم .

(٦) الحمالة ، كسحابة : الدية يحملها قوم عن قوم .

(٧) سل السخيمة : انتزاعها . والسخائم : الأحقاد والأضغان .

(٨) المعاقدة : المعاهدة والميثاق ، بذلك فسر ابن عباس قوله تعالى : (والذين عاقدت أيمانكم) . وهذه قراءة جمهور القراء فى الآية ٣٣ من سورة النساء . وقرأها بغير ألف عاصم وحمزة والكسائى ، وكذا خلف ، ووافقهم الأعمش . إتحاف فضلاء البشر . ما عدا ل : « والمعاقرة » بالراء ، ومعناها التفاخر بعقر الإبل ، يتبارى الرجلان ليرى أيهما أعقر لها ، وأسلوب الجاحظ فى المزاوجة يأباها .

(٩) ما عدا ل : « اختلاف تأليف » ، محرف .

(١٠) اسحنفر الرجل فى منطقه : مضى فيه ولم يتمكث .

باب الحَمَالة ، وأكّد شأن المحالفةِ ، وحقّق حُرمةَ المجاورة ، وخُطَبِهم على رواحلهم ٩١ فى المواسم العظام ، والمجامع الكِبار . والتّماسُح بالأكُفّ [١] ، والتّحالف على النار ، والتعاقُد على المِلح [٢] ، وأخذ العهد الموكّد واليمين الغَمُوسِ [٣] مثل قولهم : ما سَرَى نجمٌ وهبّت ريح ، وبلّ بَحْرٌ صوفةً [٤] ، وخالفت جِرّةٌ دِرّةً [٥] . ولذلك قال الحارث بن حِلّزة اليشكرىّ :

واذكروا حِلفَ ذى المجاز وما قُـ ـدِّمَ فيه : العهود والكُفلاءُ [٦]
حذَر الخَوْن والتعدّى وهل تَنْـ ـقُضُ ما فى المَهارِقِ الأهواءُ [٧]

الخَون : الخيانة . ويروى : « الجور » .

وقال أوس بن حَجَر :

إذا استقبلته الشّمسُ صَدَّ بوجهِهِ كما صَدّ عن نار المُهوِّل حَالِفُ [٨]

---

(١) فى أساس البلاغة : « وماسحته : صافحته .والتقوا فتماسحوا : فتصافحوا . وتماسحوا على كذا : تصافقوا وتحالفوا » .

(٢) فى الحيوان (٤ : ٤٧٢) : « والملح شيئان : أحدهما المرقة ، والأخرى اللبن » وفى القاموس أن « الملح » الحرمة . وفى اللسان عن ابن الأنبارى ، والخزانة (٤ : ١٦٤) عن المفضل بن سلمة ، أن « الملح » : البركة . أما النجيرمى فى أيمان العرب ٣١ فيفسر الملح بشيئين : أحدهما ملح الإدام التى يتملح بها ، والآخر اللبن .

(٣) اليمين الغموس : التى لا استثناء فيها . وفى اللسان (غمس) : « وكان عادتهم أن يحضروا فى جفنة طيبا ، أو دما ، أو رمادا ، فيدخلون فيه أيديهم عند التحالف ، ليتم عقدهم عليه باشتراكهم فى شىء واحد » .

(٤) فى اللسان (صوف) : « وصوف البحر : شىء على شكل هذا الصوف الحيوانى ، واحدته صوفة . ومن الأبديات قولهم : لا آتيك مابل بحر صوفة » . وانظر الحيوان (٤ : ٤٧٠) .

(٥) الجرة ، بالكسر : ما يجتره الحيوان من جوفه . والدرة ، بالكسر : كثرة اللبن وسيلانه . واختلافهما أن الدرة تسفل والجرة تعلو .

(٦) البيتان من معلقته . ذو المجاز : موضع ، كان عمرو بن هند أصلح فيه بين بنى بكر وتغلب ، فأخذ عليهم المواثيق والرهائن ، من كل حى ثمانين .

(٧) المهارق : جمع مهرق ، بضم الميم وفتح الراء ، وهو الصحيفة البيضاء يكتب فيها ، فارسى معرب .

(٨) ديوان أوس ١٦ وأيمان العرب ٣١ . والمهول : الذى كان يتولى تحليف القوم . وكانوا إذا أرادوا أن يحلفوا الرجل أوقدوا ناراً وألقوا فيها ملحاً من حيث لا يشعر الحالف ، فيتفقع الملح ، يهولون عليه بذلك .

وقال الكُمَيْت :

كَهُولَةِ ما أوقد المُحلِفُونَ   لدى الحالِفينَ وما هَوَّلُوا (١)

وقال الأَوَّلُ (٢) :

حلَفْتُ بالمِلح والرَّماد وبالنـ   ـنَار وبالله نسْلِمُ الحَلَقَهْ (٣)

حَتَّى يظَلَّ الجَوادُ منعفِراً   ويَخْضِبَ النَّبْلُ غُرَّة الدَّرَقَهْ (٤)

وقال الأوّل :

حَلفتُ لهم بالمِلح والجَمعُ شُهَّدٌ   وبالنـار والـلَّاتِ التـى أعظـمُ

وقال الحُطَيئة فى إضجاع القِسِىّ :

أم من لخَصِمٍ مُضْجعين قِسِيَّهم   صُعرٍ خُدُودُهُم عظامِ المفخَرِ (٥)

وقال لبيدٌ فى خَدِّ وجه الأرض بالعصىّ والقسِىّ :

نَشِينُ صِحَاحَ البِيدِ كلَّ عشِيَّةٍ   بعُوجِ السَّراء عند باب مُحجَّبِ (٦)

ومثله :

إذا اقتسم الناس فضلَ الفخار   أطلنا على الأرض ميلَ العَصَا (٧)

---

(١) الهولة ، بالضم : ما يهولك . وفى الحيوان (٤ : ٤٧١) : « ويهولون على من يخاف عليه الغدر بحقوقها ومنافعها ، والتخويف من حرمان منفعتها » . وأنشد البيت . وانظر الخزانة (٣ : ٢١٤) وأيمان العرب للنجيرمى ٣١ حيث تجد تفصيلا .

(٢) البيتان أنشدهما فى اللسان (حلق) شاهداً على فتح لام « الحلقة » .

(٣) الحلقة : حلقة القوم ، جماعتهم . وفى حواشى هـ : « يعنى السلاح » .

(٤) انعفر : ظل ملقى فى العفر متترباً . والنبل : السهام . والدرقة : واحدة الدرق ، وهو ضرب من الترسة يتخذ من الجلود . وغرة كل شىء : أوله ووجهه . وفى اللسان : « عروة الدرقة » . هـ : « وتخضب » .

(٥) البيت فى ديوانه ٦٢ من قصيدة له يرثى بها علقمة بن هوذة . وفى الديوان : « ميل خدودهم » . قال السكرى : « وذلك أن القوم إذا جلسوا يتفاخرون خطوا بأظفار قسيهم فى الأرض ، يقولون : لنا يوم كذا ، يعدون أيامهم ومآثرهم » . وظفر القوس : ما بين معقد وترها إلى طرفها . وقد سبق البيت فى (١ : ٣٧١) .

(٦) سبق الكلام على البيت وتخريجه فى (١ : ٣٧١) .

(٧) سبق أيضاً فى (١ : ٣٧٢) .

ومثله :

حكَمَتْ لنا فى الأرض يومَ مُحرِّقٍ　　　أيَّامُنا فى الناس حُكماً فيصَلا (١)

وقال لبيد بن ربيعة فى ذكر القسىّ :

ما إنْ أهابُ إذا السُّرادِق غَمَّهُ　　　قَرعُ القِسِىّ وأُرْعِشَ الرِّعْديدُ (٢)

وقال كثيِّر فى الإسلام :

إذا فَرعوا المنابر ثم خَطُّوا　　　بأطراف المَخاصرِ كالغِضاب (٣)

وقال أبو عبيدة : سأل معاوية شيخاً من بقايا العرب : أى العربِ رأيتَه أضخمَ شأناً ؟ قال : حِصن بن حُذيفة (٤) ، رأيته متوكِّئاً على قوسه يَقسِم فى الحليفين أسدٍ وغَطَفَان .

وقال لبيد بن ربيعة فى الإشارة :

غُلْبٍ تَشَذَّرُ بالذُّحُولِ كأنَّها　　　جِنُّ البَدِىِّ رواسيا أقدامُها (٥)

وقال مَعْنُ بن أَوْسٍ المزَنىّ (٦) :

ألا مَن مُبْلغٌ عنّى رسولاً　　　عُبيدَ الله إذ عَجِلَ الرِّسَالَا (٧)

تُعاقِلُ دوننا أبناءَ ثَورٍ　　　ونحن الأكثرون حَصًى ومَالا (٨)

---

(١) فى (١ : ٣٧٣) : « كتبت لنا ... يوماً فيصلا » .

(٢) مضى الكلام عليه فى (١ : ٣٧٢) .

(٣) سبق تفسير المخصرة فى ص ٦. فرعوا المنابر : علَوْها .

(٤) هو حصن بن حذيفة بن بدر الفزارى ، كان قائد ذبيان يوم شعب جبلة . وهو والد عيينة بن حصن . وللنابغة الذبيانى مرثية فى حصن بن حذيفة فيها :

يقولون حصن ثم تأبى نفوسهم　　　وكيف بحصن والجبال جنوح

(٥) البيت من معلقته . وهو فى صفة رجال الحرب . وقبله :

وكثيرة غرباؤها مجهولة　　　ترجى نوافلها ويخشى ذامها

الغلب : الغلاظ الأعناق ، جمع أغلب . والتشذر : رفع اليد ووضعها . والذحول : جمع ذحل ، وهو الحقد والثأر . والبدى : البادية ، أو هو موضع . وانظر ماسبق فى (١ : ٣٧١) .

(٦) سبقت ترجمته فى (١ : ٣٧٢) حيث سبقت الأبيات وتفسيرها . وهى فى ديوان معن بن أوس برواية القالى ص ٢٥ ليبسك ١٩٠٣ .

(٧) وذكر القالى أن « عبيد الله » رجل من قومه . أما الرسال فأراها مصدراً مثل المراسلة .

(٨) ضبط فى هـ والديوان : « تعاقل دوننا أبناءُ » .

إذا اجتمع القبائلُ جئتَ رِدفا وراءَ الماسِحِينَ لكَ السِّبالا (١)
فلا تُعطَى عَصَا الخُطباء يوما وقد تُكفَى المقادَةَ والمَقاَلَا (٢)

فذكر عصا الخطباء كما ترى . وقال آخرُ فى حمل القناة :

إلى امرئٍ لا تَخَطّاه الرِّفاق ، ولا جَذْبُ الخِوانِ إذا ما استُنشِيءَ المرِقُ (٣)
صُلْبُ الحيازيمِ لا هَذْرُ الكلامِ إذا هَزَّ القناة ولا مُستعجِلٌ زَعِقُ (٤)

وقال جرير بن الخَطَفى فى حمل القناة :

مَن للقناة إذا ماعىً قائلُها أو للأعنَّة ياعمروَ بنَ عَمّارِ (٥)

قالوا : وهذا مثل قول أبى المجيب الرَّبَعى (٦) ، حيث يقول : « لا تزال (٧) تحفظ أخاك حتَّى يأخذَ القناة ، فعند ذلك يَفضَحك أو يمدحُك » . يقول : إذا قام يخطب فقد قام المَقامَ الذى لابد من أن يخرج منه مذموماً أو محمودا .

وقال عبد الله بن رؤبة (٨) : سأل رجلٌ رؤبةَ عن أخطب بنى تميم ، فقال : خداش بن لبيد بن بَيبة بن خالد (٩) ، يعنى البعيثَ الشاعر . وإنّما قيل له البَعيثُ لقوله :

---

(١) فى جميع النسخ : « أمام الماسحين » صوابه من الديوان ومما سبق .

(٢) فى الديوان : « عصا الخطباء فيهم » ، وقد سبقت هذه الرواية . القالى : « عصا الخطباء ، يعنى المخصرة ، أى لا يسمعون لك قولا ولا يقدمونك فى أمر » .

(٣) سبق البيتان فى (١ : ٣٧٣) .

(٤) الزعق : النشيط الذى يفزع من كل شئ . ما عدا ل : « زهق » . وقد مضت هذه الرواية .

(٥) سبق البيت وتخريجه فى (١ : ٢٧٣) . وأشير فى حواشى ل إلى رواية : « إذا ما عىّ حاملها » . و « عمرو بن عمار » تحريف ، إذ أن الشعر فى رثاء عقبة بن عمار ، كما أسلفت فى التحقيق . والرواية الصحيحة الثابتة فى ديوان جرير ٢٣٧ :

أم للقناة إذا ما عى قائلها أم للأعنة يا عقب بن عمار

(٦) مضت ترجمته فى (١ : ١٧٣) حيث سبق الخبر .

(٧) ل : « ما تزال » .

(٨) المعروف أن « عبد الله بن رؤبة » هو اسم « العجاج » والد رؤبة . أما رؤبة فلم يعرف له ولد يدعى « عبد الله » .

(٩) فى المؤتلف ٥٦ : « خداش بن بشر بن خالد بن بيبة » .

تبعَّثَ منى ما تبعَّثَ بعد ما   أمِرّت حبالى كُلَّ مِرّتِهَا شَزْرَا (١)

قال أبو اليقظان (٢) : كانوا يقولون : أخطب بنى تميم البَعيثُ إذا أخذ القناة فهزّها ثمَّ اعتمد بها على الأرض ، ثمَّ رفَعَها .

وقال يونس : لعمرى لئن كان مُغلَّباً فى الشعر لقد كان غُلِّب فى الخُطَب . وإذا قالوا غُلِّب فهو الغالب ، وإذا قالوا مغلَّبٌ فهو المغلوب (٣) .

وفى حديث النبى ﷺ أنه جاء إلى البَقيع (٤) ، ومعه مِخْصَرَةٌ ، فجلس ونكَتَ بها الأرض ، ثمّ رفع رأسَه فقال : « ما مِنْ نفْس منفُوسةٍ إلاّ وقد كُتِبَ مكانُها من الجَنَّةِ أوِ النار (٥) . وهو من حديث أبى عبد الرحمن السُّلَمىّ (٦) .

وممّا يدلُّك على استحسانهم شأنَ المِخصرة حديثُ عبد الله بن أُنَيْس

٩٢ ذى المِخْصَرةِ (٧) ، وهو صاحب ليلةِ الجُهَنىّ (٨) . وكان النبى عليه السلام

---

(١) سبق فى (١ : ٣٧٤) .

(٢) هو سحيم بن حفص ، وقد سبق الكلام بإيجاز فى (١ : ٣٧٤) .

(٣) انظر ما مضى فى (٢ : ٣١٢) .

(٤) هو بقيع الغرقد . وأصل البقيع فى اللغة : الموضع الذى فيه أروم الشجر من ضروب شتى . والغرقد : كبار العوسج . وهذا البقيع بداخل المدينة ، وهو مقبرتها .

(٥) منفوسة ، أى مولودة ، يقال نفست أمه به ، أى ولدته ، فهى نفساء .

(٦) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن حبيب بن ربيعة (بالتصغير) السلمى الكوفى القارئ . كان لأبيه صحبة ، وكان هو ثقة يكثر الحديث ، قرأ القرآن فى المسجد أربعين سنة ، وشهد مع على صفين ، ثم صار عثمانياً ، توفى سنة ٧٢ وهو ابن تسعين سنة . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ٣٠) ونكت الهميان ١٧٨ .

(٧) هو عبد الله بن أنيس (بالتصغير) الجهنى المدنى ، حليف بنى سلمة من الأنصار ، شهد العقبة وما بعدها ، ودخل مصر وخرج إلى إفريقية . وتوفى بالشام سنة ٥٤ . الإصابة ٤٥٤١ وتهذيب التهذيب والمعارف ١٢١ .

(٨) قال ابن قتيبة فى ترجمته فى المعارف ١٢١ : « وهو الذى يقال فيه ليلة الأعرابى وليلة الجهنى . وكان رسول الله ﷺ أمره أن ينزل من باديته إلى مسجده فيصلى فيه ليلة ثلاث وعشرين ، فكان يدخل المسجد مساء ليلة ثلاث وعشرين إذا صلى العصر ، ثم لا يخرج عنه إلا لحاجة حتى يصلى الصبح ثم يخرج إلى أهله ، فقيل : ليلة الجهنى . وهو الذى روى عن رسول الله ﷺ فى ليلة القدر أنه قال : التمسوها الليلة . وكانت ليلة ثلاث وعشرين » .

أعطاه مِخصرةً وقال : « تَلْقَاني بها فى الجنة (١) » . وهو مهاجرىّ عَقَبىٌّ أنصارىّ ، وهو ذو المخصرة فى الجنّة .

* * *

قالت الشُّعوبيَّة ومَن يتعصَّب للعَجمية . القضيب للإيقاع (٢) ، والقناة للبَقّار (٣) ، والعصا للقِتال ، والقوس للرَّمْى . وليس بين الكلام وبين العصا سبَب ، ولا بينَه وبين القوس نَسَب ، وهما إلى أن يَشغْلا العقل ويَصرِفا الخواطر ، ويعترضا على الذِّهْن أشبَهُ ؛ وليس فى حَمْلِهما ما يشحذ الذِّهْن ، ولا فى الإشارة بهما ما يجلب اللَّفْظ . وقد زعم أصحابُ الغِناء أن المغنِّىَ إذا ضُرِب على غِنائه ، قصَّر عن المغنِّى الذى لا يُضربَ على غنائه . وحَمْلُ العصا بأخلاق الفدّادين (٤) أشبه ، وهو بجَفاءِ العرب (٥) وعُنجُهيَّة أهلِ البدو ، ومزاوَلَةِ إقامة الإبل على الطُّرق (٦) أشكل، وبه أشْبَه .

قالوا : والخطابة شىءٌ فى جميع الأمم ، وبكلِّ الأجيال إليه أعظم الحاجة (٧) ، حتَّى إنّ الزَّنْج مع الغَثَارة (٨) ، ومع فرط الغَباوة ، ومع كلال الحَدّ وغِلَظ الحسّ

---

(١) تفصيل ذلك ، أن الرسول عليه الصلاة والسلام ، كان أرسله إلى خالد بن سفيان الهذلى ليقتله ، فلما قتله وقدم على رسول الله أدخله بيته وأعطاه عصا وقال : « أمسك هذه العصا عندك يا عبد الله بن أنيس ، قال عبد الله : فخرجت بها على الناس فقالوا : ما هذه العصا ؟ قلت : أعطانيها رسول الله ، وأمرنى أن أمسكها عندى . قالوا : أفلا ترجع إليه فتسأله لم ذلك ؟ قال : فرجعت إلى رسول الله فقلت ؛ لم أعطيتنى هذه العصا ؟ قال : آية بينى وبينك يوم القيامة ، إن أقل الناس المتخصرون يومئذ . قال ابن إسحاق : فقرنها عبد الله بن أنيس بسيفه فلم تزل معه حتى مات ، ثم أمر بها فضمت فى كفنه ثم دفنا جميعاً . السيرة ٩٨١ – ٩٨٢ جوتنجن والمعارف ١٢١ .

(٢) الإيقاع : إيقاع ألحان الغناء ، وهو أن يوقع الألحان ويبينها . وسمى الخليل كتاباً من كتبه فى ذلك المعنى: كتاب الإيقاع . (٣) فى الأصول : « للنقار » .

(٤) فى الحيوان (٥ : ٥٠٧ – ٥٠٨) : « الفداد : الجافى الصوت والكلام ». وقد ساق فى ذلك خبراً وحديثاً . وانظر ما سبق فى (١ : ١٣) .

(٥) ما عدا ل ، هى « بجفاة العرب » .

(٦) إقامتها على الطرق ، أى توجيهها جهة مستقيمة .

(٧) الجيل : الصنف من الناس ، كالعرب والروم والترك .

(٨) الغثارة : أراد بها الحمق والجهل . وهذه الكلمة مما لم يرد فى المعاجم . وذكروا « الأغثر » وهو الأحمق الجاهل .

وفساد المزاج ، لَتُطيل الخُطَبَ ، وتفوق فى ذلك جميعَ العجم ، وإن كانت معانيها أجفى وأغلظ ، وألفاظُها أخْطَلَ وأجهل (١) . وقد علمْنا أنّ أخطبَ النّاسِ الفرس وأخطبَ الفرس أهل فارس ، وأعذبَهم كلاماً وأسهلهم مخرجاً وأَحسنهم دَلاًّ (٢) وأشدَّهم فيه تحكما (٣) ، أهلُ مرو ، وأفصحَهم بالفارسية الدَّرِيَّةِ (٤) ، وباللغة الفَهْلَويّة (٥) ، أهلُ قصبة الأهواز . فأمّا نَغْمةُ الهَرَابذة (٦) ، ولغةُ المَوَابذة (٧) ، فلصاحب تفسير الزَّمزمة (٨) .

---

(١) الخطل : الخطأ . ما عدا ل : « أخطأ وأجهل » .

(٢) ما عدا ل : « ولاء » تحريف . والدل : الهدى والسمت .

(٣) ما عدا ل ، هـ : « تحنكا » .

(٤) الدرية ، وهى بالفارسية « دَرِى » : إحدى اللغات الفارسية القديمة . ولفظها نسبة إلى « دَرْ » بمعنى الباب ، والمراد باب الملك ، أو ما يسمونه بالبلاط . وهى إحدى لغات ثلاث بقيت من سبع لغات قديمة . ويزعمون أن هذه اللغة – وهى لغة القصر – هى اللغة التى يتكلم بها فى الجنة . انظر استينجاس ٥١٦ . وذكر ابن النديم فى الفهرست ١٩ قول عبد الله ابن المقفع : « لغات الفارسية : الفهلوية ، والدرية ، والفارسية ، والخوزية ، والسريانية . فأما (الفهلوية) فمنسوبة إلى فهلة : اسم يقع على خمسة بلدان ، وهى أصفهان ، والرى ، وهمدان ، وماه نهاوند ، وأذربيجان . وأما (الدرية) فلغة مدن المدائن وبها كان يتكلم من بباب الملك ، وهى منسوبة إلى حاضرة الباب ، والغالب عليها من لغة أهل خراسان والمشرق لغة أهل بلخ . وأما (الفارسية) فيتكلم بها الموابذة والعلماء وأشباههم ، وهى لغة أهل فارس . وأما (الخوزية) فبها كان يتكلم الملوك والأشراف فى الخلوة ومواضع اللعب واللذة مع الحاشية . وأما (السريانية) فكان يتكلم بها أهل السواد » . ومثل هذا الكلام مروى عن حمزة الإصفهانى فى معجم البلدان (٦ : ٤٠٦ – ٤٠٧) .

(٥) سبق الكلام عليها فى الحاشية السابقة . ونسبتها إلى « پَهْلَوْ » التى تعرب إلى « فهله » .

(٦) الهرابذة : جمع هربذ ، واحدة هرابذة المجوس ، وهم قَوَمَة بيوت النار التى للهند ، فارسى معرب . وتقييد بيوت النار بالهندية هو المذكور فى المعاجم العربية . وهى مكونة من كلمتين : « هير » بمعنى النار ، و « بد » بمعنى الحافظ والقيم .

(٧) الموابذة : جمع موبذ ، وهو قاضى المجوس ، فارسى معرب . ماعدا ل : « ونغمة الموبذان » . والموبذان للمجوس كقاضى القضاة للمسلمين ، والألف والنون فى آخره علامة الجمع . وتركيبه من كلمتين « مو » بمعنى الدين ، و « بد » أى الحافظ والقيم .

(٨) الزمزمة : صوت لا يستعملون فيه اللسان ولا الشفة ، وإنما يديرونه فى حلوقهم فيفهم بعضهم عن بعض ، وإنما يستعمله المجوس عند تناول الطعام ، أو حين الاغتسال . اللسان (زمم) ومعجم استينجاس ٦٢١ .

قالوا : ومَن أحبَّ أن يبلُغ فى صناعة البلاغة ، ويعرفَ الغريب ، ويتبحَّرَ (١) فى اللغة ، فليقرأ كتاب كارْوَنْد (٢) . ومَن احتاج إلى العقل والأدب ، والعلم بالمراتب والعِبَر والمَثُلات (٣) ، والألفاظ الكريمة ، والمعانى الشريفة ، فلينظُرْ فى سِيَرَ الملوك . فهذه الفرسُ ورسائلُها وخطبها ، وألفاظُها ومعانيها . وهذه يُونان [٩٣] ورسائلُها وخطبُها ، وعِلَلُها وحِكَمُها ؛ وهذه كتُبها فى المنطق التى قد جعلتها الحكماءُ بها تعرف السَّقَم من الصِّحّة ، والخطأ من الصَّواب ؛ وهذه كتبُ الهندِ فى حِكَمها وأسرارها ، وسِيَرها وعللها . فمن قرأ هذه الكتبَ ، وعرفَ غورَ تلك العقول ، وغرائبَ تلك الحِكَم ، عرف أين البيانُ والبلاغة ، وأين تكاملَتْ تلك الصِّناعة . فكيف سَقَط على جميع الأُمَم من المعروفين بتدقيق المعانى ، وتخيّر الألفاظ ، وتمييز الأمور ، أن يشيروا بالقَنا والعِصىّ ، والقُضبان والقِسىّ . كلاَّ ، ولكنكم كنتم رعاةً بين الإبل والغنم (٤) ، فحملتم القنا فى الحضَر بفضل عادتكم لحملها فى السَّفَر ، وحملتموها فى المدر بفَضْل عادتكم لحملها فى الوبَر ، وحملتموها فى السِّلم بفضْل عادتكم لحملها فى الحرب . ولطُول اعتيادكم لمخاطبة الإبل ، جفا كلامُكم ، وغلُظت مخارجُ أصواتكم ، حتَّى كأنّكم إذا كلّمتم الجلساء إنّما تخاطِبون الصُّمَّان (٥) . وإنما كان جُلُّ قتالِكم بالعصىّ . ولذلك فخر الأعشى على سائر العرب فقال :

---

(١) ل : « ويتحر » تحريف .

(٢) كاروند ، مكون من كلمتين فارسيتين : « كار » ومعناها الصناعة ، ولا تزال هذه الكلمة مستعملة إلى وقتنا هذا فى العامية المصرية . و « وند » بمعنى المديح والثناء .

(٣) المثلة ، بفتح الميم وضم الثاء : العقوبة والتنكيل .

(٤) ل : « رعاة الإبل والغنم » .

(٥) ما عدا ل : « كأنكم إنما تخاطبون الصمان إذا كلمتم الجلساء » . والصمان : جمع أصم . قال الجليح :

* يدعو بها القوم دعاء الصمان *

لسنا نُقاتِل بالعصِـ ... ـيِّ ولا نُرامِى بالحجارة (١)
إلاّ عُلالَة أو بُدا ... هةَ قارحٍ نهدِ الجُزاره (٢)

وقال آخر :

فإن تمنعوا منا السِّلاحَ فعندنا ... سلاحٌ لنا لا يُشترى بالدراهِمِ
جنادلُ أملاءُ الأكُفِّ كأنّها ... رءُوس رجال حُلِّقَت بالمواسِمِ (٣)

وقال جندل الطُّهوِىُّ :

حتى إذا دارت رحىً لا تجرى (٤) ... صاحت عصىٌّ من قناً وسِدْرِ (٥)

وقال آخر (٦) :

دعا ابنُ مطيعٍ للبِياعِ فجئتُه ... إلى بَيعةٍ قلبى لها غيرُ آلِفِ (٧)
فناوَلَنى خَشْنَاءَ لمَّا لمستها ... بكَفِّىَ ليست من أكُفِّ الخلائفِ
من الشَّثَنَاتِ الكُزْمِ أنكرتُ مَسَّها ... وليست من البيض الرِّقاق اللطائفِ (٨)

---

(١) ديوان الأعشى ١١٥ .

(٢) البداهة : أول جرى الفرس . والذى بعده علالة . والقارح : الفرس فى السنة الخامسة . والنهد : المرتفع . والجزارة : اليدان والرجلان والعنق . وهذا البيت من ل ، هـ .

(٣) الجنادل : جمع جندل ، وهى صخرة مثل رأس الإنسان . أملاء الأكف : تملؤها ؛ جمع مِلء . والمواسم ، عنى بها مواسم الحج . وفى الكامل ٣٣٣ : « جلاميد أملاء » .

(٤) أراد بالرحى التى لا تجرى : رحى الحرب .

(٥) قال أبو منصور : القناة من الرماح ماكان أجوف كالقصبة . السدر : شجر النبق .

(٦) هو فضالة بن شريك الأسدى ، أحد مخضرمى الجاهلية والإسلام . وكان من خبر الشعر أن عبد الله بن الزبير كان قد ولى عبد الله بن مطيع الكوفة ، فكان ينشر الدعوة ويتقبل البيعة لابن الزبير ، حتى إذا نهض المختار بن أبى عبيد ودعا لنفسه ، طرد عن الكوفة فيمن طرد عبد الله بن مطيع ، فقال فضالة الشعر . وقد رواه أبو الفرج فى الأغانى (١٠ : ١٦٤) برواية أبسط .

(٧) سبق هذا البيت وتاليه فى (١ : ٩٤) .

(٨) الشثنات : جمع شثنة بسكون الثاء ، وقد حرك العين فى الجمع مع أنه وصف ، وهو شاذ إلا فيما ذهب قطرب والمبرد ، حيث يجيزان الفتح فى جمع الصفات . همع الهوامع (١ : ٢٣) وأوضح المسالك (جمع المؤنث السالم) . والكزم : جمع كزماء ، وهى القصيرة الأصابع .

معاودةً حملُ الهَرَاوَى لقومِها   فَروراً إذا ماكان يومُ التّسايُفِ [١]

وقال آخر [٢] :

ما لِلفـرزدق من عزٍّ يلـوذ به   إلا بنى العَمِّ فى أيديهم الخَشَبُ [٣]

قالوا : وإنما كانت رماحكم من مُرّان [٤] ، وأسنّتكم من قُرون البقر ، وكنتم تركبون الخيل فى الحرب أعراء [٥] . فإنْ كان الفَرَس ذا سرجٍ فسَرجه رِحالةٌ من أَدَمٍ ، ولم يكن ذا ركابٍ ، والرِّكاب من أجود آلات الطاعن برُمحه ، والضاربِ بسيفه . وربما قام فيهما أو اعتمد عليهما [٦] . وكان فارسُهم يطْعُن بالقناة الصَّمَّاء ، وقد علمنا أن الجوفاء أخفُّ مَحملاً ، وأشدُّ طعنةً . ويفخرون بطُول القناة ولا يعرفون الطّعن بالمطارِد [٧] ، وإنما القنا الطِّوال للرّجّالة ، والقصارُ للفُرْسان ، والمطارد لصَيد الوحش . ويفخَرون بطُول الرُّمح وقِصَر السَّيف ، فلو كان المفتخر بقِصَر السيف الرّاجلَ دون الفارس ، لكان الفارس يفخر بطول السيف ، وإن كان الطول فى الرُّمح إنما صار صواباً لأنه يُنال به البعيد ، ولا يفوته العدوّ ، ولأن ذلك يدلُّ على شدّة أسْرِ الفارس وقوّة أَيْدِهِ . فكذلك [٨] السّيف الطَّويل العريض .

---

(١) الهراوى ، بفتح الواو : جمع هراوة ، وهى العصا الضخمة . والتسايف : التضارب بالسيوف .

(٢) هو جرير . ديوانه ٤٨ . وكان بنو العم ــ وهم مرة بن مالك بن حنظلة ، كما فى اللسان (١٥ : ٣٢٤) – قد أعانوا الفرزدق عليه .

(٣) بعده فى الديوان :

سيروا بنى العم فالأهواز منزلكم   ونهر تِيرى فما تعرفكم العرب

الضاربو النخل لا تنبو مناجلهم   عن العذوق ولا يعييهم الكرب

(٤) فى اللسان (مرن) : « قال أبو عبيد : المران نبات الرماح » .

(٥) أعراء : جمع عرى ، بالضم ، وهو الذى لا سرج عليه

(٦) أراد فى الركابين : مثنى الركاب ، إذ أن الركاب لا يستعمل إلا مزدوجاً . والركاب ككتاب : ما يضع فيه الفارس رجله .

(٧) المطارد : جمع مطرد ، بكسر الميم ، وهو رمح قصير يطرد به الوحش وغيره .

(٨) ل : « وكذلك » .

وكنتم تتَّخذون للقناة زُجًّا وسِناناً حين لم يقبِض الفارسُ منكم على أصل قناته ، ويعتمد عند طعنته بفخذه ، ويستعِنْ بحَمِيَّة فرسه .

وكان أحدُكم يقبض على وسط القناة ويخلِّف منها مِثلَ ما قدّم (١). فإنما طعُنكم الرَّزّةُ (٢) والنَّهزةُ (٣) ، والخَلْس والزَّجّ (٤)

وكنتم تتساندون فى الحرب (٥) ، وقد أجمعوا على أنّ الشِّرْكة رديَّةٌ فى ثلاثةِ أشياء : فى المُلْك ، والحرْب ، والزّوجة .

وكنتم لا تقاتلون باللّيل ، ولا تعرفون البَيَاتَ ولا الكمين (٦) ولا الميمنة ولا الميسرة ، ولا القَلب ولا الجَناح ، ولا الساقَةَ ولا الطّليعة (٧) ولا النّفّاضة ولا الدّرّاجة (٨) ، ولا تعرفون من آلة الحرب الرتيلة ولا العَرّادة (٩) ، ولا المجانيق (١٠) ،

---

(١) ما عدا هـ ، ل : « على مثل ما تقدم » وكلمة « على » مقحمة .

(٢) الرزة : الطعنة بشيء يثبت فى المطعون ، كالسكين فى الحائط . ما عدا ل : « الدرة » ، وليس بشيء .

(٣) النهزة : المرة من النهز ، وهو الطعن فى دفع .

(٤) الطعنة الخلس : التى يختلسها الطاعن بحذقه . والزج : الطعن فى عجلة .

(٥) يقال : خرج القوم متساندين ، أى على رايات شتى ، إذا خرج كل بنى أب على راية ولم يجتمعوا على راية واحدة وأمير واحد .

(٦) البيات : الإيقاع بالقوم فى جوف الليل وهم غارُّون . والكمين : القوم يكمنون للعدو ويستخفون فى مكمن لايفطن له .

(٧) ساقة الجيش : مؤخرته ، جمع سائق ، وهم الذين يسوقون جيش الغزاة ويكونون من ورائه يحفظونه .

(٨) فى حاشية هـ : « النفاضة : قوم يتقدمون أمام الملك ينفضون الطريق وينقُّونها . والدراجة : قوم يدرجون أمامه » . ل : « النفيضة » .

(٩) الرتيلة : فى حواشى هـ : « الرتيلة : أن يقام خلف الصف صف آخر » . وأما العرَّادة فهى شبه المنجنيق صغيرة .

(١٠) المجانيق : جمع منجنيق ، معرب من الفارسى « منجنيك » وهذه مأخوذة من اليونانى : **Maggamon** ، وهى آلة ترمى بها الحجارة فى القتال . ويضطرب اللغويون العرب فى تأصيلها من الفارسى . انظر المعرب للجواليقى بتحقيق العلامة أحمد شاكر ٣٠٦ ومعجم استينجاس . وقد ذكر الأخير أنها مأخوذة عن اليونانى .

ولا الدّبّابات (١) ، ولا الخنادق ، ولا الحَسَك (٢) ، ولا تعرفون الأقبِيَة (٣) ولا السَّراويلات ، ولا تعليقَ السُّيوف ، ولا الطّبولَ ولا البنود (٤) ولا التَّجافيف (٥) ، ولا الجواشن (٦) ، ولا الخُوَذ (٧) ، ولا السواعد ولا الأجراس ، ولا الوَهَق (٨) ولا الرَّمى بالبَنْجَكان (٩) ، والزَّرْق بالنِّفْطِ والنيران .

وليس لكم فى الحرب صاحبُ عَلَم يرجع إليه المُنْحاز (١٠) ، ويتذكَّره المنهزم . وقتالُكم إمَّا سَلَّةٌ وإمّا مزاحَفة (١١) . والمزاحفة على مواعد متقدِّمة ، والسَّلَّةُ مُسارقةٌ وفى طريق الاستلاب والْخُلْسَة .

قالوا : والدَّليل على أنَّكم لم تكونوا تقاتلون قولُ العامرىّ (١٢) :

---

(١) الدبابة : آلة تتخذ من جلود وخشب ، يدخل فيها الرجال ويقربونها من الحصن المحاصر لينقبوه وتقيهم ما يرمَون به من فوقهم . ما غدا ل ، هـ : « الدباب » ، تحريف .

(٢) الحسك من أدوات الحرب ، ربما اتخذ من حديد وألقى حول العسكر ، وربما اتخذ من خشب فنصب حوله ، وذلك لعرقله سير العدو . وأصل الحسك حسك السعدان ، وهو شوكه ، ثم جعل لما يعمل على مثاله من السلاح ، انظر اللسان (حسك) والمخصص (٣ : ٨٤) .

(٣) الأقبية : جمع قباء ، كسحاب ، وهو ضرب من الثياب ، سمى بذلك لاجتماع أطرافه .

(٤) البند : العلم الكبير ، فارسى معرب .

(٥) جمع تجفاف ، بكسر التاء وفتحها ، وهو ماجلل به الفرس من سلاح وآلة تقيه الجراح ، يقال فرس مجفف ، وقد يلبسه الإنسان أيضاً .

(٦) الجوشن : زرد يلبسه الصدر والحيزوم .

(٧) جمع خوذة ، وهى بالضم : المغفر ، وهو زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة . ولم يذكر صاحبا اللسان والجمهرة « الخوذة » ، وذكرها صاحب القاموس .

(٨) الوهق : حبل شديد الفتل ، يرمى وفيه أنشوطة فتؤخذ فيه الدابة والإنسان .

(٩) البنجكان : جاء فى الطبرى ٧ : ٢٧ : « فقال لهم بالفارسية : صُكُّوهُمْ بالفنجقان ، أى بخمس نشابات فى رمية ، بالفارسية » .

(١٠) انحاز القوم : تركوا مراكزهم ومعركة قتالهم ومالوا إلى موضع آخر .

(١١) المزاحفة : أن تمشى كل فئة زحفاً ، أى مشيا رويداً ، قبل التدانى للضرب .

(١٢) هو خداش بن زهير العامرى ، شاعر جاهلى ، وقيل إنه شهد حنينا مع المشركين ثم أسلم . الإصابة ٢٣٢٣ والأغانى (١٩ : ٧٦) وحماسة ابن الشجرى ٣١ .

ياشَدَّةً ما شددنا غيرَ كاذبةٍ　　　على سَخينةَ لولا الليل والحَرَمُ [١]

ويدلُّك على ذلك أيضاً قول عبد الحارث بن ضرار [٢] :

وعَمْروٌ إذْ أتانا مستميتاً　　　كسونا رأسَه عَضباً صقيلا [٣]
فلولا اللّيلُ ما آبوا بشخصٍ　　　يخَبّر أهلَهم عنهم قليلا

وقال أمية بن الأسكر [٤] :

ألم تَرَ أن ثعلبةَ بن سعدٍ　　　غضابٌ ، حَبَّذَا غَضَبُ الموالى
تركتُ مصرَّفاً لما التقينا　　　صريعاً تحت أطراف العوالى
ولولا اللّيلُ لم يُفلِتْ ضرارٌ　　　ولا رأسُ الحمار أبو جُفَالِ

قلنا : ليس فيما ذكرتم من هذه الأشعار دليلٌ على أنّ العرب لا تقاتل باللّيل . وقد يقاتل بالليل والنّهار مَن تَحُول دون مَالِهِ المُدُنُ وهولُ اللّيل . وربَّما تحاجز الفريقان وإنّ كلَّ واحدٍ منهم يرى البَيات [٥] ، ويرى أن يقاتل إذا بُيِّتوه . وهذا كثير . والدَّليل على أنّهم كانوا يقاتِلون باللّيل قولُ سعد بن مالك [٦] فى قتل كعب بن مُزَيقيا الملك الغَسّانى :

---

(١) البيت يقوله فى وقعة حنين ، أو فى حرب الفجار ، كما فى الأغانى والإصابة . و « سخينة » كناية عن قريش . وأصل السخينة دقيق يلقى على ماء أو لبن فيطبخ ثم يؤكل بتمر ، أو يحسى ، وكانت قريش تكثر من أكلها ، فعيرت بها حتى سموا سخينة . ومثله قول كعب بن مالك :

زعمت سخينة أن ستغلب ربها　　　وليغلبن مغالب الغلاب

(٢) ما عدا ل : « الحارث بن ضرار » . ومن رجال العرب « الحارث بن أبى ضرار » وهذا لم يعرف بشعر ، وهو والد جويرية زوج الرسول ﷺ ، وهو من بنى المصطلق . الإصابة ١٤٢٤ والسيرة ٧٢٥ ، ١٠٠٣ والاشتقاق ٢٨١ .

(٣) كساه السيف ، أى جلله به وعممه . العضب : السيف القاطع .

(٤) ماعدا ل ، هـ : « بن الأشكر » تحريف . وهو أمية بن حرثان بن الأسكر الليثى الكنانى . شاعر سيد فارس مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ، وعمر عمراً طويلا . الأغانى (١٨ : ١٥٦ – ١٦٢) والمعمرين ٦٧ – ٦٩ .

(٥) البيات : اسم من قولهم : بيت القوم والعدوَّ : أوقعَ بهم .

(٦) سعد بن مالك بن ضبيعة ، أحد شعراء العرب وفرسانهم فى الجاهلية ، ولا سيما يوم =

وليلَةَ تُبَّعٍ وخَميسِ كعبٍ أتونا ، بعد ما نِمنا ، دَبيبا
فلم نُهدَدْ لبأْسهمُ ولكنْ ركبنا حَدَّ كوكبِهم رُكوبا (١)
بضرب يُفلّقُ الهاماتُ منه وطعنٍ يفصل الحَلقَ الصَّليبا (٢)

وقال بشرُ بن أبى خازم :

فأمّا تميمُ تميمٌ بن مُرٍّ فألفاهُمُ القومُ روْبَى نِيامَا (٣)

يقول : شَرِبوا الرّائب من اللبَن فسكِروا منه ، وهو اللبَنِ الذى قد (٤) أدرك لِيُمخَض . يقال منه راب يروب رَوباً ورءوباً . ورُؤْبةُ اللبن : خميرة تلقى فيه من الحامض . ورؤبة الليل : ساعةٌ منه . يقال أهرق عنّا من رؤْبة الليل . وقال بعضهم : منه قول الشاعر (٥) .

* فألفاهم القومُ رَوبَى نيامَا *

ويقال : رَوبَى : خُثَراء الأَنْفُس مختلطون . ويقال شرِبوا من الرّائب فسكروا .

وقال عياضٌ السِّيدِىُّ (٦) :

= قضّة ، وهو القائل فى تحضيض الحارث بن عباد رئيس بكر :

يا بؤس للحرب التى وضعت أراهط فاستراحوا
والحرب لا يبقى لصا حبها التخيل والمراح

الأغانى (٤ : ١٤٣ – ١٤٤) .

(١) لم نهدد ، أى لم نكسر . والبأس : الشدة . ماعدا ل ، هـ : « فلم تهدو » تحريف . وكوكب الجيش : معظمه . وأنشد فى اللسان :

وملمومة لايخرق الطرف عرضها لها كوكب فخم شديد وضوحها

(٢) ما عدا ل : « تفلق الهامات » . والحلَق : جمع حَلْقة ، عنَى به حَلَق الدرع .

(٣) البيت من قصيدته فى مختارات ابن الشجرى ٦٩ – ٧١ . وهو فى ديوانه ١٩٠ وسيبويه ١ : ٤٢ .

(٤) فيما عدا ل : « الذى أخرجت زبدته » . والكلام بعدها إلى « فسكروا » من ل فقط .

(٥) هو بشر بن أبى خازم ، كما سبق قريباً .

(٦) عياض السيدى : نسبة إلى السيد ، وهم بنو السيد بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة ، فهو ضبى أيضا . وفى معجم المرزبانى . « عياض بن حنين الضبى ، جاهلى ، يقول =

٢١

ونحن نَجلْنَا لابن ميلاءَ نحرَهُ   بنَجلاءَ من بين الجوانح تشهَقُ (١)

ويومَ بنى الدَّيّانِ نالَ أخاهم   بأرماحنا بالسِّىِّ موتٌ مُحدِّقُ (٢)

ومِنَّا حُماةُ الجَيش ليلةَ أقبلت   إيادٌ يزجِّيها الهُمَامُ مُحرِّقُ (٣)

وقال آخر :

وعلى شُتَيرٍ راحَ منّا رائحٌ   بأبِى قَبيصة كالفَنيق المُقرَمِ (٤)

يَردِى بشرحاف المَغَاورِ بعد ما   نشر النهار سوادَ ليل مظلمِ (٥)

وقال عياضٌ السِّيدِىُّ (٦) : ٩٧

لِحمام بِسطام بن قيسٍ بعد ما   جَنَحَ الظّلامُ بمثل لون العِظْلِم (٧)

وقال أوس بن حجر :

باتوا يُصيبُ القوم ضَيفًا لهم   حتَّى إذا ما ليلُهم أظلما (٨)

= ومنا الذى أدى ابن جفنة رمحه   إلى الحى مجنوناً يخب ويعنق »

فهو هو . التيمورية : « عياض بن السيدى » ، ب ، جـ : « عياض بن السندى » كلاهما محرف عما أثبت من ل .

(١) نجله بالرمح ينجله نجلا : طعنة وأوسع شقه . وطعنة نجلاء : واسعة . تشهق : تصوت من قوة اندفاع الدم .

(٢) السى : أرض بين ذات عرق ووجرة . وهى رواية هامش هـ . وفى أصل هـ . « بالسن » وسائر النسخ « بالسبى » .

(٣) الهمام : الملك العظيم الهمة . ومحرق : لقب عمرو بن هند ، سمى بذلك لتحريقه بنى تميم يوم أوراة .

(٤) شتير : موضع ، كما فى اللسان (شتر) عند إنشاد هذا البيت . والرواية فيه وفى مجالس ثعلب ٥٣٩ : « يأتى قبيصة » .

(٥) فى الأصل واللسان (شرحف) . « تردى » صوابه بالياء . والشرحاف : السريع . والمغاور : جمع مغار ، بضم الميم : مصدر ميمى من أغار . ما عدا ل : « بشرحاف المغادر » تحريف .

(٦) كذا فى الأصول . والأبيات الثلاثة مقطوعة واحدة فى مجالس ثعلب .

(٧) بسطام بن قيس ، سبقت ترجمته فى (١ : ٢١) . جنح الظلامُ : أقبل . والعظلم ، بكسر العين واللام : عصارة يختضب بها .

(٨) هذه الأبيات لم ترد فى ديوان أوس . ل : « بصيت القوم » .

قَرَوْهـمُ شَهبـاءَ ملمومـــةً   مثلَ حريق النّار أو أضْرَما (١)
والله لولا قُرزُلٌ ما نَجا   وكان مثوى خدِّك الأخْرَما (٢)
نجاّك جَيّـاشٌ هزيـمٌ كما   أُحَميْتَ وسط الوبر المِيسما (٣)

وبعدُ فهل قتلَ ذُؤابٌ الأسدىّ عتيبةَ بن الحارث بن شهاب إلّا فى وسط الليل الأعظم ، حين تَبِعوهم فلحِقوهم . ٩٨

وكانوا إذا أجْمَعوا للحرب (٤) دخّنوا بالنهار ، وأوقدوا بالليل . قال عمرو ابن كلثوم وذكَرَ وقعةً لهم :

ونحن غداةَ أُوقِدَ فى خَزَازٍ   رَفَدْنا فوقَ رَفدِ الرّافدينا (٥)

وقال خَمْخَامٌ السَّدُوسىُّ (٦) :

وإنّا بالصُّليب ببطن فَجٍّ   جميعاً واضعين به لَظَانا (٧)

---

(١) الشهباء : الكتيبة التى عِليتُها بياض الحديد . أضرم : أشد اشتعالا .

(٢) قرزل : اسم فرس طفيل بن مالك ، كما فى نسب الخيل لابن الكلبى ٢٦ وأسماء خيل العرب لابن الأعرابى ٧٥ . والبيت فى الموضع الأول واللسان (خرم) برواية : « إذ نجا لكان » . ورواية اللسان تخرج على جعل « ما » مصدرية ، وفى قرزل يقول سلمة بن الخرشب لعامر بن الطفيل :

فإنك يا عام ابن فارس قرزل   معيد على قيل الخنا والهواجر

يا عام ، أى يا عامر . المفضليات (١ : ٣٦) . والأخرم : أخرم الكتف ، أى رأسها .

(٣) الجياش : المتدفق فى الجرى . والهزيم : الشديد الصوت . والميسم : مايوسم به البعير ونحوه .

(٤) ما عدا ل : « اجتمعوا للحرب » .

(٥) ما عدا ل ، هـ : « فى خزازى » وهما روايتان . والبيت فى معلّقته .

(٦) ذكره ابن دريد فى الاشتقاق ٢١٢ فى رجال بنى سدوس ، قال : « ومنهم الخمخام وكان من فرسانهم ، وكان ذا بغى فسمى بذلك لأنه يتخمخم فى كلامه ، كأنه يجنن نفسه » . وفى حواشى الاشتقاق : « الخمخام بن حملة ، الاسم الأول بخاءين معجمتين ، وحملة بحاء غير معجمة بفتحتين ، واسمه الحارث . وهو شاعر فارس ، وسمى الخمخام لأنه كان يتخمخم على الناس يجنن نفسه على كل أسير حتى يفكه . وكان ظلوماً ، ويقول : أنا جار كل من طلعت عليه الشمس » . وفى اللسان (خمم) : « والخمخام : رجل من بنى سدوسٍ ، سمى بالخمخمة » .

(٧) الصليْب ، بهيئة التصغير : جبل عند كاظمة كانت به وقعة بين بكر بن وائل وبنى عمرو بن تميم . وأنشد ياقوت البيت فى معجم البلدان منسوباً إلى الأعشى ، وبرواية : « وبطن فلج » .

نُدخِّنُ بالنهار ليبصِرونا ... ولا نَخفى على أحدٍ أتانا

وأمّا قولهم : « ولا يعرفون الكمين » فقد قال أبو قيس بن الأسلت [١] :

وأحرزنا المغانمَ واستَبَحنا ... حَمِى الأعداء واللهُ المعينُ
بغَير خِلَابَةٍ وبغَيْرِ مكرٍ ... مجاهرةً ولم يُخْبَأْ كمينُ

* * *

وأما ذكرهم للرُّكُب [٢] ، فقد أجمعوا على أن الرُّكُب كانت قديمة ، إلّا أنّ رُكُبَ الحديد لم تكن فى العرب إلّا فى أيام الأزارقة [٣] . وكانت العرب لا تُعَوِّد أنفُسَها إذا أرادت الركوب أن تضع أرجلَها فى الرُّكُب ، وإنما كانت تنزو نَزْوا .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « لا تَخورُ قوّة [٤] ماكان صاحبُها ينزو ويَنْزِع » . يقول : لا تنتكث قوّته مادام ينزِع فى القَوس ، وينزو فى السَّرج من غير أن يستعين برِكاب .

وقال عمر : « الراحة عُقْلة ، وإياكم والسِّمْنة فإنها عُقْلَة [٥] » .

ولهذه العلّة قُتِل خالدُ بن سعيد بن العاصى ، حين غَشِيه العدوّ وأراد الرُّكوب ولم يجد من يحملُه . ولذلك قال عُمر حين رأى المهاجرين والأنصار قد أخصبوا ،

---

(١) أبو قيس كنيته ، واختلف فى اسمه والمشهور الراجح أنه صيفى بن الأسلت بن عامر بن جشم ابن وائل الأنصارى . وكانت الأوس قد أسندت أمرها إلى أبى قيس وجعلته رئيسا عليها فكفى وساد . واختلف فى إسلامه ، فقيل إنه أسلم ، وقيل إنه وَعَد بالإسلام ، ثم سبق إليه الموت فلم يسلم . الإصابة (٧ : ١٥٧) والأغانى (١٥ : ١٥٤) وابن الأثير (١ : ٢٨٤) .

(٢) الركب ، بضمتين : جمع ركاب ، وهو مايضع فيه الفارس رجله .

(٣) الأزارقة : جمع أزرق ، نسبه إلى نافع بن الأزرق الحنفى ، من بنى حنيفة . أحد شجعان الخوارج الذين ظهروا فى العصر الأموى ، وقد تولى قتالهم المهلب بن أبى صفرة من قبل عبد الله بن الزبير ، وهزمهم عند دولاب الأهواز . ومات نافع بن الأزرق فى تلك الهزيمة سنة ٦٥ . انتهى باختصار من معجم الفرق الإسلامية .

(٤) ما عدا ل : « قوى » : جمع قوة .

(٥) عقلة ، أى تعقل صاحبها وتحبسه .

وهَمَّ كثيرٌ منهم بمقاربة عَيش العجم : « تَمَعْدَدوا واخشَوشِنوا (١) ، واقطعوا الرُّكُب ، وانزُوا على الخيل نزواً » . وقال : « احفَوْا وانتعلوا ؛ فإنّكم لا تَدْرون متى تكون الْجَفلة (٢) » .

وكانت العرب لا تدَعُ اتّخاذ الرِّكاب للرَّحل فكيف تدَعُ الرِّكابَ للسَّرج ؟! ولكنّهم كانوا وإن اتَّخذوا الرُّكُبَ فإنّهم كانوا لا يستعملونها إلا عندما لابدَّ منه ، كراهةَ أن يتّكلوا على بعض ما يُورثهم الاسترخاء والتفنّخ (٣) ويضاهئوا أصحاب التُّرْفَة والنَّعْمة (٤) . قال الأصمعىّ : قال العُمَرىّ : كان عمر بن الخطاب يأخذ بيده اليُمنىَ (٥) أذنَ فرسه اليسرى ، ثم يجمع جراميزَه ويثب (٦) ، فكأنما خُلِقَ على ظهر فرسه . وفعل مثلَ ذلك الوليدُ بن يزيدَ بنِ عبد الملك وهو يومئذ ولىُّ عهدِ هشام ، ثمّ أقبَلَ على مَسلمةَ بنِ هشام فقال له : أبوك يُحسِن ٩٩
مثلَ هذا ؟ فقال مَسلمةُ : لأبى مائةُ عبدٍ يحسنون مثلَ هذا . فقال الناس : لم ينصفْه فى الجواب . وزعم رِجَالٌ من مشيختنا أنّه لم يقم أحدٌ من ولد العباس بالمُلْك إلا وهو جامعٌ لأسباب الفروسيّة .

* * *

وأمّا ذكروا من شأن رماح العرب فليس الأمر فى ذلك على ما يتوهَّمون . للرِّماح طبقات : فمنها النَّيزَك (٧) ، ومنها المربوع ، ومنها المخموس (٨) ، ومنها التامّ ، ومنها الخَطِلُ وهو الذى يضطرب فى يد صاحبه لإفراط طُوله . فإذا أراد

---

(١) تمعددوا ، أى تشبهوا بعيش معد بن عدنان ، وكانوا أهل قشف وغلظ فى المعاش .

(٢) الجفلة : الانزعاج والشرود والذهاب فى الأرض .

(٣) التفنخ ، من قولهم فنخه تفنيخا ، أى قهره وأذله . ما عدا ل : هـ : « التفتح » ولا وجه له .

(٤) الترفة ، بالضم : الترف والنعمة . ما عدا ل ، هـ : « والشرفة » تحريف .

(٥) ل : « اليسرى » .

(٦) الجراميز : جملة البدن : الجسد والأعضاء .

(٧) النيزك : الرمح القصير ، فارسى معرب ، فارسيته « نيزه » . استينجاس ١٤٤٢ .

(٨) المربوع : الذى طوله أربع أذرع . والمخموس : الذى طوله خمس .

الرّجُل أن يخبِر عن شدّةِ أَسْرِ صاحبِه ذكره ، كما ذكر متمّمُ بنُ نويرةَ أخاه مالكا ، فقال : « كان يخرج فى الليلة الصِّنَّبر (١) ، عليه الشَمْلَةُ الفَلوت (٢) ، بين المزادتين النَّضُوحَين ، على الجمل الثَّفال (٣) ، معتقلَ الرُّمح الخَطِل » . قالوا له : وأبيك إنّ هذا لهو الجَلد . ولا يحمل الرُّمحَ الخَطِل منهم إلا الشّديدُ الأَيّدُ (٤) ، والمُدِلُّ بفَضْل قوّته عليه ، الذى إذا رآه الفارسُ فى تلك الهيئة هابه وحاد عنه ، فإنْ شدَّ عليه كان أشدَّ لاستخذائه له (٥) .

والحال الأُخرى أن يخرُجوا فى الطَّلَب بِعَقِب الغارَة ، فربَّما شدَّ على الفارس المُولِّى فيفوته بأن يكون رمحُه مربوعاً أو مخموساً ، وعند ذلك يستعملون النّيازك ، والنَّيزَك أقصر الرِّماح . وإذا كان الفارسُ الهاربُ يفوت الفارسَ الطالبَ زَجَّه بالنَّيزِك ، وربَّما هاب مخالطتَه فيستعمل الزَّجَّ دون الطَّعْن ، صنيعَ ذُؤابِ الأسدىّ بعتيبة بن الحارث بن شهاب .

وقال الشاعر (٦) :

وأَسْمَرَ خطّيًّا كأنّ كُعُوبَه
نوى القَسْبِ قد أربى ذراعاً على العشْرِ (٧)

وقال آخر (٨) :

---

(١) يقال ليلة صنبر وصنبرة : شديدة البرد . ب ، جـ : « الصنبرة » وكلاهما صحيح .

(٢) الشملة : الكساء والمئزر يتشح به . والفلوت : التى لا ينضم طرفاها لصغرها ، أو التى لا تثبت على صاحبها للينها أو خشونتها . وكلمة متمم فى الكامل ٧٦٣ والأغانى ١٤ : ٦٧ وشروح سقط الزند ٥٨٧ برواية أخرى .

(٣) مزادة نضوح : تنضح الماء . والثفال ، كسحاب : البطىء الثقيل .

(٤) الأيد : كسيد : القوى . ويصح أن تقرأ « الأيد » بسكون الياء والإضافة . والأيد : القوة كالآد .

(٥) الاستخذاء : الخضوع . ما عدا ل ، هـ : « لاستخدامه » تحريف .

(٦) هو حاتم الطائى ، كما فى اللسان (قسب) ، والبيت فى ديوانه ص ١٢١ .

(٧) القسب : التمر اليابس ، ونواه أصلب النوى .

(٨) هو عبيد بن الأبرص . والبيت فى ديوانه ٤٣ والمقاييس واللسان (خمس) .

هاتيك تحملُنى وأبيضَ صارماً ومُحَرَّباً فى مارِنٍ مخموسِ (١)

وقال آخر :

فولَّوا وأطرافُ الرماح عليهم قوادرُ ، مربوعاتُها وطِوَالُها (٢)

وهم قومٌ الغاراتُ فيهم كثيرة ، وبقدرِ كثرة الغارات كثُر فيهم الطَّلَب . ١٠٠
والفارس ربّما زاد فى طولِ رمحِه ليُخْبِر عن فضل قُوّته ؛ ويُخبرُ عن قصر سَيفه ليُخبرَ عن فضل نَجدته . قال كعبُ بن مالك :

نَصِلُ السُّيوفَ إذا قصُرن بخطونا قُدُماً ونُلْحِقُها إذا لم تَلْحَقِ

وقال آخر (٣) :

إذا الكُماة تنحَّوْا أن يصيبَهمُ حَدُّ الظُّبَات وصلناها بأيدينا

وقال رجلٌ من بنى نمير (٤) :

وصَلْنا الرِّقاقَ المرهفاتِ بخطونا على الهول حتّى أمكنتْنا المضاربُ

وقال حُميد بن ثورٍ الهلالىّ :

ووصل الخطا بالسَّيفِ والسَّيفِ بالخطا إذا ظَنَّ أن السيفَ ذو السيف قاصِرُ (٥)

وقال آخر :

الطاعنون فى النُّحُور والكُلَى شَزْراً ووصَّالو السُّيوف بالْخُطَى (٦)

* * *

وأمّا ذكروا « من اتخاذ الزُّجّ لسافلة الرُّمح ، والسِّنان لعاليته » فقد

---

(١) محربا ، أى سنانا مذربا محددا . والرواية فى المصادر المتقدمة : « ومدربا » . والمارن : الصلب اللين . والمخموس : ما طوله خمس أذرع .

(٢) ما عدا ل : « تولوا » .

(٣) هو بشامة بن حزن النهشلى . والبيت من أبيات فى الحماسة (١ : ٢٥) .

(٤) ما عدا ل ، هـ : « من بنى تميم نمير » .

(٥) أى إذا ظن ذو السيف أن سيفه قاصر .

(٦) الطعن الشزر : ما كان عن يمين وشمال .

ذكروا أنّ رجلًا قتل أخوينِ فى نِقاب (١) ، أحدهما بعالية الرُّمح ، والآخر بسافلته . وقدِم فى ذلك راكبٌ من قِبَل بنى مروان على قَتادة (٢) يستثبت الخبر من قِبَلِهِ ، فأثبته له .

وقال الآخر :

إنّ لقيسٍ عادةً تعتادُها ... سَلَّ السيوفِ وخُطًى تزدادها

وقد وصفوا أيضاً السيوف بالطُّول . وقال عُمارة بن عَقيل (٣) :

بكلِّ طويلِ السيف ذى خيزُرانةٍ ... جرِئ على الأعداء معتمد الشَّطبِ (٤)

* * *

وجملة القول أنّا لا نعرف الخطبَ إلّا للعرب والفُرْس . فأما الهندُ فإنما لهم
١٠١ معانٍ مدونة ، وكُتُبٌ مخلّدة (٥) ، لا تضاف إلى رجلٍ معروف ، ولا إلى عالم موصوف ، وإنّما هى كتبٌ متوارثة ، وآدابٌ على وجه الدّهر سائرةٌ مذكورة .

ولليونانيّين فلسفةٌ وصناعةُ منطق ، وكان صاحبُ المنطقِ نفسُه بكيَّ اللسان ، غيرَ موصوفٍ بالبيان ، مع علمه بتمييز الكلام وتفصيله ومعانيه ، وبخصائصه . وهم يزعمون أنّ جالينوس (٦) كان أنطَقَ الناس ، ولم يذكروه

---

(١) أى فجأة على غير ترصد . ما عدا هـ : « أخويه » .

(٢) قتادة بن دعامة السدوسى البصرى ، المترجم فى (١ : ٢٤٢) .

(٣) هو عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير بن عطية بن الخطفى ، من شعراء الدولة العباسية . وكان النحويون البصريون يأخذون عنه اللغة . الأغانى (٢٠ : ١٨٣ — ١٨٨) .

(٤) الخيزرانة : واحدة الخيزران ، وهى الرماح . والشطب من الخيل : الطويل الحسن الخلق .

(٥) ما عدا ل ، هـ : « مجلدة » .

(٦) كان جالينوس إمام الأطباء فى عصره ، ورئيس الطبيعيين فى وقته ، وكان بعد المسيح بنحو مائتى عام وبعد بقراط بنحو ستمائة سنة . وكان يفد إلى رومة كثيراً ، لمعالجة ملكها المجذوم ، وكان يغزو مع ملوك رومية لتدبير الجرجى . ويفهم من تاريخه أنّه دخل مصر وبلاد النوبة . وله مؤلفات شتى فى الطب والفلسفة سردها ابن النديم والقفطى فى إخبار العلماء بأخبار الحكماء .

بالخطابة (١) ، ولا بهذا الجنس من البلاغة ، وفى الفُرس خُطباء ، إلّا أنّ كلَّ كلامٍ للفُرس ، وكلَّ معنًى للعجم ، فإنّما هو عن طُولِ فكرة وعن اجتهاد رأى ، وطُول خلوة (٢) ، وعن مشاورة ومعاونة ، وعن طُول التفكُّر ودِراسة الكُتُب ، وحكايةِ الثانى علمَ الأول ، وزيادةِ الثالث فى علم الثانى ، حتَّى اجتمعت ثمار تلك الفِكَر عند آخِرِهم . وكلُّ شيءٍ للعرب فإنّما هو بديهةٌ وارتجال ، وكأنّه إلهام ، وليست هناك معاناةٌ ولا مكابدة ، ولا إجالةُ فكر ولا استعانة ، وإنّما هو أن يصرفَ وهْمَه إلى الكلام ، وإلى رجَزِ يومِ الخصام ، أو حين يمتَح على رأس بئر ، أو يحدُو ببعير ، أو عند المقارعة أو المناقلة ، أو عند صِراع أو فى حرب ، فما هو إلا أن يصرف وهْمَه إلى جملة المذهب ، وإلى العمود الذى إليه يقصد ، فتأتيه المعانى أرسالا (٣) ، وتنثال عليه الألفاظ انثيالا ، ثم لا يقيِّده على نفسه ، ولا يَدْرُسه أحداً من ولده (٤) . وكانوا أُمِّيِّين لا يكتبون ، ومطبوعِين لا يتكلَّفون ، وكان الكلام الجيِّد عندهم أظهرَ وأكثر ، وهم عليه أقدر ، وله أقهَر (٥) ، وكل واحدٍ فى نفسه أنطَق ، ومكانُه من البيان أرفع ، وخطباؤهم للكلام أوجَد (٦) ، والكلام عليهم أسهل ، وهو عليهم أيسر من أن يفتقروا إلى تحفُّظ ، ويحتاجوا إلى تدارُس . وليس هم كمن حفِظ علمَ غيرِه ، واحتذى على كلامِ مَن كان قَبله ، فلم يحفظوا إلّا ما عَلِق بقُلوبهم ، والتحم بصدورهم ، واتّصل بعقولهم ، من غير تكلف ولا قصد ،

---

(١) لكن ذكر القفطى ٨٦ أنه « كانت له بمدينة رومية مجالس مقامية خطب فيها وأظهر من علمه بالتشريح ما عرف به فضله ، وبان به علمه » . وقال : « وكان جالينوس عالما بطريق البرهان خطيباً . وله كتاب ناقض به الشعراء ، وكتاب فى لحن العامة » .

(٢) ما عدا ل : « وعن اجتهاد وخلوة » .

(٣) أرسالا : أفواجا ، جمع رسل بالتحريك .

(٤) يقال درسته إياه وأدرسته أيضاً . قالوا : وقرأ ابن حيوة فى الشواذ : « وبما كنتم تدرسون » بضم التاء . ويقال دارست الكتب وتدارستها وادَّارستها .

(٥) كلمة « له » من ل فقط .

(٦) ما عدا ل . « وخطباؤهم أوجز » .

ولا تحفُّظ ولا طلب . وإنّ شيئاً هذا [١] الذى فى أيدينا جزءٌ منه ، لَبِالمقدار الذى
١٠٢ لا يعلمه إلا مَن أحاط بقَطْر السَّحابِ وعدد التُّراب ، وهو الله الذى يحيط بما كان ، والعالِمُ بما سيكون .

ونحن – أبقاك الله – إذا ادّعينا للعرب أصنافَ البلاغة من القصيد والأرجاز ، ومن المنثور والأسجاع ، ومن المزدوج وما لا يزدوج ، فمعَنا العلم أن ذلك [٢] لهم شاهدٌ صادق من الدِّيباجة الكريمة ، والرَّونق العجيب ، والسَّبْك والنَّحت ، الذى لا يستطيع أشعَرُ الناس اليومَ ، ولا أرفعهُم فى البيان أن يقول مثلَ ذلك إلا فى اليسير ، والنَّبْذ القليل [٣] .

ونحن لا نستطيع أن نَعلم أنّ الرسائل التى بأيدى الناس [٤] للفُرس ، أنها صحيحة غيرُ مصنوعة ، وقديمةٌ غير مولَّدة ، إذْ كان [٥] مثل ابن المقفَّع وسهل بن هارون ، وأبى عُبَيد الله ، وعبد الحميد وغيلان ، يستطيعون [٦] أن يولدوا مثل تلك الرسائل ، ويصنعوا مثل تلك السِّيَر .

وأخرى : أنّك متى أخذتَ بيد الشُّعوبىّ فأدخلتَه بلادَ الأعراب الخُلَّص ، ومعدِنَ الفصاحة التامّة ، ووَقَفْتَه على شاعرٍ مفْلِق ، أو خطيب مِصْقع ، علم أنَّ الذى قلتَ هو الحقُّ ، وأبصَرَ الشاهد عِياناً . فهذا فرقُ ما بيننا وبينهم .

فتفهّمْ عنِّى ، فهَّمك الله ، ما أنا قائلٌ فى هذا ، ثم أعلم أنك لم تَرَ قوماً قطُّ أشقى من هؤلاء الشعوبية ولا أعدى على دِينه ، ولا أشدَّ استهلاكاً لِعرضه ، ولا

---

(١) هذه الكلمة من ل ، هـ .

(٢) ما عدا ل : « على أن ذلك » .

(٣) النبذ ، بالفتح : الشئ القليل . ل : « والشئ القليل » .

(٤) ما عدا ل : « فى أيدى الناس » .

(٥) ما عدا ل ، هـ : « إذا كان » .

(٦) ما عدا ل : « وغيلان وفلان لا يستطيعون » .

أطوَلَ نصَباً ، ولا أقل غُنْما من أهل هذه النِّحلة . وقد شَفَى الصُّدورَ منهم طولُ جُثومِ الحسد على أكبادِهم ، وتوقُّدِ نار الشنَآن فى قلوبهم ، وغليانُ تلك المراجل الفائرة ، وتسعُّرُ تلك النِّيران المضطرمة . ولو عرفوا أخلاق أهلِ كلِّ ملة ، وزىّ أهل كل لغةٍ وعِلَلهم (١) ، على اختلاف شاراتهم (٢) وآلاتهم ، وشمائلهم وهيئاتهم ، وما علَّةُ كلِّ شيء من ذلك ، ولِمَ اجتلبوه (٣) وَلِمَ تكلّفوه لأراحوا أنفسَهم ، ولخفّت مؤونتُهم (٤) على مَن خالطهم .

والدَّليل على أنَّ أخْذَ العصا مأخوذٌ من أصْلٍ كريم ، ومعدن شريف ، ومن المواضع التى لا يَعيبها إلّا جاهل ، ولا يعترضُ عليها إلّا مُعانِد ، اتِّخاذُ سليمانَ بنِ ١٠٣ داود صلى الله عليه العصا لخطبته وموعظته ، ولمقاماته ، وطول صلاته ، ولطول التّلاوة والانتصاب ، فجعَلها لتلك الخصال جامعةً . قال الله عز وجل وقولُه الحقّ : ﴿ فلَمَّا قَضَينا عليه الموتَ ما دلّهمْ عَلَى مَوتِه إلّا دَابّة الأرضِ تَأكلُ مِنسأته (٥) فَلَمَّا خَرَّ تبيَّنَتِ الجِنُّ أنْ لو كانُوا يَعْلَمُون الغَيْب مَا لَبِثُوا فى العَذَابِ المُهِين ﴾ . والمِنسأة هى العصا .

قال أبو طالب حين قام يذُمُّ الرجل الذى ضربَ زميلَه بالعصا (٦) فقتله حين تخاصما فى حبل وتجاذبا :

أمن أجل حَبْلٍ لا أباك علوتَه ... بمِنسأة قد جاء حبلٌ وأحبُلُ (٧)

---

(١) كلمة « أهل » فى الموضعين من ل فقط . وهى فى هـ فى الموضع الأول .

(٢) الشارة : الهيئة ، واللباس . ب ، جـ : « إشاراتهم » التيمورية ، هـ : « إشارتهم » صوابهما فى ل .

(٣) ما عدا ل : « اختلقوه » ، تحريف .

(٤) ب ، جـ : « وتخففت » . التيمورية : « وتخفت » .

(٥) ل : « من منسأته » تحريف . على أنه قرئ : « من ساته » . والساة : العصا ، استعير اسمها من ساة القوس وسيتها . انظر تفسير أبى حيان (٧ : ٢٦٧) .

(٦) ما عدا هـ : « بدم الرجل الذى ضربه بالعصا » ، تحريف . وانظر المحبر ٣٣٦ ونسب قريش ١٦ .

(٧) لا أباك ، أى لا أبالك ، حذف اللام ، كما فى قوله :

=

وقال آخر :

إذا دبَبْتَ على المِنساة من كِبَرٍ فقد تباعد عنك اللَّهوُ والغزلُ (١)

* * *

قال أبو عثمان : وإنما بدأنا بذكر سليمان صلى الله عليه لأنّه من أبناء العجَم ، والشُّعوبيةُ إليهم أمْيَل ، وعلى فضائلهم أحرص ، ولِما أعطاهم الله أكثرُ وصفاً وذِكراً .

وقد جمع الله لموسى بنِ عمران عليه السلام فى عصاه من البُرهانات العظام ، والعلامات الجِسام ، ما عسى أن يفيَ ذلك بعلامات عدّةٍ من المرسَلين ، وجماعة من النبيِّين . قال الله تبارك وتعالى فيما يذكر من عصاه (٢) : ﴿ إنَّ هَذانِ لساحِرانِ يُرِيدَانِ أنْ يُخرِجَاكمْ مِنْ أرضِكُم بسحرهما ﴾ ، إلى قوله تعالى : ﴿ ولا يُفلِحُ السَّاحرُ حَيْثُ أتَى ﴾ .

فلذلك قال الحسنُ بن هانئ فى شأن خصيبٍ (٣) وأهلِ مصر حين اضطربُوا عليه :

= وقد مات شماخ ومات مزرد وأى كريم لا أباك يخلد

وقول أبى حية :

أبالموت الذى لابد أنى ملاق لا أباك تخوفينى

وأكثر ما يستعمل فى المدح ، أى لا كافى لك غير نفسك . وقد يذكر فى معرض للذم ، كما يقال لا أم لك . والبيت لم يرد فى ديوان أبى طالب مخطوط الشنقيطى بدار الكتب . وأنشده فى اللسان (نسأ) برواية : « قد جر حبلك أحبل » . وبعده بأبيات :

هلم إلى حكم ابن صخرة إنه سيحكُم فيما بيننا ثم يعدل

كما كان يقضى فى أمور تنوبنا فيعمد للأمر الجميل ويفصل

(١) أنشده فى اللسان (نسأ) برواية : « من هرم » . « فقد تباعد منها » . وفى هـ : « منك » فوق « عنك » ، رواية أخرى .

(٢) ما عدا ل ، هـ : « فى عصاه » .

(٣) هو الخصيب بن عبد الحميد العجمى ثم المزارى ؛ أمير مصر . وهو دهقان من أهل المزار شريف الآباء ، وليس بابن صاحب نهر أبى الخصيب ، ذاك عبد للمنصور يقال له مرزوق وكان هذا رئيساً فى أرضه ، فانتقل إلى بغداد وصار كاتب مهرويه الرازى ، ثم انتقل إلى الإمارة . =

فإن تكُ من فرعون فيكم بَقِيّةٌ ... فإنّ عصا موسى بكفٍّ خصيبِ

ألم تر أنَّ السَّحرة لم يتكلَّفوا تغليط الناس والتموية عليهم إلّا بالعصِىّ ، ولا عارضَهم موسى إلّا بعصاه .

وقال الله عزّ وجل : ﴿ وقَالَ مُوسى يا فِرْعَوْنُ إنِّى رَسُولٌ مِنْ ربِّ العَالَمِين ۝ حَقِيقٌ عَلَى أن لا أقولَ على الله إلَّا الحقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فأَرْسِلْ مَعِىَ
١٠٤ بَنِى إسْرَائِيل ۝ قال إنْ كُنْتَ جِئْتَ بآيَةٍ فأتِ بِهَا إنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۝
فأَلْقَى عَصَاهُ فإذَا هِىَ ثعبانٌ مُبِين ﴾ .

وقال الله عزّ وجلّ : ﴿ قَالُوا يا مُوسَى إمّا أنْ تُلْقِى وإمّا أنْ نكونَ نَحْنُ المُلْقِينَ ۝ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيم ۝ وأَوْحَيْنَا إلى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فإذَا هِىَ تَلْقَفُ ما يَأْفِكُونَ ۝ فَوَقَعَ الحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُون ﴾ . ألا ترى أنّهم لمّا سحروا أعينَ الناس واسترهبوهم بالعصِىّ والحبال ، لم يجعل الله للحبال من الفضيلة فى إعطاء البُرهان ما جَعَلَ للعصا ، وقدرةُ الله على تصريف الحبال فى الوجوه ، كقدرته على تصريف العصا .

= ديوان أبى نواس ٩٧ . وقد وفد أبو نواس على الخصيب فى حداثة سنه – أخبار أبى نواس ٢٣٤ . وكان من خبر هذا الشعر أن أهل مصر كانوا قد شنعوا على الخصيب لزيادة فى أسعارهم ، وكان على شربه وعنده أبو نواس ، فوثب أبو نواس وقال : دعنى أيها الأمير أكلمهم . فقال : ذاك إليك . فخرج حتى وافى المسجد الجامع وقد تواعدوا أن يجتمعوا فيه ، فأنشد هذه الأبيات ، ويقال إنه ارتجلها على المنبر ، فلما سمعها من اجتمع تفرقوا فلم يبق أحد منهم ، وعاد إلى مجلس الخصيب فأمر له بألف دينار . أخبار أبى نواس ٢٤٠ . والأبيات كما رواها ابن منظور وكما فى الديوان ١٠٣ :

منحتكم يا أهل مصر نصيحتى ... ألا فخذوا من ناصح بنصيب
ولا تثبوا وثب السفاة فتحملوا ... على حد حامى الظهر غير ركوب
فإن يك باق إفك فرعون فيكم ... فإن عصا موسى بكف خصيب
رماكم أمير المؤمنين بحية ... أكول لحيات البلاد شروب

ولما استنشده الرشيد هذه الأبيات قال : ألا قلت فباق عصا موسى بكف خصيب ؟ فقال له وهذا يا أمير المؤمنين أحسن ، ولكنه لم يقع لى .

وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِىَ مِنْ شَاطِىءِ الوَادِى الأَيْمَنِ فِى البُقْعَةِ المُبارَكَة مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّى أَنَا اللهُ ربُّ العَالَمِين . وأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رآهَا تَهْتَزُّ كأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبراً ولم يُعَقِّب يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ من الآمِنِين ﴾ . فبارَك كما ترى على تلك الشّجرة ، وبارك فى تلك العصا ، وإنّما العَصَا جزءٌ من الشجرِ .

وقال عزّ وجلّ : ﴿ والأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا . أَخْرَجَ منها ماءَها ومَرْعاها ﴾ .

وقالت الحكماء : إنما تُبنى المدائن على الماء والكلإ والمحتَطَب [1] . فجمع بقوله : ﴿ أَخْرَجَ منها ماءَها ومَرْعاها ﴾ النَّجمَ والشجر ، والمِلْحَ واليقطين [2] ، والبقل والعُشْب . فذكر ما يقوم على ساقٍ وما يتفنّن وما يتسطَّح ، وكلُّ ذلك مرعًى ، ثم قال على النَّسَق : ﴿ متاعاً لَكُمْ ولأَنْعَامِكُمْ ﴾ ، فجمع بين الشجر والماء والكلإ والماعونِ كلِّه ؛ لأنّ الملح لا يكون إلّا بالماء ، ولا تكون النّار إلّا من الشَّجَر .

وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ الذى جَعَلَ لكُمْ من الشجر الأَخْضرِ ناراً فإذا أنتُمْ منهُ تُوقِدُونَ ﴾ . وقال : ﴿ أَفَرَأَيتمُ النّارَ التى تُورُونَ . أأنتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَها أَمْ نَحْنُ المُنْشِئُونَ . نَحْنُ جَعَلْناها تَذْكِرَةً ومَتَاعاً لِلْمُقْوِينَ ﴾ . والمَرْخ والعَفَارُ [3] ، والسَّوَاسُ [4] والعراجين ، وجميعُ عيدان النارِ ، وكلُّ

---

(١) سبق هذا فى (٢ : ١٩٣) والحيوان (٥ : ٩٩) .

(٢) اليقطين ، بالفتح : كل شجر لا يقوم على ساق ، نحو الدباء ، والقرع والبطيخ ، والحنظل .

(٣) المرخ : شجر كثير الورى سريعه ، وهو من العضاه ينفرش ويطول فى السماء ، وليس له ورق ولا شوك . والعفار ، كسحاب : شجر مثله يتخذ منه الزناد ، وهو شجر خوار ، ولذلك جاد للزناد .

(٤) السواس ، كسحاب : شجر من العضاه يقتدح به . ل : « الشواس » تحريف .

عُودٍ يُقدح على طول الاحتكاك فهو غنيٌّ بنفسه ، بالغٌ لِلمُقْوِى وغير المقْوى [١] ١٠٥ وحَجَر المَرْوْ يحتاج إلى قَرّاعة الحديد ، وهما يحتاجان إلى العُطْبة [٢] ، ثم إلى الحطب . والعِيدانُ هى القادحة ، وهى المُورِيةُ ، وهى الحطب .

قال الله عزّ وجلّ : ﴿ الذين هُمْ يُرَاءُونَ . ويَمْنَعُونَ الماعُونَ ﴾ .

والماعون : الماء والنار والملح [٣] والكلأ . وقال الأسدىّ [٤] :

وكأنّ أرحلَنا بِجَوٍّ مُحَصَّبٍ ... بلِوَى عُنَيزةَ مِن مَقيل التُّرْمُسِ [٥]
فى حيث خالطت الخُزامَى عرفجا ... يأتيك قابسُ أهلها لم يُقْبَسِ [٦]

وإنّما وصف خِصْبَ الوادى ولُدونةَ عِيدانه ، ورطوبةَ الورق . وهذا خلاف قول عمرو بن عَبْدِ هند [٧] :

فإنّ السِّنانَ يركب المرءُ حَدَّهُ ... من العار أو يعدو على الأسدِ الوَرْدِ [٨]
وأنّ الذى ينهاكُمُ عن طِلابها ... يناغى نِساءَ الحيِّ فى طُرّةِ البُردِ [٩]
يُعَلِّلُ والأيّامُ تنقُص عمره ... كما تَنقُص النّيرانُ من طرَف الزَّنْدِ

* * *

(١) المقوى : المسافر ينزل بالأرض القى ، بكسر القاف ، وهى القفر .

(٢) العطبة : القطعة من العطب ، بضمتين وبضمة واحدة ، وهى القطن .

(٣) كلمة : « والملح » من ل ، هـ فقط .

(٤) وهذه النسبة أيضاً فى الحيوان (٣ : ١٢١) . لكن نسبه فى (٤ : ٤٦٥) إلى المرار بن منقذ .

(٥) ما عدا ل ، هـ : « بأرض محصب » . وفى المخصص (١٠ : ١٣٣) : « بجو مخصب » والجو : ما انخفض من الأرض . وعُنَيْزة : موضع بين مكة والبصرة . والترمس : ماء لبنى أسد . وفى المخصص : « من مفيض الترمس » .

(٦) البيت فى المخصص (١٠ : ١٧٦ / ١١ : ٣٢) .

(٧) فى الحيوان (٣ : ٤٨ ، ٤٧٩) : « عمرو بن هند » وفى (٦ : ٥٠٢) : « عبد هند » . وفيما عدا ل هنا : « وهذا خلاف قوله » فقط .

(٨) من العار ، أى من خشية العار ، فالحر يذود عن حوضه بالسلاح ويقتحم الأخطار . والورد : ما لونه الوُردة ، وهى الحمرة الضاربة إلى الصفرة .

(٩) يناغى : يغازل . وطرة الثوب : شبه علمين يخاطان بجانبى البرد على حاشيته . وفى هامش هـ : « شُبِّهَ الأرض إذا اكتَسَتْ بالنور فى الخصب بطرة البرد » .

وذكر الله عزّ وجلّ النّخلةَ فجعلها شجرة ، فقال : ﴿ أَصْلُها ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فى السَّماء ﴾ .

وذكر رسول الله ﷺ حُرمة الحَرمَ فقال : « لا يُختلى خلاهَا ، ولا يُعضَد شجرها » .

وقال الله عزّ وجل : ﴿ وأَنْبَتْنا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطين ﴾ .

وتقول العرب : ليس شئٌ أدفأ من شجرٍ ، ولا أظلَّ من شجَر [1] .

ولم يكلّم اللهُ موسى إلّا من شجرة ، وجعل أكبرَ آياته فى عصاه ، وهى من الشجر . ولم يمتحن الله جلّ وعزّ صبْر آدم وحوّاء ، وهما أصلُ هذا الخلقِ وأوّلُه ، إلّا بشجرة . ولذلك قال : ﴿ ولا تقَربا هٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ وجعل بيعة الرِّضوان [2] تحت شجرة . وقال : ﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُور سَيْنَاءَ تَنْبُتَ بالدُّهْنِ وصِبْغٍ للآكِلِينَ ﴾ .

وسِدرة المنتهى التى عندها جنّة المأوى شجرةٌ .

وشجرةٌ سُرَّ تحتها سبعون نبيًّا لا تُعْبَل ولا تسرَف [3] .

وحين اجتهد إبليسُ فى الاحتيال لآدمَ وحوّاء صلى الله عليهما ، لم يصرف

---

(١) ما عدا ل ، هـ : « شجرة » فى الموضعين .

(٢) كانت بيعة الرضوان فى السنة السادسة من الهجرة ، وذلك أن رسول الله ﷺ خرج عام الحديبية يريد زيارة البيت لا يريد قتالا ، وكان رسوله إلى قريش عثمان بن عفان ، فاحتبسته قريش عندها ، وبلغ رسول الله أنه قد قتل ، فقال : لا نبرح حتى نناجز القوم ، ودعا إلى البيعة وكانت تحت شجرة جلس رسول الله فى أصلها ، فبايعه الناس على الموت ، فلما علمت قريش بذلك أرسلوا فى طلب الهدنة فكان من ذلك صلح الحديبية . السيرة ٧٤٦ – ٧٥٢ . وكان الناس يأتون تلك الشجرة من بعد يصلون عندها فبلغ عمر فأمر بقطعها . تفسير أبى حيان (٨ : ٩٦) .

(٣) سر الصبى يسره : قطع سرره ، بالتحريك . وما بقى فهو السرة . لا تُعبَل ، أى لا يسقط ورقها . وسرفت الشجرة . أصابتها السرفة ، وهى دويبة تنسج على بعض الشجر وتأكل ورقه وتهلك ما بقى منه بذلك النسج . والحديث بتمامه فى اللسان (عبل ، سرف) : أن ابن عمر رضى الله عنه قال لرجل : إذا أتيت منى فانتهيت إلى موضع كذا وكذا فإن هناك سرحةً لم تعبل ولم تجرد ولم تسرف ، سُرَّ تحتها سبعون نبيا ، فانزلْ تحتها » .

الحيلة إلّا إلى الشّجرة ، وقال : ﴿ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى ﴾ . ١٠٦

وفيما يُضرب بالأمثال من العصىّ قالوا : قال جميل بن بَصْبَهَرِى [١] حين شكا إليه الدّهاقين [٢] شَرَّ الحجَّاج . قال : أخبرونى أين مولدُه ؟ قالوا : الحجاز . قال : ضعيف مُعجَب . قال : فمنشؤه ؟ قالوا : الشام . قال : ذلك شرٌّ . ثم قال : ما أحسن حَالَكم إن لم تُبْتَلَوا معه بكاتبٍ منكم ، يعنى من أهل بابل . فابتُلوا بزاذان فَرُّوخَ الأعور [٣] . ثم ضَرب لهم مثلًا فقال : إنّ فأساً ليس فيها عودٌ أُلقيت بين الشّجر [٤] ، فقال بعضُ الشّجر لبعض : ما أُلقيت هذهِ [٥] ها هنا لخير . قال : فقالت شجرةٌ عاديّة [٦] : إن لم يدخل فى است هذه [٥] عودٌ منكن فلا تخفْنَها .

وقال يزيد بن مفرِّغ [٧] :

---

(١) هذه الكلمة مهملة فى الأصل ، ونقطها وضبطها مما سبق فى (٢ : ٢٦٣) . ما عدا ل : « يصبهرى » . وضبطت فى هـ بتشديد الراء المفتوحة .

(٢) الدهاقين : جمع دهقان ، بالكسر ، وهو زعيم فلاحى العجم ، فارسى معرب ، فارسيته « دهكان » .

(٣) سبقت ترجمته فى (١ : ٣٣٥) .

(٤) الفأس مؤنثة . ما عدا ل : « ليس فيه عود ألقى بين الشجر » ، تحريف .

(٥) ما عدا ل : « هذا » تحريف .

(٦) عادية ، قديمة ، كأنها منسوبة إلى عاد .

(٧) هو يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميرى ، من شعراء الدولة الأموية . لما ولى سعيد بن عثمان بن عفان خراسان ، استصحب يزيد فأبى عليه وآثر صحبة عباد بن زياد ، وكان من ذلك أيضاً منافسة بين عباد بن زياد وأخيه عبيد الله بن زياد ، ولكن عباداً لم يرق من بعد فى عينى يزيد فرأى أن يهاجره ، وكان ليزيد قينة تسمى الأراكة ، وغلام يدعى بردا ، فطلب إليه عباد أن يبيعه إياهما ، ثم ضربه حتى أخذهما منه ، فقال يزيد فى ذلك :

شريت برداً ولو ملكت صفقته ... لما تطلبت فى بيع له رشدا
لولا الدعى ولولا ما تعرض لى ... من الحوادث ما فارقته أبدا
يا برد ما مسَّنا برد أضر بنا ... من قبل هذا ولا بعنا له ولدا
أما الأراك فكانت من محارفنا ... عيشا لذيذا وكانت جنة رغدا

وقال أيضاً :

وشريت بردا ليتنى ... من بعد برد كنت هامه

وهو من قصيدة البيت التالى . الأغانى (١٧ : ٥١ – ٥٥) وأمالى الزجاجى ٤١ – ٤٣ .

العبدُ يُقرع بالعصا　　　والحرُّ تكفيه الملامه

وقال : أخذه من الفَلتان الفَهميّ (١) ، حيث قال :

العبد يقرع بالعصا　　　والحر تكفيه الإشاره

وقال مالك بن الرَّيب (٢) :

العبدُ يُقْرعُ بالعصا　　　والحرُّ يكفيه الوعيدُ

وقال بشّار بن بُرد :

الحُرُّ يُلحَى والعَصَا للعبدِ　　　وليس للمُلحِفِ مثلُ الردِّ

وقال آخر (٣) :

فاحتلتُ حين صَرمْتِنِى　　　والمرء يَعجِزُ لا المَحاله (٤)
والدَّهر يلعب بالفتى　　　والدّهر أروغ من ثُعالَه (٥)
والمرءُ يَكسِبُ مالَه　　　بالشُّحّ يورثُه الكَلالَه (٦)
والعبد يُقرع بالعصا　　　والحرُّ تكفيه المقاله

* * *

(١) كذا فى جميع النسخ ، وصوابه « الصلتان الفهمى » ، كما أسلفت فى تحقيق الحيوان (٥ : ٦٢) .

(٢) كان مالك بن الريب معاصرا ليزيد بن مفرغ ، وكان لصا يقطع الطريق مع شظاظ الضبى الذى يضرب به المثل ، فلما كان سعيد بن عثمان بن عفان فى طريقه إلى خراسان حين ولاه معاوية ، مر بمالك بن الريب فاستصحبه واستتابه وأجرى عليه خمسمائة دينار فى كل شهر ، فكان معه حتى قتل بخراسان . الخزانة (١ : ٣٢١) والأمالى (٣ : ١٣٥) .

(٣) هو أبو دُوَاد ، يعاتب امرأته فى سماحته بماله . اللسان (حول ١٩٧) . لكن البيت الأخير من هذه المقطوعة لم يروه ابن منظور ، بل روى الثلاثة الأولى فقط .

(٤) فى اللسان وما عدا ل : « حاولت » . والمحالة : الحيلة . ما عدا ل : « لا محالة » ، تحريف يفسد معه المعنى .

(٥) ثعالة : علم جنس للثعلب . وهو معروف بالمراوغة .

(٦) الكلالة هم من الأقارب ما خلا الوالد والولد ، سموا كلالة لاستدارتهم بنسب الميت الأقرب فالأقرب .

١٠٧ وممّا يدخل فى باب الانتفاع بالعصا أنّ عامر بن الظَّرِب العَدْوانىّ (١) حكَمَ العربَ فى الجاهليّة ، لما أسنّ واعتراه النِّسيان ، أمر ابنتَه أن تقرَع بالعصا إذا هو فَهَّ عن الحكم (٢) ، وجارَ عن القصد ، وكانت من حكيمات بناتِ العرب حتى جاوزت فى ذلك مقدار صُحْرِ بنت لقمان (٣) ، وهندٍ بنت الخُسّ ، وجُمعة بنت حابس بن مُلَيل الإياديَّين (٤) .

وكان يقال لعامرٍ : ذو الحلم ، ولذلك قال الحارث بن وعلة (٥) :

وزعَمتمُ أنْ لا حلوم لنا ... إنّ العصا قُرِعت لذى الحِلمِ

وقال المتلمِّس فى ذلك (٦) :

لِذِى الحلم قبل اليوم ما تُقْرَع العصا ... وما عُلِّم الإنسان إلا ليعلما

وقال الفرزدق بن غالب :

---

(١) ترجم فى (١ : ٢٦٤) . والخبر إلى كلمة « من القتل » فى الأغانى (٢ : ١٣٤) .

(٢) فه عن الشيء يفَهُّ فَهًّا : نسيه .

(٣) صحر ، بضم الصاد وسكون الحاء ، كما فى القاموس (صحر) . وفى الأصول : « صخرة » تحريف . وفى هـ : « صحرة » . ومما يسجل أنها « صحر » قول خفاف بن ندبة :

وعياش يدب لى المنايا ... وما أذنبت إلا ذنب صحر

وكذا قول عروة بن أذينة ، وقد روى البيتان فى الحيوان (١ : ٢٢) :

أتجمع تهياما بليلى إذا نأت ... وهجرانها ظلماً كما ظلمت صحر

(٤) هذا بالنظر إلى أبويهما ، وإلا فهما إياديتان .

(٥) هو الحارث بن وعلة بن عبد الله الجرمى ، كان هو وأبوه وعلة من فرسان قضاعة وأنجادها وشعرائها ، وشهد أبوه يوم الكلاب الثانى فأفلت بعد أن أدركه قيس بن عاصم المنقرى . الأغانى (١٩ : ١٤١ - ١٤٢) .

(٦) كلمة « فى ذلك » من ل ، هـ . والمتلمس : أحد شعراء الجاهلية ، وهو خال طرفة بن العبد ، وكان ينادمان عمرو بن هند ملك الحيرة ، فلما هجراه حاول الانتقام منهما كما تروى الأساطير ، فكتب لهما كتابين إلى عامل البحرين يأمره بقتلهما ، وأوهمهما أنه أمر لهما بصلة ، حتى إذا كانا ببعض الطريق عرف المتلمس ما فى الصحيفة فقذف بها فى نهر الحيرة ، وذهب طرفة إلى العامل فقتل هناك . الأغانى (٢١ : ١٢٠) ، والخزانة (٣ : ٧٣) ومعاهد التنصيص (١ : ١٠) وسرح العيون ٢٧ .

فإن كنتُ أستأنِى حلومَ مُجَاشعٍ فإنّ العصا كانت لذى الحلم تقرعُ [١]

ومن ذلك حديثُ سَعْد بن مالك [٢] بن ضُبيعة بن قيس بن ثعلبة ، واعتزامُ الملك على قتل أخيه [٣] إن هو لم يُصِب ضَميره ، فقال له سعد : أبيتَ اللعن أتدعُنى حتَّى أقرعَ بهذه العصا أختَها ؟ فقال له الملك : وما عِلْمُه بما تقول العصا ؟ فقرع بها مرّةً وأشار بها مرةً ، ثمّ رفعها ثم وضعها ، ففهم المعنى فأخبره ونجا من القتل .

وذِكْر العصا يجرى عندهم فى معانٍ كثيرة . تقول العرب : « العصا من العُصَيَّة [٤] ، والأفعى بنت حيَّة » ، تريد أن الأمر الكبير يحدث عن الأمر الصغير .

ويقال : « طارت عصا فلانٍ شِقَقاً » . وقال الأسدىّ :

عِصِىُّ الشَّمل من أسَدٍ أُراها قد انصدعت كما انصدع الزجاجُ

ويقال : « فلانٌ شقَّ عصا المسلمين » ، ولا يقال شق ثوباً ولا غير ذلك مما

---

(١) البيت من قصيدة له فى ديوانه ٥٠٣ يعتب فيها على قومه . والرواية فيه : « وإن أعف استبقى » . أستأنى : أنتظر وأتربص ولا أتعجل . ما عدا ل ، هـ : « أنسانى حلوم مجاشع » تحريف .

(٢) ما عدا ل ، هـ : « سعيد بن مالك » تحريف . وسعد هذا والد جد طرفه بن العبد بن سفيان ابن سعد بن مالك ، أحد سادات بكر بن وائل وفرسانها فى الجاهلية وشعرائها . المؤتلف ١٣٥ . وهو صاحب المقطوعة الحماسية التى أولها :

يا بؤس للحرب التى وضعت أراهط فاستراحوا

وانظر ما سبق فى ص ١٩ .

(٣) أخوه هذا هو عمرو بن مالك . وكان النعمان قد أرسله رائداً للكلأ فأبطأ عليه فأغضبه ذلك فأقسم إن جاء حامدا أو ذاما ليقتلنّه ، فاحتال أخوه سعد فى إنقاذه بقرع العصا ، فى قصة مسهبة يرويها أبو الفرج فى الأغانى (٢١ : ١٢٤) .

(٤) يعنون أن الشىء الجليل إنما يكون فى بدئه صغيراً ، وذلك كما يقولون : « القرم من الأفيل » وقيل إن « العصية » فرس ، هى أم « العصا » فرس جذيمة .

يقع عليه اسم الشق . وقال العتّابى (١) فى مديح بعض الخلفاء (٢) : ١٠٨

إمامٌ له كفٌّ يضم بنانها عصا الدّينِ ممنوعاً من البرْىِ عودُها
وعينٌ محيطٌ بالبرِّية طرفُها سَوَاءٌ عليه قُرْبُها وبَعيدُها

وقال مُضَرِّس الأسدى (٣) :

فألقت عصا التَّسيار عنها وخيَّمَتْ بأرجاء عذب الماء بيض محافره

وقال أيضاً (٤) :

فألقت عصاها واستقرّت بها النوى كما قرّ عيناً بالإياب المسافرُ

ويقال لبنى أسد : « عبيد العصا » يُعنَى أنهم كانوا ينقادون لكل من حالفوا من الرؤساء . وقال بشر بن أبى خازم (٥) :

عَبيد العصا لم يتّقوك بذِمّةٍ سوى سَيب سُعْدَى إنّ سيبَك واسعُ (٦)

وتسمّى العربُ كلَّ صغيرِ الرّأس : « رأسَ العصا » .

---

(١) هو كلثوم بن عمرو العتابى ، المترجم فى (١ : ٢٣١) .

(٢) هو الخليفة هارون الرشيد ، كما فى معجم المرزُبانى ٣٥٢ . وبعد البيتين :

وأصمع يقظان يَبيت مناجياً له فى الحشا مستودعات يكيدها
وسمع إذا ناداه من قعر كربة مناد كفته دعوة لا يعيدها

(٣) هو مضرس بن ربعى بن لقيط الأسدى ، شاعر محسن متمكن ، كان معاصراً للفرزدق . المؤتلف ١٩١ ومعجم المرزبانى ٣٩٠ . والبيت فى اللسان (عصا) بدون نسبة .

(٤) لمعقر بن حمار ، أو عبد ربه السلمى ، أو سليم بن ثمامة الحنفى . اللسان (عصا) .

(٥) يقوله لأوس بن حارثة . وكان بشر قد حُمل حملا على هجاء أوس ، وجعلت له فى ذلك جعالة ، فهجاه بقصائد خمس ، ثم وقع بشر فى الأسر وظفر به أوس بعد أن أعطى من أسروه مائتى بعير ، وأوقد له ناراً ليحرقه ، فبلغ ذلك أم أوس — وهى سعدى بنت حصن — فأنذرته أن يخلى سبيله ويصفح عنه خوف الهجاء ، فعفا عنه وكساه وحمله وأمر له بمائة ناقة ، فكان ذلك سبباً فى أن يغسل بشر هجاء أوس بخمس قصائد فى مدحه . انظر مختارات ابن الشجرى ٦٥ — ٨٣ . والبيت التالى من أبيات المديح ، وهى كذلك فى هجو بنى أسد . وبنو أسد هم قوم بشر بن أبى خازم الأسدى ، فكأنه يتقرب إلى أوس بهجائه عشيرته وقومه .

(٦) سعدى ، بنت حصن ، وهى أم أوس . والسيب : العطاء والعرف والنافلة . ورواية ثمار القلوب ٥٠٤ : « سوى أنهم بخل وفضلك واسع » . وانظر الحيوان (٥ : ٢٩٣) .

وكان عمرُ بن هُبَيرة [١] صغيرَ الرّأس ، فقال سُويد بن الحارث [٢] .

مَن مُبلغٌ رأسَ العصا أنَّ بيننا ضغائنَ لا تُنسَى وإن قدُم الدّهرُ

وقال آخر :

فمن مبلغ رأس العصا أنّ بيننا ضغائنَ لا تنسى وإن قيل سُلَّتِ
رضيتَ لقيسٍ بالقليل ولم تكن أخا راضياً لو أنّ نعلَك زَلّتِ [٣]

وكان والبة صغير الرأس [٤] ، فقال أبو العتاهية فى رأس والبة ورءوس قومه :

رءوس عِصِيٍ كُنَّ من عُودِ أثلةٍ لها قادحٌ يَبرِى وآخر مُخْرِبُ [٥]

* * *

والدليل على أنهم كانوا يتّخذون المخاصرَ فى مجالسهم كما يتخذون القنا والقِسىَّ فى المحافل ، قولُ الشاعر فى بعض الخلفاء [٦] :

فى كفّه خيزُرانٌ ريحهُ عبِقٌ من كَفٍّ أروعَ فى عرنينه شَمَمُ [٧] ١٠٩

---

(١) هو عمر بن هبيرة بن سعد بن عدى بن فزارة ، ولى العراقين ليزيد بن عبد الملك ست سنين ، وكان يكنى أبا المثنى ، وفيه يقول الفرزدق مخاطباً يزيد :

أولّيتَ العراق ورافديه فزاريا أحذ يدِ القميص
تفنق بالعراق أبو المثنى وعلم قومه أكل الخبيص

وأولاده : يزيد ، وسفيان ، وعبد الواحد . المعارف ١٨٩ .

(٢) كلمة « بن الحارث » من ل ، هـ .

(٣) يقول : لو زلت نعلك لوجدت من قيس من العون ما لا ترضى لهم معه إلا الكثير .

(٤) ما عدا ل ، هـ : « حقير الرأس » . ووالبة هذا هو والبة بن الحباب الأسدى ، من شعراء الدولة العباسية ، وهو أستاذ أبى نواس . وكان شاعراً ظريفا غزلا ، وصافا للشراب والغلمان . وقد هاجى بشارا وأبا العتاهية فلم يصنع شيئا وفضحاه ، فعاد إلى الكوفة كالهارب وخمل ذكره بعد . الأغانى (١٦ : ١٤٢) .

(٥) القادح : أكال يقع فى الشجر والأسنان . ما عدا ل : « يفرى » . مخرب ، من الإخراب . ما عدا ل : « مجرب » تحريف .

(٦) انظر ما سبق من التحقيق فى (١ : ٣٧٠) .

(٧) فى (١ : ٣٧٠) : « بكف أروع » وفى الحيوان (٣ : ١٣٣) : « فى كف أروع » .

يُغْضِى حياءً ويغضَى من جلالته   فما يُكلّمُ إلّا حين يَبْتَسِمُ

وقال الآخر :

مجالسهم خَفْضَ الحديثِ وقولهم   إذا ما قضَوْا فى الأمر وحْىُ المخاصرِ

وقال الآخر :

يُصيبون فَصلَ القول فى كلِّ خطبة   إذا وصلوا أيمانَهم بالمخاصر (١)

* * *

وحدَّثنى بعضُ أصحابنا قال : كنّا منقطِعِينَ إلى رجلٍ من كبار أهل العسكر ، وكان لُبْثنا يطولُ عنده ، فقال له بعضُنا : إن رأيتَ أن تجعلَ لنا أَمارةً إذا ظهرَتْ لنا خفّفْنا عنك (٢) ولم نُتعِبك بالقُعود ، فقد قال أصحاب معاوية لمعاوية مثلَ الذى قُلنا لك فقال : أمارةُ ذلك أنْ أقول : إذا شئتم . وقيل ليزيدَ مثلُ ذلك فقال : إذا قلتُ على بركة الله . وقيل لعبد الملك مثلُ ذلك فقال : إذا ألقيت الخيزرانة من يدى . فأىَّ شىءٍ تجعلُ لنا أصلحَكَ الله ؟ قال : إذا قلتُ : يا غلامُ الغَدَاء .

وفى الحديث : أنْ رجلًا ألَحّ على النبى ﷺ فى طلب بعض المَغْنم وفى يده مخصرةٌ ، فدفعه بها ، فقال يارسول الله : أَقِصّنى . فلما كشف النبى له عن بطنه احتضنه فقبَّل بطنه .

وفى تثبيت شأنِ العصا وتعظيم أمرها ، والطّعنِ على مَن ذمَّ حامِلَها ؛ قالوا : كانت لعبد الله بن مسعود عشرُ خصال : أوّلها السِّواد ، وهو سِرار النبى ﷺ . فقال له النبى : « إذْنُك علىّ أن يُرفع الحجاب ، وتسمع سِوَادى » . وكان معه مسواكُ النبى ﷺ ، وكانت معه عصاه .

---

(١) البيت ملفق من صدر وعجز لبيتين ، سلفا لصفوان الأنصارى (١ : ٢٦ ، ٢٥ س ٩ ، ١٢) .

(٢) ما عدا ل ، هـ : « حفظنا » مع إسقاط الكلمة بعدها . وكلمة « عنك » من ل .

قال : ودخل عُمَير بن سعد [١] على عمر بن الخطاب ، حينَ رجع إليه
من عمل حمص ، وليس معه إلّا جرابٌ وإداوَة وقَصعةٌ وعصاً [٢] ، فقال له
عمر : ما الذى أرى بك ، من سوء الحال أو تصنُّع ؟ قال : وما الذى ترى
بى [٣] ، ألستُ صحيحَ البدَن ، معى الدُّنيا بحذافيرها ؟ قال : وما معَك من
الدنيا . قال : معى جرابى أحمل فيه زادى ، ومعى قَصعتى أغسل فيها ثوبى ، ١١٠
ومعى إداوتى أحمل فيها مائى لشرابى ، ومعى عصاى إنْ لقيتُ عدواً قاتلتُه ، وإن
لقيت حيّة قتلتُها ، وما بقى من الدنيا فهو تبعٌ لما معى [٤] .

وقال الهيثم بنُ عدىّ ، عن شرقىّ بن القُطَامىّ وسأله سائلٌ عن قول الشاعر :

لا تَعدِلنَّ أتاويِّين تضربُهم   نكباءُ صِرٌّ بأصحاب المُحِلّاتِ [٥]

قال : والمُحِلّات : الدلو ، والمِقدحَةُ ، والقِربة ، والفأس . قال : فأين أنت عن العصا ؟ والصُّفْن خير من الدَّلو وأجمعُ [٦] .

---

(١) ما عدا ل : هـ : « عمر بن سعد » ، تحريف . وهو عمير بن سعيد بن عبيد بن النعمان بن قيس بن عمرو بن عوف . وكان عمر بن الخطاب يسميه « نسيج وحده » لإعجابه به . شهد فتوح الشام ، واستعمله عمر على حمص إلى أن مات ، وكان من الزهاد العُبّاد . الإصابة ٦٩٣١ وصفة الصفوة (١ : ٢٩١ – ٢٩٣) .

(٢) التيمورية : « وعصاه » بالإضافة . ب ، جـ : « وعصاة » تحريف .

(٣) ما عدا ل : « ترانى » تحريف .

(٤) الخبر بتفصيل فى صفة الصفوة (١ : ٢٩١ – ٢٩٢) .

(٥) الأتاوى ، بفتح الهمزة : الغريب فى غير وطنه . والنكباء : كل ريح من الرياح الأربع وقعت بين ريحين ، وهى تهلك المال وتحبس القطر . والصر : الشديدة البرد . والمحلات كما فى المخصص (١٣ : ٢٢٥) هى القدر ، والرحى ، والدلو ، والشفرة ، والفأس . وفى الحيوان (٥ : ٩٧) أنها القداحة والقربة والمسحاة . وقد نقص الجاحظ عن البيان هنا : الدلو . وفى اللسان (حلل) أنها القدر والرحى والدلو والقربة والجفنة والسكين والفأس والزند . وانظر اللسان (حلل ، أتو) ، والمقاييس (١ : ٥٢) ، ومحاضرات الراغب (٢ : ١٦١) .

(٦) الصفن ، بضم الصاد وفتحها : وعاء من أدم كالسفرة لأهل البادية يجعلون فيها زادهم ، وربما استقوا به الماء كالدلو .

وقال النَّمر بن تولب :

أفرغتُ فى حَوضها صُفْنى لتشربَه ··· فى دائرٍ خَلَقِ الأعضادِ أهدَامِ (١)

* * *

وأما العصا فلو شئتُ أن أشغلَ مجلسى كله بخصالها لفعلت .

وتقول العرب فى مديح الرجل الجَلْد ، الذى لا يُفتات عليه بالرأى : « ذلك الفحلُ لا يُقرَع أنفه (٢) » . وهذا كلام يقال للخاطب إذا كان على هذه الصِّفة ، لأنّ الفحل اللئيم إذا أراد الضِّراب ضربوا أنفَه بالعصا .

وقد قال أبو سُفيانَ بنُ حرب بن أميَّة ، عندما بلغه من تزوُّج النبى ﷺ بأمّ حَبيبة (٣) ، وقيل له : مثلك تُنكَح نساؤه بغير إذنه ؟! فقال : « ذلك الفحلُ لا يُقرع أنفه » .

والحمار الفارِه يفسده السَّوط (٤) وتصلحه المِقرعة . وأنشد لسَلامة بن جندل :

---

(١) يروى نظيره ، وكأنه هو ، لأبى دواد فى اللسان (صفن) :

هرقت فى حوضه صفنا ليشربه ··· فى دائر خلق الأعضاد أهدام

(٢) يقرع ، بالراء ، أى يضرب ، ويروى بالدال أيضا ، بمعناه . انظر اللسان (قدع ، قرع) حيث أورد قول ورقة بن نوفل : « محمد يخطب خديجة ، هو الفحل لا يقدع أنفه » ، و « لا يقرع أنفه » .

(٣) هى أم حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب ، القرشية الأموية ، زوج رسول الله واسمها « رملة » . ويروون أن الذى عقد عليها لرسول الله هو النجاشى ، بعد أن خطب خطبة قال فيها : « أما بعد فإن رسول الله ﷺ كتب إلىّ أن أزوّجه أم حبيبة ، فأجبت ، وقد أصدقتها عنه أربعمائة دينار » ، ثم سكب الدنانير ، فخطب خالد بن الوليد فقال : « قد أجبت إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ ، وزوجته أم حبيبة » . وقبض الدنانير ، وعمل لهم النجاشى طعاما . وقيل أن الذى عقد عليها لرسول الله هو عثمان بن عفان . وكان ذلك قبل إسلام أبيها وبغير إذنه . الإصابة ٤٣٢ من قسم النساء .

(٤) فى جميع الأصول : « الصوت » .

إنّا إذا ما أتانا صارخ فزِعٌ كان الصُّراخُ له قرعَ الظَّنابيب [١]

وقال الحجاج : « والله لأعصِبَنَّكم عصْبَ السَّلَمة ، ولأضربنَّكم ضرب غرائب الإبل [٢] . وذلك أن الأشجار تُعْصَبُ أغصانُها ، ثم تخبط بالعصىّ لسقوط الورق وهَشِيم العِيدان .

ودخل أبو مِجْلز [٣] على قتيبة [٤] بخراسان ، وهو يضرب رجالًا بالعصىّ
١١١ فقال : أيُّها الأمير ، إنّ الله قد جعل لكل شئٍ قدْرا ، ووقّت فيه وقتا ، فالعصا للأنعام والبهائِم العظام [٥] ، والسَّوط للحدود والتعزير ، والدِّرَّة للأدب [٦] ، والسَّيف لقتال العدوِّ والقَوَد .

ثم قال الشَّرْقىّ : ولكن دعْنا من هذا ؛ خرجتُ من الموصل وأنا أريد الرَّقَّة مستخفيا ، وأنا شابٌّ خفيف الحاذِ [٧] ، فصحبنى من أهل الجزيرة فتًى ما رأيتُ بعده مثلَه [٨] ، فذكر أنه تغلبى [٩] ، من ولد عمرو بن كلثوم ، ومعه مِزْود وركوة وعصاً [١٠] ، فرأيتُه لا يفارقها ، وطالت ملازمتُه لها ، فكدت من الغيظ أرمى بها فى بعض الأودية ، فكنَّا نمشى فإذا أصبنا دوابَّ ركبناها ، وإن لم نُصب

---

(١) رواية الديوان ١١ و المفضليات (١ : ١٢٢) : « كنا إذا » . والصارخ : المستغيث ، والصراخ : الإغاثة . والظنبوب : حرف عظم الساق ، يقال : قد قرع ظنبوبه لهذا الأمر ، أى عزم عليه .

(٢) هذا الكلام من خطبة سبقت فى الجزء الثانى ص ٣٩٧ – ٣١٠ .

(٣) أبو مجلز : لاحق بن حميد ، المترجم فى (٢ : ٤٣) .

(٤) هو قتيبة بن مسلم ، ترجم فى (٢ : ٤٢) .

(٥) هذه الكلمة من ل ، هـ .

(٦) فى المصباح : « والدرة : السوط » . وفى اللسان: « الدرة درة السلطان التى يضرب بها » ، فجعلها خاصة بالسلطان .

(٧) خفيف الحاذ : قليل المال والعيال ، كما يقال خفيف الظهر . اللسان (حوذ) . والحاذ : لحمة فى ظاهر الفخذ . ما عدا ل : « خفيف الحال » .

(٨) المألوف : « مارأيت قبله ولا بعده مثله » .

(٩) النسبة إلى تغلب ، بكسر اللام : تغلبى بفتحها ؛ وربما قالوه بالكسر .

(١٠) الركوة ، مثلثة الراء ، كما فى القاموس : إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء .

الدوابَّ مشيَنا ، فقلت له فى شأن عصاه ، فقال لى : إنّ موسى بن عمران ﷺ حين آنس من جانب الطُّور ناراً ، وأراد الاقتباسَ لأهله منها ، لم يأتِ النارَ فى مقدار تلك المسافة القليلة إلا ومعه عصاه ، فلما صار بالوادى المقدَّس من البقعة المباركة قيل له : ألق عصاك ، واخلَعْ نعليك . فرمى بنعليه راغباً عنهما ، حين نزّه الله ذلك الموضِع عن الجِلد غير الذَّكىّ ، وجعل الله جِمَاعَ أمره من أعاجيبه وبرهاناته فى عصاه ، ثم كلمه من جوف شجرةٍ ولم يكلّمه من جوف إنسان ولا جانّ .

قال الشَّرْقىّ : إنه ليُكثر من ذلك وإنى لأضحك متهاوناً بما يقول ، فلما برزْنا على حمارَينا تخلَّف المُكَارى فكان حمارُه يمشى ، فإذا تلكّأ أكرهَه بالعصا ، وكان حمارى لا ينساق ، وعلم أنه ليس فى يدى شئٌ يُكرهه ، فسبقنى الفتى إلى المنزل فاستراح وأراح ، ولم أقدر على البَراح ، حتَّى وافانى المُكارى ، فقلت : هذه واحدة .

فلمّا أردْنا الخروجَ من الغدِ لم نقدْر على شئٍ نركبُه ، فكنّا نمشى ، فإذا أعيا توكأ على العصا . وربما أحضَرَ (١) ووضع طرف العصا على وجه الأرض فاعتمد عليها ومَرَّ كأنه سهم زالج (٢) ، حتى انتهينا إلى المنزل وقد تفسَّخْتُ من الكلال ، وإذا فيه فضل كثير (٣) ، فقلت : هذه ثانية (٤) . ١١٢

فلمَّا كان فى اليوم الثالث ، ونحن نمشى فى أرض ذات أخاقيقَ وصُدوع (٥) ، إذْ هجمنا على حيَّةٍ منكَرة فساورتْنا ، فلم تكن عندى حيلةٌ إلا خِذلانُه وإسلامَه

---

(١) الإحضار : ضرب من العدو . ما عدا ل ، هـ : « أحفر » تحريف .

(٢) الزالج : الذى إذا رماه الرامى فقصر عن الهدف وأصاب صخرة استقل من إصابة الصخرة فقوى وارتفع . ما عدا ل ، هـ : « سهم وألج » تحريف .

(٣) ما عدا ل : « كبير » بالباء .

(٤) ل : « اثنتان » .

(٥) الأخاقيق : الشقوق ، واحدها أُخقوق .

إليها ، والهربَ منها ، فضربها بالعصا فثقلت ، فلمَّا بَهَشَت له (١) ورفعت صدرَها ضربَها حتَّى وقذَها (٢) ، ثمّ ضربها حتَّى قتلها ، فقلت : هذه ثالثةٌ ، وهى أعظمهنّ .

فلمّا خرجنا فى اليوم الرابع ، وقد والله قَرِمْت إلى اللَّحم (٣) وأنا هاربٌ مُعْدِم ، إذا أرنبٌ قد اعترضَتْ ، فحذفها بالعصا ، فما شَعرتُ إلّا وهى معلَّقة وأدركنا ذكاتَها (٤) ، فقلت : هذه رابعة .

وأقبلتُ عليه فقلت : لو أنّ عندنا ناراً لما أخّرتُ أكلَها إلى المنزل . قال : فإنّ عندك نارا ! فأخرج عُوَيداً من مِزْودِه ، ثمَّ حكّه بالعصا فأورَتْ إيراءَ المَرْخُ والعَفَارُ عنده لا شئ (٥) ، ثم جَمَع ما قدَر عليه من الغُثاء والحشيش فأوقد نارَه وألقى الأرنبَ فى جوفها ، فأخرجناها وقد لزِق بها من الرَّماد والتُّراب ما بغّضَها إلىّ ، فعلَّقَها بيده اليُسرى ثم ضرب بالعصا على جُنوبها وأعْراضها ضرباً رقيقاً ، حتَّى انتثر كلُّ شئ عليها ، فأكلناها وسكن القَرَم ، وطابت النَّفس ، فقلت : هذه خامسة .

ثمّ إنّا نزلْنا بعضَ الخانات (٦) ، وإذ البيوتُ مِلَاءٌ روثاً وتُراباً ، ونزلنا بعَقِب جُنْدٍ وخَرابٍ متقدّم ، فلم نجدْ موضعاً نَظلُّ فيه ، فنظر إلى حديدةِ مِسحاةٍ مطروحةٍ فى الدّار (٧) ، فأخذَها فجعل العصا نِصَاباً لها ، ثمّ قام فجرفَ جميعَ ذلك

---

(١) بهشت له : أقبلت إليه تريده .

(٢) الوقذ : شدة الضرب .

(٣) قرم إلى اللحم : اشتدت شهوته له .

(٤) الذكاة : الذبح ، أى كان بها بقية من حياة فذبحناها .

(٥) انظر ما سبق فى ص ٣٣ .

(٦) الخانات : جمع خان ، وهو الحانوت أو الفندق الذى ينزل به التجار : ولفظه فارسى . أدى شير ٥١.وقال : « وهو موجود فى جميع اللغات الشرقية الدارجة » .

(٧) المسحاة : مجرفة من حديد .

التُّرابِ والرَّوث ، وجرَدَ الأرضَ بها جرْدا ، حتَّى ظهر بياضُها ، وطابت ريحُها فقلت : هذه سادسة .

وعلى أىِّ حالٍ لم تَطِبْ نفسى أن أضعَ طعامى وثيابى على الأرض ، فنَزَع والله العصا من حديدة المِسحاة فوتَّدها فى الحائط ، وعلَّق ثيابى عليها ، فقلت : هذه سابعة .

فلما صرتُ إلى مَفْرِق الطُّرق ، وأردتُ مفارقته ، قال لى : لو عَدَلت فبتَّ عندى كنتَ قد قضيتَ حقَّ الصُّحبة ، والمنزلُ قريب . فعدلتُ معه فأدخلَنى فى مَنزلٍ يتَّصل بِبيعة [1] . قال : فما زال يحدِّثنى ويُطْرِفنى ويُلْطِفنى اللّيلَ كلَّه ، فلما ١١٣
كان السَّحرُ أخذ خُشَيْبة [2] ثم أخرجَ تلك العصا بعينها فقرعَها بها ، فإذا ناقوسٌ ليس فى الدنيا مثلُه ، وإذا هو أحذَقُ النّاس بضرْبه ، فقلت له : ويلَك ، أمَا أنت مسلم ، وأنت رجلٌ من العرب من ولد عَمرو بن كلثوم ؟ قال : بلى . قلت : فلِمَ تضربُ بالناقوس ؟ قال : جُعلتُ فِداك ! إنَّ أبى نصرانىّ ، وهو صاحب البِيعة ، وهو شيخٌ ضعيف ، فإذا شَهِدتهُ [3] بَرَرته بالكفاية .

فإذا هو شيطانٌ مارد ، وإذا أظرفُ النّاس كلِّهم وأكثرُهم أدباً وطلبا ، فخبَّرته بالذى أحصيتُ من خِصالِ العصا ، بعد أن كنتُ هممتُ أن أرمَى بها ، فقال : والله لو حدَّثُتك عن مناقب نفع العصا إلى الصبح لما استنفَدْتُها .

* * *

---

(١) البيعة بالكسر ، كنيسة النصارى ، وقيل كنيسة اليهود .

(٢) ما عدا ل : « خشبة » .

(٣) ل : « شهدت » .

ومن جمل القول فى العصا وما يجوز فيها
من المنافع والمرافق

تفسير شعر غَنيّةَ الأعرابية ، فى شأن ابنها [١] :

وذلك أنّه كان لها ابنٌ شديد العَرامة [٢] ، كثير التفلت إلى النّاس ، مع ضعف أَسْرٍ ودقّة عظْم ، فواثب مرّةً فتى من الأعراب فقطع الفتى أنفَه ، فأخذَتْ غنيّةُ ديةَ أنفه فحسُنت حالُها بعد فقرٍ مُدْقِع . ثم واثب آخرَ فقطع أذنَه فأخذت الدِّيةَ ، فزادت ديةُ أذنه فى المال وحُسْن الحال . ثمّ واثَبَ بعد ذلك آخرَ فقطع شَفَته فأخذَتْ ديةَ شفتِه . فلمَّا رأت ما قد صار عندها من الإبل والغَنم والمتاع والكسب بجوارح ابنِها حَسُن رأيها فيه ، فذكرته فى أرجوزة لها تقول فيها :

أحلفُ بالمروة يوماً والصَّفا أنّكَ خيرٌ من تفاريق العصا

فقيل لابن الأعرابىّ [٣] : ما تفاريق العصا ؟ قال : العصا تُقطّع ساجوراً [٤] ، وتقطّع عصا السّاجُور فَتصير أوتاداً ، ويفرَّق الوتِد فيصير كلُّ قطعةٍ شِظاظا [٥] ١١٤
فإذا كان [٦] رأس الشِّظاظ كالفُلْكة صار للبُخْتىّ مِهاراً ، وهو العود الذى يُدخَل فى أنف البُخْتىّ ، وإذا فُرِّق المِهارُ جاءت منه تَوادٍ [٧] . والسَّواجير

(١) انظر أمثال الميدانى فى : (إنك خير من تفاريق العصا) ، حيث أورد الشعر وتفسيره .
(٢) العرامة : الشراسة والشدة .
(٣) فى أمثال الميدانى : « فقيل لأعرابى » .
(٤) الساجور : الخشبة التى توضع فى عنق الكلب .
(٥) الشظاظ ، بالكسر : العود الذى يدخل فى عروة الجوالق .
(٦) ما عدا ل : « فإن كان » . وفى الميدانى : « فإن جعل لرأس الشظاظ » .
(٧) التوادى : جمع تودية كتورية ، وهى خشبات تصر بها أخلاف الناقة لئلا يرضعها الفصيل .

تكون للكلاب والأسرى من النّاس . وقال النبى ﷺ : « يؤتى بناسٍ من ها هنا يقادون إلى حُظوظهم بالسَّواجير (١) » . وإذا كانت قناةً فكلُّ شِقّة منها قوسُ بندُق (٢) ، فإنْ فُرِّقت الشُّقّة صارت سهاماً ، فإنْ فرِّقت السّهامُ صارت حِظاءً ، وهى سهامٌ صغار . قال الطرِمّاح :

* أكلبٌ كحِظاء الغلامْ (٣) *

والواحدة حَظْوة وسَِروة ، فإن فُرِّقت الحظاء صارت مَغازل ، فإنْ فرِّق المِغزل شعَبَ به الشَّعّاب أقداحَه المصدوعة ، وقِصاعهُ المشقوقة (٤) . على أنّه لا يجُد لها أصلح منها . وقال الشّاعر :

نوافذُ أطرافِ القَنا قد شكَكْنَه كشكِّكَ بالشَّعبِ الإناءَ المثلَّما

فإذا كانت العصا صحيحةً ففيها من المنافع الكِبار والمرافق الأوساط والصِّغار مالا يُحصيه أحد (٥) ، وإن فُرِّقت ففيها مثلُ الذى ذكرنا وأكثر . فأىُّ شىءٍ يبلغُ فى المرفق والرّدِّ مبلغَ العصا (٦) .

وفى قول موسى : ﴿ وَلِىَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى ﴾ دليلٌ على كثرة المرافق فيها ؛ لأنه لم يقل : ولى فيها مأرُبة أخرى ، والمآرب كثيرة . فالذى ذكرنا قبل هذا داخلٌ فى تلك المآرب .

ولا نعرف شعراً يشبه معنَى شعرِ غَنيّةَ بعينه لا يغادِر منه شيئا . ولكنْ زعَمَ بعضُ أصحابنا أنّ أعرابيَّين ظريفيين من شياطينِ الأعراب حطَمَتهما السّنة ،

---

(١) انظر ما سبق فى الحيوان (١ : ٣٨ س ٧) وما سيأتى ص ٦٣ .

(٢) البندق ، ذلك الذى يرمى به ، كأنه شُبِّهَ بحمل شجرة الجلوز .

(٣) البيت بتمامه كما فى ديوان الطرماح ١٠٥ :

بينا ذلك هاجت به أكلب مثل حظاء الغلام

(٤) كلمة « وقصاعه » من ل ، هـ وأمثال الميدانى .

(٥) ل : « ما لا تحصيه » .

(٦) المرفق ؛ كمنبر ومجلس ومكتب : ما استعين به . والرد بمعنى الفائدة والمنفعة ، ولم ينص عليها فى المعاجم . انظر الحيوان (٤ : ٤٧٣) .

١١٥ فانحدرا إلى العراق ، واسم أحدهما حَيدَان ، فبيناهما يتماشيان فى السُّوق إذا فارسٌ قد أوطأ دابّته رِجلَ حيدَان فقطع إصبعاً من أصابعه ، فتعلَّقا به حتَّى أخذا منه أرْش الإصبع [١] ، وكانا جائعين مقرورين ، فحين صار المال فى أيديهما قصَدا لبعض الكرابج [٢] فابتاعا من الطعام ما اشتهيا ، فلمّا أكل صاحبُ حيدَان وشبع أنشأ يقول :

فلا غَرَتٌ ماكان فى النَّاس كُرُبُجٌ ... وما بقيت فى رِجل حَيدَانَ إصبعُ

وهذا الشِّعر وشعرُ غنيّةَ من الظَّرف الناصُع الذى سمعتَ به ، وظَرف الأعراب لا يقوم له شئ .

وناس كثير لا يستعملون فى قتالهم إلا العصىّ ، منهم الزنج : قنبلة ولنجويَه [٣] والنَّمل والكلاب [٤] ، وتكفو وتنبو [٥] . على ذلك يعتمدون فى حروبهم .

ومنهم النَّبَط ، ولهم بها ثقافةٌ وشدّة وغلبة ، وأثقف ما تكون الأكراد إذا قاتلتْ بالعصى . وقتالُ المخارَجات [٦] كلُّها بالعصىّ ، ولهم هناك ثقافة ومنظرٌ حسن ، ولقتالهم منزلةٌ بين السَّلامة والعطَب .

والناس يضربون المثل بقتال البقّار بقناته [٧] . ويقال فى المثل : « ما هو

---

(١) الأرش : دية الجراحات كالشجة ونحوها .

(٢) الكرابج : جمع كربج ، بضم الكاف والباء ، وبضمها وفتح الباء ، معرب من الفارسى : « قربق » بمعنى الحانوت . لسان العرب والقاموس والمعرب ٢٩٢ .

(٣) قنبلة ولنجويه هما أصلا الزنج . وفى رسائل الجاحظ ٧٣ ساسى : « لأن الزنج ضربان : قنبلة ولنجويه ، كما أن العرب ضربان قحطان وعدنان » . ل ، هـ : « قبيلة لنجويه » وما عداهما « قبيلة كنجوية » صوابهما ما أثبت من رسائل الجاحظ .

(٤) فى الحيوان : (٤ : ٣٥) : « والزنج نوعان ، أحدهما يفخر بالعدد ، وهم يسمون النمل ، والآخر يفخر بالصبر وعظم الأبدان ، وهم يسمون الكلاب ، وأحدهما تكبو والآخر تنبو . فالكلاب تكبو والنمل تنبو » . وفى هـ : « وتِكفو ونِينو » .

(٥) ما عدا ل : « ثبتوا » . واللفظان يعبران عن النمل والكلاب فى لغة الزنج ؛ كما يفهم من الحاشية السابقة .

(٦) المخارجة : المناهضة .

(٧) ل : « النقار » ، وأثبت ما فى سائر النسخ . وانظر ما مضى فى ص ١٢ س ٥ .

إلا أُبْنةُ عصاً ، وعُقْدةُ رِشا (١) » .

ويقال للراعى : « إنّه لضعيف العصا » إذا كان قليلَ الضَّرب بها للإبل ، شديدَ الإشفاق عليها . وقال الرّاعى :

ضعيفُ العصا بادِى العروق ترى له   عليها إذا ما أجدب النَّاس إصبعا (٢)

فإذا كان الراعى جَلْداً قوياً عليها قالوا : صُلْبُ العصا . ولذلك قال الراجز :

* صُلْب العصا باقٍ على أُذَاتها *

وقال الآخر فى معنى الراعى :

* لا تَضرِباها واشْهَرا العِصيَّا (٣) *

ويقولون : قد أقبل فلان ولانت عصاه ، إذا أصابه السُّوَاف (٤) فرجع وليس معه إلا عصاه لأنّه لا يفارقها كانت له إبلٌ أم لم تكن (٥) . ويقولون : كلَّما ١١٦ قُرِعت عصاً بعصا ، وعصاً على عصا ، وعصاً عصاً قالوا : خُذُوا فلاناً بذلك (٦) . وقال حُميد بن ثَور :

---

(١) الأبنة ، بضم الهمزة : العقدة فى العود أو فى العصا . والرشاء : الحبل . وفى العقد ٦ : ١٧٨ : « لأن عقدة الرشاء المبلول لاتكاد تنحل » .

(٢) أنشده فى اللسان والمقاييس فى (صبع) . وفى المقاييس : « ويقال للراعى الحسن الرعية للابل ، الجميل الأثر فيها : إن له عليها إصبعاً » . وأنشده القالى فى الأمالى (٢ : ٣٢٢) ، وقال : « يقال : إن لفلان على ماله إصبعاً ، أى أثراً حسناً » ، ثم قال بعد إنشاد البيت : « أى يشار إليها بالأصابع إذا رئيت » . وكذا أنشده ابن سيده فى المخصص (٧ : ٨٢) ، وقال : « أى يشير الناس إليها بالأصابع » .

(٣) يقول : أخيفاها بشهركما العصا لها ولا تضرباها . وفى اللسان :

لا تضرباها واشهرا لها العصى   فربَّ بَكْر ذى هباب عجرفى
فيها وصهباء نَسُولٍ بالعشى

(٤) السواف ، بالضم ، ويقال بالفتح أيضاً : الموت فى المال والناس .

(٥) ما عدا ل : « أم لا » .

(٦) ما عدا ل ، هـ : « أخذوا فلانا بذلك » .

اليوم تُنْتَزَعُ العصا من ربِّها ... ويَلُوكُ ثِنْىَ لسانِه المنطيقُ (١)

ويكتب مع قوله :

تَغْشَى العصا والزّجرَ إنْ قيل حَلِ (٢) ... يرسلُها التَّغميضُ إن لم تُرْسَلِ (٣)

وقال آخر :

هذا وُرُود بُزَّلٍ وسُدُسِ (٤) ... يُغْلِي بها كلُّ مُسيمٍ مُرْغِسِ (٥)

رُدَّت من الغَور وأكناف الرَّسِي ... من عُشُبٍ أحوى وحَمْضٍ مُورِسِ

وذائد جَلْد العصا دلَهْمَسِ (٦) ... إن قيل قمْ قام وإن قيل اجلسِ

داست سِماطَىْ عَفِرٍ مدعَّسِ (٧)

ويدلّ على شدّة قتالهم بالعصا قول بَشَامة بن حَزنٍ النَّهشلى (٨) :

---

(١) أنشده ثعلب فى مجالسه ١١٩ ، وكذا ابن منظور فى (نطق) برواية : « والنوم ينتزع » .

(٢) لأبى النجم العجلى فى « أم الرجز » المنشورة بمجلة المجمع العلمى العربى بدمشق سنة ١٣٤٧ . ما عدا ل : « تخشى العصا » تحريف . وانظر ص ٥٨ . وحل : زجر للإبل .

(٣) أنشده فى اللسان (غمض) . وذكر قبله : « وغمضت الناقة ، إذا ردت عن الحوض فحملت على الذائد مغمضة عينها فوردت » .

(٤) البازل : الذى بزل نابه ، أى انشق ، وذلك فى التاسعة ، وجمعه بزل كركع . والسديس : الذى أنت عليه السادسة ، وجمعه سدس كرغيف ورغف . ما عدا ل : « هذا وورد » .

(٥) يغلى بها : يشتريها بثمن غال . والمسيم ، من قولهم أسام الإبل : أرعاها . وفى القاموس : « والمرغس ، كمحسن : الذى ينعم نفسه » ، والمراد به هنا الذى ينعم إبله .

(٦) الدلهمس : الجرىء الماضى على الليل .

(٧) السماطان : الجانبان والصفان . والعفِر ، من العَفَر ، وهو التراب . والمراد به الطريق . والمدعس : الطريق الذى دعسته القوائم ووطئته وطئا شديداً .

(٨) بشامة بن حزن النهشلى ، ذكره الآمدى فى المؤتلف والمختلف ٦٦ ، وروى له المقطوعة الحماسية التى أولها :

إنا محيوكِ ياسلمى فحيينا ... وإن سقيت كرام الناس فاسقينا

وإن دعوتِ إلى جلى ومكرمة ... يوما سراة كرام الناس فادعينا

إنا بنى نهشل لا ندعى لأب ... عنه ولا هو بالأبناء يشرينا

قال البغدادى فى الخزانة (٣ : ٥١٥) : « ولم أر له ترجمة ، وليس له ذكر فى ترجمة الأنساب ، والظاهر أنه إسلامى » .

فِدًى لرِعاءٍ بالنَّحِيرة ذَبَّبوا … بأعصيهم والماءُ بردُ المشاربِ (١)
تألَّى نُعيمٌ لا تجوزُ بِحَوضه … فقلت تحلَّلْ يا نُعيمَ بنَ قارب (٢)
فإنَّ زِياداً لم يكنْ ليرُدَّها … وسَبْرةَ عن ماء النَّضيح المقاربِ
أغرَّكَ أنْ جاءت ظِماءً وباشرت … بأعناقها بَرد النِّصاب الصُّباصب (٣)
تناولْن ما فى الحوض ثم امترينَه … بجَرْعٍ وأعناقٍ طِوال الذوائب (٤)

ويقول : فلانٌ ضعيف العصا ، إذا كان لا يستعمل عصاه . ولذلك قال البَعيث :

وأنت بذاتِ السِّدر من أمِّ سالمٍ … ضعيفُ العصا مستَضعَفٌ متهضَّمُ ١١٧

وقال آخر (٥) :

وما صاديات حُمْنَ يوماً وليلةً … على الماء يَغْشَين العِصىَّ حَوَانِ (٦)
لوائبُ لا يصدُرْن عنه لِوجهةٍ … ولا هُنّ من برد الحياض دَوَانِ (٧)
يرين حَبَاب الماء والموتُ دونه … فهنّ لأصوات السُّقاةِ رَوَانِ (٨)
بأوجَعَ منِّى جَهدَ شوقٍ وغُلّةٍ … إليك ولكنَّ العَدُوّ عَدَانى (٩)

---

(١) النحيرة : واد فى ديار غطفان . ماعدا ل ، هـ : « بالنجيرة » ، ولم أجده . والتذبيب : الطرد والدفع . والأعصى : جمع العصا .

(٢) تألى : حلف وأقسم . ما عدا ل ، هـ : « مالا نعيم » تحريف . وتحلل فلان من يمينه ، إذا خرج منها بكفارة أو حنث يوجب الكفارة .

(٣) نصاب كل شىء : أصله ؛ عنى أصل الحوض . والصباصب : الغليظ الشديد .

(٤) الامتراء : الاستخراج والاستدرار . وفى الأصول : « امتذينه » ، ولا وجه له . والذوائب : الأعالى .

(٥) هو جميل ، كما فى زهر الآداب ١ : ١٥٩ .

(٦) يغشين العصى : يركبنها . انظر ما سيأتى ص ٦٨ س ١١ – ١٣ . ما عدا ل « يخشين » تحريف . والحوانى : جمع حانية ، وهى التى تحنو على ولدها .

(٧) لوائب من اللوب ، وهو استدارة الحائم حول الماء . ل : « لواثب » ، تحريف .

(٨) رَوان : مديمات النظر . وحباب الماء ، بالفتح : معظمه ، ومنه قول طرفة :

يشق حباب الماء حيزومها بها … كما قسم الترب المفايل باليد

(٩) عدانى : صرفنى وشغلنى .

وقال آخر (١) :

فما وجدُ مِلوَاحٍ من الهِيم حُلِّئت عن الماء حتّى جوفُها يتصلصل (٢)
تحوم وتَغْشاها العصىُّ وحولها أقاطيع أنعامٍ تُعَلُّ وتُنهلُ
بأعظمَ منى غُلّةً وتعطُّفا إلى الوِرد إلاّ أنّنى أتجمّلُ

ويقال : « ضُرِب فلانٌ ضربَ غرائب الإبل » وهى تُضرَبُ عند الهرَب (٣) وعند الخِلاط ، وعند الحوض ، أشدّ الضَّرب . وقال الحارث بن صخرٍ :

بضربٍ يُزيل الهامَ عن سَكِناتِه كما ذِيدَ عن ماء الحياض الغرائبُ (٤)

وقال آخر :

للهامِ ضرّابُون بالمَناصِلِ (٥) ضرب المُذِيد غُربَ النَّواهِلِ (٦)

وفى جواهر العصا تفاوت . ويقولون : ما هى إلاّ غصن بان (٧) .

---

(١) الأبيات رويت فى الحيوان (٣ : ١٠٤) .

(٢) الملواح من الدواب : السريع العطش ، يقال للذكر والأنثى . والهيم : العطاش ، جمع أهيم وهيماء . حلئت : منعت .

(٣) أى عند اضطرار أربابها إلى الهرب .

(٤) السكنات ، بكسر الكاف : جمع سكنة ، وهى مقر الرأس من العنق . ومثله قول زامل بن مصاد القينى :

بضرب يزيل الهام عن سكناته وطعن كأفواه المزاد المخرق

وقول طفيل :

بضرب يزيل الهام عن سكناته وينقع من هام الرجال المشرب

وقول النابغة :

بضرب يزيل الهام عن سكناته وطعن كإيزاغ المخاض الضوارب

(٥) المناصل : جمع منصل ، بضم الميم والصاد ، وهو السيف .

(٦) المذيد : المعين لك على ما تذود . والغرب ، بضمتين : الغريب . والنواهل : العطاش ، فالناهل من الأضداد ، يقال للريان والعطشان . ل : « عزب النواهل » ، تحريف .

(٧) هذه العبارة من ل ، هـ والتيمورية .

وقال ابنُ أحمر :

رُودُ الشَّباب كأنّها غُصُنٌ   بحَرامِ مَكّةَ ناعمٌ نَضِرُ (١)

وقال آخر : ١١٨

إمّا ترَيْنى قائماً فى جِلٍّ (٢)   جمِّ الفُتُوقِ خَلَقٍ هِمِلٍّ (٣)
محاذِراً أُبغِض عن تحَتَلِّى (٤)   عند اعتلال دهرك المُعتلِّ
فقد أُرَى فى اليلمَقِ الرِّفَلِّ (٥)   أُصَوْنَ للأُنْسِ جميلَ الدَّلِّ
* لَدْنا كخُوط البانَةِ المبتَلِّ (٦) *

وتكون العصا مِحراثًا ، وتكون مخصرة ، وتكون المِخصرةُ قضيبَ حنَيرة (٧) وعُودَ ساجُورٍ ، ثم تكون تَودِيَة (٨) .

ويقال للرجل إذا كان فيه أُبنةٌ : « فلان يَخْبا العصا » . وقال الشاعر :

زوجُكِ زوجٌ صالح   لكنّهُ يخبَا العصا (٩)

وفى الأمثال : « فحَذفَه (١٠) بالقول كما تُحذَف الأرنب بالعصا » .

وقال إياسُ بن قتادة العبشمى :

---

(١) الرود من النساء : الشابة الحسنة ، وأصلها الهمز .

(٢) الجل ، بالكسر : الكساء ونحوه .

(٣) الخلق : البالى ، ومثله الهمل ، بكسر الهاء والميم وتشديد اللام .

(٤) عن : لغة فى « أن » ، وهى ما يسمونه عنعنة تميم .

(٥) اليلمق : القباء المحشو ، وهو بالفارسية « يلمه » . اللسان (لمق) واستينجاس ١٥٣٦ . والرفل : الواسع .

(٦) الخوط ، بالضم : الغصن الناعم .

(٧) الحنيرة : القوس ، أو القوس بلا وتر . وفى هـ : « حبرة » ، وسائر النسخ « حيرة » .

(٨) انظر ما سبق فى ص ٤٩ .

(٩) أنشده الجرجانى فى الكنايات ٣٦ نقلا عن الجاحظ . ووزنه لا يستقيم إلا أن ينشد « يخبا العصا » بالتسهيل . وهو من مجزوء الرجز .

(١٠) ما عدا ل ، هـ : « تحذفه » .

سأنحر أولاها وأحذِفُ بالعصا   على إثرها إنِّى إذا قلتُ عازمُ

وقال ابن كُناَسة (١) : فى شرط الرَّاعى على صاحب الإبل (٢) : « ليس لك أن تَذكر أمِّى بخيرٍ ولا شرّ ، ولك حذفَةٌ (٣) بالعصا عند غضبك أصبتَ أم أخطأتَ (٤) ، ولى مقعدى من النّار ، وموضع يدى من الحارّ والقارّ (٥) » .

وكان العُتْبىّ يحدّث فى هذين بحديثين : أحدهما قوله عن الأعرابىّ : « وكان إذا خِرَست الألسُن عن الرّأى حذف بالصَّواب كما تُحذف الأرنب بالعصا » . وأمّا الحديث الآخر فذكر أنّ قوماً أضلوا الطريق ، فاستأجروا أعرابيًا يدلُّهم على الطريق ، فقال : إنِّى والله لا أخرجُ معكم حتّى أشْرُطَ لكم واشترط عليكم . قالوا : فهاتِ مالك . قال « يدى مع أيديكم فى الحارّ والقارّ ، ولى موضعى من النّار موسَّعٌ علىّ فيها (٦) ، وذِكرُ والدىَّ عليكم محرَّم » . قالوا : فهذا لك فما لنا
١١٩ عليك إن أذنبتَ ؟ قال : « إعراضةٌ لا تؤدِّى إلى عَتْبٍ (٧) ، وهِجْرةٌ لا تمنع من مجامعة السُّفْرة » . قالوا : فإن لم تُعتب ؟ قال : « فحذفَةٌ بالعصا أخطأتْ أم أصابت » .

وهذان الحديثان لم أسمعْهما من عالم ، وإنّما قرأتُهما فى بعض الكتب من

---

(١) هو محمد بن كناسة ، واسم كناسة عبد الله بن عبد الأعلى الأسدى . شاعر من شعراء الدولة العباسية ، كوفى المولد والنشأة ، قد حمل عنه شيء من الحديث . وكان إبراهيم ابن أدهم الزاهد خاله . وكانت له جارية شاعرة مغنية يقال لها دنانير ، وكان أهل الأدب وذوو المروءة يقصدونها للمذاكرة والمساجلة فى الشعر . وله مؤلفات منها « كتاب سرقات الكميت من القرآن » . ولد سنة ١٢٣ وتوفى سنة ٢٠٧ . ابن النديم ١٠٥ والأغانى (١٢ : ١٠٥ – ١١٠) .

(٢) انظر الحيوان (٥ : ١٠٨ – ١٠٩) واللسان (ثمن ٢٣٢) .

(٣) ما عدا ل : « حذفى » وهى رواية اللسان .

(٤) وكذا فى اللسان وفى ل : أخطأت أم أصبت » .

(٥) وكذا فى اللسان . وفيما عدا هـ : « من الحار » فقط .

(٦) ما عدا ل : « على ما فيه » .

(٧) ما عدا ل : « إلى تعب وعتب » . لكن فى هـ : « إلى تعب وعنت » .

كتب المسجديّين [١] .

ولأهل المدينة عِصىٌّ فى رءوسها عُجَرٌ [٢] لا تكاد أكفُّهم تفارقها إذا خرجوا إلى ضياعهم ومتنزَّهاتهم ، ولهم فيها أحاديثُ حسنةٌ ، وأخبار طيِّبة .

وكان الإفشين [٣] يقول : « إذا ظفرتُ بالعرب شدختُ رءوس عظمائهم بالدَّبُّوس » . والدَّبُّوس شبيه بهذه العصا التى فى رأسها عُجْرة .

وقال جَحْشويه [٤] :

يا رجلاً هام بلَبَّادِ   معتدلٍ كالغصن مَيَّادِ [٥]
هام به غسّانُ لّما رأى   أيراً له مثل عصا الحادى
ولم يزل يَهوَى أبو مالك   كُلَّ فتًى كالغصن مُنْآدِ [٦]
يعجبُه كُلٌّ متين القُوَى   للطّعن فى الأدبار معتادِ

وقالوا فى [٧] تغميض الناقة عينها ، كى تركب العصا إلى الحوض ، وهو فى معنى قول أبى النَّجم :

تَغشَى العصا والزَّجْرَ إن قيل حَلِ   يرسلُها التَّغميض إن لم تُرسَلِ [٨]

---

(١) المسجديون : طائفة كانت تلزم المسجد الجامع بالبصرة ، تقص وتحدث وتروى الأخبار . ما عدا ل : « من المستحدثين » تحريف . وانظر الحيوان (٣ : ٣٦٠) .

(٢) العجرة ، بالضم : العقدة فى الخشبة ونحوها .

(٣) الأفشين بفتح الهمزة وكسرها ، واسمه خيذر بن كاوس . وخيذر ، بالخاء والذال المعجمتين . وكان الأفشين من أعظم القواد فى جيش المعتصم ، وهو الذى حارب بابَك الخرمى حين اشتدت شوكته ، وألجأه إلى الفرار إلى بلاد الروم ، وهناك أسر وبعث به إلى الأفشين ، فحمله الأفشين إلى المعتصم فقطعه وصلبه . وكان هذا النصر باعثا له على الطغيان والتمرد ، فقبض عليه المعتصم واستصفى أمواله وقتله وصلبه . وكان ذلك سنة ٢٢٦ . الطبرى فى حوادث سنة ٢٢٠ – ٢٢٦ .

(٤) انظر الحيوان (٤ : ١٨١ / ٥ : ٣٤١ / ٦ : ٢٦١) .

(٥) لباد ، نسبة إلى عمل اللبد ، كما يقال حداد وصواف . ما عدا ل ، هـ : « لياد » ولا وجه له .

(٦) المنآد : المتثنى من لينه ونعمته .

(٧) كلمة « فى » هذه ، ونظيرتها التالية ساقطتان مما عدا ل ، هـ .

(٨) سبق الرجز فى ص ٥٣ .

وهذا مثل قول الهذلىّ :

ولأنت أشجعُ من أسامة إذ ... شدُّوا المناطق تحتها الحَلَقُ [١]
حَدُّ السُّيوفِ على عواتقهم ... وعلى الأكفِّ ودونها الدّرق [٢]
كغَماغــم الـثِّيران بينهمُ ... ضربٌ تغمَّض دونه الحَدَقُ [٣]

وقال حميدُ بن ثورٍ الهلالىّ :

١٢٠ اليوم تُنْتَزَع العصا من ربها ... ويَلوكُ ثِنْىَ لسانه المِنْطيقُ [٤]

ويقال : رجلٌ كالقناة ، وفرسٌ كالقناة . وقال الشّاعر [٥] :

مَتى ما يجئْ يوماً إلى المال وارثى ... يجِدْ جُمع كفٍّ غيرِ ملأى ولا صِفْرِ [٦]
يجد فرساً مثل القناة وصارماً ... حُساما إذا ما هزّ لم يرضَ بالهَبْرِ [٧]

* * *

وجاء فى الحديث : أجدبت الأرض على عهد عمر رحمه الله حتى ألقت الرِّعاء العصىّ ، وعُطِّلت النَّعَم ، وكُسر العظم . فقال كعبٌ [٨] : يا أمير المؤمنين ، إنّ بنى إسرائيل كانوا إذا أصابتهم السّنةُ استسقَوْا بعُصْبة الأنبياء . فكان ذلك سببَ استسقائه بالعبّاس بن عبد المطلب [٩] .

---

(١) أسامة : علم جنس للأسد .

(٢) الدرق : ضرب من الترسة تتخذ من جلود ، ليس فيها خشب ولا عَقَب .

(٣) أى غماغمهم كغماغم الثيران ، عنى أصوات أبطالهم فى الوغى عند القتال .

(٤) سبق البيت فى ص ٥٣ .

(٥) هو حاتم الطائى . ديوانه ١٢١ والحماسة (٢ : ٣٧٤) .

(٦) جمع الكف ، بالضم ، هو قدر أن تجمع أصابعها وتضمها . يقول : لا يجد عندى كثيراً ولا قليلا ، بل بين بين .

(٧) الهبر : قطع اللحم . يقول : يأبى إلا أن يخالط العظم .

(٨) هو كعب بن ماتع الحميرى ، المعروف بكعب الأحبار ، وكان يهوديا وأسلم فى خلافة عمر . وكان يقص فبلغه حديث النبى ﷺ : « لا يقص إلا أمير أو مأمور أو محتال » فترك القصص حتى أمره معاوية فصار يقص بعد ذلك . ومات بحمص سنة ٣٢ . الإصابة ٧٤٩٠ والمعارف ١٨٩ والجامع الصغير للسيوطى ٩٩٨٤ ، حيث خرج الحديث من مسند أحمد وابن ماجه .

(٩) انظر أيضاً استسقاء عبد المطلب بالرسول الكريم فى الخزانة (١ : ٢٥٧ – ٢٥٨) .

وساورَت حيةٌ أعرابياً فضربها بعصاه وسلِم منها ، فقال :

لولا الهِراوةُ والكَفَّانِ أنهلنى حوضَ المنيَّةِ قتَّالٌ لمن عَلِقا (١)
أصَمُّ منهرِتُ الشدقين ملتَبِدٌ لم يُغْذَ إلاّ المنايا مُذْ لَدُن خُلقا (٢)
كأنّ عينَيه مسمارانِ من ذهبٍ جَلاهُمَا مِدْوس الألان فائتلقا (٣)

* * *

وقال الحجّاج بن يوسف لأنس بن مالك (٤) : « واللهِ لأقلعنَّك قلع الصَّمغة ، ولأعصِبنَّك عصْب السَّلَمة ، ولأضربنَّك ضرب غرائب الإبل (٥) ولأجَرِّدنَّك تجريد الضبّ » .

وقال عمر بن الخطاب رحمه الله لأبى مريم الحنفى (٦) : « والله لاأُحبُّك حتى تحبَّ الأرضُ الدّمَ المسفوح » . لأن الأرضَ لا تقبل الدّم ، فإذا جَفَّ الدّم تقلّع جُلَباً (٧) .

ولقد أسرف المتلمّس حيث يقول :

أحارثُ إنّا لو تُسَاط دماؤُنا تزايَلْن حتى لا يمسّ دَمٌ دَمَا (٨)

وأشدُّ سَرَفاً منه قولُ أبى بكرٍ الشَّيبانى ، قال : كنتُ أسيراً مع بنى عمٍّ لى

---

(١) فى الحيوان (٤ : ٢٤٢) : « والكفات » : جمع كفة ، بالكسر ، وهى من آلات الصيد . والبيتان بعده ساقطان من هـ .

(٢) منهرت الشدقين : واسعهما . وهذا البيت وتاليه من ل فقط .

(٣) المدوس ، بالكسر : خشبة يشد عليها مسن ، يدوس بها الصيقل السيف حتى يجلوه . والألان ، كذا وردت فى الأصل . ولعلها : « الألاق » .

(٤) سبقت ترجمته فى (١ : ٣٠٨) .

(٥) مضى بعض هذا القول فى (١ : ٣٧٦) . وجملة « لأضربنك ضرب غرائب الإبل » من ل فقط .

(٦) انظر ما سبق من تحقيق اسمه فى (١ : ٣٧٦) .

(٧) الجلب : جمع جلبة ، بالضم ، وهى القشرة تعلو الجرح عند البرء .

(٨) السوط : الخلط والمزج . والبيت فى أول ديوان المتلمس مخطوطة الشنقيطى .

١٢٠ من بنى شيبان ، وفينا من موالينا جماعةٌ فى أيدى التّغالبة ، فضربوا أعناقَ بنى عمّى وأعناقَ الموالى على وَهْدةٍ من الأرض ، فكنتُ والذى لا إله إلا هو ، أرى دمَ العربىِّ يماز من دم المولى ، حتى أرى بياضَ الأرض بينهما ، فإذا كان هجيناً قام فوقَه ، ولم يعتزل عنه (١) .

وأنشد الأصمعى :

يُذَدْن وقد أُلقيتُ فى قعر حُفرة ... كما ذِيدَ عن حوض العِراك غرائبُه (٢)

وقال العبّاس بن مرداس :

نقاتلُ عن أحسابنا برماحنا ... فنضربهم ضرب المُذِيد الخوامسا (٣)

وقال الفرزدق بن غالب :

ذكرتَ وقد كادت عصا البين تنشَظِي ... حبالَكَ من سَلمى وذو اللُّب ذاكِرُ (٤)

وقال الأسدى (٥) :

إذا المرءُ أولاك الهوانَ فأوْلِه ... هواناً وإن كانت قريباً أواصرُهْ

ولا تَظلم المولى ولا تَضَع العصا ... على الجهل إن طارت إليك بوادره

---

(١) هذه الكلمة من ل ، هـ فقط . والهجين : ولد العربى من غير العربية .

(٢) العراك : ازدحام الإبل على الماء .

(٣) البيت من قصيدة له مطلعها ، كما فى الخزانة (٣ : ٥١٨) .

لأسماء رسم أصبح اليوم دارسا ... وأقفر إلا رحرحان وراكسا

وهى من القصائد المنصفات ، التى « أنصف قائلوها فيها أعداءهم ، وصدقوا عنهم وعن أنفسهم فيما اصطلوه من حر اللقاء ، وفيما وصفوه من أحوالهم فى إمحاض الإخاء » . وقد اختار منها أبو تمام فى الحماسة (١ : ١٦٨) . والمذيد : الذى يعين على ذود الإبل ، وهو طردها ودفعها . والخوامس : التى ترد الخمس ، والخمس بالكسر : أن ترد الإبل يوما ثم ترعى ثلاثا ثم ترد فى الخامس من يوم وردها . والخوامس من أحرص الإبل على الماء لشدة ظمئها ، فدفعها يلجىء إلى عنف وإلحاح . وانظر الكلام على أظماء الإبل بتفصيل فى المخصص (٧ : ٩٥ — ١٠١) . ومثله قوله حسيل بن سجيح الضبى :

وأرهبت أولى القوم حتى تنهنهوا ... كما ذدت يوم الورد هيما خوامسا

(٤) البيت مما لم يرد فى ديوان الفرزدق . هـ : « خيالك » .

(٥) البيت الأول نسب فى الحماسة (١ : ٢٦٦) إلى أوس بن حبناء .

وقال جرير بن عطية :

ألا ربَّ مصلوب حَملتَ على العصا   وباب استه عن مِنْبر المُلكِ زائل (١)

وقالوا فى مديح العصا نفسِها مع الأغصان وكَرَم جَوهر العِصىّ والقسىّ :

إذا قامت لسَبْحتها تثنّتْ   كأنّ عظامَها من خَيْزُرانِ (٢)

وقال المؤمَّل بن أُمَيْل (٣) :

والقوم كالعيدانِ يفضُل بعضُهم   بعضا كذاك يفــوق عُودٌ عُودَا

لو تستطيع عن القضاء حِيادةً   وعن المَنيّة أن تُصيب مَحيدا ١٢٢

كانت تقيَّدُ حين تنزِلُ منـزلا   فاليومَ صار لها الكَلَالُ قيودا (٤)

وقال آخر :

وأسلَمَها الباكُون إلاّ حمامةً   مطوّقةً بانت وبـانَ قرينُهـا

تُجاوِبُها أخرى على خيزُرانةٍ   يكادُ يُدَنِّيها من الأرض لينُها (٥)

---

(١) البيت من قصيدة له فى ديوانه ٤٣٩ يمدح فيها الحجاج بن يوسف . وقبله :

أطيعوا فلا الحجاج مبق عليكم   ولا جبرئيل ذو الجناحين غافل

(٢) لبشار بن برد فى الأغانى (٣ : ٢٨) برواية : « إذا قامت لمشيتها » . والسبحة ، بالفتح : المرة من السبح ، وهو التصرف والجيئة والذهاب . وضبطت فى هـ بضم السين . وانظر ماكتبت فى حواشى أمالى الزجاجى ١٢٤ . يروون أن بشارا أنشد قول الشاعر :

ألا إنما ليلى عصا خيزرانة   إذا غمزوها بالأكف تلين

فقال : والله لو زعم أنها عصا مخ ، أو عصا زبد ، لقد كان جعلها جافية خشنة بعد أن جعلها عصا . ألا قال كما قلت :

ودعجاء المحاجر من معد   كأن حديثها ثمر الجنان

إذا قامت لمشيتها تثنت   كأن عظامها من خيزران

(٣) هو المؤمل بن أميل المحاربى الكوفى ، كان شاعراً مجيداً من مخضرمى الأموية والعباسية ، مدح المهدى وأجازه ، وتوفى فى حدود التسعين والمائة . وهو القائل :

شف المؤمل يوم الحيرة البصر   ليت المؤمل لم يخلق له بصر

الأغانى (١٩ : ١٤٧ — ١٥٠) ونكت الهميان ٢٩٩ والخزانة (٣ : ٥٢٣ — ٥٢٥) .

(٤) يبدو فى هذه الأبيات عدم الترابط . وهذا البيت الأخير فى صفة ناقة .

(٥) وكذا روايته فى الحيوان (٣ : ٤٨٧) . وفى شروح سقط الزند ١٨٢ :

* هتوف دعت شجواً على خيزرانة *

وقال آخر :

أَلاَ أيُّها الركب المُخبِّون هل لكمْ　　بأُختِ بنى هندٍ عتَيبةَ من عَهدِ
أألقت عصاها واستقرَّ بها النوى　　بأرض بنى قابوسَ أم ظَعَنت بعدِى

وقال آخر :

أَلاَ هتَفَتْ ورقاءُ فى رونقِ الضُّحى　　على غُصُنٍ غَضِّ النَّبات من الرَّندِ (١)

وقال آخر فى امرأةٍ رآها فى شارَةٍ وبِزّة (٢) ، فظنّ بها جَمالا ، فلما سَفَرت إذا هى غُولٌ :

فأظهرها ربِّى بمنٍّ وقدرةٍ　　علىَّ ولولا ذاك مُتُّ من الكَربِ
فلما بدتْ سبَّحتُ مِن قُبح وجهها　　وقلت لها : السَّاجور خيرٌ من الكلبِ (٣)

وقال النبى ﷺ : « يُؤتَى بقومٍ من هاهنا (٤) يقُادون إلى حُظوظهم فى السَّواجير » . والسَّاجور يُسَمّى الزَّمَّارَةَ . قالوا : وفى الحديث : « فأُتِىَ الحجّاج بسعيد بن جُبير (٥) ، وفى عنقه زَمَّارَةٌ » .

وقال بعض المُسَجَّنين (٦) :

---

(١) رونق الضحى ، أولها . والرند : الآس ، أو شجر من أشجار البادية طيب الرائحة يستاك به .

(٢) الشارة : الحسن والهيئة واللباس . والبزة : الهيئة واللبسة .

(٣) أى ملبسها خير منها . والساجور : خشبة توضع فى عنق الكلب .

(٤) ما عدا ل : « من هنا » وانظر ما سبق فى ص ٥٠ .

(٥) هو سعيد بن جبير بن هشام الأسدى الكوفى ، وكان مولى أسود لبنى والبة من بنى أسد : كان كاتبا لعبد الله بن عتبة بن مسعود حين كان على قضاء الكوفة ، ثم كتب لأبى بردة بن أبى موسى ، ثم خرج مع ابن الأشعث فى جملة القراء ، فلما هزم ابن الأشعث هرب إلى مكة فأخذه خالد القسرى بعد مدة وبعث به إلى الحجاج بواسط ، فقتله صبرا سنة ٩٥ ، ثم مات الحجاج بعده بأيام . وكان فقيها عابدا ورعا . وكان ابن عباس إذا أتاه أهل الكوفة يستفتونه يقول ، أليس فيكم ابن الدهماء ؟ — يعنى سعيد بن جبير . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ٤٢) والمعارف ١٩٧ .

(٦) ورد أيضاً فى المعارف ١٥٨ : « وأخرج المسجنين الذين كانوا بالبصرة » .

ولى مُسْمِعَانِ وزَمّارَةٌ ... وظلٌّ مديدٌ وحصنٌ أَمَقْ (١)
وكم عائِدٍ لى وكم زائرٍ ... لوَ آبصَرَنى زائراً قد شَهَقْ (٢)

المُسْمِعَان : قيدان . وسمَّى الغُلَّ الذى فى عنقه زَمَّارة .

وأمّا قولُ الوليد (٣) :

اسْقنى يا زُبيرُ بالقَرقارهْ ... قد ظَمِئنا وحَنَّتِ الزَّمّارهْ (٤)
اِسقنى اِسقنى فإنَّ ذُنوبى ... قد أحاطت فما لها كَفّارهْ ١٢٣

فإنّ الزَّمارة ها هنا : المزمار .

وقال أيضاً صاحب الزّمّارة فى صفة السِّجن :

فبتُّ بأحصَنِها منزلاً ... ثقيلاً على عُنُق السالكِ
ولستُ بضيف ولا فى كراءٍ ... ولا مستعيرٍ ولا مالكِ
وليس بغَصبٍ ولا كالرُّهون ... ولا يشبه الوَقف عن هالكِ
ولى مُسْمِعَان فأدناهما ... يغنِّى ويُمْسِك فى الحالكِ (٥)
وأقصاهما ناظرٌ فى السما ... ءِ عمداً وأوسخُ من عارِكِ (٦)

المُسمِعان ها هنا أحدهما قيدُه ، والآخر صاحب الجَرَس .

قال : وأخبرنى الكلابىُّ قال : قاتلت بنو عمٍّ لى (٧) بعضُهم بعضا ، فجعل

---

(١) أمق : واسع ، كما فى مجالس ثعلب ٥٤١ عند إنشاد البيت . وأنشده فى اللسان (زمر ٤١٦ سمع ٣٧ مقق ٢٣٣) .

(٢) شهق ، من بابى ضرب وعلم : ردد البكاء فى صدره .

(٣) ما عدا هـ : « قول الراجز » .

(٤) القرقارة : إناء ، سميت بذلك لقرقرتها . وفى القاموس : « القرقار » بدون هاء . وحنت الزمارة : صوتت .

(٥) الحالك ، أى الليل الحالك ، وهو الشديد الظلمة .

(٦) العارك : الحائض من النساء .

(٧) هذا مثل قوله تعالى : (إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل) . ل : « بنو عمى » .

بعضُهم ينضمُّ إلى بعضٍ لِوَاذاً منِّى ، وليس لى فى ذلك هِجِّيَرى [١] إلاّ قولى :

قد جعلَت تأْوِى إلى خَمَّانِها [٢] وكِرْسِها العادىِّ من أعطانها [٣]

فلمَّا طلبوا القِصاص ، قلت : دونكم يا بنى عمّى حَقَّكم ، فأنا اللحم [٤] وأنتم الشَّفْرة ؛ إن وهبتم شكرْتُ ، وإن اعتقلتم عقَلْت [٥] ، وإن اقتصصتم صَبَرْت .

قال : وسألت يونس عن قوله : ﴿ نِسْياً مَنْسِيًّا [٦] ﴾ ، قال : تقول العرب إذا ارتحلوا عن المنزل ينزلونه : انظروا أنساءكم . وهى العصا ، والقَدَح ، والشِّظاظ ، والحَبْل . قال : فقلت : إنى ظننت هذه الأشياء لا ينساها أربابُها إلاّ لأنها أهونُ المتاع عليهم . قال : ليس ذلك كذلك ، المتاع الجافى يذكِّر بنفسه ، وصغار المتاع تذهبُ عنها العيون . وإنّما تذهب نفوسُ العامّة إلى حفظِ كل ثمين وإن صغُر جسمه ، ولا يقفون على أقدار فَوت الماعون عند الحاجة وفقد المُحِلَّات فى الأسفار .

١٢٤ وقال يونس : المنسىُّ : ما تقادم العهدُ به ونُسِى حيناً لهوانه . ولم تكن مريمُ لتضربَ المثلَ فى هذا الموضع بالأشياء النَّفيسة التى الحاجةُ إليها أعظم من الحاجة إلى الشىء الثمين فى الأسواق .

---

(١) الهجير ، كسكيت ، والهجيرى مثله بالألف المقصورة : العادة والدأب والشأن . ما عدا ل : « هجير » .

(٢) الخمان ، بفتح الخاء وتشديد الميم : ردىء الشجر . ما عدا ل : « جثمانها » تحريف

(٣) الكرس ، بالكسر : أبوال الإبل والغنم وأبعارها ، يتلبد بعضها على بعض فى الدار . والعادى : القديم ، كأنه منسوب إلى عاد . والأعطان : جمع عطن ، بالتحريك ، وهو مبرك الإبل حول الحوض .

(٤) ما عدا ل : « فنحن اللحم » .

(٥) أراد باعتقلتم : طلبتم العقل ، وهو الدية . ولم أجد هذا الفعل بهذا المعنى فى معجم .

(٦) قرأ حفص وحمزة بفتح النون ، والباقون بكسرها . إتحاف فضلاء البشر ٢٩٩ .

وقال الأشهب بن رُمَيلة (١) :

قال الأقاربُ لا تغررك كثرتُنا   وأغْنِ نفسَك عنّا أيُّها الرجلُ
عَلَّ بَنِيَّ يشُدُّ اللهُ أعظمَهُمْ   والنَّبْعُ ينبُت قضباناً فيكتهلُ (٢)

وكان فرسُ الأخنس بن شهابٍ (٣) يسمَّى « العَصا » ، والأخنسُ فارس العصا .

وكان لَجذيمةَ الأبرشِ فرسٌ يقال له « العصا » .

ولبنى جعفر بن كلاب « شَحمة » و « الغدير » و « العصا » . فشحمة : فرس جَزْءِ بن خالد . والعصا : فرس عوف بن الأحوص . والغدير : فرس شُريح بن الأحوص .

والعصا أيضاً : فرس شبيب بن كعب الطائى .

وقال بعضُهم أو بعض خُطبائهم :

وليس عصاه من عراجين نَخْلةٍ   ولا ذاتَ سيرٍ من عصِيِّ المسافرِ
ولكنَّها إمَّـا سألتَ فنبعـةٌ   وميراثُ شيخٍ من جياد المَخاصرِ

والرجل يتمنّى إذا لم تكن له قوةٌ وهو يَجدُ مَسَّ العجز ، فيقول : « لو كان فى العصا سيرٌ » . ولذلك قال حبيب بن أوس :

---

(١) الأشهب بن رميلة : شاعر إسلامى مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ، أسلم ولم تعرف له صحبة ولا اجتماع بالنبى ﷺ ، ولذا أورده ابن حجر فى قسم المخضرمين من الإصابة . ورميلة أمه ، وكانت أمة لخالد ابن مالك بن ربعى بن سلمى بن جندل . وأبوه ثور بن أبى حارثة بن عبد المدان بن جندل بن نهشل بن دارم ابن عمرو بن تميم . وكان الأشهب يهاجى الفرزدق . الإصابة ٤٦٤ والخزانة (٣ : ٥٠٩ – ٥١٠) .

(٢) نهشل بن حرى ، كالمنسوب إلى الحر : شاعر مُخَضرم أدرك معاوية ، وكان معه فى حروبه . الإصابة ٨٨٧٨ والخزانة (١ : ١٥١) . وقد نسب البيتان فى الحيوان (١ : ١٠٩) إلى الأشهب بن رميلة .

(٣) الأخنس بن شهاب بن شريق التغلبى ، شاعر جاهلى قديم قبل الإسلام بدهر . الخزانة (٣ : ١٦٩) . وانظر ما كتب فى تحقيق اسمه فى المفضليات (٢ : ٣) .

ما لكَ من همَّةٍ وعزمٍ … لو أنَّهُ فى عصاكَ سَيرُ (١)
رُبَّ قليلٍ جَنَى كثيراً … كم مطرٍ بدؤه مُطَيرُ (٢)
صبراً على النّائبات صبراً … ما صَنَع اللهُ فهو خيرُ

وإذا لم يجعل المسافرُ فى عصاه سَيراً سقطت إذا نعسَ من يده .

وسئل (٣) عن قوله : ﴿ وَلِيَ فيها مَآرِبُ أُخْرَى ﴾ ، قال : لستُ أُحيط
١٢٥ بجميع مآربِ موسى ﷺ ، ولكنى سأُنَبِّئكم جُمَلاً تدخل فى باب الحاجة إلى العصا . من ذلك أنها تُحمَل للحيّة ، والعقرب ، وللذّئب ، وللفحل الهائج ، ولعَير العانَةِ فى زمن هَيْج الفُحول ، وكذا فحول الحُجُور فى المُروج (٤) . ويتوكَّأُ عليها الكبير الدالف ، والسَّقيم المدنَف ، والأقطعُ الرِّجلِ ، والأعرج ، فإنها تقوم مقامَ رِجلٍ أخرى .

وقال أعرابىٌّ مقطوعُ الرِّجل :

اللهُ يعلم أنّى من رجالِهِمُ … وَإنْ تَخَدَّدَ عن متنىَّ أطمارِى (٥)
وإنْ رُزِيتُ يداً كانت تُجَمّلُنى … وإنْ مشَيت على زُجّ ومسمارِ

والعَصَا تَنوب للأعمى عن قائده ، وهى للقصّار والفَاشِكار (٦) والدبّاغ . ومنها المِفأَد للمَلَّة (٧) والمحراك للتَّنُّور (٨) . قال الشاعر :

---

(١) الأبيات مما لم يرد فى ديوان أبى تمام .

(٢) هـ : « حذا كثيرا » .

(٣) المسئول هو يونس بن حبيب .

(٤) الحجر ، بالكسر : الفرس الأنثى ، لم يدخلوا فيه الهاء ، لأنه لا يشركها فيه المذكر .

(٥) التخدد : التشنج . والأطمار : جمع طمر . بالكسر ، وهو الثوب الخلق .

(٦) سبق تفسيره فى (١ : ٦٠) . وفى هامش هـ : « الفاشكار : الحراث » .

(٧) المفأد : الخشبة التى يحرك بها التنور ونحوه . والملة ، بالفتح : الرماد الحار والجمر .

(٨) المحراك : ما تحرك به النار . ل : « والمحراث » ما عدا ل : « ومحراك » ، الوجه ما أثبت .

إذا كان ضرب الخبز مَسْحاً بخرقَةٍ ... وأُخْمِدَ دون الطارق المتنوِّرِ (١)

كأَنّهُ كرِه أن ينفُض عنها الرَّماد بعَصاً فيُستدلّ على أنه قد أنضج خُبزتَه . يصفُه بالبخل .

وهى لدق الجَصّ (٢) والجِبْسين (٣) والسّمسم .

وقال الشّماخ بن ضرار :

وأشعثَ قَدْ قَدَّ السِّفارُ قميصَهُ ... يَجُر شِواءً بالعصا غير مُنْضَجِ (٤)

ولِخَبط الشّجَر ، وللفَيْج وللمُكَارِى (٥) ، فإنهما يتخذان المخاصر ، فإذا طال الشّوْط وبَعُدَت الغاية استعانا فى حُضْرِهما وهَرْوَلتِهما فى أضعاف ذلك ، بالاعتماد على وجه الأرض .

وهى تعدِّل من مَيل المفلوج ، وتُقيم من ارتعاش المُبرسَم (٦) ، ويتّخذها الرّاعى لغَنمِه ، وكلُّ راكب لمركَبه . ويُدْخل عَصاهُ فى عُروة المِزْوَد ، ويمسك بيده الطرفَ الآخَر ، وربَّما كان أحدُ طرفيها بيد رَجُل والطّرَف الآخَر بيد صاحبه وعليها حِمْلٌ ثقيل .

---

(١) وأخمد ، أى أخمدت النار . والطارق : الذى يطرق القوم ليلا . والمتنور : الذى يتبصر الناس من بعيد برؤية النور أو النار .

(٢) الجص ، بفتح الجيم وكسرها : هذا الذى يطلى به الجدار . وفى التيمورية : « الجس » تحريف .

(٣) الجبسين ، ذكره داود فى تذكرته وقال : « وهو فى الحقيقة طلق لم ينضج » قال : « ومنه شديد البياض يعرف بإسفيداج الجبس » . وقال : « وخالصةُ المعروف فى مصر بالمصيص » . ل : « الحشيش » وما عدا ل : « الجبين » . صوابهما فى هـ .

(٤) السفار : السفر . والبيت فى ديوان الشماخ ٩ .

(٥) الفيج ، بالفتح : واحد الفيوج ، وهو الذى يسعى على رجليه يحمل الأخبار من بلد إلى بلد . ولفظه فارسى معرب ، فارسيته « پيك » . استينجاس ٢٦٨ . والمكارى : الذى يكريك دابته بالأجر .

(٦) المرسم : المصاب بالبرسام . والبرسام ، بالكسر : علة يهذى فيها . قلت : هى بالفارسية « برسام » بالفتح ، بمعنى التهاب الصدر ، مركب من « بر » وهو الصدر ، و « سام » بمعنى الالتهاب . وهو بالمعنى الدقيق . التهاب غشاء الرئة : **The Pleurisy** .

وتكون إنْ شئتَ وتِداً فى حائط ، وإن شئت ركَزْتها فى الفضاء وجعلتَها
قِبلةً ، وإنْ شئتَ جعلتها مِظلّة ، وإنْ جعلت فيها زُجًّا كانت عَنَزة (١) ، وإن
١٢٦ زِدتَ فيها شيئاً كانت عُكّازاً ، وإن زدت فيها شيئاً كانت مِطْرداً (٢) ، وإن زدت
فيها شيئاً كانت رُمْحاً .

والعصا تكون سَوْطاً وسلاحاً . وكان رسولُ الله ﷺ يخطُب بالقضيب ، وكفى بذلك دليلاً على عِظَم غَنائها ، وشَرَف حالها . وعلى ذلك الخلفاءُ وكبراءُ العرب من الخُطباء .

وقد كان مروانُ بن محمَّد حين أُحيط به دَفعَ البُرْدَ والقضيبَ إلى خادمٍ له ، وأمَرَه أن يدفنهما فى بعض تلك الرِّمال ، ودفع إليه بنتاً له ، وأمره أن يضرِبَ عنقَها . فلما أُخِذ الخادمُ فى الأسرى قال : إنْ قتلتمونى ضاع ميراثُ النبى ﷺ . فأمَّنوه على أن يُسلِّم ذلك لهم .

وقال الشاعر فى صفة قناة :

وأسمر عاترٍ فيه سِنَانٌ ... شُرَاعىٌّ كساطعَةِ الشّعَاعِ (٣)

وقال آخر :

هَوْنَةٌ فى العِنانِ تهتزُّ فيه ... كاهتزاز القناةِ تحت العُقَاب (٤)

ومما يجوز فى العصا قول الشاعر :

للهـام ضرّابـون بالمنـاصلِ ... ضَرَبَ المُذيِدَ غرَّب النَّواهِلِ (٥)

---

(١) العنزة ، بالتحريك : عصا فى قدر نصف الرمح أو أكثر شيئا ، فى طرفها الأسفل زج كزج الرمح يتوكأ عليها الشيخ الكبير .

(٢) المطرد ، بكسر الميم : رمح قصير يطرد به الوحش .

(٣) الرمح العاتر : المضطرب من لينه . هـ : « عاتق » وأشير فى حواشيها إلى رواية « عاتر » ما عدا ل ، هـ : « عانق » تحريف . وروايته فى اللسان (شرع) : « عاتك » وهو الذى قدم واحمر . والشراعى : نسبة إلى رجل كان يعمل الأسنة اسمه « شراع » .

(٤) يصف فرساً . والعقاب : العلم الضخم .

(٥) سبق الرجز فى ٥٥ . ل : « عزب » ، تحريف .

وقال عبّاس بن مرداس :

نطاعِن عن أحسابنا برماحنا ... ونضربهم ضرب المُذِيد الخوامسا (١)

وقال الآخر :

دافَع عَنْها جلبى وحَشّى (٢) ... فهى كَعُود النَّبْعَة الأَجَشّ

وقال نُصَيْب الأسْود :

ومَن يُبقِ مالاً عُدّةً وصِيانةً ... فلا الدَّهر مُبقيه ولا الشُّحُّ وافِرُهْ

ومن يَكُ ذا عُودٍ صليبٍ يعدُّه ... ليكسر عُودَ الدّهرِ فالدّهرُ كاسرُهُ

وقال آخر (٣) :

تخيَّرتُ من نَعْمانَ عودَ أَراكةٍ ... لهندٍ فمن هذاَ يبلِّغهُ هِندَا (٤)

خليلَىَّ عُوجا بارَكَ اللهُ فيكمـا ... وإن لم تكن هندٌ لأرضكما قَصْدَا

وقُولا لها ليس الضَّلالُ أجارَنـا ... ولكنَّما جُرْنا لنَلقاكُمُ عَمْدَا (٥) ١٢٧

وقال آخر :

فتـلك ثيــابى لم تدُنّس بغــدرَةٍ ... ووَرْىُ زنادى فى ذُرى المجد ثاقبُ (٦)

ولو صادَفَتْ عوداً سوى عُود نَبعةٍ ... وهيهاتَ أفتَتْه الخطُوبُ النّوائبُ (٧)

وقال آخر :

عصا شِريْانةٍ دُهنت بزُبِد ... تدُقّ عظامَه عَظماً فَعظْما

---

(١) البيت وعبارة الإنشاد قبله ساقط من ل . وقد سبق البيت فى ص ٦١ .

(٢) ل : « حلبى وحشى » ولم أجد للبيت مرجعاً لتحقيقه .

(٣) هو ورد بن عمرو بن ربيعة بن جعدة ، أحد شعراء الجاهلية ، الحماسة (٢ : ١٢٣) . ونسب الشعر فى الأغانى (١٠ : ١٢٢) إلى المرقش الأكبر . وأنشد صاحب اللسان البيت الثانى فى اللسان (جور) منسوباً إلى عمرو بن عجلان .

(٤) البيت لم يروه أبو تمام . وفى الأغانى أن المأمون غنى بين يديه بهذا البيت فقال : اطلبوا له ثانياً ، فلم يعرفوا ، ثم سأل عن صاحبه فلم يعرفه أحد . ثم عرف الشعر وصاحبه من بعد ، إسحاق بن حميد ، فبعث بخبره إلى المأمون . هـ : « ولكن من يبلغه هندا » .

(٥) أجارنا : عدل بنا ، كما فى اللسان (جور) .

(٦) الورى : خروج النار من الزند . والزناد : جمع زند .

(٧) أى لو صادفت الخطوب عوداً غير عود النبع أفتته وحطمته . يفتخر بصلابة عوده .

وليس هذا مثل قول لَقيط بن زُرارة [١] :

إذا دهَنُوا رماحَهُم بزُبدٍ فإنّ رماحَ تيمٍ لا تَضِيرُ

وقال صالح بن عبد القُدُّوس [٢]

لا تدخُلَنْ بنَميمةٍ بين العصا ولِحائها

وقال شِبْل بن معبدٍ البَجَلىّ [٣]

بَرَتْنى صروفُ الدَّهرِ من كلِّ جانب كما يُبتَرَى دونَ اللِّحاء عَسِيبُ

وقال أوس بن حَجَر :

لحونَهم لحوَ العصا فطردنهم إلى سَنَة جُرذانُها لم تَحلَّمِ [٤]

وقال الرَّقاشىّ فى صفة القناة التى تُبرَى منها القِسىّ :

من شِقَقٍ خُضرٍ بَرُوصِيّاتِ [٥] صُفْرِ اللِّحاءِ وخَلُوقيّاتِ [٦]

١٢٨ جُدِلْن حتّى إضْنَ كالحيَّاتِ رشائقا غير مؤبَّناتِ [٧]

---

(١) لقيط بن زرارة : شاعر فارس من فرسانهم فى الجاهلية . وله خبر فى يوم رحرحان . وكان من الرؤساء فى يوم جبلة ، وقتل فى ذلك اليوم ، وجعل يقول عند موته :

يا ليت شعرى عنك دختنوس إذا أتاك الخبر المرموس
أتحلق القرون أم تميس لا بل تميس إنها عروس

دختنوس : بنته . وكان جبلة قبل الإسلام بتسع وخمسين سنة . الأغانى (١٠ : ١٩ – ٤٤) .

(٢) ترجم فى (١ : ٢٠٦) .

(٣) هو شبل بن معبد بن عبيد البجلى الأحمسى ، صحابى جليل ، وهو أحد من شهدوا على المغيرة ابن شعبة . الإصابة ٣٩٥٢ .

(٤) ما عدا هـ : « لحوتهم . فطردتهم » صوابه من هـ والديوان ٢٧ واللسان والمقاييس (حلم) . وقبله :

ويخلجنهم من كل صمد ورجلة وكل غبيط بالمغيرة مفعم

لم تحلم : لم تسمن ، وذلك لشدة الجدب . ويروى : « قرداتها » .

(٥) بروصيات ، كذا وردت مضبوطة فى الأصل .

(٦) خلوقيات : لونها لون الخلوق ، وهو بالفتح : الزعفران .

(٧) رشائق : جمع رشيقة ، وهى الحسنة القد اللطيفة . ما عدا ل ، هـ : « وشائقا » ، تحريف . والمؤبنات : المعيبات ؛ والأبنة : العيب فى الخشب والعود .

أنَّفهــن متمطِّـــراتِ (١) عمرو بن عُصفورٍ على استبابتِ (٢)

وقال محمد بن يَسِير (٣) :

ومشَمِّرِينَ عن السَّواعِدِ حُسَّرٍ عنها بكُلِّ رشيقـة التـوتير (٤)
ليس الذى تُشوِى يداه رميَّةً فيهم بمعتـذِرٍ ولا معـذورِ (٥)
عُطُفِ السِّيَاتِ موانعٍ فى عطفها تُعزَى إذا نُسبتْ إلى عُصفُورِ (٦)

ذهب إلى قوله : * فى كَفِّه مُعطِيَةٌ مَنُوعُ (٧) *

وهذا مثل قوله : * خرقاءُ إلاّ أنّها صَنَاعِ (٨) *

وهذا مثل قوله : * غادرَ داءً ونجا صَحيحَا (٩) *

ومثل قوله : * حتَّى نجا من جَوفه وما نَجَا (١٠) *

---

(١) التأنيف : التحديد . ما عدا هـ : « أفقهن » وليس لها وجه . والمتمطرات : المسرعات .

(٢) عمرو بن عصفور : أحد القواسين . وفى الحيوان (٥ : ٢٣٣) « عصفور القواس » ، فلعله والده .

(٣) سبقت ترجمته فى (١ : ٦٥) . ما عدا هـ : « محمد بن بشير » تحريف . والأبيات رويت فى الحيوان (٥ : ٢٣٥) . والأغانى (١٢ : ١٣٠) .

(٤) عنى بالمشمرين الصيادين بالسهام . والتوتير : شد وتر القوس ونحوها . ووجه روايته : « لمشمرين » كما فى الأغانى . هـ : « رقيقة التوتير » .

(٥) أشوى الرمية : لم يصب الصيد الذى يرميه .

(٦) عطف : جمع عطفاء ، وهى المحنية . وسية القوس : ماعطف من طرفها . وقبل البيت فى الحيوان :

يتبوعـون مع الشروق غديَّةً فى كل معطية الجذاب نتور

(٧) نسب فى (١ : ١٤٩) وديوان المعانى (٢ : ٥٩) إلى العكلى . وأنشده فى الحيوان (٣ : ٧٢) .

(٨) سبق فى (١ : ١٥٠) وهو فى صفة ناقة . قال الجاحظ : « يصف سرعة نقل يديها ورجليها ، أنها تشبه المرأة الخرقاء ، وهى الخرقاء فى أمرها الطياشة » . وانظر الحيوان (٣ : ٧٢) والعمدة (١ : ١٦٨) .

(٩) سبق البيت والكلام عليه فى (١ : ١٥٠) .

(١٠) « نجا من جوفه » ، أى نفد سهم الصائد من جوف الحمار ، كما ذكر الجاحظ فى الحيوان (٣ : ٧٥) . وسبق إنشاده فى البيان (١ : ١٥٠) ، « حتى نجا من شخصه » .

فإذا طال قيامُ الخطيب صار فيه انحناءٌ وجَنأٌ [١]. وقال الأسدىّ :

أنا ابنُ الخالدين إذا تلاقَى   من الأيّام يومٌ ذو ضَجَاج [٢]
كأنّ اللُّغْب والخُطباءَ فيه   قِسىٌّ مثقَّفٍ ذاتُ اعوِجَاجِ [٣]

وعلى هذا المعنى قال الشماخ بن ضِرارٍ :

فأضحت تَفَالَى بالسِّتار كأنَّها   رماحٌ نحاها وِجهةَ الرِّيح راكِزُ [٤]

وقال العُمَانىّ :

عاتٍ يرى ضَرْبَ الرجال مَغْنَما   إذا رأى مُصَدِّقاً تجهَّما [٥]
وهزّ فى الكفِّ ، وأبدَى المِعصما   هِرَاوةً نَبْعِيَّـــةً أو سَلَمـــا [٦]
تتركُ ما رام رُفَاتا رِمَمَا [٧]

١٢٩ وقال أميّة بن الأسكر [٨] :

هلاّ سألتِ بنا إن كنتِ جاهلةً   ففى السُّؤال من الأنْباء شافيها [٩]

---

(١) الجنأ : ميل فى الظهر وحدب .

(٢) الضجاج ، بالفتح والكسر : المشاغبة والمشارّة . والخالدان : خالد بن نضلة ، وخالد بن قيس . جنى الجنتين ٤٣ .

(٣) اللغب ، بالفتح : الكلام الفاسد السيِّئ . ما عدا ل ، هـ : « اللعب » بالعين المهملة ، تحريف . ما عدا هـ : « فيها اعوجاج » فيكون فيه الإقواء .

(٤) البيت آخر بيت من قصيدة له فى ديوانه ٤٣ وجمهرة أشعار العرب ١٥٤ . وتفالت الحُمُر : احتكت ، كأن بعضها يفلى بعضا . والستار : موضع . ووجهة الريح : أى فى مواجهتها . والراكز : الذى يغرز الرمح ونحوه فى الأرض . ورواه القرشى فى الجمهرة : « تغالى » بالغين ، وفسرها بقوله : أى تسابق ، تدخل رأسها بين أخواتها .

(٥) المصدق : الذى يتولى جمع الصدقات ، وهى الزكاة ، وكان النزاع دائماً بين المصدقين والمتصدقين . انظر صورة قوية منه فى قصيدة الراعى فى جمهرة أشعار العرب ١٧٥ .

(٦) نبعية ، من النبع ، وهو شجر تتخذ منه القسى . والسلم : ضرب من الشجر

(٧) الرفات : الحطام من كل شئ تكسر . ما عدا ل ، هـ : « رفاقا » تحريف .

(٨) أمية بن الأسكر ، شاعر من مخضرمى الجاهلية والإسلام . وهاجَرَ ابنه « كلاب » إلى المدينة ثم خرج فى بعث إلى العراق فى خلافة عمر ، وكان هو قد كبر ، فبكاه بشعر ، فلما بلغ عمر ذلك أمر برده إليه . الإصابة ٢٥١ والمعمرين ٦٧ – ٦٩ والأغانى (١٨ : ١٥٦) والخزانة (٢ : ٥٠٥) وأسد الغابة .

(٩) ما عدا ل : « من الإعياء » تحريف .

تخبركِ عنا معدٌّ إنْ هُم صدقوا   ومِن قبائل نجرانِ يَمانيها
وبالجياد تجُرُّ الخَيْـلَ عابسةً   كأنَّ مذروزَ مِلحٍ فى هواديها (١)
قومٌ إذا قَذَعُ الأقوال طاف بهم   ألقى العَصىَّ عِصىٌّ الجهل باريها

قال . والرَّجل إذا لم يكن معه عصاً فهو باهل . وناقةٌ باهِلٌ وباهلة ، إذا كانت بغير صِرار (٢) . وقال الراجز :

أبهَلَهـا ذائدُهـا وسَبَحـا (٣)   ودقَّت المركُوُّ حتّى ابلندحا (٤)

* * *

احتجنا إلى أن نذكرَ ارتفاقَ بعضِ الشّعراء من العُرجان بالعصىّ ، عند ذكرنا العصا وتصرُّفَها فى المنافع . والذى نحنُ ذاكروه من ذلك فى هذا الموضع قليل من كثيرٍ ما ذكرناه فى كتاب العرجان . فإذا أردتموه فهو هناك موجودٌ إن شاء الله .

قالوا : ولما شاع هجاء الحَكم بن عبدلٍ الأسَدىّ (٥) لمحمد بن حسان بن سعد (٦) وغيره من الوُلاة والوجوه ، هابه أهل الكوفة ، واتَّقى لسانَه الكبيرُ والصغير ، وكان الحَكمُ أعرجَ لا تفارقه عصاه ، فترك الوقوفَ بأبوابهم وصار يكتب على عصاه حاجتَه ويبعثُ بها مع رسوله فلا يُحبَس له رسول ، ولا يؤخَّر

---

(١) الهوادى : الأعناق . وإذا يبس عرق الخيل ابيض وصار كالملح . قال طفيل الغنوى :

كأن يبيس الماء فوق متونها   أشارير ملح فى مباءة مجرب

انظر شروح سقط الزند ٤٨ ، ٢٥٤ والمفضليات (٢ : ١٤٣) .

(٢) الصرار ، بالكسر : خيط يشد فوق خلفها لئلا يرضعها ولدها .

(٣) السبح : الفراغ الطويل والتصرف جيئة وذهابا .

(٤) المركو : الحوض الكبير . وابلندح : اتسع وعرض . والبيت فى اللسان (بلدح) .

(٥) فيما عدا هـ : « الأزدى » ، تحريف . وهو الحكم بن عبدل بن جبلة ، ينتهى نسبه إلى أسد بن خزيمة . وكان هجاء خبيث اللسان من شعراء الدولة الأموية . ومنزله ومنشؤه الكوفة . وترجمته فى الأغانى (٢ : ١٤٤ - ١٥٣) .

(٦) سبقت ترجمته فى (١ : ٨٨) .

عنه لقراءة الكتاب ، ثم تأتيه الحاجة على أكثر مما قدّر ، وأوفرَ مما أمّل ، فقال يحيى بن نوفل :

عصا حَكَمٍ فى الدّار أوّلُ داخلٍ ... ونحن عن الأبواب نُقصَى ونُحجبُ (١)

وأما قول بِشر بن أبى خازم : ١٣٠

للهِ درُّ بنى الحَذَّاءِ مِن نفرٍ ... وكلُّ جارٍ على جيرانه كَلِبُ (٢)
إذا غَدَوْا وعِصِىُّ الطّلْح أرجلُهم ... كما تُنصَّبُ وسطَ البِيعةِ الصُّلُبُ

وإنّما يعنى أنّهم كانوا عُرجاناً ، فأرجلُهم كعصىِّ الطّلح . وعصىُّ الطّلح معوجّة . وكذلك قال مَعْدانُ الأعمى ، فى قصيدته الطّويلة التى صنّف فيها الغالية والرافِضة ، والتميميّة ، والزيديّة :

والذى طفَّف الجِدارَ من الذُّعْـ ... ـرِ وقد بات قاسمَ الأنفالِ (٣)
فغدا خامعاً بوجه هشيمٍ ... وبساقٍ كعودِ طَلحٍ بالِ (٤)

وقال بعض العُرجان (٥) ممن جعل العصا رِجْلاً :

ما للكواعب يا دهماء قد جعلَتْ ... تَزْوَرُّ عنّى وتطوَى دونى الْحُجَرُ (٦)
لا أسمع الصّوتَ حتّى أستديرَ له ... ليلاً طويلاً يناغينى له القَمرُ
وكنتُ أمشى على رجلينِ معتدلاً ... فصرتُ أمشى على رجلٍ من الشَّجرِ

---

(١) بعده فى الأغانى (٢ : ١٤٤) :

وكانت عصا موسى لفرعون آية ... وهذى لعمر الله أدهى وأعجب
تطاع فلا تعصى ويحذر سخطها ... ويرغب فى المرضاة منها ويرهب

(٢) البيتان فى الحيوان (١ : ٣١٦ / ٦ : ٤٨٤) .

(٣) طفف الجدار : علاه ورفعه . والأنفال : الغنائم والهبات ، جمع نفل بالتحريك .

(٤) فى الحيوان (٦ : ٤٨٥) : « بأيدى هشيم » .

(٥) الشعر يروى لعمرو بن أحمر الباهلى ، كما فى الموشح ٨٠ . وانظر الخزانة (٤ : ٩٤) .

(٦) فى الموشح والخزانة : « يا عيساء » . وفى هـ : « وتلقى » .

وقال رجلٌ من بنى عِجل :

وشَى بِىَ واشٍ عند ليلَى سَفاهةً   فقالت له ليلى مقالةَ ذى عقلِ [١]
وخبّرَها أنى عَرِجتُ فلم تكنْ   كورهاءَ تجترّ الملامةَ للبعلِ
وما بىَ من عيبِ الفتى غير أننى   جعلتُ العصا رِجْلاً أُقيم بها رِجلى

وقال أبو ضبّةَ [٢] فى رِجله :

وقد جعلتُ إذا ما نمتُ أوجعنى   ظَهرى وقمتُ قيامَ الشارف الظَّهِرِ [٣]
وكنت أمشى على رجلينِ معتدلاً   فصرتُ أمشى على رجلٍ من الشَّجَرِ ١٣١

وقال أعرابىٌّ من بنى تميم :

وما بىَ من عَيب الفتى غير أنَّنى   أَلِفتُ قَناتِى حين أوجعَنى ظهرى [٤]

قال : ودخل الحَكم بن عبدل الأَسَدىّ [٥] وهو أعرج ، على عبد الحميد ابن عبد الرحمن بن زيد بن الخطّاب ، وهو أمير الكوفة وكان أعرج [٦] ، وكان صاحب شُرَطِه أعرج ، فقال ابن عبدَل [٧] :

أَلْقِ العصا ودع التخامع والتمسْ   عملاً فهذى دولةُ العُرجانِ [٨]
لِأميرنا وأميرِ شُرطِتنا معاً   لكليْهما يا قومَنا رِجلانِ

---

(١) الأبيات فى الحيوان (٦ : ٤٨٣) .

(٢) فى الحيوان (٦ : ٤٨٣) والخزانة (٤ : ٩٥) : « أبو حية » .

(٣) الشارف من الإبل : المسنّ . والظهِر : الذى يشتكى ظهره ، كما فى مقاييس اللغة . ورواية الحيوان : « الشارب السكر » .

(٤) الحيوان (٥ : ٤٨٤) .

(٥) ل : « الأزدى » ، صوابه فيما عدا ل .

(٦) ما عدا ل : « وهو أعرج » فقط .

(٧) فى الخبر نقص ، وفى الأغانى (٢ : ١٤٥) أنه لقى سائلا أعرج وقد تعرض للأمير يسأله .

(٨) التخامع : التعارج . وفى الأصل : « التخادع » ، صوابه من الأغانى (٢ : ٤٠٦ طبع دار الكتب) . وفى الحيوان (٥ : ٤٨٥) : « ودع التعارج » .

فإذَا يكونُ أميرُنا ووزيرُنا   وأنَا فإنّ الرابعَ الشيطانُ (١)

ومما يدلُّ على أنّ للعصا موقعاً منهم ، وأنها تدور مع أكثر أمورهم قولُ مزرِّد ابن ضِرار :

فجاءَ على بَكـرٍ ثَفـالٍ يَكـُدُّه   عصاهُ استه ، وَجْءَ العُجايَة بالفِهْرِ (٢)

ويقولون : اعتصى بالسَّيف ، إذا جعل السيف عصاه ، وإنّما اشتقُّوا للسيف اسماً من العصا ؛ لأنّ عامّة المواضع التى تصلحُ فيها السيوف تصلحُ فيها العصىّ ، وليس كلُّ موضعٍ تصلُح فيه العصا يصلح فيه السَّيف .

وقال الآخر :

ونحن صدَعْنا هامَةَ ابنِ مُحرِّقٍ   كذلك نَعصَى بالسيوف الصوارِمِ

وقال عمرو بن الإطنابة (٣) :

وفتى يضربُ الكتيبة بالسَّيـ   ـفِ إذا كانت السيوفُ عصيًّا (٤)

وقال عمرو بن مُحرِز :

نزَلوا إليهم والسيوف عصيُّهم   وتذكّروا دِمَناً لهم وذُحُولا (٥)

---

(١) فى هذا البيت إقواء .

(٢) البكر ، بالفتح : الفتى من الإبل . والثَفال ، بفتح الثاء وتخفيف الفاء : البطىء الثقيل . عصاه استه ، أى ليس معه عصا فهو يحرك استه على الحمار حتى يسير . انظر مجالس ثعلب ٣٨٠ حيث أنشد عجز هذا البيت . والوجء : الضرب . والعجاية ، بالضم : العصب يضرب حتى يلين . والفهر ، بالكسر : الحجر ملء الكف . ل : « العجانة » ما عدا ل : « العجابة » صوابهما ما أثبت من هـ . وانظر الأغانى (١٤ : ٢٠) .

(٣) الإطنابة أمه ، وهو عمرو بن زيد مناة الخزرجى ، شاعر فارس من فرسان الجاهلية . معجم المرزبانى ٢٠٣ – ٢٠٤ . وذكر أبو الفرج فى الأغانى (١٠ : ٢٨) أنه كان ملك الحجاز .

(٤) قبله فى الأغانى :

إن فينا القيانَ يعزفن بالد   ف لفتياننا وعيشاً رخيا
يتبارين فى النعيم ويصببـ   ـن خلال القرون مسكا ذكيا
إنما همهـن أن يتحليـ   ـن سموطاً وسنبلا فارسيا
من سموط المرجان فُصِّل بالد   ر فأُحسِنّ بحليهن حليا

(٥) الدمن : جمع دمنة ، بالكسر ، وهو الحقد القديم . والذحل : الثأر .

١٣٢ وقال الفرزدق همامُ بن غالبِ بن صعصعة :

إنّ ابنَ يوسف محمـودٌ خلائقُـه ... سِيَّانِ معروفُه فى الناس والمطَـرُ (١)
هو الشِّهاب الذى يُرمَى العدوُّ به ... والمشرفـىُّ الـذى تَعصَى به مُضرُ

يُقال عَصِيَ بالسيف واعتصى به .

وقال العُريان بن الأسود ، فى ابنٍ له مات :

ولقد تَحمِلُ المُشاةُ كريماً ... ليِّنَ العود ماجدَ الأعراقِ
ذاك قَوْلى ولا كقول نساءٍ ... مُعْوِلاتٍ يبكين بالأرْواق (٢)

وكتب عمرو بن العاص إلى عُمَر بن الخطاب رحمه الله : « إنّ البحر خَلْقٌ عظيمٌ يركبُه خلقٌ صغيرٌ : دودٌ على عودٍ (٣) » .

وقال واثلة السَّدوسىُّ (٤) :

رأيتُكَ لمّا شِبْتَ أدركَكَ الذى ... يُصيبُ سَراةَ الأزدِ حين تشيبُ (٥)
سفاهـةُ أحـلامٍ وبُخـلٌ بنائـلٍ ... وفيك لمن عابَ المَزُون عُيُوبُ (٦)
لقد صبرَتْ للذلِّ أعوادُ مِنبرٍ ... تقوم عليها ، فى يديك قضيبُ
وقد أوحشَتْ منكم رزَاديق فارسٍ ... وبـالمصر دُورٌ جَمَّـةٌ ودُرُوب (٧)

---

(١) ابن يوسف هو الحجاج ، كما فى ديوان الفرزدق ٤٣٥ .

(٢) الأرواق : أرواق البيوت ، جمع روق بالفتح ، وهو البيت أو ما بين يديه . ل : « بالأوراق » ما عدا ل : « للأوراق » ، والوجه ما أثبت .

(٣) سبق هذا الكتاب فى (٢ : ١١٣) .

(٤) ل : « واثلة بن الأسقع السدوسى » . وكلمة « الأسقع » مقحمة ، وإنما هو « واثلة بن خليفة السدوسى » كما سبق فى (١ : ٢٩١ / ٢ : ٣١٣) . وأما واثلة بن الأسقع فهو صحابى جليل كان من أهل الصفّة،توفى سنة ٨٣ فى خلافة عبد الملك بن مروان . تهذيب التهذيب والإصابة ٩٠٨٨ . والشعر يقوله فى هجاء عبد الملك بن المهلب .

(٥) سبق تفسير الشعر فى الموضعين السالفين .

(٦) فى هامش هـ : « المزون : أزدعمان » . وهو بفتح الميم كما فى اللسان .

(٧) الرزاديق ، هى الرساتيق ، وقد سبق تفسيرها . ما عدا ل : « رساتيق » .

وأنشد الأصمعى (١) :

أعددتُ للضِّيفان كلباً ضاريا   وهِراوةً مجلوزةً من أرْزَنِ (٢)
ومعاذِراً كذباً ووجهاً باسِراً   وتشكّياً عَضّ الزمان الألزَنِ (٣)
وشذاةَ مَرْهُوبِ الأذى قاذُورَةٍ   خَشِنٍ جوانبه دَلُوظٍ ضَيْزَنِ (٤)
وبكفّ محبوكِ اليدين عن العُلا   والباع مسوَدُّ الذراع مُقَحْزَنِ (٥)
وتجنّياً لهم الذنوبَ وأتّقى   بغليظ جِلد الوجنتين عَشَوْزَنِ (٦) ١٣٣

وقال جرير :

تَصِفُ السيوفَ وغيرُكم يَعْصَى بها   يا ابنَ القيون وذاك فعلُ الصَّيقلِ (٧)

وقال الراعى :

تبيت ورِجلاهـا إوَانـانِ لاستها   عصاها استُها حتَّى يكلّ قَعودها (٨)

---

(١) الشعر لوبر بن معاوية الأسدى ، كما فى حماسة البحترى ٤١٥ . وكان يعامل تجار المعدن ويلويهم بحقوقهم . وانظر إنشاد الشعر فى الحيوان (٢ : ٢١٠) والبخلاء ٢٠٠ وعيون الأخبار (٣ : ٢٤٢) .

(٢) جلز السكين والسوط : حزم مقبضه وشده بعلباء البعير . ويروى : « وفضل هراوة » . والأرزن : شجر صلب تتخذ منه العصى ، كما فى اللسان (رزن) عند إنشاد هذا البيت .

(٣) الباسر : العابس الذى ينظر بكراهة شديدة . والألزن : الضيق ؛ وأصله من الماء الملزون : الذى يزدحم عليه . انظر اللسان (لزن) حيث أنشد البيت .

(٤) الشذاة : الشر والحدة . والقاذورة : السيء الخلق . والدلوظ : أراد به الشديد الدفع . وفى اللسان : « المدلظ : الشديد الدفع » . والضّيْزَن : المزاحم .

(٥) الباع : السعة فى المكارم . والمقحزن : المصروع .

(٦) العشوزن : العسر الخلق .

(٧) يهجو الفرزدق من قصيدة فى ديوانه ٤٤٢ – ٤٤٨ .

(٨) الإوان من أعمدة الخباء . وأنشد هذا الصدر فى اللسان (أون) . وقال : أى رجلاها سندان لاستها تعتمد عليهما . ما عدا ل ، هـ : « أذانان » تحريف . وانظر لقوله : عصاها استها ، ما سبق فى حواشى ٧٧ . والقعود ، كصبور : ما اتخذه الراعى للركوب من الإبل . وفى شروح سقط الزند ١٦٦٤ : « يريد أن كفلها قليل اللحم عارى العظام ، فإذا أرادت أن تستحث الناقة اعتمدت عليها بكفلها ، فقام ذلك لها مقام العصا ، فأسرعت الناقة بها » .

وقال أعرابىٌّ للحُطيئة : ما عندكَ يا راعى الغنم ؟ قال : عجراء من سَلَم [١] قال : إنى ضَيفٌ ! قال : للضِّيفان أعددتُها .

* * *

وقال الشَّمَّاخ بن ضِرار :

إلى بَقَرٍ فيهنَّ للعين منْظرٌ ... ومَلْهًى لمن يلهو بهنَّ أنيقُ [٢]
رَعَينَ النَّدَى حتَّى إذا وَقَد الحصى ... ولم يبـقَ من نوء السِّمـاك بُرُوقُ [٣]
تَصدَّع شَعْبُ الحىِّ وانشقَّت العصا ... كذاكَ النَّوى بين الخليط شَقُوقُ [٤]

وقال امرؤ القيس :

قُولا لدُودَانَ عبيـدِ الـعصا ... ما غَرَّكـمْ بالأسدِ البـاسلِ [٥]

وقال علىٌّ بن الغدير [٦] :

وإذا رأيت المرءَ يشعَب أمـرَه ... شَعْبَ العصا ويَلـجُّ فى العِصيـانِ
فاعمِـدْ لما تعلُـو فمـا لَكَ بالتـى ... لا تستطيـع من الأمـور يدانِ [٧]

---

(١) العجراء : الكثيرة العُجَر ، أى العقد . والسلم ، بالتحريك : شجر . وقد سبق الخبر فى (٢ : ١٤٧) .

(٢) قبله فى الديوان ٦٢ :

فقلت خليلى انظرا اليوم نظرة ... لعهد الصبا إذ كنت لست أُفيقُ

(٣) الندى ، أراد ما أنبته الندى من المرعى . ووقد الحصى : اشتدت حرارته .

(٤) هذا البيت ساقط من ب ، حـ . والخليط : القوم الذين أمرهم واحد . وشَقوق : وصف من شق ، أى فرق .

(٥) دودان : قبيلة من بنى أسد بن خزيمة . وانظر ديوان امرئ القيس ١٤٨ .

(٦) هو على بن الغدير الغنوى ، شاعر فارس من شعراء الدولة الأموية ، وله شعر فى فتنة ابن الزبير . المؤتلف ١٦٤ ومعجم المرزبانى ٢٨٠ . وهو القائل :

وهُلْكُ الفتى ألا يَرَاح إلى الندى ... وألا يرى شيئـا عجيبـا فيعجبـا

(٧) يقال علا بالأمر : اضطلع به ، كما فى اللسان عند إنشاد البيت . وروى المرزبانى من هذه القصيدة :

وإذا سئلت الخير فاعلم أنـه ... نِعـم تخص بها من الـرحمن
شيم تعلـق فى الرجـال وإنما ... شيم الرجـال كهيئـة الألـوان

وقال الآخر :

وهَجهاجةٍ لا يملأ اللَّيـلُ صَدْرَهُ　　إذا النِّكسُ أغضى طرفَه غيرِ أروعِ [(١)]
صحيح بريء العُودِ من كل أُبْنَةٍ　　وجَمَّاعِ نَهْبِ الخير فى كلِّ مَجمَعِ [(٢)]

وقال مِسكين الدارمىّ :

تَسمُو بأعناقٍ وتحبسها　　عَنَّا عصىُّ الذادةِ العُجُرُ [(٣)]

١٣٤ * حبابُ بن موسى [(٤)] ، عن مُجَالِدٍ ، عن الشَّعبى [(٥)] ، عن زَحْر بن قيس [(٦)] قال : قدمتُ المدائن بعد ما ضُرِبَ على بن أبى طالب رحمه الله ، فلقيَنى ابنُ السَّوداء [(٧)] وهو ابن حرب ، فقال لى : ما الخبر ؟ قلتُ : ضُرِبَ أمير المؤمنين ضربةً يموت الرّجلُ مِن أيسرَ منها ويعيش من أشدَّ منها . قال : لو جئتمونا بدماغه فى مائة صُرَّة لعلمنا أنّه لا يَمُوت حتَّى يذودَكم بعصاه [(٨)] .

---

(١) فى هامش هـ : « يقال فحل هجهاج ، إذا كان شديد الهدير » . والنكس ، بالكسر : الرجل الضعيف . والأروع : الذى يرتاع من كل ما رأى وما سمع .

(٢) الأبنة ، بالضم : العيب يكون فى العود ونحوه .

(٣) هـ : « عنها » ل والتيمورية : « للعجز » تحريف . والذادة : جمع ذائد ، وهو الذى يذود الإبل ويطردها . والعجر : جمع عجراء ، وهى العصا التى فيها عقد .

(٤) المعروف فى كتب الرجال « حسان بن موسى » . انظر تهذيب التهذيب .

(٥) ترجمة مجالد بن سعيد فى (١ : ٢٤٢) ، وعامر الشعبى فى (١ : ١٩٤) .

(٦) هو زحر بن قيس بن مالك بن معاوية بن سعنة الجعفى ، وزحر ، بفتح الزاى وسكون الحاء المهملة . وكان أحد أصحاب على بن أبى طالب ، أنزله المدائن فى جماعة جعلهم هناك رابطة . روى عنه عامر الشعبى ، وحصين بن عبد الرحمن . تاريخ بغداد ٤٦٠٥ حيث أورد الخبر التالى أيضاً . وكان على إذا نظر إليه قال : « من سره أن ينظر إلى الشهيد الحى فلينظر إلى هذا » .وكان له أربعة أولاد نجباء : أحدهم فرات ، قتله المختار . والثانى جبلة ، قتل مع ابن الأشعث وكان على القراء ، فقال الحجاج : ما كانت فتنة قط تنجلى حتى يقتل عظيم من العظماء . والثالث جهم كان مع قتيبة بن مسلم بخراسان ، وولى جرجان . والرابع حمال ، كان بالرستاق . الإصابة ٢٩٦٠ .

(٧) ابن السوداء هذا هو عبد الله بن سبأ . وكانت أمه سوداء . الطبرى (٥ : ٩٨) والفرق بين الفرق ٢٢٥ . وكان يهوديا من أهل صنعاء ، أسلم فى أيام عثمان وحاول تضليل المسلمين . وهو صاحب السبائية .

(٨) بعده فى تاريخ بغداد : « قال : فوالله ما مكثنا إلا تلك الليلة حتى جاءنا كتاب =

وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ ﴾ الآية . وقال الشاعر :

رأيتُ الغانيات نَفَرنَ منّى ... نِفارَ الوحش من رامٍ مُفِيقِ (١)
رأينَ تغيُّرى وأردن لِدْناً ... كغُصْنِ البانِ ذى الفَنَن الوريقِ

وقال أبو العتاهية :

عرِيتُ من الشَّباب وكان غَضًّا ... كما يَعرىَ من الورق القَضِيبُ (٢)
ألا ليتَ الشَّبابَ يعودُ يوما ... فأُخبرَه بما صنع المَشِيبُ

وقال الآخر (٣) :

ولئن عَمِرتُ لقد عَمِرتُ كأننى ... غُصْنٌ تثَنِّيهِ الرِّياح رطيب (٤)
وكذاكَ حقاً من يُعَمَّرْ يُبلِهِ ... كرُّ الزَّمانِ عليه والتّقليبُ
حتّى يعودَ من البِلَى وكأنَّهُ ... فى الكفّ أفوَقُ ناصِلٌ معصوبُ (٥)
مُرُط القِذاذِ فليس فيه مصنعٌ ... لا الرِّيشُ ينفعه ولا التعقيبُ (٦)

= الحسن بن على : من عبد الله حسن أمير المؤمنين إلى زحر بن قيس . أما بعد فخذ البيعة على مَنْ قِبلك » . والخبر برواية أخرى فى الفرق بين الفرق ، وفرق الشيعة للنوبختى ٢٠ .

(١) أفاق الرامىُ السهم : وضعه فى الوتر ليرمى به .

(٢) قبله فى ديوانه ٢٣ :

بكيت على الشباب بدمع عينى ... فلم يغن البكاء ولا النحيب
فيا أسفا أسفت على شباب ... نعاه الشيب والرأس الخضيب

(٣) هو نويفع بن نفيع الفقعسى ، كما فى أمالى الزجاجى ١٢٦ – ١٢٩ ولسان العرب (مرط) حيث القصيدة بتمامها . ويقال بل هو نافع بن نفيع ، وقيل نافع بن لقيط الفقعسى . وقد نسب البيت الأول والرابع فى اللسان (فيأ ، صنع) منسوباً إلى نافع بن لقيط . والأبيات فى ملحقات ديوان لبيد ٤٩ .

(٤) فى الديوان واللسان وأمالى الزجاجى : « ولئن كبرت » . وفى هذه المراجع أيضاً : « تفيئه الرياح » ، أى تحركه وتميله يمينا وشمالا .

(٥) الأفوق : السهم المنكسر الفوق ؛ والفوق ، بالضم : مشق رأس السهم حيث يقع الوتر . والناصل : الذى لا نصل له .

(٦) السهم المرط : الذى لا ريش عليه . والقذاذ : جمع قذة ، وهى ريشة السهم . ويقال ليس فيه مصنع ، أى ما فيه مستملح . والتعقيب : أن ينكسر فيشده بالعقب ؛ والعقب بالتحريك العصب الذى تعمل منه الأوتار ، وهو عصب =

وقال عروةُ بن الورد :

أليس ورائى أن أدِبَّ على العصا   فَيَأْمَنَ أعدائى ويسأَمَنى أهلى (١)

وأنشد :

عَصَوْا بسُيوفِ الهند واعتركت بهم   بَرَاكاءُ حرب لا يطيرُ غرابها (٢)

١٣٥ وقال لبيد :

أليس ورائى إن تراخت مَنِيَّتى   لُزومُ العصا تُحنَى عليها الأصابعُ (٣)

وقال الآخر :

نُقِيم العصا ما كان فيها لدونَةٌ   وتأبى العصا فى يُبْسِها أن تُقَوَّما

وقال الآخر :

إنّ الغصون إذا قوَّمتَها اعتدلت   ولن تلينَ إذا قوّمتَها الخُشُبُ (٤)

وقال جرير :

ما للفرزدق من عزٍّ يلوذ به   إلا بنى العَمِّ فى أيديهم الخَشَبُ (٥)

سِيروا بنى العمّ فالأهوازُ منزلكمْ   ونهرُ تِيرَى فَما تدريكم العرب

وقال جرير فى هجائه بنى حنيفة (٦) :

= المتنين والساقين والوظيفين ، ينقى من اللحم ويسوى منه الوتر . وضبط « الريش » فى هـ بفتح الراء ، من راش السهم يريشه .

(١) البيت مطلع قصيدة له فى ديوانه ١٠٢ .

(٢) يقال عصا بسيفه يعصو ، وعصى بكسر الصاد يعصى بفتحها : أخذه أخذ العصا . والاعتراك : الازدحام . والبراكاء ، بالفتح : ساحة القتال . لايطير غرابها ، كناية عن كثرة القتلى والجيف .

(٣) ورائى ، بمعنى قدامى . كما فى قوله تعالى : (ويذرون وراءهم يوما ثقيلا) . يقول:ليس بعد الهرم إلا أن ألزم العصا وأدب عليها . والبيت فى ديوان لبيد ٢٣ طبع ١٨٨٠ .

(٤) سبق البيت مع قرين له فى (٢ : ٢٣٣) .

(٥) مضى البيت والكلام عليه فى ص ١٦ من هذا الجزء .

(٦) الأبيات من قصيدة له فى ديوانه ٥٩٩ — ٦٠٠ .

أصحابُ نخلٍ وحِيطان ومزرعةٍ ... سيوفُهُم خُشبٌ فيها مساحِيها (١)
قَطْعُ الدِّبَارِ وسقْىُ النخل عادَتُهم ... قِدماً وما جاوَزتْ هذا مساعيها (٢)
لو قيل أين هَوادِى الخيل ما عَرَفوا ... قالوا لأعجازها هذِى هواديها (٣)
أو قلتَ إنّ حِمامَ الموت آخِذُكم ... أو تُلجموا فرساً قامت بواكيها (٤)
لمّا رأت خالداً بالعِرض أهلكَها ... قتلاً وأسلمها ما قال طاغيها (٥)
دانت وأعطتْ يداً للسِّلْم طائعة ... من بعد ما كاد سيفُ الله يُفْنيها (٦)

وقال سلاَمة بن جندل :

كنّا إذا ما أتانا صارخٌ فزِعٌ ... كان الصُّراخُ له قَرعَ الظَّنابيب (٧)

ويقال للخاطب (٨) إذا كان مرغوباً فيه كريماً : ذاك الفحل الذى لا يقرع أنفه (٩) ؛ لأن الفحل اللئيم إذا هبَّ على الناقة الكريمة ضربوا وجهَه بالعصا .

وقال الآخر :

---

(١) الحيطان : جمع حائط ، وهو البستان من النخل إذا كان عليه جدار . والمسحاة : المجرفة من حديد .

(٢) الدبار : جمع دبرة بالفتح ، وهى الساقية بين المزارع . وفى الديوان : « وأبْر النخل » أى إصلاحه . ل فقط : « هذى » بدل « هذا » .

(٣) هوادى الخيل : أعناقها لأنها أول شئ فيها . والهادية من كل شىء : أوله . هـ : « ما علموا » . وفى الديوان : « قالوا لأذنابها » .

(٤) ما عدا ل ، هـ : « أو قيل » . وحمام الموت : ما قضى منه وقدر .

(٥) خالد هذا هو خالد بن الوليد ، الذى فتح اليمامة وقضى على بنى حنيفة سنة ١١ فى أيام أبى بكر الصديق . والعرض ، بالكسر : وادى اليمامة ، كله لبنى حنيفة ، إلا شيئاً منه لبنى الأعرج من بنى سعد ابن زيد مناة . وكتب فى هـ فوق « طاغيها » : « غاويها » رواية أخرى .

(٦) سيف الله : لقب خالد بن الوليد . الإصابة ٢١٩٧ حيث أورد حديث : « نعم عبد الله ، هذا سيف من سيوف الله » . فى الديوان : « صاغرة » بدل : « طائعة » .

(٧) سبق البيت والكلام عليه فى ص ٤٥ .

(٨) ما عدا هـ : « للخطاب » . وأشير فى حاشية التيمورية إلى أنها فى نسخة : « للخاطب » .

(٩) انظر ما مضى فى حواشى ص ٤٤ .

كأنّها إذْ رُفِعَتْ عصاها   نعامةٌ أوحَدَها رألاها (١)

* * *

وممَّن أضافوه إلى عصاه: داود مَلْكِينَ اليشكُرىّ ، وكان ولىَ شُرَط البصرة .

وجاء فى الحديث أنّ أبا بكرٍ رحمه الله أفاض من جَمْع (٢) وهو يخرِش بعيره بمِحجنه (٣).

وقال الأصمعىّ : المِحْجَنُ : العصا المعوجَّة .

وفى الحديث المرفوع : « أنّه طاف بالبيت يستلم الأركان بمحجنِه . والخَرْشُ : أن يضربه بمحجنه (٤) ثم يجذبه إليه ، يريد بذلك تحريكه .

وقال الراعى :

١٣٦ فألقى عَصَا طلحٍ ونعلاً كأنّها   جَنَاحُ السُّمانَى رأسهُ قد تصوّعا (٥)

والعَصَا أيضاً : فرس شَبيب بن كُرَيبٍ الطائى .

أبو الحسن ، عن على بن سُلَيم (٦) قال : كان شبيب بن كريب الطائىّ يصيب الطريق فى خلافةِ على بن أبى طالب رحمه الله ، فبعث إليه أحمر بنَ شُمَيط العِجلىّ وأخاه فى فوارس ، فهرب شَبيبٌ وقال (٧) :

ولما أن رأيت ابنَىْ شُمَيطٍ   بسكّة طَيِّئ والبابُ دُونى

---

(١) الرأل : فرخ النعامة . وأوحدها : تركها وحدها ، كما فى القاموس .

(٢) جمع ، بالفتح ، هى المزدلفة . ويوم جمع هو يوم عرفة .

(٣) أورد الخبر فى اللسان (خرش) وقال عن الأصمعى : « الخرش أن يضربه بمحجنه ثم يجتذبه إليه ، يريد بذلك تحريكه للإسراع . وهو شبيه بالخدش » . ما عدا ل ، هـ : « يحرش » بالحاء المهملة ، وهى صحيحة أيضا ، يقال حرش البعير بالعصا : حك فى غاربه ليمشى .

(٤) جملة « والخرش أن يضربه بمحجنه » من ل فقط . وإسقاطها يفسد الكلام .

(٥) السمانى ، كحبارى : طائر معروف يقطع من الشمال إلى الجنوب . تصوع : تفرق شعره . هـ : « رأسها » .

(٦) هـ : « على بن سليمان » .

(٧) ل : « فقال شبيب وهرب » .

تجلّلتُ العصا وعلمتُ أنّى ... رهينُ مُخَيَّسٍ إن يثقَفونى (١)
ولو أنظرتُهُم شيئاً قليلا ... لساقونى إلى شيخٍ بَطينِ
شديدِ مَجَالزِ الكَتِفين صُلْبٍ ... على الحَدثاَن مجتمعِ الشُّؤونِ (٢)

وقال النَّجاشىّ لأمّ كَثِير بن الصَّلْت (٣) :

ولستُ بهنديّ ولكنّ ضَيعةً ... على رَجُلٍ لو تعلمين مَزِيرِ (٤)
وأعجبْتِنى للسَّوط والنَّوط والعَصَا ... ولم تعجبينى خُلَّـةً لأميـرِ (٥)

وقال أعشى بنى ربيعة (٦) :

وكان الخلائفُ بعد الرسو ... لِ لله كلُّهمُ خاشعَا (٧)
شهيدْين من بعد صِـدِّيقهم ... وكان ابنُ صخر هو الرّابعا (٨)
وكان ابنُه بعده خامساً ... مُطيعاً لمن قبله سامعا (٩)
ومَروان سادِسُ مَنْ قد مضى ... وكان ابنُه بعده سابعا (١٠)

---

(١) المخيّس : السجن ، يقال بفتح الياء المشددة وكسرها . وهو أيضاً سجن لعلى بن أبى طالب يقول فيه :

أما ترانى كيساً مكيسا ... بنيت بعد نافع مخيسا

نافع : سجن بالكوفة كان غير مستوثق البناء . يثقفونى : يظفروا بى .

(٢) المجالز : مواضع الجلز ، وهو الطى واللى .

(٣) مضت ترجمة النجاشى فى (١ : ٢٣٩) . وأما كثير بن الصلت فصحابى جليل ترجم له فى الإصابة ٧٤٧٣ وطبقات ابن سعد (٥ : ٧) .

(٤) المزير : الشديد القلب القوى النافذ .

(٥) النوط : التعليق . والخلة ، بالضم : الزوجة . قال جران العود :

خذا حذرا يا خلتى فإننى ... رأيت جران العود قد كاد يصلح

(٦) ما عدا ل ، هـ : « أعشى بن ربيعة » ، تحريف . واسمه عبد الله بن خارجة بن حبيب . وهو شاعر إسلامى من ساكنى الكوفة . وكان مروانى المذهب شديد التعصب لبنى أمية . انظر أخباره مع عبد الملك بن مروان والحجاج فى الأغانى (١٦ : ١٥٥ – ١٥٧)

(٧) ما عدا ل : « كلهم أسوة خاشعا » .

(٨) الشهيدان : عمر ، وعثمان . والصديق : أبو بكر . ولم يعترف بعلى بن أبى طالب لعصبيته الأموية ، فجعل رابع الخلفاء ابن صخر ، وهو معاوية بن صخر أبى سفيان .

(٩) ابنه هو يزيد بن معاوية .

(١٠) أسقط قبل مروان بن الحكم هذا ، معاوية بن يزيد بن معاوية ؛ لأن خلافته =

وبشرٌ يُدَافِعُ عبدَ العزيز … مضى ثامناً ذا وذا تاسعا (١)
وأيُّهمُ ما يَكُن سائساً … لها لم يكن أمرُها ضائعا (٢) ١٣٧
فإما تَرَيْنِى حليفَ العصا … فما كنت من رَثْيَةٍ خامِعا (٣)
فساوَمنى الدّهرُ حتى اشترى … شبابى وكنت له مانِعا

وقال عوف بن الخَرِع (٤) :

ألا أبلغا عنّى جُرِيجَة آيــةً … فهل أنت عن ظلم العشيرة مُقْصِرُ (٥)
وإنْ ظَعَن الحىُّ الجميعُ لِطيّةٍ … فأمرُكَ معصىٌّ وشِربُكَ مُغْورُ (٦)
أفى صِرْمةٍ عشرينَ أو هى دونَها … قَشر تم عصاكم فانظروا كيف تُقشَرُ (٧)
زعمتم من الهُجْر المضلِّلِ أنكم … ستَنصُرُكم عمروٌ علينا ومِنْقَرُ (٨)

= لم تدم إلا أربعين يوماً أو عشرين يوماً . وبموته زال الأمر عن آل حرب . ولى مروان الخلافة فى رجب سنة ٦٤ وولیها بعده ابنه عبد الملك فى رجب سنة ٦٥ .

(١) لم يبايَع بشر بن مروان ولا عبد العزيز بن مروان بالخلافة ، وإنما كان بشر واليا على الكوفة ثم ضمت إليه البصرة . وأما عبد العزيز فكان ولى العهد بعد عبد الملك ، ولم يل الخلافة .

(٢) ل : « وأيهما » .

(٣) ما عدا ل : « فقد كنت من وثبة » تحريف . والرثية : كل ما يمنع من الانبعاث من وجع أو كبر . والخامع : الأعرج .

(٤) نسبه إلى جده . وهو عوف بن عطية بن الخرع التيمى ، شاعر فارس جاهلى . وانفرد البكرى فى السمط ٣٧٧ ، ٧٢٣ بقوله : إنه جاهلى إسلامى . والخرع لقب جده عمرو بن عبس . وفى اللسان (٤ : ٤٤) أن « الخرع » لقب أبيه عطية ، وهو خطأ . قال البغدادى فى الخزانة (٣ : ٨٣) : « وله ديوان صغير ، وهو عندى » . قلت : وله ثلاث قصائد مفضليات رقمها ٩٤ ، ٩٥ ، ١٢٤ . وروى له المرزبانى فى معجمه ٢٨٦ بعض الأبيات .

(٥) ل : « كريجة » . والآية : العلامة والأمارة والعبرة .

(٦) الجميع : المجتمع . والطية ، بالكسر : النية ، أى المنزل الذى ينتوى . والشرب ، بالكسر : مورد الماء . مغور : غائر ذاهب فى الأرض .

(٧) الصرمة ، بالكسر : القطعة من الإبل . وقشر عصاه : أبدى ما يكن ضميره من عداوة ، هذا ما فهمت من هذه الكناية عند ما لم أجد لها ذكرا فى معظم المعاجم . ثم وجدت فى أساس البلاغة : « وقشرت له العصا : أبديت له مافى ضميرى » .

(٨) الهجر ، بالضم : الفحش والتخليط والهذيان . ل : « من الهجر المغلل » تحريف .

فيا شَجَر الوادى ألا تنصرونهم   وقد كان بالمُروت رِمثٌ وسَخْبَرُ [١]
ألم تجعلوا تَيْماً على شُعبتَىْ عَصاً   فما ينطق المعروفَ إلا معذِّرُ [٢]

وقال رجلٌ من محارب يرثى ابنَه :

ألم يكُ رطباً يعصِر القومُ ماءه   وما عودُه للكاسرين بيابسِ

وقال حاجبُ بن زُرارة [٣] : « واللهِ ما القعقاع [٤] برَطب فيُعْصَر ، ولا يابس فيُكسَر » .

وقال حَمَّادُ عَجْرَدٍ :

وجَـــرَوْا على ما عُوِّدوا   ولكلِّ عيدانٍ عُصَارَهْ [٥]

وقال أيضاً [٦] :

فأنتَ أكـــرمُ مَن يمشى على قدمٍ   وأنضَرُ الناس عند المَحْلِ أغصانا [٧]

---

(١) شجر الوادى : كناية عن الكثرة . والمروت : واد بالعالية كانت به وقعة بين تميم وقشير . انظر معجم البلدان والعقد (٥ : ١٧٩ طبع لجنة التأليف) وكامل ابن الأثير (١ : ٣٨٥) والعمدة (٢ : ١٦١) وأمثال الميدانى (٢ : ٣٥٤) . والرمث : شجر يشبه الغضى من الحمض ، وهو مرعى من مراعى الإبل . والسخبَر : شجر إذا طال تدلت رءوسه وانحنت . وفى البيت تهكم ظاهر .

(٢) يقال عصا فى رأسها شعبتان ، أى طرفان . جعلهم على شعبَتى عصا ، أى هم فى غير استقرار . والمعذر : الذى يعتذر ولا عذر له .

(٣) حاجب بن زرارة بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم التميمى ، كان من رؤساء يوم جبلة ، وكان يوم جبلة قبل الإسلام بأربعين سنة ، وهو عام ولد النبى ﷺ ، كما فى العقد . وقد عاش حاجب إلى أن وفد على الرسول وأسلم ، وبعثه على صدقات بنى تميم ، وهو الذى رهن قوسه عند كسرى على مال عظيم ووفَى به . الإصابة ١٣٥٥ .

(٤) القعقاع هذا ، وهو ابن أخى حاجب بن زرارة . وهو القعقاع بن معبد بن زرارة ، له صحبة ، ووفد فى بنى تميم . وكان يقال له « تيار الفرات » لسخائه . الإصابة ٧١٢٢ . وقد أولعت هذه الأسرة بالفخر ببَنيها . ويشبه ذلك الفخر الذى سيأتى ، فخر القعقاع نفسه بابنه عوف إذ يقول : « والله لما أرى من شمائل الجن فى عوف أكثر مما أرى فيه من شمائل الإنس » . الحيوان (٦ : ٢٣٦) .

(٥) بعد هذا سقطٌ فى النسخة التيمورية ينتهى فى منتصف ص ٩٢ س ١٢ .

(٦) يقوله فى محمد بن أبى العباس السفاح كما فى الشعراء ٧٥٦ .

(٧) ب ، جـ : « عند الناس » . وبدله فى الشعراء :

أرجوك بعد أبى العباس إذ بانا   يا أكرم الناس أعراقا وأغصانا

لو مَجَّ عُود على قومٍ عُصَارته ... لمَجَّ عودُك فينا المِسكَ والبانا

وقال آخر [١] :

إنّا وجَدْنا النّـاسَ عُودَيـن : طيّبـاً ... وعوداً خبيثًا ما يَبِضُّ على العَصرِ [٢]
١٣٨ تَزِيـن الفتـى أخلاقُـــه وتَشينـــه ... وتُذكر أخلاقُ الفتى حيثُ لا يدرى [٣]

وقال المؤمَّل بن أُميل :

كانت تقيَّد حين تنزل منزلا ... فاليوم صار لها الكلالُ قُيودا
والنَّاس كالعِيدانِ يَفضُلُ بعضهُم ... بعضاً كذاك يفوق عودٌ عودا [٤]

وقالت ليلى الأخيليَّة [٥] :

نحنُ الأخايل لا يزال غُلامُنا ... حتَّى يدبَّ على العصا مذكورا [٦]

* * *

انظر – أبقاك الله – فى كم فنّ تَصرَّف فيه ذكرُ العصا من أبواب المنافع والمرافق ، وفى كم وجه صرّفته الشُّعراء وضُرِب به المثل . ونحن لو تركْنا الاحتجاج لمخاصِر البلغاء ، وعِصىّ الخطباء ، لم نجد بُدًّا من الاحتجاج لِجلَّة المرسَلين ، وكبار النبيِّين ؛ لأنّ الشُّعوبيّة قد طعنت فى جملةِ هذا المذهب على قضيبِ النبى ﷺ وعَنَزَته ، وعلى عصاه ومِخْصَرَته ، وعلى عصا موسى ؛ لأنّ موسى ﷺ قد كان اتَّخذها من قبل أن يَعلم ما عند الله فيها ، وإلامَ يكون صَيُّور أمرها [٧] . ألَا ترى أنَّه لما قال الله عزّ وجل : ﴿ وما تِلْكَ بِيَمِينكَ

---

(١) هو أبو البلاد الطهوى ، كما سبق فى (٢ : ١٠٤) .
(٢) لا يبض : لا يخرج منه ماء .
(٣) ب ، حـ ، هـ : « وهو لا يدرى » ، كما مضى فى (٢ : ١٠٤) .
(٤) سبق فى ص ٦٢ : « والقوم كالعيدان » .
(٥) ويقال إن الشعر لأبيها ، كما فى اللسان (١٣ : ٢٤٦) .
(٦) جمعت القبيلة باسم الأخيل بن معاوية العقيلى .
(٧) صيور الأمر : منتهاه وما يصير إليه .

يَا مُوسى ﴾ ، قال : ﴿ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهاَ عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مآرِبُ أُخْرى ﴾ . وبعد ذلك قال : ﴿ قال أَلْقِهاَ ياَ مُوسَى . فَأَلْقَاهَا فإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسعَى ﴾ . ومَن يستطيع أن يدَّعى الإحاطةَ بما فيها من مآربِ موسى إلاّ بالتقريب وذِكرِ ما خطَر على البال ؟! وقد كانت العصا لا تُفارِق يدَ سليمانَ بنِ داود عليه السلام فى مَقاماته وصلواته ، ولا فى موته ولا فى أيّام حياته ، حتَّى جعل الله تسليط الأَرَضة عليها وسليمانُ ميّتٌ وهو معتمدٌ عليها ، من الآياتِ عندَ مَن كان لا يعلم أنّ الجنَّ لم تكن تعلم إلاَّ ما تعلم الإنس .

ولو علم القومُ أخلاقَ كلِّ ملّة ، وزىَّ أهلِ كلِّ لغةٍ وعِلَلهم فى ذلك ، ١٣٩
واحتجاجَهم له ، لقلَّ شَغْبهم ، وكفَونا مَئُونتهم . هذه الرُّهبان تتَّخذ العِصىَّ ، من غير سُقم ولا نُقصانٍ فى جارحة . ولا بدَّ للجاثَليق من قِناعٍ ومن مظِلَّة وبَرْطُلَّة [1] ، ومن عُكّازٍ ومن عصًا ، من غير أن يكون الدّاعى إلى ذلك كِبَراً ولا عجزاً فى الخِلقة .

ومازال المُطِيل القيامَ بالموعظةِ أو القراءةِ أو التِّلاوة يتخذ العصا عند طول القيام ، ويتوكّأُ عليها عند المشى . كأنَّ ذلك زائدٌ فى التكهُّل والزَّماتة [2] ، وفى نفى السُّخف والخِفّة .

* * *

وبالنّاس حفظكَ اللهُ أعظم الحاجةِ إلى أنْ يكونَ لكلِّ جنسٍ منهم سِيما ، ولكلِّ صنفٍ حليةٌ وسِمَةٌ يتعارفون بها .

---

(١) الجاثليق ، بفتح الثاء : رئيس من رؤساء النصارى . والبرطلة ، بفتح الباء وضم الطاء وتشديد اللام : كلمة نبطية وليست من كلام العرب . قال أبو حاتم : قال الأصمعىّ : بر : ابن . والنبط يجعلون الظاء طاء ، وكأنهم أرادوا ابن الظل . ألا تراهم يقولون : الناطور ، وإنما هو الناظور . المعرب للجواليقى ٦٧ — ٦٨ . والمراد بالبرطلة ها هنا : القلنسوة التى تدار عليها العمامة . انظر اللسان (برطل) ومعجم استينجاس ١٧٥ .

(٢) الزماتة : الحلم والوقار . ل : « الرمانة » ما عدا ل : « الزمانة » صوابهما من هـ .

وقال الفرزدق بن غالب :

به نَدَبٌ مما يقول ابنُ غالبٍ يلوح كما لاحت وسومُ المَصَدِّقِ (١)

وقال آخر :

أنارَ حتى صدَقت سِماتُه وظهرت من كرَمٍ آياتُه

وأنشدنى أبو عبيدة :

سقاها مِيسمٌ من آل عمرو إذا ما كان صاحبُها جَحيشا (٢)

وذكر بعضُ الأعراب ضروباً من الوسم ، فقال :

بهنَّ من خُطَّافنا خبْطٌ وُسِمْ (٣) وحَلَقٌ فى أسفل الذِّفرَى نُظِمْ (٤)

مَعْها نظامٌ مثل خطٍّ بالقَلمْ وقُرْمَةٌ ولست أدرى من قَرَم (٥)

* عَرضٌ وخَبْطٌ للمحلِّيها المُسَمّ (٦) *

وقال تبارك وتعالى : ﴿ سِيماهُمْ فى وُجوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجود ﴾ .

---

(١) البيت مما لم يرو فى ديوان الفرزدق . والندب ، بالتحريك : واحِد الندوب ، أو جمع الندبة ، والندبة : أثر الجرح إذا لم يرتفع عن الجلد . أراد بذلك وقع هجائه . ويعنى بابن غالب نفسه . والمصدق : الذى يتولى جمع الصدقات . وكانوا يَسِمون إبل الصدقة ، أى يعْلمون عليها بالكى .

(٢) الميسم : آلة الوسم ، وهو أيضاً أثر الوسم . يقول : هذه الإبل عرفت سماتها الدالة على عزة أصحابها فسمح لها بالسقيا . وصاحبها : راعيها . جحيشا : منفرداً بعيداً . وهذا مثل قوله :

حتى سقوا آبالهم بالنار والنار قد تشفى من الأوار

قال فى اللسان (نور) . « أى سقوا إبلهم بالسمة ، أى إذا نظروا فى سمة صاحبه عرف صاحبه فسقى وقدم على غيره ؛ لشرف أرباب تلك السمة » .

(٣) الخطاف : سمة يوسم بها البعير كأنها خُطَّاف البكرة . والخبط : ضرب من الوسم يكون فى الفخذ أو الوجه . ما عدا ل : « من خطافها علط وسم » . والعلط : ضرب من الوسم يكون فى العنق .

(٤) أراد حلقا من الوسم أيضا . والذفرى : الموضع الذى يعرق من البعير خلف الأذن .

(٥) القرمة ، بالضم والفتح : سمة فوق الأنف ، تسلخ منها جلدة ثم تجمع فوقها .

(٦) العرض : ضرب من الوسم يكون فى عرض الفخذ . التحلية . الوصف . والمُسَمُّ ، أى المسمى من التسمية . ما عدا ل : « لمحليها الوسم » . وفى هـ :« لمخليها الوسم » .

وكما خالفوا بين الأسماء للتّعارُف ، قال الله عز وجل : ﴿ وجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وقَبائِلَ لِتَعَارَفُوا إنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ . فعند العرب العِمَّةُ وأخذ ١٤٠
المِخصرة من السِّيما .

وقد لا يلبس الخطيب [١] المِلْحفة ولا الجُبَّةَ ولا القميصَ ولا الرِّداء . والذى لابدَّ منه العِمَّةُ والمِخصرة . وربّما قام فيهم وعليه إزارهُ قد خالَفَ بين طرَفيه . وربّما قام فيهم وعليه عمامتُه ، وفى يدهِ مِخصَرته ، وربّما كانت قضيباً وربما كانت عصاً ، وربّما كانت قناة . وفى القنا ما هو أغلظُ من السّاق ، وفيها ما هو أدق من الخِنْصَرِ . وقد تكون مُحكَّكة الكعوب مثقَّفة من الاعوجاج ، قليلة الأُبَن [٢] . وربّما كان العود نَبْعاً وربّما كان من شَوْحَطٍ ، وربما كان من آبَنُوس [٣] ، ومن غرائب الخشَب ومن كرائم العيدان ، ومن تلك المُلْس المصفَّاة . وربّما كانت لبَّ غصنٍ كريم ؛ فإنَّ للعيدان جواهرَ كجواهر الرِّجال [٤] ولولا ذلك لما كانت فى خزائن الخلفاء والملوك . ومنها [٥] مالا تَقْرَبه الأَرَضة ولا تؤثِّر فيه القوادح [٦] .

والعُكّازة إذا لم يكن فى أسفلها زُجٌّ فهى عصاً [٧] ؛ لأن أطول القنا أن

---

(١) ل : « وقد قالوا لا يلبس الخطيب » .

(٢) الأبن ، جمع أبنة ، بالضم ، وهى العقدة .

(٣) الآبنوس ، لم تعرفه المعاجم العربية ولا كتب المعربات . ولفظه الفارسى : « آبْنُوس » . استينجاس ١٠ . قال داود فى تذكرته : « معرب من العجمية » . وذكر أنه ينبت بالحبشة والهند ، وأن له أوراقا كأوراق الصنوبر أو هى أعرض ، لا تسقط . وأن له ثمراً كالعنب لكنه إلى الصفرة والحلاوة . وذكر أن أجود خشبه الرزين الشديد السواد الشبيه بالقرون . وأنشد فى الأغانى ١١ : ١٣٣ لمحمد بن يسير :

آبنوس دهماء حالكة اللو ... ن لُبَاب من اللطاف الملاح

(٤) جوهر كل شئ : ما خلقت عليه جبلته .

(٥) إلى هذه الكلمة يستمر سقط التيمورية الذى بدأ فى ص ٨٨ س ٩ .

(٦) القوادح : جمع قادح ، وهو أكال يقع فى الشجر .

(٧) يقال عكازة وعكاز أيضاً ، كما فى القاموس . ما عدا ل : « والعكاز إذا لم يكن فى أسفله زج فهو عصا » .

يقال رمحٌ خَطِلٌ ، ثم رمح بائِنٌ (١) ، ثمّ رمحٌ مخموس ، ثم رمحٌ مربوع (٢) ، ثم رمح مِطْرَد (٣) ، ثم عُكّازةٌ (٤) ، ثم عصا .

ثم من العصىِّ نُصُب المساحى (٥) والمرورِ (٦) والقُدُمِ (٧) والفؤوس والمَعاول ، والمناجِل ، والطَّبَرْزِينات (٨) . ثم يكون من ذلك نُصُب السَّكاكينِ والسُّيوفِ والمَشَامِل (٩) .

وكلُّ سهامٍ نبْعيةٍ ، وغيرُ ذلك من العِيدان ، مما امتدحها أوس بن حجرٍ (١٠) أو الشمَّاخ بن ضِرار ، أو أحدٌ من الشعراء ، فإنما هى من عَصًا (١١) .

وكلُّ قوسٍ بُندقٍ فإنّما جىءَ بقناتها من بَرْوَض (١٢) ، ومُدِح ببَرْيها وصنعتها عصفورٌ القَوّاس . وقال الرَّقَاشىّ (١٣) :

---

(١) ل : « نابر » ماعدا ل : « نائر » ، كلاهما محرف عما أثبت . وفى اللسان (بين) : « وفى الحديث فى صفته ﷺ : ليس بالطويل البائن . أى المفرط طولا الذى بعد عن قد الرجال الطوال » .

(٢) المخموس : ماطوله خمس أذرع . والمربوع : ما طوله أربع . مجالس ثعلب ٥٣٩ .

(٣) المطرد ، بالكسر : ما يطرد به الوحش .

(٤) يقال عكازة وعكاز ، كما سبق فى حواشى ٩٢ . ما عدا ل : « عكاز » .

(٥) المساحى : جمع مسحاة ، وهى المجرفة . والنصب ، بضمتين : جمع نصاب بالكسر ، وهو المقبض .

(٦) المرور : جمع مر ، بالفتح ، وهو المسحاة .

(٧) القدم ، بضمتين : جمع قدوم ، بالفتح ، وهى التى ينحت بها .

(٨) الطبرزينات : جمع طبرزين ، وهو فأس يستعمل فى القتال عند الفرس . مركب من كلمتين « تَبَر » بمعنى الفأس و « زين » بمعنى السرج . لعله سمى بذلك لالتزام وضعه بجانب السرج . استينجاس ٢٧٠ والمعرب ١٩٤ والألفاظ الفارسية ١١١ .

(٩) المشامل : جمع مشمل كمنبر ، وهو سيف قصير دقيق . وفى المحكم أنه سيف قصير يشتمل عليه الرجل فيغطيه بثوبه .

(١٠) كلمة « مما » من ل فقط .

(١١) ما عدا ل ، هـ : « من كل عصا » . وكلمة « كل » مقحمة .

(١٢) بروض : موضع لم يذكر فى المعاجم وكتب البلدان المتداولة . وقد جعلها فى الشعر التالى « بروضاء » . وانظر ما سبق فى ص ٧١ س ١٠ . وفى هـ : « بروص » .

(١٣) هو الفضل بن عبد الصمد الرقاشى : شاعر أديب معاصر لأبى نواس ، وليس من الرقاشيين بل هو من مواليهم . الأغانى (١٥ ، ٣٤) . وقد لج الهجاء بينه وبين أبى نواس انظر الديوان ١٧٦ - ١٧٩ =

أنعَتُ قوساً نعتَ ذى انتقاءِ ... جاء بها جالبُ بَرْوضَاءِ
بعد اعتيامٍ منه وانتصَاءِ (١) ... كافيةَ الطُّول على انتهاءِ
مجلوزة الأكعبِ فى استواءِ (٢) ... سالمةً من أُبَن السِّيساءِ (٣)
* فلم تَزل مَساحِلُ البَرَّاءِ (٤) ... تأخذ من طوائف اللِّحَاءِ (٥) ١٤١
حتى بدتْ كالحيّةِ الصَّفراءِ ... ترنُو إلى الطَّائِر فى السَّماءِ
بمُقلْة سريعةِ الإقذاءِ (٦) ... ليست بكحلاءَ ولا زرقاءِ

وقال الآخر :

قد أغتدى مَلْثَ الظَّلامِ بفِتيةٍ ... للرَّمْي قد حَسروُا له عن أذرعَ (٧)
متنكِّبينَ خرائطاً لبنادقٍ ... ما بين مضفورٍ وبينَ مرسَّعِ (٨)
بأكفّهم قُضبان بَرْوَضَ ، قد غَدَوا ... للطَّير قبل نُهُوضها للمرتَعِ (٩)

= والبخلاء ١٩١ . ويبدو أنه هجاء دعابة ؛ فقد كان الفضل من خلطاء أبى نواس وندماه . أخبار أبى نواس لابن منظور ١٢٨ – ١٣٣ . وفى هجو أبى نواس للرقاشيين نعتّ قدورهم بالنظافة والبياض والصغر ، حتى ضرب بها المثل فقيل « قدر الرقاشى » . ثمار القلوب ٤٩١ والوساطة ٣١٧ .

(١) الاعتيام : الاختيار . وكذلك الانتصاء . يقال انتصى فلان من القوم ، بالبناء للمفعول ، أى اختير من نواصيهم وأشرافهم .

(٢) المجلوزة : التى شد عليها الجلائز ، وهى عقبات تلوى على القوس .

(٣) الأبن : العقد . والسيساء ، أصله منتظم فقار الظهر .

(٤) المسحل ، كمنبر : المبرد . والبراء : الذى يبرى القوس ونحوها .

(٥) الطوائف : الجوانب . واللحاء : القشر .

(٦) المعروف فى المعاجم « الاقتذاء » ، واقتذاء الطير : فتحها عيونها ، وتغميضها ، كأنها تجلى بذلك قذاها ؛ ليكون أبصر لها . قال حميد بن ثور فى صفة البرق :

خفى كاقتذاء الطير والليل واضع ... بأرواقه والصبح قد كاد يلمع

(٧) ملث الظلام : حين يختلط الضوء بالظلمة ، عند العشاء وعند طلوع الفجر .

(٨) تنكب الشيء : علّقه على منكبه . والخريطة : شبه الكيس تكون من الخرق والأدم ؛ تشرج على ما فيها . والبنادق : جمع بندقة ، وهو تلك التى يرمى بها . والمرسع من الترسيع ، وهو أن يخرق الشيء ثم يدخل فيه سيراً ، كما تسوى سيور المصاحف . ل فقط : « مرصع » .

(٩) أراد بالقضبان القسى المتخذة منها . وبروض ، سبق الكلام عليها فى ٩٣ . ما عدا ل : « بروص » .

تُقذِى مَنِيّاتُ الطُّيور عيونَها ... يوماً إذا رَمِدت بأيدى النُّزَّع (١)
صُفْر البطونِ كأنَّ لِيطَ متونها ... سَرَقُ الحرير نواضرٌ لم تَسْلَع (٢)

* * *

وكانت العَنَزة التى تُحمَل بين يدىْ رسول الله ﷺ – وربَّما جعلوها قبلةً – أشهَرَ وأذكَر من أن يُحتاج فى تثبيتها إلى ذكر الإسناد .

* * *

وكانت سِيما أهلِ الحرم إذا خرجُوا إلى الحِلّ فى غير الأشهر الحُرُم ، أنْ يتقلدوا القلائدَ ، ويعلّقوا عليهم العلائق (٣) . وإذا أُوْذَمَ أحدُهم الحجّ (٤) تزيَّا بِزِىّ الحاجّ ، وإذا ساقَ بَدَنة أشعَرَها (٥) . وخالَفوا بين سِمات الإبل والغنم ، وأعلموا البَحِيرة بغير عَلَم السَّائبة (٦) ، وأعلموا الحامىَ بغير علم سائِر الفحول (٧) . وكذلك الفَرَع والوصِيلة والرَّجَبيّة والعَتِيرة من الغنم (٨) وكذلك سائرُ الأغنام السَّائمة .

---

(١) النزع : جمع نازع ، وهو الرامى . أى كلما أوغلت هذه القسى فى الضرب زادها ذلك طيشا فجعلت تضرب فى غير هدى .

(٢) صفر : جمع أصفر وصفراء . والليط ، بالكسر : القشر . والسرق ، بالتحريك : أجوِد الحرير . تسلع : تتشقق . ما عدا ل : « لم تشبع » تحريف . والبيت فى صفة القسى .

(٣) العلائق : جمع علاقة ؛ بالكسر ، وهو ما يعلق به الشىء .

(٤) أوذم الشىء : أوجبه على نفسه .

(٥) البدنة : ناقة أو بقرة تنحر بمكة . وأشعرها : أعلمها .

(٦) البحيرة : الناقة إذا نتجت خمسة أبطن والخامس أنثى بحروا أذنها أى شقوها ، فكانت الناقة بذلك حراما على الناس لحمها ولبنها وركوبها . وإذا تابعت الناقة بين عشر إناث لم يركب ظهرها ولم يجز وبرها ولم يشرب لبنها إلا ضيف ، وتركوها مسيبة وسموها السائبة . وقد اختلف اللغويون وكذلك الفقهاء فى تفسير هذه الأسماء اختلافا بيناً .

(٧) كلمة « سائر » من ل فقط . والحامى : الفحل من الإبل يضرب عشرة أبطن ، فإذا بلغ ذلك قالوا : هذا حام ، أى حمى ظهره ، فيترك فلا ينتفع منه بشىء ، ولا يمنع من ماء ولا مرعى .

(٨) الفرع ، بالتحريك : أول نتاج الإبل والغنم . وكان أهل الجاهلية يذبحونه لآلهتهم يتبرعون به والوصيلة : هى الشاة تلد سبعة أبطن عناقين عناقين ، فإن ولدت فى الثامنة جديا وعناقا قالوا : وصلت أخاها ، فلا يذبحون أخاها من أجلها ، ولا يشرب لبنها النساء ؛ وكانت للرجال وجرت مجرى السائبة . والرجبية : ذبيحة كانوا يذبحونها فى رجب . والعتيرة : ذبيحة كانت تذبح للأصنام ويصب دمها على رأسها .

وإذا كانت الإبل من حِباء ملكٍ غرَزُوا فى أسنمتها الرِّيش والخِرق [١] .

ولذلك قال الشاعر :

يهَبُ الهجان بريشها ورُعائها ... كاللَّيل قبلَ صباحِه المتبلِّجِ [٢]

وإذا بلغت الإبل ألفاً فقئوا عين الفحل ، فإن زادت فقئوا العينَ الأخرى فذلك المفقَّأ والمعمّى . وقال شاعرهم : ١٤٢

فقأتُ لها عَين الفَحِيل تعيُّفا ... وفيهن رعلاءُ المسامع والحامى [٣]

وقال آخر :

وهبتَها وأنت ذو امتنانِ ... يُفقأُ فيها أعينُ البُعرانِ

قال الآخر :

فكان شكرُ القومِ عنـد المنـنِ ... كىَّ الصحيحات وفَقْءَ الأعيُنِ

وإذا كان الفحل من الإبل كريماً قالوا فَحِيل ، وإذا كان الفحل من النَّخل كريماً قالوا فُحّال . قال الرّاعى :

كانت نَجائبَ منذرٍ ومحرِّق ... أمّاتُهنَّ وطرقُهنَّ فَحِيلا [٤]

* * *

وكان الكاهنُ لا يلبس المصبَّغ ، والعَرَّاف لا يدَعُ تذييلَ قميصه وسَحب ردائه ، والحَكَمُ لا يفارق الوَبَر . وكان لحرائر النِّساء زِىٌّ ، ولكلِّ مملوكٍ زِىٌّ ،

---

(١) انظر الحيوان (٣ : ٤١٧ - ٤١٨) .

(٢) الهجان : الإبل البيض ، والخيار من كل شئ . وفى الحيوان : « الجلاد » . والرعاء ، بالكسر والضم : جمع راع . جعلها كالليل لما فوق أسنمتها من الريش السود ، كما جعل أبدانها كالصبح تحت الظلام .

(٣) الفحيل : فحل الإبل إذا كان منجبا كريما . وأنشد البيت فى الحيوان (١ : ١٧) وقال : « الرعلاء : التى تشق أذنها وتترك مدلاة لكرمها » .

(٤) البيت من قصيدة له فى جمهرة أشعار العرب ١٧٢ - ١٧٦ والخزانة (١ : ٥٠٢) . وأنشده فى اللسان (طرق) مسبوقا بقوله : « يقال للضارب طَرْق بالمصدر ، والمعنى أنه ذو طرق » . والطرق : الضراب .

ولذواتِ الرَّايات زِىّ (١) ، وللإماءِ زِىّ .

وكان الزِّبرقان (٢) يَصبغ عمامتَه بصُفْرة . وذكره الشاعر فقال (٣) :

وأشهَدَ من عَوفٍ حُلولاً كثيرة   يَحُجُّون سِبَّ الزِّبرقانِ المزعفرا (٤)

وكان أبو أُحيحة سعيد بن العاص (٥) إذا اعتمّ لم يعتمّ معه أحد ، هكذا فى الشّعر . ولعلّ ذلك أن يكون مقصوراً فى بنى عبد شمس . وقال أبو قيس بن الأسلت :

وكان أبو أحيحة قد علمتمْ   بمكةَ غيرَ مهتضِمٍ ذميمِ
إذا شَدَّ العصابةَ ذاتَ يومٍ   وقامَ إلى المجالس والخصوم
فقد حَرُمت على مَن كان يمشى   بمكة غير مُدَّخَل سقيـمِ (٦) ١٤٣
وكان البَخْترىُّ غداةَ جَمْعٍ   يدافعُهم بلقمانَ الحكيمِ
بأزهـرَ من سَراة بنـى لُؤَىّ   كبدر الليل راقَ على النُّجومِ (٧)

---

(١) كانت البغايا فى الجاهلية يجعلن على بيوتهن رايات ليعرفن بها . انظر تفسير الطبرى (١٨ : ٥٧) . وكذلك كان يفعل أصحاب الحانات . اللسان (غيا) . وكذلك البياطرة . الطبرى وثمار القلوب ١٩٣ .

(٢) سبقت ترجمته فى (١ : ٥٣) .

(٣) هو المخبل السعدى ، كما فى إصلاح المنطق ٤١١ واللسان (سبب ، حجج) .

(٤) عوف : قبيلة . والحلول : الأحياء المجتمعة ، جمع حالّ ، كشاهد وشهود : يحجون : يقصدون . وأشهد ، بالنصب كما حقق ابن برى . وقبل البيت :

ألم تعلمى يا أم عمرة أننى   تخاطأنى ريب الزمان لأكبرا

(٥) سعيد بن العاص ، هذا هو جد سعيد بن العاص بن سعيد المترجم فى (١ : ٣١٤) . وقد أخطأ كثير من المؤلفين فى الخلط بينهما . وهذا سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس ، وكنيته أبو أحيحة . كان من وجوه قريش ولم يدرك الإسلام . وكان قد قدم الشام فى تجارة فحبسه عمرو بن جفنة ، حبسه مع هشام بن سعيد العامرى ، فقال فى ذلك :

قومى وقومك يا هشام قد اجمعوا   تركى وتركَكَ آخرَ الأعصار

فى أبيات . فاجتمع رأى بنى عبد شمس على أن يفتدوا سعيد بن العاص ، فجمعوا مالا كثيرا فافتدوه به . الإصابة ٣٧٥٩ .

(٦) المدخل ، أراد به الدعى الذى يدخل فى القوم .

(٧) راق عليه : زاد عليه فضلا .

هو البيت الذى بُنيت عليه   قريشُ السِّرِّ فى الزمن القديمِ [١]
وسَطْتَ ذوائبَ الفرعَينِ منهم   فأنت لبابُ سِرِّهم الصَّميمِ

وقال غَيلان بن خَرَشة [٢] للأحنف : يا أبا بحرٍ ، ما بقاء ما فيه العرب ؟ قال : إذا تقلّدوا السُّيوف ، وشدُّوا العمائم واستجادوا النِّعال ، ولم تأخذهم حَمِيّة الأوغاد . قال : وماحَمِيَّةُ الأوغاد ؟ قال : أن يعدُّوا التّواهُبَ ذُلاًّ [٣] .

وقال الأحنف : استجيدوا النِّعال ؛ فإنَّها خلاخيل الرِّجال [٤] .

والعرب تسمى السُّيوف بحمائِلها أردِيَة .

وقال علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه قولاً أحسن من هذا ، قال : « تمام جمال المرأة فى خُفِّها ، وتمام جمال الرجل فى كُمَّتِه [٥] » .

ومما يؤكد ذلك قول مجنونِ بنى عامر [٦] :

أأعقِر من جَرَّا كريمةَ ناقتى   ووصلىَ مفروشٌ لوصل مُنـازِلِ [٧]
إذا جاء قَعقعنَ الحُلىَّ ولم أكنْ   إذا جئتُ أرجو صوتَ تلك الصَّلاصِلِ [٨]

---

(١) السر : المحض والأفضل والأوسط .
(٢) غيلان بن خرشة ترجم فى (١ : ٣٤١ ، ٣٩٤) .
(٣) سبق الخبر فى (٢ : ٨٨) .
(٤) مضى هذا القول فى (٢ : ٨٨) .
(٥) الكمة ، بالضم : القلنسوة . وقد سبق فى رواية إحدى النسخ فى (٢ : ٨٨) : « فى عمته » .
(٦) كان من قصة الشعر التالى أن المجنون مر بامرأة من بنى عقيل يقال لها « كريمة » ومعها نسوة صواحب ، فعرفْنَه ودعونه إلى النزول والحديث ، فظل يحدثهن وينشدهن وهن أعجب شئ به فيما يُرى ، وعقر لهن ناقته فجعلن يشتوين ويأكلن إلى أن أمسى ، فأقبل شاب حسن الوجه فجلسن إليه وأقبلن عليه بوجههن يقلن : كيف ظللت اليوم يا « منازل » ؟ فلما رأى ذلك من فعلهن غضب وقام وقال هذا الشعر . انظر الأغانى (١ : ١٦٥ ، ١٧١) .
(٧) مفروش : مبسوط مهيأ . ومنازل ، هذا : غريمه .
(٨) فى الأغانى : « أرضى » بدل : « أرجو » . وفى الأغانى وما عدا ل : « تلك الخلاخل » .

ولم تُغْنِ سِيجان العِراقَينِ نَقْـرةً   ورُقْشُ القَلَنْسِى بالرِّجال الأَطاوِلِ (١)

والعصابة والعمامة سواء . وإذا قالوا سيِّد معمَّم فإنّما يريدون أنَّ كلَّ جناية يجنيها الجانى من تلك العشيرة فهى معصوبةٌ برأسه .

وقال دريدُ بن الصِّمَّة :

أبلغْ نُعَيماً وعوفاً إنْ لقيتَهمـا   إن لم يكن كان فى سمعيهما صممُ (٢)
فلا يزال شهـابٌ يستضاءُ به   يَهدِى المقانب ما لم تهلك الصِّمَمُ
عارِى الأشاجع معصوبٌ بِلمتَّه   أمرُ الزَّعامة فى عرنينه شَمَم ١٤٤

وقال الكِنانىّ :

تنخَّبتُهـا للنَّسل وهـى غريبـةٌ   فجاءت به كالبدر خِرْقاً معمَّما (٣)
فلو شاتَمَ الفتيانَ فى الحىِّ ظالماً   لما وجدوا غير التكذُّب مَشتَما (٤)

ولذلك قيل لسعيد بن العاصى (٥) : « ذو العصابة » . وقد قال القائل :

كَعابٌ أبوها ذُو العصابة وابنُه   وعثمانُ ما أكفاؤها بكثيرِ (٦)

---

(١) ل : « سيحان » هـ : « سبحان » ، التيمورية « سحان » صوابها فى ب ، حـ . والسيجان : الطيالسة السود ، واحدها ساج ، انظر اللسان (سوج) . لم تغن نقرة ، بفتح النون ، أى شيئا . ولا تستعمل إلا مع النفى . والرقش : جمع أرقش ورقشاء ، وهو ما فيه نقط من بياض وسواد . جـ : « درفش » ب والتيمورية : « ورفش » صوابهما فى ل ، هـ . والقلنسى ، بكسر السين وفتحها أيضا : جمع قلنسوة .

(٢) سبق الكلام على الشعر وتخريجه وتفسيره فى (١ : ٢٣١) .

(٣) الخرق ، بالكسر : الظريف فى سماحة ونجدة . وأشير فى هـ إلى رواية : « تنجبتها » .

(٤) مَشْتما ، أى شتما . يقول : ليس فيه ما يعاب . وانظر عيون الأخبار (٢ : ٦٧) .

(٥) سعيد بن العاص هذا هو المترجم فى (١ : ٣١٤) وهو حفيد سعيد بن العاص المترجم آنفا فى ٩٧ . وقد أخطأ الثعالبى فى ثمار القلوب ٢٣١ حيث جعله الجد ، وذكر مع هذا أن خالد بن يزيد بن معاوية طلق ابنته آمنة بنت سعيد بن العاص فتزوجها الوليد بن عبد الملك فقال خالد فيها هذا الشعر . فكيف يكون ذلك ، وقد مات سعيد الجد قبل الإسلام وكانت حياة الوليد ما بين سنتى ٥٣ ، ٩٦ . وكيف تكون « كعابا » حديثة السن فى هذا التاريخ . الكعاب : التى كعب ثديها ، أى نهد .

(٦) فى ثمار القلوب : « وابنه أخوها » .

يقولها خالدُ بن يزيد [١] .

وقال عمر بن الخطاب رحمه الله : « العمائم تيجان العرب [٢] » .

وقال : وقيل لأعرابيٍّ [٣] : إنك لتُكثر لُبْس العمامة ؟ قال : إنّ شيئاً فيه السّمعُ والبَصر لجدير أن يُوقَى من الحرّ والقُرّ .

وذكروا العمامة عند أبى الأسود الدؤلىّ فقال : « جُنّة فى الحرب ، ومَكَنّةٌ من الحرّ ، ومَدفأة من القُرّ ، ووَقار فى النَّدِىّ [٤] ، وواقيةٌ من الأحداث ، وزيادةٌ فى القامة ، وهى بعدُ عادةٌ من عادات العرب » .

وقال عمرو بن امرئ القيس [٥] :

يامالِ والسَّيِّدُ المعمَّم قد ... يُبطره بعدَ رأيِهِ السَّرَفُ
نحنُ بما عندنا وأنت بما عنـ ... ـدكَ راضٍ والرأىُ مختلف [٦]

وكان من عادة فُرسان العرب فى المواسم والجموع ، وفى أسواق العرب ، كأيّام عكاظَ وذى المَجاز وما أشبهَ ذلك ، التقنُّعُ ، إلاّ ما كان من أبى سَليط

---

(١) هو خالد بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان ، كان يكنى أبا هاشم ، وكان من أعلم قريش بفنون العلم ، وكان يقول الشعر . وهو الذى قالوا إنه شغل نفسه بطلب الكيمياء فأفنى فى ذلك عمره . المعارف ١٥٣ – ١٥٤ والأغانى (١٦ : ٨٤ – ٨٨) . ويقال إنه أصاب عمل الكيمياء . الطبرى (٧ : ١٦) .

(٢) انظر ما سبق فى (٢ : ٨٨ س ٩) .

(٣) الخبر فى (٢ : ٨٨) برواية أخرى . وانظر عيون الأخبار (١ : ٣٠٠) .

(٤) الندى : مجلس القوم ومتحدثهم .

(٥) هو عمرو بن امرئ القيس ، من بنى الحارث بن الخزرج ، جاهلى . يقول الشعر التالى فى مالك بن العجلان النجّارى . معجم المرزبانى ٢٣٣ . وأورد له أبو الفرج فى الأغانى (٢ : ٤٠) خبراً مع علقمة بن عدى ، وعدى بن زيد . وكان أحد حكامهم فى الجاهلية ، حكم فى حرب سمير بين الأوس والخزرج . الأغانى (٢ : ١٧٠) وكان ذلك الحكم سبباً لغضب مالك بن العجلان ورد قضائه .

(٦) فى معجم المرزبانى : « والأمر يختلف » . وقصيدة عمرو بن امرئ القيس رويت فى جمهرة أشعار العرب ١٢٧ – ١٢٨ . على أن هذه القصيدة تختلط أبياتها بأبيات قصيدة لقيس بن الخطيم فى ديوانه ١٦ – ٢٠ وأخرى لمالك بن العجلان فى الجمهرة ١٢٢ . وانظر شاهد هذا الخلط ، فى معاهد التنصيص ، فى شواهد ترك المسند .

طَرِيف بن تميم (١) ، أحد بنى عمرو بن جُنْدب ؛ فإنه كان لا يتقنَّع ولا يبالى أن تُثْبت عينَه جميعُ فرسان العرب ، وكانوا يكرهون أن يُعرَفوا فلا يكونَ لفُرسان عدوِّهم همٌّ غيرَهم .

ولما أقبل حَمَصِيصة الشَّيبانىُّ يتأمَّل طَرِيفاً قال طَرِيف :

١٤٥ أو كلَّما وردت عكاظَ قبيلةٌ ... بعثُوا إلىّ عريفَهم يتـوسَّمُ

فتوسَّمونى إنَّنى أنا ذاكُمُ ... شاكٍ سلاحى فى الحوادث مُعلِمُ

تحتى الأغَرُّ وفوق جِلدى نثرةٌ ... زَغْف تردُّ السَّيفَ وهو مُثَلَّمُ (٢)

ولكلِّ بكرىٍّ إلىّ عداوةٌ ... وأبو ربيعةَ شانئ ومُحَلَّمُ

فكان هذا من شأنهم . وربما مع ذلك أعْلَم نفسَه الفارسُ منهم بسِيما . كان حمزة يوم بدرٍ مُعْلما بريشةِ نَعامةٍ حمراء . وكان الزُّبير مُعلِما بعمامةٍ صفراء . ولذلك قال دِرهم بن زيد (٣) :

إنك لاقٍ غداً غُواة بنى الملـ ... ـكاءِ فانظرْ ما أنتُ مُزدهِف (٤)

يمشون فى البِيض والدُّروع كما ... تمشى جِمالٌ مَصاعبٌ قُطُف (٥)

---

(١) كان طريف بن تميم بن نامية ، من بنى عدى بن جندب بن العنبر – وكان يسمى ملقى القناع – قد قتل شراحيل الشيبانى ، أخا حمصيصة ، وكان حَمَصِيصةُ قد وافى عكاظ ، فعرف طريفا وتوعده . فقال طريف الشعر التالى . والأبيات فى الأصمعيات ٦٧ ليبسك ومعاهد التنصيص (١ : ٧١) والعقد وكامل ابن الأثير والخيل لابن الأعرابى ٦٣ . ثم قتله حمصيصة بعد ذلك فى يوم (مُبَايِض) . انظره فى معجم البلدان والعقد والكامل والميدانى (٣ : ٣٦٣) .

(٢) الأغر : فرس طريف . والأغر أيضا : فرس عنترة بن عمرو بن معاوية ، وآخر لضبيعة بن الحارث . الخيل لابن الأعرابى ٦٩ ، ٧١ . والنثرة : الدرع الواسعة . والزغف : اللينة .

(٣) درهم بن زيد بن ضبيعة ، وهو أخو سمير ، من بنى عوف . وكان سمير قد قتل جاراً لمالك بن العَجلان ، فأبى مالك إلا أن يقتله به . فقال درهم هذا الشعر محاماة لأخيه سمير ، مخاطبا بذلك مالك بن العجلان . الأغانى (٢ : ١٦١ – ١٦٢) .

(٤) ل : « بنى مالك » ، التيمورية : « ابنى ملكاء » هـ : « بنى ملكاء » . وأثبت ما فى ب ، حـ . وفى الأغانى (٢ : ١٦٢) : « بنى عمى » . والازدهاف : التقحم فى الشر .

(٥) المصاعب : جمع مصعب ، وهو الفحل الذى يودع من الركوب والعمل . والقطف : جمع قطوف ، وهو الذى يقارب الخطو فى سرعة .

فأبدِ سِيماك يعرفِوك كما ... يُبدون سيماهم فتُعترَفُ (١)

وكان المقنّع الكندىّ الشاعر ، واسمه محمد بن عميرٍ (٢) ، كان الدّهرَ مقنّعا . والقِناع من سِيما الرُّؤساء . والدّليل على ذلك والشاهد الصادق ، والحجة القاطعة ، أنّ رسول الله ﷺ كان لا يكاد يُرى إلا مقنَّعا . وجاء فى الحديث : « حتى كأنّ الموضع الذى يصيب رأسَه من ثوبه ثوبُ دَهّان (٣) » .

وكان المقنَّع الذى خرج بخراسان (٤) يدّعى الرُّبوبية ، لا يَدَع القِناع فى حالٍ من الحالات . وجهِل بادِّعاءِ الربوبية من طريق المناسَخة (٥) ، فادَّعاها من الوجه الذى لا يختلف فيه الأحمرُ والأسود ، والمؤمِنُ والكافر ، أنّ باطَله مكشوفٌ

---

(١) روى هذا البيت فى معجم المرزبانى ٣٣٤ منسوبا إلى عمرو بن امرئ القيس . وفى الأغانى : « معنى قوله : فأبد سيماك ، أن مالك بن العجلان كان إذا شهد الحرب يغير لباسه ويتنكر لئلا يعرف فيقصد » .

(٢) اسمه محمد بن ظفر بن عمير . وهو شاعر مقل من شعراء الدولة الأموية . وكان له محل كبير وشرف ومروءة وسودد فى عشيرته . ويزعم المؤرخون أن العلة فى لزومه القناع ما كان يخاف على نفسه من العين ، فقد كان أحسن الناس وجها ، وأمدهم قامة ، وأكملهم خلقا ، فكان إذا سفر أصابته أعين الناس فيمرض ويلحقه عنت . الأغانى (١٥ : ١٥١) . ما عدا هـ : « محمد بن عميرة » وقد كتب فوق « عمير » فى هـ : « عميرة » .

(٣) فى هامش هـ : « وفى رواية : ثوب زيات لأن رسول الله (ﷺ) كانت له لمة » .

(٤) خرج المقنع على المهدى بخراسان سنة ١٦١ . وكان أعور قصارا من قرية يقال لها كازه كيمردان ، وكان قد عرف شيئا من الهندسة والحيل والنيرنجات ، فادعى لنفسه الإلهية عن طريق التناسخ ، واحتجب عن الناس ببرقع من حرير ، ودامت فتنته على المسلمين أربع عشرة سنة أباح لهم فيها كثيرا من المحرمات ، فوجه إليه المهدى عدة من قواده ، وجعل المقنع يجمع الطعام عدة للحصار فى قلعته بكشّ . وقد تمكن سعيد الحرشى من تشديد الحصار عليه ، فلما أحس بالهلكة شرب سما وسقاه نساءه وأهله فماتوا جميعا . ودخل المسلمون قلعته سنة ١٦٣ واحتزوا رأسه ووجهوا به إلى المهدى . الطبرى سنة ١٦١ – ١٦٣ والفرق بين الفرق ٢٤٣ – ٢٤٥ والآثار الباقية للبيرونى ٢١١ وشروح سقط الزند ١٥٤٥ .

(٥) فى الأصول : « وجهل ادعاء الربوبية » . وكان المقنع قد زعم أنه الإله ، وأنه قد كان قد تصور فى صورة آدم ثم نوح ، ثم إبراهيم ثم سائر الأنبياء إلى محمد ، ثم فى صورة على وأولاده ، ثم فى صورة أبى مسلم صاحب دولة بنى العباس ، ثم فى صورته هو . الفرق بين الفرق .

كالنَّهار . ولا يعرف فى شئ من الملل والنِّحَل القولُ بالتناسخ إلاّ فى هذه الفرقة من الغالية . وهذا المقنَّع كان قصّاراً من أهل مرو ، وكان أعورَ ألكَن . فما أدرى أيُّهما أعجب [١] ، أدَعْواهُ بأنَّه ربٌّ ، أو إيمان مَن آمن به وقاتل دُونَه ؟! وكان
١٤٦ اسمُه عَطاء [٢] .

وقال الآخر :

إذا المرءُ أثرى ثم قال لقومِه ... أنا السَّيِّد المُفضَى إليه المعمَّمُ [٣]
ولم يعطهم شيئاً أبوا أن يَسودَهم ... وهان عليهم رَِغْمُه وهو ألْوَمُ [٤]

وقال الآخر :

إذا كشف اليومُ العَمَاسُ عن استِهِ ... فلا يَرتْدِى مثلى ولا يَتعمَّـمُ [٥]

قال : وكان مُصعَب بن الزُّبير يعتمّ القَفْدَاء [٦] ، وهو أن يعقِد العمامة فى القفا . وكان محمد بن سعدِ بن أبى وقّاص [٧] ، الذى قتله الحجّاج ، يعتمّ المَيْلاء .

وقال الفرزدق :

ولو شهد الخيلَ ابنُ سعدٍ لقنّعوا ... عِمامته الميلاءَ عضباً مهنَّدا [٨]

---

(١) ل : « أيما أعجب » .

(٢) فى الفرق بين الفرق أن اسمه « هشام بن حكيم » .

(٣) البيتان للمغيرة بن حبناء فى المجتنى ٨٢ وأمالى الزجاجى ٢٦ . وهما فى الحيوان (٣ : ٨٣) وعيون الأخبار (١ : ٢٤٨) وحماسة ابن الشجرى ١٤٠ بدون نسبة . وفى عيون الأخبار والحماسة : « المعظم » .

(٤) فى الحماسة : « فقده » ، وفى الحماسة والعيون : « وهو أظلم » . والرغم : الذل .

(٥) العماس ، بالفتح : الشديد . وقد روى البيت ثعلب فى مجالسه ٢٥٤ وضبط فيها خطأ . وهو فى اللسان (عمس) .

(٦) القفداء ، بفتح القاف وسكون الفاء . ويقال أيضا « القفد » بالتحريك . ما عدا ل : « العقداء » تحريف ، صوابه فى اللسان (قفد) حيث أورد هذا الخبر وتاليه . وفى هـ : « يتعمم » .

(٧) محمد بن سعد بن أبى وقاص القرشى الزهرى ، كان قد خرج مع ابن الأشعث وشهد وقعة دير الجماجم ، ووقعة مسكن بعدها، فأُتى به الحجاج فقتله سنة ٨٣ . انظر خبر مصرعه فى الطبرى (٨ : ٣٤) . وكان يلقب « ظل الشيطان » لشدة كبره . الحيوان (٦ : ١٧٨) وثمار القلوب ٥٩ . أو لقصره ، كما فى تقريب التهذيب . وانظر مخاطبة الحجاج له بهذا اللقب فى الطبرى والحيوان وثمار القلوب . وترجم له فى تهذيب التهذيب والمعارف ١٠٧ والخلاصة ٢٨٨ .

(٨) البيت مما لم يرو فى ديوان الفرزدق .

وقال شَمْعَلة بن أخضرِ الضبّىّ [١] :

جلبنا الخيلَ مِن أكناف فَلْجٍ … ترى فيها من الغَزو اقورارا [٢]

بكلِّ طِمِرّةٍ وبكلِّ طِرفٍ … يَزين سَوَادُ مقلته العِذَارا [٣]

حَوالَىْ عاصبٍ بالتاج مِنّا … جبينَ أغَرَّ يستلب الدُّوَارا [٤]

رئيسٌ ما ينازعه رئيسٌ … سوى ضَرْبِ القِداحِ إذا استشارا [٥]

وأنشد :

إذا لبِسوا عمائمهم لوَوْها … على كرَمٍ وإن سَفَرُوا أناروا

يَبيع ويَشترِى لهمُ سِواهُمْ … ولكن بالطِّعان همُ تِجارُ

إذا ما كنتَ جارَ بنى تميمٍ [٦] … فأنت لِأكرمِ الثَّقَلينِ جارُ

وأنشد :

وداهيةٍ جَرَّها جارمٌ … جعلتَ رداءَكَ فيها خِمارا

ولِذِكْر العمائم مواضع . قال زَيد بن كَثْوة العنبرىّ [٧] : ١٤٧

---

(١) شمعلة بن الأخضر بن هبيرة الضبى ، شاعر فارس جاهلى . يقول الشعر التالى فى مصرع بسطام ابن قيس الشيبانى فى يوم شقيقة الحسَنين ، وكان لبنى ضبة على بنى شيبان . المؤتلف ١٤١ . والعقد (٥ : ٢٠٤ لجنة التأليف) .

(٢) فلج : واد بين البصرة وحمى ضرية . والاقورار : الضمور .

(٣) الطمرة : الفرس الوثابة . والطرف ، بالكسر : الفرس الكريم الطرفين : الأبوين .

(٤) عاصب جبين أغر ، أى عاصب جبين نفسه ، وهذا مايسمونه التجريد . والأغر : الأبيض الوجه . والدوار كالدوران يأخذ فى الرأس . يقول : إنه يشفى رءوس أعدائه بضربها بالسيف . ومثله قول القائل فى المخصص (٦ : ١٨) :

ومأثور من الهندى يشفى … به رأس الكمى من الصداع

قال ابن سيده : « أى يشفى به جهله . وهو مثل » .

(٥) كانوا يضربون بالقداح يستشيرونها فيما يصنعون ، يسمون بعضها الآمر وبعضها الناهى ، وكتب على الأول : أمرَنى ربى ، وعلى الثانى : نَهَانِى ربى . اللسان (قسم) والميسر والأزلام ٦٤ – ٦٨ . سوى ضرب ، أى سوى صاحب الضرب الموكل به .

(٦) هـ : « بنى لؤى » .

(٧) سبقت ترجمته فى (١ : ١٦٣) .

مَنعتُ من العُهَّار أطهارَ أمِّه   وبعضُ الرِّجال المدَّعَيْنَ زِناءُ [١]
فجاءت به عَبْلَ القَوامِ كأنَّما   عمامتُه فَوقَ الرِّجالِ لواءُ [٢]

لأنّ العمامةَ ربَّما جعلوها لواءً . ألَا ترى أنّ الأحنف بن قيس ، يوم مسعود ابن عمرو [٣] ، حين عقد لعَبْس بن طَلْق [٤] اللِّواء ، إنّما نزع عمامتَه من رأسه فعقدَها له .

وربَّما شدُّوا بالعمائم أوساطَهم عند المَجْهَدَةِ ، وإذا طالت العُقْبة [٥] . ولذلك قال شاعرهم [٦] :

فسِيروا فقد جَنَّ الظَّلامُ عليكُمُ   فباستِ امرئٍ يرجو القِرى عند عاصِمِ [٧]
دَفعنا إليه وهو كالذِّيخ خاظياً   نَشُدُّ على أكبادنا بالعمائمِ [٨]

---

(١) الطهر : الأيام بين الحيضتين . والزناء ، ممدود : الزنى . وإذا قرئت بفتح الزاى كانت بمعنى القصير . قال أبو ذؤيب :

وتولج فى الظل الزناءِ رءوسها   وتحسبها هيما وهن صحائح

(٢) العبل : الضخم . وفى اللسان (سبط) : « فجاءت به سبط العظام » .

(٣) سبقت ترجمة مسعود بن عمرو فى (٢ : ٦٨) . وكان الشر قد هاج بين بنى تميم بزعامة الأحنف ، وبين الأزد بزَعامة مسعود بن عمرو . وقد أراد الأحنف فى أول الأمر أن يعقد القيادة لعباد بن حصين ، فلما لم يجده عقدها لعبس بن طلق بن ربيعة بن عامر بن بسطام بن الحكم بن ظالم بن صريم بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد . قال الطبرى فى (٧ : ٢٧) : « فانتزع مِعْجراً فى رأسه ثم جثا على ركبتيه فعقده فى رمح ثم دفعه إليه فقال : سر » . وكان الأزد وحلفاؤهم من ربيعة قد أخذوا بأفواه السكك سكك البصرة ، ثم أجلوا عنها وقاموا على باب المسجد ، ودلفت التميمية إليهم فدخلوا المسجد ومسعود يخطب على المنبر ويحضض ، فاستنزلوه وقتلوه فى شوال سنة ٦٤ .

(٤) انظر التنبيه السابق .

(٥) العقبة ، بالضم : قدر مايسيره الرجل .

(٦) هو مصعب بن عمير الليثى ، كما فى البخلاء ١٨٥ .

(٧) جن عليه الليل ، بفتح الجيم ، أى أظلم . ومعنى جن : ستر . فى اللسان (سته) : « يقال للقوم إذا استذِلُّوا واستخف بهم : باست بنى فلان . وهو شتم للعرب .

(٨) فى اللسان : « دفع إلى المكان ودُفع ، كلاهما انتهى » . والذيخ ، بالكسر : الذكر من الضباع . والخاظى : الغليظ الصلب .

وقال الفرزدق :

بنى عاصمٍ إن تُلجِئوها فإنّكم ملاجِئُ للسَّوءات دُسمُ العمائمِ (١)

وقال الآخر :

خليلىّ شُدّا لى بفضل عمامتِى على كبِدٍ لم يبق إلا صميمُها

* * *

العرب تَلْهَجُ بذكر النِّعال ، والفُرس تلهج بذكر الخِفاف .. وفى الحديث المأثور : « أن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا ينهَوْن نساءَهم عن لُبْس الخفاف الحُمر والصُّفر ، ويقولون : هو من زينة نساء آل فِرعون » .

وأما قولُ شاعرهم :

إذا اخضرّت نعالُ بنى غُراب بغَوا ووجدتَهم أَشْرَى لئاما (٢)

فلم يرد صفةَ النَّعل ، وإنّما أراد أنّهم إذا اخضرّت الأرضُ وأخصَبوا طغَوا وبغَوا . كما قال الآخَر (٣) :

وأطوَلُ فى دار الحفاظ إقامةً وأوزَن أحلاما إذا البقلُ أجْهَلا (٤) ١٤٨

---

(١) ما عدا ل ، هـ : « إن تلحبوها » . والبيت مما لم يرو فى ديوان الفرزدق . دسم : جمع أدسم ، وهو الدِنس .

(٢) النعال : جمع نعل ، وهو ما غلظ من الأرض . وفى الحديث : « إذا ابتلت النعال ، فالصلاة فى الرحال » . قال البكرى فى التنبيه ١٩ : « وإذا أخصبت النعال فما ظنك بالدماث » . وأنشد :

قوم إذا اخضرت نعالهم يتناهقون تناهق الحُمْر

وأشرى : جمع أَشِر ، كما يقال زمن وزمنى ؛ أو جمع أشران ، كما يقال سكران وسكرى فى جمعه ، موافقا لفظه لفظ إحدى مؤنثات سكران ، وهى سكرانة وسكرى وسكرة . انظر همع الهوامع (٢ : ١٧٨) والقاموس (أشر ، سكر) ، والأشر : المرح والنشاط .

(٣) هو خراشة بن عمرو العبسى : من قصيدة فى المفضليات (٢ : ٢٠٤) .

(٤) دار الحفاظ : التى يقيمون فيها صبرا عليها لعزهم . وفى المفضليات : « وأربط أحلاما » . أجهلهم ، أى حملهم على أن يجهلوا . وذلك إنه إذا كان الربيع وأمكنت المياه والبقل ، تذكروا الذحول وطلبوا الأوتار . هـ : « إذا البقل أخضلا » .

ومثل قوله :

يا ابن هشام أهلَكَ الناسَ اللّبَنْ   فكلهم يسعَى بسيفٍ وقَرَنْ (١)

وأما قول الآخر :

وكيف أرجِّى أن أسود عشيرتى   وأمِّىَ من سلمى أبوها وخالُها
رأيتكم سُودا جِعاداً ، ومالكٌ   مخصَّرةٌ بيضٌ سِباطٌ نعالُها (٢)

فلم يذهب إلى مديح النِّعال فى أنفسها ، وإنما ذهب إلى سَباطة أرجلهم وأقدامهم ، ونفْى الجعودة والقِصَر عنهم .

وقال النَّابغة :

رِقاقُ النعال طيِّبٌ حُجُزاتِهمْ   يُحيَّون بالرَّيحان يوم السَّباسبِ (٣)
يصونُون أجساداً قديما نعيمُها   بخالصةِ الأردانِ خُضْرِ المناكِبِ (٤)

قال : وبنو الحارث بن سَدوس لم ترتبط حِماراً قطُّ ، ولم تلبَس نعلاً قطّ إذا نَقِبت . وقد قال قائلُهم :

ونُلِقى النّعال إذا نُقِّبت   ولا نستعينُ بأخلاقِها (٥)
ونحن الذُّؤابةُ من وائلٍ   إلينا تمدّ بأعناقِها

(١) الرجز فى الصحاح واللسان والتاج (قرن) ، وتنبيه البكرى ١٩ . والقرن ، بالتحريك : الجعبة من جلود تكون مشقوقة ثم تخرز . وإنما تشق لتصل الريح إلى الريش فلا يفسد .

(٢) النعل المخصرة : التى لها خصران مستدقان .

(٣) ديوان النابغة ٩ . رقاق النعال ، أراد أنهم ملوك لا يخصفون نعالهم ، وإنما يخصف من يمشى . والحجزة ، بالضم : الوسط . يقول : هم أعفّاء . والسباسب : يوم السعانين ، وهو من أعياد النصارى ، وكان الممدوح — وهو عمرو بن الحارث الأعرج — نصرانيا .

(٤) الردن ، بالضم : مقدم كم القميص . وفى اللسان (خلص) : « الأصمعى هو لباس يلبسه أهل الشام ، وهو ثوب مخمل أخضر المنكبين وسائره أبيض . والأردان أكمامه . ويقال لكل شئ أبيض : خالص » . وفى شرح الديوان : « قال خالد بن كلثوم خضر المناكب من أثر السلاح » .

(٥) نقبت : خرقت . والأخلاق : جمع خلق ، وهو البالى . ويروى « أنقبت » كما فى هامش هـ .

وهم رهط خالد بن المعمَّر (١) ، الذى يقول فيه شاعرهم :

مُعَاوِىَ أَمِّرْ خالدَ بن معمَّرِ   فإنَّك لولا خالدٌ لم تؤمَّرِ

وقائلُهم الذى يقول :

أغاضبةٌ عمرو بنُ شيبانَ أن رأت   عديدَينِ من جُرثومةٍ ودَخيسِ (٢) ١٤٩

فلو شاء ربِّى كان أيرُ أبيكم   طويلاً كأير الحارثِ بن سَدوس (٣)

وكان عمر جعل رياسة بكرٍ لمجزأة بن ثَور (٤) ، فلما استُشهِد مجزأةُ جعلها أبو موسى لخالد بن المعمَّر ، ثم ردَّها عثمانُ إلى شَقيق بنِ مجزأةَ بن ثور ، فلمَّا خرج أهلُ البصرة إلى صِفِّينَ تنازع شقيقٌ وخالدٌ الرِّياسة ، فصيرَّها عند ذلك علىٌّ إلى حُضَين بن المنذر (٥) ، فرضىَ كلٌّ واحدٍ منهما وكان يخاف أن يصيرِّها إلى خَصْمه ، فسكنَتْ بكرٌ وعرف النّاسُ صحّةَ تدبير علىٍّ فى ذلك .

وأمّا قول الآخر (٦) :

---

(١) هو خالد بن المعمر بن سليمان بن الحارث بن شجاع بن الحارث بن سدوس السدوسى . وكان رئيس بكر بن وائل فى عهد عمر . وذكر ابن ماكولا أن معاوية أمره على أرمينية فوصل إلى نصيبين فمات بها . الإصابة ٢٣١٧ ، ووقعة صفين فى مواضع كثيرة . وقد أنشد له نصر بن مزاحم شعراً .

(٢) الجرثومة : أصل كل شئ ومجتمعه . والدخيس : العدد الكثير المجتمع .

(٣) ل : « ولوداً » . قال ابن قتيبة فى المعارف ٤٥ : « وكان له واحد وعشرون ذكراً » .

(٤) هو مجزأة بن ثور بن عفير بن زهير بن عمرو بن كعب بن سدوس السدوسى . له ذكر فى الفتوح . الإصابة ٧٧٢٤ . وأنشد له فى وقعة صفين ٣٤٤ :

أضربهم ولا أرى معاويه   الأبرج العين العظيم الحاويه

هوت به فى النار أم هاويه   جاوره فيها كلاب عاويه

أغوى طغاماً لا هدته هاديه

(٥) سبقت ترجمته وتحقيق اسمه فى (٢ : ١٦٩) .

(٦) هو أبو المقدام ، واسمه جساس بن قطب ، كما فى اللسان (وقع) . وانظر الحيوان (٦ : ٤٤٦) والبخلاء ١٥٧ ، وأمالى القالى (١ : ١١٥) ، وجمهرة الأمثال ٢٢٠ والميدانى (٢ : ٧٤) والعقد (١ : ٨٠ ، ٢٨٠) .

يا ليت لى نعلَين من جلد الضَّبُعْ وشُرُكاً من استها لا تنقطِعْ [١]

* كُلَّ الحذاء يحتذِى الحافى الوَقِعْ *

فهذا كلامُ محتاجٍ ، والمحتاجُ يتجوَّز .

وأما قول النَّجاشىِّ لهند بن عاصم :

إذا الله حيًّا صالحاً من عباده كريماً فحيًّا الله هندَ بنَ عاصمِ
وكلُّ سلولىٍّ إذا ما لقيتَه سريعٌ إلى داعى النَّدى والمكارمِ
ولا يأكلُ الكلبُ السَّروقُ نعالَهمْ ولا تُنْتَقِى المخُّ الذى فى الجماجم [٢]

وقال يونس : كانوا لا يأكلون الأدمغة ، ولا ينتعلون إلا بالسِّبت .

وقال كثيِّر :

إذا نُبذت لم تطَّبِ الكلبَ ريحُها وإن وُضعت فى مجلس القوم شُمَّتِ [٣]

وقال عُتَيبة بن مرداس ، وهو ابن فَسوة [٤] :

إلى معشر لا يَخصِفون نعالَهم ولا يلبسون السِّبتَ ما لم يخصَّرِ [٥]

---

(١) الشرك ، بضمتين : جمع شراك ، بالكسر ، وهو سير النعل .

(٢) أنشده فى الخزانة (٤ : ١٤٧) وقال : « إنما يأكل الكلب الفطير من النعال ، وأما السبت فلا » . الفطير : الذى لم يدبغ . والسبت ، بالكسر : المدبوغ بالقرظ .

(٣) البيت فى الحيوان (١ : ٢٦٦) وصدره فى الخزانة (٤ : ١٤٧) . أى هى طيبة الريح ليست بفطير ؛ لأن النعل إذا كانت غير مدبوغة وظفر بها الكلب أكلها .

(٤) فى الأصول : « عتيبة بن الحارث » تحريف . وقد قوى التحريف فى ل إذ جعلت « عتيبة بن الحارث بن شهاب » ، والصواب ما أثبت . وعتيبة هذا هو أحد بنى عمرو بن كعب بن عمرو بن تميم ، شاعر مقل مخضرم ، أدرك الجاهلية والإسلام . وكان هجاء خبيث اللسان . ووفد على ابن عباس بالبصرة فلم يصله بل أخرجه عنها ، فوفد إلى المدينة بعد مقتل على ، فلقى الحسن وعبد الله بن جعفر فسألاه عن خبَره مع ابن عباس فأخبرهما ، فوصلاه بما أرضاه ، فصنع قصيدة طويلة يمدحهما فيها ويلوم ابن عباس ، روى كثيرا من أبياتها أبو الفرج فى الأغانى (١٩ : ١٤٤) وابن قتيبة فى الشعراء ٨٢ . وقبل البيت التالى :

فليت قلوصى عريت أو رحلتها إلى حسن فى داره وابن جعفر
إلى ابن رسول الله يأمر بالتقى وللدين يدعو والكتابِ المطهر

وانظر تعليل لقبه بابن فسوة فى الأغانى والشعراء .

(٥) البيت فى الحيوان (٣ : ١١٢) . وتخصير النعل : أن يجعل لها خصران دقيقان .

وإذا مدح الشاعرُ النعل بالجودة فقد بدأ بمَدح لابِسها قبل أن يمدحَها .

قال الله تبارك وتعالى لموسى (١) : ﴿ اخلَعْ نعلَيْك إنَّك بالوادِ المقدَّسِ ١٥٠
طُوًى ﴾ . وقال بعض المفسّرين : كانت من جلد غير ذكيّ . وقال الزُّبيرىّ : ليس كما قال ، بل أعْلَمَه حقَّ المقام الشريف ، والمدخل الكريم . ألا ترى أنّ الناس إذا دخلوا إلى الملوك ينزِعون نعالهم خارجاً .

قال : وحدثنا سلَّام بن مِسكين (٢) قال : ما رأيت الحسنَ إلاّ وفى رجليه النَّعل . رأيتُه على فراشه وهى فى رجليه ، وفى مسجده وهو يصلِّى وهى فى رجليه .

وكان بَكر بن عبد الله (٣) تكونِ نعلُه بين يديه فإذا نهض إلى الصَّلاة لَبِسها .

ورُوى ذلك عن عَمرو بن عُبيد ، وهاشم الأوقص (٤) ، وحوشَب (٥) ، وكِلاب (٦) ، وعن جماعةٍ من أصحاب الحسَن .

وكان الحسن يقول : « ما أعجَبَ قوماً يروُون أنّ رسول الله ﷺ صلَّى فى نعليه فلمّا انفتل من الصلاة علم أنّه قد كان وطِىءَ على كذا وكذا ، وأشباهاً لهذا الحديث ، ثم لا ترى أحداً منهم يصلى منتعلاً » .

---

(١) بدل هذه الكلمة فى ل : « يا موسى » وهو خطأ فى التلاوة . والآية هى الثانية عشرة من سورة طه ، وتلاوتها هى وما قبلها : (فلما أتاها نودى يا موسى . إنى أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى) .

(٢) هو سَلاّم بن مسكين بن ربيعة الأزدى النمرى البصرى . قال أبو داود : سلام لقب ، واسمه سليمان . وكان ثقة من أعبد أهل زمانه . توفى سنة ١٦٧ . تهذيب التهذيب (٤ : ٢٨٦) والخلاصة ١٣٦ .

(٣) بكر بن عبد الله المزنى . ترجم فى (١ : ١٠٠) .

(٤) ل : « وهشام الأوقص » . وقد سبق ذكر هاشم فى أسماء الصوفية فى (١ : ٣٦٦) .

(٥) هو حوشب بن عقيل الجرمى البصرى . روى عن الحسن ، وقتادة ، وبكر بن عبد الله . وكان من الثقات . تهذيب التهذيب .

(٦) كلاب بن جرى ، سبق ذكره وترجمته فى (١ : ٣٦٦) .

وأما قوله [١] :

وقـــامَ بنـــاتى بالنِّعـــال حواسرا   وألصقنَ وقْعَ السِّبت تحت القلائدِ [٢]

فإنَّ النساء ذواتِ المصائب إذا قمن فى المناحات كنّ يضربن صدورَهن بالنِّعال .

وقال محمَد بن يسير [٣] :

كم أرى مِن مستعجبٍ من نعالى   ورِضائى منها بلُبْسِ البَوالى
كلّ جرداءَ قد تحيَّفَها الخَصـ   ـفُ بأقطارها ، بسرد النِّقال [٤]
لا تُدانى وليس تُشبِه فى الخِلْـ   ـقة إنْ أُبرِزَتْ نعالَ الموالى
لا ولا عن تقادمِ العهد منها   بَليتْ ، لا ، ولا لكرِّ الليالى
ولقد قلتُ حِين أُوثِر ذا الو   دِّ عليها بثروتى وبمالى
من يُغالى من الرِّجال بنعل   فَسَوَائى إذاً بهِـــنّ يُغالِـــى [٥]
أو بَغاهُنَّ للجمالِ فإنِّى   فى سواهنّ زينتى وجمالى
فى إخائى وفى وفائى ورائى   وعفـافى ومنطقـى وفعـــالى [٦] ١٥١
ما وقانى الحَفَى وبلَّغنى الحا   جةَ منها ، فإنَّنى لا أبالى [٧]

وقال خلفٌ الأحمر :

سقى حُجَّاجَنا نَوءُ الثريّا   على ما كان من مَطْلٍ وبُخْلِ [٨]

---

(١) هو أبو ذؤيب الهذلى . ديوانه ١٢٢ واللسان (حسر) .

(٢) حواسرا : قد حسرن عن وجوهن وصدورهن وأيديهن . وفى اللسان : « ضرب السبت » . والسبت : النعال المدبوغة بالقرظ .

(٣) ترجم فى (١ : ٦٥) ، وبعض أبياته التالية فى الأغانى (١٢ : ١٣٣).

(٤) تحيف الشيء : أخذ من جوانبه ونقصه . والخصف : مطارقة النعل لإصلاحها . والسرد : خرز الأديم بالمسرد : والنقال : جمع نقل ، بالفتح والكسر والتحريك ، وهى النعل الخلق . ما عدا ل ، هـ : « بسرو النعال » ، وفى الأغانى : « بسود النعال » ، صوابهما ما أثبت .

(٥) سَواؤه ، بفتح السين ، أى غيره .

(٦) الراء : الرأى . وفى هـ والأغانى : « ورأيى » .

(٧) أى ما وقانى الحفا منها فإننى لا أبالى بغيره .

(٨) الأبيات أنشدها فى الحيوان (٥ : ٢٨٤) والشعراء ٧٦٤ بتحقيق الشيخ أحمد شاكر وعيون الأخبار (٣ : ٣٨) . وفى العيون : « من بخل ومطل » . والنوء : المطر الذى ينزل موافقا لسقوط نجم فى =

هُمُ جمعوا النِّعال فأحرَزوها ... وسدُّوا دونَها باباً بقِفلِ
إذا أهديتُ فاكهةً وشاةً ... وعشرَ دجائجٍ بعثوا بنعلِ (١)
ومِسواكين طولُهمـــا ذراعٌ ... وعشرٍ من رَدىِّ المُقْل خَشْلِ (٢)
فإن أهديتُ ذاك ليحملونى ... على نعلٍ فدقَّ اللهُ رِجلى (٣)

وقال كثيِّر :

كأنَّ ابنَ ليلى حين يبدو فيَنْجلى ... سُجوفُ الخِباء عن مَهيب مشمَّتِ (٤)
مقاربُ خَطو لا يغيِّر نعلَه ... رهيف الشِّراك سَهْلَةُ المتسمَّتِ (٥)
إذا طُرِحت لمْ تطَّبِ الكلبَ ريحُها ... وإن وُضعت فى مجلس القوم شُمَّتِ

وقال بشّار :

إذَا وُضعت فى مجلس القوم نعلُها ... تَضَوَّع مسكاً ما أصابت وعنبرا

ولما قال علىٌّ بن أبى طالبٍ رضى الله عنه لصعصة بن صُوحان فى المنذر ابن الجارود ما قال ، قال صعصعة « لئن قلتَ ذاكَ يا أمير المؤمنين إنّه لَنظّارٌ فى عِطْفيه ، تَفَّالٌ فى شِراكَيه ، تُعجبه حُمرة بُرديه (٦) » .

= مغربه عند الفجر . والثريّا غزيرة النوء . وفى اللسان : « والثريا من الكواكب ، سميت لغزارة نوئها » .

(١) فى عيون الأخبار : « فإن أهديت فاكهة وجديا » .

(٢) ردى : مسهل ردىء . والمقل : تمر الدوم . والخشل : السخيف اليابس الخفيف .

(٣) ما عدا ل ، هـ : « لتحملونى » . والدق : الكسر والرض .

(٤) ابن ليلى ، هو عبد العزيز بن مروان . وفى الأغانى (١ : ١٣١) : « حدث ابن كناسة قال : ليلى أم عبد العزيز كلبية . وبلغنى أنه قال : لا أعطى شاعراً شيئاً حتى يذكرها فى مدحى ، لشرفها . والمشمت : المدعو له بالخير .

(٥) لا يغير نعله ، أى لا يتعهدها بخصف أو صبغ ، وذلك لكثرة نعاله . رهيف الشراك ، أى شراكها رهيف ، فذكّر الوصف لمراعاة المضاف إليه ، كما يقولون : رجل حسنة العين . والمتسمت : القصد .

(٦) مضى الخبر فى (١ : ٩٩) .

وذمَّ رجلٌ ابنَ التّوأم (١) فقال : « رأيته مشحَّم النَّعل ، دَرِنَ الجَورب ، مُغَضَّنَ الخُفّ ، دقيق الجُرُبَّان (٢) » .

وقال الهيثم : يمينٌ لا يحلف بها الأعرابىُّ أبداً : أن يقول لا أوردَ لك الله
١٥٢ صادرا ولا أصدر لك وارداً ، ولا حَطَطتَ رَحلَك ، ولا خَلعت نعلَك .

وقال آخر :

عَلِق الفؤادُ بِرَيِّقِ الجهلِ ... وأَبَرَّ واستعصى على الأهلِ (٣)
وصَبا وقد شابت مفارقُه ... سفَهاً وكيف صبابةُ الكهلِ
أدركت مُعْتَصَرى وأدركنى ... حِلمى ويَسَّرَ قائدى نعلى (٤)

رجع الكلام إلى القول فى العصا (٥)

قال ابن عبّاس رحمه الله فى تعظيم شأن عصا موسى عليه السلام : « الدّابَّةُ ينشقّ عنها الصَّفا (٦) ، معها عصا موسى ، وخاتَم سليمان ، تمسَح المؤمن بالعصا وتختِم الكافر بالخاتَم » .

وجعل الله تبارك وتعالى أكبر آدابِ النبى عليه السلام فى السِّواك ، وحضَّ عليه ﷺ . والمِسواك لا يكون إلا عصًا .

---

(١) سبقت ترجمته فى (١ : ٢٠٥) . وفى عيون الأخبار (١ : ٢٩٩) أن ابن التوأم هو الذى ذم الرجل .

(٢) الجربان بكسرتين وبضمتين مع تشديد الباء فيهما : جيب القميص ، معرب من الفارسية « گريبان » . اللسان والقاموس (جرب) ومعجم استينجاس ١٠٨٦ .

(٣) ريّق الشئ : أوله وأفضله .

(٤) المعتصر : العمر والهرم . وقيل معناه أن ماكان فى الشباب من اللهو أدركته ولهوت به ؛ من الاعتصار ، وهو الإصابة للشئ والأخذ منه . اللسان (عصر ٢٥٦ – ٢٥٧) .

(٥) ما عدا ل : « ثم رجع الكلام إلى القول فى العصا » .

(٦) هى الدابة الواردة فى قوله تعالى : « وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون » . وهى الآية ٨٢ من سورة النمل .

وقال أبو الوجيه (١) : قُضبان المساويك البَشَام ، والضِّرْو (٢) ، والعَتَم (٣) ، والأراك ، والعُرجون ، والجريد ، والإسحِل .

وقد يلبَس النّاس الخِفاف والقَلانِسَ فى الصَّيف كما يلبسونها فى الشّتاء ، إذا دخلوا على الخلفاء وعلى الأمراء ، وعلى السّادة والعظماء ؛ لأنّ ذلك أشبه بالاحتفال ، وبالتعظيم والإجلال ، وأبعَدُ من التبذُّل والاسترسال ، وأجدَرُ أن يفصلوا بين مواضع أُنْسِهم فى منازلهم ومواضع انقباضهم .

وللخلفاء عِمَّةٌ ، وللفقهاء عِمَّةٌ ، وللبقَّالين عِمَّة (٤) ، وللأعراب عِمَّةٌ ، وللِّصوص عِمَّة ، وللأبناء عِمَّة (٥) ، وللرُّوم والنصارى عِمَّة ، ولأصحاب التَّشاجِى عِمَّة (٦) .

ولكلِّ قوم زِىّ : فللقُضاة زىّ ، ولأصحاب القضاة زِىّ ، وللشُّرَط زىّ ، وللكتّاب زِىّ ، ولكُتّاب الجُنْدِ زِىّ ، ومن زِيّهم أن يركبوا الحمير وإن كانت الهماليج لهم مُعْرِضة (٧) .

وأصحاب السلطان ومَن دخَل الدار على مراتب : فمنهم من يلبس المبطَّنة ،

---

(١) هو أبو الوجيه العكلى ، أحد فصحاء الأعراب . كان معاصراً للجاحظ وأبى عبيدة ، وروى له الجاحظ أخباراً فى الحيوان (١ : ٣٠٠ / ٤ : ٢٩٤ / ٦ : ٥٩) .

(٢) الضرو ، بالفتح والكسر . شجر طيب الريح ، يستاك به ويجعل ورقة فى العطر .

(٣) العِتم ، بضمة ، وبضمتين ، وبفتحتين : شجر الزيتون البرى . ل « العتم » ما عدا ل : « الغتم » صوابهما ما أثبت من هـ . انظر الحيوان (٥ : ٤٥٣ – ٤٥٤) .

(٤) ما عدا ل ، هـ : « وللبغالين » .

(٥) الأبناء ، هم أبناء قوم من فارس أرسلهم كسرى مع سيف بن ذى يزن لما جاء يستنجدهم على الحبشة فنصروه وملكوا اليمن وتديَّروها ، وتزوجوا فى العرب ، فقيل لأولادهم الأبناء ، وغلب عليهم هذا الاسم ، لأن أمهاتهم من غير جنس آبائهم . اللسان (بنو) . وفى التنبيه والإشراف ٢٢٦ أنهم الذين ساروا مع خرزاذ بن نرسى بن جاماسب أخى قباد بن فيروز . وفى ص ٢٤١ : أنهم الذين شخصوا مع وهرز إلى اليمن . ويبدو أن جميع الذين اجتذبتهم الحروب من الفرس إلى جزيرة العرب كان العرب يسمونهم الأبناء .

(٦) التشاجى : التمنع والتحازن ؛ من الشجى ، وهو الحزن . تشاجت : تمنعت وتحازنت . اللسان (١٩ : ١٥٢) وفيه : « قال عمرو بن بحر : قلت لابن دبوقاء : أى شيء أول التشاجى ؟ قال : التباهر والقرمطة فى المشى » .

(٧) الهملاج : البرذون الحسن السير فى سرعة وبخترة .

ومنهم من يلبس الدُّرَّاعة (١) ومنهم من يلبس القَبَاء ، ومنهم من يلبس البازبكند (٢) ويعُلّق الخِنجر ، ويأخذ الجُرْز (٣) ، ويتّخذ الجُمَّة (٤).

١٥٣ وزيُّ مجالسِ الخلفاء فى الشّتاء والصَّيف (٥) فُرُش الصُّوف . وترى أنَّ ذلك أكملُ وأجزلُ وأفخم وأنبل . ولذلك وضعت ملوكُ العجم على رءوسها التِّيجان ، وجلست على الأسِرّة ، وظاهَرَت بين الفُرُش . وهل يملأُ عيونَ الأعداء ويُرعِب قلوبَ المخالفين ، ويَحشُو صدورَ العوامِّ إفراطَ التعظيم إلّا تعظيمُ شأن السُّلطان ، والزِّيادة فى الأقدار ، وإلا الآلات . وهل دواؤُهم إلا فى التَّهويل عليهم ؟ وهل تُصلحهم إلّا إخافتُك إيّاهم ؟ وهل ينقادون لما فيه الحظُّ لهم ويُسْلِسون بالطاعةِ التى فيها صلاحُ أمورهم إلا بتدبير يجمع المهابة والمحَبَّة (٦) .

وكانت الشعراء تلبس الوشْىَ والمقطَّعاتِ (٧) والأرديةَ السُّودَ ، وكلَّ ثوب مُشَهَّر . وقد كان عندنا منذ نحو خمسين سنة شاعرٌ يتزيَّا بزىِّ الماضين ، وكان له بُرْدٌ أسود يلبَسه فى الصَّيف والشتاء ، فهجاه بعض الطِّيَاب من الشعراء (٨) فقال فى قصيدةٍ له :

---

(١) الدراعة : جبة مشقوقة المقدم .

(٢) يبدو أنه كساء يلقى على الكتف . و « باز » بالفارسية بمعنى الكتف .

(٣) الجرز ، بضمة وبضمتين : ضرب من السلاح ، وهو عمود من حديد ، كما فى اللسان. وفى حواشى هـ والتيمورية : « آلة للضرب كالمقرع من حديد » .

(٤) الجمة من شعر الرأس : ما سقط على المنكبين .

(٥) ما عدا ل : « فى الصيف والشتاء » .

(٦) ما عدا ل : « المحبة والمهابة » .

(٧) المقطعات من الثياب : شبه الجباب ونحوها من الخز ، وقيل كل ما يفصل ويخاط ، من قميص وجباب وسراويلات .

(٨) الطياب ، بالكسر : جمع طيب ، وهو الفكه المزاح . انظر الحيوان (٣ : ٢٧ / ٦ : ٤٣٩) . وجاء فى سيبويه (٢ : ٢١١ س ٤ – ٥) : « وقالوا طيب وطياب ، وجيد وجياد ، كما قالوا جياع وتجار » . وأنشد فى اللسان (طيب) قول جندل بن المثنى :

* هزت براعيم طِياب البسرِ *

ثم قال : « إنما جمع طِيبا ، أو طيِّبا » .

بِعْ بُرْدَك الأسْوَدَ قبل البَردِ   فى قُرَّةٍ تأتيك صَمَّا صَرْدِ [١]

وكان لجُرُبَّان [٢] قميصٍ بشّارٍ الأعمى وجُبَّته لَبِنَتَان ، فكان إذا أراد نَزْع شئٍ منها أطلق الأزرار فسقطت الثّياب على الأرض ، ولم ينزِع قميصَه من جهة رأسه قطّ .

وقَدُّوَيْه [٣] العَدَوىّ الشَّحَّاجىُّ [٤] ، لم يلبس قَطُّ قميصا ، وهو اليومَ حىٌّ ، وهو شيخُهم ، وهو شيخٌ كبير [٥] .

وسَعيد بن العاصى الجوادُ الخطيب [٦] ، لم ينزع قميصه قطّ . فقَدُّوَيْه الشّحّاجىُّ ضدُّ سعيد بن العاصى الأموىّ . وقال الحطيئة :

سَعيدٌ فلا يغررك قِلَّةُ لحمِه   تَخَدَّد عنه اللّحمُ فهو صليبُ [٧]

وكان شديدَ السَّواد نحيفاً .

ومن شأن المتكلمين أن يُشيروا بأيديهم وأعناقهم وحواجبهم . فإذا أشاروا بالعصىِّ فكأنهم قد وصلوا بأيديهم أيدياً أُخَر . ويدلُّ على ذلك قولُ الأنصارىِّ [٨] حيث يقول : ١٥٤

وسارت لنا سيّارةٌ ذاتُ سُودُدٍ   بِكُومِ المطايا والخُيولِ الجماهرِ [٩]

---

(١) الصماء : الشديدة . والصرد : البرد والبارد . قال رؤبة :

* بمطر ليس بثلج صرد *

(٢) الجربان : جيب القميص ، كما سبق فى ص ١١٣ . واللبنة : رقعة تعمل موضع جيب القميص .

(٣) كذا ورد ضبطه فى هـ ، وضبط فى ل بفتح القاف وسكون الدال .

(٤) الشحاجى : نسبة إلى بنى شحاج ، وهم بطنان فى الأزد ، كما فى القاموس .

(٥) هذه الجملة من ل فقط .

(٦) ترجم فى (٢ : ٢٩٥) .

(٧) ديوان الحطيئة ٤٢ . وقد سبق البيت فى (١ : ٣١٥) .

(٨) هو صفوان الأنصارى . انظر القصيدة فى (١ : ٢٥ – ٢٦) . وقد سبقت الأبيات فى (١ : ٣٧١) .

(٩) الكوم : جمع كوماء ، وهى الناقة العالية السنام . والجماهر : جمع جمهرة ، وهى المجتمع الكثير . وفى (١ : ٣٧١) : « ذات سورة » .

يؤمّون مُلْكَ الشامِ حتى تمكّنوا　　ملوكاً بأرض الشام فوق المنابرِ
يُصيبُون فصلَ القولِ فى كلِّ خطبة　　إذا وصلُوا أيمانَهم بالمخاصرِ

وقال الكميت بن زيد :

ونَزُور مَسْلَمة المهـ　　ـذَّبَ بالمؤبَّدَةِ السوائرْ (١)
بالمُذْهَبات المُعْجِبا　　تِ لمُفْحَمٍ منَّا وشاعِرْ
أهلُ التّجاوُبِ فى المحا　　فل والمقاولُ بالمخاصرْ

وأيضاً إنّ حَمْل العصا والمخصرة دليلٌ على التأهُّب للخطبة ، والتهيُّؤ للإطناب والإطالة ، وذلك شيءٌ خاصٌّ فى خطباء العرب ، ومقصورٌ عليهم ، ومنسوبٌ إليهم . حتى إنَّهم ليذهبون فى حوائجهم والمخاصر بأيديهم ، إلفاً لها ، وتوَقُّعاً لبعض ما يوجِب حملها ، والإشارةَ بها .

وعلى ذلك المعنَى أشار النِّساء بالمآلِى (٢) وهُنَّ قيامٌ فى المناحات ، وعلى ذلك المثالِ ضَرَبْن الصُّدورَ بالنّعال .

وإنما يكون العجزُ والذّلّة فى دخول الخَلَل والنقصِ على الجوارح ، وأما الزِّيادة فيها فالصوابُ فيه . وهل ذلك إلاَّ كتعظيم كَور العمامة (٣) ، واتّخاذ القُضاةِ القَلانسَ العِظامَ فى حَمَارَّة القَيْظ (٤) ، واتّخاذِ الخلفاء العمائمَ على القلانس ، فإن كانت القلانسُ مكشوفةً زادوا فى طولها وحِدَّة رءوسها ، حتى تكونَ فوقَ قلانس جميع الأمّة .

---

(١) سبق إنشاد الأبيات فى (١ : ٣٧١) .
(٢) المآلى : جمع مئلاة ، وهى خرقة تمسكها المرأة عند النوح .
(٣) كور العمامة ، بفتح الكاف : كل دارة من داراتها .
(٤) حمارة القيظ ، بتخفيف الميم وتشديد الراء : شدته .

وكذلك القِناع ، لأنه أَهْيَبُ . وعلى ذلك المعنى كان يتقنَّعُ العباس بن محمد (١) وعبدُ الملك بن صالح (٢) ، والعبّاس بن موسى (٣) وأشباههم . وسليمانُ ابن أبى جعفر (٤) ، وعيسى بن جعفر (٥) ، وإسحاق بن عيسى (٦) ، ومحمد بن ١٥٥ سليمان (٧) ، ثم الفَضْل بن الرَّبيع ، والسِّندى بن شاهَك وأشباهُهما من الموالى . لأن ذلك أهيَبُ فى الصدور ، وأجلُّ فى العيون .

والمتقنِّع (٨) أروَعُ من الحاسر ، لأنه إذا لم يفارِقْه الحجاب وإنْ كان ظاهراً فى الطُّرق (٩) كان أشبَهَ بمباينة العوامّ وسياسة الرّعيّة .

وطرح القِناع مُلابَسَة وابتذال ، ومؤانسة ومقاربة . والدليل على صواب هذا العمل من بنى هاشم ، ومن صنائعهم ورجال دعوتهم ، وأنّهم قد علِموا حاجة الناس إلى أن يهابوهم ، وأنّ ذلك هو صَلاح شأنهم – أنّ رسول الله ﷺ كان أكثرَ الناس قِناَعاً .

---

(١) هو العباس بن محمد بن عبد الله بن عباس ، وهو أخو أبى العباس السفاح . ولى الجزيرة لأبى جعفر ثم للرشيد ، وكان الرشيد يجله إجلالا عظيما . وكان عالى الهمة ، قال رجل له : إنى أتيتك فى حاجة صغيرة . قال : فاطلب لها رجلا صغيرا . توفى سنة ١٨٦ . المعارف ١٦٤ وتاريخ بغداد ٦٥٨٠ . وفيه يقول القائل :

لو قيل للعباس يا ابن محمد قل : لا وأنت مخلد ، ما قالها

(٢) ترجم فى (١ : ٣٣٤) .

(٣) هو العباس بن موسى الهادى ، ذكره الطبرى فى أولاد موسى الهادى (١٠ : ٣٨) .

(٤) هو سليمان بن أبى جعفر المنصور ، ذكره الطبرى فى أولاد المنصور (٩ : ٣١٨) . وأمه فاطمة بنت محمد ، من ولد طلحة بن عبد الله .

(٥) هو عيسى بن جعفر بن أبى جعفر المنصور ، ولى البصرة وكورها وفارس والأهواز واليمامة والسند . ومات بدير بين بغداد وحلوان سنة ١٨١ . المعارف ١٦٣ – ١٦٤ وتاريخ بغداد ٥٨٤٦ . وقد ورد الاسم محرفا فى الأخير ؛ إذ ليس لأبى جعفر ولد يدعى « عيسى » بل ولد عيسى هو جعفر بن أبى جعفر .

(٦) يبدو أنه ولد عيسى بن جعفر . انظر الحيوان (٣ : ٣١ / ٤ : ٤٢٣) .

(٧) ترجم فى (١ : ٢٩٥) .

(٨) ل : « والمقنع » .

(٩) ل : « فى الطريق » .

والدَّليلُ على أنَّ ذلك قد كان شائعاً فى الأسلاف المتبوعين ، أنَّا نَجِد رؤساءَ جميع أهل المِلَل ، وأربابِ النّحل ، على ذلك . ولذلك اتَّخذوا فى الحروب الرّاياتِ والأعلام ، وإنّما ذلك كلُّه خِرَق سُود وحُمر وصُفر وبِيض . وجَعلوا اللِّواءَ علامةً للعَقْد [١] والعَلَم فى الحرب مرجعاً لصاحب الجولة . وقد علموا أنَّها وإن كانت خِرقاً على عصىّ أنّ ذلك أهيَبُ فى القلوب وأهوَلُ فى الصُّدور ، وأعظَمُ فى العيون . ولذلك أجمعت الأمم رجالُها ونساؤُها على إطالة الشُّعور ؛ لأنَّ ذا الجُمّة أضخمُ هامةً وأطول قامة ، وأنَّ الكاسىَ أفخم من العارى . ولولا أنَّ حلْق الرّأس طاعةٌ وعبادة ، وتواضعٌ وخضوع ، وكذلك السّعىُ ورمىُ الجمار ، لَمَا فعلوا ذلك .

وفى الحديث أنّه لا يفتح عَمُّوريَّة [٢] إلّا رجالٌ ثيابُهم ثيابُ الرُّهْبان ، وشُعورهم شعورُ النِّساء .

وكلُّ ما زادوه فى الأبدان ، ووصَلوه بالجوارح ، فهو زيادةٌ فى تعظيم تلك الأبدان .

والعصىُّ والمخاصر مع الذى عددناه ، ومع ذلك الذى ذكرناه ونُريد ذكره [٣] من خصال منافعها ، كلُّه باب واحد .

والمُغَنِّى قد يوقِّع بالقضيب على أوزان الأغانى ، والمتكلِّم قد يشير برأسه ويِده على أقسام كلامه وتقطيعه . ففرَّقوا ضروبَ الحركات على ضروبِ الألفاظ وضروبِ المعانى . ولو قُبضت يدُه ومُنعَ حركةَ رأسه ، لذهب ثلثا كلامه . ١٥٦

وقال عبد الملك بن مرْوان : لو أُلقيت الخيزُرانةَ من يدى لذهب شَطر كلامى .

---

(١) لعله يعنى عقد العدد . انظر مامضى فى (١ : ٧٦) .

(٢) عمورية من بلاد الروم ، فتحها المعتصم سنة ٢٢٣ .

(٣) ما عدا ل ، هـ : « ونزيد ذكره » .

وأراد معاويةُ سحبانَ وائلٍ على الكلام ، وكان قد اقتضبه اقتضابا (١) فلم ينطِقْ حتّى أتوه بمخصرة ، فرطَلها بيده (٢) فلم تعجبْه حتّى أتوه بمخصرةٍ (٣) من بيته .

والمثل المضروب بعصا الأعرج ، يقولون : « أقرب من عصا الأعرج » ويضربون المثل بعضا النّهدىّ . قال علقمة بن عَبَدة فى صفة فرسٍ أنثى :

سُلّاءة كعصا النّهْدِىّ غُلَّ لها ... منظَّمٌ من نَوى قُرّانَ معجومُ (٤)

ويضربون المثل برُميح أبى سعد . وكان أبو سعيد أعرج ، وفَد فى وفْد عاد (٥) . قال ذو الإصبع العَدْوانىّ :

إن تكن شِكّتى رُمَيحَ أبى سعـ ... ـدٍ فقد أحمِلُ السّلاحَ مَعا (٦)

---

(١) اقتضب الكلام : ارتجله وتكلم به من غير تهيئة .

(٢) رطل الشئ : رازه ووزنه ليعلم كم وزنه .

(٣) ما عدا ل ، هـ : « بمخصرته » .

(٤) البيت فى ديوانه ١٣١ والحيوان (٢ : ٢٣٦) والمفضليات (٢ : ٢٠٤) واللسان (سلأ ، غلل ، فيأ ، قرر ، عجم) . السلاءة : شوكة النخل ، شبه فرسه بها لإرهاف صدرها وتمام عجزها . النهدى ، أراد شيخا من نهد قد كبر وطال عمره واملاست عصاه . غل : أدخل . أراد أدخل لها فى باطن الحافر فى موضع النسور . وشبه النسور بنوى قران لأنها صلاب . أو عنى أنه أدخل جوفها نوى من نوى نخيل قران حتى اشتد لحمها . وقران : قرية باليمامة . معجوم : معضوض مَلُوك لم يطبخ فيلين . ورواية « منظم » واردة فى اللسان (غلل) . وفى الديوان والمفضليات : « ذو فيئةٍ » .

(٥) كان القحط قد توالى ثلاث سنين على عاد ، وكان القوم إذا جهدهم القحط فزعوا إلى البيت الحرام يستسقون الغيث ؛ فخرجت عاد إلى البيت يستسقون ، فاختاروا سبعين رجلا على رأسهم أربعة منهم ، وهم : قيل بن عتر ، ولقمان بن عاد صاحب النسور ، وأبو سعد مرثد بن سعد وهو خيرهم وأعظمهم إيمانا ، وجلهمة بن الخيبرى . وقال جلهمة فى أبى سعد :

أبا سعد كأنك من قبيل ... سوى عاد وأمك من ثمود

انظر أخبار عبيد بن شرية ٣٢٧ - ٣٣٤ .

(٦) البيت من قصيدة فى المفضليات (١ : ١٥١ - ١٥٣) . وقيل أبو سعد هو لقمان الحكيم ، كبر حتى مشى على عصا . وقيل لقيم بن لقمان . وقيل أبو سعد كنية الكبر . شرح المفضليات واللسان (رمح) .

وقال عبّاس بن مِرداس :

جَزَى الله خيراً خيرَنا لصديقه   وزوّده زَاداً كزادِ أبى سعدِ
وزوّده صِدقا وبِراً ونائلا   وما كان فى تلك الوِفادة من حمدِ

وقال الآخر :

فآبَ بجدوَى زاملٍ وابنِ زاملٍ   عدوُّك ، أو جَدْوى كليبِ بن وائلِ

ويقولون : « لو كان فى العصا سَير » . ويقولون : « ما هو إلّا أُبنْة عصاً ، وعُقدة رشاء (١) » . ويقولون : أخرج عودَه كعصا البَقّار (٢) ، وأخرج أيضاً عُودَه كعصا الحادِى .

وكان أبو العتاهية أهدَى إلى أمير المؤمنين المأمونِ عصا نَبْعٍ ، وعصا شِريان ، وعصا آبنَوس (٣) ، وعصاً أخرى كريمةَ العيدان ، شريفةَ الأغصان ، وأردية قَطَرِيّة (٤) ، ورِكاءً يمانيّة (٥) ، ونعالًا سِبْتيّة (٦) ، فقبِل من ذلك عصاً واحدة وردَّ الباقى .

١٥٧ وبعث إليه مرّةً أخرى بنعلٍ وكتب إليه فى ذلك :

نعلٌ بعثتُ بها لتلبسَها   تسعَى بها قدم إلى المجدِ (٧)

---

(١) انظر ما سبق فى ٥١ – ٥٢ .

(٢) انظر ما سبق فى ١٢ س ٥ و ٥١ س ١٤ .

(٣) انظر ما سبق فى حواشى ص ٩٢ .

(٤) الثياب القطرية حمر لها أعلام فيها بعض الخشونة . وفى معجم البلدان : « قال أبو منصور : فى أعراض البحرين على سيف الخط بين عمان والعقير قرية يقال لها قطر ، وأحسب الثياب القطرية تنسب إليها » .

(٥) الركاء : جمع ركوة ، وهو بتثليث الراء : زق صغير . ويقال يمان ويمانى بتشديد الياء .

(٦) السبت ، بالكسر : الجلد المدبوغ بالقرظ .

(٧) الشعر والشعراء ٧٦٧ – ٨٦٨ .

لو كنتُ أقدِرُ أن أشرِّكها   خدِّى جعلتُ شراكها خدِّى (١)

فقبِلها (٢) .

الكلبىُّ عن أبى صالح (٣) ، عن ابن عبّاس ، أنّ الشجرة التى نُودِىَ منها موسى عليه السلام عَوسج ، وأنّه نُودِىَ من جوف العوسج ، وأنّ عصاه كانت من آسِ الجنَّة ، وأنها كانت من العُود الذى فى وسط الورقة ، وكان طولُها طولَ موسى عليه السلام . وقالوا : من العُلَّيق .

وقال الآخر :

صفراء من نَبْع كلوْن الورسِ   أبدؤها بالدُّهْنِ قبل نفسى

وأنشد الأصمعىُّ عن بعض الأعراب :

ألا قالت الخنساءُ يوم لقيتُها :   كبِرتَ ولم تجزَعْ من الشَّيب مَجزَعا

رأت ذا عصاً يمشى عليها وشَيْبةٍ   تقنَّع منها رأسُه ما تقنَّعا

فقلت لها : لا تهزئى بى فقلَّما   يسُودُ الفتى حتّى يشيب ويصلَعا

ولَلْقارحُ اليعبوبُ خيرٌ عُلالةً   من الجذَع المُجْرَى وأبعدُ مَنْزِعا (٤)

وقال إسحاق بن سُوَيد (٥) :

---

(١) شرك النعل : جعل لها شراكا ، وهو أحد سيور النعل التى تكون على وجهها . وتعدية هذا الفعل إلى اثنين ليست مروية . على أن رواية الأغانى لا شوب فيها ، وهى : « لو كان يصلح أن أشركها خدى » ، أى لو كان يصلح خدى لتشريكها .

(٢) الخبر برواية أخرى فى الأغانى (٣ : ١٦٠) حيث ذكر أن هدية النعل كانت إلى الفضل بن الربيع .

(٣) أبو صالح ذكوان السمان ، سبقت ترجمته فى (١ : ٤٠٣) .

(٤) القارح : الفرس فى سنته الخامسة . واليعبوب : الطويل السريع . والعلالة بالضم : الجرى الثانى ، ويقال للجرى الأول بداهة . والجذَع من الخيل : مااستتم سنتين ودخل فى الثالثة .

(٥) هو إسحاق بن سويد بن هبيرة العدوى التميمى البصرى . كان ثقة فاضلا يقول الشعر . توفى فى الطاعون فى أول خلافة أبى العباس سنة ١٣١ . تهذيب التهذيب .

فى رداء النبىِّ أقوى دليلِ ... ثم فى القَعْب والعصا والقضيبِ (١)

وقال أبو الشِّيص الأعمى (٢) فى هارون الرّشيد :

يا بنى هاشمٍ أفيقوا فإنّ الـ ... ـمُلك منكمْ حيث العصا والرِّداءُ

ما لهارونَ فى قريشٍ كفِىٌّ ... وقريش ليست لهم أكفاءُ

١٥٨ وقال آخر (٣) :

على خشباتِ الملك منه مهابة ... وفى الحرب عبلُ الساعدين قَرُوعُ

يشقُّ الوغَى عن رأسه فَضْلُ نجدةٍ ... وأبيضُ من ماء الحديدِ وقيعُ (٤)

ومما يجوز فى العصا قول أبى الشِّيص :

أنعَى فتى الجُود إلى الجُودِ ... ما مثلُ مَن أنعَى بموجودِ

أنعَى فتًى مَصَّ الثَّرَى بعده ... بقيَّـــةَ الماء مِن العُـــودِ (٥)

ومن هذا الباب قول عبد الله بن جُدْعان :

---

(١) ما عدا ل ، هـ : « فى العقب » تحريف . والقعب : قدح إلى الصغر يروى الرجل .

(٢) هو محمد بن رزين . وفى نكت الهميان وتاريخ بغداد : محمد بن عبد الله بن رزين . وأبو الشيص لقب غلب عليه ، والشيص : ردىء التمر . وهو عم دعبل بن على بن رزين الخزاعى ، أو ابن عمه ، على الخلاف السابق . وقد صحح الخطيب أنه ابن عمه . وعمىَ أبو الشيص فى آخر عمره ، وله مراث فى عينيه قبل ذهابهما وبعده . وكان أحد شعراء الرشيد ، معاصراً لأبى نواس ومسلم بن الوليد ، فأخملا ذكره . الأغانى (١٥ : ١٠٤ – ١٠٨) والشعر والشعراء ، ونكت الهميان ٢٥٧ ومعاهد التنصيص (٢ : ١٤٢) وتاريخ بغداد ٢٩١٨ . والبيتان التاليان فى الشعر والشعراء .

(٣) هو بشار بن برد . المختار من شعر بشار ٢٧ .

(٤) أى إن سيفه فى الحرب يكشف عن نجدته . الأبيض : السيف . من ماء الحديد ، وصف الأبيض ، كما فى الخزانة (٣ : ٤٨٥) وأمالى المرتضى (١ : ٦٤) والإنصاف ٩٨ . ومثله قول الآخر :

وأبيض من ماء الحديد كأنه ... شهابٌ بدا والليل داج عساكره

الخزانة (٣ : ٤٨٥) . وقول زيد الخيل :

ولما دعانى الخيبرى أجبته ... بأبيض من ماء الحديد صقيل

حماسة البحترى ٥٨ . وقول أبى الأبيض العبسى :

ومالى مال غير درع ومغفر ... وأبيض من ماء الحديد صقيل

بلوغ الأرب (١ : ١١٣) . والوقيع : المشحوذ المحدد .

(٥) فى الشعر والشعراء ٥٦٣ – ٥٦٤ أن الشعر لأشجع السلمى فى رثاء محمد بن زياد . وقد روى منه سبعة أبيات .

فلم أرَ مثلهم حيَّين أبقى ... على الْحَدَثان إن طرقَتْ طُروقاً (١)
وأضربَ عند ضَنْكِ الأمر منهم ... وأسلَكُهم لأَحْزَنِه طريقا (٢)
شريتُ صلاحَهم بتِلادِ مالى ... فعاد الغصنُ مُعتَدِلًا وريقا (٣)

ويقولون للرّجُل إذا أثرى وأفادَ وكثُرت نعمتُه : « ضَعْ عصاك » ، و « قد وضع عصاه » .

وقال أبو الأعور سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيل (٤) :

ونَجُرُّ الأذيالَ فى نِعمةٍ زَوْ ... لٍ تقولان ضعْ عصاك لدَهْرِ (٥)

ويقولون للمستوطِن فى البلد والمستطيب للمكان : « قد ألقى عصاه » .

وقال زُهير بن أبى سُلْمى :

فلمّا وردْنَ الماءَ زُرقاً جِمَامُه ... وضَعْن عصىَّ الحاضِرِ المتَخيِّم (٦)

انقضى الكلام فى العصا (٧)

* * *

(١) الحدثان ، بالتحريك : نوب الدهر وحوادثه ، ولفظه مذكر . قال الأزهرى : وربما أنثت العرب الحدثان ، يذهبون به إلى الحوادث . وقال الفراء : تقول العرب : أهلكتنا الحدثان . وأخطأ صاحب القاموس فى ضبطه بالكسر . طروقا ، أى بليل ؛ يقول أتانا فلان طروقا ، إذا جاء بليل .

(٢) أحزنُه ، أى أشده حزونة وخشونة .

(٣) التلاد والتليد : القديم الذى ولد عندك .

(٤) سبقت ترجمته فى (١ : ٢٣٥) .

(٥) الزول : العجب . وقد سبق البيت فى (١ : ٢٣٥) مع تخريج مقطوعته .

(٦) البيت من معلقته المشهورة . والجمام : جمع جم ، وهو معظم الماء . والحاضر : المقيم على الماء .

(٧) هذه العبارة فى ل فقط .

كتاب الزُّهد

بسم الله الرحمن الرحيم

نبدأ على اسم اللهِ وعونِه (١) بشيءٍ من كلام النُّسَّاك فى الزُّهد ، وبشيءٍ من ذِكر أخلاقهم ومواعظهم .

عوفٌ (٢) ، عن الحسن قال : « لا تزول قَدَمَا ابنِ آدمَ حتى يُسأل عن ثلاث : شَبابِه فيما (٣) أبلاه ، وعُمرِه فيما أفناه ، ومالِه من أين كَسَبه ، وفيما أنفقه » .

قالوا : وقال يونس بن عبيد (٤) : سمعت ثلاث كلمات لم أسمع بأعجب منهنّ . قول حَسَّان بن أبى سِنان (٥) : ما شيءٌ أهونَ من ورَع ، إذا رابك شيءٌ فدعْه . وقول ابن سِيرين : ما حسدت أحداً على شيءٍ قطُّ . وقول مُوَرِّق العِجْلىّ (٦) : لقد سألتُ الله حاجةً منذ أربعين سنةً ، ما قضاها ولا يئستُ منها . فقيل لمُوَرِّق : ما هى ؟ قال : تَرْكُ ما لا يَعنينى (٧) .

---

(١) ما عدا ل : « نبدأ باسم الله وعونه » .

(٢) هو عوف بن أبى جميلة البصرى المترجم فى (٢ : ٣٧) .

(٣) ما عدا ل : « فيم » فى المواضع الثلاثة . وهى اللغة الغالبة . وبغيرها قرأ عكرمة وعيسى : (عما يتساءلون) . وقال حسان :

على ما قام يشتمنى لئيم كخنزير تمرغَ فى رماد

المغنى والخزانة (٢ : ٥٣٧) .

(٤) سبقت ترجمته فى (٢ : ٢٢٠) .

(٥) هو حسان بن أبى سنان البصرى ، كان صدوقا عابدا ، ترجم له فى تهذيب التهذيب . وانظر صفة الصفوة (٣ : ٢٥٤ – ٢٥٧) . والخبر فى تهذيب التهذيب ومجالس ثعلب ٣١٢ ، ٤٧٨ وصفة الصفوة (٣ : ١٧٤) . على أن هذا القول روى فى عيون الأخبار (٢ : ٣٧٤) منسوبا إلى ابن سيرين .

(٦) ترجم فى (١ : ٣٥٣) .

(٧) فى صفة الصفوة : « أمر أنا فى طلبه منذ عشرين سنة لم أقدر عليه ، ولست بتارك طلبه أبدا . قالوا : وما هو يا أبا المعتمر ؟ قال : الصمت عما لا يعنينى » .

وقال أبو حازمٍ الأعرج [١] : إن عوفينا من شرّ ما أُعطينا لم يَضِرْنا ما زُوِىَ عنا [٢] .

وقال أبو عبد الحميد [٣] : لم أسمع أعجبَ من قول عمر : « لو أنّ الصبر والشكر بَعِيرانِ ما باليتُ أيّهما أركب [٤] » .

وقال ابن ضُبَارة : إنا نظرْنا فوجدنا الصبر على طاعة الله أهونَ من الصَّبر على عذاب الله .

وقال زياد [٥] عبدُ [عبدِ الله بن [٦]] عَيَّاش بن أبى ربيعة : أنا مِن أُمنَع الدُّعاء أخْوف من أن أُمنعَ الإجابة [٧] .

وقال له عمر بن عبد العزيز : يازياد ، إنّى أخاف الله مما دخلتُ فيه . قال : لستُ أخاف عليك أن تخاف ، وإنّما أخاف عليك ألّا تخاف .

وقال بعض النسّاك : كفى موعظةً أنّك لا تموت إلّا بحياة ، ولا تحيا إلّا بموت .

وهو الذى قال : اصحبْ مَن ينسى معروفَه عندك .

---

(١) ترجم فى (١ : ٣٦٤) .

(٢) صفة الصفوة (٢ : ٨٩) . « إن وقينا شر ما أعطينا لم نبال ما فاتنا » .

(٣) يبدو أنه أحد القصاص الزهاد . وقد أورد له فى الحيوان (٦ : ٥٠٨) خبرا فى أثناء أخبار بعض الزهاد . قال : « وكان أبو عبد الحميد المكفوف يتمثل فى قصصه بقوله :

يا راقد الليل مسروراً بأوله ... إن الحوادث قد يطرقن أسحارا »

(٤) ما عدا ل : « أيهما ركبت » .

(٥) هو زياد بن أبى زياد ميسرة المخزومى المدنى ، مولى عبد الله بن عياش بن أبى ربيعة . كان من العباد الزهاد ، ويقال إنه كان من الأبدال – والأبدال فيما يزعمون : سبعون رجلا ، أربعون بالشام ، وثلاثون بغيرها ، لا يموت أحدهم إلا قام مكانه آخر من سائر الناس ، كما فى القاموس (بدل) – وكان عمر بن عبد العزيز يجله ويكرمه . وبعث إلى مولاه ليبيعه إياه ، فأبى وأعتقه . توفى سنة ١٣٥ . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٢ : ٥٩) .

(٦) التكملة من المرجعين السابقين .

(٧) روى هذا القول فى عيون الأخبار (٢ : ٢٨٦) منسوبا إلى أبى حازم .

وهو الذى قال : « لا تجعلْ بينك وبين الله مُنعماً ، وعُدَّ النِّعمَ منه عليك مَغْرما » .

ودخل سالم بن عبد الله [١] ، مع هشام بن عبد الملك البيتَ ، فقال له هشام : سلنى حاجتَك . فقال : أكره أن أسأل فى بيتِ الله غيرَ الله .

وقيل لرابعة القيسيّة [٢] : لو كلّمتِ [٣] رجالَ عشيرتِك فاشتَرَوْا لكِ خادماً تكفيك مهنةَ بيتِك [٤] ؟ قالت : « واللهِ إنى لأستحى أن أسأل الدُّنيا مَن
يملك الدنيا فكيف أسألها من لا يملكُها ؟! » . ١٦٠

وقال بعضُ النّسّاك : ديارُكم أمامكم ، وحياتُكم بعد موتكم .

وقال السَّموأل بن عاديا اليهودىّ :

مَيْتاً خُلِقْت ولم أكن مِن قَبلِها　　شيئاً يموت فمتُّ حين حَيِيتُ

وقال أبو الدَّرداء : « كان الناس وَرَقاً لا شوك فيه ، وهم اليوم شوك لا ورقَ فيه [٥] » .

الحسن بن دينار قال : رأى الحسنُ رَجُلَا يَكيد بنفْسه [٦] ، فقال : « إنّ امرأً هذا آخرُه لجدير أن يُزهَد فى أوّله ، وأنّ أمرأً هذا أوّلُه لجديرٌ أن يُخاف آخرُه » .

قال أبو حازم [٧] : الدنيا غرَّت أقواماً فعمِلوا فيها بغير الحقّ ، فلمّا جاءَهم الموت خلّفوا مالهم [٨] لمن لا يحمدُهم ، وصاروا إلى من لا يعذِرهم . وقد خَلَفْنا

---

(١) سالم بن عبد الله بن عمر ، ترجم فى (٢ : ٢٩١) .

(٢) رابعة القيسية العدوية ، ترجمت فى (١ : ٣٦٤) .

(٣) ما عدا ل : « لو كلمنا » .

(٤) المهنة ، بالفتح والكسر والتحريك وككلمة : العمل والحذق به .

(٥) نسب فى (٢ : ١٩٧) إلى أبى ذر الغفارى . ومثله ما روى عنه فى عيون الأخبار (٢ : ١) : « وجدت الناس اخبر تقله » .

(٦) يكيد بنفسه . يجود بها عند الاحتضار .

(٧) أبو حازم الأعرج ، سبقت ترجمته فى (١ : ٣٦٤) .

(٨) ما عدا ل : « ففاجأهم الموت فخلفوا مالهم » .

بَعدهم ، فينبغى لنا أن ننظرَ إلى الذى كرِهناه منهم فنجتنبَه [١] ، وإلى الذى غَبَطناهم به فنستعمله [٢] .

موسى بن داود [٣] ، رفع الحديث قال : « النَّظر إلى خمسةٍ عبادة : النَّظر إلى الوالدَين ، والنظر إلى البَحر ، والنظر إلى المصحَف ، والنظر إلى الصَّخرة [٤] ، والنظر إلى البيت » .

عبد الله بن شدّاد [٥] ، قال : « أربعٌ مَن كُنَّ فيه فقد بَرِئ من الكِبْر : مَن اعتقل البعير [٦] ، وركب الحمارَ ، ولبس الصوفَ ، وأجاب دعوةَ الرجُل الدُّون » .

وذُكر عند أنسٍ الصومُ فقال : « ثلاث من أطاقهنَّ فقد ضبط أمرَه : مَن تسحَّر ، ومن قال [٧] ، ومن أكَلَ قبل أن يشرب » .

---

(١) ل : « أن نجتنبه » .

(٢) ل : « أن نستعمله » .

(٣) هو موسى بن داود الضبى ، كان ثقة صاحب حديث ، ولى قضاء المصيصة ثم طرسوس ، ومات بها سنة ٢١٧ . ذكر الجاحظ أنه كان فصيحاً خطيباً فاضلا . تهذيب التهذيب وتاريخ بغداد ٦٩٩٠ .

(٤) هى صخرة بيت المقدس ، بها أثر قدم النبى ﷺ . معجم البلدان (المقدس) .

(٥) ترجم فى (٢ : ١١٣) .

(٦) البعير : الجمل البازل ، وهو الذى استكمل الثامنة وطعن فى التاسعة ، وقيل هو الجذع ، وهو الذى استكمل الرابعة ودخل فى الخامسة . قال الجوهرى : « يقال للجمل بعير وللناقة بعير » ، والمراد هنا الناقة . وفى حديث عمر : « من اعتقل الشاة وحلبها وأكل مع أهله فقد برئ من الكبر » . اعتقل شاته : وضع رجلها بين ساقه وفخذه فحلبها . وهذا غير متصور فى الناقة . فالمراد بالاعتقال هنا اعتقال الرحْل ، وهو أن يثنى الراكب رجله فيضعها على المورك . وفى هامش التيمورية إشارة إلى أنها فى نسخة : « اكتفل » . اكتفل البعير ، إذا أدار على سنامه ، أو على موضع من ظهره ، كساء وركب عليه .

(٧) قال من القيلولة ، وهى النوم فى القائلة ، أى الظهيرة . والمراد إطاقة هذه الأمور مع حال الصوم .

وقال أبو سعيد ، عبدُ الكريم العُقَابىُّ (١) : من أَخَّر السَّحور وقدَّم الفَطور ، وأكل قبل أن يشرب ، وشرب ثم لم يأكل ، فقد ضبط أمره (٢) .

وقال الجمَّاز (٣) : ليس يقوى على الصَّوم إلا مَن كبَّر لقمهُ ، وأطاب أُدْمَهُ (٤) .

مجالد بن سعيد (٥) ، عن الشعبىّ ، قال : حدّثنى مُرَّةُ الهمدانى (٦) – قال مجالد : وقد رأيته – وحدّثنا إسماعيل بن أبى خالد (٧) أنّه لم يرَ مثل مُرَّةَ قطّ : كان يصلى فى اليوم والليلة خمسَمائةِ ركعة .

١٦١ وكان مُرّة يقول : لمّا قُتل عثمان رحمه الله : حمِدتُ الله ألاّ أكونَ دخلتُ فى شىءٍ مِن قَتلِه ، فصلَّيت مائة ركعة . فلمّا وقع الجمل وصِفِّينَ حمدتُ الله ألاّ أكون دخلتُ فى شىءٍ من تلك الحروب ، وزدت مائة ركعة . فلمّا كانت وقعةُ النَّهروان (٨)

(١) العقابى : نسبة إلى عقابة ، بالضم ، وهم بطن من حضرموت . السمعانى ٣٩٤ . وفى هـ ، والتيمورية : « الغفارى » . وهذا الإسناد وما بعده من الكلام إلى « يشرب » ساقط من ب ، حـ .

(٢) فى التيمورية : « ضبط أمره نفسه » بدون حرف نسق .

(٣) الجماز ، لقب له ، ومعناه الوثاب . واسمه محمد بن عمرو بن عطاء بن ريسان . شاعر أديب بصرى ، وكان ماجناً خبيث اللسان ذا نادرة ، وكان أكبر سناً من أبى نواس . دخل بغداد فى أيام الرشيد والمتوكل ، وقد أعجب به المتوكل يوما فأمر له بعشرة آلاف درهم ، فأخذها وانحدر فمات فرحا بها . تاريخ بغداد ١١٤٣ .

(٤) ما عدا ل : « كثر لقمه » . واللقم ، بالفتح : سرعة الأكل ، وبضم ففتح : جمع لقمة . والأدم ، بالضم : الإدام ، وهو ما يؤكل بالخبز .

(٥) ترجم فى (١ : ٢٤٢) .

(٦) هو مرة بن شراحيل الهمدانى السَّكسَكى ، المعروف بمرة الخير ، ومرة الطيب ، لقب بذلك لعبادته . روى عن أبى بكر وعمر وعلى ، وتوفى سنة ٧٦ . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ١٧) .

(٧) هو إسماعيل بن أبى خالد البجلى الأحمسى ، كوفى عابد ثقة . وكان يسمى « الميزان » ، وكان طحاناً . توفى سنة ١٤٦ . تهذيب التهذيب والخلاصة ٢٨ .

(٨) النهروان ، بفتح النون . قال ياقوت : وأكثر مايجرى على الألسنة بكسر النون .

حمِدتُ الله إذْ لم أشهدْها ، وزدت مائة ركعة . فلمَّا كانت فتنةُ ابن الزَّبير حمِدت الله إذْ لم أشهدْها ، وزدت مائة ركعة .

وأنا أسأل الله أن يغفر لمُرةَّ . على أنّا لا نعرف لبعضِ ما قالَ وجْهاً ؛ لأنّك لا تعرِف فقيهاً من أهل الجماعة لا يستحلُّ قتال الخوارج ، كما أنّا لا نعرف أحداً منهم لا يستحلُّ قتال اللُّصوص . وهذا ابن عُمَر (١) ، وهو رئيس الحِلْسيّة (٢) بزعمهم ، قد لَبِس السلاح لقتال نَجدة (٣) .

وقيل لشُرَيح : الحمد الله الذى سلّمك من القتال فى شيءٍ من هذه الفتن . قال : فكيف أصنع بقلبى وهوايَ .

وقال الحسن : قَتَل النّاقةَ رجلٌ واحد ، ولكنَّ الله عمّ القومَ بالعذاب ، لأنّهم عَمُّوه بالرِّضا (٤) .

وسئل عمرُ بن عبد العزيز عن قَتَلة عثمان وخاذِليه وناصرِيه فقال : تِلك دماءٌ كفَّ الله يدى عنها ، فأنا لا أحبُّ أن أغمِسَ لسانى فيها .

---

(١) هو عبد الله بن عمر . انظر أيضا تهديده لمصعب بن الزبير فى الطبرى (٧ : ١٥٨) .

(٢) الحلسية ، من قولهم : فلان حِلس بيته ، أى لا يبرحه . وهؤلاء هم القاعدون الذين لا ينفرون إلى القتال . ل : « الجلسية » تحريف . وفى حواشى هـ والتيمورية : « فى بعض الكتب يقال فلان حلس بيته ، أى ملازم له » .

(٣) هو نجدة بن عامر – وقيل عاصم – الحنفى ، كان ممن خرج مع ابن الزبير ، ثم فارقه هو ونافع ابن الأزرق من الخوارج ، فصار نافع إلى البصرة ونجدة إلى اليمامة ، وذلك فى سنة ٦٤ . الملل والنحل (١ : ١٦٥) والطبرى (٧ : ٥٦ – ٥٧) . ثم صار إلى الطائف فوجد ابنة لعمرو بن عثمان بن عفان قد وقعت فى السبى فاشتراها من ماله بمائة ألف درهم ، وبعث بها إلى عبد الملك ، ثم سار إلى البحرين ووجه إليه مصعب بن الزبير بخيل بعد خيل فهزمهم . وقد ظل خمس سنوات هو وعماله بالبحرين واليمامة وعمان وهجر والعرض ، فلما نقمت عليه الخوارج خلعوه – وكان يسمى أمير المؤمنين – وأقاموا أبا فديك المترجم فى (٢ : ٢٠٤) وذاك سنة ٧٢ . الطبرى (٧ : ١٩٤) . فغلب أبو فديك على البحرين وقتل نجدة فى تلك السنة . وإليه تنسب فرقة النجدات . انظر آراءهم فى الملل ، والفرق بين الفرق ٦٧ والمواقف ٦٢٩ .

(٤) أى بالرضا عن قتل الناقة وعدم استنكارهم لذلك .

ودخل أبو الدَّرداء على [١] رجل يعوده ، فقال له : كيف تجدُك ؟ فقال : أفرَقُ من الموت . قال : فممّن أصبتَ الخيرَ كلَّه ؟ قال : من الله . قال : فلِمَ تفرَقُ ممّن لم تصب الخير كلَّه إلا منه ؟!

ولما قُذِف إبراهيم عليه السّلامُ فى النّار قال له جبريل عليه السلام : ألَكَ حاجةٌ يا خليل الله ؟ قال : أمَّا إليك فلا .

قال : ورأى بعضُ النُّسَّاك صديقاً له من النُّسَّاك مهموماً ، فسأله عن حاله ذلك ، فقال : كان عندى يتيمٌ أحتسِبُ فيه الأجر ، فمات . قال : فاطلبْ يتيماً غيره فإنّ ذلك لا يُعدِمُك إنْ شاء الله [٢] . قال : أخاف أن لا أصيبَ يتيماً فى سوء خُلقه . فقال : أما إنى لو كنت مكانَك لم أذكُرْ سوءَ خلقِه .

قال : ودخل بعضُ النسَّاك على صاحبٍ له وهو يَكِيد بنفْسه ، فقال له : طِبْ نفساً فإنَّك تلقى رباً رحيما . قال : أمَّا ذنوبى فإنى أرجو أن يغفرها الله لى ، وليس اغتمامِى إلاّ لمن أدَعُ من بناتى . قال له صاحبه : الذى ترجوه لمغفرة ذنوبك فارجُه لحفظِ بناتِك . ١٦٢

قال : وكان مالك بن دينار يقول : لو كانت الصُّحف من عندنا لأقللنا الكلام .

وقال يونُس بن عُبيد : لوْ أُمِرنا بالجَزَع لصبَرنا [٣] .

وكان يقول : كَسَبت فى هذه السوق ستِّين ألفَ دِرهم ، ما منها درهم [٤] إلاّ وأنا أخاف أن أُسأَل عنه .

قال : وسمع عمرو بن عُبيدٍ ، عبد الرحيم بن صُدَيقة [٥] يقول : قال الحُطيئة :

---

(١) الكلام بعده إلى كلمة « وكان إذا قرئ » فى ص ١٣٤ ، ساقط من التيمورية .

(٢) يقال : أعدمنى الشئ ، إذا لم أجده .

(٣) وكذا فى عيون الأخبار (٢ : ٢) . وفى الحيوان (١ : ١٦٧) : « لو أخذنا » .

(٤) ما عدا ل : « ما فيها درهم » .

(٥) هـ ، ب ، جـ : « عبد الرحمن بن حذيفة » . وفى هـ أيضاً : « خ : حذيفة » .

إنما أنا حَسَبٌ موضوع ! فقال عَمرو : كَذبَ تَرَّحه الله (١) ، ذلك التَّقوى .

وقال أبو الدَّرداء : نعم صومعةُ المؤمن منزلٌ يَكُفُّ فيه نفسَه وبصرَه وفرجَه . وإيّاكم والجلوسَ فى هذه الأسواق ، فإنها تُلغِى وتُلْهِى (٢) .

* * *

وقال الحسن (٣) : يا ابن آدم ، بعْ دنياك بآخرتك تربَحْهما جميعاً ، ولا تبع آخرتك بدنياك فتخسَرَهما جميعاً . يا ابن آدم ، إذا رأيت النّاس فى الخير فنافِسْهم فيه ، وإذا رأيتهم فى الشرّ فلا تغبطهم به . الثَّواءُ ها هنا قليل ، والبقاء هناك طويل . أُمَّتُكُم آخر الأمَم وأنتم آخِرُ أمّتكم ، وقد أُسرِع بخياركم فماذا تنتظرون ؟ آلمعايَنةَ ؟ فكأن قَدْ . هَيْهَات هيهات ، ذهبت الدّنيا بحالَيها (٤) ، وبقيت الأعمال قلائدَ فى أعناق بنى آدم ، فيالها موعظةً لو وافقتْ من القلوب حياةً ! أمَا إنّه والله لا أمّةَ بعد أمّتكم ، ولا نبيَّ بعد نبيِّكم ، ولا كتابَ بعد كتابكم . أنتم تسوقون النّاسَ والسّاعةُ تسوقكم ، وإنّما يُنْتَظَر بأوّلكم أن يلحقَ آخرَكم . مَنْ رأى محمداً ﷺ فقد رآه غادياً رائحاً (٥) ، لم يضع لَبِنةً على لَبِنة ، ولا قَصَبَةً على قصبة . رُفِع له عَلَمٌ فشمَّر إليه . فالوَحاءَ الوَحاء ، والنَّجاءَ النجاء . علام تعرّجون . أُتِيتم وربِّ الكعبة . قد أُسرِع بخياركم وأنتم كلَّ يوم تَرذُلون (٦) ، فماذا تنتظرون . إنَّ الله تعالى بعثَ محمّداً عليه السلام على علمٍ منه ،

---

(١) ترحه : أحزنه . والترح : نقيض الفرح .

(٢) أراد بالإلغاء أنها تحمل المرء على اللغو ، وهو مالا يعتد به من الكلام وغيره .

(٣) الخطبة فى عيون الأخبار (٢ : ٣٤٤) وابن أبى الحديد (١ : ٤٦٩) .

(٤) أى حالى الخير والشر . وهذا ما ورد فى ابن أبى الحديد حيث صرح بنقله عن البيان والتبيين . وفى الأصول : « بحال يالها » ولا وجه له . وفى عيون الأخبار : « بحال بما لها » بإهمال الكلمة الأولى . وفى حاشية هـ أنها فى نسخة « بحذافيرها » .

(٥) أى فى كسب الضرورى من العيش .

(٦) رذل يرذل : صار رذلا ، وهو الردىء من كل شىء .

اختاره لنفسه ، وبعثه برسالته ، وأنزل عليه كتابَه ، وكان صفوتَه من خلقه ، ورسولَه إلى عباده ، ثمَّ وضعَه من الدُّنيا موضعاً ينظر إليه أهلُ الأرض ،
١٦٣ وآتاه منها قُوتاً وبُلْغة ، ثم قال : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسوةٌ حسَنَةٌ ﴾ ، فرغِب أقوامٌ عن عيشه ، وسخِطوا ما رضِيَ له ربُّه ، فأبعَدَهم اللهُ وأسحَقَهم . يا ابنَ آدم ، طأ الأرضَ بقدمِك فإنَّها عما قليل قبرُك ، واعلم أنَّك لم تَزَلْ فى هدم عُمرك مذ سقطتَ من بطن أمِّك . فرحِمَ اللهُ رجلاً نَظَرَ فتفكَّر ، وتفكَّر فاعتبر ، واعتبَرَ فأبصر ، وأبصَرَ فصَبَر . فقد أبصر أقوامٌ فلم يصبروا فذهب الجزَع بقلوبهم ولم يدرِكوا ما طلبوا ، ولم يرجِعوا إلى ما فارقوا . يا ابن آدم ، اذكُرْ قوله : ﴿ وكُلَّ إنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِه ونُخْرِجُ له يومَ القِيَامَةِ كِتاباً يَلْقَاهُ مَنْشُوراً . اقْرَأْ كتَابَكَ كَفَى بنَفْسِكَ اليَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبا ﴾ . عَدَلَ واللهِ عليك مَن جَعَلك حسيبَ نفسك . خذُوا صفاءَ الدُّنيا وذروا كدَرَها ؛ فليسَ الصَّفْو ما عاد كدَرا ، ولا الكدرُ ما عاد صفواً . دَعوا ما يَرِيبكم إلى ما لا يُرِيبكم[١] . ظهر الجفاء وقلَّت العلماء ، وعَفَت السُّنّة وشاعت البدعة . لقد صحبتُ أقواماً ما كانت صحبتُهم إلّا قُرّةَ العين ، وجِلاءَ الصدر . ولقد رأيتُ أقواماً كانوا من حسناتهم [٢] أشفَقَ من أن تُرَدّ عليهم ، منكم من سيئاتكم أن تُعذَّبوا عليها ، وكانوا فيما أحلَّ اللهُ لهم من الدُّنيا أزهدَ منكم فيما حرّم عليكم منها . مالى [٣] أسمع حَسِيساً ولا أرى أنيساً . ذهب الناس وبقى النِّسْناس [٤] . لو تكاشفتم

---

(١) يقال رابه الأمر ، إذا علم منه الريبة ، وأرابه ، إذا أوهمه الريبة . وباللغتين روى الحديث : « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك » ، يروى بفتح الياء وضمها .

(٢) ما عدا ل ، هـ : « لحسناتهم » . وانظر ما سيأتى فى ص ١٥٥ س ٨ - ٩ .

(٣) هذه الكلمة من هـ ، ب ، جـ وابن أبى الحديد . وبدلها فى عيون الأخبار : « إنى » .

(٤) النسناس ، بفتح النون وكسرها : خلق على صورة الإنسان . وقد عنى به الذين يتشبهون بالناس .

ما تدافَنْتم (١) . تهاديتم الأطباقَ ولم تَتهادَوا النَّصائح . قال ابن الخطَّاب : رحم الله امرأً أهدى إلينا مساوِيَنا . أعِدُّوا الجوابَ فإنّكم مسئولون . المؤمن لم يأخذْ دِينَه عن رأيِهِ ولكن أخذه من قِبَل ربِّه . إنَّ هذا الحقَّ قد جَهَد أهلَه وحال بينهم وبين شهواتهم ، وما يصبِر عليه إلّا مَن عَرف فضلَه ، ورجَا عاقبتَه . فمَنْ حمِد الدُّنيا ذمَّ الآخِرة ، وليس يكره لِقاءَ الله إلّا مقيم على سخطه . يا ابن آدم ، ليس الإيمانُ بالتحَلِّى ولا بالتمنّى (٢) ، ولكنه ما وَقَر فى القُلوب ، وصدَّقته الأعمال .

* * *

وكان إذا قرئ (٣) : ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُر ﴾ قال : عَمَّ ألهاكم ؟! ألهاكم عن دار الخُلود ، وجنّة لا تَبيد . هذا والله فَضَح القوم ، وهتَكَ السِّتْر وأبْدَى العُوار (٤) . ١٦٤
تنفق مِثل دِيَتِك فى شهواتك سرفاً ، وتمنع فى حقِّ اللهِ درهماً . ستعلم يالُكَع (٥) . الناس ثلاثة : مؤمن ، وكافر ، ومنافق . فأمّا المؤمن فقد ألجمه الخوفُ ، ووقَمه ذكر العَرْض (٦) . وأمّا الكافر فقد قمعه السَّيف ، وشرّده الخوف ، فأذعن بالجِزْية ، وأسمحَ بالضَّريبة . وأمَّا المنافق ففى الحجرات والطُّرقات ، يُسرُّون غيرَ ما يعلنون ، ويُضمِرون غيرَ ما يظهرون . فاعتبِروا إنكارهم ربَّهم بأعمالهم الخبيثة . ويلك ! قتلت وليَّه ثم تتمنىَّ عليه جنّته !

وكان يقول : رحِم اللهُ رجلاً خلا بكتابِ الله فعَرَض عليه نفسَه ، فإن وافقه

---

(١) رواه فى اللسان (دفن) . وقال : « أى لو تكشف عيب بعضكم لبعض » . وذكر قبله : « التدافن : التكاتم » . ورواه فى (كشف) وقال : « ابن الأثير : أى لو علم بعضكم بسريرة بعض لاستثقل تشييع جنازته ودفنه » . وقد سبق الحديث فى (٢ : ٢٣) وذكر الجاحظ أنه مما روى لأقوام شتى .

(٢) عند ابن أبى الحديد : « بالتمنى ولا بالتشهى » . وانظر ما سيأتى فى ص ١٤٤ .

(٣) مما عدا ل : « قرأ » . وإلى هنا ينتهى سقط التيمورية الذى بدأ فى ص ١٣١ س ١ .

(٤) العوار ، بتثليث العين : العيب .

(٥) اللكع : اللئيم ، والأحمق .

(٦) وقمه : ردة أشد الرد . ما عدا ل ، هـ : « وقومه » تحريف .

حمِدَ ربَّه وسأَلَه الزِّيادةَ من فضله ، وإن خالَفه اعتتب وأناب (١) ، ورجَع من قريب . رحم الله رجلا وعظَ أخاه وأهله فقال : يا أهلى ، صلاتَكم صلاتَكم ، زكاتَكم زكاتَكم ، جيرانَكم جيرانَكم ، إخوانَكم إخوانَكم ، مساكنَكم مساكنَكم ، لعلّ الله يرحمُكم . فإنّ الله تبارك وتعالى أثنى على عبدٍ من عباده (٢) فقال : ﴿ وكانَ يأمُرُ أهْلَهُ بالصَّلاةِ والزَّكاة وكانَ عِنْدَ ربِّهِ مَرْضِياً ﴾ . يا ابن آدم : كيف تكون مسلماً ولم يَسلَمْ منك جارُك ، وكيف تكون مؤمناً ولم يأمَنْك الناس .

وكان يقول : لا يستحقُّ أحدٌ حقيقةَ الإيمان حتّى لا يعيبَ النّاس بعيبٍ هو فيه ، ولا يأمر بإصلاحِ عيوبهم حتّى يبدأ بإصلاح ذلك من نفسه ؛ فإنّه إذا فعل ذلك لم يُصلحْ عيباً إلّا وجد فى نفسه عيباً آخرَ ينبغى له أن يُصلِحَه . فإذا فَعَل ذلك شُغِل بخاصَّةِ نفسِه عن عيب غيره . وإنّك ناظرٌ إلى عملك يُوزَن خيرُه وشرُّه (٣) ، فلا تَحقِرَنَّ شيئاً من الخير وإن صَغُرَ ؛ فإنّك إذا رأيته سرّك مكانُه . ولا تَحقِرنَّ شيئاً من الشرّ وإن صغُر ؛ فإنّك إذا رأيته ساءك مكانُه .

وكان يقول : رحم الله امرأً كَسَب طيِّباً وأنفق قَصْداً ، وقدّمَ فضلا . وجِّهوا هذه الفضولَ حيث وجَّهها الله ، وضَعوها حيثُ أمر الله ؛ فإنّ مَنْ كان قبلكم ١٦٥ كانوا يأخذون من الدُّنيا بَلاغَهم ويُؤْثِرون بالفَضْل . ألَا إنّ هذا الموت قد أضرَّ بالدنيا فَفَضَحها ، فلا والله ما وَجَد ذُو لبٍّ فيها فَرَحاً . فإيّاكم وهذه السُّبُلَ

---

(١) اعتتب ، أى رجع من أمر كان فيه إلى غيره وانصرف عنه . ما عدا ل : « أعتب » ، أى عمل بطاعة الله . والوجه « اعتتب » .

(٢) هو إسماعيل عليه السلام . وقبل الآية التالية ، وهى ٥٥ من سورة مريم : (واذكر فى الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا) .

(٣) ناظر ، أى ستنظر يوم الحساب ، ما عدا ل ، هـ : « بوزن » موضع : « يوزن » – تحريف .

المتفرِّقة ، التى جِماعها الضَّلالة وميعادُها النَّار . أدركْتُ مِن صدر هذه الأمّة قوماً كانوا إذا أجَنَّهُم اللّيلُ فقيامٌ على أطرافهم ، يفترشون وجُوهَهم ، تجرى دموعُهم على خدودهم ، يناجُون مولاهم فى فِكاك رقابِهم (١) . إذا عملوا الحسنةَ سرّتْهم وسألوا الله أن يتقبَّلها منهم ، وإذا عمِلوا سيّئةً ساءتهم وسألوا الله أن يغفرَها لهم . يا ابن آدم ، إنْ كان لا يُغْنيك مايَكفيك فليس ها هنا شئٌ يُغنيك ، وإنْ كان يُغنيك ما يكفيك فالقليلُ من الدُّنيا يغنيك . يا ابن آدم ، لا تعمَلْ شيئاً من الحقّ رياء ، ولا تتركْه حياء .

وكان يقول : إنّ العلماء كانوا قد استغنَوْا بعلمهم من أهل الدنيا ، وكانوا يقضُون بعلمهم على أهل الدُّنيا ما لا يقضِى أهلُ الدُّنيا بدنياهم فيها ، وكان أهلُ الدُّنيا يبذُلون دنياهم لأهل العِلم رغبةً فى علمهم ، فأصبح أهلُ العلم اليوم يبذلون علمَهم لأهل الدُّنيا رغبةً فى دنياهم ، فرَغِب أهلُ الدُّنيا بدنياهم عنهم ، وزهِدوا فى علمهم لِمَا رأوْا من سُوء موضعه عندهم .

وكان يقول : لا أذهب إلى من يُوارى عنِّى غناه ويُبدى لى فقرَه ، ويُغلق دونى بابَه ويمنعُنى ما عندَه ، وأَدَع مَن يفتح لى بابَه ويُبدى لى غناه ويدْعُونى إلى ما عنده .

وكان يقول : يا ابنَ آدم ، لا غنى بك عن نصيبِك من الدُّنيا ، وأنت إلى نصيبك من الآخرة أفقر .

مؤمن مُتَّهم (٢) ، وعِلجٌ أغتمُ (٣) ، وأعرابىٌّ لا فِقْهَ له ، ومنافقٌ مكذِّب ،

---

(١) الفكاك ، بفتح الفاء وكسرها . وفك الرقبة : تخليصها من إسار الرق . أى تخليصهم من إسار الدنيا وشهواتها ، أو مما يرتقبهم من جزاء لا يرضونه .

(٢) ما عدا ل : « مهتم » . ومثل هذا الأسلوب ما ورد فى خطبة على فى (٦ : ٥٠ س ٦) حين عدد أنواع الناس ولم يذكر ما يشعر بذلك .

(٣) العلج : الرجل من كفار العجم . والأغتم : الذى لا يفصح شيئاً . والغتمة : عجمة فى المنطق .

ودنياوىٌّ مُترفٌ (١) ، نعق بهم ناعقٌ فاتَّبعوه ، فَرَاشُ نارٍ (٢) وذِبّان طمَعٍ . والذى
نفسُ الحسَن بيدِه ماأصبَحَ فى هذه القريةِ مؤمنٌ إلاّ وقد أصبح مهموماً حزيناً (٣) ،
وليس لمؤمنٍ راحةٌ دونَ لقاءِ اللهِ . والناسُ ماداموا فى عافيةٍ مستورون ، فإذا نزَل بهم
١٦٦ بلاءٌ صاروا إلى حقائقهم ، فصار المؤمن إلى إيمانه ، والمنافقُ إلى نِفاقه . أىْ قَوْمُ ،
إنّ نعمةَ الله عليكم أفضلُ مِن أعمالكم ، فسارِعوا إلى ربِّكم ، فإنه ليس لمؤمنٍ
راحةٌ دونَ الجنة ، ولا يزال العبدُ بخير ما كان له واعظٌ من نفسه ، وكانت المحاسبةُ
من هَمِّه .

وقال الحَسن فى يوم فِطر (٤) ، وقد رأى الناسَ وهيئاتِهم : إنّ الله تبارك وتعالى جعل رمضانَ مِضماراً لخلْقِه (٥) يستبِقُون فيه بطاعته إلى مَرضاته ، فسبَقَ أقوامٌ ففازوا ، وتخلَّف آخرون فخابوا . فالعجَبُ من الضّاحك اللاعب فى اليومِ الذى يَفوزُ فيه المحسِنون ، ويَخْسَرُ فيه المُبْطِلون . أمَا والله أنْ لو كُشِف الغطاءُ لشُغِل مُحْسنٌ بإحسانه ، ومسىءٌ بإساءته ، عن ترجيلِ شَعْر (٦) ، وتجديد ثَوب .

* * *

وحَدَّث عن عمر بنِ الخطاب رحمه الله أنّه قال :

---

(١) يقال فى النسبة إلى الدنيا : دنياوى ، ودنيوى ، ودنيى .

(٢) أى كالفراش الذى يتهافت على النار ، يعجبه حسنها ولألاؤها وفيها حتفه .

(٣) انظر قوله هذا فى زهر الآداب (٢ : ٢٥٩) . وفى الكامل ٥٧ : « ونظر الحسن إلى الناس فى مصلى البصرة يضحكون ويلعبون فى يوم عيد » .

(٤) ل فقط : « وهيئتهم » ، وأثبت ما فى سائر النسخ وزهر الآداب .

(٥) المضمار : الأيام التى تضمر فيها الخيل للسباق ، وقدرها أربعون يوماً . وتضمير الخيل : أن يظاهر عليها بالعلف حتى تسمن ، ثم لا تعلف إلا القوت ، وهو قدر ما يمسك الرمق .

(٦) ترجيل الشعر : تسريحه وتنظيفه . وفى الكامل واللسان (رطل) : « ترطيل » . والترطيل : تليين الشعر بالدهن وما أشبهه .

الناس طالِبان : فطالبٌ يطلب الدُّنيا فارفضوها فى نَحْره ، فإنّه ربَّما أدرك الذى طلب منها فهلَك بما أصاب منها ، وربَّما فاته الذى طلب منها فهلك بما فاته منها . وطالبٌ يطلب الآخرة ، فإذا رأيتم طالب الآخرة فنافِسُوه .

* * *

وحَدّث عن عمرَ بنِ الخطاب رحمه الله أنه قال (١) :

يأيُّها الناس ، إنه أتى علىّ حينٌ وأنا أحسب أنه مَن قرأ القرآن إنه إنّما يريد به الله وما عندَه . ألاَ وقد خُيِّل إلىّ أن أقواما يقرءُون القرآن يريدون به ما عندَ الناس . ألاَ فأرِيدُوا الله بقراءتكم ، وأريدوه بأعمالكم ، فإنّما كُنّا نعرفُكم إذِ الوحىُ ينزِل ، وإذِ النبىُّ ﷺ بين أظْهُرنا (٢) ؛ فقد رُفِع الوحىُ وذهَبَ النبىُّ عليه السلام ، فإنّما أعرفُكم بما أقول لكم (٣) . ألَا فمن أظهر لنا خيراً ظنَنّا به خيراً وأثنينا عليه ، ومَن أظهر لنا شراً ظننا به شراً وأبغضناه عليه . اقْدَعُوا هذه النُّفوس عن شهواتها (٤) ، فإنها طُلَعَةٌ (٥) ، وإنّكم إلاّ تقدَعوها تَنزِعْ بكم إلى شر غاية . إنّ هذا الحقَّ ثقيل مرىء ، وإن الباطل خفيف وبِىء (٦) ، وتركَ الخطيئة خيرٌ من معالجة التَّوبة . ورُبَّ نظرةٍ زَرعت شهوة ، وشهوةِ ساعةٍ أورثَتْ حُزْناً طويلا .

* * *

وكتَبَ الحسن إلى عمرَ بنِ عبد العزيز (٧) أمّا بعد فكأنّكَ بالدُّنيا لم تكُنْ ١٦٧

---

(١) الخطبة فى صبح الأعشى (١ : ٢١٤) والعقد (٤ : ٦٣ - ٦٤) .

(٢) بعده فى العقد : « ينبئنا عن أخباركم » .

(٣) فى العقد : « بالقول » .

(٤) القدع : الكف والمنع . وانظر ما سبق فى (١ : ٢٩٧) من نسبته إلى الحسن .

(٥) الطلعة : الكثير التطلع إلى الشىء ، الكثيرة الميل إلى هواها .

(٦) أى إن الحق عاقبته حميدة والباطل وخيم العاقبة . وكلمة « مرىء » ساقطة من ل .

(٧) فى الشعراء ٥٥٣ ليبسك أن الكتاب لعمر بن عبد العزيز إلى بعض عماله .

وكأنك بالآخرة لم تَزَل [١] .

وقال أبو حازم الأعرج [٢] : وجدت الدنيا شيئين : شيئاً هو لى لن أعجِّله دون أجلِه ولو طلبتُه بقوّة السَّموات والأرض ، وشيئاً هو لغيرى لم أنَلْه فيما مضى ولا أناله فيما بقى . يُمنَع الذى لى من غيرى [٣] ، كما مُنِعَ الذى لغيرى مِنّى . ففى أىِّ هذين أُفنى عمرى ، وأُهلِكُ نفسى .

ودخل على بعض الملوك من بنى مروان فقال : أبا حازم ، ما المخرج مما نحن فيه ؟ قال : تنظر إلى ما عندك فلا تَضَعْه إلاّ فى حقه ، وما ليس عندك فلا تأخذْهُ إلاّ بحقِّه . قال : ومَن يطيق ذلك يا أبا حازم ؟ قال : فمِنْ أجْل ذلك مُلِئت جهنَّمُ من الجِنّة والناس أجمعين . قال : ما مالُكَ ؟ قال : مالانِ . قال : ما هما ؟ قال : الثِّقة بما عند الله ، واليأسُ مما فى أيدى الناس . قال : ارفَعْ حوائجَك إلينا . قال : هيهاتَ هيهات ، قد رفعتُها إلى من لا تُختَزَل الحوائجُ دُونه [٤] ، فإنْ أعطانى منها شيئاً قبِلت ، وإن زَوَى عنّى منها شيئاً رضيت .

* * *

وقال الفُضَيل بن عِياض [٥] : يا ابنَ آدَم ، إنّما يفضِّلك الغِنَى بيومِك [٦] أمسٍ قد خلا ، وغَدٌ لم يأت ، فإنْ صَبَرت يومَك أحمدتَ أمرَك ، وقوِيتَ على غَدِك . وإنْ عَجَزْتَ يومَك أذْممتَ أمرَك ، وضعُفت عن غدِك . وإنَّ الصَّبر يورث البُرْء ، وإنّ الجَزع يورِث السُّقم ، وبالسُّقم يكون الموت ، وبالبُرْءِ تكون الحياة .

* * *

---

(١) وذكر ابن قتيبة أن على بن جبلة أخذ معنى ما فى الكتاب فقال :

شباب كأن لم يكن وشيب كأن لم يزل

(٢) ترجم فى (١ : ٣٦٤) .

(٣) كلمة « من غيرى » ساقطة مما عدا ل ، هـ ، وإسقاطها يضعف المعنى .

(٤) تختزل : تقتطع .

(٥) ترجم فى (١ : ٢٥٨) .

(٦) أى أن تكون غنيا بيومك ، عاملا فيه ما يسعدك .

وقال الحسن : أيا فلانُ ، أترضى هذه الحال التى أنت عليها للموتِ إذا نزل بك ؟ قال : لا . قال : أفتحدّث نفسَك بالانتقال عنها إلى حال ترضاها للموت إذا نزَل بك ؟ قال : حديثاً بغير حقيقة . قال : أفبعدَ الموتِ دارٌ فيها مُستعتَب [١] ؟ قال : لا . قال : فهل رأيتَ عاقلاً رَضِىَ لنفسه بمثل الذى رضيتَ به لنفسك ؟!

* * *

قال عيسى بن مريم ﷺ : « ألاَ إنّ أولياءَ الله لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون . الذين نظروا إلى باطن الدُّنيا حين نظَرَ الناسُ إلى ظاهرها ، وإلى آجل الدُّنيا حين نظرَ الناسُ إلى عاجلها ، فأماتوا منها ماخَشُوا أن يُميت قلوبَهم ، وتركوا ١٦٨
منها ما علموا أنْ سيتركهم » .

ورأوه يخرُج من بيتِ مومسة ، فقيل له : يا رُوحَ الله ما تصنع عند هذه ؟ قال : « إنّما يأتى الطَّبيبُ المَرْضَى [٢] » .

وقال حين مَرَّ ببعض الخلْق فشتموه ، ثم مرَّ بآخرين فشتموه ، فكلما قالوا شراً قال خيراً ، فقال له رجلٌ من الحَوارِيِّين : كلما زادُوكَ شراً زدْتَهم خيراً حتى كأنّك إنّما تُغْرِيهم بنفسك ، وتحثُّهم على شتمك ! قال : « كلُّ إنسانٍ يعطى مِمَّا عندَه [٣] » .

وقال : « ويلكم يا عبيدَ الدُّنيا ، كيف تخالفُ فروعُكم أُصولَكم ، وعقولُكم أهواءَكم . قولُكم شفاءٌ يبرئ الدّاء ، وعملُكم داءٌ لايقبل الدّواء . لستُمْ كالكَرْمة التى حسُنَ ورقُها ؛ وطاب ثمرُها ، وسهلُ مرتقاها ، بل أنتم كالسَّمُرة التى قلَّ ورقُها وكثُر شوكُها ، وصعُب مرتقاها . ويلكم يا عبيدَ الدنيا ، جعلتم العملَ تحتَ

---

(١) مستعتب : استرضاء . وذلك لأن الأعمال تبطل عنده وينقضى زمانها ، ويبدأ زمان الجزاء .

(٢) مثله ما ورد فى إنجيل مرقس (٢ : ١٧) حين رآه الكتبة والفريسيون يأكل مع العشارين والخطاة فقالوا : ما باله يأكل معهم ؟ فقال : « لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب ، بل المرضى » . اقرن هذا بما ورد فى لوقا (١٥ : ١) . وانظر قول المسيح عليه السلام فى عيون الأخبار (٢ : ٣٧٠) .

(٣) الخبر فى عيون الأخبار (٢ : ٣٧٠) . وقد سبق فى ٢ : ١٧٧ .

أقدامِكم ، مَن شاء أخذه ، وجعلتم الدنيا فوقَ رءُوسكم لا يُستطاع تناولُها ، لا عبيدٌ أتقياء ، ولا أحرارٌ كرام . ويلَكم أُجَراءَ السَّوْء ، الأجرَ تأخذون ، والعملَ تُفسدون . سوف تَلقَون ما تحذرون . يوشِك ربُّ العمل أن ينظُرَ فى عمله الذى أفسدتم ، وفى أجره الذى أخذتم . ويلكم غُرماءَ السَّوْء تَبدءُون بالهدِّية قبل قضاء الدَّيْن ، بالنَّوافل تَطَّوَّعون ، وما أُمرتم به لا تؤدُّون . إنّ رَبَّ الدَّيْن لا يقبل الهديَّة حتى يُقضَى دَيْنه » .

* * *

وكان أبو الدّرداء يقول : « أقربُ ما يكون العبدُ من غضب الله إذا غضب ، واحذَرْ أن تظلم مَن لا ناصرَ له إلاّ الله » .

وقال وَزَرٌ العَبد :

لعمرُ أبى المملوك ماعاش إنّه وإن أعجبَتْه نفسُه لذليلُ
يُرَى الناسَ أنصاراً عليه وماله من الناس إلاّ ناصرون قليلُ

شيخٌ من أهل البادية قال [١] : المُعَرِّض بالناس [٢] أتّقى صاحبَه ولم يتّق ربّه .

وكان بكرُ بن عبد الله [٣] يقول : « اطفئوا نار الغضب بذكر نار جهنم » . ١٦٩

وقال : « مَن كان له من نفسه واعظٌ عارضَهُ ساعةَ الغفلة ، وحين الحميَّة » .

وقال علىٌّ للأشتر : « انظُرْ فى وجهى » ، حين جرى بينه وبين الأشعث ابن قيس ما جرى .

وكانت العجم تقول : « إذا غضِبَ الرَّجل فليستلقِ ، وإذا أعيا فليرفع رِجْلَيْهِ » .

وقال أبو الحسن : كان لرجُل من النّسّاك شاة ، وكان مُعجباً بها ، فجاء يوما

---

(١) ما عدا ل : « وقال شيخ من أهل البادية » . هـ : « وقال شيخ من أهل المدينة » .

(٢) يقال عرض له وعرض به ، إذا عابه ولم يصرح .

(٣) بكر بن عبد الله المزنى ترجم فى (١ : ١٠٠) .

فوجدها على ثلاثِ قوائمَ فقال : مَن صنَع هذا بالشاة ؟ قال غلامه : أنا . قال : ولِمَ ؟ قال : أردت أن أغمَّك . قال : لا جرمَ لأُغُمَّنّ الذى أمرك بغمِّى ، اذهب فأنت حُرٌّ .

سعيد بن عامر [1] ، عن محمد بن عمرو بن علقمة [2] ، قال سمعت عمر بن عبد العزيز يخطب الناس وهو يقول : ما أنعم الله على عبدٍ نعمةً فانتزعها منه فعاضَهُ من ذلك الصَّبرَ إلاّ كان ما عاضه الله أفضَلَ مما انتزع منه . ثم قرأ ﴿ إنّما يُوَفَّى الصابرُونَ أجْرَهُم بغيْرِ حِساب ﴾ .

أخبرنا أبو الحسن على بن محمد [3] عن أصحابه قالوا : حضرتْ عَمرو بنَ عُبيدٍ الوفاةُ فقال لعَديله : نزل بى الموت ولم أتأهَّبْ له . اللهمَّ إنَّك تعلمُ أنه لم يسنَحْ لى أمرانِ لك فى أحدهما رضاً ولى فى الآخر هَوًى إلاّ اخترت [4] رضاك على هواى ، فاغفِرْ لى .

ولما خبّر أبو حازم [5] سليمان بن عبد الملك بوعيد الله للمُذْنبين ، قال سليمان: فأين رحمة الله ؟ قال أبو حازم : قريبٌ من المحسِنِين .

قال : وخرج عثمان بن عفانَ رحمه الله من داره فرأى فى دِهليزه أعرابيا فى بَتٍّ ، أشغى [6] ، غائر العينين ، مشرفَ الحاجبين ، فقال يا أعرابىّ : أين ربُّك ؟

---

(١) هو أبو محمد سعيد بن عامر الضبعى البصرى ، ثقة من أئمة محدثى البصرة روى عن خاله جويرية بن أسماء ، وشعبة ، وابن أبى عَروبة ، ومحمد بن عمرو بن علقمة ، وأبان بن أبى عياش وغيرهم . وكان مولده سنة ١٢٢ ووفاته ٢٠٨ . وذكر الخزرجى فى خلاصة التذهيب ١١٩ أن وفاته سنة « ثمان وثمانين » صوابها « ثمان ومائتين » .

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص الليثى المدنى ، ذكره ابن حبان فى الثقات ، وروى عنه مالك فى الموطأ . توفى سنة ١٤٤ . تهذيب التهذيب . والخلاصة ٢٩٣ .

(٣) هو أبو الحسن على بن محمد المدائنى ، المترجم فى (٢ : ١٨٠) .

(٤) ما عدا ل : « آثرت » .

(٥) أبو حازم الأعرج سبقت ترجمته (١ : ٣٦٤) . والخبر فى عيون الأخبار (٢ : ٣٧٠) .

(٦) الأشغى : الذى تختلف نِبتة أسنانه بالكبر والصغر ، والدخول والخروج . وفى عيون الأخبار (٢ : ٣٧٠) : « رأى شيخا ثطا » .

قال : بالمِرْصاد . وكان الأعرابىُّ عامر بن عبد قيس [١] ، وكان ابنُ عامرٍ [٢] سَيَّره إليه .

قال : وغدا أعرابىٌّ من طيّىءٍ مع امرأةٍ له ، فاحتلبا لبناً ثم قعدا يتمجَّعان [٣] ، فقالت امرأتُه : أنَحْن أنعم عيشاً أم بنو مروان ؟ قال : هم أطيب طعاما منّا ، ونحن أردأُ كُسْوةً منهم ؛ وهم أنعَمُ منّا نهاراً ، ونحن أظهَرُ منهم ليلا .

قال : وعَظ عُمرُ بن الخطّاب رجلا فقال : لا يُلهِك الناسُ عن نفسك ؛
فإنَّ الأمرَ يصير إليك دونهم ! ولا تَقطع النهارَ سادراً [٤] فإنه محفوظٌ عليك
١٧٠ ما عملت . وإذا إسأتَ فَأَحْسِنْ ؛ فإنِّى لم أر شيئاً أشدَّ طلباً ولا أسرعَ دَرَكاً من
حسنةٍ حديثةٍ لذنْب قديم .

قال : كان هلالُ بن مسعودٍ يقول : زاهدٌ كم راغب ، ومجتهدٌ كم مقصِّر ، وعالِمُكم جاهل ، وجاهلكم مغْتَرّ .

مسلمة بن محارب قال : قال عامر بن عبد قيس : الدنيا والدةٌ للموت ، ناقضة للمُبْرَم ، مرتجِعة للعطيّة ، وكلٌّ من فيها يجرى إلى ما لا يدرى ، وكلٌّ مستقِرّ فيها غيرُ راضٍ بها ، وذلك شهيدٌ على أنها ليست بدارِ قرار .

قال الحسَن : مَن أيقَنَ بالخَلَف جادَ بالعطيْة .

وقال أسماء بن خارجة [٥] : إذا قَدُمت المودّةُ سَمُجَ الثَّناء .

وقال عمر بن عبد العزيز لمحمد بن كعب [٦] القرظىّ : عِظْنى . قال : لا أرضَى نفسى لك ، إنى لأصَلِّى بين الفقير والغنىّ فأميل على الفقير وأوسِّع للغنى

---

(١) ترجم فى (١ : ٨٣) . وانظر ما سيأتى فى ص ١٧٤ .

(٢) عبد الله بن عامر ، ترجم فى (١ : ٣١٨) . وكان من ولاة عثمان .

(٣) التمجع : أن يأكل التمر ويشرب عليه اللبن .

(٤) السادر : الذى لا يهتم لشئ ولا يبالى ما صنع .

(٥) أسماء بن خارجة ، ترجم فى (٢ : ٨٢) . وانظر عيون الأخبار (٣ : ٥٦) .

(٦) ترجم فى (٢ : ٣٤ ، ٣٠٠) . والخبر فى عيون الأخبار (٢ : ٣٧٠) .

قال : وقال الحسن : ما أطال عبدٌ الأمَلَ إلا أساءَ العمل .

قال : كان أبو بكر رحمه الله إذا قيل له : مات فلان ، قال « لا إله إلا الله » . وكان عثمان يقول : « فلا إله إلا الله [١] » .

وركب سليمان بن عبد الملك يوما فى زِيٍّ عجيب ، فنظرَت إليه جاريةٌ له فقالت : إنك لمعنىٌّ ببيتَيِ الشاعر . قال : وما هما ؟ فأنشدتْه :

أنتَ نِعمَ المتاعُ لو كنت تبقَى … غير أن لا بقاءَ للإنسانِ
ليس فيما بدا لنا منكَ عيبٌ … كان فى الناس غير أنّك فانِ

قال : ويلكِ نعيتِ إلىَّ نفسى .

قال : صام رجلٌ سبعين سنة ، ثم دعا إلى الله بحاجة فلم يستجبْ له ، فرجع لنفسه فقال : « منكِ أُتِيتُ » . فكان اعترافُه أفضلَ من صومه .

وقال : مَن تذكّر قُدرةَ الله لم يستعمل قدرتَه فى ظلم عبادِ الله .

وقال الحسن : إذا سرّك أن تنظر إلى الدُّنيا بعدَك فانظر إليها بعدَ غيرِك .

وكان الحسن يقول : ليس الإيمانُ بالتحلّى ولا التمنّى ، ولكن ما وَقَر فى القلوب ، وصدّقته الأعمال [٢] .

قال : مات ذرُّ بن أبى ذرٍّ الهَمْدانى ، من بنى مُرهِبة [٣] ، وهو ذَرّ بن
عُمَر بن ذر [٤] فوقف أبوه على قبره فقال : يا ذَرّ ، والله ما بِنا إليك من فاقةٍ ، ١٧١
وما بنا إلى أحد سوى الله من حاجة . يا ذَرُّ ، شغَلَنى الحزنُ لك عن الحزن

---

(١) زيد بعد هذا فيما عدا ل ، هـ : « وكان أبو بكر رضى الله تعالى عنه كثيرا ما ينشد :
لا تزال تنعى ميتا حتى تكونه … وقد يرجو الفتى الرجا فيموت دونه »
وهذا النص مقحم على الكتاب ، والشعر فيه مختل . وانظر الخزانة ٤ : ٤٧ – ٤٨ .

(٢) ما عدا ل : « وصدقه العمل » . وانظر ما سبق فى ص ١٣٤ .

(٣) بنو مرهبة بن عامر بن مالك بن معاوية . الاشتقاق ٢٥٦ ونهاية الأرب (٢ : ٣٢٠) .

(٤) ل فقط : « ذر بن عمرو بن ذر » ، وأثبت ما فى سائر النسخ وعيون الأخبار (٢ : ٣١٣) حيث ورد الخبر .

عليك . ثم قال : اللهمّ إنك وعدْتَنى بالصبر على ذرٍّ صلواتِكَ ورحمتَكَ . اللهمّ وقد وهبتُ ما جعلتَ لى من أجرٍ على ذرٍّ لذرّ فلا تُعَرِّفْهُ قبيحاً من عمله . اللهمّ وقد وهبتُ له إساءتَه إلىّ فهبْ لى إساءته إلى نفسه ؛ فإنّك أجْوَد وأكرم .

فلمّا انصرف عنه التفت إلى قبره وقال : يا ذرُّ ، قد انصرفْنا وتركناك ، ولو أقمنا ما نفعناك !

سُحيم بن حفصٍ قال : قال هانئ بن قَبيصة ، لحُرْقَةَ بنتِ النُّعمان ، ورآها تبكى : مالكِ تبكين ؟ قالت : رأيت لأهلكَ غَضَارة [١] ، ولم تمتلئْ دارٌ قطُّ فرحاً إلاّ امتلأتْ حَزَناً .

قال : ونظرت امرأةٌ أعرابيّة إلى امرأةٍ حولَها عشرةٌ من بنيها كأنّهم الصُّقور ، فقالت : لقد وَلَدَت أُمُّكم حُزناً طويلا [٢] .

وقال النبى ﷺ لأزواجه : « أسرعكنَّ بى لَحاقاً أطولُكنَّ يداً [٣] » . فكانت عائشة تقول : أنا تلك ، أنا أطولُكنَّ يداً . فكانت زينبَ بنت جحشٍ [٤] ، وذلك أنها كانت امرأة كثيرة الصَّدَقة ، وكانت صَناعاً تصنع بيديها وتَبيعه وتتصدَّق به . قال الشّاعر [٥] :

وما إن كان أكثرَهُم سَواماً ولكن كانَ أطولَهم ذراعا

قال : كان الحسن يقول : ما أنعم الله على عبدٍ نعمةً إلاّ وعليه فيها تَبِعة ، إلاّ ما كان مِن نعمته على سليمان ﷺ ؛ فإن الله عزّ وجلّ قال عند ذكره : ﴿ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ .

---

(١) الغضارة : النعمة وسعة العيش . ل : « لأهلى غضارة » . وسيأتى فى ص ١٦١ . « غضارة فى أهلكم » .

(٢) الخبر فى عيون الأخبار (٢ : ٣٧٠) .

(٣) ما عدا ل : « أسرعكن لحاقا بى » .

(٤) أى فكانت أسرعهن لحاقا به زينب . وانظر شروح سقط الزند ١٠٧ ص ١ .

(٥) هو أبو زياد الأعرابى الكلابى ، كما فى الحماسة (٢ : ٢٦٨) .

قال : باع عبدُ الله بن عُتبة بن مسعودٍ أرضاً بثمانين ألفا ، فقيل له : لو اتَّخذتَ لولدك من هذا المال ذُخرا . قال : « إنّما أجعلُ هذا المالَ ذُخراً لى عند الله ، وأجعل الله ذُخْراً لولدى » . وقسَمَ المال .

وقال رجلٌ : صحبت الرَّبيع بن خُثَيم (١) سنتَين فما كلمنى إلاّ كلمتين ، قال لى مَرّة : أمُّك حَيَّةٌ ؟ وقال لى مَرّةً أخرى : كم فى بنى تميم من مسجِد ؟

وقال أبو فَروة : كان طارقٌ صاحبُ شُرَطِ خالد بن عبد الله القَسْرىّ مرّ ١٧٢
بابن شُبرُمة (٢) ، وطارقٌ فى مَوكِبه ، فقال ابن شُبرُمة :

فإن كانت الدُّنيا تُحَبُّ فإنَّها ... سَحابةُ صيفٍ عن قليل تَقَشَّعُ (٣)

اللهم لى دينى ولهم دنياهم . فاستُعمل ابنُ شبرمة بعد ذلك على القضاء فقال ابنُه : أتذكرُ قولك يوم مَرّ طارقٌ فى موكِبه ؟ فقال : يا بنى ، إنّهم يجدون مثل أبيك ، ولا يجدُ أبوك مثلهم . يا بُنَىّ ، إنّ أباك أَكل من حَلْوائهم وحَطَّ فى أهوائهم .

قال الحسن : مَن خاف الله أخاف الله منه كلَّ شىء ، ومَن خاف النّاس أخافه الله من كل شىء .

وقال الحسن : ما أُعطِىَ رجلٌ من الدُّنيا شيئاً إلاّ قيل له خُذْه ومثلَه من الحِرص .

قال : مرّ مرْوانُ بن الحكم فى العام الذى بُويع فيه بزُرارة بن جُزَىّ (٤) الكِلابىّ ، وهم على ماءٍ لهم (٥) ، فقال : كيف أنتم آلَ جُزَىٍّ ؟ قالوا : بخير

---

(١) التيمورية « حثيم » ، وما عداها « خيثم » ، لكن صوابه بتقديم الثاء على الياء كما أثبت . وقد ترجم فى (١ : ٣٦٣) .

(٢) عبد الله بن شبرمة ، ترجم فى (١ : ٩٨) .

(٣) هذه رواية ل . وفى سائر النسخ وكذا فى عيون الأخبار (١ : ٥٦) :

أراها وإن كانت تحب كأنها ... سحابة صيف عن قريب تقشع

(٤) يقال جزى ، وجزء أيضاً ، كما فى الإصابة ٢٧٨٨ . وقد مضت ترجمة زرارة فى (١ : ١٤٧) .

(٥) ما عدا ل ، هـ : « على ما لهم » ، وهى صحيحة إن قرئت بالرسم القديم .

زرَعَنا الله فأحسَنَ زرْعَنا ، وحصَدَنا فأحسَنَ حَصادَنا .

وقال الحسن : يا ابن آدمَ ، إنّما أنت عددٌ ، فإذا مضى يومٌ فقد مضى بعضُك .

وقال الحسن [١] : يا ابنَ آدَم ، إن كان يُغْنيك من الدُّنيا ما يكفيك فأدنى ما فيها يغنيك ، وإن كان لا يغنيك منها ما يكفيك فليس فيها شيءٌ يُغنيك .

قال : نَزل الموتُ بفتًى وكان فيه رَمَق ، فرفع رأسَه فإذا أبواه يبكيان عند رأسه ، فقال : مالكما تبكيان ؟ قالا : تخوُّفاً عليك من الذى كان من إسرافك على نفْسك . فقال : لا تبكيا ، فوالله ما يسرُّنى أنَّ الذى بيد الله بأيديكما .

أبو الحسن ، عن علىّ بن عبد الله القرشىّ [٢] قال : قال قَتادة : يُعطِى الله العبدَ على نِيّة الآخرة ما شاء من الدُّنيا والآخرة [٣] ، ولا يُعطى على نيّة الدُّنيا إلا الدنيا .

عَوَانة قال : قال الحسن : قدم علينا بِشرُ بنُ مروان أخو الخليفة وأمير المِصرَين ، وأشبُّ النّاس ، فأقام عندنا أربعين يوماً ثم طُعِن فى قَدَميه [٤] فمات ، فأخرجْناه إلى قبره ، فلمّا صِرنا إلى الجَبَّان [٥] إذا نحنُ بأربعةِ سُودانٍ يحملون
١٧٣ صاحباً لهم إلى قبره ، فوضعنا السريرَ فصلّينا عليه ، ووضعوا صاحبَهم فصلَّوْا عليه ، ثم حَملْنا بِشراً إلى قبره وحملوا صاحبَهم إلى قبره ، ودفنّا بشراً ودفنوا صاحبَهم ، ثم انصرفوا وانصرفنا ، ثم التفتُّ التفاتةً فلم أعرِفْ قبرَ بشرٍ من قبر الحبشىّ . فلم أر شيئاً قطُّ كانَ أعجبَ منه .

---

(١) ما عدا ل : « مسلمة : قال الحسن » .

(٢) هو على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشى المدنى . ولد ليلة قتل على فى رمضان سنة ٤٠ . وكان يدعى « السّجّاد » لكثرة صلاته : كان يصلى كل يوم ألف ركعة فيما زعموا . وكانت وفاته بالبلقاء من أرض الشام سنة ١١٨ . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٢ : ٥٩) والخلاصة ٢٣٣ .

(٣) هذه الكلمة من ل ، هـ فقط .

(٤) ما عدا ل : « فى قدمه » .

(٥) الجبان والجبانة : الصحراء ، وتسمى بهما المقابر لأنها تكون فى الصحراء ، تسمية للشىء باسم موضعه . ما عدا ل ، هـ : « الجبانة » . وكتب فوقها فى هـ « الجبان » .

وقال عبد الله بن الزِّبَعْرَى (١) :

والعَطِيَّاتُ خِساسٌ بَينَنا   وسواءٌ قبر مُثْرٍ ومُقِلّْ (٢)

وتقول الحكماء : ثلاثة أشياءَ يستوى فيها الملوك والسُّوقة ، والعِلْيَة والسِّفْلةُ : الموت ، والطَّلْق ، والنَّزْع .

وقال الهيثم بن عَدِىّ ، عن رجاله : بينا حُذَيفةُ بن اليمانِ وسَلْمانُ الفارسىُّ (٣) يتذاكران أعاجيبَ الزّمان ، وتغيُّرَ الأيام ، وهما فى عَرْصَةِ إيوان كِسرى ، وكان أعرابىٌّ من غامِدٍ يرعى شوَيهاتٍ له نهارا ، فإذا كان الليل صيّرهنّ إلى داخل العَرصة ، وفى العرصة سريرُ رَخام كان كسرى ربَّما جلس عليه ، فصعِدَت غُنَيْماتُ (٤) الغامدىِّ على سرير كسرى ، فقال سَلْمان : ومن أعجب ما تذاكرنا صعود غنيمات الغامدىّ على سرير كسرى .

قال : لما انصرف علىٌّ بن أبى طالبٍ رضى الله عنه من صِفِّينَ مرَّ بمقابرَ فقال :

السَّلام عليكم أهلَ الدِّيار المُوحِشة ، والمحالِّ المُقْفِرَة ، من المؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات . أنتم لنا سَلَفٌ فارط ، ونحن لكن تَبَع ، وبكم عمَّا قليلٍ لاحقون . اللهمّ اغفرْ لنا ولهم ، وتجاوَزْ بعفوك عنّا وعنهم . الحمدُ للهِ الذى جعَلَ الأرض كِفاتاً (٥) ، أحياءً وأمواتاً . والحمدُ لله الذى خَلَقكم وعليها يحشُرُكم ، ومنها يبعثُكم ، وطوبى لمن ذكَر المَعادَ ، وأعَدَّ للحساب ، وقَنِع بالكَفَاف .

---

(١) ترجم فى (١ : ١٠٨) .

(٢) انظر القصيدة فى السيرة ٦١٦ جوتنجن . وبعض أبياتها فى الحيوان (٥ : ٥٦٤) . وقد أنشد هذا البيت ابن فارس فى المقاييس (خس) ، وقال : « ويقال هذه الأمور خساس بينهم ، أى دول » . وضبطها صاحب القاموس ، ككتاب . ولم تذكر هذه الكلمة فى اللسان .

(٣) ترجم حذيفة فى (٢ : ١٤٠) وسلمان فى (٢ : ١٠٢) . والخبر فى عيون الأخبار (٢ : ٣٧١) .

(٤) بعد هذه الكلمة سقط فى التيمورية ينتهى فى السطر السادس من ص ١٥٧ .

(٥) أى تكفت الناس ، تحفظهم أحياء على ظهرها فى دورهم ، وأمواتاً فى بطنها .

وقال عمر رحمه الله « استَغْزِرُوا الدُّموعَ بالتذكُّر [١] » .

وقال الشاعر [٢] :

سَمِعْن بهَيْجَا أوجفَتْ فذكرنَهُ   ولا يبعثُ الأحزانَ مثلُ التذكُّرِ [٣]

وقال أعرابيّ :

لا تُشْرِفَنَّ يَفاعاً إنّه طَرَبٌ   ولا تُغنِّ إذا ما كنت مشتاقا [٤]

* * *

قال ابنُ الأعرابيّ : سمعتُ شيخاً أعرابيا يقول : إنّى لأُسَرّ بالموت ، لا دَيْن ولا بنات .

١٧٤ علىّ بن الحسن قال : قال صالحٌ المرّىّ [٥] دخلت دار المُورِيَانىّ [٦] ، فاستفتحتُ ثلاثَ آياتٍ من كتاب الله ، استخرجُتها حين ذكرتُ الحال ، فيها قولُه عزّ وجلّ : ﴿ فتِلْكَ مَساكِنُهُم لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إلاّ قَليلاً ﴾ ؛ وقوله : ﴿ ولقَدْ تركْنَاهَا آيةً فهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴾ ؛ وقوله : ﴿ فتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خاويةً بما ظَلَمُوا ﴾ . قال : فخرج إلىَّ أسوَدُ من ناحية الدّار فقال : يا أبا بِشْر ، هذه سَخْطة المخلوق ، فكيف سخطة الخالق [٧] !

---

(١) ومثله فى عيون الأخبار (٢ : ٢٩٨) . وفى البيان (١ : ٢٩٧) : « لا تستغزروا الدموع إلا بالتذكر » .

(٢) هو ليلى الأخيلية ترثى توبة بن الحمير ، من قصيدة فى الأغانى (١٠ : ٧٢ – ٧٣) وقد سبق البيت فى (١ : ٢٩٨) .

(٣) اقتصر فى ل على إنشاد عجزه .

(٤) فى اللسان : « يقال أشرفت الشئ : علوته » .

(٥) هو صالح بن بشير المرى ، المترجم فى (١ : ١١٢) .

(٦) هو سليمان بن مخلد ، المكنى بأبى أيوب . ونسبته إلى « موريان » قرية من قرى الأهواز . وكان وزير المنصور العباسى بعد خالد بن برمك جد البرامكة . وكان فى أول أمره مقرباً لدى المنصور ، ثم نقم عليه فأوقع به وعذبه ، وأخذ أمواله . وتوفى سنة ١٥٧ . وفيات الأعيان (١ : ٢١٥ – ٢١٦) .

(٧) ما عدا ل ، هـ : « هذا سخط الخلق فكيف سخط الخالق » .

قال : وأصاب ناساً مطرٌ شديد وظُلْمة وريح (١) ، ورعدٌ وبرق ، فقال رجلٌ من النُسَّاك : اللهم إنك قد أريْتَنا قدرتك فأرِناَ رحمتَك .

عَوانة قال : قال عبد الله بن عمر : فازَ عمر بن أبى ربيعة بالدُّنيا والآخرة : غَزَا فى البحر فأحرقوا سفينتَه فاحترق .

قال : وطلَّق أبو الخندق امرأتَه أمَّ الخندق ، فقالت : أتطلِّقنى بعد طول الصُّحبة ؟ فقال : ما دهاكِ عندى غيرُه .

وكان أبو إسحاق (٢) يقول : ما أَلْأَمَها من كلمة .

قال : مرّ عمر بن الخطاب رحمه الله بقوم يتمنَّونْ ، فلما رأوه سكَتُوا ، قال : فيم كنتم ؟ قالوا : كنّا نتمنَّى . قال : فتمنَّوْا وأنا أتمنَّى معكم (٣) . قالوا : فتمنَّ . قال : أتمنَّى رجالاً ملءَ هذا البيتِ مثل أبى عبيدة بن الجرَّاح (٤) ، وسالِمٍ مولى أبى حذيفة (٥) . إنّ سالماً كان شديد الحُبِّ لله ، لو لم يخف الله ما عصاه (٦) . وقال رسول الله ﷺ : « لكل أمّةٍ أمينٌ ، وأمينُ هذه الأمَّة أبو عبيدةَ بنُ الجرَّاح » .

---

(١) ما عدا ل : « وريح وظلمة » .

(٢) يعنى إبراهيم بن سيار النظام .

(٣) ل : « وأنا معكم » .

(٤) أبو عبيدة بن الجراح الفهرى ، أحد العشرة السابقين ، واسمه عامر بن عبد الله بن الجراح ، اشتهر بكنيته والنسبة إلى جده . وقد ضرب المثل العالى فى قيادته للمسلمين فى فتح الشام . وتوفى فى طاعون عَمَواس سنة ١٨ . الإصابة ٤٣٩٣ وصفة الصفوة (١ : ١٤٢) .

(٥) هو سالم مولى أبى حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، أحد السابقين الأولين ترجم له فى الإصابة ٣٠٣٦ .

(٦) لو ، فى مثل هذا الأسلوب ، هى التى يذكر النحاة أنها لتقرير الجواب وجد الشرط أو فقد ، ولكنها مع فقده أولى . أى إن عدم عصيانه يتحقق إذا لم يكن منه خوف الله ، فما بالك إذا كان منه الخوف . وقد روى ابن هشام فى المغنى (فى باب لو) ، أن عمر قال : « نعم العبد (صهيب) لو لم يخف الله لم يعصه » .

شُعبة ، عن عمرو بن مرَّة (١) قال : قدِم وفدٌ من أهل اليمن على أبى بكرٍ رحمه الله ، فقرأ عليهم القرآن فبكَوْا ، فقال أبو بكر : هكذا كُنّا ، حتَّى قَسَت القلوب .

وقال أبو بكر : « طوبى لمن مات فى نأْنأة الإسلام (٢) » .

قال سَعد بن مالك (٣) ، أو مُعاذ (٤) : « ما دخلت فى صلاةٍ فعَرَفْتُ مَن عن يمينى ولا مَن عن شمالى ، وما شيَّعت جَنازة قطُّ إلاّ حدَّثتُ نفسى بما يُقال له وما يقول (٥) ، وما سمعت رسول الله ﷺ قال شيئاً قطُّ إلاّ علمت أنّه كما قال » .

قال أبو الدَّرداء : أضحكنى ثلاثٌ وأبكانى ثلاث : أضحكنى مؤمِّلُ
١٧٥ الدُّنيا والموتُ يطلبه ، وغافلٌ ولا يُغفَل عنه ، وضاحكٌ مِلءَ فيه ولا يدرى أساخطٌ ربُّه أم راضٍ . وأبكانى هولُ المطَّلَع (٦) ، وانقطاعُ العَمَل ، وموقفى بين يدَىِ الله لا يُدْرَى (٧) أيأمُرُ بى إلى الجَّنة أم إلى النار .

سُحَيم بن حفص ، قال : رأى إياسُ بن قَتادة العبشمىُّ (٨) شَيبةً فى

---

(١) هو عمرو بن مرة عبد الله بن طارق الجملى المرادى ، روى عنه شعبه والثورى والأعمش وغيرهم . وفيه يقول شعبة : « ما رأيت عمرو بن مرة فى صلاة قط إلا ظننت أنه لا ينتقل حتى يستجاب له » . توفى سنة ١١٦ تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ٥٩) .

(٢) النأنأة : العجز والضعف . يعنى أول الإسلام قبل أن يقوى ويكثر أهله وناصروه والداخلون فيه ، فهو عند الناس ضعيف .

(٣) سعد بن مالك بن أهيب ترجم فى (١ : ٢٦١) .

(٤) هو الصحابى الجليل معاذ بن جبل ، ترجم فى (١ : ٢٤) .

(٥) الجنازة ، بالفتح : الميت نفسه . وبالكسر : السرير الذى يحمل عليه . وهو يشير بالقول هنا إلى سؤال الملكين .

(٦) المطلع : ما يشرف عليه من أمر الآخرة عقيب الموت . والخبر فى عيون الأخبار (٢ : ٣٥٩) .

(٧) هـ : « لا أدرى » .

(٨) إياس بن قتادة التميمى ، ابن أخت الأحنف بن قيس . وكذا جاءت نسبته فى البيان « العبشمى » . والصواب أنه مجاشعى تميمى . انظر الكامل ٨٢ ليبسك وصفة الصفوة (٣ : ١٤٤) حيث ترجم له ابن الجوزى . ومجاشع ، هو ابن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم .

لحيته [١] ، فقال : « أرى الموتَ يطلبُنى ، وأَرانى لا أفوته . أعوذ بك من فُجاءات الأمور [٢] وبَغَتات الحوادث . يا بِنى سعد ، إنى قد وهبْت لكم شبابى فهبوا لى شَيبَتى » . ولزِمَ بيته ، فقال له أهله : تَمُوت هُزْلاً [٣] ! قال : « لأَنْ أموتَ مؤمناً مهزولا أحَبُّ إلىَّ مِن أن أموت منافقاً سميناً » .

وذكر قومٌ إبليس فلعنوه وتغيَّظوا عليه ، فقال أبو حازم الأعرج : وما إبليس ؟! لقد عُصِىَ فما ضَرّ ، وأُطيعَ فما نَفَع .

قال : وقال بكر بن عبد الله المُزنىّ : الدنيا ما مَضَى منها فحُلْم ، وما بقِىَ منها فأمانىّ .

قال : ودخل أبو حازمٍ مسجدَ دِمشق ، فوسْوس إليه الشيطانُ ، إنّك قد أحدَثْتَ بعد وضوئك . قال : أوَ قَدْ بلَغ هذا من نصيحتك !

قال بعض الطِّيَاب [٤] :

عجبت من إبليس فى كِبرِهِ ... وخُبْثِ ما أبداه من نِيَّتهْ
تاهَ على آدمَ فى سجدةٍ ... وصارَ قوَّاداً لذُرِّيَّتِه

قال : فأنشدتها [٥] مِسمعَ بن عاصم فقال : وأبيك لقد ذَهَب مَذْهباً .

الفضل بن مُسلم قال : قال مُطرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير [٦] : لا تنظروا

---

(١) فيما عدا ل ، هـ : « شيبة لحيته » . والخبر فى صفة الصفوة بتفصيل ، وعيون الأخبار (٢ : ٣٢٤) مع خلاف فى الرواية فيهما .

(٢) ل : « أعوذ من فجأة الأمور » . وفى عيون الأخبار : « أعوذ بك يارب من فجاءات الأمور » .

(٣) الهزل ، بفتح الهاء وضمها : الهزال ، نقيض السمن .

(٤) الطياب ، بالكسر : جمع طيب ، مثل جيد وجياد . انظر الحيوان (٣ : ٢٦) وسيبويه (٢ : ٢١١) ، وما سبق فى ص ١١٥ .

(٥) ما عدا ل ، هـ : « فأنشدتهما » .

(٦) ترجم فى (١ : ١٠٣ ، ٣٥٣) .

إلى خَفْض عيشِهم ، ولِينِ لباسِهم ، ولكن انظروا إلى سرعة ظَعنهم وسُوء مُنْقَلَبِهم .

قال أبو ذَرّ : لقد أصبحت وإنّ الفقر أحَبُّ إلىّ من الغِنَى ، والسُّقْمَ أحبُّ إلى من الصِّحَّة ، والموتَ أحَبُّ إلى من الحياة . قال دَهْثَم [١] : « لكنّى لا أقول ذلك . قال : قال داود ﷺ : اللهمَّ لا صِحَّةً تُطغِينى ، ولا مرضاً يُضْنينى ، ولكن بين ذَيْنِك » .

قال الحسن : إنّ قوماً جعلوا تواضُعَهم فى ثيابهم ، وكِبْرَهم فى صُدورهم ،
١٧٦ حتّى لَصاحِبُ المِدْرعة بمِدْرعته [٢] ، أشدُّ فرحاً من صاحب المُطْرَف بمطرفه [٣] .

قال : وقال داودُ النبيُّ عليه السلام : « إنّ لله سَطَوات ونَقَمات » . فإذا رأيتُموها فداوُوا قُرُوحَكم بالدُّعاء [٤] ، فإنّ الله تبارك وتعالى يقول : « لولا رجالٌ خُشَّعٌ ، وصِبْيانٌ رُضَّعٌ ، وبَهائمُ رُتَّعٌ ، لصببْتُ عليكم العذاب صَبّا » .

قال : اشترى صَفوان بن مُحرز [٥] بدَنةً بتسعة دنانير [٦] ، فقيل له : أتشترى بدنةً بتسعة دنانيرَ وليس عندك غيرُها ؟ قال : سمعتُ الله تبارَك وتعالى يقول : ﴿ لكُمْ فيها خَيْر ﴾ .

وقيل لمحمد بن سُوقة [٧] : تحجُّ وعليك دَين ؟ قال : هو أقْضَى للدَّين .

---

(١) هو دهثم بن قُرّان العكلى . روى عن أبيه ويحيى بن أبى كثير ، وعنه أبو بكر بن عياش ، ومروان ابن معاوية الفزارى . تهذيب التهذيب . ما عدا ل : « وهشم » تحريف .

(٢) المدرعة ، بالكسر : ثوب من الصوف .

(٣) المطرف ، كمكرم ومنبر : رداء من خز مربع ، له أعلام . والخبر برواية أخرى فى عيون الأخبار (٢ : ٣٧٢) .

(٤) ما عدا ل : « قرحكم » . والحديث التالى سبق فى (٢ : ٢٤) .

(٥) سبقت ترجمته فى (١ : ٣٦٣) . ما عدا ل : « محرز بن صفوان » تحريف .

(٦) البدنة : ناقة أو بقرة تنحر بمكة ، سميت بذلك لأنهم كانوا يسمنونها فتبدن .

(٧) هو أبو بكر محمد بن سوقة الغنوى الكوفى العابد ، من خيار أهل الكوفة وثقاتهم ، روى عن أنس ونافع جماعة ، وروى عنه الثورى وابن المبارك وعطاء وغيرهم . قال سفيان : « كان محمد بن سوقة لا يحسِنُ أن يعصىَ الله » . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ٦٥) .

قال : ولقى ناسكٌ ناسكاً ومعه خُفٌّ فقال : ما تصنع بهذا ؟ قال:عُدَّة للشِّتاء . قال : كانوا يستحيُون مِن هذا .

قال أبو ذَرّ : تَخْضَمون ونَقْضَم (١) ، والموعِدُ الله .

قال الزُّبَير : يكفينا من خَضْمكم القَضْم (٢) ومن نَصِّكم العَنَق (٣) .

وقال أيمن بن خُرَيم (٤) :

رَجَوْا بالشِّقاق الأكلَ خضماً فقد رَضُوا
أخيراً منَ آكلِ الخَضْم أن يأكلوا قَضْما (٥)

وقال عمرو لمعاوية : مَن أصبَرُ الناس ؟ قال : مَن كان رأيُه رادًّا لهواه .

وتواصَفُوا حالَ الزَّاهد بحضرة الزُّهرى ، فقال الزُّهرىّ : « الزَّاهد من لم يغلب الحرامُ صبرَه ، ولا الحلالُ شُكرَه (٦) » .

قال : وذُكر عندَ أعرابىّ رجلٌ بشدّة الاجتهاد ، وكثرة الصَّوم ، وطُولِ الصلاة ، فقال : هذا رجُل سَوْءٍ ، أوَ ما يظنُّ هذا أنّ الله يرحمُه حتَّى يعذِّبَ نفسَه هذا التعذيب .

قال أبو بكر (٧) : ما ظَنُّك بخالق الكرامة لمن يريد كرامته وهو عليه قادر ؟ وما ظَنُّك بخالق الهوان لمن يريد هوانَه وهو عليه قادر ؟

---

(١) الخضم : الأكل بجميع الفم ، والقضم بأطراف الأسنان . وفى اللسان (خضم) : وفى حديث أبى هريرة أنه مر بمروان وهو يبنى بنياناً له ، فقال : ابنوا شديدا ، وأملوا بعيداً ، واخضموا فسنقضم » .

(٢) من خضمكم ، أى بدل خضمكم .

(٣) النص : أن تستخرج من الدابة أقصى سيرها . والعنق : ضرب من السير .

(٤) هو أيمن بن خريم بن الأخرم بن عمرو بن فاتك ، من شعراء الدولة الأموية ، ولأبيه صحبة برسول الله ورواية عنه . وقد جعله أبو الفرج فى الأغانى (٢١ : ٥) شيعياً ، ولكن المسعودى فى التنبيه والإشراف ٢٥٣ عدة عثمانياً . وبذلك يكون قد اضطرب بين التيارين .

(٥) ما عدا ل : « القضما » .

(٦) سبق هذا الخبر والذى قبله فى (٢ : ١٨٨) .

(٧) لعله أبو بكر الهذلى الخطيب القاص . انظر ترجمته فى (١ : ٣٥٧) .

وزعم أبو عَمرو الزَّعفرانيّ ، قال : كان عمرو بن عُبيد عند حَفْص بن سالم ، فلم يسأَلْهُ أحدٌ من أهله وحَشَمه حاجةً إلاَّ قال : لا . فقال عمرو : أَقِلَّ من قولِ لا ، فإنه ليس فى الجنَّةِ لا (١) .

قال : وقال عَمْرو : كان رسول الله ﷺ إذا سئل ما يَجدُ أعطى ، وإذا سئل ما لا يجد قال : يصنع الله (٢) .

١٧٧ قال : وقال عمر بن الخطاب رحمه الله : « أكثِرُوا لهُنَّ من قول لا ، فإنّ نعَمْ يُضَرِّيهنَّ عَلَى المسألة » . قال : وإنما يخصُّ بذلك عُمر النِّساء (٣) .

قال الحسن : أدركتُ أقواماً كانوا من حسناتهم أشفَقَ من أن تُرَدَّ عليهم ، منكم من سيِّئاتكم أن تعذَّبوا عليها (٤) .

قال أبو الدَّرداء : من يشترى منىٌّ عاداً وأموالَها بدرهم (٥) .

ودخل علىٌّ بن أبى طالب رضى الله عنه المقابرَ فقال : « أمَّا المنازل فقد سُكِنَتْ ، وأمَّا الأموالُ فقد قُسِمَتْ ، وأمَّا الأزواج فقد نُكِحَتْ . هذا خَبَر ما عندنا فما خَبَرُ ما عندكم ؟ ثم قال : « والذى نفسى بيده لو أُذِن لهم فى الكلام لأَخبَرُوا أنّ خيرَ الزّاد التَّقوَى » .

قال أبو سعيدٍ الزَّاهد : عَيَّرت اليهودُ عيسى بن مريم ﷺ الفَقْرَ فقال : « مِن الغِنى أُتيتُم » .

وقال آخر : لو لم يُعْرَفْ من شرف الفقر إلا أنّك لا ترى أحداً يعصِى الله ليفتقر (٦) . وهذا الكلام بعينه مدخول .

---

(١) فى عيون الأخبار (٣ : ١٣٧) : « فإن لا ليست فى الجنة » .

(٢) كلمة طيبة يرد بها السائل . والصنع : الرزق . اللسان (صنع ٨٠) . وانظر عيون الأخبار (٣ : ١٣٧) وما سبق فى (٢ : ١٩٠) . وعمرو هذا هو عمرو بن عبيد .

(٣) مضى الخبر فى (٢ : ١٩٠) .

(٤) سبق هذا القول فى ص ١٣٣ من هذا الجزء .

(٥) انظر النصَّ بكماله وصحته فى خطبته فى عيون الأخبار (٢ : ٣٣١) .

(٦) كذا ورد القول فى جميع النسخ . أى لكفاه ذلك شرفا .

قال : سأل الحجاج أعرابياً عن أخيه محمد بن يوسف ، كيف تركتَه ؟ فقال : تركتُه بَضًّا عظيما سمينا . قال : لستُ عن هذا أسألُك : قال تركتُه ظَلوماً غَشوما . قال : أوَ ما علمت أنَّه أخى ؟ قال : أتُراه بكَ أعزَّ منِّى بالله !

وقال بعضُهم : نجد فى زَبُور داود : « من بَلغَ السَّبعين اشتكى من غير عِلّة (١) » .

جعفر بن سليمان قال : قالَ محمد بن حَسّان النبطىّ : لا تسأل نفسَكَ العامَ ما أعطتْك فى العام الماضى (٢) .

أبو إسحاق بن المبارك قال : قيل لخالد بن يزيد بن معاوية : ما أقربُ شىء ؟ قال : الأجل . قيل : فما أبعَدُ شىءٍ ؟ قال : الأمل . قيل : فما أوْحَشُ شىء ؟ قال : الميِّت . قيل : فما آنَسُ شىءٍ ؟ قال : الصَّاحبُ المواتِى .

وقال آخر : نَسِىَ عامرُ بن عبد الله بن الزُّبير عطاءَه فى المسجد ، فقيل له : قد أُخذ . فقال : سُبحانَ الله ، وهل يأخذ أحدٌ ما ليسَ له (٣) .

جرير بن عبد الحميد (٤)، عن عطاء بن السَّائب ، عن عَبْدة الثقفى (٥) قال : لا يشهَد علىَّ اللَّيلُ بنومٍ أبداً ، ولا يشهد علىَّ النَّهارُ بأكل أبدا (٦) . فبلغ ذلك عُمرَ بنَ الخطاب فعزم عليه ، فكان يُفطِر فى العيدين وأيام التشريق .

وقال الحسَنُ بن أبى الحسن : يكون الرَّجُل عالماً ولا يكون عابدا ، ويكون

---

(١) عيون الأخبار (٢ : ٣٢٠) .

(٢) عيون الأخبار (٢ : ٣٢٠) .

(٣) ل : « أيأخذ أحد » . وقد سبق الخبر فى (٢ : ٣٤٩) .

(٤) هو جرير بن عبد الحميد بن قرط الضبى الرازى القاضى ، وكان من الثقات العباد أصحاب الليل . تهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة (٤ : ٦٨) .

(٥) عبدة بن هلال الثقفى ، ذكره فى صفة الصفوة (٣ : ٣٠) ، وروى له الخبر التالى .

(٦) فى صفة الصفوة : « لله على أن لا يشهد على ليل بنوم ، ولا شمس بِأكل » .

١٧٨ عابداً ولا يكون عاقلا . وكان مسلم بن يَسارٍ [١] عالما عابداً عاقلا [٢] .

وقال عُبادة بن الصامت : مِن الناس مَن أوتىَ عِلماً ولم يُؤْتَ حِلما . وشَدَّاد بن أوسٍ [٣] أُوتِىَ علماً وحلما .

قال إبراهيم : كان عمرُو بن عُبيدٍ عالماً عاقلا عابداً ، وكان ذا بيان ، وصاحبَ قرآن .

إبراهيم بن سعد ، عن [٤] أبى عبد الله القَيسىّ قال : قال أبو الدَّرداء : لا يُحرِزُ المؤمنَ من شِرار الناس إلاّ قبرُه .

وقال عيسى بن مريم صلوات الله عليه : « الدُّنيا لإبليس مزرعة ، وأهلُها له حَرَّاثُون » .

عبد الملك بن عمير [٥] ، عن قَبيصه بن جابر [٦] قال : « ما الدنيا فى الآخرة إلاّ كنفجة أرنب [٧] » .

قال عمر رحمه الله : « لولا أنْ أَسِير فى سبيل الله ، وأضَعَ جبهتى لله ، وأجالِسَ

---

(١) سبقت ترجمته فى (١ : ٣٤٢) . ما عدا ل : « مسلم بن بدر » تحريف .

(٢) مضى الخبر فى (١ : ٢٣٢) .

(٣) سبقت ترجمته وخبر له مع عبادة بن الصامت فى (١ : ١٩١) .

(٤) إلى هنا ينتهى سقط التيمورية الذى بدأ فى ص ١٤٨ س ٩ .

(٥) سبقت ترجمته فى (١ : ٥٦) . وفى النسخ « عبد الله بن عمير » تحريف صوابه فى الحيوان (٦ : ٣٥٢) حيث الخبر .

(٦) هو قبيصة بن جابر بن وهب بن مالك بن عميرة الأسدى ، روى عن جماعة من الصحابة . وعنه : الشعبى ، وعبد الملك بن عمير ، والعريان بن الهيثم وغيرهم . وفى تهذيب التهذيب : « قال عبد الملك بن عمير : عن قبيصة بن جابر ، ألا أخبركم بمن صحبت ؟ صحبت عمرو بن العاص فما رأيت أتم ظرفا منه ، وصحبت معاوية فما رأيت أكثر حلما منه ، وصحبت زياداً فلم أر أكرم جليسا منه ، وصحبت المغيرة فلو أن مدينة لها أبواب لا يخرج من كل باب منها إلا بالمكر لخرج من أبوابها كلها » .

(٧) فيما عدا ل : « الأرنب » . وفى اللسان : « نفج الأرنب ، إذا ثار » . وقد روى هذا الحديث فيه بلفظ « عند الآخرة » . وعقب عليه بقوله : « أى كوثبته من مجثمه يريد تقليل مدتهم » .

أقواماً ينتقون أحسنَ الحديث كما يُنتقَى أطايبُ التَّمْر ، لم أُبالِ أن أكون قد مُتُّ [١] » .

قال عامرُ بنُ عبدِ قيس [٢] : ما آسَى من العراق إلا على ثلاث : ظمإِ الهواجر ، وتجاوُب المؤذِّنين ، وإخوانٍ لى منهم الأسود بن كلثوم [٣] .

قال مُوَرِّق العِجلى [٤] : ضاحكٌ معترفٌ بذنْبه خيرٌ من باكٍ مُدِلٍّ على ربِّه

وقال : خيرٌ من العُجْب بالطاعة ، أن لا تأتى بطاعة .

قالوا : كان الربيع بن خُثَيم [٥] يقول : لا تطعِمْ إلاَّ صحيحاً ، ولا تَكسُ إلاّ جديداً ، ولا تُعتِقْ إلاّ سوياً .

قال بعض الملوك لبعض العلماء : ذمَّ لى الدُّنيا . فقال : أيُّها الملك ، الآخذةُ لما تعطى ، المُورِثَةُ بعد ذلك النّدم ، السّالبةُ ما تكسو ، المُعْقبةُ بعد ذلك الفُضوحَ ، تَسدُّ بالأَرَاذِل مكانَ الأفاضل ، وبالعَجَزة مكانَ الحَزَمة . تجد فى كلٍّ من كُلٍّ خَلَفاً ، وترضى من كلٍّ بكلٍّ بَدَلا . تُسكِن دارَ كلٌّ قَرنٍ قَرنا ، وتطعم سُؤرَ كلٌّ قومٍ قوما .

وكان سعيد بن أبى عَروبة [٦] يُطعم المساكينَ السُّكَّر [٧] ، ويتأوَّل قوله عزَّ وجلّ : ﴿ ويُطْعِمُون الطَّعَامَ عَلَى حُبِّه ﴾ .

قال . وكان محمد بن علىٍّ [٨] إذا رأى مبتلًى أخفى الاستعاذة . وكان

---

(١) الخبر فى عيون الأخبار : (١ : ٣٠٨) .

(٢) سبقت ترجمته فى (١ : ٨٣) . والخبر فى عيون الأخبار (١ : ٣٠٨) .

(٣) مضت ترجمته فى (١ : ٣٦٣) كما سبق الخبر فى (٢ : ١٩٦) .

(٤) ترجم فى (١ : ٣٥٣) ومضى قول مورق (فى ٢ : ١٩٨) .

(٥) ترجم فى (١ : ٣٦٣) . وفى الأصل : « خيثم » ، وصواب اسمه « خثيم » .

(٦) سعيد بن أبى عروبة ، ترجم فى (١ : ٣٦٩) .

(٧) مثله ما روى عن الربيع بن خثيم ، أنه كان إذا أتاه سائل قال : أطعموه سكرا فإنى أحب السكر صفة الصفوة (٣ : ٣٥) .

(٨) محمد بن على بن الحسين بن على أبو جعفر الباقر ، ترجم فى (٢ : ٢٦٢) ، والخبر فى عيون الأخبار : (٢ : ٢٠٨) .

لا يُسَمع من داره : يا سائلُ (١) بُورِكَ فيك ، ولا ياسائلُ خُذْ هذا . وكان يقول : سمُّوهم بأحسنِ أسمائهم (٢) .

قال : وتمنَّى قومٌ عند يزيدَ الرَّقاشيِّ (٣) ، فقال يزيد : سأتمنَّى كما تمنَّيتم . قالوا : تَمَنَّ . قال : ليتنا لم نُخْلَق ، وليتنا إذْ خُلقنا لم نمت ، وليتنا إذْ مُتْنَا لم نُبْعَث ، وليتنا إذْ بُعثنا لم نُحاسَب ، وليتَنا إذْ حُوسبْنا لم نُعَذَّبْ ، وليتنا إذ عُذِّبنا لم نُخَلَّدْ . ١٧٩

قال : وقال رجُلٌ لأمِّ الدَّرداء (٤) : إنى أجد فى قلبى داءً لا أجد له دواءً ، وأجدُ قسوةً شديدة ، وأملًا بعيداً . قالت : اطَّلِع القُبورَ ، واشهد الموتَى .

ابن عَون قال : قلت للشَّعبىّ : أين كان علقمةُ (٥) من الأسود (٦) ؟ قال : كان الأسود صَوَّاماً قوّاماً ، وكان علقمة مع البطىء وهو يسبق السريع (٧) .

قال : وقيل لغالب بن عبد الله الجَهْضَمى : إنَّا نَخافُ على عينيك العمى من طُول البكاء . قال : هو لهما شهادة (٨) .

---

(١) ما عدا ل ، هـ : « للسائل » .

(٢) فى عيون الأخبار : « ويقول : سموهم بالحسن الجميل عباد الله . فتقولون يا عبد الله بورك فيك » .

(٣) يزيد بن أبان الرقاشى ، المترجم فى (١ : ٢٠٤) .

(٤) سبقت ترجمتها فى (١ : ٣٦٥) .

(٥) هو علقمة بن قيس بن عبد الله النخعى الكوفى ، ولد فى حياة الرسول ، وكان ناس من الصحابة يسألونه ويستفتونه . ويروى أنه قرأ القرآن فى ليلة . وقد شهد صفين وغزا خراسان وأقام بخوارزم سنتين ، ودخل مرو فأقام بها مدة . وهو عم الأسود وعبد الرحمن ابنى يزيد بن قيس ، وكانا أسن منه . توفى سنة ٦٢ . تهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة (٣ : ١٣ – ١٤) والإصابة ٦٤٤٨ .

(٦) الأسود بن يزيد بن قيس ، وهو ابن أخى علقمة ، كما سبق القول . وكان من العباد ، يروَى أنه كان يصوم الدهر ، وذهبت إحدى عينيه من الصوم . توفى سنة ٧٤ . الإصابة ٤٥٧ وتهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة (٣ : ١١) .

(٧) انظر مفاضلة أخرى بينهما فى تهذيب التهذيب (٧ : ٢٧٧) .

(٨) الخبر فى عيون الأخبار (٢ : ٢٩٦) .

محمد بن طلحة بن مُصرِّف (١) ، عن محمد بن جُحَادة (٢) ، قال : لمَّا قُتل الحسين رضى الله عنه أتى قومٌ الربيع بن خُثَيم فقالوا : لنستخرجنَّ اليومَ منه كلاماً . فقالوا : قُتِلَ الحُسَين . قال : الله يحكُم بينهم يومَ القيامة فيما كانوا فيه يَخْتَلِفون .

وأتته بُنَيّةٌ له فقالت : يا أبَهْ ، أذهَبُ ألعب ؟ قال : اذهبى فقولى خيراً وافعلى خيراً .

وقال أبو عُبيدة : استقبل عامرَ بنَ عبدِ قيسٍ رجلٌ فى يوم حَلْبةٍ ، فقال : مَن سبَقَ يا شيخ ؟ قال : المقرَّبون (٣) .

علىٌّ بن سُلَيم ، قال : قيل للربيع بن خُثَيم (٤) : لو أرَحْتَ نفسَك ؟ قال : راحتَها أريد ، إنّ عمرَ كان كيِّساً (٥) .

وقال أبو حازم : ليتَّق اللهَ أحدُكم على دينه ، كما يتَّقى على نَعله .

جعفر بن سُليمان الضُّبَعىّ (٦) ، قال : أتى مُطرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير ، فجلس مجلسَ مالك بن دينار وقد قام ، فقال أصحابُه : لو تكلَّمتَ ؟ قال : هذا ظاهرٌ حسن ، فإنْ تكونُوا صالحينَ فإنّه كان لِلأوَّابينَ غَفُوراً .

---

(١) ما عدا ل : « بن مضرب » تحريف . وهو محمد بن طلحة بن مصرف اليامى الكوفى ، روى عن الأعمش وحميد الطويل . توفى سنة ١٧٦ . تهذيب التهذيب ، وخلاصة التذهيب ٢٨٢ والسمعانى ٥٩٧ .

(٢) محمد بن جحادة الإيامى الكوفى ، روى عن أنس وعطاء ونافع ، وكان زاهداً يلبس الخلقان يغسلها ، وكان يغلو فى التشيع . توفى سنة ١٣١ . تهذيب التهذيب وخلاصة التذهيب ٢٨١ والسمعانى ٥٤ . والإيامى نسبة إلى إيام : وهو بطن من همدان ، ويقال لهم أيضاً « يام » كما نص السمعانى . وإيام ، ضبط فى القاموس ككذاب ، أى بكسر الهمزة وتشديد الياء .

(٣) وكذا نسب الخبر فى عيون الأخبار (٢ : ٣٧٠) إلى عامر بن عبد قيس ، لكن سبقت نسبته فى (٢ : ٢٨٢) إلى بلال مولى أبى بكر .

(٤) ماعدا هـ : « خيثم » وكذا خلاصة التذهيب . والصواب « خثيم » . قال ابن دريد فى الاشتقاق ١١٢ : « وخثيم تصغير أخثم – يريد تصغير ترخيم – والأخثم : العريض الأنف . ومنه اشتقاق خيثمة » . وقد ضبطه كذلك ابن حجر فى تقريب التهذيب .

(٥) الخبر فى عيون الأخبار (٢ : ٣٧١) .

(٦) سبقت ترجمته فى (٢ : ١٧٣) .

وقال رجلٌ لآخرَ وباع ضيعةً له :أمَا واللهِ لقد أخذتَها ثقيلةَ المَئُونة قليلة المُعونة . فقال الآخر : وأنت واللهِ لقد أخذتَها بطيئةَ الاجتماع ، سريعة التفرُّق .

واشترى رجلٌ من رجلٍ داراً فقال لصاحبه : لو صبرتَ لاشتريتُ منك الذِّراعَ بعشرة دنانير . قال : وأنت لو صبرتَ لبعتك الذِّراعَ بدرهم .

ورأى ناسكٌ ناسكاً فى المنام فقال له : كيف وجدتَ الأمرَ يا أخى ؟
١٨٠ قال : وجَدْنا ما قدَّمْنا ، ورَبِحنْا ما أنفَقْنا ، وخسرنا ما خَلَّفنا .

وقال بكرُ بن عبد الله المُزَنىّ : اجتهدوا فى العَمَل ، فإنْ قصَّرَ بكم ضعفٌ فكفُّوا عن المعاصى .

قال : وقال أعرابىّ : إنه ليقتُل الْحُبارَى جُوعاً ظُلْمُ الناسِ بعضِهم لبعض [١] .

قال : قيل لمحمَّد بن علىّ [٢] : مَن أشدُّ الناس زُهداً ؟ قال : مَن لا يُبالى الدُّنيا فى يَدِ مَن كانت .

وقيل له : مَن أخسرُ الناسِ صَفْقَةً ؟ قال : مَن باعَ الباقىَ بالفانى .

وقيل له : مَن أعظم النّاس قدراً ؟ قال : مَن لا يرى الدُّنيا لنفسه قدْراً .

الأصمعىّ ، عن شيخٍ من بكر بن وائل ، أنّ هانىءَ بنَ قَبيصة [٣] ، أتى حُرقَةَ بنتَ النُّعمان وهى باكية ، فقال لها : لعلّ أحداً آذاك ؟ قالت : لا ، ولكنِّى رأيتُ غَضارةً فى أهلكم [٤] ، وقلَّما امتلأت دارٌ سروراً إلاّ امتلأت حزنا .

وقالوا : يَهرَم ابنُ آدمَ وتشِبُّ لهُ خَصلتان [٥] : الحِرْص والأمل .

---

(١) فى الحيوان (٥ : ٤٤٤) : « هزلا » بدل « جوعا » . وقد فسر الجاحظ الخبر بقوله : « يقول : إذا كثرت الخطايا منع الله عز وجل در السحاب . وإنما تصيب الطير من الحب ومن الثمر على قدر المطر » .

(٢) هو محمد بن على بن الحسين بن على ، أبو جعفر الباقر ، المترجم فى (٢ : ٢٦٢) .

(٣) هانئ بن قبيصة الشيبانى ، كان شريفاً عظيم القدر ، وكان نصرانياً ، وأدرك الاسلام فلم يسلم ، ومات بالكوفة . الاشتقاق ٢١٦ .

(٤) الغضارة : النعمة والسعة فى العيش . وقد سبق الخبر فى ١٤٥ ، برواية : « رأيت لأهلك غضارة » .

(٥) هـ : « خلتان » .

الأصمعى ، قال : قال محمد بن واسع (١) : ماآسَى من الدُّنيا إلاّ على ثلاث : بُلْغَةٍ من عيشٍ ليس لأحد فيها علَىَّ مِنّة ولا لله فيها علىَّ تبعة ، وصلاةٍ فى جَمْعٍ (٢) أُكفَى سَهوهَا ويُدَّخر لى أجرُها ، وأخٍ فى الله إذا ما اعوجَجْتُ قوَّمَنى .

وقال آخر : ماآسى من العراق إلا على ثلاث : ليل الحَزِيز (٣) ، ورُطب السُّكَّر ، وحديث ابنِ أبى بكرة (٤) .

وقال آخر : إذا سمعتَ حديث أبى نَضْرَةَ (٥) ، وكلامَ ابن أبى بكرة ، فكأنك مع ابن لسانِ الحُمَّرَة (٦) .

وقال أبو يعقوب الخريمىّ الأعور (٧) : تَلقّانى مع طُلوع الشّمس سعيدُ

---

(١) محمد بن واسع الأزدى ، ترجم فى (١ : ٣٥٣) .

(٢) يعنى صلاة الجماعة . وفى صفة الصفوة ٣ : ١٩٤ : « وصلاة فى جماعة يحمل عنى سهوها ، وأفوز بفضلها » .

(٣) ما عدا ل : « الحريق » تحريف . وفى هامش هـ ، ب والتيمورية : « حكى الجاحظ فى كتاب الأمثال : بالبصرة موضع يقال له الحريق (صوابه الحزيز) لم ير الناس قط هواء أعدل ، ولا نسيما أرق ، ولا سماء أطيب من ذلك الموضع » .

(٤) سبق الخبر فى (٢ : ١٩٦) . وقد أورده ابن قتيبة فى عيون الأخبار (١ : ٣٠٨) . وابن أبى بكرة هذا ، هو عبيد الله ، المترجم فى (١ : ١٧٣) حيث قال الجاحظ عند الكلام على ابن الزبير : « وكيف يكون هذا وقد ذكروا أنه كان من أحسن الناس حديثاً ، وأن أبا نضرة وعبيد الله بن أبى بكرة إنما كانا يحكيانه » .

(٥) أبو نضرة ، سبقت ترجمته فى (١ : ١٧٣) .

(٦) ابن لسان الحمرة ، اسمه عبيد الله بن الحصين ، أو ورقاء بن الأشعر ، كما فى القاموس والمعارف ٢٣٣ . وفى الفهرست ١٣٢ : « وقاء » وهو تحريف . وكان يكنى أبا كلاب ، كما فى الحيوان (٢ : ٢٠٠) . وهو أعرابى من بنى تيم الله بن ثعلبة ، وكان من علماء زمانه . قال ابن قتيبة : « وكان أنسب العرب وأعظمهم بصراً » . دخل الكوفة وعليها المغيرة بن شعبة ، فسأله المغيرة عن طبائع قبائل من العرب ، وعن خلق النساء ، فأجاب أجوبة ممتعة ، سردها أبو الفرج فى الأغانى (١٤ : ١٣٨) . وسأله معاوية يوماً فقال له : بم نِلتَ العلم ؟ قال : بلسان سئول ، وقلب عقول . انظر حياة الحيوان للدميرى فى ترجمته « الحمرة » . والحمرة : طائر يشبه العصفور .

(٧) ترجم أبو يعقوب الخريمى فى (١ : ١١ ، ١١٥) . والخبر فى عيون الأخبار (٢ : ١٢٨) .

ابن وهب ، فقلت : أين تريد ؟ قال : أدور على المجالس فلعلّى أسمع حديثاً حسنا . ثمَّ لمْ أجاوزْ بعيداً حتّى تلقّانى أنس بن أبى شيخ [١] ، فقلت له : أين تريد ؟ قال : عندى حديثٌ حَسن فأنا أُطلُب له إنساناً حسنَ الفهم ، حسنَ الاستماع . قال : قلت : حدِّثنى فأنا كذاك [٢] . قال : أنت حسن الفهم ردىء الاستماع ، وما أرى لهذا الحديث إلاّ إسماعيل بن غزوان [٣] .

١٨١ هشام ، قال : أخبرنى رجلٌ من أهل البصرة قال : وُلد للحسن بن أبى الحسن غلامٌ ، فقال له بعض جُلَسائه : بارك الله لك فى هِبَته ، وزادك فى أحسَنِ نعمته . فقال الحسن : الحمد الله على كلِّ حَسنة ، وأسأل اللهَ الزيادةَ فى كلِّ نِعمة ، ولا مرحباً بمن إن كنت عائلاً أنصبَنى [٤] ، وإن كنت غنيًّا أذهلَنى ، لا أرضَى بسعيى له سَعْيا ، ولا بكدِّى له فى الحياة كَدًّا ، حتَّى أُشفقُ عليه من الفاقة بعد وفاتى ، وأنا فى حالٍ لا يصل إلىَّ من همِّه حَزَنٌ ، ولا من فرحه سرور .

قال الحسن للمغيرة بن مُخارِش التميمى : إنَّ مَن خوّفك حتَّى تلقَى الأمنَ ، خيرٌ لك ممَّن أمّنك حتَّى تلقَى الخوف .

وقال عَون بن عبد الله بن عُتْبة بن مسعود : ماأحسَنَ الحسنةَ فى إثر الحسنة ، وأقبَحَ السيِّئة فى إثر السيِّئة .

الحسن قال : ما رأيتُ يقيناً لا شكَّ فيه أشبَهَ بشكٍّ لا يقينَ فيه من أمرٍ نحن فيه .

---

(١) ترجم فى (٢ : ٢٥٢) .

(٢) ل : « كذلك » .

(٣) إسماعيل بن غزوان هذا ممن ردد الجاحظ ذكرهم فى كتابه « البخلاء » وكثيراً مايقرنه بسهل ابن هارون . وكان ممسكا شديد البخل . انظر البخلاء ١٣٠ .

(٤) العائل : الفقير . والعيلة : الحاجة والفقر . ل : « أتعبنى » . أنصبه : أتعبه .

قال : وكان الحسن إذا ذكر الحَجَّاج قال : يتلو كتاب الله على لَخمٍ وجُذام ، ويعِظ عِظةَ الأزارقة ، ويبطِش بطشَ الجبَّارين .

وكان يقول : اتَّقوا الله ؛ فإنَّ عند الله حَجَّاجينَ كثيراً .

وقال سِنان بن سلمة بن قيس [١] : اتقّوا الله ؛ فإن عند الله أياماً مثل شوَّال [٢] .

وقال خالدُ بن صَفْوان : بتُّ ليلتى كلَّها أتمنَّى ، فكَبَسْتُ [٣] البحرَ الأخضرَ بالذَّهب الأحمر ، فإذا الذى يكفينى من ذلك رَغِيفان ، وكوزانِ ، وطِمْران [٤] .

وكان الحسن يقول : إنَّكم لا تنالون ماتحبُّون إلاّ بتَرْك ماتشتهون ، ولا تدركون ما تؤمِّلون إلاّ بالصَّبر على ما تكرهون .

ودخل قومٌ على عوف بن أبى جَمِيلة [٥] فى مرضه ، فأقبلوا يُثنون عليه ، فقال : دعُونا من الثَّناء ، وأمِدّونا بالدُّعاء .

وقال أبو حازم : نحن لا نريدُ أنْ نموت حتى نتوب ، ونحن لا نتوب حتَّى نموت .

وكان الحسن يقول : يا ابنَ آدم ، نهارُك ضيفُك فأحسِنْ إليه ؛ فإنَّك إنْ أحسنت إليه ارتَحَل بِحمدك ، وإن أنت أسأتَ إليه ارتَحَل بذمِّك . وكذلك ليلُك .

وقيل لبعض العلماء : مَن أسوأ النّاسِ حالا ؟ قال : عبد الله بن عبد الأعلى ١٨٢

---

(١) ما عدا ل : « وكان سنان بن سلمة بن قيس يقول » .

(٢) إشارة خاصة إلى الطاعون الجارف الذى حصل بالعراق فى شوال سنة تسع وستين . النجوم الزاهرة ١ : ١٨٢ - ١٨٣ والمعارف ٢٥٩ - ٢٦٠ . وجاء فى كتاب التعازى والمراثى للمبرد بعد أن تكلم على الطاعون الجارف فى شوال سنة ٦٩ : ثم خف الطاعون وخليفة مصعب بن الزبير على البصرة سنان بن سلمة الهمدانى ، فخطب الناس فقال : اتقوا الله أيها الناس فإن عند الله أياماً مثل شوال » .

(٣) هـ : « فكسبت » وفى سائر النسخ ماعدا ل : « فكسيت » تحريف ، وفى هامش التيمورية : « فملأت . نسخة ، فكسوت . نسخة » .

(٤) الطمر ، بالكسر : الثوب الخلق .

(٥) ترجم فى (٢ : ٣٧) .

الشَّيْبانىّ ، القائلُ عند موته : دخلتُها جاهلاً ، وأقمتُ فيها حائراً ، وأُخرِجت مِنْها كارهاً — يعنى الدنيا .

وقيل لآخر : مَن أسوأُ النّاسِ حالاً ؟ قال : مَنْ قويت شهوته وبعُدت همته ، واتّسعت معرفتُه وضاقت مقدرته .

وقيل لآخر : مَن شرُّ الناس ؟ قال : مَن لا يبالى أن يراه النّاس مسيئاً .

وقيل لآخر : مَن شرُّ الناس ؟ قال : القاسى . فقيل : أيُّما شرٌّ ، الوَقَاحُ (١) أمِ الجاهل ، أم القاسى ؟ قال : القاسى .

وذَكَر أبو صفوانَ ، عن البَطَّال أبى العلاء ، من بنى عمرو بن تميم قال : قيل له قبلَ موته : كيف تَجِدُك ياأبا العلاء ؟ قال : أجِدُنى مغفوراً لِى . قالوا : قُلْ إنْ شاء الله . قال : قد شاء الله . ثمّ قال :

أوصيكُمُ بالجِلَّة التلادِ (٢) فإنَّما حَولكـمُ الأعـادِى

قال ابن الأعرابىّ : كان العبّاس بن زفر (٣) لا يكلِّم أحداً حتَّى تنبسط الشمس ، فإذا انفتل عَن مُصلَّاه ضَرَبَ الأعناق ، وقطَّعَ الأيدىَ والأرجُل . وكان جريرُ بن الخَطَفَى لا يتكلَّم حتَّى تطلُعَ الشَّمس ، فإذا طلعَتْ قذَف المحصَنات .

قال : ومرّت به جِنازةٌ فبكى وقال : أحرقَتْنى هذه الجنائز (٤) ! قيل : فلم تَقذِف المحصَنات ؟ قال : يبدو لى ولا أصبرِ .

وكان يقول : أنا لا أبتدى ولكن أعتدِى (٥) .

---

(١) الوقاح ، كسحاب : القليل الحياء .

(٢) الجلة : المسان من الإبل . والتلاد : كل مال قديم يورث عن الآباء .

(٣) كان للعباس بن زفر صلة بالمأمون قبل الخلافة . انظر الأغانى (١٢ : ٢٠ – ٢١) .

(٤) ما عدا ل ، هـ : « الجنازة » بالإفراد .

(٥) فى الحيوان (٣ : ٩٩) . « ولكنى أعتدى » . والنص فى الحيوان مسبوق بقوله : « وقيل لجرير : إلى كم تهجو الناس ؟ » . والاعتداء هنا بمعنى المجازاة ، مثله فى قوله الله : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » . وفى العقد ٥ : ٢٩٦ : « لست بمبتدىء » ولكنى معتد . يريد أنه يسرف فى القصاص » . وفى التمثيل والمحاضرة ١٨٤ : « ولكن أقتدى » .

الحسن بن الرَّبيع الكِندى بإسنادٍ له ، قال : قال رجلٌ للنبى ﷺ وسلم : دُلَّنى على عملٍ إذا أنا عمِلتُه أحبَّنى الله وأحبَّنى النّاس . قال : « ازهَدْ فى الدُّنيا يُحبَّك الله ، وازهَدْ فيما فى أيدِى الناس يحبَّك النّاس » .

قال : وبلغنى عن القاسم بن مُخَيمِرَةَ الهمْدَانى (١) ، أنه قال : إنى لأُغلق بابى فما يُجاوِزُه هَمٌّى (٢) .

وقال أبو الحسن : وُجد فى حجرٍ مكتوبٍ : يا ابن آدم ، لو أنَّك رأيتَ يسيرَ ما بقى مِن أجَلك لزهِدْتَ فى طول ما ترجو من أمَلك ، ولرغِبْتَ فى الزِّيادة فى عملك ، ولَقصرْتَ من حرصك وحِيَلك . وإنّما يلقاك غداً ندمُك ١٨٣
لوقد زلّتْ بك قدمك ، وأسلَمكَ أهلُك وحَشَمُك ، وتبرّأ منك القريب ، وانصرَف عنك الحبيب ، فلا أنتَ إلى أهلك بعائدٍ ، ولا فى عملك بزائد .

وقال عيسى بنُ مريم صلوات الله عليه : « تعملون للدُّنيا وأنتم تُرزقون فيها بغير العمل ، ولا تعملون للآخرة وأنتم لا ترزقون فيها إلا بالعمل » .

قال : أوحى الله تبارك وتعالى إلى الدُّنيا : من خَدَمنى فاخدُميه ، ومن خَدمك فاستخدميه (٣) .

وقال : مِن هوان الدُّنيا على الله أنه لا يُعصَى إلاّ فيها ، ولا يُنال ما عنده إلا بتركها .

---

(١) مخيمرة ، ضبطه فى الخلاصة بضم الميم الأولى وفتح الثانية . لكن قواعد التصغير تقتضى كسر ما بعد الياء فى مثله . وهو بالخاء المعجمة . وفيما عدا ل : « محيمرة » بالمهملة ، تحريف . وهو أبو عروة القاسم بن مخيمرة الهمدانى الكوفى ، كان معلماً بالكوفة ثم سكن الشام . روى عن عبيد الله بن عمرو بن العاص ، وأبى سعيد الخدرى ، وشريح بن هانئ وغيرهم . وتوفى سنة مائة . تهذيب التهذيب ، وخلاصة التذهيب ٢٦٧ وصفة الصفوة (٣ : ٥٢) .

(٢) فى صفة الصفوة : « قال القاسم بن مخيمرة : ما اجتمع على مائدتى لونان من طعام واحد ، ولا أغلقت بابى ولى خلفه هم » .

(٣) انظر عيون الأخبار (٢ : ٣٢٩) .

قال : مرَّ عيسى بن مريم عليه السلام بقوم يبكون ، فقال : ما بالهم يبكون ؟ فقالوا : على ذنوبهم . قال : « اتركوها يُغفَرْ لكم (١) » .

قال : وقال زياد بن أبى زياد ، مولى [عبد الله بن] عَيّاش بن أبى ربيعة (٢) : دخلت على عمر بن عبد العزيز ، فلما رآنى تَزَحَّل عن مجلسه (٣) وقال : إذا دخل عليك رجلٌ لا ترى لك عليه فضلاً فلا تأخُذْ عليه شرفَ المجلس .

وقال الحسن : « إنّ أهل الدنيا وإنّ دقدقت بهم الهماليج (٤) ، ووطىءَ الناسُ أعقابَهم ، فإنَّ ذُلَّ المعصية فى قلوبهم » .

قالوا : وكان الحجّاج يقول إذا خطب : « إنّا والله ما خُلقنا للفَناء ، وإنّما خُلقنا للبقاء ، وإنّما ننقل من دارٍ إلى دار » . وهذا من كلام الحسن .

ولما ضَرب عبد الله بن علىّ (٥) تلك الأعناقَ قال له قائل : هذا والله جَهْدُ

---

(١) ما عدا ل : « تغفر لكم » .

(٢) التكملة مما سبق من التحقيق فى ص ١٢٦ . وفيما عدا ل ، هـ : « بن ربيعة » تحريف والخبر فى عيون الأخبار (١ : ٣٠٧) .

(٣) تزحل عن مجلسه : تنحى وتباعد . ل : « ترجل » وفى التيمورية « ترخل » صوابهما ما أثبت من هـ ، ب ، حـ . وفى عيون الأخبار : « رحل » .

(٤) الدقدقة : حكاية أصوات حوافر الدواب فى سرعة ترددها . والهماليج : جمع هملاج ، وهو البرذون الحسن السير فى سرعة وبخترة .

(٥) هو عبد الله بن على بن عبد الله بن العباس ، عم أبى العباس السفاح وأبى جعفر المنصور . ولاه أبو العباس حرب مروان بن محمد ، فسار إليه حتى قتله واستولى على بلاد الشام . ولم يزل أميراً عليها مدة خلافة السفاح ، فلما ولى المنصور خالف عليه ودعا إلى نفسه ، فوجه إليه المنصور أبا مسلم صاحب الدولة فحاربه بنصيبين ، فانهزم عبد الله بن على واختفى وصار إلى البصرة ، فأشخصه سليمان بن على والى البصرة إلى بغداد ، فحبسه جعفر ، ولم يزل فى حبسه ببغداد حتى وقع عليه البيت الذى حبس فيه فقتله ، وذلك سنة ١٤٧ . تاريخ بغداد ٥١١٨ والمعارف ١٦٣ – ١٦٤ . وذكر المسعودى فى التنبيه والإشراف ٢٨٥ أن عبد الله بن على قتل من الأمويين على نهر أبى فطرس بفلسطين نحواً من ثمانين رجلا مُثْلةً ، واحتذى أخوه داود ابن على بالحجاز فعله ، فقتل نحواً من هذا العدد بأنواع المُثَل .

البَلاء ؟ فقال عبدُ الله : ما هذا وشَرْطَةُ الحَجَّام إلاّ سَواءٌ : وإنّما جَهدُ البلاءِ فقرٌ مُدقِع بعد غِنىً مُوسَع .

وقال آخر : أشدُّ من الخوف الشيء الذى من أجله يَشتدُّ الخوف .

وقال آخر : أشدُّ من الموت ما يُتمنَّى له الموت ، وخيرٌ من الحياة ما إذا فقدتَه أبغضتَ له الحياة .

وقال أهل النار : ﴿ يا مالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنا رَبُّكَ ﴾ ، فلمّا لم يُجابُوا إلى الموت قالوا : ﴿ أَفيضُوا عَلَينَا مِنَ الماءِ ﴾ .

وقالوا : ليس فى النار عذابٌ أشدُّ على أهله من علمهم بأنّه ليس لكربهم تَنْفيس ، ولا لِضيقهم ترفيه ، ولا لعَذابهم غاية . ولا فى الجنة نعيمٌ أبلغُ من علمهم أنّ ذلك المُلْكَ لا يزُول .

قالوا : قارف الزُّهرىُّ ذنباً ، فاستوحش من الناس وهام على وجهه ، فقال ١٨٤
له زَيد بن علىّ : يا زُهرىُّ ، لَقُنُوطُكَ من رحمة الله التى وسِعَتْ كلَّ شىءٍ أشدُّ عليك من ذَنْبك ! فقال الزهرىّ : ﴿ اللهُ أعلمُ حيثُ يَجْعَل رِسالاته [١] ﴾ . فرجع إلى ماله وأهله وأصحابه .

قال ابن المبارك : أفضَلُ الزهد أخفاه .

الأوزَاعىّ ، عن مكحول قال : إنْ كان فى الجماعة الفضيلةُ فإنّ فى العُزلة السَّلامةَ .

إسماعيل بن عَيَّاش ، عن عبد الله بن دينار [٢] ، قال : قال النبى ﷺ : « إنّ الله كرِهَ لكُمُ العبث فى الصلاة ، والرَّفَث فى الصيام ، والضَّحِكَ فى المقابر » .

---

(١) من الآية ١٢٤ فى الأنعام . وهذه قراءة جمهور القراء . وقرأ ابن كثير وحفص وابن محيصن : (رسالته) بالإفراد . إتحاف فضلاء البشر ٢١٦ .

(٢) سبقت ترجمته وترجمة إسماعيل فى (٢ : ٢٣) حيث سلف الخبر .

وقال أَرْدَشِير خُرَّهْ (١) : احْذَروا صولةَ الكريم إذا جاع ، واللئيمِ إذا شَبِـعَ .

قال واصل بن عطاء : المؤمن إذا جاع صَبَر ، وإذا شبع شَكَر .

وقيل لعامر بن عبد قيس : ما تقول فى الإنسان ؟ قال : ما عسى أن أقولَ فيمن إذا جاع ضَرَع ، وإذا شبِـع طغى .

قال : ونظر أعرابىٌّ فى سَفَره إلى شيخٍ قد صحِبَه ، فرآه يصلِّى فسكَنَ إليه ، فلما قال : أنا صائم ، ارتابَ به ، وأنشأ يقول :

صلَّى فأعجبنى وصامَ فرابَنِى نَحِّ القَلوصَ عن المصلِّى الصائمِ (٢)

وهو الذى يقول :

لم يخلقِ اللهُ مسجوناً تُسَائِلُه ما بالُ سجنِك إلاّ قال : مظلومُ (٣)

* * *

الثورى ، عن حبيب بن أبى ثابت (٤) ، عن يحيى بن جَعْدة (٥) ، قال : كان يقال : اعمَلْ وأنت مُشفِق ، ودَع العمَل وأنت تحبُّه .

---

(١) كذا . والمعروف أن « أرد شير خُرّه » اسم كورة من كور فارس ، ومعناه بهاء أردشير . معجم البلدان ، واستينجاس ٣٥ . فلعل كلمة « خره » مقحمة ، أو محرفة عن كلمة « مَرّة » . وأردشير بن بابك معروف بالحكمة ، وقد اختار ابن قتيبة طائفة من أقواله فى عيون الأخبار .

(٢) القلوص : الفتية من الإبل . ما عدا ل : « عدّ القلوص » . وانظر الأشربة لابن قتيبة ٧٧ .

(٣) وكذا فى الحيوان (٢ : ١٠٦) . وفى عيون الأخبار (١ : ٧٩ / ٢ : ١١٦) .

ما يدخل السجن إنسان فتسأله ما بال سجنك إلا قال مظلوم

(٤) هو حبيب بن أبى ثابت قيس بن دينار الأسدى الكوفى . روى عن ابن عمر ، وابن عباس ، وأنس وغيرهم ، وروى عنه : الأعمش ، والثورى ، وشعبة وغيرهم . توفى سنة ١١٩ . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ٥٩) .

(٥) يحيى بن جعدة بن هبيرة بن أبى وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم القرشى المخزومى . روى عن أبى الدرداء ، وابن مسعود ، وأبى هريرة وغيرهم .

قال : وقيل لرابعة القيسية (١) : هل عملتِ عملاً قطُّ تَرَيْنَ أنّه يُقْبَلُ منك ؟ قالت : إنْ كان شىءٌ فخوفى من أن يُرَدَّ علىَّ .

وقال محمد بن كعبٍ القُرَظىّ (٢) ، لعُمر بن عبد العزيز : ياأمير المؤمنين لا تنظرَنّ إلى سِلعةٍ قد بارت على مَن كان قَبْلك تريد أن تَجُوزَ عنك (٣) .

الحسن قال : كان مَن كان قبلكم أرقَّ منكم قلوباً وأصفَقَ ثياباً ، وأنتم أرقُّ ١٨٥
منهم ثياباً وأصفقُ منهم قلوباً (٤) .

عبد الله بن المبارك قال : كتب عمرُ بن عبد العزيز إلى الجرَّاح بن عبد الله الحَكَمىّ :

« إن استطعتَ أن تدَعَ مما أحلَّ الله لك ما يكون حاجزاً بينك وبين ما حرَّم الله عليك فافعَلْ ؛ فإنه مَن استوعب الحلالَ كلَّه تاقت نفسه إلى الحرام » .

وقال أبو بكر الصديق رحمه الله لخالد بن الوليد حينَ وجَّهه : « احرِصْ على الموت تُوهَب لك الحياة » .

وقال رجل : أنا أحبُّ الشهادة . فقال رجل من النُّسّاك : أحببْها إن وقعَتْ عليك ، ولا تحبَّها حُبَّ مَن يريدُ أن يقَعَ عليها .

وقال رجلٌ (٥) لداوُدَ بنِ نُصيرٍ الطائىّ العابد (٦) : أوْصنى . قال : اجعل

---

(١) مضت ترجمتها فى (١ : ٣٦٤) .

(٢) ترجم فى (٢ : ٣٤ ، ٣٠٠) .

(٣) فى عيون الأخبار (٢ : ٣٤٣) : « ولا تذهبن إلى سلعة قد بارت على غيرك ترجو جوازها عنك » .

(٤) ما عدا ل : « وأصفق قلوبا » .

(٥) هو عبد الله بن إدريس ، كما فى صفة الصفوة (٣ : ٧٥) .

(٦) داود بن نصير الطائى الكوفى الفقيه الزاهد . ومما يروى من أخباره أنه دفن كتبه . توفى سنة ١٦٥ . تهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة .

الدنيا كيومٍ صُمتَه ، واجعل فِطرَكَ الموت ، فكأنْ قَدْ ، والسلام . قال : زِدْنى . قال : لا يَرَكَ الله عند ما نهاك عنه ، ولا يَفْقِدْك عند ما أمرَكَ به . قال : زدْنى . قال : ارضَ باليسير مع سلامة دينك ، كما رضىَ قومٌ بالكثير مع هلاك دينِهم .

قال رجل ليونُس بن عبيد (١) : أتعلم أحداً يعمل بعمَل الحسن ؟ قال : والله ما أعرفُ أحداً يقول بقوله ، فكيف يعمل بمثلِ عمله ؟! قال : صِفْه لنا . قال : كان إذا أقبل فكأنه أقبَلَ مِن دفْن حميمِه ، وكان إذا جلس فكأنه أسِير قد أُمِر بضرب عُنقه ، وكان إذا ذُكرَت النار عندَه فكأنّها لم تُخْلق إلاّ له .

وُهَيْب بن الورد (٢) قال : بينا أنا أدُور فى السُّوق إذ أخَذَ آخِذٌ بقفاىَ فقال لى : يا وُهَيب ، اتَّقِ الله فى قُدرته عليك ، واستَحيِ اللهَ فى قُربه منك (٣) .

وقال عبد الواحد بن زيد (٤) لأصحابه : ألا تستحيُون مِن طول مالا تستحيُون !

الهيثم قال : كان شيخٌ من أعرابِ طيِّىء كثيرَ الدّعاء بالمغفرة ، فقيل له فى ذلك ، فقال : والله إنّ دعائى بالمغفرة مع قُبْح إصرارى لَلُؤْم ، وإنّ ترْكِى الدعاء مع قوّة طمعى لَعَجز .

قال أبو بِشر صالحٌ المُرّىّ (٥) : إنْ تكن مصيبتُك فى أُخيك أحدثتْ لك

---

(١) ترجم فى (٢ : ٢٢٠) . وكان من أثبت الناس فى الحسن . والخبر فى عيون الأخبار (٢ : ٣٥٥ – ٣٥٦) .

(٢) وهيب لقب له ، واسمه عبد الوهاب بن الورد بن أبى الورد القرشى . كان من العباد المتجردين لترك الدنيا . توفى سنة ١٥٣ . تهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة (٢ : ١٢٣ – ١٢٨) .

(٣) فى صفة الصفوة : « قال : بينا أنا واقف فى بطن الوادى إذا أنا برجل قد أخذ بمنكبى فقال : يا وهيب ، خفِ الله لقدرته عليك ، واستحى منه لقربه منك . قال : فالتفت فلم أر أحداً » .

(٤) سبقت ترجمته فى (١ : ٣٦٤) .

(٥) ترجم فى (١ : ١١٣) . ما عدا ل ، هـ : « أبو بشير » تحريف .

خشيةً فنعم المصيبةُ مصيبتُك ، وإن تكن مصيبتُك بأخيك أحدثَتْ لك جزَعاً فبئس المصيبةُ مصيبتُك [١] . ١٨٦

وقال عمرو بن عبيدٍ لرجلٍ يعزِّيه : كان أبوك أصلَك ، وابنُك فرعَك ، فما بقاء شئ ذهب أصلُه ولم يبق فرعُهُ .

وقال الحسن : إنّ امرأ ليس بينه وبين آدم إلا أبٌ ميّت [٢] لَمُعْرَقٌ فى الموت [٣] .

وقالوا : أعظمُ من الذّنب اليَأسُ من الرّحمة ، وأشدُّ من الذنب المماطَلة بالتوبة .

ابن لَهيعة [٤] ، عن سيَّار بن عبد الرحمن [٥] ، قال : قال لى بُكَيرُ بن الأشَجّ [٦] : ما فعَلَ خالُكَ ؟ قلت : لزِم بيتَه . فقال : أمَا لئنْ فَعل لقد لزِمَ قومٌ من أهل بدرٍ بيوتَهم بعد مقتل عثمان رحمه الله ، فما خرجوا منها إلا إلى قبورهم .

وقال الحسن : إنّ لله ترائكَ فى خَلْقه ، لولا ذلك لم ينتفع النبيُّون وأهلُ الانقطاع إلى الله بشئ من أمر الدنْيا : وهى الأمَل ، والأجَل ، والنِّسْيان .

وقال مُطرِّف بن عبد الله [٧] لابنه : يا بنىّ لا يلهِيَنّك النّاسُ عن نفسك ؛ فإنّ الأمرَ خالصٌ إليكَ دونَهم . إنّك لم تر شيئاً هو أشدّ طلباً ولا أسرعُ دَرَكاً مِن توبةٍ حديثة لذنْب قديم .

وفى الحديث أنّ أبا هريرة مرَّ بمروانَ [٨] وهو يبنى دارَه ، فقال:

---

(١) الخبر برواية أخرى فى عيون الأخبار (٣ : ٥٣) .

(٢) ما عدا ل : « إلا أب قد مات » .

(٣) فى اللسان (عرق ١١٢) : « لمعرق له فى الموت ، أى إن له فيه عرقا ، وإنه أصيل فى الموت » .

(٤) هو عبد الله بن لهيعة بن عقبة ، المترجم فى (١ : ٣٦٢) .

(٥) سيار بن عبد الرحمن الصدفى المصرى . روى عن عكرمة ، وحنش ، وبكير وغيرهم . وروى عنه الليث ، وابن لهيعة ، وحيوة بن شريح . تهذيب التهذيب ، وخلاصة التذهيب ١٣٦ .

(٦) هو بكير بن عبد الله بن الأشج القرشى مولاهم ، نزل مصر . قالوا : لم يكن بالمدينة بعد كبار التابعين أعلم من ابن شهاب ، ويحيى بن سعيد ، وبكير بن عبد الله بن الأشج . خرج قديماً إلى مصر فنزل بها . وتوفى سنة ١٢٠ . تهذيب التهذيب وخلاصة تذهيب الكمال ٤٤ .

(٧) مطرف بن عبد الله بن الشخير ، ترجم فى (١ : ١٠٣ ، ٣٥٣) .

(٨) هو مروان بن الحكم ، المترجم فى (١ : ٣٧٧) .

يا أبا عبد القُدُّوس (١) ، ابنِ شديداً وأمِّلْ بعيداً ، وعِشْ قليلا وكُلْ خَضْماً ، والموعدُ الله (٢) .

قال : كان عمرو بن خَوْلَة ، أبو سعيدِ بن عمرو بن سعيد بن العاص – وأمه خَوْلة من المَسامعة (٣) – وكان ناسكاً يجتمع إليه القُرّاء والعلماء يومَ الخميس، وقال الشاعر فيه :

وأصبح زَوْرُكَ زَوْرُ الخميس　　　إليك كمَرْعِيَّةٍ وأرده

وقال الآخر فى ابن سِيرين :

فأنت بالَّليل ذئبٌ لا حريمَ له　　　وبالنَّهار على سمتِ ابن سيرين (٤)

وقال ابنُ الأعرابىّ : قال بعضُ الحكماء : لا يغلِبَنَّ جهلُ غَيرِكَ بك عِلمَك بنَفْسك .

قال : وصلَّى محمَّد بن المنكدِر (٥) ، على عِمران بقرةَ (٦) ، فقيل له فى
١٨٧ ذلك ، فقال : إنِّى لأستحِى من الله أنْ أرى أنّ رحمته تعجز عن عِمران بقرة .

---

(١) لم يعرف من أولاد مروان من يدعى « عبد القدوس » . انظر المعارف لابن قتيبة ومروج الذهب (٣ : ٩٨) . وقد ذكر فيهما أنه كان له من الولد أحد عشر ذكراً وثلاث بنات ، ليس من بينهم عبد القدوس .

(٢) الخضم : الأكل بجميع الفم . انظر ما سبق فى ص ١٥٤ . وقد روى هذا الخبر فى اللسان (خضم) برواية : « فقال ابنُوا شديدا ، وأملوا بعيدا ، واخضموا فسنقضم » .

(٣) المسامعة ، أبوهم مسمع بن شهاب بن عمرو بن عباد بن ربيعة بن جحدر بن ربيعة بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب على بن بكر بن وائل . وقيل فيهم مسامعة ، كما قيل فى المهلبيين مهالبة . وللمسامعة محلة بالبصرة . انظر معجم البلدان .

(٤) أنشده الجاحظ فى الحيوان (٣ : ٤٩١) والثعالبى فى ثمار القلوب ٧٠ والسمت : الطريق وهيئة أهل الخير . قال الثعالبى : « لما لم يستقم له أن يقول : على ورع ابن سيرين ، أقام السمت مقامه وأحسن » .

(٥) هو أبو عبد الله محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير بن عبد العزى التيمى ، من جلة التابعين ، وكان من سادات القراء والمحدثين . توفى سنة ١٣٠ . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٢ : ٧٩) .

(٦) فى هامش هـ والتيمورية : « عمران بقرة : لقب لرجل كان مسرفاً على نفسه » .

وقال محمد بن يَسير :

كأنّه قد قيل فى مجلسٍ   قد كنت آتِيهِ وأغْشَاهُ
محمد صار إلى ربِّه   يرحمُنا الله وإيّاه

وقال الآخر :

لَقَلَّ عاراً إذا ضَيْفٌ تضيَّفَنى   ما كان عندى إذا أعطيتُ مجهودِى (١)
فَضْلُ المُقِلِّ إذا أعطاه مصطبِراً   ومُكثِرٍ فى الغنى سِيَّانِ فى الجودِ (٢)
لا يَعدَم السائلون الخيرَ أفعلُه   إما نَوالِي وامّا حُسنَ مرودِى

وكان الرَّبيع بن خُثَيم ، إذا قيل له : كيف أصبحت يا أبا يزيد ؟ قال : أصبحنا ضعفاءَ مذنِبين ، نأكل أرزاقَنا ، وننتظر آجالَنا .

وقال ابن المقفَّع : الجود بالمجهود مُنتهَى الجود .

قال مطرِّف بن عبد الله : كان يُقال : لم يلتق مؤمنانِ إلّا كان أفضلُهما أشدَّهما حباً لصاحبه . وكنتُ أرى إنّى أشدُّ حباً لمذعور بن طُفَيْل (٣) منه لى ، فلما سُيِّر لقِيَنى ليلاً فحدَّثَنى فقلت : ذهب اللّيلُ ! قال : ساعةً . ثم قلت : ذهبَ اللّيل ! فقال : ساعةً . فعلمتُ أنه أشدُّ حُبًّا لى منِّى . فلما أصبح سيَّره ابنُ عامرٍ مع عامر (٤) .

---

(١) فى عيون الأخبار (٣ : ١٧٩) : « وما أبالى إذا ضيف تضيفنى » .

(٢) فى عيون الأخبار : « جهد المقل » . والشعر لابن يسير كما سيأتى فى ص ٣٣٣ .

(٣) ذكره ابن الجوزى فى صفة الصفوة (٣ : ١٧٦) ولم يذكر والده ، ولكنه مع ذلك روى خبره مع مطرف بن عبد الله .

(٤) ابن عامر ، هو عبد الله بن عامر المترجم فى (١ : ٣١٨) . وعامر ، هو عامر بن عبد قيس المترجم فى (١ : ٨٣) . وقد سير مذعور من العراق إلى الشام كما فى صفة الصفوة . وسير عامر بن عبد قيس أيضاً إليها حين وشى به إلى عثمان ، فأمر أن ينفى إلى الشام على قتب ، فأنزله معاوية الخضراء فرأى منه خيراً ، فكتب معاوية إلى عثمان بحاله فأمره أن يصله ويدنيه . الإصابة ٦٢٨٠ . وقد سبق فى ١٤٣ خبر تسيير ابن عامر لعامر بن عبد قيس إلى عثمان بن عفان .

قال : وقالوا لعيسى بن مريم : من نُجالس ؟ قال : مَن يُذكّركم اللهَ رؤيتُه ، ويزيد فى علمكم منطقُه ، ويرغّبكم فى الآخرة عمله .

إسحاق بن إبراهيم قال : دخلنا على كَهْمسٍ العابد [١] ، فجاءنا بإحدى عشرة بسرةً حمراء . فقال : هذا الجُهد من أخيكم ، والله المستعان .

الأصمعى ، عن السَّكَن الحَرَشىّ [٢] قال : اشتريتُ من أبى المنهال سَيَّار ابن سلامة ، شاةً بستّين درهماً ، فقلت : تكون عندك حتّى آتيَك بالثَّمَن . قال : ألستَ مُسلماً ؟ قلت : بَلَى . قال : فخذْها . فأخذتُها ثم انطلَقْت بها ، ثم أتيتُه بالسّتّين ، فأخرج منها خمسةَ دراهم وقال لى : اعلِفْها بهذه . ١٨٨

وقال مساورٌ الورّاق لابنه [٣] :

شمِّر قميصَك واستعِدَّ لقائـلٍ ... واحكُكْ جبينَكَ للقَضَاءِ بثُومِ [٤]

واجعَلْ صِحابَك كلَّ حِبرٍ ناسكٍ ... حَسَنِ التعهُّد للصَّلاة صَؤُوم [٥]

---

(١) هو أبو عبد الله كهمس بن الحسن التيمى البصرى ، أحد الثقات الزهاد . توفى سنة ١٤٩ بمكة . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ٣٢٤) . والخبر فى صفة الصفوة .

(٢) ل : « الحريشى » .

(٣) وكذا جاءت النسبة فى العقد (٣ : ٢١٦ ، ٦ : ٣٦٦ لجنة التأليف) والأغانى (١٦ : ١٦٢) . ونسب فى شرح الشريشى لمقامات الحريرى (١ : ٢٠٦) إلى محمود الوراق يقوله لابن أخيه . وورد فى الحيوان (٣ : ٤٦٧) بدون نسبة . ومساور هذا ، هو مساور بن سوار بن عبد الحميد ، من آل قيس بن مضر ، ويقال إنه مولى جديلة من عدوان ، كوفى قليل الشعر ، من أصحاب الحديث ورواته . وقد روى عن صدر من التابعين ، وروى عنه وجوه أصحاب الحديث . وهو القائل فى أبى حنيفة وأصحابه :

كنا من الدين قبل اليوم فى سعة ... حتى بلينا بأصحاب المقاييس

قوم إذا اجتمعوا ضجوا كأنهم ... ثعالب ضبحت بين النواويس

وله أخبار أخرى مع أبى حنيفة . الأغانى وتهذيب التهذيب .

(٤) لقائل ، أى لمن يمدحك أو يذمك . وفى الأغانى . « للعهود » بدل « للقضاء » . والجبين إذا حك بالثوم ظهرت فيه سمة سمراء توهم الأغرار أن صاحبها عريق فى التقوى ، كثير السجود . ولا يزال بعض المتظاهرين بالتقوى يفعلون ذلك فى عصرنا .

(٥) الصحاب ، بالكسر : جمع صاحب . والحبر ، بكسر الحاء وفتحها : العالم ، أو الصالح . صؤوم : كثير الصوم .

مِن ضَرْبِ حمّادٍ هناك ومِسْعرٍ وسِماكٍ العبسىّ ، وابن حَكيمِ (١)
وعليك بالغَنَوىّ فاجلسْ عنده حتى تصيبَ وديعةً ليتيمِ

وقال : بينا سليمانُ بنُ عبدِ الملك يتوضأ ، ليس عنده غيرُ خالِه والغلامُ يصبُّ عليه الماء ، إذ خَرّ الغلامُ مَيّتاً ، فقال سليمان :

قَرِّبْ وَضُوءَكَ يا حصينُ فإنّما هذِى الحياةُ تَعِلّة ومَتاعُ (٢)

ونظر سليمانُ فى مِرآةٍ فقال : أنا الملك الشاب ! فقالت جارية له :

أنتَ نعِم المتاعُ لو كنت تبقَى غير أنْ لا بقاءَ للإنسانِ (٣) !

قال : قيل لسعيد بن المسيَّب : إنّ محمد بن إبراهيم بن محمد بن طلحة ، سقَطَ عليه حائطٌ فقتله . فقال : إنْ كان لَوَصولاً لرَحِمِه ، فكيف يموتُ ميتةَ سَوْء !

وقال أسماءُ بن خارجة :

عَيَّرتِنِى خَلَقاً أبليتُ جِدَّتَه وهل رأيتِ جديداً لم يعُدْ خَلقَا

قال : وتمثّل عبدُ الملك بن مروان :

وكلُّ جديدٍ يا أُمَيمَ إلى بِلًى وكلُّ امرىءٍ يوماً يصير إلى كانْ (٤)

وقال آخر :

فاعَملْ على مهَلٍ فإنّكَ ميِّتٌ واكدَحْ لنفسك أيها الإنسانْ
فكأنّ ما قد كان لم يكُ إذْ مضَى وكأنّ ما هو كائنٌ قد كانْ

قال : وكان عثمانُ بنُ عفّانَ رحمه الله يقول : « إنى لأكرهُ أن يأتى عَلَىَّ يومٌ ١٨٩
لا أنظر فيه إلى عَهْد الله » ، يعنى المُصْحف .

---

(١) الضرب : المثل والنظير . ومسعر ، هو مسعر بن كدام ، المترجم فى (١ : ٤٠٠) وفيه يقول ابن المبارك :

من كان ملتمساً جليساً صالحاً فليأت حلقة مسعر بن كدام

ما عدا ل : « ومسمع » تحريف وأشير فى هـ إلى رواية « مسعر » . و « العبسى » هى فى الأغانى « العتكى » .

(٢) التعلة : ما يتعلل به ويتلهى .

(٣) بعده فى الأغانى (٩ : ٩٤) : « فأعرض بوجهه ، فلم تدُرْ عليه الجمعة إلا وهو فى قبره » .

(٤) ل : « وكل فتى يوما يصير إلى كانا » . وانظر الطبرى ٧ : ١٩١ .

قال : وكان عثمانُ حافظاً ، وكان حِجرُه لا يكادُ يفارِق المصحَف ، فقيل له فى ذلك فقال : « إنّه مُبارَك جاء به مبارك ! » .

ولما مات الحجّاج خرجَتْ عجوزٌ من داره وهى تقول :

اليوم يرحَمُنَا مَن كان يَغْبِطنا واليومَ نَتبعُ مَن كانوا لنا تَبَعا (١)

حدّثنى بكرُ بن المعتمرِ (٢) ، عن بعض أصحابه قال أبو عثمان النَّهدىُّ (٣) : أتت علىّ ثلاثون ومائةُ سنة ، ما منّى شىءٌ إلاَّ وقد أنكرتُه ، إلاَّ أمَلى فإنَّه يزيد (٤) .

قال مِسْوَر بن مَخْرَمة (٥) لجلسائه : لقد وارت الأرضُ أقواماً لو رأَوْنى معكم لاستحييت منهم .

وأنشدنى أعرابىّ :

ما منع الناسُ شيئاً جئتُ أطلبُه إلاَّ أرى اللهَ يكفى فَقْدَ ما منَعُوا

قال : جَزِع بكرُ بن عبدِ الله (٦) على امرأته ، فوعَظَهُ الحسَنُ ، فجعل يصِف فَضْلها ، فقال الحسن : عند الله خيرٌ منها ، فتزوَّجْ أُختها ! فلقيَه بعد ذلك فقال : هى يا أبا سعيدٍ خيرٌ منها ! وأنشده :

---

(١) انظر رسائل الجاحظ (١ : ٣٧٢) . وفيها : « من كان يحسُدنا » .

(٢) بكر بن المعتمر : أحد كتاب الأمين ، كتب له كتابا إلى المأمون سنة ١٩٣ . انظر تاريخ الطبرى .

(٣) هو أبو عثمان عبد الرحمن بن مل بن عمرو بن عدى النهدى ، عاش فى الجاهلية ستين سنة ، وسكن الكوفة ، ولما قتل الحسين تحول إلى البصرة وقال : لا أسكن بلداً قتل فيه ابن بنت رسول الله . وقد أسلم على عهد الرسول ولم يلقه ، وحج ستين ما بين حج وعمرة . وروى عنه أنه قال : « كنا فى الجاهلية إذا تحملنا حملنا حجراً على بعير ، فإذا رأينا أحسن منه ألقيناه وأخذنا الآخر ، فإذا سقط عن البعير قلنا : سقط إلهكم فالتمسوا غيره » . توفى أبو عثمان سنة ١٠٠ . ومل ، بفتح الميم ويجوز ضمها وكسرها ، ولامه مشددة . الإصابة ٦٣٧٥ وتهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة (٣ : ١٢٥) .

(٤) الخبر فى تهذيب التهذيب وصفوة الصفوة ، وصدره فى الإصابة .

(٥) هو المسور بن مخرمة بن نوفل بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب القرشى الزهرى . كان مولده بعد الهجرة بسنتين ، وقتل فى حصار ابن الزبير الأول من الجيش الذى أرسله يزيد بن معاوية سنة ٦٥ . الإصابة ٧٩٨٧ وتهذيب التهذيب .

(٦) بكر بن عبد الله المزنى ، ترجم فى (١ : ١٠٠) .

يُؤَمِّلُ أن يُعَمَّرَ عُمْرَ نُوحٍ   وأمرُ اللهِ يحدُثُ كلَّ ليلَهْ (١)

* * *

عوف (٢) ، عن الحسَن قال : قال ﷺ : « للمسلم على أخيه ستُّ خصالٍ : يسلِّمُ عليه إذا لقِيَه ، وينصحُ له إذا غاب ، ويعُودُه إذا مرِض ، ويشيِّع جِنازته إذا مات ، ويحيِّيه إذا دعاه ، ويشمِّته إذا عَطَس » .

وقال أعرابىّ :

تُبَصِّرنى بالعيش عِرسى كأنما   تُبَصِّرنى الأمْرَ الذى أنا جاهلُه
يعيش الفتى بالفقر يوماً وبالغِنَى   وكُلاًّ كأنْ لم يلقَ حين يُزَايِلُه

وأنشد أبو صالح (٣) :

ومشيِّدٍ داراً ليسكُن دارَه   سكَنَ القبورَ ، ودارُهُ لم يسكُنِ

وكان صالح المرّىْ أبو بشر (٤) ينشد فى قَصَصه : ١٩٠

وباتَ يرَوِّى أُصولَ الفَسِيلِ   فعاشَ الفَسِيلُ وماتَ الرَّجُلْ (٥)

وقال الآخر :

إذا أبقَت الدُّنيا على المرء دينَهُ   فما فاته منها فليس بضائرِ

---

(١) البيت مع سابق له فى الحيوان (٣ : ١١٣) وعيون الأخبار (١ : ٢١١ ، ٣١٤) والأغانى (١٨ : ٢٠٦) . وهو :

ألم تر حوشباً أضحى يبنِّى   قصوراً نفعها لبنى بقيله

ل : « تؤمل أن نعمر » ، والوجه ما فى سائر النسخ . ما عدا ل : « يطرق كل ليلة » وسائر المصادر على الرواية المثبتة .

(٢) هو عوف بن أبى جميلة ، المترجم فى (٢ : ٣٧) .

(٣) هو أبو صالح مسعود بن قند الفزارى . روى عنه الجاحظ فى الحيوان (٥ : ١٥٧) .

(٤) سبقت ترجمته فى (١ : ١١٣) .

(٥) أنشده فى الحيوان (٦ : ٥٠٨) . والفسيل : جمع فسيلة ، وهى الصغيرة من النخل . وفى الحيوان وما عدا ل : « فبات يروى » بالفاء .

فلن تَعدِلَ الدُّنيا جَناحَ بعوضةٍ ... ولا وَزْنَ زِفٍّ من جَناحٍ لطائرِ (١)
فما رضِىَ الدُّنيا ثواباً لمؤمن ... ولا رضِىَ الدُّنيا عقاباً لكافرِ (٢)

وقال الآخر (٣) :

أَبَعْدَ بشرٍ أسْيراً فى بيوتِهِمُ ... يرجُو الخَفارَةَ منِّى آلُ ظَلَّامِ (٤)
فلن أُصالحَهُم مادمتُ ذا فرسٍ ... واشتدَّ قبضاً على السِّيلانِ إبهامى (٥)
فإنّما النّاس ، يالله أُمُّهُمُ ... أكائلُ الطَّير أو حشوٌ لآرام (٦)
هم يَهلِكون ويَبْقى بعدُ ما صَنعوا ... كأنَّ آثارَهم خُطّت بأقلامِ

وأنشد لمحمد بن يسير :

عَجَباً لى ومِن رضاىَ بحالٍ ... أنا منها على شَفَا تغريرِ
عالماً لا أشكُّ أنى إلى عَدْ ... نٍ إذا مُتُّ أو عذابِ السَّعير (٧)
كلّما مُرَّ بى على أهل نادٍ ... كنتُ حيناً بهم كثيرَ المرورِ
قيل : مَن ذا على سرير المنايا ... قيل : هذا محمَّدُ بن يَسيرِ

وأنشد :

لكلِّ أناس مَقْبَرٌ بفِنائهم ... فهم ينقُصون والقبورُ تَزيدُ (٨)

---

(١) الزف ، بالكسر : الصغير من الريش .

(٢) أى ما رضى الله ذاك .

(٣) هو الزبرقان بن بدر السعدى ، كما فى حماسة البحترى ٣٦ . والبيت الثانى من هذه المقطوعة أنشده صاحب اللسان فى (سيل) منسوبا إليه .

(٤) الخفارة ، بتثليث الخاء : الأمان .

(٥) السيلان ، بالكسر : ما يدخل من السيف والسكين فى النصاب .

(٦) أكائل : جمع أكيلة ، وهى الفريسة . والآرام : جمع إرَم ، مثل ضلع وأضلاع ، وهى حجارة تنصب علما فى المفازة ، عنى بها رجام القبر . ويروى : « أريام » كما فى حواشى هـ ، جمع ريم ، وهو القبر .

(٧) ما عدا ل : « أنى إذا مت إلى عدن » .

(٨) المقبر : موضع القبر ، وهو الدفن . والشعر لعبد الله بن ثعلبة الحنفى ، كما فى اللسان (قبر) والحماسة (١ : ٣٦٨) . وأنشده فى عيون الأخبار (٣ : ٦٦) بدون نسبة =

هُمُ جيرة الأحياء أمَّا محلُّهم … فدانٍ ولكنّ اللقاءَ بعيدُ [١] ١٩١

وقال أبو العتاهية :

سُبْحان ذى الملَكوتِ أيَّةُ ليلَـةٍ … مَخضَتْ بوَجْه صَباحِ يومِ المَوْقِف [٢]

لو أنَّ عيناً وهَّمتها نفسُها … ما فى الفِرَاقِ مُصوَّرًا لم تَطرِفِ [٣]

وقال أبو العَتَاهية أيضاً :

يا خاطبَ الدُّنيا إلى نَفسِها … تَنحَّ عن خِطْبَتها تَسْلَمِ [٤]

إنّ التى تَخْطُبُ غَرَّارةٌ … قريبَةُ العُرسِ من المأتمِ [٥]

وقال الآخر :

ناداهما بفِراقِ بيـ … ـنِهما الزّمان فأسْرَعا [٦]

وكذاك لم يزَل الزّما … نُ مُفرّقاً ما جَمَّعا

وقال آخر :

يا ويحَ هذِى الأرْض ما تَصْنَعُ … أكُلَّ حَيٍّ فوقَها تَصرعُ

= وقبل هذا البيت فى اللسان :

أزور وأعتاد القبور ولا أرى … سوى رمس أحجار عليه ركود

وبين هذا البيت وتاليه فى الحماسة وعيون الأخبار :

وما إن يزال رسم دار قد اخلقت … وبيت لميت بالفناء جديد

(١) ل فقط : « وهم جيرة الأحياء » . وفى الحماسة وعيون الأخبار : « وأما الملتقى فبعيد » .

(٢) أراد موقف القيامة . وفى الديوان ١٦٥ :

لله در أبيك أية ليلة … مخضت صبيحتها بيوم الموقف

(٣) أراد بالتوهيم التخييل وتوجيه الوهم . وفى الديوان :

لو أن عينا شاهدت من نفسها … يوم الحساب تمثلا لم تطرف

(٤) البيتان لم يرويا فى ديوان أبى العتاهية .

(٥) ما عدا ل : « سريعة العرس » تحريف .

(٦) ل : « فأشرعا » . والوجه ما أثبت من سائر النسخ .

تَزْرعُهم حتَّى إذا ما استَوَوْا   عادت لهمْ تحصِدُ ما تزرعُ (١)

وقال الآخر (٢) :

ذكرتُ أبَا أروَى فبتُّ كأنَّنى   بردِّ الأُمورِ الماضياتِ وكيلُ
لكلِّ اجتماعٍ من خليلين فُرقةٌ   وكلُّ الذى قبل الفراقِ قليلُ (٣)
وإنَّ افتقادِى واحداً بعد واحدٍ   دليلٌ على أنْ لا يدُوم خَليلُ

وقال محمد بن المنتشر (٤) : « إذا أُيسَرَ الرَّجُل ابتُلِىَ به أربعة : مَولاهُ
١٩٢ القديمُ يَنتَفِى منه ، وامرأتُه يتسرَّى عليها ، ودارُه يهدِمُها ويبنِى غيرَها ، ودابَّته يَستبدِلُ بها » . وقال الآخر :

يجدِّدُ أحزاناً لنا كلُّ هالكٍ   ونُسرِعُ نِسْياناً ولَمْ يأْتِنا أَمْنُ
فإنَّا ، ولا كُفـران للهِ ربِّنـا   لكالبُدْن ما تَدْرى متَى يومُها البُدْنُ

الأوزاعىُّ (٥) ، عن مكحول (٦) قال : « إن كان فى الجماعة فضلٌ فإنّ فى العُزلة سلامةً » .

---

(١) ما عدا ل : « حتى إذا ما أتوا » . وأشير فى حواشى هـ إلى رواية « إذا أينعوا » .

(٢) فى هامش هـ ، والتيمورية : « ذكر ابن الأنبارى أن هذه الأبيات لعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه ، حين دفن فاطمة رضى الله عنهما . وقال ابن الأعرابى : إنها لشقران السلامانى » . وفى الكامل ٧٢٤ ليبسك أن الشعر تمثل به على بن أبى طالب عند قبر فاطمة . وقد روى البحترى فى حماسته ٢٣٣ البيتين الأخيرين .

(٣) ما عدا ل : « دون الممات » . وفى الكامل : « وإن الذى دون الفراق » . وفى حماسة البحترى : « وكل الذى دون الفراق » .

(٤) هو محمد بن المنتشر بن الأجدع بن مالك الهمدانى الكوفى ، روى عن عمه مسروق وابن عمر وعائشة ، وكان من ثقات المحدثين . تهذيب التهذيب .

(٥) الأوزاعى : نسبة إلى الأوزاع ، وهم بنو مرثد بن زيد ، من همدان . وقيل الأوزاع قرية بدمشق ، أو موضع مشهور بدمشق سكنه فى صدر الإسلام بقايا من قبائل شتى . وهو عبد الرحمن بن عمرو بن أبى عمرو الشامى الفقيه . ولد سنة ٨٨ . وكان من فقهاء أهل الشام وقرائهم وزهادهم ، ونزل بيروت فى آخر عمره فمات بها مرابطا . وكانت الفتيا تدور بالأندلس على رأى الأوزاعى إلى زمن الحكم بن هشام المتوفى سنة ٢٥٦ . وكان فصيحا ذا رسائل مأثورة . توفى سنة ١٥٥ . تهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة (٤ : ٢٢٨) .

(٦) مكحول الشامى سبقت ترجمته فى (٢ : ٣٦) .

أبو جَنَاب الكلبىّ (١) ، عن أبى المحجّل (٢) ، عن ابن مسعود قال : « ثلاثٌ من كنّ فيه دَخَل الجنةَ : مَن إذا عرَف حقَّ الله عليه لم يؤخِّره ، وكان عملُه الصّالحُ فى العلانيَة على قِوامٍ من السَّريرة (٣) ، وكان قد جَمع ما قد عمِلَ صلاحَ ما يؤمِّل » .

وقال : « كفى موعظةً أنّك لا تحيا إلّا بموت ، ولا تَمُوتُ إلّا بحياةٍ » .

وقال أبو نُوَاس :

شاع فىَّ الفناءُ سُفلاً وعُلْوَا وأُرانى أموتُ عُضْواً فعُضْوا
ذهبَتْ جِدَّتى بطاعةِ نفسِى وتذكَّرتُ طاعةَ الله نِضْوا (٤)

وقال الآخر :

وكم من أُكلةٍ منَعتْ أخاها بلذَّةِ ساعةٍ أُكلاتِ دَهر
وكم من طالبٍ يَسْعَى لشئٍ وفيه هلاكُه لو كان يدرى

وقال الآخر :

كلُّ امرئٍ مُصبَّحٌ فى أهلِهِ (٥) والموتُ أدنَى من شِراكِ نَعْلِهِ

وقال الآخر :

استيقِنى فى ظُلَم البيوتِ أنّك إن لم تقُتَلى تموتى

---

(١) هو أبو جناب يحيى بن أبى حية الكلبى الكوفى ، روى عن أبيه والضحاك ابن مزاحم والحسن البصرى وجماعة ، وعنه السفيانان ، والحسن بن صالح ، ووكيع وغيرهم توفى سنة ١٤٧ . تهذيب التهذيب والخلاصة .

(٢) لم أعثر له على ترجمة فيما لدى .

(٣) قوام الأمر بالكسر : نظامه .

(٤) النضو ، بالكسر : البعير المهزول من كثرة السير ، شبه نفسه به .

(٥) مصبح : مأتى بالموت صباحا . وقد أنشده فى اللسان (صبح) مسبوقا بقوله : « وفى حديث أبى بكر » .

وقال عنترة بن شدّاد :

بَكَرت تُخَوِّفنى الحتوفَ كأنَّنى أصبحتُ عن غَرَضِ الحتوف بمَعزِلِ
فأجَبْتُها إنَّ المنيَّة مَنْهـلٌ لابدّ أن أُسْقَى بكَأْسِ المَنْهَلِ
فاقْنَىْ حياءَكَ لا أبالَكِ واعلَمِى أنّى امرؤ سأموتُ إن لم أُقْتَلِ (١) ١٩٣
إنّ المنيَّةَ لو تُصَوَّرُ صُوِّرَت مِثْلى ، إذا نزلُوا بضَنكِ المنزلِ

وقال أبو العتاهية (٢) :

أُذْنَ حَيٍّ تسمَّعى واسمعى ثمّ عِى وَعى
عِشتُ تِسعينَ حِجَّةً ثم وافيتُ مَضجَعِى (٣)
أنا رهْنٌ بمَصرعى فاحذرِى مثلَ مصرعِى
ليس زادٌ سِوَى التُّقى فخُذِى منه أو دَعِى (٤)

وقال الخليل بن أحمد :

عشْ ما بدا لك قَصْرُك الموت لا مَهرَبٌ منه ولا فَوتُ (٥)
بَيْنا غِنَى بيتٍ وبهجتُه زال الغِنَى وتقوّضَ البيتُ (٦)

وقال أبو العتاهية :

اسَمعْ فقد أسمَعَكَ الصَّوتُ إن لم تبادِرْ فهُو الفَوتُ
نِلْ كُلَّ ما شِيتَ وعش ناعماً آخِـرُ هذا كُلِّـهِ الموتُ

---

(١) قنى الحياء ، بكسر النون ، يقناه قنياناً بضم القاف : لزمه وحفظه . والأبيات فى ديوان عنترة ١٨٠ .
(٢) الأبيات التالية أمر أبو العتاهية أن تكتب على قبره . انظر الأغانى (٣ : ١٧٥) والعقد (٣ : ٢٤٨) .
(٣) فى الأغانى : « اسلمتنى لمضجعى » .
(٤) قبل هذا البيت فى الأغانى :

كم ترى الحى ثابتا فى ديار التّزعْزُعِ

(٥) البيتان فى اللسان (قصر) بدون نسبة . والقصر ، بالفتح : الغاية .
(٦) ما عدا ل : « آل الغنى » .

وقال الوزيرىُّ :

وأعلَمُ أنّنى سأصيرُ مَيْتا   إذا سار النَّواجعُ لا أسيرُ (١)
وقال السّائلون مَن المُسَجَّى   فقال المُخبِرُون لهم : وزيرُ (٢)

وقال أبو العتاهية :

الحقُّ أوسع من مُعَا   لَجة الهَوى ومَضِيقهِ
لا تعرِضنَّ لكُلّ أمْـ   ـرٍ أنت غَيرُ مُطيقهِ
والعيشُ يصلُح إن مَزَ   جْتَ غليظَه برقيقه
لا يَخدعنّك زُخرف الـ   ـدُّنيا بِحُسْنِ بريقه
وإذا رأيتَ الرأى مضـ   ـطرِباً فخُذ بوَثيقِه
ولرُبّما غَصَّ البخيـ   ـلُ إذا استُنيل بريقِه (٣)

وقال أيضاً :

مَن أجَابَ الهَوَى إلى كلِّ ما يد   عُوه ممَّا يَضِلُّ ضَلَّ وتاها
مَن رأى عِبرةً ففكَّر فيها   آذنته بالبَيْن حين يراها (٤)
ربَّما استغلقَتْ أمور عَلى مَن   كان يأتى الأمورَ مِن مأتاها
وسيأوى إلى يدٍ كلُّ ما تأْ   تِى وتأوى إلى يَدٍ حُسنَاها (٥)
قد تكون النّجاة تكرهها النَّفْـ   ـسُ وتأتى ما كان فيه أذاها (٦)

---

(١) النواجع : جمع ناجع ، فهو من إخوان الفوارس . يقال نجع الراعى الأرض : طلب كلأها ومساقط الغيث فيها .

(٢) المسجى : الميت يسجى عليه الثوب ، أى يمد .

(٣) استيل : طلب نواله . له : « إذا استبل » .

(٤) ل : « آذنته بالشئ » .

(٥) ما عدا ل ، هـ : « وهيادى إلى يد كل ما » ، تحريف .

(٦) ما عدا ل : « وفيه رداها » .

وقال أيضا :

لو أنَّ عبداً له خزائنُ ما … فى الأرض ماعاشَ خَوفَ إملاقِ
يا عجبا كلنا يَحِيدُ عن الحَيْـ … ـن وكلٌّ لِحَينِـهِ لاقِـى
كأنَّ حَيًّا قد قام نادبه … والتفَّت السَّاقُ مِنْهُ بالسَّاقِ (١)
واستلَّ منه حياتَه ملَكُ المو … ت خفياً وقيل : مَن رَاقِ (٢)

وقال السَّموأل بن عادياءَ اليهوديّ :

١٩٥ تُعَيِّرُنا أنّا قَليلٌ عَديدُنا … فقلتُ لها : إنّ الكرامَ قليلُ (٣)
وما قلَّ مَن كانت بقاياه مثلَنا … شبابٌ تَسامَى للعُلَى وكُهول
وما ضَرَّنا أنّا قليلٌ وجارُنا … عزيزٌ وجارُ الأكثَرِينَ ذَليلُ (٤)
فنحنُ كماء المُزن مافى نِصابنا … كَهَامٌ ولا فينا يُعَدُّ بخيلُ (٥)
وأسيافُنا فى كلِّ شرقٍ ومغرِبٍ … بها من قِراع الدّارِعِين فُلُولُ (٦)

---

(١) اقتباس من الآية ٢٩ من سورة القيامة . وهو كناية عن شدة كرب الدنيا فى آخر يوم منها ، وشدة كرب الآخرة فى أول يومٍ منها . وقال ابن المسيب والحسن : هى حقيقة ، والمراد ساقا الميت عند مالفا فى الكفن . وقال الشعبى وقتادة : التفافهما لشدة المرض لأنه يقبض ويبسط ، ويركب هذه على هذه . تفسير أن حيان (٨ : ٣٩٠) .

(٢) اقتباس من الآية ٢٧ من سورة القيامة . وذلك إذا مرض الرجل طلبوا له من يرقى ويطب ويشفى ، وهو استفهام حقيقة ، أو استفهام إبعاد وإنكار ، وذلك حين اليأس من حياته . ومن المحتمل أن يكون القائل الملائكة ، أى من يرقى بروحه إلى السماء ، أملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب . وقد وقف حفص على « من » سكتا لطيفا ، كما وقف فى « بل ران » ولم يدر وجه قراءاته إلا أن يكون أراد أن يشعر أنهما كلمتان .

(٣) الأبيات فى ديوان الحماسة (١ : ٢٧) ، والأغانى (٦ : ٧٦ ، ٧٩ ، ٨٠) ، وأمالى القالى (١ : ٢٦٩ – ٢٧٠) . وانظر عيون الأخبار (٣ : ١٧٣) حيث نسب بيتين من القصيدة إلى دكين الراجز .

(٤) الأكثرون : الذين كثر عددهم .

(٥) النصاب : الأصل ، وقد أراد به العدد ، ولم تصرح المعاجم بهذا المعنى . وإنما ذكرت نصاب الزكاة ، وهو استعمال إسلامى . والنصاب : القدر الذى تجب فيه الزكاة . والكهام ، كسحاب : البطىء عن النصرة والحرب .

(٦) الدارِع : لابس الدرع . والفلول : جمع فل ، وهو الثلم .

معوَّدةٌ ألاّ تُسلَّ نصالُها فتُغمَدَ حتّى يستباحَ قَتيلُ
سلِي، إنْ جَهلتِ، النّاسَ عنّا وعنهمُ وليسَ سواءً عالِمٌ وجَهُولُ

وقال الرّبيعُ بن أبى الحُقَيق (١) :

ومن يكُ غافلاً لم يَلقَ بُوساً يُنِخْ يوماً بساحتِهِ القضاءُ (٢)
تَعاوَرُه بناتُ الدّهرِ حتّى تُثلِّمَه كما ثُلِمَ الإناءُ
وكُلُّ شديدةٍ نزلت بحيٍّ سيأتى بعد شِدّتها رَخاءُ
وبعض خلائق الأقوام داءٌ كداء الشَّيخِ ليس له شِفَاءُ (٣)

وأنشد :

قد حالَ من دونِ ليلى معشرٌ قَزَمٌ وهم على ذاكَ من دونى مَوَاليها (٤)
واللهُ يعلمُ أنّى إن نأَتْ حِجَجاً أو حِيلَ من دُونِها أنْ لستُ ناسيها (٥)

وأنشد :

وليلٍ يقولُ الناس من ظُلمَاتِه سواءٌ بصيراتُ العُيونِ وعُورها (٦)
كأنّ لنا منه بيوتاً حصينةً مُسُوحٌ أعاليها وسَاجٌ كُسورُها (٧)

---

(١) سبقت ترجمته فى (١ : ٢١٣) . والبيت الأخير فى الحيوان (٣ : ٦٨) .

(٢) فى الأصول : « ومن يك عاقلا » .

(٣) فى حواشى هـ : « كداء البطن » فى نسخة . وبعده فى الحيوان :

وبعض القول ليس له عناج كمخض الماء وليس له إتاء

(٤) القزم ، بفتحتين ، وصف يستوى فيه الواحد والجمع ، والمذكر والمؤنث ، ومصدره القزم أيضا ، وهو فى الناس : صغر الأخلاق ، وفى المال : صغر الجسم . مواليها ، أى عصباتها وأنصارها .

(٥) ب ، جـ : « أتت حجج » مع أثر تصحيح فى ب لكلمة « حجج » . وفى التيمورية « أتت حججا » وهذه الأخيرة محرفة .

(٦) البيتان لمضرس بن ربعى الأسدى ، كما فى حماسة ابن الشجرى ٢١٠ .

(٧) ما عدا ل : « مسوحا أعاليها وساجا » ، وبه رواية صحيحة نص عليها فى اللسان (سوج) عند إنشاد البيتين ، قال : « إنما نعت بالاسمين لأنه صيرهما فى معنى الصفة ، كأنه قال : مسودة أعاليها مخضرة كسورها . كما قالوا : مررت بسرج خز ، نعت بالخز وإن كان جوهرا لما كان فى معنى لين » . والمسوح : جمع مسح ، بالكسر ، وهو كساء من شعر. والساج : الطيلسان الأخضر . والكسور : جمع كسر ، بكسر الكاف ، وهو جانب البيت .

وقالوا : أتى سعيدُ بنُ عبد الرحمن بن حسان ، أبا بكر بن محمد بن عمرو ابن حَزْم (١) ، وهو عامل سليمانَ بنِ عبد الملك ، فسأله أن يكلّم سليمان فى حاجَةٍ له فوعده أن يقضِيَها ولم يفعَلْ ، وأتى عمرَ بنَ عبد العزيز فكلّمه فقضى حاجتَه ، فقال سعيد :

١٩٦ ذُمِمتَ ولمْ تُحمَد وأدركتُ حاجتى   تولّى سِواكُم شُكرَها واصطناعَها (٢)
أبى لَكَ فعلَ الخيرِ رأىٌ مُقصِّرٌ   ونَفْسٌ أضاقَ اللهُ بالخير باعَها
إذا هى حَثَّتْهُ على الخيرِ مرّةً   عَصَاها وإن هَمّت بشرٍّ أطَاعَها
ستكفيكَ ما ضَيّعْت منه ، وإنّما   يُضيعُ الأمورَ سادراً من أضاعَها (٣)
وِلايةُ مَن ولَّاك سُوءَ بلائِها   ووَلّى سواك أجرَها واصْطِنَاعَها

وأنشد :

إذا ما أطعتَ النفسَ مال بها الهوَى   إلى كلِّ ما فيه عليك مقَالُ (٤)

وأنشد :

حسْبُ الفتى من عيشه   زادٌ يبلّغُـــهُ المحلاّ
خُبـزٌ ومـــاءٌ باردٌ   والظلُّ حين يريد ظِلاّ

---

(١) هو أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصارى الخزرجى القاضى ، وكان واليا لعمر بن عبد العزيز من قبل ، وكان عظيم المروءة ، كثير العبادة كثير الحديث . توفى سنة ١٠٠ . تهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة (٢ : ٧٥) . ل : « بن عمر بن حزم » ، تحريف صوابه فى المصادر السابقة وتاريخ الطبرى (٨ : ١٠٢) والأغانى (٧ : ١٥٨) حيث ورد الخبر فى الأخير .

(٢) فى الأغانى :

سئلت فلم تفعل وأدركت حاجتى   تولى سواكم حمدَها واصطناعها

(٣) ما عدا ل : « سيكفيك ما ضيعت منها » .

(٤) ما عدا ل : « مال بك الهوى » .

وأنشد :

وما العيش إلا شَبعةٌ وتشرُّقٌ ... وتَمر كأخفاف الرِّباع وماءُ (١)

* * *

قالوا : استبطأ عبدُ الملك بن مروان ، ابنَه مَسلمةَ فى مسيره إلى الرُّوم ، وكتب إليه :

لِمَن الظعَّائنُ سَيْرُهُنَّ تزحُّفُ ... سَيرَ السَّفين إذا تقاعسَ يُجْذَفُ (٢)

فلما قرأ الكتاب مسلمةُ (٣) كتب إليه :

ومستعجبٍ مما يَرى من أناتِنا ... ولو زَبنته الحَرْبُ لم يترمْرَمِ (٤)

ومَسْلَمةُ هو القائل عندما دُلِّىَ بعضُهم فى قبره (٥) ، فتمثَّل بعضُ مَن حَضَر فقال :

فما كان قيسٌ هلكُهُ هُلْكُ وَاحِدٍ ... ولكِنّهُ بنيانُ قَومٍ تَهدَّمَا (٦)

---

(١) سبق هذا البيت والبيتان اللذان قبله فى (٢ : ١٨٩) .

(٢) التزحف : السير فى بطء وكلال . تقاعس : تأخر ورجع إلى خلف . ويقال جذف الملاح السفينة : حركها بالجذاف . ماعدا ل : « يجدف » بالمهملة ، وكلاهما صحيح .

(٣) ما عدا ل : « فما قرأ مسلمة الكتاب » .

(٤) البيت لأوس بن حجر فى ديوانه ٢٨ واللسان (رمم) ومقاييس اللغة (٣ : ٣٨٠) . زبنته الحرب : صدمته ، ومنه حرب زبون . ل : « زنقته » تحريف . لم يترمرم : لم يحرك فاه بالكلام .

(٥) هو عبد الملك بن مروان ، والخبر برواية أخرى فى الأغانى (١٢ : ١٤٨) قال : « لما مات عبد الملك بن مروان اجتمع ولده حوله ، فبكى هشام حتى اختلفت أضلاعه ثم قال : رحمك الله يا أمير المؤمنين ، فأنت والله كما قال عبدة بن الطبيب :

وما كان قيس هلكه هلك واحد ... ولكنه بنيان قوم تهدما

قال له الوليد : كذبت يا أحول يا مشئوم ، لسنا كذلك ، ولكنا كما قال الآخر :

إذا مقرم منا ذرا حد نابه ... تخمط منا ناب آخر مقرم »

(٦) البيت لعبدة بن الطبيب ، المترجم فى (١ : ١٢٢) من أبيات يرثى بها قيس بن عاصم المترجم فى (١ : ٢١٨) . انظر الحماسة (١ : ٣٢٨) والأغانى (٩ : ٩٣ / ١٢ : ١٤٨) وعيون الأخبار (١ : ٢٨٧) : وممن تمثل بهذا الشعر أحمد بن أبى دُوَاد ، تمثل به فى حضرة المأمون ، حين توفى أخوه أبو عيسى صالح بن الرشيد . الأغانى (٩ : ٩٣) .

فقال مَسلمة : لقد تكلّمتَ بكلمةِ شيطانٍ ، هَلَّا قلت (١) :

إذا مُقرَمٌ منّا ذَرَا حَدُّ نابِه تخمّط فينَا نابُ آخَرَ مُقْرَمِ (٢)

وكان مَسلمةُ شجاعاً خطيباً ، وبارعَ اللسان جَواداً ، ولم يكن فى ولد عبد الملك مثلُه ومثلُ هِشامٍ بَعده (٣) .

* * *

وقال بعضُ الأعراب يهجو قوماً :

تَصبّر للبلاءِ الحتمِ صَبراً إذا جاورْتَ حَىَّ بنى أَبَانِ (٤)
أقاموا الدَّيْدَبانَ على يَفَاعٍ وقالوا : يا آحتَرِسْ ، للدّيْدَبانِ (٥)

---

(١) ل : « لم لا قلت » .

(٢) البيت لأوس بن حجر فى ديوانه ٢٧ واللسان (قرم ، ذرا ، خمط) ومقاييس اللغة (ذرو) . والمقرم : السيد الرئيس من الرجال ، شبه بالمقرم من الإبل ، وهو المكرم الذى لا يحمل عليه ولا يذلل . ذرا حد نابه : انكسر أو وقع . والتخمط ، أصله للفحل ، وهو أن يهدر ويثور ويشتد غضبه . جعل التخمط للأنياب .

(٣) ترجم مسلمة بن عبد الملك فى (١ : ٢٩٢) . وأما هشام بن عبد الملك فقد ولى الخلافة بعد أخيه يزيد بن عبد الملك سنة ١٠٢ ، وكان أحول شديد انقلاب العين ، جامعا للأموال قليل البذل للنوال ، متيقظا فى سلطانه ، سائسا لرعيته . وفى أيامه ظهر زيد بن على بن الحسين بن على بالكوفة ، وعلى الكوفة يومئذ يوسف بن عمر الثقفى ، فلقيه يوسف فى جموع عظيمة ، وكان القتال شديدا قتل فيه زيد ومن معه ، ثم صلب بالكناسة . وذلك سنة ١٢٢ . التنبيه والإشراف ٢٧٩ والطبرى سنة ١٢٢ .

(٤) هم بنو أبان بن عدى بن سنبس . نهاية الأرب (٢ : ٣٠٠) . والأبيات الثلاثة بعده فى عيون الأخبار (٣ : ٢٤١) .

(٥) فى عيون الأخبار : « وقالوا لا تنم للديدبان » . وفى الأصول هنا : « وقالوا لى احترس بالديدبان » وفى هـ : « احترس للديدبان » ، تحريف . والديدبان بفتح الدالين : الربيئة يربأ للقوم ، وهو فارسى معرب . قال ابن دريد : « ولا أحسب العرب تكلمت به » . المعرب ١٤١ والجمهرة (٣ : ٤١٣ ، ٥٠٠) . وهو بالفارسية : « ديده بان » . مكون من « ديده » بمعنى العين ، أو النظر . و « بان » وهى من اللواحق الفارسية التى تفيد المحافظة والولاية والحراسة ، مثل مرزبان ، وشتربان ، ودربان . اللسان (درب) ومعجم استينجاس ٥٥٢ . واليفاع ، كسحاب : ما أشرف من الأرض وارتفع .

فإن أبصرْتَ شخصاً مِن بَعيدٍ   فصَفِّقْ بالبَنَانِ على البَنانِ ١٩٧
تراهُم خشيةَ الأضيافِ خُرساً   يقيمون الصلاة بلا أذانِ

وقال بعض الأعراب يمدح قوماً :

وسَارٍ تَعنَّاهُ المَبيتُ فلم يَدَع   له حابِسُ الظلماءِ واللّيلِ مَذْهَبا
رأى نارَ زيدٍ من بعيدٍ فخالَها   وقد كذَبتهُ النفسُ والظنُّ كوكبا
رَفَعتُ لهُ بالكفِّ ناراً تشبُّها   شآمِيَةٌ نكباءُ أو عارضٌ صبَا (١)
وقلت:ارفعُوها بالصَّعيد كفَى بها   مُشيراً لسارِى ليلةٍ إن تأوَّبا (٢)
فلما أتانا والسماءُ تَبُلُّـهُ   نقولُ له: أهلًا وسهلًا ومَرْحَبا
وقمتُ إلى البَرْكِ الهواجِدِ فاتَّقت   بكَوماءَ لم يترُكْ لها النَّيُّ مهربا (٣)
فرحَّبتُ أعلى الجَنبِ منها بطعنةٍ
دَعَت مُستَكنَّ الجوْفِ حتَّى تصبّبا (٤)

وقال الآخر :

واسْتَيقنى فى ظُلَم البُيُوتِ   أنّك إنْ لم تُقتَلى تَمُوتى

وقال أبو سعيد الزّاهد : « من عمِلَ بالعافية فيمن دُونَه رُزِقَ العافيةَ ممن فوقَه (٥) » .

---

(١) شآمية : ريح تهب من قبل الشام . والنكباء : الريح بين ريحين . والصبا : ريح تهب من مطلع الشمس .

(٢) الصعيد : المرتفع من الأرض . بها ، بالنار . ما عدا ل : « بنا » تحريف . وتأوب : رجع .

(٣) البرك ، بالفتح : الإبل البوارك ، الواحد بارك والواحدة باركة . والهواجد : النوائم . والكوماء : الناقة العالية السنام . والنى بفتح النون وكسرها : الشحم . يقول : قد أغراه بها كثرة الشحم فنحرها ، فوقت بذلك سائر البرك .

(٤) أراد بالترحيب التوسيع . وقد نصت المعاجم على الإرحاب فحسب ، ومنه قول الحجاج حين قتل ابن القرية : « أرحِب يا غُلام جرحه » .

(٥) ما عدا ل : « أعطى العافية ممن فوقه » . والعافية : صرف الأذى .

قال : وقال عيسى بن مريم عليه السلام : « فى المال ثلاثُ خصال ، أو بعضُها » . قالوا : وما هى يا رُوح الله ؟ قال : « يكسبُهُ من غَيْر حِلّه » . قالوا : فإن كسَبه من حِلّه ؟ قال : « يمنعه مِن حَقّه » . قالوا : فإن وضعَهُ فى حَقّه ؟ قال : « يشغَلُه إصلاحُه عن عبادَةِ ربّه » .

قال : قيل لرجل مريضٍ : كيف تجدُكَ ؟ قال : أجدُنى لم أرضَ حياتى لموتى .

سعيد بن بشير [١] ، عن أبيه ، أنَّ عبد الملك قال حين ثَقُل ورأى غَسّالاً يلوى ثوباً بيده : « ودِدْتُ أنْ كنتُ غَسَّالاً [٢] لا أعيش إلّا مما أكتَسِبُ يوماً
١٩٨ بيومٍ [٣] » . فذُكِرَ ذلك لأبى حازم [٤] فقال : الحمد الله الذى جعلَهم عند الموت يتمنَّوْن ما نحنُ فيه ، ولا نتمنَّى عند الموت ما هُم فيه .

الهيثم قال : أخبرنى موسى بن عُبيدة الرَّبَذِىّ [٥] عن عبد الله بن خِدَاش الغِفارِىّ قال : قال أبو ذَرّ : فارقت رسول الله ﷺ وقُوتى من الجمعة إلى الجمعة مُدٌّ [٦] ، ولا والله لا أزداد عليه حتَّى ألقاه » .

قال : وكان يقول : إنّما مالُكَ لك ، أو للجائحة ، أو للوارث . فاغْنَ ولا تكنْ أعجزَ الثّلاثة .

---

(١) هو أبو عبد الرحمن سعيد بن بشير الأزدى البصرى ، روى عن قتادة والزهرى والأعمش ، وعنه : وكيع وهشيم وبقية وغيرهم . وكان أبوه بشير قد أقدمه البصرة ، فبقى يطلب الحديث مع سعيد ابن أبى عَروبة . توفى سنة ١٦٨ . تهذيب التهذيب .

(٢) ما عدا ل : « أنى كنت غسالا » .

(٣) ما عدا ل : « يوماً فيوما » .

(٤) أبو حازم الأعرج ، ترجم فى (١ : ٣٦٤) .

(٥) ما عدا ل ، هـ : « الزبدى » تحريف . والربذى : نسبة إلى الربذة ، بفتح الراء والباء ، وهى من قرى المدينة على ثلاثة أميال ، وبها قبر أبى ذر الغفارى . وموسى بن عبيدة بن نشيط بن عمرو بن الحارث الربذى ، قال ابن سعد : كان ثقة كثير الحديث ، وضعفه آخرون . توفى سنة ١٥٢ . تهذيب التهذيب . ومعجم البلدان (الربذة) ، وتاريخ دمشق لابن عساكر مخطوط التيمورية .

(٦) المد ، بضم الميم ، ضرب من المكاييل ، وهو ربع صاع .

فُضَيْل بن عياض ، عن المُطَّرِح بن يزيد (١) ، عن عُبيد الله بن زَحْرٍ (٢) ، عن على بن يزيدَ (٣) عن القاسم (٤) مولى يزيد بن معاوية ، عن أبى أُسامة الباهلى (٥) قال : قال عمر رحمه الله :

« أدِّبوا الخيل ، وتسوَّكوا ، واقعُدوا فى الشمس ، ولا تُجَاوِرَنَّكم الخنازير ، ولا يُرفَعنَّ فيكم صَليب ، ولا تأكلوا على مائدة يُشْرَبُ عليها خمر (٦) ، وإياكم وأخلاقَ العجمَ ، ولا يحلُّ لمؤمنٍ أن يدخُل الحمَّامَ إلا بمئزر ، ولا لامرأةٍ إلّا مِن سُقْمٍ ؛ فإنَّ عائشة حدّثتنى قالت : حدَّثنى خليلى عَلَى مِفْرَشى هذا (٧) : إذا وضَعَتِ المرأة خمارَها فى غير بيت زوجها هَتكَت مابينها وبين الله فلم يَتناهَ دون العَرْش » .

---

(١) المطرح ، بضم الميم وتشديد الطاء المفتوحة وكسر الراء . وهو المطرح بن يزيد الأسدى الكنانى الكوفى ، روى عن عبيد الله بن زَحْر ، وبشر بن نمير ، وأبى طاهر وجماعة . وروى عنه عاصم بن أبى النجود ومات قبله ، والأعمش ، والحسن بن صالح وغيرهم . وذكروا أنه كان ضعيف الحديث . تهذيب التهذيب ، والتقريب .

(٢) هو عبيد الله بن زَحْر الضمرى مولاهم الإفريقى . ولد بإفريقية ودخل العراق فى طلب العلم ، فكان من شيوخه على بن يزيد الألهانى ، وخالد بن أبى عمران ، والأعمش . قال ابن حبان : إذا روى عن على بن يزيد أتى بالطامات . وزحر ، بفتح الزاى وسكون الحاء . تهذيب التهذيب ، والخلاصة .

(٣) هو على بن يزيد بن أبى هلال الألهانى الدمشقى . والألهانى : نسبة إلى ألهان بن مالك ، وهو أخو همدان بن مالك . وكان على فاضلا ، أدرك أربعين من المهاجرين والأنصار ، وقد تكلم فيه علماء الرجال وضعفوه . توفى فى العشر الثانى بعد المائة . تهذيب التهذيب والخلاصة .

(٤) هو أبو عبد الرحمن القاسم بن عبد الرحمن الدمشقى ، مولى آل أبى سفيان بن حرب ، وقيل كان مولى لجويرية بنت أبى سفيان فورث بنو يزيد بن معاوية ولاءه ، فلذلك يقال : مولى بنى يزيد بن معاوية . وكان ممن رحل إلى القسطنطينية . قال عبد الرحمن بن يزيد بن جابر : ما رأيت أحداً أفضل من القاسم ، كنا بالقسطنطينية فكان الناس يُرزَقون رغيفين رغفين فى كل يوم ، فكان يتصدق برغيف ، ويصوم ويفطر على رغيف . توفى سنة ١١٢ . تهذيب التهذيب .

(٥) هو الصحابى الجليل أبو أمامة صُدَىّ بن عجلان بن وهب الباهلى . وصدى بهيئة التصغير . وكان أبو أمامة ممن بايع تحت الشجرة ، وشهد أحدا وصفين مع على . وكان آخر صحابى مات بالشام . توفى سنة ٨٦ . الإصابة ٤٠٥٤ وتهذيب التهذيب .

(٦) ما عدا ل : « الخمر » .

(٧) المفرش ، بكسر الميم . وفى اللسان : « المفرش شيء كالشاذكونة » . والشاذكونة بالفارسية كل ما يتكأ عليه . استينجاس ٧٢٢ . وفى اللسان أيضاً : « والمفرشة : شئ يكون على الرحْل يقعد عليها الرجُل ، وهى أصغر من المفرش » .

ومن نساك البصرة وزهادهم

عامر بن عبد قيس ، وبَجَالة بن عَبَدَة العنبريَّان [١] ، وعثمان بن الأدهم والأسود بن كلثوم [٢] ، وصِلَةُ بن أشيم [٣] ، ومذعور بن الطُّفيل [٤] .

ومن بنى مِنقَر : جعفر [٥] وحرب ابنا جِرْفاس . وكان الحسن يقول : إنى لا أرى كالجعفرَيْنِ جعفراً . يعنى جعفر بن جرفاسٍ ، وجعفرَ بن زيدٍ العبدِى .

ومن النساء . مُعاذةُ العَدويّةُ ، امرأة صِلَةَ بنِ أشيم ، ورابعة القيسيَّة [٦] .

زهـاد الكـوفة

عمرو بن عُتْبَة [٧] ، وهَمَّام بن الحارث [٨] ، والرَّبيع بن خُثَيم [٩] ، وأُوَيْس القَرَنىُّ [١٠] .

---

(١) عامر بن عبد قيس ترجم فى (١ : ٨٣) . وأما بجالة فهو بجالة بن عَبَدة التميمى العنبرى البصرى ، كاتب جزء بن معاوية فى خلافة عمر ، وقد أدرك النبى ﷺ ولم يره . وبجالة كسحابة ، وعبدة بالتحريك . الإصابة ٧٥٧ وتهذيب التهذيب .

(٢) ترجم فى (١ : ٣٦٣) .

(٣) ترجم فى (١ : ٣٦٣) .

(٤) سبقت ترجمته فى ص ١٧٤ من هذا الجزء .

(٥) ذكره ابن دريد فى الاشتقاق ١٥٤ . وقال : « كان من عباد أهل البصرة المعدودين » ، ثم ساق خبر الحسن التالى . والجرفاس ، بكسر الجيم ، معناه الأسد . وأما حرب فلم أجد له ترجمة .

(٦) ترجمت معاذة ورابعة فى (١ : ٣٦٤) .

(٧) عمرو بن عتبة بن فرقد ، ترجم فى (١ : ٣٦٣) .

(٨) هو همام بن الحارث بن قيس بن عمرو بن ربيعة بن حارثة النخعى الكوفى العابد . قالوا : كان لا ينام إلا قاعداً ، وكان يدعو ويقول : « اللهم اكفنى من النوم باليسير ، وارزقنى سهراً فى طاعتك » . توفى فى إمارة عبد الله بن يزيد الخطمى على الكوفة سنة ٦٥ . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ١٨) .

(٩) ترجم فى (١ : ٣٦٣) . ما عدا ل ، هـ : « خيثم » ، والأوفق ما أثبت .

(١٠) هو أويس بن عامر القرنى ، بفتح القاف والراء ، نسبة إلى قَرَن بن رَدْمان ، وهم حى من مراد بن مذحج . أدرك أويس حياة الرسول ، وشهد صفين مع على ، وفيها قتل . الإصابة ٤٩٧ وتهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ٢٣) .

قال الراجز :

من عاشَ دهراً فسيأتيه الأَجَلْ والمرءُ تُوَّاقٌ إلى ما لم يَنَلْ ١٩٩

الموْت يتلوهُ ويُلْهِيه الأَمَلْ

وقال الآخر (١) :

كلُّنا يأمُلُ مدًّا فى الأَجَلْ والمنايا هى آفاتُ الأَمَلْ

وقال الآخر :

لا يغُرَّنْكَ مَسَاءٌ ساكنٌ قد يُوَافِى بالمنيَّات السَّحَرْ (٢)

وقال الآخر :

أنت وهَبتَ الفتية السَّلَاهِبْ (٣) وهَجمةً يَحارُ فيها الحالِبْ (٤)

وغَنماً مثل الجرَادِ السارب (٥) مَتاعَ أيَّامٍ ، وكُلٌّ ذاهِبْ

وقال المسعوديّ :

إن الكـرامَ مُناهِبُـو ك المجدَ كلُّهم فناهِبْ

أخلِفْ وأتلِف ، كلُّ شى ءٍ زعزعتهْ الرِّيح ذاهِبْ (٦)

---

(١) هو أبو النجم العجلى ، كما فى الحيوان (٦ : ٥٠٨ - ٥٠٩) .

(٢) ما عدا ل : « عشاء ساكن » و « بالمنيات الأجل » . ونحو هذا فى المعنى قول القائل فى ص ٢٠٢ وقد سبق فى الحيوان (٦ : ٥٠٨) :

يا راقد الليل مسروراً بأوله إن الحوادث قد يطرقن أسحارا

(٣) الفتية ، كذا وردت فى جميع النسخ والحيوان (٣ : ٧٥) . وظنى أنها القنية ، وهى بالكسر : كل ما اكتسب . والسلاهب : جمع سلهب ، وهو من الخيل الطويل على وجه الأرض .

(٤) الهجمة ، بالفتح : عدد عظيم من الإبل .

(٥) السارب : الذاهب على وجهه فى الأرض .

(٦) البيت فى الحيوان (٣ : ٧٦) . وسيعيد إنشاد البيتين فى ص ٢٥٢ و ٤ : ٦٩ .

وقال التَّيمىُّ (١) :

إذا كانت السّبعونُ سنَّك لم يكن ... لدائك إلّا أن تموتَ طبيبُ
وإنَّ امرأً قد سار سبعين حِجّةً ... إلى منهَلٍ من وردِهِ لقَرِيبُ (٢)
إذا ما مَضَى القرنُ الذى كنتَ فيهم ... وخُلِّفْتَ فى قِرْنٍ فأنتَ غَرِيب (٣)
إذا ما خلوتَ الدّهرَ يوماً فلا تَقُل ... خلوتُ ولكن قُلْ : عَلَىَّ رقيبُ

وقال غسّانُ خالُ الغَدّار :

ابيضّ منِّى الرأسُ بعد سَوَادِ ... ودعا المَشِيبُ حليلتِى لبِعادِ (٤)
واستحصَدَ القرنُ الذى أنا منهمُ ... وكفَى بذاكَ عَلَامةً لحَصَادِى (٥)

* * *

قال : كان علىّ بن عيسى بن ماهان (٦) ، كثيراً ما يقول : ﴿ رَبَّنَا أَفرِغ علينا صَبْراً وتوفَّنا مُسلمين ﴾ (٧) .

٢٠٠ وكان كثيراً ما يقول : ويلٌ للظالمين من الله !

---

(١) جعله ابن قتيبة فى عيون الأخبار (٢ : ٣٢٢) « الحجاج بن يوسف التيمى » . وأراه تحريف ناسخ .

(٢) فى أمالى القالى (٢ : ١) : « خمسين حجة » . قال : « كتب الحجاج بن يوسف إلى قتيبة ابن مسلم : إنى نظرت فى عمرى فإذا أنا قد بلغت خمسين سنة ، وأنت نحوِى فى السن ، وإن امرأ قد سار إلى منهل خمسين عاما لقَمِنٌ أن يكون دنا منه . فسمع التيمى منه هذا فقال :

وإن امرأ قد سار خمسين حجة ... إلى منهل من ورده لقريب »

وقد رويت القصة والأبيات الأربعة فى عيون الأخبار ، برواية : « سبعين حجة » .

(٣) القرن بالفتح : مثلك فى السن . وبالكسر : نظيرك فى الشجاعة والشدة .

(٤) الحليلة : الزوجة. ما عدا ل : « ببعاد » .

(٥) استحصد النبت : حان حصاده ، مثل أحصد .

(٦) كان على بن عيسى بن ماهان هو والفضل بن الربيع من رجال الأمين ، وكان على بن عيسى صاحب أمره كله . وعقد له فى سنة ١٩٥ على كور الجبل كلها : نهاوند وهمذان وقم وأصفهان ، حربها وخراجها . وقد شخص فى هذه السنة إلى حرب المأمون حتى بلغ الرى ، فلقيه طاهر بن الحسين ، واستمر القتال بينهما إلى أن قتل علىٌّ سنة ١٩٥ . تاريخ الطبرى (١٠ : ١٣٨ – ١٤١) .

(٧) من الآية ١٢٦ فى سورة الأعراف .

وقال محمد بن واسع [١] الإبقاء على العمل أشدُّ من العمل [٢] .

وكان أبو وائِلٍ النهشليّ يقول فى أوّل كلامه : إنّ الدّهرَ لا يذوقُ طعمَ ألم الفراق ولا يُذيقُهُ أهْلَه ، وإنما يَغتَمِسُون فى ليلٍ [٣] ، ويطفُون فى نهار ، فيُوشكُ شاهدُ الدنيا أن يغيب ، وغائبُ الآخرة أن يَشهَد .

قال : وسأل رجُل رَجُلًا ، فقال المسئول : اذهب بسلام ! فقال السائل : قد أنصفَنَا مَن رَدَّنا إلى الله .

الحِزاميُّ [٤] ، عن سفيان بن حمزة [٥] عن كَثِير بن الصَّلت [٦] أن حَكيم ابن حزامٍ [٧] باعَ دارَه من معاوية بستِّينَ ألفَ درهم ، فقيل له : غَبَنَكَ والله معاوية ! فقال : والله ما أخذتها فى الجاهلية إلا بزِقٍّ من خمرٍ ، أُشهِدكم أنّها فى سبيل الله ، فانظرُوا أيُّنا المغبون ؟! [٨].

---

(١) سبقت ترجمته فى (١ : ٣٥٣) .

(٢) فى الأصول : « الاتقاء » تحريف . ومثل هذا التحريف ما ورد فى عيون الأخبار (٢ : ٣٦١) من قول أبى حازم : « إنى لأرضى أن يتقى أحدكم على دينه . كما يتقى على فعله » .

(٣) ما عدا ل : « ينغمسون » وفى هـ : « تنغمسون » و « تطفون » وكله صحيح ، يقال غمسه فانغمس واغتمس .

(٤) ب ، جـ . « الخزامى » .

(٥) هو سفيان بن حمزة بن سفيان بن فروة الأسلمى ، روى أيضاً عن كثير بن زيد الأسلمى ، وعروة بن سفيان ، وكان صالح الحديث . تهذيب التهذيب .

(٦) كثير بن الصلت بن معديكرب بن وليعة شرحبيل بن معاوية الكندى قيل : له إدراك ، روى عن جمع من كبار الصحابة ، وذكره ابن سعد فى الطبقة الأولى من تابعى أهل المدينة ، وقيل كان اسمه قليلا فسماه عمر كثيرا . وكان له شرف وحال جميلة ، وإليه اختصم الشماخ وزوجه وكان عثمان قد أقعده للنظر بين الناس . الإصابة ٧٤٧٣ وتهذيب التهذيب .

(٧) هو حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى الأسدى ، وهو ابن أخى خديجة بنت خويلد زوج رسول الله . ولد قبل الفيل بثلاث عشرة سنة . وفيه ورد الحديث : « من دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن » . وكان من المؤلفة قلوبهم ، وشهد حنينا وأعطى من غنائمها مائة بعير ، ثم حسن إسلامه . الإصابة ١٦٩٥ .

(٨) الخبر روى بوجه آخر فى الإصابة . قال : « وكانت دار الندوة بيده ، فباعها بعد من معاوية بمائة ألف درهم ، فلامه ابن الزبير فقال له : يا ابن أخى ، اشتريت بها داراً فى الجنة ! فتصدق بالدراهم » . ما عدا هـ : « فانظر » .

قال سُفيان الثَّورى : ليس مِن ضَلالةٍ إلّا عليها زِينة ، فلا تعرضنَّ دِينَك لمن يُبغّضه إليك .

وقال عمر بن عبد العزيز : مَن جعل دينه غَرَضاً للخُصومات أكثر التنقُّل .

وأتى مسلماً نصرانىٌّ يُعزِّيه ، فقال له : مِثلى لا يُعزّى مِثلَك ، ولكن انظر إلى ما زَهِدَ فيه الجاهل فارغَبْ فيه .

وكان الحسنُ بن زيدِ بن على بن الحسين بن علىّ يُلَقّب ذا الدّمعة (١) ، فإذا عُوتِب فى كثرة البُكاء قال : وهل تركتِ النارُ والسَّهمانِ لى مَضْحَكاً ! يُريد قتل زيد بن على ، ويحيى بنِ زيد (٢) .

وقيل لشيخٍ من الأعراب : قُمْتَ مَقاماً خِفْنا عليك منه ! قال : آلموتَ أخاف ، شيخ كبيرٌ وربٌّ غفورٌ ، ولا دَيْنَ ولا بنات .

وقال أبو العتاهية :

وكما تبلَى وجوهٌ فى الثّرَى فكذا يَبلَى عليهنّ الحَزَنْ

وقال بَشّار :

كيف يَبكى لمَحْبِس فى طُلُولٍ من سيُفضِى لحبس يومٍ طويلِ (٣)
إنّ فى البَعْثِ والحساب لَشُغلًا عن وُقوفٍ برَسم دارٍ مُحِيلِ

٢٠١ وقال محمود الورّاق (٤) :

أليس عجيباً بأنّ الفــتى يُصَاب ببعض الذى فى يديهِ

---

(١) ل : « الحسن بن زيد بن على بن الحسين بن على كان يلقب ذا الدمعة » .

(٢) زيد بعدها فيما عدا ل : « أخاه » والوجه « أخيه » .

(٣) المحبس ، بكسر الباء : اسم لموضع الحبس ، ويكون أيضاً المصدر كقوله تعالى : (إلى الله مرجعكم) أى رجوعكم ؛ وقوله : (ويسئلونك عن المحيض) ، أى الحيض .

(٤) ل : « محمود الوراق النحاس » .

فمن بين باكٍ له مُوجَعٍ　　　وبين مُعزٍّ مُغِذٍّ إليه (١)
ويسلبُهُ الشَيبُ شرخَ الشبابِ　　　فليس يعزِّيه خلقٌ عليه (٢)

وقال أيضاً :

بكيتُ لقُرْبِ الأَجَلْ　　　وبُعْد فوات الأَمَلْ (٣)
ووافِـدِ شيبٍ طَرَا　　　بعَقْب شبابٍ رَحَلْ
شبابٌ كأَنْ لم يَكُنْ　　　وشيبٌ كأَنْ لم يَزَلْ
طَوَاك بَشيرُ البقاءِ　　　وحَلَّ بشيرُ الأَجَلْ
طَوَى صاحبٌ صَاحباً　　　كذاك اختلافُ الدُّوَلْ

وقال (٤) :

رأيتُ صلاحَ المرءِ يُصْلِحُ أَهْلَهُ　　　ويُعْديهمُ داءُ الفسادِ إذا فَسَدْ
يُعَظَّمُ فى الدنيا بفضل صلاحه　　　ويُحفَظُ بعد الموت فى الأَهل والوَلَدْ

وقال الحسن بن هانىء :

أَيَّةَ نارٍ قَدَح القادِحُ　　　وأىَّ جِدٍّ بلَغ المازِحُ
لله دَرُّ الشَّيبِ من واعظٍ　　　وناصحٍ لو حَظِىَ الناصِح
يأبَى الفتَى إلّا اتّباعَ الهَوَى　　　ومَنهجُ الحقِّ له واضحُ
فَاسمُ بعينَيك إلى نسوَةٍ　　　مُهُورُهُنّ العَمَلُ الصّالحُ
لا يجتلى الحسناءَ من خدرِها　　　إلّا امرؤٌ ميزانُه راجِحُ (٥)

---

(١) المغذ : المسرع . والإغذاذ : الإسراع فى السير .
(٢) شرخ الشباب : أوله ونضارته وقوته .
(٣) فى الشعراء ٨٤٣ أن الشعر لعلى بن جبلة وانظر عيون الأخبار (٢ : ٣٢٦) .
(٤) ما عدا ل : « وقال محمود أيضاً » .
(٥) هـ : « العذراء » . الديوان ١٩٢ . « الحوراء » . ل : « لن يجتلى الحسناء » .

من اتّقى اللهَ فذاك الذى　　سيق إليه المَتْجَرُ الرّابحُ

٢٠٢ وقال أيضاً :

خَلِّ جنبيك لرامِ　　وامضِ عنهُ بسَلَامِ
مُتْ بداءِ الصّمت خيرٌ　　لك من داءِ الكلام
إنّما السالم مَن ألْـ　　ـجَمَ فاهُ بلجَامِ
رُبّما استفتَحتَ بالقو　　ل مَغاليقَ الْحمام (١)
رُبَّ لَفظٍ سَاقَ آجا　　لَ فِئام وفِئامِ (٢)
فالبَس الناس على الصِّـ　　ـحَّةِ منهم والسَّقامِ (٣)
والمنايــا آكــلاتٌ　　شاربــاتٌ لِلأنام
شبتَ ياهٰذَا وما تَتْـ　　ـرُكُ أخلاقَ الغلامِ

وقال أيضاً :

كُنْ من الله يكُنْ لك　　واتّـقِ الله لعـلَّكْ
لا تكُنْ إلّا مُعِدًّا　　للمنايــا فكــأنَّكْ
إنّ للموْتِ لسَهْماً　　واقعاً دُونك أوْ بكْ
نحنُ نجرِى فى أفَا　　نينِ سُكونٍ وتحرُّكْ
فعلى الله تَوَكّـلْ　　وبتقــواهُ تمسَّكْ

وله أيضاً :

يا نُوَاسىُّ تفكَّرْ　　وتَعَزَّ وتصبّرْ (٤)

---

(١) ما عدا ل : « بالمزح » . والمغاليق : جمع مغلاق ، وهو المرتاج ، وهو ما يغلق به الباب .

(٢) حـ : « لفئام » وبذلك غيرت فى ب . والفئام : الجماعة الكثيرة من الناس .

(٣) بدله فيما عدا ل :

« فالزم الصمت فإن الـ　　ـصمتَ أبقى للجمام »

(٤) فى الديوان ١٩٦ : « يا نواسى توقر » .

سَاءَكَ الدّهرُ بشئٍ ولَمَا سَرّك أكثَرْ
يا كبيرَ الذّنب عفوُ الله من ذنبك أكبَرْ
أكبر الأشياءِ فى أصـ ـغرِ عفوِ الله يصغُرْ (١)

وقال سعدُ (٢) بن ربيعةَ بن مالِك بن سعد بن زَيد مَناةِ بن تميم :

أَلَا إنّمَا هذا المُلالُ الذى تَرَى وإدْبَارُ جسمى مِن رَدَى العَثَراتِ (٣)
وكَم من خليلٍ قد تجلَّدْتُ بعدَهُ تَقطَّعُ نفسى دونَهُ حَسَرَاتِ (٤) ٢٠٣

وهذا من قديم الشِّعْر :

وقال الطِّرِمّاحُ بن حَكيم (٥) ، فى هذا المعنى :

وشَيّبَنى أن لا أزالُ مُنَاهِضاً بِغيرِ قُوًى أنْزُو بِهَا وأَبُوعُ (٦)
وإنّ رجالَ المال أضْحَوْا ومالُهم لَهم عند أبواب المُلوك شفيعُ
أمُخترِمِى رَيْبُ المَنونِ ولم أنل من المالِ ما أعصِى به وأطـعُ (٧)

ومن قديم الشعرِ قول الحارث بن يزيد ، وهو جَدُّ الأحَيمِرِ اللِّصّ السعدىّ : (٨)

لا لَا أعُقّ ولا أحُو بُ ولا أُغِيرُ على مُضَرْ (٩)

---

(١) البيت من ل ، هـ فقط ، وأثبت فى هامش التيمورية ، وفى الديوان : « عن أصغر عفو الله أصغر » ، صواب هذا « من أصغر » .

(٢) ما عدا ل هـ : « سعيد » .

(٣) فى حواشى هـ : « مأخود من الملة يعنى الحرارة وهى الحمى » .

(٤) ما عدا ل : « بعده حسرات » .

(٥) « بن حكيم » من ل فقط . وسبقت ترجمته فى (١ : ٤٦) .

(٦) باع يبوع : بسط باعه فى المشْى . والباع : قدر مد اليدين ، أصله فى الدابة .

(٧) اخترمته المنية من بين أصحابه : أخذته من بينهم .

(٨) الأحيمر السعدى ، شاعر من لصوص العرب ، مثل عبيد بن أيوب العنبرى ، ترجم له ابن قتيبة فى الشعر والشعراء . وقال : « وهو متأخر ، وقد رآه شيوخنا » . وهو القائل :

عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى وصوت إنسان فكدت أطـير

(٩) أحوب ، من الحوب ، وهو الإثم . المصدر بفتح الحاء ، والاسم بضمها .

لَكِنَّما غَزْوِى إذا ضَجَّ المَطىُّ من الدَّبَرْ (١)

وقال آدمُ بن عبد العزيز بن عُمَر بن عبد العزيز (٢) :

وإن قالت رجالٌ قد تولَّى زمانكُمُ وذا زَمن جَدِيدُ
فما ذَهَبَ الزّمانُ لنا بمجدٍ ولا حَسَبٍ إذا ذُكِرَ الجُدُودُ
وما كُنَّا لنخلُدَ إذْ مَلَكنَا وأىُّ النّاس دام له الخلودُ

وقيل لأخيه بعد أن رأوه حمّالًا : لقد حطَّكَ الزّمان ، وعضَّكَ الحَدَثان ، فقال : ما فَقدْنا مِن عيشِنَا إلّا الفُضول !

وقال عُروةُ بنُ أذينة الكنانىُّ :

نُرَاعُ إذا الجنائزُ قابلتنا وَيَحْزُننا بكاءُ الباكياتِ (٣)
كروعَةِ ثَلّةٍ لمُغارِ ذِئبٍ فلَمَّا غاب عادت راتعاتِ (٤)

وقالت خَنساءُ بنتُ عمرٍو :

تَرتعُ ما غَفلَت حتى إذا ادّكَرَت فإنّما هى إقبالٌ وإدبارُ (٥)

---

(١) أنشد الجاحظ البيتين فى الحيوان (١ : ١٣٣) ، وعقب بقوله : « إنما فخر بالغزو فى ذلك الزمان » . وأنشدهما كذلك فى (٣ : ٥/٧٧ : ٢٣) المطى : جمع مطية . ضج : صاح ، والمراد اشتد ألمه . والدبر ، بالتحريك : جمع دبرة ، وهى قرحة الدابة .

(٢) ما عدا ل ، هـ : « آدم بن عبد العزيز بن عبد العزيز » ، تحريف . وهو حفيد عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم . وهو أحد من منّ عليه أبو العباس السفاح من بنى أمية . وكان فى أول أمره خليعاً ماجناً منهمكا فى الشراب ، ثم نسك بعد ما عمّر ، ومات على توبة ومذهب جميل ، وكان المهدى يقربه ويصطفيه . الأغانى (١٤ : ٥٨ - ٦٠) . وانظر تاريخ بغداد (٧ : ٢٧) .

(٣) البيتان فى الحيوان (٦ : ٥٠٧) وعيون الأخبار (٣ : ٦٢) . وفى عيون الأخبار : « ونلهو حين تخفى ذاهبات » .

(٤) الثلة ، بالفتح : جماعة الغنم . والمغار : مصدر ميمى من أغار . الحيوان : « لمغار سبع » .

(٥) من مرثية لها فى أخيها صخر . والبيت فى صفة ناقة ثكلت ولدها . وقبله :

فمـا عجـول على بو تطيـف به قد ساعدتها على التحنـان أظـآر

ما غفلت ، أى عن ذكر ولدها . جعلتها لكثرة ماتقبل وتدبر كأنها تجسّمت من الإقبال والإدبار . انظر الحيوان (٦ : ٥٠٧) والخزانة (١ : ٢٠٨) .

٢٠٤ وقال أبو النجم :

فلو ترى التُّيوسَ مُضْجَعاتِ عَرَفْتَ أن لَسْنَ بسالماتِ
أقول إذ جئن مُذبَّحاتِ ألم تكن من قبلُ راتعاتِ (١)
ما أقربَ الموتَ من الحياة

وقال سليمان بنُ الوليد (٢) :

رُب مَغْرُوسٍ يُعاش به عَدِمتَهُ كفُّ مغتَرِسِهْ (٣)
وكذاك الدَّهرُ مأتَمهُ أقربُ الأشياءِ من عُرُسِه

وقال آخر :

يا راقِدَ اللَّيلِ مَسرُوراً بأوَّلِه إنَّ الحوادِثَ قد يطرُقنَ أسحَارا (٤)

وقالت امرأةٌ فى بعض الملوك (٥) :

أبكيكَ لا للنَّعيم والأُنسِ بل للمعالى والرُّمحِ والفَرسِ
أبكى على فارسٍ فُجِعتُ بهِ أرملِنى قبل لَيلَةِ العُرُسِ

---

(١) ما عدا ل : « رايعات » . وفى سائر النسخ : « واقعات » ، صوابهما ما أثبت من هـ .

(٢) هو سليمان بن الوليد الأعمى ، أخو مسلم بن الوليد الأنصارى . قال الجاحظ فى الحيوان (٤ : ١٩٥) حيث أنشد الشعر : « وكانوا لايشكون بأن سليمان هذا الأعمى كان من مستجيبى بشار الأعمى ، وأنه كان يختلف إليه وهو غلام فقبل عنه ذلك الدين » . وقد جعله ياقوت فى إرشاد الأديب (١١ : ٢٥٥) والصفدى فى نكت الهميان ١٦٠ ابناً لمسلم . قال ياقوت : « وهو ابن مسلم بن الوليد المعروف بصريع الغوانى ، الشاعر المعروف . كان كأبيه شاعراً مجيداً . وكان ملازماً لبشار بن برد يأخذ عنه ، ولذا كان متهماً بدينه . مات سنة ١٧٩ » . والشعر فى المرجعين المتقدمين وعيون الأخبار (٣ : ٦١) وفيها أنه « سليمان الأعجمى » . و « الأعجمى » تحريف « الأعمى » .

(٣) ل فقط : « عدمته عين مفترسه » .

(٤) ل : « مسروراً برقدته » ، وأثبت مافى سائر النسخ والحيوان (٦ : ٥٠٨) . والبيت لأبى العتاهية فى ديوانه ١٢٠ ، وقد نسب مع قرين له فى تفسير القرطبى إلى ابن الرومى . وذلك فى سورة الطارق .

(٥) المرأة ، هى بيت عيسى بن جعفر بن أبى جعفر المنصور ، وكانت مملكة ، أى معقوداً عليها ، للأمين بن هارون الرشيد ، فقالت الشعر التالى ترثيه به حين قتل . الحيوان (٣ : ٨٩) والطبرى (١٠ : ٢١٠) . وفى العقد (٣ : ٢٧٧) أنها لبابة بنت على بن ريطة . ترثى زوجها المأمون ، وكان قتل عنها ولم يبن بها . وفى الطبرى أيضاً (١٠ : ٢١٠) أنها لبابة بنت على بن المهدى .

أخلاط من شعر ونوادر وأحاديث

قال هُبَيرةُ بنُ أبى وَهبٍ المخزومى (١) :

وإنَّ مقال المرءِ فى غير كُنِهِه ... لكالنَّبلِ تَهْوِى ليسَ فيها نصالُهَا (٢)

وقال الرّاجز :

والقولُ لا تَملكُهُ إذَا نَما ... كالسَّهم لا يَرجِعُهُ رامٍ رَمى

وإلى هذا ذهبَ عامِرٌ الشّعبىُّ حيث يَقُول : « وإنّك على إيقاعِ ما لم تُوقع أقدَرُ مِنكَ عَلَى رَدِّ ما قد أوقَعت » .

وأنشد :

فداويتُهُ بالحِلم والمرءُ قادِرٌ ... عَلَى سَهمِه مادامَ فى كفِّهِ السَّهمُ (٣)

وقال الأنصارىّ (٤) :

وبَعضُ القولِ ليسَ له حَصَاةٌ ... كمَخْضِ الماءِ ليس له إتاءُ (٥)

وبعضُ خلائق الأقوام داءٌ ... كداء الشيخ ليس له دَواءُ (٦)

---

(١) سبقت ترجمته فى (١ : ٣١٩) .

(٢) فى غير كنهه ، أى فى غير وجهه . وقد سبق البيت فى (٢ : ٢٩١) .

(٣) البيت لمعن بن أوس المزنى فى ديوانه ٦ ليبسك ، وحماسة البحترى ٣٨٢ ، برواية : « فبادرت منه النأى » .

(٤) هو قيس بن الخطيم الأنصارى . ديوانه ٢٧ – ٢٨ ، والبيان (٢ : ٢٧٩) . وانظر ماسبق فى ص ١٨٦ من نسبة بعض الشعر إلى الربيع بن أبى الحقيق . والبيتان فى الحيوان (٣ : ٦٨) مع نسبتهما إلى بعض الأنصار .

(٥) الحصاة ، ها هنا : العقل . قال كعب بن سعد الغنوى :

وإن لسان المرء ما لم يكن له ... حصاة ، على عوراته لدليل

والإتاء ، بالكسر : الزبد .

(٦) فى ١٨٦ : « ليس له شفاء » . وفى هامش هـ : « كداء البطن » .

٢٠٥ وقال الآخر :

وَمَوْلًى كداءِ البطن أمّا لقاؤهُ ... فحِلمٌ وأما غيبُهُ فظَنونُ (١)

وقال الآخرُ :

تَقَسَّمَ أولادُ المُلِمَّةِ مغنَمِى ... جِهاراً ، ولم يَغلبكَ مثل مُغلَّبِ (٢)

وقال الثُّلْبُ اليمانىُّ :

* وهُنَّ شَرُّ غالبٍ لمن غُلِبْ *

وقال النبى ﷺ : « إذا كتب أحدُكم فَلْيُتَرِّبْ كتابَه ، فإنّ التُّرابَ مبارَك ، وهو أنجح للحاجَةِ » .

وذكر الله آدَمَ الذى هو أصلُ البَشر فقال : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ﴾ . ولذلك كَنَّى النبى عليه السلام عليًّا أبَا تُرَاب . قالوا : وكانت أحَبَّ الكُنَى إليه .

وقال الآخر :

وإن جئت الأميرَ فقُلْ سلامٌ ... عليك ورحمةُ اللهِ الرحيمِ

وأمّا بعدَ ذاكَ فلِى غَريمٌ ... من الأعرابِ قُبِّحَ من غريمِ

له ألفٌ علىّ ونصفُ ألفٍ ... ونِصفُ النصفِ فى صَكٍّ قديمِ

دراهِمُ ما انتفَعتُ بها ولكن ... وصَلْتُ بها شُيوخَ بنى تميمِ

وقال الكميت (٣) :

---

(١) الظنون : المتهم ومن لا يوثق به .

(٢) الملمة ، من الإلمام ، أى التى تلم بالرجال تزورهم وتحرص عليهم . والمغلب : المغلوب . انظر مامضى فى ص ١١ من هذا الجزء .

(٣) كان من قصة الشعر ما رواه أبو الفرج قال : « خرجت الجعفرية على خالد بن عبد الله القسرى وهو يخطب على المنبر وهو لا يعلم بهم ، فخرجوا فى التبابين ينادون : لبيك جعفر ، لبيك جعفر ! وعرف خالد خبرهم وهو يخطب على المنبر ، فدهش فلم يعلم ما يقول فزعا ، فقال : أطعمونى ماء ! ثم خرج الناس إليهم فأخذوا ، فجعل يجىء بهم إلى المسجد ويؤخذ طن قصب ، =

حَلفتُ بربِّ الناسِ : ما أُمُّ خالِدٍ ... بأُمِّكَ إذْ أصواتُنا الهَلُ والهَبُ (١)

ولا خالدٌ يستَطعِمُ الماءَ قائماً ... بعِدْلِكَ والدَّاعى إلى الموت ينعَبُ (٢)

وقال ابن نَوْفلٍ (٣) :

تقُولُ لِمَا أصابكَ أطعمونى ... شَرَاباً ثمّ بُلْتَ على السَريرِ

لأعْـلَاجٍ ثمانيـةٍ وشيـــخ ... كبير السِّنِّ ذى بصَرٍ ضريرِ (٤)

وقال ابنُ هَرْمَةَ (٥) :

تراهُ إذا ما أبصَرَ الضَّيفَ كلبُهُ ... يكلِّمُهُ من حُبِّهِ وهو أعجَمُ (٦)

قال : وقال المهلَّبُ : « عجبت لمن يشترى المماليك بمالِهِ ولا يشترى الأحرارَ بمعروفه » .

= فيطلى بالنفط ويقال للرجل : احتضنه . ويضرب حتى يفعل ثم يحرق ، فحرقهم جميعاً ، فلما قدم يوسف بن عمر دخل عليه الكميت وقد مدحه بعد قتله زيد بن على ، فأنشده قوله فيه :

خرجتَ لهم تمشى البراح ولم تكن ... كمن حِصنُهُ فيه الرتاج المضببُ

وما خالد يستطعم الماء فاغرا ... بعدلك والداعى إلى الموت ينعب

قال : والجند قيام على رأس يوسف بن عمر ، وهم يمانية ، فتعصبوا لخالد فوضعوا ذباب سيوفهم فى بطن الكميت فوجئوه بها وقالوا : أتنشد الأمير ولم تستأمره . فلم يزل ينزفه الدم حتى مات » . الأغانى (١٥ : ١١٦) .

(١) خالد ، هو ابن عبد الله القسرى كما سبق فى الخبر . والأم بفتح الهمزة وكسرها : الشكل والأمر والقصد . انظر اللسان (١٤ : ٢٨٩) ومجالس ثعلب ٤٦٦ والمزهر (١ : ٥١٣) . يقول : ليس يكون خالد مثلك فى الثبات والشجاعة حين تشتد الغارة ويصاح فيها بالخيل : هَلاَ ، وهَبِى .

(٢) العدل ، بالكسر : المثل والنظير . ما عدا ل : هـ : « بعذلك » تحريف . ينعب : يصيح . ل : « يسغب » صوابه فى سائر النسخ والأغانى . وانظر لاستطعام خالد الماء ما سبق من الخبر فى الحواشى .

(٣) هو يحيى بن نوفل المترجم فى (٢ : ٢٦٦) .

(٤) سبق الكلام على البيتين فى (٢ : ٢٦٧) .

(٥) هو إبراهيم بن هرمة ، المترجم فى (١ : ١١١) .

(٦) البيت من أبيات سبقت بدون نسبة فى الحيوان (١ : ٣٧٧ - ٣٧٨) . وهى كذلك عارية من النسبة فى الحماسة (١ : ٢٦٠ - ٢٦١) . وفيهما : « يكاد إذا ما أبصر الضيف » .

وقال الشاعر :

رُزِقتُ لُبًّا ولم أُرزَقْ مُروءَتَه   وما المُرُوءَة إلّا كثرةُ المالِ (١)
إذا أردتُ مُسَاماةً تَقَعَّدنى   عمَّا يُنَوِّهُ باسمى رِقَّةُ الحالِ (٢)

٢٠٦

وقال الأحنف :

فلَوْ مُدَّ سَروْى بمالٍ كثير   لَجُدْتُ وكنتُ لَهُ باذِلا (٣)
فإنّ المروّةَ لا تُستَطاع   إذا لم يكُنْ مالُها فاضِلا

وقال جريرُ بن يزيدَ (٤) :

خيرٌ من البُخْلِ للفتى عَدَمُهْ   ومن بَنِين أعِقّةٍ عَقَمُه (٥)

قال : ومشَى رجال من تميمٍ إلى عَتّاب بن ورقاءَ ، ومحمد بن عُمَير (٦) ، فى عَشْرِ دياتٍ فقال محمد بن عُمَير : عَلَىَّ ديَةٌ . فقال عتّابٌ : علىَّ الباقيَة . فقال محمد : نِعم العَوْنُ على المروءةِ المال (٧) .

وقال الآخر :

ولا خيرَ فى وصلٍ إذا لم يكنْ له   على طول مرّ الحادثَاتِ بقاءُ

وقال الآخر :

شفاءُ الحُبِّ تقبيلٌ وضَمٌّ   وجَرٌّ بالبُطُونِ على البُطُونِ (٨)

---

(١) البيتان فى عيون الأخبار (١ : ٢٣٩) .

(٢) فى اللسان (قعد) : « ابن السكيت : يقال : ما تقعَّدنى عن ذلك الأمر إلا شغل ، أى ما حبسنى » . ما عدا ل : « تقاعدنى » تحريف .

(٣) سبق البيتان فى (٢ : ٢٩٢) .

(٤) ذكره الجاحظ فى الحيوان (٧ : ٨٤) .

(٥) يقال بضم العين وفتحها وبالتحريك .

(٦) عتاب بن ورقاء الرياحى ، ترجم فى (٢ : ٢٣٥) . ومحمد بن عمير بن عطارد ترجم فى (٢ : ٢٩٢) ، حيث سبق الخبر .

(٧) فى (٢ : ٢٩٢) : « اليسار » بدل « المال » .

(٨) ما عدا ل : « وشم وضم بالبطون » .

وأنشد (١) :

والله لا أرضى بطُول ضَمِّ ولَا بتقْبيلٍ ولَا بِشَمِّ
إلّا بهَزهازٍ يُسَلِّى همِّى يسقطُ منه فَتَخِى فى كُمِّى
لِمثلِ هذا ولدتنى أُمِّى

وأنشد :

لا ينفَعُ الجاريَةَ الخِضَابُ ولا الوشاحانِ ولَا الجِلبابُ
مِن دُونِ أن تَصْطَفِقَ الأركابُ (٢) وتلتَقِى الأسبابُ والأسبابُ
ويخرجَ الزُّبُّ له لعابُ

وقال الآخر :

ولقد بَدَا لى أنَّ قلبَكَ ذاهِلُ عنِّى وقلبى لو بدا لك أذهَلُ (٣)
كلٌّ يُجامِلُ وهو يُخفى بُغضَهُ إنَّ الكريمَ على القِلَى يَتجمَّلُ

وقال الآخر :

وحظُّكَ زورة فى كُلِّ عامٍ موافقةً على ظَهر الطَّريقِ (٤)
سَلاماً خالياً من كُلِّ شئٍ يعود به الصَّديق على الصَّديقِ

وقال الآخر :

وزعمتَ أنّى قد كذبتُكَ مَرَّة بعضَ الحديثِ فما صدقتُكَ أكثرُ (٥)

---

(١) الرجز للدهناء بنت مسحل زوج العجاج . انظر حواشى (٢ : ٣٥١) . والفتخ : جمع فتخة ، بالتحريك ، وهى حلقة تلبس فى الإصبع كالخاتم لا فص فيها ، فإذا كان فيها فص فهى الخاتم ، وحقيقتها أن تلبس فى أصابع الرجلين ، وتلبس أيضاً فى أصابع اليدين .

(٢) الأركاب : جمع ركب ، بالتحريك ، وهو منبت العانة والرجز فى اللسان والمقاييس (ركب) .

(٣) البيتان لمعن بن أوس ، كما سبق فى (٢ : ٣٥٤) . وليسا فى ديوانه .

(٤) سبق البيتان فى (٢ : ٣٦٢) .

(٥) ل : « بعد الحديث » ، تحريف .

وقال الآخر :

أهينُوا مَطاياكُم فإنِّى وجدتُه
يهُونُ علْى البرذَون موتُ الفتى النَّدْبِ (١)

وقال الآخر :

لا يَحفِلُ البُردُ من يُبلِى حواشيَهُ ولا تُبالى عَلَى مَن راحت الإِبِلُ

وقال الآخر :

ألا لَا يُبالى البُردُ مَن جَرَّ فَضْلَهُ كما لاتُبالى مُهْرَةٌ مَنْ يقُودُها

وقال الآخر (٢) : ٢٠٧

وإنّى لأرثِي للكريم إذا غدَا على حاجةٍ عند اللّئيم يُطالِبُهْ
وأرثِي له من مَجلسٍ عند بابه كمَرْثِيَتِى للطِّرف والعِلجُ راكبُه (٣)

وقال الفرزدق :

أترجو رُبَيعٌ أن تجىءَ صغارُها بخيرٍ وقد أعيا رُبَيْعاً كبارُها (٤)

وقال الشاعر :

ألم تَر أنّ سيْرَ الخير رَيثٌ وأنّ الشَّر راكبهُ يَطيرُ (٥)

---

(١) الندب : الخفيف فى الحاجة الظريف النجيب .

(٢) هو عبيد الله بن عكراش ، كما فى عيون الأخبار (١ : ٨٩) .

(٣) مجلس ، أى جلوس . والطرف ، بالكسر : الفرس الكريم الطرفين ، أى الأبوين . والعلج : الرجل من كفار العجم . وانظر لهذا الشعر وماقبله رسائل الجاحظ (٢ : ٢٥٢ – ٢٥٣) .

(٤) ربيع بالتصغير ، من بنى الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم . الاشتقاق ١٥١ والقاموس (ربع) . والبيت لم يرو فى ديوانه ، لكنه منسوب إليه فى الأغانى (١٩ : ١٥) وابن سلام ١٣٧ . قال ابن سلام : « وكان الفرزدق أكثَرَهمْ بيتاً مقلداً . والمقلد : البيت المستغنى بنفسه ، المشهور ، الذى يضرب به المثل » . وللفرزدق فى هذا المعنى قوله فى الديوان ٣٨٤ :

ترجى أن تزيد بنو فقيم صغارهم وقد أعيوا كبارا

(٥) الريث : البطء . يطير : يسرع .

وقال ابن يَسيرٍ (١) :

تأتى المكارهُ حينَ تأتى جُمْلةً   وترى السُّرورَ يَجى مع الفلَتَاتِ (٢)

قيل لبلَالِ بن أبى بُرْدَة : لم لا تُوَلِّى أبا العَجُوزِ بن أبى شَيخ العَرّافَ (٣) – وكان بلَالٌ مسترضَعاً فيهم ، وهو مِن بَلْهُجَيْم (٤) – قال : لأنى رأيتُ منه ثلاثاً : رأيتُه يحتَجمُ فى بُيوتِ إخوانه ، ورأيتُ عليه مِظلّةً وهو فى الظِّلّ ، ورأيتُه يُبادِرُ بَيضَ البُقَيْلة (٥) .

وكان عندى شيخٌ عظيمُ البدَنِ جَهير الصّوتِ ، يستَقصِى الإعراب ، وقد ولَدَه رجلٌ من أهل الشُّورَى ، وكان بقُرْبِى عبد أسوَدُ دقيق العَظم دَميم الوجهِ (٦) ، ورآنى أُكبِرُهُ ، فقال لى حينَ نَهضَ ورأى عَظْماً : يا أبا عُثمان ، لا واللهِ إنْ يُسَاوِى ذلك العَظْمَ البالى ، بصُرَتْ عينى به فى الحمامِ وتَناوَلَ قطعةً

---

(١) محمد بن يسير الرياشى المترجم فى (١ : ٦٥) . ما عدا ل : « بشير » تحريف .

(٢) ما عدا ل : « يجىء فى الفلتات » .

(٣) هذا ما فى هـ . وفى ل « الغراف » . وفى سائر النسخ : « العرف » بالعين المهملة .

(٤) بلهجيم ، أى بنو الهجيم ، وهو الهجيم بن عمرو بن تميم بن مر . المعارف ٣٥ والاشتقاق ١٢٤ . ونظيره قولهم فى بنى الحارث وبنى القين : بلحارث ، وبلقين . وفى اللسان (حرث) : « وقولهم بلحارث لبنى الحارث بن كعب من شواذ الإدغام ، لأن النون واللام قريبا المخرج ، فلما لم يمكنهم الإدغام بسكون اللام حذفوا النون كما قالوا : مَسْت وظَلْت . وكذلك يفعلون بكل قبيلة تظهر فيها لام المعرفة ، مثل بلعنبر وبلهجيم ، فإذا لم تظهر اللام فلا يكون ذلك » .

(٥) بيضة البقيلة ، قال الثعالبى فى ثمار القلوب ٣٩٣ : « تذكر فى عيون الأطعمة : ولا يستحسن المبادرة إليها » ، ولم يفسرها بأكثر من هذا . ثم نقل عن الجاحظ فى البخلاء قوله ، « فإن كان لابد من المؤاكلة ولابد من المشاركة ، فمع من لا يستأثر علىَّ بالمخ ، ولا ينتهز بيض البقيلة ، ولا يلتهم كبد الدجاجة ، ولا يبادر إلى دماغ رأس السلاءة ، ولا يختطف كلية الجدى ، ولا يزدرد قانصة الكركى » . فيفهم من سوقها مع هذه النظائر أنها قطعة من متخير اللحم ، تشبه البيض .

(٦) الدميم : القبيح . ما عدا ل ، هـ : « ذميم » تحريف .

من فَخّارٍ فأعطاها رجُلًا وقالَ له : حُكَّ بها ظَهرى ! أفتظنُّ هذا يا أبا عُثمانَ يُفلح أبداً .

قال أبو الحسن : سأل الحجّاجُ غُلاماً فقال له : غُلامُ مَن أنت ؟ قال : غلامُ سيِّدِ قيس . قال : ومَن ذاك ؟ قال : زُرارةُ بنُ أوفى [١] . قال : وكيف يكون سيِّد قيس وفى دارِهِ التى ينزِلُ فيها [٢] سُكّان ؟

قال : وقال رجل لابنه : إذا أردتَ أن تَعرِفَ عيبَك فخاصِمْ شيخاً من قُدماءِ جيرانِك . قال : يا أبَتِ لو كنتُ إذا خاصَمتُ جارى لم يَعرِفْ عيبِى ٢٠٨
غيرى كانَ ذلك رأياً ، ولكن جارى لا يُعرِّفُنى عيبى حتى يُعرِّفه عدوِّى .

وقد أخطأَ الذى وَضَع هذا الحديث لأنّ أباه نهاه ولم يأمُرْه .

وقال الآخر :

اصْطَنِعنى وأَقِلْنى عثرَتى ... إنّها قد وقَعت منى بقُرّ [٣]
واعْلَمَنْ أن ليس ألفا دِرْهَمٍ ... لمديحى وهجائى بخَطَر [٤]
يذهَبُ المالُ ويبقى مَنطقٌ ... شائعٌ يأْثِرُهُ أهل الخبَرْ
ثمّ أرميكُمْ بوجهٍ بارزٍ ... لست أمشى لعَدُوِّى بخَمَرْ [٥]

---

(١) هو أبو حاجب زرارة بن أوفى العامرى الحرشى القاضى ، كان فقيهاً محدثاً من التابعين ، وكان من العباد ، توفى سنة ٩٣ . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ١٥٢) . وكان الفرزدق يشبب ببنته ملاءة ، وببنتها عاتكة ، وببنت بنتها نائلة . قال أبو الفرج فى (١٢ : ٧٤) عن ابن سلام : « لا أعلم أن امرأة شُبِّبَ بها وبأمها وجدتها غير نائلة » .

(٢) ما عدا ل : « بنزلها » .

(٣) أقاله عثرته : عفا عنه . وقعت بقر ، أى صارت الشدة إلى قرارها .

(٤) الخطر ، هنا : مثل الشىء وعِدْله ومساويه .

(٥) الخمر ، بالتحريك : ما واراك من الشجر والجبال ونحوها . والمعروف فى مثل هذا المعنى : « مشى له الخمر » بنزع الباء ، يقال ذلك الرجل إذا ختل صاحبه .

وقال أشهَبُ بن رُمَيْلةَ (١) يومَ صِفِّين : إلى أينَ يا بَنى تميم ؟ قالوا : قد ذهب الناسُ . قال : تَفِرُّونَ وتعتذرُون ؟!

قال : ونهض الحارث بن حَوطٍ اللَّيثىّ إلى علىّ بن أبى طالب ، وهو على المنبر ، فقال : أتظُن أنّا نظُنُّ أنّ طلحة والزُّبير كانا على ضَلال ؟ قال : « يا حَارِ ، إنه ملبوسٌ عليكَ ، إنّ الحقَّ لا يُعرفَ بالرِّجال . فاعرف الحقَّ تَعرِفْ أهله ! » .

وقال عمر بنُ الخطّابِ رحمهُ الله : « لا أدركتُ أنا ولا أنتَ زماناً يتغايرُ الناس فيه (٢) على العِلم كما يتغايرونَ على الأزواج » .

قال : وبَعثَ قَسامةُ بن زُهَير العنبَرىُّ إلى أهله بثلاثينَ شاةً ونِحْيٍ صغير فيه سمنٌ ، فسرَقَ الرّسول شاةً ، وأخذ من رأسِ النِّحْى شيئاً من السمنِ ، فقال لهمُ الرسولُ : ألكُم إليه حاجةٌ أُخبِرهُ بها ؟ قالت له امرأتُه : أخبرْه أنّ الشهرَ محاقٌ ، وأنّ جَدْيَنا الذى كان يُطالِعنا وجدناهُ مرثوماً (٣) . فاستَرْجَعَ منه الشاةَ والسَّمن .

قال علىّ بن سليمان لرؤبَةَ : ما بقىَ من باهِلِكَ يا أبا الجحّاف ؟ قال : يمتَدُّ ولا يَشتَدُّ ، وأستعينُ بيَدى ثم لا أُورد ، وأُطيلُ الظِّمْءَ ثم أقصِّرُ . قال : ذاك الكِبَر (٤) . قال : لا ، ولكنَّه طُولُ الرِّغاث (٥) .

---

(١) الأشهب بن رميلة : شاعر إسلامى مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ، ولم تعرف له صحبة . الإصابة ٤٦٤ . ورميلة أمه ، فهو ممن نسب إلى أمه من الشعراء ، ولم يذكره ابن حبيب فى كتابه . وأبوه ثور بن أبى حارثة ينتهى نسبه إلى تميم . وكان الأشهب ممن هاجى الفرزدق . انظر الحيوان (١ : ٣١٥) والخزانة (٤ : ٥١٠) .

(٢) ما عدا ل : « يتغايرون فيه » .

(٣) المرثوم : المكسور .

(٤) ما عدا ل ، هـ : « الكبير » تحريف .

(٥) فى هامش هـ : « الرغاث ، الرضاع ، يقال رغثها ، إذا رضعها . ورغث الرجل بالرمح ، إذا طعنه . وكنى بطول الرغاث هنا عن كثرة الجماع » . ولم أجد الرغاث ولا راغث فى معجم .

وقيل لأعرابىّ : أىُّ الدّوابِ آكَلُ ؟ قال : بِرْذَوْنَةٌ رَغُوث [١] .

وقيل لغيره : لم صارَتِ اللَّبُؤةُ أنْزَقَ ، وعلى اللحم أحْرصَ ؟ قال : هى الرَّغُوث .

قال : وقال عُبَيدُ الله بنُ عمر : اتَّقُوا مَن تبغضُه قلوبكُمْ . ٢٠٩

وقال إسماعيل بن غَزوانَ : لا تُنفِقْ درهما حتَّى تراه [٢] ، ولا تَثِق بِشُكر من تُعطيهِ حتَّى تمنَعَه ، فالصابرُ هو الذى يشكُر ، والجازِعُ هو الذى يكفرُ .

عامرِ بنُ يحيى بنُ أبى كثيرٍ [٣] قال : لا تشهَدْ لمن لا تَعرف ، ولا تشهَدْ على مَن لا تَعرِف ، ولا تشْهَدْ بما لا تَعرِف .

أبو عبد الرحمن الضرير ، عن على بن زَيد بن جُدعان [٤] ، عن سعيد بن المُسَيَّبِ قال : قال النبى ﷺ : « رأسُ العقل بعد الإيمانِ بالله التَّودّد إلى الناس » .

وقالت عائشة : لا سمَرَ إلّا لثلاثة : مسافرٍ ، ومُصَلٍّ ، وعَرُوس .

قال : وقال معاوية يوماً : مَن أفصَحُ الناس ؟ فقال قائل : قوْم ارتفعوا عن لَخْلخانيَّةِ الفُراتِ [٥] ، وتَيامَنُوا عن عَنعَنةِ تميمٍ [٦] وتَياسَرُوا عن كسكَسةِ

---

(١) رغوث : مرضعة . انظر الخبر فى الحيوان (١ : ١١٢) والبغال (٢ : ٣٤٠) .

(٢) ل وحواشى هـ : « حتى ترده » ، تحريف .

(٣) لم أجد لعامر ترجمة ، وأما يحيى بن أبى كثير الطائى ، فهو ممن روى عن أنس وعكرمة وعطاء . وكان أعلم الناس بحديث أهل المدينة . وتوفى سنة ١٢٩ . تهذيب التهذيب والخلاصة .

(٤) هو على بن زيد بن عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة التيمى البصرى . روى عن أنس [illegible] وسعيد بن المسيب . ولد أعمى ، وكان كثير الحديث غالياً فى التشيُّع . توفى سنة ١٢٩ . تهذيب التهذيب والخلاصة ونكت الهميان ٢١٢ .

(٥) ويروى : « عن لخلخانية العراق » كما فى اللسان (لخخ) . واللخلخانية : العجمة فى المنطق .

(٦) عنعنة تميم : قولهم فى موضع أنْ : عن . قال ذو الرمة :

أعن توسمت من خرقاء منزلة ماء الصبابة من عينيك مسجوم =

بكرٍ [١] ، ليست لهم غَمغَمةُ قُضَاعَة [٢] ولا طُمْطُمانيَّة حِمْير [٣] . قال : مَن هم ؟ قال : قُرَيْش . قال : ممّن أنتَ ؟ قال : مِن جَرْم . قال : اجْلِسْ [٤] .

وقال الرَّاجز :

إنّ تميماً أعطيتْ تماما ... وأعطِيَتْ مآثراً عِظاما
وعدَداً وحَسباً قَمْقَاما [٥] ... وباذِخاً من عِزِّها قُدَّاما
فى الدهر أعيا الناسَ أن يُرَاما ... إذا رَأيتَ منهُم الأجْساما
والدَّلَّ والشِّيمة والكلَاما ... وأذرُعاً وقَصَراً وهَاما [٦]
عَرَفت أن لم يُخلَقُوا طَغَاما [٧] ... ولم يكُن أبُوهُمُ مِسقَاما
لم تَرَ فِيمَن يأكُل الطّعَاما ... أقَلّ مِنهمْ سَقَطاً وذاما [٨]

تقولُ العَرَب : « لو لم يكن فى الإبِل إلّا أنّها رَقوء الدّم [٩] » .

قال جَندَلُ بن صخرٍ ، وكان عبداً مملوكاً :

= مجالس ثعلب ١٠٠ – ١٤١ والمزهر (١ : ٢١١) والخصائص ٤١١ وفقه اللغة ١٢١ والصاحبى ٢٤ والخزانة (٤ : ٥٩٥ – ٥٩٦) . ما عدا ل : « كشكشة تميم » تحريف . وإنما الكشكشة لربيعة ، وهى أن يجعل ما بعد كاف الخطاب فى المؤنث شينًا .

(١) هم بنو بكر بن هوازن . والكسكسة : أن يجعل بعد كاف المذكر أو مكانها سينا . تقال بفتح الكافين وبكسرهما أيضا ، كما فى الخزانة (١١ : ٤٦٤) .

(٢) الغمغمة : كلام غير بين .

(٣) الطمطمانية ، بضم الطاءين . العجمة . وفى اللسان : « شبه كلام حمير لما فيه من الألفاظ المنكرة بكلام العجم » .

(٤) قال اجلس ، من ل فقط .

(٥) القمقام : العدد الكثير .

(٦) القصر ، بالتحريك : جمع قصرة ، وهى أصل العنق . والهام : جمع هامة ، وهى الرأس .

(٧) الطغام ، بفتح الطاء : أرذال الناس وأوغادهم .

(٨) الذام : العيب .

(٩) أى لكفاها ذلك فضلاً . والرقوء : الدواء الذى يوضع على الدم ليرقئه فيسكن أى إنها تعطى فى الديات بدلا من القود ، فتحقن بها الدماء .

وَمَا فَكَّ رِقِّى ذاتُ دَلٍّ خَبَرْنِج ... ولا شَاقَ مالى صَدْقَةٌ وعُقُولُ (١)

وَلكنْ نَمانِى كُلُّ أبيضَ خِضرِمٍ ... فأصبَحتُ أدرِى اليومَ كيفَ أقُولُ (٢) ٢١٠

وقال الفُقَيمىُّ ، وهو قاتلُ غالبٍ أبى الفرزدق :

وما كنتُ نوَّاما ولكنّ ثائراً ... أَنَاخَ قليلا فوقَ ظَهرِ سبيلِ (٣)

وقد كنتُ مجرورَ اللِّسانِ ومُفحَماً ... فأصبحتُ أدرى اليومَ كيفَ أقولُ (٤)

* * *

قال المُغيرةُ بن شُعْبَةَ : من دخَلَ فى حاجةِ رجُلٍ فقد ضَمِنَها .

وقال عُمرُ رحِمَه اللهُ : لكلِّ شىءٍ شَرَفٌ ، وشرفُ المعروفِ تعجيلُه .

وقال رجلٌ لإبراهيمَ النخعىّ : أَعِدُ الرَّجُلَ المِيعادَ فَإلى متَى (٥) ؟ قال : إلى وقتِ الصلاة .

قال : وقال لى بعضُ القُرشيِّينَ : من خافَ الكذِبَ أقَلَّ من المواعيد .

وقالوا : أمرَان لا يسلمَانِ من الكذب : كثرةُ المواعيدِ ، وشِدَّةُ الاعتذار .

وقال إبراهيم النَّظَّام : قُلتُ لخنجيركُون (٦) ممرورِ الزياديِّين (٧) : اقعد ها هُناَ حتّى أرجعَ إليك . قال : أمّا حتّى ترجعَ إلىّ فإنِّى لا أضمنُ لك (٨) ولكن أقعُد لك إلى اللّيل .

---

(١) الخبرنج : الخلق الحسن . وكتب فوقها فى هـ : « ناعم » . والعقول : جمع عقل ، وهو الدية .

(٢) نماه : رفع إليه نسبه . والخضرم : السيد الحمول . ل : « فأصبحت أدرى فيه كيف أقول » .

(٣) أى ولكنى ثائر .

(٤) المجرور ، أصله الفصيل يشق لسانه لئلا يرضع ، يقال جر الفصيل وأجره . قال عمرو بن معديكرب :

فلو أن قومى أنطقتنى رماحهم ... نطقت ولكن الرماح أجرت

ما عدا ل : « مخزون اللسان » ، ولا وجه له . وأشير فى هامش هـ إلى رواية « مجرور » .

(٥) ما عدا ل : « قال إلى متى » تحريف .

(٦) ما عدا ل : « لخنجير كور » . وفى هـ : « لخنجير كوز » .

(٧) الممرور : الذى غلبت عليه المرة فاختل عقله .

(٨) ما عدا ل : « لا أصبر لك » .

هذه رسالة إبراهيم بن سَيَابة [١]
إلى يحيى بن خالد بن برمك

وبلغنى أنَّ عامَّةَ أهلِ بغدادَ يحفظونها فى تلك الأيام ، وهى كما ترى . وأوّلُها :

للأصْيَدِ الجواد [٢] ، الوَارِى الزِّنَاد [٣] ، الماجد الأجداد ، الوزير الفاضل ، الأشمِّ الباذِل ، اللُّبَاب الحُلاحِل [٤] ، من المُستكينِ المستجير ، البائس الضَّرير . فإنِّى أحْمَدُ اللهَ ذا العِزَّةِ القدِيرَ ، إليك وإلَى الصَّغير والكبير ، بالرحمةِ العامةِّ ، والبركةِ التامة .

أمّا بعد فاغنَمْ واسلَم ، واعلَمْ إن كنت تَعلم ، أنَّه مَن يرحَم يُرحَم ، ومن يَحرِم يُحرَم [٥] ، ومن يُحسِن يَغْنَم ، ومَن يَصنع المعرُوفَ لا يَعدَم . وقد سبَقَ إلَىَّ تَغَضُّبك عَلىَّ ، واطِّراحُكَ لى ، وغَفلتُكَ عنِّى بما لا أقُوم له [٦] ولا أقعُد ، ولا أنتبهُ
٢١١ ولا أرقدُ . فلستُ بذى حياةٍ صَحيح [٧] ، ولا بمَيْتٍ مُستَرِيح . فررتُ بعد الله مِنكَ إليك ، وتحمّلتُ بكَ عليك . ولذَلِك قُلت :

أسرعَتْ بى حثًّا إليك خِطائى فأناخت بمُذْنبٍ ذى رجاءِ [٨]

---

(١) سبقت ترجمته فى (١ : ٤٠٥) . (٢) الأصيد : الذى يرفع رأسه كبرا .

(٣) يقال : هو وارى الزناد ووريه ، يكون ذلك فى الكرم وغيره من الخصال المحمودة . ورى الزند : خرجت نارة .

(٤) اللباب : الخالص المحض . والحلاحل : السيد الضخم المروءة .

(٥) ما عدا ل : « من يجرم يجرم » ، تحريف .

(٦) ل : « به » .

(٧) ما عدا ل : « يحى صحيح » .

(٨) الخطاء ، بالكسر : جمع خطوة بالفتح ، كما قالوا : رَكوة وركاء . ما عدا ل ، « بمذهب » بدل . « بمذنب » .

راغبٍ راهبٍ إليك يُرجِّى مِنكَ عفواً عنه وفَضلَ عطاءِ
ولَعمرِى ما مَن أَصَرَّ ومن تا بَ مُقِراً بذنبه بِسواءِ [١]

فإنْ رأيتَ – أراكَ اللهُ ما تُحبُّ ، وأبقاكَ فى خَيرٍ – ألّا تزهد فيما ترى من تَضرُّعِى وتَخشُّعِى ، وتذَلُّلِى وتضَعُّفِى ، فإنَّ ذَلكَ ليسَ مِنى بنحيزةٍ ولا طبيعَةٍ [٢] ، ولا على وجهِ تصيُّدٍ وتَصنُّعٍ وتخدُّع [٣] ، ولكنه تذلُّل وتخشُّع وتَضَرُّع ، من غير ضَارع ولا مَهين ولا خاشِع [٤] لمن لا يستحق ذلك ، إلّا لمن التضَرُّعُ له عِزٌّ ورفعَةٌ وشرف . والسَّلام [٥]

* * *

محمدُ بنُ حَربٍ الهلالىّ قال : دخل زُفَرُ بنُ الحارث [٦] على عبدِ الملك ، بعد الصّلح فقال : ما بقِىَ من حُبّكَ لِلضَّحّاك [٧] ؟ فقال : ما لا ينفعُنى ولا يضُرُّك . قال : شَدَّ ما أحببتُموهُ معاشِرَ قيس ! قال : أحببنَاهُ ولم نُوَاسِهِ ، ولو كُنَّا آسيْناهُ لقد كُنَّا أدركْنا مافاتَنا منه . قال : فما منعَكَ من مواساتِه

(١) ل : « ومن بات مفره » .

(٢) النحيزة : الطبيعة ، وجمعها نحائز ، ومثله النحيتة والنحائت .

(٣) ما عدا ل : « ولا على وجه تصنع ولا تخدع » .

(٤) فى القاموس (خدع) : « وككتاب : المنع ، والحيلة . والتخدع : تكلفه » .

(٥) هذه الكلمة من ل فقط .

(٦) هو زفر بن الحارث الكلابى ، أحد بنى عمرو بن كلاب . الكامل ٥٣٣ ليبسك والاشتقاق ١٨٠ . وكان قد خرج على عبد الملك بن مروان ، وظل يقاتله تسع سنين ، ثم رجع إلى الطاعة . الجهشيارى ٣٥ ، وكان سيد قيس فى زمانه ، ويكنى أبا الهذيل . وكان على قيس يوم مرج راهط . وهو القائل :

وقد ينبت المرعى على دمن الثرى وتبقى حزازات النفوس كما هيا

المؤتلف ١٢٩ . وكان من التابعين ، سمع عائشة ومعاوية ، وروى عنه ثابت بن الحجاج . شرح شواهد المغنى للسيوطى ٣١٥ .

(٧) الضحاك بن خالد الفهرى . المترجم فى (١ : ٣٨٠) .

يوم المَرْج (١) . قال : الذى مَنَع أباكَ من مُواسَاةِ عثمان يوم الدَّار .

* * *

قال الشاعر :

لكُلّ كريمٍ من ألأَئمِ قومِهِ على كلِّ حالٍ حاسِدُونَ وكُشَّحُ (٢)

قال : وقال سليمان بن سعدٍ (٣) لو صَحِبَنى رجُل فقال اشتَرطْ عَلىَّ خَصلةً واحِدةً لا تزيدُ عليها لقُلتُ : لا تَكذِبْنى (٤) .

قال : كان يُقال : أربع خِصالٍ يسُودُ بها المرء : العلم ، والأدب ، والعِفَّة والأمانة .

وقال الشّاعر :

لَئِن طبتَ نَفساً عن ثنائى فإنَّنى
لأطيَبُ نفساً عن نَداكَ على عُسرِى (٥)
فلستُ إلى جدواك أعظمَ حاجةً
على شِدَّةِ الإعسارِ منك إلى شُكرِى

وقال الآخر : ٢١٢

أآن سُمتَنى ذُلًّا فَعِفتُ حياضَهُ سَخِطتَ ، ومَن يأْبَ المذلّة يُعذَرِ
فهأنَا مُسترضِيكَ لا مِن جنايةٍ جنيتُ ولكِن من تجَنِّيكَ فاغفرِ

---

(١) هى وقعة مرج راهط . ومرج راهط من نواحى دمشق . وكان هذا اليوم لمروان بن الحكم ابن أبى العاص ، على الضحاك بن قيس الفهرى عامل يزيد بن معاوية ، وزفر بن الحارث . الأغانى (١٧ : ١١١ - ١١٤) والميدانى (٢ : ٣٦٧) .

(٢) الكشح : جمع كاشح ، وهو العدو الذى يضمر عداوته ويطوى عليها كشحه ، وهو الخصر .

(٣) الخبر فى عيون الأخبار (٢ : ٢٦) .

(٤) ما عدا ل : « ولا تزد عليها قلت لا تكفينى » .

(٥) البيتان فى عيون الأخبار (٣ : ١٦٦) .

وقال إيَاسُ بن قَتادة (١) :

وانَّ من السَّاداتِ من لو أطعتَهُ دعاكَ إلى نار يَفورُ سعيرُها

وقال الآخر (٢) :

عَزَمتُ على إقامَةِ ذى صَباحٍ لأمرٍ مايُسَوَّدُ من يَسُودُ

وقال الهُذَلِىُّ (٣)

وإنَّ سيادةَ الأقوامِ فاعلمْ لها صَعْدَاءُ مَطلَبُها طويلُ

وقال حارثةُ بن بَدر (٤) :

إذا الهمُّ أمسَى وهو داءٌ فأَمْضِهِ ولستَ بممضيهِ وأنت تُعادلُه (٥)
ولا تُنزِلَنْ أمرَ الشّديدَةِ بامرئٍ إذا رامَ أمراً عَوّقَتهُ عواذِلُه
وقُلْ للفُؤادِ إن نَزا بك نَزْوَةً
من الرَّوْعِ أفرِخْ ، أكثر الرّوعِ باطِلُهْ

---

(١) يقوله فى الأحنف بن قيس ، كما فى الحيوان (٣ : ٨٠) . وهذا هو إياس بن قتادة المجاشعى ، وكان الأحنف بن قيس قد دفعه إلى الأزد رهينة بعد حرب مسعود حتى تؤدى الديات . وفخر بذلك الفرزدق فقال :

ومنا الذى أعطى يديه رهينة لغارَىْ معد يوم ضرب الجماجم
عشية سال المربدان كلاهما عجاجة موت بالسيوف الصوارم

الكامل ٨٢ ليبسك والإصابة ٣٨٣ .

(٢) هو أنس بن مدركة الخثعمى ، كما فى الحيوان (٣ : ٨١) والخزانة (١ : ٤٨٦) وقد سبق فى (٢ : ٣٥٢) ، وهو من شواهد سيبويه (١ : ١١٦) ، يشهد لجواز جر الظروف غير المتمكنة فى لغة خثعم . وقيل إن « ذو » فيه زائدة .

(٣) هو حبيب بن عبد الله الهذلى ، المعروف بالأعلم . انظر ماسبق فى حواشى (١ : ٢٧٥ / ٢ : ٣٥٢) .

(٤) سبقت ترجمته فى (٢ : ١٨٧) .

(٥) الأبيات فى الحيوان (٣ : ٧٧) وأمالى المرتضى (٢ : ٤٧) ، والأول منها فى اللسان (١٣ : ٤٦٢) والثالث سبق فى (٢ : ١٨٧) . تعادله ، من قولهم : أنا فى عِدال من هذا الأمر ، أى فى شك منه أأمضى عليه أم أتركه . يقول : أجزم بطرد الهم ولا تردد فى ذلك .

وقال الآخر (١) :

وإنَّ بقومٍ سَوَّدُوكَ لفاقةً ... إلى سَيِّدٍ لو يظفَرُونَ بِسَيِّدِ (٢)

وقال الآخر :

وما سُدْتَ فيهم أنّ فضلَكَ عمَّهُم ... ولكنّ هذا الحظَّ فى الناسِ يُقسَمُ (٣)

وقال حارثةُ بن بَدر :

خَلَتِ الدِّيارُ فَسُدْتُ غير مُسوَّدِ ... ومنَ الشَّقاءِ تفرُّدى بالسُودَدِ (٤)

٢١٣ الفضل بنُ تميم قال : قال المغيرة : « مَن لم يَغضَب لم يُعرَفْ حلمُه » .

وقال الشاعر :

ما بالُ ضَبْعٍ ظلَّ يطلبُ دائباً ... فريستَهُ بين الأسودِ الضَّراغمِ (٥)

وقال الآخر :

ذَكَرتُ بها عهداً على الهجر والقِلَى ... ولابُدّ للمشتاقِ أن يَتَذَكَّرا

وقال الآخر :

إذا ما شفيتَ النفس أبلغتَ عُذرَها ... ولا لوم فى أمرٍ إذا بلغ العذرُ

وقال الآخر :

---

(١) هو أبو نخيلة ، كما فى الحيوان (٣ : ٨٠) .

(٢) الفاقة : الحاجة .

(٣) أى ما سدت لأن فضلك عمهم ، بل جاءت هذه السيادة رمية من غير رام .

(٤) البيت فى الحيوان (٣ : ٨٠) وأمالى المرتضى (٢ : ٥٣) والأغانى (٢١ : ٣١) ومعجم البلدان (٢ : ٢٥٤) . وروى أبو الفرج – ونحوه ما روى المرتضى – أن حارثة بن بدر الغدانى اجتاز بمجلس من مجالس قومه بنى تميم ، ومعه كعب مولاه ، فكلما اجتاز بقوم قاموا إليه وقالوا : مرحباً بسيدنا ، فلما ولى قال له كعب : ما سمعت كلاماً قط أقر لعينى ولا ألذ بسمعى من هذا الكلام الذى سمعته اليوم ! فقال له حارثة : لكنى لم أسمع كلاما قط أكره لنفسى وأبغض إلى مما سمعته ! قال : ولم ؟ قال : ويحك يا كعب ، إنما سودنى قومى حين ذهب خيارهم وأماثلهم ، فاحفظ عنى هذا البيت :

خلت الديار فسدت غير مسود ... ومن الشقاء تفردى بالسودد

(٥) أشير فى هامش هـ إلى أنه فى نسخة « ما بال كلب » .

لَعَمرُكَ ما الشكوَى بأمرِ حَزَامَةٍ   ولابُدّ من شكوَى إذا لم يكن صَبْرُ (١)

وقال الآخر :

لو ثلاثٌ هنَّ عيشُ الدّهرِ   الماء والنّومُ وأُمّ عمرو

* لَمَا خشيتُ مِن مَضيق القبرِ *

وقال لَقِيطُ بن زُرارة :

شَتَّانَ هذا والعِناقُ والنَّوْمْ   والمشرَبُ البارِدُ والظِّلُّ الدَّوْمْ (٢)

وقال والبة (٣) :

ما العَيشُ إلّا فى المُدَا   مِ وفى اللِّزَامِ وفى القُبَلْ

وإدارةِ الظَّبى الغرِيـ   ـرِ تَسُومُهُ مالا يَحِلّْ (٤)

* * *

وقال شيخ من أهل المسجدِ : ما كنتُ أُريدُ أن أجْلِسَ إلى قومٍ إلّا وفيهم من يُحَدّثُ عن الحسَن ، ويُنشِدُ للفرزدَق .

وقال أبو مُجيب (٥) : لا تَرَى امرأةً مُصَبَّرَةَ العينِ ، ولا امرأةً عليها طاق يَمْنَةٍ ، ولا شَرِيفاً يهنَأُ بعيراً .

وقال أبو بَراح : ذهب الفتيانُ فلا ترى فتًى مفرُوقَ الشعرِ بالدُّهن ، مُعلّقاً نعلَهُ ، ولا دِيكَين فى خِطارٍ (٦) ، ولا صديقاً له صديقٌ إن قَمَرَ ضَغَا (٧) ، وإنْ

---

(١) عجز هذا البيت فى الحيوان (١ : ٢٠٢) . ونسب فى حماسة البحترى ١٩٧ لمالك من حذيفة النخعى .

(٢) الظل الدَّوْم : الدائم . ما عدا ل : « فى ظل الدوم » تحريف . صواب هذه : « فى الظل الدوم » ، كما فى إحدى روايتى اللسان . والرجز يقوله فى يوم جبلة ، كما فى اللسان (دوم) . وقبل البيتين :

يا قوم قد أحرقتمونى باللوم   ولم أقاتل عامراً قبل اليوم

(٣) والبة بن الحباب سبقت ترجمته فى ٤١ . ل : « وايلة » تحريف .

(٤) ما عدا ل : « وإرادة الظبى » .

(٥) أبو المجيب الربعى سبقت ترجمته فى (١ : ٣٧٣) . وقد سبق الخبر فى (٢ : ١٦٤) .

(٦) الخطار والمخاطرة : الرهان والمراهنة .

(٧) قمر : غلب فى القمار . ضغا : صاح .

عوقِبَ جَزِع ، وإن خلا بصَدِيق فتًى خبَّبه (١) ، وإن ضُرِبَ أقَرّ ، وإن طال حَبسُه ضَجِرَ ، ولا ترى فتًى يُحسِنُ أن يمشىَ فى قيدِه ولا يُخاطِب أميرَه .

وقال أبو الحسَن : قال أبو عَباية : ترى زُقاقَ بَراقشَ ، وبَساتين هَزَارِ مَرْدَ (٢) ما كان يَسلكُهُ غُلَامٌ إلّا بخفير ، وهُمُ اليوْمَ يخترقونَه . قُلتُ : هذا من صَلاحِ الفِتيان . قال : لا ولكن من فسادِهِم .

٢١٤ البقطَرىُّ ، قال : قِيلَ لطُفَيل العرائس : كم اثنان فى اثنين ؟ قال : أربعَةُ أرْغفة .

وقال رَجُل لرجُل : انتظرتُك على الباب بقدر ما يأكُل إنسانٌ جَرْدَقتين (٣) .

عبدُ اللهِ بن مُصعَب قال : أرسلَ على بن أبى طالب رحمه الله عبد الله بن عباسٍ ، لما قَدِمَ البَصْرة فقال له (٤) :

« ايتِ الزبيرَ ولا تَأتِ طلحة ، فإنّ الزبيرَ ألْيَن ، وإنّك تجد طلحةَ كالثّورِ عاقصاً قَرْنَه (٥) ، يَرْكَبُ الصُّعُوبة ويقول: هى أسهل ؛ فاقرئه السلامَ (٦) ،

---

(١) خببه : خدعه وأفسده . وفى الحديث : « من خبب امرأة أو مملوكا على مسلم فليس منا » . اللسان (١ : ٣٣١) ، ما عدا ل : « خنثه » . وفى هامش هـ : « خببه وخبثه » .

(٢) هزارمرد ، أصل معناه فى الفارسية ألف رجل . هزار : ألف . ل : « هزاذمرد » التيمورية « هزادمرد » صوابهما فى ب ، جـ .

(٣) الجردقة : الرغيف ، فارسية معربة من « گِردَهْ » ، ومعناه فى الفارسية الرغيف المستدير الغليظ. اللسان والمعرب ١١٥ واستينجاس ١٠٨١ .

(٤) كلام علىّ هذا فى نهج البلاغة . انظر شرح ابن أبى الحديد (١ : ١٦٩ - ١٧٢) وكان قد أنفذ عبدَ الله بن عباس إلى الزبير قبل وقوع الحرب يوم الجمل ليستفيئه إلى طاعته .

(٥) عقص قرنه : عطفه . والمراد بالقرن هاهنا الضفيرة ، يقال للرجل قرنان : أى ضفيرتان ، ويصح أن يريد صفة الثور .

(٦) ما عدا ل : « فاقرأ عليه السلام » . يقال قرأ عليه السلام وأقرأه السلام ، أى بلّغه ، وكأن معناه فى الأخير أنه حين يبلغه سلامه يحمله على أن يقرأ السلام ويرده .

وقل له : « يقولُ لك ابنُ خالك : عرفتنى بالحجاز وأنكرتَنى بالعِراق ، فما عَدَا مما بَدَا لك [١] ؟ » .

قال : فأتيت الزبيرَ فقال : مرحباً يا ابنَ لُبابة [٢] أزائراً جئتَ أم سَفيراً ؟ قلت : كلَّ ذلك . وأبلغتُه ما قال علىّ ، فقال الزبير : أبلغه السلامَ وقُل له : « بيننا وبينَك عهدُ خليفةٍ ودَمُ خليفة [٣] ، واجتماعُ ثلاثةٍ وانفراد واحد [٤] ، وأُمٌّ مبرورة [٥] ، ومشاوَرَةُ العشيرة ، ونشْرُ المصاحف ، فنحِلُّ ما أحلَّتْ ، ونُحرِّم ما حرَّمَت » . فلما كان من الغدِ حَرَّشَ بين الناسِ غوغاؤهم ، فقال الزبير : ما كنت أرى أنّ مثلَ ما جئنا له يكونُ فيه قِتال !

* * *

قال : ومن جيِّدِ الشعر قولُ جَرير :

---

(١) الذى فى نهج البلاغة : « فما عدا مما بدا » بإسقاط « لك » . عدا ، أراد عداك أى صرفك . ومعناه ما صرفك عما كان بدا منك وظهر ، أى ما الذى صدك عن طاعتى بعد إظهارك لها . قال الرضى جامع نهج البلاغة : « وهو عليه السلام أول من سمعت منه هذه الكلمة » .

(٢) لبابة هذه ، هى لبابة بنت الحارث الهلالية ، أخت ميمونة بنت الحارث زوج الرسول صلوات الله عليه . وكنيتها أم الفضل ، وهى المعروفة بلبابة الكبرى . ولها أخت سمية لها تدعى لبابة الصغرى وتلقب بالعصيماء ، وهى أم خالد بن الوليد ، وفى إسلام هذه الأُخيرة وصحبتها نظر . ولبابة الكبرى أول امرأة آمنت بعد خديجة ، وماتت فى خلافة عثمان قبل زوجها العباس . الإصابة ٩٣٧ ، ٩٣٨ ، ١٤٤٠ من قسم النساء والمعارف ٤٣ .

(٣) أما عهد الخليفة فالذى عاهد عليه عمر أهل الشورى أن يقروا من يقع عليه الاختيار . وأهل الشورى ستة نفر : على ، وعثمان ، وطلحة ، والزبير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبى وقاص . والدم : دم عثمان الذى اختاره أهل الشورى .

(٤) الثلاثة هم الزبير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبى وقاص ، أجمعوا على اختيار الرابع ، وهو عثمان . وأما الخامس على بن أبى طالب فقد انفرد بالخلاف ، ثم بايع وهو يقول : « خدعة وأى خدعة ! » وأما السادس طلحة فكان غائباً ، كفل برأيه سعد بن أبى وقاص . انظر قصة الشورى فى الطبرى (٥ : ٣٣ – ٤٢) ، وكذا كتب التاريخ فى سنة ٢٣ .

(٥) يعنى أم المؤمنين عائشة التى خرجت فى طلب دم عثمان يوم الجمل .

لئن عَمِرَتْ تَيمٌ زماناً بغِرَّةٍ ... لقد حُدِيتَ تَيمٌ حُداءً عَصَبْصَبا (١)
فلا يَضْغَمنَّ الليْثُ تَيماً بغرّةٍ ... وتَيم يَشمُّونَ الفَريسَ المُنَيَّبا (٢)

وقال أعرابيٌّ : « كحَّلْنى بالمِيلِ الذى تُكحَلُ به العيونُ الدَّاءة (٣) » .

وقال ابنُ أحمرَ :

بهَجْلٍ من قَساً ذَفِرِ الخُزامَى ... تَهادَى الجِربياءُ به الحنينا (٤)
به تَتَزَخَّرُ القَلَعُ السَّوارى ... وجُنَّ الخازِبازِ بِهِ جُنُونا (٥)
تكادُ الشمس تخشعُ حين تبدو ... لهنَّ وما نزلن وما عَسِينا

وقال الحَكم الْخُضْرِىُّ (٦) :

كُومٌ تظاهَرَ نَيُّها وتربَّعتْ ... بقْلًا بعَيْهَم والْحِمَى مجْنُونا (٧)

---

(١) البيتان فى ديوان جرير ١٣ وأولهما فى اللسان (عمر) . وعمر : عاش وبقى زماناً طويلا . والغرة : الغفلة . وفى المثل : « الغرة تجلب الدرة » ، أى تجلب الرزق . ما عدا ل : « بعزة » وهى تخالف رواية الديوان واللسان . العصبصب : الشديد ، يريد سِيقَتْ سوقا شديداً وعنف بها .

(٢) وكذا فى الحيوان (٧ : ٦٣) . وفى الديوان : « عكلا بغرة » و« عكل » وهذه هى الرواية الصحيحة . يقول : قد فرستُ تيما فإياكم ياعكل أن تعرضوا لى فتكونوا مثلهم . والشاة والناقة إذا رأت شاة مذبوحة أو ناقة منحورة فزعت منها فنفرت . فشمها إياها نظرها إليها . وقيل إن السبع إذا ضغم شاة ثم طرد عنها أقبلت الغنم تشم موضع الضغم فيفترسها السبع وهى تشم .

(٣) الميل ، بالكسر : المرود . والداءة : المريضة التى بها الداء .

(٤) الهجل ، بالفتح : المطمئن من الأرض . وقسا ، بالفتح : موضع بالعالية ، ويقال بالكسر أيضاً ، كما فى المقصور ٨٨ . ذفر : ذكى الرائحة . والخزامى : نبت طيب الرائحة . والجربياء : الريح الشمالية الباردة . والحنين : صوت الريح . الحيوان (٣ : ١٠٨) ، واللسان والكامل ٤٦٤ ليبسك ومعجم البلدان (قسا) والمخصص (١١ : ٢٠٧) .

(٥) تتزخر : يكثر ماؤها . ب والتيمورية : « بها يتزخر » جـ : « بها يتذخر » والأخيرة محرفة . والقلع ، بالتحريك : قطع من السحاب كأنها الجبال ، الواحدة قلعة . والخازباز : ذباب يظهر فى الربيع فيدل على خصب السنة ، أو هو نبت . وجنونه : تكاثفه .

(٦) هو الحكم بن معمر الخضرى ، المترجم فى (٢ : ١٣٦) .

(٧) كوم : جمع أكوم وكوماء ، وهى العالية السنام . والنى ، بكسر النون وفتحها : الشحم . وعيهم والحمى ، موضعان . والبيت فى اللسان (جنن) بدون نسبة ، وبرواية : « تَظاهَرَنيُّها لما رعت روضاً بعيهم » .

والمجنونُ : المصروعُ ، ومجنونُ بَنى عامر ، ومجنونُ بنى جَعدة (١) .

وإذا فخر النباتُ قيل قد جُنَّ (٢) . وقال الشَّنْفَرى : ٢١٥

فَدَقَّت وَجَلَّت واسبكرَّت وأُنْضِرَت   فلو جُنَّ إنسانٌ من الْحُسن جُنَّتِ (٣)

قال : وسمع الحجّاجُ امرأةً من خلفِ حائطٍ تُناغى طفلًا لها ، فقال : مجنونةٌ أو أمُّ صَبىّ !

وقال أبو ثُمامة بن عازِب (٤) :

وكُلهمُ قد ذاقنَا فكأنَّما   يرونَ علينا جلْدَ أجْرَب هامِلِ (٥)

وقال التَّغلَبى (٦) :

يَرى الناسُ منَّا جلْدَ أسْودَ سالخ   وفَرْوَةَ ضِرْغامٍ من الأُسْدِ ضَيْغَمِ (٧)

---

(١) جعلهما الجاحظ شخصين ، والمعروف أن المجنون العامرى ، هو قيس بن الملوح بن مزاحم بن قيس بن عدس بن ربيعة بن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، فهو عامرى ثم جعدى . انظر المؤتلف ١٨٨ والأغانى (١ : ١٦١ ساسى) .

(٢) الفاخر : الذى بلغ وجاد من النبات ، فكأنه فخر على ماحوله . وأنشد فى اللسان (فخر) شاهداً لذلك قول لبيد :

حتى تزينت الجواء بفاخر   قصف كألوان الرحال عميم

(٣) البيت من قصيدة له فى المفضليات (١ : ١٠٦ – ١١٠) . وأنشد البيت فى الحيوان (٣ : ١٠٨ / ٦ : ٢٤٤) ومجالس ثعلب ٤٢٦ . أى دق جسمها فى المواضع التى يستحسن فيها الدقة كالخصر ، وعظم فى الأجزاء الذى يرضى فيها العظَم كالردف . اسبكرت : استقامت واعتدلت وحسن قواءها . وأنضرت من قولهم : أنضرَ النبت والشجر ، إذا نضر واخضر ورقه . ل فقط : « أنظرت » تحريف . والرواية فى المراجع المتقدمة : « وأكملت » بدل : « وأنضرت » . قال ثعلب : « ويقال إن الحسان تتبعهم الشياطين » . وفى اللسان : « وفى حديث الحسن : لو أصاب ابنُ آدم فى كل شئ جن . أى أعجب بنفسه حتى يصير كالمجنون من شدة إعجابه . وقال القتيبى : وأحسب قول الشنفرى من هذا » .

(٤) هو شاعر ضبى ، كما سبق فى (٢ : ٢٧٦) .

(٥) الهامل : المسيب الذى لا راعى له .

(٦) ما عدا ل : « الثعلبى » تحريف . وإنما هو جابر بن حنى بن حارثة بن عمرو بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل ، شاعر جاهلى قديم ، كان صديقاً لامرئ القيس وكان معه لما لبس الحلة المسمومة التى بعثها إليه قيصر دون أنقرة بيوم . وقصيدة البيت فى المفضليات (٢ : ٩ – ١٢) .

(٧) البيت آخر أبيات المفضلية . الأسود العظيم من الحيات ، وإنما يقال له السالخ لأنه =

وأنشدنا الأصمعىُّ :

مُنْهَرِتُ الشِّدقَين عَودٌ قد كَمَل (١) كأنَّما قُمِّص من لِيطِ جُعَلْ (٢)

وقال نُصَيب لعُمَر بن عبد العزيز : إنّ لى بُنَيَّةً ذَررتُ عليها من سوادِى .

وقال عبد الملك للوليد :

لا تَعزِل أخاكَ عبدَ الله عن مصر ، وانظُر عمَّك محمدَ بن مروان فأَقِرَّهُ على الجزيرة ، وأما الحجّاجُ فأنت أحوَجُ إليه منه إليك ، وانظُر علىّ بنَ عبدَ الله فاستَوْصِ به خيراً .

فضَرَبَ عليًّا بالسِّياطِ ، وعزَل أخاه وعَمَّه .

وقال أبو نُخَيلة (٣) :

أنَا ابنُ سَعدٍ وتوسَّطْتُ العجَمْ فأنا فيما شيتُ من خالٍ وعمّ

وأنشد :

هُمُ وسَطٌ يرضى الإلٰهُ بحُكمهم إذا طرَقت إحدَى الليالى بمُعظمِ

يجعلُونَ ذلك من قولِ الله تبارك وتعالى : ﴿ وَكَذٰلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ ويكُونَ الرَّسُولُ عليكُمْ شَهيداً ﴾ .

= يسلخ جلده فى كل عام . الضرغام والضيغم من أسماء الأسد . يقول : إن الناس يهابونهم هيبتهم الأفعى والأسد .

(١) يصف أسود سالخا ، كما فى الحيوان (٣ : ٥٠٢) . منهرت الشدقين : واسعهما . والعود : المسن ، وأصله الجمل المسن وفيه بقية .

(٢) قمص : ألبس قميصا . والليط ، بالكسر : قشر القصب اللازق به ، عنى به الجلد . والجعل : حشرة طائرة سوداء يضرب بسوادها المثل ، يصف سواد الحية .

(٣) أبو نخيلة اسمه يعمر ، وإنما سمى أبا نخيلة لأن أمه ولدته إلى جنب نخلة وهو من بنى حمان بن كعب بن سعد ، ويظهر من قوله التالى أن أمه عجمية . وكان يهاجى العجاج . ومما أخذ عليه قوله فى نعت امرأة :

برية لم تأكل المرققا ولم تذق من البقول الفستقا

ظن أن الفستق بقل . انظر الشعراء ٣٨١ ليبسك والمؤتلف ١٩٣ ، والأغانى (١٨ : ١٣٩ - ١٥٢) والخزانة (١ : ٧٨ - ٨٠) .

وأنشد :

ولولا خُلَّةٌ سَبقَتْ إليه ... وأُخْوٌ كانَ من عَرَق المُدَامِ (١) ٢١٦
دَلَفتُ لهُ بأبيض مَشرَفِيٍّ ... كما يَدنو المصافِحُ بالسَّلَام (٢)

وقال يَزيدُ بنُ ضَبَّة (٣) :

لا تُبدِيَنَّ مقالةً مأثورةً ... لا تستطيع إذا مَضَتْ إدراكها

وقال ابنُ ميَّادَة :

يأيُّها الناسُ رَوُّوا القولَ واستَمِعُوا ... وكلُّ قولٍ إذا ما قيلَ يُسْتَمَعُ (٤)

وقال الآخر :

ما المُدلجُ الغادِى إليه بسُحرةٍ ... إلّا كآخرَ قاعِدٍ لم يَبرَحِ

وقال العلاءُ بنُ مِنهالٍ الغنوىّ (٥) فى شَرِيك بن عبدِ الله (٦) :

فَليتَ أبا شَرِيك كان حَيًّا ... فيُقصِرَ عن مقالَتِه شريكُ (٧)

---

(١) فى هامش هـ : « الكسائى والفراء . يقال ما كنت أخا ، ولقد أخوت أخوا » . والعرق من الخمر : الذى مزج قليلا ، كأنه جعل فيه عرق من الماء .

(٢) المشرفى : نسبة إلى المشارف ، من قرى اليمن . ما عدا ل : « للسلام » .

(٣) ضبة أمه ، غلبت على نسبه ؛ لأن أباه مات وخلفه صغيراً . واسمه يزيد بن مقسم الثقفى مولى ثقيف . وكان منقطعاً إلى الوليد بن يزيد فى حياة أبيه ، متصلا به لا يفارقه ، فلما ولى هشام الخلافة وتنكر له صار إلى الطائف ، فلم يزل مقيما بها حتى ولى الوليد الخلافة ، فوفد عليه فأنشده القصيدة التى أولها :

سليمى تلك فى العير ... قفى أسألك أو سيرى

فأمر الوليد أن تعد أبيات القصيدة ويعطى لكل بيت ألف درهم ، فعدت فكانت خمسين ، فأعطى خمسين ألفاً . فكان أول خليفة فعل ذلك . الأغانى (٦ : ١٤١ - ١٤٣) .

(٤) أراد : رووا فى القول ، فحذف الجار . والتروية : النظر والتفكر . ما عدا ل ، هـ : « ردوا القول » .

(٥) ل : « العنزى » وأثبت ما فى سائر النسخ واللسان (١ : ٦٦) .

(٦) شريك بن عبد الله النخعى ، ترجم فى (٢ : ٢٥٣) . وفى اللسان : « فيقصر حين يبصره » .

(٧) كتب فوقها فى هـ : « خ : شريكا » .

وَيترُكَ مِن تدرُّئِهِ علينا … إذا قلنا لهُ هذا أبوكا [١]

وقال طارقُ بن أُثال الطائىُّ :

ما إنْ يزال ببغدادٍ يزاحِمُنا … على البَراذِين أشباهُ البَراذين [٢]

أعطاهُمُ اللهُ أموالًا ومنزلةً … من الملوكِ بلا عَقلٍ ولا دِينِ [٣]

ما شِئتَ من بغلَةٍ سَفواء ناجيَةٍ … ومن أثاثٍ وقول غيرِ موزُونِ [٤]

وقال مُنقِذُ بنُ دِثَارٍ الهلالىُّ [٥] :

لا تترُكَنْ – إن صَنيعَةٌ سلَفَتْ … منك وإن كنتَ لستَ تنكرِهُا

عند امرئ – أن تقولَ إنْ ذُكِرَت … يوماً من الدهر : لستُ أذكرُها

٢١١ فإنَّ إحياءَهـــا إماتتُهـــا … وإنّ مَنَّـــا بها يُكدِّرُهـــا

وقال بعضُ الحكماء : « صاحِبْ مَن ينسَى معروفَهُ عِندك ، ويتذكّرُ حقوقَك عليه [٦] » .

وقال مِنْقَرُ بن فروةَ المِنْقرىّ :

---

(١) فى الأصول : « أبوك » ولا يستقيم به الوزن ، وأثبت صوابه من اللسان ومما كتب فوق الكلمة فى هـ : « خ : أبوكا » إشارة إلى نسخة . وروايته فيه : « ويترك من تدريه » . قال : « قال ابن سيده : إنما أراد من تدرئه ، فأبدل الهمزة إبدالا صحيحاً حتى جعلها كأن موضوعها الياء ، وكسر الراء المجاروة هذه الياء المبدلة » . والتدرؤ : الاندفاع .

(٢) تقدمت الأبيات فى (١ : ٢٢٧) . وفيما عدا ل ، تقديم البيت الثالث على الثانى . والأبيات بدون نسبة فى مجالس ثعلب ١٧٨ .

(٣) فى مجالس ثعلب : « أقداراً ومنزلة » .

(٤) فى مجالس ثعلب : « ومن فعال وقول » . وأشير فى هـ إلى رواية « ومن ثياب » .

(٥) هو منقذ بن عبد الرحمن بن دثار الهلالى ، قال المرزبانى : بصرى خليع ماجن ، متهم فى دينه يرمى بالزندقة ، كان فى صدر الدولة العباسية . وأنشد له :

ما أرى الفضل والتكرم إلا … كفك النفس عن طلاب الفضول

وبلاء حمل الأيادى وأن تسـ … ـمع مَنًّا تؤتى به من منيل

معجم الشعراء ٤٠٤ . وفيه : « زياد » بدل « دثار » . وقد ذكره أبو الفرج فى الأغانى (١٦ : ١٤٣) فى نص منقول من الجاحظ ، وسماه : منقذ بن عبد الرحمن الهلالى ، وجعله من أصحاب والبة وبشار ، ومطيع بن إياس ، وأبان اللاحقى .

(٦) سبق الخبر فى (٢ : ٨٣) منسوبا إلى رجل من بنى تميم .

وإن خفتَ من أمرٍ فواتاً فَوَلِّهِ سِواكَ وعن دَارِ الأذَى فتحَوَّلِ
وما المرء إلّا حيثُ يجعَلُ نفسَهُ ففى صالحِ الأخلاقِ نفسَكَ فاجعَلِ (١)

ونظر أبو الحارث جُمَّين (٢) إلى برذَونٍ يُستَقى عليه الماءُ ، فقال :

* وما المرءُ إلّا حيث يجعلُ نفسَهُ *

لو هملَجَ هذا البِرذَونُ لم يُجعَل للرَّاوِيَة !

وأنشد :

لا خيرَ فى كلِّ فتًى نَؤُومِ لا يعترِيهِ طارِقُ الهُمُومِ

وأنشد :

اجعلْ أبا حَسَنٍ كمن لم تَعرِفِ واهجرْهُ مُعتزماً وإن لم يُخلِفِ (٣)
آخِ الكرامَ المُنصِفِينَ وصِلْهُمُ واقطَعْ مودَّةَ كلِّ من لم يُنصِفِ

وقال عُمارةُ بن عَقيل بن بلالِ بن جرير (٤) :

ما زال عِصيانُنا للهِ يُسْلِمُنا (٥) حَتَّى دُفِعنا إلى يَحيَى ودينارِ (٦)

---

(١) سبق إنشاده فى (٢ : ١٠٣) بدون نسبة . ماعدا ل : « صالح الأعمال » . وأشير إلى رواية « الأخلاق » فى هـ .

(٢) مضت ترجمته فى (٢ : ١٠٣) حيث سبق الخبر .

(٣) كذا فى ب ، جـ . وفى ل ، هـ : « تحلف » . وفى التيمورية تقرأ بالتاء والياء مع الخاء المعجمة .

(٤) هو عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير بن عطية بن الخطفى ، كان من الشعراء الفصحاء ، قدم من اليمامة فمدح المأمون ووجوه قواده ، واتصل بإسحاق بن إبراهيم المصعبى ، وله فيه مدح كثير . واجتمع الناس وكتبوا شعره ؛ وبقى إلى أيام الواثق ومدحه ، وعمى قبل موته . معجم المرزبانى ٢٤٧ والأغانى (٢٠ : ١٨٣ - ١٨٨) وتاريخ بغداد ٦٧٢٢ .

(٥) فى الأغانى : « يرذلنا » بدل : « يسلمنا » . وفى كنايات الثعالبى : « يوبقنا » .

(٦) البيتان نسبا فى الأغانى (١٨ : ٤٦) وكنايات الثعالبى ١٨ إلى دعبل بن على الخزاعى . ويحيى ودينار أخوان ، وهما يحيى بن عبد الله ، ودينار بن عبد الله ، كان دعبل مدحهما فلم يرض ثوابهما ، فقال الشعر يهجوهما .

إلى عُلَيجَين (١) لم تُقطَع ثمارُهما (٢)   قد طال ما سجدَا للشمسِ والنارِ (٣)

وشاتَم أعرابىٌّ أعرابيًّا فقال : « إنَّكم لتعتَصرُونَ العطاءَ ، وتُعيرونَ النِّساء ، وتَبيعُون الماءَ » .

وقال أبو الأسْودِ الدؤلىُّ :

لنا جِيرةٌ سَدُّوا المَجَازةَ بيننا   فإن ذكَّروكَ السَّدَّ فالسَّدُّ أكيسُ

٢١٨ ومِن خير ما ألْصَقْتَ بالدارِ حائطٌ   تَزِلُّ به صُقعُ الخطاطِيفِ أملَسُ

وأنشد :

إذا لم يكُن للمرءِ بُدٌّ من الرَّدَى   فأكرَمُ أسبابِ الردى سَبب الحُبِّ

وقال الآخر :

وإذا شَنِئْتُ فتًى شَنِئْتُ حديثَهُ   وإذا سَمِعتُ غِناءَهُ لم أطرَبِ

وأنشد المسرُوحىّ ، لكامِلِ بن عِكرِمة (٤) :

لها كلَّ عامٍ موعِدٌ غَير مُنجَزٍ   ووَقتٌ إذا ما رَأسُ حولٍ تَجرَّمَا (٥)

فإنْ وَعَدَت شراً أتى دُونَ وقتِه   وإن وَعَدَت خيراً أراثَ وعَتَّما (٦)

---

(١) فى الأغانى : « وغدين علجين » . والعلج : الرجل من كفار العجم .

(٢) لم تقطع ثمارهما ، كناية عن أنهما لم يختنا ، كما هو عادة العلوج . وثمرة السوط : عقدة طرفه . قال الثعالبى : « ومما يكنى به عن القلفة قول دعبل ... » وأنشد البيتين .

(٣) سبق البيتان والكلام على قصتهما فى (٢ : ٣٥٤ – ٣٥٥) .

(٤) ذكره المرزبانى فى معجمة ٣٥٥ ، وأنشد له البيتين .

(٥) تجرم : انقضى وانصرم . وفى المعجم : « أرى كل عام موعداً غير ناجز وخلفا » .

(٦) فى هـ ، ومعجم المرزبانى : « فإن أوعدت شرا أتى قبل وقته » . وأشير فى هـ : إلى رواية « دون » . وفى اللسان : الأزهرى كلام العرب : وعدت الرجل خيراً ووعدته شرا ، وأوعدته خيرا وأوعدته شرا . فإذا لم يذكروا الخير قالوا : وعدته ، ولم يدخلوا ألفا . وإذا لم يذكروا الشر قالوا أوعدته ، ولم يسقطوا الألف . وأنشد لعامر بن الطفيل :

وإنى وإن أوعدته أو وعدته   لأُخلف إيعادى وأنجز موعدى

أراث : أبطأ . وعتم : أبطأ أيضاً . المرزبانى : « وأعتما » ، يقال عتم وأعتم وعتم ، بمعنى .

وقال الآخر :

أَلم تَرَ أنَّ سَيرَ الخبر ريثٌ وأنَّ الشرَّ راكبُهُ يطيرُ (١)

وقال محمدُ بنُ يَسير :

تَأْتِى المكارهُ حين تَأْتِى جملةً وترى السُّرورَ يَجىءُ فى الفَلَتاتِ (٢)

وقال الآخر :

إذا ما بَرِيدُ الشامِ أقبَلَ نحونا بِبَعضِ الدَّواهى المُفْظِعات فأَسرَعا (٣)
فإنْ كان شراً سارَ يوماً وليلةً وإن كان خيراً قصَّدَ السَّيرَ أربَعا (٤)

وقال آخر :

وتُعجِبُنا الرُّؤيا فجُلُّ حَديثِنا
إذا نحن أصبَحنَا الحديثُ عن الرُّؤيا (٥)
فإنْ حَسُنَت لم تَأتِ عجلَى وأبطأَت وإن قَبُحَتَ لم تحتَبِس وأتت عَجلَى

وقال آخر :

وإذا نَهضتُ فما النُّهوضُ بدائِمٍ وإذا نُكِبتُ توالَتِ النَكَباتُ (٦)

* * *

قال : قيل لأعرابىٍّ : ما أعددْتَ للشِّتاء ؟ قال : جُلَّةً رَبوضاً (٧) ، وصيصيَةً

---

(١) سبق البيت فى ص ٢٠٨ . (٢) مضى فى ص ٢٠٩ .

(٣) فى نسخة : « الدواهى الربد سار » عن حواشى هـ . والبيتان فى رسائل الجاحظ (٢ : ٢٧٧) بتحقيقنا . (٤) قصد السير : فصله ، كما يقال قصد العظم : كسره وفصله ..

(٥) نسب إلى الفضل بن يحيى البرمكى فى مروج الذهب (٣ : ٣٩٢) قاله حين قبض عليه هو ويحيى بعد أن قتل جعفر . وقبله فى عيون الأخبار (١ : ٨١) :

إلى الله أشكو إنه موضع الشكوى وفى يده كشف المصيبة والبلوى
خرجنا من الدنيا ونحن من آهلها فلسنا من الأحياء فيها ولا الموتى
إذا جاءنا السجان يوماً لحاجة عجبنا وقلنا : جاء هذا من الدنيا

(٦) موضع هذا البيت فيما عدا ل متقدم على البيتين السابقين .

(٧) الجلة ، بالضم : وعاء من الخوص ، يوضع فيه التمر ويكنز . والربوض : الضخمة العظيمة .

سَلُوكا (١) ، وشَملةً مَكُوداً (٢) ، وقُرْمُوصاً دَفيئا (٣) ، وناقةً مُجَالِحة (٤) .

وقيل لآخر : ما أعددتَ للشّتاءِ ؟ قال : شِدَّةُ الرِّعدة .

وقيل لآخر : كيف ليلكم ؟ قال: سَحَرٌ كلُّه .

وقيل لآخَر : كيف البردُ عندكم ؟ قال : ذَاكَ إلى الرِّيح .

وقال مَعنُ بن أُوس (٥) :

٢١٩ فلَا وَأَبِى حَبيبٍ ما نَفاهُ ... مِنَ آرضٍ بنى ربيعةَ من هوانِ (٦)
وكان هو الغَنىَّ إلى غِناهُ ... وكانَ من العشيرة فى مَكَانِ (٧)
تكَنَّفَهُ الوُشاةُ فأزعجوهُ ... ودَسٌّ من فضالة غيرُ وانِ (٨)
فلَوْلا أنَّ أُمَّ أبيه أُمّى ... وأنْ مَنْ قد هَجاهُ فقد هجانى
وأنّ أبى أبوه لذاقَ منّى ... مَرارةَ مِبردى ولكان شانِى (٩)
إذاً لأَصابه منّى هجاءٌ ... يُمِرُّ به الرَّوِىُّ على لِسَانى (١٠)

---

(١) الصيصية : شوكة الحائك التى يسوى بها السداة واللحمة . والسلوك : السهلة السلوك .

(٢) الشملة ، بالفتح : كساء دون القطيفة يشتمل به . والمكود : الدائمة . من قولهم ماء ماكد : دائم لا تنقطع مادته .

(٣) القرموص ، كعصفور : حفرة يستدفئ فيها الصرِد من البرد ، واسعة الجوف ضيقة الرأس .

(٤) المجالحة من النوق : التى تدر فى الشتاء لا تبالى القحط . يقال ناقة مجالح ومجالحة .

(٥) فى ديوانه ٢٤ برواية القالى : « قال أبو عمرو : وكان معن بن أوس رجلا كثير الإبل ، وكان له ابن يقال له حبيب ، فأتاه ابن عم له يقال له [فضالة] بن عبد الله فقال له : يا حبيب ، هل لك أن تخرج بنا إلى الشام وتأخذ إبلا من إبل أبيك ؟ فقال : نعم . فخرجا إلى الشام ، فطعن حبيب فمات ، ورجع ابن عمه فضالة . فقال معن فى ذلك » .

(٦) فى الديوان : « لعمر أبى ربيعة » . فلعل كنية حبيب أبو ربيعة .

(٧) أى فى مكان عظيم .

(٨) فضالة هو ابن عم حبيب ، كما ورد فى القصة . وفى الأصل : « من قضاعة » ، صوابه من الديوان . وفى حواشى هـ : « رواية أبى على : فضالة » .

(٩) فى شرح الديوان : « مبردى يعنى لسانى . لكان شانى ، أى لكان همى لا أفرط فى أمره » .

(١٠) يمر : يصير مرا . والروى : حرف القافية ، عنى به الشعر . ورواية الديوان : « يذل به الروى » .

أُعَلِّمُهُ الرِّمايةَ كلَّ يومٍ فلما استدّ ساعِدُه رمانى (١)

وقال بعض اليهود :

ولَو كنتُ أرضى لا أبالَك بالذى به العائلُ الجثّامُ فى الخفضِ قانِعُ (٢)
إذًا قَصُرتْ عِندى الهمومُ وأصبحَتْ علىَّ وعندِى للرِّجال صنائع (٣)

ذكر ما قالوا فى المَهَالبة (٤)

إنّ المَهالِبةَ الكِرامَ تحمَّلوا دَفْعَ المكارِهِ عن ذَوِى المكرُوهِ (٥)

---

(١) هذا هو الصواب فى رواية البيت . واستد ، من السداد ، وهو القصد كما فى حواشى هـ . وفيما عدا التيمورية ، هـ : « فلما اشتد » تحريف . انظر اللسان (سدد) حيث نبه على هذا الصواب . وفى اللسان : « قال ابن دريد : هو لمالك بن فهم الأزدى ، وكان ابنه سليمة رماه بسهم فقتله فقال البيت . قال ابن برى : ورأيته فى شعر عقيل بن علفة يقوله فى ابنه عملس حين رماه بسهم . وبعده :

فلا ظفرت يمينك حين ترمى وشلت منك حاملة البنان »

وانظر الاشتقاق ٢٩٢ ، ٣١٧ والأغانى (٥ : ١٠/٦ : ٦٩) .

(٢) العائل : الفقير . والجثام : اللازم مكانه لايبرح . الخفض : سعة العيش ، وهو هنا عيش من يمونه ويكفله .

(٣) الصنائع : جمع صنيعة ، وهى ما يسدى من معروف أو يد إلى إنسان .

(٤) المهالبة : جمع مهلبى ، نسبة إلى المهلب بن أبى صفرة ، فالتاء فيه للدلالة على أن واحده منسوب ، وذلك أنهم حين أرادوا أن يجمعوا المنسوب جمع تكسير اضطروا إلى حذف ياء النسب ، لأن ياء النسب والجمع لا يجتمعان فأتى بالتاء بدلا من ياء النسب . الصبان (٤ : ٨٥) . وجدهم المهلب بن أبى صفرة ، واسم أبى صفرة ظالم بن سراق بن كندى بن عمرو بن عدى الأزدى العتكى . ولد المهلب فى حياة الرسول عام الفتح ، وكان من أشجع الناس ، وهو الذى حمى البصرة من الخوارج ، وله معهم وقائع مشهورة استقصى أكثرها المبرد فى الكامل ، ولذا قيل « بصرة المهلب » . وولى خراسان من قِبل الحجاج بن يوسف ، فقد كان الحجاج أمير العراقين وخراسان وسجستان ، فولى المهلب خراسان وعبد الله بن أبى بكرة سجستان . قال ابن قتيبة : « ويقال إنه وقع إلى الأرض من صلب المهلب ثلاثمائة ولد » . فمنهم يزيد بن المهلب ، وقبيصة بن المهلب ، والمغيرة بن المهلب ، ويزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب ، وروح بن يزيد بن أبى حاتم ، ومنهم الوزير المهلبى ، وهو الحسن بن محمد بن هارون بن إبراهيم بن عبد الله بن يزيد بن حاتم بن قبيصة ، المتوفى سنة ٣٥٢ . وكان بنو المهلب فى دولة بنى أمية كما كان البرامكة فى دولة بنى العباس ، مضرب المثل فى الكرم . توفى المهلب سنة ٨٣ . ابن خلكان والإصابة ٨٦٢٧ والمعارف ١٧٥ .

(٥) كذا ورد البيتان بدون أن يسبقا بعبارة للإنشاد . وهما للفرزدق فى ديوانه ٨٨٥ وعيون الأخبار (١ : ٣٤٣) .

زانوا قدِيمَهُم بحسُن حَدِيثِهم ... وكَرِيمَ أخلاقٍ بحسُنِ وجُوهِ

وقال أبُو الجَهم العدَوِىُّ (١) فى معاوية بن أبى سُفيانَ :

نُنَلِّبُهُ لنَخْبُرَ حالتَيهِ ... فَنخبُرُ مِنهُما كرماً ولِينا

نَميلُ على جوانبِهِ كأنَّا ... نَميلُ إذا نَمِيلُ على أبينا

وقال الآخرُ (٢) فى هذا الشكل :

إنْ أُجْزِ علقمة بنَ سَيفٍ سعيَهُ ... لا أُجْزِهِ ببلاءِ يومٍ واحِدِ (٣)

لأحبَّنى حُبَّ الصَّبى ورمَّنى ... رَمَّ الهدىُّ إلى الغَنىِّ الواجِدِ (٤) ٢٢٠

ولقد شفيتُ غَلِيلَتى فنقعتُها ... من آلِ مسعودٍ بماءٍ بارِدِ (٥)

وقال بُكَيرُ بن الأخنَس :

نَزلتُ على آلِ المُهلَّب شاتياً ... فقيراً بعيدَ الدارِ فى سَنَةٍ مَحْلِ (٦)

فما زالَ بى إلطافُهم وافتقادُهم ... وإكرامُهم حتى حَسِبتُهُمُ أهلى (٧)

---

(١) هو أبو الجهم بن حذيفة العدوى ، المترجم فى (٢ : ٣٢٢) .

(٢) هو رجل من بهراء ، اسمه فدكى بن أعبد ، كان مجاوراً لعلقمة بن سيف العتابى ، وكان له إبل فسرقت ، فلما علم علقمة بذلك سعى فى استردادها من خاربها فلم يوفق ، فأخرج من ماله مائة بعير وساقها إلى فدكى عوضاً ، فقال هذا الشعر يمدحه . الحماسة (٢ : ٢٦٧) وشرحها للتبريزى (٤ : ٧٠ — ٧١) واللسان (لمم) .

(٣) روى المرزبانى فى معجمه ٤٧٥ هذا البيت وتاليه منسوبين إلى المرناق الطائى . والأبيات بدون نسبة فى الحيوان (٣ : ٤٦٨) .

(٤) رمنى ، بالراء ، أى أصلح حالى . والهدى : العروس تزف وتهدى إلى زوجها . والواجد : الغنى . ورواية اللسان : « ولمنى لم الهدى » . وبعده فى المعجم :

وأثابنى يوم الصراخ بهجمة ... مائة تشت على عصىِّ الذائد

(٥) ويروى : « من آل عتاب » ، كما فى حواشى هـ .

(٦) البيتان بدون نسبة فى الحماسة (١ : ١٠٩) ، ونقلهما ابن خلكان فى ترجمة المهلب بن أبى صفرة رواية عن الحماسة . وهما كذلك بدون نسبة فى عيون الأخبار (١ : ٣٤١) . وفى الحماسة : « غريباً عن الأوطان فى زمن محل » . وابن خلكان : « بعيداً عن الأوطان فى الزمن المحل » ، وابن قتيبة : « بعيداً قصى الدار فى زمن محل » .

(٧) الإلطاف : الإتحاف . والافتقاد والفقد : طلب الشىء عند غيبته ، عنى كثرة سؤالهم عنه واهتمامهم بأمره . وفى الحماسة : « فما زال بى إكرامهم واقتفاؤهم وإلطافهم » . والاقتفاء : الإكرام . وفى الوفيات : « فما زال بى معروفهم وافتقادهم وبرهم » .

وقال فى كلمةٍ له أخرى :

وقد كنت شيخاً ذا تجارِبَ جَمَّةٍ فأصبحت فيهِمْ كالصبىِّ المُدلَّلِ

ورأى المُهلَّبَ وهو غلامٌ فقال :

خُذُونى به إن لم يَسُدْ سَرَواتِهم ويبرعَ حتّى لايكونَ له مِثْلُ

وقال الحَزينُ (١) ، فى طلحة بن عَبدِ الله (٢) بن عبد الرحمن بن أبى بكرٍ الصديق رضى الله عنه – وأُمه عائشةُ (٣) بنتُ طلحةَ بن عُبيد الله (٤) ، من ولَدِ أبى بكرٍ الصّدِّيق رحمه الله :

---

(١) الحزين لقب غلب عليه ، واسمه عمرو بن عبيد بن وهيب بن مالك . شاعر من شعراء الدولة الإسلامية ، حجازى . وكان هجاء متكسباً بالشعر ، برون أنه كان يضرب على كل رجل من قريش درهمين درهمين فى كل شهر . وقد وفد إلى مصر ومدح عبد الله بن عبد الملك ، واليها ، بأبيات منها :

لما وقفت عليه فى الجموع ضحى وقد تعرضت الحجاب والخدم

حييته بسلام وهو مرتفق وضجة القوم عند الباب تزدحم

فى كفه خيزران ريحه عبق فى كف أروع فى عرنينه شمم

الأغانى (١٤ : ٧٤ – ٨٢) والمؤتلف ٨٨ .

(٢) الكلام بعده إلى « بن عبد الله » من ل ، هـ فقط . وطلحة هذا ، ممن له صحبة ، وأرسل عن جده الصديق . تهذيب التهذيب .

(٣) كانت عائشة زوجة لعبد الله بن عبد الرحمن بن أبى بكر ، ثم تزوجها مصعب بن الزبير فأعطاها ألف ألف درهم ، فقال أنس بن زنيم الديلمى لأخيه عبد الله :

أبلغ أمير المؤمنين رسالة من ناصح لك لا يريد خداعا

بضع الفتاة بألف ألف كامل وتبيت سادات الجيوش جياعا

لو لأبى حفص أقول مقالتى وأقص شأن حديثهم لارتاعا

يعنى أبا حفص عمر بن الخطاب . فلما قتل مصعب تزوجها عُمَر بن عبيد الله بن معمر التيمى المعارف ١٠٢ – ١٠٣ .

(٤) هو طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة . ويقال طلحة الخير ، وطلحة الفياض . ويقال له أيضاً طلحة الطلحات ، وهو لقب مشترك بينة وبين طلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعى الذى قيل فيه :

رحم الله أعظما دفنوها بسجستان ، طلحة الطلحات

كان طلحة من المهاجرين الأولين ، ومن العشرة المسمين للجنة ، وأحد أصحاب الشورى ولم يحضر يوم التشاور . وقد وقى الرسول يوم أحد من ضربة قصد بها إليه . توفى سنة ٣٦ . الإصابة ٥٤٢٩ والمعارف ١٠٠ – ١٠١ .

فإنّ تَكُ يا طَلحُ أعطيتَنى　　　جُماليَةً تَستَخِفُّ السِّفَارَا (١)

فما كان نَفعُك لى مرَّةً　　　ولا مَرّتَين ولكن مِرارا

وقال أبو الطَّمَحان (٢) :

سأمدَحُ مالِكاً فى كل ركب　　　لقيتهم ، وأتركُ كلّ رَذْلِ (٣)

فما أنا والبِكارَةَ مِنْ مَخَاضٍ　　　عِظَامٍ جِلَّةٍ سُدُسٍ وَبُزْلِ (٤)

وقد عَرفتِ كِلابُكم ثيابى　　　كأنِّى منكمُ ونسِيتُ أهلِى (٥)

٢٢١ نَمتكُم من بنى شَمْخٍ زِنَادٌ　　　لها ما شِئتَ مِن فرعٍ وأصلِ (٦)

وقال أبو الشَّغْب (٧) :

---

(١) الجمالية : الناقة تشبه الجمل فى خلقها وشدتها وعظمها . والسفار : حبل يشد طرفه على خطام البعير فيدار عليه ويجعل بقيته زماما .

(٢) سبقت ترجمته فى (١ : ١٨٧) .

(٣) مالك هذا ، هو مالك بن حمار الشمخى ، الذى قتله خفاف بن ندبة . انظر الحيوان (١ : ٣٨٠) وحواشيه . والرذل : الدون الخسيس .

(٤) البكارة ، بكسر الباء : جمع بكر بالفتح ، وهو من الإبل بمنزلة الفتى من الناس . والرفع فى مثل هذا الأسلوب هو الأفصح . ويجوز فيه النصب مفعولا معه ، ومنعه بعض المتأخرين كابن الحاجب . همع الهوامع (١ : ٢٢١) . والمخاض : الحوامل من الإبل ، واحدتها خلفة على غير قياس ، كما قالوا لواحدة النساء امرأة . والجلة : المسان من الإبل . والسدس : جمع سديس ، وهو الذى يلقى السن بعد الرباعية ، وذلك فى السنة الثامنة . والبزل ، وأصله بضم الزاى ، جمع بزول ، ومثله البزل كركع جمع بازل ، وهو البعير حين يطعن فى التاسعة . يقول : ليست تعنينى تلك الصغار إذا ظهرت بين الكبار .

(٥) ما عدا ل ، هـ : « كلابهم » على الالتفات .

(٦) بنو شمخ : قبيل مالك بن حمار الذى مدحه أبو الطمحان ، وهم بنو شمخ بن فزارة بن ذبيان بن بغيض بن غطفان . الاشتقاق ١٧١ . قال ابن دريد « ومنهم مالك بن حمار الشمخى ، قتله خفاف بن ندبة السلمى » . انظر خبر مصرعه فى الأغانى (١٣ : ١٣٤) . نماه : رفعه فى النسب . والزناد : جمع زند ، وهو العود الأعلى الذى يقتدح به النار . والزند ووريه مثل فى الكرم وغيره من الخصال المحمودة . يقال : هو وارى الزند ، أى كريم ذو خصال حميدة .

(٧) أبو الشغب العبسى : أحد شعراء الدولة الأموية . وأنشد له أبو تمام فى الحماسة (١ : ٣٨٣) أبياتاً فى خالد بن عبد الله القسرى . وأخرى فى (١ : ٤٣٠) يرثى ابنه =

ألا إنَّ خيرَ الناسِ قد تعلمونه   أسيرُ ثقيفٍ مُوثَقاً فى السلاسلِ [١]
لَعَمرى لِئِنْ أعمرتُم السِّجنَ خالدا   وأوطأْتُمـــوهُ وطـــأَةَ المتثاقـــلِ
لقد كان نَهّاضاً بِكُلِّ مُلِمَّةٍ
ومُعطِى اللُّهَى غَمراً كثير النوافِلِ [٢]
فإنّ تسجُنوا القَسرىَّ لا تَسجُنُوا اسْمَهُ
ولا تسجنوا معروفَهُ فى القبائِلِ

ومن هذا الباب قَوْلُ أعشَى هَمْدانَ [٣] ، فى خالدِ بن عتّابِ بنِ ورقاءَ [٤] :

رأيت ثناءَ النَّاس بالغَيب طَيِّباً   عليكَ وقالوا : ماجدٌ وابنُ ماجدِ [٥]

= شغبا ، وأنشدها القالى أيضاً فى أماليه (٢ : ٨٨) ، والمبرد فى الكامل ١٢٧ ليبسك . وثالثة فى (١ : ٤٣٦) يرثى بها بنيه ، وقد رواها ثعلب فى أماليه ٢٤٢ .

(١) أسير ثقيف هذا ، هو خالد بن عبد الله القسرى ، وكان من خبره أن الوليد بن يزيد بن عبد الملك لما ولى الخلافة – وأمه أم الحجاج ابنة محمد بن يوسف الثقفى ، كما فى التنبيه والإشراف – دفع بخالد إلى يوسف بن عمر الثقفى عامله على العراق ، فحمله إلى الكوفة وعذّبه حتى قتله ، وذلك سنة ١٢٦ ، انظر تاريخ الطبرى . ويفهم من صنيع أبى تمام فى الحماسة أن الشعر فى رثاء خالد ، فقد ساقه فى باب المراثى ، وليس كذلك ، وإنما قالها الشاعر تمجيداً له وتنويها به . وفى الحماسة : « خير الناس حيا وهالكا » . وفى الطبرى (٩ : ١٩) : « بحر الجود أصبح ساجيا » .

(٢) اللهى : جمع لهوة ، بالضم ، وهى العطية . والغمر ، بالفتح ، الواسع العطاء . وفى الحماسة : « ويعطى اللهى فى كل حق وباطل » .

(٣) اسمه عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث ، ويكنى أبا المصبح : شاعر كوفى من شعراء الدولة الأموية ، وكان زوج أخت الشعبى الفقيه ، والشعبى زوج أخته . وكان هذا الأعشى أحد الفقهاء القراء ، ثم ترك ذلك وقال الشعر . وخرج مع ابن الأشعث فأتى به الحجاج أسيراً فقتله صبرا . الأغانى (٥ : ١٣٨ – ١٥٣) والمؤتلف ١٤ .

(٤) خالد بن عتاب بن ورقاء الرياحى ، كان من عمال الحجاج على الرى ، ثم غضب عليه وطلبه فهرب إلى الشام واستجار بزفر بن الحارث الكلابى ، فراجع عبد الملك فى أمره فأجاره . وكان لخالد أثر عظيم فى قتال الخوارج ، وهو الذى قتل غزالة امرأة شبيب بن يزيد الخارجى الشيبانى ، وكان شبيب من قبل قد قتل أباه عتاب بن ورقاء . انظر الحيوان (٥ : ٥٩٠) والطبرى (٧ : ٢٥٢ – ٢٥٤) والأغانى (١٦ : ٤١ – ٤٢) .

(٥) كان أعشى همدان قد أملق ، فأتى خالد بن عتاب فأنشده الأبيات التالية ، فأمر له بخمسة آلاف درهم . الأغانى (٥ : ١٥٠) .

بنى الحارثِ السّامِينَ للمجدِ إنّكم   بَنيتُم بنـاءً ذِكـرُهُ غيـرُ بائِـدِ
هنيئاً لِمَا أعطـاكمُ اللهُ واعلَمـوا   بأنّى سأُطْرِى خالِداً فى القصائِدِ
فإنْ يَكُ عَتّابٌ مَضَى لسبيله   فما مَاتَ من يَبقَى له مِثْلُ خالِدِ (١)

ومن شكل هذا الشِّعرِ قولُ الحُسَين بن مُطَيرٍ الأَسَدِيّ (٢) :

أَلِمَّا على معنٍ وقُولا لقبرِهِ   سقتكَ الغوادى مُربِعاً ثمّ مُربِعا (٣)
فَيا قَبرَ معنٍ كُنتَ أوّلَ حُفرةٍ   من الأرضِ خُطَّت للسماحِ ومَوضِعا (٤)
ويا قبر معن كيف واريتَ جودَه   وقد كان منه البَرُّ والبحرُ مُترَعا
بلى قد وسِعت الجودَ والجودُ ميِّتٌ   ولو كان حيًّا ضقت حتى تصدّعا (٥)

---

(١) قتل عتاب سنة ٢٤٢ ، قتله شبيب . الطبرى (٧ : ٢٤٢) .

(٢) ل : « الحسن بن مطير » . وهو الحسين بن مطير بن مكمل – وفى الحماسة : بن مطير بن الأشيم – مولى لبنى أسد بن خزيمة ، وهو شاعر من مخضرمى الدولتين ، ممن مدح بنى أمية وبنى العباس ، وكان يذهب مذهب الأعراب وأهل البادية فى زيه وفى كلامه . الأغانى (١٤ : ١١٠ – ١١٤) والخزانة (٢ : ٤٨٥) .

(٣) معن هذا ، هو ابن زائدة الشيبانى ، المترجم فى (٢ : ١١٣) . والمرثية فى الحماسة (١ : ٣٨٧) والأغانى (١٤ : ١١٣) والخزانة (٢ : ٤٨٧) وابن خلكان (٢ : ١١٢) . ويقال ألم به وعليه ، أى نزل عليه ولم يقم . وفى الأغانى والخزانة . « ألما بمعن » . والغوادى : السحب التى تغدو . والمربع بضم الميم وكسر الباء : الغيث العظيم ينبت بعده الربيع . وفى حديث الاستسقاء : « اللهم اسقنا غيثاً مُرْبعاً مُرتِعًا » . والمُرتع : الذى ينبت ما ترتع فيه الماشية .

(٤) السماح والسماحة : الجود . فى الأغانى والخزانة : « أيا قبر معن » . الأغانى والحماسة وما عدا ل : « للسماحة موضعا » . وفى الخزانة وابن خلكان : « للمكارم مضجعا » .

(٥) تصدع ، هى تتصدع بحذف إحدى التاءين ، أى تتشقق .

فلمّا مضَى مَعنٌ مضى الجودُ والنَّدى ... وأصبحَ عِرنينُ المكارمِ أجدعا (١)

فتًى عيشَ فى مَعروفِهِ بعد موته ... كما كان بَعدَ السَّيلِ مَجراهُ مَرتَعا

تَعزَّ أبا العباس عنه ولا يَكُنْ ... جزاؤُكَ من مَعنٍ بأنْ تتضَعضَعا

فما ماتَ من كُنتَ ابنَه لا ولا الذى ... لهُ مثل مَا أسدَى أبوك وما سَعَى

تمنَّى أناسٌ شَأوَه من ضَلالِهم ٢٢٢

فأَضحَوا على الأذقانِ صَرعى وظُلَّعا (٢)

وهذا مِثلُ قولِ مسلمِ بنِ الوليدِ ، فى يزيدَ بن مَزْيَد (٣) :

قَبرٌ ببرذَعَةَ استسرّ ضريحُهُ ... خَطَراً تقاصَرُ دونَهُ الأخطارُ (٤)

---

(١) العرنين : ما ارتفع من قصبة الأنف . والأنف الأجدع : المقطوع .

(٢) الشأو : المدى والغاية . والظلع : جمع ظالع ، وهو من به شبه العرج . ل : « ضلعا » ، والضُّلَّع : جمع ضالع ، وهو المائل .

(٣) سبقت ترجمته فى (١ : ٣٤٢) . والمرثية اختارها أبو تمام فى الحماسة لمسلم (١ : ٣٩٢) ولم يذكر من هو المرثى . وكذا القالى فى أماليه (١ : ٢٧٦) . وأما ياقوت فى رسم (برذعة) وأبو الفرج فى الأغانى (ترجمة مسلم بن الوليد) وابن خلكان (ترجمة يزيد بن مزيد) فذكروا أنها لمسلم فى رثاء يزيد ابن مزيد . وانفرد ابن خلكان بقوله : « وقد قيل إن مسلم بن الوليد إنما رثى بهذه الأبيات يزيد بن أحمد السلمى ، وقيل : بل رثى بها مالك بن على الخزاعى ، وأن أول الأبيات :

* قبر بحلوان استسر ضريحه *

قلت : ورواية أبى تمام : « قبر بحلوان استسر ضريحه » ، تؤيد أن المرثى غير يزيد بن مزيد ، فإنهم قد أجمعوا أن يزيد بن مزيد مات ودفن فى « برذعة » لا فى « حلوان » .

(٤) برذعة : بلد فى أقصى أذربيجان ، قال حمزة : « برذعة معرب برده دار ، ومعناه بالفارسية موضع السبى ، وذلك أن بعض ملوك الفرس سبى سبيا من وراء أرمينية وأنزلهم هناك » . ورواية أبى تمام : « قبر بحلوان » كما سبقت الإشارة . استسر ، المعروف فيها : استسر الهلال والقمر ، أى خفى ، فهذا فى اللازم . أما متعديه فقد قالوا : استسر الجارية ، أى اتخذها سرية . وقالوا أيضاً : استسرنى فلان ، بمعنى ألقى إلىّ سره . فمجاز هذه الكلمة من المتعدى . على أن رواية القالى : « قبر بحلوان أسر ضريحه » ، وهذه لا غبار عليها . والخطر : الشرف .

أبقَى الزّمانُ على مَعَدٍّ بعدَه حُزْناً كعُمر الدَّهر لَيسَ يُعارُ (١)
نَفَضَت به الآمالُ أحلاسَ الغِنَى واسترجَعت نُزَّاعَها الأمْصارُ (٢)
فاذهب كما ذَهَبَت غَوادِى مزنَةٍ أثنى عليها السَّهلُ والأوْعارُ

* * *

(١) فى الأغانى وابن خلكان : « على ربيعة » . وربيعة : ابن نزار بن معد . كعمر الدهر ، أى طويلا مثله . وفى الأغانى والوفيات : « لعمر الله » . وفى البلدان : « لعمر الدهر » . ولم يرو فى الحماسة والأمالى .

(٢) الأحلاس : جمع حلس ، وهو كساء يوضع على ظهر البعير تحت الرحل . يقول : قيدت آمال المعتفين عن الرحلة فى طلب الغنى . والنزاع : جمع نازع ، وهو الغريب الذى نَزَعَ عن أهله وعشيرته . الحماسة والأمالى : « نفضت بك الأحلاس نفض إقامة » . الأغانى وابن خلكان : « نفضت بك الأحلاس آمال الغنى » . وفى الأغانى : « روادها » وابن خلكان : « زوارها » .

ذكر حروف من الأدب
من حديث بنى مَرْوان وغيرهم

قيل : إذا رَسَخ الرّجُلُ فى العِلم رُفِعَت عنه الرُّؤيا الصالحة [١] .

مَسْلَمة [٢] ، قال : كان عند عُمَر بن عبد العزيز رجلان ، فجعلا يلحنانِ ، فقال الحاجبُ : قُومَا فقد « أَوْذَيْتُمَا » أمير المؤمنينَ ! قال عُمَر : أنتَ آذَى لى منهما .

المدائنى قال : قعد قُدّامَ زياد رجلٌ ضائعى – من قرية باليمن يقال لها « ضياعٌ [٣] » – وزيادٌ يبنى داره ، فقال له : أيُّها الأمير ، لو كنتَ عملت باب مشْرقها قِبَل مغربها ، وباب مغربها من قِبَل مشرقها ! فقال : أنَّى لك هذه الفصاحة ؟ قال : إنّها ليست من كتاب ولا حساب ، ولكنها من « ذكاوة » العقل . فقال : ويلك ، الثانى شرّ !

شُعبة [٤] ، عن الحكم [٥] ، قال : قال عبدُ الرحمنِ بن أبى ليلَى [٦] : لا أُمارِى أخى [٧] ، فإما أن أكذِبَهُ وإما أن أُغْضِبَه [٨] .

---

(١) رفعت هنا بمعنى رُويت ، أى كان من أصحاب الرؤيا الصادقة .

(٢) مسلمة بن محارب ، ترجم فى (٢ : ٤٨) .

(٣) كذا وردت هذه الكلمة ، ولم أجد ضائعاً ولا ضياعا فى أسماء البلدان .

(٤) شعبة بن الحجاج ، ترجم فى (١ : ٣٦٩) .

(٥) هو الحكم بن عتيبة الكندى ، روى عن بعض الصحابة ، وعن شريح وعطاء وطاوس وغيرهم من التابعين ، وروى عنه الأعمش وقتادة والأوزاعى وشعبة ، وكان ثقة فقيهاً عابدا . ولد سنة ٥٠ وتوفى سنة ١١٣ . تهذيب التهذيب والخلاصة .

(٦) عبد الرحمن بن أبى ليلى – وهو يسار ، أو بلال ، أو داود – بن بلال بن بليل بن أحيحة بن الجلاح الأنصارى الأوسى . ولد لست بقين من خلافة عمر ، وأدرك مائة وعشرين من الصحابة الأنصار ، وفقد فى يوم الجماجم سنة ٨٢ تهذيب التهذيب .

(٧) المراء والمماراة : المجادلة .

(٨) من العجب ما ورد فى تهذيب التهذيب : « وقال الأعمش : حدثنا إبراهيم ، عن عبد الرحمن بن أبى ليلى . وكان لا يعجبه ، يقول : هو صاحب مراء » .

ابنُ أبى الزِّناد [١] قال : إذا اجتَمعت حُرمَتان تُركَت الصُّغرى لِلكُبْرَى [٢] .

وعن أبى بكر الهُذَلى [٣] – واسمه سُلْمىٌّ – قال : إذا جَمَع الطّعامُ أربعة [٤] فقد كَمُلَ : إذا كان حلالًا ، وكثُرَت عليه الأيدى ، وسُمِّىَ اللهُ على أوّلِه ، وحُمِد على آخِره :

وقالَ ابن قميئةَ [٥] :

وأهوَنُ كفٍّ لا تضيرك ضَيْرَةً　　يَدٌ بينَ أَيْدٍ فى إناءِ طعَامِ
يدٌ مِن قريبٍ أو غريبٍ بقفرةٍ　　أتتك بها غبراءُ ذاتُ قَتامِ [٦]

وقال حمّادُ عجردٍ :

حُبَيشٌ أبو الصلتِ ذو خِبرةٍ　　بما يُصلِحُ المِعدَةَ الفاسِدَهْ [٧]
تخوّفَ تُخْمةَ أصحابِه　　فعوَّدُهم أكلةً واحدهْ

وقال سُوَيدُ المَرَاثد [٨] : ٢٢٣

إنّى إذا ماالأمرُ بَيّنَ شكهُ　　وبَدَت بصائرُهُ لمن يتأمَّلُ [٩]
وتَبرَّأَ الضعفاءُ من إخوانِهم　　وألَحَّ مِن حَرِّ الصَّميمِ الكلكلُ [١٠]
أدَعُ التى هى أرفَقُ الخَلَّاتِ بى　　عند الحفيظةِ للّتى هى أجملُ

---

(١) هو عبد الرحمن بن أبى الزناد ، المترجم فى (٢ : ٢٨٠ ، ٢٩٠) .

(٢) انظر تفسير هذا فى اللسان (حرم ١٨ س ١٧ – ٢٠) .

(٣) انظر ماسبق من ترجمته فى (١ : ٣٥٧) .　　(٤) ما عدا ل : « أربعاً » .

(٥) عمرو بن قميئة ترجم فى (٢ : ١٨) .　　(٦) القتام ، بالفتح : الغبار .

(٧) فى الشعراء ٧٥٥ بتحقيق الأستاذ أحمد شاكر ، وعيون الأخبار (٣ : ٢٤٤) : « حريث أبو الصلت » . وفى الأغانى (١٣ : ٧٨) : « كان حريث بن أبى الصلت الحنفى صديقاً لحماد عَجرد ، وكان يعابثه بالشعر ويعيبه بالبخل . وفيه يقول :

حريث أبو الفضل ذو خبرة　　بما يصلح المعدة الفاسده

فجعل كنيته أبا الفضل ، واسم أبيه أبا الصلت .

(٨) سبقت ترجمته فى (٢ : ١٨٦) .

(٩) بين ، بمعنى تبين . وفى أمثالهم : « قد بين الصبح لذى عينين » ، أى تبين .

(١٠) ألح ، من قولهم ألحت الناقة والجمل ، إذا لزما مكانهما فلم يبرحا . والصميم من الحر : شدته ، وكذلك من البرد . والكلكل ، عنى به الإبل ذوات الكلكل ، وهو الصدر .

ومما يكتب فى باب العصا

قوله (١) :

قالت أُمامةُ يومّ برقةِ واسطٍ   يابنَ الغَدِير لقد جَعلتَ تَغَيَّرُ (٢)
أصبحتَ ، بعد شبابكَ الماضى الذى   ذَهَبتْ بشاشَتُه وغصنُكَ أخضرُ (٣)
شيخاً دِعامتُكَ العصا ومُشيَّعاً   لاتبتغى خَيراً ولا تستَخْبِرُ

ويُضَمُّ البيت الأخير إلى قوله :

وهُلْكُ الفتى ألّا يَراحَ إلى النَّدَى   وألّا يرى شيئاً عجيباً فيَعجبا (٤)
ومَن يتَتبّعْ منّىَ الظَّلْعَ يلقَنِى   إذا ما رآنى أصلَعَ الرأسِ أشيبا (٥)

وقال بعض الحكماء : « أعجب مِن العَجَب ترْكُ التعجُّبِ من العَجَب » .

وقيل لشيخ هِمٍّ : أىَّ شىءٍ تشتهى ؟ قال : أسمَعُ بالأعاجيب .

وأنشد :

عَريضُ البِطانِ جديب الخِوان   قريبُ المَراثِ من المرتَع (٦)
فنصفُ النَّهارِ لكِرْياسِهِ   ونِصفٌ لمأكلِهِ أجمَعِ (٧)

---

(١) هو حسان بن الغدير ، كما سبق فى حواشى (٢ : ١٠٥) .

(٢) ذكر ياقوت فى معجم البلدان برقة واسط ، وقال : « لم يحضرنى شاهدها » . فهذا من شواهدها .

(٣) ما عدا ل : « بعد زمانك الماضى الذى ذهب شبيبته » .

(٤) لعلى بن الغدير الغنوى . أمالى القالى (٢ : ١٨١) . وانظر ص ٣٤٣ . وهو بدون نسبة فى أمالى الزجاجى ٣٠ .

(٥) الظلع : غمز شبيه بالعرج ، عنى بذلك ضعف الرأى . يقول : قد ارتفع عن سن الشباب إلى سن الحنكة والرأى الصائب . ما عدا ل : « ومن يبتغى منى الظلامة » .

(٦) البطان ، بالكسر : الحزام ، كناية عن سعة بطنه لكثرة أكله . والخوان ، بضم الخاء وكسرها : المائدة . والمراث : موضع الروث ، أى النجو . والمرتع : موضع الرتع بالفتح ، وهو الأكل بشره .

(٧) الكرياس ، بكسر الكاف وبالياء المثناة . قال أبو عبيدة : هو الكنيف للذى يكون مشرفا على سطح بقناة من الأرض . قال الأزهرى : سمى كرياساً لما يعلق به من الأقذار =

ومما يضم إلى العصا

قوله :

لعَمْرى لئن حُلِّئْتُ عن مَنهل الصِّبا   لقد كنتُ وَرَّاداً لمشربِه العَذبِ (١)
ليالىَ أغْدو بين بُرْدَينِ لَاهياً   أَمِيسُ كغُصْنِ البانَةِ النَّاعمِ الرَّطْبِ ٢٢٤
سلامٌ عَلَى سَيرِ القِلاصِ مع الرَّكْبِ   ووَصلِ الغوانى والمُدامَةِ والشَّربِ (٢)
سلامَ امرئٍ لم تَبقَ منه بقيَّةٌ   سِوى نظر العينينِ أو شهوة القَلْبِ (٣)

وقال حاجبُ بنُ ذُبيان (٤) لأخيه زُرارةَ :

عَجِلْتَ مَجىءَ الموتِ حتّى هَجَرتَنى   وفى القبر هجرٌ يازُرَارُ طويلُ

وقال الآخر (٥) :

ألم تَعلمى عَمَّرتُكِ اللهَ أننى   كريمٌ على حِينَ الكرامُ قليلُ (٦)
وأنّى لَا أخزَى إذا قيل مُمْلِقٌ   جَوادٌ ، وأخْزَى أن يُقالَ بَخيلُ (٧)

= فيركب بعضه بعضا ويتكرس مثل كرس الدمن . وهو فعيال من الكرس مثل جريال . وهو من الألفاظ المشتركة بين العربية والفارسية . وتفسيره فى الفارسية مثله فى العربية . وفى معجم استينجاس ١٠٢٦ :

(A privy on the roof of house having communication with a subterraneous pasage)

ما عدا ل : « لكرسائه » تحريف .

(١) حلئ : منع الورد . ل : « حليت » ما عدا ل : « جليت » صوابهما ما أثبت من هـ .

(٢) ماس يميس : تبختر فى مشيه واختالَ .

(٣) القلاص : جمع قَلوص ، وهى الناقة الشابة الفتية . والشرب ، بالفتح : جماعة الشاربين للخمر ، وهو اسم جمع للشارب ، كما أن الركب اسم جمع للراكب .

(٤) هذا فى جميع النسخ ، وانظر ما سبق فى (٢ : ١٨٣) .

(٥) هو أحد الفزاريين ، كما فى الحماسة (٢ : ٣٩) .

(٦) عمرتك الله ، أى ذكرتك الله ، أو سألته أن يطيل عمرك .

(٧) أخزى : أستحيى . المملق : الذى أنفق ماله وبذره حتى أورثه الحاجة .

وإلَّا يكُن عظمى طويلًا فإنّنى *** له بالخصالِ الصالحاتِ وَصولُ (١)
إذا كنتُ فى القومِ الطِّوالِ فَضَلْتُهم *** بعارِفَةٍ حتَّى يقالَ طويـــلُ (٢)
ولا خيرَ فى حُسن الْجُسوم وطولها *** إذا لم يَزِن حُسْنَ الجسومِ عقولُ
وكائِنْ رأينا من فروعٍ طويلةٍ *** تموت إذا لم تُحيهِـــنَّ أُصُول
ولم أرَ كالمعروف أمّا مَذاقُه *** فَحُلوٌ ، وأمّا وجهُهُ فجميلُ

وقال زيادَةُ بنُ زيد (٣) :

إذا ما انتهى علمى تناهَيتُ عِندَهُ *** أطالَ فأمْلَى أم تَناهَى فأقصرَا (٤)
ويُخبرُنى عن غائبِ المرءِ فعِلُه *** كفى الفِعلُ عما غَيّب المرءُ مُخْبِرَا (٥)

وقال آخر :

أَبَرَّ فما يزدادُ إلّا حماقةً *** ونُوكاً وإن كانت كثيراً مخارِجُه (٦)

وقال ابنُ الرِّقَاع (٧) :

وقصيدةٍ قد بتُّ أجمَعُ بينَها *** حتَّى أقوِّمَ مَيلَها وسِنادَها (٨)
نظَرَ المُثقِّفِ فى كُعوب قَناتِه *** حتَّى يُقيمَ ثِقافُه مُنْآدَها (٩) ٢٢٥

---

(١) أنشد هذا البيت ابن قتيبة فى عيون الأخبار (٤ : ٥٤) مسبوقا بقوله : « وقال آخر ، وكان قصيراً » .

(٢) العارفة : اليد تسدَى ، وجمعها عوارف ، وليس لها فعل ، وهى فاعلة بمعنى مفعولة ، أو عارفة : ذات عرف طيب ، لأنها تذكر فيثنى على صاحبها . كذا قال التبريزى فى تفسير الحماسة .

(٣) زيادة بن زيد هذا ، ابن أخت هدبة بن الخشرم راوية الحطيئة ، كما فى اللسان (رتب) . وفى الأغانى (٢١ : ١٧٢) أنه كانت بينهما مناقضات ومهاداة بالأشعار انتهت بقتل هدبة لزيادة . ما عدا ل ، هـ : « زياد » تحريف .

(٤) تناهى : كف . الإملاء : الإمهال والتطويل . والبيت فى اللسان (نهى) ، وسيبويه (١ : ٤٩) والموشح ١٩٠ .

(٥) فى حماسة البحترى ٣٣٦ : « هديه » كفى الهدى » .

(٦) أبر : زاد . والنوك ، بالضم والفتح . الحمق .

(٧) عدى بن الرقاع ، ترجم فى (٢ : ٢٦٤) .

(٨) الأبيات فى الحيوان (٣ : ٦٤) والموشح ١٣ ونهاية الأرب ٤ : ٢٤٧ .

(٩) الثقاف ، بالكسر : ما تسوى به الرماح . والمنآد : المعوج .

وعلمتُ حتَّى لستُ أَسأَلُ واحِداً　　عن حَرفِ واحدةٍ لكـى أزدادَهـا (١)

وقال بعضُ الأعراب :

لولا مَسَرَّةُ أقــوامٍ تَصعَّــدُنى　　أو الشّماتـةُ من قومٍ ذوى إحَــنِ (٢)
ما سَرَّنى أنّ إبْلــيِ فى مَبارِكهــا　　وأنّ أمــراً قضاهُ اللهُ لم يَكُــنِ

وقال الآخر :

وإنِّـى لأَهـوَى ثمّ لاأَتْبَــعُ الهوَى　　وأُكــرِمُ خِلَّانِــى وفــىَّ صُدُودِ
وفى النَّفسِ عن بعضَ التعرُّض غِلظةٌ　　وفى العين عن بعضِ البُكـاءِ جُمُـودُ

وقال كُثيِّر :

ترى القومَ يُخفـونَ التبسُّمَ عنـدَهُ　　وينذرُهُـم عُورَ الكـلامِ نذيرُهـــا (٣)
فلا هاجراتُ القولِ يُؤثَـرْنَ عنـدَهُ　　ولا كلماتُ النُّصح مُقصًى مُشيرُها (٤)

وقال المُقْشَعِرُّ (٥) :

يُقِـرُّ بعَينـى أن أرَى قِصدَ القنــا　　وصَرعَى رجالٍ فى وَغًى أنا حاضرُهْ (٦)

---

(١) الحرف : الطرف والجانب ، وبه سمى الحرف من حروف الهجاء . واحدة ، أى مسألة واحدة من العلم .

(٢) تتصعدنى : تشق على . والإحن : جمع إحنة ؛ وهى الحقد والعداوة .

(٣) العوراء : الكلمة القبيحة . نذيرها ، أى نذير العُور ، ينذرهم أن ينطقوا بها .

(٤) الهاجرات : ذوات الهجر ، بالضم ، وهو الفحش .

(٥) المقشعر لقب له ، وهو شاعر جاهلى ، قال المرزبانى : « وكان إذا حضر حرباً اقشعر » . واسمه يزيد بن سنان بن أبى حارثة بن مرة بن نشبة بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان ، وكان قد حالف بنى سهم وخصيلة بن مرة ، على بنى يربوع بن مرة بن غطفان ، فسموا المِحَاش ، فله يقول النابغة الذبيانى :

جمع مِحَاشَكَ يا يزيد فإننى　　أعددت يربوعاً لكم وتميما

معجم المرزبانى ٤٩٦ .

(٦) أقر عينه وأقر بعينه : سره وأفرحه حتى قرت عينه وبردت . والقنا : الرماح . والقصد : جمع قصدة بالكسر ، وهى القطعة .

وقال الكميتُ :

أحْسَنُ منها ذِيادُ خامِسَةٍ ... فى الوِردِ ، أو فَيْلَقٌ تجالِدُها (١)

وقال صالِحُ بن مخراق فى كلامٍ له : لولا أنّ الله قال : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُم القِتالُ وهُوَ كُرْهٌ لكم ﴾ لأنبأتُكم أنّى لا أكرَهُه .

وقال الآخر :

تركتُ الرِّكابَ لأربابها ... وأكرهتُ نفسى على ابنِ الصَّعِقْ (٢) ٢٢٦

جَعَلْتُ يدىّ وِشاحاً لهُ ... وبعضُ الفوارسِ لا يعتَنِقْ

* * *

قال : وقال عُمَر بنُ عبد العزيز يوماً فى مجلسِهِ : مَن أُمُّ النُّعمان بن المنذِر ؟ فقال رَوحُ بن الوليدِ بن عبد الملِك : سَلْمَى بنتُ عُقَاب (٣) . قال : إنّهُ ليُقَالُ ذلك ، يا حاجبُ أحْسِنْ إذْنَه .

وقالوا : عَشْرُ خِصالٍ فى عشْرَةِ أصنافٍ من النّاسِ أقبحُ منها فى غَيرهم : الضِّيقُ فى الملوكِ ، والغَدرُ فى الأشرافِ ، والكذِبُ فى القُضاةِ ، والخديعة فى العُلماءِ ، والغَضبُ فى الأبرارِ ، والحِرْصُ فى الأغنياءِ ، والسَّفَهُ فى الشيوخ ، والمرضُ فى الأطبّاء ، والزَّهو (٤) فى الفقراء ، والفَخرُ فى القُرَّاء .

وأنشد :

ولا تَقْبَلوا عَقْلًا وأُمُّوا بغارَةٍ ... بنى عَبدِ شمسٍ بين دُومةَ والهضْبِ (٥)

---

(١) الذياد : مصدر كالذود ، وهو سوق الإبل وطردها ودفعها . والخامسة : التى ترد الخِمْس ، وهو أن ترد يوما وترعى ثلاثة بعده ثم ترد فى الخامس . والفيلق : الكتيبة الشديدة . ما عدا ل : « يجالدها » .

(٢) أنشدهما فى الحيوان (٦ : ٤٢٥) .

(٣) قال الجاحظ فى الحيوان (٤ : ٣٧٧) : « وأم النعمان سلمى بنت الصائغ : يهودى من أنباط الشام » . وفى الأغانى (٩ : ١٥٨) أن اسم ذلك الصائغ « عطية » .

(٤) هـ : « والتهزؤ » .

(٥) العقل : الدية . والأم : القصد .

وهُزُّوا صُدُورَ المَشْرَفِىِّ كأنّما ... يَقَعْنَ بهامِ القومِ فى حَنظَلٍ رَطبِ (١)

ويُضَمُّ إلى بيت الكُميت وبيت الْمُقشَعِرّ قولُ الحَكَمىّ (٢) :

أحسنُ عندى من انكِبابك بالـ ... ـفِهْرِ مُلحًّا به على وَتِدِ (٣)
وُقُـوفُ ريحانَةٍ على أُذُنٍ ... وسَيرُ كأسٍ إلى فَمٍ بيَدِ (٤)

* * *

وفى بابٍ غير هذا يقول حسَّانُ بن ثابت :

ما أُبالى أنَبَّ بالْحَزْنِ تَيسٌ ... أمْ لَحانِى بظَهرِ غَيبٍ لئيمُ (٥)

---

(١) المشرف ، عنى به السلاح المشرف ، وهو السيوف المنسوبة إلى المشارف ، وهى قرى من أرض اليمن ، أو من أرض العرب تدنو من الريف . ل : « كأنها نقعن » تحريف .

(٢) هو أبو نواس الحسن بن هانئ ، مولى الحكم بن سعد العشيرة بن مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ ، من اليمنية . انظر جمهرة الأنساب لابن حزم ٣٨٣ – ٣٨٤ .

(٣) الفهر ، بالكسر : حجر يملأ الكف . والبيتان من مقطوعة له فى ديوانه ٢٦٥ ينعى فيها على من يبكى الأطلال ويسقيها . وقيل البيتين :

سقيا لغير العلياء فالسند ... وغير أطلال مى بالجرد
ويا صبيب السحاب إن كنت قد ... جدتَ اللوى مرة فلا تعد
لا تسقين بلدة إذا عدّت الـ ... ـبلدان كانت زيادة الكبد
إن أتحرز من الغراب بها ... يكن مفرّى منه إلى الصُّرَد
بحيث لا تجلب الرياح إلى ... أذنيك إلا تصايح النقد

وبعدهما :

يسقيكها من بنى العباد رشا ... منتسب عِيده إلى الأحد
إذا بنى الماء فوقها حبباً ... صلّب فوق الجبين بالزبد
أشرب من كفه الشمول ومن ... فيه رضاباً يجرى على برد
فذاك خير من البكاء على الـ ... ـربع وأنمى فى الروح والجسد

(٤) هى ريحانة الساق يجعلها فوق أذنه تظرفاً .

(٥) البيت فى ديوانه حسان ٣٧٩ والحيوان (١ : ١٣) ، من قصيدة فى يوم أحد . قال ابن هشام : « هذه أحسن ما قيل » . السيرة ٦٢٥ – ٦٢٦ جوتنجن . نب التيس نبا ونبيبا ونُبابا : صاح عند الهياج . والحزن : ما غلظ من الأرض . لحاه يلحوه ويلحاه : شتمه .

وأنشد :

خُبِّرْتُ أنّ طُوَيلباً يغتابُنا ... بعضيهةٍ يتنحَّلُ الأقوالا (١)
ما ضرَّ سادةَ نَهْشَلٍ أهَجَاهُم ... أم قامَ فى عُرْض الخَوِىِّ فبالا (٢)

وقال الفرزدق فى هذا المعنى : ٢٢٧

ما ضرّ تَغلِبَ وائلٍ أهَجوتَها ... أم بُلْتَ حيثُ تناطَحَ البحرانِ (٣)

وقال الآخر فى هذا المعنى :

ما يَضيرُ البحرَ أمسَى زَاخِرا ... أنْ رَمى فيه غلامٌ بحَجَرْ (٤)

* * *

ومما يزاد فى ذكر باب العصا قولُ جرير بن الخَطَفَى :

ويُقضَى الأمرُ حينَ تغيب تَيمٌ ... ولا يُستأمَرُون وهم شُهودُ (٥)
وقد سَلَبت عصاك بنو تميم ... فما تدرى بأىِّ عصاً تَذُودُ

---

(١) العضيهة : الإفك ، والبهتان ، والنميمة . يتنحل الأقوال : يدعيها . ل : « يتحلل الأقوالا » ، صوابه فى سائر النسخ .

(٢) عرض الشىء ، بضم العين : وسطه وناحيته . والخوى : البطن السهل من الأرض .

(٣) البيت من قصيدة له فى ديوانه ٨٨٢ ، يذكر فيها تفضيل الأخطل إياه مادحاً فى ذلك بنى تغلب ، ويهجو فيها جريراً . وقبل البيت ، وهو مطلع القصيدة :

يا ابن المراغة ، والهجاء إذا التقت ... أعناقه وتماحك الخصمان

وبعده :

يا ابن المراغة إن تغلب وائل ... رفعوا عنانى فوق كل عنان

وتغلب بن وائل ، هم قوم الأخطل . تناطح البحران : تقابلا . وانظر الحيوان (١ : ١٣) وخزانة الأدب (٢ : ٥٠١) .

(٤) زخر البحر : كثر ماؤه وارتفعت أمواجه . وفى الأغانى (١٣ : ٨٢) : « مايضر » . والبيت فى الحيوان (١ : ١٣) برواية : « هل يضر البحر » . وفى حواشى هـ أن البيت للفرزدق .

(٥) من قصيدة له فى ديوانه ١٦٠ — ١٦٩ يهجو فيها التيم قبيل عمر بن لجأ . وبين هذا البيت وتاليه أبيات . الاستئمار : الاستشارة . شهود ، أى حاضرون .

وقال الحسين بن عُرفُطة بن نَضْلَة (١) :

لَيهنيكَ بُغضٌ فى الصّديقِ وظِنَّةٌ وتحديثُك الشيءَ الذى أنت كاذبُه (٢)
وأنّكَ مِهْدَاءُ الخَنَا نَطِفُ النَّثَا شَديد السِّبابِ رافعُ الصَّوت غالِبُه (٣)
وأنّك مَشنوءٌ إلى كلِّ صاحبٍ بَلاكَ ، ومثلُ الشرِّ يُكرَهُ جانبُهْ (٤)
ولم أرَ مثلَ الجهل أدنَى إلى الرّدَى ولا مِثلَ بُغض الناس غُمِّصَ صاحِبُهْ (٥)

وقال قَتادة بن خُرْجَة الثَّعْلبىّ ، من بنى عَجَب (٦) :

خليلَىَّ يومَ السِّلسِلين لو آنّنى بهَبْر اللِّوَى أنكَرْتُ ماقلتما لِيا (٧)

---

(١) الحسين ، ويقال أيضاً « الحسيل » مصغّر الحسل ، بالكسر ، وهو ولد الضب . ما عدا هـ : « الحسن » تحريف . وهو حسيل بن عرفطة بن نضلة بن الأشتر بن جحوان بن فقعس الأسدى ، شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ، رأى الرسول الكريم وروى عنه . وهو ممن غير الرسول أسماءهم فسماه حسيناً . انظر الإصابة ١٧١٧ . وقد جعله أبو زيد فى نوادره ٧٥ ، ٧٧ من شعراء الجاهلية ، والصواب ما قدمت . ومن عجب أن أبا حاتم قال إنه « حسين » ثم يخطئه الأخفش فى ذلك .

(٢) الأبيات فى الحيوان (٣ : ١٠٢ ، ٤٩٤) . ليهنك : ليهنئك ، سهلت همزتها . والكلام تهكم . يقال : هناهُ الشيءُ : كان له هنيئاً سائغاً .

(٣) الخنا : الفحش . والنطف : الملطخ بالعيب . والنثا ، بتقديم النون : ما أخبرت به عن الرجل من خير وشر .

(٤) المشنوء : المبغض . بلاك : اختبرك . مثل الشر ، أى أنت مثل الشر . أو تكون « مثل » فى الكلام نافلة ، كما تقول : مثلك لا يفعل كذا ، أى أنت لا تفعله .

(٥) الجهل : نقيض العلم ، وأن يفعل شيئاً بغير العلم . غمص ، من الغمص ، وهو الاحتقار والازدراء . وفى الحيوان : « غمص » .

(٦) خرجة ، بضم الخاء . وفى ل : « خزرجة » وليس فى أعلامهم . والثعلبى : نسبة إلى ثعلبة بن سعد بن ذبيان . وفى جميع النسخ : « التغلبى » تحريف . وكلمة « من بنى عجب » من ل ، هـ فقط . وهم بنو عجب بن ثعلبة بن سعد بن ذبيان ، كما فى مختلف القبائل ومؤتلفها لابن حبيب ٤٤ جوتنجن ١٨٥٠ .

(٧) البيتان فى معجم البلدان (٥ : ١٠٦) والحماسة بشرح المرزوقى ١١٨٧ بدون نسبة . السلسلان ، بكسر السينين ، قال ياقوت : « كأنهم ذكّروا السلسلة ثم ثنوها : اسم موضع » . وروايته عنده : « بين السلسلين » . والهبر ، بالفتح : ما اطمأن من الأرض . واللوى : موضع بعينه ، وهو واد من أودية بنى سليم . واللوى أيضاً : منقطع الرمل . قال ياقوت : « قد أكثرت الشعراء من ذكره ، وخلطت بين ذلك اللوى والرمل فعز الفصل بينهما » . ل : « بهبو اللوى » حـ : « بهير » التيمورية : « بهبرى » صوابه ما أثبت من هـ ، ب .

ولكنّنى لم أنسَ ما قال صاحبى   نصيبَك من ذُلٍّ إذا كنتَ نائيا (١)

وقال خالد بن نَضلة (٢) :

إذا كنتَ فى قومٍ عِدًى لستَ منهُم   فكُلْ ما عُلِفْتَ من خَبيثٍ وطيِّبِ (٣)

وقال أحمد بن يوسف (٤) ، وكان يتعشّق يحيى بن سعيد بن حَمَّاد : ٢٢٨

إنّ يحيى بنَ سعيدٍ   يشتهى أنْ أشتهيهِ
فهو يلقانى بتَوْرِيـ   ـمٍ وأحياناً بتيهِ (٥)

وقال أبو سَعْدٍ دَعِيُّ بنى مخزوم (٦) ، فى مُهَاجاة دِعبِل :

ولولا نزَارٌ لَضَاقَ الفضاءُ   ولم يَبقَ حرزٌ ولا مَعْقِلُ
وأخرجت الأرضُ أثقالَها   وأُدخلَ فى است أمِّه دعِبلُ

---

(١) ياقوت : « خاليا » .

(٢) خالد بن نضلة الأسدى ، فارس مشهور من فرسانهم . وله ذكر فى يوم النسار ، إذ كان رئيس أسد يومئذ . انظر كامل ابن الأثير وغيره ، فى (يوم النسار) .

(٣) البيت من أبيات فى الحماسة (١ : ١٣٤) والحيوان (٣ : ١٠٣) . والعدى : اسم جمع بمعنى الأعداء ؛ أو بمعنى الغرباء ، كما فى المخصص (١٢ : ٥٢) رواية عن ابن السكيت فى إصلاح المنطق ١١٢ حيث أنشد البيت . ونسبه التبريزى فى تهذيبه إلى دودان بن سعد ، من بنى أسد .

(٤) ترجم فى (١ : ٦٥) .

(٥) يقال : ورم فلان بأمره توريما ، إذا شمخ بأنفه وتجبر .

(٦) أبو سعد المخزومى ممن عرف بكنيته ، واسمه عيسى بن الوليد . وهو شاعر مقل من شعراء الدولة العباسية ، وقد عاصر دعبلا وعبد الله بن أبى الشيص . وكان دعبل قد صنع قصيدة هجا فيها قبائل نزار . فحمى لذلك أبو سعد وهجاه ولج الهجاء بينهما . ما عدا ل : « أبو سعيد » تحريف . وفيه يقول دعبل :

إن أبا سعد فتى شاعر   يعرف بالكنية لا بالولد

ويقول ابن أبى الشيص :

أبا سعد بحق الخمـ   ـس والمفروض من صومك
أقلت الحق فى النسـ   ـبة أم تحلم فى نومك

انظر الأغانى (١٨ : ٥٠ - ٥٤) .

وقال :

حذَقُ الآجال آجالُ … والهوى للمرء قتّال (١)
والهوى صعبٌ مراكبه … وركوب الصعب أهوالُ
ليس من شكلى فأشتُمَه … دِعْبلٌ ، والنَّاس أشكالُ
هِمَّتى فى التاج أَلْبَسُه … وله فى الشّعْرِ آمالُ

وقال :

هذا اللُّبابيُّ يَحوى … جوائز الخلفاءِ (٢)
ففى حِرِ آمّ مَديحى … وفى حِرِ آمّ هجائى (٣)
وفى حِرِ آمّى وإن كُنْـ … ـتُ سيِّدَ الشعَراءِ

وقال محمد بن يسير :

فى حِرِ آمّ الناسِ كُلهِمِ … وأنا فى ذا مِنَ آوّلِهمْ (٤)
لستَ تدرِى حين تَخْبُرهم … أين أدناهُم مِنَ أفضلهمْ

وقال :

إذا ما جاوَزَ النُّدَمَاءُ خَمْساً … بربِّ البيت والسّاقى اللَّبيبِ
فأيرٌ فى حِرِ آمّ فتًى دَعَانا … وأيرٌ فى حِرِ أمّ فتًى مجيبِ

وقال سَلْمٌ الخاسر (٥) :

بهارون قَرّ الملكُ فى مستقَرِّه … وأَبْهَجت الدُّنيا وأشرق نورُها

---

(١) الآجال الأولى : جمع إجل بالكسر ، وهو القطيع من بقر الوحش والظباء . والأخرى : جمع أجل بالتحريك ، وهو مدى العمر .

(٢) ما عدا ل : « اللبانى » .

(٣) مثله قول العرب : « باست بنى فلان » وهو شتم للعرب . وأنشد فى اللسان (سته) قول الحطيئة :

فباست بنى عبس وأستاه طيِّئٍ … وباست بنى دودان حاشا بنى نصر

(٤) ما عدا ل : « أنا فى هذا » . والشعر من بحر المديد .

(٥) هو سلم بن عمرو ، مولى بنى تيم بن مرة . شاعر بصرى قدم بغداد ومدح المهدى والهادى وهارون والبرامكة . قالوا : سمى بالخاسر لأنه ورث عن أبيه مصحفاً ، فباعه واشترى =

وليسَ لأيّام المَكارمِ غاية تتمّ بها إلّا وأنت أميرُها ٢٢٩

وقال بشّار بن بُرد :

مِن فَتاةٍ صُبَّ الجمال عَلَيها في حديث كلَذَّةِ النّشوانِ
ثم فارقتُ ذاك غيرَ ذَميمٍ كلُّ عيشِ الدُّنيا وإن طال فَانِ

وقال مُزاحِمٌ العُقَيْلى :

يَزينُ سَنَا الماوِيِّ كلَّ عَشيَّةٍ عَلَى غَفَلاتِ الزَّيْنِ والمُتَجمَّلِ (١)
وجوهٌ لو آنَّ المُدْلِجينَ اعتَشَوْا بها
صَدَعْن الدُّجَى حتَّى ترَى الليلَ ينجلى (٢)

وقال المسعودىّ :

إن الكـرام مُناهبـو ك المجدَ كلّهم فناهِبْ (٣)
أخْلِفْ وأتلِفْ ، كلُّ شى ءٍ زعزعته الرِّيحُ ذاهِبْ

وقال شيخ من الأطباء : الحمدُ لله ، فلانٌ يزاحمنا فى الطِّبّ ولم يختلف إلى البِيمارِستانات (٤) تمامَ خمسين سنةً .

= طنبوراً . وكان تلميذ بشار بن برد وراويته . وهو القائل :

من راقب الناس مات غما وفاز باللـــذة الجسور

وفيه يقول أبو العتاهية :

تعالى الله ياسلم بن عمرو أذل الحرص أعناق الرجال

الأغانى (٢١ : ٧٣ - ٨٤) وتاريخ بغداد (٩ : ١٣٦) وابن خلكان ، وقد سماه « سالما » خطأً .

(١) البيتان فى الحيوان (٣ : ٩١) ، وهما مع أربعة أخرى فى مجالس ثعلب ٢٢٧ بدون نسبة ، وثانيهما فى الشعراء ٥٢٧ ليدن واللسان (١٩ : ٢٧٨) . والماوى : جمع ماوية ، وهى المرآة . ورواية ثعلب : « ترى فى سنا الماوى بالعصر والضحى » . ما عدا ل : « تزين سنا الماوى » .

(٢) ثعلب وما عدا ل : « وجُوهاً » . وفى الشعراء : « لو ان المعتفين » . اعتشوا بها : استضاءوا بها ليلا فقصدوا إليها .

(٣) سبق البيتان فى ١٩٤ .

(٤) البيمارستان : دار علاج المرضى ، لفظ فارسى ، مركب من « بيمار » بمعنى مريض ، و « ستان » ، وهى من أدوات المكان فى الفارسية . هـ : « البهمارستان » .

وحدثنى محمد بن عبد الملك – صديقٌ لى – قال : سمعتُ رجلًا من فُرسان طَبَرِستان يقول : فلانٌ يدَّعى الفروسيَّة ، ولو كُلِّفَ أن يُخْلِيَ فُرُوجَ فرسِه منحدِراً لما قَدَر عليه (١) .

وقال بعض العبيد :

أيبعَثُنى فى الشَّاء وابنُ مُوَيلِكٍ ... على هَجْمةٍ قد لوّحَتها الطَّبائخُ (٢)
مَتَى كان حُمرَانُ الشَّبابىّ رَاعياً ... وقد راعه بالدَّوِّ أسودُ سانحُ (٣)

وقال كثيِّر فى عمر بن عبد العزيز رحمه الله :

تكلَّمتَ بالحقِّ المبينِ وإنما ... تَبيَّنُ آياتُ الهُدَى بالتَّكلُّمِ
ألَا إنّما يكفى القَنا بعدَ زَيغِه ... من الأَوَدِ الباقى ثِقافُ المُقَوِّمِ (٤)

الأصمعى قال : قال يُونس بن عبد الأعلى (٥) : لا يزال الناسُ بخير ماداموا إذا تخلَّج (٦) فى صَدْر الرَّجُل شىءٌ وَجَدَ مَن يُفرِّجُ عنه .

وقال البَعيث ، فى إبراهيمَ بن عَرَبىٍّ (٧) :

---

(١) فروج الفرس : ما بين قوائمه . يقال سدَّ فروج فرسه ، أى ملأ قوائمه عدوا كأن العدْو سد فروجه وملأها . فمعنى أخلى فروجه : أمسكه وحفظه من سرعة الانحدار .

(٢) ما عدا ل : « وابن مخيلد » . والهجمة : القطعة الضخمة من الإبل ، ما بين الثلاثين إلى المائة . والطبائخ : جمع طبيخة ، وهى سَموم الهاجرة وشدة حرها .

(٣) الشبابى : نسبة إلى بنى شبابة ، وهم بطن من فهم . ل : « الشبالى » ، ما عدا ل : « الثبانى » صوابهما من هـ . والدو : الفلاة . ما عدا ل : « بالذود » ، هـ : « فى الذود » .

(٤) القنا : الرماح ، جمع قناة . والزيغ : الميل ، ومثله ، الأود . والثقاف : خشبة قوية قدر الذراع فى طرفها خرق يتسع للرمح أو للقوس يدخل فيه ويغمز منه ما ينبغى أن يغمز ، حتى يصير إلى ما يراد منه ، ولا يفعل به ذلك إلا مدهوناً مملولا ، أو مضهوباً على النار .

(٥) يونس بن عبد الأعلى بن موسى بن ميسرة الصدفى المصرى ، روى عن ابن عيينة والشافعى ، وعنه : مسلم والنسائى وابن ماجه . وكان إماما فى القراءات ، قرأ على ورش وغيره ، وقرأ عليه ابن جرير الطبرى . ولد سنة ١٧٠ وتوفى سنة ٢٦٤ . تهذيب التهذيب ، والخلاصة .

(٦) تخلج : اضطرب وتحرك ، ومثله خلج واختلج . ما عدا ل : « اختلج » .

(٧) إبراهيم بن عربى هذا ، كان والى اليمامة لعبد الملك ، وكان يقال له : « الملك الأسود » . وفيه يقول مالك المذموم : =

ترى مِنبرَ العبدِ اللَّئيم كأنَّما ثلاثـةُ غربـانٍ عليـه وُقـوعُ ٢٣٠

وقال الأعشى :

رُبَّ رِفْدٍ هَرقتَه ذلك اليَوْ مَ وأسرى من مَعْشَرٍ أقيالِ (١)

وقالوا : « لا وَكْس ولا شَطَط (٢) » .

وقال الشاعر (٣) :

ومُدَجَّجٍ كَرِهَ الكُماةُ نِزَالَهُ لا مُمْعِنٍ هَرَباً ولا مستسلِمِ (٤)

وقال زهير :

دُون السَّماء وفوقَ الأرض قدرُهُما عند الذُّنابَى فلا فَوْتٌ ولا دَرَكُ (٥)

وقالوا : « خير الأمور أوساطها ، وشرّ السَّير الحَقحقة (٦) » .

= ناق سيرى قد جد حقا بنا السـ ـير وكونى جوالة فى الزمامْ
فمتى تلقنى يد الملك الأسـ ـود تستيقنى بأن لا نضامْ

الأغانى (١٦ : ١٥١) . وفى (٧ : ٦١) أن جريراً نازع بنى حمان إليه فى ركية لهم فحكم بها له . ما عدا ل : « إبراهيم بن عدى » ، وكذا ورد الاسم فى الموضع الأخير من الأغانى .

(١) ديوان الأعشى ١٣ . والرفد ، بفتح الراء وكسرها : القدح . عنى به الجواد الذى يسقى الناس فى أقداحه ، ومثل هذه الكناية تسميتهم الجواد « جفنة » . قال أبو قردودة :

يا جفنة كإزاء الحوض قد هدموا ومنطقاً مثل وشى اليمنة الحبره

هرقته : أرقته . أقيال : جمع قيل ، وهو الملك النافذ القول . والمشهور فى رواية البيت : « أقتال » جمع قتل ، بالكسر ، وهو العدو . والبيت فى المخصص (١١ : ٨٣) وأمالى القالى (١ : ٩٠ / ٢ : ٧ ، ٣٠٣) وشروح سقط الزند ٨٢٢ .

(٢) أى لا نقصان ولا زيادة . وفى اللسان (وكس) : « وفى حديث ابن مسعود : لها مهر مثلها ، لا وكس ولا شطط » .

(٣) هو عنترة . والبيت التالى من معلقته المشهورة .

(٤) المدجج ، بكسر الجيم المشددة وفتحها : التام السلاح . والاستسلام : الانقياد والاستكانة .

(٥) ديوان زهير ١٧٤ . يصف القطاة والصقر . يقول : لم يحلّقا فيغيبا ، ولم يصيرا على الأرض ، فهما بين هذين . عند الذنابى ، أى الصقر عند ذنبها قد قاربها ، فلا هو قد أدركها ولا هى قد فاتته .

(٦) الحقحقة : شدة السير . وكان عبد الله بن مطرف بن الشخير ، قد تعبد فلم يقتصد . فقال له أبوه : « يا عبد الله ، العلم أفضل من العمل ، والحسنة بين السيئتين ، وخير الأمور =

قال : والمَثَلُ السائر ، والصوابُ المستعمَل : « لا تكُنْ حُلْواً فتُزدَرَدَ ، ولا مُرًّا فتلْفَظ » .

وقال عمر بن الخطّاب رحمه الله : إنّ هذا الأمرَ لا يُصْلِحُه إلّا لِينٌ فى غير ضَعف ، وشِدّةٌ فى غير عُنف » .

وكان الحجّاج يُجاوز العُنف إلى الخُرق ، وكان كما وصف نفسه ، فإنّه قال : « أنَا حديدٌ حقُودٌ (١) ، وذو قَسْوةٍ حَسُود » .

وذكره آخر فقال : كان شَراً من صبىٍّ (٢) .

وقال أكثم بن صَيفىّ (٣) : تناءَوا فى الدِّيار ، وتواصلوا فى المَزَار (٤) .

وكان ناسئُ الشُّهورِ (٥) يقول : اللهُمَّ باعِدْ بين نسائِنا ، وقارِبْ بين رِعائنا ،

= أوساطها ، وشر السير الحقحقة » ، هو إشارة إلى الرفق فى العبادة . أى عليك بالقصد فيها ولا تحمل على نفسك فتسأم . وإذا حملت على نفسك من العبادة ما لا تطيق ، انقطعت بك عن الدوام على العبادة . اللسان (١١ : ٣٤٢) وأمثال الميدانى (١ : ٣٢٧) . ومضت ترجمة مطرف فى (١ : ١٠٣ ، ٣٥٣) . وترجم فى تهذيب التهذيب لابنه « عبد الله » .

(١) الحديد : ذو الحدة ، وهى الغضب والنشاط والسرعة فى الأمور . وقد سبق الخبر فى الحيوان (٣ : ٤٧٠ / ٥ : ٥٩٢) بلفظ : « أنا حديد حقود حسود » .

(٢) ويقولون فى أمثالهم : « أظلم من صبى » . انظر الحيوان (٣ : ٤٧٠) .

(٣) أكثم بن صيفى ، أحد حكام العرب ، وهو أكثم بن صيفى بن رياح بن الحارث بن مخاشن بن معاوية بن شريف بن جروة بن أسيد بن عمرو بن تميم التميمى . وكان قد سمع بمبعث النبى ، فأراد أن يفد إليه فمنعه قومه ، ثم انتدب له رجلان من قومه فأتيا النبى ﷺ ، فعادا بما أثلج صدر أكثم فى دينه ، فقرّب له بعيره فركب متوجهاً إلى الرسول ﷺ فمات فى الطريق ؛ فيقال نزلت فيه هذه الآية : (ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله » . وكان أكثم من المعمرين . أنشد له المرزبانى :

وإن امرأ قد عاش تسعين حجة ... إلى مائة لم يسأم العيش جاهلُ
أتت مائتان غير عشر وفائها ... وذلك من مر الليالى قلائلُ

الإصابة ٤٨٢ والمعمرين للسجستانى ١٠ – ١٣ والأغانى (١٥ : ٧٠) .

(٤) لفظه عند السجستانى : « تناءوا فى الديار ولا تباغضوا ؛ فإن من يجتمع يتقعقع عَمَده » .

(٥) النسئ : التأخير . وكان العرب إذا صدروا عن منًى يقوم رجل منهم من =

واجعل الأموال فى سُمَحائنا [١] .

وقال آخر [٢] :

شَتَّى مَراجِلُهم فوضَى نساؤُهُمُ ... وكلُّهم لأبيه ضَيزَنٌ سَلِفُ [٣]

وقال الآخر : تركُ الوطن أَحَدُ السِّبَاءَين [٤] .

وقالوا : من أجدَبَ انتجع .

وقال آخر : مَن أَمَّل امرأً [٥] هابَهُ ، ومن قصَّر عن شئ عابَهُ .

وقال الآخر :

رجعنا سَالمين كما بدَأْنا ... وما خابت غنيمةُ سالمينا [٦] ٢٣١

وقال امرؤ القيس بن حُجْر :

لقد نقَّبتُ فى الآفاق حَتَّى ... رضِيتُ من الغنيمة بالإيَابِ [٧]

= كنانة فيقول : « أنا الذى لا أعاب ولا أجاب . ولا يرد لى قضاء . فيقولون : صدقت ، أنسئنا شهراً ؛ أى أخر عنا حرمة المحرم واجعلها فى صفر ، وأحل لنا المحرم ؛ لأنهم كانوا يكرهون أن يتولى عليهم ثلاثة أشهر حرم لا يغيرون فيها ؛ لأن معاشهم كان من الغارة ، فيحل لهم المحرم ، فذلك هو الإنساء .

(١) السمحاء : جمع سميح ، وهو ذو السماحة والجود . وفى هامش هـ : « فى شرح الحديث لابن قتيبة : إذا كثرت الأقطاع والرعاء فالأحمد أن تفرق ويفرقوا . وكانوا يقولون : اللهم حبب بين نسائنا ، وبغض بين رعائنا ، واجعل الأموال فى سمحائنا » .

(٢) هو أوس بن حجر . ديوانه ١٧ واللسان والمقاييس (ضزن) وأدب الكاتب ٢٨٢ والاقتضاب ٣٨٤ . قال البطليوسى : « ولم أجده فى شعر أوس » ! وصدره فى جميعها :

« والفارسية فيهم غير منكرة »

(٣) المراجل : جمع مرجل ، وهو القدر من الحجارة أو النحاس . فوضى : مختلطة . والضيزن : الذى يزاحم أباه على امرأته . والسلف : واحد السلفين ، وأصله الرجلان يتزوجان بأختين ، فكل واحد منهما سلف صاحبه . أراد أن بينهما مناظرة فى الزواج ؛ يقول : هم مثل المجوس يتزوج الرجل منهم امرأة أبيه وامرأة ابنه .

(٤) السباء والسبى : الأسر .

(٥) هـ : « أحداً » .

(٦) أى غنيمة قوم سالمين . والبيت فى عيون الأخبار (١ : ١٤٢) ، ما عدا ل ، هـ : « وما غابت » . يقول : إن الغنيمة فى السلامة . وأنشد بعده ابن قتيبة :

وما تدرين أى الأمر خير ... أما تهوَيْن أم ما تكرهينا

(٧) ديوان امرئ القيس ١٣٤ برواية : « وقد طوفت » .

وقيل لابن عباس : أيُّما أَحَبُّ إليك ، رجل يُكثِر من الحسنات ويكثر من السّيّئات ، أو رجلٌ يُقِلُّ من الحسنات والسِّيئات ؟ قال : ما أَعْدِلُ بالسّلامة شيئاً !

وقالت أعرابية :

فلا تَحمَدونى فى الزِّيارة إنّنى أزوركُمُ إلا أُجِدْ مُتعَلَّلا [1]

يعقوب بن داود [2] قال : ذَمَّ رَجُلٌ الأشْتَرَ [3] فقال له رجلٌ من النَّخَع [4] : اسكتْ فإنَّ حيَاتَهُ هَزَمتْ أهلَ الشّام ، وموتَه هَزَم أهل العراق .

أبو الحسن قال : أُرسِلت الخيلُ أيّامَ بِشر بن مروان [5] ، فسبقَ فرسُ عبدِ الملك بن بشرٍ ، فقال له إسماعيل بن الأشعث [6] : والله لأُرْسِلَنَّ غداً مع فرسك فرساً لا يَعرِفُ أنّ أباكَ أمير العراق ! فجاء فرسُ إسماعيل سابقا ، فقال : ألم أُعلِمْك ؟!

* * *

وقال أبو العتاهية [7] :

أيا مَن لى بأُنسكَ يا أُخَيَّا ومَن لى أن أُبُثَّك ما لديّا

---

(١) المتعلل : مصدر ميمى لقولهم : تعللت بالشيء : تلهيت به وتشاغلت .

(٢) هو يعقوب بن داود الأنبارى ، ذكره فى تاريخ بغداد ٧٥٨١ . ذكر أنه روى عن عاصم بن على . وهذا عاصم توفى سنة ٢٢١ ، ترجم له فى تهذيب التهذيب .

(٣) الأشتر النخعى : مالك بن الحارث ، ترجم فى (٢ : ٨٧) .

(٤) هم بنو النخع – بالتحريك – بن جسر بن عمرو بن علة بن جلد بن مذحج ، ينتهى نسبهم إلى كهلان بن سبأ فى اليمن .

(٥) بشر بن مروان بن الحكم ، أخو عبد الملك ، ترجم فى (٢ : ٢١١) .

(٦) ل : « إسماعيل بن محمد بن الأشعث » .

(٧) الأبيات التالية لم ترو فى ديوانه . وفى الأغانى (٣ : ١٤٣) ومعاهد التنصيص (٢ : ١٨٥) أنها فى رثاء صديقه « على بن ثابت » ، وكان قد حضره وهو يجود بنفسه ، فلم يزل ملتزمه حتى فاظ . ولما دفن وقف على قبره يبكى طويلا أحر بكاء ، وينشد هذه الأبيات . وفى العقد (باب المراثى) أنه رثى بها ولداً له . وانظر الحيوان (٣ : ٩١ / ٦ : ٥٠٥) حيث أنشد البيتين الثانى والسادس ، والكامل ٢٣٠ ليبسك ، وذيل أمالى القالى ص ٢ ، ومروج الذهب (٢ : ٣٦٨) ، والمستطرف (٢ : ٢٩٤) وما سبق فى (١ : ٤٠٧) .

كفى حَزَناً بِدفنْكَ ثم إنّى　　نَفَضْتُ تُرابَ قَبرِكَ عن يَديّا
طَوتْكَ خُطُوبُ دَهرِكَ بعد نَشرٍ　　كذاكَ خُطوبُهُ نشراً وطَيّا
فلو نَشرتْ قواكَ لىَ المنايا　　شكوتُ إليك ما صنعَتْ إليّا
بكيتُك يا أُخَىَّ بدَرٍّ عينى　　فلم يُغنِ البكاءُ عليك شيَّا
وكانت فى حياتك لى عِظاتٌ　　وأنت اليومَ أوعَظُ منك حيَّا

وقال الآخر (١) :

أبعْدَ الذى بالنَّعْف نعفِ كُويكبٍ　　رَهينَةُ رمسٍ بين تُرب وجندَلِ (٢)
أُذكَّرُ بالبُقْيا على مَن أصابنى　　وبُقيَاى أنّى جَاهِدٌ غير مؤتَلِ (٣)

يقول : هذه بُقياى .

قال : قيل لشَريك بن عبد الله (٤) : كان معاويةُ حليماً . قال : لو كان حليماً ماسَفِهَ الحقّ (٥) ، ولا قاتلَ عليًّا . ولو كان حليماً ما حَملَ أبناء العبيدِ على حُرَمه ، ولَمَا أنكح إلّا الأكْفاء .

وأصوَبُ من هذا قول الآخر ، قال : كان معاويةُ يتعرَّض ويحلُم اذا ٢٣٢
أُسْمِعَ . ومَنْ تعرَّضٍ للسّفيه (٦) فهو سفيه .

وقال الآخر : كان يحبُّ أن يُظهِرَ حلمَه وقد كان طار اسمُه بذلك ، فكان يُحبُّ أن يزداد فى ذلك .

---

(١) فى حواشى هـ : « هو عبد الرحمن بن زيادة » .
(٢) نعف كويكب : موضع لم يذكره ياقوت . والرمس : القبر .
(٣) البقيا ، بضم الباء : الإبقاء . وائتلى : قصر وأبطأ .
(٤) شريك بن عبد الله ، ترجم فى (٢ : ٢٥٣ ، ٢٦٤) .
(٥) سفه الرجل الحق : جهله فلم يره حقا . وفى الحديث : « سئل النبى ﷺ عن الكبر فقال : الكبر أن تسفه الحق وتغمط الناس » .
(٦) ل : « لسيفه » تحريف .

وقال الفرزدق :

وكان يُجير النّاسَ من سَيفِ مالكٍ　　فأصبح يبغى نفسَه مَن يُجيرها [١]

وكانَ كعَنْز السَّوء قامت بظِلفِها　　إلى مُديةٍ تحتَ التُّراب تُثيرُها [٢]

وقال التُّوتُ اليمانىّ [٣] :

على أىِّ بابٍ أطلُبُ الإذنَ بَعْدما　　حُجِبْتُ عن الباب الذى أنا حاجِبُه [٤]

وهذا مثل قوله :

والسبَبُ المانعُ حَظَّ العاقِلِ　　هو الذى سَبَّب رِزْقَ الجاهِلِ

ومثله :

ورُبَّتَ حزمٍ كان للسُّقمِ عِلّةً　　وعلّةُ بُرءِ الدَّاء حظُّ المغفَّلِ [٥]

وقال آخر :

يَخيبُ الفتى مِن حيثُ يُرزَق غَيرُه　　ويُعطَى الفتى من حيث يُحرمَ صاحبُه [٦]

وقال عثمان بن الحُويرث ، لعمرو بن العاصى :

لهُ أبوانِ فهو يُدعَى إليهما　　وشرّ العبَادِ من لَهُ أبَوَان

---

(١) البيتان فى ديوانه ٢٤٩ ، مع ثالث بعدهما ، وهو :

ستعلم عبد القيس إن زال ملكها　　على أى حال يستمر مريرها

وأنشدهما فى الحيوان (٥ : ٤٧٥) ، وأولهما فى (٥ : ٥٩٣) ، وثانيهما فى (٥ : ٤٧٠ ، ٤٧٥) .

(٢) قال البحترى فى حماسته ٢٨٤ : « يروى عن بعض العرب أنه أصاب نعجة فأراد ذبحها ولم يكن معه شئ يذبحها به ، فبينا هو يفكر فى ذلك وأى ذلك يصنع إذ حفرت النعجة بأظلافها الأرض فأبرزت عن سكين كانت مندفنة فى التراب ، فذبحها بها . وضرب العرب بها المثل » . وروى ثمانية أشعار فى هذا المعنى فى الباب ١١٥ . وانظر جمهرة الأمثال للعسكرى ٩٥ والميدانى (٢ : ١٧٨) ومعجم المرزبانى ٣٧٤ س ١٦ .

(٣) ويقال أيضاً « اللوب اليمانى » . انظر ماسبق فى (٣ : ٣٥٩ - ٣٦٠) .

(٤) وكذا فيما سبق . وفيما عدا هـ : « على الباب » .

(٥) فى عيون الأخبار (٣ : ٢٧٣) : « خبط المغفل » ، وهى خير الروايتين .

(٦) ل : « يمنع صاحبه » .

وقد حَكَّما فيه لتصدُقَ أُمُّه   وكان لها علمٌ به ببيانِ (١)
فقالت : صُراحٌ ، وِهي تعلم غيرَهُ   ولكنّهـا تَهـذِى بغير لسانِ (٢)

وقال الآخر (٣) :

يَطلُبْن بالقومِ حاجاتٍ تَضمَّنها   بَدرٌ بكلِّ لسانٍ يُلبَسُ المِدَحا
كأنّ فيضَ يَديه قبلَ مسألةٍ   بابُ السماءِ إذا ما بالحَيَا انفتَحا (٤)
وكّلتَ بالدَّهر عيناً غير غافلةٍ   من جُودِ كفِّك تأسو كُلَّ ما جَرَحا

ومثله :

إذا افتقر المِنهالُ لم يُرَ فقرُه   وإن أيْسَرَ المنهال أيسر صاحبُه

وقال عليُّ بن أبى طالبٍ رضى الله عنه : من أفضل العبادة الصَّمت ، وانتظارُ الفَرَج (٥) .

وقال يزيد بن المُهَلَّبِ ، وكان فى سجن الحجّاج : لهفى على طَلِيَّةٍ بمائة ألف ، وفرج فى جَبْهَةِ أسَد (٦) . وأنشدَ :

رُبَّما تَجزَعُ النُّفوسُ من الأمـ   ـرِ له فُرْجةٌ كحَلِّ العِقَالِ (٧)

وأنشد :

كَرِهتُ وكان الخيرُ فيما كَرِهتُه   وأحببتُ أمراً كان فيه شَبَا القتلِ (٨)

---

(١) ما عدا ل ، هـ : « لتصديق أمه » .
(٢) الصراح : الخالص النسب .
(٣) هو أبو نواس . العمدة (٢ : ١١١) وزهر الآداب (٣ : ٥) . وفى زهر الآداب : « غير نائمة من جود كفيك » . وقبل هذا البيت فى العمدة :

أنت الذى تأخذ الأيدى بحجزته   إذا الزمان على أبنائه كلحا

(٤) الحيا : المطر .
(٥) سبق هذا الخبر فى (٢ : ١٦٥ ، ٣٥٠) .
(٦) مضى فى (٢ : ١٦٦) .
(٧) البيت فى الحيوان (٣ : ٤٩) مع نسبته إلى أمية بن أبى الصلت ، مع شئ من شك الجاحظ . وأنشده فى اللسان (فرج) منسوباً إلى أمية . وأنشد قبله :

لا تضيقن فى الأمور فقد تكـ   ـشف غَمَّاؤها بغير احتيال

(٨) الشبا : جمع شباة ، وهو حد الشئ أو حد طرفه . ومنه شباة السيف .

مثلُ قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وهو خَيْرٌ لَكُم وَعَسَى أن تُحِبُّوا شَيْئًا وهو شَرٌّ لَكُمْ ﴾ .

وكان يقال : خُذْ مقتصِدَ العِراق ، ومجتهِدَ الحجاز .

٢٣٣ وقال الآخر :

لكلِّ كريمٍ من ألائم قومه　　على كلِّ حالٍ حاسدون وكُشَّحُ [(١)]

وقال جرير :

إنِّى لآمُلُ منك خَيراً عاجلاً　　والنّفسُ مُولعةٌ بحُبِّ العاجلِ [(٢)]

وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ قُلْ مَا أَسأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ المُتَكَلِّفِين ﴾ .

وقال ابنُ هَرْمة :

أشَمُّ من الّذينَ بهم قُرَيشٌ　　تُدَاوِى بينها غَبَنَ القَبيلِ [(٣)]
كأنّ تلألُؤَ المعروفِ فيهِ　　شُعاع الشَّمْس فى السَّيف الصَّقِيلِ

وقال امرؤ القيس :

أجارتَنا إنّ المَـزارَ قريبُ　　وإنِّى مُقيمٌ ما أقامَ عَسِيبُ [(٤)]
أجارتنا إنّا غريبانِ هاهنا　　وكلّ غريبٍ للغريب نسيبُ

---

(١) الكشَّح : جمع كاشح ، وهو العدو الباطن العداوة ، كأنه يطويها فى كشحه . والكشح بالفتح : الخصر . وقد سبق البيت فى ص ٢١٧ .

(٢) من قصيدة له فى ديوانه ٤١٥ يمدح بها عمر بن عبد العزيز ، مطلعها :

إن الذى بعث النبى محمدا　　جعل الخلافة فى الإمام العادل

(٣) الأشم : السيد ذو الأنفة . والغبن بالفتح وبالتحريك : ضعف الرأى . ل وهامش هـ « عنن القبيل » هـ : « غبن القتيل » . والوجه ما أثبت .

(٤) البيتان لم يرويا فى ديوانه . وعسيب : جبل بعالية نجد . ورواية ياقوت (فى رسم عسيب) واللسان (عسب) : « إن الخطوب تنوب » . وعجز هذا البيت فى مجالس ثعلب ٥٤٠ .

وقال بشار : ٢٣٤

وإذا اغتربتَ فلا تكن جَشِعاً تسمُو لغَثِّ الكسب تكِسبُه (١)

وقال حَسّان بن ثابت :

أهدَى لهمْ مِدَحى قلبٌ يوازِرُهُ فيما أحَبَّ لسانٌ حائكٌ صَنَعُ (٢)

وقال الأصمَعىُّ : أنشدنا أبو مَهدِيّة (٣) :

ضَحَّوْا بأشمَطَ عُنوانُ السُّجودِ بِه يُقطِّعُ اللَّيلَ تسبيحاً وقُرآنا (٤)

وقال الخزرَجىُّ ، يردُّ على أبى قيس بن الأسْلَتِ ، واسمُه صَيْفىّ (٥) :

أتفخر صيْفىُّ فيما تَقُو لُ أن نِلتُم غِيلةً أرْبَعَهْ (٦)

عَرَانينُ كلُّهُمُ ماجِدٌ كثيرُ الدّسائع والمَنْفَعَهْ (٧)

فهَلَّا حضرتَ غداةَ البَقِـ ـيع لمَّا استمات أبو صَعْصَعَهْ (٨)

ولكنْ كرهتَ شُهودَ الوَغَى وكنتم كذلك فى المَعْمَعهْ (٩)

سِرَاعاً إلى القَتلِ فى خُفْيةٍ بطاءً عن القَتْلِ فى المجمعَهْ (١٠)

---

(١) التيمورية : « وإذا اغربت » ب ، جـ : « اعربت » صوابهما فى ل ، هـ .

(٢) المدح : جمع مدحة ، بالكسر . لسان حائك : يحوك الشعر والكلام حوكا : ينسجه ويلائم بين أجزائه ، كما يصنع الحائك ، وهو النساج . ما عدا ل ، هـ : « خائط » تحريف . صنع : صانع حاذق . والبيت من قصيدة لحسان في ديوانه ٢٤٨ — ٢٥١ يعارض بها الزبرقان بن بدر .

(٣) أبو مهدية الأعرابى ترجم فى (٢ : ٢٨١) .

(٤) البيت لحسان بن ثابت ، كما سبق فى حواشي (١ : ٢٢٠) .

(٥) ترجم فى ٢٣ من هذا الجزء .

(٦) الغيلة ، بالكسر : الاغتيال ، وهو أن يخدعه ثم يقتله . ما عدا ل : « عيلة » ، تحريف .

(٧) العرانين : جمع عرنين ، وهم السادة والأشراف . والدسائع : جمع دسيعة ، وهى العطية .

(٨) البقيع : مقبرة أهل المدينة فى داخلها . المستميت : الشجاع الطالب الموت . ب ، جـ مع أثر تغيير فى الأخيرة : « لما استمال » .

(٩) المعمعة : استعار نار الحرب ، أو صوت المقاتلة فيها . هـ : « كرهتم » .

(١٠) ل : « فى مجمعه » .

وأنشد الأصمعيُّ :

آتِى النَّدِىَّ فلا يُقَرِّب مجلسى   وأقود للشرفِ الرّفيع حِماريَا [١]

وقال حبيبُ بن أوْس :

كالخُوط فى القَدِّ والغَزالةِ فى البَهْـ   ـجة وابنِ الغزالِ فى غَيَدِه [٢]

وما حكاه ، ولا نعِيمَ لَهُ ،   فى جِيدِه بل حَكاهُ فى جَيَدِه [٣]

٢٣٤ إلى المُفدَّى أبى يزيدَ الذّى   يَضِلّ غَمْرُ المُلوك فى ثَمَدِهْ [٤]

ظِلٌّ عُفَاةٍ ، يُحب زَائِرَهُ   حُبَّ الكبيرِ الصغيرَ من وَلَدِه [٥]

إذا أَناخُوا ببابِهِ أَخَذُوا   حُكْمَهُمُ من لسانِه ويَدِه [٦]

وقال أيضاً :

لعمرُك ما كانوا ثلاثةَ إخوةٍ   ولكنهم كانوا ثَلاثَ قبائلِ [٧]

---

(١) الندى : مجلس القوم . وأنشده فى الحيوان (٦ : ٤٨٦) مسبوقا بقوله : « وقال آخر ووصف ضعفه وكبر سنه » . وأنشده فى اللسان (شرف) شاهدا للشرف بمعنى المكان العالى ، وعقب عليه بقوله : « يقول إنى خرفت فلا ينتفع برأيى ، وكبرت فلا أستطيع أن أركب من الأرض حمارى إلا من مكان عال » . ورواية اللسان : « حمارى » موضع « حماريا » .

(٢) الأبيات من قصيدة له فى ديوانه ٩١ – ٩٥ يمدح بها خالد بن يزيد الشيبانى مطلعها :

ما لكثيب الحمى إلى عقده   ما بال جرعائه إلى جرده

الخوط ، بالضم : الغصن الناعم ، والغزالة . الشمس عند طلوعها ، أو عند ارتفاعها.وابن الغزال ، عنى به الظبى ، والغيد : ميل العنق ولين الأعطاف .

(٣) الجيَد : طول العنق فى حسن .

(٤) أبو يزيد : كنية خالد بن يزيد بن مزيد الشيبانى . وفيه يقول أبو تمام أيضاً :

وإذا رأيت أبا يزيد فى ندى   ووغى ومبدى غارة ومعيدا

والغمر : الماء الكثير . والثمد : القليل . يقول إن قليله أعظم من كثير غيره من الملوك ، فكثيرهم مستصغر فى جانب قليله .

(٥) العفاة . جمع عاف ، وهو الطالب .

(٦) أخذوا حكمهم ، أى كل ما يرغبون . ويعنى أيضاً أن فعله مطابق قوله ، وإنجازه مصاحب وعده . فى هامش هـ عن نسخة : « حكميهم » .

(٧) من أبيات لأبى تمام يرثى بها بنى حميد الطُّوسىّ ، وهم أبو نصر ، وقحطبة ، ومحمد .

ومن خطباء الخوارج

قَطرِىُّ بن الفُجَاءَة [١] ، أحدُ بنى كابِيَةَ بن حُرقُوص [٢] ، وكنيته أبو نعامة فى الحرب ، وفى السلم أبو محمد . وهو أحد رؤساء الأزارقة . وكان خطيباً فارساً ، خرج زَمن مُصعب بن الزُّبير ، وبقى عشرين سنةً . وكان يَدِين بالاستعراض [٣] والسِّباء ، وقتل الأطفال . وكان آخرُ من بُعِث إليه سفيان بن الأبرد الكلبىّ [٤] وقَتَلَه سَورَة بن أبْجَر الدارمى ، من بنى أبان بن دارم .

ومن خطباء الخوارج وشعرائهم وعلمائهم :

حَبيب بن خُدرة [٥] ، عِدَاده فى بنى شَيبان ، وهو مولًى لبنى هلال بن عامر [٦] .

ومن علمائهم وخطبائهم وأئمتهم :

الضحَّاك بن قيس [٧] ، أحد بنى عمرو بن مُحلِّم بن ذُهْل بن شَيبان ،

---

(١) ترجم فى (١ : ٣٤١) .

(٢) كابية ، بالباء بعدها ياء تحتية ، من قولهم كبا الزند يكبو ، إذا لم يور ناراً . وهم بنو كابية بن حرقوص بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم . الاشتقاق ١٢٤ – ١٢٥ . ل : « كاينة » ما عدا ل : « كنانة » ، صوابهما ماأثبت .

(٣) الاستعراض : أن يعترض الناس يَقتلهم . انظر اللسان (عرض ٣٩) . وفى أمالى القالى (١ : ١١٩) : « ويقال خرجوا يضربون الناس عن عرض ، يريدون : عن شق وناحية ، لا يبالون من ضربوا . ومنه استعراض الخوارج الناس ، إذا لم يبالوا من قتلوا » . وفى الكامل ٦١٦ ليبسك : « وقال أبو بيهس : الدار دار كفر ، والاستعراض فيها جائز ، وإن أصيب من الأطفال فلا حرج » . فهو اصطلاح خاص بالخوارج فى هذا المعنى .

(٤) ترجم فى (١ : ٦١) .

(٥) خدرة بالخاء ، كما سبق فى ترجمته (١ : ٣٤٦) . ل ، هـ : « جدرة » تحريف .

(٦) ما عدا ل : « الهلال بن عامر » .

(٧) ترجم الضحاك بن قيس بن خالد فى (١ : ٣٨٠) .

ويكنى أبا سعيد . مَلَكَ العراقَ ، وصَلَّى خَلفَه عبد الله بن عمر بن عبد العزيز ، وعبد الواحد بن سليمان [١]. وقال شاعرهم [٢] :

ألم تر أنَّ الله أظهر دينَه وصلَّتْ قريشٌ خلف بكر بن وائلِ [٣]

ومن علمائهم : وخطبائهم : نصر بن مِلْحان ، وكان الضَّحَّاك ولّاه الصلاةَ بالناس ، والقضاءَ بينهم .

ومن علمائهم : مُليلٌ ، وأصغرُ بن عبد الرحمن [٤] ، وأبو عبيدة كورين ، واسمه مُسلِم ، وهو مولًى لعروة بن أذينة [٥] .

ومن علمائهم وخطبائهم وشعرائهم وقَعَدِهم وأهل الفقه : عِمران بن حِطّان [٦] ويكنى أبا شهاب ، أحد بنى عمرو بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة . ٢٣٦

ومن الخوارج من بنى ضَبَّة ثم أحد بنى صَبَّاح [٧] : القاسم بن عبد الرحمن بن صُدَيقة [٨] . وكان ناسباً عالماً داهياً ، وكان يشوب ذلك ببعض الظَّرف .

ومن علمائهم ونُسَّابهم وأهل اللَّسَن منهم : الجَون بن كِلاب ، وهو من أصحاب الضّحَّاك .

ومن رجالهم وأهل النَّجْدة والبيان منهم : خُرَاشة [٩] ، وكان ركّاضاً ، ولم يكن اعتَقَد .

أخبرنى أبو عبيدة قال : كان مِسمارٌ مستخفياً بالبَصرة ، فتخلّصت إليه

---

(١) فى (١ : ٣٤٣) أنه « سليمان بن هشام » . وهو المطابق لما ورد فى الطبرى (٩ : ٦٤) .

(٢) هو شبيل بن عَزْرة الضبعى . الطبرى (٩ : ٦٤) .

(٣) سبق البيت فى (١ : ٣٤٣) . وفى الطبرى : « فصلت » .

(٤) انظر ما سبق فى (١ : ٣٤٧) .

(٥) كان إباضيا من الصفرية . انظر مامضى فى (١ : ٣٤٧) . هـ : « أرية » .

(٦) ترجم فى (١ : ٤١) .

(٧) ما عدا ل : « صبيح » .

(٨) ترجم فى (١ : ٣٤٣) . ما عدا ل : « صديق » ، تحريف .

(٩) ل : « جراشة » بالجيم .

فأخبرني أنه الذى طعن مالكَ بن عليٍّ فى فيه ، وذلك أنه فتح فاه يقول : أنا أبو على ! فشَحا بها فاهُ (١) ، فطعنتُه فى جوف فمه (٢) .

ومن شعرائهم عِتبان بن وَصيلَة الشّيبانى (٣) ، وهو الذى يقول :

ولا صُلحَ مادامَتْ منابرُ أرضنا يقوم عليها من ثقيفَ خطيبُ

* * *

وعن عيسى بن طلحة قال :

قلتُ لابن عبّاس : أخبِرْنى عن أبى بكر . قال : كان خيراً كلّه ، على الحِدَّة وشدّة الغضب .

قال : قلتُ : أخبرنى عن عمر . قال : كان كالطائر الحذِر قد عَلِم أنه قد نُصب له فى كلّ وجهٍ حِبالة ، وكان يعمل لكلّ يوم بما فيه ، على عُنْفِ السّباق .

قال : قلت : أخبِرْنى عن عثمان . قال : كان والله صَوَّاماً قوَّاماً ، لم يخدعه نومُه عن يَقَظته .

قال : قلت : فصاحبُكم ؟ قال : كان والله مملوءًا حِلماً وعِلماً ، غَرَّته سابقُته وقرابته (٤) ، وكان يَرَى أنه لا يطلبُ شيئاً إلّا قَدَرَ عليه . قلت : أكنتم تُرَونَه محدوداً (٥) . قال : أنتم تقولون ذاك .

---

(١) شحا فاه : فتحه . فى جمهور النسخ : « فاتحا فاه » . وأثبت ما فى هـ وهامش التيمورية .

(٢) ما عدا ل : « جوب فمه » .

(٣) وصيلة ، بفتح الواو ، واشتقاقه من وصيلة الغنم كما نص ابن دريد . وعتبان ذكره ابن دريد فى الاشتقاق ٢١٦ فى رجال شيبان . وأنشد له يقول لعبد الملك :

فإنك إلا ترض بكر بن وائل يكن لك يوم بالعراق عصيب

(٤) سابقته ، أى سبقه إلى الإسلام . وكان على رضى الله عنه أول من آمن من الصبيان .

(٥) المحدود : المحروم من الخير ، والذى لا يوفق إلى صواب . وانظر مثل هذا الكلام لابن عباس فى مروج الذهب (٣ : ٦٠) حين سأله معاوية .

كلام فى الأدب

قال معاوية : ما رأيتُ سَرَفاً قطّ إلّا وإلى جَنبِه حقٌّ مضيَّع .

وقال عثمانُ بن أبى العاص : الناكح مغترِس ، فلينظر امرؤٌ أينَ يضع غَرْسه [١] .

وقالت هندُ بنت عُتبة : المرأة غُلٌّ ، ولابدَّ للعنق منه ، فانظر مَن تضعُه فى عنقك [٢] .

وقال ابن المُقَفَّع : الدَّينُ رِقٌّ فانظر عند مَن تضَعُ نفسَك .

وقال عمرو بن مَسْعَدة [٣] ، أو ثابتٌ أبو عَبَّاد : لا تستصحِبْ من يكون استمتاعُه بمالك وجاهك أكثر من إمتاعه لك بِشُكر لسانه ، وفوائد علمه . ٢٣٧
ومن كانت غايتُه الاحتيالَ على مالِكَ ، وإطراءَك فى وجهك فإنّ هذا لا يكون إلّا ردىَّ الغَيب ، سريعاً إلى الذمّ .

* * *

---

(١) سبقت وصية عثمان بن أبى العاص فى (٢ : ٦٧) .

(٢) الغل ، بالضم : جامعة توضع فى العنق أو اليد . وفى الحديث : « وإن من النساء غلا قَمِلاً يقذفه الله فى عنق من يشاء ثم لا يخرجه إلا هو » .

(٣) سبقت ترجمته فى (١ : ١٠٦) .

بسم الله الرحمن الرحيم

قد قلنا فى صدر هذا الجزء الثالث فى ذكر العصا ووجوهِ تصرُّفِها .

وذكَرْنا من مقطَّعات كلام النُّسَّاك ، ومن قِصار مواعظ الزُّهَّاد ، وغير ذلك مما يجوز فى نوادر المعانى وقِصار الخُطَب .

ونحن ذاكرون ، على اسم الله وعونِه ، صدراً من دُعاء الصَّالحين والسَّلَف المتقدِّمين ، ومن دُعاء الأعراب ؛ فقد أجْمَعوا على استحسان ذلك واستجادته ؛ وبعضَ دعاءِ الملهوفين ، والنُّسَّاك المتبتِّلين .

وقال الله لنبيه ﷺ : ﴿ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُم رَبِّى لَوْلَا دُعَاؤُكُم ﴾ . وقال : ﴿ ادْعُونِى أَستَجِبْ لَكُمْ ﴾ ، وقال : ﴿ يَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَبًا ﴾ ، وقال : ﴿ والمستَغْفِرِينَ بالأَسْحَار ﴾ .

قالوا : كان عمرو بن معاويةَ العُقَيلىّ (١) يقول : اللهمَّ قِنِى عَثَرات الكِرَام والكلام (٢) » .

وقال أعرابىٌّ لرجل سأَلَه : جَعلَ الله الخيرَ عليك دليلًا ، ولا جعل حَظَّ السّائلِ منك عِذْرةً صادقة (٣) .

وقال بعضُ كِرام الأعراب ممّن يقرِض الشّعر ويؤثر الشّكر :

---

(١) كان عمرو بن معاوية العقيلى من أصحاب الولايات . وفى عيون الأخبار (١ : ١١٦) : « قيل لعمرو بن معاوية العقيلى – وكان صاحب صوائف – : بم ضبطت الصوائف ؟ أى الثغور . قال : بسمانة الظهر وكثرة الكعك والقديد » .

(٢) فى عيون الأخبار (٣ : ١٧٥) : « اللهم بلغنى عثرات الكرام » . على أن القول نسب إلى أعرابى فى (١ : ٤٠٥) هـ : « عثرات الكلام » وأشير إلى أنها فى نسخة « الكرام » .

(٣) مضى الخبر فى (١ : ٤٠٤) . والعذرة ، بكسر العين : العذر ، قال النابغة :

ها إن تاعذرة إن لم تكن نفعت ... فإن صاحبها قد تاهَ فى البلد

لعلَّ مُفَيداتِ الزَمانِ يُفِدنَنى بنى صامتٍ فى غير شيءٍ يَضيرُهَا[١]

قال شيخٌ أعرابىّ : اللهمَّ لا تُنزِلْنى ماءَ سَوءٍ ، فأكونَ امرأً سَوءٍ [٢] .

قال : وسمعت عُمر بن هُبَيْرة يقول فى دعائه : اللهم إنى أعوذ بك من صديقٍ يُطِرى ، وجَليسٍ يُغْرِى ، وعَدُوّ يَسرِى [٣] .

قال : وكتب ابن سَيَابة [٤] إلى صديق له ، إمّا مُستقرِضاً وإمّا مُستفرِضاً [٥] ، فذكر صديقُه خَلّةً شديدة ، وكثرةَ عيالٍ ، وتعذُّرَ الأمور عليه ، فكتب إليه ابن سَيَابة : « إن كنتَ كاذباً فجعلك الله صادقا ، وإن كنتَ مَليما [٦] فجعلك الله معذورا » .

وقال الأصمعىّ : سمعتُ أعرابيًّا يقول : أعوذ بك من الفَواقر والبواقر [٧] ، ومن جَارِ السَّوء فى دار المُقامة والظَّعْنِ [٨] ، وما ينكِّس برأس المرء ويُغْرِى به لئامَ النّاس . ٢٣٨

قال الأصمعى : قيل لخالد بن نَضْلَة [٩] : قال عبد يغوث بن وَقّاص [١٠] ما أذُمُّ ، ما فيها إلّا عَطْنَى [١١] ، ليس خالدَ بنَ نَضْلة [١٢] ، يعنى مُضر . قال خالد :

---

(١) سبق البيت فى (١ : ٤٠٥) . وبنو صامت : الدراهم والدنانير .

(٢) مضى الخبر فى (١ : ٤٠٥/ ٢ : ٢٨٣) والحيوان (٣ : ٤٧٢) .

(٣) ما عدا ل : « مطر » و « مغر » و « مسر » . والروايتان فى هـ .

(٤) هو إبراهيم بن سيابة ، كما فى (١ : ٤٠٥) . والأغانى (١١ : ٦) .

(٥) الاستقراض : طلب القرض . وبالفاء طلب الفَرْض ، وهو أن يفرض له عطاء .

(٦) المليم ، بفتح الميم : الملوم . ل ، هـ والأغانى : « ملوما » . على أن الخبر قد نسب فى تاريخ بغداد (٧ : ٥٧) إلى بشر بن غياث المريسى . ولفظه : « إن كنت معتذرا بباطل فجعلك الله معتذرا بحق » .

(٧) الفواقر : جمع فاقرة ، وهى الداهية تكسر فقار الدهر . والبواقر : جمع باقرة ، عنى بها الداهية أيضا . وفى مجالس ثعلب ٥٤٠ : « اللهم إنى أعوذ بك من العواقر والنواقر » .

(٨) الظعن ، بسكون العين وفتحها : الارتحال .

(٩) خالد بن نَضلة الأسدى : فارس مشهور من فرسانهم . وله ذكر فى يوم النِّسار ، إذ كان رئيس أسد يومئذ . انظر كامل ابن الأثير .

(١٠) ترجم فى (٢ : ٢٦٧) .

(١١) ما أذم ، أى ما أقول إلا حقا . عَطْنَى : جمع عطين ، كجريح وجرحى . وفى اللسان : ورجل عطين : منتن الإهاب . ويقال : إنما هو عطينة ، إذا ذم فى أمر » .

(١٢) ليس ، هنا ، من أدوات الاستثناء ، مثلها فى قوله : =

اللهمّ إن كان كاذباً فاقتله على يد ألأمِ حيٍّ فى مُضَر ! فقتَلتْه تَيم الرِّباب .

قالوا : وقف سائلٌ من الأعراب على الحسن فقال : رحم الله عبداً أعطى من سَعَة ، وآسَى من كَفاف ، وآثر من قِلَّة .

وقال : فى الأثر المعروف : « حصِّنوا أموالَكم بالزّكاة ، وادفعوا أمواج البَلاء بالدُّعاء » .

ومن دعائهم : أعوذُ بك من بَطر الغِنى ، وذِلّة الفقر .

قال : ومن دعاء السَّلَف : اللهمّ احمِلْنا من الرُّجلْة (١) ، وأغْنِنَا من العَيْلة .

وسأل أعرابىٌّ فقيل له : بُورِكَ فيك ! فتوالى ذلك عليه من غير مكان ، فقال : وَكَلَكم الله إلى دعوةٍ لاتحضُرها نِيّة .

وقال أعرابىّ : أعوذُ بك من سُقْم وعَدْوَاه ، وذِى رَحِم ودَعْواه ، ومن فاجرٍ وجَدْواه ، ومن عملٍ لاترضاه .

وسأل أعرابىٌّ فقال له صبىٌّ من جَوف الدار : بُورِك فيك ! فقال : قَبح الله هذا الفم ، لقد تعوّد الشرّ صغيراً (٢) !

وهذا السّائل هو الذى يقول :

رُبَّ عجُوزٍ عِرمِسٍ زَبُونِ (٣) ‏ ‏ ‏ سريعةِ الرّدِّ على المسكين
تحسَبُ أنَّ « بُورِكاً » يكفينى ‏ ‏ ‏ إذا غدوتُ باسطاً يمينى

وقال آخر : اللهمّ أعِنِّى على الموت وكُربته ، وعلى القبر وغُمّته ، وعلى الميزان

= ليت هذا الشهر شهر ‏ ‏ ‏ لا نرى فيه عريبا
ليس إياى وإيا ‏ ‏ ‏ ك ولا نخشى رقيبا

(١) أى بدل الرجلة ، والرجلة ، بالضم : السفر على الرجلين .

(٢) ما عدا ل : « لقد تعلم » .

(٣) أنشده ثعلب فى المجالس ٥٤٠ . وقال : « العرمس : الشديدة . وزبون : تدفع . وأنشده فى اللسان (عرمس) وقال رواية عن ابن سيده : « لا أدرى ، أهو من صفات الشديدة أم هو مستعار فيها » .

وخِفّته ، وعلى الصِّراط وزَلّته ، وعلى يوم القيامة ورَوْعته .

وقالت عجوزٌ وبلَغَها موتُ الحجّاج : اللهمَّ إنّكَ أمَتَّه فأَمِتْ سُنّته .

قال : وكان محمد بن على بن الحسين بن علىّ يقول : اللهمَّ أعِنّى على الدنيا بالغنى ، وعلى الآخرة بالتّقوى .

وقال عَمرو بن عُبَيد [(١)]: اللهمَّ أغْنِنِى بالافتقار إليك ، ولاتُفْقِرْنى بالاستغناء عنك . ٢٣٩

وقال عمرو : اللهمَّ أعِنّى على الدُّنيا بالقناعة ، وعلى الدِّين بالعِصمة .

قال : ومرض عوفُ بن أبى جَميلة [(٢)] ، فعاده قومٌ فجعلوا يُثنون عليه ، فقال : دَعُونا من الثّناء ، وأمِدُّونا بالدُّعاء .

قال : وسمعتُ عمرَ بنَ هبيرةَ يقول : اللهمَّ إنّى أعوذ بك مِن طُول الغفلة وإفراط الفِطنة . اللهمَّ لا تجْعَل قولى فوقَ عملى ، ولا تجعل أسوأَ عملى ما قاربَ أجلى .

وقال أبو مَرْجَح [(٣)] : اللهمَّ اجعل خيرَ عملى ما وَلِىَ أجلى .

قال : ودَعتْ أعرابيّةٌ لرجل فقالت : كبَتَ [(٤)] الله كلَّ عدوٍّ لك ، إلّا نفسَك .

وقال يزيد بن جَبَل : احرُسْ أخاك إلّا من نَفْسِه .

قال : ودعا أعرابىٌّ فقال : اللهمَّ هب لى حقَّك ، وأرضِ عَنّى خلقك .

قال : وكان قومٌ نُسّاكٌ فى سفينةٍ فى البحر ، فهاجت الرِّيح بأمرٍ هائل ، فقال رجلٌ منهم : اللهمَّ قد أريتَنا قدرتَك فأَرِنا عفوَك ورحمتَك .

---

(١) ترجم فى (١ : ٢٣) .

(٢) ترجم فى (٢ : ٣٧) .

(٣) هـ : « أبو مذحج » .

(٤) كبته : صرعه ، وأخزاه ، وكسره ، ورده بغيظه ، وأذله . ما عدا ل ، هـ : « كب » . كبه : قلبه وصرعه .

قال : وسمع مُطَرِّف بن عبد الله [١] رجلًا يقول : أستغفر الله وأتوبُ إليه ! فأخَذَ بذِراعه وقال : لعلَّك لاتفعل ! مَن وعَدَ فقد أوجب .

وقال رجلٌ لابن قُثم : كيف أصبحت ؟ قال : إنْ كان من رأيك أن تَسُدَّ خَلَّتى ، وتقضِىَ دَينى ، وتكسُوَ عُرْبِى [٢] خَبَّرتك ، وإلا فليس المجيب بأعجب من السائل [٣] .

وقال آخَر : اللهم أمِتعْنا بخيارنا ، وأعِنَّا على شِرارنا ، واجعل الأموالَ فى سُمحائنا .

وقال أعرابىّ : اللهمَّ إنّك قد أمرتنا أن نَعفُوَ عمّن ظلمنا ، وقد ظلَمْنا أنفسَنا فاعفُ عنّا .

وقال أعرابىٌّ ورأى إبلَ رجلٍ قد كثُرَت بعدَ قِلّة ، فقيل له : إنَّه قد زَوَّج أمَّه فجاءته بنافجة [٤] ، فقال : اللهمَّ إنّا نعوذ بك مِن بَعض الرِّزق .

أبو مجيب الرَّبعى [٥] قال : قال أعرابىّ : جنَّبكَ الله الأَمَرَّين ، وكفاك شَرَّ الأجوفَين .

الأجوفان : البَطْن والفَرْج . والأَمَرَّانِ : الجوع والعُرْى .

وجاء فى الحديث : « من وُقِىَ شَرَّ قَبقَبِه وذَبْذَبِه ولَقْلَقِه فقد وُقِىَ الشَّرَّ كُلَّه [٦] » .

---

(١) ترجم فى (١ : ١٠٣ ، ٣٥٣) . وكلمة « بن عبد الله » من ل فقط .

(٢) ما عدا هـ : « عورتى » .

(٣) ل : « فليس السائل بأعجب من المجيب » .

(٤) ما عدا ل : « بنافجة مال » أى إبل . والنافجة : الإبل يحصل عليها الرجل فتكثر بها إبله . وكانت العرب تقول فى الجاهلية للرجل إذا ولدت له بنت : هنيئاً لك النافجة . أى المعظمة لمالك . وذلك أنه يزوّجها فيأخذ مهرها من الإبل فيضمها إلى إبله فينفجها ، أى يرفعها ويكثرها .

(٥) ترجم فى (١ : ٣٧٣) .

(٦) ل : « فقد وقى الشر » فقط . والحديث رواه البيهقى عن أنس . وذكر السيوطى فى الجامع الصغير ٩٠٧٣ أنه حديث ضعيف . وقد ورد تفسير الحديث فقط ، فى مجالس ثعلب ٥٤٠ بقوله : « القبقب : البطن . والذبذب : الذكر . واللقلق : اللسان » .

وقال الأعرابّى : مَنَحكم الله مِنحةً ليست بِجَدَّاءَ ولا نَكْداء [١] ، ولا ذاتِ داء .

٢٤٠ قال : قيل لإبراهيم المحلّمىّ [٢] : أىُّ رجل أنت لولا حِدّةٌ فيك ! قال : أستغفر اللهَ مِمَّا أملك ، وأستصلِحُه مالا أملك .

وقال أعرابىٌّ وماتَ ابنٌ له : اللهمَّ إنِّى قد وهبتُ له ما قصَّر فيه مِن بِرِّى ، فهَبْ له ماقصَّرَ فيه من طاعتك .

الفضل بن تميم [٣] قال : قال أبو حازم [٤] : لَأنا مِنْ أن أُمنَع الدّعاءَ أخوَفُ منِّى من أن أُمنَع الإجابة .

قال : ولما صَافَّ قتيبةُ بن مسلمٍ التُّرْكَ وهاله أمرُهم سأل عن محمد بن واسع [٥] ، وقال : انظروا ما يصنع ؟ فقالوا : ها هو ذاك فى أقصى الميْمنة جانحاً على سِيَة قوسه [٦] ، يُنَضنض بإصبعه نحو السَّماء [٧] . قال قتيبة : تلك الإصبعُ الفاردة أحبُّ إلىّ من مائةِ ألِف سيفٍ شهير ، وسنانٍ طَرير [٨] .

---

(١) المنحة ، بالكسر : أن يمنح الرجل أخاه ناقة أو شاة ليحلبها زماناً أو أياماً ثم يردها . والجداء : القليلة اللبن . والنكداء : القليلة اللبن أيضا .

(٢) المحلمى : نسبة إلى بنى محلم بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب . ومحلم ، بكسر اللام المشددة . ما عدا ل : « البجلى » نسبة إلى بجيلة .

(٣) سبقت رواية له فى ص ٢١٩ . ولم أعثر له على ترجمة .

(٤) أبو حازم الأعرج ، مضت ترجمته فى (١ : ٣٦٤) . وهذا السند وخبره من ل فقط . على أن هذا القول يروى لزياد بن أبى زياد المخزومى . كما سبق فى ص ١٢٦ من هذا الجزء . ولكن نسبته إلى أبى حازم مثبتة فى عيون الأخبار (٢ : ٢٨٦) كما سبقت الإشارة ..

(٥) محمد بن واسع الأزدى ، ترجم فى (١ : ٣٥٣) .

(٦) جانحا : مائلا . وسية القوس : رأسها .

(٧) النضنضة : التحريك . ما عدا ل : « يضبض » ، تحريف .

(٨) الفاردة : المنفردة ، والمتنحية . والشهير : الذى شهره صاحبه ، أى سله وأبرزه ، ولم ينص على هذه الصيغة فى المعاجم . والطرير : المحدد . وانظر رسائل الجاحظ (١ : ٧٧) بتحقيقنا .

وقال سعيد بن المسيِّبِ (١) ، ومرَّ به صِلَةُ بن أَشْيَمَ (٢) : يا أبا الصَّهباء ، ادعُ الله لى بدَعوات . قال : زهَّدك اللهُ فى الفانى ، ورغَّبك فى الباق ، وَوَهَب لك يقيناً تسكُنُ إليه (٣) .

أبو الدَّرداء قال : إنّ أبغضَ الناس إلىَّ أنْ أظلِمَه مَنْ لم يستعن علىَّ إلّا بالله .

وقال خالد بن صفوان : احذروا مَجَانيق الضَّعفاء (٤) ! يعنى الدُّعاء .

وقال : لا يُسْتجاب إلّا لمُخْلصٍ أو مظلوم .

قال : وكان علىُّ بن أبى طالبٍ رضى الله عنه يقول : اللهمَّ إنّ ذُنوبى لا تضُرُّك ، وإنّ رحمتَك إيَّاى لا تنقُصك ، فاغفِر لى ما لا يضُرُّك ، وأعطِنى ما لا ينقُصك .

وقال أعرابىّ : اللهمّ إنك حَبسْتَ عنّا قطرَ السماء ، فَذَابَ الشّحم ، وذهب اللَّحم ، ورقّ العَظْم ، فارحم أنين الآنّة ، وحنين الحانَّة . اللهمّ ارحَمْ تحيُّرَها فى مراتعها ، وأنينَها فى مَرابِضها .

قال : وحجَّت أعرابيَّة فلما صارت بالموقِف قالت : اسألك الصُّحبةَ ، يا كريمَ الصُّحبة ، وأسألُك سِتْرك الذى لا تُزيله الرِّياح ، ولا تُخرِّقه الرِّماح .

وقيل لعلىّ بن أبى طالب رضى الله عنه : كَم بيْنَ الأرض والسماء (٥) ؟ قال :

---

(١) المسيب ، هذا بكسر الياء ، وتفتح أيضاً ، كما فى القاموس . وترجمة سعيد فى (١ : ٢٠٢) .

(٢) ترجم فى (١ : ٣٦٣) .

(٣) هذا الخبر جميعه من ل فقط .

(٤) مجانيق : جمع منجنيق ، وهى آلة كانت تستعمل للرمى بالحجارة ونحوها فى القتال وهو من الألفاظ اليونانية المعربة ، ولفظه فى اليونانية : **Magganon** . انظر تحقيق الأب أنستاس فى مجلة الثقافة العدد ١٠٠ . وقد مضى هذا النص فى (١ : ٣٥٢) .

(٥) ما عدا ل : « بين السماء إلى الأرض » . والخبر فى عيون الأخبار (٢ : ٢٠٨) .

دعوة مُستجابة . قالوا : كم بين المشرق إلى المغرب ؟ قال : مسيرة يوم للشمس ، ومن قال غيرَ هذا فقد كذب .

٢٤١ قال : وحجّ أعرابيٌّ فقال : اللهمّ إن كان رزقى فى السماء فأنزِلْه ، وإن كان فى الأرض فأخرِجْه ، وإن كان نائياً فقرِّبْهُ ، وإن كان قريباً فيسِّره .

أبو عثمان البَقطُرىّ [١] عن عبد الله بن مسلم الفِهرى [٢] قال : لمّا وَلِىَ مسروقٌ [٣] السِّلسِلة [٤] انبرى له شابٌّ فقال له : وقَاك الله خشيةَ الفقر وطُولَ الأمل ، حتى لا تكونَ درِيّةً للسُّفَهاء [٥] ، ولا شَيناً على الفقهاء [٦] .

وقال أعرابىٌّ فى دعائه : اللهمّ لا تُخَيِّبْنِى وأنا أرجوك ، ولا تعذِّبْنى وأنا أدعوك . اللهمّ فقد دعوتُك كما أمرتَنى ، فأَجِبْنى كما وعدتَنى .

وقال عبدُ الله بنُ المبارك : قالت عائشة : يا بَنِىَّ لا تطْلبوا ما عند الله مِن عندِ غير الله بما يسخِط الله .

قال : وقال رجلٌ من النُّسَّاك : إن ابتُلِيتَ أن تدخل مع ناسٍ على السُّلطان فإذا أخَذُوا فى الثَّناءِ فعليك بالدُّعاء .

وكان الفضل بن الربيع يقول : مسألة الملوك عن حالهم من تحيَّة النَّوْكَى وتَقَرُّبِ الحمقَى ، عليكم بأوجَزِ الدُّعاء [٧] .

---

(١) ما عدا ل : « اليقطرى » . وبقطر ، بفتح الباء وضمّها ، من قرى صعيد مصر . وقال الجاحظ فى كتاب البغال : ويكنى أبا عثمان ، واسمه فهدان . رسائل الجاحظ (٢ : ٢٢١) .

(٢) ب ، جـ : « سلم » بدل « مسلم » .

(٣) مسروق ، هذا ، هو مسروق بن الأجدع بن مالك الهمدانى ، كان من عباد أهل الكوفة وكبار محدثيهم ، وولاه زياد على السلسلة ، ومات بها سنة ٦٣ وله ثلاث وستون سنة . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ١١) .

(٤) السلسلة : موضع ، لم يذكره ياقوت ولا البكرى .

(٥) الدرية : مسهل الدريئة ، وهى الحلقة التى يتعلم الرامى الطعن والرمى عليها .

(٦) الشين : العيب . ما عدا ل : « شينا للفقهاء » .

(٧) هذا الخبر فى ل فقط . وقد سبق برواية أخرى فى (٢ : ٢٥٦) . وانظر ما سيأتى فى ص ٢٨٦ .

وقال الكذّاب الحِرْمازىّ (١) :

لا هُمَّ إن كانت بنو عَمِيره   رهط التِّلِبِّ دعوةً مستوره (٢)
قد أجمعوا لِحِلْفة مَصْبُوره (٣)   واجتمعوا كأنَّهم قارُورَه (٤)
فى غَنَمٍ وَإبِلٍ كثيـرَهْ   فابعثْ عليهم سَنَةً قاشُورَه (٥)
تحتلق المالَ احتلاقَ النُّورَه (٦)

وقال أعرابىّ :

لا هُمَّ أنتَ الربُّ تُستَغاثُ   لَكَ الحيَاةُ ولَكَ الميرَاثُ
وقد دَعاك الناسُ فاستغاثوا   غَياثَهُمْ وعِندك الغِياثُ

---

(١) الكذاب ، لقب له ، وهو عبد الله بن الأعور ، أحد بنى الحرماز بن مالك بن عمرو بن تميم . ولقب لكذبه . وهو القائل :

لست بكذّاب ولا أثّام   ولا بجذّام ولا مصرام
ولا أحب خلة اللئام

وقال يهجو قومه :

إن بنى الحرماز قوم فيهم   عجز وإيكال على أخيهم
فابعث عليهم شاعراً يخزيهم   يعلم منهم مثل علمى فيهم

الشعر والشعراء ٦٦٥ والمؤتلف ١٧٠ .

(٢) الرجز روى فى اللسان (تلب) بدون نسبة ، وكذلك البيتان السادس والسابع منه فى (قشر) ، والأول والثانى والسادس والسابع فى (حلق) . قال : « والتلب رجل من بنى العنبر » . الدعوة ، بالكسر : النسب المدعى ؛ وبالفتح : المحالفة . وفى اللسان (تلب ، قصر ٤١٥) : « هؤلا مقصورة » . قال فى (قصر) : « مقصورة : أى خلصوا فلم يخالطهم غيرهم من قومهم » . هـ : « لحلفة مقصورة » .

(٣) يمين الصبر ، هى التى تؤخذ من صاحبها بإكراه . وفى الحديث : « من حلف على يمين مصبورة » ، أى صبر عليها وحبس حتى حلف بها ، فأسند الصبر إلى اليمين مجازا . اللسان (صبر) . ما عدا ل : « لخلقة مقصوره » ، تحريف . وفى اللسان : « لغدرة مشهوره » .

(٤) القارورة : وعاء من الزجاج يوضع فيه الشراب . أراد كما يجتمع الشراب فى القارورة .

(٥) قاشورة : مجدبة تقشر كل شئ ، كما فى اللسان (قشر) عند إنشاد هذا البيت وتاليه . والبيت وتاليه فى المخصص (١٠ : ١٧٠) أيضا . وفى المخصص : « ثم أتتنا سنة » وصواب الرواية ما هنا .

(٦) تحتلق المال : تحلقه ، أى تذهب به . والمال : الإبل . والنورة بالضم : حجر يحرق ويسوى منه الكلس ، ويحلق به .

ولم يكن سَيبُك يُستَراثُ (١) لم يبقَ إلّا عِكرِشٌ أنكاثُ (٢)
٢٤٢ وشيجةٌ أُصولُها مُثاثُ (٣) وطاحت الألبان والأرماثُ (٤)

* * *

وكان سعد بن أبى وقّاص يسمّى : « المستجابَ الدَّعوة » .

وقال لعمر حِين شاطره مالَه : لقد همَمتُ . فقال له عمر : لتدعو الله علىّ ؟ قال : نعم . قال : إذن لا تجدُنى بدعاءِ ربِّى شقيًّا .

وقال رسول الله ﷺ : « كم مِن ذى طِمْرين لا يُؤْبَهُ له لو أَقسَمَ على الله لأبَرَّه (٥) » . منهم البَرَاء بن مالك (٦) . واجتمعَ الناسُ إليه وقد دَهَمهم العدوّ ، فأقسَم على الله ، فمنحهم اللهُ أكتافَهم (٧) .

الأصمعىّ وأبو الحسن قالا : أخبرنا إبراهيم بن حبيب بن الشهيد (٨) ، عن أبيه ، أو عن غيره ، قال :

---

(١) هذا البيت فى ل فقط . السيب : العطاء . يستراث : يستبطأ . والريث : البطء .

(٢) العكرش : نبات خشن ، وفى أطراف ورقه شوك . أنكاث : متفرقة ، كما ينكث الحبل ، وهو أن ينقض وينكث خيوطه بعد إبرامها .

(٣) فى الأصول : « وشيح أصوله » ولا يستقيم بها الوزن . والوشيجة : المشتبكة . ب ، جـ : « متاث » . التيمورية : « مناث » وأثبت ما فى ل ، هـ . والمثاث : الندية .

(٤) الأرماث : جمع رمث ، وهو مرعى من مراعى الإبل ، من الحمض .

(٥) الطمر ، بالكسر : الثوب الخلق . أبره : أجاب دعوته .

(٦) هو الصحابى الجليل البراء بن مالك بن النضر ، أخو أنس بن مالك . شهد المشاهد كلَّها مع رسول الله ﷺ ، ما عدا بدرا . وكان له القدح المعلى فى النصر على مسيلمة يوم اليمامة ، إذ اقتحم الحديقة على المشركين وفتح بابها ، بعد أن لقىَ ما لقىَ من الطعن والضرب . الإصابة ٦١٧ .

(٧) كان ذلك يوم تستر فى حرب المسلمين الفرس أيام عمر سنة ٢٠ ، إذ انكشف المسلمون فقالوا : يا براء ، أقسم على ربك . فقال : أقسم عليك يارب لمَّا منحتنا أكتافهم ، وألحقتنى بنبيِّك ! فحمل وحمل الناس معه ، فقتل مرزبان الزارة ، من عظماء الفرس ، وأخذ سلَبه فانهزم الفرس ، وقتل البراء ، ودفن بتستر . الإصابة ومعجم البلدان .

(٨) هو أبو إسحاق إبراهيم بن حبيب بن الشهيد الأزدى البصرى ، من ثقات المحدثين . توفى سنة ٢٠٣ . تهذيب التهذيب . وفى الخلاصة أنه توفى سنة ٢٣٠ .

بلغ سعداً شيءٌ فعَلَهُ المهلَّب فى العدوّ ، والمهلَّب يومَئِذٍ فتًى ، فقال سعد : « اللهمّ لا تُرِهِ ذُلًّا ! » . فيَرَوْنَ أنَّ الذى ناله المهلَّب بتلك الدّعوة .

* * *

وقال الآخر :

الموت خَيرٌ من ركوب العارِ ‌ ‌ ‌ والعارُ خيرٌ من دخول النَّارِ
* واللهِ من هذا وهذا جارِى *

قالها الحسَن بن على رضى الله عنهما (١) .

وقال الآخَر (٢) ، وكان قد وقَع فى الناس وباءٌ جارفٌ ، وموتٌ ذريع ، فهرَب على حِماره ، فلمّا كان فى بعض الطَّريق ضَرَبَ وجهَ حمارِهِ إلى حَيِّه وقال :

لن يُسبَقَ اللهُ على حمارِ ‌ ‌ ‌ ولا على ذى مَيْعةٍ مُطَارِ (٣)
أو يأتِىَ الحتفُ على مقدارِ (٤) ‌ ‌ ‌ قد يصبحُ اللهُ أمامَ السَّارِى (٥)

* * *

قال : سمع مُجاشِعٌ الرَّبَعىُّ رجلًا يقول : الشَّحيح أعذَرُ من الظالم ! فقال إنّ شيئين خيرهُما الشُّحُّ لَنَاهيك بهما شراًّ (٦) .

قال المغيرة بن عُيَيْنَةَ (٧) : سمع عمرُ بن الخطاب رحمه الله رجلًا يقول فى دعائه : اللهمّ اجعلنى من الأقلِّينَ ! قال له عمر : ما هذا الدُّعاء ؟ قال : سمعت

---

(١) ما عدا ل : « حسين » بدل : « الحسن » .

(٢) هذه القصة على وجوه شتى فى الحيوان (٣ : ٤٦١) وتأويل مختلف الحديث ١٢٥ وزهر الآداب (٤ : ١٣١) ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٢٥) .

(٣) الميعة : أنشط الجرى . والمطار والطيار : الحديد الفؤاد الماضى . ويصح أن تقرأ « مطار » بفتح الميم وشد الطاء ، وهو السريع العدو .

(٤) هذا البيت من ل فقط . وفى الحيوان : « الحين » موضع « الحتف » .

(٥) هذا الشطر فى التمثيل والمحاضرة ٩ .

(٦) سبق الخبر بلفظ آخر فى (١ : ٤٠٥) .

(٧) ما عدا ل : « المغيرة بن عنبسة » .

٢٤٣ الله يقول : ﴿ وقليلٌ ماهُمْ ﴾ ، وسمعتُه يقول : ﴿ وقَلِيلٌ مِن عبادِىَ الشَّكُور ﴾ فقال عُمر : عليك من الدُّعاء بما يُعرَف .

وقال ناسٌ من الصحابة لِعُمر : ما بالُ النّاس كانوا إذا ظُلِموا فى الجاهليّة فدَعَوا استُجيب لهم ونحنُ لايستجاب لنا وإنْ كُنّا مظلومين ؟ قال : كانوا ولا مَزَاجِرَ لهم إلّا ذاك (١) ، فلّما أنزَل الله عزّ وجلّ الوعدَ والوعيد ، والحُدود ، والقَوَد والقِصاص ، وَكَلَهم إلى ذلك .

وقال عمر بن الخطاب : إنَّ فى يوم كذا وكذا من شهر كذا لَساعةً لا يدعُو اللهَ فيها أحدٌ إلّا استُجيب له . فقال له قائل : أرأيت إن دعا فيها منافق ؟ قال : فإنَّ المنافق لن يُوفَّق لتلك السّاعة .

ولمّا صَعِد المنبرَ قابضاً على يد العبّاس يوم الاستسقاء ، ولم يزدْ على الدُّعاء والاستغفار (٢) فقيل له : إنّك لم تستسقِ وإنّما كنتَ تستغفر . قال : « قد استسقيتُ بمَجادِيح السماء (٣) » . ذهبَ إلى قوله : ﴿ استغفِروُا رَبَّكم إنّه كانَ غَفَّاراً . يُرسِلِ السّماءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارا ﴾ .

وكان عُمرُ حَمَل الهُرمُزانَ مع جماعةٍ فى البحر فغرِقوا . قال ابنُ سيرين : لو كان دعا عليهم بالهلاك لَهلكوا .

قال : وقال محمّد بن علىّ (٤) لابنه : يا بُنىَّ إذا أنعَمَ اللهُ عليك نعمةً فقل :

---

(١) مزاجر : جمع مزجر .

(٢) ما عدا ل : « بالاستغفار » ، محرف .

(٣) مجاديح : جمع مجدح ، بالكسر ، وزاد الياء فيه للإشباع ، وهو جائز مطرد فى مثل هذا عند الكوفيين . والمجدح : نجم من النجوم كانت العرب تزعم أنه يمطر ، يجعلونه من الأنواء . فأراد عمر إبطال زعمهم فى الأنواء والتكذيب بها . يقول : إن الاستغفار هو ما يستقى به ، فهو النوء الذى يترقب به المطر ، لا تلك النجوم . انظر اللسان (جدح) حيث أورد الخبر وفسره .

(٤) محمد بن على بن الحسين ، أو جعفر الباقر ، المترجم فى (١ : ٢٦٢) . وانظر وصية أخرى له يوصى بها ابنه ، فى صفة الصفوة (٢ : ٦١) .

الحمدُ لله . وإذا حَزَبَكَ [١] أمرٌ فقل : لا حَول ولا قُوّة إلّا بالله . وإذا أبطأ عنك رزقٌ [٢] فقل : أستغفِرُ الله .

قالوا : كان محمّد بن على لا يُسمِع المبتلَى الاستعاذةَ من البلاء [٣] .

قال : وقال قومٌ ليزيد بن أسد : أطال الله بقاءك ! قال : دَعُونى أمُتْ وفىَّ بقيّةٌ تبكون بها علىّ .

ورأى سالمُ بنُ عبد الله [٤] سائلًا يسأل يوم عرفةَ فقال : يا عاجزُ ، فى هذا اليوم تَسأل غيرَ الله ؟!

قال : وكان رجلٌ من الحكماء يقول فى دعائه : اللهمَّ احفَظْنى من الصَّديق .

وكان آخر يقول : اللهمّ اكفِنِى بَوائق الثِّقات [٥] .

وحدّثنى صديقٌ لى [٦] كان قد ولى ضِياع الرّىّ قال : قرأتُ على باب شيخٍ منهم : « جزَى اللهُ من لا نعرفُ ولا يعرفُنَا أحسنَ الجزاء ، ولا جَزَى مَن نعرِفُ ويعرِفُنا إلّا ما هو أهلُه ، إنّه عَدْلٌ لا يَجُور » .

وكان على رُشوم عُمَر بن مِهرانَ التى كان يَرشُم بها على الطّعامِ [٧] : ٢٤٤
« اللهم احفَظْه ممن يحفظُه » .

وقال المغيرة بن شعبة [٨] فى كلامٍ له : أنّ المعرفة لتنفع عند الكلب العقور ، والجمل الصَّؤُول [٩] ، فكيف بالرجل الكريم .

---

(١) حزبه الأمر : نابه واشتد عليه . ما عدا ل : « حزنك » .

(٢) ما عدا ل : « الرزق » . (٣) سبق الخبر وتخريجه فى ص ١٥٨ من هذا الجزء .

(٤) سالم بن عبد الله بن عمر ، ترجم فى (٢ : ٢٩١) .

(٥) البوائق : الغوائل والشرور والدواهى ؛ جمع بائقة .

(٦) هو إبراهيم بن عبد الوهاب ، كما فى الحيوان (٥ : ٥٩٤) عند إيراد هذا الخبر بلفظ فيه بعض الخلاف .

(٧) الرشوم : جمع رشم ، وهو الخاتم الذى يختم به على البر وغيره من الحبوب . والخبر فى الجهشيارى ٢٢١ مطابق لما هنا . وورد فى عيون الأخبار (٢ : ٢٠٨) بلفظ : « ممن يخطفه » .

(٨) سبقت ترجمته فى (١ : ٣٢٧) .

(٩) ما بعدها من بقية الخبر فى هـ فقط . وفى الحيوان (٢ : ١٧٣) : « وقال المغيرة =

أبو الحسن قال : قالت امرأة من الأعراب : « اللهمّ إنّى أعوذُ بك من شرِّ قريشٍ وثَقيف ، وما جَمَعتْ من اللَّفيف ؛ وأعوذُ بك من عبدٍ مَلَك أمرَه ، ومن عبدٍ مَلأَ بطنَه » .

قال : مرَّ عمرُ بن عبد العزيز برجلٍ يُسَبِّح بالحَصَى فإذا بلغ المائةَ عَزَل حصاة ، فقال له عمر : ألقِ الحصَى وأخْلِصِ الدُّعاء .

وكان عبدُ الملك بن هلال الهُنَائىّ (١) عنده زِنَبيلٌ ملآنُ حصًى ، فكان يسبِّح بواحدةٍ واحدة ، فإذا مَلَّ شيئاً طَرح ثنتين ثنتين ، ثم ثلاثاً ثلاثا ، فإذا مَلَّ قَبض قَبضة وقال : سبحانَ اللهِ بعدَدِ هذا ، فإذا مَلَّ شيئاً قبض قُبضتين وقال : سبحانَ اللهِ بعدد هذا ، فإذا ضَجِر أخذ بِعُرْوَتَى الزَّنبيل وقَلَبه ، وقال : سُبحانَ اللهِ بعدد هذا كلِّه (٢) ، وإذا بَكَّرَ لحاجةٍ لحَظ الزَّنبيل لحظةً (٢) وقال : سبحان اللهِ عددَ ما فيه .

قال غَيلان (٣) : إذا أردت أن تتعلم الدُّعاء ، فاسمَعْ دعاءَ الأعراب (٤) .

قال سعيد بن المُسيِّب : مَرَّ بى صِلةُ بن أَشْيَم (٥) ، فما تمالكت أن نهضت إليه فقلت : يا أبا الصَّهباء ، ادعُ اللهَ لى . فقال : رَغَّبكَ الله فيما يبقى ، وَزَهَّدَكَ فيما يفنَى (٦) ، ووهب لك اليقينَ الذى لا تسكُن النُّفوس إلا إليه ، ولا تُعَوِّل فى الدِّين إلّا عليه .

= لرجل خاصم إليه صديقاً له ، وكان الصديق توعده بصداقة المغيرة . فأعلمه الرجل ذلك وقال : إن هذا يتوعدنى بمعرفتك إياه ، وزعم أنها تنفعه عندك . قال : أجل ، إنها والله لتنفع ، وإنها لتنفع عند الكلب العقور » . العقور : ما يعقر ، أى يعض ويجرح . والصؤول : الذى يعدو على صاحبه ويواثبه .

(١) الهنائى ، بضم الهاء : نسبة إلى هناءة بن مالك بن فهم . والخبر فى عيون الأخبار (٢ : ٥٩) مع خلاف فى اللفظ .

(٢) هذه الكلمة من ل فقط .

(٣) هو غيلان أبو مروان الدمشقى ، المترجم فى (١ : ٢٩٥) .

(٤) مضى هذا القول فى (٢ : ١٦٤) .

(٥) ترجم فى (١ : ٣٦٣) .

(٦) ل : « بقى » تحريف .

أبو الحسن قال : سمع رجلٌ بمكّةَ رجلًا يدعو لأمِّه ، فقال له : ما بال أبيك ؟ قال : هو رجلٌ يحتالُ لنفسه (١) .

أبو الحسن عن عُروة بن سليمان العَبدىّ قال : كان عندنا رجلٌ من بنى تميم يدعو لأبيهِ ويَدَعُ أُمَّه ، فقيل له فى ذلك ، فقال : إنّها كَلْبيَّة !

ورفع أعرابىٌّ يدَه بمكة قبل الناس فقال : اللهمَّ اغْفِرْ لى قبل أن يدهمَكَ النّاس !

وقال النبى ﷺ : « إنّ اللهَ يحبُّ المُلحِّينَ فى الدُّعاء » . ٢٤٥

وقال آخر : دعوتانِ أرجو إحداهما وأخاف الأخرى (٢) : دعوةُ مظلومٍ أعَنتُه ، ودعوةُ ضعيفٍ ظلمتُه .

قال : كان من دُعاء أبى الدَّرداء : اللهمَّ أمِتعْنا بخيارِنا ، وأعِنّا على شِرارنا ، واجعلنا خياراً كلَّنا ، وإذا ذهب الصالحون فلا تُبْقِنا .

وقال آخر لبعض السَّلاطين (٣) : أسألك بالذى أنت بين يديه أَذَلُّ منّى بين يديك ، وهو على عِقابك أقدَرُ منك على عقابى ، إلّا نظرتَ فى أمرِى نَظَرَ مَنْ بُرئى أحبُّ إليه من سُقْمى (٤) .

قالوا : وكان مُطرِّف بن عبد الله بن الشِّخّير (٥) يقول : اللهمَّ إنّك أمرتَنا بما أمرتنا به (٦) ولا نَقوَى عليه إلّا بعونك ، ونهيتنا عمّا نهيتنا ولا ننتهى عنه إلّا بعصمتك ، واقعةٌ علينا حُجّتُك ، غيرُ معذورين فيما بيننا وبينك ، ولا مَبخوسين فيما عمِلْنا لوجهك .

---

(١) الخبر فى عيون الأخبار (٢ : ٥٨ س ١٢ — ١٣) .

(٢) ما عدا ل : « كما أخاف الأخرى » .

(٣) ما عدا هـ : « لبعض السلطان » أى بعض أهل السلطان .

(٤) ل : « من براءتى إليه أحب من سقمى » . وأشير فى هـ إلى أنها كذلك فى نسخة .

(٥) ترجم فى (١ : ١٠٣ ، ٣٥٣) .

(٦) هذه الكلمة من ل فقط .

عبد العزيز بن أُبان (١) ، عن سفيان (٢) ، فى قوله : ﴿ دَعْواهُمْ فِيها سُبحانَكَ ﴾ : كان أحدُهم إذا أراد أن يدعُوَ قال : سبحانك اللّهمّ .

سفيان (٣) عن ابن جُريج (٤) ، عن عِكرمة (٥) ، قال فى قوله تعالى : ﴿ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكما ﴾ قال : كان موسى عليه السلام يدعُو وهارونُ يُؤمِّن ، فجعلهما الله داعِيَيْن .

قال : ولمّا وقَع يونُس فى البحر وقد وُكِّل به حوتٌ ، فلمّا وقَع ابتلعَه فأهوى به إلى قَرار الأرض (٦) ، فسمع تسبيحَ الحصى ، فنادَى يونُس فى الظُّلمات ﴿ أَنْ لا إلهَ إلّا أنتَ سُبْحَانَكَ إنِّى كُنْتُ مِنَ الظَّالمين ﴾ قال : ظُلمةُ بَطنِ الحوت ، وظلمةُ البحر ، وظلمةُ الليل . وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ

---

(١) هو عبد العزيز بن أبان بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية ، ذكروا أنه كان يضع الحديث على سفيان الثورى . وكان قد ولى قضاء واسط ثم عزل فقصد بغداد فنزلها . وتوفى سنة ٢٠٧ . تهذيب التهذيب وتاريخ بغداد ٥٦٠٤ .

(٢) سفيان هذا ، هو سفيان الثورى ، وهو سفيان بن سعيد بن مسروق الثورى الكوفى . ونسبته إلى ثور بن عبد مناة بن أد بن طابخة ، وكان يسمى « أمير المؤمنين فى الحديث » . وقالوا : كتب عن ألف ومائة شيخ . وكان حافظا فقيها محدثا زاهدا . ولد سنة ٩٨ . وتوفى سنة ١٦١ . تهذيب التهذيب ، والخلاصة ، وتذكرة الحفاظ (١ : ١٩٠) وصفة الصفوة (٣ : ٨٢) ، وتاريخ بغداد ٤٧٦٣ .

(٣) سفيان هذا ، هو سفيان بن عيينة المترجم فى (١ : ١٠٤ / ٢ : ٤٧) .

(٤) ابن جريج ، هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الأموى المكى ، أصله رومى ، روى عن عطاء والزهرى وعكرمة وغيرهم ، وروى عنه وكيع وابن المبارك وسفيان بن عيينة وغيرهم . كان من فقهاء أهل الحجاز وقرائهم ومتْقِنِيهم وعبادهم . توفى سنة ١٥٠ وهو ابن سبعين سنة . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٢ : ١٢٢) .

(٥) هو عكرمة البربرى أبو عبد الله المدنى . مولى ابن عباس ، وأصله من البربر ، كان لحصين بن أبى الحر العنبرى ، فوهبه لابن عباس لما ولى البصرة . روى عن مولاه ، وعلى بن أبى طالب ، وأبى هريرة وخلق ، وروى عنه النخعى والشعبى وغيرهم ، وكان من أعلم الناس بالتفسير . قدم مصر يريد المغرب ، وأحدث فى أهل المغرب رأى الصفرية من الخوارج ، ثم عاد إلى المدينة وتوفى سنة ١٠٤ فى اليوم الذى توفى فيه كثير عزة ، فشهد الناس جنازة كثير وتركوا عكرمة . تهذيب التهذيب .

(٦) كلمة « قرار » مما عدا ل . وقد وضع لها فى ل إشارة إلحاق . هـ : « فهوى به » .

كَانَ مِنَ المسبِّحِينَ . لَلَبِثَ فى بَطْنِهِ إلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ .

وفى الحديث المرفوع ، أنّ مِن دعاء النبى ﷺ : « أعوذ بك من قلبٍ لا يخشع ، وبطنٍ لا يشبَع ، ودُعاءٍ لا يُسمع » .

علىّ بن سليم ، أن قيس بن سعد (١) قال : اللهم ارزقنى حمداً ومجداً ، فإنّه لا حَمدَ إلا بفعالٍ ، ولا مَجدَ إلّا بمال (٢) .

عوفٌ قال (٣) : قال رجلٌ فى مجلس الحَسَن : ليَهنئك الفارس ! قال له ٢٤٦
الحسن : فلعلَّه حَامِر (٤) . إذَا وهَبَ اللهُ لرجلٍ ولداً فقل : شكرتَ الواهب ، وبُورِك لك فى الموهوب ، وبَلَغ أشُدَّه ، ورُزقتَ برَّه .

* * *

أبو سَلَمة الأنصارىّ قال : كان عمر بن عبد العزيز يقول : ما أحسن تعزيةَ أهلِ اليمن ! وتعزيتُهم : لا يحزُنْكُم اللهُ ولا يَفتِنْكم ، وأثابَكم ما أثاب المتقين الشاكرين (٥) ، وأوجَبَ لكمُ الصّلَاةَ والرّحمة .

قال : وكان أبو بكر – رحمه الله – إذا عزّى رجلًا قال : ليس مع العَزاء مُصيبة ، ولا مع الجزَع فائدة . الموتُ أشدُّ ماقبْلَه ، وأهونُ ما بعدَه . اذكروا فَقْدَ رسولِ الله ﷺ تَهُنْ عندكم مصيبتكم (٦) صلَّى الله على محمَّدٍ ، وعظَّم الله أجرَكم .

---

(١) قيس بن سعد بن دليم ، ترجم فى (١ : ٢٥١) .

(٢) مضى الخبر فى (٢ : ١٤٧) .

(٣) بدله فيما عدا ل: « وقال » فقط . وعوف بن أبى جميلة ترجم فى (٢ : ٣٧) .

(٤) الحامر : ذو الحمار ، كما يقال فارس لذى الفرس . اللسان (حمر) . ما عدا ل ، هـ : « خامر » تصحيف .

(٥) كلمة « الشاكرين » من ل فقط .

(٦) ل : « تذل » بدل : « تهن » .

وكان علىٌّ بن أبى طالب – رحمه الله – إذا عَزّى قوماً قال : إنْ تجزعوا فأهلُ ذلك الرَّحِم ، وإن تصبروا ففى ثواب الله عِوَضٌ من كلِّ فائت . وإنَّ أعظمَ مصيبةٍ أُصيب بها المسلمون محمّد ، ﷺ ، وعَظّم أجركم .

وعَزّى عبد الله بن عبّاس ، عمرَ بن الخطاب رحمهما الله ، على بنيٍّ له مات (١) فقال : عَوّضك الله منه ما عَوَّضه منك .

وهذا الصبىُّ الذى مات هو الذى كان عمر بن الخطاب قال فيه : ريحانةٌ أشُمُّها ، وعن قريب ولد بارٌّ ، أو عدوٌّ حاضر .

* * *

سفيان قال : كان أبو ذرٍّ يقول : اللهمّ أمتِعْنا بخيارنا ، وأعنّا على شِرارنا .

قال : ودعا أعرابىٌّ فقال : اللهمّ إنى أعوذ بك مِنَ الفقر المُدْقع ، والذلِّ المُضْرِع (٢) .

عَزّت امرأةٌ المنصور على أبى العباس (٣) ، مَقدمَه مكة فقالت : عظّم الله أجرَك ، فلا مصيبةَ أعظَمُ من مصيبتك ، ولا عِوضَ أعظم من خِلافتك .

قالوا : وقال عمر بن عبد العزيز ، وقد سمعوا وقع الصّواعق (٤) ، ودَوِىّ الريح ، وصوت المطر ، فقال وقد فزِع الناس : هذه رحمتُه فكيف نِقمتُه !

٢٤٧ وقال أبو إسحاق (٥) : اللهمّ إن كان عذاباً فاصرفْه ، وإن كان صلاحاً فزِدْ فيه ، وهَبْ لنا الصّبرَ عند البلاء ، والشكر عند الرخاء . اللهم إن كانت

---

(١) ل : « عن بنى له مات » . وانظر استعمال الجاحظ لكلمة « على » بعد التعزية فى (٢ : ٧٤ ، ٨٢) وما سيأتى فى س ١٢ من هذه الصفحة . ولم تتعرض المعاجم لتعيين الحرف الذى يستعمل بعد التعزية .

(٢) المدقع : الشديد ، وأدقعه : ألصقه بالدقعاء ، وهى التراب . والمضرع : المذل .

(٣) أبو العباس السفاح ، وهو أخو المنصور .

(٤) ل : « وقوع الصواعق » .

(٥) فى حواشى هـ : « يعنى النظام شيخه » .

محنةً فمُنَّ علينا بالعصمة ، وإن كان عقاباً فمُنَّ علينا بالمغفرة .

قال أبو ذَرّ : الحمد لله الذى جعلنا من أمةٍ تُغفَر لهم السيِّئات ، ولا تُقبل من غيرهم الحسنات .

وكان الفضلُ بن الرَّبيع يقول : المسألة للملوك من تحية النوكى . فإذا أردت أن تقول : كيف أصبحتَ ؟ فقل : صبّحك الله بالخير . وإذا أردت أن تقول : كيف تجدك ؟ فقل : أنزَلَ الله عليك الشِّفاء والرحمة (١) .

قال أحمد الهُجَيميّ أبو عُمر ، أحد أصحاب عبد الواحد بن زيد (٢) :

اللهمَّ يا أجودَ الأجودِينَ ، ويا أكرم الأكرمِينَ ، ويا أعفى العافين ، ويا أرحم الراحمين ، ويا أحكم الحاكمين ، ويا أحسن الخالقين ، فَرِّج عنى فرَجاً عاجلا تامًّا ، هنيئاً مباركاً لى فيه ، إنّك على كل شىءٍ قدير .

وكان عبد الله الشَّقَرِى (٣) ، وهو الكعبىّ ، أحد أصحاب المِضمار (٤) ، من غِلمان عبد الواحد بن زيد – وكنية عبد الواحد أبو عبيدة – يقول :

اللهمَّ إنى عبدُك وابن عبدِك وابنُ أمَتِك ، ناصيتى بيدك . اللهمَّ هَبْ لى يقيناً ، وأَدِمْ لى العافية ، وافتح علىَّ بابَ رزق فى عافية (٥) ، وأعوذ بك من النار والعار ، والكذِب والسُّخْف (٦) ، والخَسف والقَذْف (٧) والحِقْد والغضب . وحَبِّبْنِى إلىَّ خلقك ، وحَبِّبْهمْ إلىّ . وأسألُك فرجاً عاجلا فى عافية ، إنّك على كلِّ شىءٍ قدير .

---

(١) انظر ما سبق فى ص ٢٧٥ .

(٢) ترجم فى (١ : ٢٦٤) .

(٣) الشقرى بالتحريك : نسبة إلى شقرة ، بكسر القاف ، بن الحارث بن تميم .

(٤) المضمار : الموضع الذى يضمر فيه الخيل . وتضمير الخيل : أن تعلف حتى تسمن ثم ترد إلى القوت الضرورى فيذهب رهلها ويشتد لحمها ، وذلك فى أربعين يوما .

(٥) ل : « رزق فى عافية » .

(٦) السخف ، بالضم والفتح : رقة العقل وضعفه .

(٧) الخسف : الذل والنقصان والهوان . والقذف : السب ، والرمى بالزنا .

دعاء الغنوى فى حبسه

أعوذُ بك من السِّجنِ والدَّين ، والسَّبِّ والضَّرب ، ومن الغُلِّ والقَيْد ، ومن التعذيب والتخييس (١) . وأعوذُ بك من الحَوْرِ بعد الكَوْرِ (٢) ، ومن شرِّ العَدوَى فى النَّفس والأهل والمالِ . وأعوذ بك من الخَوف والحَزَن ، وأعوذُ بك من الهمِّ والأرَق ، ومن الهرَبِ والطَّلب (٣) ، ومن الاستخذاء والاستخفاء (٤) ومن
الإطراد والإغراب (٥) ، ومن الكذب والعَضيهة (٦) ، ومن السّعاية والنميمة ، ومن ٢٤٨
لُؤم القُدرَة ، ومَقام الخِزْىِ فى الدُّنيا والآخرة ، إنّك على كلِّ شيءٍ قدير .

ومن دعائه فى الحبس

أسألك اللهم طولَ العمرِ فى الأمن والعافية ، والحِلم والعِلم والحزم ، والأخلاق الحسنة والأفعال المرضيَّة ، واليُسرَ والتيسير ، والنّماء والتثمير ، وطِيبَ الذّكر وحُسنَ الأحدُوثة ؛ والمحَبةَ فى الخاصّة والعامّة . وهَبْ لى ثَباتَ الحُجَّة ، والتَّأييدَ (٧) عند المنازعة والمخاصمة ، وبارِكْ لى فى الموت إنّك على كلِّ شىءٍ قدير .

* * *

---

(١) التخييس : الحبس والإذلال . ما عدا هـ : « التحبيس » .

(٢) الحور ، بالفتح : النقصان . والكور بالفتح أيضا : الزيادة . وكان هذا من دعاء النبى ﷺ . اللسان (حور ، كور) .

(٣) أى من أن أهرب فأطلب .

(٤) الاستخذاء : الخضوع .

(٥) يقال : طرده السلطان وأطرده : أمر بإخراجه عن بلده . والإغراب والتغريب : أن ينفى عن بلده .

(٦) العضيهة : الإفك والبهتان والنميمة .

(٧) ل : « والتأنى » .

وكان صالحٌ المرىّ [١] كثيراً ما يردِّد فى مجلسه :

أعوذُ بك من الخسفِ والمَسخ ، والرَّجْفة والزَّلزَلة ، والصاعقةِ والرِّيح المهلكة ، وأعوذُ بك من جَهْد البَلاء ، ومن شَماتة الأعداء .

وكان يقول : أعوذُ بك من التَّعَب والتعذُّر ، والخيبةِ وسُوء المنقلَب . اللهمّ مَن أرادنى بخيرٍ فيسِّرْ لى خيرَه ، ومَن أرادنى بشرٍّ فاكفِنِى شرَّه . اللهمّ إنى أسألُك خِصب الرَّحْل [٢] ، وصلاحَ الأهل .

* * *

وكان عيسى بن أبى المُدَوَّر [٣] يقول :

أعوذُ بك من القِلّة والذِّلة ، ومن الإهانة والمِهْنَة [٤] ، والإخفاق والوَحدة . وأعوذُ بك من الحَيرة وَقِلَّة الحِيلة ، وأعوذُ بك من جَهد البلاء ، وشماتةِ الأعداء .

محمد بن عبد الله [٥] قال : قال عمر بن الخطاب رحمه الله : مَن أُعْطِىَ الدُّعاء لم يُحرَم الإجابة . قال الله : ﴿ ادْعونى أستَجِبْ لكُم ﴾ ومن أُعطِىَ الشُّكرَ

---

(١) ترجم فى (١ : ١١٣) .

(٢) الرحل : منزل الرجل ، ومسكنه ، وبيته .

(٣) ذكره الجاحظ فى اللحانين البلغاء . انظر (٢ : ٢٢٠) وهو هناك بلفظ « عيسى بن المدور » .

(٤) المهنة ، بفتح الميم وكسرها : الخدمة والابتذال .

(٥) هو محمد بن عبد الله العتبى الأخبارى ، من بنى عتبة بن أبى سفيان ، كان هو وأبوه سيدين أديبين فصيحين ، وكان العتبى شاعراً صاحب أخبار وآداب ، وقف يوماً بباب إسماعيل بن جعفر بن سليمان فطلب الإذن ، فقال له غلمانه : هو فى الحمام . فقال :

وأمير إذا أراد طعامـــا ... قال غلمانه مضى الحماما
فيكون الجواب منى إلى الحا ... جب ما إن أردت إلا السلاما
لست آتيكم من الدهر إلا ... كل يوم ترون فيه صياما

توفى العتبى سنة ٢٢٨ . وله كتاب الخيل ، كتاب الأعاريب ، أشعار النساء اللاتى أحببن ثم أبغضن . ابن النديم ١٧٦ والسمعانى ٣٨٣ .

لم يُحرَم الزِّيادة ، لقوله عزّ وجلّ : ﴿ لَئِنْ شكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ . ومن أُعْطِىَ الاستغفارَ لم يُحرَم القَبول ، لقوله عزّ وجلّ : ﴿ واستَغْفِرُوا اللّهَ إنّ اللّهَ غفورٌ رَحيم ﴾ .

وقال عمر بن الخطاب رحمه الله : كونوا أُوعيةَ الكِتابِ ، وينابيعَ العِلم ، وسَلُوا اللّهَ رزق يومٍ بيوم .

٢٤٩ وروى محمد بن عليٍّ [١] عن آبائه ، عن النبى ﷺ أنه قال : « إذا سألتم الله فسَلوه بباطن الكفَّين ، وإذا استعذتموه فاستعيذوه بظاهرهما » .

وقال آخر : اللهمّ إنى أعوذُ بك من بَطَر الغِنى ، وذِلَّة الفقر .

أبو سعيدٍ المؤدِّب [٢] ، عن هشام بن عُروةَ [٣] عن أبيه ، عن عائشة قالت : « سَلُوا ربَّكم حتى الشِّسْع [٤] ، فإنه إنْ لم يُيسِّرْهُ لم يتيسَّر » .

سُحيم [٥] ، عن طاوس [٦] ، قال : يكفى من الدنيا [٧] ما يكفى العجينَ من الملح .

قال : سأل رجلٌ رجلًا حاجةً ، فقال المسئول : اذهبْ بسلام . فقال السائل : قد أنصَفَنا مَن ردَّنا إلى الله فى حوائجنا .

مُجَالِدٌ [٨] عن الشَّعبى قال : قال النبى ﷺ : « اللهمّ أَذهِبْ مُلْكَ غَسَّان ، وضَعْ مُهور كِندة [٩] » .

قال عمر بن الخطاب : « لكل شيءٍ رأسٌ ، ورأسُ المعروف تعجيله » .

---

(١) محمد بن على أبو جعفر الباقر ، المترجم فى (٢ : ٢٦٢) .

(٢) ترجم فى (١ : ٢٥٢) .

(٣) ترجم مع شيخه .

(٤) الشسع . أحد سيور النعل ، وهو الذى يدخل بين الإصبعين ويدخل طرفه فى الثقب الذى فى صدر النعل المشدود فى الزمام .

(٥) هو سحيم بن حفص الأخبارى ، المترجم فى (١ : ٤٠) .

(٦) طاوس بن كيسان ، ترجم فى (١ : ١٧٥) .

(٧) ل : « من الدعاء » تحريف .

(٨) مجالد بن سعيد ، ترجم فى (١ : ٢٤٢) .

(٩) سبقت رواية الحديث فى (٢ : ٢٨) .

القول فى إنطاق الله عزّ وجلّ

إسماعيلَ بنَ إبراهيمَ عليهما السلام ، بالعربيّة المُبينة على غير التّلقين والتّمرين ، وعلى غير التّدريب والتّدريج ، وكيف صار عربيًّا أعجميَّ الأبوين [١] .

وأوّل مَن عليه أن يُقِرّ بهذا القَحطانىُّ ، فإنه لابدَّ من أن يكون له [٢] أبٌ كان أوّل عربيٍّ من جميع بنى آدم ﷺ . ولو لم يكن ذلك كذلك وكان لا يكون عربيًّا حتى يكون أبوه عربيا وكذلك أبوه وكذلك جدُّه ، كان ذلك موجباً لأن يكون نوحٌ ﷺ عربيًّا ، وكذلك آدمُ ﷺ .

قال أبو عبيدة : حدثنا مِسمَع بن عبد الملك عن أبى جعفر محمد بن على بن الحسين عن آبائه قال : أول من فُتِق لسانُه بالعربية المُبينة إسماعيل ، وهو ابنُ أربعَ عشْرَةَ سنة .

وقال النبى ﷺ : « شهدتُ الفِجار [٣] وأنا ابنُ أربعَ عشرةَ سنة ، وكنت أنبُلُ على عُمومَتى » . يريد : أجمع لهم النَّبْل .

٢٥٠ قال أبو عبيدة : فقال له يونس : صدقت يا أبا يسار [٤] هكذا حدّثنى نصر بن طريف [٥] .

---

(١) العجم : خلاف العرب . ما عدا ل : « أعجمى الأبوين » . والأعجمى والأعجم : الذى فى لسانه عجمة لا يفصح بالعربية .

(٢) له ، أى للقحطانى .

(٣) هو يوم الفجار الآخِر ، وقبله أيام ثلاثة : الفجار الأول ، والثانى ، والثالث . وهذا اليوم الذى شهده الرسول الكريم كان بين قريش وكنانة كلها وبين هوازن ، هاجه البراض بقتله عروة الرحال . وسمى هذا اليوم ونظائره فجاراً لأنها كانت فى الأشهر الحرم التى كان يحرم فيها القتال . انظر خبره مفصلا فى العقد الفريد وكامل ابن الأثير والأغانى (١٩ : ٧٣ – ٨١ والعمدة (٢ : ١٦٩ – ١٧٠) والخزانة (٢ : ٥٠٤) .

(٤) فى الكلام سقط ظاهر .

(٥) لم أجد له ترجمة .

وروى قيس بن الربيع [١] ، عن بعض أشياخه عن ابن عبَّاس : أنّ الله ألْهَمَ إسماعيل العربيَّةَ إلهاماً .

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ . قال : قد يُرسل اللهُ الرّسولَ إلى قومه ، ولو أُرسِل فى ذلك الوقتِ إلى قومٍ آخرين لَمَا كان الثانى ناقضاً للأوّل . فإذا كان الأمرُ كذلك كان قومُه أوّلَ مَن يَفهم عنه ، ثم يصيرون حُجّةً على غيرهم .

وإذا كان الله عزّ وجلّ قد بعثَ محمداً ﷺ إلى العَجَم فضلًا عن العَرَب ، فقَحطانُ وإنْ لم يكونوا من قومِه أحقُّ بلزوم الفَرض [٢] من سائر العَجَم .

وهذا الجواب جوابُ عوامِّ النِّزاريَّة . فأمّا الخواصُّ الخُلَّص فإنهم قالوا : العرب كلُّهم شىءٌ واحد ؛ لأنّ الدارَ والجزيرةَ واحدة ، والأخلاق والشِّيَم واحدة ، واللغة واحدة [٣] ، وبينهم من التصاهُر والتشابُك ، والاتِّفاق فى الأخلاق وفى الأعراق ، ومن جهة الخُؤولة المردَّدة والعمومة المشتبِكة ، ثم المناسَبة التى بُنيت على غريزة التُّربة وطِباع الهواء والماءِ ، فهمْ فى ذلك بذلك [٤] شىءٌ واحد فى الطَّبيعة واللغة ، والهِمَّة والشمائل ، والمَرْعَى والرَّاية ، والصِّناعة والشّهوة . فإذا بَعثَ الله عزّ وجلّ نبيًّا من العرب فقد بعثه إلى جميع العرب ، وكلُّهم قومُه ؛ لأنَّهم جميعاً يَدٌ على العجم ، وعلى كل من حاربهم من الأمم ؛ لأنَّ تناكُحَهم لا يعدوهم ، وتصاهُرَهم مقصورٌ عليهم .

---

(١) هو قيس بن الربيع الأسدى الكوفى ، اختلف فى توثيقه . روى عن السبيعى والأعمش والسدى ، وعنه : الثورى ووكيع وعلى بن ثابت . توفى سنة ١٦٨ . تهذيب التهذيب .

(٢) ما عدا ل ، هـ : « الغرض » .

(٣) « واللغة واحدة » من ل فقط .

(٤) هذه الكلمة من ل فقط .

قالوا : والمشاكلةُ من جهة الاتّفاق فى الطبيعة والعادة ، ربَّما كانت أبلغَ وأوغَلَ من المشاكلة من جهة الرَّحِم . نعم حتى تراه أغلَبَ عليه من أخيه لأمِّه وأبيه . وربَّما كان أشبَهَ به خَلْقاً وخُلُقاً ، وأدَباً ومذهَبا . فيجوز أنْ يكون الله تبارك وتعالى حينَ حَوّلَ إسماعيلَ عربيًّا أن يكون كما حوّلَ طبعَ لسانه إلى لسانهم ، وباعَدَه عن لسان العجم ، أن يكون أيضاً حوّلَ سائر غرائزه ، وسلَخَ سائرَ طبائعه ، فنقلها كيف أحبّ ، وركّبها كيف شاءَ . ثم فضّله بعد ذلك بما أعطاه ٢٥١ من الأخلاق المحمودة ، واللّسان البيِّن ، بما لم يخُصَّهم به . فكذلك يخُصُّه من تلك الأخلاق ومن تلك الأشكال [١] بما يفوقُهم ويَرُوقُهم [٢] . فصار بإطلاق اللّسان على غير التلقين والترتيب . وبما نُقِل من طباعه ونقل إليه من طبائعهم ، وبالزِّيادة التى أكرمه الله بها ، أشْرَفَ شرفاً وأكرَمَ كَرَما .

وقد عِلمْنا أنّ الخرسَ والأطفال إذا دخلوا الجنّة وحُوِّلوا فى مقادير البالغين ، وإلى الكمال والتّمام ، لا يَدْخُلونَها إلّا مع الفصاحة بلسانِ أهل الجنة . ولا يكون ذلك إلّا على خلافِ التَّرتيب والتدريج ، والتّعليم والتقويم .

وعلى ذلك المثالِ كان كلامُ عيسى بنِ مريم ، ﷺ ، فى المهد ، وإنطاقُ يحيى عليه السلام بالحِكمة صبيًّا .

وكذلك القولُ فى آدمَ وحوّاء عليهما السلام . وقد قلنا فى ذئب أُهبانَ

---

(١) ما عدا ل : « الدلائل » .

(٢) يقال راق فلان على فلان ، إذا زاد عليه فضلا ، فهو رائق عليه . أنشد فى اللسان :

راقت على البيض الحسا ن بحسنها وبهائــها

ابن أوس [١] ، وغُراب نوح [٢] ، وهُدهُد سُليمان [٣] ، وكلام النملة [٤] ، وحِمَارِ عُزَير [٥] ، وكذلك كلُّ شيءٍ أنطَقَه اللهُ بقُدْرته ، وسخَّره لمعرفته .

وإنما يمتنع البالغ مِن المعارف مِن قِبَل أُمورٍ تَعرِض من الحوادث ، وأُمورٍ فى أصل تركيب الغريزة . فإذا كفَاهم اللهُ تلك الآفاتِ ، وحصَّنَهم من تلك الموانع ، ووفَّر عليهم الذّكاءَ ، وجلَبَ إليهم جِياد الخواطر ، وصَرَف أوهامَهم إلى التعرُّف ، وحبَّب إليهم التبيُّن ، وقعت المعرفةُ وتمَّت النّعمة .

والموانع قد تكون من قَبِل الأخلاط الأربعة [٦] على قدر القِلَّة والكثرة ، والكثافة والرِّقّة . ومن ذلك ما يكون من جهة سُوء العادة ، وإهمالِ النَّفْس ، فعندها يستوحِش من الفكرة ، ويَستثقِل النَّظَر . ومن ذلك ما يكون من

---

(١) أهبان هذا ، هو أحد الصحابة . يروون أن الذئب كلّمه ثم بشره بالرسول . قالوا : كان فى غنم له ، فعدا الذئب على شاة منها فصاح فيه أهبان ، فأقعى الذئب وقال له : أتنزع منى رزقاً رزقنيه الله ؟ قال أهبان : فصفقت بيدى تعجباً وقلت : والله ما رأيت ولا سمعت أعجب من هذا ! فقال : أتعجب من هذا ورسول الله بين هذه النخلات – وأومأ إلى أبيات المدينة – يحدث بما كان ويكون ، ويدعو إلى الله عباده . قال : فجئت إلى النبى ﷺ وأخبرته بالقصة وأسلمت . فكان يقال لأهبان : « مكلم الذئب » . انظر ثمار القلوب ٣٠٩ والحيوان (١ : ٢٩٨ / ٣ : ٥١٣ / ٤ : ٨٠ / ٧ : ٥٠ ، ٢١٣ ، ٢١٧) .

(٢) انظر للكلام عليه ما ورد فى الحيوان (١ : ٢٩٨ / ٢ : ٣١٨ ، ٣٢١ ، ٣ : ٥١٣ / ٤ : ٨٠) .

(٣) خبره مذكور فى القرآن فى سورة النمل . وانظر الحيوان (١ : ٩٧ ، ٢٩١ / ٣ : ٥١٣ / ٤ : ٧٧ / ٦ : ٣١٠ ، ٣١٩ / ٧ : ٤٧) .

(٤) خبره كذلك فى سورة النمل . وانظر الحيوان (٤ : ٨) .

(٥) هو الذى ورد ذكره فى سورة البقرة ، أحياه الله بعد مائة عام من موته ، وفيه قول الله تعالى : « أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال أنّى يحيى هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثتَ ، قال لبثت يوماً أو بعض يوم ، قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه ، وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس ، وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثمّ نكسوها لحما » . الآية ٢٥٩ من سورة البقرة ، وكتب التفسير ، وثمار القلوب ٤٦ والحيوان (١ : ٢٩٨ / ٣ : ٥١٣ / ٤ : ٨٠) .

(٦) الأخلاط – جمع خلط ، بالكسر ، وهو جسم رطب سيال يستحيل إليه غذاء البدن ، كما عرفه بذلك داود فى تذكرته (١ : ٦٣) . والأخلاط الأربعة ، هى الدم ، والبلغم ، والصفراء ، والسوداء .

الشَّواغل العارضة ، والقُوى المتقسَّمة . ومن ذلك ما يكون من خُرْق المعلِّم ، وقلَّة رِفق المؤدِّب ، وسُوء صَبر المثقِّف . فإذا صفَّى اللهُ ذِهنَه ونقَّحه ، وهذّبَه وثقّفه ، ٢٥٢
وفرّغ بالَه ، وكفَاه انتظارَ الخواطر ، وكان هو المفيدَ له والقائم عليه ، والمريدَ لهدايته ، لم يلبث أن يعلم .

وهذا صحيحٌ فى الأوهام ، غيرُ مدفوعٍ فى العقول .

وقد جَعَل اللهُ الخَالَ أباً . وقالوا : « الناس بأزمانهم أشبهُ منهم بآبائهم » . وقد رأينا اختلاف صُوَر الحيوان ، على قدر اختلاف طبائع الأماكن (١) .

وعلى قَدْر ذلك شاهدنا اللُّغاتِ والأخلاقَ والشهوات . ولذلك قالوا : « فلانٌ ابنُ بَجْدَتها » (٢) ، و « فلانٌ بيضَةُ البلَد (٣) » ، يقَعُ ذَمًّا ويقع حمداً .

وقال زِياد : « واللهِ لَلْكوفةُ أشبَهُ بالبصرة من بكر بن وائلٍ بتميمٍ » .

ويقولون : « ما أشبَهَ الليلةَ بالبارحة » ، كأنهم قالوا : ما أشبه زمانَ يوسِفَ بنِ عمرَ بزمان الحجَّاج .

وقال سُهَيل بن عَمرو (٤) : « أشبَهَ امرأً بعضُ بَزِّه (٥) » .

وقال الأضبطُ بن قُريع : « بكلِّ وادٍ بنو سَعد (٦) » .

---

(١) انظر الحيوان (٤ : ٧١ / ٥ : ٣٧٠ / ٦ : ٢٥ / ٧ : ١٠٠) .

(٢) يقولونه للدليل الحاذق . قال ابن فارس فى مقاييس اللغة : « كأنه نشأ بتلك الأرض » . ويقال بجد بالمكان بجوداً وبجداً ، بالتحريك ، أى أقام به . ويقال هذا المثل أيضاً للعالم بالشئ المتقن له المميز .

(٣) البلد : أدحى النعام ، أو كل موضع مستحيز من الأرض . فمن أراد المدح أراد أنه واحد لا نظير له . ومن عنى الذم أراد أنه كبيضة النعامة التى يحضنها غير صاحبها . وذلك أن النعامة تبيض بيضتها وتتركها منفردة بدار مضيعة فيقع عليها غيرها من النعام فيحتضنها ، انظر الحيوان (٢ : ٣٣٦ / ٤ : ٣٣٦) وثمار القلوب ٣٩٢ والعمدة (٢ : ١٥٣) . ورووا فى المدح قول على بن أبى طالب : « أنا بيضة البلد » . وفى الذم قول الراعى :

تأبى قضاعة أن تدرى لكم نسباً ... وابنا نزار فأنتم بيضة البلد

(٤) سبقت ترجمة سهيل فى (١ : ٥٨) . ل : « مهيل » ما عدا ل : « سهل » صوابهما ما أثبت وقد مضت نسبة المثل التالى إلى سهيل بن عمرو فى (٢ : ٢٦٤) .

(٥) البز : الثياب . وقد مضى بلفظ : « أشبه امرؤ » .

(٦) هو مثل قولهم : « بكل واد أثر من ثعلبة » . الميدانى (١ : ٩٤ ، ٨٤) . وكان الأضبط قد تأذى من قومه بنى سعد فتحول عنهم إلى آخرين ، فلما رأى ظلمهم وعسفهم قال : =

ولولا أنَّ الله عزَّ وجل أفرَدَ إسماعيلَ من العجم ، وأخرجَه بجميع معانيه إلى العرب ، لكان بنو إسحاقَ أولى به . وإنَّما ذلك كرجلٍ قد أحاط علمهُ بأنّ هذا الطِّفل من نَجلِ هذا الرَّجُل ، ولكن لَمَّا كان من سِفاحٍ لم يُجزْ أنْ يضيفَه إليه ويدعوَه أباه . وقد جعَلَ اللهُ نَسبَ ابنِ الملاعَنَة نسبَ أمِّه [1] ، وإنْ كان وُلِد على فراش أبيه .

وقد أرسلَ الله موسى وهارون ، إلى فرعون وقومِه وإلى جميع القِبْط ، وهما أُمَّتان : كَنْعانىٌّ وقِبطىّ .

وقد جَعَل اللهُ قومَ كلِّ نَبِىٍّ هم المبلغين والحجّةَ . ألا تَرَى أنّا نزعمُ أنَّ عَجْزَ العرب عن مِثل نَظْم القرآن حجّةٌ على العجم من جهة إعلام العربِ العجمَ أنّهم كانوا عن ذلك عَجَزَة .

وقد قال النبىُّ ﷺ : « خُصِصْت بأمور : منها أنّى بُعِثت إلى الأحمر والأسود [2] ، وأُحِلَّت لى الغنائم ، وجُعلت لى الأرضُ طَهُوراً » . فدلَّ بذلك على
٢٥٣ أنَّ غيرَه من الرّسُل إنّما كان يُرسَل إلى الخاصّ . وليس يجوز

= « بكل واد بنو سعد » . الحيوان (١ : ٣٥٨ / ٣ : ١٠٤/٤ : ٣٩٤) .

(١) الملاعنة ، هى التى لاعن الوالى بينها وبين زوجها إذا رماها برجل أنه زنى بها . فيبدأ بالرجل ويقفه حتى يقول : أشهد بالله إنها زنت بفلان ، وإنه لصادق فيما رماها به . فإذا قال ذلك أربعاً قال فى الخامسة : وعليه لعنة الله إن كان من الكاذبين . ثم يقيم المرأة فتقول أيضاً أربع مرات : أشهد بالله إنه لمن الكاذبين فيما رمانى به من الزنا . ثم تقول فى الخامسة : وعلىّ غضب الله إن كان من الصادقين . فإذا فرغت من ذلك بانت منه ولم تحل له أبدا . وإن كانت حاملا فجاءت بولد فهو ولدها ولا يلحق الزوج .

(٢) الأحمر والحمراء : العجم الذين يكون البياض غالباً على ألوانهم ، مثل الروم والفرس ومن صاقبهم . والعرب إذا قالوا فلان أبيض وفلانة بيضاء فمعناه الكرم فى الأخلاق لا لون الخلقة ، وإذا قالوا فلان أحمر وفلانة حمراء عنت بياض اللون . ومنه فى الحديث : « خذوا شَطْرَ دينكم من الحميراء » يعنى عائشة رضى الله عنها . وذلك لبياضها . والأسود : العرب ؛ لأن الغالب على ألوانهم السمرة والأدمة . وقيل الأحمر : الإنس للدم الذى فيهم ، والأسود : الجن . انظر اللسان (حمر) .

لمن عَرَف صِدقَ ذلك الرسولِ من الأمَم أن يكذِّبه ويُنكِر دعواه . والذى عليه تَرْكُ الإنكارِ والعملِ بشريعة النبىِّ الأوّل .

هذا فرقُ ما بينَ مَن بُعِث إلى البعض ، ومن بُعث إلى الجميع .

* * *

قال : وقال حُبَاب بن المنذِر (١) يوم السَّقيفة (٢) :

« أنا جُذَيلُها المحكَّكُ (٣) ، وعُذَيقُها المُرجَّب (٤) ، إن شئتم كَرَرْناها

---

(١) الحباب بن المنذر بن الجموح بن زيد الأنصارى ، كان من أصحاب الرأى يوم بدر ، إذ نزل رسول الله بأصحابه فى أدنى ماء من بدر ، فقال الحباب : يا رسول الله ، هذا منزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه ، أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟ قال : بل هو الرأى والحرب والمكيدة . قال : يارسول الله ، فإن هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتى نأتىَ أدنى ماء من القوم ، فننزله ثم نغور ما وراءه من القلُب ، ثم نبنى عليه حوضاً فنملأه ماء ، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون : فقال رسول الله ﷺ : لقد أشرت بالرأى ! مات الحباب فى خلافة عمر ، وقد أربى على الخمسين . الإصابة ١٥٤٧ والسيرة ٤٣٩ جوتنجن .

(٢) هى سقيفة بنى ساعدة ، من بنى كعب بن الخزرج ، رهط سعد بن عبادة . المعارف ٥٠ . والسقيفة : الصفّة ، وكل بناء مسقوف . وكان الأنصار والمهاجرون قد اجتمعوا فى تلك السقيفة بعد وفاة الرسول . وكان عمر قد زوّر شيئاً فى نفسه يقوله ، فلما نهض ليتكلم قال له أبو بكر : على رسلك ، وخطب فيهم الخطبة التى رواها الجاحظ فيما يلى ، فلما قضى أبو بكر كلامه نهض رجل وقال الكلمة التى رواها الجاحظ منسوبة إلى الحباب . فلما فرغ منها كثر اللغط وارتفعت الأصوات ، فلما أشفق عمر من الاختلاف قال لأبى بكر : ابسط يدك أبايعك . فبسط يده فبايعه عمر والمهاجرون والأنصار . وكان ذلك فى السنة الحادية عشرة من الهجرة . تاريخ الطبرى (٣ : ٢٠٠ – ٢٠١) . ولم يعين الطبرى فى (٣ : ٢٠١) صاحب الكلمة التالية . والجاحظ فى الحيوان (١ : ٣٣٦) نسبها إلى الحباب . وفى اللسان (جذل) نسبتها إلى سعيد بن عطارد ، أو الحباب بن المنذر . ونص الطبرى فى (٣ : ٢٠٩) أنه الحباب ، وذكر أنه قال فى أول خطبته : « يامعشر الأنصار ، املكوا على أيديكم ، ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر ، فإن أبوا عليكم ما سألتموه فأجلوهم عن هذه البلاد ، وتولوا عليهم هذه الأمور ، فأنتم والله أحق بهذا الأمر منهم ، فإنه بأسيافكم دان لهذا الدين من دان ممن لم يكن يَدِين . أنا جذيلها المحكك ، وعذيقها المرجب ، أما والله لئن شئتم لنعيدنها جذعة » .

(٣) الجذيل : مصغر الجذل ، بالكسر ، وهو العود ينصب للإبل الجربى تتحكك به . يقول : إنه يشتفى برأيه كما تشتفى الإبل بهذا الجذل الذى تحتك إليه .

(٤) العذيق : تصغير العذق ، بفتح العين ، وهو النخلة بحملها . والمرجب ، من =

جَذَعةً (١) . منّا أميرٌ ومنكم أمير ، فإنْ عمِل المهاجرىُّ شيئاً فى الأنصارىّ ردَّ ذلك عليه الأنصارىُّ ، وإنْ عمل الأنصارىُّ شيئاً فى المهاجرىّ ردَّ عليه المهاجرىّ » .

فأراد عمرُ الكلام فقال أبو بكر (٢) :

« على رِسْلك . نَحنُ المهاجرون ، أوَّلُ النّاسِ إسلاماً ، وأوسطهم دارا ، وأكرمُ النّاسِ أحساباً ، وأحسنُهم وجوها ، وأكثرُ النّاسِ ولادةً فى العرب ، وأمَسُّهم رَحِماً برسول الله ﷺ . أسلَمْنَا قبلكم وقُدِّمنا فى القرآن عليكم ، فأنتم إخوانُنا فى الدِّين وشركاؤُنا فى الفَىْء ، وأنصارُنا على العدوّ ، آويتم ونَصرتُم وآسَيتم ، فجزاكم الله خيراً . نحنُ الأمراءُ وأنتم الوُزراء .لا تَدِينُ العربُ إلَّا لهذا الحىِّ من قُريش ، وأنتم محقوقون ألَّا تَنْفَسوا على إخوانكم من المهاجرين ما ساق الله إليهم » .

قالوا : فإنَّا قد رضينا وسَلَّمْنا .

عيسى بن يزيد (٣) قال : قال أبو بكر رحمه الله :

= الترجيب ، وهو التعظيم . وهو أيضاً أن تضم أعذاق النخلة إلى سعفاتها ثم تشد بالخوص لئلا ينفضها الريح . وهو كذلك أن يوضع الشوك حوالى الأعذاق لئلا يصل إليها سارق ؛ وذلك إذا كانت غريبة طريفة . وقيل أن ترفد النخلة من جانب لتمنع من السقوط ، أى إن له عشيرة تعضده وتمنعه وترفده . بكل ذلك فسرت هذه الكلمة هنا .

(١) الجذَع : الصغير السن من الأنعام ، وهو أول ما يستطاع ركوبه والانتفاع به . وكانت العرب إذا طفئت الحرب بينهم يقول بعضهم متحديا : إن شئتم أعدناها جذعة ، أى أول ما يبتدأ فيها . اللسان (جذع) .

(٢) وكذا فى العقد (٤ : ٢٥٨ لجنة التأليف) . لكن فى نص الطبرى أن كلام أبى بكر سابق لما قيل من قبل . والخطبة برواية أخرى عند الطبرى فى (٣ : ٢٠١) وبرواية غير هذه فى (٣ : ٢٠٨) . وانظر العقد (٤ : ٢٥٨) وعيون الأخبار (٢ : ٢٣٣) .

(٣) هو عيسى بن يزيد بن بكر بن دأب ، وقد سبقت ترجمته فى (١ : ٣٢٤) . ما عدا ل : « ابن نذير » .

نحن أهلُ الله (١) ، وأقربُ النّاسِ بيتاً من بيت الله ، وأمسُّهم رحماً برسول الله ﷺ . إنَّ هذا الأمرَ إن تطاولَتْ له الخزرجُ لم تقصِّر عنه الأوس ، وإن تطاولتْ له الأوسُ لم تقصِّر عنه الخزرج . وقد كان بين الحيَّين قتلَى لا تُنسَى ، وجَرْحَى (٢) لا تُداوَى . فإنْ نَعقَ منكم ناعقٌ فقد جلس بين لَحْيَىْ أسدٍ (٣) ، يَضغَمه المهاجرىُّ ويجرحُه الأنصارىّ » .

قال ابن دَأبٍ (٤) : فرمَاهم واللهِ بالمُسْكِتَة .

* * *

من حديث ابن أبى سُفيان بن حويطب ، عن أبيه عن جده قال :

قَدِمْتُ من عُمرَتى فقال لى أهلى : أَعَلِمْتَ أنَّ أبا بكرٍ بالموت ؟ فأتيتُه فإذا عيناه تَذرِفان ، فقلت : يا خليفةَ رسول الله أليس كنتَ (٥) أوّلَ مَن أسلَمَ وثانىَ ٢٥٤
اثنينِ فى الغار ، فصدَقَتْ هجرتُك وحسُنَت نُصرْتُك ، ووَلِيتَ فأَحسنتَ صُحبتَهم ، واستعملتَ خيرَهم عليهم ؟! قال : وحسَناً ما صنعتُ ؟ قلت : نَعَمْ والله . قال : آللهِ (٦) ؟! واللهُ أشكَرُ له وأعلمُ به (٧) ، ولا يمنعُنى ذلك مِن أن أستغفرَ الله .

فما خرجتُ حتَّى مات .

* * *

---

(١) ذكرت علة تسمية قريش بهذا فى ثمار القلوب للثعالبى ٨ : ١٠ . فمنها مجاورتهم البيت ، وما تفردوا به من الإيلاف ، والوفادة ، والرفادة ، والسقاية ، والرياسة ، واللواء ، والندوة ، وكونهم على إرث إبراهيم ، وكونهم قبلة العرب وموضع حجهم .

(٢) ما عدا ل : « وجراح » .

(٣) اللحيان بفتح اللام : حائطا الفم ، وهما العظمان اللذان فيهما الأسنان .

(٤) ابن دأب : أحد رواة الأخبار . وهو عيسى بن دأب ، المترجم فى (١ : ٣٢٤) .

(٥) ما عدا ل : « أما كنت » .

(٦) ما عدا ل ، هـ : « والله » . وهمزة الاستفهام هنا عوض من واو القسم . انظر مثيلها فى قراءة : (ولا نكتم شهادةً ، آللهِ) . الآية ١٠٦ من سورة المائدة .

(٧) أى أشكَر لما صنعت وأعلم به .

أبو الخطاب الزُّرارىّ ، عن حَجناءَ بن جرير قال : قلت يا أبَه ، إنَّك لم تَهجُ أحداً إلّا وضعتَهُ ، إلّا التَّيم ؟ قال : لأنِّى لم أجدْ حسَباً فأضَعَه ، ولا بِناءً فأهدمَه !

قال · وقيل للفرزدق : أحسَنَ الكميتُ فى مدائحه ، فى تلك الهاشميّات ! قال : وجد آجُرًّا وجَصًّا فبَنَى (١) .

عامر بن الأسود قال : دخل رجلٌ من ولد عامر بن الظَّرِب (٢) على عمرَ بن الخطّاب رحمه الله ، فقال له : خبِّرْنى عن حالك فى جاهليّتك ، وعن حالك فى إسلامك . قال : أمّا فى جاهليَّتى فما نادمت فيها غير لُمة (٣) ، ولا هممت فيها بأَمَة ، ولا خِمتُ فيها عن بُهْمَةٍ (٤) ، ولا رآنى راءٍ إلّا فى نادٍ أو عشيرة ، أو حَمْل جريرة (٥) ، أو خيلٍ مُغيرة .

* * *

عَوانة (٦) قال : قال عمر : الرِّجال ثلاثة : رجل ينظُر فى الأمور قبلَ أن تقَعَ فيُصدِرَها مصدرَها ، ورجلٌ متوكِّل لا ينظُر فإذا نزلت به نازلةٌ شاوَرَ أهلَ الرّأى وقَبِل قولَهم ، ورجلٌ حائر بائر (٧) ، لا يأتمر رَشَداً ، ولا يُطيع مُرشِدا .

قال : كَلَّم عِلْباءُ بن الهيثم السَّدوسىُّ (٨) عمرَ بنَ الخطّاب فى حاجةٍ ، وكان

---

(١) الجص ، بكسر الجيم وفتحها : ذلك الذى يطلى به البناء .

(٢) سبقت ترجمته فى (١ : ٢٦٤) .

(٣) المنادمة : المرافقة والمشاربة . واللمة ، بضم اللام وتشديد الميم وتخفيفها : المثل والقرن والترب . ل : « أمة » تحريف . والكلام والقصة بصورة أخرى فى الإصابة ٧١٨٨ واللسان (لما ١٢٤) .

(٤) خام يخيم : نكص وجبن . والبهمة ، بالضم : الشجاع لا يدرى من أين يؤتى .

(٥) الجريرة : الجناية يجنيها الرجل . وحملها أن ينهض بتبعتها .

(٦) عوانة بن الحكم الكلبى ، المترجم فى (١ : ٣١٦) .

(٧) البائر : التائه لا يهتدى لشئ . والعبارة فى اللسان (بور) .

(٨) هو علباء بن الهيثم بن جرير السدوسى . كان أبوه ممن حارب كسرى فى وقعة ذى قار . وعلباء أدرك الجاهلية والإسلام . وشهد الفتوح فى عهد عمر ، ثم شهد الجمل فاستشهد بها . وكان أهل الكوفة قد أوفدوه إلى عمر فكان منه ما سرده الجاحظ . الإصابة ٦٤٤٣ .

أعورَ دميماً ، جيِّدَ اللسان حسنَ البيان ، فلما تكلم فى حاجته فأحسَنَ ، صَعَّد عمر بصَرَه فيه وحَدَره ، فلما أن قامَ قال : « لكلِّ أُناسٍ فى جُمَيْلهم خُبْر [1] » .

* * *

أُخبرنا عن عيسى بن يزيد [2] عن أشياخه قال :

قَدِم معاويةُ المدينةَ فدخل دارَ عثمان ، فقالت عائشةُ بنتُ عثمان : وا أبتاه ! وبكت ، فقال معاوية : أبِنْتَ أخى [3] إنَّ الناس أعطَوْنا طاعةً وأعطيناهم أماناً ، وأظهَرْنا لهم حِلماً تحتَه غَضَب ، وأظهروا لنا طاعةً تحتها حِقد ، ومع كلِّ إنسانٍ سيفهُ ، وهو يرى مكانَ أنصارِهِ ، وإنْ نكثْنا بهم نكثوا بِنا ، ولا ندرى أعلَيْنا تكون ٢٥٥
أم لنا ، ولأنْ تكونى بنتَ عمِّ أمير المؤمنين خيرٌ من أن تكونى امرأة من عُرْض المسلمين [4] .

[وقالت عائشة ابنة عثمان فى أبان بن سعيد بن العاصى [5] حين خطبها ، وكان نزل بأيْلة [6] وترك المدينة :

---

(١) الجميل : مصغر الجمل ، وروى : « فى جملهم » ويروى : « فى بعيرهم » . والخبر بضم الخاء : المعرفة والعلم . قال ابن الأثير : هو مثل يضرب فى معرفة كل قوم بصاحبهم . يعنى أن المسود يسود لمعنى ، وأن قومه لم يسودوه إلا لمعرفتهم بشأنه . انظر اللسان (جمل) والميدانى (٢ : ١١٤ – ١١٥) وماسبق فى (١ : ٢٣٨) .

(٢) ما عدا ل ، هـ : « أخبرنا عيسى بن يزيد » . وقد ترجم عيسى فى ٢٩٧ .

(٣) ما عدا ل : « يا ابنة أخى » .

(٤) من عرضهم ، بضم العين ، أى من عامتهم .

(٥) الخبر رواه الجاحظ فى الحيوان (٦ : ١٠٤ – ١٠٥) . وأبان هذا هو ابن سعيد بن العاص بن أمية عبد شمس ، كان رسول الله ﷺ قد خرج عام الحديبية فى آخر سنة ست ، يريد زيارة البيت ، فأرسل عثمان بن عفان إلى قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب ، فلقيه أبان بن سعيد حين دخل مكة أو قاربها ليجيره من قريش – وكان أبان لايزال على دين قومه – فأجاره حتى بلغ قريشاً الرسالة ، ثم أسلم أبان فى غزوة خيبر سنة سبع ، وتوفى فى خلافة عثمان سنة ٢٧ . السيرة ٧٤٥ والإصابة (١ : ١٠) .

(٦) أيلة ، بالفتح : مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلى الشام .

نزلتَ ببيت الضّبّ لا أنتَ ضائر عدوًّا ولا مستنفِعاً أنت نافعُ [(١)]]

* * *

أبو الحسن قال : قال سلامة بن رَوح الجُذَامىّ ، لعمرو بن العاص : إنّه كان بينكم وبين العرب باب [(٢)] فكسرتموه ، فما حملَكم على ذلك ؟ قال : أردنا أن نخرِجَ الحقَّ من جَفِير الباطل [(٣)] .

قدم ببيعةِ علىٍّ إلى الكوفة يزيدُ بن عاصِمٍ المحاربىّ ، فبايَعَ أبو موسى ، فقال عمّارٌ لعلىٍّ : والله لينقُضنّ عهدَه ، وليَحُلّن عَقدَه ، وليَفِرنّ جَهْدَه ، وليُسْلمنّ جُندَه .

وقال علىٌّ فى رواية الشَّعْبىّ : حملتُ إليكم دِرّةَ عمر [(٤)] لأضربَكم بها لتنتهوا فأبَيتم ، حتى اتخذتُ الخيزُرانةَ فلم تنتهوا . وقد أُرَى الذى تُريدون : السّيْف [(٥)] . وإنى لأُصلحُكم بفسادى [(٦)] .

* * *

(١) هذه التكملة من هـ والنسخة التيمورية فقط . وبيت الضب مثل فى الضيق والقلة ، كما هو مثل فى الاغتصاب . والمستنفع : طالب النفع ، عن ابن الأعرابى . وأنشد فى اللسان (١٠ : ٢٣٧) :

ومستنفع لم يجزه ببلائه نفعنا ، ومولى قد أجبنا لينصرا

(٢) ما عدا ل : « ناب » . وهو يعنى بذلك على بن أبى طالب .

(٣) الجفير ، بفتح الجيم : الكنانة والجَعْبة التى تجعل فيها السهام . ل : « حفير » ، محرفة .

(٤) الدرة ، بكسر الدال : درة السلطان التى يضرب بها .

(٥) ب والتيمورية : « الذى يريدون » حـ : « الذين يريدون » مع أثر تصحيح فى كلمة « الذى » ، وأرى هذا الأخير من تصرف قارئ . وأثبت ما فى ل . وسائر القراءات مُتّجهة أيضاً .

(٦) ما عدا ل ، هـ : « ولأنى لا أصلحكم بفسادى » محرفة .

كانت العادة فى كتب الحيوان

أنْ أجعل فى كلِّ مُصحفٍ من مصاحفها (١) عَشْرَ ورقاتٍ من مقطَّعات الأعراب ، ونوادرِ الأشعار ، لِمّا ذَكرتَ عَجَبكَ بذلك ، فأحببت أن يكون حظُّ هذا الكتاب فى ذلك أوفرَ إن شاء الله (٢) .

قال هَمّامٌ الرَّقَاشىّ (٣) :

أبلِغْ أَبا مِسمعٍ عنِّى مغلغَلةً ... وفى العتابِ حياةٌ بينَ أقوامِ (٤)
قدّمتَ قبلى رجالًا لم يكن لهمُ ... فى الحقِّ أن يَلجُوا الأبوابَ قُدّامى
لو عُدّ قبرٌ وقبرٌ كنتَ أكرمَهُم ... قبراً وأبعدَهم من منزل الذّامِ (٥)
حتّى جعلتُ إذا ما حاجتى عرضَتْ ... بباب دارِك أَدْلُوها بأقوامِ (٦)

وقال أبو العَرْفِ الطُّهَوىّ :

وَافَى الوفودُ فوافَى من بنى حَمِلٍ ... بَكرُ الوِفادة فاتِى السِّنِّ عُرزُومُ (٧)

---

(١) هكذا يستعمل الجاحظ المصحف بمعناه اللغوى ، وإن كان قد خصص منذ جمع القرآن بكتاب الله . وإنما سمى المصحف مصحفاً لأنه أصحف ، أى جعل جامعاً للصحف المكتوبة بين الدفتين . وانظر ما أشرت إليه فى مقدمتى لكتاب الحيوان من ختام كل جزء من أجزائه فى النسخة الشنقيطية بهذه العبارة : « تم المصحف ... من كتاب الحيوان ، ويليه المصحف ... » .

(٢) هذه العبارة جميعها وثيقة تدل على سبق كتاب الحيوان لكتاب البيان .

(٣) عبارة الإنشاد هذه ومقطوعتها ، هى من ل فقط . وقد سبقا فى (٢ : ٣١٦) .

(٤) المغلغلة : الرسالة تحمل من بلد إلى بلد . والبيت فى اللسان (غلل) بدون نسبة .

(٥) الذام : العيب . أراد أنه كريم الآباء والأجداد .

(٦) دلوت بفلان إليك : استشفعت به . وفيما سبق : « فقد جعلت إذا ما حاجة » .

(٧) أشير فى حواشى هـ إلى أنها فى نسخة : « من بنى جمل » بالجيم . والبكر ، بالفتح : الفتى من الإبل ، جعله بمنزلته فى شبابه وقوته . والفاتى : وصف من فتوَ يفتو فتاء ، والفتاء : الشباب . ل : « قانى » ما عدا ل : « فانى » كلاهما محرف . والعرزوم ، لم يرد فى المعاجم المتداولة ، وفيها : « العرزم » كجعفر ، و « العرزام » كقرطاس ، وهو القوى الشديد المجتمع . ل : « غرزوم » بالغين ، وليست له مادة فى المعاجم .

٢٥٦ كَزُّ المِلاَطَيْنِ فى السِّربال حيثُ مشى ... وفى المجالس لَحَّاظٌ زراميمُ (١)
لمَّا رأى البابَ والبَوّابَ أخرجه ... لُؤمٌ مُخالِطُه جُبْنٌ وتَجْزيم (٢)
قد كان لى بكُمُ عِلمٌ وكان لكُمْ ... مَمْشًى وراء ظُهورِ القوم معلومُ (٣)

وقال الحارث بن حِلِّزة – قال أبو عبيدة : [أنشدنيها أبو عمرو ، وليست إلا هذه الأبيات . و (٤)] الباقى مصنوع :

يأيُّها المُزْمِعُ ثمَّ انثَنى ... لا يَثنِك الحازى ولا الشّاحجُ (٥)
ولا قعيدٌ أعْضبٌ قَرنُه ... هاجَ لَهُ من مَرتَعٍ هائجُ (٦)
بينا الفَتَى يَسْعَى ويُسْعَى له ... تاحَ لهُ من أمره خالجُ (٧)
يترُكُ ما رَقَّحَ من عَيشِه ... يعيثُ فيه هَمَجٌ هامِجُ (٨)

---

(١) الكز : الصلب الشديد . والملاطانِ : العضدان . واللحّاظ : الشديد اللحظ . والزراميم ، هى فيما عدا ل : « رزاميم » وكلاهما محرف . ولعل أولاهما « زراهيم » وليس من مادة هذه الأخيرة فى المعاجم إلا قول صاحب القاموس : « الزراهمة ، كعلابطة : الغليظة والعتيقة » .

(٢) التجزيم : الجبن والعجز ، يقال جزم عنه وجزم ، بتخفيف الزاى وتشديدها . ل : « وتحزيم » صوابه بالجيم كما فى سائر النسخ .

(٣) ل : « شمساً وراء » ، تحريف .

(٤) موضع هذه التكملة بياض فى ل فقط ، والكلام متصل فى غيرها من النسخ . وقد سددت هذه الخلة من رواية هذا النص فى الحيوان (٣ : ٤٩٩) حيث رويت الأبيات شاهداً من الجاحظ لإنكار بعض العرب الطيَرة . وكذا أنشدها فى البخلاء ١٣٨ .

(٥) الحازى : زاجر الطير ، أو الكاهن . والشاحج : الغراب يشحج بصوته .

(٦) القعيد : ماجاء من ورائك من ظبى أو طائر . والأعضب : المكسور القرن . وفى بعض روايات الحيوان : « من مربع » .

(٧) تاح : قدر أو تهيأ . والخالج : ما يختلج المرء وينتزعه من موت ونحوه .

(٨) رقح : أصلح . ل : « يعيش فيه » ، وأبت ما فى الحيوان والبخلاء وما عدا ل . كما أنشده فى اللسان (همج ، رقح) . والهمج : الأخلاط والذين لا نظام لهم . والهامج : الذى يموج بعضه فى بعض ، أو هذا على المبالغة والتوكيد ، كقولهم : ليل لائل .

قلت لعمرٍو حينَ أرسلتُه   وقد حَبا مِن دوننا عالجُ (١)
لا تَكْسَع الشَّوْلَ بأغبارها   إنّك لا تدرى مَن الناتجُ (٢)
واصبُبْ لأضيافك ألبانَها   فإنّ شَرَّ اللبنِ الوالجُ (٣)

وقال زَبّان بن سيّار بن جابر (٤) :

تخَبّـرَ طِيرةً فيها زيـادٌ   لتخبِرَه وما فيها خبيرُ (٥)
أقامَ كأنَّ لقمانَ بنَ عادٍ   أشارَ له بحكمته مشيرُ

---

(١) حبا له الشيء : اعترض . وفى أمثال الميدانى (١ : ٣٣٦) : « من دونها » ، قال : « والهاء للابل » . وعالج : رملة بالبادية بين فيد والقريات ، ينزلها بنو بحتر ، من طيئ . وعمرو هذا ، هو ابن الحارث بن حلزة ، كما نص الميدانى فى الأمثال .

(٢) الكسع : ضرب الماء على الضرع ليرتفع اللبن فتسمن الناقة ، أو يسمن أولادها فى بطنها . والشول ، بالفتح : جمع شائلة ، وهى التى أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فخف لبنها . والأغبار : جمع غبر بالضم ، وهو بقية اللبن فى الضرع . انظر الكامل ٢١٣ ليبسك .

(٣) الوالج : الداخل ، أراد ما يرد إلى الضرع بأن يرش عليه الماء ، وذلك هو الكسع . وقيل : أراد إن شر اللبن ما يلج البيت ، أى يدخله ، يحثه بذلك على بذل اللبن للضيف ، وإيثاره على نفسه وولده . نص على المعنيين فى مجمع الأمثال .

(٤) زبان هذا فزارى ، ذكره ابن قتيبة فى المعارف ٥١ ، وهو صهر للنابغة ؛ وفيه يقول (ديوانه ٤٥) :

ألا من مبلغ عنى خزيما   وزبان الذى لم يرع صهرى

وكانت أم زبان إحدى نساء بنى مرة رهط النابغة ، وكان من خبر ذلك الشعر ما رواه الجاحظ فى الحيوان (٣ : ٤٤٧) ، أن النابغة خرج مع زيان بن سيار يريدان الغزو ، فبينا هما يريدان الرحلة إذ نظر النابغة وإذا على ثوبه جرادة تجرد ذات ألوان ، فتطير وقال : غيرى الذى خرج فى هذا الوجه . فلما رجع زبان من تلك الغزوة سالماً غانماً قال ... » وأنشد الشعر . ومثلهُ فى الحيوان (٥ : ٥٥٥) . وانظر عيون الأخبار (١ : ١٤٦) والعمدة (٢ : ٢٠٢) والمستطرف للأبشيهى (١ : ٥٤) .

(٥) تخبرها : سألها أن تخبره . ل ، هـ : « تخير » تحريف . والطيرة ، بالكسر هنا ، وتقال أيضاً بكسر ففتح : اسم من تطير بمعنى تشاءم . وفى بعض نسخ الحيوان : « طَيره » ، وهو الأوفق . وزياد : اسم النابغة الذبيانى ، وهو زياد بن معاوية بن ضباب بن جابر بن يربوع بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان . الشعراء ١١٥ والأغانى (٩ : ١٥٤) والخزانة (١ : ٢٨٠) والمؤتلف والمختلف ١٩١ . الخبير : العالم ، والمخبر بالأمر أيضاً .

تعلَّمْ أنّه لا طَيرَ إلّا على متطيِّرٍ وهو الثُّبورُ [١]

بَلَى شيءٌ يوافقُ بعضَ شيءٍ أحايِيناً وباطلُه كثير

ومن يُنْزَحْ به لابدَّ يوماً يجيء به نَعِيٌّ أو بشير [٢]

وقال بعض الأعراب [٣] :

نَعجيبَة بطَّالٍ لَدُن شبَّ هَمُّه لِعَابُ الغَوَانى والمُدَام المُشَعْشَعُ [٤]

٢٥٧ جَلَا المسكُ والحَمَّام والبِيضُ كالدُّمَى وفَرْق المَدَارَى رأسَه فهو أنـزعُ [٥]

أُسَيلِمُ ذاكُم لاخَفَا بمكانِه لعينِ تَدَحَّى أو لأذنٍ تَسَمَّعُ [٦]

---

(١) الطير ، بالفتح : اسم من التطير أيضاً . والثبور : الهلاك .

(٢) البيت لم يرو فى الحيوان ، وأنشده فى اللسان (نزح) بدون نسبة ، قال : « وقد نزح بفلان ، إذا بعد عن دياره غيبة بعيدة » . ونسب فى التاج (نزح) إلى النابغة خطأ .

(٣) هو أبو الربيس الثعلبى ، أحد لصوص العرب ، من بنى ثعلبة بن سعد بن ذبيان . الخزانة (٢ : ٥٣٢) . على أن الجاحظ قد خلط هنا بين شعرين ، أحدهما لأبى الربيس الثعلبى يمدح به عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ، وكان أبو الربيس قد سرق ناقته بعد ماصنعها وعلفها . والشعر الآخر لأحد الأغفال ، يمدح فيه أسيلم بن الأحنف الأسدى ، أحد سادات العرب زمان عبد الملك بن مروان . انظر الخزانة . وقد سبق بعض أبيات هذه المقطوعة فى (١ : ٣٩٦) .

(٤) البطال : الشجاع يبطل جراحته فلا يكترث لها ، أو تبطل عنده دماء الأقران . واللعاب : الملاعبة . والمدام : الخمر . والمشعشع : الممزوج بالماء . ويروون أن أبا الربيس لما قال هذا الشعر ومدح به صاحب الناقة ادعت فتيان قريش كلهم هذه الناقة ، وإنما كانت لعبد الله . قال السكرى : فعمد رجل من الموالى إلى نجيبة فصنعها وعلفها وجعلها فى موضع تلك الناقة ، رجاء أن يسرقها أبو الربيس فيمدحه . فمر بها أبو الربيس فطردها وقال – قال أبو عبيدة : بل قال هذه الجون المحرزى –:

نجيبة عبد دانها القت والنوى بيثرب حتى نيها متظاهر

وستأتى هذه المقطوعة بعد التالية .

(٥) المدارى ، بكسر الراء وفتحها : جمع المدرى ، وهى حديدة كالمسلة يصلح بها الشعر . ما عدا ل : « وطيب الدهان رأسه » . وفى الحيوان (٣ : ٤٨٦) ورسائل الجاحظ ٧٩ ساسى : « جلا الأذفر الأحوى من المسك فرقه » وطيب الدهان » .

(٦) أسيلم هذا ، هو أسيلم بن الأحنف الأسدى ، كما فى رسائل الجاحظ والخزانة وفى حواشى نسخة (E) من أصول الكامل ١٠٣ ليبسك عند قوله : « قال عبد الملك بن مروان لأسيلم بن الأحنف الأسدى : ما أحسنُ ما مدحت به ؟ » هذه العبارة : « كذا وقع . ويروى : لأسيلم بن الأحنف . =

مِن النفَر الشُّمِّ الذين إذا انتمَوْا ... وهابَ الرِّجالُ حَلقةَ الباب قعقعوا (١)

إذا النَّفرُ السُّودُ اليَمانون حاولوا ... له حَوكَ بُرديهِ أرقُّوا وأوسَعوا (٢)

وقال بعضُ الأعراب :

ألبانُ إبْلِ تَعِلّةَ بن مسافرٍ ... ما دام يملكُها علىَّ حرامُ (٣)

وطعامُ عمرانَ بنِ أوفَى مثلُه ... ما دام يَسلُكُ فى البطون طعامُ

إنّ الذين يسوغ فى أعناقهم ... زادٌ يُمَنُّ عليهمُ لَلِئامُ (٤)

لعنَ الإلٰهُ تَعِلّةَ بنَ مُسافرٍ ... لَعناً يُشَنُّ عليه من قُدّامُ

وقال بعض الأعراب (٥) :

نَجيبَةُ قَرْم شادها القَتُّ والنَّوَى ... بيثربَ حتى نَيُّها متظاهرُ (٦)

فقلت لها : سيرى فما بكِ عِلَّةٌ ... سَنامُك ملمومٌ ونابُك فاطرُ (٧)

= والصحيح لأسلم بن الأجنف ، بالجيم والنون كذا ذكره الدارقطنى فى المؤتلف والمختلف » . تدحى : تتدحّى ، أى تتبسط ، كما فى القاموس . ما عدا ل : « تدجى » وهذه محرفة .

(١) النفر : اسم جمع يقع على جماعة من الرجال خاصة ، مابين الثلاثة إلى العشرة ، ولا واحد له من لفظه . أطلقه على الكرام إشارة إلى أنهم ذوو عدد قليل . والشم : جمع أشم ، وهو من به شمم ، أى كِبر ونخوة ، وأصل الشمم ارتفاع الأنف . وفى نوادر القالى ١٦٤ : « من النفر البيض » . انتموا : انتسبوا . ل فقط : « انتجوا » ولا وجه هنا . ويروى : « اعتزَوْا » بمعنى انتسبوا أيضاً ، كما فى الخزانة . ويروى : « وهاب اللئام » . حلقة الباب ، أى باب الملك ، يقول : هم ذوو مكانة عند الملوك .

(٢) الحوك : النسج .

(٣) الأبيات رواها الجاحظ أيضاً فى البخلاء ١٦٥ . وفى البخلاء : « تعلة بن مساور » .

(٤) فى أعناقهم ، أى فى حلوقهم . وهذه الرواية هى أيضاً رواية البخلاء . وفيما عدا ل : « فى أحلاقهم » ، وهى صحيحة كتلك ، وأنشدها فى اللسان (حلق) شاهدا لجمع الحلق على « أحلاق » جمع قلة ، والكثير « حلوق » و « حُلُق » ، والأخيرة عزيزة .

(٥) هو أبو الربيس الثعلبى ، أو الحون المحرزى ، كما سبق فى الحاشية ٤ ص ٣٠٥ . وأنشد الجاحظ الأبيات فى الحيوان (٣ : ٤١٥) بدون نسبة .

(٦) القرم ، بالفتح : الفحل الكريم . وفى جميع النسخ : « قوم » ، صوابه من الحيوان . شادها القت والنوى ، أى نماها تناول هذا العلف . والنّىّ ، بكسر النون وفتحها : الشحم . والمتظاهر : الذى ركب بعضه بعضا .

(٧) ملموم : مجتمع مستدير . وروى : « مدموم » ، وهو المتناهى السمن . فاطر ، من قولهم : فطر ناب البعير ، إذا شق وطلع . ل : « فإنك عمة » ، تحريف .

فمثلَكِ أو خيراً تركتُ رذِيَّةً ... تقلِّب عينيها إذا مرّ طائرُ (١)

وقال بعض الأعراب – مجهولُ الاسم – وهو من جيِّد مُحْدَث أشعارهم :

حَفرْنا على رغم اللهازم حُفرةً ... ببطن فُلَيجٍ والأسنَّةُ جُنَّحُ (٢)

وقد غَضِبوا حتى إذا مَلئُوا الرُّبَى ... رأوا أن إقراراً على الضَّيم أروَحُ (٣)

وقال رجلٌ من مُحارِب :

وقائلةٍ : تطوَّفْ فى جِدَادٍ ... وأنت ، إخالُ ، معطًى لو تقوم (٤)

فقلت : الضَّارباتُ الطَّلْحَ وَهْناً ... على يُمن إذا وضَحَ النجوم (٥) ٢٥٨

قَصَرنَ عَلَىَّ بعد الله فَقرِى ... فلا أسَلُ الصَّديقَ ولا ألومُ (٦)

وقال بعض الطائيِّين ، وهو حاتم :

وإنِّى لأستحيِى حياءً يسرُّنى ... إذا اللؤمُ مِن بعض الرِّجال تَطلّعا (٧)

---

(١) الرذية : المهزولة من السير . وإنما تقلب عينيها مخافة الطائر أن يقع على ما بها من دَبَر فيأكلها .

(٢) اللهازم ، هم بنو تيم الله بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل . المعارف ٤٣ ، ٤٤ . فليج : واد يصب فى فلج ، بين البصرة وضرية . جنح : مائلات للطعن ، جمع جانحة .

(٣) أى قبول الضيم – وهو الظلم ونقص الحق – أروح لهم وأجلب للسرور .

(٤) الجداد بفتح الجيم وكسرها : أوان صرام النخل ، وهو قطع ثمره .

(٥) الطلح : شجر هو أعظم العضاه وأكثره ورقا . وفى حاشية هـ ، والتيمورية : « الضاربات الطلح ، يعنى بها الفؤوس . وقيل يعنى المغازل . يريد بذلك أن بناته يعيشنه بغزلهن ، أو يحتطب فيضرب بالفؤوس الطلح ويستغنى عن الناس » . انظر نحو هذا المعنى فى مجالس ثعلب ١٧٤ – ١٧٥ . وهنا ، أى بعد ساعة من الليل .

(٦) قصرنه : حبسنه ومنعنه . أسل : أسأل . يقال سأل يسأل ، وسال يسال ، وسال يسَل . يقول : لا أضطر إلى سؤال الصديق ، ولا ألومه إذا منع .

(٧) الأبيات فى ديوان حاتم ١١٤ من مجموع خمسة دواوين ، وحماسة أبى تمام (٢ : ٢٣٢) وأمالى القالى (٢ : ٣١٨) وعيون الأخبار (١ : ٣٤٣) . وهذا البيت وتاليه لم يرويا فى مرجع من هذه المراجع .

إذا كان أصحابُ الإناء ثلاثةً   حَيِيًّا ومُستَحياً وكلْباً مُجَشَّعَا [١]

فإنى لأستحيِى أُكيلِىَ أن يُرَى   مكانُ يدى من جانب الزَّاد أقرعا [٢]

أُكُفُّ يدى من أن تَمَسَّ أكُفَّهم   إذا نحن أهْوَينا وحاجتُنا معا [٣]

وإنَّك مهما تُعطِ بطنَك سُؤْلَه   وفَرجَك نالا منتهى الذمِّ أجمعا [٤]

وقال ، وأظنُّها لبعض اليهود :

وإنى لأستبقِى ، إذا العُسْر مَسَّنى،   بشاشةَ وجهى حين تَبلى المنافــعُ

وأُعفِى ثَرَا قومى ، ولو شئت نَوَّلوا   إذا ما تشكَّى المُلحِفُ المتضارِع [٥]

مخافةَ أن أُقلَى إذا جئتُ زائراً   وتُرجِعَنى نحوَ الرِّجال المطامعُ [٦]

فأُسْمَعَ مَنًّا أو أُشَرَّفَ مُنعِماً   وكلُّ مُصادِى نعمةٍ متواضعُ [٧]

---

(١) المجشع : وصف لم يرد فى المعاجم المتداولة . عنى به الحريص على الطعام .

(٢) فى الديوان : « وإنى لأستحيى صحابى أن يروا » . وفى الأمالى والحماسة وعيون الأخبار : « وإنى لأستحيى رفيقى أن يرى » .

(٣) فى الحماسة والأمالى :

أكف يدى عن أن ينال التماسها   أكف صحابى حين حاجاتنا معا

وفى عيون الأخبار :

أكف يدى من أن تنال أكفهم   إذا ما مددناها وحاجتنا معا

وفى الديوان :

أقصر كفى أن تنال أكفهم   إذا نحن أهوينا وحاجاتنا معا

(٤) بعده فى الديوان :

أبيت خميص البطن مضطمر الحشا   حياء أخاف الذم أن أتضلعا

وهو فى الحماسة والأمالى بعد البيت الثالث ، بهذه الرواية :

أبيت هضيم الكشح مضطمر الحشا   من الجوع أخشى الذم أن أتضلعا

(٥) نولوا ، أى نولونى . والنوال : العطاء . الملحف : المبالغ فى السؤال . المتضارع ، عنى به من يتكلف الضراعة ، أى الذُّل والخضوع . وهذا الوصف وفعله مما لم يرد فى المعاجم .

(٦) أقلى : أبغض . ورجعه إلى الشئ : رده .

(٧) المن : أن يفخر على من أنعم عليه بالإحسان ، ويبدئ فى ذلك ويعيد . والمصاداة : المقابلة ، والعناية بالشئ ، والمداراة والمداجاة .

وقال بعضُ بنى أسد :

أَلَا جعَلَ اللهُ اليمانِينَ كلَّهم   فِدًى لفتًى الفتيان يحيى بنِ حيَّانِ
ولـولا عُرَيـقٌ فِيَّ مِنْ عَصَبيَّةٍ   لقلتُ وألفاً من مَعدِّ بن عدنانِ (١)
ولكنَّ نفسى لم تَطِبْ بعشيرتى   وطِبتُ له نفساً بأبناءِ قحطانِ

٢٥٩ وقال ثَرْوان – أو ابن ثروان – مولًى لبنى عُذْرة (٢) :

لو كنتُ مولَى قيسِ عيلان لم تَجِدْ   عَلَيَّ لإنسانٍ من النّاس درهما
ولكنَّنى مولى قُضاعة كلِّها   فلستُ أبالى أن أدينَ وتَغرما (٣)
أُولئِك قَومى بارَكَ اللهُ فيهمُ   عَلَى كلِّ حالٍ ما أَعفَّ وأَكرَما
جُفاةُ المَحَزِّ لا يُصِيبون مَفصِلًا   ولا يأكلون اللَّحم إلّا تَخذُّما (٤)

وقال آخر (٥) :

أَيَا ابنةَ عبد الله وابنةَ مالكٍ   ويا ابنةَ ذِى البُردَينِ والفَرسِ الوَردِ (٦)

---

(١) ل : « لقلت أناس » .

(٢) الشعر روى لشقران مولى بنى سلامان بن سعد بن هذيم ، كما فى حماسة أبى تمام (٢ : ٢٧٤) وشروح سقط الزند ٥٩١ . وقد سبق بعض هذه الأبيات فى (١ : ١٠٧) .

(٣) يقول : لو كان ولائى فى قيس عيلان لم أقترض من أحد درهما ، ليأسى من أن يؤدوه عنى ، ولكن ولائى فى قضاعة ، فلست أبالى أن أستدين ، فإنهم لا جَرَمَ يؤدون عنى ما اقترضت .

(٤) المحز : مصدر ميمى من الحز ، وهو القطع . التخذم : قطع اللحم بالسكين . يقول:هم سادة نشئوا على السيادة وعودوا أن يكون مخدومين لا خادمين ، فليس لهم بصَر بجزر الإبل وتفصيل أعضائها ، وهم إذا أكلوا اللحم على موائدهم لم يتناولوه إلا قطعاً بالسكاكين لا نهشاً بالأسنان . والعرب تعد الجهل بجزر الإبل مدحاً ، والمعرفة به ذما . انظر شروح سقط الزند .

(٥) هو حاتم الطائى ، كما فى شرح التبريزى للحماسة (٤ : ٢٠٥) . وانظر الحماسة (٢ : ٢٠٩) حيث أورد أبو تمام الأبيات بدون نسبة . ولم ترو الأبيات فى ديوان حاتم . وفى الأغانى (١٢ : ١٤٤) أنها لقيس بن عاصم ، يقولها لزوجه منفوسة بنت زيد الفوارس الضبى ، وكانت قد أتته فى الليلة الثانية من بنائه بها بطعام . فقال لها : فأين أكيلى ؟ فلم تعلم ما يريد ، فقال الشعر فى ذلك .

(٦) ابنة عبد الله ، هى ماوية بنت عبد الله ، زوج حاتم . وذو البردين : عامر بن أحيمر =

إذا ما عمِلتِ الزَّادَ فالتمسى لهُ　　أكيلًا فإنى غيرُ آكِلِهِ وَحْدِى [١]
كريماً قَصِيًّا أو قريباً فإنَّنى　　أخافُ مَذمّاتِ الأحاديثِ مِن بعَدى
وكيف يُسِيغ المرءُ زاداً وجارُهُ
خفيفُ المِعَى بادِى الخَصَاصَةِ والجَهْدِ [٢]
وللموتُ خَيرٌ من زيارةِ باخلٍ　　يلاحظ أطرافَ الأكيل على عَمد
وإنّى لَعبدُ الضَّيعف مادام ثاوياً　　وما فِىَّ إلا تلكَ من شِيمة العَبدِ [٣]

وقال ابن عَبدلٍ [٤] :

ولو شاء بِشْرٌ كان من دُونِ بَابِه　　طَماطمُ سُودٌ أو صَقالبةٌ حُمرُ [٥]
ولكنّ بشراً سَهَّل البابَ للّتى　　يكون لبشرٍ غِبُّها الحَمدُ والأجْرُ [٦]
بعيدُ مَرادِ العين ماردَّ طرفَه　　حِذارَ الغَواشِى بابُ دارٍ ولا سِترُ [٧]

= ابن بهدلة ، كان المنذر بن ماء السماء قد أخرج يوماً بردين يبلو بهما الوفود ، وقال : ليقم أعز العرب قبيلة فليأخذهما . فقام عامر فأخذهما واتزر بأحدهما وارتدى بالآخر . فى حديث طويل رواه التبريزى .

(١) فى الحماسة : « إذا ماصنعت الزاد » . والأكيل : من يؤاكلك . وفى الحماسة : « فإنى لست آكله » .

(٢) هذا البيت وتاليه لم يروهما أبو تمام ولا أبو الفرج . والمعى بفتح الميم وكسرها : واحد الأمعاء . والخصاصة : الفقر وسوء الحال .

(٣) ما عدا ل : « من مهنة العبد » .

(٤) الحكم بن عبدل الأسدى ؛ ترجم فى ص ٧٤ من هذا الجزء .

(٥) بشر هذا ، هو بشر بن مروان ، وكان له به خاصة ، وولد لحكم بن عبدل ولد فسماه بشراً ودخل عليه فقال :

سميت بشراً ببشر الندى　　فلا تفضحنى بتَصداقها

الأغانى (٢ : ١٥٣) . وقد ترجم بشر فى (٢ : ٢١١) . الطماطم : جمع طمطم بكسر الطاءين ، وهو الأعجم الذى لا يفصح بالعربية . والصقالبة : جمع صقلبى ، نسبة إلى صقلب ، وهى بلاد بين بلغار وقسطنطينية . والتاء فى مثل الصقالبة ، هى التى يقال فيها إنها عوض عن ياء النسب فى المفرد ، كقولهم المهالبة والأشاعثة . همع الهوامع (٢ : ١٧٠) .

(٦) غبها : بعدها ، وعاقبتها . هـ : « عندها » .

(٧) مراد العين : موضع ارتيادها وتجوالها . والغواشى : الدواهى تغشى المرء .

وقال بعضُ الحجازيِّين (١) :

٢٦٠ لو كنت أحمل خَمراً يوم زرتُكمُ … لم ينكر الكلبُ أنّى صاحب الدار
لكن أتيتُ وريحُ المسك يَفْعَمنى … والعنبرُ الوردُ أُذكيه على النّارِ (٢)
فأنكرَ الكلبُ رِيحى حينَ أبصرَنى … وكان يعرف ريح الزِّقِّ والقارِ

وقال ابن عَبدلٍ :

نِعمَ جَارُ الخنزيرة المُرضع الغَرْ … ثَى إذا ما غَدَا ، أبو كلثومِ (٣)
طاوياً قد أصابَ عند صديقٍ … من غِذاء مُلبَّقٍ مأدومِ (٤)
ثمّ أنحَى بجَعرِهِ حاجِبَ الشّمْـ … ـسِ فألقَى كالمِعلِف المهدومِ (٥)

وقال حبيب بن أوس :

وحياةُ القريض إحياؤُك الجُو … دَ فإنْ مات الجُودُ مات القريضُ (٦)
يا مُحبَّ الإحسان فى زمنٍ أصبـ … ـحَ فيه الإحسان وهو بغيض

---

(١) ورد الشعر فى الحيوان (١ : ٣٨٠) ، والبخلاء ٢٠٢ بدون نسبة معينة . وقد نسب فى الحماسة (٢ : ٢٣٢) إلى مالك بن أسماء الفزارى المترجم فى (١ : ١٤٧) .

(٢) فعمه الطيب وفغمه : ملأ خياشيمه . والورد : ما لونه الوُرْدة ، وهى لون بين الكمتة والشقرة . ويقال مسك ذاكٍ : ساطع الرائحة . وأما أذكى المسك فهو مما لم يرد فى المعاجم ، أراد أظهر طيبه بإلقائه على النار ، كما تذكى النار ، أى يتمم إشعالها .

(٣) الأبيات فى الحيوان (١ : ٢٣٦ / ٤ : ٦٤) . والغرثى من الغرَث ، وهو شدة الجوع .

(٤) الطاوى : الجائع . الملبق : الملين بالدسم . وفى الحيوان: « من ثريد ملبق » . والمأدوم : المخلوط بالأدم ، وهو ما يخلط به الخبز .

(٥) الجعر ، بالفتح : ما يبس من النجو . أنحى به : قصد به واعتمد . والمعلف ، بكسر الميم وفتحها : موضع العلف .

(٦) من قصيدة له فى ديوانه ١٨١ – ١٨٣ يمدح بها أبا المغيث موسى بن إبراهيم الرافقى ، مطلعها :

وثناياك إنها إغريض … ولآل تؤم وبرق وميض

القريض : الشعر . ما عدا ل : « فإن مات الجواد » ، ولا يستقيم به الوزن .

وقال :

ثم اطّرحتم قَراباتى وآصِرتى … حَتَّى توهمتُ أنّى من بنى أسدِ (١)

وقال (٢) :

وطلعةُ الشِّعر أقلَى فى عيونهمُ … وفى صدورهِمُ من طلعةِ الأسَدِ (٣)

وقال :

إيّاكَ يعنِي القائلُون بقولهم : … إنَّ الشّقِىّ بكلِّ حبلٍ يُخنَقُ (٤)

سِرْ حيثُ شئتَ من البلاد فلى بها … سُورٌ عليك من الرِّجالِ وخندقُ (٥)

وقال (٦) :

مِن شاعر وقَفَ الكلامُ ببابِه … واكتَنَّ فى كنفَىْ ذَراهُ المنطقُ (٧)

قد ثَقَّفت منه الشآم ، وسَهَّلت … منه الحجازُ ، ورقَّقته المَشرِقُ (٨)

وقال :

بنو عبد الكريم نجومُ ليل … تُرَى فى طَيِّئٍ أبداً تَلُوحُ (٩)

---

(١) من قصيدة لأبى تمام فى ديوانه ٤٩٢ – ٤٩٣ ، يقولها فى عياش .

(٢) هذه الكلمة من ل فقط . وبين هذا البيت وسابقه :

ثم انصرفت إلى نفسى لأظأرها … إلى سواكم فلم تهشش إلى أحد

ومدح من ليس أهل المدح أحسبه … نفسى تفصَّلُ من قلبى ومن كبدى

قوم إذا أعين الآمال جُلْنَهُمُ … رجعن مكتحلات عائر الرمد

(٣) أقلى : أبغض . ما عدا ل : « وطلعة الحمد » .

(٤) من قصيدة له فى ديوانه ٤٩٩ – ٥٠٠ يهجو فيها عتبة بن أبى عاصم . ل : « بشعرهم » وأشير فى هامشها إلى رواية : « بقولهم » فى إحدى النسخ .

(٥) هذا البيت فيما عدا ل متأخر عن تاليه . والوجه ما فى ل .

(٦) هذه الكلمة من ل فقط . وبين البيت التالى وسابقه :

وقبيلة يدع المتوج خوفهم … وكأنما الدنيا عليه مُطْبِقُ

وقصائد تسرى إلى كأنها … جن تهافت أو هموم طرق

من منهضاتك مقعداتك خائفاً … مستوهلا حتى كأنك تطلق

المطبِق : السجن تحت الأرض .

(٧) اكتن : استتر . الذرا ، بالفتح : الكنف والظل .

(٨) أى بلاد المشرق .

(٩) من قصيدة له فى ديوانه ٤٩١ – ٤٩٣ يهجو بها عتبة .

٢٦١ إذا كان الهجاءُ لهم ثوابــاً … فخبِّرنى لمن خُلِق المديح (١)

وقال :

أىُّ شئٍ يكون أحسَنَ من صـ … ـبٍّ أديبٍ متيَّمٍ بأديبِ (٢)

وقال :

نَقِّلْ فؤادَكَ حيث شئتَ من الهوى … ما الحبُّ إلا للحبيبِ الأوّلِ (٣)
كم منزلٍ فى الأرض يألَفه الفتى … وحنينُــه أبــداً لأوّلِ مَنــزِلِ

وقال :

اشرَبْ فإنّكَ سوف تعلَمُ أنّــهُ … قَدَحٌ يصيب العِرضَ منه خُمارُ (٤)
غاداك إُسوار الكــــلام بشُرُدٍ … عُونِ القَريض حُتوفُها أبكـارُ (٥)
غُرَرٌ منى ماشئتُ كنَّ شواهـدى … إن لم يكــن لى والِــدٌ عطّــارُ

وقال سَلَمة بن الخُرشُب الأنمارىّ (٦) :

أبلــغ سُبَيْعــاً وأنت سَيِّدُنـــا … قِدْماً وأوفَى رجالنا ذِمَمـــا (٧)

---

(١) بين هذا البيت و سابقه فى الديوان :

فلا حسب صحيح أنت فيه … فتكثرهم ولا عقل صحيح

(٢) من قصيدة فى ديوانه ٤٣٤ .

(٣) من أبيات أربعة فى ديوانه ٤٥٧ . وقبلهما :

البين جرَّعَنى نقيع الحنظل … والبين أثكلنى وإن لم أثكل
ما حسرتى أن كدت أقضى إنما … حسرات قلبى أننى لم أفعل

(٤) من قصيدة له فى ديوانه ٤٩٥ يهجو بها محمد بن وهب الحميرى الشاعر . وقبله :

أشرعت فى بحر الجهالة سادرا … والجهل فى بعض الهنات عقار

وفى الديوان : « فاشرب » . والخمار ، بالضم : أثر السكر .

(٥) غاداه : باكره وغدا عليه . ماعدا ل ، هـ : « عاداك » تحريف . الأسوار ، بكسر الهمزة وفتحها : الجيد الرمى بالسهام . وفى الديوان : « مختار الكلام » . والشرد : جمع شاردة ، وهى القصيدة تذهب كل مذهب . العون : جمع عوان ، وهى الثيب . عنى أنها ليست بكرا فى النشيد ، فهى ماتزال يتناشدها الرواة و يتداولونها ، وأما ماتجلبه من الحتف للمهجو فهو بكر فى أثره و شدة وقعه .

(٦) ترجم فى (١ : ٢٣٨) . التيمورية : « سملة » . هـ و التيمورية ، ب ، حـ : « بن الحارث » كلاهما تحريف .

(٧) سبقت هذه الأبيات فى (١ : ٢٣٩) .

أنَّ بغيضاً وأنّ إخوتَها ذُبيانَ قد ضَرّموا الذى اضطرما
نُبِّئت أنْ حكّموكَ بينهمُ فلا يقولَنَّ : بئس ماحكَما
إن كنت ذا عِرفَةٍ بشأنِهمُ تعرفُ ذا حَقِّهم ومن ظَلَما (١)
وتُنزِلُ الأمرَ فى منازله حَزماً وعزماً وتُحضِرُ الفَهَما (٢)
ولا تُبالى مِن المحقّ ولا المُبْـ ـطِل لا إلَّةً ولا ذِمَما
فاحكمْ وأنتَ الحكيمُ بينهمُ لن يَعدَمُوا الحكَمَ ثابتاً صَتَما (٣)
واصدَعْ أديمَ السَّواءِ بينهم على رِضا من رَضِى ومن رَغِما
إن كان مالٌ فقضٌ عِدَّته مالاً بمالٍ وإنْ دَماً فَدَما (٤)
هذا وإن لم تُطِقْ حُكومتَهم فانْبِذْ إليهم أمورهَم سَلَما (٥) ٢٦٢

وقال آخر :

أبلغ ضِرَاراً أبا عمرو مغلغَلةً أنْ كانَ قولُك ظَهرَ الغَيب يأتينا (٦)
اِرهَن قَبيصةَ إن صلحٌ هممتَ به إنّ ضراراً لكم رَهْنٌ بما فينا
إنّ ضُحَيكاً قتيلٌ من سَرَاتكم وإنّ حِطّان مِنّا ، فاعدِلوا الدِّينا (٧)
وانْهَ عُبيداً فلا يؤذِى عشيرتَه نَهيُكَ خَيرٌ له من نَهيِ ناهينا

---

(١) يقال عرفه يعرفه عِرفة ، وعِرفانا ، وعِرِفّانا ، ومعرفة . وفيما مضى : « إن كنت ذا خبرة » .

(٢) فيما سبق : « وتحصر الفهما » .

(٣) الصتم ، بالتحريك : الصحيح القوى .

(٤) ما عدا ل : « إن كان مالا » ، وهى الرواية السابقة أيضا .

(٥) السلم ، بالتحريك : الاستسلام وإلقاء المقادة .

(٦) المغلغلة : الرسالة تحمل من بلد إلى بلد . ما عدا ل : « أن كل » .

(٧) ل : « قبيل من سراتكم » تحريف . والسراة : اسم جمع بمعنى الأشراف ، أو هو جمع سرى على غير قياس ، والسرى : الشريف . والدين : الجزاء والمكافأة .

وقال آخر :

بنى عَديٍّ ألاَ يا انهَوْا سَفيهَكمُ إنَّ السفيهَ إذا لم يُنهَ مأمورُ (١)

وقال حضرميٌّ بن عامر الأسديّ ، ومات أخوه فقال جَزْءٌ : قد فرِح بأكل الميراث (٢) :

قد قال جَزْءٌ ولم يَقل أَمَماً إنِّى تَرَوَّحْتُ ناعماً جَذِلا (٣)
إن كنتَ أزنَنْتَنى بها كذباً جزءُ فلاقيتَ مثلها عَجِلا (٤)
أفرَحُ أنْ أُرزَأَ الكرامَ وأنْ أُورَث ذَوداً شصائصاً نُبَلا (٥)

---

(١) هـ : « ألا ينهى » . يا انهوا ، أى يا هؤلاء ، أو يا قوم انهوا . ومثله ما جاء فى الكتاب : (ألا يا اسجدوا) ، وفى قول ذى الرمة :

ألا يا اسلمى يا دار مى على البلى ولا زال منهلا بجرعائك القطر

(٢) ذكر القالى فى أماليه (١ : ٦٧) سبب الشعر ، قال : « كان حضرمى بن عامر عاشر عشرة من إخوته ، فماتوا فورثهم ، فقال ابن عم له يقال : « جزء » : مَنْ مثلك ، مات إخوتك فورثتهم فأصبحت ناعماً جذلا ! فقال حضرمى » . وأنشد الأبيات التالية ، وأنشد بعدها :

كم كان فى إخوتى إذا احتضن الأقـ ـوام تحت العجاجة الأسلا
من واجد ماجد أخى ثقة يعطى جزيلا ويضرب البطلا
إن جئته خائفاً أمنتَ وإن قال سأحبوك نائلا فعلا

قال : « فجلس جزء على شفير بئر وكان له تسعة إخوة فانخسفت بإخوته ونجا هو ، فبلغ ذلك حضرميا فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، كلمة وافقت قدرا ، وأبقت حقدا ! . وانظر القصة بإيجاز فى اللسان (جزأ ، شصص ، نبل) .

(٣) القول الأمم ، هو القول القصد . الأمالى : « سددا » . والسدد والسداد : القصد ، والإصابة فى القول . تروح بمعنى راح . والناعم : المقيم فى النعيم . والجذل : الفرحان .

(٤) أزنه بالأمر إزنانا : اتهمه به . عجلا ، أى لقاء عجلا .

(٥) رزأه الشيء : نقصه إياه . والذود : جماعة قليلة من الإبل . والشصائص : جمع شَصوص ، وهى الناقة القليلة اللبن . والنبل ، بالتحريك : الصغار الأجسام . ويقرأ أيضاً : « نبلا » بضم ففتح ، جمع نبلة بالضم ، وهى الجزاء والثواب . يقال : ما كانت نبلتك من فلان ؟ أى ما كان ثوابك ؟ والبيت يستشهد به على حذف ألف الاستفهام فى « أفرح » . ذكر البطليوسى فى شروح سقط الزند ٢ ٨٦٠ أنه حسن الحذف فى هذا البيت لما فى الكلام من دليل عليه . أما ابن خالويه فى (ليس كلام العرب) ص ٦٨ فزعم أنه مما حذف ولا دلالة عليه .

وقال حُرَيث بن سَلَمة بن مُرارة :

تقول ابنةُ العَمْرىّ لما رأيتُها :   تنكَّرتَ حتَّى كِدتُ منك أُهَالُ (١)
فإن تعجَبِى منِّى عُمَير فقد أتت   ليالٍ وأيامٌ علىّ طِوَالُ
وإنِّى لَمِنْ قوم تشِيبُ سَراتُهم   كذاكِ ، وفيهم نائلٌ وفَعَالُ (٢)
ولو لقيتْ ماكنتُ ألقى من العِدَى   إذاً شابَ منها مَفرِقٌ وقَذَالُ (٣)
ولكنها فى كِلّةٍ كُلَّ شَتوةٍ   وفى الصَّيف كِنٌّ باردٌ وحِجالُ (٤) ٢٦٣
تُصَانُ وتُغْلَى المسكَ حتَّى كأنها   إذا وَضَعت عنها النَّصيفَ غَزالُ (٥)

وقال بعضُ الخوارج لامرأته وأرادت أن تنفِرَ معَه :

إنَّ الحَروريّة الحَرَّى إذا ركِبوا   لا يستطيع لهُمْ أمثالُكِ الطَّلَبا
إن يَركبوا فرساً لا تركبى فرساً   ولا تُطيقى مع الرَّجَّالة الخَبَبا (٦)

وقال خُزَزُ بن لَوْذان (٧) لامرأته (٨) ، فى شبيهٍ بهذا :

---

(١) هاله يهوله : أفزعه وأخافه .

(٢) عنى أنهم يشيبون مما يلقون من الأهوال ويقتحمون من المخاطر . والنائل : ما ينال من معروف . والفعال ، بالفتح : اسم للفعل الحسن من الجود والكرم ونحوه .

(٣) ب ، جـ : « إذا سال » ، التيمورية : « إذا شال » ، صوابهما فى ل ، هـ . والقذال : جِماع مؤخر الرأس من الإنسان .

(٤) الكلّة ، بالكسر ، هو من الستور ماخيط فصار كالبيت ، يتوقى فيه من البق ونحوه . والحجال : جمع حجلة ، بالتحريك ، وهو بيت كالقبة يستر بالثياب ويكون له أزرار كبار .

(٥) النصيف : خمار المرأة .

(٦) الرجالة : الذين يسيرون على أرجلهم . والخبب : ضرب من العدو .

(٧) خزز ، بزاءين وبوزن عمر ، ابن لوذان ، بفتح اللام وبذال معجمة : شاعر قديم جاهلى ، كما فى الخزانة (٣ : ١١) . وانظر القاموس (خزز ، لوذ) والمؤتلف ١٠٢ . ونسبة الشعر التالى إلى خزز هو الثابت أيضاً فى الحيوان (٤ : ٣٦٣) والخزانة ، وأمالى ابن الشجرى (١ : ٢٦٠) . ونسب إلى عنترة فى المخصص (١٣ : ٢٠٦) والعقد (٢ : ٢٥٦) وحماسة ابن الشجرى ٨ وأماليه (١ : ٢٦١) . والأبيات فى ديوان عنترة ٢٣ — ٢٥ .

(٨) فى الديوان أنها كانت من بجيلة ، وكانت لا تزال تذكر خيله وتلومه فى فرس كان يؤثره ويطعمه ألبان إبله . انظر من أمثلة إيثار العرب خيلهم باللبن ما ورد فى الحماسة (١ : ١٣٠) .

لا تذكرى مُهْرِى وما أطعَمْتُه   فيكونَ جلدُكُ مثلَ جلدِ الأجربِ (١)

إنّ الغَبوقَ له وأنتِ مَسُوءةٌ   فتَأَوَّهى ما شئتِ ثم تَحَوَّبى (٢)

كذَبَ العتيقُ وماءُ شَنٍّ باردٌ   إن كنتِ سائلتى غَبوقاً فاذهبى (٣)

إنِّى لأخشى أن تقول خليلتى :   هذا غبَارٌ ساطِعٌ فَتلبَّبِ (٤)

أنَّ العَدوَّ لهم إليكِ وسيلةٌ   إن يأخذوك تكحَّلِي وتخَضَّبى (٥)

ويكونُ مركبُكِ القَعُودَ وحِدجَهُ   وابنُ النّعامة يوم ذلِكِ مرْكَبى (٦)

وأنا امرؤٌ إنْ يأخذونى عَنوةً   أُقْرَنْ إلى شرِّ الرِّكاب وأُجْنَبِ

---

(١) أى تكونى عندى بمنزلة الأجرب لا أقربك . وفى كتاب الخيل لابن الأعرابى ٩٢ : « وما أطعمته » فيكون لونك مثل لون الأجرب » ، وقال : « ويروى مثل جلد الأجرب » .

(٢) الغبوق ، بالفتح : ما يشرب بالعشى . التحوب : التوجع والشكوى والتحزن .

(٣) العرب يقولون : كذب كذا ، وكذب عليك كذا ، وهما مثلان غريبان من أمثلة الإغراء ، وقد جاء هذا مسموعا فى كلامهم بكثرة . انظر اللسان (كذب) وأمالى ابن الشجرى والمخصص (٣ : ٨٤ – ٨٦) ، والمزهر (١ : ٣٨٢ – ٣٨٤) فى باب معرفة المشترك . وقد نص ابن سيدة على أن مضر تنصب بهذا الفعل مابعده وأن اليمن ترفع به . انظر توجيهه لذلك . يقول لها : عليك بأكل العتيق ، وهو يابس التمر ، وبشرب الماء البارد الذى فى القربة الخلق ، ولا تتعرضى لغبوق اللبن ، لأن اللبن خصَصت به مهرى ، الذى أنتفع به ويسلّمنى وإياك من الأعداء . انظر اللسان (كذب) والمخصص (٣ : ٨٦) .

(٤) عنى بالخليلة الزوجة . وفى حماسة ابن الشجرى : « ظعينتى » . والظعينة : المرأة . الساطع : المرتفع . وعنى بالغبار الساطع ما يتطاير من جرى خيل العدو المغير . والتلبب : التحزم بالسلاح وغيره .

(٥) العدوّ ، من الكلمات التى تقال للواحد والاثنين والجميع ، مثنى ومذكراً ، بلفظ واحد . وروى ابن الشجرى فى الأمالى : « أن يأخذوك » ، وقال : « موضعه نصب بتقدير الخافض ، أى فى أن يأخذوك » ، ثم قال : « قذفها بإرادتها أن تؤخذ مسبية ، فلذلك قال : تكحلى وتخضبى » .

(٦) أى يحملك الأعداء حين تسبين على القَعود ، وهو الفصيل من فصلان الإبل . والحدج ، بكسر الحاء : مركب من مراكب النساء . يقول : وأما أنا فأركب للقاء العدو فرسى ، المسمى بابن النعامة.وقيل أراد بابن النعامة باطن القدم ، وقيل أراد الطريق ، وأول الثلاثة أصحها . والنعامة : أم فرسه ، وهى فرس الحارث بن عباد . انظر اللسان والمقاييس (نعم) والمخصص (٢ : ١٢/٥٧ : ١٣/٤٢ : ٢٠٦) . وذكر ابن الأعرابى فى كتاب أسماء خيل العرب وفرسانها ٩٢ أن ابن النعامة هذا فرس خزز ، كان يدعى « الغراف » . قال : « وهو ابن النعامة » .

وأراد أعرابيٌّ أن يسافرَ فطلبت إليه امرأتُه أن تكون معه ، فقال :

إنَّك لو سافرتِ قد مَذِحْتِ (١)   وحَكَّكِ الحِنوَانِ فانفشَحتِ (٢)

وقلتِ : هذا صوتُ ديكٍ تحتِى

المَذَح : سَحْج (٣) إحدَى الفَخِذين بالأُخرى .

وفى شَبيهٍ بالمعنى الأول يقول عمر بن عبد الله بن أبى ربيعة :

وأعجبَهَا مِن عَيْشِهَا ظِلُّ غرفةٍ   وريّانُ ملتفُّ الحدائقِ أخضَرُ (٤) ٢٦٤

ووالٍ كفاها كلَّ شيء يَهُمُّها   فليست لشيء آخرَ اللّيلِ تَسهرُ

* * *

وقال سلامة بن جندل (٥) هذه الأبيات وبعث بها إلى صعصعة بن محمود ابن مَرْثَد (٦) ، وكان أخوه أحمر بن جندل أسيراً فى يده فأطلقه له :

سأَجزِيكَ بالوُدِّ الذى كان بيننا   أصَعصعَ إنِّى سوفَ أجزيك صعصعا

سأُهدى وإنْ كنّا بتثليثَ مِدحةً   إليك وإن حَلّتْ بيوتُك لعلعا (٧)

---

(١) نسب فى الصحاح والتاج (فشح) إلى حسان . ومذح ، بالذال المعجمة والحاء المهملة . ل . « مذخت » ما عدا ل : « مدجت » صوابهما ما أثبت من هـ . ومذَح : اصطكت فخذاه والتوتا حتى تتسحجا . والبيت وتاليه فى اللسان (مذح ، فشح) بدون نسبة ، برواية « إنك لو صاحبتنا » .

(٢) الحنوان : مثنى الحنو بالكسر ، وهو من الرحل والقتب والسرج كل عود معوج من عيدانه . وفى الأصول ما عدا هـ : « فانفتحت » صوابه من هـ ورواية اللسان فى الموضعين ، يقال تفشحت وانفشحت : تفاجَّت وبعد ما بين رجليها .

(٣) السحج : القشر والخدش . ل : « شحج » تحريف .

(٤) من قصيدته المشهورة التى مطلعها :

أمن آل نعم أنت غاد فمبْكر   غداة غد أم رائح فمهجر

والبيتان فى الحيوان (٣ : ٤٩١) .

(٥) هو سلامة بن جندل بن عمرو بن عبيد بن الحارث – وهو مقاعس – بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم . شاعر جاهلى قديم ، كان من فرسان العرب المذكورين وأشدائهم ، وكان وصافا للخيل ، وكان أخوه أحمر بن جندل من الشعراء الفرسان أيضاً . الشعراء لابن قتيبة ٢٢٩ – ٢٣٠ ، والخزانة (٢ : ٨٦) .

(٦) فى الحيوان (٣ : ٧٠) : « صعصعة بن محمود بن بشر بن عمرو بن مرثد » .

(٧) تثليث : موضع بالحجاز قرب مكة . ولعلع : موضع بين البصرة والكوفة .

فإن يكُ محمودٌ أباكَ فإنّنا   وجدناكَ محمودَ الخلائقِ أرْوعا (١)
فإن شئتَ أهدينا ثَناءً ومِدحةً   وإن شئتَ أهدينا لكم مائةً مَعا (٢)

قال : الثناء والمدحة أحبُّ إلينا !

وقال أوسُ بن حَجَر ، حين حُبس وأقام عند فضَالة بن كَلَدة ، وتولَّتْ خدمتَه حليمةُ بنتُ فَضالة ، شاكراً لذلك (٣) :

لعمرك ما مَلّت ثواءَ ثويِّها   حليمةُ إذْ ألقى مَرَاسِيَ مُقعَدِ (٤)
ولكنْ تلقّت باليدينِ ضَمانتى   وحَلَّ بفلجٍ فالقنافِذِ عُوَّدى (٥)
وقد غَبَرتْ شهرَىْ ربيعٍ كليهما   بِحَملِ البلايا والخِباءِ المُمَدَّدِ (٦)
ولم تُلْهِهَا تلك التّكاليفُ إنَّها   كما شئتَ من أُكرومةٍ وتخرُّدِ (٧)
هى ابنة أعراقٍ كرامٍ نَمينَها   إلى خُلُقٍ عَفٍّ بَرازَتُه قَدِ (٨)

---

(١) فى جمهرة الأصول : « محموداً أباك » صوابه فى هـ . والممدوح هو صعصعة بن محمود . وفى الحيوان : « محموداً أبوك » . والأروع : الحى النفس الذكى .

(٢) عنى بالمائة مائة من الإبل تكون فدية لأخيه الأسير : أحمر بن جندل .

(٣) كان أوس قد جالت به ناقته فى سفر فصرعته فاندقت فخذاه ، فآواه فضالة بن كلدة ، وكانت حليمة بنت فضالة تعنى به فى أثناء مرضه . الأغانى (١٠ : ٧) . والأبيات فى ديوان أوس ص ٥ والحيوان (٣ : ٧١) .

(٤) الثوى : الضيف . والثواء : الاقامة . ويقال ألقى مراسيه ، أى استقر . ومثله : ألقى عصاه . والمقعد : الذى لا يقدر على القيام لزمانة به . عنَى به نفسَه .

(٥) الضمانة : الداء والعاهة والزمانة . وفلج : واد بين البصرة وحمى ضرية . والقنافذ : موضع لم يعين . والعود : جمع عائد ، الذى يعود المريض .

(٦) غبرت : مكثت . والبلايا : جمع بلية ، وهى الناقة التى قد أعيت وصارت نضواً هالكا .

(٧) الأكرومة ، بالضم : فعل الكرم . والتخرد : أن تصير المرأة خريدة ، وهى الحيِّية الطويلة السكوت ، الخافضة الصوت ، الخفرة . والبيت فى اللسان (خرد) .

(٨) الأعراق : جمع عرق ، بالكسر ، وهو الأصل . نمينها : رفعنَها فى النسب وعزونها . عف : عفيف . ما عدا ل : « عفو » تحريف . والبرازة ، بفتح الباء : الوثوق بالفصل والرأى . وفى اللسان : « ورجل برز وَبرْزىّ : موثوق بفضله ورأيه . وقد برُز برازة » . ما عدا ل : « برازنة » تحريف . وقد : كلمة بمعنى حسب . أى تكفيك منه البرازة . وهذا البيت مما لم يرو فى ديوان أوس ، كما أنه ساقط من هـ .

سَنَجزيكِ أو يَجزيكِ عنّـا مثوِّبٌ   وحسبُكِ أن يثنَى عليك وتحمَدى (١)

وقال الخريمىّ :

فلـم أجْـــزِهِ إلّا المودّة جَاهِـــداً   وحسبُك منِّـى أن أودّ فأُجهَـدَا (٢)

وقال الأسدىّ : ٢٦٥

فإنِّـى أحبُّ الخُلْـدَ لو أستطيعهُ   وكالخُلْد عندى أن أموت ولم أُلَمْ (٣)

وقال الحادرة :

فأثنُـوا علينـــا لا أبَـــا لأبيكـــمُ   بأحسابنا ، إنَّ الثّنَاءَ هو الخُلْـدُ (٤)

وأنشدنى الأصمعىُّ لمهلهِل :

فقتـلا بتقتيـلٍ وعقـــراً بعقركُـــمْ   جزاءَ العُطـاسِ لايموت مَن اتّـأرْ (٥)

وضاف أبو شَليل العَنَزىّ (٦) بنى حكيمٍ – فخذاً من عَنَزة – فقال :

---

(١) المثوِّب : المجازى . يقال أثابه وأثوبه وثوبه . وفى الكتاب : (هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون) . ل : « عنى مثوب » . وفى الديوان والأغانى : « سأجزيك أو يجزيك عنى » .

(٢) أنشده أيضاً فى الحيوان (٣ : ٧٢) . وأجهد ، أى أجهد فى المودة .

(٣) رواه الجاحظ فى الحيوان (٣ : ٤٧٥) .

(٤) أورده أيضاً فى الحيوان (٣ : ٤٧٥) برواية : « بإحساننا » . ونص على الروايتين اليزيدى فى روايته ديوان الحادرة ص ٥ نسخة الشنقيطى .

(٥) هو فى الحيوان (٣ : ٤٧٦) بدون نسبة . العقر : القتل والإهلاك : جزاء العاطس ، هو تشميته : الدعاء له بالخير . وقوله : « جزاء العطاس » ، أى نُعجل بذلك كقدر ما بين التشميت والعطاس . انظر اللسان (عقب ١١٠ جزى ١٥٩) . لا يموت من اتأر ، أى لا يموت ذكره . واتَّأر : أدرك ثأره . ما عدا ل : « اثأر » بالمثلثة ، وكلاهما صحيح ، ويقال أيضاً فى غير هذا الشعر : « اثتأر » على الأصل ، هن أوجه ثلاثة فى كل ما وردت تاء افتعاله بعد الثاء . انظر شرح المفصل لابن يعيش (١٠ : ١٨٤ س ٢٦ – ٣٠) . وقد فسر ابن منظور : « لا يموت من اتأر » فى مادة (جزى ١٥٩ س ١٦) بدون أن يسبقها إنشاد ، وهو دليل على سقط فى هذا الموضع منه . ونحو هذا البيت ما أنشده فى اللسان :

ونحن قتلنا بالمخارق فارساً   جزاء العطاس لا يموت المعاقب

(٦) ما عدا ل : « أبو الشليل الغبرى » . وضاف القوم يضيفهم : نزل بهم ضيفا ومال إليهم .

أُرانى فى بنى حَكَمٍ غريباً على قَتْرٍ أزور ولا أُزارُ [١]
أناسٌ يأكلون اللّحمَ دونى وتأتينى المعاذِر والقُتَارُ [٢]

وقال آخر :

إذا مَدَّ أربابُ البيوتِ بيوتَهم على رُجَّحِ الأكفال ألوانُها زُهرُ [٣]
فإنَّ لنا منها خباءً يحُفُّنا إذا نحن أمسينا : المجاعة والفَقْرُ

وقال الآخر ، وهو أبو المُهَوِّش الأسدى [٤] :

تراه يطوِّف الآفاقَ حِرصاً ليأكلَ رأسَ لقمانَ بنِ عادِ [٥]

وقال أيضاً [٦] :

وبنو الفُقَيم قليلةٌ أحلامهم ثُطُّ اللِّحَى متشابهو الألوانِ [٧]

---

(١) ما عدا ل : « قصيا » أى بعيداً ، بدل « غريباً » . والقتر ، بالفتح : ضيق العيش .

(٢) المعاذر : جمع معذرة . والقتار ، بالضم : ريح القدر والشواء ونحوهما .

(٣) ل : « إذا سد » . والرجح : جمع راجحة : وهى الثقيلة ، ويقال امرأة راجح ورجاح ، أى ثقيلة العجيزة . والزهر : الحسان البيض ، جمع زهراء .

(٤) أبو المهوش ، بالشين ؛ وفيما عدا ل : « أبو الهوس » تحريف . وأبو المهوش الأسدى ، هو حوط بن رئاب ، أو ربيعة بن وثاب ، من الشعراء المخضرمين الذين أدركوا النبى ولم يروه . انظر الخزانة (٣ : ٨٦) ، والإصابة ٢٠١٥ ، وماسبق فى (١ : ٢٠٧) . ونسبة الشعر إلى أبى مهوش تطابق ماورد فى حواشى الكامل ٩٨ ليبسك . لكن نسب فى معجم المرزبانى ٤٩٤ وكنايات الجرجانى ٧٣ والاقتضاب ٢٨٨ إلى يزيد بن الصعق الكلابى . وانظر خبراً لهذا الشعر فى المراجع المتقدمة والعقد (٢ : ١٠) ، وأمثال الميدانى (١ : ١٧١) وأدب الكاتب ١٢ والخزانة (٣ : ١٤٢) وأخبار الظراف ٢٤ .

(٥) قبل البيت كما سبق فى (١ : ١٩٠) :

إذا ما مات ميت من تميم وسرك إن يعيش فجئْ بزادِ
بخبز أو بلحم أو بسمن أو الشيء الملفف فى البجاد

وقال الثعالبى فى ثمار القلوب ٢٥٧ : « العرب كما تصف لقمان بن عاد بالقوة وطول العمر ، كذلك تصف رأسه بالعظم وتضرب به المثل » . وأنشد البيت : ومثل هذا الكلام لابن السيد فى الاقتضاب ٤٩ ، وزاد : « كما يقال لمن يزهى بما فعل ويفخر بما عنده : كأنه قد جاء برأس خاقان » .

(٦) الأبيات التالية لجرير فى ديوانه ٥٨١ ، والحيوان (١ : ٢٥٨) ، وعيون الأخبار (٣ : ٢٢٥) ، يهجو بها بنى الهجيم بن عمرو بن تميم .

(٧) بنو الفقيم ، كذا ورد فى جميع النسخ . وصوابه « بنو الهجيم » كما فى المراجع =

لو يَسمَعون بأكلةٍ أو شَربةٍ بعُمانَ أصبحَ جمعُهم بعُمَان [١]

متأبطين بَنِيهِمُ وبناتِهمْ صُعْرَ الأنوفِ لريحِ كلِّ دُخانِ [٢] ٢٦٦

وقال الآخر :

وجيرةٍ لن ترى فى النّاس مثلَهمُ إذَا يكونُ لهم عيدٌ وإفطارُ

إن يُوقدوا يُوسِعونا من دخانهمُ وليس يبدو لنا ما تنضج النارُ

وقال أبو الطُّرُوق الضّبّىّ [٣] ، فى خاقان بن عبد الله بن الأهتم [٤] :

شكّ النّاسُ فى خاقان لمَّا أتى لوِلادِه سنةٌ وشهرُ [٥]

وقالت أختُه : إنّى بَراءٌ إلى الرّحمنِ منك وذاك نُكرُ

ولم تَسمعْ بحملٍ قبلِ هذا أتى مِن دونه دهرٌ ودَهْرُ

فنافَرَها فألحقه شَبيبٌ وأثبَتَه فثاب عليه وَفْرُ [٦]

وقال مَكّىُّ بن سوادةَ البُرجُمِىُّ فيه [٧] :

تحَيّر اللُّؤم يَبغى من يُحالِفُه حتّى تناهى إلى أبناءِ خاقانِ

أزْرَى بكم يا بنى خاقانَ أنّكُمُ من نسل حَجّامةٍ من قِنّ هِزّانِ [٨]

= المتقدمة . الديوان : « قبيلة مخنوسة » ، والحيوان وعيون الأخبار : « سخيفة أحلامهم » . والأحلام : العقول . ثط : جمع أثط ، وهو القليل شعر اللحية .

(١) الحيوان : « أضحى جمعهم » .

(٢) صعر : جمع أصعر ، وهو المائل . وفى الديوان : « متوركين بنيهم » . توركت المرأة الصبى ، إذا حملته على وركها .

(٣) سبقت ترجمته فى (١ : ١٥) .

(٤) انظر ما سبق فى (١ : ٣٥٥ س ١٣ – ١٤) .

(٥) ما عدا ل ، هـ : « وشك » بدون خرم . والولاد : الولادة .

(٦) ثاب عليه : رجع . والوفر : المال الكثير الواسع .

(٧) انظر ما سبق فى (١ : ٣) .

(٨) الحجامة : التى تقوم بالحجامة ، وهى امتصاص الدم بالمحجمة بعد أن يظهره المشرط . وهذه الصناعة مثل فى الخسة . والقن : المملوك هو وأبواه ، يقال عبْد قن ، وعبدانٍ قن وعبيد قن . فإذا لم يكن أبواه مملوكين فهو عبد مملكة . وهزان ، بكسر الهاء وتشديد الزاى : =

سفّاكةٍ لدماءِ القوم آكلةٍ … قِدْماً لأموالهم من غير سلطانِ (١)
لو تسألونَ بها أيّوبَ جاءكمُ … على الذى قلتُ أيُّوبٌ ببرهانِ
أيّامَ تُعطيه خَرْجاً من حِجامتها … يَوْماً فيوما توفّيه بأُرْبانِ (٢)
فإن رَددتمْ عليه ما يقولُ أتى … على مقالته فيها بِتِبْيانِ
ثمَّ اشتراها أبو خاقان حين عَسَت … فالتقطت نُطْفَةً منه بأقطانِ (٣)
فاستَدخَلَتْها ولا تدرى بما فعلت … حتّى إذا ارتكضت جاءت بخاقانِ (٤) ٢٦٧

وقال اللَّعين المِنْقريُّ (٥) فى آل الأهتم :

وكيف تُسامُون الكرامَ وأنتُم … دوارجُ حِيريُّون فُدْع القوائمِ (٦)

= هم بنو هزان بن صباح بن عتيك بن أسلم بن يذكر بن عنزة بن أسد بن ربيعة الفرس بن نزار بن معد ابن عدنان . الاشتقاق ١٩٤ .

(١) يشير إلى أن كسبها من الحجامة كسب خبيث .

(٢) الخرج : الإتاوة . الأُربان بالضم : لغة فى العربان ، كما أن الأربون لغة فى العُربون . وأصل العربان : أن يشترى السلعة ويدفع إلى صاحبها شيئاً من الثمن على أنه إذا أمضى البيع حسب من الثمن ، وإن لم يمضه كان لصاحب السلعة ولم يرتجعه المشترى . وهو بيع باطل عند جمهور الفقهاء لما فيه من الشرط والغرر ، وأجازه أحمد ، وروى عن ابن عمر إجازته . وقد عبَّر بالأربان هنا عما تدفعه مقدماً إليه من الإتاوة . انظر اللسان (أرب ، أرن ، ربن ، عرب ، عربن) ، والمعرب للجواليقى ٢٣٢ – ٢٣٣ .

(٣) عست : كبرت وأسنت ، يقال عسا يعسو ، وعسى يعسى ، كرضى يرضى . ومثله فى المعنى عتا يعتو . ما عدا هـ : « نقطة » ، تحريف .

(٤) ارتكضت : اضطربت . أراد تحرك جنينها فى بطنها . والمعروف فى مثل هذا أركضت المرأة والدابة . أى تحرك ولدها فى بطنها وعظم .

(٥) اللعين : لقب له ، واسمه منازل بن ربيعة ، من بنى منقر ، ونقل صاحب الخزانة عن زهر الآداب أن سبب تلقيبه بذلك أن عمر سمعه ينشد شعراً والناس يصلون ، فقال : من هذا اللعين ؟ فعلق به بهذا الاسم . وهو القائل فى الحكومة بين جرير والفرزدق :

سأقضى بين كلب بنى كليب … وبين القين قين بنى عقال
فإن الكلب مطعمه خبيث … وإن القين يعمل فى سفال

الشعراء ٤٧٤ والاشتقاق ١٥٣ – ١٥٤ والخزانة (١ : ٥٣٠ – ٥٣١) والعينى (٢ : ٤٠٤ – ٤٠٥) .

(٦) المساماة : المباراة والمفاخرة : دوارج ، يقال قبيلة دارجة ، إذا انقرضت ولم يبق لها عقب . وأنشد فى اللسان للأخطل : =

بنو مُلصَقٍ من وُلْدِ حَذْلَمَ لم يكن ظَلُوما ولا مستنكِرا للمَظالِمِ (١)

وقال الآخر (٢)

قالت : عهدتُك مجنوناً ، فقلت لها : إنَّ الشّبابَ جنونٌ بُرؤُه الكبرُ (٣)

وقال أعرابىٌّ ، وهو أبو حيّة النُّميرىّ (٤) :

رمتنى وسِترُ الله بينى وبينها عشيّةَ آرامِ الكِناسِ رَميمُ (٥)
ألا ربَّ يومٍ لو رمتْنى رميتُها ولكنَّ عهدى بالنِّضال قديمُ (٦)
رميمُ التى قالت لجاراتِ بيتها ضمِنتُ لكمْ ألاَّ يَزَالُ يَهيمُ (٧)

= قبيلة كشراك النعل دارجة إن يهبطوا العفو لا يوجد لهم أثر

أو هو من الدرَجان ، وهو مشية الصبى والشيخ . حيريون : منسوبون إلى الحيرة ، وهى بلد بجانب الكوفة . والفدع : جمع أفدع وفدعاء . والفدع بالتحريك : عوج وميل فى المفاصل . ل : « بدع » تحريف .

(١) الملصق : الدعى ليس من القوم بنسب .

(٢) هو العتبى ، كما فى حماسة ابن الشجرى ١٨٤ ، ٢٤٥ .

(٣) قبله ، كما فى حماسة ابن الشجرى :

لما رأتنى هند قاصراً بصرى عنها وفى الطرف عن أمثالها زوَر

وفى عيون الأخبار (٢ : ٣٢٠) ما يوهم أن البيت « قالت عهدتك » هو من شعر ابن أبى فنن ؛ لأنه أنشده بعد بيت لابن أبى فنن ، وهو :

من عاش أخلقت الأيام جدته وخانه الثقتان : السمع والبصر

والحق أن بيت العتبى مقحم فى هذا الموضع من عيون الأخبار ، وموضعه هو السطر الثامن عشر من صفحة ٣٢٠ فقط . وانظر الحيوان (٦ : ٢٤٤ ، ٤٢٢) .

(٤) وهو أبو حية النميرى ، من هـ والكامل ١٩ ليبسك والحماسة (٢ : ١١٠) . والأبيات بدون نسبة فى الحيوان (٣ : ٤٩) ، وسبقت فى (١ : ٦٨) .

(٥) أى رمتنى بطرفها . وعنى بستر الله الإسلام ، أو الشيب . وآرام الكناس : موضع . وروى : « بأحجار الكناس » . الكامل واللسان (كنس) . ورواية الحماسة : « ونحن بأكناف الحجاز » . ورميم هى خليلته .

(٦) قال المبرد فى تفسيره : « لو كنت شاباً لرَميت كما رميت ، وفَتنت كما فتنت ، ولكن قد تطاول عهدى بالشباب » .

(٧) توجه « لايزال » رفعاً بجعل « أن » مخففة من الثقيلة ، ونصبا بجعلها ناصبة .

وقال أبو يعقوب الأعور :

بقلبى سَقَامٌ لستُ أُحسِنُ وصفَه   على أنّه ما كان فهو شديد
تمرُّ به الأيّامُ تَسحب ذيلَهـا   فتَبلَى به الأيّامُ وهو جديـدُ

وقال الثّقفىّ (١) :

مَن كان ذا عضُدٍ يُدرِك ظُلامتَه   إنّ الذَّليلَ الذى ليست له عَضُدُ (٢)
تنبُـــو يداه إذا ما قَلَّ ناصِرُه   ويأنَف الضَّيمَ إن أثرى له عَدَدُ (٣)

وقال أشجَعُ السُّلَمىّ (٤) ، فى هارون أمير المؤمنين :

وعلى عَدُوِّك يابـنَ عمِّ محمـدٍ   رَصَدَانِ : ضوءُ الصبح والإظلامُ (٥)
فإذا تَنبّه رُعتَهُ وإذا هَدَا   سَلّت عليه سيوفَك الأحلامُ ٢٦٨

وقال :

انتجِعِ الفضلَ أو تَخَلَّ من الدُّنـ   ـيا فهاتان غايتا الهِممِ (٦)

وقال :

أبت طَبَرِستانُ إلّا التى   يَعُمُّ البريّةَ من دائِها (٧)

---

(١) وكذا لم يعين الثقفى فى البيان (١ : ٦٧) ، والحيوان (٣ : ٤٥) وعيون الأخبار . (٣ : ٢) . وقد حسبته فى الحيوان يزيد بن الحكم الثقفى . والحق أنه « الأجرد الثقفى » كما نص ابن قتيبة فى الشعراء ٧١٢ .

(٢) العضد : النصير والعون . والظلامة : ما يطلب عند الظالم ، وهو اسم ما أخذ .

(٣) أثرى عدده : كثر عدد قبيله وأنصاره .

(٤) هو أشجع بن عمرو السلمى ، من بنى سليم ، ولد باليمامة ونشأ بالبصرة ، ثم خرج إلى الرقة والرشيدُ بها ، فنزل على بنى سليم فتقبلوه وأكرموه ، ومدح البرامكة فوصلوه بالرشيد ومدحه فأعجب به أيضاً ، فأثرى وحسنت حاله . الشعراء ٨٥٧ والأغانى (١٧ : ٣٠ – ٥١) وتاريخ بغداد (٧ : ٤٥) ومعاهد التنصيص (٢ : ١٣٣) والموشح ٢٩٥ .

(٥) من أبيات فى الأغانى والكامل ٢٨٧ ليبسك . وقد أنشد أشجع هارون القصيدة فأجازه بعشرين ألف درهم .

(٦) الفضل بن يحيى البرمكى .

(٧) طبرستان : بلاد بين الرى وقومس وبلاد الديلم ، وتسمى أيضاً « مازندَران » =

ضَمْمتَ مناكبَها ضمّةً رمتْك بما بين أحشائها

* * *

قالوا : لم يدَع الأوّلُ للآخِر معنىً شريفاً ولا لفظاً بهيًّا إلّا أخَذه ، إلاّ بيت عنترة :

فَترى الذُّبابَ بها يغنِّى وحدَه هَزِجا كفعلِ الشّاربِ المترنِّمِ (١)
غَرِداً يسُنُّ ذراعَه بذراعِه فِعلَ المكبِّ على الزِّناد الأجذَمِ (٢)

* * *

وقال الفُقَيمىّ ، قاتلُ غالبٍ أبى الفرزدق :

وما كنتُ نَوّاماً ولكنّ ثائراً أناخَ قليلًا فوق ظَهْرِ سَبِيلِ
وقد كنتُ مجرورَ اللسان ومُفحَما فأصبحتُ أدرِى اليوم كيف أقول (٣)

وقال أبو المُثلَّم الهُذلىّ (٤) :

أصخرَ بنَ عبدِ الله إن كنتَ شاعراً فإنّك لا تُهـدى القـريضَ لمفحَـمِ

= واشتقاق اسمها من تبر ، الفأس بلغة الفرس ، و « ستان » بمعنى الموضع أو الناحية . وكل طبرى فهو منسوب إليها ، وأما « طبرية » التى فى بلاد الشام فالنسبة إليها « طبرانى » . وفى الأغانى (١٧ : ٤٩) : « غير الذى صدعت به بين أعضائها » . وتمام الأبيات :

سموتَ إليها بمثل السماء تدلى الصواعق فى مائها
فلما نظرت إلى جرحها وضعتَ الدواء على دائها
فَرَشْتَ الجهاد ظهور الجياد بأبنائـــه وبأبنائهـــا
بنفسك ترميهم والخيول كرمى العقاب بأفلائها
نظرت برأيك لما همـ ـت دون الرجال وآرائها

(١) البيتان من معلقته . وانظر قول الجاحظ فيهما فى الحيوان (٣ : ١٢٧ ، ٣١٢) .

(٢) هـ : « هزجا » وفوقها « غردا » . وروايته فى الحيوان : « يحك ذراعه » . الأجذم : المقطوع اليدين . شبه الذباب فى تلك الحالة برجل مقطوع اليدين يقدح بعمودين .

(٣) سبق البيتان وتفسيرهما فى ص ٢١٤ .

(٤) ترجم فى (٢ : ٢٧٥) ، حيث أنشد البيت التالى .

وقالَ الهذلىّ (١) :

علىٰ عبْدِ بن زُهرةَ طو ... لَ هذا الليلِ أُتَتحِبُ (٢)
أخٌ لى دون مَن لى من ... بنى عمٍّ وإن قَرُبُوا (٣)
طَوَى مَن كان ذا نَسبٍ ... إلَـىّ وزادَه النَّسَبُ
أبو الأضيافِ والأيتا ... مِ ساعةَ لا يُعَدُّ أبُ (٤)
ألاَ للهِ دَرُّك مِن ... فَتَى قومٍ إذا رَكِبُوا (٥)
وقالوا من فَتىً للثَّغـ ... ـرِ يَرْقُبنا ويرتقِبُ (٦)
٢٦٩ فكنتَ أخاهُمُ حقًّا ... إذا تُدْعى لها تَثِبُ
وقد ظَهرَ السَّوابغُ فيـ ... ـهِمُ والبِيضُ واليَلَبُ (٧)
أقامَ لدى مدينة آ ... لِ قُسطنطينَ وانقلبوا (٨)
نجيباً حين يُدعى ، إ ... نّ آباءَ الفتى نُجُبُ (٩)

وقال أدهم بن مُحرزٍ الباهلىّ :

لمّا رأيت الشيبَ قد شانَ أهلَه ... تفتَّيت وابتعتُ الشَّبابَ بدرهمِ

---

(١) الهذلى هذا هو أبو العيال ، يرثى ابن أمه ، أو ابن عم يقال له : « عبد الرحمن بن زهرة » وكان قد قتل فى زمن معاوية بن أبى سفيان ، انظر ديوان الهذليين (٢ : ٢٤١ طبع دار الكتب) وشرح السكرى للهذليين ١٣٧ والأغانى (٢٠ : ١٦٦ ، ١٦٧) والشعراء ٦٥١ .

(٢) هـ : « هذا الدهر » وفى ديوان الهذليين والأغانى : « أكتئب » . والكآبة : الحزن .

(٣) يقول : هم فى المودة عندى دونه ، وهم أقرب إلى منه . هـ : « بنى عمى » .

(٤) يقال : هو أبوهم ، أى يكفلهم ويرعى أمورهم .

(٥) فى الأغانى : « إذا رهبوا » . وفى الديوان : « من فتى حى إذا رهبوا » .

(٦) الثغر : موضع المخافة . وفى الديوان والأغانى : « للحرب » .

(٧) بين هذا البيت وسابقه عشرة أبيات فى الديوان . السوابغ : الدروع الواسعة الطويلة . والبيض : السيوف . واليلب : نسوع ترصف فيلبسها الرجل مثل البيضة بدلا منها أو يلبسها تحتها .

(٨) انقلبوا : رجعوا ، يعنى أصحابه .

(٩) يروى : « والفتى آباؤه نجب » . والنجيب من الرجال : الكريم الحسيب .

وقال آكل المُرارِ الملك [١] :

إنّ مَن غَرّه النساءُ بشيءٍ بَعدَ هندٍ لجاهِلٌ مغرورُ
حُلوةُ العينِ واللسانِ ، ومُرٌّ كلُّ شيءٍ يُجِنُّ منها الضَّمِيرُ
كلُّ أُنثى وإن بَدَت لك منها آيةُ الحبِّ ، حُبُّها خَيتَعُورُ [٢]

وقال طُفَيلٌ الغَنَوِيّ :

إنَّ النساءَ كأشجارٍ نبتْنَ مَعًا منها المُرَارُ وبعضُ المُرِّ مأكولُ [٣]
إنَّ النساءَ متى يُنْهَيْنَ عن خُلُقٍ فإنَّهُ واجبٌ لابُدَّ مفعُولُ [٤]
لايَنْثَنين لِرُشْدٍ إن صُرِفْن له وهُنَّ بَعدُ ملاويمٌ مَخاذيلُ [٥]

---

(١) آكل المرار : لقب حجر بن معاوية ، من أجداد امرىء القيس الشاعر ، وهو امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار بن معاوية بن ثور . وثور هذا هو كندة الذى ينسب إليه الكنديون . وإنما لقب حجر آكل المرار لما ذكر أبو عبيد قال : « أخبرنى ابن الكلبى أن حجرا إنما سمى آكل المرار أن ابنة كانت له ، سباها ملك من ملوك سليح ، يقال له : ابن هبولة ، فقالت له ابنة حجر : كأنك بأبى قد جاء كأنه جمل آكل المرار – يعنى كاشراً عن أنيابه . فسمى بذلك . وقيل إنه كان فى نفر من أصحابه فى سفر فأصابهم الجوع ، فأما هو فأكل من المرار حتى شبع ونجا ، وأما أصحابه فلم يطيقوا ذلك حتى هلك أكثرهم » . الشعراء ٦٢ ، واللسان (مرر) ، وشرح شواهد الشافية للبغدادى ٣٩٣ – ٣٩٧ . والمرار : شجر مر إذا أكلته الإبل قلصت عن مشافرها .

(٢) الخيتعور : المتلون الذى لايدوم على حال . وأنشده فى اللسان (ختعر) برواية : « وإن بدا لك منها » . وكذا فى شرح شواهد الشافية .

(٣) الأبيات فى ديوان طفيل ٣٤ طبع لندن ١٩٢٧ برواية أبى حاتم عن الأصمعى . والأول والثانى فى عيون الأخبار (٤ : ١١٣) والشعراء ٤٢٣ .

(٤) الواجب : اللازم الثابت ، وهو أيضاً الساقط والواقع . وفى عيون الأخبار : « فإنه واقع » . وهذا البيت وسابقه ذكر أبو حاتم فى شرح الديوان أنهما لمالك بن كعب ، والد كعب بن مالك الأنصارى .

(٥) هذا البيت من ل فقط . وفى الديوان : « لاينثنين لرشد إن منين به » وفى الشعراء : « لا ينصرفن لرشد إن دعين له » . ملاويم ، من اللوم ، جمع ملوام ، وهى الكثيرة اللوم . ومخاذيل من الخذل ، وهو ترك النصرة . وفى الشعراء : « ملائيم » تحريف .

وقال علقمة بن عَبَدة (١) :

فإنْ تسألونى بالنّساء فإنّنى … بصيرٌ بأدواء النّساء طبيبُ (٢)
إذَا قلَّ مالُ المرءِ أو شابَ رأسهُ … فليسَ لهُ مِن وُدِّهن نصيبُ (٣)
يُرِدْنَ ثَرَاء المال حيثُ عِلمنَهُ … وشَرخُ الشبابِ عندهنَّ عَجيب (٤) ٢٧٠

وقال أبو الشَّغْبِ السعدىّ (٥) :

أَبَعْدَ بنى الزّهراءِ أرجو بشاشةً … من العَيش أو أرجو رخاءً من الدّهرِ
غَطارِفةٌ زُهْـرٌ مَضَوْا لسبيلهـم … ألهفِى على تلك الغطارفةِ الزُّهْرِ (٦)
يذَكّرُنيهمْ كلُّ خيرٍ رأيتُه … وشرٍّ فما أنفكُّ منهم على ذُِكْرِ

وقال أبو حُزَابة (٧) ، فى عبد الله بن ناشِرة :

ألا لَا فتَى بعدَ ابنِ ناشرَة الفتى … ولا خَير إلّا قد تولَّى وأَدبَرَا
وكان حَصاداً للمنايـا ازدرَعَنـه … فهلّا تركنَ النّبتَ ما كان أخضرا (٨)

---

(١) هو علقمة بن عبدة ، بالتحريك ، بن النعمان بن ناشرة بن قيس بن عبيد بن ربيعة الجوع ابن مالك بن زيد مناة بن تميم . وهو المعروف بعلقمة الفحل ، شاعر جاهلى مجيد . وقصيدته التى منها هذه الأبيات اختارها المفضل فى المفضليات (٢ : ١٩٠ - ١٩٦) ، وهى فى ديوانه من مجموع خمسة دواوين ١٣١ - ١٣٢ والشعر والشعراء ١٧١ .

(٢) بالنساء ، أى عن النساء . وفى الكتاب : (فاسأل به خبيراً) ، أى عنه .

(٣) فى المفضليات وما عدا ل : « إذا شاب رأس المرء أو قل ماله » .

(٤) ثراء المال : كثرته . وشرخ الشباب : أوله .

(٥) ويقال أيضاً « العبسى » ، شروح سقط الزند ٨٧٠ . وعبس ، هو ابن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان .

(٦) الغطارفة : جمع غطريف ، وهو السيد الشريف السخى . والزهر : جمع أزهر ، وهو الحسن الأبيض من الرجال .

(٧) أبو حزابة ، بضم الحاء ، هو الوليد بن حنيفة من شعراء الدولة الأموية ، بدوى حضر وسكن البصرة ، ثم اكتتب فى الديوان وضرب عليه البعث إلى سجستان ، فكان بها مدة وعاد إلى البصرة ، وخرج مع ابن الأشعث لما خرج على عبد الملك . وكان شاعراً راجزاً فصيحاً خبيث اللسان هجاء . الأغانى (١٩ : ١٥٢ - ١٥٦) .

(٨) ازدرعنه : زرعْنَه .

لَحَا اللهُ قوماً أسلموك ورفّعوا   عناجيجَ أعطتها يمينُكَ ضُمَّرا (١)
أمَا كان فيهم فارسٌ ذُو حفيظةٍ   يرى الموت فى بعض المواطِنِ أعذَرا (٢)
يكرُّ كما كرَّ الكليبىُّ بعدما   رأى الموت تحدُوه الأسنَّةُ أحمرَا
فكرَّ عليه الوَرْدَ يَدْمَى لَبانُهُ   وماكرَّ إلّا رهبةً أن يُعَيَّرا (٣)

وقال أعرابىّ (٤) :

رعاكِ ضَمَانُ اللهِ يا أُمَّ مالكٍ   ولَلّهُ أن يُشْقيكِ أغنى وأوسَعُ (٥)
يذكِّرُنيكِ الخيرُ والشرُّ والذى   أخاف وأرجو والذى أتوقَّعُ

وقال دُرَيد بن الصِّمَّة (٦) :

وقالوا:ألاَ تبكى أخاكَ ، وقد أرى   مكانَ الأسى لكنْ بُنِيتُ على الصبر (٧)

---

(١) رفع فرسه : سار به دون الحضر وفوق الموضوع . والعناجيج : جمع عنجوج ، بالضم ، وهو الرائع من الخيل ، أو الجواد . الضمر : جمع ضامر . أعطتها يمينك ، يقول : أنت منحتهم تلك الخيل ، ولكنهم لم يفوا لك ، وأسلموك .

(٢) الحفيظة : المحافظة على العهد ، والمحاماة على الحرم . أعذر ، أى أجاب للعذر .

(٣) يقال كرّه ، فكرّ هو . الورد : اسم فرس . واللبان ، بالفتح : الصدر .

(٤) أعرابى من هذيل ، كما فى الحيوان (٧ : ١٤٨) . والبيتان بدون نسبة فى الحماسة (٢ : ١١١) .

(٥) الضمان : مصدر ضمن الشئ وبه : كفله . وقال المرزوقى – فيما رواه عنه التبريزى فى شرح الحماسة : « أشار بقوله ضمان الله إلى مافى القرآن من قوله تعالى : ادعونى أستجب لكم . وقد ضمن الإجابة للداعى . فرعاك ضمانُ الله » . يشقيك ، كذا جاءت الرواية هنا ، وفى الحماسة كذلك : « عن يشقيك » . وعن هذه لغة فى « أن » ، وهى اللغة المعروفة بعنعنة تميم ، كما فى قول ذى الرمة :

أعن توسمت من أسماء منزلة   ماء الصبابة من عينيك مسجوم

ويحتمل أن يكون بعدها « أن » مقدرة . وروى فى الحيوان – وهو رواية المرزوقى كما استظهر له التبريزى : « أن يسقيك » ، وهو بتقدير حذف الجار ، أى ولله بأن يسقيك ، أى أظهر غنى وأوسع قدرة . هـ : « أرعى وأوسع » .

(٦) ترجم فى (١ : ١٠٧) . وكان أخوه عبد الله بن الصمة قد غزا غطفان ومعه بنو جشم وبنو نصر أبناء معاوية ، فظفر بغطفان وساق أموالهم وذلك فى يوم يقال له يوم اللوى ، ثم أدركتهم غطفان : عبس وفزارة وأشجع ، فحمل عليه رجل من عبس فقتله . الأغانى (٩ : ٣) .

(٧) الأبيات فى الأغانى (٩ : ٣) والحماسة (١ : ٣٤٠) . وفيهما : « مكان البكا » .

٢٧١ فقلتُ: أعبدَ اللهِ أبكى أم الذى   على الجَدَثِ النائِى قتيلَ أبى بكرِ (١)
وعَبدَ يغوثَ أو نديمَى خالِداً   وعزّ المُصَابُ وضع قبرٍ حِذَا قبرِ (٢)
أبَى القتلُ إلّا آلَ صِمَّة إنَّهم   أبوْا غيرَه والقَدْر يجرى إلى القَدْرِ (٣)
فإمَّا تَرَيْنا لا تزالُ دماؤنا   لدى واترٍ يسعى بها آخِرَ الدَّهْرِ (٤)
فإنّا لَلَحمُ السَّيفِ ، غَيْرَ نكيرَةٍ   ونُلحِمهُ حيناً وليسَ بذى نُكْرِ (٥)
يُغَار علينا واترِينَ فيُشتَفَى   بنا إن أُصبِنا أو نُغيرُ على وِتْرِ (٦)
قَسمَنَا بِذاكِ الدّهَر شَطرين بيْننا   فلا ينقضى إلّا ونحن على شَطرِ (٧)

---

(١) الجدث : القبر . ما عدا ل : « على الحدث الباق » . وأبو بكر هؤلاء ، هم بنو أبى بكر بن كلاب ، قتلوا أخاه قيس بن الصمة . الأغانى (٩ : ٢) .

(٢) وعبد يغوث هذا أخوه ، قتلته بنو مرة . وأما خالد أخوه فقتله بنو الحارث بن كعب . الأغانى (٩ : ٢) . ماعدا ل : « أو يمينى خالدا » ، جعله كيده اليمنى . وفى الأغانى : « أو خليلى » ، وبدلها فى الحماسة : « تحجل الطير حوله » . الحِذاء : الإزاء والمقابل . ما عدا ل : « إلى قبر » . وعجزه فى الأغانى : « وعز مصابا حثو قبر على قبر » . وفى الحماسة : « وعز المصاب حثو قبر على قبر » .

(٣) القدر ، بسكون الدال ، هو القدر بفتحها ، وهو ما قدره الله . وأنشد للفرزدق :

وما صب رجلى فى حديد مجاشع   مع القَدْر إلا حاجة لى أريدها

(٤) الواتر : الذى يدرك الوتر ، أى الثأر . ب ، جـ : « دائر » التيمورية : « دائر » محرفتان . وفى الأغانى : « يشقى بها » تحريف . يقول : إن ترينا أبداً دماؤنا عند من قتلْنا له قتيلا يطلبنا بدمه ، ويسعى بما يطلب من دمائنا .

(٥) هم لحم السيف ، أى هم طعامه يعرضون أنفسهم للقتل . غير نكيرة ، منصوب على المصدر . قال التبريزى فى شرح الحماسة : « وأكثر مايستعمل نكير بغير هاء . والنكر والنكير كالعذر والعذير . ومثل هذا المصدر يؤكد به الكلام الذى قبله ، ويجرى مجرى حقا وما أشبهه . ويجوز أن تكون الهاء من النكيرة للمبالغة » . ولم يذكر « النكيرة » أحد من أئمة اللغة سوى صاحب القاموس . ألحمه : أطعمه اللحم . والحين : اسم للزمان المتصل ، فكأنه قال : ونلحمه فيما يتصل من الأوقات ، وليس يريد حينا من الأحيان . انظر شرح التبريزى .

(٦) الوتر ، بفتح الواو وكسرها : الثأر .

(٧) الشطر ، بالفتح : نصف الشىء . بيننا ، أى بيننا وبين أعدائنا .

وقال الآخر (١) :

إذا ما تراءَاه الرِّجالُ تحفَّظُوا ... فلم تُنطقِ العوراءُ وهو قريبُ (٢)
حَبيبٌ إلى الزُّوَّارِ غِشيانُ بيته ... جميلُ المحيَّا شَبَّ وهْوَ أديب
فَتًى لا يُبالِي أن يكون بجسمِه ... إذا نالَ خَلَّاتِ الكِرام شُحُوب (٣)
حليمٌ إذا ما الحِلمُ زيّنَ أهلَهُ ... مع الحِلم فى عَين العدُوِّ مَهيبُ (٤)
حليف النَّدَى يدعو النّدَى فيجيبه ... قريباً ويدعوه النّدَى فيجيب
يَبيت النّدَى يا أُمَّ عمرو ضجيعَه ... إذا لم يكن فى المنْقيات حَلُوبُ

يقول : إذا كان الجدب ولم يكن للمال لبنٌ فهو وَهُوبٌ مِطعامٌ فى هذا الزمن . والمنْقيات : المهازيل التى ذهب نِقيهنّ ؛ والنِّقْى : مخّ العظام وشحم العين ، وجمعه أنقاء . وناقة مُنْقية ، أى ذات نِقْى .

وقال الآخر :

ألَا ترِيـنَ وقــد قطّعتِنــى عَذَلا ... ماذا من الفَوْتِ بين البُخْلِ والجودِ (٥)
إلّا يكنْ وَرِقٌ يوماً أجُودُ به ... للمعتفِين فإنّى لَيِّن العُودِ (٦)

---

(١) الأبيات التالية من قصيدتين متشابهتين متداخلتين يخلط الرواة بين أبياتها ، إحداهما لكعب بن سعد الغنوى ، والأخرى لعريقة بن مسافع العبسى ، انظر الأصمعيات ٩٤ - ٩٦ طبع المعارف و ١٣ - ١٦ ليبسك ، والأمالى (٢ : ١٤٧ - ١٤٨) والخزانة (٤ : ٣٧٣ - ٣٧٤) ومختارات ابن الشجرى ٢٧ .

(٢) تراءوه : قابلوه فرأوه . وفى شعر أبى ذؤيب :

أبى الله إلا أن يقيدك بعدما ... تراءيتمونى من قريب ومودق

والعوراء : الكلمة القبيحة .

(٣) الخلة ، بفتح الخاء : الخصلة . يقول : لا يبالى شحوب جسمه فى سبيل المكارم .

(٤) فى ل : « فى غير العدو » صوابه من هـ والأصمعيات . يقول : هو مهيب فى عين أعدائه ، مع ما يتحلى به من حلم ومسالمة . والبيت وما بعده إلى آخر التفسير من ل ، هـ فقط .

(٥) الفوت : البعد ، وفى اللسان : « وبينهما فوت فائت ، كما يقال بون بائن » .

(٦) الورق ، مثلثة الواو ، وككتف وجبل : الدراهم المضروبة . ما عدا ل : « أجود بها » ، وكلاهما صحيح . المعتفون : الطلاب والسائلون .

وإلى هذا ذهب ابن يسيرٍ حيث يقولُ :

لا يَعدَمُ السائلونَ الخيرَ أفعَلُه إمَّا نَوالى وإمّا حُسنَ مَردُودى (١)

وقال الهُذَلىّ (٢) : ٢٧٢

وهّابُ ما لا تكادُ النَّفسُ تُرسِلُه من التّلادِ وَصُولٌ غير منَّانِ (٣)

قال أبو عبيدةَ معمرُ بن المثنّى : ومن الشّوارد التى لا أربابَ لها قولُه :

إنْ يفجُرُوا أو يَغدِروا أو يبخلوا لا يحفِلوا (٤)

وغَدَوْا عليك مرجَّليـ ـنَ كأنهمُ لم يفعَلُوا (٥)

كأبى بَرَاقِشَ كلَّ لَوْ نٍ لونُه يتخيَّـــلُ (٦)

ومثله فى بعض معانيه :

أكولٌ لأرزاق العيالِ إذا شَتَا صَبُورٌ على سُوءِ الثناءِ وَقَاحُ (٧)

---

(١) انظر ما سبق فى ص ١٧٤ . وأنشد هذا البيت فى اللسان بدون نسبة ، وهو لمحمد بن يسير كما نص الجاحظ هنا ، وكما فى الأغانى (١٢ : ١٢٩) والشعراء ٨٥٥ . والمردود : الرد ، وهو مصدر مثل المحلوف والمعقول بمعنى الحلف والعقل . وفى اللسان والأغانى والشعراء « إما نوالا وإما حسن مردود » .

(٢) هو أبو المثلم الهذلى يرثى صخر الغى الهذلى ، وكان بينهما فى حياتهما عداوة ومناقضات . ديوان الهذليين (٢ : ٢٣٨ - ٢٤٠) طبع دار الكتب ، وشرح السكرى للهذليين ٣٤ ونسخة الشنقيطى ٩٤ والأغانى (٢٠ : ٢١ - ٢٢) .

(٣) ترسله ، أى تطلقه وتهبه ، وذلك لنفاسته . والتلاد : المال القديم . غير منان : لا يكدر عطيته بالمن ، وهو الاعتداد بالإحسان والفخر به . ورواية الديوان :

يعطيك ما لا تكاد النفس ترسله من التلاد وهوب غير منان

(٤) انظر الأبيات وروايتها وماقيل فيها فى عيون الأخبار (٢ : ٢٩) وديوان المعانى (١ : ١٨٢) وأمالى القالى (٣ : ٨٣) وخزانة الأدب (٣ : ٦٦٠) والصناعتين ١٠٣ ومحاضرات الراغب (١ : ١٥٠) والبغال ٣٣٨ . ما عدا ل : « لم يحفلوا » .

(٥) المرجلون من الترجيل ، وهو تسريح الشعر وتنظيفه . ما عدا ل : « يغدوا » .

(٦) أبو براقش ، بفتح الباء : طائر كالعصفور حسن الصوت طويل الرقبة والرجلين أحمر المنقار ، يتلون فى كل ساعة ، يكون أحمر وأزرق وأخضر وأصفر . ولعل السبب فى ذلك ما قال الأزهرى ، أنه شبيه بالقنفذ أعلى ريشه أغبر ، وأوسطه أحمر ، وأسفله أسود ، فإذا انتفش تغير ألواناً شتى . فى ل وبعض المراجع السابقة : « يتبدل » .

(٧) الثناء : ما أخبرت به عن الرجل من قبيح أو حسن . والوقاح : الصلب الوجه القليل الحياء ؛ والأنثى وقاح أيضاً ، بغير هاء . والبيت فى عيون الأخبار (٢:٢٩) والبغال ٣٣٨ .

وقال :

وما نَفَى عنكَ قوماً أنتَ خائفُهم … كمثلِ وقمِكَ جُهَّالاً بجُهَّالِ (١)

فاقعَسْ إذا حَدِبوا واحدَبْ إذا قَعِسوا … ووازِنِ الشرَّ مثقالًا بمثقالِ (٢)

وقال الراجز (٣) :

وقد تعلَّلت ذَمِيلَ العَنسِ (٤) … بالسَّوطِ فى ديمُومَةٍ كالتُّرسِ (٥)

إذ عَرَّجَ الليلَ بُروحُ الشَّمسِ (٦)

وقال الراجز :

قد كنتُ إذْ حَبلُ صِباكِ مُدْمَشُ (٧) … وإذْ أهاضيبُ الشَّبابِ تبْغَشُ (٨)

---

(١) البيتان فى الحيوان (١ : ١٤) ومجالس ثعلب ٤٩١ والروض الأنف (١ : ١٧٠) والمجتنى لابن دريد ص ٨٨ . والوقم : القهر والإذلال والكبح ، والرد بخزى . ثعلب : « فما نفى عنك » . الروض الأنف : « ولن ينهنه » .

(٢) قعس يقعس ، من باب فرح : نقيض حدب يحدب . والقعس : دخول الظهر وخروج الصدر . قال ثعلب : « أى إذا عملوا شيئاً فزد عليه » . ومثله ما أنشده ابن سيدة فى المخصص (٢ : ١٨) :

فإن حدبوا فاقعس وإن هم تقاعسوا … لينتزعوا ماخلف ظهرك فاحدب

(٣) هو دكين الراجز ، أو أبو محمد الفقعسى . وانظر الحيوان (٣ : ٧٤ ، ٣٦٣) . ونسب فى المؤتلف ١٠٤ إلى منظور بن حبة الأسدى . انظر زهر الآداب (٢ : ١٠٥) واللسان (علل) .

(٤) وكذا إنشاده فى الحيوان . وصواب الرواية : « وقد تعاللت » كما فى المراجع السابقة . يقال تعاللت الناقة ، إذا استخرجت ما عندها من السير . والذميل : ضرب من سير الإبل . والعنس : الناقة الصلبة .

(٥) الديمومة : الفلاة الواسعة . والترس : ما يمسك به المحارب يتقى الضرب . جعلها كالترس فى صلابتها . وإذا صلبت الفلاة لم تتضح معالمها .

(٦) عرج الليل : حبسه . بروح الشمس : ظهورها وخروجها . وكذا جاءت الرواية فى المؤتلف . وفى سائر المراجع : « بروج » بالجيم ، وهو بمعنى الأولى .

(٧) مدمش : مدمج ، أبدل الشين من الجيم لمكان الروى . والمدمج : المحكم الفتل . والشطر من شواهد اللسان (دمج) وهو وتاليه فى الحيوان ٣ : ٥٨ .

(٨) أهاضيب : جمع أهضوبة ، وهى جلبات القطر بعد القطر . تبغش : تدفع قطرها دفعة .

وقال الراجز :

طال عليهنَّ تكاليــــفُ السُّرى والنَّصُّ فى حينِ الهجيرِ والضُّحى (١)
حتَّى عُجَاهُنَّ فما تحتَ العُجَى (٢) رواعِفٌ يخْضِبْن مُبيضَّ الحَصَى (٣)

٢٧٣ سمع ذلك ابنُ وهَيب فرامَ مثله فقال :

تخضب مَرْواً دماً نَجيعاً من فَرط مانُكَب الحوامى (٤)

وقال عامرٌ ملاعبُ الأسِنَّة (٥) :

دفعتُكُم عنِّى ، وما دَفعُ راحةٍ بشىءٍ إذا لم تَسْتَعِنْ بالأناملِ
يُضَعضِعنى حلمى وكثرةُ جهلِكم عَلَىَّ ، وإنِّى لا أصول بجاهلِ

وقال آخر (٦) :

لا بدَّ للسُّودَدِ من أرماحِ ومن سفيهٍ دائم النُّباحِ
ومن عديدٍ يُتَّقى بالرَّاحِ

---

(١) النص : السير الشديد .

(٢) العجى : جمع عجاية وعجاوة بضم العين فيهما ، وهى عصب مركب فيه فصوص من عظام كأمثال فصوص الخاتم تكون عند رسغ الدابة .

(٣) رواعف : يسيل منها الدم .

(٤) ما عدا ل : « يخضب » . والمرو : حجارة بيض براقة ، واحدتها مروة . نكبته الحجارة نكباً : لثمته . الحوامى : حروف الحوافر من عن يمين وشمال ، واحدتها حامية .

(٥) هو عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب ، فارس قيس ، وسمى ملاعب الأسنة لقول أوس بن حجر فيه :

ولاعب أطراف الأسنة عامر فراح له حظ الكتيبة أجمع

وهو عم لبيد الشاعر ، وهو كذلك عم عامر بن الطفيل . وفى العامرين قالوا : « أفرس من ملاعب الأسنة » و « أفرس من عامر » . انظر الأغانى (١٤ : ٩٠) وأمثال الميدانى (٢ : ٢٩) . وقالوا : أخذ ملاعب الأسنة أربعين مرباعاً فى الجاهلية . والمرباع : ربع الغنيمة يأخذه رئيس القوم لنفسه . انظر بلوغ الأرب (١ : ١٢٧) . توفى ملاعب الأسنة فى نحو سنة ١٠ من الهجرة . الإصابة ٤٤١٥ .

(٦) هو أبو سلمى ، أو أبو سليمى . الحيوان (١ : ٣٥١ / ٣ : ٧٩) .

وقال أبو نُخَيلَة لبعض ساداتِ بنى سعد :

وإنّ بقومٍ سَوَّدوك لفَاقةً   إلى سيِّدٍ لو يظفرون بسَيِّدِ (١)

وتمثَّل سُفيان بن عُيينةَ وقد جلس على مَرقَبٍ عالٍ ، وأصحابُ الحديث مدَى البصر يكتُبُون ، بقول الآخر (٢) :

خَلَت الدِّيارُ فسُدتُ غيرَ مُسوَّدِ   ومن الشَّقاء تَفرُّدى بالسُّودَدِ

وقال الأوّل (٣) فى الأحنف :

وإنّ مِن السادات مَن لو أطعتَه   دعاك إلى نارٍ يفورُ سعيرُها

وقال الآخر :

فأصبحتَ بعد الحِلم فى الحىِّ ظالما   تَخمَّطُ فيهم ، والمُسَوَّدُ يَظلمُ (٤)

وقال رجل من بنى الحارث بن كعب ، يقال له سُوَيْد (٥) :

إنّى إذا ما الأمرُ بيَّنَ شَكُّهُ   وبدت بصائرُه لمن يتأمَّلُ

وتبرَّأ الضُّعفاءُ من إخوانِهِمْ   وألحّ من حَرِّ الصَّميم الكلكلُ

أدَعُ التى هى أرفَقُ الخَلَّاتِ بى   عند الحفيظة للتى هىَ أجملُ ٢٧٤

وقال الآخر (٦) :

ذهب الذين أُحبُّهم فَرَطاً   وبقِيتُ كالمغمور فى خَلْفِ (٧)

من كلِّ مَطوىٍّ على حَنَقٍ   متضجِّعٍ يُكْفَى ولا يَكْفِى

---

(١) سبق البيت فى ص ٢١٩ . وهو من أبيات لرجل من خثعم فى الحماسة (١ : ٣٣٣ - ٣٣٤) . وقد نسبت فى معجم البلدان (البقيع) إلى عمرو بن النعمان البياضى .

(٢) هو حارثة بن بدر ، كما سبق ص ٢١٩ .

(٣) هو إياس بن قتادة ، كما مضى فى ص ٢١٨ .

(٤) التخمط : الكبر والغضب . والبيت فى الحيوان (٣ : ٨١) .

(٥) هو سويد المراثد ، وقد سبقت الأبيات وتفسيرها فى ص ٢٤١ .

(٦) هو الأحوص ، كما سبق فى (٢ : ١٨٤) .

(٧) فيما مضى : « كالمقمور » .

وقال أبو الطَّمَحان القينيُّ (١) :

فكم فيهمُ من سيِّدٍ وابنِ سيِّدٍ ... وفِيٍّ بعَقد الجار حين يُفارِقُه (٢)
يكادُ الغَمامُ الغُرُّ يَزْعَبُ إنْ رأى ... وجوهَ بنِى لأمٍ وينهلُّ بارقِه (٣)

وقال طُفَيلٌ الغَنَويُّ :

وكان هُرَيمٌ من سنانٍ خليفة ... وعمرٍو ومِن أسماءَ لَماَّ تغيّبوا (٤)
نُجومُ سماءٍ كلَّما غاب كوكبٌ ... بدا وانجلَتْ عنه الدُّجُنَّةُ كوكب (٥)

وقال رجلٌ من بنى نهشَلٍ (٦) :

إنّـا لمن مَعْشَرٍ أفنـى أوائلَهـم ... قَولُ الكُماةِ لهم أين المُحامُونَا (٧)
لو كان فى الألفِ مِنَّا واحدٌ فدَعَوا ... مَن عاطِفٌ خالَهُم إيّاه يَعنُونا

---

(١) ترجم فى (١ : ١٨٧) .

(٢) البيتان فى الحيوان (٣ : ٩٣) . والأخير منهما فى الشعراء ٣٤٩ وعيون الأخبار (٤ : ٢٥) .

(٣) الغر : البيض . يزعب ، من قولهم زعب السيل الوادى يزعبه زعباً : ملأه . ل : « يرغب » تحريف . وفى الحيوان والشعراء وعيون الأخبار : « يرعد » ، وهى أجود . وبنو لأم هم بنو لأم بن عمرو بن طريف ، من طيئ .

(٤) البيت فى ديوان طفيل ١٨ برواية السجستانى عن الأصمعى ، والحيوان (٣ : ٩٤) . من قصيدة له يرثى بها فرسان قومه . وسنان هذا ، هو سنان بن عمرو بن يربوع بن طريف بن خرشبة . وكان فارساً حسيباً ، قاد ورأس . وحصن : فارس من غنى . وأسماء هو أسماء بن واقد بن وقيد بن رياح بن يربوع . وأما هريم الذى بقى بعد قتلهم وساد ورأس أيضاً فهو عم سنان ، واسمه هريم بن سنان بن يربوع . ورواية الديوان : « وحصن ومن أسماء » .

(٥) هـ : « كلما انقض » وفى الديوان :

كواكب دجن كلما غاب كوكب ... بدا وانجلت عنه الدجنة كوكب

وفى بعض نسخ الحيوان : « بدا ساطعاً فى حندس الليل كوكب » .

(٦) هو بشامة بن حزن النهشلى ، كما فى عيون الأخبار (١ : ١٩٠) وشرح التبريزى للحماسة (١ : ٥٠ بولاق) ، والخزانة (٣ : ٥١٠ - ٥١١) والعينى (٣ : ٣٧٠ - ٣٧١) . ونسب فى الشعر والشعراء ٦١٩ إلى نهشل بن حرى النهشلى ، مخالفاً ما فى عيون الأخبار . وعزى فى الكامل ٦٤ - ٦٥ ليبسك إلى رجل يكنى أبا مخزوم ، من بنى نهشل بن دارم ، فزاد الأخفش أنه هو بشامة بن حزن النهشلى . والأبيات بنسبتها إلى رجل من بنى نهشل فى الحيوان (٣ : ٩٥) ، وإلى رجل من بنى قيس بن ثعلبة فى الحماسة (١ : ٢٥) .

(٧) هـ : « قيل الكماة » .

وليس يذهب منّا سيّدٌ أبداً　　　إلّا افتَلَيْنا غلاماً سَيِّداً فينا (١)

وقال بعض الحجازيِّين (٢) :

إذا طَمَعٌ يوماً عَرانى قريتُهُ　　　كتائبَ بأسٍ كرَّهَا وطِرَادَها (٣)
أكُدُّ ثمادى والمياهُ كثيرةٌ　　　أعالجُ منها حفرَها واكتدادَها (٤) ٢٧٥
وأرضى بها من بحرِ آخرَ إنّه　　　هو الرِّىُّ أنْ ترضَى النفوسُ ثِمادَها (٥)

وقال أبو مِحْجَنٍ الثَّقفىّ (٦) :

ألم تَسَلِ الفوارسَ مِن سُلَيْمٍ　　　بنَضْلةَ وهْوَ مَوتورٌ مُشِيحُ (٧)
رأَوْهُ فازدَرَوْهُ وهوَ خِرقٌ　　　ويَنفعُ أهلَهُ الرَّجلُ القبيح (٨)
فلم يَخْشَوا مَصالتَهُ عليهمْ　　　وتحْتَ الرّغوة اللَّبنُ الصَّرِيحُ (٩)

---

(١) الافتلاء : الافتطام والأخذ عن الأم .

(٢) البيتان الثانى والثالث فى مجالس ثعلب ٦٦٤ بدون نسبة ، والثانى كذلك فى اللسان (كدد) .

(٣) عراه الضيف : غشيه طالبا معروفه . القرى : طعام الضيف . هـ : « يأس » .

(٤) الكد والاكتداد : النزع باليد ، يكون ذلك فى الجامد والسائل . والثماد : الحفر يكون فيها الماء القليل ، جمع ثمد . يقول : إنه يرضى بالقليل ويقنع به .

(٥) من بحرٍ آخر ، أى بدل بحرٍ غيرى . والبحر : الماء الكثير ملحا كان أو عذبا .

(٦) فى اللسان (فصح) أن القائل نضلة السلمى . وأبو محجن الثقفى ، هو عبد الله بن حبيب بن عمرو بن عمير الثقفى . وهو من المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام ، معدود فى أولى البأس والنجدة ، وكان يدمن شرب الخمر ، وأقام عليه عمر الحد مراراً . وهو القائل :

إذا مت فادفنى إلى أصل كرمة　　　تروى عظامى بعد موتى عروقها
ولا تدفننى بالفلاة فإننى　　　أخاف إذا ما مت ألا أذوقها

ابن سلام ١٠٥ والشعراء ٣٨٧ والأغانى (٢١ : ١٣٧ - ١٤٣) .

(٧) الأبيات لم ترو فى ديوان أبى محجن . ورواها ثعلب فى المجالس ٨ - ٩ منسوبة إلى رجل من بنى سليم . قال : « مر قوم من بنى سليم برجل من مزينة يقال له نضلة ، فى إبل له ، فاستسقوه لبنا فسقاهم ، فلما رأوا أنه ليس فى الإبل غيره ازدروه فأرادوا أن يستاقوها ، فجالدهم حتى قتل منهم رجلا ، وأجلى الباقين عن الإبل ، فقال فى ذلك رجل من بنى سليم ... » . وأنشد الأبيات . فى مجالس ثعلب وما عدا ل : « ألم تسأل فوارس » . المشيح : الحذر الجاد .

(٨) الخرق ، بكسر الخاء : الفتى الكريم الخليقة ، والظريف فى سماحة ونجدة .

(٩) المصالة : مصدر ميمى من صال يصول . والرغوة ، مثلثة الراء .

فكَـرّ عليهمُ بالسيـفِ صَلْتـاً   كما عَضَّ الشَّبا الفَرسُ الجموحُ [١]
فَأَطْلَقَ غُلَّ صاحبِهِ وأَرْدَى   جَرِيحاً منهُمُ ونجَا جَرِيحُ [٢]

وقال بعض اليهود :

سَئِمتُ وأمسَيتُ رَهْنَ الفِرا   شِ مِن حَملِ قومٍ ومِن مَغْرَمِ [٣]
ومِن سَفَهِ الرَّأيِ بَعدَ النُّهَى   ورُمتُ الرَّشادَ فلَم يُفْهَمِ [٤]
فلوْ أنَّ قوْمى أطاعُوا الحليمَ   ولم يُتَعَـدَّ ولم يُظْلَـمِ [٥]
ولكنَّ قوْمى أطاعُوا السَّفيـ   ـهَ حتى تَعكَّظ أهْلُ الدَّمِ [٦]
فأَودَى السَّفِيهُ برَأْيِ الحليـ   ـمِ فانتشَرَ الأمر لَمْ يُبْرَمِ

وقال بعض الشعراء :

وكنتُ جليسَ قَعْقَاعِ بنِ شَورٍ   ولا يَشْقَى بقَعقاعٍ جَليسُ [٧]
ضَحوكُ السِّنِّ إنْ نَطقوا بخيرٍ   وعِندَ الشرِّ مِطراقٌ عَبوسُ [٨]

وقال الآخر :

ولستُ بدُمَّيجةٍ فى الفِرَا   شِ وَجَّابةٍ يَحتمى أنْ يُجيبَا [٩]
٢٧٦ ولَا ذى قَلَازِمَ عِندَ الحِياضِ   إذا ما الشَّرِيبُ أرَابَ الشَّرِيبا

---

(١) الصلت : المنجرد الماضى فى الضريبة . شباة كل شئ : حده .

(٢) فى المجالس : « قتيلا منهم » .

(٣) الحمل : أن يحمل عن القوم دياتهم وغرمهم ، ومايحمله هو الحمالة ، كسحابة .

(٤) ل : « فلم أفهم » .

(٥) ما عدا ل ، هـ : « ولم تتعد ولم تظلم » .

(٦) تعكظ القوم تعكظا : تحبسوا لينظروا فى أمورهم .

(٧) القعقاع بن شور ، ترجم فى (١ : ٤٧) .

(٨) ما عدا ل : « إن أمروا بخير » . والمطراق : الكثير الإطراق ، وهو السكوت.

(٩) سبق البيتان فى (١ : ٥٧ ، ٦٨) . وفى الأصول : « بزميجة » . وانظر ما مضى من التحقيق والشرح .

وقال حَجْلُ بنُ نضْلة (١) :

جاء شقيقٌ عارضاً رُمْحَهُ   إنّ بَنى عمِّكَ فيهم رِماحْ (٢)
هَلْ أَحْدَثَ الدَّهرُ لنا نكْبَـةً   أم هل رَقَتْ أُمُّ شقَيــقٍ سِلَاحْ (٣)

وقال (٤) :

ويـلُ امِّ لذَّاتِ الشَّبـابِ مَعيشةً   مع الكُثْرِ يُعطاهُ الفتى المُتْلفُ النَّدِ (٥)
وقد يَقصُرُ القُلُّ الفتَى دُونَ هَمِّـه   وقد كانَ لوْلَا القُلُّ طَلَّاعَ أَنجُدِ (٦)

---

(١) فى معاهد التنصيص (١ : ٢٧) : « وأما حَجْل بن نضلة فهو أحد بنى عمرو بن عبد قيس بن معن بن أعصر » . هـ : « جحل » .

(٢) شقيق : اسم رجل . عارضا رمحه : واضعاً رمحه عرضاً مفتخراً بتصريف الرماح ، مدلا بشجاعته . والبيت من شواهد البلاغة ، يستشهد به البلاغيون لتنزيل غير المنكر للشئ منزلة المنكر له ، إذا ظهر عليه شئ من أمارات الإنكار .

(٣) رقت ، من الرقية ، وهى العُوذة التى يرقَّى بها صاحب الآفة . فكأنها رقت سلاحه وأحدثت به ضرباً من السحر لتضعف إصابته أو يبطل أثره . وانظر الأغانى (١٢ : ٤٩) ما عدا ل : « رفت » . وفى معاهد التنصيص : « رمت » .

(٤) القائل علقمة بن عبدة الفحل . ديوانه ١٣٥ . والبيتان فى الحماسة (٢ : ٥٢) بدون نسبة ، ونسبهما التبريزى فى شرحها إلى خالد بن علقمة الدارمى ، وكذا جاءت نسبتهما فى اللسان (قلل) . أما فى (نجد) فقد نسبا أيضاً إلى حميد بن أبى شحاذ الضبى ، وهذه هى نسبة الأعلم الشنتمرى فى حماسته . وفى الخزانة (١ : ٥٦٣) نسبتهما إلى خالد بن علقمة بن عبدة ، أو عبد الرحمن بن على بن عبدة ، حفيد علقمة ، وثانى البيتين فى إصلاح المنطق ٣٩ ، ٥٦ ، ١٨٨ ، ٤٠٢ والمخصص (١٣ : ٦٧) بدون نسبة .

(٥) ويل آم ، من صيغ التعجب السماعية ، المنقولة من الدعاء عليه ، مثل « قاتله الله » فيرى بعضهم أنها « ويل لأم » ثم خففت بحذف اللام الأولى والهمزة بعد نقل حركتها إلى اللام الثانية ، وبعضهم يذهب أنها « وى لِأمِّ » ، ثم حذفت الهمزة بعد نقل حركتها إلى اللام . انظر اللسان (ويل) والخزانة (١ : ٥٦٣) . و « وى » فى هذا التقدير بمعنى أعجب . الكثر ، بالضم : المال الكثير . وروى : « يعطاها » بعود الضمير على المعيشة . الفتى : السخى الكريم . والمتلف : المفرق لماله . والندى : السخى . وياء الندى خفيفة ، وحكى كراع تثقيلها ، فوزنها فعل أو فعيل . اللسان (ندى) .

(٦) يقصر : يحبس : وروى : « يعقل » أى يحبس . والقل ، بالضم : المال القليل : الأنجد : جمع النجد ، وهو ما أشرف من الأرض وارتفع . طلاع أنجد ، أى قادراً على السمو والارتفاع إلى معالى الأمور . وبعد هذا البيت فى ديوان علقمة :

وقد أقطع الخرق المخوف به الردى   بعنس كجفن الفارسى المسرد
كأن ذراعيها على الخل بعد ما   ونين ذراعا ماتح متجرد

وقال الآخر (١):

قامَتْ تُخاصِرُنى بقُبَّتِها ... خَوْدٌ تأطَّرُ غادةٌ بِكرُ

كلٌّ يَرى أنّ الشّبابَ لَه ... فى كلِّ مُبْلغٍ لذَّةٍ عُذْرُ

وقال سعد بن ربيعة بن مالك بن سعد بن زيد مناة ، وهو من قديم الشعر وصحيحه :

ألَا إنّما هذا السُّلالُ الذى تَرى ... وإدْبارُ جسمى مِنْ رَدَى العَثَراتِ (٢)

وكم من خَليلٍ قد تجلَّدْتُ بَعدَهُ ... تَقطَّعُ نفسى بَعده حَسَراتِ (٣)

وقال الطِرِمّاحُ فى هذا المعنى :

وشَيَّبَنى أن لَا أزالُ مُناهِضاً ... بغيرِ ثَراً أسْرُو به وأَبُوعُ (٤)

أمُخْتَرِمِى رَيْبُ المَنُونِ ولم أَنَلْ ... مِن المالِ ما أعصِى بِهِ وأُطِيعُ

وقال الأضبَطُ بنُ قُرَيع (٥) :

لِكلِّ هَمٍّ مِن الهُمومِ سَعَهْ ... والمُسْىُ والصُّبحُ لا فَلاحَ مَعَهْ

فَصِلْ حِبالَ البَعيدِ إنْ وَصَلَ الْـ ... ـحَبْلَ وأَقْصِ القريبَ إنْ قَطَعَهْ ٢٧٧

وخُذْ مِن الدَّهر ما أتَاكَ به ... مَن قَرَّ عيناً بعيشه نفعَهْ (٦)

لا تَحْقِرَنّ الفقيرَ عَلَّكَ أنْ ... تَركَعَ يوماً والدَّهرُ قد رَفَعَه (٧)

---

(١) هو الأحوص ، كما سبق فى (١ : ١٩٨) .

(٢) البيتان فى ص ٢٠٠ من هذا الجزء . السلال ، بالضم : السل . وفيما سبق : « الملال » .

(٣) ما عدا ل : « دونه حسرات » .

(٤) وهذان البيتان سبقا أيضا فى ص ٢٠٠ . وفيما سبق : « بغير قوى أنزو بها » ، وهو دليل على أن الجاحظ يختار المقطوعة الواحدة أحيانا من كتابين مختلفين .

(٥) هو الأضبط بن قريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم . ذكره السجستانى فى المعمرين ٨ . وانظر بعض أخباره فى الأغانى (١٦ : ١٥٤ — ١٥٥) وأبياته التالية فى المعمرين ، ومجالس ثعلب ٤٨٠ والأمالى (١ : ١٠٧) والأغانى (١٦ : ١٥٤) . وحماسة ابن الشجرى ١٣٧ والخزانة (٤ : ٥٨٩) والمثل السائر (١ : ٢٦) .

(٦) هذا البيت فى ل ، هـ فقط .

(٧) ويروى : « لا تهين الفقير » .

قد يَجمَعُ المالَ غيرُ آكِلِهِ   ويأْكُلُ المالَ غيرُ مَن جَمَعه

وقال أعرابىٌّ ، ونحر ناقة فى حُطْمةٍ أصابتهم (١) :

أَكَلْنا الشَّوَى حتى إذا لم نجدْ شَوًى   أشَرْنا إلى خَيراتِهـا بالأصابـع (٢)
ولَلسَّيفُ أحْرَى أن تُباشِرَ حَدَّهُ   من الجوعِ لا تُثْنَى عليه المضاجع (٣)
لَعَمْرُكَ ما سَلَّيْتَ نفساً شَحِيحةً   عن المالِ فى الدُّنيا بمثلِ المجاوِعِ (٤)

وقدّم ناقةً له أخرى إلى شجرة ليكون المحتطَب قريباً من المنحَر ، فقال :

أدنيْتُهـا من رأْسِ عَشَّاءَ عَشَّةٍ   مُفصَّلةِ الأفنانِ صُهْبٍ فُرُوعُها (٥)
وقُلْتُ لها لمّـا شَدَدْتُ عِقـالها   وبالكفِّ مُمْهاةٌ شديدٌ وُقوعُها (٦)
لقد غنِيَتْ نفسى عليكِ شَحِيحةً   ولكن يُسَخِّى شَحّةَ النفسِ جُوعُها (٧)

وقال أُسقُفُ نجران (٨) :

---

(١) الحطمة ، بفتح الحاء وضمها : السنة الشديدة تحطم كل شئ .

(٢) الشوى : رُذَال المال وصغاره . وأنشد هذا البيت فى مقاييس اللغة والجمهرة (شوى) والمخصص (١٤ : ٢٩ / ١٥ : ١٦٦) . وهو وتاليه فى اللسان (شوى) .

(٣) فى البيت إقواء . يقول : نحر الناقة خير من الجوع الذى يذهب الرقاد . ل : « يباشر حده » ، وتقرأ بالبناء للمفعول .

(٤) ما عدا ل ، هـ : « بمثل مجاوع » .

(٥) كذا جاء البيت بالخرم فى أوله . العشّاء ، وصف لم يرد فى المعاجم المتداولة ، وأما العشة ، بفتح العين ، فهى الشجرة الدقيقة القضبان . ومادة الكلمتين واحدة . مفصلة الأفنان : مفرقة الفروع . والصهب : جمع أصهب وصهباء ؛ والصهبة : حمرة أو شقرة .

(٦) ممهاة : قد أحِدَّت شفرتها ورققت .

(٧) غنى ، هنا بمعنى أقام . قال الله عز وجل : (كأن لم يغنوا فيها) ؛ أو بمعنى كان ، كما فى قول مهلهل :

غنيت دارنا تهامة فى الدهـ   ـر وفيها بنو معد حلولا

ما عدا ل ، هـ : « عنيت » تحريف .

(٨) الأسقف : رئيس من رؤساء النصارى . وكذا نسب الشعر فى الحيوان (٣ : ٨٨) . ونسب فى العقد (٢ : ١٢٢) إلى عابد نجران . وفى معجم المرزبانى ٣٣٩ إلى القمقام بن العباهل ، وهو تبع الثانى أو الثالث ، ملك حضرموت واليمن . وفى معاهد التنصيص (٢ : ١٢١) والصناعتين ١٩٢ إلى بعض ملوك اليمن . وانظر خبراً متعلقاً بالشعر فى زهر الآداب (٣ : ١٨٣) وأمالى القالى (٣ : ٢٩) .

مَنعَ البَقاءَ تصرُّفُ الشَّمْس ... وطُلوعُها من حيْثُ لا تُمْسِي
وطُلوعُها بَيضاءَ صافيَةً ... وغُرُوبُها صفراءَ كالوَرْسِ
اليَومُ نعلَمُ مايَجىءُ به ... ومضَى بفَصْلِ قضائِه أمْسِ

وقال الآخر (١) :

وهُلْكُ الفتى أنْ لا يَرَاحَ إلى النَّدَى ... وأنْ لا يَرَى شيئاً عَجيباً فيَعْجَبَا (٢)
ومَن يتَتَبَّعْ منِّى الظَّلعَ يَلْقنِى ... إذا ما رآنى أصلعَ الرَّأسِ أشْيَبا (٣)

٢٧٨ وقال سُحَيمُ بنُ وَثيل الرِّياحىُّ (٤) :

تقولُ حَذْراءُ ليس فيكَ سِوَى الخَمْـ ... ـرِ مَعيبٌ يَعيبُه أحَدُ (٥)
فقلتُ أخطأْتِ بَلْ معُاقرَتى الخَمـ ... ـرَ وبَذْلى فيها الَّذى أجِدُ (٦)

---

(١) سبق البيتان كذلك بدون نسبة فى ص ٢٤٢ ، وهما لعلى بن الغدير الغنوى ، كما فى الأمالى (٢ : ١٨١) .

(٢) راح يراح : أخذته أريحية وخفة وفرحة . والندى : الكرم . وانظر خبراً يتعلق بهذا البيت فى الأغانى (١٨ : ٤٥) .

(٣) ما عدا ل ، هـ : « يبتغى منى الطلاعة » تحريف .

(٤) هو سحيم بن وثيل بن أعيقر بن أبى عمرو بن إهاب بن حميرى بن رياح بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن تميم . شاعر مخضرم ، أدرك فى الجاهلية أربعين سنة ، وفى الإسلام ستين وهو صاحب القصة المشهورة فى المعاقرة . وذلك أن أهل الكوفة أصابتهم مجاعة فخرج أكثر الناس إلى البوادى ، فعقر غالب بن صعصعة والد الفرزدق لأهله ناقة صنع منها طعاماً وأهدى منه إلى ناس من تميم ، فأهدى إلى سحيم جفنة فكفأها وضرب الذى أتى بها ، ونحر لأهله ناقة ، ثم تفاخرا فى النحر حتى نحر غالب مائة ناقة ، ولم تكن إبل سحيم حاضرة ، فلما جاءت نحر ثلاثمائة ناقة . وكان ذلك فى خلافة على بن أبى طالب ، فمنع الناس من أكلها وقال : « مما أهلّ به لغير الله » ، فجمعت لحومها على كناسة الكوفة ، فأكلها الكلاب والعقبان والرخم . انظر النقائض ٤١٤ – ٤١٨ والأمالى (٣ : ٥٢ – ٥٤) ومعجم البلدان (٥ : ٣٩٥) والخزانة (١ : ٤٦١ – ٤٦٣) . ووثيل بفتح الواو من الوثالة ، وهى الرجاحة . وضبط فى الإصابة ٣٦٦٠ وشرح شواهد المغنى ١٥٧ بالتصغير خطأً . انظر الاشتقاق ١٣٨ والخزانة (١ : ١٢٨) .

(٥) حذراء : اسم امرأة . والمعيب : العيب ، ومثله المعاب ، كما فى اللسان . ما عدا ل : « معاب » ، وهذه أيضا هى رواية عيون الأخبار (١ : ٢٥٩) .

(٦) معاقرة الخمر : إدمان شربها .

هُوَ الثَّناءُ الذى سَمِعتِ به　　لا سَبَدٌ مُخْلِدِى ولا لَبَدُ (١)
ويْحَكِ لولا الخمورُ لم أحْفِل العَيْـ　　ـشَ ولا أن يضُمَّنى لَحَدُ (٢)
هى الحَيَا والحَيَاةُ واللَّهوُ لَا　　أنتِ ولا ثَرْوَةٌ ولا وَلَدُ

وقال عبدٌ راعٍ (٣) :

غضبَتْ عَلَىَّ لأنْ شَرِبْتُ بِجزَّةٍ　　فلئِنْ أبَيْتِ لأشرَبَنْ بخَرُوفِ (٤)
ولئـن نطَـقْتِ لأشْرَبَـنَّ بِنعجـةٍ　　حَمْرَاءِ من آلِ المُذَالِ سَحُوفِ (٥)

وقال :

نَاحتْ رُقَيَّةُ من شاةٍ شَرِبْتُ بها　　ولا تَنوحُ على ما يأكلُ الذِّيبُ

---

(١) لا سبد ولا لبد ، أى لا قليل ولا كثير ، قيل أصل السبد ذو الشعر ، واللبد ذو الصوف الذى يتلبد ، يكنى بهما عن المعز والضأن .

(٢) المعروف « اللحد » بفتح اللام وضمها ، وهو شق فى جانب القبر يوضع فيه الميت . وتحريك حائه لضرورة الشعر .

(٣) اشترى ذلك الأعرابى خمراً بجزة من صوف ، فغضبت عليه ، فقال الشعر متحديا لها . انظر أمالى القالى (١ : ١٥٠) وشرح شواهد المغنى للسيوطى ٢٠٧ . ورواية الأبيات فيهما :

غضبت على لأن شربت بصوف　　ولئن غضبت لأشربن بخروف
ولئن غضبت لأشربن بنعجة　　دهساء مائلة الإناء سحوف
ولئن غضبت لأشربن بناقة　　كوماء ناوية العظام صفوف
ولئن غضبت لأشربن بسابح　　نهد أشم المنكبين منيف
ولئن غضبت لأشربن بواحدى　　ولأجعلن الصبر منه حليفى
ولقد شهدت الخيل تعثر بالقنا　　وأجبت صوت الصارخ الملهوف
ولقد شهدت إذا الخصوم تواكلوا　　بخصام لا نزق ولا علفوف

وروى السيوطى عن ابن الأنبارى أن امرأته أجابته فقالت :

ما إن عتبت لأن شربت بصوفة　　أو أن تلذ بلقحة وخروف
فاشرب بكل نفيسة أوتيتها　　وملكتها من تالد وطريف
وارفع بطرفك عن بنىّ فإنه　　من دونه شغب وجدع أنوف

وروى السيوطى أيضاً أن قائل الشعر الأول هو ذو الرمة .

(٤) الجزة ، بالكسر : ما يجز من صوف الشاة فى كل سنة . وأورد ابن هشام فى المغنى (فصل اللام) رواية ابن جنى : « فلإذ » شاهدا على غرابة ذلك فى اللام الموطئة .

(٥) من آل المذال ، أى هى من نسل ذلك الكبش المسمى بالمذال . سحوف : كثيرة السحائف ، وهى طبقات الشحم .

وقال أبو حَفْص القُرَيعى :

قد تغَرَّبتُ للشَّقاوةِ حِيناً   حينَ بُدِّلتُ بالسعادة نُوقا [١]
يومَ فارَقتُ بَلْدَتى وقَرارى   وتبدَّلتُ سوءَ رَأْىٍ ومُوقا [٢]
لَيْتَ عِندى بخَيْرِ مِعزاىَ عَشْرٍ   طَيْلَساناً مِن الطِّرازِ عَتيقا [٣]
وبخَمْسٍ مِنهُنَّ أيضاً قَمِيصاً   سابرِيًّا أَمِيسُ فيه رَقيقا [٤]
قد هجرْتُ النَّبيذَ مُذْ هُنَّ عِندى   وتمَزَّزْتُ رِسْلَهُنَّ مَذِيقا [٥]
فوجَدْتُ المَذِيقَ يُوجِعُ بَطْنِى   ووَجْدتُ النَّبيذَ كان صَدِيقا ٢٧٩
يَعِدُ النَّفْسَ بالعشىِّ مُناهَا   ويَسُلُّ الهُمُومَ سَلاًّ رَفِيقا

* * *

وكان فتًى طيِّب [٦] من وُلد يقطينَ لا يصحو ، وكان فى أهله روافض يخاصمون فى أبى بكر وعمر ، وعثمان وعلىّ ، وطلحة والزبير ، رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ، فقال :

رُبَّ عُقَارٍ باذَرَنجِيَّةٍ   اصْطَدْتها من بيتِ دِهْقانِ [٧]

---

(١) ما عدا ل ، هـ : « للسعادة » ، تحريف . والنُّوق : جمع ناقة .

(٢) الموق ، بالضم : الحمق .

(٣) عشر ، أى بعشر منها . ما عدا ل : « عشراً » . الطيلسان : كساء مدور أخضر ، لحمته أو سداهُ من صوف ، يلبسه الخواص من العلماء والمشايخ ، وهو من لباس العجم ، معرب من « تالسان » الفارسية . والطراز : الجيد من كل شئ ، وما ينسج من الثياب للسلطان . والعتيق : البالغ النهاية فى الجودة .

(٤) السابرى : الرقيق الذى يستشف ما وراءه .

(٥) التمزز : شرب الشراب قليلا قليلا . والرسل ، بالكسر : اللبن . والمذيق : الممذوق ، وهو المخلوط بالماء .

(٦) الطيب : الفكه المزاح . انظر ماسبق فى ص ١١٥ .

(٧) العقار ، بالضم : الخمر . باذرنجية : نسبة إلى نبت يسمى « باذرنجويه » ، له زهر أحمر عطر ، ذكره داود فى تذكرته . والدهقان ، بكسر الدال وضمها : التاجر ، فارسى معرب .

جَنْـدَرْتُ أرواحـاً وطَيَّبتُهـا … بَعدَ اتّساخٍ طالَ فى الحانِ (١)
سَكْتًا وسَلْتًا لم نَخُضْ فى أذًى … مِن قَتْلِ عُثمانَ بن عَفانِ (٢)
ولا أبى بكْـرٍ ولا طَلْحَــةٍ … ولا زُبيــــرٍ يومَ عُثمانِ
اللهُ يَجزيهِــمْ بأعمالِهِـــمْ … لَيسَ علينا عِلْمُ ذا الشّانِ

وقال المُنَخَّلُ اليَشكُرِىُّ (٣) :

ولقـد شربتُ مِن المُـدَا … مةِ بالقلِيـل وبالكثِيـرِ (٤)
ولقـد شربتُ مِن المُـدَا … مَةِ بالصَّغير وبالكبيـــرِ
ولقد شربتُ الخمرَ بالـ … ـخَيلِ الإناثِ وبالذكـورِ
فإذا سَكِــرْتُ فإنَّنــى … رَبُّ الخوَرْنَقِ والسَّديرِ (٥)

---

(١) الجندرة : أصلها جندرة الكتاب ، وهى أن يمر القلم على ما درس منه ، أو أن يعيد وشى الثوب بعد ذهابه . والحان : حانوت الخمر . ولم تذكر المعاجم هذه الكلمة على كثرة ورودها فى شعر أبى نواس ، وإنما ذكرت « الحانة » . وقال أبو نواس :

فى حلبة الحان جان خلفه شهب … مبادر راعه شخص بأنفار

ديوانه ٢٧٨ . وقال :

نحن فى حان تاجر عندنا اللهـ … ـو بحِلم لم نمتزجه بطيش

ديوانه ٣٠١ . وقال فى الحان ، بمعنى الحانى ، وهو الخمار المنسوب إلى الحانة :

إلى بيت حان لا تهر كلابه … على ولا ينكرن طول ثوائى

ديوانه ٦٢ .

(٢) السكت : السكوت . والسلت : قبضك على شئ أصابه قذر ولطخ فتسلته عنه سلتا .

(٣) المنخل بن مسعود (أو ابن عبيد) بن عامر بن ربيعة بن عمرو اليشكرى . شاعر جاهلى قديم ، كان يشبب بهند أخت عمرو بن هند ، وكان يتهم أيضاً بامرأة لعمرو بن هند ، وكان نديما للنعمان بن المنذر . وكان النعمان دميما أبرش قبيحاً ، والمنخل من أجمل العرب ، فكان المنخل يرمى بالمتجردة زوج النعمان . ويتحدث العرب أن ابنى النعمان منها كانا من المنخل . فقتله النعمان . الشعراء (٣٦٤ – ٣٦٦) والمؤتلف ١٧٨ والأغانى (٩ : ١٥٨ – ١٥٩ / ٨ : ١٥٢ – ١٦٢) وتاج العروس (٨ : ١٣١) .

(٤) هذا البيت من ل ، هـ . والقصيدة بتمامها فى الأصمعيات ٥٢ – ٥٥ بتحقيقنا مع الأستاذ الشيخ أحمد شاكر ، والحماسة (١ : ٢٠٢) ، والأغانى (١٨ : ١٥٥ ، ١٥٦) .

(٥) الخورنق : معرب من « خُورَنكاه » ، تفسيره موضع الأكل أو الشرب . و « خُورنَ » مأخوذ من « خورندَن » مصدر بمعنى الأكل أو الشرب . و « كاه » =

وإذا صَحَوْتُ فإنني رَبُّ الشُّوَيهةِ والبعيرِ
يارُبَّ يومٍ لِلْمُنَـ ـخَّلِ قدْ لهَا فيه قَصيرِ

وقال بعضهم لزائرٍ له ورآه يُومِئ إلى امرأته ، وهو أبو عَطاءٍ السنديّ (١) :

٢٨٠ كُلْ هَنيئاً وما شَرِبْتَ مَريئاً ثمْ قُم صاغراً فغَيْرُ كَرِيمِ (٢)
لا أُحِبُّ النَّديمَ يُومِضُ بالعَيْـ ـنِ (٣) إذا ما خلا (٤) بعِرْسِ النديمِ

وقال الآخر (٥) ، وتعرّضت له امرأة صاحبه :

رُبَّ بَيْضاءَ كالقضيبِ تَثَنَّى قد دعتْنِي لوَصْلِها فأبيْت
ليس شأنى تحرُّجاً غيْرَ أنّى كنتُ نَدْمانَ زوجِها فاستحَيتُ (٦)

وقال الآخر :

فلا واللهِ لا أُلْفَى وشَرْباً أُنَازِعهم شراباً ما حَيِيتُ (٧)

= بمعنى الموضع والمكان ، كان بظهر الحيرة ، بناه النعمان بن امرئ القيس بن عمرو بن عدى ، بناه له رجل رومى يدعى « سنمار » ، ولما أتم بناءه فى ستين سنة راق النعمان فقال : ما رأيت مثل هذا البناء قط ! فقال سنمار : إنى أعلم موضع آجرة لو زالت لسقط القصر كله . فقال النعمان : أيعرفها أحد غيرك ؟ قال : لا . قال : لا جرم لأدعنّها وما يعرفها أحد . ثم أمر فقذف به من أعلى القصر ، فقتل . فقال العرب فى ذلك المثل : « جزاء جزاه سنمار » . والسدير : قصر قريب من الخورنق كان النعمان الأكبر قد اتخذه لبعض ملوك العجم ، وهو بهرام جور ، كما فى معجم استينجاس ٦٦٤ . وهو بالفارسية « سه دِلّى » أى ذو ثلاث غرف . « سِهْ » بمعنى ثلاثة . و « دلى » بمعنى غرفة . وفى معجم نفيسى (فرهنك نفيسى) ص ١٨٦٤ : « سِدِلّى » : ...... خانه أى كه داراى سه أطباق باشد » ، أى بناء مكون من ثلاث غرف . والمعاجم العربية تفسر « دلى » بأنه الباب ، أو القبة .

(١) ترجم فى (١ : ٣٨٢) . والبيتان التاليان فى الأغانى (١٦ : ٨٤) والكامل ١٣ ليبسك .

(٢) فى الأغانى : « وأنت ذميم » . ورواية الجاحظ تطابق رواية المبرد .

(٣) فى الأغانى : « يومض بالطرف إذا خلا لعرس النديم » .

(٤) فى الكامل وحواشى هـ : « إذا ما انتشى » بدل : « إذا ما خلا » .

(٥) هذه الكلمة من ل فقط .

(٦) الندمان ، بالفتح : النديم ، وأصل النديم الصاحب على الشراب .

(٧) الشرب ، بالفتح : جماعة الشاربين ، اسم جمع الشارب . ومنازعة الكأس : معاطاتها . قال الله تعالى : (يتنازعون فيها كأساً لا لغو فيها ولا تأثيم) ، أى يتعاطون .

ولا واللهِ ما أُلفَى بلَيْلٍ أُراقِبُ عِرْسَ جارى مابَقيتُ
سأتْرُكُ ما أخافُ عَلَىَّ منهُ مَقالتَهُ وأجْمَلُهُ السُّكوتُ
أبَى لِى ذاكَ آباءٌ كرامٌ وأجدادٌ بمَجْدِهِمُ رَبِيتُ

وقال السُّحيمىّ :

ما لِىَ وَجْهٌ فى اللّئامِ ولا يَدٌ ولكنَّ وجْهِى فى الكرامِ عريضُ (١)
أهَشُّ إذا لاقيْتُهُم وكأنَّنى إذا أنا لاقيتُ اللّئامَ مَريضُ (٢)

وقال ابن كُناسة (٣) :

فىَّ انقِباضٌ وحِشْمةٌ فإذَا لاقيتُ أهلَ الوَفاءِ والكَرَمِ (٤)
خَلَّيتُ نفسى على سَجِيَّتِها وقُلْتُ ما قلتُ غيرَ مُحْتشِمِ (٥)

* * *

وقال عبد الرحمنِ بنُ الحكَم (٦) :

وكأسٍ تَرَى بين الإناءِ وبينَها قَذَى العَيْنِ قد نازَعْتُ أُمَّ أبانِ (٧) ٢٨١

---

(١) بالخرم ، وفيما عدا ل ، هـ : « ومالى » . والبيتان فى عيون الأخبار (٣ : ٢٧) .

(٢) فى عيون الأخبار : « أصح » موضع « أهش » .

(٣) محمد بن كناسة ، ترجم فى ص ٥٧ من هذا الجزء .

(٤) البيتان من أصوات الأغانى (١٢ : ١٠٥) .

(٥) الأغانى : « أرسلت نفسى » . وروى أبو الفرج أن إسحاق الموصلى قال لابن كناسة حين أنشده هذين البيتين : « وددت أنه نقص من عمرى سنتان وأنى كنت سبقتك إلى هذين البيتين فقلتهما » .

(٦) هو عبد الرحمن بن الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس ، شاعر إسلامى كان يهاجى عبد الرحمن بن حسان بن ثابت . وهو القائل لمعاوية حين استلحق زياداً :

ألا أبلغ معاوية بن حرب مغلغلة من الرجل الهجان
أتغضب أن يقال أبوك عف وترضى أن يقال أبوك زان

الأغانى (١٢ : ٦٩ – ٧٣ / ١٣ : ١٤٤ – ١٤٨) .

(٧) الأبيات فى الكامل ٧٣ ليبسك . وفى جمهور النسخ : « بين الأنام وبينها » ، صوابه فى هـ والكامل . وقد أراد بالكأس الخمر . وقذى العين : مثل فى الصغر والقلة والخفاء . يصف شدة صفائها .

تَرَى شارِبَيْها حِينَ يَعتَقِبانِها   يَميلانِ أحياناً ويَعتَدِلانِ (١)
فما ظَنُّ ذا الوَاشِي بأبْيَضَ ماجِدٍ   وبَدَّاءَ خَوْدٍ حيـنَ يلتَقِيـانِ (٢)

وقال رمّاح بنُ مَيّادة (٣) – وكان الأصمعى يقول : خُتم الشعر بالرماح . وأظنُّ النابغةَ أحدَ عمومته : –

أَلَا رُبَّ خَمَّارٍ طَرَقتُ بِسُدْفةٍ   مِن الليلِ مُرتاداً لنَدْمانىَ الخمْرَا (٤)
فأنهلتُهُ خمراً وأَحْلِـفُ أنّهـا   طِلاءٌ حلالٌ كى يُحمِّلَنى الوِزْرَا (٥)

وقال آخر (٦) :

ولقد شَرِبتُ الخمرَ حتَّى خِلتُنِى   لمّا خرجْتُ أجُرُّ فضْلَ المِئزَرِ
قابُوسَ أو عَمْرَو بنَ هندٍ قاعِداً   يُجْبَى له ما بينَ دَارةِ قَيْصرِ (٧)
فى فِتيَةٍ بيضِ الوُجُوهِ خَضارِمٍ   عند النِّدَامِ عَشيرُهُم لم يَخْسَرِ (٨)

---

(١) فى الكامل : « حين يعتورانها » .
(٢) البداء : الكثيرة لحم الفخذين . والخود ، بالفتح : الفتاة الحسنة الخلق الشابة .
(٣) ميادة أمه ، وهو الرماح بن أبرد . ترجم فى (٢ : ٢٢٤) .
(٤) الندمان ، بالفتح : النديم على الشراب ، يكون واحداً وجمعاً .
(٥) الطلاء ، بالكسر : ماطبخ من عصير العنب حتى ذهب ثلثاه .
(٦) نسب الشعر فى الكامل ٧٢ إلى أعرابى . وفى حماسة ابن الشجرى ٢٣ إلى أفعى بن جناب .
(٧) قابوس ، هو قابوس بن المنذر بن عمرو بن المنذر بن الأسود بن النعمان بن المنذر بن النعمان ابن امرىء القيس . وأمه هند بنت الحارث ، وعمرو بن هند أخوه . مروج الذهب (٢ : ٩٩) ، والعمدة (٢ : ١٧٩) . دارة قيصر ، كذا وردت فى الأصول ، وفى الكامل أيضاً : « ما دون دارة قيصر » ، ولم أجد لها ذكراً فى المعاجم وكتب البلدان . وفى حماسة ابن الشجرى : « ما دون دارة صرصر » وليس لها ذكر كتلك . وقد اقتصر المبرد على إنشاد هذين البيتين .
(٨) الخضارم : جمع خضرم ، بكسر الخاء والراء ، وهو الجواد الكثير العطية ، شبه بالخضرم ، وهو البحر الكثير الماء . والندام : مصدر كالمنادمة . وبدل هذا البيت فى الحماسة :

ولقد رميت الخيل لما أقبلت   بأغر من ولد الشموس مشهر

وقال ابنُ مَيَّادة :

ومُعتَّقٍ حُرِمَ الوَقُودَ كَرَامَةً كدَمِ الذَّبيحِ تمُجُّه أوداجُه (١)
ضَمِنَ الكُرومُ لهُ أوائلَ حَمْلِه وعلى الدِّنانِ تَمامُه ونَتَاجُه (٢)

وأنشد اللائحُ لبعضِ الرّوافض :

إذا المُرْجِيُّ سرَّكَ أنْ تَرَاهُ يموتُ بدائه مِن قَبْلِ مَوْتِه (٣)
فَجَدِّدْ عِنْدَه ذِكرىٰ عَلِيٍّ وصلِّ عَلَى النبيِّ وأهلِ بيتِه

* * *

وقال بعضُهم فى البرامكة (٤) :

إذا ذُكِرَ الشِّرْكُ فى مجلسٍ أنَارَتْ وُجوهُ بَنى بَرْمَكِ ٢٨٢
وإنْ تُلِيَتْ عندَهُمْ آيةٌ أتَوْا بالأحاديثِ عَن مَرْوَكِ (٥)

وقال آخر :

لعن اللهُ آلَ برمكَ إنّى صرتُ مِن أجْلِهِمْ أخا أسفارِ

---

(١) المعتق : الشراب القديم . حرم الوقود : لم يطبخ بالنار .

(٢) يقال ولد تمام وتمام ، بكسر التاء وفتحها ، أى تمام مدة الحمل . والنتاج بالفتح : مصدر نتج الناقة ، إذا ولى نتاجها .

(٣) المرجى بتشديد الياء : نسبة إلى المرجية ، وهم فرقة يعتقدون أنه لا يضر مع الإيمان معصية ، كما أنه لا ينفع مع الكفر طاعة . سموا مرجئة لاعتقادهم أن الله أرجأ تعذيبهم على المعاصى ، أى أخره عنهم . وفى اللسان : « والمرجئة يهمز ولا يهمز ، وكلاهما بمعنى التأخير وتقول من الهمز رجل مرجئ وهم المرجئة ، وفى النسبة مرجئى ... وإذا لم تهمز قلت رجل مرج ومرجية ومرجى » .

(٤) فى عيون الأخبار (١ : ٥١) : « وقال الأصمعى فى البرامكة » . والبرمك : اسم لكل من ولى سدانة « النوبهار » ، وهو بيت مقدس ببلخ ، وكان من يلى سدانته تعظمه الملوك وترجع إلى حكمه وتحمل إليه الأموال . وكان خالد بن برمك جد البرامكة ، مِن ولدِ مَن كان على هذا البيت . مروج الذهب (٢ : ٢٣٨) .

(٥) ما عدا ل : « سورة » بدل « آية » . ومروك ، كذا ورد فى جميع النسخ وعيون الأخبار ، وفى حواشى هـ : « مروك : اسم رجل من الأعاجم له فى الأعاجم تواليف » . وصوابه : « مزدك » . ومزدك : صاحب المزدكية ، خرج فى أيام قباذ بن فيروز ، فبدل شريعة زرادشت ، واستحل المحارم ، وسوى بين الناس فى الأموال والنساء والعبيد ، فكثر أتباعه وعظم شأنه ، وتبعه قباذ نفسه ، ولم يزل كذلك حتى ولى كسرى أنو شروان فقتله ونكّل بأتباعه . مروج الذهب (١ : ٢٦٣ – ٢٦٤) ، والطبرى وابن الأثير .

إنْ يكُ ذُو القَرْنَيْنِ قد مَسَحَ الأرْ ضَ فإنِّى مُوكَّلٌ بالعِيارِ (١)

وقال آخر :

إنّ الفـراغَ دَعـانى إلى ابتناء المساجدْ (٢)
وإنّ رَأْيِـى فيها كرأْىِ يحيى بنِ خالِدْ

وقال أبو الهول (٣) فى جعفر بن يحيى بن خالد :

أصبحتُ محتاجاً إلى الضَّرْبِ فى طَلَبِ العُرْفِ إلى الكَلْبِ (٤)
إذا شكا صَبٌّ إليه الهوَى قال له : مالى وللصَّبِّ (٥)
أغْنى فتًى يُطعَنُ فى دِينِهِ يَشِبُّ معهُ خشب الصَّلْبِ (٦)
قد وقَّح السبَّ له وجهَه فصارَ لا ينحاش للسبِّ (٧)

وقال رجل شآمٍ (٨) :

أَبَعْدَ مَرْوانَ وبعـدَ مَسْلَمَـه (٩) وبعدَ إسحاقَ الذى كانَ لُمَهْ (١٠)

---

(١) مسح الأرض مسحاً ومساحة : ذرعها وقاسها . والعيار : مراجعة الميزان والمكيال ، ويلحق بهما مراجعة المساحة .

(٢) البيتان فى عيون الأخبار (١ : ٥١) .

(٣) أبو الهول كنيته شهر بها ، واسمه عامر بن الرحمن الحميرى ، كان شاعراً مقلا . قال ابن النديم : له شعر يبلغ خمسين ورقة . وله مدائح فى المهدى والهادى والرشيد والأمين . ابن النديم ٢٣٢ وتاريخ بغداد ٦٦٨٢ .

(٤) الأبيات فى الحيوان (١ : ٢٦٠ - ٢٦١) والعمدة (١ : ٤٠) .

(٥) ما عدا ل : « إذا اشتكى » .

(٦) فى العمدة : « يطعن فى ديننا » . وكان هذا البيت تطيرا منه على جعفر .

(٧) هذا البيت من ل فقط ، وموضعه فى الحيوان بعد البيت الأول .

(٨) ما عدا ل : « من أهل الشام » .

(٩) هما مروان بن الحكم ، ومسلمة بن عبد الملك .

(١٠) وإسحاق هذا هو إسحاق بن سليمان بن على بن عبد الله بن العباس . كان من أولى الأقدار العالية ، ولى لهارون المدينة والبصرة ومصر والسند ، وولى لمحمد الأمين حمص وأرمينية ، ومات ببغداد . تاريخ بغداد ٣٣٧٢ ولسان الميزان (١ : ٣٦٤) . اللمة ، بضم اللام وفتح الميم : المثل والند والشبيه ؛ ويقال أيضاً بتشديد الميم .

صارَ علَى الثَّغْرِ فُرَيخُ الرَّخَمَه (١) … إنَّ لنا بفِعْلِ يحيى نَقِمَه (٢)
مُهلكــةً مُبيرةً مُنتقِمــــه (٣) … أكلاً بنى بَرْمَكَ أَكْلَ الْحُطَمه (٤)
إنَّ لهذا الأَكْلِ يوماً تُخَمه … أيسَرُ شئٍ فيه حَزُّ الغَلْصَمه (٥)

وقال الشاعر (٦) :

مارَعَى الدهرُ آلَ برمَكَ لمَّا … إنْ رَمَى مُلكَهُم بأمرٍ فظيعِ (٧) ٢٨٣
إنّ دهراً لم يَرْعَ حقًّا ليَحْيَى … غيرُ راعٍ ذِمامَ آلِ الرَّبيعِ (٨)

وقال سهلُ بنُ هارون فى يحيى بنِ خالد :

عَدُوُّ تِلادِ المالِ فيما يَنُوبهُ … مَنوعٌ إذا مامَنْعُه كان أحْزَما (٩)
مُذلَّلُ نَفْسٍ قد أبت غيرَ أن ترى … مَكارِهَ ماتأتى مِن الحقِّ مَغْنَما

وقال إسحاق بن حسان (١٠) :

مَن مُبلِغٌ يحيى ودُونَ لِقائه … زَبَراتُ كلِّ خُنابِسٍ هَمْهامِ (١١)

---

(١) فريخ : مصغر فرخ . والرخمة : طائر يعدُّه العرب مثلا فى اللؤم والحمق . ما عدا ل ، هـ : « فريج » تحريف .

(٢) النقمة ، بفتح فكسر : لغة فى النقمة بالكسر ، وهما المكافأة بالعقوبة .

(٣) مبيرة : مهلكة . ما عدا ل ، هـ : « منيرة » تحريف .

(٤) الحطمة : النار الشديدة تحطم ما تلقى . (٥) الغلصمة : رأس الحلقوم .

(٦) هو أبو حزرة الأعرابى ، أو أبو نواس . انظر مروج الذهب (٣ : ٢٩١) .

(٧) وكذا فى مروج الذهب . وفى ل : « فضيع » بالفاء والضاد ، وصحة هذه « فظيع » . وفى هـ : « بديع » .

(٨) مروج الذهب : « حقا لآل الربيع » .

(٩) التلاد : المال القديم والموروث . ينوبه : يعتريه من الحقوق . والبيت فى الحيوان (٣ : ٤٦٦) . وهو وتاليه فى الحيوان (٥ : ٦٠٤) . وبينهما

فسيان حالاه ، له فضل منعه … كما يستحق الفضل إن هو أنعما

(١٠) سبقت ترجمته فى (١ : ١١ ، ١١٥) . ما عدا ل : حسان بن حسان » تحريف ، وأشير فى هـ إلى رواية « إسحاق بن حسان » . والأبيات مع هذه النسبة فى تاريخ الطبرى (١٠ : ٦٠) .

(١١) زَبَرات : جمع زبرة بالفتح ، وهى المرة من زبره زبراً : زجره وانتهره الطبرى : « زأرات » . أسد خنابس : جرىء شديد . وأشير فى هـ إلى أنها فى نسخة : « خلابس » . والهمهام من الهمهمة ، وهو تردد الزئير فى الصدر .

يا راعىَ السلْطانِ غيرَ مُفرِّطٍ في لِينِ مُختبَطٍ وطِيبِ شِمامِ (١)
يُعذِى مَسارحَهُ ويُصْفِى شِرْبَهُ ويَبيتُ بالرَّبَوَاتِ والأعلامِ (٢)
حتى تبحبَحَ ضارباً بجِرَانِه ورستْ مَراسيهِ بدارِ سلامِ (٣)
فى كلِّ ثَغرٍ حارِسٌ مِن قَلبِهِ وشُعاعُ طَرفٍ لا يُفتِّرُ سامِ (٤)

وهذا شبيه بقول العتّابىّ فى هارون :

إمامٌ له كفٌّ يَضُمُّ بَنانُها عصاالدِّينِ ممنوعاًمن البَرْىِ عودُها (٥)
وعَينٌ مُحيطٌ بالبرِيَّةِ طَرْفُها سَواءٌ عليهِ قُرْبُها وبَعِيدُها
وأَصْمَعُ يَقْظانٌ ، يَبيتُ مُناجياً لهُ فى الحَشا مُستوَدَعاتٌ يَكيدُها (٦)
سميعٌ إذَا ناداهُ مِنْ قَعْرِ كُرْبةٍ مُنادٍ كَفتْهُ دَعْوةٌ لَا يُعيدُها

وقال أيضاً كُلثُومُ بنُ عَمْرٍو العَتّابى (٧) :

٢٨٤ تَلُومُ عَلَى تَرْكِ الغِنَى باهِليّةٌ زوَى الدَّهرُ عنها كُلَّ طِرفٍ وتالِدِ (٨)

---

(١) المختبط : مصدر من اختبطه ، سأله بلا وسيلة ولا قرابة ولا معرفة . الطبرى (١٠ : ٦٠) : « مغتبطة » . والشمام : مصدر شاممت الرجل ، إذا قاربته ودنوت منه . الطبرى : « مشام » .

(٢) ل : « يعدى مسارحه » ، ما عدا ل : « يغدى » ، صوابهما من هـ والطبرى . تعذى : تصير عذية ، أى طيبة بعيدة من الوخم . يقال صفا الرجل الشئ : أخذ صفوه ، كما فى اللسان .

(٣) هذا ما فى هـ . وفى ل : « تنحنح » ما عدا ل : « ينحنح » . وفى الطبرى « تنخنخ » . يقال تنخنخ البعير : برك ثم مكن لثفناته من الأرض . والضمير للسلطان ، وهو الحكم . وضرب بجرانه : استقر واستقام . وذلك أن البعير إذا برك واستراح مد جرانه على الأرض ، أى عنقه .

(٤) فى الطبرى : « فكل ثغر حارس من قلبه » .

(٥) سبق البيتان الأول والثانى فى ص ٤٠ من هذا الجزء .

(٦) الأصمع : القلب المتيقظ الذكى . يكيدها : يعالجها .

(٧) الأبيات التالية فى الحيوان (٤ : ٢٦٥) وعيون الأخبار (١ : ٢٣١) والعقد (٢ : ١٣٦) وزهر الآداب (٣ : ٣٩) وحماسة ابن الشجرى ١٤٠ ومحاضرات الراغب (١ : ٩٢ ، ٢١٣) والأغانى (١٢ : ٨ – ٩٨) واللسان (برد) وغرر الخصائص الواضحة للوطواط ٤٠٧ وديوان المعانى (١ : ١٣) .

(٨) فى الأغانى : وكانت تحته امرأة من باهلة فلامته وقالت : هذا منصور النمرى قد =

رأتْ حَوْلَهاَ النِّسوانَ يرْفُلنَ فى الكُسَا ... مُقلَّـدةً أُجيادُهـا بالقلائـــدِ (١)
يَسُرُّكِ أنِّى نِلْتُ ما نال جعفرٌ ... مِن المُلكِ أو ما نالَ يحيى بنُ خالِدِ
وأنَّ أميرَ المُؤمنينَ أغَصَّنِى ... مُغصَّهُما بالمُرهَفاتِ البوارِدِ (٢)
ذَرِينى تجئْنى مِيتتى مطْمئنَّـةً ... ولم أتَـجَشَّمْ هَوْلَ تِلْكَ المَوارِدِ (٣)
فإنّ كرِيمَـاتِ المعالِـى مشُوبـةٌ ... بِمُستودَعاتٍ فِى بُطونِ الأَسَاوِدِ (٤)

وقال الحسن بن هانئ :

عجِبْتُ لهارون الإمـامِ ومـا الـذَّى ... يُروِّى ويرجُو فيكَ يا خِلْقة السِّلْقِ (٥)
قَفـاً خَلـفَ وَجْـهٍ قد أُطِيـلَ كأنَّـهُ ... قفا مَلِكٍ يقضِى الحقوقَ على بَثْقِ (٦)

= أخذ الأموال فحلى نساءه ، وبنى داره ، واشترى ضياعا وأنت هنا كما ترى ! فأنشأ يقول » . وهو بهذا الشعر « يعرض بالبرامكة ، ويذكر عاقبة صحبة السلطان ، وأنه ما للمتعلق بها من غدر الزمان أمان » . غرر الخصائص . ما عدا ل : « طوى الدهر » . الطرف : الطارف المستحدث من المال . والتالد : القديم .

(١) الكسا : جمع كسوة . يرفلن : يتبخترن .

(٢) الحيوان : « أعضَّنى معضهما » . المرهفات : السيوف المرققات . والبوارد : التى تثبت فى الضريبة لا تنثنى . وهم يمدحون السيف بذلك. قال طرفة :

أخى ثقة لا ينثنى عن ضريبة ... إذ قيل مهلا قال حاجزه قد

(٣) ما عدا ل : « ولم أتقحم » .

(٤) فى الزهر : « فإن رفيعات المعالى » . الحماسة : « رفيعات الأمور » . العقد : « وجدت لذاذات الحياة » . الأغانى : « رأيت رفيعات الأمور » . ديوان المعانى : « وإن جسيمات الأمور » . وهو مثل من أمثلة تصرف الرواة ، ورواياتهم لبعض الشعر بالمعنى دون اللفظ . وفى محاضرات الراغب (١ : ٢١٣) أن العتابى أخذ قوله هذا من ابن المقفع ، وذلك أنه سئل : لم لا تطلب الأمور العظام ؟ فقال : رأيت المعالى مشوبة بالمكاره ، فاقتصرت على الخمول ضنا بالعافية .

(٥) الأبيات فى الحيوان (١ : ٢٣٨ ، ٢٦٣) والديوان ١٧٣ والشعراء ٧٩٠ وعيون الأخبار (١ : ٢٧٣) . يهجو بها جعفر بن يحيى البرمكى . السلق ، بالكسر : الذئب . الديوان : « ايود ويرجو » . الشعراء : « يرجى ويبغى » . والتروية : التفكر والنظر .

(٦) ملك ، كذا وردت فى الأصل والشعراء . وفى الديوان والحيوان : « مالك » . ما عدا ل ، هـ : « يقضى الهموم » . البثق : منبعث الماء ، وهو بفتح الباء وكسرها . فى الديوان وبعض نسخ الحيوان : « ثبق » . والثبق : إسراع دمع العين وجريان الماء .

وأَعْظَمُ زَهـواً مِن ذبـابٍ على خِراً　　　وأَبْخَلُ مِن كلبٍ عَقورٍ على عَرْقِ (١)
أرَى جعفـراً يزدادُ بُخْـلًا ودِقَّــةً　　　إذَا زَادهُ الرّحمٰنُ فى سَعَة الـرِّزقِ (٢)
ولَوْ جاءَ غَيرُ البُخْلِ مِن عِندِ جَعفَرٍ　　　لما وَضَعُوهُ الناسُ إلّا على الحُمْقِ (٣)

ولما أنشد ابنُ أبى حَفْصَةَ (٤) الفضلَ بن يحيى بن خالد :

ضَرَبتَ فلا شُلَّتْ يَدٌ خالديَّةٌ　　　رَتَقْتَ بها الفتقَ الذى بين هاشِمِ

قال له الفضلُ : قل : « فلا شُلَّت يد برمكيَّة » ؛ فخالد كثير ، وليس برَمكٌ إلّا واحداً .

وقال سَلْمٌ (٥) فى يحيى ، ويحيى يومئذ شابٌّ :

وفَتًى خَلاَ مِن مالِهِ　　　ومِنَ المُروءَةِ غيرُ خالِ
وإذَا رَأَى لكَ مَوعِداً　　　كان الفَعالُ مع المَقالِ (٦) ٢٨٥
للهِ دَرُّكَ مِنْ فَتـىً　　　ما فيكَ مِنْ كَرمِ الخِلالِ
أعطاكَ قَبـلَ سُؤالِـه　　　فكفاكَ مكْرُوهَ السؤالِ

ومن جيِّد ماقيل فيهم (٧)

لِلفضْلِ يَوْمُ الطَّالَقانِ ، وقَبْلَه　　　يومٌ أناخَ بهِ على خَاقانِ (٨)

---

(١) ل : « خر » . العرق ، بالفتح : العظم الذى قد أخذ عنه أكثر لحمه .

(٢) الدقة : الحقارة والصغر .

(٣) وضعوه ، جاءت على لغة أكلونى البراغيث

(٤) مروان بن أبى حفصة ، ترجم فى (١ : ٦٣) .

(٥) سلم بن عمرو الخاسر ، المترجم فى ص ٢٥٢ من هذا الجزء . ومن عجب ما ذكره ابن قتيبة فى عيون الأخبار (٣ : ١٨٨) حيث زعم أن معاوية كان يتمثل بالبيت الأول والرابع من هذه الأبيات .

(٦) الفعال ، بالفتح : اسم للفعل الحسن من الجود والكرم ونحوه .

(٧) القائل هو أبو ثمامة الخطيب ، كما فى الطبرى (١٠ : ٥٥) . وقد أعطاه الفضل بعد إنشادها مائة ألف درهم ، وخلع عليه ، وتغنى بها إبراهيم الموصلى .

(٨) الطالقان ، بفتح اللام : هى طالقان الرى بين قزوين وأبهر ، من بلاد طبرستان . وكان الفضل بن يحيى قد ولاه الرشيد كور الجبال ، وطبرستان ، ودنباوند ، وقومس ، وأرمينية =

ما مِثْلُ يَوْمَيْهِ اللَّذَيْنِ تَوَالَيا … فى غَزْوَتَيْنِ حَواهما يَوْمَانِ
عَصَمَتْ حُكومَتُه جماعةَ هاشِمٍ … مِن أنْ يُجرَّدَ بَينَها سَيفانِ
تِلكَ الحُكومةُ لا الَّتى عَنْ لَبْسِها … عَظُمَ الثَّأْى وتفرَّقَ الحُكْمانِ (١)

وقال الحسنُ بنُ هانِئ ، فى جعفر بن يحيى :

ذاك الوَزيرُ الَّذى طالتْ عِلاوَتُهُ … كأنَّهُ ناظرٌ فى السَّيفِ بالطولِ (٢)

ذكروا أن جعفر بن يحيى كان أول من عَرَّض الجُرُبَّانَات (٣) لطول عنقه .

* * *

وقال مَعْدَانُ الأعمى ، وهو أبو السَّرِىِّ الشُّميطىّ (٤) :

يومَ تُشْفَى النفوسُ مِن يَعْصُرِ اللؤْ … م ويُثْنَى بِسامَةَ الرَّحَّالِ
وعدِيٍّ وتَيْمِها وثَقيفٍ … وأُمَىٍّ وتَغْلِبٍ وهِلالِ
لا حَرُورًا وَلا النَّوابتُ تنجُو … لا ولا صَحبُ واصِلِ الغزَّالِ (٥)
غيرَ كَفتِى وَمَن يلُوذُ بكفتِى … فهُمُ رَهْطُ الأعْوَرِ الدَّجَّال (٦)

= وأذربيجان ، وذلك فى سنة ١٧٦ . والفضل هذا هو ابن يحيى بن خالد ، أخو جعفر بن يحيى ورضيع هارون الرشيد . ولما غضب الرشيد على البرامكة وقتل جعفراً خلد الفضل فى الحبس مع أبيه يحيى ، فلم يزالا محبوسين حتى ماتا فى حبسهما ، مات الفضل قبل موت الرشيد بشهور سنة ١٩٢ . ومما يؤثر عنه أن الزوار كان يسمون فى عصره « السؤال » فقال الفضل ، لكرمه : سموهم الزوار . فلزمهم هذا الاسم . تاريخ بغداد ٦٧٨٢ . وخاقان . جاء فى القاموس : « اسم لكل ملك خقَّنه الترك على أنفسهم ، أى ملكوه ورأسوه » .

(١) الثأى : الفساد والأمر العظيم يقع بين القوم .

(٢) العلاوة : أعلى الرأس ، أو أعلى العنق .

(٣) الجربان ، بضم الجيم والراء ، وبكسرهما : جيب القميص ، أو لبنته ، وهى رقعة تعمل موضع الجيب . معرب من الفارسية : « كريبان » . اللسان والقاموس والمعرب ٩٩ ومعجم استينجاس ١٠٨٦ .

(٤) ما عدا ل : « السميطى » تحريف . وقد مضت ترجمه معدان فى (١ : ٢٣) حيث سبقت الأبيات الثلاثة الأولى من هذه المقطوعة ؛ والبيت الخامس والسادس فى مقاتل الطالبيين ٤١٩ .

(٥) النوابت : جمع نابتة ، وهم أصحاب المذاهب الناشئة . ما عدا ل : « ولا النوائب » .

(٦) هو المسيح الدجال ؛ سمى مسيحاً لأنه ممسوح العين ، وسمى الدجال لتمويهه على الناس =

وبَنو الشَّيْخ والقتيلُ بفَخٍّ بَعْدَ يحيى ومُوتِمِ الأَشْبالِ (١)

٢٨٦ سَنَّ ظُلْمَ الإمامِ فى القومِ بِشْرٌ إنَّ ظُلْمَ الإمامِ ذو عُقَّالِ (٢)

وقال الكميت :

آمَتْ نِسَاءُ بَنى أُمَيَّة مِنهُمُ وبَنُوهُمُ بمَضيعَةٍ أَيْتَامُ (٣)

= وتلبيسه وتزيينه الباطل . وأنشدو :

« إذا المسيح يقتل المسيحا »

هو عيسى بن مريم يقتل الدجال بنيزكه ، وهو رمح قصير . اللسان (مسح ، دجل) .

(١) فخ : واد بمكة ، قتل به الحسين بن على بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب ، خرج يدعو إلى نفسه فى ذى القعدة ١٦٩ ، وبايعه جماعة من العلويين بالخلافة بالمدينة ، وخرج إلى مكة ، فلما كان بفخ لقيته جيوش بنى العباس ، وعليهم العباس بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس ، فالتقوا يوم التروية من سنة ١٦٩ ، فقتل هو وجماعة من عسكره وأهل بيته وذلك فى أيام موسى الهادى . معجم البلدان (فخ) والطبرى (١٠ : ٢٤ - ٣٢) والبداية والنهاية (١٠ : ٤٠) والمعارف ١٦٦ والفخرى ١٧١ ومقاتل الطالبيين ٤٣١ ، ويحيى هذا هو يحيى بن زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ، وكان قد خرج فى أيام هشام بن عبد الملك ، ثم الوليد بن يزيد . وقتله عيسى مولى عيسى بن سليمان العنزى سنة ١٢٥ . الطبرى (٨ : ٢٩٩ - ٣٠١) والمعارف ٩٥ وابن الأثير (٥ : ١٠٧ - ١٠٨) ومقاتل الطالبيين ١٥٢ - ١٥٨ . وموتم الأشبال ، هو عيسى بن زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ، وكان قد خرج عليه لبؤة معها أشبالها ، منصرفَهُ من باخمرى ، وجعلت تحمل على الناس فنزل عيسى وأخذ سيفه وترسه ثم نزل إليها فقتلها . مقاتل الطالبيين ٤١٩ . مات عيسى فى أيام المهدى .

(٢) فى مقاتل الطالبيين : « زيد » بدل « بشر » ، وهو الصواب ، فإن القصيدة كما قال أبو الفرج يعيب فيها معدان الشميطى - وهو من شعراء الإمامية - من خرج من الزيدية . كما أن الصواب أن يكون هذا البيت سابقا للبيت الذى قبله ، كما فى مقاتل الطالبيين . والإمام الذى يعنيه هو الإمام الذى يقول به الشميطية ، أتباع يحيى بن شميط ، وهم إحدى فرق الإمامية . قالوا : إن الإمام جعفر بن محمد الصادق قال : « إن صاحبكم اسمه اسم نبيكم » . وقد قال له والده : « إن ولد لك ولد فسميته باسمى فهو الإمام » . فالإمام الذى يؤمنون به ، هو محمد بن جعفر الصادق . الملل والنحل (٢ : ٣) ومفاتيح العلوم ٢٢ . وأما « زيد » الذى هو الصواب فى « بشر » فهو إمام الزيدية ، وهو زيد بن على بن الحسين ، وأتباعه يسوقون الإمامة فى أولاد فاطمة عليها السلام ، ولم يجوزوا ثبوت إمامة فى غيرهم . وجعفر الصادق هو جعفر بن محمد بن على بن الحسين الأصغر بن الحسين بن على بن أبى طالب ، أمه فروة بنت القاسم بن محمد بن أبى بكر . الملل (١ : ٢٠٧) والمواقف ٦٢٨ والفرق بين الفرق ١٦ والاعتقادات للرازى ٥٢ وابن النديم ٢٥٣ ومفاتيح العلوم ٢١ .

(٣) الأبيات فى الأغانى (١٥ : ٥٨) ومروج الذهب (٣ : ٢٩٥) منسوبة إلى أبى العباس الأعمى . آمت : صارت أيامى ، مات عنها أزواجها .

نامَتْ جُدُودُهُمُ وَأُسقِطَ نَجْمُهُمْ   والنَّجمُ يَسقُطُ وَالجُدودُ تَنامُ (١)
خَلَتِ المَنابر والأَسِرَّةُ مِنْهُمُ   فَعليْهِمُ حَتَّى المَماتِ سَلامُ (٢)

وقال خليفة ، أبو خلف بن خليفة (٣) :

أَعْقِبِى آلَ هاشِمٍ يا أُمَيَّا   جعلَ اللهُ بيْتَ مالِكٍ فَيَّا (٤)
أنْ عَصَى اللهَ آلُ مرْوانَ والعا   صِى لقد كان لِلرّسُولِ عَصِيَّا

وقال الرَّاعى فى بنى أمية :

بنى أُمَيَّةَ إنَّ اللهَ مُلحِقُكمْ   عمَّا قَلِيلٍ بعثمانَ بنِ عَفَّانِ

وقال خلف بن خليفة :

لو تصفَّحتَ أولياءَ عليٍّ   لم تجد فى جميعهم باهليّا

* * *

وقال كعبٌ الأشْقَرِىُّ (٥) لعمر بن عبد العزيز :

إنْ كنتَ تحفظُ ما يَليكَ فإنما   عُمَّالُ أَرضِكَ بالبلادِ ذِئابُ
لن يستجيبُوا لِلَّذى تدعُو لهُ   حتَّى تُجلَّدَ بالسُّيوفِ رِقابُ (٦)
بأَكُفِّ مُنْصلِتينِ أَهلِ بصائرٍ   فى وقعْهِنَّ مَزاجِرٌ وعِقابُ (٧)

---

(١) الجد ، بالفتح : الحظ . فى الأغانى : ومروج الذهب : « نيام » وما هنا صوابه .

(٢) الأسِرَّة : جمع سرير ، يعنى سرير الملك وعرشه .

(٣) سبقت ترجمة خلف بن خليفة فى (١ : ٥٠) . ونسب الشعر فى اللسان (٢ : ١٠٩) إلى سديف . شاعر بنى العباس . وفيه : « ياميا » تحريف .

(٤) يقول : انزلى عن الخلافة حتى يركبها بنو هاشم فتكون العقبة لهم ، أى النوبة . انظر اللسان (عقب ١٠٩) . فيا : مسهل فيئا . والفىء : الغنيمة .

(٥) كعب بن معدان الأشقرى ، ترجم فى (١ : ٣٢١) .

(٦) ما عدا ل ، هـ : « حتى يجلد » . وتجلد : تضرب ، وأصل الجلد والتجليد ضرب الجلد .

(٧) المنصلت : الماضى فى الأمر . البصائر : جمع بصيرة ، وهى العلم ، واليقين ، والثأر ، وكل ما يلبس من السلاح كالترس والدرع . والمعنى يحتمل كلا منها . الضمير فى « وقعهن » للسيوف .

هلاَّ قُريش ذُكِّرتْ بثُغُورِها   حزمٌ وأحْلامٌ هُناكَ رِغابُ (١)

٢٨٧ لوْلَا قُرَيْشٌ نَصرُهَا ودِفاعُها   أُلْفِيتُ مُنْقَطِعاً بِىَ الأَسْبابُ

فلما سمع هذا الشعر قال : لمن هذا ؟ قالوا : لرجل من أزْد عمان ، يقال له كعب الأشقرىّ ! قال : ما كنت أظنُّ أهل عمان يقولون مثل هذا الشعر .

قال أبو اليقظان (٢) : وقام إلى عمر بن عبد العزيز رجل وهو على المنبر فقال :

إنَّ الَّذِين بَعثْتَ فى أقْطارِها   نبذُوا كتابَكَ واستُحِلَّ المَحرَمُ

طُلْسُ الثِّيابِ على منابرِ أرضِنا   كُلٌّ يجورُ وكلّهُمْ يتظَلَّمُ (٣)

وأَردتَ أن يَلِىَ الأَمانةَ منهُمُ   عَدلٌ ، وهيهاتَ الأَمِينُ المُسلِمُ

* * *

وكان زيد بن عليّ كثيراً مايتمثّل بقول الشاعر (٤) :

شرَّدهُ الخوفُ وأُزرَى بِه   كذاك من يَكرهُ حَرَّ الجِلادْ

مُنخَرِقُ الخفَّين يشكُو الوجَى   تَنكُبُهُ أَطْرافُ مَرْوٍ حِدَادْ

قد كان فى الموتِ له راحة   والموت حتمٌ فى رقاب العبادْ

وقال عبد الله بن كثيِّر السَّهمىّ (٥) ، وكان يتشيَّع ، لولادةٍ كانت نالته .

---

(١) ما عدا ل : « ذكروا » ، ل : « بشعورها » بدل : « بثغورها » ، والوجه ما أثبت الأحلام : العقول . رغاب : جمع رغيب ، وهو الواسع .

(٢) أبو القيظان ، هو سحيم بن حفص ، المترجم فى (١ : ٤١) .

(٣) طلس : جمع أطلس . والطلسة : غبرة إلى سواد ، يعنى قذارة الثياب ، وهو كناية عن عدم العفة ، كما أن طهارة الثوب ونقاءه كناية عن العفة . تظلمه حقه : ظلمه إياه .

(٤) هو محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين ، كما فى حواشى الجزء الأول ص ٣١١ ، حيث سبقت الأبيات وتفسيرها . يقولها حين لقى ما لقى من الطلب والهرب ، وما كان من مصرع طفل له هوى من يد مرضعته على الجبل فتقطع . الطبرى (٩ : ١٩١) .

(٥) هو عبد الله بن كثير بن المطلب بن أبى وداعة السهمى ، من بنى سهم بن عمرو بن هصيص . وهو من ثقات المحدثين ، توفى سنة ١٢٠ . تهذيب التهذيب . والذى فى الحيوان (٣ : ١٩٤) : « وقال كثير أو غيره من بنى سهم » . وفى معجم المرزبانى ٣٤٨ أن الشعر التالى لكثير بن كثير السهمى ، قاله حين كتب هشام بن عبد الملك إلى عامله بالمدينة أن يأخذ الناس بسبِّ على .

وسمع عمّالَ خالد بنِ عبدِ اللهِ القسْرِيّ يلعنون عليًّا والحسينَ على المنابر :

لَعن اللهُ مَن يَسُبُّ عليًّا ... وحسيناً من سُوقةٍ وإمامِ
أَيُسَبُّ المُطَيَّبونَ جُدوداً ... والكِرامُ الأخْوال والأعمامِ (١)
يأْمنُ الظبىُ والحمامُ ، ولا يأْ ... مَنُ آلُ الرَّسولِ عندَ المَقامِ (٢)
طِبتَ بيتاً وطاب أهلُكَ أهلًا ... أهلَ بيتِ النَّبىِّ والإسلامِ
رحمةُ اللهِ والسَّلامُ عليهِمْ ... كلّما قام قائـمٌ بِسَلامِ ٢٨٨

وقال حين عابوه بذلك الرَّأى :

إنَّ امرأً أَمْست مَعايبُهُ ... حُبَّ النَّبىِّ لَغيرُ ذِى ذَنبِ
وبَنِى أبِى حسَنٍ ووالِدِهِمْ ... مَن طَابَ فى الأَرْحَامِ والصُّلْبِ
أَيُعَدُّ ذَنباً أن أُحِبَّهُـمُ ... بل حُبُّهُمْ كفَّارةُ الذَّنبِ

وقال يزيدُ بنُ أبى بكرِ بن دَأْبِ اللَّيثِى :

اللهُ يَعلمُ فى عليّ عِلمَهُ ... وكَذَاكَ علمُ اللهِ فى عثمانِ

وقال السيِّدُ الحِمْيَرِىُّ (٣) :

إنِّى امرُؤٌ حِمَيرِيٌّ غيرُ مُؤْتَشَبٍ ... جَدِّى رُعَينٌ وَأخوالِى ذَوُو يَزَنِ (٤)
ثُمَّ الوَلاءُ الّذى أَرْجُو النَّجاةَ بِه ... يومَ القيامةِ لِلهادِى أبى الحَسَنِ (٥)

---

(١) المطيبون : المطهرون . فى معجم المرزبانى : « أتسب المطيبين » ، بالخطاب .

(٢) المقام : الحرم جميعه ، أو هو الحجر الذى قام عليه إبراهيم عليه السلام عند بناء البيت ، وفيه أثر قدمه كما يروون ، وهو أسود وأكبر من الحجر الأسود .

(٣) مضت ترجمته فى (٢ : ١٦٨) .

(٤) فى القاموس : « هو مؤتشب ، بالفتح ، أى غير صريح فى نسبه » . رعين ، هو ذو رعين ، ملك من ملوك اليمن . ورعين : حصن له . وذو يزن أراد أبناء ذى يزن . وذو يزن : والد سيف بن ذى يزن ، وكان سيف أحد ملوك اليمن ، وهو الذى استنقذ اليمن من حكم الحبشة وطغيانهم ، بمعاونة كسرى أنوشروان ، واستخدم سيفٌ بعض الحبشة فخلوا به يوما وهو فى متصيد له فقتلوه .

(٥) يعنى على بن أبى طالب ، أبا الحسن والحسين .

وقال ابنُ أُذينَةَ (١) :

سَمينُ قُريشٍ مانعٌ منكَ لَحْمَهُ وَغَثُّ قُرَيْشٍ حيْثُ كان سمينُ

وقال ابنُ الرُّقَيَّاتِ (٢)

ما نَقَمُوا مِنْ بَنى أُمَيَّةَ إلَّا أنَّهُمْ يَحلُمُونَ إن غَضِبُوا (٣)

وأنَّهُمْ مَعدِنُ الملوكِ ولا تَصلُحُ إلَّا عليهِمُ العربُ (٤)

وقال عُرْوَةُ بنُ أُذَيْنَةَ :

إذا قريشٌ تَوَلَّى خَيرُ صالحِها فاسْتَيْقِنَنَّ بأَن لا خير فى أَحدِ

٢٨٩ رهْطُ النَّبىِّ وأَوْلَى النّاسِ مَنزلَةً بِكلِّ خَيرٍ وأَثْرَى الناسِ فى العَدَدِ

وقال حسَّانُ بن ثابت ، يرثى أبا بكر الصدِّيقَ رضى الله تعالى عنه (٥) :

---

(١) هو عروة بن يحيى ، وأذينة لقب لأبيه . شاعر مقدم من أهل المدينة ، ويعد فى الفقهاء والمحدثين أيضا ، لكن غلب عليه الشعر . وترجمته مستفيضة فى الأغانى (٢١ : ١٠٥ — ١١١) والشعراء ٥٦٠ والمؤتلف ٥٤ واللآلئ ٢٣٦ . وترجمَهُ ابن خلكان عرضا فى أثناء ترجمة سكينة بنت الحسين .

(٢) سبق تحقيق اسمه وترجمته فى (٢ : ٢٧٨) .

(٣) ديوان ابن قيس الرقيات ٧٠ . والبيتان من أصوات الأغانى (٤ : ١٥٩) . ويروى أبو الفرج أن هذا البيت كان سببا فى إنقاذه من موت محقق قضى به عليه عبد الملك بن مروان ، إذ قيل له : إن قتلته لغضبك عليه أكذبته فيما مدحكم به . قال : فهو آمن . وأن هذا البيت أيضا كاد يودى بقينة مغنية فى حضرة الرشيد ، لولا أن تداركت أمرها فأعادته فغنت :

ما نقموا من بنى أمية إلا أنهم يجهلون أن غضبوا

وأنهم معدن النفاق فما تفسد إلا عليهم العرب

(٤) معدن الملوك : أى أصولهم . ومعدن كل شئ : المكان الذى يكون فيه أصله ومبدؤه ، نحو معدن الذهب والفضة والجوهر .

(٥) كذا يقول الجاحظ ، وهو ظاهر ما ينطق به الشعر ، إذ أنه فى أسلوب الرثاء والحديث فى أمر مضى . لكن صاحب جمهرة أشعار العرب ١٣ يذكر أن الشعر مديح لأبى بكر فى حياته ، ويرفع الحديث إلى عبد الله بن مسعود ، قال : « بلغ النبى ﷺ أن قوما نالوا أبا بكر بألسنتهم ، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ، ليس أحد منكم آمنَ علىّ فى ذات يده ونفسه من أبى بكر ، كلكم قال لى كذبت وقال لى أبو بكر صدقت ، فلو كنت متخذا خليلا لاتخذتُ أبا بكر خليلا . ثم التفت إلى حسان فقال : هات ما قلت فىّ وفى أبى بكر ، فقال حسان ... » . وأنشد الأبيات ، وأنشد بعد البيت الأخير : =

إذا تذَكَّرْتَ شَجواً مِن أخِى ثِقَةٍ   فاذكُرْ أخاكَ أبا بكر بما فَعلا (١)
التَّالِىَ الثَّانِىَ المحمودَ مَشهدُهُ   وأوَّلَ الناسِ مِنهمْ صَدَّقَ الرُّسُلا
وثانِىَ اثنينِ فى الغارِ المُنيفِ وقد   طاف العدُوُّ بهِ إذْ صَعَّدَ الجَبَلا
وكان حِبَّ رسولِ اللهِ قد عَلِموا   خَيْرِ البَرِّيةِ لم يَعدِلْ به رَجُلَا (٢)

وقال بعض بنى أسد :

لمَّا تَخيَّرَ ربِّى فارْتَضى رَجُـلًا   مِنْ خَلْقِهِ كانَ مِنَّا ذلِكَ الرجُلُ (٣)
لَنا المساجدُ نَبنِيها وَنَعْمُرُهَا   وفى المَنابرِ قِعْدَانٌ لنَا ذُلُلُ

وقال يزيدُ بن الحكَم بنِ أبى العاص ، فى شأن السَّقيفة (٤) :

قَدِ اخْتَصَمَ الأقْوَامُ بَعْدَ مُحَمَّدٍ   فَسَائلْ قُرَيْشاً حِينَ جَدَّ اخْتصامُها

= خير البرية أتقاها وأرأفها   بعد النبى وأوفاها بما حملا

فقال رسول الله : صدقت ياحسان ، دعوا لى صاحبى . قالها ثلاثا . وانظر ديوان حسان ٢٩٩ .

(١) فى الجمهرة ، « من أخ ثقة » . وفى الديوان : « من أخى ثقة » . يقول : إذا تذكرت ما يحزنك من تجنى من تثق به وتركن إليه ، فاذكر أخاك أبا بكر ، فإنه ينسيك بكريم فعاله ما لقيته من عقوق غيره .

(٢) الحب ، بالكسر : الحبيب . وعبر بكلمة « كان » هنا ، مريداً بها على الدوام ، بمعنى لم يزل ، كما فى قول الله تعالى : « وكان الله سميعاً بصيراً » . لم يعدل به : لم يجعله عدلا له ومساويا .

(٣) منا ، أى من مضر . والأسديون هم بنو أسد بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر ، يجتمعون مع رسول الله ﷺ فى خزيمة بن مدركة .

(٤) انظر ما مضى فى الكلام على السقيفة فى ص ٢٩٦ . ويزيد هذا هو يزيد بن الحكم بن عثمان بن أبى العاص الثقفى . وقيل إن « عثمان » عمه لا جده . وهو أحد شعراء الدولة الأموية . مر به الفرزدق وهو ينشد فى أحد المجالس شعراً فقال : من هذا الذى ينشد شعراً كأنه من أشعارنا ؟ وكان الحجاج قد ولاه كورة فارس ودفع إليه العهد ، فلما دخل ليودعه قال : أنشدنى بعض شعرك – وإنما أراد أن ينشده مديحاً له – فأنشده قصيدته التى يفخر فيها بآبائه :

وأبى الذى سلب ابن كسرى راية   بيضاء تخفق كالعقاب الطائر

فغضب الحجاج وارتجع منه العهد ، وخرج يزيد عنه مغضباً إلى سليمان بن عبد الملك فأنصفه ، وأجرى له عشرين ألفاً مادام حيا . الأغانى (١١ : ٩٦ – ١٠٠) ، والشعراء وخزانة الأدب (١ : ٥٤ – ٥٦) .

ألمْ تَكُ مِنْ دُونِ الخَليقَةِ أُمَّةٌ بِكفِّ امرِئٍ مِنْ آلِ تَيْمٍ زِمامُها (١)
هَدى اللهُ بالصِّدِّيقِ ضُلَّالَ أُمَّةٍ إِلَى الحَقِّ لمَّا ارْفَضَّ عَنها نِظامُها

وقالت صَفِيّةُ (٢) فى ذلك اليوم :

قد كانَ بَعْدَكَ أنباءٌ وهَنْبَثَةٌ لَوْ كُنْتَ شاهِدَها لم تكثُرِ الخُطَبُ (٣)
إنَّا فَقَدناكَ فَقدَ الأرضِ وَابِلَها واختَلَّ قَومُكَ فاشْهَدهُمْ فقد سَغِبوا (٤)

وقال الفَرَزدَق :

صَلَّى صُهَيبٌ ثلاثاً ثُمَّ أسْلَمَها إلى ابنِ عَفَّانَ مُلكاً غيرَ مَقصورِ (٥)

---

(١) يعنى أبا بكر الصديق ، وهو أبو بكر عبد الله بن عثمان بن عامر بن كعب بن سعد بن مرة بن كعب بن لؤى .

(٢) هى صفية بنت عبد المطلب بن هاشم ، عمة رسول الله ﷺ ، ووالدة الزبير بن العوام . وذكر ابن حجر فى الإصابة أن صفية قالت هذه المرثية حين قبض الرسول . وروى أن لها مرثية أخرى فى سيرة ابن إسحاق ، منها :

لفقد رسول الله إذ حان يومه فياعين جودى بالدموع السواجم

ومرثية أخرى فيها :

إن يوماً أتى عليك ليوم كورت شمسه وكان مضيا

وكانت صفية وأخواتها : برة ، وعاتكة ، وأم حكيم البيضاء ، وأميمة ، وأروى ، كلهن شواعر ، روى لهن ابن هشام فى السيرة ١٠٨ – ١١١ . على أن هذه المرثية البائية رويت فى اللسان (هنبت) منسوبة إلى فاطمة رضى الله عنها أيضاً .

(٣) الهنبثة : واحدة الهنابث ، وهى الأمور الشدائد المختلفة . ب : « وهنبسة » . جـ « وهنبشة » ، صوابهما فى ل ، هـ والتيمورية . والشاهد : الحاضر .

(٤) اختل القوم : احتاجوا وافتقروا . والسغب : شدة الجوع . ورواية اللسان : « فاشهدهم ولا تغب » ، وفيه الإقواء وضعف المعنى .

(٥) صهيب هذا ، هو صهيب بن سنان ، أحد الصحابة ، والذين كانوا يلازمون رسول الله فى مشاهده وغزواته وسراياه ، وهو المعروف بصهيب الرومى . وكان عمر قد أوصى قبل موته أن يصلى عليه صهيب ، وأن يصلى بالناس إلى أن يجتمع المسلمون على إمام . وتوفى سنة ٣٨ وهو ابن سبعين . الإصابة ٤٠٩٩ .

ولايَةٌ مِنْ أبى حَفْصٍ لِثالِثِهِمْ ... كانوا أَخِلَّاءَ مَهْدِيٍّ ومَحْبورِ (١) ٢٩٠

وقال مزرِّدُ بنُ ضِرارٍ (٢) يرثى عمرَ بنَ الخطَّاب رضى الله تعالى عنه :

عليكَ السّلامُ مِنْ إمَامٍ وبارَكتْ ... يَدُ اللهِ فى ذَاكَ الأديمِ المُمَزَّقِ (٣)

قَضَيتَ أُموراً ثمَّ غادَرْتَ بَعْدَهَا ... بوائِقَ فى أكمامِها لم تُفَتَّقِ (٤)

وما كُنتُ أخشى أنْ تكون وفاتُه ... بِكَفَّىْ سَبَنْتَى أَزْرَقِ العينِ مُطْرِقِ (٥)

قال : وسمعوا فى تلك الليلة هاتفاً يقول :

لِيَبْكِ على الإسْلام مَنْ كانَ باكِياً ... فقد أوشَكُوا هُلكاً وما قَدُمَ العَهْدُ

وأَدْبَرتِ الدُّنيا وأدبر خَيرُهَا ... وقد مَلَّها مَنْ كانَ يُوقِنُ بالوَعدِ

وعن أبى الجحّاف ، عن مُسلِمٍ البَطِين :

إنَّا نُعاقبُ لا أَبالَكَ عُصبةً ... عَلِقوا الفِرَى وبَرَوْا مِنَ الصِّدِّيقِ (٦)

وبَرَوْا سَفاهاً مِنْ وَزِيرِ نَبِيِّهِمْ ... تَبًّا لِمَنْ يبْرَا مِن الفارُوقِ (٧)

---

(١) البيتان مما لم يرو فى ديوان الفرزدق . المحبور : المكرم إكراماً مبالغاً فيه . وفى الكتاب : (أنتم وأزواجكم تحبرون) . ل : « ومحيور » .

(٢) ترجم فى (١ : ٣٧٤) .

(٣) الأبيات تروى للشماخ ، كما فى الحماسة (١ : ٤٥٢ - ٤٥٤) وزهر الآداب (٤ : ١٠٧) ، وتروى أيضا لجزء بن ضرار . قال التبريزى : « وقال أبو رياش : الذى عندى أنه لمزرد أخيه . وقال أبو محمد الأعرابى : هو لجزء بن ضرار أخيه » . وفى الأغانى (٨ : ٩٨) أن هذا الشعر للجن ، قالته قبل أن يقتل عمر بثلاث ، فكان ذلك نعياً له قبل أن يقتل . الحماسة : « جزى الله خيراً من أمير » . والأغانى : « عليك سلام من أمير » .

(٤) البوائق : جمع بائقة ، وهى الداهية والبلية . وفى الحماسة : « بوائج » ، وهى رواية اللسان (بوج) . والبوائج : البوائق .

(٥) السبنتى : النمر ، عنى به أبا لؤلؤة المجوسى قاتل عمر . أزرق العين ، أى من أعداء العرب ، والعرب تكنى عن أعدائهم بزرق العيون ؛ لأنه صفة لون عيون الروم والعجم . المطرق : المسترخى العين خلقة ، والإطراق صفة من صفات الأفاعى .

(٦) الفرى : جمع فرية ، وهى الكذبة . وبروا ، يقال برأ يبرأ من المرض ، وبرئ يبرأ أيضاً . وقد سهل الهمزة وعامل الفعل معاملة المعتل .

(٧) السفاه ، كسحاب : السفه وخفة الحلم .

إنِّى على رَغْمِ العُداةِ لقائِلٌ   دِنَّا بِدِينِ الصَّادِقِ المَصدُوقِ

وقال الكميت :

فقُلْ لبنى أُميَّةَ حيثُ حَلُّوا   وإنْ خِفتَ المُهنَّدَ والقَطِيعا (١)
أَجاع اللهُ مَن أشبعتُموهُ   وأَشبَعَ مَن بجَوْرِكُمُ أُجِيعا
بَمرْضِىٍّ السِّياسةِ هاشِمىٍّ   يكونُ حَيًا لأُمَّتِهِ رَبِيعا (٢)

وقال حرب بن المنذر بن الجارود ، وكان يتفتّى ويتشيّع ، فى كلمةٍ له :

فحسْبى من الدنيا كَفَافٌ يُقيمُنى   وأثوابُ كَتَّانٍ أَزُورُ بها قبرى (٣) ٢٩١
وحُبِّى ذَوِى قُرْبَى النبىِّ محمدٍ   فما سالَنا إلّا المَودَّةَ من أُجْرِ (٤)

* * *

(١) المهند : السيف المطبوع من حديد الهند . والقطيع : السوط يقطع من جلد سير ويعمل منه ، يقطعون أربعة سيور ثم يفتلونها ويتركونها حتى تيبس .

(٢) حيا ، أى بمنزلة الحيا ، وهو المطر تحيا به الأرض .

(٣) الكفاف ، كسحاب : القوت على قدر النفقة ، لا فضل فيه ولا نقص .

(٤) يقال سأله يسأله ، وساله يَسَاله ، وساله يسَله ، كلها بمعنى : وهو إشارة إلى قول الله تعالى : (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى) .

وجه التدبير فى الكتاب إذا طال

أن يداوِىَ مؤلِّفه نشاطَ القارئ له ، ويسوقَه إلى حظِّه بالاحتيال له . فمِن ذلك أن يُخرجه من شئ إلى شئ ، ومن بابٍ إلى باب ، بعد أن لا يخرجه من ذلك الفنّ ، ومن جُمهور ذلك العِلم [١] .

وقد يجب أن نذكرَ بعض ما انتهى إلينا من كلام خُلفائنا من وَلَد العباس ، ولو أن دولتَهم عجميّة خُراسانيّة [٢] ، ودولة بنى مَرْوان عربيّة أعرابيّة وفى أجناد شاميّة .

والعرب أوعى لما تسمع ، وأحفظ لما تأتى [٣] ، ولها الأشعار التى تقيِّد عليها مآثرَها ، وتخلِّد لها محاسنَها . وجَرَت من ذلك فى إسلامها على مثل عاداتها فى جاهليّتها ، فبنَت بذلك لبنى مَرْوانَ شرفاً كثيراً ومجداً كبيراً ، وتدبيراً لا يُحصى .

ولو أنّ أهلَ خُراسان حفِظوا على أنفسهم وقائعَهم فى أهل الشام ، وتدبيرَ ملوكهم ، وسياسة كبرائهم ، وما جرى فى ذلك من فرائد الكلام [٤] وشريف المعانى ، كان فيما قال المنصور وما فعل فى أيامه ، وأسّس لمن بَعده ما يَفى بجماعة ملوك بنى مروان .

ولقد تتبّع أبو عُبيدةَ النحوىّ ، وأبو الحسن المدائنىّ ، وهِشام بن الكلبىّ ، والهيثمُ بنُ عَدىّ ، أخباراً قد اختلَفت ، وأحاديث قد تقطّعت ، فلم يدرِكوا إلّا قليلًا من كثير ، وممزوجاً من خالص .

---

(١) ل : « جمهرة ذلك العلم » .

(٢) العجم : خلاف العرب . ما عدا ل : « أعجمية » . والأعجم : من فى لسانه عجمة لا يفصح بالعربية . هـ : « ولولا أن دولتهم » .

(٣) لعلها : « تأثِر » ، أى تروى .

(٤) ل ، هـ : « فوائد الكلام » .

وعلى كلِّ حالٍ فإنّا إذّاصرنا إلى بقية ما رواه العباس بن محمد ، وعبد الملك ابن صالح ، والعباس بن موسى ، وإسحاق بن عيسى [١] ، وإسحاق بن سليمان [٢] ، وأيوبُ بن جعفر [٣] ، وما رواه إبراهيم بن السِّنديّ عن السِّنديّ [٤] ، وعن صالح صاحب المصلَّى ، عن مشيخة بنى هاشم ومواليهم — عَرفتَ بتلك البقية كثرةَ ما فاتَ ، وبذلك الصحيح أين موضعُ الفساد مما صَنَعه
٢٩٢ الهيثم بن عديّ ، وتكلّفه هِشامُ بن الكلبيّ .

* * *

وسنذكر جملًا مما انتهى إلينا من كلام المنصور ومن شأن المأمون وغيرهما وإن كنا قد ذكرنا من ذلك طَرَفا ؛ ونقصِد من ذلك إلى التخفيف والتقليل ، فإنه يأتى من وراء الحاجة ، ويُعرَفُ بجملته مراد البقيَّة [٥] .

قال : وكان المنصورُ داهياً أريباً ، مصيباً فى رأيه سديداً ، وكان مقدَّماً فى علم الكلام ، ومكثِراً من كِتاب الآثار [٦] . ولكلامه كتابٌ يدور فى أيدى الورّاقين معروفٌ عندهم . ولمّا همّ بقتل أبى مُسْلم سقَطَ بين الاستبداد برأيه والمشاورةِ فيه ، فأرِقَ فى ذلك ليلتَه ، فلما أصبحَ دعا بإسحاق بنِ مُسْلم العُقيلى ،

---

(١) مضت ترجمة هؤلاء جميعا فى ص ١١٨ من هذا الجزء .

(٢) هو إسحاق بن سليمان بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، أبو يعقوب الهاشمى ، كان من أولى الأقدار العالية . ولى لهارون الرشيد المدينة والبصرة ومصر والسند ، وولى لمحمد الأمين حمص وأرمينية . ومات ببغداد . تاريخ بغداد ٣٣٧٢ ، ولسان الميزان (١ : ٣٦٤) .

(٣) أيوب بن جعفر بن سليمان العباسى ، كان من أعلم الناس بقريش وبالدولة ، وبرجال الدعوة . وكان فى أول أمره على مذهب أبى شمر ، ثم انتقل من قوله إلى قول إبراهيم بن سيار النظام . انظر مامضى فى (١ : ٩١) .

(٤) ترجمة إبراهيم بن السندى فى (١ : ١٤١) . وأبوه السندى بن شاهك ، بفتح الهاء ، كان ذا منزلة غالبة عند الأمين وأبيه هارون . التنبيه والإشراف ٣٠٢ والجهشيارى ٢٣٦ - ٢٣٧ والمعارف ١٦٩ .

(٥) ل ، هـ : « البغية » .

(٦) الكتاب : الكتابة .

فقال له : حدّثنى حديث المَلِك الذى أخبرتنى عنه بحَرَّان (١) . قال : أخبرَنى أبى عن الحُضَين بن المنذر (٢) أنّ ملكاً من ملوك فارس – يقال له سابورُ الأكبر – كان له وزيرٌ ناصح قد اقتبس أدباً من آداب الملوك ، وشابَ ذلك بفهم فى الدين ، فوجَّهه سابور داعيةً إلى أهلِ خُراسان ، وكانوا قوماً عَجَماً (٣) يعظمون الدنيا جهالةً بالدِّين ، ويُخِلُّونَ بالدِّين استكانةً لقُوتِ الدنيا ، وذُلًّا لجبابرتها ، فجمعهم على دعوةٍ من الهوى يَكيد به مطالبَ الدنيا (٤) ، واغترَّ بقتل ملوكهم لهم وتخوُّلهم إياهم (٥) – وكان يقال : « لكل ضعيف صَولة ، ولكل ذليل دَولة » – فلما تلاحمت أعضاءُ الأمور التى لَقَّحَ ، استحالت حَرْباً عواناً (٦) شالت أسافلُها بأعاليها ، فانتقل العزُّ إلى أرْذَلِهم (٧) ، والنباهة إلى أخملهم ، فأُشرِبوا له حبًّا مع خَفْض من الدنيا افتُتِح بدعوة من الدين ، فلما استوسقت له البلاد (٨) بلغ سابورَ أمرُهم وماأحال عليه من طاعتهم ، ولم يأمَنْ زوالَ القلوب وغَدَرات الوُزراء ، فاحتال فى قطْع رجائه عن قلوبهم ؛ وكان يقال :

وما قُطع الرَّجاءُ بمثل يأسٍ ... تُبادهه القلوب على اغترارِ (٩)

فصمَّم على قتله عند وُروده عليه برؤساء أهل خُراسان وفُرسانهم ، فقتَلَه ، فبغتَهم بحدَثٍ ، فلم يُرعْهم إلّا ورأسُه بين أيديهم ، فوقف بهم بين الغُربة ونأىِ

---

(١) حران : مدينة من جزيرة أقور ، بينهما وبين الرها يوم ، وبين الرقة يومان .

(٢) ترجم فى (٢ : ١٦٩) . ما عدا ل : « الحصين » ، تحريف .

(٣) ل : « عجبا » بالباء .

(٤) يكيد ، هنا ، بمعنى يعالج. كاد الأمر يكيده : عالجه .

(٥) التخول ، أراد به اتخاذهم خولا ، أى عبيدا وخدما . وكلمة « هم » من هـ . ما عدا ل هـ : « وتخوله إياهم » .

(٦) العوان . التى حورب فيها مرة بعد مرة . وأصل العوان : الثيب من النساء .

(٧) أى أضعفهم وأحقرهم .

(٨) استوسقت : اجتمعت . وفى حديث النجاشى : « واستوسق عليه أمر الحبشة » : اجتمعوا على طاعته . ما عدا ل ، هـ : « استوسعت » ، تحريف .

(٩) المبادهة : المفاجأة والمباغتة .

الرَّجعة ، وتخطُّف الأعداء ، وتفرُّق الجماعة ، واليأْسِ مِن صاحبهم ، فرأوا أن يستتموا الدّعوة بطاعة سابور ، ويتعوَّضوه من الفُرقة ، فأذعنوا له بالمُلْك والطاعة ، وتبادَرُوه بمواضع النَّصيحة ، فَملَكهم حتَّى ماتَ حتْفَ أنفِه .

فأطرق المنصور مَلِيًّا ثم رفع رأسَه وهو يقول :

لِذِى الحِلمِ قبلَ اليومِ ما تُقْرَعُ العصا ... وما عُلِّـمَ الإنسانُ إلَّا لِيَعلَمـا (١)

وأمر إسحاقَ بالخروج ودعا بأبى مسلم ، فلما نظر إليه داخلا قال :

قدِ اكْتنفتكَ خَلَّاتٌ ثلاثٌ ... جَلبنَ عليكَ محذُورَ الحِمامِ
خِلافُكَ ، وامتنِانُكَ ترتَمِينى ، ... وقَـوْدُكَ لِلجماهِيـرِ العِظـامِ

ثم وثب إليه ووثَب معه بعضُ حَشَمِهِ بالسُّيوف على أبى مسلم ، فلمّا رآهم وثَب ، فبدره المنصور فضربه ضربةً طَوَّحَه منها (٢) ، ثم قال :

اشربْ بِكأسٍ كُنتَ تَسْقِى بها ... أَمَرَّ فِى الحَلقِ مِنَ العَلقَمِ (٣)
زعمتَ أَنَّ الدَّينَ لا يُقتضَى ... كَذَبتَ فاستَوفِ أبا مُجْرِمِ

ثم أمر فحُزَّ رأسُه وبعث به إلى أهل خراسانَ وهم ببابه ، فجالوا حولَه ساعةً ثم رَدَّ من شغبهم انقطاعُهم عن بلادهم ، وإحاطةُ الأعداء بهم ، فذَلُّوا وسلَّموا له .

---

(١) البيت للمتلمس فى ديوانه ص ١ نسخة الشنقيطى . وذو الحلم ، هو عمرو بن حممة الدَّوْسىّ ، قضى فى العرب ثلاثمائة سنة – كما زعموا – فكبر فألزموه السابع من ولده فكان معه ، فكان الشيخ إذا غفل كانت آية ما بينه وبينه أن يقرع له العصا حتى يعاوده عقله . وقيل ذو الحلم : عامر بن الظرب العدوانى ، أو عبد الله بن عمرو بن الحارث بن همام ، أو ربيعة بن مخاشن الملقب أيضاً بذى الأعواد ، أو سعد بن مالك . المعمرين للسجستانى ٤٥ والأغانى (٣ : ٣/٤ : ٢١/١٢٨ : ١٣٤) . وانظر ما سبق فى ص ٣٨ .

(٢) طوحه : أهلكه ، أو ألقاه . ل : « طرده منها » .

(٣) العلقم : شجر الحنظل ، أو ثمرته ، أو شحمة ثمرته . والبيتان فى الطبرى (٩ : ١٦٧) عند ذكر مقتل أبى مسلم ، وكذا فى مروج الذهب (٣ : ٣٠٤) . الطبرى : « سقيت كأساً » . وهذا البيت مؤخر فيهما عن تاليه .

فكان إسحاق إذا رأى المنصورَ قال :

وما أحذو لك الأمثالَ إلّا ... لِتَحْذُوَ إنْ حَذَوتَ على مِثالِ (١)

وكان المنصور إذا رآه قال :

وخَلَّفها سابُورُ لِلنَّاسِ يُقتدَى ... بأمثالِها فِى المُعْضِلاتِ العظائِمِ ٢٩٤

* * *

وكان المهدىُّ يحبّ القِيان وسَماع الغِناء ، وكان معجباً بجاريةٍ يقال لها « جوهر » ، وكان اشتراها من مروانَ الشّامىّ ، فدخل عليه ذاتَ يومٍ مروان الشامىُّ وجوهرُ تغنِّيه ، فقال مروان :

أَنْتِ يا جَوهَرُ عِندِى جَوهرةْ ... فِى بياضِ الدُّرَّةِ المُشْتَهِرَهْ (٢)

فإذا غَنّتْ فَنارٌ ضُرِّمتْ ... قَدَحت فى كلِّ قَلبٍ شَرَرَهْ (٣)

فاتّهمه المهدىّ ، وأمر به فدُعَّ فى عنقه إلى أن أُخرج (٤) . ثم قال لجوهر : أطربيني . فأنشأت تقول (٥) :

وأنتَ الذى أخلفتَنى ما وعدْتَنى ... وأشمتَّ بى مَن كان فيكَ يلُومُ

وأبرَزْتنى للنّاسِ ثم تركتَنى ... لهم غَرَضاً أُرْمَى وأنتَ سَليمُ

فلوْ أنّ قولًا يَكلِمُ الجسمَ قد بَدا ... بجسمىَ مِن قولِ الوُشاةِ كُلومُ (٦)

---

(١) حذا الشئ بالشئ : قدره وقطعه على مثاله . ما عدا ل ، هـ : « وما ضربوا » .

(٢) يقال شهره فاشتهر ، واشتهره فاشتهر ، فهو مشتهر ومشتهر . وبهما روى قوله :

أحب هبوط الواديين وإننى ... لمشتهَرٌ بالواديين غريب

(٣) ما عدا ل : « قذفت فى كل قلب » .

(٤) ما عدا ل : « إلى أن خرج » . دعه دعا : دفعه دفعا عنيفا فى جفوة .

(٥) الأبيات التالية رواها فى الحيوان (٣ : ٥٥) منسوبة لإحدى المجهولات تجيب بها عاشقها عن شعر قاله فيها . والمعروف أنها لامرأة من قوم ابن الدمينة ، يقال لها أميمة ، كان هويها وهاج بها مدة ، فلما وصلته تجنى عليها وجعل ينقطع عنها ، ثم زارها ذات يوم فتعاتبا طويلا ، وكان بينهما مجاوبة شعرية . انظر ديوان ابن الدمينة ٣٦ – ٣٧ والأغانى (١٥ : ١٤٨) والحماسة (٢ : ١٤٦) ومعاهد التنصيص (١ : ٥٨) .

(٦) الكلوم : جمع كلم ، بالفتح ، وهو الجرح .

فقال المهدىّ :

أَلَا يا جَوهَرَ القلبِ   لقد زِدْتِ على الجوْهرْ
وقد أكمـلَكِ اللهُ   بحُسْنِ الدَّلّ والمنظَرْ (١)
إذا ما صُلْتِ ، يا أَحْسَـ   ـنَ خَلْق الله ، بالمِزْهَرْ (٢)
وغَنَّيْتِ ففـاحَ البيـ   ـتُ مِن ريحِكِ بالعَنْبَرْ (٣)
فلا واللهِ ما المَهْدِىُّ   أَوْلَـى منكِ بالمِنْبَـرْ
فإنْ شِئتِ فَفِى كَفِّـ   ـكِ خَلْعُ ابنِ أبى جَعفَرْ (٤)

* * *

قال الهيثم : أنشدت هارون وهو ولىُّ عهدٍ أيامَ موسى ، بيتين لحمزة بن بِيض (٥) فى سليمان بن عبد الملك (٦) :

٢٩٥ جازَ الخِلافَةَ وَالِداكَ كِلاهُما   مِن بيْنِ سَخطةِ ساخطٍ أو طائع
أَبواكَ ثُمَّ أخوكَ أصبَحَ ثالِثاً   وعلى جَبينِكَ نُورُ مُلْكٍ ساطعُ (٧)

قال : يا يحيى ، اكتب لى هذين البيتين .

* * *

---

(١) الدل ، بالفتح : حسن الحديث والهيئة .

(٢) المزهر ، بالكسر : العود الذى يضرب به .

(٣) ما عدا ل : « من ريقك » .

(٤) ابن أبى جعفر ، هو المهدى محمد بن أبى جعفر المنصور .

(٥) سبقت ترجمته وضبط اسمه فى (١ : ٢٦٩) .

(٦) فى الأغانى (١٥ : ١٨) عن الهيثم بن عدى قال : « أخبرنى مخلد بن حمزة بن بيض قال : قدم أبى على يزيد بن المهلب وهو عند سليمان بن عبد الملك ، فأدخله عليه فأنشده قوله ... » وأنشد البيتين التاليين ، وبعدهما :

سرّيت خوف بنى المهلب بعد ما   نظروا إليك بسم موت ناقع
ليس الذى ولاك ربك منهم   عند الإله وعندهم بالضائع

فأمر له بخمسين ألفاً . ولم يرد فى روايته إنشاده هارون هذا الشعر .

(٧) كذا بالإقواء . ورواية الأغانى : « نور ملك الرابع » .

ولما مدح ابن هَرْمة (١) أبا جعفر المنصور ، أمر له بألفَىْ درهم ، فاستقلَّها ، وبلغ ذلك أبا جعفر فقال : أما يَرضَى أنِّى حقَنْت دمهَ وقد استوجبَ إراقَته ، ووفَّرت ماله وقد استحقَّ تلفَهُ ، وأقررته وقد استأهل الطَّرْد ، وقرَّبته وقد استجزى البعد (٢) ؟ أليس هو القائل فى بنى أمية :

إذا قيلَ مَن عند رَيبِ الزَّمانِ لِمُعتَرٍّ فِهْرٍ ومُحْتاجِها (٣)
ومَن يُعْجِلُ الخيلَ يومَ الوَغَى بإلجامها قبلَ إسراجِها
أشارَتْ نساءُ بَنى مالِكٍ إليكَ به قبلَ أزْواجِها

قال ابن هَرْمة : فإنِّى قد قلت فيك أحسنَ من هذا ! قال : هاته ! قال : قلت :

إذا قُلْتُ أىَّ فَتًى تعلمونَ أهَشَّ إلى الطَّعْن بالذّابلِ (٤)
وأضرَبَ لِلقِرْنِ يومَ الوَغَى وأطعَمَ فى الزَّمَن الماحِلِ
أشارتْ إليكَ أكُفُّ الوَرَى إشارَةَ غَرقَى إلى ساحِلِ

قال المنصور : أما هذاالشعر فَمستَرقٌ ، وأما نحن فلا نكافئُ إلا بالتى هى أحسن .

* * *

ولما احتال أبو الأزهر المهلَّبُ لعبد الحميد بن ربعىّ بن خالد بن معدان ، وأسلمه حميدٌ (٥) إلى المنصور قال : لا عُذرَ فأعتذرَ ، وقد أحاط بىَ الذَّنْبُ وأنت أولى بما ترى ! قال : لستُ أقتل أحداً من آل قَحْطَبة ، بل أهب مسيئَهم لمحسِنِهم ، وغادرَهم لوفيِّهم ! قال : إنْ لم يكن فىَّ مصطنعٌ فلا حاجة لى فى الحياة ، ولست أرضى أن أكون طليقَ شفيعٍ ، وعتيقَ ابنِ عمّ ! قال : اسكتْ مقبوحاً

---

(١) إبراهيم بن هرمة ، ترجم فى (١ : ١١١) .

(٢) كذا فى ل . وفيما عدا ل : « استحرى » بإهمال الحاء والراء ، وكلاهما لم ينص عليه فى المعاجم ، وهما بمعنى « استحق » .

(٣) المعتر : المتعرض للمعروف من غير أن يسأل .

(٤) أى القنا الذابل ، وهى الرماح الدقيقة اللاصقة الليط ، أى القشر .

(٥) حميد بن قحطبة ، المترجم فى (٢ : ٢٥٧) .

٢٩٦ مشقوحاً (١) ، واخرجْ فإنّك أنْوَكُ جاهل ، أنت عتيقُهم وطليقُهم ما حييت .

* * *

ولما داهن سفيانُ بن معاوية بن يزيد بن المهلَّب فى شأن إبراهيم بن عبد الله (٢) ، وصار إلى المنصور ، أمر الربيعَ بِخَلْعِ سواده (٣) والوقوف به على رأس اليمانية (٤) فى المقصورة يومَ الجمعة ثم قال : قُل لهم : يقول لكم أمير المؤمنين : قد عرفتم ما كان من إحسانى إليه ، وحسنِ بلائى عنده ، وقديمِ نعمتى عليه ، والذى حاوَلَ من الفتنة ، ورامَ من البغْى ، وأراد من شقِّ العصا ومعاونةِ الأعداء ، وإراقة الدماء ، وإنه قد استحقَّ بهذا من فعله أليمَ العقاب ، وعظيمَ العذاب . وقد رأى أميرُ المؤمنين إتمامَ بلائه الجميلِ لديه ، ورَبَّ نَعمائه السابقة (٥) عنده ، لما يتعرَّفهُ أمير المؤمنين من حسن عائدة الله عليه ، وما يؤمِّله من الخير العاجل والآجل ، عند العفوِ عمن ظلَم ، والصفح عمن أساء . وقد وهب أمير المؤمنين مسيئَكم لمُحْسِنِكُم ، وغادرَكم لوفيِّكم (٦) .

* * *

وقال سهل بن هارون يوماً ، وهو عند المأمون : من أصناف العلم ما لا ينبغى للمسلمين أن يرغَبوا فيه ، وقد يُرغَب عن بعض العلم كما يرغَب عن بعض

---

(١) المقبوح : المبعد المطرود ، وكذلك المشقوح .

(٢) هو إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب ، خرج على المنصور وظهر بالبصرة مستهل رمضان سنة ١٤٥ فغلب عليها وعلى الأهواز وواسط وكسكر ، وعظمت جموعه ، وسار يريد الكوفة ، فوجه إليه المنصور عيسى بن موسى فى العساكر فالتقوا بباخمرى على ستة عشر فرسخاً من الكوفة فى ذى القعدة ، فقتل إبراهيم فى جمع كثيف ممن كان معه ، وهزم الباقون ، وبعقب قتله هو وقتل أخيه محمد بن عبد الله من قبل ، لقب أبو جعفر بالمنصور . انظر كتب التواريخ فى خلافة المنصور ، وفى حوادث سنة ١٤٥ .

(٣) كان السواد شعار العباسيين ، وقد بدأ التسويد فى سنة ١٢٩ أى قبل قيام الدولة العباسية بثلاث سنوات . انظر الطبرى (٩ : ٨٢) .

(٤) ما عدا ل : « رؤوس اليمانية » . (٥) هـ : « السابغة » .

(٦) ما عدا ل : « مسيئهم لمحسنهم وغادرهم لوفيهم » .

الحلال ! قال المأمون : قد يسمَّى بعض الشيء علماً وليس بعِلم ، فإن كنتَ هذا أردتَ فوجهُه الذى ذكرناه . ولو قلتَ : العلم لا يُدْرك غَوره ، ولا يُسبَر قعرُه ، ولا تُبلغ غايتُه ، ولا يستقصى أصنافُه ، ولا يضبَط آخرُهُ ، فالأمر على ما قلت . فإذا كان الأمر كذلك فابدءُوا بالأهمّ فالأهمّ ، وابدءُوا بالفرض قبل الفضْل ، فإذا فعلتُمْ ذلك كان عَدلًا ، وقولًا صِدقا . وقد قال بعض العلماء : اقصد من أصناف العلم إلى ما هو أشهَى إلى نفسك وأخفُّ على قلبك ، فإنّ نفاذَك فيه على حسَب شهوتك له ، وسهولِته عليك . وقال أيضا بعضُ الحكماء [1] : لست أطلب العلم طمعاً فى بلوغ غايته ، والوقوفِ على نهايته . ولكن التماسَ ما لا يسع جهله ، ولا يَحْسُنُ بالعاقل إغفالُه . وقال آخرون : عِلْم الملوك : النَّسبُ والخبر وجمل الفقه . وعِلم التُّجّار : ٢٩٧
الحسابُ والكِتاب . وعلم أصحاب الحرب : درس كُتُبِ المغازى وكتب السِّيَر .

فأمّا أنْ تسمِّىَ الشيءَ علما وتَنهى عَنه من غير أن يكونَ يشغلُ عما هو أنفَعُ منه ، بل تَنهى نهياً جَزْماً ، وتأمر أمراً حتما ! والعلم بصر ، وخِلافهُ عمًى ، والاستبانة للشرِّ ناهيةٌ عنه ، والاستبانة للخير آمرةٌ به .

* * *

ولما قرأ المأمونُ كتبى فى الإمامة فوجدها على ما أُمَر به ، وصرتُ إليه وقد كان أمر اليزيدىَّ [2] بالنظر فيها ليخبره عنها ، قال لى : قد كان بعضُ من يُرتضَى عقلُه ويُصدَّق خبرُه [3] خبَّرنا عن هذه الكتب بإحكام الصنعة وكثرة الفائدة ،

---

(١) ما عدا ل : هـ : « العلماء » .

(٢) هو أبو محمد يحيى بن المبارك بن المغيرة اليزيدى ، وذلك أنه صحب يزيد بن منصور الحميرى خال المهدى ، مؤدباً لولده فنسب إليه ، ثم اتصل بالرشيد فجعله مؤدباً للمأمون ، كما جعل الكسائى مؤدباً للأمين ، أخذ عن أبى عمرو بن العلاء والخليل بن أحمد ، وعنه : أبو عبيد القاسم بن سلام ، وإسحاق الموصلى . وكان أحد أكابر القراء ، يقرئ هو والكسائى الناس فى بغداد فى مسجد واحد . توفى بخراسان سنة ٢٠٢ . إرشاد الأريب (٢٠ : ٣٠) وبغية الوعاة ٤١٤ وتاريخ بغداد ٧٤٦٥ .

(٣) ما عدا ل ، هـ : « من نرتضى عقله ونصدق خبره » .

فقلنا له : قد تربى الصِّفَةُ على العِيان ، فلما رأيتُها رأيتُ العِيانَ قد أرْبى على الصِّفة ، فلما فَلَيتها أربىَ الفَلْىُ على العِيان كما أربى العِيان على الصفة .

وهذا كتابٌ لا يحتاج إلى حضور صاحبِه ، ولا يفتقر إلى المحتجِّين عنه ، قد جَمَع استقصاءَ المعانى ، واستيفاءَ جميعِ الحقوق ، مع اللفظ الجَزْل ، والمخرج السَّهل ، فهو سوقىّ ملوكىّ ، وعامّىّ خاصّىّ .

* * *

ولما دخل عليه المرتدُّ الخراسانىّ وقد كان حمله معه من خُراسان حتّى وافى به العراقَ ، قال له المأمون :

لَأَنْ أستحييَك بحقٍّ أحبُّ إلىَّ من أن أقتُلَكَ بحقّ ، ولأن أُقبَلك بالبرَاءة أحبُّ إلىَّ من أن أدفعَك بالتهمة ، قد كنتَ مسلِماً بعد أن كنتَ نصرانيًّا ، وكنت فيها أُتْنَخَ [١] وأيامُك أطول ، فاستوحشتَ ممّا كنت به آنِساً ثم لم تلبثْ أن رَجعت عنّا نافراً ، فخبِّرْنا عن الشّىء الذى أوْحَشَكَ من الشىء الذى صار آنَسَ لك من إلفكَ القديم ، وأُنِسك الأوَّل . فإن وجدتَ عندنا دواءَ دائك تعالَجْتَ به ، والمريضُ من الأطبّاء يحتاج إلى المشاورة . وإن أخطأَك الشِّفاء ونبا عن دائك الدواء ، كنت قد أعذرت ولم ترجِعْ على نفسك بلائمة ، فإن قَتلناك قتلناك بحكم الشّريعة . أو ترجع أنت فى نفسك إلى الاستبصار والثِّقة ، وتعلم أنّك لم تقصِّرْ فى اجتهاد ، ولم تفرِّط فى الدخول فى باب الحزم .

قال المرتدّ : أوحَشَنى كثرةُ ما رأيت من الاختلاف فيكم !

قال المأمون : لنا اختلافان : أحدهما كالاختلاف فى الأذان وتكبير الجنائز ، ٢٩٨

---

(١) فى الأصول : « أتيح » ، ولا وجه له . ويقال تنخ بالمكان تنوخا ، أى أقام وثبت . وفى حديث عبد الله بن سلام « أنه آمن ومن معه من يهود فتنخوا على الإسلام » أى ثبتوا وأقاموا ورسخوا . وانظر الخبر فى العقد (٢ : ٣٨٤) .

والاختلافِ فى التشهُّد وصلاة الأعياد وتكبير التشريق ، ووجوهِ القراءات واختلافِ وجوهِ الفُتيا وما أشبَهَ ذلك . وليس هذا باختلاف ، إنما هو تخييرٌ وتَوسِعةٌ ، وتخفيفٌ مِن المحنة . فمن أذَّن مَثنىَ وأقام مثنى لم يُؤثَّم ، ومَن أذّن مثنى وأقام فُرادَى لم يُحَوَّب (١) ، لا يتعايرون ولا يتعايبون ، أنت ترى ذلك عِيانا وتشهد عليه بتاتاً (٢) .

والاختلاف الآخَر كنحو اختلافِنا فى تأويل الآيةِ من كتابنا ، وتأويلِ الحديث عن نبيِّنا ، مع إجماعنا على أصل التنزيل ، واتِّفاقنا على عين الخبَر . فإنْ كان الذى أوحشَكَ هذا حتّى أنكرتَ من أجله هذا الكتابَ ، فقد ينبغى أن يكون اللفظُ بجميع التَّوراة والإنجيل مُتَّفَقاً على تأويله ، كما يكون مُتَّفَقاً على تنزيله ، ولا يكونَ بين جميع النَّصارى واليهودِ اختلافٌ فى شئ من التأويلات . وينبغى لك أن لا ترجعَ إلّا إلى لغةٍ لا اختلاف فى تأويل ألفاظها .

ولو شاء اللهُ أن يُنزِلَ كتبَه ويَجعلَ كلامَ أنبيائه وورثَةِ رسله لا يحتاج إلى تفسيرٍ لفَعَل ، ولكنّا لم نَرَ شيئاً من الدِّين والدُّنيا دُفِع إلينا على الكفاية ، ولو كان الأمر كذلك لسقطت البَلوَى والمحنة . وذهبت المسابقَة والمنافسة (٣) ، ولم يكن تفاضل ، وليس على هذا بَنَى الله الدنيا .

قال المرتدّ : أشهد أنّ اللهَ واحد لا نِدَّ له ولا ولَد ، وأنَّ المسيح عبدُه ، وأنّ محمداً صادقٌ ، وأنك أميرُ المؤمنين حقّا !

فأقبل المأمونُ على أصحابه فقال : فِرُوا عليه عِرضَه (٤) ، ولا تَبرُّوه فى يومه

---

(١) لم يحوب ، من الحوب ، بالضم ، وهو الإثم . وهذا الفعل مما لم يذكر فى المعاجم .

(٢) بتاتاً ، أى قطعاً . ما عدا ل ، هـ : « تبياناً » .

(٣) ل : « السابقة والمنافسة » .

(٤) فروا ، من الوفر . يقال : وفره عرضه ووفره له : لم يشتمه .

ريثما يَعتُقُ إسلامُه ؛ كى لا يقولَ عدوّه إنّه أسلم رغبة . ولا تَنْسَوْا بعدُ نصيبَكم من بِرِّه وتأنيسه ونُصرتِه ، والعائدةِ عليه .

* * *

حدثنا أحمد بن أبى دواد قال : قال لى المأمون :

لا يستطيع الناسُ أن يُنصِفوا الملوكَ من وزرائهم ، ولا يستطيعون أن ينظُروا بالعدل بين الملوك وحُماتهم وكُفاتهم ، وبين صنائعهم وبِطانتهم . وذلك أنهم يرون ظاهرَ حرمةٍ وخدمةٍ ، واجتهادٍ ونصيحة ، ويرون إيقاعَ الملوك بهم ظاهراً ، حتى لا يزالُ الرّجل يقول : ما أوقَعَ به إلا رغبةً فى ماله ، أو رغبةً فى بعض ما لا تجود النفس به (١) ، ولعل الحسَد والملالة (٢) وشهوةَ الاستبدال ، اشتركَتْ فى ذلك .

وهناك خياناتٌ فى صُلب المُلْك ، أو فى بعض الحُرَم ، فلا يستطيع الملكُ أن يكشف للعامّة موضعَ العورة فى المُلْك ، ولا أن يحتجَّ لتلك العقوبة بما يستحقُّ ذلك الذنب ، ولا يستطيع الملكُ تركَ عقابِه ، لما فى ذلك من الفساد ، على علمه بأنّ عُذرَه غير مبسوطٍ للعامّة ، ولا معروفٍ عند أكثر الخاصّة .

* * *

ونزل رجلٌ من أهل العسكر (٣) ، فغَدَا (٤) بين يدَىِ المأمون ، وشكا إليه مَظْلِمتَه (٥) ، فأشار بيده : أنْ حسبُك ! فقال له بعضُ مَن كان يقرُب من المأمون :

---

(١) ما عدا ل : « النفوس به » .

(٢) ما عدا ل : « والملال » .

(٣) هى عسكر المهدى ، وهى الرصافة ، كما فى معجم البلدان ، لأنه عسكر بها حين شخص إلى الرى .

(٤) هـ : « فعدا » .

(٥) المظلمة ، بفتح الميم وكسر اللام : ما يظلمه الإنسان من حق .

يقول لك أميرُ المؤمنين : اركبْ . قال المأمون : لا يقال لمثل هذا : اركب ، إنما يقال له : انصرف !

وحدّثنى إبراهيم بن السِّنْدِىّ [١] قال : بينا الحسن اللؤلؤىّ [٢] يحدِّث المأمونَ ليلاً وهو بالرَّقَّة ، وهو يومئذ ولىُّ عهد ، وأطالَ الحسنُ الحديثَ حتى نَعَس المأمون ، فقال الحسن : نَعَسْتَ أيُّها الأمير ! ففتح عينَيه وقال : سوقىٌّ وربِّ الكعبة ! ياغلام خُذ بيده .

* * *

[آخر الجزء الثالث من تجزئة محققه ، وبقيت من تجزئة المصنف بقية جعلت فى الجزء الرابع مع الفهارس العامة للكتاب]

★ ★ ★

(١) سبقت ترجمته فى (١ : ١٤١) .

(٢) هو الحسن بن زياد اللؤلؤى ، ترجم فى (٢ : ٣٣٠) .

فهرس الأبواب

البيان والتبيين

تأليف

أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

الجزء الرابع

بتحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

مكتبة الجاحظ

أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

١٥٠ - ٢٥٥

بتحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

الكتاب الثاني

البيان والتبيين

الجزء الرابع

الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة

صف هذا الكتاب بطريقة الجمع التصويرى

مكتبة الخانجى

للطباعة والنشر والتوزيع

ص . ب ١٣٧٥ القاهرة

الطبعة السابعة

١٤١٨ هـ = ١٩٩٨ م

مطبعة المدني المؤسسة السعودية بمصر
٦٨ شارع العباسية - القاهرة - ت : ٤٨٢٧٨٥١

[أول الجزء الرابع]

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر بقية كلام النوكى والموسوسين والجفاة والأغبياء وما ضارع ذلك وشاكله

وأحببنا أن لا يكون مجموعاً فى مكان واحدٍ، إبقاءً على نشاط القارئ والمستمع.

مَرّ ابن أبي علقمة [١] بمجلس بني ناجية [٢]، فكبا حمارُه لوجهه، فضحِكوا منه، فقال: ما يضحككم؟ رأى وجوهَ قريشٍ فسجد [٣]!

أبو الحسن قال: أتى رجلٌ عِباديًّا [٤] صيرفيًّا، يستسلف منه مائتى درهم، فقال: وما تصنع بها؟ قال: أشترِى بها حماراً فلعلّى أربح فيه عشرين درهما! قال: إذَا أنا وهبتك العشرين [٥] فما حاجتُك إلى المائتين؟ قال: ما أريد إلاّ المائتين! فقال: أنت لا تريد أن تردَّها على!

---

(١) مضى له خبر فى (٢ : ٢٣٥)، وهو أحد الممرورين. وسماه أبو الفرج فى الأغانى (١٩:٥١): « ابن أبى علقمة اليحمدى المجنون ». واليحمدى نسبة إلى اليحمد، من بنى زهران بن الأزد. المعارف ٤٨ ـــ ٤٩. وهو أحد رجال الأزد فى أيام الدولة الأموية. وكان الفرزدق قد أسرف فى هجاء الأزد حتى أحفظهم ذلك، ومر يوماً بمجلسهم وفيهم ابن أبى علقمة، فوثب عليه وحاول أمراً فظيعاً، وطلب إليهم أن يخلوا بينه وبينه، يرى فى ذلك كفًّا له عن هجائهم، ففزع الفرزدق وكان من أجبن الناس، فجعل يستغيث ويقول: ويلكم لا يمس جلده جلدى فيبلغ ذلك جريراً فيوجب على أنه كان منه الذى يقول! فلم يزل يناشد القوم حتى كفوه عنه. الأغانى (١٩ : ٢٩ ، ٣٨ ، ٥١). وفى عيون الأخبار (١ : ٣١٨): « قال بلال بن أبى بردة لابن أبى علقمة: إنما دعوتك لأسخر منك. فقال له ابن أبى علقمة: لئن قلت ذاك لقد حكم المسلمون رجلين، سخر أحدهما من الآخر! ».

(٢) هم بنو ناجية بن سامة بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك، وأمهم ناجية بنت جرم بن زبان. السمعانى ٥٥٠ ب والمعارف ٥٠ ومختلف القبائل ومؤتلفها لابن حبيب ٣٠.

(٣) الخبر فى عيون الأخبار (٢ : ٢٠٤).

(٤) العبادى: نسبة إلى العباد، بكسر العين، وهم قبائل شتى اجتمعوا على النصرانية بالحيرة.

(٥) من القليل استعمال « وهب » متعدية لاثنين. وفى اللسان (وهب) عن أبى عمرو، أنه سمع أعرابيا يقول لآخر: « انطلق معى أهبك نبلا ».

قال : وأتى قوم عِبَادِيًّا فقالوا : تحبُّ أن تُسْلِف فلاناً ألف درهم وتؤخره سنة ؟

فقال : هاتان حاجتان ، وسأُقضى لكم إحداهما ، وإذا فعلتُ ذلك فقد ٣٠٠ أنصفت، أمّا الدّراهم فلا تسهُل علىّ ، ولكنّى أؤخره سنتين .

ولعب رجلٌ قدَّامَ بعض الملوك بالشِّطرنج ، فلمّا رآه قد استجاد لعبَه وفاوَضَه الكلامَ [١] قال له : لم لاتولِّينى نهرَ بوق [٢] ؟ قال : أولِّيك نصفَه ، اكتُبوا له عهدَه على بُوق !

وقال له مرّةً : ولِّنى أُرمِينِيَة . قال : يُبطىءُ على أمير المؤمنين خبرُك !

وقدِم آخرُ على صاحبٍ له من فارس ، فقال : قد كنتَ عند الأمير [٣] فأىَّ شىءٍ ولاّك ؟ قال : ولاّنى قفاه !

قال : ونظر أميرٌ إلى أعرابىٍّ فقال : لقد همَّ لى الأميرُ بخير ؟ قال: مافعلتُ ؟ قال : فبشِّرٌ ؟ قال : وما فعلتُ ؟ قال : إنّ الأمير لمجنون !

قال أبو الحسن : شهد مجنونٌ على امرأةٍ ورجلٍ بالزِّناءِ فقال الحاكم : تشهدُ أنّكَ رأيتَه يُدخِله ويخرجه ؟ قال : والله أنْ لو كنتُ جلدةَ استِها لما شَهِدت بهذا .

قال : وكان رجلٌ من أهل الرّىِّ يجالسنا ، فاحتبس عنّا ، فأتيتُه فجلست معه على بابه ، وإذا رجلٌ يدخُل ويَخرج فقلتُ : من هذا ؟ فسكت ، ثم أعدتُ فسكَت ، فلما أعدت الثالثةَ قال : هو زوج أختِ خالتى !

وقال الشاعر :

إذا المرءُ جازَ الأربعينَ ولم يكُنْ ... له دُونَ مايأْتِى حَياءٌ ولا سِتْرُ
فدَعْهُ ولا تَنْفَسْ عليه الّذى أتَى ... ولو جَرَّ أرسانَ الحَياةِ له الدَّهْرُ [٤]

* * *

(١) المعروف : فاوضه فى الكلام ، أى جاراه فيه .

(٢) نهر بوق : طسُّوج من سواد بغداد قرب كلواذا . قالوا : إن جنوبى بغداد من كلواذا ، وشماليها من نهر بوق .

(٣) ما عدا ل : « عند أمير المؤمنين » .

(٤) فى حواشى هـ : « خ : أسباب » .

أعرابىّ خاصمته امرأته إلى السُّلطان ، فقيل له : ماصنَعَت ؟ قال : خيراً ، كَبَّها الله لوجهها ، وأمَرَ بى إلى السجن !

قال أبو الحسن : عرض الأسَدُ لأهل قافلة ، فتبرَّعَ عليهم رجل (١) ، فخرج إليه فلما رآه سقط وركِبه الأسَدُ ، فشدُّوا عليه بأجمعهم ، فتنحَّى عنه الأسدُ ، فقالوا له : ما حالك ؟ قال : لا بأس علىّ ، ولكنّ الأسدَ خَرِىَ فى سراويلى .

أبو الحسن : قال أبو عَبَاية السُّليطىّ : قد فَسَدَ الناس ! قلت : وكيف ؟ قال : ترى بساتين هَزَارَمَرْد (٢) هذه ما كان يمرُّ بها غلام إلاّ بِخَفير (٣) . قلت :
٣٠١ هذا صلاح ! قال : لا بل فساد .

أبو الحسن قال : خطب سَعيد بن العاص (٤) ، عائشة بنت عثمان (٥) على أخيه فقالت : لا أتزوّجه (٦) ! قال : ولم ؟ قالت : هو أحمق ! له بِرذونان أشهبان ، فيحتمل مَؤونة اثنين وهما عند الناس واحد .

قال : كان المغيرة بن المهلَّب ممروراً ، وكان عند الحجاج يوماً فهاجت به مِرَّته ، فقال له الحجاج : ادخُل المتوضَّأ . وأمرَ مَن يقيم عنده حتّى يتقيّأ ويُفيق .

* * *

قال أبو الحسن : قالت خَيرَة بنت ضَمْرة القشيريَّة ، امرأة المهلَّب ، للمهلَّب : إذا انصرفتَ من الجمعة فأحبُّ أن تمرّ بأهلى . قال لها : إنَّ أخاك أحمق ! قالت : فأنّى أحبُّ أن تفعل ! فجاء وأخوها جالسٌ وعنده جماعةٌ فلم يوسِّع له ،

---

(١) ل : « فتسرع » .

(٢) سبق تفسيرها فى (٣ : ٢٢١) حيث سلف الخبر برواية أخرى .

(٣) بعده فيما مضى : « وهم اليوم يخترقونه » .

(٤) سبقت ترجمته فى (٢:٢٩٥).

(٥) هـ : « ابنة عثمان » .

(٦) ماعدا ل : « لا نزوجه » . وأشير فى حواشى هـ إلى رواية : « لا أتزوجه » .

فجلس المهلَّب ناحيةً ثم أقبل عليه فقال له : ما فعل ابنُ عمِّك فلان ؟ قال : حاضر . فقال : أرسِلْ إليه . ففعل ، فلما نظر إليه غيرَ مرفوع المجلس قال : يا ابن اللَّخناء ، المهلَّبُ جالسٌ ناحيةً وأنت جالسٌ فى صدر المجلس ؟! وواثبه . فتركه المهلَّبُ وانصرف ، فقالت له خَيرة : أمررتَ بأهلى ؟ قال : نعمْ ، وتركتُ أخاك الأحمقَ يُضربَ !

* * *

قال : وكتب الحجّاج إلى الحكَم بن أيوب [١] : « اخطُبْ على عبد الملك ابن الحجّاج امرأةً جميلةً من بعيد ، مليحةً من قريب ، شريفةً فى قومها ، ذليلةً فى نفسها ، أمَةً لبعلها » . فكتب إليه : « قد أصبتُها لولا عِظَم ثدييها ! » . فكتب إليه الحجّاج : لا يَحسُن نحرُ المرأة حتَّى يَعظُم ثدياها .

قال المرّارُ بن مُنقِذٍ العَدَوىّ [٢] :

صَلْتَةُ الخَدِّ طَوِيلٌ جِيدُهَا ضَخْمَةَ الثَّدى ولَمَّا يَنكَسِرْ [٣]

وقال على بن طالب رضى الله تعالى عنه : « لا ، حتَّى تدفؤَ الضَّجيع ، وتُروِىَ الرضيع [٤] » .

وقال ابن صُدَيقة [٥] لرجلٍ رأى معه خُفًّا : ماهذه القَلَنْسُوة ؟ فاحتكموا إلى عِرباض ، فقال عِرباض : هى قلنسوة الرِّجْلَيْن !

---

(١) هو الحكم بن أيوب بن الحكم بن عقيل الثقفى ، زوج زينب بنت يوسف ، وهى أخت الحجاج . ولما ولى الحجاج العراق استعمل الحكم بن أيوب على البصرة ، ثم عزله وولى غيره ، ثم رده إليها . الأغانى (٦ : ٢٧) .

(٢) هو المرار بن منقذ بن عبد بن عمرو بن صدىّ بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، الحنظلى العدوى . الشعراء ٦٧٨ والمؤتلف ١٧٦ والمرزبانى ٤٠٩ والخزانة (٢ : ٣٩١ — ٣٩٦) . هـ : « الجملى » ، تحريف .

(٣) البيت من قصيدة له فى المفضليات (١ : ٨٠ — ٨١) برواية : « ناهد الثدى » . صلتة الخد : منجردته ليست برهلة .

(٤) سبق الخبر فى (٢ : ٧٨) .

(٥) هو القاسم بن عبد الرحمن بن صديقة ، المترجم فى (١ : ٣٤٣) . وانظر ماسبق فى (٣ : ٢٦٥) .

قال أبو إسحاق : قلت لخنجير كوز (١) : وعدتك أن تجيئني (٢) ارتفاعَ النهار فجئتنى صلاةَ العصر ! قال:جئتُك ارتفاعَ العشىّ !

٣٠٢ قال : قيل لأعرابىّ : ما اسمُ المرق عندكم ؟ قال:السَّخين . قال : فإذا بَرُدَ ؟ قال : لا ندعُه حتّى يبرُد .

باع نخّاسٌ (٣) من أعرابىّ غلاماً فأراد أن يتبرّأ من عَيبه ، قال : اعلم أنّه يبول فى الفِراش . قال . إنْ وجد فِراشاً فليبُلْ فيه !

حدثنا صديقٌ لى قال : أتانى أعرابىٌّ بدِرهم فقلت له : هذا زائف ، فمن أعطاكه ؟ قال : لصٌّ مثلك !

وقال زيد بن كَثْوة (٤) : أتيت بنى كَشٍّ هؤلاء (٥) ، فإذا عُرس ، وبُلِقَ البابُ ، فادْرَنفَق (٦) وادَّمَج فيه سرَعانٌ من الناس (٧) ، وألَصْتُ وُلوجَ الدار (٨) فدَلَظنى الحدّاد دلظةً (٩) دَهْوَرنى على قِمّة رأسى ، وأبصرت شِيخَانَ الحىِّ هناك (١٠) ، ينتظرون المَزِيَّة (١١) ، فعُجْت إليهم ، فوالله إنْ زِلْنا (١٢) نَظَارِ نَظارِ

---

(١) كذا ورد بهذا الرسم فى جميع النسخ . وفى (٣ : ٢١٤) . « خنجير كون » .

(٢) ما عدا ل : « أن تجىء » .

(٣) النخاس ، أصله بائع الدواب ، سمى بذلك لنخسه إياها ، ثم سمى بائع الرقيق نخاساً .

(٤) سبقت ترجمته فى (١ : ١٦٣).ماعدا ل ، هـ:« يزيد بن كثوة » ، تحريف .

(٥) كش ، كذا ورد فى ل ، هـ بفتح الكاف .

(٦) بلق الباب:فتحه كله ، أو فتحه فتحاً شديداً ، وادرنفق القوم : تقدموا وأسرعوا .

(٧) ادمجوا فيه : دخلوا . وسرعان الناس ، بالتحريك : أوائلهم المستبقون إلى الأمر .

(٨) ألاص : أراد ؛ يقال : ألاصَ يليص إلاصة ، أى أراد .

(٩) دلظه : ضربه أو دفعه فى صدره . والحداد : البواب .

(١٠) الشيخان ، بالكسر : جمع من جموع الشيخ .

(١١) المزية : الطعام يخص به الرجل ، ومثله القفية واللوية .

(١٢) أى ما زلنا . ل : « ما زلنا » .

حتَّى عَقَلَ الظلّ (١) فذكرت أخِلاَّئى من بنى تبر ، فقصدتهم وأنا أقول :

تَرَكْنَ بَنِى كَشٍّ وما فى دِيارِهِمْ عَوامِدَ واعْصَوْصبنَ نحوَ بَنِى تبْرِ (٢)
إلى مَعشَرٍ شُمِّ الأُنوفِ ، قِرَاهُمُ إذا نزل الأضيافُ مِن قَمَعِ الجُزْرِ (٣)

وانصرفت وأتيتُ باب بنى تبر (٤) ، وإذا الرجال صَتِيتانِ (٥) ، وإذا أرمِداءُ كثيرة (٦) ، وطُهاةٌ لا تحصَى ، ولُحمانٌ فى جُثمان الإكام (٧) .

صالح بن سليمان قال : مِن أحمق الشعر قول الذى يقول (٨) :

أُهِيمُ بدعدٍ ما حَيِيتُ فإنْ أَمُتْ أُوَكِّلْ بِدعدٍ من يَهيمُ بِها بَعدِى (٩)

ولا يشبه قول الآخر (١٠) :

فلا تَنكحِى إن فرَّقَ الدَّهرُ بينَنَا أَغَمَّ القفا والوجهِ ليس بأَنْزَعا

---

(١) عقل الظل يعقل ، أى قلص ، وذلك عند انتصاف النهار .

(٢) يقال اعصوصب القوم ، إذا جدوا فى السير .

(٣) الشمم : ارتفاع فى قصبة الأنف ، مع حسن واستواء . وشمم الأنف كناية عن الرفعة والعلو وشرف النفس . والقمع ، بالتحريك : جمع قمعة ، وهى أعلى السنام من البعير أو الناقة . والجزر ، أصله الجزر بضمتين جمع جزور ، وهى الناقة المجزورة

(٤) ما عدا ل : « باب كش » ، تحريف .

(٥) الصتيت : الفرقة من الناس فى جلبة ونحوها .

(٦) الأرمداء : جمع للرماد . ويقال أيضاً « إرمداء » بالكسر ، وهذا اسم جمع له .

(٧) فى جثمانها ، أى فى قدر جثمانها. والإكام : جمع جمع للأكمة . يقال أكمة وأكم ، ثم يجمع هذا على إكام . والأكمة : موضع غليظ أشد ارتفاعاً مما حوله .

(٨) ما عدا ل : « من أحمق الشعراء الذى يقول » .

(٩) البيت للنمر بن تولب فى الشعراء ٢٦٩ . ويروى أيضاً لنصيب كما فى المرجع نفسه برواية : « أوصى بدعد » . ونسب إلى نصيب فى الأغانى (١١ : ١٨/١٤ : ١٦٧ / ١٩ : ١٥٩ ، ١٦٠) برواية : « فواكبدى من ذا يهيم بها » . وقيل إن بيت نصيب هو :

أهيم بدعد ماحييت فإن أمت فيا ويح دعد من يهيم بها بعدى

أو « فواكبدى من ذا يهيم » . وأن الأقيشر قال حين سئل : كيف تقول لو كنت قائله ؟ قال : كنت أقول :

تحبكم نفسى حياتى فإن أمت أُوَكِّل بدعد من يهيم بها بعدى

انظر الشعراء ٣٧٣ . ورويت رواية مناقضة لهذه فى الكامل ١٠٣ ــ ١٠٤ ليبسك .

(١٠) هو هدبة بن الخشرم ، كما فى اللسان (نزع ، غمم) . والغمم : أن يسيل الشعر حتى يضيق الوجه والقفا . والعرب تذمه وتتشاءم به ، وتزعم أن الأغم القفا والجبين لا يكون إلا لئيما . والأنزع : الذى انحسر مقدم شعر رأسه عن جانبى الجبهة .

قال : مات لابن مقرِّنٍ غلام ، فحفر لهم أعرابىٌّ قبره بدرهمين ، وذلك فى بعض الطَّواعين ، فلما أعطَوه الدِّرهمين قال : دعُوهما حتَّى يجتمع لى عندكم ثمنُ ثوب !

وأدخل أعرابىٌّ إلى المربد جَليباً له (١) فنظر إليها بعض الغوغاء (٢) فقال : لا إله إلا الله ، ما أسمن هذه الجُزُر ! قال له الأعرابى : ما لها تكون جُزُراً ، جَزَرَكَ الله (٣) .

قال أبو الحسن : جاء رجلٌ إلى رجلٍ من الوجوه فقال : أنا جارُك . وقد
٣٠٣ مات أخى فمُرْ لى بكفَن . قال : لا واللهِ ما عندى اليومَ شىء ، ولكن تعهَّدْنا وتعودُ بعد أيام ، فسيكون ما تحبّ ! قال : أصلحَكَ الله ، فنُملِّحه إلى أن يتيسر عندكم شىء ؟!

قال : كان مولى البَكَرات يدَّعى البلاغة ، فكان يتصفح كلامَ الناس فيمدح الردىء ويذمّ الجيِّد ، فكتب إلينا رسالة يعتذر فيها من تركه المجىء ، فقال : « وقطَعنى عن المجىء إليكم أنه طلعَتْ فى إحدى أُليَتَىِ ابنى بَثْرةٌ ، فعظُمت وعظُمت حتى صارت كأنها رُمّانة صغيرة » .

وقال على الأسوارىّ (٤) : « فلما رأيته اصفرّ وجهى حتى صار كأنه الكَشُوث (٥) » .

وقال له (٦) محمد بن الجهم : إلى أين بلغ الماء منك ؟ قال : إلى العانة . قال

---

(١) الجليب والجلب : ما جلب من بلد إلى غيره من خيل أو إبل أو متاع .

(٢) الغوغاء ، أصله الجراد حين يخف للطيران . ثم استعير للسفِلة من الناس والمتسرعين إلى الشر . ويجوز أن يكون من الغوغاء ، وهو الصوت والجلبة ، وذلك لكثرة لغطهم وصياحهم .

(٣) فى الأصول : « أجزرك الله » . وأجزره : أعطاه جزوراً .

(٤) ل ، هـ : « على بن الأسوارى » تحريف . وانظر الحيوان (٥ : ٤٦٧) والبيان (٢ : ٢٦١) .

(٥) الكشوث ويقال أيضاً « الأكشوث » : نبات يمتد على مايلاصقه كالخيوط ، إلى غبرة وحمرة . تذكرة داود .

(٦) أى قال لعلى الأسوارى .

شعيب بن زرَارة : لو كان قال : إلى الشِّعرة ، كان أجود !

وقال له محمد بن الجهم : هذا الدواء الذى جئتَ به قدرَ كَمْ آخذُ منه ؟ قال : قدرَ بعرة .

وقال علىّ : جاءنى رجلٌ حَزَنْبَلٌ (١) من هاهنا إلى ثَمَّة !

* * *

وقال قاسمٌ التَّمَّار : بينهما كما بينَ السماء إلى قريب من الأرض !

وقال قاسم التَّمَّار : رأيت إيوانَ كسرى كأنما رُفِعت عنه الأيدى أوّلَ من أمْس !

وأقبل على أصحابٍ له وهم يشربون النبيذ ، وذلك بعد العصر بساعة ، فقال لبعضهم : قُمْ صَلّ فاتَتْكَ الصلاة ! ثم أمسَك عنه ساعة ، ثم قال لآخر : قُمْ صَلّ ويلك فقد ذهب الوقت ! فلما أكثر عليهم فى ذلك وهو جالسٌ لا يقوم يصلّى قال له واحدٌ منهم : فأنت لِمَ لا تصلّى ؟ فأقبل عليه فقال : ليس والله تعرَفون أَصلِى فى هذا . قلت : وأىُّ شىء أصلك ؟ قال : لا نصلّى لأنّ هذه المغربَ قد جاءَت !

وقال قاسم : أنا أنفَسُ بنفسى على السلطان .

وأتى منزلَ ابن أبى شهابٍ وقد تعشَّى القومُ وجلسوا على النبيذ ، فأتوه بخُبزٍ وزيتون وكامَخ (٢) فقال : أنا لا أشرب النّبيذَ إلاّ على زُهومة (٣) . ٣٠٤

وقال : حين بِعتُ البغل بدأت بالسّرج (٤) .

---

(١) الحزنبل : القصير المجتمع .

(٢) الكامخ ، بفتح الميم : اسم لما يؤتدم به ، أو لما يشهى الطعام ، معرب من « كامه » الفارسية . المعرب ٢٩٨ واستينجاس ١٠٠٩ واللسان والقاموس .

(٣) الزهومة : ريح اللحم السمين المنتن .

(٤) فى جميع النسخ : « بالفرج » . لكن فى هـ : « بالسرج » .

وقال : ليس فى الدنيا ثلاثةٌ أنكحُ منِّى : أنا أُكْسِلُ منذُ ثلاثِ ليالٍ فى كلِّ ليلة عَشْرَ مرّات ! كأنّ الإكسال عنده هو الإنزال (١) .

وقال : ذهب والله منِّى الأطيبَين ؟ قلت : وأىُّ شىء الأطيبَين ؟ قال : قوةّ اليدينِ والرِّجلين (٢) .

وقال : فالتوَى لى عرقٌ حين قعدتُ منها مقعَد الرجلِ من الغُلام .

وقال فى غلامٍ له رومىّ ، ما وضعتُ بينى وبين الأرض أطيَبَ منه .

قال : ومحمّد بن حسان لا يشكرُنى ، فوالله ما ناك حادِراً قطُّ إلا على يدىّ (٣) .

وقال أبو خَشْرم : ما أعجبَ النَّيك ؟ فقيل له : النيك وحده ؟ قال : سمِعنا الناس يقولون : ما أعجب أسباب الرزق ، وما أعجب الأسباب !

وكان قاسمٌ التَّمَّارُ عند ابنٍ لأحمد بن عبد الصمد بن علىّ ، وهناك جماعة ، فأقبل وهبٌ المحتسب يعرِّض له بالغلمان ، فلما طال ذلك على قاسمٍ أراد أن يقطَعه عن نَفْسه بأن يعرّفه هوَانَ ذلك القول عليه فقال : اشهدوا جميعاً أنّى أنيك الغلمان ، واشهدوا جميعاً أنى أَعفِجُ الصِّبيان ! والتفتَ التفاتةً فرأى الأخوين الهذليّين وكانا يعاديانه بسبب الاعتزال فقال : عنيت بقولى : اشهدوا جميعاً أنى لوطىّ ، أى أنّى على دين لُوط ! قال القوم بأجمعهم : أنت لم تقل اشهدوا أنّى لوطىّ ، وإنما قلت : اشهدوا جميعاً أنى أنيك الصِّبيان !

قال سفيان الثورىّ (٤) : لم يكن فى الأرض أحد قطُّ أعلم بالنجوم

---

(١) الإكسال : أن يفتر ذكره قبل الإنزال وبعد الإيلاج .

(٢) الأطيبان عند العرب ، هما الأكل والنكاح ، أو النوم والنكاح . قال

إذا فات منك الأطيبان فلا تبل متى جاءك اليوم الذى كنت تحذر

وقيل : النكاح وطيب النكهة . وعن أبى هريرة قال رسول الله ﷺ : « الأطيبان التمر واللبن » . انظر جنى الجنتين للمحبى ٢١ ، واللسان (طيب ٥٤) .

(٣) الحادر : الغلام الممتلىء الشباب . ماعدا ل : « حاذرا » تحريف .

(٤) ل : « أبو سنان السدوسى » هـ : « أبو سفيان السدوسى » . وانظر ما سيأتى فى ترجمة ماشاء الله المنجم .

ثُمَّ بالقِرانات (١) من « ما شاءَ اللهُ كان » ، يريد ما شاء الله المنجِّم (٢) .

وكان يقول : هو أكفر عندى من رام هُرمُز (٣) ! يريد أكفر من هُرمُز .

وممن وَسْوَس (٤) : غَلْفاءُ بن الحارث ، ملكُ قيسِ عيلان ، وَسْوَس حين قتل إخوتَه . وكان يتغلَّفُ ويغلِّف أصحابَه بالغالية (٥) ، فسمِّى غلفاءَ بذلك .

وكان رجلٌ ينيك البَغلات ، فجلس يوماً يُخبِّر (٦) عن رجلٍ كيف ناك بغلةً ، وكيف انكسرت رجلُه ، وكيف كان ينالها ، قال : كان يضع تحت رجله لَبِنةً ، فبينما هو يُنْحِى فيها إذا انكسرت اللَّبِنة من تحت رجله ، وإذا أنا على قفاى ! ٣٠٥

* * *

ومن الاحاديث المولدة التى لا تكون ، وهو فى ذلك مليحٌ ، قولهم :

---

(١) القرانات : قرانات النجوم ، ومايترتب عليها من معرفة الحظ . واقتران الكوكبين : مسامتة أحدهما الآخر : يكون أحدهما أعلى من صاحبه ، وفلكه خلاف فلك الآخر ، فيسامت أحدهما صاحبه ، فيحاذيان موضعاً واحداً من ذلك البرج ، ويتحركان على سمت واحد ، فيراهما الناظر مقترنين لبعدهما عن الأرض ، وبين أحدهما وصاحبه فى العلو بعد كثير . وفى البروج ماهو نارى ، وما هو مائى . انظر تفصيل الكلام فى الأزمنة والأمكنة (٢ : ٣٢٢) .

(٢) ما شاء الله المنجم اليهودى ، واسمه ميشا بن أبرى ، كان فى زمن المنصور وعاش إلى أيام المأمون ، وكان ذا حظ قوى فى معرفة الغيب . وروى أن سفيان الثورى لقى ما شاء الله فقال له : أنت تخاف زحل وأنا أخاف رب زحل ، وأنت ترجو المشترى وأنا أرجو رب المشترى ، وأنت تغدو بالاستشارة وأنا أغدو بالاستخارة ، فكم بيننا ؟ فقال له ماشاء الله : كثير مابيننا ، حالك أرجى ، وأمرك أنجح وأحجى ! وله من التصانيف : كتاب المواليد الكبير ، كتاب القرانات ، وكتاب صنعة الأصطرلاب . انظر ابن النديم ٢٨٣ ليبسك وأخبار الحكماء للقفطى ٣٢٧ ليبسك .

(٣) رام هرمز : مدينة من نواحى خوزستان .

(٤) وسوس فهو موسوس بكسر الواو بين السينين : اختلط عقله واعترته الوساوس ، سمى موسوسا لتحديثه نفسه بالوسوسة . قال ابن الأعرابى : « ولا يقال موسوس » أى بفتح الواو . لكن ضبطت فى ل ، هـ بالبناء للمجهول .

(٥) تغلف بالطيب : ادهن به . والغالية : نوع من الطيب ، مركب من مسك وعنبر وعود ودهن .

(٦) ما عدا ل : « يحدث » . وكلمة « يوما » ساقطة من ل .

ناك رجلٌ كلبةً فعَقَدَتْ عليه ، فلما طال عليه البلاءُ رَفع رأسَه فصادف رجلاً يطّلع عليه من سَطح ، فقال له الرجل : اضربْ جنبها . فلما ضربَ جنبَها وتخلَّص قال : قاتَلَه الله : أىُّ نيّاكِ كلباتٍ هو !

وكان عندنا بالبصرة (١) قاصٌّ أعمى ، ليس يحفظ من الدنيا إلاّ حديثَ جِرجِيس (٢) ، فلما بكى واحدٌ من النّظّارة قال القاصّ : أنتم من أىِّ شىءٍ تبكون (٣) ! إنما البلاء علينا مَعاشِرَ العُلَماء !

قال : وبكَى حولَ أبى شيبانَ ولدُه وهو يريد مكة ، قال : لا تبكوا يابَنِىّ ، فإنى أُرِيدُ أنْ أُضَحِّىَ عندكم !

وقال أخوه : وُلِدتْ فى رأس الهلال للنِّصف من شهر رمضان ! احسُبْ أنت الآنَ هذا كيف شئت !

وقال : تزوّجت أمرأةً مخزوميّة عمَّها الحجاجَ بن الزُّبير الذى هدم الكعبة !

وقال : ذلك لم يكن أباً ، إنما كان والداً !

وقال أبو دينار : هو وإن كان أخاً فقد ينبغى أن يُنْصَف !

---

(١) هذه الكلمة من ل ، هـ فقط .

(٢) فى القاموس : « جرجيس نبى عليه السلام » وفى المعارف ٢٥ : « وجرجيس من أهل فلسطين ، وكان قد أدرك بعض الحواريين ، فبعث إلى ملك الموصل ، وهو بعد المسيح » . وانظر خبره مسهبا وما نال من صنوف العذاب والاضطهاد ، عند الطبرى فى تاريخه (٢ : ٤٨ ــ ٥٥) .

(٣) هـ : « بأى شىء تبكون » .

ومن المجانين

على بن إسحاقَ بن يحيى بن مُعاذ . وكان أوَّلُ ما عُرف من جُنونه أنه قال : أرى الخطأَ قد كثُر فى الدُّنيا ، والدُّنيا كلُّها فى جوف الفلَك ، وإنما نُؤتَى منه ، وقد تخلخل وتخرّم (١) وتزايل ، فاعتراه ما يعترى الهَرْمَى ، وإنما هو منجنونٌ (٢) فكم يصبِر ؟ وسأحتال فى الصعود إليه ، فإنى إن نجَرته (٣) ورَندجْتُه (٤) وسوّيته ، انقلب هذا الخطاءُ كله إلى الصواب (٥) .

وجلس مع بعض متعاقِلى فتيانِ العسكر ، وجاءهم النخّاس بجَوارٍ فقال : ليس نحن فى تقويم الأبدان ، إنما نحن فى تقويم الأعضاء ، ثمن أنفِ هذه خمسة وعشرون ديناراً ، وثمن أُذنيها ثمانيةَ عشر ، وثمن عينيها ستة وسبعون ، وثمن رأسها بلا شيء من حواسِّها مائة دينار ! فقال له صاحبه المتعاقل : ها هُنا بابٌ هو أدخَلُ فى الحكمة من هذا ! كان ينبغى لقدم هذه أن تكون لساقِ تلك ، وأصابع ٣٠٦
تلك أن تكون لقدم هذه ، وكان ينبغى لشفتَىْ تِيك أن تكون لفم تِيك ، وأن تكون حاجبَا تيك لجبين هذه ! فسمِّىَ مقوِّم الأعضاء .

ومن النوكى

كلاب بن ربيعة ، وهو الذى قتل الجشمىَّ قاتل أبيه دون أخوته ، وهو القائل :

ألم تَرَنى تَأَرث بشيخ صِدْقٍ وقد أخذ الإداوةَ فاحتساها

---

(١) ما عدا هـ : « وتحزم » .

(٢) أى كالمنجنون ، وهو الدولاب الذى يدور ويستقى عليه . وفى حواشى هـ : « يقال للفلك منجنون لاستدارته » . ماعدا هـ : « مجنون » .

(٣) النجر : فعل النجار ، من قطع الخشب ونحته . ماعدا ل : « بحرته » .

(٤) أراد صبغته باليرندج ، وهو صبغ أسود ، فارسى معرب .

(٥) الخطاء : الخطأ . ماعدا ل : « الخطأ » .

ثأرتُ بشيخِهِ شيخاً كريما   شِفاء النَّفس إن شيءٌ شَفاها

ومنهم : نَعامةُ ، وهو بَيْهَسٌ [١] ، وهو الذى قال : « مُكرهٌ أَخاكَ لا بَطَل [٢] » .
وإياه يعنى الشاعر [٣] :

ومِن حَذَرِ الأيامِ ماحَزَّ أنفَــهُ   قَصيرٌ ولاقَى الموتَ بالسيفِ بَيْهَسُ [٤]
نَعامةُ لمّا صَرَّعَ القومُ رَهْطَهُ   تبيَّنَ فى أثوابِهِ كيفَ يَلبَسُ

وقال الحضرميّ : أمّا أنا فأشهد أنّ تميماً أكثرُ من محارب .

---

(١) بيهس : رجل من بنى فزارة بن ذبيان ، وهو أحد مدركى الأوتار الثلاثة فى الجاهلية ، والثانى سيف بن ذى يزن ، والثالث قصير صاحب جذيمة . وكان من خبره أن قوماً أغاوروا على إخوته وأهل بيته وقتلوهم أجمعين وأسروا بيهسا ، فلما نزلوا بعض المنازل راجعين نحروا جزوراً فأكلوا وقالوا : ظللوا البقية . فقال بيهس : « لكن بالأثلاث لحماً لا يظلل » — يعنى أجساد من أصيب من قومه — فذهبت مثلا . فلطمه رجل منهم وجعل يدخل رجليه فى يدى سرباله ، فقال له رجل منهم : لم تلبس هذا اللبس ؟ وجعل يعلمه كيف يلبس ، فقال :

البس لكل حالة لبوسها   إما نعيمها وإما بوسها

فلطمه الرجل الذى كان لطمه مرة أخرى ، فقال له بيهس لو نكلت عن الأولى لم تعدْ إلى الثانية . فقال بعضهم : إن مجنون فزارة هذا ليتعرض للقتل ، فخلوا عنه ! فخلوه فلماً أتى أهله جعل نساؤه يتحفنه فقال : « يا حبذا التراث لولا الذلة » فذهبت مثلا . فاجتمع عليه الغمُّ مع ما به من قلة العقل : فجعلت أمه تعاتبه ويشتد عليها ذلك منه ، فقالت:لو كان فيك خير لقتلتَ مع قومك فقال : « لو خيرت لاخترت » ، فذهبت مثلا ثم جمع جمعا وغزا القوم الذين وتروه ، ومعه خال له ، فوجدوهم فى وهدة من الأرض كبيرة ، فدفعه خاله عليهم — وكان جسيما طويلا وإنما سمى نعامة لذلك ، ولأنه كان شديد الصمم مائقا — فقاتل القوم وهو يقول : « مكره أخاك لا بطل » . وقتل القوم وأدرك بثأره . الأغانى (٢١ : ١٢٢ — ١٢٣) والحيوان (٤ : ٤١٣) .

(٢) انظر الحاشية السابقة . و « أخاك » على لغة من يلزم الأسماء الستة الألف.هـ : « أخوك » .

(٣) هو المتلمس . ديوانه نسخة الشنقيطى ٦ والأغانى (٢١ : ٢٣٢) وحماسة أبى تمام (١ : ٢٦٨) والبحترى ١٩ ومروج الذهب (٢ : ٩٧) وأمثال الميدانى (١ : ١٣٨ ، ٢١٦) والخزانة (٣ : ٢٧٢) ومعاهد التنصيص (١ : ٢٤٨) . ونسبه الجاحظ فى الحيوان (٤ : ٢١٣) إلى عدى بن زيد .

(٤) رواية الديوان : « فمن طلب الأوتار » . وانظر خبر « قصير » عند الميدانى فى « خطب يسير فى خطب كبير » ، والخزانة (٣ : ٣٧١ — ٣٧٢) ومروج الذهب (٢ : ٩٠ — ٩٧) . فى الحيوان : « وخاض الموت » . وفى المروج والأغانى والخزانة ومجمع الأمثال : « ورام الموت » .

وقال حيّان البزّاز (١) : قَبَح الله الباطل ، الرُّطب بالسُّكَّر والله طيّب .

قال أبو الحسن : سمعت أبا الصُّغدى الحارثى (٢) يقول : كان الحجّاج أحمق ، بنى مدينَة واسِط فى بادية النَّبط ثم قال لهم : لا تدخلُوها . فلمّا مات دَبُّوا إليها من قريب .

مَسعدة بن المبارك قال : قلت للبَكراوىّ : أبامرأتك حَمل ؟ قال : شىءٌ ليس بشىء !

قال : لمّا بنى عُبيد الله بن زيادٍ البيضاء (٣) ، كتب رجلٌ على باب البيضاء : « شىء ، ونصف شىء ، ولا شىء . الشىء : مِهران التَّرجُمان ، ونصف شىءٍ : هند بنت أسماء (٤) ، ولا شىء : عبيد الله بن زياد ! » . فقال عبيد الله : اكتبوا إلى جنبه : لولا الذى زعمتَ أنّه لا شىء لما كان ذلك الشَّىء شيئاً ، ولا ذلك النِّصف نصفا .

وقال هشام بن عبد الملك يوماً فى مجلسه : « يُعرف حمق الرجل بخصال : بطول لحيته ، وشناعة كنيته ، وبشهوته ، ونقش خاتمه » . فأقبل رجلٌ طويل اللحية ، فقال : هذه واحدة ، ثم سأله عن كنيته فإذا هى شنعاء ، فقال : هاتان

---

(١) ما عدا ل ، هـ : « البزار » بالمهملة فى آخره .

(٢) انظر ماسبق فى (١ : ٢٧٥ س ٧) . هـ : « سمعت الصغدى » .

(٣) البيضاء هذه : دار عمرها عبيد الله بن زياد بن أبيه بالبصرة . يزعمون أنه لما تم بناؤها أمر وكلاءه ألا يمنعوا أحدا من دخولها ، وأن يتحفظوا كلاما إن تكلم به أحد . فدخل فيها أعرابى – وكان فيها تصاوير – ثم قال : لا ينتفع بها صاحبها ، ولا يلبث فيها إلا قليلا . فأُتى به ابن زياد وأُخبر بمقالته ، فقال له : لم قلت هذا ؟ قال : لأنى رأيت فيها أسداً كالحاً ، وكلباً نابحاً ، وكبشاً ناطحاً . فكان الأمر كما قال ، ولم يسكنها إلا قليلا حتى أخرجه أهل البصرة إلى الشام ولم يعد إليها . معجم البلدان .

(٤) هى هند بنت أسماء بن خارجة الفزارى ، كان عبيد الله بن زياد أبا عذرها ، فلما قتل تزوجت بعده بشر بن مروان فولدت له عبد الملك ، ثم خلف عليها الحجاج . الأغانى (١٨ : ١٢٨ : ١٣٠) .

 ثنتان . ثم قال : وأىُّ شىءٍ أشهى إليك ؟ قال : رُمّانة مُصَاصة (١) ! قال : أمَصَّكَ اللهُ ببظرِ أمِّك !

وقيل لأبى القَماقم : لم لا تغزو أو تخرج إلى المَصِيصَةِ (٢) ؟ قال : أمَصَّنى الله إذاً بَبظر أمِّى ! وقال الشاعر :

أأنصر أهل الشام ممن يكيدهم وأهلى بنجدٍ ذاك حرصٌ على النصر (٣)

وقالوا لأبى الأصْبَغ بن رِبعىّ (٤) : أمَا تسمع بالعدوّ وما يصنعون فى البحر فلم لا تخرجُ إلى قتال العدوّ ؟ قال : أنا لا أعرفُهم ولا يعرفوننى ، فكيف صارُوا لى أعداء ؟!

قال : كان الوليد بن القعقاع عاملاً على بعض الشام ، وكان يستسقِى فى كلِّ خطبة (٥) وإن كان فى أيام الشِّعرَى (٦) ، فقام إليه شيخٌ من أهلِ حمص فقال : أصلح الله الأمير ، إذاً تفسدَ القَطَانىّ ! يعنى الحبوب ، واحدها قِطْنِيَّة .

وأما نفيسٌ غلامى (٧) فإنه كان إذا صار إلى فراشه فى كلِّ ليلة فى سائر السنة يقول فى دعائه : اللهم علينا ولا حوَالَينا !

قال : وكان بالرَّقّة رجلٌ يحدِّث الناس عن بنى إسرائيل ، وكان يكنى

---

(١) المصاصة : الممتلئة . والمصاصة أيضا : الخالص من كل شىء .

(٢) ضبطه الجوهرى والفارابى بتخفيف الصاد الأولى ، والأزهرى وغيره من اللغويين بتشديدها .

(٣) هذا البيت وعبارة الإنشاد قبله من ل فقط .

(٤) انظر البخلاء ١٠٥ ، ٢٢٩ . ماعدا هـ : « لأبى الإصبع » .

(٥) أى يدعو الله بطلب السقيا .

(٦) الشعرى ، تطلع فى شدة الحر . وهما الشعريان ، تقابل إحداهما الأخرى ، والمجرة بينهما . يزعمون فى تكاذيبهم أن سهيلا والشعريين كانت فى اجتماع ، فانحدر سهيل إلى اليمن فتبعته الشعرى العبور ، وأقامت الشعرى الغميصاء فبكت لفقد سهيل حتى غمصت ، فقيل لها:الغميصاء . اللسان (شعر) والأزمنة والأمكنة (١ : ١٩٠ / ٢ : ١٨١) .

(٧) ذكره الجاحظ فى الحيوان (٦ : ٤٤٠) . وكلمة « كان » بعده ساقطة من ل ، هـ .

أبا عَقيل ، فقال له الحجّاج بن حنتمة : ما كان اسم بقرة بنى إسرائيل ؟ قال : حنتمة ! فقال له رجلٌ من ولد أبى موسى : فى أىِّ الكتب وجدْتَ هذا ؟ قال : فى كتاب عمرو بن العاصى !

* * *

ومن المجانين [١] الأشراف : ابن صَحيانَ الأزدىّ ، وكان يقرأ : قلْ يأيُّها الكافرين . فقيل له فى ذلك ، فقال : قد عرفتُ القراءة فى ذلك ، ولكنِّى لا أجِلُّ أمر الكفار [٢] !

وقال حبيب بن أوس :

ما ولدَتْ حَوَّاءُ أحمقَ لِحيةً ‌ ‌ مِن سائِلٍ يرجُو الغِنَى مِن سائلِ [٣]

وقال أيضاً :

أيُوسُفُ جِئتَ بالعجَبِ العجيبِ ‌ ‌ تركتَ النَّاسَ فى شكٍّ مُريبِ [٤]
سمِعْتُ بِكُلِّ داهيةٍ نَآدٍ ‌ ‌ ولَمْ أَسْمَعْ بِسرَّاجٍ أَدِيب [٥]
أمَا لَو أنَّ جَهْلَكَ عاد حِلماً ‌ ‌ إذاً لنَفَذْتَ فى عِلمِ الغُيُوب [٦]
وما لكَ بالغرِيبِ يدٌ ولكِنْ ‌ ‌ تَعاطِيكَ الغرِيبَ من الغريبِ

وأنشدوا ٣٠٨

أَرَى زمناً نَوكاهُ أَسعدُ أهلِهِ ‌ ‌ ولكِنَّما يَشْقَى بِهِ كُلُّ عاقِلِ [٧]

---

(١) ما عدا ل : « اللحانين » تحريف .

(٢) ما عدا ل : « الكفرة » .

(٣) البيت من أبيات فى ديوان أبى تمام ٥٠٢ يهجو بها موسى بن إبراهيم الرافقى . ورواية الديوان : « ما خلقت حواء » .

(٤) من أبيات فى ديوانه ٤٨٩ يهجو بها يوسف السراج ، الشاعر المصرى . الديوان : « فى أمر مريب » .

(٥) النآد : الداهية نفسها .

(٦) فى الديوان : « كان علما » .

(٧) فى عيون الأخبار (١ : ٣٢٩) : « ولكنه يشقى » .

مشت فَوقَهُ رِجلاهُ والرَّأسُ تحتَهُ   فكبَّ الأعالى بارتِفاعِ الأسافِلِ [(١)]

وهذه أبياتٌ كتبناها فى غير هذا المكان من هذا الكتاب [(٢)] ، ولكن هذا المكانَ أولى بها .

وقال الشاعر [(٣)] :

وللدَّهر أيَّامٌ فكُنْ فى لِباسِهاَ   كلبستِه يوماً أَجَدَّ وأخْلقا [(٤)]
وكُنْ أكْيَسَ الكَيْسى إذا كنتَ فيهمُ
وإنْ كنتَ فى الحمقَى فكُنْ أنتَ أحمقا [(٥)]

وقال الآخر :

وأنزلَنى طُولُ النَّوى دارَ غَربةٍ   إذا شِئتُ لاقَيتُ الّذى لا أُشاكِلُهْ [(٦)]
فحامَقْتُهُ حتَّى يُقالَ سَجِيَّةٌ   ولو كان ذا عقلٍ لكُنْتُ أُعاقِلُهْ

وقال أبو العتاهِيَة :

مَن سابَقَ الدّهرَ كَبا كَبوةً   لم يَستَقِلها مِن خُطَى الدّهرِ [(٧)]
فاخطُ مَعَ الدّهرِ إذا ما خَطا   واجْرِ مع الدَّهْرِ كما يَجرِى [(٨)]

---

(١) ما عدا ل : « مشى فوقه » . وهو يطابق ما مضى فى (١ : ٢٤٥) .

(٢) انظر ما سبق فى (١ : ٢٤٤ – ٢٤٥) .

(٣) هو عقيل بن علفة ، كما فى الحماسة (٢ : ١٧) . وفى مجالس ثعلب ٥٠٢ أنه ماجد الأسدى . وسبق البيتان بدون نسبة فى (١ : ٢٤٥) .

(٤) فيما سبق : « فى لباسه » .

(٥) فيما سبق : « إذا ما لقيتهم » .

(٦) الغربة ، بالفتح : النوى والبعد . وقد مضى البيتان فى (١ : ٢٤٥ / ٢ : ٢٣٥) .

(٧) الأبيات فى ديوانه ٩٨ ، وهى منقولة من الأغانى (٣ : ١٦٤) ،وفيها أن عبد الله بن الحسن بن سهل الكاتب قال : قلت لأبى العتاهية : أنشدنى من شعرك مايستحسن.قال : فأنشدنى :

ما أسرع الأيام فى الشهر   وأسرع الأشهر فى العمر

وبعده هذا البيت وتالياه . استقالها : طلب الإقالة منها

(٨) ما عدا ل : « على ما خطأ » ، وكذا فى رسائل الجاحظ (١ : ١١٣) .

ليس لمن ليست لهُ حِيلَةٌ موجودَةٌ خير مِن الصَّبْرِ

وقال بِشْرُ بنُ المعتَمِر :

حِيلةُ ما لَيسَت لهُ حِيلـةٌ حُسْنُ عَزاءِ النفسِ وَالصَّبْرُ [١]

وقال صالحُ بنُ عبدِ القُدُّوسِ :

وإنَّ عَناءً أنْ تُفهِّمَ جاهِلاً ويَحسَبَ جَهلاً أنه منكَ أفهمُ [٢]

متى يَبلغُ البُنْيانُ يوماً تمامَهُ إذا كُنْتَ تَبنيـهِ وآخَـرُ يهدِمُ

وقال بِشْرٌ بن المعتمِر :

وإذَا الغَبىُّ رأيتَـهُ مُسْتغنيـاً أعيا الطَّبيبَ وحِيلةَ المُحْتَالِ [٣]

ومن المجانين : مهدىٌّ بن الملوَّح الجعدى ، وهو مجنون بنى جعدة . وبنو ٣٠٩
المجنون: قبيل من قبائل بنى جعدة ، وهو غير هذا المجنون [٤] .

وأمّا مجنون بنى عامرٍ وبنى عُقيل ، فهو : قيس بن مُعاذ ، وهو الذى يقال له : مجنونُ بنى عامر [٥] .

وهما شاعران . قيل ذلك لهما لتجنُّنهما بعشيقتين كانتا لهما . ولهما أشعار معروفة .

* * *

---

(١) البيت آخر بيت من قصيدة له فى الحيوان (٦ : ٢٨٤ — ٢٩١) برواية « حيلة من » .

(٢) سبق البيت فى (١ : ٢٤٦) بدون نسبة .

(٣) ل وحواشى هـ : « وإذا العيى » . وقد سبق البيت فى (١ : ٢٤٥) .

(٤) أى والد هذا القبيل ليس مجنون بنى جعدة .

(٥) يصر الجاحظ على أن هذا المجنون غير الذى قبله ، انظر ماسبق فى (١ : ٣٨٥ / ٣ : ٢٢٤) . والحق أن الجعدى هو العامرى ، وإنما يختلف الرواة فى ذكر اسمه ، فمن قائل أنه مهدى بن الملوح ، أو قيس ابن الملوح ، أو قيس بن معاذ . انظر الأغانى (١ : ١٦) والمؤتلف ١٨٨ .

وقد أدركتُ رواةَ المسجديِّين والمِربديِّين (١) ومَن لم يروِ أشعار المجانينِ ولصوصِ الأعراب ، ونسيبَ الأعراب ، والأرجازَ الأعرابيَّةَ القصار ، وأشعارَ اليهود ، والأشعارَ المنصِفة (٢) ، فإنهم كانوا لا يعدّونه من الرواة . ثم استبردوا ذلك كلَّه ووقَفوا على قصار الحديث والقصائد ، والفِقَر والنُّتَف من كلِّ شيء . ولقد شهدتُهم وماهم على شيءٍ أحرصَ منهم على نسيبِ العباس بن الأحنف ، فما هو إلاَّ أن أورَدَ عليهم خلفٌ الأحمرُ نسيب الأعراب ، فصار زُهدُهم فى شعر العباس (٣) بقدر رغبتهم فى نسيب الأعراب . ثم رأيتُهم منذ سُنيَّاتٍ ، وما يَروِى عندَهم نسيبَ الأعراب إلاَّ حَدَثُ السنِّ قد ابتدأ فى طلب الشعر ، أو فِتيانىٌّ متغزِّل .

وقد جلست إلى أبى عبيدة ، والأصمعىِّ ، ويحيى بن نُجَيم (٤) ، وأبى مالك عمرو ابن كِركِرَة (٥) مع مَن جالست من رواة البغداديِّين ، فما رأيت أحداً منهم

---

(١) المربديون : نسبة إلى مربد البصرة ، بكسر الميم ، وهو من أشهر محالها ، وكان يكون به سوق الإبل قديما ، ثم صار محلة عظيمة سكنها الناس ، وبه كانت مفاخرات الشعراء ومجالس الخطباء ياقوت . وانظر للمسجديين ما مضى فى (١ : ٢٤٣) .

(٢) ل : « المصنفة » تحريف . والأشعار المنصفة هى القصائد التى أنصف قائلوها فيها أعداءهم ، وصدقوا عنهم وعن أنفسهم ، فيما اصطلوه من حر اللقاء ، وفيما وصفوه من أحوالهم فى إمحاض الإخاء . ويروى أن أول من أنصف فى شعره مهلهل بن ربيعة ، حيث قال :

كأنا غدوة وبنى أبينا ... بجنب عنيزة رحيا مدير

ومن المنصفات قول الفضل بن العباس فى أبى لهب :

لاتطمعوا أن تهينونا ونكرمكم ... وأن نكف الأذى عنكم وتؤذونا

انظر الخزانة (٣ : ٥٢٠ - ٥٢١)

(٣) ما عدا ل : « فى نسيب العباس »

(٤) ترجم فى (١ : ٥٩) .

(٥) كان أبو مالك يعلم فى البادية ، وورّق فى الحاضرة. ويقال إنه كان يحفظ لغة العرب . قال أبو الطيب اللغوى : كان ابن مناذر يقول : كان الأصمعى يجيب فى ثلث اللغة ، وأبو عبيدة فى نصفها ، وأبو زيد فى ثلثها ، وأبو مالك فيها كلها . وإنما عنى توسعهم فى الرواية والفتيا ولأن الأصمعى كان يضيق ولا يجوز إلا أصح اللغات . معجم الأدباء (١٦ : ١٣١ - ١٣٢) وإنباه الرواة مصورة دار الكتب ، وبغية الوعاة .

قصَدَ إلى شعرٍ فى النَّسيب فأنشده . وكان خلفٌ يجمع ذلك كله .

ولم أرَ غاية النحويِّين إلا كلَّ شعرٍ فيه إعراب . ولم أرَ غايةَ رواة الأشعار إلاَّ كلّ شعرٍ فيه غريبٌ أو معنىً صعبٌ يحتاج إلى الاستخراج . ولم أرَ غايةَ رواةِ الأخبار إلاّ كلَّ شعرٍ فيه الشاهد والمثل . ورأيت عامّتَهم – فقد طالت مشاهدتى لهم – لا يقفون إلاّ على الألفاظ المتخيَّرة ، والمعانى المنتخَبة ، وعلى الألفاظ العذْبة والمخارج السَّهلة ، والدِّيباجة الكريمة ،وعلى الطبع المتمكِّن وعلى السَّبك الجيِّد ، وعلى كلِّ كلامٍ له ماءٌ ورونق ، وعلى المعانى التى إذا صارت فى الصدور عَمَرتها وأصلحتها من الفَساد القديم ، وفتحت للِّسانِ بابَ البلاغة ، ودلَّت الأَقلام على مدافن الألفاظ (١) ، وأشارت إلى حِسان المعانى . ورأيت البصرَ بهذا الجوهرِ من الكلام فى رُواة الكتّاب أعمَّ ، وعلى ألسنة حُذَّاق الشُّعراء أظهر . ولقد رأيت أبا عمرو الشيْبانىَّ يكتب أشعاراً من أفواه جُلَسائه ، ليُدخِلَها فى باب التحفُّظ والتذاكُر . وربما خُيِّل إلىَّ أن أبناءَ أولئك الشعراءِ لا يستطيعون أبداً أن يقولوا شعراً جيداً ، لمكان أَعراقهم من أولئك الآباء (٢) .

ولولا أن أكون عَيَّاباً ثم للعلماء خاصة ، لصوَّرْتُ لك فى هذا الكتاب بعضَ ما سمعتُ من أبى عبيدة ، ومَنْ هو أبعدُ فى وهمك من أبى عبيدة !

* * *

قال ابن المبارَك (٣) : كان عندنا رجلٌ يكنى أبا خارجة ، فقال له : لِمَ كنَّوْك أبا خارجة ؟ قال : لأنى وُلدت يومَ دخل سليمانُ بن علىّ البصرة (٤) .

وكان عندنا شيخٌ حارسٌ من علوج الجبَل ، وكان يكنى أبا خُزيمة ، فقلت

---

(١) ل : « على مداقق الألفاظ » ، لعل هذه « مدافق » .

(٢) الأعراق : الأصول . ما عدا ل ، هـ : « إغراقهم فى أولئك الآباء » تحريف .

(٣) هو مسعدة بن المبارك ، انظر ماسبق فى ص ١٨ س ٥ .

(٤) سليمان بن على بن عبد الله بن العباس ، من عمومة أبى العباس السفاح ، ولى البصرة وعمان والبحرين لأبى جعفر ، وتوفى بالبصرة سنة ١٤٢ . المعارف ١٦٤ .

لأصحابنا : هل لكم فى مسألة هذا الحارس عن سبب كنيته ، فلعلَّ الله أن يفيد من هذا الشَّيخ علماً وإن كان فى ظاهر الرأى غيرَ مأمولٍ ولا مُطمِع ! وهذه الكنية كنية زُرارة بن عُدُس [١] ، وكنية خازم بن خُزيمة [٢] ، وكنية حَمزة بن أدرَك [٣] ، وكنية فلانٍ وفلان ؛ وكلٌّ هؤلاء إمّا قائد متبوع ، وإما سيِّد مُطاع ؛ فمن أين وقع هذا العِلْجُ الألكن على هذه الكنية ! فدعوتُه فقلت له : هذه الكنية كنَّاك بها إنسانٌ أو كنَّيت بها نفسَك ؟ قال : لا ، ولكنِّى كنَّيت بها نفسى ! قلت : فلِمَ اخترتَها على غيرها ؟ قال : وما يُدْرِينى ! قلت : ألك ابن يسمَّى خُزَيمة ؟ قال : لا . قلت : أفكان أبوك أو عمك أو مولىً لك يسمَّى خُزيمة ؟ قال : لا . قلت : فاترك هذه الكنيةَ واكتنِ بأحسنَ منها وخُذْ منِّى ديناراً ! قال : لا والله ولا بجميع الدنيا [٤] !!

أعطى المحلولُ ابنه درهماً وقال : زِنْه . فطرح وزنَ درهمين وهو يحسبه وزن

---

(١) زرارة بن عدس – بضمتين على الأصح ، ويقال بضم ففتح – ابن زيد بن عبد الله بن دارم . جاهلى ، وكان حكيما من قضاة تميم ، وكان رئيسهم يوم شويحط . وولد حاجبا ، ولقيطا ، وعلقمة ، ولبيدا ، وخزيمة ، وعبد مناة . الاشتقاق ١٤٣ – ١٤٤ واللسان والقاموس (عدس) .

(٢) هو خازم بن خزيمة النهشلى ، من بنى صخر بن نهشل ، كان من ولاة خراسان ، وولى أيضا عمان ، ومات ببغداد فعُزّى عنه أبو جعفر . المعارف ١٨٤ . وابنه خزيمة بن خازم كان قائدا ذا منزلة عند الخلفاء ، وولى الولايات . توفى خزيمة سنة ٢٠٣ . تاريخ بغداد ٣٤١ والمعارف والأغانى (٥ : ٥٣) .

(٣) فى تاريخ الطبرى (١٠ : ٦٥) وابن الأثير (٦ : ٥٣) : « حمزة بن أترك » ، وفى الفرق بين الفرق ٧٦ : « حمزة بن أكرك » ، وما فى البيان هو المطابق لما فى الملل والنحل (١ : ١٧٤) . وهو صاحب فرقة من فرق العجاردة من الخوارج ، خرج فى أيام هارون الرشيد سنة ١٧٩ بسجستان وخراسان ومكران وقهستان وكرمان ، وهزم الجيوش الكثيرة ، وبقى الناس فى فتنته إلى أن مضى صدر من أيام خلافة المأمون ، ودارت بينه وبين طاهر بن الحسين وعبد الرحمن النيسابورى حروب انتهت بموت حمزة . انظر آراءه فى المراجع المتقدمة والمواقف ٦٣٠ والاعتقادات ٤٨ . وانظر للكنية رسائل الجاحظ (١ : ٥٨) .

(٤) الخبر بعبارة أخرى فى الحيوان (٣ : ٢٨) .

دِرهم ، فلما رَفَعَه وجَده زالًا (١) ، فألقى معه حبّتين ، فقال له أبوه : كم فيه ؟ قال : ليس فيه شيء ، وهو ينقص حبّتين !

وكان عندنا قاصٌّ يقال له أبو موسى كُوشُ ، فأخذ يوماً فى ذِكر قِصَر الدُّنيا وطول أيام الآخرة ، وتصغير شأن الدنيا وتعظيم شأن الآخرة ، فقال : هذا ١ ٣١١ الذى عاش خمسين سنةً لم يعِشْ شيئاً ، وعليه فَضْل سنتين ! قالوا : وكيف ذاك ؟ قال : خمس وعشرون سنةً ليلٌ ، هو فيها لا يعقِل قليلا ولا كثيراً ، وخمسُ سنين قائلةٌ (٢) ، وعشرون سنةً إما أن يكون صبِيًّا،وإما أن يكون معه سُكْر الشَّباب فهو لا يعقل . ولابدّ من صُبحة بالغَداة (٣) ، ونَعسةٍ بين المغرب والعِشاء ، وكالغَشْى الذى يصيب الإنسانَ مراراً فى دهره ، وغير ذلك من الآفات . فإذا حَصَّلنا ذلك فقد صح أن الذى عاش خمسين سنة لم يَعِش شيئاً ، وعليه فَضْلُ سنتين !

وقال بعض الهُلّاك (٤) : دخل فلان على كسرى فقال : أصلحك الله ، ما تأمُر فى كذا كذا ؟

وقال رجلٌ من وجوه أهل البصرة : حدثتْ حادثةٌ أيام الفُرس فنادَى كسرى : الصلاة جامعة !

وقلت لغلامى نَفيس : بعثْتك إلى السُّوق فى حوائجَ فاشتريتَ مالم آمُرْكَ به ، وتركت كلَّ ماأمرتُك به ! قال : يا مولاى ، أنا ناقةٌ وليس فى رُكبتى دماغ !

وقال نفيسٌ لغلام لى : الناس ويلَكَ أنت حياء كلّهم أقلّ ! يريد : أنت أقلُّ الناس كلِّهم حياء .

---

(١) زالا ، أى ساقطا هابطا لثقله .

(٢) القائلة : النوم فى الظهيرة .

(٣) الصبحة ، بضم الصاد وفتحها : النوم فى الغداة .

(٤) الهلاك : الصعاليك الذين ينتابون الناس لابتغاء معروفهم .

وقلت لنَفيسٍ : ابنُ بُرَيهة (١) هذا الصبيُّ ، فى أىِّ شيءٍ أسلموه ؟ قال : فى أصحاب سِند نعال . يريد أصحاب النّعال السندية .

* * *

وروى الأصمعىُّ وابن الأعرابى ، عن رجالهما ، أنّ رسول الله ﷺ قال : « إنّا مَعْشَرَ الأنبياءِ بِكاءٌ » ، فقال ناس : البُكْءُ : القِلّة . وأصل ذلك من اللبن . فقد جعل صفة الأنبياء قِلَّة الكلام ، ولم يجعله من إيثار الصمت ومن التحصيل وقلّة الفضول .

قلنا : ليس فى ظاهر هذا الكلام دليلٌ على أنّ القِلّة من عجزٍ فى الخلقة ، وقد يحتمل ظاهرُ الكلام الوجهين جميعاً ، وقد يكون القليلُ من اللفظِ يأتى على الكثير من المعانى . والقِلّة تكون من وجهين : أحدهما من جهة التحصيل ، والإشفاق من التكلف ، وعلى تصديق قوله : ﴿ قُلْ ما أسألُكم عليهِ مِنْ أجْر وَمَا أنَا مِنَ المُتكلّفِينَ ﴾ ، وعلى البعد من الصنعة ، ومن شدّة المحاسبة وحَصْرِ النَّفس ، حتى يَصير بالتمرين والتوطين إلى عادةٍ تُناسب الطبيعة.وتَكونُ من جهة العجز ونقُصان الآلة ، وقِلّة الخواطر ، وسوءِ الاهتداء إلى جياد المعانى ، والجهلِ بمحاسن الألفاظ . ألاَ ترى أنّ الله قد استجاب لموسى عليه السلام حين قال : ﴿ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانى ۝ يَفْقَهُوا قَوْلى ۝ وَاجْعَلْ لى وَزِيراً مِنْ أَهْلِى ۝ هرُونَ أخِى ۝ آشْدُدْ بِهِ أَزْرِى ۝ وَأَشْرِكْهُ فى أَمْرِى ۝ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً ۝ وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً ۝ إنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيراً ۝ قالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَامُوسى ۝ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرّةً أُخْرَى ﴾.

(the marginal number ٢١٣ stands beside the line beginning «أنَا مِنَ المُتكلّفِينَ») ٢١٣

فلو كانت تلك القِلّة من عجزٍ كان النبىُّ ﷺ أحقَّ بمسألة إطلاق تلك العُقدة من موسى ؛ لأنّ العربَ أشدُّ فخراً ببيانها ، وطولِ ألسنتها ،

(١) ما عدا هـ ، ل : « وقلت لقيس بن بريهة » تحريف . وفى (١ : ١٦٢) « وقلت لخادم لى » . ونفيس هو غلام الجاحظ .

وتصريفِ كلامها ، وشدة اقتدارها . وعلى حسب ذلك كانت زرايتها [١] على كلِّ مَن قَصَّر عن ذلك التمام ، ونَقَص من ذلك الكمال .

وقد شاهدوا النبيَّ ﷺ وخُطَبه الطِّوال فى المواسم الكبارْ ، ولم يُطِل التماساً للطُّول ، ولا رغبةً فى القدرة على الكثير ، ولكنّ المعانى إذا كثُرت ، والوجوهَ إذا افتنَّت ، كثُر عددُ اللفظ ، وإنْ حُذِفت فُضوله بغاية الحذف .

ولم يكن اللهُ ليعطىَ موسى تمام إبلاغِه شيئاً لا يعطيه محمداً ، والذين بُعِث فيهم أكثر ما يعتمدون عليه البيانُ واللَّسَن .

وإنما قلنا هذا لِنَحْسِمَ جميعَ وجوه الشَّغْب ، لا لأنّ أحداً من أعدَائه شاهَدَ هناك طَرَفاً من العجز ! ولو كان ذلك مرئيًّا ومسموعاً لاحتجُّوا به فى الملا ، ولتناجَوا به فى الخلا ، ولتكلم به خطيبُهم ، ولقال فيه شاعرُهم ، فقد عرف الناسُ كثرةَ خطبائهم ، وتسرُّعَ شعرائهم .

هذا على أنّنا لا ندرى أقال ذلك رسول الله ﷺ أم لم يقله ؛ لأنَّ مثلَ هذه الأخبارِ يُحتاج فيها إلى الخبر المكشوف ، والحديثِ المعروف . ولكنّا بفضل الثِّقة ، وظهور الحُجّة ، نجيب بمثل هذا وشِبهه .

وقد علمنا أنّ مَن يَقرِض الشعر ، ويتكلَّف الأسجاع ، ويؤلِّف المزدَوِج ويتقدَّم فى تحبير المنثور ، وقد تعمَّقَ فى المَعانى ، وتكلَّفَ إقامةَ الوزن ، والذى تجود ٣١٣ به الطبيعةُ وتعطيه النفس سَهْواً رَهواً [٢] ، مع قلّة لفظه وعدد هجائه — أحمدُ أمراً ، وأحسن موقعاً من القلوب ، وأنفعُ للمستمعين ، من كثيرٍ خرج

---

(١) ب ، جـ : « ذرايتها » التيمورية : « زرابتها » صوابهما فى ل .

(٢) فى اللسان (رها) : « يقال أفعل ذلك سهوا رهوا ، أى ساكنا بغير تشدد » . وفى (سها) : « ومنه الحديث : آتيك به غداً سهوا رهوا ، أى لينا ساكنا » . وانظر ما مضى فى (٢ : ١٣ س ١٠) .

بالكَدِّ والعلاج،ولأنّ التقدُّم فيه ، وجمعَ النفس له ، وحَصْرَ الفكر عليه ، لا يكونُ إلا ممن يحبُّ السُّمعة ويهوَى النَّفْج (١) والاستطالة . وليس بين حال المتنافِسين ، وبين حال المتحاسِدِين إلاّ حجاب رقيق ، وحِجازٌ ضعيف ، والأنبياءُ بمندوحةٍ من هذه الصفة ، وفى ضدِّ هذه الشِّيمة

وقال عامر بن عبد قيس (٢) : « الكلمة إذا خرجت من القلب وقَعَت فى القلب ، وإذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان » .

وتكلَّم رجلٌ عند الحسن بمواعِظَ جَمّةٍ ومعانٍ تدعو إلى الرِّقّة ، فلم يُرَ الحسَنُ رقّ ، فقال الحسن : إما أن يكون بنا شرٌّ أو يكونَ بك ! يذهب إلى أنّ المستمع يرِقّ على قدر رِقّة القائل (٣) .

والدليلُ الواضح ، والشاهد القاطع ، قولُ النبى ﷺ : « نُصِرْتُ بِالصَّبَا (٤) ، وَأُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ » ، وهو القليل الجامع للكثير . وقال الله تعالى وقوله الحقُّ : ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ ﴾ثم قال : ﴿ وَمَا يَنْبَغِى لَهُ ﴾ ثم قال : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ . وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ ﴾.فعَمَّ ولم
٣١١ يخصَّ ، وأطلقَ ولم يقيِّد . فمن الخصال التى ذمَّهم بها تكلفُ الصَّنْعة ، والخروجُ إلى المباهاة ، والتّشاغلُ عن كثيرٍ من الطاعة ، ومناسبةُ أصحاب

---

(١) النفج : الفخر والكبر .

(٢) سبقت ترجمته وكلمته فى (١ : ٨٣) .

(٣) مضى الخبر بلفظ آخر فى (١ : ٨٤) .

(٤) نصرت بالصبا ، إشارة إلى ما كان فى غزوة الخندق ، إذ بعث الله على المشركين ريحا عاتية فى ليال شاتية باردة شديدة البرد ، فجعلت تكفأ قدورهم وتطرح آنيتهم . وفى ذلك يقول أبو سفيان حين الهزيمة مخاطبا قريشا : « يا معشر قريش ، إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام ، لقد هلك الكراع والخف ، وأخلفتنا بنو قريظة ، وبلغنا عنهم الذى نكره ، ولقينا من شدة الريح ما ترون ، ماتطمئن لنا قدر ، ولا تقوم لنا نار ، ولا يستمسك لنا بناء ، فارتحلوا فإنى مرتحل » . السيرة ٦٨٢ – ٦٨٣ جوتنجن ، وشرح الزرقانى على المواهب اللدنية للقسطلانى (٢ : ١٤٣ – ١٤٦).ونص الحديث فيه وكذا عند البخارى (يوم الخندق) : « نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور » . وانظر ما مضى فى (٢ : ٢٨ س ٥) .

التشديق . ومَن كان كذلك كان أشدَّ افتقاراً إلى السامع من السامع إليه ، لشغَفه أن يُذكَرَ فى البلغاء ، وصَبابته باللَّحاق بالشُّعراء.ومن كان كذلك غلبت عليه المنافسةُ والمغالبة ، وولَّد ذلك فى قلبه شِدّةَ الحميّة ، وحبّ المجاذبة [١] .

ومن سَخُف هذا السُّخفَ ، وغلَبَ الشّيطانُ عليه هذه الغلبةَ ، كانت حالهُ داعيةً إلى قول الزُّور ، والفخرِ بالكذب ، وصرفِ الرغبة إلى النّاس ، والإفراط فى مديح من أعطاه ،وذمِّ من مَنَعه . فنزّه الله رسولَه ، ولم يعلّمه الكتابَ والحِساب ، ولم يرغّبه فى صنعة الكلام ، والتعبُّدِ [٢] لطلب الألفاظ ، والتكلُّف لاستخراج المعانى ، فجَمع له بالَه كلَّه فى الدعاءِ إلى الله ، والصّبر عليه ، ٣١٤
والمجاهدة فيه ، والانبتات إليه [٣] والميل إلى كل ما قرَّب منه ، فأعطاه الإخلاص الذى لا يشُوبه رياء ، واليقينَ الذى لا يَطُورُه شكّ [٤] ، والعزمَ المتمكّن ، والقوّة الفاضلة .

فإذا رأت مكانةُ الشّعراءُ ، وفهمته الخطباء ، ومَن قد تعبّدَ للمعانى ، وتعوَّدَ نظمها وتنضيدَها ، وتأليفها وتنسيقَها ، واستخراجَها من مدافنها ، وإثارتها من مكامِنها ،علموا أنّهم لا يبلغون بجميع مامَعهم ممَّا قد استفرغهم واستغرَقَ مجهودَهم ، وبكثيرٍ ما قد خُوِّلوه ، قليلاً مما يكون معه على البداهة والفُجاءة ، من غير تقدُّمٍ فى طلبه ، واختلافٍ إلى أهله .

وكانوا مع تلك المقامات والسياسات ، ومع تلك الكُلف والرِّياضات ، لا ينفكُّون فى بعض تلك المقامات مِن بَعض الاستكراه والزَّلل ، ومن

---

(١) المجاذبة : المباراة والمنازعة . ل : « المحاذية » ماعدا ل : « المحاربة » صوابهما ما أثبت من حواشى هـ .

(٢) ب ، حـ : « والتقيد ».وانظر ما مضى فى (٢ : ١٣ س ٧) .

(٣) الانبتات : الانقطاع .

(٤) يطوره : يقرب منه ، ويحوم حوله ، ويدنو .

بعض التعقيد والخَطَل ، ومن التفنُّن والانتشار [١] ، ومن التشديق والإكثار .

ورأوه مع ذلك يقول : « إيَّاىَ والتّشادُق » . و: « أبغضكم إلىّ الثّرثارون المتفيهقُون [٢] » . ثمّ رأوه فى جميع دَهره فى غاية التّسديد والصَّوابِ التامّ ، والعصمة الفاضلة ، والتأييد الكريم . علموا أنّ ذلك مِن ثمرة الحِكمة ونِتاج التوفيق ، وأنّ تلك الحكمةَ من ثمرة التقوى ، ونتاج الإخلاص .

وللسَّلف الطيِّب حكَم وخطبٌ كثيرة ، صحيحةٌ ومدخولة ، لا يخفى شأنها على نُقّاد الألفاظ وجهابذةِ المعانى ، متميزةٌ عند الرواة الخُلَّص . وما بَلَغَنا عن أحدٍ من جميع الناس أنّ أحداً ولَّد لرسول الله ﷺ خُطبةً واحدة .

فهذا وما قبلَه حُجّةٌ فى تأويل ذلك إن كان حقًّا .

وفى كتاب الله المنزّل ، أنّ الله تبارك وتعالى جعل مَنيحَةَ داودَ الحكمةَ وفصلَ الخطاب ، كما أعطاه إلانَةَ الحديد .

وفى الحديث المأثور ، والخبر المشهور ، أنَّ رسول الله ﷺ قال : « شُعيبٌ خطيبُ الأنبياء » .

وعلَّم الله سُليمانَ مَنطِقَ الطير ، وكلامَ النمل ، ولغاتِ الجنّ . فلم يكن عزّ وجلّ ليعطيَه ذلك ثم يبتليَه فى نفسه وبيانِه عن جميع شأنه ، بالقلة والمَعْجَزَةِ ، ثم لا تكون تلك القلّة إلاّ على الإيثار منه للقلَّة فى موْضعها ، وعلى البعد من ٣١٠ استعمال التكلف ، ومناسبة أهل الصّنعة ، والمشغوفين بالسُّمعة . وهذا لا يجوز على الله عزّ وجلّ .

فإن كان الذى رويتم من قوله : « إنّا مَعْشَرَ الأنبياءِ بِكاءٌ » على ما تأوّلتم ، وذلك أنّ لفظَ الحديث عامٌّ فى جميع الأنبياء ، فالذى ذكرنا من حال داود وسليمان

---

(١) التفنن : الاضطراب .

(٢) سبق الحديثان فى (١ : ١٣) .

عليهما السلام ، وحالِ شُعيبٍ والنبى ﷺ ، دليلٌ على بطلان تأويلكم ، وردّ عموم لفظ الحديث .

وهذه جملةٌ كافية لمن كان يريد الإنصاف .

* * *

وكان شيخٌ من البَصريِّين يقول :

إنّ الله إنما جعل نبيَّه أُمِّيًّا لا يكتُب ولا يحسُب ولا ينسِب ، ولا يَقرِض الشِّعر ، ولا يتكلَّف الخَطابة ، ولا يتعمَّد البلاغة ، لينفرد الله بتعليمه الفقهَ وأحكامَ الشريعة ، ويَقصُره على معرفة مصالح الدِّين دونَ ما تتباهى به العرب : من قِيافة الأثر والبشر (١) ، ومن العلم بالأنواء (٢) وبالخيل ، وبالأنساب وبالأخبار ، وتكلُّف قولِ الأشعار ، ليكون إذا جاء بالقرآن الحكيم ، وتَكلَّم بالكلام العجيب ، كان ذلك أدلَّ على أنه منَ الله .

وزعم أنّ الله تعالى لم يمنعه معرفةَ آدابهم وأخبارهم وأشعارهم ليكون أنقَصَ حظًّا من الحاسب الكاتب ، ومن الخطيب النَّاسب (٣) ؛ ولكن ليجعله نبيًّا ، وليتولَّى من تعليمه ما هو أزكى وأنمى . فإنما نَقَصَه ليزيدَه ، ومنعَه ليعطيَه ، وحجَبه عن القليل ليجلِّيَ له الكثير .

---

(١) قيافة الأثر : تتبعه لمعرفة صاحبه . وقد عنى بقيافة البشر هنا ما يدعى بالفراسة .

(٢) النوء : سقوط نجم من منازل القمر فى المغرب مع الفجر وطلوع رقيبه المقابل له من ساعته فى كل ليلة ، إلى ثلاثة عشر يوما . وهكذا كل نجم منها إلى انقضاء السنة ، ما عدا الجبهة فإن لها أربعة عشر يوما . فتنقضى جميعاً مع انقضاء السنة . إذ أن منازل القمر ثمان وعشرون منزلة . وإنما سمى نوءاً لأنه إذا سقط الغارب ناء الطالع ، وذلك الطلوع هو النوء ، وبعضهم يجعل النوء السقوط . كأنه من الأضداد . وكانت العرب تضيف إلى الأنواء الأمطار والرياح ، ولا تستَثنِىُ بها كلها ، إنما تذكر بالأنواء بعضها . وأشهرها نوء الثريا والجوزاء والسماكين . انظر تفصيل ذلك من اللسان (نوأ) والأزمنة والأمكنة للمرزوقى (١ : ١٨٨ ، ١٩٨) والآثار الباقية للبيرونى .

(٣) ما عدا ل : « الحاسب والكاتب ، ومن الخطيب والناسب » .

وقد أخطأ هذا الشيخُ ولم يُرِدْ إلا الخير ، وقال بمبلغ علمِه ومنتهى رأيه . ولو زعم أنّ أداة الحسابِ والكتابة ، وأداةَ قرضِ الشّعر ورواية جميع النَّسَب ، قد كانت فيه تامّة وافرة ، ومجتمعة كاملة ، ولكنه ﷺ صرَف تلك القُوَى وتلك الاستطاعة إلى ما هو أزكى بالنبوّة ، وأشبَه بمرتبة الرسالة ، وكان إذا احتاجَ إلى البلاغة كان أبلغَ البلغاء ، وإذا احتاجَ إلى الخطابة كان أخطب الخطباء ، وأنسبَ من كلِّ ناسب ، وأقْوَف من كل قائف . ولو كان فى ظاهره ، والمعروف من شأنه أنه كاتب حاسب ، ٣١٦ وشاعر ناسب ، ومتفرِّس قائف ، ثم أعطاه الله برهاناتِ الرسالة ، وعلاماتِ النبوّة — ما كان ذلك بمانع من وجوب تصديقه ، ولُزوم طاعته ، والانقياد لأُمره على سخطهم ورضاهم ، ومكروههم ومحبوبهم . ولكنه أراد ألاّ يكون للشاغب متعلق عما دعا إليه [1] حتى لا يكون دونَ المعرفة بحقِّه حجابٌ وإن رقّ ، وليكون ذلك أخفَّ فى المؤونة ، وأسهل فى المِحْنة . فلذلك صرَفَ نفسَه عن الأمور التى كانوا يتكلفونها ويتنافسون فيها . فلما طال هِجْرانُه لقرض الشعر وروايته ، صار لسانُه لا ينطلِق به [2] ، والعادةُ توأم الطبيعة . فأما فى غير ذلك فإنه إذا شاء كان أنطَقَ من كل مِنطيق ، وأنسبَ من كل ناسب ، وأقوَف من كل قائف . وكانت آلته أوفَرَ وأداته أكمل ، إلا أنها كانت مصروفة إلى ما هو أردُّ [3] .

وبين أن نضيف إليه العجز ، وبين أن نضيف إليه العادة الحسنة وامتناع الشىء عليه من طول الهجران له ، فرقٌ .

ومن العَجَب أنّ صاحب هذه المقالة لم يَرَه عليه السلام فى حال مَعجزةٍ قط ، بل لم يره إلاّ وهو إنْ أطَالَ الكلامَ [4] قصَّر عنه كل مُطيل ، وإن قصّر القولَ

---

(١) ما عدا ل « للشاعر » . و « عما » كذا وردت فى النسخ ، والوجه « بما » أو « فيما » .

(٢) ما عدا هـ : « لا ينطق به » .

(٣) فى القاموس : « وهذا ارد : أنفع . ولا رادة فيه : لا فائدة » .

(٤) ل : « طال الكلام »

أتى على غاية كل خطيب ، وماعَدِم منه إلاّ الخطَّ وإقامةَ الشّعر . فكيف ذهب ذلك المذهبَ والظاهرُ من أمره عليه السلام خلاف ما توهّم [١] ؟!

* * *

وسنذكر بعضَ ما جاء فى فضل الشعر والخوف منه ، ومن اللسان البليغ والمداراة له ، وما أشبه ذلك .

قال أبو عبيدة : اجتمع ثلاثةٌ من بنى سعد يراجزون بنى جَعْدة ، فقيل لشيخٍ من بنى سعد : ماعندك ؟ قال : أرجُز بهم يوماً إلى الليل لا أُفثِج [٢].

وقيل لآخر [٣] : ما عندك ؟ قال : أرجُز بهم يوماً إلى اللَّيل لا أُنكَف [٤] . فقيل للآخر الثالث : ما عندك ؟ قال : أرجُز بهم يوماً إلى الليل لا أُنْكَش [٥] . فلما سمعت بنو جَعدة كلامَهم انصرفوا وخلُّوهم .

قال : وبنو ضرار ، أحدُ بنى ثعلبة بن سعد ، لما مات أبوهم وترك الثلاثة الشعراءَ صِبياناً ، وهم : شَمَّاخٌ ، ومُزَرِّدٌ ، وجَزْءٌ ، أرادت أُمُّهم — وهى أمّ أوس — أن تَزَوَّج رجلاً يسمَّى أوساً ، وكان أوسٌ هذا شاعراً ، فلما رآهُ بنو ضرار بفناء أُمِّهم للخِطبة ، تناوَلَ شمَّاخٌ حَبلَ الدّلو ثم متَح ، وهو يقول :

* أُمُّ أُوَيْس نَكحتْ أُوَيسَا *

وجاء مزرِّدٌ فتناوَلَ الحبل فقال :

* أعْجَبَها حَذارَةً وكَيْسَا [٦] *

---

(١) ما عدا ل : « خلاف ما يتوهم » .

(٢) أفثج الرجل : أعيا وانبهر . وحكاه ابن الأعرابى « أفثج » على صيغة فعل المفعول .

(٣) ما عدا ل ، هـ : « للآخر » .

(٤) كذا ضبط فى هـ . وفى حواشيها : « يقال نكفت الغيث أنكفه ، إذا قطعته » . وفى اللسان : « وفلان بحر لا ينكف ، أى لا ينزح » . وضبطت فى ل : « أنكفّ » مطاوع كفه كفا .

(٥) أنكش ، من قولهم : بحر لا ينكش ، أى لا ينزف .

(٦) الحذارة : الامتلاء واجتماع الخلق فى سمن .

وجاء جزءٌ فتناوَل الحبلَ فقال :

* أصْدَقَ مِنها لَجْبةً وتيسا (١) *

فلما سمع أوسٌ رجزَ الصِّبيان بها هرب وتركها .

* * *

قال أبو عبيدة : كان الرجلُ من بنى نُمير إذا قيل له : ممن الرجل ؟ قال : نُميرىّ كما ترى ! فما هو إلاّ أن قال جَرِيرٌ :

فغُضَّ الطَّرفَ إنَّكَ مِن نُمَيرٍ فلا كَعباً بلغْتَ ولا كِلابا (٢)

حتّى صار الرجل من بنى نمير إذا قيل له : ممن الرجل ؟ قال : من بنى عامر (٣) !

قال : فعند ذلك قال الشاعر يهجو قوماً آخرين :

وسوف يزِيدُكُمْ ضَعَةً هِجائى كما وَضع الهِجاءُ بَنِى نُميرِ (٤)

فلما هجاهم أبو الرُّدَينىّ العكلىّ (٥) فتوعَّدوه بالقتل قال أبو الرُّدينى :

تَوَعَّدُنى لِتقْتُلَنى نُميرٌ متى قَتلت نُميرٌ من هَجاها (٦)

فشدَّ عليه رجل منهم فقتله .

* * *

---

(١) يقال أصدق المرأة : جعل لها صداقا . واللجبة ، مثلثة ، ومثله اللجَبة ، بالتحريك ، وبفتح فكسر ، وبكسر ففتح : الشاة القليلة اللبن .

(٢) البيت من قصيدة له فى ديوانه ٦٤ — ٨٠ يهجو فيها الراعى النميرى . وانظر العمدة (١ : ٢٦) والحيوان (١ : ٣٥٨ ، ٣٦٤) والأغانى (٢٠ : ١٦٩) . وكعب وكلاب ، هما ابنا ربيعة بن صعصعة . المعارف ٣٩ والاشتقاق ١٧٥ .

(٣) نمير ، هم بنو نمير بن عامر بن صعصعة ، وهم إخوة كعب وكلاب . المعارف ٣٩ والاشتقاق ١٧٩ .

(٤) البيت فى الحيوان (١ : ٣٦٤) .

(٥) سبقت ترجمته فى (١ : ٨٢) .

(٦) ما عدا ل ، هـ : « أتوعدنى » ، وهى رواية الحيوان (١ : ٣٦٤) والأغانى (٢٠ : ١٨٣) .

وما علمت فى العرب قبيلة لقيت من جميع ما هُجِيت به ما لقيت نميرٌ من بيت جرير . ويزعمون أنّ امرأةً مرّت بمجلسٍ من مجالس بنى نُمير ، فتأمَّلها ناسٌ منهم فقالت : يا بنى نمير ، لا قولَ الله سمعتم ، ولا قولَ الشاعر أطعتم ! قال الله تعالى : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِم ﴾ ، وقال الشاعر :

فَغُضَّ الطَّرْفَ إنَّكَ مِن نُميرٍ فلا كَعْباً بَلغتَ ولا كِلابا

وأخلِقْ بهذا الحديث أن يكون مولَّداً ، ولقد أحسن من وَلَّده [1] .

وفى نُميرٍ شرف كثير . وهل أهلك عَنَزَة ، وجَرْماً ، وعُكْلاً ، وسَلولَ ، وباهلة ، وغَنِيًّا ، إلاّ الهجاء ؟!

وهذه قبائلُ فيها فضلٌ كثيرٌ وبعضُ النقص . فمحَقَ ذلك الفضلَ كلَّه هجاءُ الشعراء . وهل فَضَح الحَبَطاتِ [2] ، مع شرف حَسَكة بن عَتَّاب [3] ، وعبَّادِ بن الحصين [4] وولدِه ، إلاّ قولُ الشّاعر [5] : ٣١٨

---

(١) الخبر فى العمدة (١ : ٢٦) .

(٢) الحبطات ، بفتحتين : أبناء الحبط بفتح فكسر ، وهو الحارث بن عمرو بن تميم بن مر . الاشتقاق ١٢٤ والمعارف ٣٥ . وضبط فى هـ بكسر الباء .

(٣) فى الاشتقاق ٣٢٩ : « وحسكة بن عتاب ، أحد فرسان بنى تميم بخراسان فى الإسلام ، له ذكر وصيت » .

(٤) فى الاشتقاق ١٢٤ . « فمن رجال الحبطات : عباد بن الحصين فارس بنى تميم فى دهره غير مدافع » . وفى الأغانى (١٤ : ١٠٣) أن عباد بن الحصين كان على شرطة الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة ، الملقب بالقباع – وهو أخو عمر بن عبد الله بن أبى ربيعة ، كما فى الشعراء ٣٥٣ – فامتدح زياد الأعجم عباد ابن الحصين وطلب إليه حاجة فلم يقضها ، فقال زياد :

سألت أبا جهضم حاجة وكنت أراه قريبا يسيرا
فلو أننى خفت منه الخلا ف والمنع لى لم أسَلْه نقيرا
وكيف الرجاء لما عنده وقد خالط البخل منه الضميرا
أقلنى أبا جهضم حاجتى فإنى امرؤ كان ظنى غرورا

(٥) هو زياد الأعجم . والبيت التالى من أبيات أوردها العينى ، ونقلها عنه البغدادى فى الخزانة (٤ : ٢٨٠) .

رأيتُ الحُمْرَ مِن شَرِّ المطايا ... كما الحَبَطاتُ شَرُّ بنى تَميم (١)

وهل أهلك ظُلَيمَ البَراجِمِ إلاّ قولُ الشاعر :

إنَّ أباناً فَقْحة لِدارِمٍ ... كما الظُّلَيمُ فَقحَةُ البَراجم (٢)

وهل أهلك بنى العَجْلان إلاّ قولُ الشاعر (٣) :

إذا اللهُ عادَى أهلَ لُؤمٍ ودِقّةٍ ... فعادَى بنى العَجلانِ رَهطَ ابنِ مُقبِلِ
قُبَيِّلَةٌ لا يَغدِرون بِذِمَّةٍ ... ولا يظلِمُون النَّاسَ حَبَّةَ خَردل
ولا يَرِدُونَ الماءَ إلاَّ عَشِيَّةً ... إذَا صدر الوُرَّادُ عَن كلِّ مَنهلِ

وأمّا قول الأخطلِ :

وَقد سَرَّنى مِن قيسِ عَيلانَ أنَّنِى ... رأيتُ بنى العَجلانِ سادُوا بنى بَدرِ (٤)

فإنّ هذا البيتَ لم ينفع بنى العجلان ، ولم يضرَّ بنى بدر .

* * *

---

(١) ضبطت « الحبطات » فى هـ بكسر الباء . وانظر ماسبق . وقبله :

وأعلم أننى وأبا حميد ... كما النشوان والرجل الحليم
أريد حباءه ويريد قتلى ... وأعلم أنه الرجل اللئيم

(٢) البيت فى الحيوان (١ : ٣٦٣) . وفيه : « إن منافا » . وأبان ، من ولد دارم بن مالك بن حنظلة . وإخوته مجاشع ، ونهشل ، وجرير ، ومناف ، وسدوس ، وخيبرى . الاشتقاق ١٤٣ . والظليم ، بهيئة التصغير من البراجم . والبراجم خمسة من أبناء حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، قالوا : نجتمع اجتماع براجم الكف . وهم قيس ، وكلفة ، وظليم ، وغالب ، وعمرو . الاشتقاق ١٣٤ والمعارف ٣٤ .

(٣) هو النجاشى الشاعر ، الذى سبقت ترجمته فى (١ : ٢٣٩) . وانظر خبر الشعر فى مجالس ثعلب ٤٣١ والعمدة (١ : ٢٧) وزهر الآداب (١ : ١٩) .

(٤) البيت فى ديوان الأخطل ١٢٩ . وبنو العجلان ، هم بنو العجلان بن عبد الله بن كعب بن ربيعة ابن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان . المعارف ٤٠ ، ٣٩ ، ٣٨ . وبدر بن عمرو . بطن من فزارة ، كما فى القاموس (بدر) ، وهم من بنى ثعلبة ابن عدى بن فزارة بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان . المعارف ٣٨ ، ٣٧ ، ٣٥ .

قال أبو عبيدة : كان الرجل من بنى أنف النّاقة [١] إذا قيل له : ممن الرجل قال : من بنى قُرَيعٍ ، فما هو إلا أن قال الحُطَيئة :

قومٌ هُمُ الأنفُ والأذنابُ غَيرُهُم وَمَن يُسَاوِى بأَنِفِ النَّاقةِ الذَّنبا [٢]

وصار الرّجل [٣] منهم إذا قيل له : ممن أنت ؟ قال : من بنى أنْف الناقة .

* * *

وناسٌ سلموا من الهجاء بالخمول والقلّة ، كما سلمت غسَّانُ وغَيلانُ مِن قبائل عمرو بن تميم ، وابتليت الحَبَطاتُ لأنّها أنبَه منها شيئاً .

والنباهة التى لا يضرُّ معها الهجاء مثل نباهة بنى بدر وبنى فزارة ، ومثل نباهة بنى عُدُس بن زيد وبنى عبد الله بن دارم ، ومثل نباهة الدّيّان بن عبد المدان وبنى الحارث بن كعب ، فليس يسلم من مضرّة الهجاء إلا خاملٌ جدًّا أو نبيه جدًّا .

* * *

وقد هُجيتْ فزارة بأكل أير الحِمار [٤] ، وبكثرة شَعر القفا ؛ لقول الحارث ابن ظالم :

فما قوْمِى بثَعْلبةَ بنِ سَعدٍ ولا بفَزارَةَ الشُّعرِ الرِّقَابا [٥]

---

(١) بنو أنف الناقة من بنى قريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، المعارف ٣٦ ، ٣٧ ، والاشتقاق ١٥٦ . قال ابن دريد : « وفيهم شرف وعدد . وسمى بذلك لأنه أكل رأس ناقة » ، وفى أول شرح ديوان الحطيئة للسكرى أن أنف الناقة هو جعفر بن قريع بن عوف ، وأنه سمى قريعا لأنه نحر جزوراً فقسمها بين نسائه فبعثت جعفراً هذا أمه – وهى الشموس ، من بنى وائل – فأتى وقد قسم الجزور فلم يبق إلا رأسها وعنقها . فقال : شأنك ! فأدخل يده فى أنفها وجعل يجرها ، فسمى أنف الناقة .

(٢) البيت فى ديوانه ، من قصيدة يمدح بها بغيض بن عامر بن شماس بن لأى بن جعفر أنف الناقة بن قريع . وانظر الاشتقاق ١٥٦ وزهر الآداب (١ : ١٩) .

(٣) ل ، هـ : « صار » بدون واو .

(٤) انظر الخزانة (١ : ٣٩٥) وسمط اللآلىء ٨٦٠ وشروح سقط الزند ٥٣٣ – ٥٣٤ .

(٥) وكذا فى كتاب سيبويه (١ : ١٠٣) . وفى الإنصاف ٨٤ : « فما قومى بثعلبة بن بكر » . والشعر : جمع أشعر ، وهو الكثير الشعر الطويلهُ .

ثم افتخر مفتخرهُم بذلك ومدحهم به الشاعر ، فقال مُزَرِّدُ بنُ ضِرار (١) :

مَنيعٌ بين ثَعلبةَ بنِ سعدٍ   وبين فَزارةَ الشُّعرِ الرِّقابِ
فما مَنْ كانَ بينهما بِنِكْسٍ   لَعَمْرُكَ فى الخطوبِ ولا بِكابِ (٢)

وأمّا قصّة أير الحمار فإنما اللوم على المُطْعِمِ لرفيقه مالا يعرفُه . فهل كان على حَذَفٍ الفزاريِّ (٣) فى حقِّ الأنفة أكثرُ مِن قتلِ مَن أطعَمَه الجُوفانَ من حيثُ لا يدرى (٤) ؟!

فقد هُجوا بذلك وشرفُهم وافر . وقد هُجيت الحارثُ بن كعب ، وكتبَ الهيثمُ بن عديٍّ (٥) فيهم كتاباً فما ضعضع ذلك منهم ، حتى كأنْ قد كتبه لهم .

ولولا الرَّبيع بن خُثَيْم ، وسفيانُ الثَّوريّ ما عَلِمَ الناسُ أنَّ فى الرِّباب حياً يقال لهم بنو ثَور .

٣١٩ وفى عُكلٍ شعرٌ وفصاحة ، وخيلٌ معروفةُ الأنساب ، وفُرسانٌ فى الجاهلية والإسلام . وزعم يونسُ أنّ عكلاً أحسنُ العرب وجوهاً فى غِبِّ حرب . وقال بعضُ فتّاك بنى تميم :

خَليلِى الفَتى العُكلىُّ لم أرَ مِثلَه   تَحَلَّبُ كفّاهُ نَدَى شائع القِدْرِ
كأنّ سُهيلاً ، حين أُوْقَدَ نارَهُ   بعَليَاءَ ، لا يَخفَى على أحدٍ يَسْرِى

---

(١) سبقت ترجمته فى (١ : ٣٧٤) .

(٢) النكس ، بالكسر : الرجل الضعيف ، والمقصر عن غاية الجودْ والكرم . والكابى ، من الكبوة ، وهى مثل الوقفة تكون عند الشىء يكرهه الإنسان يدعى إليه أو يراد منه .

(٣) كلمة « حذف » ساقط من جميع النسخ عدا هـ . وانظر الاشتقاق ١٧٣ أولى ٢٨٥ بتحقيقنا وسمط اللآلى ٨٦٠ حيث صرحا باسمه .

(٤) الجوفان ، بالضم : أير الحمار .

(٥) سبقت ترجمته فى (١ : ٥٦ ، ٣٤٧) .

ولم أكتب هذا الشعرَ ليكون شاهداً على مقدار حظِّهم فى الشرف ، ولكن لنضمَّه إلى قول جِرانِ العَود :

أُراقِبُ لَمْحاً مِن سُهَيْلٍ كأنَّه إذا ما بدا من آخِر الليل يَطرفُ [1]

وربما أُتيت القبيلة إذا برَّزَتْ عليها إخْوتُها ، كنحو فُقَيْم بن جَرير بن دارمٍ ، وزيد بن عبد الله بن دارم ، وكنحو الجِرماز ومازِن . ولذلك يقال : إنّ أصلحَ الأمورِ لمن تكلّفَ علم الطبّ ألاّ يحسن منه شيئاً ، أو يكونَ من حُذّاق ٣٢٠ المتطبِّبين ؛ فإنه إن [2] أحسنَ منه شيئاً ولم يبلغ فيه المبالغَ هلكَ وأهلَكَ أهلَه . وكذلك العِلمُ بصناعة الكلام . وليس كذلك سائرُ الصناعات ؛ فليس يضرّ مَن أحسَنَ بابَ الفاعلِ والمفعول به ، وبابَ الإضافة ، وبابَ المعرفة والنكرة ، أن يكونَ جاهلاً بسائر أبواب النَّحو . وكذلك مَن نظر فى عِلم الفرائض ، فليس يضرُّ مَن أحكم باب الصُّلب أن يجهل باب الجَدّ ، وكذلك الحِساب . وهذا كثير .

وذكروا أن حَزن بن الحارث ، أحد بنى العنبر [3] ولد مِحْجناً ، فولد مِحجنٌ شعيثَ بن سهم ، فأُغير على إبله ، فأتى أوسَ بن حجرٍ يستنجده ، فقال له أوس : أوَ خيرٌ من ذلك ، أحضِّض لك قيس بن عاصم ! وكان يقال إن حزن ابن الحارث هو حزن بن منقر . فقال أوس :

سائل بها مولاكَ قيسَ بنَ عاصمٍ فمولاكَ مَوْلَى السَّوءِ إنْ لم يُغيِّرِ [4]

---

(١) وكذا جاءت روايته فى الحيوان (٣ : ٥٢ / ٥ : ٥٩٨) . وفى ديوانه ٨ : « أراقب لوحا » وقد أشير إليها فى حواشى هـ عن نسخة . واللوح : البريق . والدجية : واحدة الدجى ، وهى ظلمات الليل . وسهيل يطلع من آخر الليل فلا يمكث إلا قليلا حتى يسقط ، فهو يطرف كما تطرف العين . ماعدا ل : « من آخر الليل » .

(٢) ماعدا ل ، هـ : « إذا » .

(٣) ل : « العشير » صوابه فى سائر النسخ .

(٤) الأبيات مما لم يرو فى ديوان أوس بن حجر . والتغيير ، أصل معناه أعطاء الدية ، لأنها بدل من القتل . ولعله أراد بالتغيير التعويض عن تلك الإبل المسلوبة .

لعمرُكَ ما أدرِي أَمِنْ حَزْنِ مِحجَنٍ   شُعَيثُ بن سهمٍ أم لِحَزنِ بن مِنقرِ (١)
فما أنتَ بالمولى المضيَّعِ حقُّه   وما أنتَ بالجارِ الضعيفِ المُستَّرِ

فسعى قيسٌ فى إبله حتى ردَّها على آخرها (٢) .

وقال الآخر (٣) :

أَلْهَى بَنى تغلبٍ عن كلِّ مَكرُمةٍ   قصيدةٌ قالها عمرُو بنُ كُلثومِ (٤)

ومما يدلُّ على قدر الشعر عندهم بُكاء سيِّد بنى مازنٍ ، مخارق بن شهابٍ (٥)

---

(١) هذا البيت يرويه النحويون منسوباً إلى الأسود بن يعفر ، بهذه الرواية :

لعمرك ما أدرى وإن كنت داريا   شعيث ابن سهم أم شعيث ابن منقر

يجعلونه شاهداً لمنع شعيث الصرف لضرورة الشعر ، أو حملا على اسم القبيلة ، وشاهداً كذلك لحذف همزة الاستفهام قبله ، وذلك لدلالة « أم » عليها ، والتقدير : « أشعيث » . انظر سيبويه (١ : ٤٨٥) وشرح شواهد المغنى للسيوطى ٥١ وشرح الأشمونى للألفية فى باب العطف .

(٢) ما عدا ل : « عن آخرها » . و « على » توضع موضع عن ، كقوله :

إذا رضيت على بنو قشير   لعمر الله أعجبنى رضاها

وقوله :

فى ليلة لا نرى بها أحداً   يحكى علينا إلا كواكبها

(٣) فى الأغانى (٩ : ١٧٦) أنه بعض شعراء بكر بن وائل . وفى الاشتقاق ٢٠٤ أولى ، ٣٣٩ ثانية : « شاعر من بنى جشم » . وفى المؤتلف ١٨٧ ومعجم المرزبانى ٤٧٨ أنه : « الموج التغلبى » .

(٤) فى الكامل ٩٣ ليبسك : « ألهى بنى جشم » . ويلى هذا البيت فى الكامل والاشتقاق والشعراء ١٨٨ :

يفاخرون بها مذ كان أولهم   يا للرجال لفخر غير مسئوم

وفى الأغانى :

يروونها أبداً مذ كان أولهم   يا للرجال لشعر غير مسئوم

وبعدهما فى الكامل فقط :

إن القديم إذا ما ضاع آخره   كساعد فلَّه الأيام محطوم

وهذه القصيدة هى معلقته النونية ، وكان قام بها خطيباً فى سوق عكاظ ، وقام بها فى موسم مكة . وكانت بنو تغلب تعظمها جداً ويرويها صغارهم وكبارهم ، حتى هجوا بذلك .

(٥) الخبر فى الحيوان (١ : ٣٦٤) . ومخارق بن شهاب هذا أحد بنى خزاعى بن مالك بن عمرو بن تميم . ذكره القالى فى ذيل أماليه ص ٥٠ وروى له شعراً . وفى الإصابة ٨٣١٠ : « مخارق بن شهاب بن قيس التميمى ذكره المرزبانى ، نقل عن دعبل أنه شاعر إسلامى . قلت : هو شاعر مخضرم لا إسلامى » . انظر الحيوان (٥ : ٤٨٩) .

حين أتاه محرز بن المُكَعبَرِ العنبريُّ (١) الشاعر فقال : إنّ بنى يربوع قد أغاروا على إبلى فاسعَ لى فيها ؟ فقال : وكيف وأنت جار وَرْدانَ بنِ مَخْرَمة ؟ فلما ولَّى عنه محرزٌ محزوناً (٢) بكى مخارقٌ حتى بلَّ لحيته ، فقالت له ابنتُه : ما يبكيك ؟ فقال : وكيف لا أبكى وقد استغاثنى شاعرٌ من شعراء العرب فلم أُغِثْه ؟ والله لئن هجانى ليَفضَحَنّى قولُه ، ولئن كفّ عنى ليَقتلنّى شكرُهُ ! ثم نهض فصاح فى بنى مازنٍ ، فرُدّت عليه إبله . وذكر وَرْدانَ الذى كان أخفره (٣) فقال :

أقولُ وقد بُزّتْ بتِعْشارَ بَزّةً ... لوَرْدانَ جِدَّ الآنَ فيها أو العَبِ (٤) ٣٢١
فعَضَّ الذى أبقَى المَواسِى مِن آمِّهِ ... خفيرٌ رآها لم يُشمِّرْ ويَغضَبِ (٥)
إذا نزَلَتْ وَسْطَ الرِّبَابِ وحولَها ... إذا حُصِّنَتْ أَلْفَا سِنانٍ مُحَرَّبِ (٦)
حَمَيتَ خُزاعيًّا وأفناءَ مازِنٍ ... و وَرْدانُ يَحمِى عن عَدِىِّ بنِ جُندَبِ (٧)
ستعرِفُها وِلدانُ ضَبّةَ كلُّها ... بأعيانِها مردودةً لم تُغَيَّبِ

***

(١) صوابه « الضبى » . وهو محرز بن المكعبر الضبى ، من ولد بكر بن ربيعة بن كعب بن ثعلبة بن سعد بن ضبة بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر . المرزبانى ٤٠٥ والأغانى (١٥ : ٧٤) . والمكعبر ، يقال بكسر الباء ، وربما قيل بفتحها . انظر شرح التبريزى للحماسة (٢ : ١٣٨ بولاق) والمبهج لابن جنى ٣٦ .

(٢) محزونا ساقطة من ل ، هـ .

(٣) أخفره : نقض عهده وخاس به .

(٤) بزت : سلبت ، يعنى إبله . وبزة ، أى قسراً . وفى اللسان : « وحكى عن الكسائى : لن يأخذه أبداً بزة منى ، أى قسراً » . وتعشار ، بكسر التاء : ماء لبنى ضبة ، كما فى معجم البلدان . ل : « بتعثار » ، ما عدا ل : « بتعسار » صوابهما ماأثبت من هـ .

(٥) أعضه بهنِ أمه . والمواسى : جمع موسى ، وهى تلك الحديدة التى يحلق ويختن بها .

(٦) ما عدا ل : « إذا حضنت » . والسنان المحرب : المحدد المذرب . وقد أنشده فى اللسان (حرب) بدون نسبة ، بهذه الرواية :

سيصبح فى سرح الرباب وراءها ... إذا فزعت ألفا سنان محرب

(٧) خزاعى ومازن : قبيلتان . وأفناء القبائل : النزّاع من ها هنا وها هنا .

قال : وفد رجلٌ من بنى مازن (١) على النعمان بن المنذر ، فقال له النُّعمان : كيف مخارقُ بنُ شِهابٍ فيكم ؟ قال : سيِّد كريم ، وحسبك من رجل يمدحُ تَيْسَه (٢) ويهجو ابنَ عمِّه ! ذهب إلى قوله :

تَرَى ضَيْفَها فيها يَبِيتُ بِغبطةٍ وجارُ ابنِ قَيسٍ جائعٌ يتحوَّبُ (٣)

* * *

وقال : ومن قدر الشِّعر وموقعِه فى النَّفع والضَّرّ ، أنّ ليلَى بنتَ النضْرِ بن الحارث بنِ كَلَدَة (٤) لمّا عَرَضت للنبىِّ ﷺ وهو يطوفُ بالبيت

---

(١) المازنى هذا هو ابن قيس المازنى ، كما فى الحيوان (٥ : ٤٩٠) وعيون الأخبار (٢ : ٧٧) والعمدة (٢ : ٣٢) .

(٢) فى الأصول : « نفسه » ، تحريف . والوجه ما أثبت من الحيوان وعيون الأخبار والعمدة . وذلك أن مخارق بن شهاب قال شعراً مدح فيه تيسا له ، أنشده الجاحظ وابن قتيبة ، وهو :

وراحت أصيلانا كأن ضروعها دلاء وفيها واتد القرن لبلب
له رعثات كالشنوف وغرة شديخ ولون كالوذيلة مذهب
وعينا أحم المقلتين وعصمة ثنى وصلها دان من الظلف مكثب
إذا دوحة من مخرف الضال أربلت عطاها كما يعطو ذرى الضال قرهب
تلاد رقيق الخد، إن عد نجره فصردان نعم الجار منه وأشعب
أبو الغر والحو اللواتى كأنها من الحسن فى الأعناق جَزع مثقب
إذا طاف فيها الحالبان تقابلت عقائل فى الأعناق منها تحلب

ثم قال يهجو ابن عمه :

ترى ضيفها فيها يبيت بغبطة وضيف ابن قيس جائع يتحوب

(٣) يتحوب : يتوجع .

(٤) انفرد الجاحظ بنسبة الشعر التالى إلى ليلى بنت النضر . وأصح الأقوال وأشهرها أن صاحبة الشعر هى « قتيلة » . واختلف الرواة فيها ، فذكر ابن إسحاق فى السيرة ٥٣٩ وأبو الفرج فى الأغانى (١ : ٩) والحصرى فى زهر الآداب (١ : ٢٧) وأبو تمام فى الحماسة (١ : ٤٠٠) أنها « بنت الحارث » فهى أخت النضر بن الحارث . وفى العمدة (١ : ٣٠) والإصابة ٨٨٤ من قسم النساء ومعجم البلدان (الأثيل) ، وحماسة البحترى ٤٣٤ أنها « قتيلة بنت النضر بن الحارث » . قال البحترى : « وكانت حازمة ذات رأى وجمال ، وكان رسول الله ﷺ أراد أن يتزوجها حتى كان من أبيها ما كان » . وانظر العقد (٣ : ٢٦٥) طبع لجنة التأليف .

واستوقفته وجذبت رِداءَ حتى انكشف مَنْكِبه ، وأنشدَتْه شِعرَها بعد مقتل أبيها (١) ، وقال رسول الله ﷺ : « لو كنتُ سمعتُ شعرها هذا ما قتلته ! » .

والشعر (٢) :

يا راكباً إنّ الأُثَيلَ مَظِنَّةٌ ... من صُبْحِ خامسةٍ وأنتَ موفَّقُ (٣)
أَبلِغْ بها مَيْتاً بأنّ قصيدةً ... ما إنْ تَزالُ بها الركائبُ تَخْفِقُ (٤)
فليسمعَنَّ النَّضْرُ إنْ ناديتُهُ ... إن كان يَسمعُ ميِّتٌ لا يَنطِقُ (٥)
ظلَّت سيوفُ بنى أبيهِ تُنوشُه ... للهِ أرحامٌ هُناكَ تَشقَّقُ (٦)
قَسْراً يُقادُ إلى المنيّةِ مُتعَباً ... رَسْفَ المقيَّدِ وهْو عانٍ مُوثَقُ (٧)
أَمُحمَّدٌ ها أنتَ ضَنْءُ نَجيبَةٍ ... فى قَوْمِها والفحلُ فحلٌ مُعرِقُ (٨) ٣٢٢
ما كانَ ضرَّكَ لوْ مَنَنْتَ ورُبَّما ... مَنَّ الفتَى وهْوَ المَغيظُ المُحْنَقُ (٩)
فالنَّضر أقربُ مَن تركتَ قرابةً ... وأحقُّهم إن كان عتقٌ يعتَقُ (١٠)

* * *

---

(١) قتل النضر بن الحارث يوم مرجع النبى ﷺ من بدر ، أمر عليا بضرب عنقه صبراً ، وهو بالصفراء .

(٢) الأبيات التالية فى جميع المراجع المتقدمة قال أبو الفرج : « فيقال إن شعرها أكرم شعر موتور وأعفه وأكفه وأحلمه » .

(٣) الأثيل ، بهيئة التصغير : عين ماء بين بدر ووادى الصفراء . ويقال له أيضاً « ذو أثيل » . من صبح خامسة ، أى فى صبح ليلة خامسة . يعنى ما بينها وبين قبره من مسافة

(٤) وكذا روايته فى السيرة . ويروى : « أبلغ به ميتاً » و « بلغ به ميتاً » فالتأنيث لأنها عين ماء ، والتذكير للموضع . والركائب : الإبل . تخفق : تضطرب .

(٥) يروى : « هل يسمعن النضر » و « هل يسمعنى النضر » .

(٦) تنوشه : تتناوله وتأخذه .

(٧) فى السيرة : « صبراً يقاد » . العانى : الأسير .

(٨) الضنء ، بفتح الضاد وكسرها : الولد .

(٩) المحنق : الشديد الغيظ . وأنشده فى مقاييس اللغة واللسان (حنق) .

(١٠) هذا البيت فى ل فقط . وهو يطابق رواية الإصابة . وفى الحماستين والبلدان : « والنضر أقرب من أصبت وسيلة » ، وفى العمدة : « من قتلت وسيلة » ، وفى الأغانى : « من أخذت بزلة » .

قال : ويبلغ من خوفهم من الهجاء ومن شدة السبِّ عليهم ، وتخوّفهم أن يبقى ذكر ذلك فى الأعقاب ، ويسبَّ به الأحياءُ والأموات ، أنهم إذا أسَرُوا الشاعر أخذوا عليه المواثيقَ ، وربما شدُّوا لسانه بِنِسْعَةٍ ، كما صنعوا بعبدِ يغوثَ بن وقّاصٍ الحارثىّ (١) حين أسرته بنو تَيم (٢) يوم الكُلاب . وهو الذى يقول :

أَقُولُ وقد شَدُّوا لسانى بِنِسْعَةٍ   أَمَعشَرَ تَيمٍ أطلِقوا من لسانِيا (٣)
وتَضْحَكُ مِنِّى شَيخةٌ عَبشَمِيّةٌ   كأنْ لم تَرَىْ قبلى أسيراً يمانِيا (٤)
كأنِّىَ لم أركبْ جَواداً ولم أقُلْ   لخيلى كُرِّى كرَّةً عن رِجالِيا (٥)
فيا راكباً إمّا عَرَضْتَ فبلِّغَنْ   نَداماىَ مِنْ نَجْرانَ أنْ لا تلاقِيا (٦)
أَبـا كَرِبٍ والأَيْهَمَيْنِ كِلَيهِمـا   وقيساً بأعْلَى حَضْرَمَوْتَ اليَمانِيا (٧)

وكان سألهم أن يُطلِقوا لسانَه لينوحَ على نفسه ، ففعلوا ، فكان ينوح بهذه الأبيات ، فلما أنشد قومَه هذا الشِّعر قال قَيس : لبّيك وإن كنت أخّرتَنى .

* * *

(١) ما عدا ل ، هـ : « المحاربى » تحريف . وقد سبقت ترجمته فى (٢ : ٢٦٧) حيث أنشد الجاحظ بعض أبيات القصيدة ، وهو عبد يغوث بن الحارث بن وقاص بن صلاءة بن المعقّل بن كعب بن ربيعة بن كعب بن (الحارث) بن كعب .

(٢) ل : « بنو تميم » صوابه فى سائر النسخ ، وكما هو فى نص البيت الأول من مقطوعته هنا .

(٣) النسعة ، بالكسر : القطعة من النسع ، وهو سير يضفر من جلد . فقيل : إنهم بعد أسره شدوا لسانه بنسعة ليمنعوه الكلام . وقيل : أراد أنهم فعلوا ما منع لسانه من أن ينطق بمديحهم .

(٤) عبشمية : نسبة إلى عبد شمس . وانظر بقية الكلام على هذا البيت فيما مضى فى (٢ : ٢٦٨) .

(٥) فى المفضليات (١ : ١٥٦) : « كرى نفسى عن رجاليا » .

(٦) عرضت : أتيت العروض ، بفتح العين ، وهى مكة والمدينة وما حولهما .

(٧) أبو كرب ، هو بشر بن علقمة بن الحارث . والأيهمان ، هما الأسود بن علقمة بن الحارث ، والعاقب ، وهو عبد المسيح بن الأبيض . انظر كامل ابن الأثير فى (يوم الكلاب الثانى) . وقيس ، هو ابن معديكرب ، وهو والد الأشعث بن قيس .

وقيل لِعُبَيْدِ الله بن عبدِ اللهِ بنِ عتبة بن مَسعودٍ [١] : كيف تقول الشعر مع الفقه والنسك ؟ فقال : « لابد للمصدور من أن ينفُث [٢] » .

وقال مُعاويةُ لِصُحَارٍ العبديّ : ما هذا الكلامُ الذى يظهر منكم ؟ قال : شئ تجيش به صدورُنا فتقذفُه على ألسنتنا .

وقال ابنُ حرْب [٣] : من أحسَنَ شيئاً أظهره .

وفى المثل : من أحَبّ شيئاً أكثر من ذِكره [٤].

وقال : خاصم أبو الحُوَيرِثِ السُّحَيْمِىُّ حمزةَ بنَ بِيض [٥] إلى المُهاجرِ ابن عبدِ الله [٦] فى طَوِىّ له [٧] فقال أبو الحويرث :

غَمّضْتُ فى حاجةٍ كانَت تُؤرّقُنى ... لولا الّذِى قُلتَ فِيها قَلّ تغمِيضِى ٣٢٣

قال : وما قلتُ لك فيها ؟ قال :

حَلفتَ باللهِ لى أنْ سوف تُنصِفُنى ... فساغَ فى الحلقِ ريقٌ بَعد تجريضِ [٨]

قال : وأنا أحلفُ بالله لأُنصفنّك . قال :

فاسأَلْ أُلَى عن أُلَى أنْ ما خُصومتُهم ... أم كيف أنتَ وأصحابُ المَعاريضِ [٩]

---

(١) سبقت ترجمته فى (١ : ٣٥٦) .

(٢) انظر (٢ : ٩٧) . وأنشد فى المختار من شعر بشار وحواشيه ١٤٦ :

لابد للمصدور أن ينفثا ... وللذى فى الصدر أن يبعثا

(٣) هو سماك بن حرب ، المترجم فى (٣ : ٤٢٠) .

(٤) هـ : « أكثر ذكره » .

(٥) ترجم فى (١ : ٢٦٩) . وروى أبو الفرج هذا الخبر فى (١٥ : ١٧ — ١٨) .

(٦) هو المهاجر بن عبد الله الكلابى ، وكان واليا على اليمامة ، كما فى الأغانى .

(٧) الطوى : البئر المطوية بالحجارة والبناء .

(٨) التجريض : لم يرد فى المعاجم المتداولة ، وفيها الجرض والجريض ، وهو الغصص بالريق .

(٩) ألى بالقصر : لغة لبنى تميم فى ألاء ، من أسماء الإشارة . أنشد يعقوب :

ألالك قومى لم يكونوا أشابة ... وهل يعظ الضليل إلا ألالكا

والمعاريض : كل ما عرض به من الكلام ولم يصرح .

قال : أُوجِعُهم ضرباً . قال :

فاسأَلْ لُجَيْماً إذا وافاكَ جمعُهـمُ ... هل كان بالبئرِ حوضٌ قبلَ تحويضى (١)

قال : فتقدمت الشهود فشهدت لأبى الحُويرث . قال : فالتفت إلى ابن بِيضٍ فقال :

أنت ابنُ بِيضٍ لعَمرى لستُ أُنكرُه ... حقاً يقيناً ولكن مَن أبو بِيضِ

إن كنتَ أنبضْتَ لى قوساً لِترمِيَنى ... فقد رميتُكَ رمياً غيرَ تَنبيضِ (٢)

أو كنتَ خضخَضتَ لى وَطْباً لتسقِيَنى ... فقد سقيتُكَ وَطباً غير ممخُوضِ (٣)

إنَّ المُهاجِرَ عَدْلٌ فى حكُومَتِهِ ... والعدلُ يَعدِلُ عندى كلَّ عِرِّيضِ (٤)

* * *

قال وتزوّج شيخ من الأعراب (٥) جارية من رهطه ، وطَمِعَ أن تلِدَ له غُلاماً فولدتْ له جاريةً ، فهجَرَها وهجر منزلها ، وصار يأوِى إلى غير بيتِها ، فمرَّ بخبائها بعد حولٍ وإذا هى ترقّص بُنَيَّتَها (٦) منه وهى تقول :

ما لِأبى حَمزَةَ لا يأْتينا ... يَظَلُّ فى البيتِ الذى يَلِينا

غَضْبانَ أن لا نلِدَ البَنِينا ... تاللّهِ ما ذلكَ فى أيْدِينا

وإنَّما نأْخُذُ ما أُعْطِينا

---

(١) فى الأغانى : « وسل سحيما » . وسحيم قبيلة أبى الحويرث ، من بنى حنيفة بن لجيم بن صعب ابن على بن بكر بن وائل . الاشتقاق ٢٠٩ . فالروايتان صحيحتان .

(٢) الإنباض والتنبيض : أن يجذب الوتر من القوس ثم يرسله ليرنّ ، يفعلون ذلك فى الإبعاد والإرهاب . وأنشد مثله فى اللسان :

لئن نصبت لى الروقين معترضا ... لأرمينك رميا غير تنبيض

(٣) الوطب : السقاء . والخضخضة : التحريك .

(٤) يعدل : يساوى . والعِرِّيض : الذى يتعرض للناس بالشر . ما عدا ل : « كل تعريض » .

(٥) سبق فى (١ : ١٨٦) أنه « أبو حمزة الضبى » .

(٦) ل : « ترقص ابنتها » فقط .

فلما سمع الأبياتَ مرَّ الشيخُ نحوهما حُضْراً حتى ولَج عليهِما الخباء (١) وقبّل بُنيَّتَها وقال : ظلمْتكما وربِّ الكعبة ! ٣٢٤

* * *

وقال مُسلم بن الوليد (٢) :

فإنّي وإسماعيلَ عند فِراقِنــــا ... لكالجفنِ يومَ الرَّوعِ فارقَه النَّصْلُ
أمُنتجِعــاً مَرْواً بأثقــالِ هَمِّــــهِ ... دعِ الثِّقْلَ واحمِلْ حاجةً مالها ثِقْلُ
ثناءً كعَرْفِ الطِّيبِ يُهْدَي لِأهلِهِ ... وليسَ لهُ إلاّ بَنِى خالِدٍ أهلُ (٣)
فإن أغشَ قوماً بعدهم أو أزُرْهُمُ ... فكالوَحْشِ يُدْنيها من الأنسِ المَحْلُ

وقال ابن أبى عُيَينةَ (٤) :

هلْ كنتَ إلاّ كلحْمِ مَيْتٍ ... دعا إلى أُكلِهِ اضْطِرارُ (٥)

وقال الآخر :

لئن حَبَس العَباسُ عنَّا رَغيفَهُ ... لَمَا فاتنا من نعمةِ اللهِ أكثرُ

* * *

وقال أبو كعبٍ : كان رجل يُجرى على رجلٍ رغيفاً فى كلِّ يوم ، فكان يقول إذا أتاه الرَّغيف (٦) : لعنَكَ اللهُ ولعَنَ مَنْ بَعَثَك ، ولعنَنى إن تركتُكَ حَتَّى أُصِيبَ خيراً منك .

---

(١) ما عدا ل : « عليها الخباء » .

(٢) ل : « وقال مسلم » فقط . والأبيات فى ملحقات ديوان مسلم بن الوليد ٢٨٤ . وانظر أمالى القالى (١ : ١٦٧) وزهر الآداب (٣ : ٢١٥ / ٤ : ١٣٣) . وتاريخ بغداد (١٣ : ٩٨) والشعراء ٨٠٩ . وإسماعيل هذا ، من أبناء خالد البرمكى ، كما يظهر من الأبيات هنا ، ومن قوله :

له هضبة تأوى إلى ظل برمك ... منوط بها الآمال أطنابها السبل

(٣) هم بنو خالد بن برمك .

(٤) هو عبد الله بن محمد بن أبى عيينة ، وهو أخو ابن أبى عيينة المترجم فى (١ : ٥٠) .

(٥) البيت من أبيات فى الأغانى (١٨ : ٢١) ، يعاتب فيها محمد بن يحيى بن خالد البرمكى

(٦) ما عدا ل : « فكان إذا أتاه الرغيف يقول » .

وقال بشار (١) :

إذَا بَلغَ الرَّأْىُ النَّصِيحةَ فاستَعِنْ … بِرأْىِ نَصِيحٍ أونَصاحِةِ حازِمِ (٢)
ولا تحسَبِ الشُّورَى عليكَ غضاضةً … مكانُ الخَوَافى نافعٌ للقَوادِمِ (٣)
وخلِّ الهُوَيْنَى للضَّعِيفِ ولا تكنْ … نَؤُوماً فإنَّ الحزمَ ليس بنائِمِ
وأَدْنِ على القُربَى المُقرَّبَ نَفْسَهُ … ولا تُشْهِدِ الشُّورَى امرَأً غيرَ كاتِمِ (٤)
وما خَيرُ كفٍّ أمسَكَ الغُلُّ أُختَها … وما خَيرُ سيفٍ لم يُؤَيَّدْ بقائمِ (٥)
فإنكَ لا تستَطرِدُ الهمَّ بِالمُنَى … ولا تَبْلغُ العُلْيا بِغيرِ المَكارِمِ (٦)

وقال آخر (٧) :

تُعرِّفُنى هُنَيدةُ مَنْ بَنُوهاَ … وأعْرِفُها إذا اشْتَدَّ الْغُبَارُ
٣٢٥ متى ما تَلْقَ مِنَّا ذا ثناءٍ … يَؤُزُّ كأَنَّ رِجليهِ شِجارُ (٨)

---

(١) المقطوعة التالية من قصيدة له قالها فى مديح إبراهيم بن عبد الله بن حسن ، قال أبو الفرج فى الأغانى (٣ : ٢٨) : « دخل بشار إلى إبراهيم بن عبد الله حسن فأنشده قصيدة يهجو فيها المنصور ويشير عليه برأى يستعمله فى أمره ، فلما قتل إبراهيم خاف بشار فقلب الكنية وأظهر أنه كان قالها فى أبى مسلم ، وحذف منها أبياتاً . وأولها :

أبا جعفر ما طول عيش بدائم … ولا سالم عما قليل بسالم

قلب هذا البيت فقال : « أبا مسلم » . وانظر بقية القصيدة فيها . وقد ارتاب الجاحظ فى الحيوان (٣ : ١٧) فى نسبة الأبيات إلى بشار ، فقال : « وناس يجعلونها للجعجاع الأزدى ، وناس يجعلونها لغيره » . والأبيات فى المختار من شعر بشار ٢٠١ وزهر الآداب (٣ : ٣٣٩) ، وهى فى عيون الأخبار (١ : ٣٢) بدون نسبة .

(٢) النصاحة : النصيحة . ويروى : « أو نصيحة حازم » .

(٣) جملة جناح الطائر عشرون ريشة : فأربع قوادم ، وأربع مناكب ، وأربع أباهر ، وأربع خواف ، وأربع كُلًى . يقول : الخوافى وإن كانت دون القوادم فإنها معينة لها ورافدة ومقوية للطائر على الطيران .

(٤) فى المختار : « وأدن من الشورى الكتوم لسره » .

(٥) النصل ، هنا : حديدة السيف . والقائم : مقبضه .

(٦) فى المختار : « فإنك لا تستدرك الرأى بالمنى » . والاستطراد : ضرب من الخداع فى الحرب ، وهو أن يخدع صاحبه بالفرار ثم يكر عليه .

(٧) هو مجلودة الأعرج كما فى كتاب البرصان ٢٠٩ .

(٨) الأز : الحركة الشديدة . والشجار : خشب الهودج ، والخشبة التى توضع خلف الباب .

فلا تَعجَلْ عليهِ فإنَّ فيهِ ... منافِعَ حِينَ يَبتلُّ العِذَارُ (١)
أَنَا ابْنُ المَضْرَحِيِّ أَبى شُلَيلٍ ... وهل يَخْفَى على النَّاسِ النَّهارُ
ورِثْنا صُنْعَهُ ولِكُلِّ فَحلٍ ... على أولادِهِ مِنه نُجارُ (٢)

وقال أعشَى هَمْدَانَ فى خالدِ بن عتَّابِ بن وَرقاء (٣) :

تُمنِّينِى إمارَتَهــا تَميمٌ ... وما أمرِى وأمرُ بَنى تميم (٤)
وكان أبو سُليمانٍ خَلِيلِى ... ولكنَّ الشِّراكَ مِنَ الأَدِيمِ (٥)
أتيْنــاَ أصبَهــانَ فَهزَّلَتنــا ... وكُنَّا قبلَ ذلكَ فى نعِيمِ
أَتَذْكُرُنـا ومُــرَّةَ إذْ غزونــا ... وأنتَ على بُغيلِكَ ذِى الوسوم (٦)
ويركَبُ رأسَهُ فى كُلِّ وحلٍ ... ويعثُرُ فى الطَّرِيقِ المستقيمِ
وليسَ عليكَ إلاَّ طَيلَسانٌ ... نَصِيبِىٌّ وإلاَّ سَحْقُ نِيمِ (٧)

---

(١) العذار من اللجام : ما سال على خد الفرس . وابتلالُه كناية عن شدة الحرب وجهدها . قال طرفة :

من يَعاسيبَ ذكور وقح ... وهِضبَّات إذا ابتلّ العذرْ

(٢) النجار ، بالكسر والضم : الأصل ، والمراد به هنا الخلق والطبع . وفى اللسان : « ومن أمثالهم : كل نجار إبل نجارها ، أى فيه من كل لون من الأخلاق » .

(٣) ترجم أعشى همدان فى (٣ : ٢٣٦) ، وخالد بن عتاب فى (٣ : ٣٣٦) . وكان من خبر هذا الشعر ، كما رواه أبو الفرج فى الأغانى (٥ : ١٤٣) ، أن خالداً كان يقول للأعشى فى بعض ما يمنيه إياه ويعده به : إن وليت عملا كان لك ما دون الناس جميعاً ، فمتى استعملت فخذ خاتمى واقض فى أمور الناس كيف شئت . فلما استعمل خالد على أصبهان وصار معه الأعشى جفاه وتناساه ، ففارقه الأعشى ورجع إلى الكوفة وهجاه بهذا الشعر .

(٤) فى رسائل الجاحظ (٢ : ١٩٤) والأغانى : « وما أمى بأم بنى تميم » ، أى ماقصدى وطريقتى .

(٥) الشراك ، بالكسر : سير من سيور النعل . والأديم : الجلد ، وقيل المدبوغ منه . فى الأغانى : « وكان أبو سليمان أخاً لى » .

(٦) الوسوم : جمع وسم ، وهو أثر الكى . وهذه رواية ل . وفى هـ : « الوشوم » ، وسائر النسخ : « الشؤوم » .

(٧) الطيلسان : ضرب من الثياب ، فارسى معرب . نصيبى : نسبة إلى نصيبين ، وهى مدينة من مدن الجزيرة . والسحق : البالى . والنيم : فرو قصير إلى الصدر ، ولفظ « نيم » فارسى : معناه النصف أو الوسط ، فكأن المراد نصف فرو . وبعده :

فقد أصبحت فى خز وقز ... تَبختر ما ترى لك من حميم
وتحسب أن تلقاها زماناً ... كذبت ورب مكة والحطيم

وقال آخر (١) :

فَلستُ مُسَلِّماً مَا دُمتُ حياً   على زيدٍ بتسليمِ الأميرِ (٢)

أَميرٌ يأكـلُ الفالُـوذَ سِرًّا   ويُطعِمُ ضَيفَهُ خبزَ الشَّعيرِ

أَتذْكُرُ إذْ قَباؤُكَ جِلدُ شاةٍ   وإذْ نعلاكَ مِن جلدِ البعيرِ

فسُبحَانَ الَّذِى أعطاكَ مُلكاً   وعلَّمَكَ الجلُوسَ على السَّريرِ

وقال آخر (٣) :

دَعِ عنكَ مَرْوانَ لا تطْلُبْ إمارتَه   ففِيكَ راعٍ لها ما عِشتَ سُرسُورُ (٤)

ما بالُ بُردِكَ لم يَمْسَسْ حَواشيَهُ   من ثَرْمِداءَ ولا صَنْعاءَ تَحبِيرُ (٥)

٣٢٦ وقال ابن قَنَانَ المحارِبىّ (٦) :

أَقُولُ لمَّا جِئتُ مجلِسَهُم   قَبحَ الإلهُ عمائمَ الخزِّ

لولا قُتَيبَةُ ما اعتجَرتَ بها   أبداً ولا أقعَيتَ فى غرزِ (٧)

عَجَباً لِهذا الخزِّ يَلبَسهُ   مَن كان مشتاقاً إلى الخُبزِ

مَن كان يَشتُو فى عَباءَتِهِ   مُتقبِّضًا كتقبُّضِ العَنزِ

وقال ثابتُ قُطنةَ ، فى رجلٍ كان المهلَّب ولاَّه بعض خُراسان :

ما زالَ رأْيُكَ يا مُهلَّبُ فاضِلاً   حتَّى بَنيتَ سُرادِقاً لوكيعِ

---

(١) هو على بن خالد البردخت ، كما فى رسائل الجاحظ (٢ : ٢٦١) .

(٢) يروى : « على معن » ، وهو معن بن زائدة الشيبانى . انظر قصة طريفة لهذا الشعر فى إعلام الناس ص ٩٤ ، وقصص العرب (٣ : ٢٤٠) : وزيد هذا هو زيد بن الحصين بن زهير والى أصبهان . جمهرة ابن حزم ٢٠٤ ــ ٢٠٥ وأمالى القالى (٣ : ٧٩) .

(٣) هو حميد بن ثور الهلالى ، وكان ابنه يراه يمضى إلى الملوك ويعود مكسوراً ، فأراد أن يصنع ضيعة فأخذ بعيراً لأبيه فقصد مروان فرده ولم يعطه شيئاً ، فقال حميد هذا الشعر فى ذلك . معجم البلدان (ثرمداء) .

(٤) السرسور : الحافظ للمال الحسن القيام عليه . ما عدا ل : « شرشور » ، تحريف .

(٥) ثرمداء ، بفتح الثاء مع فتح الميم وكسرها : قرية بالوشم من أرض اليمامة . وصنعاء : قصبة اليمن . والتحبير : التحسين .

(٦) ما عدا ل ، هـ : « ابن فنان » .

(٧) اعتجر بالعمامة : لفها على رأسه . وأقعى الرجل فى جلوسه : تساند إلى ما وراءه . والغرز : ركاب الرحل .

وجعلتَهُ رَبًّا على أربابِهِ ... ورفعتَ عَبداً كانَ غيرَ رَفيع
لَو رَا أبُوهُ سُرادقاً أحدثتَهُ ... لبَكَى وَفاضَتْ عَينُهُ بدُموع

وقال ابن شَيْخان (١) ، مولى المغيرة ، فى بنى مُطيع العدويِّين :

حَرامٌ كَنَّتى مِنِّى بِسُوءٍ ... وَأَذْكُرُ صاحِبِى أبداً بِذَامِ (٢)
لقد أحرمتُ وُدَّ بَنِى مُطِيعٍ ... حرامَ الدُّهْنِ للرَّجُلِ الحرامِ (٣)
وخَزُّهُمُ الَّذِى لم يَشتَرُوهُ ... ومجلِسُهُمْ بِمُعتلَجِ الظَّلامِ (٤)
وإنْ جنَفَ الزَّمانُ مَددتُ حَبلاً ... متِيناً مِن حِبالِ بنى هِشامِ (٥)
وَرِيقٌ عُودُهُمْ أَبداً رطيبٌ ... إذا ما اغبَرَّ عِيدانُ اللِّئامِ

وقال آخر :

لِمَن جُزُرٌ يُنَحِّرُها سُويدٌ ... ألا يا مُرُّ للمجدِ المُضاعِ (٦)
كأنَّكَ قَد سَعَيتَ بِذِمَّتَيهِمْ ... وكنتَ ثِمالَ أَيتَامٍ جِياعِ (٧)

وقال :

سُبحَانَ مَن سَبَّحَ السَّبعُ الطِّباقُ له ... حتَّى لِهرثَمةَ الذُّهْلِيِّ بَوّابُ (٨)

---

(١) ما عدا ل : « ابن سيخان » .

(٢) الكنة : امرأة الابن أو امرأة الأخ . والذام : العيب .

(٣) أحرم الشئ بمعنى حرمه . قال حميد بن ثور :

إلى شجر ألمى الظلال كأنه ... رواهب أحرمنَ الشراب عذوب

(٤) الاعتلاج : التلاطم والتضارب . يقول : هم لا يوقدون ناراً ، إما خشية الضيفان ، وإما تلمساً للريبة فى الظلام .

(٥) جنف : مال وجار ، يقال من بابى فرح وفتح ، والمصدر الجنف ، بالتحريك ، ل : « مددت رجلا » ، صوابه فى سائر النسخ .

(٦) الجزر ، بضمتين : جمع جزور ، وهى الناقة المجزورة . ينحّرها ، أراد يكثر نحرها . وهذا الفعل المضاعف مما لم يرد فى المعاجم المتداولة .

(٧) ثمال لهم ، أى عماد وغياث يقوم بأمرهم .

(٨) الطباق ، مصدر طوبقت طباقاً ، أى جعلت على حذو واحد.ماعدا ل.: « أبواب » ، تحريف . وفى الاشتقاق ١٢٣ : « ومنهم هرثمة ، أحد بنى ذهل كان شريفاً بالكوفة ، قال فيه الشاعر:

سبحان من سبح السبع الطباق له ... حتى لهرثمة الذهلى بواب »

وأنشدنا للأُحَيْمِر (١) :

بِأَقَبَّ مُنْصَلِت اللَّبانِ كأَنَّهُ ... سِيدٌ تَنصلَّ مِن جُحُورِ سَعالِى (٢)

* * *

وقال خَلَفٌ : لَمْ أَرَ أَجمعَ من بيت امرئ القيس :

أَفادَ وجادَ وسادَ وزادَ ... وقادَ وذادَ وعادَ وأَفْضَلْ (٣)

ولا أجمعَ من قوله :

لهُ أَيطَلَا ظَبيٍ وساقا نعامَةٍ ... وإرخاءُ سِرحانٍ وتَقريبُ تَتْفُلِ (٤)

* * *

وقال الآخرَ :

رمَى الفقرُ بِالفِتيانِ حتَّى كأَنَّهُمْ ... بأَقطارِ آفاقِ البِلادِ نُجومُ (٥)

وإنَّ امرأً لم يُقفِرِ العامَ بَيتُهُ ... ولم يَتخدَّدْ لحمُهُ لَلَئيمُ (٦)

---

(١) ل : « للأحمر » عدا ل : « الأحيمر » ، صوابهما ما أثبت من الحيوان (٣ : ٥٢) . وقد مضت ترجمة الأحيمر السعدى فى (٣ : ٢٠٠) .

(٢) الأقب : الضامر البطن ، يعنى الفرس . اللبان ، بالفتح : الصدر ، وقد عنى بالمنصلت الصلت ، وهو البارز المستوى . وهذا الاستعمال مما لم تنص عليه المعاجم . والسيد : الذئب . تنصل . خرج . والسعالى : جمع سعلاة ، وهو الغول فيما يزعمون . يقول . كأنه ذئب خبيث فهو سريع العدو .

(٣) قد جرى على طريقة امرئ القيس هذه أبو العميثل الأعرابى فقال .

اصدق وعف وبر واصبر واحتمل ... واصفح ودار وكف وابذل واشجع

ثم المتنبى فى قوله :

أقل أنل اقطع احمل عل سل أعد ... زد هشّ بش تفضّل ادن سرّ صِلِ

انظر الوساطة ٢٥٣ وشرح العكبرى لديوان المتنبى (٢ : ٧٢) .

(٤) هذا الخبر أيضاً فى الحيوان (٣ : ٥٢ – ٥٣) . والأيطل : الخاصرة . والإرخاء : ضرب من العدو دون التقريب . والسرحان ، بالكسر : الذئب . والتتفل : الثعلب ، وفيه سبع لغات ، فهو كتنصب ، وقنفذ ، ودرهم ، وجعفر ، وزبرج ، وجندب ، وسكر .

(٥) جعلهم كالنجوم فى تفرقها .

(٦) تخدد لحمه : هزل ونقص .

وقال عبد العزيز بنُ زُرارَة الكِلابيُّ (١) :

وليلةٍ مِن لَيالى الدَّهرِ صالِحةٍ ... باشرتُ في هَولِها مَرأًى ومُستمَعا
ونَكبةٍ لَو رمَى الرَّامِى بِها حَجراً ... أَصمَّ مِن جَندَلِ الصَّمَّانِ لا نصَدعا (٢)
مَرَّتْ عَلَىَّ فلم أُطرَح لَها سَلَبى ... ولا استكَنْتُ لها وَهناً ولا جزَعا (٣)
وما أُزالُ على أَرجاءِ مَهْلَكَةٍ ... يُسائِلُ المَعشَرُ الأَعدَاءُ ماصَنَعَا (٤)
ولا رَمَيتُ عَلى خَصم بِفاقِرَةٍ ... إلاَّ رُمِيتُ بِخَصمٍ فُرَّ لِى جَذَعا (٥)
ما سُدَّ مُطَّلَعٌ يُخشَى الهلاكُ به ... إلاَّ وجدتُ بِظَهرِ الغيبِ مُطَّلعَا (٦)
لا يَملأُ الهولُ قلبِى قَبلَ موقعه ... ولا أضِيقُ به صدراً إذا وقعا (٧)

وقال آخر :

لقد طالَ إعراضِى وصفحِى عَن الَّتى ... أُبَلَّـغُ عنكُـمْ والقُلـوبُ قُلـوبُ
وطالَ انتِظارِى عَطفةَ الرَّحِمِ مِنكمُ ... لِيَرْجِعَ وُدٌّ أو يُنِيبَ مُنِيبُ
فلا تَأْمَنُوا مِنِّى عليكمْ شَبِيهَها ... فيَرضَى بَغيضٌ أو يُساءَ حبِيبُ ٣٢٨
وتَظْهرَ مِنَّا فى المَقَامِ ومِنكُمُ ... إذا ما ارتَمَينا فِى النِّضال عُيُوبُ (٨)

---

(١) سبقت ترجمته فى (٢ : ٧٥) .

(٢) الصمان : أرض غليظة متاخمة للدهناء .

(٣) السلب ، بالتحريك ، مايأخذه المحارب من قرنه مما يكون عليه ومعه ، من ثياب وسلاح ودابة . والاستكانة : الخضوع .

(٤) أرجاء : أنحاء ، جمع رجاً . وهذا البيت لم يرو فى ل .

(٥) الفاقرة : الداهية ، كأنها تكسر فقار الظهر . ل : « بنافرة » ، تحريف . وفى حواشى هـ عن نسخة : « بباقرة » . فر ، بالبناء للمفعول : كشف عن أسنانه ليعلم ماسنه . والجذع ، هو من الإبل ما استكمل أربعة أعوام ودخل فى الخامسة ؛ وهو مثل فى الشباب .

(٦) مطلع الأمر : مأتاه ووجهه . وأصل المطلع موضع الاطلاع من مكان عال . وفى هـ : « من مَطْلَع » . وأنشد هذا البيت فى اللسان (طلع) برواية :

ما سد من مطلع ضاقت ثنيته ... إلا وجدت سواء الضيق مطلعا

(٧) الهول : المخافة من الأمر . ما عدا ل : « قبل وقعته ولا يضيق له صدرى » .

(٨) ما عدا ل : « ويظهر منا فى المقال » .

وإنَّ لِسانَ الباحِثِ الدَّاءَ ساخِطاً   بَنى عَمِّنا ، ألوَى البيانِ كَذُوبُ (١)

وقال الأشهبُ بنُ رُمَيلة (٢) :

إنَّ الأُلَى حانت بِفَلْجٍ دماؤُهُمْ   هُمُ القومُ كلُّ القومِ يا أُمَّ خالِدِ (٣)

هُمُ ساعدُ الدَّهرِ الذِى يُتَّقَى بِهِ   وما خير كَفٍّ لا تنوءُ بِسَاعِدِ (٤)

أُسُودُ شَرًى لاقتْ أسُودَ خَفِيَّةٍ   تَساقَوْا على حَرْدٍ دِماءَ الأساوِدِ (٥)

قوله : « هم ساعِدُ الدَّهر » ، إنّما هو مثل ، وهذا الذى تسمِّيه الرواة البديع . وقد قال الراعي :

هُمُ كاهِلُ الدَّهْرِ الَّذى يُتَّقَى بِه   ومَنكِبُهُ إنْ كان لِلدَّهرِ مَنكِبُ

وقد جاء فى الحديث : « موسى الله أحَدُّ ، وساعد الله أشدّ » .

والبديع مقصورٌ على العرب ، ومن أجله فاقت لُغَتُهم كلَّ لغة ، وأرْبَتْ

---

(١) هذا ما فى ل ، هـ . وفى سائر النسخ : « فإن » . الألوى : الشديد الخصومة الجدل السليط .

(٢) سبقت ترجمته فى (٣ : ٦٦ ، ٢١١) .

(٣) فلج : طريق تأخذ من طريق البصرة إلى اليمامة . حانت دماؤهم ، أى هلكت ، والمراد أنه لم يؤخذ لهم بدية ولا قصاص . وقد روى هذا البيت خامس أبيات رواها أبو تمام فى مختار أشعار القبائل منسوبة لحريث بن محفض كما فى الخزانة (٢ : ٥٠٩) ، وهى :

ألم تر أنى بعد عمرو ومالك   وعروة وابن الهول لست بخالد

وكانوا بنى ساداتنا فكأنما   تساقوا على لوح بماء الأساود

وما نحن إلا مثلهم غير أننا   كمنتظر ظمئا وآخر وارد

هم ساعد الدهر الذى يتقى به   وما خير كيف لا تنوء بساعد

والنحويون يروون هذا البيت على هذا الوجه : « وإن الذى حانت » ، يجعلونه شاهدا لورود « الذى » بمعنى الذين مخففة منها . انظر الخزانة وسيبويه (١ : ٩٦) والسيوطى ١٧٥ ومعجم البلدان (فلج) والمؤتلف والمختلف ٣٣ .

(٤) تنوء به : تنهض مثقلة . وقد أنشد عجز هذا البيت فى اللسان (٤ : ٢٠١) شاهداً على أن « ساعد القوم » معناه رئيسهم .

(٥) البيت من الشواهد اللغوية المشهورة الحيوان (٤ : ٢٤٥) والكامل ٢٣ ، ٤٣٨ والعقد (١ : ٥٣) والقالى (١ : ٨) والأضداد ١٩٨ والمقصور ٥٨ والمخصص (١١ : ٤٨) واللسان (حرد) . وشرى : جبل بنجد أو بتهامة مشهور بكثرة السباع . وخفية : أجمة فى سواد الكوفة . والحرد : الغضب . وروى : « على لوح » ، واللوح : العطش : بضم اللام وفتحها . والأساود : جمع أسود ، وهو ضرب من الحيات عنيف أسود اللون .

على كلّ لسان . والرَّاعِي كثير البديع فى شعره ، وبَشَّارٌ حسن البديع ، والعتَّابىّ يذهب فى شعرِهِ فى البديع مذهبَ بشَّار [١] .

وقال كعب بن عدىّ :

شُدَّ العصابَ على البرىءِ بِمَنْ جَنَى ... حتَّى يكونَ لِغيرِهِ تنكيـلا
والجهلُ فِي بعضِ الأُمورِ إذا اغتدَى ... مُستَخرِجٌ للجاهِلينَ عُقولا

وقال زُفَرُ بنُ الحارث [٢] :

إنْ عُدتَ واللهِ الَّذِى فوقَ عرشِهِ ... منحتُكَ مَسنونَ الغِرارينِ أَزْرَقا [٣]
فإنَّ دواءَ الجهلِ أن تُضرَبَ الطُّلَى ... وأَنْ يُغمسَ العِرِّيضُ حتَّى يُغرَّقا [٤]

وقال مبذولٌ العذرىّ : ٣٢٩

ومولًى كضِرسِ السَّوءِ يُؤْذِيك مَسُّهُ ... ولابُدَّ إنْ آذاكَ أَنَّك فاقِرُهْ [٥]
دَوِى الجَوفِ إن يُنزَعْ يَسؤكَ مكانُهُ ... وإنْ يبقَ تُصبِحْ كلَّ يَومٍ تُحاذرُه [٦]
يُسِرُّ لكَ البغضاءَ وهْو مُجامِلٌ ... وما كلُّ من يَجنى عليكَ تُساورُه [٧]

---

(١) ما عدا ل ، هـ : « يذهب شعره فى البديع » ، فقط .

(٢) هو زفر بن الحارث الكلابى ، أحد بنى عمرو بن كلاب . الكامل ٥٣٣ ليبسك وكان قد خرج على عبد الملك بن مروان وظل يقاتله تسع سنين ثم رجع إلى الطاعة . الجهشيارى ٣٥ س ١٥ . وقد سبق فى (٣ : ٢١٦) أنه دخل على عبد الملك بعد الصلح فقال : ما بقى من حبك للضحاك ؟ قال : مالا ينفعنى ولا يضرك . قال : فما منعك من مواساته يوم المرج ؟ قال : الذى منعك من مواساة عثمان يوم الدار ! وزفر كان سيد قيس فى زمانه ، ويكنى أبا الهذيل ، وكان على قيس يوم مرج راهط . وهو القائل :

وقد ينبت المرعى على دمن الثرى ... وتبقى حزازات النفوس كما هيا

المؤتلف ١٢٩ . وكان زفر من التابعين ، سمع عائشة ومعاوية ، وروى عنه ثابت بن الحجاج . شرح شواهد المغنى ٣١٥ . وفى الحيوان (١ : ١٣) : « وقد قال زفر بن الحارث لبعض من لم ير حق الصفح فجعل العفو سبباً إلى سوء القول » . وأنشد البيتين التاليين .

(٣) غرارا السيف : حداه . والأزرق : الشديد الصفاء . الحيوان : « فإن عدت »

(٤) الطلى : الأعناق ، أو أصولها ، جمع طلية أو طلوة ، بضم الطاء فيهما ، أو جمع طلاوة بفتح الطاء . والعريض ، بكسر العين وتشديد الراء المكسورة : الذى يتعرض للناس بالشر .

(٥) فاقره ، أى كاسره .

(٦) الدوى : ذو الداء ، وهو المرض . ما عدا هـ : « يصبح » .

(٧) المساورة : المواثبة .

وما كلُّ مَنْ مَدَّدتَ ثوبَكَ دُونَهُ   لِتَسْتُرَه مِمَّا أتى أَنت ساتِرُه (١)

وقال آخر :

أطالَ اللهُ كَيْسَ بنى رَزِينِ   وحُمْقِى إنْ شَرَيْتُ لهمْ بدَينِ (٢)

أأَكتُبُ إبْلَهُم شاءً وفيها   برِبْعٍ فِصالِها بِنْتا لَبُونِ

فما خُلِقُوا بكَيْسِهِم دُهاةً   ولا مُلْحاءَ بَعْدُ فيعجِبُونى (٣)

وقال آخر (٤) :

عفاريتاً عَلَىَّ وأُكْلَ مالِى   وعجزاً عنْ أُناسٍ آخرِينا

فهلاً غيْرَ عمِّكُمُ ظَلمتُمْ   إذا ما كُنتمُ مُتظَلِّمينا

فلوْ كنتُمْ لِكَيِّسةٍ أكاستْ   وكَيْسُ الأُمِّ أكْيَسُ لِلبنينا

وقالت رُقَيَّةُ بنت عبد المطَّلب (٥) فى النبى ﷺ :

أَبُنَىَّ إنى رَابَنى حَجَرٌ   يَغْدُو بكَفِّكَ حيثُما تَغْدُو

وأَخافُ أَن تَلْقَى غَوِيَّهُمُ   أَوْ أَنْ يُصيبَكَ بَعدُ مَن يعدُو

ولما دخل مكة (٦) لقيه جواريها يقُلْن :

طَلَعَ البَدرُ علينا   مِنْ ثَنِيَّاتِ الوَداعْ (٧)

---

(١) ما عدا ل ، هـ : « لتستر مما قد أتى » .

(٢) مضت الأبيات فى (٢ : ٢٥٢) . وفى هذا البيت سناد . وفى هـ : « بدينى » .

(٣) ل فقط : « فيعذرونى » .

(٤) هو رافع بن هريم ، كما سبق تحقيقه فى (١ : ١٨٥) ، وقد أنشد الجاحظ الأبيات التالية أيضاً فى (٢ : ٢٥٣) .

(٥) كذا ، وليس فى عماته ﷺ من تدعى « رقية » ، فلعل صوابها « صفية » . وقد سبق لصفية شعر فى (٣ : ٣٦٣) . وذكر الزرقانى فى شرحه للمواهب اللدنية (٣ : ٣٤٣) أسماء عماته عليه السلام ، وقال : إن جملتهن ست بلا خلاف : عاتكة ، وأميمة ، والبيضاء أم حكيم ، وبرة ، وصفية ، وأروى .

(٦) هذا قول من قال إن الشعر التالى قيل فى عودته من تبوك ، أو عند فتح مكة . والأشهر أنه قيل عند قدومه المدينة .

(٧) هى ثنية الوداع ، مضافة إلى واد بمكة يقال له « الوداع » . وفى معجم البلدان أنه واد بالمدينة . وفى اللسان : « والوداع : واد بمكة ، وثنية الوداع منسوبة إليه . ولما دخل النبى =

وجَبَ الشُّكرُ علينا … مَا دعا لِلهِ داعْ

* * *

٣٣٠ يضاف إلى باب الخطب

وإلى القول فى تلخيص المعانى والخروج من الأمر المشبه بغيره ، قولُ حسانَ بنِ ثابتٍ الأنصارىّ :

إنَّ خالِى خطيبُ جابِيةِ الجَوْ … لانِ عِندَ النُّعمانِ حِينَ يقومُ (١)
وهُو الصَّقرُ عِندَ باب ابنِ سَلمَى … يومَ نُعمانُ فى الكُبُولِ مُقِيمُ (٢)
وَسَطَتْ نُسبتى الذَّوائِبَ مِنهمْ … كلُّ دارٍ فِيها أَبٌ لِى عظيمُ
وأبِى فى سُمَيْحَةَ القائِلُ الفا … صِلُ يومَ التفَّتْ عليهِ الخصومُ
يَصِلُ القولَ بالبَيانِ وذُو الرَّأْ … يِ مِنَ القومِ ظالِعٌ مكعُومُ
تِلك أفعالُهُ،وفِعلُ الزِّبَعْرَى … خامِلٌ فى صدِيقِهِ مذمُومُ
رُبَّ حِلمٍ أَضاعَه عَدَمُ الْما … لِ وجهلٍ غطَّى عليهِ النَّعِيمُ
ولِىَ البأسُ مِنكُمْ إذْ أبيتمْ … أُسرةٌ مِن بَنى قصىٍّ صَمِيمُ (٣)
وقُريشٌ تَجُولُ مِنَّا لِواذاً … أنْ يُقِيمُوا وخَفَّ مِنها الحلومُ (٤)
لم يُطِقْ حَملَهُ العَواتِقُ مِنهُمْ … إنَّما يَحْمِلُ اللِّواءَ النُّجومُ (٥)

* * *

ولما دَفن سليمان بن عبد الملك أَيُّوبَ ابنَه وقف ينظر إلى القبر ثم قال :

= ﷺ مكة يوم الفتح استقبله إماء مكة يصفّقن ويقلن » . وأنشد البيتين . وانظر للخلاف فى « ثنية الوداع » الزرقانى على مواهب القسطلانى (١ : ٤٣٢ - ٤٣٤) .

(١) سبق الكلام على تخريج القصيدة وتفسيرها فى (٢ : ٣٢٥ - ٣٢٦) .

(٢) ل ، هـ : « سقيم » .

(٣) فى جميع النسخ : « ولى للناس » . وانظر ما سبق من الكلام على البيت .

(٤) ما عدا ل : « يحول منا » ، تحريف .

(٥) ل : « السوابق منهم » .

كُنتَ لنا أُنساً ففارقتنا فالعيشُ مِن بعدِكَ مُرُّ المذاقْ

وقُرِّبت دابّته فركِب ووقف على قبره ، وقال :

وُقُوفٌ عَلَى قبرٍ مُقِيمٍ بِقَفْرَةٍ مَتاعٌ قَلِيلٌ مِن حبيبٍ مُفارِقِ

ثم قال : عليك السلام ! ثم عطَفَ رأسَ دابّته ، وقال :

٢٣١ فإنْ صبَرْتُ فلم ألفِظْكَ مِن شِبَعٍ وإنْ جزِعتُ فعِلْقٌ مُنْفِسٌ ذَهبا (١)

* * *

المدائنى قال (٢) : لما مات محمد بن الحجاج جزِع عليه فقال : إذا غسَّلتموه فأعلمونى . فلمّا نظر إليه قال :

الآنَ لمّا كُنتَ أكرمَ مَن مشَى وافترَّ نابُكَ عن شَباةِ القارِحِ (٣)

وتكامَلَتْ فِيكَ المروءَةُ كُلُّها وأعنْتَ ذلِكَ بالفَعالِ الصَّالِحِ

---

(١) العلق ، بالكسر : النفيس من كل شيء . والمنفس : النفيس أيضاً .

(٢) الخبر التالى برواية مخالفة فى أمالى القالى (٣ : ٧) : « عن أبى عبيدة قال : لما هلك أبان بن الحجاج – وأمه أم أبان بنت النعمان بن بشير – فلما دفنه قام الحجاج على قبره فتمثل بقول زياد الأعجم » . وأنشد البيتين اللذين رواهما الجاحظ ثم قال : فلما انصرف إلى منزله قال : أرسلوا خلف ثابت بن قيس الأنصارى . فأتاه فقال : أنشدنى مرثيتك فى ابنك الحسن . فأنشده :

قد أكذب الله من نعى حسناً ليس لتكـذيب موتـه ثمن

أجول فى الدار لا أراك وفى الدا ر أنـاس جوارهـم غبـن

بدلتهم منك ليت أنهم أضحوا وبينى وبينهم عدن

فقال له الحجاج : ارث ابنى أبانا . فقال له : إنى لا أجد به ما كنت أجد بحسن ! قال : وما كنت تجد به ؟ قال : ما رأيته قط فشبعت من رؤيته ، ولا غاب عنى قط إلا اشتقت إليه ! فقال الحجاج . كذلك كنت أجد بأبان . وفى الشعر والشعراء ٣٩٧ أن الحجاج تمثل بالبيتين عند موت ابنه (يوسف) .

(٣) البيتان من قصيدة لزياد الأعجم يرثى بها المهلب بن المغيرة . انظر الأغانى (١٤ : ٩٩) والأمالى (٣ : ٨ – ١١) والشعر والشعراء . افتر : بدا ولمع . وشباة كل شيء : حده . والقارح : الفرس استتم الخامسة ودخل فى السادسة ، يقال قرح إذا سقطت سنه التى تلى الرباعية ونبت مكانها نابه ، وبذلك تتكامل أسنانه . عنى أنه قد استتم شبابه وعقله . فى الأمالى والشعراء : « لما كنت أكمل من مشى » .

ثم أتاه موتُ أخيه محمّدِ بنِ يوسفَ فقال :

حَسْبى ثوابُ اللهِ مِن كلِّ ميِّتٍ   وحسبْى بقاءُ اللهِ مِن كلِّ هالِكِ
إذا ما لِقيتُ اللهَ عنِّى راضِيًا   فإنَّ شِفاءَ النَّفْسِ فيما هُنالِكِ

* * *

وتمثّل مُعاوية فى عبد الله بن بُدَيل (١) :

أخُو الحَربِ إن عَضَّتْ بِهِ الحَربُ عَضَّها
وإن شَمَّرت عن ساقِها الحربُ شَمَّرا (٢)
ويدنو إذا ما الموتُ لم يَكُ دُونهُ
قِدَى الشِّبْرِ يَحمِى الأَنفَ أَن يتأَخَّرا (٣)

ورأى معاويةُ هُزالَه وهو مُتَغيِّرٌ ، فقال :

أَرَى اللَّيالِى أَسْرَعَت فى نَقضِى (٤)   أَخذنَ بعضِى وتركنَ بَعضِى
حَنَيـنَ طولى وتركْـــنَ عَرْضِى   أقعدنَنى مِنْ بعدِ طُولِ النّهضِ

* * *

وتمثل عبدُ الملك حين وثب بعمرو بن سعيد الأشدق (٥) :

---

(١) هو عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعى ، أسلم يوم الفتح مع أبيه ، وشهد حنيناً والطائف وتبوك ، وشهد صفين مع على وقتل بها . الإصابة ٤٥٥٠ . وانظر خبَر مصرعه وبطولته فى وقعة صفين لنصر ابن مزاحم ٢٧٦ – ٢٧٨ .

(٢) البيتان لحاتم الطائى ، من قصيدة له فى ديوانه (خمسة دواوين العرب ١٢١ – ١٢٢)

(٣) قدى الرمح ، بكسر القاف مع القصر ، أى قدره ، كأنه مقلوب من قيد ، بالكسر يقال قدى رمح ، وقيد رمح ، وقاد رمح . وقد نسب هذا البيت فى اللسان (٢٠ : ٣٢) إلى هدبة بن الخشرم.وروايته فى وقعة صفين : « ويحمى إذا ما الموت كان لقاؤه » . وفى الديوان واللسان :

وإنى إذا ما الموت لم يك دونه   قدى الشبر أحمى الأنف أن يتأخرا

وفى اللسان : « أن أتأخرا » .

(٤) الرجز فى ملحقات ديوان العجاج ٨٠ .

(٥) سبقت ترجمته فى (١ : ٣١٤) .

سَكَّنْتُهُ لِيقِلَّ مِنِّى نَفْرُهُ فأَصُولَ صَولةَ حازِمٍ مُستمِكنِ
غضَباً ومَحْمِيةً لِنَفْسِىَ إنَّهُ ليسَ المسىءُ سبيلُهُ كالمُحسنِ (١)

وسمع معاويةُ رجلا يقول :

ومَنْ كريمٌ ماجدٌ سَمَيْدَعُ (٢) يُؤْتَى فيُعطِى مِن نَدًى ويمْنَعُ

٣٣٢ فقال : هذا منا ، وهذا واللهِ عبدُ الله بن الزُّبير .

المدائنى قال : قال معاوية : « إذا لم يكن الهاشمىُّ جواداً لم يُشبِه قومَه ، وإذا لم يكن المخزومىُّ تَيَّاها لم يُشبِه قومه ، وإذا لم يكن الأموىُّ حليماً لم يُشبه قومَه » . فبلغ قولُه الحسنَ بنَ علىّ رضى الله تعالى عنهما فقال : ما أحسَنَ ما نظر لنفسه ! أراد أن تجود بنو هاشم بأموالها فتفتقر إلى ما فى يديه ، وتُزْهى بنو مخزومٍ على الناس فتُبغَض وتُشنَأ ، وتحلُم بنو أميّة فتحَبّ .

وقال بشار :

أَحسِنْ صِحَابتَنا فإنَّكَ مُدْرِكٌ بعضَ اللَّبانَةِ باصطِناعِ الصَّاحبِ
وإذا جَفوتَ قَطَعْتُ عَنْكَ لُبانتى والدَّرُّ يَقطعُهُ جَفاءُ الحالِبِ
تأتِي اللَّئيمَ ، وما سَعَى ، حاجاتُهُ عَددَ الحَصى ويَخِيبُ سعىُ الدَّائبِ (٣)

وأنشد :

إذا ما أُمورُ النّاس رَثّتْ وضُيِّعَتْ وجدْتُ أُمورِى كلَّها قَدْ رَمَمْتُها

وقال أعرابىّ :

نَدِينُ ويَقضِى اللهُ عَنَّا وقَد نَرَى مكان رِجالٍ لا يدِينُونَ ضُيَّعا

---

(١) المحمية ، من قولهم حمى الشىء يحميه حمياً ، وحِمى ، وحماية ، ومحمية ، أى منعه ودفع عنه .
(٢) السميدع : الشجاع .
(٣) فى المختار من شعر بشار ٤٥ : « تأتى المقيم » ، وهو الأوفق .

وقال أعرابىّ :

وليس قَضاءُ الدَّيْنِ بالدَّينِ راحةً   ولكِنَّهُ ثِقْلٌ مُمِضٌّ إلى ثِقلِ

وأنشد أبو عبيدة لعُبيدٍ العنبرىّ (١) ، وهو أحد اللُّصوص :

يارَبِّ عفْوَك عن ذِى توبةٍ وَجِلٍ   كأنَّهُ مِن حِذارِ النَّاسِ مجنونُ
قد كانَ قدّم أعمالاً مُقَارِبَةً   أيَّامَ لَيْس له عقلٌ ولا دِينُ (٢)

وقال أعرابىّ :

يارَبِّ قد حَلفَ الأقوامُ واجْتهَدُوا   أيمانَهُمْ أنَّنى مِنْ ساكِنِى النَّارِ
أيَحْلفُونَ على عمياءَ وَيْلَهُمْ   جهلاً بِعفوِ عظِيمِ العفوِ غفَّارِ

وقال أعرابىّ وهو محبوس :

أقيداً وسجناً واغتِرَاباً وفُرقةً   وذِكرَى حبيبٍ إنَّ ذا لعظيمُ (٣)
وإنَّ امرأً دَامَت مواثِيقُ عهدِهِ   على كلِّ ما لاقيتُهُ لكَرِيمُ (٤)   ٣٣٣

وقال أعرابى :

يا أُمَّ عَمرٍو بيِّنى أنتِ كُلَّما   تَرفَّعَ حادٍ أو دعا كلُّ مُسْلِمِ
نَظَرْتُ إليْها نظرة مَا يسُرُّنى ،   وإنْ كُنتُ محتاجاً ،بها أَلْفُ دِرْهَمِ (٥)

---

(١) عبيد بن أيوب ، أحد بنى العنبر بن عمرو بن تميم ، وكان جنى جناية فطلبه السلطان وأباح دمه ، فهرب فى مجاهل الأرض وأبعد ، لشدة الخوف . وكان يخبر فى شعره أنه يرافق الغول والسعلاة ، ويبايت الذئاب والأفاعى ، ويأكل مع الظباء والوحش . الشعر والشعراء ٧٥٨ واللآلىء ٣٨٣ .

(٢) ما عدا ل : « أيام سلف أعمالا » .

(٣) أنشدهما فى الحيوان (٧ : ١٥٩) منسوبين إلى بعض اللصوص ، وهما مما اختاره أبو تمام فى حماسته (٢ : ١١١) . ما عدا ل : « أسجناً وقيداً واغتراباً ووحشة وذكرى » . الحيوان : « أقيد وحبس واغتراب وفرقة وهجر حبيب » . الحماسة : « أسجناً وقيداً واشتياقاً وغربة ونأى حبيب » .

(٤) الحيوان : « على عشر ما بى إنه لكريم » . الحماسة : « على مثل ماقاسيته لكريم » .

(٥) بها ، أى بدلها .

وقال الشاعر :

وما كَثرةُ الشَّكوَى بأمرٍ حَزامةٍ
ولا بُدَّ مِن شكوَى إذا لم يكن صبرُ (١)

ومثله :

وأَبْثثتُ بَكراً كلَّ ما فِي جوانحي ... وجرَّعْتُهُ مِنْ مُرِّ ما أَتجرَّعُ (٢)
ولا بُدَّ مِنْ شَكْوَى إلى ذِى حَفيظَة ... إذَا جعلَتْ أَسْرارُ نفْسى تَطلَّعُ (٣)

وقال الشاعر (٤) :

حَسدُوا الفتىَ إذ لمْ يَنالُوا سعيَهُ ... فالقومُ أعداءٌ لهُ وخُصومُ (٥)
كضَرائرِ الحَسناءِ قُلْنَ لِوجهِها ... حَسَداً وبغياً : إنَّهُ لَدمِيمُ

وقال بُزُرْجِمِهْر : ما رأينا أشبه بالمظلوم من الحاسد (٦) .

وقال الأحنفُ بنُ قَيس : لا راحة لحسود (٧) .

---

(١) عجز هذا البيت فى الحيوان (١ : ٢٠٢) . وسبق فى (٣ : ٢٢٠) . وقد نسب فى حماسة البحترى ١٩٧ لمالك بن حذيفة النخعى .

(٢) البيتان لبشار فى المختار من شعره ١٤٥ وأمالى القالى (٣ : ٢١٩) .

(٣) هـ : « نفس » .

(٤) هو أبو الأسود الدؤلى ، والبيتان التاليان من قصيدة له رواها السيوطى فى شرح شواهد المغنى ١٩٤ ، ٢٦٤ ، ونقلها البغدادى فى الخزانة (٣ : ٦١٨ - ٦١٩) . وللمتوكل بن عبد الله الليثى قصيدة من هذا البحر والروى يدخل الرواة فيها قول أبى الأسود :

لا تنه عن خلق وتأتى مثله ... عار عليك إذا فعلت عظيم

انظر المرجعين المتقدمين ، وكذا الأغانى (١١ : ٣٧) والمؤتلف ١٧٩ والمرزبانى ٤١٠ وحماسة البحترى ٢٧٣ . على أن هذا البيت يروى أيضاً للطرماح ، ولحسان ، وللأخطل ، ولسابق البربرى . انظر شرح شواهد المغنى ، وسيبويه (١ : ٤٢٤) .

(٥) يقوله فى ابنه ، وقد تضمنت القصيدة نصائح ووصايا كثيرة . والبيتان بدون نسبة فى عيون الأخبار (٢ : ٩) .

(٦) نسب الجاحظ هذا القول فى رسالة الحاسد والمحسود ٣ إلى بعض الأعراب بهذا اللفظ : « ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم من الحاسد » . وفى عيون الأخبار (٢ : ٩) : « قال ابن المقفع : أقل ما لتارك الحسد فى تركه أن يصرف عن نفسه عذاباً ليس بمدرك به حظا ، ولا غائظ به عدوا ، فإنا لم نر ظالما أشبه بمظلوم من الحاسد : طول أسف ، ومحالفة كآبة ، وشدة تحرق » . وفى العقد (٢ : ٣١٩ لجنة التأليف) : « وقال الحسن : ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم من حاسدٍ : نفس دائم ، وحزن لازم ، وغم لا ينفد » .

(٧) الكلمة بتمامها فى عيون الأخبار (٢ : ١٠) : « لا صديق لملول ، ولا وفاء =

وقال الشعبى : الحاسد منغَّص بما فى يد غيره [١] .

وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ ومِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إذَا حَسَدَ ﴾ .

وقال بعضهم يمدح أقواماً :

مُحَسَّدُونَ وشرُّ النَّـاسِ منزِلـةً   مَنْ عاش فى النَّاسِ يوْماً غيرَ محسودِ

وقال الشاعر :

الرِّزْق يَأْتى قَدَراً على مَهَلْ   والمرءُ مطبوعٌ على حُبِّ العَجَلْ

وقالوا : « من تمام المعروف تعجيلُه » .

ووصف بعضُ الأعراب أميراً فقال : إذا أوعد أخّر ، وإذا وعَدَ عجَّل ؛ وعيده عفو ، ووعدُه إنجاز .

وقال تبارك وتعالى : ﴿ وَكَانَ الإِنْسَانُ عَجُولاً ﴾ .

* * *

ودخل عَمرو بنُ عُبَيدٍ على المنصور وهو يومئذٍ خليفة – وروى هذا الحديث العُتبىُّ عن عتبة بن هارون قال :

شهدته وقد خرج مِن عنده ، فسألتُه عمّا جرى بينهما فقال : رأيتُ عنده ٣٣٤
فتًى لم أعرفْه [٢] فقال لى : يا أبا عثمان ، أتعرفُه ؟ فقلت : لا . فقال : هذا ابنُ أمير المؤمنين وولىُّ عهد المسلمين . فقلت له : قد رضيتَ له أمراً يصير إليه إذا صار وقد شُغِلتَ عنه ! فبكى ثم قال : عِظْنى يا أبا عثمان ؟ فقلت : إنّ الله قد أعطاك الدُّنيا بأسْرِها ، فاشترِ نفسَك منه ببعضها ، فلو أنّ هذا الأمرَ الذى

= لكذوب ، ولا راحة لحسود ، ولا مروءة لبخيل ، ولا سؤدد لسيِّئ الخلق » . ونسب القول فى العقد (٢ : ٣١٩) إلى على بن أبى طالب : « لا راحة لحسود ، ولا إخاء لملول ، ولا محب لسيِّئ الخلق » .

(١) هـ : « فى يدىْ غيره » .

(٢) هو ابنه المهدى ، كما فى العقد (٣ : ١٦٤ طبع لجنة التأليف) .

صار إليك بقى فى يدَىْ مَن كان قبلك لم يصِلْ إليك . وتذكَّرْ يوماً يتمخّض بأهله لا ليلةَ بعده (١) .

* * *

المدائنى قال : سمعت أُعرابيًّا يسأل وهو يقول : « رَحِم الله امرأ لم تُمجّ أذنُه كلامى ، وقدّم لنفسه مَعاذةً من سوء مقامى (٢) ، فإنّ البلادَ مجدبة ، والحالَ سيئّة ، والعقلَ زاجر ينهى عن كلامكم ، والفقر عاذر يحملنى على إخباركم (٣) ، والدُّعاءَ أحدُ الصَّدَقتين ، فرحم الله أمرأً أمر بمَيْرٍ (٤) ، أو دعا بخير » .

وقال رجل من طيِّىء :

قَتَلنا بقَتلانا مِنَ القومِ مِثلَهُم ... كِراماً ولم نأْخُذْ بهِمْ حَشَفَ النَّخْلِ (٥)

وقال آخر :

قَتَلْنا رجالاً من تَميمٍ أخايراً ... بقَومٍ كِرامٍ مِنْ رجالٍ أخايرِ

وسئل بعضُ العرب : ما العقل ؟ قال : الإصابة بالظُّنون ، ومعرفة ما لم يكن بما قد كان .

---

(١) فى عيون الأخبار (٢ : ٣٣٧) : « واذكر ليلة تمخض عن يوم لا ليلة بعده » . وزاد بعد ذلك فى الخبر : « فوجَم أبو جعفر من قوله فقال له الربيع : ياعمرو ، غممت أمير المؤمنين ! فقال عمرو : إن هذا صحبك عشرين سنة لم ير لك عليه أن ينصحك يوماً واحداً ، وما عمل وراء بابك بشىء من كتاب الله ولا سنة نبيه ! قال أبو جعفر : فما أصنع ! قد قلت لك : خاتمى فى يدك فتعال وأصحابك فاكفنى . قال عمرو : ادعنا بعدلك تسخ أنفسنا بعونك ، ببابك ألف مظلمة اردد منها شيئاً نعلم أنك صادق » . وروى صاحب العقد أن عمرا لما خرج أتبعه أبو جعفر بصُرَّةٍ فلم يقبلها وجعل يقول :

كلكم يمشى رويد ... كلكم خاتل صيد

* غير عمرو بن عبيد *

(٢) المعاذة والمعاذ : مايعاذ به ويلجأ إليه .

(٣) ما عدا ل : « والفقر عازم » . ب ، حـ : « على أخباركم » .

(٤) المير : مصدر ماره ، أى أتاه بميرة ، وهى الطعام .

(٥) فيما عدا ل : « حشف التمر » . وأشير فى حواشى هـ إلى رواية : « حشف النخل » عن نسخة .

وقال جريرٌ يعاتب المهاجر بنَ عبد الله (١) :

يا قَيْسَ عَيْلانَ إنِّى قد نَصبتُ لكمْ ... بالمَنْجَنيقِ ولمّا أُرسِلِ الحَجرا (٢)

فوثب المهاجرُ فأخذ بحَقْوه وقال : لك العُتْبى يا أبا حَزْرة (٣) لا ترسِلْه ! وقال سُوَيد بن صامت (٤) :

ألا رُبَّ مَنْ تدعُو صديقاً ولوْ تَرى ... مقالتَهُ بالغَيبِ ساءَكَ مايَفرى (٥)

مقالتُه كالشَّحمِ مادامَ شاهِداً ... وبالغيب مأثورٌ على ثُغرةِ النَّحرِ (٦)

تُبينُ لكَ العَينانِ ماهو كاتِمٌ ... مِنَ الشرِّ والبغضاءِ بالنَّظر الشَّزْرِ (٧) ٣٣٥

يسُرُّكَ بادِيه وتحتَ أُديمِــهِ ... نَميمةُ غِشٍّ تَبتَرِى عَقَبَ الظَّهرِ (٨)

فَرِشْنى بخيرٍ طالما قد بَرَيتَنى ... وخَيْرُ الموالى مَن يَريشُ ولا يَبْرى (٩)

وقال حارثة بن بدر ، لما تحالفت الأزدُ وربيعة :

لا تحسبنَّ فُؤادى طائراً فَزِعاً ... إذا تحالفَ ضبٌّ البرِّ والنُّونُ (١٠)

---

(١) ترجم فى ص ٤٦ من هذا الجزء .

(٢) المنجنيق : آلة من آلات الرمى فى القتال . والبيت مما لم يرو فى ديوان جرير .

(٣) أبو حزرة : كنية جرير ، وحزرة : ولد له . العتبى : الرضا .

(٤) هو سويد بن الصامت بن حارثة بن عدى بن قيس بن زيد بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج الأنصارى ، وكان ممن شهدا أحدا . الإصابة ٣٥٩٢ .

(٥) الفرى : الكذب والاختلاق ، والمبالغة فى النكاية .

(٦) تشبيه القول الطيب بالشحم من نادر التشبيه . وعند الزجاجى : « كالشهد » . والمأثور : السيف الذى يقال إن الجن عملته . والثغرة ، بالضم : نقرة النحر .

(٧) ل : « بالبغضاء والنظر » .

(٨) تبترى : تبرى وتأخذ منه . والعقب ، بالتحريك : عصب المتنين ، وهو يختلط باللحم ، يمشق منه مشقا ويهذب وينقى من اللحم ، ويعمل منه الوتر .

(٩) رشنى ، هو من قولهم راش السهم : جعل له ريشا . وفى اللسان : « ورشت فلانا ، إذا قويته وأعنته على معاشه وأصلحت حاله » . وأنشد البيت شاهدا لذلك منسوباً إلى « عمير بن حباب » . لكنه نسب فى تاج العروس إلى « سويد الأنصارى » . وأنشده ابن فارس فى مقاييس اللغة (ريش) بدون نسبة . وانظر عيون الأخبار (٣ : ٨١) وأمالى للقالى (٢ : ١٩٨) والزجاجى ٢٨ والمجتنى لابن دريد ٨٦ .

(١٠) هذا مثل لوقوع المحال ؛ إذ أن الضب برى ، والنون وهو الحوت بحرى . انظر الحيوان (٧ : ٢٣٥ - ٢٣٦) . ل : « طائرا جزعا » .

وأنشد ابنُ الأعرابىّ لأعرابىّ :

فإنْ أكُ قَصداً فى الرِّجالِ فإنَّنى إذا حلَّ أمرٌ ساحتى لَجَسِيمُ [١]
تُعَيِّرنى الإعدامَ والوجهُ مُعْرِضٌ وسَيفى بأموالِ التِّجارِ زعيمُ [٢]

وأنشد ابنُ الأعرابى لعمرو بن شأس [٣] :

مَتى يَبلغُ البُنيانُ يوماً تمامَهُ إذا كُنتَ تَبنيهِ وآخَرُ يَهدِمُ

وقال عَبيد بن الأبرص :

ساعِدْ بأرْضٍ إذا كُنتَ بها ولا تَقُلْ إنَّنـــى غَريبُ [٤]
قد يُوصَلُ النَّازحُ النَّائى وقد يُقْطَعُ ذُو السُّهمةِ القريب [٥]

وأنشد الأصمعىُّ لكثيِّر :

رأيْتُ أبا الوَليدِ غَدَاةَ جَمْعٍ به شَيبٌ وما فقدَ الشَّبابا [٦]
ولكنْ تحتَ ذاكَ الشَّيبِ حَزْمٌ إذا ماظَنَّ أمرَضَ أو أُصابا [٧]

ويَمدحون بإصابة الظن ويذمّون بخَطَائه [٨] . قال أوس بن حجر :

---

(١) القصد : الذى ليس بالجسيم ولا الضئيل . ما عدا ل ، هـ : « لحليم » ، تحريف .

(٢) الوجه ، عنى به وجه الكسب . معرض : ظاهر مستبين . أراد أن حصوله على المال أهون الأمور عليه ، فما هو إلا أن يجرّد سيفه على التجار حتى يحتاز منهم ما يطلب .

(٣) عبارة الإنشاد والبيت بعدها ساقطان من ل .

(٤) البيت من قصيدته المشهورة التى مطلعها :

أقفر من أهله ملحوب فالقطبيات فالذنـوب

وهى فى ديوانه وشرح القصائد العشر للتبريزى .

(٥) النازح : البعيد . والسهمة ، بالضم : القرابة ، كما فى اللسان (سهم) عند الاستشهاد بهذا البيت .

(٦) البيتان فى الحيوان (٣ : ٦٠) واللسان (مرض) بدون نسبة فى الأخير . أبو الوليد : كنية عبد الملك ابن مروان . وجمع ، هى المزدلفة . فى جميع النسخ : « وقد فقد الشبابا » ، صوابه من الحيوان واللسان . يريد أنه وإن فقد مظهر الشباب فهو متمتع بأخص صفاته .

(٧) أمرض : قارب الصواب فى الرأى وإن لم يصب كل الصواب .

(٨) ل : « بخطئه » ، وهما سيان .

الأَلمعىُّ الذى يَظُنُّ بكَ الظّـ ـنَّ كأنْ قد رَأى وقد سَمِعا (١)

وفى بعض الحكمة : « من لم يَنتفع بظنِّه لم ينتفع بيقينه » .

وقال السموأل بن عاديا :

وإنَّا لقومٌ مانَرى القتْلَ سُبَّةً   إذا ما رأتهُ عامِرٌ وسَلولُ (٢)
يُقرِّبُ حُبُّ الموتِ آجالَنا لنا   وتكرهـهُ آجالُهـمْ فتطُـول ٣٣٦
تَسيل على حدِّ السُّيوفِ نُفوسُنا   وليستْ على غير السُّيوفِ تسيل (٣)
وما ماتَ مِنَّا ميِّتٌ فى فِراشِهِ   ولا طُلَّ مِنَّا حيث كانَ قَتيل (٤)

وقال حَسَّان بن ثابت :

لمْ تَفُتْها شمسُ النهارِ بشىءٍ   غيرَ أنّ الشبابَ ليسَ يدَومُ (٥)
لو يدِبُّ الْحَولىُّ مِن وَلدِ الذَّ   رِّ عليها لأنـدَبَتها الكُلـــومُ (٦)

---

(١) ديوان أوس بن حجر ١٣ والحيوان (٣ : ٥٩) . وهو من أبيات فى ديوانه والأغانى (١٠ : ٨) ، يرثى بها فضالة بن كلدة ، وكان قد أسدى إليه فى حياته جميلا هو وابنته حليمة بنت فضالة . قال أبو الفرج : « ومن فاضل مراثية إياه ونادرها » ، وأنشد القصيدة .

(٢) قصيدة الأبيات فى أمالى القالى (١ : ٢٦٩) والحماسة (١ : ٢٨ – ٣١) . والبيتان الأولان فى الحيوان (٦ : ٤٢٣) . وهذا البيت ليس فى ل . وروى فى الحيوان مؤخراً عن تاليه برواية : « لأنا أناس لا نرى » .

(٣) فى الأمالى : « على حد الظبات » . وفى الحماسة : « على غير الظبات » .

(٤) ما عدا ل : « سيد فى فراشه » . وفى الأمالى والحماسة : « وما مات منا سيد حتف أنفه » .

(٥) البيتان من قصيدة له فى ديوانه ٣٧٦ – ٣٨٠ والسيرة ٦٢٥ – ٦٢٦ جوتنجن . وفى الديوان : « لم تفقها » . وروى : « لم تقتها شمس النهار بشىء » .

(٦) ليس المراد بالحولى هنا ما أتى عليه الحول من الذر ، وإنما جعله فى صغره كالحولى من ولد الحافر ونحوه . والذر : صغار النمل . أندبتها : أثرت فيها . والكلوم : الجروح ، جمع كلم بالفتح . وانظر زهر الآداب (٤ : ٢١٥) . ومثله قول حميد بن ثور :

منعمة بيضاء لو دب محول   على جلدها بضت مدارجه دما

وأبلغ منهما قول امرئ القيس :

من القاصرات الطرف لو دب محول   من الذر فوق الإتب منها لأثرا

وقال بشّار بن بُرْد :

مِن فَتاةٍ صُبَّ الجمالُ عليها ... فى حديثٍ كلذَّةِ النَّشوانِ (١)

ثمَّ فارقتُ ذاكَ غيرَ ذَميمٍ ... كلُّ عيشِ الدُّنيا وإنْ طالَ فانِ

وقال مزاحمٌ العُقيلىّ :

تَزِينُ سَنا الماوِىِّ كلَّ عَشيَّةٍ ... على غَفلاتِ الزَّينِ والمتَجَمَّلِ (٢)

وجوهٌ لوَ انَّ المُدْلِجينَ اعتَشَوْا بها ... صَدعَنَ الدُّجَى حتى تَرى الليلَ يَنجلى (٣)

وقال المسعودىّ :

إنَّ الكِــرَامَ مُناهبــو ... كَ المجدَ كُلُّهُمُ فَناهِبْ (٤)

أَخْلِفْ وأَتلِفْ ، كلُّ شَـ ... ـىْءٍ زَعْزَعَتْهُ الرِّيحُ ذاهبْ

* * *

قال : قام شدّاد بن أوس (٥) وقد أمره معاويةُ بِتنقُّصِ علىّ ، فقال :

الحمد لله الذى افترض طاعتَه على عباده ، وجعَلَ رضاه عند أهل التقوى آثَرَ مِن رضا خلقِه ، على ذلك مَضَى أوّلُهم ، وعليه يمضى آخِرهُم . أيُّها الناس ،

---

(١) سبق إنشاد البيتين فى (٣ : ٢٥٢) .

(٢) سبق البيتان والكلام عليهما فى (٣ : ٢٥٢) .

(٣) ثعلب وما عدا ل : « وجوها » .

(٤) سبق البيتان فى (٣ : ١٩٤ ، ٢٥٢) ، وهما وعبارة إنشادهما ساقطان من ل .

(٥) هو أبو يعلى شداد بن أوس بن ثابت بن المنذر الخزرجى ، وهو ابن أخى حسان بن ثابت ، وقد وقع فى جمهرة خطب العرب (٣ : ٣٦٩) أنه « طائى » وليس كذلك . وكان شداد من أهل الورع والزهد . وكان أبو الدرداء يقول : « إن لكل أمة فقيهاً ، وإن فقيه هذه الأمة شداد بن أوس » . ويقول عبادة بن الصامت : « من الناس من أوتى علماً ولم يؤت حلماً » . وقال حسان بن عطية : « كان شداد ابن أوس فى سفر فنزل منزلا فقال لغلامه : ائتنا بالسفرة (نعبث بها) . فأنكرت عليه فقال : ما تكلمت بكلمة منذ أسلمت إلا وأنا أخطمها أو أزمها غير كلمتى هذه ، فلا تحفظوها عنى » . توفى بفلسطين أيام معاوية سنة ٥٨ . الإصابة ٣٨٨٢ وصفة الصفوة (١ : ٢٩٦ – ٢٩٨) والبيان (١ : ١٩١ / ٣ : ١٥٧) .

إنّ الآخرةَ وعدٌ صادق ، يحكم فيها مَلِكٌ قادر ، وإنَّ الدُّنيا عَرَضٌ حاضر ، يأكل منه البَرّ والفاجر (١) ، وإنّ السَّامعَ المطيعَ لله لا حجّة عليه ، وإنّ السامع العاصىَ لله لا حجّة له ، وإنّ الله إذا أراد بالعباد صَلاحاً عَمِلَ عليهم صلحاؤُهم ، وقَضى بينهم فقهاؤهم ، وملكَ المالَ سمحاؤهم ؛ وإذا أراد بهم شراً عَمِلَ عليهم سفهاؤهم ، وقضَى بينهم جهلاؤهم ، ومَلكَ المال بخلاؤُهم . وإنّ مِنْ ٣٣٧ صلاح الولاة أن يصلح قرناؤهم (٢) . ونَصَحَ لك يا معاويةُ مَن أسخطك بالحقّ ، وغشّك مَن أرضاك بالباطل .

قال : اجلِسْ رحِمك الله ، قد أمَرْنا لك بمال ! قال : إنْ كان من مالك الذى تعهّدتَ جمعَه مخافَةَ تَبِعته ، فأصبتَه حلالا وأنفقتَه إفضالا ، فنَعَمْ ؛ وإنْ كان ممّا شاركك فيه المسلمون فاحتَجَنْتَه دونهم (٣) ، فأصبته اقترافا (٤) ، وأنفقته إسرافا ، فإنّ الله يقول فى كتابه (٥) : ﴿ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ﴾ .

* * *

وأذِنَ معاوية للأحنف بن قيس ، وقد وافى معه (٦) محمّدُ بن الأشعث (٧) ، ثم أذِنَ له فقدَّمه عليه ، فوجِدَ من ذلك محمّد بن الأشعث ، ثم أذِنَ له فدخلَ ، فجلس بين معاويةَ والأحنف ، فقال له معاوية : إنّا والله ما أذِنّا له قبلَك إلاّ ليجلسَ إلينا دونَك ، ومارأيتُ أحداً يرفع نفسَه فوق قَدْرِها إلاّ من ذِلّة

---

(١) ما عدا ل : « يأكل فيها البر والفاجر » .

(٢) ما عدا ل : « قرناؤها » .

(٣) الاحتجان : جمع الشىء وضمه إليك .

(٤) الاقتراف : الاكتساب والاقتناء .

(٥) فى كتابه ، ليست فى ل .

(٦) ما عدا ل : « وقد وافى معاوية » ، ومؤدى العبارتين واحد . والخبر سبق فى (٢ : ١٥٦) .

(٧) هو محمد بن الأشعث بن قيس الكندى . وكان هو وعبيد الله بن على بن أبى طالب على جيش مصعب بن الزبير الذى أرسله لغزو المختار . وقد قتلا سنة ٧٦ . الإصابة ٨٤٩٦ .

يجِدُها (١) ، وقد فعلتَ فعِلَ من أحَسَّ مِن نفسه ذلاًّ وضَعَة ، وإنّا كما نملك أمورَكم نملك تأديبَكم ؛ فأريدُوا مِنّا ما نريده منكم ، فإنّه أبقَى لكم ، وإلاّ قَصَرْناكُمْ كَرْهاً ، فكان أشدَّ عليكم وأعنَفَ بكم .

وقال معاويةُ لرجلٍ من أهل سبأ : ما كان أجهَلَ قومَك حين ملّكوا عليهم امرأة ! فقال : بل قومُك أجهل ! قالوا حينَ دعاهم رسول الله ﷺ إلى الحقّ وأراهُم البينات : ﴿ اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ . ألاَّ قالوا : اللهم إنْ كان هذا هو الحقَّ من عندك فاهدِنا له !!

قال : ولما سقطت ثَنِيَّتا معاوية لفَّ وجهَه بعمامة ، ثمّ خرج إلى النّاس فقال :

لئن ابتُليتُ لقد ابتُلِيَ الصّالحون قَبْلي ، وإنى لأرجُو أن أكونَ منهم. ولئن عوقبتُ لقد عُوقِب الخاطئون قبلى ، وما آمَنُ أن أكونَ منهم . ولئن سَقَط عضوانِ منِّى لَمَا بقىَ أكثر . ولو أُتِى على نفسى لما كان لى عليه خيارٌ ، تبارك وتعالى . فرَحِمَ الله عبداً دعا بالعافية ، فوالله لئن كان عتَب علىَّ بعضُ خاصّتكم لقد كنت حَدِباً على عامّتكم .

٣٣٨ ولما بلغت معاويةَ وفاةُ الحسن بن علىٍّ رضى الله تعالى عنهما ، دخَلَ عليه ابنُ عبّاس فقال له معاوية : آجَرَكَ الله أبا عبّاس فى أبى محمدٍ (٢) الحسن بن علىّ ! ولم يُظهِرْ حزنا ، فقال ابنُ عبّاس : إنّا لله وإنا إليه راجعون ! وغلبه البكاءُ فردّه ثم قال : لا يسدُّ والله مكانَه جُفرتُك (٣) ، ولا يزيد موتُه فى أجلك ،

---

(١) مقتبس من كلام عمر بن الخطاب . انظر ص ٧٥ .

(٢) ما عدا ل : « أبا العباس فى أبى محمد » .

(٣) الجفرة : ما يجمع البطن والجنبين ، وكان معاوية مجفرا عظيم البطن . وفى ذلك يقول على بن أبى طالب (انظر وقعة صفين ٤٦٠) :

أضربهم ولا أرى معاويه   الأخزر العين العظيم الحاويه

الحاوية : ماتحوّى من الأمعاء . وفى الأصول : « حفرتك » ، تحريف .

واللهِ لقد أُصِبْنا بمن هو أعظمُ منه فقداً فما ضيَّعَنا اللهُ بعده ! فقال له معاوية : كم كانت سنُّه ؟ قال : مولدُه أشهَرُ من أن تُتعرَّف سنُّه ! قال : أحسَبه ترك أولاداً صغاراً ؟ قال : كلُّنا كان صغيراً فكبر ، ولئن اختار اللهُ لأبى محمّدٍ ما عندَه ، وقَبَضَه إلى رحمته ، لقد أبقى اللهُ أبا عبدِ الله [١] ، وفى مثله الخلَف الصالح .

* * *

الأصمعى عن أبان بن تغلب [٢] قال :

مررت بامرأةٍ بأعلى الأرض ، وبين يديها ابنٌ لها يريد سَفَراً ، وهى توصيهِ فقالت :

اجلسْ أمنحْك وصيَّتى وباللهِ توفيقُك ، وقليل إجدائها [٣] عليك أنفَعُ من كثير عقلك : إيّاك والنَّمائم فإنَّها تزرع الضَّغائن ، ولا تجعل نَفْسك غرضاً للرُّماة ، فإنّ الهدفَ إذا رُمِى لم يلبثْ أن ينثلم ، ومثِّلْ لِنَفسك مثالاً ، فما استحسَنتَه من غيرِك فاعمَلْ به ، وما كرهتَه منه فدعه واجتَنبْه ، ومَن كانت مودّته بشرَهُ كان كالرِّيح فى تصرُّفها .

ثم نظرَتْ فقالت : كأنك يا عراقىُّ أُعجبتَ بكلام أهل البدْو ؟ ثم قالت لابنها : إذا هزَزتَ فهزَّ كريماً ؛ فإنَّ الكريمَ يهتزّ لهزّتك . وإيّاك واللئيمَ فإنّه صخرةٌ لا ينفجر ماؤها ، وإيّاك والغَدْرَ فإنّه أقبحُ ما تُعومِلَ به ، وعليك بالوفاء ففيه النَّماء . وكنْ بمالك جواداً ، وبدينك شَحيحاً . ومَن أُعِطَى السّخاءَ

---

(١) أبو عبد الله : كنية الحسين بن على .

(٢) ما عدا ل : « أبان بن ثعلبة » ، تحريف . وهو أبو سعد أبان بن تغلب الربعى الكوفى ، كان من النساك الثقات ، ومن قصاص الشيعة ، وكان ممدوحاً بالفصاحة . توفى سنة ١٤٠ . تهذيب التهذيب والخلاصة . وفى أمالى القالى (٢ : ٨٩) حيث أورد الوصية : « وكان عابداً من عباد أهل البصرة » . وانظر بلاغات النساء ٥٧ .

(٣) ما عدا ل : « إجدائه » ، تحريف . وفى الأمالى : « فإن الوصية أجدى عليك من عقلك » .

والحِلم فقد استَجادَ الحُلَّةَ : رَيطتَها وسِرْبالَهَا ! انهَضْ على اسم الله .

* * *

وقال أعرابىٌّ لرجلٍ مَطَلَهُ فى حاجَة : إنّ مِثلَ الظفَر بالحاجة تعجيلُ اليأس منها إذا عَسُر قضاؤها ، وإنّ الطَّلبَ وإن قلّ أعظمُ قدْراً من الحاجة وإن عظُمت ، والمَطْل من غير عُسرٍ آفةُ الجود .

* * *

خطَب الفضلُ الرقاشىُّ [١] إلى قومٍ من بنى تميم ، فخطب لنفسه ، فلما
٣٣٩ فرَغ قام أعرابىٌّ منهم فقال : توسَّلْتَ بحُرمة ، وأدليتَ بحقّ ، واستندتَ إلى خَير ، ودَعوتَ إلى سُنَّة ؛ ففَرضُك مقبول ، وما سألتَ مبذول ، وحاجتُك مقضيَّة إن شاء الله تعالى .

قال الفضل : لو كان الأعرابىُّ حمِد الله فى أوّل كلامه وصلَّى على النبى ﷺ لفضَحَنى يومئذ .

* * *

المدائنى قال : قال المُنذِرُ بنُ المنذِر ، لمّا حارَب غَسّانَ الشامِ ، لابنه النُّعمان يوصيه :

إيّاك واطِّراحَ الإخوان ، واطِّرافَ المعرفة [٢] ، وإيّاك وملاحاةَ الملول ، وممازحةَ السَّفيه . وعليك بطُول الخَلوة ، والإكثارِ من السَّمَر . والبس من القِشْر [٣] ما يزيِّنك فى نفسك ومروءَتك . واعلم أنّ جِماع الخير كلّه الحياءُ فعليك به ، فتواضعْ فى نفسك وانخدِعْ فى مالك [٤] . واعلم أنّ السكوتَ عن الأمر الذى يغنيك خيرٌ من الكلام ، فإذا اضطُررتَ إليه فتحرَّ الصدقَ والإيجاز ، تسلمْ إن شاء الله تعالى .

---

(١) الفضل بن عيسى الرقاشي ، ترجم فى (١ : ٢٩٠) .
(٢) الاطّراف : يريد به تجديد الإخوان .
(٣) القشر : كل ملبوس .
(٤) الانخداع : الدخول ، يقال انخدع الضب ، إذا شم ريح الإنسان فدخل جحره .

كلام من عزّى بعض الملوك

قال : إنّ الخلق للخالق ، والشُّكرَ للمنعم ، والتّسليم للقادر ، ولابدَّ مما هو كائن . وقد جاء مالا يُردّ ، ولا سبيلَ إلى ردّ ما قد فات ، وقد أقام معك ما سيذهب أو ستتركه ، فما الجزَعُ مما لابدَّ منه ، وما الطّمع فيما لا يُرجَى ، وما الحيلةُ فيما سينتقل عنك أو تُنقَل عنه ؟ وقد مضَتْ أصولٌ نحنُ فروعُها ، فما بقاءُ الفرع بعد ذهاب الأصل ؟ فأفضل الأشياءِ عند المصائب الصّبر ، وإنما أهلُ الدُّنيا سَفْر لا يَحُلُّون الرِّكابَ إلاّ فى غيرها . فما أحسَنَ الشُّكرَ عند النِّعَم ، والتسليم عند الغِيَر . فاعتبْر بمن رأيتَ من أهل الجزع ، فإن رأيت الجزع ردَّ أحداً منهم إلى ثقةٍ مِن دَرَك فما أولاكَ به . واعلم أنّ أعظمَ من المصيبة سوءُ الخَلَف منها ، فأفِقْ [١] فإنّ المرجع قريب . واعلم أنه إنما ابتلاك المنعِم ، وأخَذ منك المعطِى ، وما تَرَك أكثر . فإنْ نسيتَ الصبرَ فلا تَنس الشكر ، وكُلاًّ فلا تَدعْ . واحذَرْ من الغفلة استلابَ النِّعم ، وطولَ الندامة ، فما أُصغرَ المصيبةَ اليوم مع عِظَم الغنيمة غداً . فاستقبل المصيبةَ بالحِسْبة [٢] تستخلِفْ بها نُعْمَى [٣] . ٣٤٠
فإنما نحنُ فى الدُّنيا غَرضٌ يُنتضَل فينا بالمنايا [٤] ، ونهبٌ للمصائب ؛ مع كلِّ جُرعة شَرَقٌ ، ومع كل أُكلةٍ غَصَصٌ ؛ لا تُنال نعمةٌ إلا بفراق أخرى ، ولا يَستقبِل مُعمَّرٌ يوماً من عمره إلا بفراقِ آخرَ مِن أجَله [٥] ، ولا تحدُث له زيادة فى أكله إلاّ بنَفاد ماقبلَه من رزقه ، ولا يحيا له أثرٌ إلاّ ماتَ له أثر . ونحنُ أعوانُ الحُتوف على أنفسِنا ، وأنفسُنا تسوقُنا إلى الفَناء ، فمن أين نرجو البقاء ؟ وهذا اللَّيل والنَّهار

---

(١) ما عدا ل ، هـ : « فائق » .
(٢) الحسبة : البدار إلى طلب الأجر وتحصيله بالتسليم والصبر .
(٣) ما عدا هـ : « نعما » .
(٤) الغرض : الهدف . والانتضال : الاستباق فى رمى الأغراض .
(٥) ما عدا ل : « إلا بهدم آخر من أجله » .

لم يَرفَعا من شيءٍ شَرَفاً إلا أسرعا الكَرّةَ فى هدمِ ما رَفعا ، وتفريق ما جَمَعا . فاطلُب الخيرَ من أهله ، واعلم أنّ خيراً من الخير مُعطِيه ، وشراً من الشر فاعلُه.

* * *

وقال أبو نواس :

أَتَتَبَّـعُ الظُّرفـاءَ أكتُبُ عنهُـمُ ‏ ‏ ‏ كيما أُحدِّثَ مَن أُحِبُّ فيَضْحكا

وقال آخر :

قَدَرْتُ فلم أَتْرُكْ صَلاحَ عَشيرتى ‏ ‏ ‏ وما العفوُ إلاّ بعدَ قُدْرةِ قادرِ

وقال آخر (١) :

أَخُو الجِدِّ إنْ جدَّ الرِّجالُ وشمَّرُوا ‏ ‏ ‏ وذُو بَاطِلٍ إنْ شئت ألهاكَ باطُله (٢)

قَبِيصة بن عمر المهلَّبى ، أنّ رجلاً أتَى ابنَ أبى عُيَينة ، فسأله أن يكتب إلى دَاوُد بن يَزِيدَ (٣) كتاباً ، ففعل وكتب فى أسفله :

إنَّ امرأً قَذَفتْ إليكَ به ‏ ‏ ‏ فِى البحرِ بعضُ مراكِبِ البَحرِ

تَجرِى الرِّياحُ بِهِ فَتَحمِلُه ‏ ‏ ‏ وتَكُفُّ أحيانَاً فلا تَجْرِى

ويَرى المَنِيَّةَ كُلَّما عَصَفتْ ‏ ‏ ‏ رِيحٌ به لِلهَـولِ والذُّعـرِ

لَلمستحـــقُّ بأن تزوِّدَه ‏ ‏ ‏ كُتُبَ الأمانِ له من الفقر (٤)

قال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : ما وجَد أحدٌ فى نفسه كِبْرًا إلاّ من مَهانة يجدُها فى نفسه (٥) .

ودخل رجلٌ من بنى مخزوم ، وكان زُبيريا ، على عبد الملك بن مَرْوان ، فقال
٣٤١ له عبدُ الملك : أليس قد ردّك الله على عقِبَيك ؟ قال : أوَ مَن رُدّ إليك فقد رُدَّ على عَقِبيه ؟ فاستحيا وعلم أنه قد أساءَ .

---

(١) هو أخت يزيد بن الطثرية ، كما سبق فى (١ : ٢١٧) .

(٢) كذا على الصواب فى ل . وفيما عدا ل : « وذو باطل إن كان فى القوم باطل » .

(٣) كان فى « المولتان » من بلاد الهند ، كما فى الحيوان (٧ : ١١٤) .

(٤) هذا البيت من ل ، فقط .

(٥) انظر ما سبق فى ص ٧١ .

وقال المخبّل :

إذا أنتَ لاقيتَ الرِّجالَ فلاقهمْ وعِرضكَ مِنْ غَثِّ الأمُورِ سلِيمُ [١]

وقال النَّضْرُ بنُ خالِد :

كِبْرُهُ يَبلُغُ الكواكبَ إلاّ أنَّــــه فى مُروءَةِ البَقّـــالِ

وقال خِداش بنُ زُهَيْر [٢] :

النّاسُ تَحتَكَ أقدَامٌ وأنتَ لهمْ رأسٌ فكيَف يُسَوَّى الرَّأس والقدمُ
إنّا لَنعلمُ أنّا مابقِيتَ لنا فِينا السَّماحُ وفِيناَ الجُودُ والكرَمُ
وحَسْبُنا مِن ثناءِ المادِحِينَ إذا أثنَوا عليك بأنْ يُثْنُوا بما عَلِمُوا

وقال ابن عبّاس رضى الله عنهما : كانت قريشٌ تألفُ منزلَ أبى بكر رضى الله تعالى عنه لخصلتين : العلم والطعام [٣] ، فلما أسلَمَ أسلم عامّة مَن كان يجالسُه [٤] .

* * *

قال الأصمعىّ : وقف أعرابىٌّ يسأل فقال [٥] :

ألاَ فتًى أرْوَعَ ذا جَمَالِ مِن عَرَبِ النّاسِ أوِ المَوَالى
يُعِينُنى اليومَ عَلَى عِيالى قد كَثُرُوا هَمِّى وقلَّ مالى
وساقَهُمْ جَدبٌ وسُوءُ حالِ وقد مَلِلْتُ كَثرَةَ السُّؤالِ

وقال أعرابىّ :

يا ابْنَ الكِرامِ والِداً وولدَا لا تَحْرِمَنَّ سائلاً تعمّدَا

---

(١) أنشد له البحترى أيضاً فى الحماسة ٣٧٤ :

ولا يعدم الغاوى على الغى لائماً وإن هو لم يشفق عليه يلوم

(٢) ل : « خالد بن زهير » ، وكلاهما شاعر . وقد تقدمت ترجمة خداش فى (٣ : ١٨) . وأما خالد بن زهير فهو ابن أخت أبى ذؤيب الهذلى . ديوان الهذليين (١ : ١٥٦) .

(٣) ما عدا ل : « للعلم والطعام » .

(٤) ما عدا ل ، هـ : « مجالسه » .

(٥) كلمة « يسأل » ليست فى ل .

أَفْقَرَهُ دهرٌ عليهِ قد عَدا   مِن بَعْدِ ماكانَ قدِيماً سيِّدا

وقال أعرابى : اللهم أسألك قلباً توّاباً ، لا كافراً ولا مرتابا .

٣٤٢ وهَبَ رجلٌ لأعرابىّ شيئاً فقال : جعل الله للخير عليك دليلا ، وجعل عندك رِفْداً جزيلاً ، وأبقاك بقاءً طويلاً ، وأبلاك بلاءً جميلاً .

وقف أعرابىٌّ على قومٍ فمنعوه فقال : اللهم اشغَلْنا بذكرك ، وأعِذْنا من سُخْطك ، واجنُبنا إلى عفوك (١) ، فقد ضنَّ خَلْقك على خَلْقك برزقك ، فلا تشغَلْنا بما عندهم عن طلب ماعِندَك ، وآتِنا من الدُّنيا القُنعان (٢) ، وإن كان كثيرُها يُسخِطك ، فلا خيرَ فيما يسخطك .

الأصمعىّ قال : سمعتُ أعرابيا يدعو وهو يقول : اللهمّ اغفر لى إذ الصُّحف منشورة ، والتوبةُ مقبولة ، قبل أن لا أقدرَ على استغفارك ، حين ينقطعُ الأمل ، ويحضُرُ الأجل ، ويَفنَى العمل .

الأصمعى قال : سمعتُ أعرابيا يدعو وهو يقول : اللهم ارزقنى مالاً أُكبِت به الأعداء ، وبنينَ أصُولُ بهم على الأقوياء (٣) .

وكان مُنادِى سعد بن عُبَادة (٤) يقول على أُطُمِه (٥) : من أراد خُبزاً ولحماً

---

(١) جنبه : قاده إلى جنبه . وهذا ما فى ل . وفى هـ : « لجننا » وسائر النسخ : « أولجْنا » . وقد أشير إلى رواية ل فى حواشى هـ عن نسخة .

(٢) ل : « القناعة » ، وهما سيان .

(٣) ل : « الأقرباء » .

(٤) هو الصحابى الجليل سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة بن أبى خزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج الأنصارى ، سيد الخزرج ، وكان يحمل راية الأنصار ، وقد أبلى فى الإسلام بلاء حسنا ، وكان يكتب بالعربية ، ويحسن العوم والرمى،فكان يقال له الكامل لذلك . وكان مشهوراً بالجود هو وأبوه وجده وولده . وهو ممن تخلف عن بيعة أبى بكر . توفى بحوران ، أو ببصرى ، لسنتين ونصف من خلافة عمر ، أى فى سنة ١٥ . الإصابة ١٣٦٨ والمعارف ١١٢ والسيرة ٢٩٨ وصفة الصفوة (١ : ٢٠٢) ، والاشتقاق ٢٦٩ . ويزعمون أن « سعد بن عبادة » ممن قتلته الجن . انظر الحيوان (٦ ، ٢٠٨ – ٢٠٩) وآكام المرجان للشبلى ١٣٧ .

(٥) الأطم ، بضمتين وبضمة : حصن مبنى بحجارة ، أو كل بناء مرتفع كالحصن .

فليأت أُطَمَ سعد . وخَلَفه ابنه قيسُ بن سعد ، فكان يفعل كفعله ، فإذا أكل الناسُ رفع يدَه إلى السماء وقال : اللهمَّ إنى لا أصلح على القليل ، ولا يصلُح القليلُ لى . اللهمّ هبْ لى حَمداً ومجداً ، فإنّه لا حمدَ إلاّ بفعَال ، ولا مجد إلاّ بمال .

وقال أعرابىٌّ : اللهم إنّ لك علىّ حقوقاً فتصدَّقْ بها علىّ ، وللناس علىَّ حقوقاً فأدِّها عنّى ، وقد أوجبتَ لكلِّ ضيفٍ قِرًى وأنا ضيفك ، فاجعَلْ قِرَاىَ فى هذه اللّيلةِ الجنة .

وقفَ أعرابىٌّ على قومٍ يسألهم فأنشأ يقول :

هل مِن فتىً عِندَهُ خُفَّانِ يحمِلُنى ... عليهما إنَّنى شيخٌ على سَفَرِ
أشْكُو إلى اللهِ أهوالاً أمارِسُها ... مِن الصُّداعِ وأنِّى سَيِّئُ البصرِ
إذَا سَرَى القَومُ لمْ أُبصِرْ طرِيقَهُم ... إن لم يكُنْ عِندهم ضوءٌ مِنَ القَمرِ

الأخفش قال : خرج أعرابىٌّ يطلب الصَّدَقة ومعه ابنتان له [(١)] ، فقالت ابنتُه لمّا رأت إمساك الناس عنه :

يأيُّها الرَّاكبُ ذُو التَّعرِيسِ [(٢)] ... هل فِيكُمْ مِن طارِدٍ لِلبُوسِ
عَن ذِى هُدَاجٍ بَيِّنِ التَّقويسِ [(٣)] ... بِفضلِ سِربَالٍ لَهُ دَرِيسِ [(٤)] ٣٤٣
أو فاضِلٍ مِنْ زَادِهِ خَسِيسِ [(٥)] ... أثابَهُ الرَّحمنُ بالنَّفِيسِ

ووقف سائلٌ على الحسن فقال : رحِم الله عبداً أعطى من سَعَة ، أوْ آسى من كفاف ، أو آثرَ من قِلّة .

---

(١) ل : « سأل أعرابى ومعه ابنتان له » .

(٢) عنى بالراكب هنا الراكبين .

(٣) الهداج : بضم الهاء : مصدر هدج الشيخ فى مشيته : اضطرب فيها من الكبَر .

(٤) الدريس : الخلق البالى . ومثله الدرس والدرس ، بفتح الدال وكسرها .

(٥) ل : « من راحة خسيس » ، ولا وجه له .

وقال الطائىّ (١) :

فتى كُلَّما فاضَتْ عيونُ قَبِيلَةٍ ... دماً ضحِكَت عنهُ الأحادِيثُ والذِّكْرُ
فتًى مات بين الطَّعْنِ والضَّرْبِ مِيتة ... تقُومُ مَقامَ النَّصرِ إذْ فاتَه النَّصرُ (٢)

وقال (٣) :

بِكرٌ إذا ابتسمتْ أراكَ وَمِيضُها ... نَوْرَ الأقاَحِ برَملةٍ مِيعاسِ (٤)
وإذا مَشَتْ تَرَكَتْ بصدرِكَ ضِعفَ مَا ... بِحُلِيِّها مِن كثرةِ الوَسواسِ (٥)
قالت وقد حُمَّ الفِراقُ فكأسُهُ ... قد خُولِطَ السَّاقى بها والحاسِي (٦)
لا تَنْسَيَنْ تلكَ العُهودَ فإنَّما ... سُمِّيتَ إنساناً لأنَّكَ ناسِى
هدأتْ على تأْمِيلِ أحمَدَ هِمَّتِى ... وأطافَ تقلِيدِى به وقياسِى (٧)
نَوْرُ العَرارةِ نَوْرُهُ ، ونَسِيمُهُ ... نَشْرُ الخزامَى فى اخضِرارِ الآسِ (٨)
إقدامُ عَمرٍو فى سَماحةِ حاتِمٍ ... فى حِلْمِ أحنفَ فى ذَكاءِ إياسِ (٩)

---

(١) أبو تمام حبيب بن أوس ، من قصيدته المشهورة فى رثاء محمد وقحطبة وأبى نصر ، أبناء حميد الطوسى . ومطلعها :

كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر ... فليس لعين لم يفض ماؤها عذر

(٢) فى الديوان ٣٦٩ : « إن فاته » .

(٣) من قصيدته التى يمدح بها أحمد بن المعتصم ، فى ديوانه ١٧٢ ، وأولها ،

ما فى وقوفك ساعة من باس ... نقضى ذمام الأربع الأدراس

(٤) الوميض : اللمعان ، عنى بريق ثناياها . والأقاحى : جمع أقحوان ، وحذف الياء منه لغة قوم ، وجاء بها قوله تعالى : (الكبير المتعال) و (يوم التناد) . انظر همع الهوامع (٢ : ٢٠٦) . والأقحوان هو البابونج ، وزهره ذو ورق أبيض ووسطه أصفر ، كأنه ثغر جارية حدثة السن . والميعاس : التى تسوخ فيها الأرجل للينها .

(٥) الوسواس : صوت الحلى . والوسواس أيضاً . حديث النفس .

(٦) حم الفراق : قدر . الحاسى : الشارب . وقد كنى بالساق والحاسى عن المودع والمودع .

(٧) ما عدا ل ، هـ : « بها » ، تحريف .

(٨) العرار ، والخزامى ، والآس ، من النبات الذكى الرائحة .

(٩) عمرو بن معد يكرب ، وحاتم الطائى ، والأحنف بن قيس ، وإياس القاضى .

لاَ تُنْكِرُوا ضَرْبِى لَهُ مَنْ دُونَه   مَثَلاً شَرُوداً فى النَّدَى والباسِ (١)
فاللهُ قد ضَرَبَ الأقلَّ لِنُورِهِ   مَثَلاً مِن المِشكاةِ والنِّبراسِ (٢)

وقال (٣) :

احفَظْ رَسائلَ شِعْرٍ فيكَ ، ماذَهَبَتْ   خَواطِرُ البَرقِ إلاَّ دُونَ ما ذهَبا (٤)
يَغْدُون مُغتَرِباتٍ فى البِلادِ فما   يَزَلنَ يُؤْنِسنَ فى الآفاقِ مُغترِبا (٥)
ولا تُضِعْها فما فى الأرضِ أحسَنُ مِنْ   نظمِ القوافِى إذا ماصادَفَتْ أدبا (٦)

* * *

٣٤٤ أُسر رؤبةُ فى بعض حروبِ تميمٍ فمُنِع الكلامَ ، فجعل يصرخُ :

---

(١) شرودا ، أى سائرا فى البلاد . وفى العمدة (١ : ١٩٠) : « وقولهم مثل شرود وشارد ، أى سائر لا يرد ، كالجمل الصعب الشارد الذى لا يكاد يعرض له ولا يرد » . ولهذا البيت وما قبله قصة مروية فى كتب كثيرة ، منها العمدة (١ : ١٢٨ ، ١٩٠) وأخبار أبى تمام للصولى ٢٣١ ، وهبة الأيام للبديعى ٢٥ . قال ابن رشيق : « ومن عجيب ماروى فى البديهة حكاية أبى تمام حين أنشد أحمد بن المعتصم بحضرة أبى يوسف يعقوب بن إسحاق بن الصباح الكندى ، وهو فيلسوف العرب :

إقدام عمرو فى سماحة حاتم   فى حلم أحنف فى ذكاء أياس

فقال له الكندى : ما صنعت شيئاً ، شبهت ابن أمير المؤمنين ، وولى عهد المسلمين بصعاليك العرب ! ومن هؤلاء الذين ذكرت ، وما قدرهم ؟! فأطرق أبو تمام يسيراً ، وقال :

لا تنكروا ضربى له من دونه   مثلا شروداً فى الندى والباس
فالله قد ضرب الأقل لنوره   مثلا من المشكاة والنبراس

وقد قيل إن الكندى لما خرج أبو تمام قال : هذا الفتى قليل العمر لأنه ينحت من قلبه ، وسيموت قريباً . فكان كذلك » .

(٢) المشكاة : كل كوة ليست بنافذة ؛ ويقال إنها بلغة الحَبَش . والنبراس : المصباح والسراج . إشارة إلى قوله تعالى : « مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة ، الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية ، يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار ، نور على نور » .

(٣) من قصيدة يمدح بها إسحاق بن إبراهيم المصعبى ، معاتباً . مطلعها :

قل للأمير الذى قد نال ما طلبا   ورد من سالف المعروف ما ذهبا

(٤) فى الديوان ٢٢ : « احفظ وسائل شعرى » ، وهى رواية محرفة .

(٥) وكذا رواية الديوان . وفيما عدا ل ، هـ : « يعددن » .

(٦) وكذا فى الديوان وفى ل : « فلا تضعها » . وفى الديوان : « إذا ما صادفت حسبا » .

يا صباحاه ، ويا بنِى تميمٍ أطلقوا من لسانى [١] .

وربّما قال الشّاعرُ فى هجائِه قولاً يعيب به المهجوَّ فيمتنع مِن فِعله المهجوُّ وإن كان لا يلحق فاعلَه ذمّ . وكذلِك إذا مدحه بشىءٍ أُولِعَ بفعله وإن كان لا يصير إليه بفعله مدحٌ .

فمن ذلك تقدُّمُ كُلْثَم بنتِ سَرِيع مولى عمرو بن حُرَيث [٢] ، إلى عبد الملك بن عُمير [٣] ، وهو على قضاء الكوفة ، تُخاصِم أهلَها ، فقضى لها عبدُ الملك على أهلها ، فقال هُذَيل الأشجعىّ :

أتـاهُ وليـدٌ بالشُّهـودِ يقُودهُـــمْ ... على ما ادَّعَى مِن صامِتِ المالِ والخَوَلْ [٤]
وجـاءَت إليـهِ كُلْثُـمٌ وكَلامُهـــا ... شِفاءٌ مِن الدَّاءِ المُخَامِرِ والخَبَلْ [٥]
فأَدْلى وليـدٌ عِنـدَ ذاكَ بحقِّــهِ ... وكانَ وليـــــدٌ ذا مِراءٍ وذا جَدَلْ
وكانَ لها دَلٌّ وعينٌ كحيلَـــــةٌ ... فأَدْلَتْ بحُسنِ الدَّلِّ مِنها وبالكَحَلْ
فَفَتَّنَتِ القِبْطِىَّ حَتى قضَى لهَا ... بِغير قضاءِ اللهِ فى السُّوَرَ الطُّوَلْ [٦]

---

(١) سبق هذا الخبر فى (١ : ٢١٤) .

(٢) هو عمرو بن حريث بن عمرو بن عثمان بن عبد الله بن عُمر بن مخزوم القرشى ، له ولأبيه صحبة ، وجده لأمه هو هشام بن خلف الكنانى الذى زعموا أنه بال على رأس النعمان بن المنذر فتحول عن دين العرب وتنصر . ومن موالى عمرو بن حريث أيضا عمر بن العلاء الذى يقول فيه بشار :

إذا أيقظتك حروب العدا ... فنبه لها عمراً ثم نم

ولى ابن حريث الكوفة نيابة لزياد وابنه عبيد الله بن زياد . الإصابة ٥٨٠٣ ، والمعارف ١٢٧

(٣) مضت ترجمته فى (١ : ٥٦) . والخبر فى عيون الأخبار (١ : ٦٣) .

(٤) صامت المال : الذهب والفضة . وناطقه : الإبل والغنم . والخول : العبيد والخدم .

(٥) ضبطت « كلثم » بضم الكاف والثاء فى هـ فى هذا البيت والكلام قبله .

(٦) ل : « فقتلت » . والقبطى ، هو عبد الملك بن عمير ، كما سبق فى ترجمته . وكان يقال له أيضا : « ابن القبطية » كما فى تهذيب التهذيب . وكان يقال له أيضا : « منفر الغيلان » لدمامته وقبحه ، كما فى المعارف ٢٠٨ . وفى أنساب السمعانى ٤٤١ ب أنه سمى « القبطى » باسم فرس سباق له يسمى القبطى . والطول ، بضم ففتح : جمع الطولى . والطول : سبع سور من الكتاب ، منها ست متواليات أولها البقرة ، واختُلِف فى السابعة ، فقيل الأنفال وبراءة ، وعدتا فى ذلك سورة واحدة ، وقيل السابعة يونس .

فلو كانَ مَن بالقصر يَعلمُ عِلمَه … لمَا استُعْمِلَ القبْطِىُّ فينا على عمَلْ
لهُ حِينَ يقضى لِلنِّساءِ تَخاوُصٌ … وكانَ وما فيهِ التَّخاوُصُ والحَولْ (١)
إذا ذاتُ دَلٍّ كلَّمتهُ بحاجةٍ … فهَمَّ بأن يَقضى تَنحنَح أو سَعَل
وبرَّق عَينيهِ ولاكَ لِسانَهُ … يَرى كلَّ شَىءٍ مَا خلا شَخصَها جَلَلْ (٢)

قال : فقال عبدُ الملك : أخزاه الله ، والله لربَّما جاءتنى السَّعلة أو النَّحنحةُ وأنا فى المتوضَّأ (٣) فأذكر قولَه فأردُّها لذلك .

وزعم الهيثم بن عدىّ عن أشياخه ، أنّ الشّاعر لما قال فى شَهْر بن حَوشب (٤) :

لقد باعَ شَهْرٌ دِينَهُ بخَرِيطةٍ … فمَن يَأمَنُ القُرَّاءَ بَعدَكَ يا شَهْرُ (٥)

مامسَّ خريطةً حتّى مات . ٣٤٥

وقال رجلٌ من بنى تغلب ، وكان ظريفاً : ما لقِىَ أحدٌ من تغلبَ ما ألقَى أنا (٦) ! قلت : وكيفَ ذاك ؟ قال : قال الشاعر (٧) :

لا تَطلُبَنَّ خُؤُولةً فى تَغلِبٍ … فالزِّنجُ أكرَمُ مِنهُمُ أخوالا (٨)

---

(١) التخاوص : أن يغض من بصره شيئاً ، وهو فى كل ذلك يحدق النظر .

(٢) الجلل من الأضداد ، يقال للعظيم وللحقير ، وأراد هنا المعنى الأخير .

(٣) ل : « السعلة والنحنحة فى المتوضأ » .

(٤) هو شهر بن حوشب الأشعرى الشامى ، مولى أسماء بنت يزيد بن السكن . كان فقيهاً قارئاً عالما ، روى عن أبى هريرة وعائشة وبلال وغيرهم ، وعنه قتادة ، وعاصم بن بهدلة ، وداود بن أبى هند وجماعة . اختلف فى توثيقه ، ويزعمون أنه كان على بيت المال فأخذ خريطة فيها دراهم فقيل فيه هذا الشعر . وروى ابن قتيبة أيضا أنه رافق رجلا من أهل الشام فسرق عيبته . توفى سنة ١١٢ . تهذيب التهذيب ، والمعارف ١٩٨ وثمار القلوب ١٣٣ وعيون الأخبار (٢ : ١٣٨) .

(٥) الخريطة : هنة مثل الكيس تكون من الخرق والأدم تشرج على مافيها .

(٦) ما عدا ل ، هـ : « ما لقيت أنا » .

(٧) هو جرير ، من قصيدة له فى ديوانه ٤٤٨ – ٤٥٣ يهجو بها الأخطل التغلبى ، مطلعها :

حَىِّ الغداة برامة الأطلالا … رسماً تحمل أهله فأحالا

(٨) هذا البيت لم يرد فى ل ، وإثباته من سائر النسخ .

لوْ أنَّ تغْلِبَ جَمَّعَتْ أحسابَها يومَ التَّفاخُرِ لم تَزِنْ مِثقالا [١]
تَلْقاهُمُ حُلماءَ عن أعدائهمْ وعلى الصَّدِيقِ تَراهُمُ جُهَّالا
والتَّغْلَبِىُّ إذا تَنحنَحَ لِلقِرَى حكّ استَهُ وتمثَّلَ الأمثالا [٢]

واللهِ إنِّى لأتوهّم أنْ لو نهشت [٣] استِى الأفاعى ماحككتُها .

* * *

وكان الشّاعر أرفعَ قدراً من الخطيب ، وهم إليه أحوج ، لردِّه مآثرهم عليهم [٤] وتذكيرهم بأيّامهم ؛ فلمّا كثُر الشُّعراء وكثُر الشّعر صارَ الخطيبُ أعظَمَ قدراً من الشّاعر .

والذين هَجَوا فوضَعوا مِن قدر مَن هجَوه ، ومَدحوا فرفعوا مِن قدْر من مَدحُوا ، وهَجاهم قومٌ فردُّوا عليهم فأفحَموهم ، وسكَتَ عنهم بعضُ من هجاهم مخافةَ التعرُّض لهم ، وسكتوا عن بعض مَن هجاهم [٥] رغبةً بأنفسهم عن الردّ عليهم ، وهم إسلاميّون [٦] : جرير ، والفرزْدق ، والأخطل . وفى الجاهلية : زهير ، وطَرَفَة ، والأعشى ، والنابغة . هذا قول أبى عبيدة .

---

(١) فى الديوان : « يوم التفاضل » .

(٢) فى حواشى هـ : « خ : تَنَبّح » . وفى العمدة (٢ : ١٤٦ – ١٤٧) : « قال الأخطل للفرزدق : أنا والله أشعر من جرير ، غير أنه رزق من سيرورة الشعر ما لم أرزقه ، وقد قلت بيتاً لا أحسب أن أحداً قال أهجى منه ، وهو :

قوم إذا استنبح الأضياف كلبهم قالوا لأمهم بولى على النار

وقال هو :

والتغلبى إذا تنحنح للقرى حك استه وتمثل الأمثالا

فلم يبق سقّاء ولا أمة إلا روته » .

(٣) ل : « لو حكت » .

(٤) ل : « بمآثرهم عليهم » .

(٥) ما عدا ل : « وسكتوا عمن هجاهم » .

(٦) ما عدا ل ، هـ : « وهم فى الإسلام » .

وزعَم أبو عمرو بن العلاء : أنَّ الشِّعر فُتح بامرئ القيس وخُتِم بذى الرُّمَّة .

ومن الشعراء مَن يُحكم القريض ولا يُحسِن من الرَّجَز شيئاً ، ففى الجاهليّة منهم : زُهير ، والنابغة ، والأعشى . وأما مَن يجمعهما فامرؤ القيس وله شىءٌ من الرجز ، وطرفة وله كمثلِ ذلك ، ولبيد وقد أكثَر .

ومن الإسلاميّين مَن لايَقدر على الرّجز وهو فى ذلك يُجيد القريض : كالفرزدق وجرير ؛ ومَن يجمعهما فأبو النجم (١) ، وحُميدٌ الأرقط ، والعُمانىّ ، وبشّار بن برد . وأقلُّ مِن هؤلاء يُحكم القصيدَ والأرجاز والخطب . وكان الكميتُ ، والبَعيث ، والطِّرِمّاح شعراءَ خطباء ، وكان البَعيثُ أخطبَهم . وقال يونس : لئن (٢) كان مغلَّباً فى الشِّعر لقد كان غلِّب فى الخُطَب .

وإذا قالوا : غلِّب فهو الغالب (٣) . ٣٤٦

وقال الحسين بن مُطيرٍ الأسدىّ (٤) :

فَيا قبرَ مَعْنٍ كنتَ أَوَّلَ حُفـرَةٍ ... مِن الأرضِ خُطّتْ لِلمكارِمِ مضجَعا (٥)
فلمَّا مَضَى معن مَضَى الجُودُ وانقضى ... وأصبحَ عِرنينُ المكـارِمِ أجدَعـا (٦)
فتًى عِيشَ فى معروفِهِ بَعدَ مَوتِه ... كما كان بعـدَ السَّيـلِ مجراهُ مَرتَعـا
تَعزَّ أَبَا العبـاَّسِ عنـهُ ولا يكُـنْ ... جزاؤُكَ مِن مَعْـنٍ بأَنْ تَتَضَعْضَعَـا
فما ماتَ مَنْ كُنْتَ ابنَهُ لا ولا الّذِى ... لهُ مِثلُ ماأَسدَى أَبُوكَ وما سَعَى (٧)
تَمنَّى أُنـاسٌ شأْوَهُ مِن ضلالِهِـمْ ... فأَضحَوْا على الأذقانِ صَرْعَى وظُلَّعا

---

(١) ل : « ومن يجمعهما أبو النجم » .

(٢) ما عدا ل ، هـ : « إن » .

(٣) انظر ماسبق فى (١ : ٣٧٤ / ٢ : ٣١٢ / ٣ : ١١) ، واللسان (غلب) ، ففيه : « وغلب الرجل فهو غالب : غَلَب ، وهو من الأضداد » .

(٤) مضت ترجمته فى (٣ : ٢٣٧) . وكذا سبق إنشاد الأبيات وتخريجها وتفسيرها .

(٥) ل : « أجمعا » وكتب فوقها : « مضجعا » . وفى هـ : « للسماحة » فوق : « للمكارم » عن نسخة .

(٦) ما عدا ل : « الجود والندى » .

(٧) ما عدا ل : « ما سدى أبوك » .

وقال مسلمٌ الأنصاريّ يَرْثى يزيدَ بنَ مَزْيد :

قبرٌ بِبَرْذَعَةَ استَسَرَّ ضَرِيحُهُ ... خطراً تقاصَرُ دُونَهُ الأخطارُ (١)
أبْقَى الزَّمانُ على مَعَدٍّ بعدَهُ ... حُزناً كعُمْرِ الدَّهرِ ليسَ يُعارُ (٢)
نَفَضَتْ بكَ الآمالُ أحلاسَ الغِنى ... واستَرْجَعَتْ نُزَّاعَها الأمصارُ (٣)
فاذهَبْ كما ذَهَبتْ غَوادِى مُزْنَةٍ ... أثْنَى عليْها السَّهلُ والأوعارُ

وقال هَمّام الرَّقاشىّ (٤) :

أبْلِغْ أبَا مِسْمَعٍ عنّى مُغلغَلةً ... وفى العِتَابِ حياةٌ بينَ أقوامِ
قَدَّمْتَ قبلِى رِجالاً لم يَكُنْ لهُمُ ... فِى الحقِّ أن يَلِجُوا الأبوابَ قُدّامِى
لو عُدَّ قَبْرٌ وقبرٌ كُنْتُ أكرَمَهمْ ... قبراً وأبعدَهُمْ مِن مَنـزِلِ الـذّامِ
حتَّى جَعَلتُ إذا ماحاجةٌ عَرَضتْ ... بِبابِ قَصرِكَ أدلُوهَا بأقـوامِ (٥)

٣٤٧ وقال الأُبيرِدِ الرِّياحىّ (٦) يرثى أخاه :

فتًى إن هُوَ استغنَى تَخرَّقَ فى الغِنى ... وإنْ قَلَّ مالٌ لم يَؤُدْ مَتْنَهُ الفقرُ (٧)

---

(١) سبقت الأبيات وتخريجها وتفسيرها فى (٣ : ٢٣٨ – ٢٣٩) .

(٢) ما عدا ل : « لعمر الدهر » .

(٣) فى (٣ : ٢٣٩) : « نفضت به » .

(٤) مضت الأبيات فى (٢ : ٣١٦ / ٣ : ٣٠٢) . هـ : « هاشم الرقاشى » ، وفوقها « هشام » عن نسخة .

(٥) ل : « بباب دارك » .

(٦) ويقال له أيضاً : « الأبيرد اليربوعى » . وهو الأبيرد بن المعذر بن قيس بن عتاب بن هرمىّ بن رياح بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم . شاعر فصيح بدوى ، من شعراء الإسلام وأول دولة بنى أمية . الأغانى (١١ : ٩ – ١٥) ، والمؤتلف والمختلف ٢٤ .

(٧) الأبيات من قصيدة له فى الأغانى (١١ : ١٤ – ١٥) وأمالى القالى (٣ : ٢ – ٤) والعقد (٣ : ٢٧٢ – ٢٧٥) طبع لجنة التأليف . وروى بعضها فى المؤتلف ٢٤ والحماسة (١ : ٤٤٧) . تخرق فى الغنى : توسع . لم يؤد : لم يثقل . الأغانى : « فإن قل مالا » . الأمالى والعقد : « وإن كان فقر » . المؤتلف : « وإن كان فقراً » . الحماسة : « وإن قل مال لم يضع متنه الفقر » .

وسَامَى جَسِيماتِ الأُمورِ فنالها
على العُسرِ حَتّى يُدرِكَ العُسْرَةَ اليُسر (١)

تَرَى القَومَ فى العَزَّاءِ يَنتظِرُونَـــهُ … إذا شكَّ رَأْىُ القَومِ أو حَزبَ الأَمرُ (٢)
فليتَكَ كُنتَ الحَىَّ فى النّاس باقيًا … وكُنْتُ أنا المَيْتَ الَّذِى غَيَّبَ القبرُ (٣)
لقد كُنْتُ أستَعِفى الإلهَ إذا اشتكَى … مِنَ الأَجرِ لى فيهِ وإنْ سَرَّنى الأَجرُ (٤)
وأجزَعُ أَنْ يَنأَى بِهِ بَيـنُ لَيْلَةٍ … فكَيفَ بِبينٍ صار مِيعادَهُ الحَشرُ (٥)

وقال أبو عبيدة : أنشدنى رجلٌ من بنى عِجل (٦) :

وكنتُ أُعِيرُ الدَّمعَ قبلكَ مَن بكَى … فأَنتَ على مَن مات بَعدكَ شاغِلُهْ
لقد رَحَل الحىُّ المُقيمُ ووَدّعُوا … فتًى لم يكُنْ يأذَى به مَن يُنازِلُه (٧)
ولم يَكُ يخشى الجَارُ مِنهُ إذا دَنا … أذاهُ ولا يخشى الحَرِيمَةَ سائِلُه (٨)
فتًى كان لِلمعْروفِ يَبسُطُ كَفَّهُ … إذا قُبِضَتْ كَفُّ البخِيلِ ونائِلُه

* * *

(١) ل فقط : « وساس » بدل : وسامى . الحماسة والأغانى : « حتّى أدرك العسر اليسر » .

(٢) العزاء : السنة الشديدة . العقد : « إذا شتَّ » . المؤتلف والأغانى : « إذا ضلَّ » .

(٣) الأمالى والعقد : « الذى ضمه القبر » . المؤتلف : « الذى أدرك الدهر » .

(٤) الأمالى والعقد : « وقد كنت أستعفى » .

(٥) هذا البيت انفرد الجاحظ بروايته .

(٦) الشعر التالى للشمردل بن شريك اليربوعى ، يرثى أخاه وائلا . انظر حماسة ابن الشجرى ٨٣ وأمالى القالى (٣ : ٦٢) والأغانى (١٢ : ١١٣) . والشمردل : شاعر من شعراء الدولة الأموية ، كان فى أيام جرير والفرزدق . الأغانى والشعراء ٦٨٥ .

(٧) ما عدا ل ، هـ : « لم يكن بإزائه » ، تحريف . وهذا البيت وتالياه مما انفرد الجاحظ بروايته .

(٨) الحريمة : مصدر من مصادر حرم ، يقال حرمه حرماناً وحِرماً وحريماً وحِرمة وحَرمة وحريمة .

قال : دخل مَعْنُ بنُ زائِدةَ على أبى جعفرٍ المنصور ، فقارَبَ فى خَطْوه فقال المنصور : لقد كبِرتْ سنُّك ! قال : فى طاعتك . قال : وإنّك لَجَلْدٌ ! قال : على أعدائك [١] . قال : وأرى فيك بقيّة ! قال : هى لك .

* * *

قال : كتب عبدُ الملك بن مَرْوان إلى عمرِو بن سعيدٍ الأشدقِ [٢] ، حينَ خرج عليه :

أمّا بعد ، فإنّ رحمتى لك تصرفُنى عن الغضب عليك ، لتمكّن الخُدَع منك ، وخِذلانِ التّوفيق إياك . نهضتَ بأسبابٍ وَهَّمَتْكَ أطماعُك أن تستفيد بها عِزًّا ، كنت جديراً لو اعتدلت أن لا تدفع بها ذُلاّ . ومَن رحَلَ عنه حسنُ النظر
٣٤٨ واستوطنَتْه الأمانى ملَكَ الحَينُ تصريفَه ، واستترت عنه عواقبُ أمره . وعن قليلٍ يتبيَّن مَن سلك سبيلَك ، ونهض بمثلِ أسبابك ، أنّه أسِيرُ غَفْلة ، وصريع خَدْعٍ ، ومَغيض ندَم . والرَّحِم تَحمِل على الصَّفح عنك مالم تحلُل بك عواقبُ جهلك ، وتزجُرْ عن الإيقاع بك . وأنت ، إن ارتدعتَ ، فى كنَفٍ وسِتر . والسلام .

فكتب إليه عمرو :

أمّا بعدُ ، فإنّ استدارجَ النِّعَم إياك أفادَك البغْىَ ، ورائحة القُدْرة أورثَتْك الغفلة . زجرت عمّا واقعتَ مثلَه ، ونَدَبت إلى ما تركتَ سبيلَه . ولو كان ضَعفُ الأسبابُ يُؤْيِس الطّلاّبَ ما انتقل سلطانٌ ، ولا ذلَّ عِزٌّ [٣] . وعمّا قليل [٤] تتبيَّن

---

(١) ل : « قال لأعدائك » . والخبر رواه ابن خلكان فى ترجمة (معن بن زائدة) . وزاد فى نهاية الخبر : « وعرض هذا الكلام على عبد الرحمن بن زيد زاهد أهل البصرة فقال : ويح هذا ما ترك لربه شيئا » .

(٢) سبقت ترجمته فى (١ : ٣١٤) .

(٣) ما عدا ل ، هـ : « عزيز » .

(٤) ما عدا ل : « وعن قليل » .

مَن أسير الغفلة ، وصريع الخُدَع . والرَّحِم تَعطِف على الإبقاء عليك ، مع دفعك ما غيرُك أقْوَمُ به منك . والسلام

* * *

قال أبو الحسن : كتب عمرُ بن عبد العزيز إلى عمر بن الوليد بن عبد الملك (١)

أمّا بعدُ فإنّك كَتبتَ تذكر أنَّ عاملا أخذ مالك بالحَمَّةِ (٢) وتزعم أنّى من الظالمين ! وإنَّ أظلَمَ مِنّى وأترَكَ لعهد الله مَن أمَّرَكَ صَبيًّا سفيهاً على جيش من جيوش المسلمين ، لم تكن له فى ذلك نية إلاّ حبُّ الوالد لولِده (٣) . وإنّ أظلَمَ منىّ وأترَكَ لعهد الله لأنت . فأنت عُمَر بن الوليد ، وأُمُّك صَنّاجة (٤) تدخل دُورَ حِمْص ، وتطوفُ فى حوانيتها ! رويدَك أنْ لو قد التقت حَلْقتا البطان (٥) لحملتُك وأهلَ بيتِك على المَحَجَّة البيضاء (٦) ، فطالما ركِبتُم بُنَيّاتِ الطريق (٧) . مع

---

(١) ل : « عمر بن الوليد » فقط .

(٢) الحمة : اسم لعدة مواضع

(٣) ل : « لم يكن له فى ذلك نية إلا حبّ الوالد ولده » .

(٤) الصناجة : التى تضرب بالصنج ، وهو الدف ونحوه ، أو هو الذى يتخذ من صفر يضرب أحدهما الآخر ، أو الصنج ذو الأوتار الذى يلعب به .

(٥) يضرب هذا مثلا للأمر إذا اشتد . والبطان بالكسر : حزام الرحل والقتب . وفى أمثال الميدانى (٢ : ١٢١) : « يقولون : البطان للقتب . والحزام الذى يجعل تحت بطن البعير ، وفيه حلقتان فإذا التقتا فقد بلغ الشدّ غايته . يضرب فى الحادثة إذا بلغت النهاية »

(٦) المحجة : الطريق .

(٧) بنيات الطريق ، بهيئة التصغير ، هى الصعاب والمعاسف . يقال للرجل إذا وعظ : الزم الجادة ، ودع بنيات الطريق . وقال محمود الوراق :

تنكب بنيات الطريق وجَورها   فإنك فى الدنيا غريب مسافر

ثمار القلوب ٢٢١ . ويقال أيضاً بالتكبير ، وفى اللسان (طرق) : « وبنات الطريق التى تفترق وتختلف فتأخذ فى كل ناحية » . وأنشد لأبى المثنى الأسدى :

« إذا الطريق اختلفت بناته »

أنّى قد هممت أن أبعثَ إليك مَن يحلق دلادلك [١] ! فإنّى أعلم أنّها مِن أعظم المصائب عليك . والسلام .

* * *

قال أبو الحسن : كان عبد الملك بن مروانَ شديدَ اليقَظة ، وكثيرَ
التعهُّد [٢] لوُلاته ، فبلَغه أنَّ عاملا من عُمّاله قبِل هديّة [٣] ، فأمرَ بإشخاصه
إليه ، فلمّا دخَل عليه قال له : أقَبِلت هديّةً [٤] منذ ولّيتك ؟ قال له : يا أمير
المؤمنين ، بلادُك عامرة ، وخَراجُك موفور ، ورعيّتُك على أفضل حال ! قال :
أجبْ فيما سَألتك عنه ، أقبِلْتَ هديّةً منذ ولّيتك ؟ قال : نَعم . قال : لئن كنتَ
٣٤٩ قبلت هديّة ولم تعوِّضْ إنك للئيم . ولئن أنلتَ مهديَك لا من مالك أو استكفيتَه
ما لم يكن يُستكفاه ، إنك لجائر خائن . ولئن كان مذهبُك أن تعوِّض المهدِىَ
إليك مِن مالك،وقَبِلت ما اتّهمك به عند مَن استكفاك وبَسَطَ لسانَ عائبك ،
وأطمع فيك أهلَ عملك ، إنّك لجاهل . وما فى مَنْ أتى أمراً لم يخْلُ فيه من دناءةٍ
أو خيانة أو جهلٍ ، مصطنعٌ ! نحّاه عن عمله .

* * *

قال أبو الحسن : عَرَض أعرابىٌّ لعتبةَ بن أبى سفيان وهو على مكّة فقال : أيُّها الخليفة ! قال : لستُ به ولم تُبعد . قال : يا أخاه . قال : أَسْمَعْتَ . فقال [٥] : شيخٌ من بنى عامرٍ يتقرَّب إليك بالعُمومة ، ويختصُّ بالخؤولة ، ويشكو إليك

---

(١) ل : « ذلاذلك » تحريف . وفى حواشى هـ : « التدلدل مثل التهدل ، وهو استرخاء الشعر . ويوصف به غير ذلك على التشبيه والاستعارة » .

(٢) يقال تعهد الشيء وتعاهده : تفقده . والتعهد أفصح من التعاهد . وقيل إن قولهم : تعاهدت الشيء ، خطأ . ما عدا ل : « التعاهد » .

(٣) الكلام بعده إلى : « عليه » ساقط من ل .

(٤) ل : « فقال له : هل قبلت هدية » .

(٥) ما عدا ل : « قال » .

كثرةَ العِيال ووطْأة الزمان ، وشدّةَ فقرٍ وترادُفَ ضُرّ ، وعندك ما يسَعُه ويَصرِف عنه بؤسَه ! قال : أستغفر اللهَ منك ، وأستعينُه عليك ، قد أمَرت لك بغناك ، ولَيْتَ إسراعى إليك يقوم بإبطائى عنك .

* * *

وقال أعرابىٌّ يَعِيب قوماً : هم أقلُّ النّاس ذُنوبا إلى أعدائهم ، وأكثرُهم جُرماً إلى أصدقائهم ، يصومون عن المعروف ، ويُفطِرون على الفَحْشاء .

وقال مُجَّاعَةُ بنُ مُرَارة (١) ، لأبى بكرٍ الصدِّيق رضى الله تعالى عنه : إذا كان الرأىُ عند من لا يُقبَل منه ، والسِّلاحُ عند من لا يستعمله (٢) ، والمالُ عند مَن لا ينفقه (٣) ، ضاعت الأمور .

الأصمعىُّ قال : نَعتَ أعرابىٌّ رجلا فقال : كأنَّ الألسنَ والقلوبَ رِيضت له ، فما تنعقِد إلا على وُدِّه ، ولا تنطق إلّا بحمده (٤) .

وقال أعرابىٌّ : وَعْد الكريم نقد وتعجيل ، ووَعد اللئيم مَطلٌ وتعليل .

أتى أعرابىٌّ عمر بن عبد العزيز فقال : رجلٌ من أهل البادية ساقته الحاجة وانتهت به الفاقة ، واللهُ يسألُك عن مَقامى غداً (٥) ! فبكى عمر .

---

(١) هو الصحابى الجليل مجاعة بن مرارة بن سلمى – وقيل سليم – الحنفى اليمامى ، كان من رؤساء بنى حنيفة ، وممن أسر يوم اليمامة من أتباع مسيلمة . واستبقاه خالد بن الوليد ووجّهه إلى أبى بكر ، وتزوج خالد بنته . وعاش إلى خلافة معاوية . وفيه يقول :

تعذرت لما لم تجد لك علة ... معاوى إن الاعتذار من البخل
ولا سيما إن كان من غير عسرة ... ولا بغضة كانت علىّ ولا ذحل

الإصابة ٧٧١٦ والمرزبانى ٤٧٢ والاشتقاق ٤٧٢ والقاموس (مجع) . وفى الأصول : « ابن مرار » ، صوابه من المراجع المتقدمة .

(٢) ل : « يستعملها » . وفى اللسان أن السلاح « يؤنث ويذكر والتذكير أعلى » . وفى الإصابة : « عند من لا يقاتل به » .

(٣) فى الإصابة : « عند من لا ينفعه » ، بالعين .

(٤) ما عدا ل : « إلا بثنائه » .

(٥) ل : « هذا » .

قال الشاعر :

ومـن يُـبـقِ مالاً عُدَّة وصيانـة فلا البُخْل مُبقيهِ ولا الدَّهرُ وافِرُه (١)
وَمَن يكُ ذَا عُودٍ صَليب يُعِدُّهُ لِيكسِرَ عُود الدَّهرِ فالدَّهرُ كاسِرُهْ

وقال أبَان بن الوليد لإياسِ بن معاوية : أنا أغنَى مِنك ! فقال إياس : بل أنا أغنى منك ! قال أبان : وكيف ، ولى كذا وكذا ! وعَدَّدَ أموالا . قال : لأنَّ كسبَك لا يفضُل عن مؤونتك ، وكَسبى يفضُل عن مؤونتى .

* * *

وكان يقال : حاجبُ الرَّجل عامِلُه على عِرضه .

٣٥٠ وقال أبو الحسن : رأيتُ امرأةً أعرابية غَمّضَتْ مَيْتا وترحَّمت عليه ثم قالت : ما أحقَّ مَن أُلبس العافية ، وأطِيلت له النَّظِرة أن لا يعجِزَ عن النّظر لنفسه ، قبلَ الحلول بساحته ، والحيالة (٢) بينه وبين نفسه !

وقال ابن الزُّبير لمعاوية حين أراد أن يبايعَ لابنه يزيد : تقُدِّم ابنَك على مَن هو خيرٌ منه ؟ قال : كأنَّك تُرِيد نفسَك ؟ إنّ بيتَه بمكّة فوقَ بيتك ! قال ابن الزبير : إنّ الله رفع بالإسلام بيوتاً ، فبيتى مما رَفَع ! قال معاوية : صدقتَ ، وبيتُ حاطبِ بن أبى بَلْتعة (٣) !

وقال : عاتَبَ أعرابىٌّ أباه فقال : إنّ عظيمَ حقِّك علىَّ لا يُذهِبُ صغيرَ

---

(١) ل : « متى تبق » و « فلا الشح » .

(٢) الحيالة ، عنى بها الحول والحؤول ، وهو مصدر حال الشىء بين الشيئين . ولفظ « الحيالة » هذا لم يرد فى المعاجم المتداولة .

(٣) هو حاطب بن أبى بلتعة بن عمرو بن عمير ، كان حليف الزبير ، وكان من أصحاب رسول الله ، فارساً شاعراً ، وشهد بدراً ، وأخذ عليه أنه كتب إلى أهل مكة يخبرهم بتجهيز رسول الله ، فنزل فيه قول الله تعالى : (يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء) . وهو الذى بعثه رسول الله إلى المقوقس ملك الإسكندرية بكتاب من قِبله . ومات سنة ثلاثين فى خلافة عثمان . الإصابة ١٥٣٣ .

حقِّى عليك ، والذى تُمتُّ إلىَّ أَمُتُّ بمثله إليك ، ولستُ أزعُم أنّا سواء ، ولكنْ أقول (١) : لا يحِلُّ لك الاعتداء .

قال : مدَحَ رجلٌ قوماً فقال . أدّبَتْهمُ الحكمة ، وأُحكمَتْهم التَّجارِب ، ولم تغرُرْهم السّلامةُ المنطَوِية على الهَلَكة ، ورحَلَ عنهم التّسويفُ الذى قطع الناس به مَسافةَ آجالهم ، فأحسَنُوا المقال ، وشَفَعوه بالفَعال .

وقال بعض الحكماء : التّواضع مع السّخافة والبُخْل ، أحمَدُ (٢) عند العلماء من الكبر مع السَّخاء والأدب . فأَعظِمْ بحسَنةٍ عَفّت على سيِّئتين (٣) ، وأفظِعْ بعيبٍ أفسَدَ من صاحبه حسنتين .

وقيل لرجل – أُراه خالدَ بنَ صفْوان – : مات صديقٌ لك ! فقال : رحمةُ الله علَيه ، لقد كان يملأ العينَ جمالا ، والأذنَ بياناً ، ولقد كان يُرجَى ولا يَخْشَى ، ويُغْشَى ولا يَغشَى ، ويُعطِى ولا يُعطَى ، قليلاً لدى الشَّرِّ حضورُه ، سليماً للصَّديق ضميره .

وقام أعرابىٌّ ليَسأل فقال : أينَ الوُجوه الصِّباح ، والعقولُ الصِّحاح ، والألسن الفِصاح ، والأنساب الصِّراح (٤) ، والمكارم الرِّباح (٥) ، والصُّدور الفِساح ، تُعيذُنى من مَقامى هذا ؟!

ومَدحَ بعضُهم رجلاً فقال : ما كان أفسَحَ صدرَه ، وأبعَدَ ذِكرَه ، وأعظَمَ قَدْره ، وأنفذ أمره ، وأعلى شرَفَه ، وأربَحَ صَفقةَ مَن عرَفَه (٦) ، مع سعة الفِناء ، وعظم الإناء ، وكرم الآباء .

---

(١) ما عدا ل : « ولكنى أقول » .

(٢) ما عدا ل ، هـ : « أحب » .

(٣) عفت عليهما : أذهبتهما . ما عدا ل ، هـ : « عفت عن سيئتين » .

(٤) الصراح : جمع صريح ، وهو المحض الخالص .

(٥) الرباح : جمع ربيح ، وهو ما فيه ربح .

(٦) الصفقة : المرة من الصفق ، وهو البيع .

وقال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه لصعصعة بن صُوحان [١] . والله ما عَلِمتُ إنّك لكثير المعونة ، قليل المؤونة ؛ فجزاك الله خيراً ! فقال صعصعة : وأنت فجزاك الله أحسنَ ذلك [٢] ، فإنّك ما علمت بالله عليم ، والله فى عينِك عظيم .

* * *

قال أبو الحسن : أوصى عبد الملك بن صالح [٣] ابناً له فقال : أىْ بنىَّ ، ٣٥١
احلُم فإنّ مَن حلُم ساد ، ومن تفهَّم ازداد ، والقَ أهلَ الخير ، فإنّ لقاءَهم عِمارةٌ للقلوب ، ولا تجمَحْ بك مَطِيّة اللَّجاج [٤] . ومنك مَن أعتبك [٥] ، والصاحبُ مُناسِب [٦] ، والصَّبر على المكروه يَعصِم القلب . المِزاحُ يورث الضغائن ، وحُسن التَّدبير مع الكَفاف خيرٌ من الكثير مع الإسراف ، والاقتصاد يثمِّر القليل ، والإسراف يُتَبِّر الكثير [٧] . ونعِم الحظُّ القناعة ، وشرُّ ما صحِب المرءَ الحسد ، وما كلُّ عَورةٍ تُصاب [٨] . وربَّما أبصر العَمِى رشدَه [٩] ، وأخطأ البصيرُ قصْدَه . واليأس خيرٌ من الطَّلب إلى الناس . والعِفّة مع الحِرفة خير من الغنى مع الفُجور .

---

(١) مضت ترجمته فى (١ : ٩٩) .

(٢) ما عدا ل ، هـ : « أحسن من ذلك » .

(٣) ترجم فى (١ : ٣٣٤) . وانظر وصيتين أخريين له فى عيون الأخبار (١ : ٢١ ، ١٠٩) .

(٤) جمحت به مطيته : ذهبت تجرى جريا غالباً لا يردها اللجام . ل : « تجنح » بمعنى تميل .

(٥) أعتبنى فلان : ترك ما كنت أجد عليه من أجله ورجع إلى ما أرضانى بعد إسخاطه إياى عليه .

(٦) أى بمنزلة النسيب .

(٧) يتبر : يهلك ويدمر . ماعدا ل : « يبير » أباره : أهلكه .

(٨) العورة : خلل فى الثغر يتخوف منه القتل .

(٩) العمى : الأعمى ، ووزنه فعِل ، رجل عم والمرأة عمية ، وجمعه عمون وعمِيّات .

أرفقْ فى الطَّلب وأجملْ فى المكسب ، فإنّه ربَّ طلَبٍ قد جرَّ إلى حَرَبٍ[١] . ليس كلُّ طالبٍ بمُنْجِح[٢] ، ولا كلُّ ملحّ بمحتاج ، والمغبونُ من غُبن نصيبَه من الله . عاتِبْ مَن رجوت عُتباه ، وفاكِهْ مَن أمِنت بَلواه . لا تكن مِضحاكاً من غير عَجَب ، ولا مشّاءً إلى غير أرَب . ومَن نأى عن الحقِّ ضاق مذهبُه ، ومن اقتصر على حاله كان أنعمَ لباله . لا يكبرنَّ عليك ظُلمُ مَن ظلمك ، فإنّه إنّما سعى فى مَضرّته ونَفْعِك . وعوِّد نفسَك السَّماح ، وتخيَّرْ لها مِن كلِّ خلُق أحسنَه ، فإنّ الخيرَ عادة ، والشرَّ لجاجة ، والصدودَ آيةُ المقت ، والتعلُّلَ آية البخل . ومن الفقه كِتمان السر[٣] ، ولِقاح المعرفةِ دراسةُ العلم ، وطولُ التّجاربِ زيادةٌ فى العقل ، والقناعةُ راحة الأبدان . والشَّرف التَّقوى . والبلاغةُ معرفة رتْقِ الكلام وفتقِه . بالعقل تُستخرَج الحكمة ، وبالحِلْم يُستخرج غور العَقْل[٤] ، ومن شمَّر فى الأمور ركب البُحور . شرُّ القول ما نقضَ بعضُه بعضا . من سَعَى بالنَّميمة حَذِرَه البعيد ، ومقَته القريب. مَن أطال النّظرَ بإرادةٍ تامّة أدرك الغاية ، ومن توانى فى نفسه ضاع[٥] . مَن أسرف فى الأمور انتشرَتْ عليه ، ومن اقتصَدَ اجتمعت له . واللَّجاجة تورث الضَّياعَ للأمور . غِبُّ الأدب أحمد من ابتدائه . مبادرةُ الفهم تورِث النِّسيان . سوءُ الاستماع يُعقِب العِيّ . لا تحدِّث مَن لا يقبِل ٣٥٢
بوجهه عليك ، ولا تنصِتْ لمن لا ينمِي بحديثه إليك[٦] . البلادة فى

---

(١) ل : « رب طلب جر » . والحرب ، بالتحريك : أن يسلب الرجل ماله .

(٢) المنجح : ذو النجاح ، وهو الظفر والفوز .

(٣) الفقه : العلم بالشىء والفهم له .

(٤) ما عدا ل : « العقول » .

(٥) ل : « من ترأى » .

(٦) نمى الحديث ينميه ، وأنماه ينميه أيضاً ، ونماه ينميه : بلغه تبليغاً وأذاعه .

الرجل هُجنة (١) . قلَّ مالِكٌ إلا استأثر ، وقلَّ عاجزٌ إلا تأخّر . الإحجام عن الأُمور يورث العجز ، والإقدام عليها يُورث اجتلابَ الحظّ . سُوء الطُّعْمَةِ يفسد العِرْض (٢) ، ويُخلِق الوجه ، ويَمحَق الدِّين . الهيبةُ قرين الحرمان ، والجَسَارة قرين الظَّفر ، ومِنكَ مَن أنصفك (٣) ، وأخوك مَن عاتبك ، وَشريكُك مَن وَفَى لك (٤) ، وصَفِيُّك مَن آثَرك . أعدى الاعتِداء العُقوق . اتِّباع الشَهوة يُورث النّدامة ، وفَوتُ الفرصة يُورث الحَسرة . جميع أركان الأدب التأنّي للرفق . أَكْرِمْ نفسَك عن كلِّ دنِيَّة وإن ساقتك إلى الرغائب (٥) ، فإنك لن تجدَ (٦) بما تَبذُل من دينك ونفسك عِوَضاً . لا تُساعِد النساءَ فيملَلْنَك ، واستبقِ من نفسك بقيَّة ، فإنّهن إن يَرينك ذا اقتدارٍ (٧) خيرٌ من أن يطّلِعْن منك على انكسار . لا تُملِّك المرأةَ الشفاعةَ لغيرها ، فيميلَ من شفعتْ له عليك معها .

أى بنيَّ ، إنى قد اخترت لك الوصيَّة ، ومَحضْتك النصيحة ، وأدَّيت الحقَّ إلى الله فى تأديبك ، فلا تُغفِلنَّ الأخذَ بأحسنها ، والعملَ بها . واللهُ موفّقك .

* * *

قال الغنَوِىّ : احتُضِر رجلٌ منا فصاحت ابنته ، ففتح عينيه وهو يَكيد بنفسه (٨) ، فقال :

---

(١) الهجنة : العيب . ما عدا ل ، هـ : « للرجل هجنة » .

(٢) الطعمة ، بالضم : وجه الكسب .

(٣) نظيره قوله فى أول الوصية ص ٩٣ : « ومنك من أعتبك » .

(٤) ل : « أوفى لك » .

(٥) الرغائب : جمع رغيبة ، وهى ما يرغب فيه المرء .

(٦) ما عدا ل ، هـ : « لا تجد » .

(٧) ما عدا ل : « إن يرين أنك ذو اقتدار » .

(٨) يكيد بنفسه : يجود بها ، وهو حال النزع .

عزاءً لا أبا لَكِ إنّ شيئاً   تولّى ليسَ يُرجِعُهُ الحنينُ

* * *

قال بعض الشعراء :

وما إن قَتلناهمْ بأكثرَ منهمُ   ولكنْ بأوْفَى بالطِّعانِ وأكْرما

المدائنىّ قال : كان يقال : إذا انقطع رجاؤك من صديقك فألْحِقْه بعدوّك .

وقال عبد الملك بن صالح : لا يكبُرَنّ عليك ظلمُ مَن ظلمك ، فإنما سعَى فى مضرَّته ونفعك (١) .

وقال مُصعَب بن الزُّبير : التواضع أحد مَصايد الشَّرَف .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : إيّاك ومؤاخاةَ الأحمق ، فإنه ربما أراد أن ينفعَك فضرّك .

وكانوا يقولون : عَشْر فى عَشَرةٍ (٢) هى فيهم أقبح منها فى غيرهم : الضِّيق فى الملوك ، والغَدر فى ذوِى الأحساب ، والحاجة فى العلماء ، والكذِب فى ٣٥٣
القُضاة ، والغضبُ فى ذوى الألباب ، والسفاهةُ فى الكهول ، والمرَض فى الأطبّاء ، والاستهزاء فى أهل البؤس ، والفَخْر فى أهل الفاقة ، والشحُّ فى الأغنياء .

ووصف بعض الأعراب فرساً فقال : انتهى ضُموره ، وذَبُل فريره (٣) ، وظهر حَصيرُه (٤) ، وتفلّقت غُرورُه (٥) ، واسترخت شاكلتُه (٦) . يُقبل بزُبرة الأسد (٧) ، ويُدْبِر بعجُز الذئب .

* * *

---

(١) مضت فى وصيته ص ٩٤ س ٥ — ٦ .

(٢) ل : « عشرة فى عشرة » . وقد مضى الخبر فى (٣ : ٢٤٦) .

(٣) الفرير : موضع المجسة من معرفة الفرس ، وقيل أصلها . وفى اللسان (غيب) « وُبِلّ » .

(٤) الحصير : لحم ما بين الكتف إلى الخاصرة .

(٥) الغرور : جمع غر ، بالفتح ، وهى فى الفخذين كالأخاديد بين الخصائل .

(٦) الشاكلة : الخاصرة .

(٧) الزبرة : بالضم : الشعر المجتمع على الكاهل .

ومات ابنٌ لسليمانَ بن علىّ فَجزِعَ عليه جزعاً شديداً ، وامتنع من الطعام والشراب ، وجعل الناس يُعزُّونه فلا يَحفِل بذلك ، فدخل عليه يحيى بن منصور فقال : عليكم نَزَل كتاب الله فأنتم أعلَم بفرائضه ، ومنكم كان رسول الله ﷺ فأنتم أعرفُ بسنَّته ، ولستَ ممن يُعلَّمُ مِنْ جَهْل ، ولا يُقوَّم من عِوَج ، ولكنى أعزّيك ببيتٍ من الشعر . قال : هاته . قال :

وهوَّنَ ما ألقَى منَ الوَجدِ أنَّنى   أُساكِنُهُ فى دارِهِ اليومَ أو غَدا

قال : أعِدْ . فأعاد ، فقال : ياغلامُ ، الغَداء .

* * *

قال : دعا أعرابىٌّ فى طريق مكة فقال : « هل من عائدٍ بفضل ، أو مواسٍ من كَفاف ؟ » ، فأُمسِكَ عنه فقال : « اللهمَّ لا تَكِلْنا إلى أنفسنا فنعجِزَ ، ولا إلى الناس فنَضيع » .

وقال أبو الحسن : جاء خلفٌ الأحمر إلى حَلْقة يونس حين مات أبو جعفرٍ فقال :

* قَدْ طرَّقَتْ ببِكرها بِنْتُ طَبَقْ (١) *

فقال له يونس : ماذا ؟ فقال :

* فذَمَّرُوها خَبَراً ضخمَ العُنق (٢) *

فقال يونس : وماذا ؟ فقال :

* مَوتُ الإمامِ فِلْقَةٌ مِن الفِلَقْ (٣) *

---

(١) الرجز فى اللسان (طبق) . وفى المخصص (١٢ : ٢٢١) :

* قد عضلت بِبَيضها أم طبق *

وطرَّقت : خرج من ولدها نصفه ثم نشب ، فيقال طرَّقت ثم خلصت . وأم طبق وبنت طبق أيضاً : حية صفراء ، سميت بذلك لترحيها وتحويها ، أو لإطباقها على من تلسعه ، أو لأن الحواء يمسكها تحت أطباق الأسفاط المجلدة . وبنت طبق تقال أيضاً للداهية .

(٢) التذمير : أن يدخل يده فى حياء الناقة لينظر أذكر جنينُها أم أنثى ، وذلك أنه يلمس لحيى الجنين فإن كانا غليظين كان فحلا ، وإن كانا رقيقين كان ناقة . وفى اللسان : « فذمروها وهمة » . والوهمة : الناقة الضخمة . ويكون قد ذكّر وصفها لما أضيف إليه ، كما تقول : مررت برجل حسنة العين . انظر الأشمونى فى (باب النعت) .

(٣) الفلقة ، بالكسر : الداهية ، كما فى القاموس . ولم ترد هذه الكلمة فى اللسان (فلق) .

قال أبو الحسن : أراد رجلٌ أن يكذب بلالا [١] ، فقال له يوماً : يا بلالُ ، ما سِنُّ فرسك ؟ قال : عَظْم . قال . فكيف جَريُه ؟ قال : يُحضِر ما استطاع . قال : فأين تنزِل [٢] ؟ قال : موضعاً أضَعُ فيه رِجْلى . فقال له الرّجل : لا أتعنّتك أبداً .

قال : ودخل رجلٌ على شُريح القاضى ، يخاصم امرأةً له ، فقال : السّلامُ عليكم . قال : وعليكم . قال : إنّى رجلٌ من أهل الشام . قال : بعيد سَحيق . ٣٥٤ قال : وإنّى قدِمت إلى بلدكم هذا . قال : خَير مَقْدَم . قال : وإنّى تزوجت امرأة قال : بالرِّفاء والبنين . قال : وإنّها ولدَتْ غلاما . قال : ليَهْنِئْك الفارس [٣] . قال : وقد كنتُ شَرَطتُ لها صَداقَها . قال : الشرط أمْلَك . قال وقد أردت الخروجَ بها إلى بلدى . قال : الرجل أحقُّ بأهله . قال : فاقض بيننا . قال : قد فعلت .

قال : وخرج الحجّاج ذات يوم فأصحَر ، وحضَر غَداؤه فقال : اطلبوا من يتغدَّى معى . فطلبوا فإذا أعرابىٌّ فى شَملةٍ ، فأُتِىَ به ، فقال : السّلام عليكم . قال : هلمَّ أيها الأعرابى . قال : قد دعانى مَن هو أكرم منك فأجبته . قال : ومن هو ؟ قال : دعانى الله ربِّى إلى الصَّوم فأنا صائم ! قال : وصومٌ فى مثل هذا اليوم الحارّ ! قال : صمتُ ليومٍ هو أحرُّ منه ، قال : فأفطِر اليومَ وصمْ غداً . قال : ويضمنُ لى الأمير أنى أعيش إلى غد ؟ قال : ليس ذلك إليه ! قال :

---

(١) بلال هذا ، هو بلال بن أبى بردة ، أمير البصرة وقاضيها . ترجم (١ : ٣٣٠ ، ٣٩٧) .

(٢) ما عدا ل : « بنزل » .

(٣) هذا دعاء للتفاؤل . ماعدا ل : « ليهنك » . وفى اللسان (هنأ) : « والعرب تقول : ليهنئك الفارس بجزم الهمزة ، وليهنيك الفارس بياء ساكنة ، ولا يجوز ليهنك ، كما تقول العامة » .

فكيف يسألنى عاجلاً بآجل ليس إليه ؟ قال : إنّه طعام طيّب . قال : ما طيَّبَهُ خبّازك ولا طبّاخُك ! قال : فمن طيَّبه ؟ قال : العافية . قال الحجاج : تالله إن رأيتُ كاليوم ! أخرِجوه .

* * *

قال أبو عَمرو : خرج صَعصعةُ بنُ صُوحانَ عائداً إلى مكّة ، فلقيه رجلٌ فقال له : يا عبد الله ، كيف تركتَ الأرض ؟ قال : عَرِيضة أريضة [(١)] . قال : إنّما عنيت السماء . قال : فوقَ البشَر ، ومدَى البصر . قال : سبحان الله ، إنّما أردت السحاب ! قال : تحت الخضراء ، وفوقَ الغبراء . قال : إنّما أعنى المطر . قال : عَفَّى الأثر ، وملأ القُتَر [(٢)] ، وبلَّ الوَبر ، ومُطِرنا أحيا المطَر . قال : إنسىٌّ أنت أم جنّى ؟ قال : بل إنسىٌّ ، من أمّة رجلٍ مَهدىّ ، ﷺ .

وقال بشار :

وحمِدٍ كعَصْب البُرِدِ حَمَّلتُ صاحِبى ... إلى مِلكٍ لِلصّالحِيــنَ قَرِيــنِ [(٣)]

وقال أيضاً :

وبِكْــرٍ كنُوّارِ الرِّياضِ حدِيثُهــا ... تَرُوقُ بِوَجْـــهٍ واضِحٍ وقَـــوَامِ [(٤)]

وكتب الحجاج بن يوسف إلى عبد الملك بن مروان :

٣٥٥ أمّا بعدُ فإنّا نخبر أميرَ المؤمنين أنّه لم يصب أرضَنا وابلٌ منذ كتبتُ أخبره عن سُقيا الله إيّانا ، إلاّ ما بلَّ وجهَ الأرض : من الطَّشّ ، والرشّ ، والرّذاذ [(٥)]

---

(١) الأريضة : المعجبة للعين .

(٢) القتر : جمع قترة ، وهى البئر يحتفرها الصائد يكمن فيها .

(٣) سبق إنشاد البيت فى (٢ : ١٥٥) .

(٤) ومضى هذا أيضاً فى (٢ : ١٥٥) .

(٥) الطش : المطر القليل ، ونحو منه الرش والرذاذ .

حتّى دَقِعَت الأرض واقشعَرَّت واغْبرَّت (١) ، وثارت فى نَوَاحيها أعاصيرُ تذرُو دُقاق الأرض من تُرابها ، وأمسك الفلّاحون بأيديهم من شِدّة الأرض واعتزازها (٢) وامتناعها ، وأرضُنا أرض سريع تغيرها ، وشيكٌ تنكُّرها ، سيِّءٌ ظَنُّ أهلها عند قُحوط المطر ، حتّى أرسل الله بالقَبول يوم الجمعة (٣) ، فأثارت زِبرجاً متقطّعا متمصّرا (٤) ، ثم أعقبَتْه الشَّمال يومَ السبت فطَحْطَحت عنه جَهَامَه (٥) ، وأَلَّفَتْ متقطِّعَه ، وجمعت متمصِّرَه ، حتّى انتضَدَ فاستوى ، وطَمَا وطحا ، وكان جوناً مُرثَعِنّا (٦) قريباً رواعدُه . ثم عادت عوائده بوابلٍ منهمِلٍ منسجل (٧) يردُف بعضُه بعضاً ، كلّما أردف شؤبوب أردفَتْه شآبيبُ (٨) لشدة وقعه فى العِرَاص (٩) . وكتبتُ إلى أمير المؤمنين وهى ترمى بمثل قِطَعِ القُطن ، قد ملأ اليَبَاب (١٠) ، وسدَّ الشِّعاب ، وسَقَى منها كلَّ ساقٍ . فالحمد لله الذى أنزل غيثَه ، ونشر رحمَتَه من بعد ما قَنطوا ، وهو الولىُّ الحميد . والسلام .

* * *

---

(١) دقعت : صارت لا نبات بها . اقشعرت الأرض من المحل : تقبضت وتجمعت .

(٢) اعتزاز الأرض مما لم يرد فى المعاجم المتداولة . وفيها العزاز ، كسحاب ، وهو ما صلب من الأرض واشتد وخشن . ما عدا ل : « واعترازها » . والذى فى المعاجم من هذه المادة « الاستعراز » ، وهو اشتداد الشىء وغلظه .

(٣) القَبول : ريح الصبا ، وهى الريح الشرقية ، ويقابلها الدبور .

(٤) الزبرج : السحاب الرقيق الخفيف . المتمصر : المتفرق المتقطع .

(٥) طحطحته : فرّقته وبددته . والجهام : السحاب الذى لا ماء فيه ، والذى قد هراق ماءه .

(٦) كان هنا بمعنى صار . المرثعن : المسترسل السائل .

(٧) المنسجل : المنصب . قال ذو الرمة :

وأردفت الذراع لها بعين سَجوم العين فانسجل انسجالا

(٨) الشؤبوب : دفعة من دفعات المطر .

(٩) العراص : جمع عرصة ، وهى كل جوبة منفتقة ليس فيها بناء . ماعدا هـ : « فى العراض » جمع عرض بالضم ، وهى الناحية والشق .

(١٠) اليباب : الخالى الذى لا شىء به .

وهذا أبقاك الله آخر ما ألَّفناه من كتاب « البيان والتبُّين [١] » ، ونرجو أن نكون غير مقصِّرين فيما اخترناه من صَنعته ، وأردناه من تأليفه . فإن وَقَع على الحال التى أردنا ، وبالمنزلة التى أمَّلنا ، فذلك بتوفيقِ الله وحُسن تأييده ، وإن وقَع بخلافهَا فما قصَّرنا فى الاجتهاد ، ولكنْ حُرِمْنا التوفيق [٢] . والله سبحانه وتعالى أعلم [٣] .

(خاتمة نسخة ل)

كمل السفر الثانى ، وبتمامه تم الكتاب بأسره ، بفضل الله وعونه ، والصلاة على سيدنا محمد وآله ، فى الجمعة سابع المحرم من سنة أربع وثمانين وستمئة ، وعلقه الفقير إلى الله أحمد بن سلامة بن سالم المعرى .

(خاتمة نسخة هـ)

تم الكتاب والحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى .

وذلك عشى يوم الأربعاء الثامن والعشرين من ذى القعدة سنة سبع وثمانين وخمسمائة. فى آخر السفر الذى نسخت منه الثلث الثالث من هذا الكتاب : كتب هذا السفر وهو مشتمل على جميع كتاب البيان والتبيين عن نسخة أبى جعفر البغدادى ، وهى النسخة الكاملة ، وتم بعون الله وتأييده فى غرة ربيع الآخر من سنة سبع وأربعين وثلثمائة .

أكملت جميع هذا الديوان بالقراءة والمقابلة على الفقيه الأجل الأستاذ الأفضل الأخصل أبى ذر بن محمد بن مسعود الخشنى أعزه الله وأكرمه وهو يمسك علىّ كتابه ، وهو الأصل الذى كتب من نسخة أبى جعفر البغدادى ،فصحّ بحمد الله وتوفيقه . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليماً ، وذلك ببيْتة حرسها الله ، غرة ذى الحجة سنة سبع وثمانين وخمسمائة .

تم الجزء الرابع من كتاب البيان والتبيين بتقسيم محققه وشارحه . والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات .

---

(١) ما عدا ل ، هـ : « والتبيين » .

(٢) فى حواشى هـ بخط حديث : « كيف خفى على الجاحظ ختمه كتابه بقوله : حرمنا التوفيق . نسأل الله تعالى المعونة والعناية والتوفيق فى كل أمورنا » .

(٣) هذه الجملة من ل فقط .

فهرس الأبواب

صفحة

١ - فهرس البيان والبلاغة

* * *

٢ - فهرس الخطب

* * *

فهرس الرسائل

* * *

٤ – فهرس الوصايا

* * *

٥ – فهرس الأشعار

(أ)

(ب)

(ت)

(١) النسبة من المؤتلف والمختلف ١٤ .

(ث)

(ج)

(ح)

(١) النسبة من أمالى الزجاجى ٦ . وانظر حماسة ابن الشجرى ١٣٨ .

(١) وقيل لعبد ربه السلمى ، ويقال لسليم بن ثمامة الحنفى ، كما فى اللسان (عصا) .

(*) صوابه « المتنخل »

(ش)

(ك)

(ل)

(م)

٭ ٭ ٭

٦ - فهرس الأرجاز

(٥) رواية فى السابقة .

* * *

٧ – فهرس الأمثال

---

(١) وفى ٣ : ٢٩٤ : « أشبه امرأ » .

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

* * *

٨ - فهرس اللغة

ينقسم هذا الفهرس إلى قسمين رئيسيين :

الأول : ما فسره الجاحظ من اللغة العربية ، وقد ألحق به ما فسره من اللغة الفارسية .

الثانى : ما فسره محقق الكتاب ، وألحق به أيضاً ما فسره من اللغة الفارسية .

وهذا القسم الأخير قد تضمن كثيراً من الألفاظ التى لم تنص عليها معجمات اللغة المتداولة ، وقد أشير إليها بوضع هذه العلامة بعدها (-) .

١ - القسم الأول وهو ما فسَّره الجاحظ

ملحق فهرس اللغة الأول

ب – القسم الثانى ، وهو ما فسره محقق الكتاب

(ت)

(خ)

(د)

(س)

(ش)

(ض)

(غ)

(ق)

(م)

(ى)

* * *

ملحق القسم الثانى من فهرس اللغة

* * *

٩ - فهرس الأعلام

(*) ما وضع بإزائه نجم فهو مما ورد فى الشعر فقط . والأرقام السُّود تبين مواضع التراجم .

(ح)

(خ)

(س)

(ش)

(ض)

(ط)

(ظ)

(ع)

(ق)

(١) ذكر المرصفى فى رغبة الآمل ١ : ١٠٦ أنه جندب بن عفيف ، وأما ابن أخيه فهو عبد الرحمن بن عبد الله بن عفيف .

(١) انظر الاشتقاق ١٠٤ .

(١) تكملة النسب من تهذيب التهذيب (٥ : ٢٥٠) .

(و)

(ى)

* * *

١٠ - فهرس القبائل والأمم والطوائف

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

* * *

١١ - فهرس البلدان والمواضع والمياه

***

١٢ – فهرس أيام العرب

° ° °

١٣ – فهرس الحضارة

(ويشمل نظم العرب الاجتماعية والسياسية والمالية والخلقية والتعليمية)

٭ ٭ ٭

١٤ – فهرس الكتب (٥)

(الكتب التى ذكرها الجاحظ فى أثناء كتابه)

٥ ٥ ٥

(٥) ما قرن بنجم فهو من تأليف الجاحظ .

١٥ – فهرس مراجع الشرح والتحقيق (*)

الآثار الباقية للبيرونىّ (ليبسك ١٨٧٨ م) ٣ : ١٠٢ / ٤ : ٣٢
آكام المرجان ، للشبلى (السعادة ١٣٢٥) ٤ : ٧٧
إتحاف فضلاء البشر ، للدمياطى (حنفى ١٣٥٩) ١ : ١٧٨ / ٢ : ٣٢٦ / ٣ : ٦ ، ٦٥ ، ١٦٨
أخبار أصفهان ، لأبى نعيم (ليدن ١٩٣٤ م) ٢ : ٢٣٤
أخبار أبى تمام ، للصولى (لجنة التأليف ١٣٥٦) ٤ : ٨٠
أخبار الظراف والمتماجنين ، لابن الجوزى (دمشق ١٣٤٧) ١ : ١٩٠ / ٣ : ٣٢١
أخبار عبيد بن شَرِيَّة (حيدر آباد ١٣٤٧) ١ : ١٨٤ / ٣ : ١٢٠
إخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطى (السعادة ١٣٢٦) ١ : ٦٢ ، ٢٤٩ / ٣ : ٢٨ / ٤ : ١٤
أخبار أبى نواس ، لابن منظور (الاعتماد ١٣٤٣) ١ : ١٤١ / ٣ : ٣٢ ، ٩٤
أدب الكاتب ، لابن قتيبة (السلفية ١٣٤٦) ٣ : ٢٥٦ ، ٣٢١
أدب الكتاب ، للصولى (السلفية ١٣٤١) ١ : ٢٠٣
إرشاد الأريب ، لياقوت (دار المأمون ١٣٢٣) ١ : ١٢٩ ، ١٧٤ ، ٢٢١ ، ٢٢٣ ، ٢٥٠ ، ٢٨٤ ، ٢٩٧ ، ٣٢١ ، ٣٦١ ، ٣٧٩ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ / ٢ : ١٦٧ ، ٢٧٠ ، ٣٠٤ / ٣ : ٢٠٢ ، ٣٧٤ / ٤ : ٢٣
إرشاد الأريب ، لياقوت (مرجليوث) ١ : ١٤٧
الأزمنة والأمكنة ، للمرزوقى (حيدر آباد ١٣٣٢) ٤ : ١٤ ، ١٩ ، ٢٢
أساس البلاغة ، للزمخشرى (دار الكتب ١٣٤١) ٢ : ٢٧٤ / ٣ : ٧
الاستيعاب ، لابن عبد البر (حيدر آباد ١٣١٨) ٢ : ١١٣
أسد الغابة ، لابن الأثير (الوهبية ١٢٨٦) ٣ : ٧٣
الاشتقاق ، لابن دريد (جوتنجن ١٨٥٣ م) ... ...
الأشربة ، لابن قتيبة (الترقى بدمشق ١٣٦٦) ٣ : ١٦٩
الإصابة ، لابن حجر (السعادة ١٣٢٣) ... ...
إصلاح المنطق ، لابن السكيت (المعارف ١٣٦٨) ٣ : ٩٧ ، ٢٥٠ ، ٣٤٠
الأصمعيات ، للأصمعى (ليبسك ١٩٠٢ م) ١ : ٢١٤ ، ٣٧٥ / ٢ : ١٩٣ ، ٢٨١ ، ٣٠٨ / ٣ : ١٠١ ، ٣٣٢
الأصمعيات ، للأصمعى (المعارف ١٣٧٠) ١ : ١٦٨ / ٣ : ٣٣٢ ، ٣٤٦
الأضداد ، لابن الأنبارى (الحسينية ١٣٢٥) ١ : ١٨١ / ٤ : ٥٥
إعجاز القرآن ، للباقلّانى (السلفية ١٣٤٩) ١ : ٣١ / ٢ : ٥٢ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ١٣٧

(*) ما وضع بإزائه نقط فهو مما تكرر ذكره فى الحواشى أكثر من مائة مرة ، لذلك أغفلت ذكر مواضعه .

إعلام الناس ، للإتليدى (الكاستلية ١٢٨٠) ٤ : ٥١
الأغانى ، لأبى الفرج (التقدم ١٣٢٣) ... ...
الاقتضاب ، لابن السِّيد (بيروت ١٩٠١ م) ١ : ١٩٠ / ٣ : ٢٥٦ ، ٣٢١
الألفاظ الفارسية المعربة ، لأدى شير (بيروت ١٩٠٨ م) ٢ : ١٠٣ / ٣ : ٤٧ ، ٩٣
أمالى الزجاجى بتحقيق عبد السلام هارون (المؤسسة العربية الحديثة ١٣٨٢) ١ : ٩ ، ١٧١ / ٢ : ٨٠ ، ١٢٣ ، ٢٤٣ / ٣ : ٣٦ ، ٦٢ ، ١٠٣ ، ٢٤٢ / ٤ : ٦٦
أمالى ابن الشجرى (حيدر أباد ١٣٤٩) ٢ : ٢٨١ / ٣ : ٣١٦ ، ٣١٧
أمالى القالى (دار الكتب ١٣٤٤) ١ : ٩ ، ٣٦ ، ٤١ ، ٢٠٣ ، ٢١٩ ، ٢٢٨ ، ٢٧٦ ، ٢٨٠ ، ٢٨٣ ، ٣١٢ ، ٣٦٢ / ٢ : ١١ ، ٩٧ ، ١٠٥ ، ١١٣ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ٢٦٧ / ٣ : ٣٧ ، ٥٢ ، ١٠٨ ، ١٨٥ ، ١٩٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٢ ، ٢٥٤ ، ٢٥٧ ، ٢٦٤ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣١٥ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٤١ – ٣٤٤ / ٤ : ٤١ ، ٤٨ ، ٥١ ، ٦٣ ، ٦٦
أمالى المرتضى (السعادة ١٣٢٥) ١ : ١٨٩ ، ٢٢٨ ، ٢٧٢ ، ٣١٦ ، ٣٢٥ ، ٣٥٧ ، ٣٧٠ / ٢ : ١٤٧ ، ١٨٣ ، ١٨٧ / ٣ : ١٢٣ ، ٢١٨ ، ٢١٩
إنباه الرواة على أنباه النحاة ، للقفطى (مصورة دار الكتب) ١ : ١٢٩ / ٤ : ٢٣
إنباه الرواة على إنباه النحاة ، للقفطى (طبع دار الكتب) ١ : ٢٩٥
الأنساب ، للسمعانى (ليدن ١٩١٢ م) ١ : ٦ ، ٢٣ ، ٣٤ ، ٣٧ ، ٦١ ، ٩١ ، ٩٨ ، ١٠٢ ، ١٢٠ ، ١٩٥ ، ٢٤٣ ، ٢٥١ ، ٣٤٣ ، ٣٥٣ ، ٣٩٩ / ٢ : ٢٥ ، ٣٤ ، ٣٧ ، ١٧٨ ، ٢٠٠ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢٣٤ ، ٢٤٨ / ٣ : ١٢٩ ، ١٦٠ ، ٢٨٨ / ٤ : ٥ ، ٨١
الإنصاف ، لابن الأنبارى (الاستقامة ١٣٤٦) ١ : ١٨١ / ٢ : ٢٤٥ / ، ٣ : ١٢٣ / ٤ : ٣٨
أوضح المسالك ، لابن هشام (السعادة ١٣٦٨) ٣ : ١٥
أيمان العرب ، النجيرمى (السلفية ١٣٤٣) ٣ : ٧ ، ٨
البحر المحيط ، لأبى حيان (السعادة ١٣٢٨) ١ : ٨ ، ١٨٤ ، ١٨٧ / ٢ : ٢٢٥ ، ٢٢٦
البخلاء ، للجاحظ (الساسى ١٣٢٣) ١ : ٩٣ ، ١٠٦ ، ١١٥ ، ١٧٧ ، ٢٠٥ ، ٢٥٩ / ٢ : ١٩٨ ، ٢٠٢ ، ٢٢٩ / ٣ : ٧٩ ، ٩٤ ، ١٠٥ ، ١٠٨ ، ١٦٣ ، ٢٠٩ ، ٣٠٣ ، ٣٠٦ ، ٣١١ / ٤ : ١٩
البداية والنهاية ، لابن كثير (السعادة ١٣٢٨) ٢ : ٢٥٢ / ٣ : ٣٥٧
البغال ، للجاحظ ، بتحقيق عبد السلام هارون ، فى رسائل الجاحظ (الخانجى)
بغية الوعاة ، للسيوطى (السعادة ١٣٢٦) ١ : ١٥٧ ، ٢٥٠ ، ٢٥٠ ، ٢٩٧ ، ٣٢١ ، ٣٧٧ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ / ٢ : ١٦٧ ، ٣٠٤ ، ٣٧٤ / ٤ : ٢٣
بقية أشعار الهذليين (برلين ١٨٨٤ م) ١ : ٢١٣
بلاغات النساء ، لابن طيفور (القاهرة ١٣٢٦) ١ : ١٠٩ ، ٣١٢ / ٤ : ٧٢
بلوغ الأرب ، للآلوسى (الرحمانية ١٣٤٣) ١ :٣٩٠ / ٣ : ١٢٣ ، ٣٣٥

تاج العروس ، للزَّبيدى (القاهرة ١٣٠٦) ١ : ٣٩ ، ٣٤٧ ، ٤٠٩ / ٢ : ١٠٢ / ٣ : ١٠٧ ، ٣٤٦ / ٤ : ٦٦
تاريخ الإسلام ، للذهبى (مكتبة القدسى ١٣٦٧) ١ : ٣٠٤
تاريخ بغداد ، للخطيب البغدادى (القاهرة ١٣٤٩) ... ...
تاريخ دمشق ، لابن عساكر (مخطوطة المكتبة التيمورية) ٢ : ٢٥ ، ٢٠٤ / ٣ : ١٩١
تاريخ الطبرى (الحسينية ١٣٢٦) ... ...
تاريخ اليعقوبى (النجف ١٣٥٨) ٢ : ١٦٧ ، ٢٠٥
تأويل مختلف الحديث ، لابن قتيبة (كردستان ١٣٢٦) ١ : ١٠٥ / ٣ : ٣٧٨
تذكرة الحفاظ ، للذهبى (حيدر أباد ١٣٣٣) ١ : ٣٣ ، ١٠٤ ، ١٩٤ ، ٢٤٢ ، ٢٦٤ ، ٢٩١ ، ٣٠٣ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ / ٢ : ٢٣ – ٣٨ ، ٤٨ ، ١٧٣ ، ٢٢٠ ، ٢٥٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٩ ، ٢٨٩ / ٣ : ٢٨٣
تذكرة داود الأنطاكى (القاهرة بدون تاريخ) ١ : ٢٨ / ٢ : ٢١٤ / ٣ : ٦٨ ، ٩٢ ، ٢٩٣ ، ٣٤٥
التصريح بمضمون التوضيح ، للشيخ خالد (الأزهرية ١٣٤٤) ٢ : ٢٤٥
تزيين الأسواق ، لداود الأنطاكى (الأزهرية ١٣٢٨) ٢ : ٣٥١
التعازى والمراثى للمبرِّد (مخطوطة الإسكوريال) ٣ : ١٦٤
تفسير الطبرى (بولاق ١٣٣٠) ٣ : ٩٧
تفسير القرطبى (طبع دار الكتب المصرية) ٣ : ٢٠٢
تقريب التهذيب ، لابن حجر (الهند ١٣٢٠) ١ : ١٧٣ ، ٣٤٣ / ٢ : ٣٦ ، ٢٩٠ ، ٣٢٠ / ٣ : ١٦٠ ، ١٩٢
التمثيل والمحاضرة ، للثعالبى ، بتحقيق عبد الفتاح الحلو (الحلبى ١٣٨١) ٣ : ١٦٥ ، ٢٧٨
التنبيه والإشراف ، للمسعودى (الصاوى ١٣٥٧) ١ : ٦٤ ، ١٠٧ ، ٢٠٥ ، ٣٥٩ ٤١٠ / ٣ : ١١٤ ، ١٥٤ ، ١٦٧ ، ١٨٩ ، ٢٣٦ ، ٣٦٧
التنبيه على أمالى القالى ، للبكرى (دار الكتب ١٣٤٤) ٢ : ٩٧ / ٣ : ١٠٦ ، ١٠٧
تهذيب إصلاح المنطق للتبريزى (السعادة ١٣٢٥) ٣ : ٢٥٠
تهذيب التهذيب ، لابن حجر (حيدر آباد ١٣٢٥) ... ...
التيجان ، لوهب بن منبه (حيدر آباد ١٣٤٧) ١ : ١٦٨ ، ١٨٤
ثمار القلوب ، للثعالبى (الظاهر ١٣٢٦) ١ : ٤٠ ، ١٨٤ ، ١٩٠ ، ٢٦٣ ، ٢٨٩ ، ٣٠٧ / ٢ : ١٩ ، ٣٨ ، ١٠٢ ، ٣١٩ / ٣ : ٤٤ ، ٩٤ ، ٩٧ ، ١٠٣ ، ١٧٣ ، ٢٠٩ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٨ ، ٣٢١ / ٤ : ٨٢ ، ٨٨
جامع بيان العلم ، لابن عبد البر (الموسوعات ١٣٢٠) ٢ : ١٤٦
الجامع الصغير ، للسيوطى (حجازى ١٣٥٢) ١ : ٦٣ / ٢ : ٣٦ / ٣ : ٥٩ ، ٢٧٢

٣ : ٥١ ، ٣٠٥ / ٤ : ٦٣

رسائل الجاحظ ، بتحقيق عبد السلام هارون (الخانجى ١٣٨٤) ١ : ٢٦١ ، ٢٩٧ ، ٣٢٧ / ٢ : ٤٩ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٩ ، ١٥٠ ، ١٧٦ ، ٢٠١ ، ٢٣٠ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ / ٣ : ٢١٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٥ ، ٣٣٣ / ٤ : ٢١ ، ٢٥ ، ٥٠

رغبة الآمل ، للمرصفى (الجمالية ١٣٣٢) ٤ : ٢٨٧

الروض الأنف ، للسهيلى (الجمالية ١٣٣٢) ١ : ٣٨٤

زهر الآداب ، للحصرى (الرحمانية ١٩٢٥ م) ١ : ٤٤ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٣ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ١١١ ، ١١٢ ، ٢٣٣ ، ٢٤٠ ، ٢٧٤ ، ٣١١ ، ٣٧٠ ، ٣٧٢ ، ٣٧٥ / ٢ : ٤٥ ، ١٣٦ ، ٢٣٦ ، ٣٠٢ / ٣ : ٥٤ ، ١٣٧ ، ٢٦٠ ، ٢٧٨ ، ٣٣٤ ، ٣٤٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٦٤ / ٤ : ٣٧ ، ٣٨ ، ٤٣ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٦٨

سر العربية ، للثعالبى (الحلبى ١٣٥٧) ٢ : ١٨٢

سرح العيون ، لابن نباتة (بهامش لامية العجم . الأزهرية ١٣٠٥) ١ : ٥٢ ، ٢٠٨ / ٣ : ٣٨

سمط اللآلى ، للراجكوتى (لجنة التأليف ١٣٥٤) ١ : ٤٢ ، ٤٣ ، ١٦٨ / ٢ : ٢٨٤ / ٣ : ٥ ، ٨٧ ، ٣٦١ / ٤ : ٣٨ ، ٣٩ ، ٦٢

السيرة ، لابن هشام (جوتنجن ١٨٥٩ م) ١ : ١٥ ، ٢٣ ، ٣٤ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٢١٣ ، ٢٦٧ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٣٠٧ ، ٣٥٩ ، ٣٦٢ / ٢ : ١٤ ، ٣١ ، ١٦٦ ، ٢٦٣ ، ٣٢٣ ، ٣٢٥ ، ٣٣٢ / ٣ : ١٢ ، ١٩ ، ٣٥ ، ١٤٨ ، ٢٤٧ ، ٢٩٦ ، ٣٠٠ ، ٣٦٣ / ٤ : ٢٩ ، ٤٤ ، ٦٨ ، ٧٧

سيرة عمر بن عبد العزيز ، لابن الجوزى (المؤيد ١٣٣١) ٢ : ١١٨ ، ١٢٠

« « « « ، لابن عبد الحكم (الرحمانية ١٩٢٧ م) ٢ : ١١٨ ، ١٢٠

شرح أبيات الكتاب ، للشنتمرى (بهامش كتاب سيبويه) ١ : ٢٣٥

« أشعار الهذليين للسكرى (لندن ١٨٥٤ م) ١ : ٣ ٢٧٥ / ٢ : ٢٧٥ ، ٣٥٢ / ٣ : ٣٢٧ ، ٣٣٣

شرح الأشمونى للألفية (بولاق ١٢٧٧) ٤ : ٤١ ، ٩٧

« ديوان الحماسة ، للتبريزى (بولاق ١٢٩٦) ١ : ٩ ، ١٠٨ ، ٢٣٨ ، ٣٥٤ ، ٣٨٩ / ٢ : ١٨٦ ، ٣١٦ / ٣ : ٢٣٣ ، ٢٤٤ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٢٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٧ ، ٣٤٠ ، ٣٦٤ / ٤ : ٤٢

شرح ديوان الحماسة ، للمرزوقى (لجنة التأليف ١٣٧٢) ١ : ٧١ ، ١٨٥ / ٢ : ٨٩ ، ٢٧٦ ، ٣١٦ / ٣ : ٢٤٩

شرح ديوان المتنبى ، للعكبرى (الشرفية ١٣٠٨) ٤ : ٥٣

« الزرقانى على المواهب اللدنية ، للقسطلانى (بولاق ١٢٧٨) ٤ : ٢٩ ، ٥٧ ، ٥٨

« الشافية ، للرضى (حجازى ١٣٥٦) ١ : ٣٩ ، ٤٠٩

« شذور الذهب ، لابن هشام (الاستقامة ١٣٦٥) ١ : ٢١٨

مجموع خمسة دواوين = ديوان النابغة ، وعروة بن الورد ، وحاتم ، وعلقمة ، والفرزدق رواية الأصمعي
(الوهبية ١٢٩٣)

مجموعة أشعار الهذليين (ليبسك ١٩٣٣ م) ١ : ١٧

المحاسن والمساوى ، للبيهقى (السعادة ١٣٢٥) ١ : ١٥٠ ، ٢٦٠ / ٢ : ٣٢٩ ، ٣٣٢

محاضرات الأدباء ، للراغب الأصفهانى (الشرقية ١٣٢٦) ١ : ٢٢٢ ، ٢٣٠ / ٢ : ١٦٠ ، ٢١٦ ،
٢٢٧ ، ٢٦٧ / ٣ : ٤٣ ، ٣٧٨ ، ٣٣٣ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤

المحبر ، لابن حبيب (حيدر آباد ١٣٦١) ١ : ٣٥٧ / ٣ : ٣٠

المختار من شعر بشار ، للخالديين (الاعتماد ١٣٥٣) ٣ : ١٢٣ / ٤ : ٤٦ ، ٤٩ ، ٦١ ، ٦٣

مختلف القبائل ومؤتلفها ، لابن حبيب (جوتنجن ١٨٥٠ م) ١ : ١٩٩ ، ٣١٧ / ٣ : ٢٤٩ / ٤ : ٥

المخصص ، لابن سيده (بولاق ١٣١٨) ١ : ٢١ ، ١٥٣ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٥ ، ٢١٤ ، ٢٢٣ ،
٢٢٩ / ٢ : ١٥٨ ، ١٦٢ / ٣ : ١٨ ، ٣٤ ، ٥٢ ، ٦١ ، ١٠٤ ، ٢٢٣ ، ٢٥٠ ، ٢٥٤ ، ٢٧٦ ،
٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣٢٥ ، ٣٤٠ ، ٣٤٢ / ٤ : ٩٧

مخطوطات الموصل ، لداود جلبي (الفرات ببغداد ١٩٢٧ م) ١ : ٢٤

مروج الذهب ، للمسعودى (السعادة ١٣٦٧) ١ : ٨١ ، ٢٣٢ ؛ ٢٨٩ / ٣ : ١٧٣ ، ٢٥٧ ،
٢٦٦ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥٢ ، ٣٥٧ ، ٣٦٩ / ٤ : ١٧

المزهر ، للسيوطى (الحلبى ١٣٦١) ١ : ١٠٩ ، ٣١٢ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ / ٢ : ١٦٤ / ٣ ، ٢١٣ ،
٣١٧

المستطرف ، للأبشيهى (المعاهد ١٣٥٤) ١ : ٨١ / ٢٥٧ ، ٣٠٤

المشتبه ، للذهبى (ليدن ١٨٨١ م) ٢ : ١٠٢

المعارف ، لابن قتيبة (الإسلامية ١٣٥٣) ... ...

معانى الشعر ، للأشنانداني (الترقى بدمشق ١٣٤٠) ٢ : ١٦٢

معاهد التنصيص ، للعباسى (البهية ١٣١٦) ١ : ٦٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٨ ، ٢٧٠ ، ٤٠٩ / ٣ : ٣٨ ،
١٠٠ ، ١٠١ ، ١٢٣ ، ٢٥٧ ، ٣٢٥ ، ٣٤٠ ، ٣٤٢ ، ٣٧٠ / ٤ : ١٧

المعتمد ، لابن رسولا الغسانى (الميمنية ١٣٢٧) ١ : ٢٠ ، ٢٨

معجم البلدان ، لياقوت (السعادة ١٣٢٣) ... ...

معجم الشعراء ، للمرزباني (القدسى ١٣٥٤) ١ : ٣ ، ١٥ ، ٣٩ ، ٤٦ ، ٧١ ، ١٢٤ ، ١٤٢ ، ١٦٤ ،
١٦٨ ، ١٧٩ ، ١٨١ ، ١٩٠ ، ٢٢٢ ، ٢٢٩ ، ٢٣١ ، ٢٤٦ ، ٣٦٢ ، ٣٧٥ ، ٤٠٠ / ٢ :
٧٨ ، ١٦٨ ، ١٨٥ ، ٢٧٨ ، ٣٦٢ / ٣ : ٢٠ ، ٤٠ ، ٧٧ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٧ ، ١٠٠ ، ١٠٢ ،
٢٢٧ - ٢٢٩ ، ٢٣٣ ، ٢٤٥ ، ٢٥٩ ، ٣٢١ ، ٣٤٢ ، ٣٥٩ / ٤ : ٨ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٦٣ ، ٩٠

المعجم الفارسى الإنجليزى لاستينجاس (لندن ١٩٣٠ م) ١ : ٦٠ ، ٦١ ، ١٤٢ ، ١٤٤ ، ١٦٩ ، ٢٠٨ ،
٢٣٠ / ٢ : ١٤٩ ، ٢١٤ ، ٢١٩ ، ٣١٤ ، ٣٤٢ / ٣ : ١٣ ، ١٧ ، ٢٤ ، ٥٦ ، ٩٠ - ٩٣ ،

الميسر والأزلام ، لعبد السلام هارون (دار الفكر ١٩٥٣) ٣ : ١٠٤

النجوم الزاهرة ، لابن تغرى بردى (دار الكتب ١٣٤٨) ٣ : ١٦٤

نزهة الألباء للأنبارى (القاهرة ١٢٩٤) ٢ : ١٦٧ ، ٢١٤ ، ٢٢٢

نسب قريش ، للزُّبيرى (دار المعارف ١٩٥١ م) ٣ : ٣٠

النقائض ، رواية أبى عبيدة (ليدن ١٩٠٥ م) ١ : ١٢٧ ، ١٦٤ ، ٣٠٠ ، ٣٦٢ ، ٣٨٩ / ٢ : ٢٦٧ / ٣ : ٣٤٣

نقد الشعر ، لقدامة (الجوانب ١٣٠٢) ١ : ١٢٤

نَكْت الهميان ، للصفدى (القاهرة ١٩١٠ م) ١ : ٣١ ، ٢٠٦ ، ٢١٨ ، ٢٢٦ ، ٢٣٢ ، ٢٤٢ ، ٢٥١ ، ٣١٦ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٧٢ / ٢ : ٣٢٢ – ٣٢٤ / ٣ : ١١ ، ٦٢ ، ١٢٣ ، ٢٠٢ ، ٢١٢

نهاية الأرب ، للنويرى (دار الكتب ١٣٤٢) ١ : ٢٠٧ ، ٢٤٦ ، ٢٦٧ ، ٣٢٥ / ٢ : ١٢٦ ، ١٣٣ ، ١٣٨ ، ١٤٣ ، ٣٠٢ / ٣ : ١٤٤ ، ١٨٩ ، ٢٤٤

نهج البلاغة ، للشريف الرضى (الميمنية ١٣٠٦) ٢ : ٥٢ – ٥٥ ، ٥٩ ، ٦١ / ٣ : ٢٢٢

النوادر ، لأبى زيد (بيروت ١٨٩٤ م) ١ : ٥٧ ، ١٧٧ ، ١٧٩ ، ١٨٥ ، ٢٣٣ / ٣ : ٢٤٩

النوادر ، لأبى على القالى (دار الكتب ١٣٤٤) ٢ : ٦١ ، ٦٣ ، ٦٥ / ٣ : ٣٠٦

نوادر المخطوطات ، لعبد السلام محمد هارون (لجنة التأليف ١٣٧٤) ١ : ٤ ، ٢٢٩ ، ٢٤٩ ، ٣٣١

الهاشميات ، للكميت (شركة التمدن ١٣٣٠) ١ : ١٩٨ ، ٢٨٢

هِبة الأيام ، للبديعى (العلوم ١٣٥٢) ٤ : ٨٠

همع الهوامع ، للسيوطى (السعادة ١٣٢٧) ١ : ١٤٩ ، ١٦٢ ، ٢٩٣ / ٢ : ٢٤٥ / ٣ : ١٥ ، ١٠٦ ، ٢٣٥ ، ٣١٠ / ٤ : ٧٩

الوزراء والكتاب ، للجهشيارى (الحلبى ١٣٥٧) ١ : ١٤١ ، ١٩٣ ، ٣١٨ ، ٣٨٩ ، ٣٤٤ / ٢ : ٢٥٥ / ٣ : ٢١٦ ، ٣٦٧ / ٤ : ٥٦

الوساطة ، للجرجانى (صيدا ١٣٣١) ٢ : ٢١٥ ، ٣٤٥ / ٣ : ٩٤ / ٤ : ٥٣

وفيات الأعيان ، لابن خلكان (الميمنية ١٣١٠) ... ...

وقعة صفين ، لنصر بن مزاحم ، بتحقيق شارح البيان (عيسى الحلبى ١٣٦٥) ١ ١١٨ ، ٢٨٦ ، ٣٠٠ / ٢ : ١٣٩ ، ١٤٣ ، ٢٨٥ ، ٢٩٦ / ٣ : ١٠٨ / ٤ : ٦٠ ، ٧١

٥ ٥ ٥

الفهرس السادس عشر

فهرس الفهارس

تفسير بعض الإشارات إلى المراجع

ابن الأثير = الكامل
أدى شير = الألفاظ الفارسية
استينجاس = المعجم الفارسى الإنجليزى
ابن أبى أصيبعة = عيون الأنباء
أمالى ثعلب = مجالس ثعلب
الأمثال = مجمع الأمثال
الجهشيارى = الوزراء والكتاب
ابن أبى الحديد = شرح نهج البلاغة
ابن سلّام = طبقات الشعراء
السمعانى = الأنساب
الطبرى = تاريخ الطبرى
العينى = شرح شواهد شروح الألفية
القفطى = إخبار العلماء
اللآلئ = سمط اللآلئ
المرزبانى = معجم الشعراء
المعمرين = كتاب المعمرين
الميدانى = مجمع الأمثال
نسخة الشنقيطى من الهذليين = شرح ديوان الهذليين

مؤلفات ومحققات أخرى للمحقق

تطلب من مكتبة الخانجى بالقاهرة

مجلد		
١	تحقيق النصوص ونشرها (أول كتاب عربى فى هذا الفن)	
٢	معجم شواهد العربية	
١	تحقيقات وتنبيهات فى معجم لسان العرب	
١	الأساليب الإنشائية فى النحو العربى (بحث مبتكر)	
١	الميسر والأزلام (بحث تاريخى اجتماعى أدبى لغوى)	
١	قواعد الإملاء	
١	حول ديوان البحترى .	
١	فهارس المخصص لابن سيدة	
١	فهارس معجم تهذيب اللغة	
١٠	الألف المختارة من صحيح البخارى	اختيار وشرح وتخريج
٨	الحيوان ، للجاحظ	شرح وتحقيق
١	العثمانية ، للجاحظ	〃 〃
٤	رسائل الجاحظ (تشتمل على ٤٥ كتابا ورسالة)	〃 〃
١	البرصان للجاحظ	〃 〃
١	الاشتقاق ، لابن دريد	〃 〃
٦	مقاييس اللغة ، لابن فارس	〃 〃
٤	شرح ديوان الحماسة ، للمرزوقى	〃 〃
٢	مجالس ثعلب	〃 〃
١	جمهرة أنساب العرب ، لابن حزم	〃 〃
١	شرح القصائد السبع الطوال ، لابن الأنبارى	〃 〃
١	وقعة صفين ، لنصر بن مزاحم	〃 〃
١	أمالى الزجاجى	〃 〃
١	المصون ؛ لأبى أحمد العسكرى	〃 〃
١	مجالس العلماء ، للزجاجى	〃 〃
٥	كتاب سيبويه	〃 〃
١١	خزانة الأدب ، للبغدادى	〃 〃
٢	نوادر المخطوطات (تشتمل على ٢٥ كتاباً ورسالة)	〃 〃
١	تهذيب سيرة ابن هشام	—
٢	تهذيب كتاب الحيوان	—
٢	تهذيب إحياء علوم الدين	
١	المفضليات (بالاشتراك مع الشيخ أحمد شاكر)	شرح وتحقيق
١	الأصمعيات (〃 〃 〃 〃 〃)	〃 〃
١	إصلاح المنطق (〃 〃 〃 〃 〃)	〃 〃

مجلد			
١	تعريف القدماء	(بالاشتراك مع لجنة أبي العلاء)	شرح وتحقيق
٥	شروح سقط الزند	(» » » » »)	» »
٢	تهذيب اللغة ، للأزهري	(الجزء الأول والتاسع)	» »
١	الأغاني ، لأبي الفرج الأصبهاني	(الجزء الخامس عشر)	» »
٣	تهذيب الصحاح ، للزنجاني	(بالاشتراك مع أحمد عطار)	» »
٦	صحاح الجوهري	(بالاشتراك مع أحمد عطار)	» »

★ ★ ★